الحضارة الإسلامية

دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية

نشأتها في المشرق - انتقالها إلى الأندلس
دعم الأندلسيين لها - تأثيرها على أوروبا

تأليف

الدكتور طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبية

جامعة القاهرة - كلية دار العلوم

قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

الجزء الأول

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3938-X

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

﴿الإهداء﴾

إليكم أهدى هذا العمل:

أمى الحنون، وأبى الكريم.

أخى وشقيقى الحبيب شعبان.

زوجتى صابرة، وأبنائى الأعزاء: هاجر، وأحمد، وعمر، ومريم.

﴿وإهداء آخر﴾

إلى من يريدون للحضارة الإسلامية أن تعودَ، وتسودَ العالَمَ من جديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ على محمد النبى، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وآلِ بيته كما صليتَ على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

وبعد

فقد اتسمت الحضارة الإسلامية فى مجال الفكر والثقافة بضخامة الإنتاج العلمى بصورة لم تُعرف عن أية حضارة عالمية أخرى عاصرتها. ويتجلى ذلك فى العدد الهائل من المؤلفات التى أنتجها العلماء والمفكرون المسلمون فى شتى مجالات المعرفة.

وتُعتبر الفترة التى تبدأ بتأسيس مدينة بغداد (عام ١٤٥هـ/٨٦٢م) وتمتد إلى نهاية القرن الرابع الهجرى أو إلى منتصف القرن الذى يليه هى التى شهدت قمة الازدهار العلمى فى تاريخ الفكر الإسلامى، وظهر فيها أرقى ما وصل إليه المسلمون من نتاج وإبداع علمى.

وقد كانت مدينة بغداد تمثل أهم مركزٍ لجميع أنواع النشاط الفكرى فى الفترة المذكورة، فبعد أن تأسست فى زمن الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) واتخذها العباسيون مقراً للخلافة إذا بها تصبح سيدة بلدان العرب والمسلمين، وقبلةً لطلاب العلم من جميع الأمصار الإسلامية، وصارت موئلاً لكثير من الاتجاهات العلمية الناضجة التى أسهمت فى تكوينها الحضارى وهيأت لها المكانة المرموقة، وقلَّما يوصف رجل بأنه عالم أو فقيه أو محدِّث أو كاتب أو أديب... الخ إلا إذا رحل إليها وأخذ عن علمائها.

وقد كان همُّ الخلفاء العباسيين منذ البداية أن يجعلوها مركزاً للمعارف، وأن تتفوق على دمشق التى كانت عاصمة للأمويين الذين سبقوهم فى الحكم. وبالفعل دعا مؤسسها المنصور - والخلفاء من بعده - عدداً كبيراً من العلماء ليأتوا إلى بغداد من مختلف الأقطار الإسلامية، وبذل هو وخلفاؤه كل جهد ممكن ليجتذبوا هؤلاء العلماء إلى عاصمتهم، فازدهرت بهم فى كل فنٍ، وأُنشئت معاهد العلم فى كل من أحيائها، ولعبت المساجد الدور الأول فى تلك النهضة.

ولعل أبلغ ما قيل فى فضل بغداد وتفوقها على جميع الأمصار الإسلامية قول الإمام الشافعى حينما سأل يونس بن عبد الأعلى (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م): يا يونس، دخلت بغداد؟. قال: لا. قال الشافعى: «ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس»[١]. وقال أيضا: «ما دخلت بلدا قط إلا عددته سفرا؛ إلا بغداد فإنى حين دخلتها عددتها وطنا»[٢].

وذكر أحمد بن أبى طاهر طيفور البغدادى (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) - صاحب "أخبار بغداد" - قال: قيل لرجل: كيف رأيت بغداد؟. قال: «الأرض كلها بادية، وبغداد حاضرها»[٣].

وكان أبو الفضل الصاحب بن العميد (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) إذا طرأ عليه أحد وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد، فإن فطن لفضائلها وخواصها جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله، وينسب إليه قوله: «بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد»[٤].

وقد تغنى بها أحد شعراء الفرس قائلا: «طوبى لك يا بغداد، مدينة العلم والفن، التى لا يستطيع الإنسان أن يجد بين مدن العالم كله مدينة أخرى تناظرها»[٥].

وما قيل فى فضل بغداد ومكانتها العلمية والحضارية كثير. وقد عقد الخطيب البغدادى فى تاريخه عن هذه المدينة بابا ذكر فيه أقوال العلماء والأعلام فى مناقبها ومحاسنها[٦]. ثم أتبع ذلك قوله - مشيدا بها - «هذا إلى تركنا ذكر أشياء كثيرة من مناقبها التى أفردها الله بها دون سائر الدنيا شرقا وغربا، وبين ذلك من الأخلاق الكريمة والسجايا المرضية والمياه العذبة الغدقة، والفواكه الكثيرة الدمثة، والأحوال الجميلة، والحذق فى كل صنعة، والجمع لكل حاجة، والأمن من ظهور البدع، والاغتباط بكثرة العلماء والمتعلمين، والفقهاء والمتفقهين، ورؤساء المتكلمين، وسادة الحساب والنحوية، ومجيدى الشعراء، ورواة الأخبار والأنساب وفنون الآداب، وحضور كل طرفة، واجتماع ثمار الأزمنة فى زمن واحد، ولا يوجد ذلك فى بلد من مدن الدنيا إلا بها. ..» إلى آخر ما قال[٧].

---

١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١/٤٥.

٢) تاريخ بغداد ١/٤٦.

٣) تاريخ بغداد ١ /٤٥.

٤) وفيات الأعيان ٥/١٠٤، يتيمة الدهر للثعالبى ٣/١٨٣.

٥) ولـ ديورانت: قصة الحضارة - الجزء الثانى من المجلد الرابع ص ١٦١، ترجمة محمد بدران (ط/الثالثة - لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٤م).

٦) تاريخ بغداد ١/٤٤ - ٥٤. وراجع ج ٨ ص ٣٨٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ ص ٢٩٢.

٧) المصدر نفسه ١/٥-٥١.

وقد أجمل اليعقوبى (بغدادى / ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) وصف عظمتها بقوله:

«هى المدينة التى ليس لها نظير فى مشارق الأرض ومغاربها، سعة وكبرا وعمارة، وكثرة مياه وصحة هواء، لأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس فى مدينة فى الدنيا.... وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس فى العلم والفهم والأدب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة، وإحكام كل مهنة، وإتقان كل صنعة؛ فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أروى من راويتهم، ولا أجدل من متكلمهم، ولا أعرب من نحوييهم، ولا أفصح من قارئهم، ولا أمهر من متطببهم، ولا أحذق من مغنيهم، ولا ألطف من صانعهم، ولا أكتب من كاتبهم، ولا أبين من منطيقهم، ولا أعبد من عابدهم، ولا أورع من زاهدهم، ولا أفقه من حاكمهم، ولا أخطب من خطيبهم، ولا أشعر من شاعرهم»[١].

إن هذين النصين المجملين يعبران بإحكام عما تميزت به بغداد من ازدهار حضارى وفكرى، وما كسبته من مكانة متميزة بفضل توفر الخيرات المادية فيها، والمناخ الفكرى الذى وفرته لإنماء مختلف جوانب الفنون والآداب والعلوم.

ولا شك فى أن هذه المكانة الرفيعة التى حظيت بها بغداد جعلت منها مدينة عالمية، وأصبحت تلخص وتمثل علم العالم الإسلامى كله. ولا عجب حينئذ فى أنها كانت تجتذب الناس من كل حدب وصوب لتحصيل العلوم والمعارف فى شتى ميادينها ومناهجها واتجاهاتها، وكانت تطبع بطابعها العلمى مختلف العلماء الذين يؤمونها طائعين، فتوحد مواردهم وطرقهم واهتماماتهم ومنازعهم العلمية.

ومن بين الشعوب الإسلامية التى عرفت المكانة العلمية المتميزة لهذه المدينة فراحوا يفدون عليها بصورة متتابعة بغية التتلمذ على علمائها ومفكريها والعودة إلى بلادهم بالزاد الوفير من المرويات والمؤلفات فى كل علم وفن ليؤسسوا عليها حركتهم العلمية: أهل الأندلس؛ فهؤلاء أولعوا بما وصلت إليه بغداد من رقى وحضارة، فأولوها اهتماما خاصا دون بقية المدن الكبرى فى المشرق، باستثناء الحجاز ومصر، وحاولوا أن يستفيدوا بأكبر قدر من ثقافتها. ويمكن القول - بناء على استقراء كتب التراجم التى أرخت للعلماء الأندلسيين -: ما من أندلسى كان

١) اليعقوبى: كتاب البلدان ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

يرحل إلى المشرق لطلب العلم إلا ولابد له من دخول بغداد فى الأعم الأغلب.

ولعل أفضل عبارة تبين لنا حرص الأندلسيين الكبير على مواكبة كل ما يصدر فى بغداد من اتجاهات ومؤلفات فى شتى العلوم والعمل على جلبها إلى الأندلس تلك المقولة التى سجلها واحد من أهلها، بل ومن أفضل أهلها وأغزرهم علما وأعمقهم فهما - وأعنى به ابن حزم القرطبى الأندلسى (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) - إذ يقول فى معرض حديثه عن فضائل الأندلس: «**وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة، والمحلة التى سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق فى تصريف العلوم، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار، ونفاذ الخواطر، ولا أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). وأما سائر التواليف التى ألفها أهلها فلم يخصوا بلدهم بها دون سائر البلاد. .. ولقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه علم[١]، على أنهم العلية الرؤساء، والأكابر العظماء، ولو كان فى شئ من ذلك تأليف لكان الحكم فى الأغلب أن يبلغنا سائر تآليفهم، كما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهانى فى "أخبار أصفهان" وكتاب الموصلى وغيره فى "أخبار مصر"، وكما بلغنا سائر تواليفهم فى أنحاء العلوم**»[٢].

نخلص من ذلك - ومن أدلة أخرى كثيفة ستأتى فى مواضعها من هذه الدراسة - إلى أن الأندلسيين أسسوا حياتهم العلمية وبنوا حصادهم الفكرى على ثقافـــة المشرق (وبغداد فى القلب منه). وهذا هو الأصل فى موضوع البحث الذى بين أيدينا. وعنوانه:

الحضارة الإسلامية (دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية)

والفكرة الرئيسية التى يقوم عليها هذا الموضوع هى أن (قرطبة/الأندلس) اعتمدت فى بناء تراثها الفكرى على الإنتاج العلمى الذى أفرزته الحركة العلمية النشطة فى (بغداد/المشرق) خلال ثلاثة قرون متتالية تمثل العصر الذهبى للفكر الإسلامى (تبدأ مع النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى وتمتد إلى منتصف القرن الخامس)، والعمل على استيعاب هذا الإنتاج والنسج على منواله وتطويره والإضافة إليه، والتميز ببعض الخصوصيات فى الثقافة والفكر، ثم أداء دور الوسيط فى انتقال التراث العلمى العربى الإسلامى إلى أوربا.

---

١) توفى ابن حزم (سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) قبل أن يصل إلى الأندلس الكتاب الذى صنفه الخطيب البغدادى فى "تاريخ بغداد"، مع العلم بأن الخطيب توفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م أى بعد ابن حزم بقليل.

٢) المقرى: نفح الطيب ١٦٥/٣.

وقبل البدء فى عرض التفصيلات التى تتفرع عن هذه الفكرة الرئيسية لابد من الإشارة إلى عدد من الملاحظات المهمة:

أولا: لا يقصد من إيراد اسم بغداد في دراستنا هذه تلك المدينة المعروفة بحدودها الجغرافية؛ وإنما المقصود أنها تمثل المشرق الإسلامى، على اعتبار أنها أم المدائن بالمشرق وكعبة العلوم والآداب، أو "مصر الإسلام" على حد تعبير المقدسى [1]، وفيها ازدهرت الفنون المختلفة، وانتشرت منها إلى سائر العالم الإسلامى.

وبناء على هذا المفهوم فإننا حينما نقوم برصد الحركة العلمية التى شهدتها بغداد فى الفترة المذكورة فلن نقتصر على جهود البغداديين الأصليين، وإنما سيكون تناولنا شاملا لما أنتجته العقلية الإسلامية على أرض هذه المدينة الكبرى، سواء كان هذا الإنتاج العلمى منسوبا لعلمائها الأصليين أم لغيرهم ممن نزلها لتحصيل العلم فاستقر له فيها المقام أو رحل منها إلى بلده الأصلى.

إن هؤلاء العلماء الذين وفدوا على بغداد من كل حدب وصوب لتحصيل العلوم - وإن كانوا فى الأصل ينتمون إلى مدن أخرى - إلا أنهم من الناحية العملية بغداديون الفكر والثقافة، وقد تشكلت شخصيتهم العلمية فى بغداد بإشراف أساتذة وشيوخ بغداديين. وإن ما أنتجه هؤلاء من تراث ما هو فى الواقع إلا انعكاس لحياتهم الفكرية والثقافية التى عاشوها فى البيئة البغدادية/العراقية.

وليس المقصود أيضا من إيراد اسم (قرطبة) فى عنوان هذه الدراسة الوقوف عند تلك المدينة الأندلسية فى حد ذاتها، وإنما باعتبارها ممثلة لإقليم الأندلس كله؛ فمعظم الإنتاج العلمى الذى نقله الأندلسيون من (بغداد/المشرق) إلى الأندلس دخل قرطبة أولا، ثم انتشر منها إلى بقية المدن الأندلسية. كما أن أكثر المرتحلين من الأندلس إلى المشرق كانوا من أهل قرطبة، وهم الذين قاموا بالدور الأكبر فى نقل الفكر المشرقى إلى الأندلس، وهم الذين أنتجوا أرقى ما وصل إليه الأندلسيون فى مجال العلم والفكر؛ ذلك أن قرطبة بالنسبة لبقيةالمدن الأندلسية الأخرى تعد - كما يقول المقرى - «قاعدة الأندلس وقطبها وقطرها الأعظم، وأم مدائنها ومساكنها، ومستقر الخلفاء، ودار المملكة فى النصرانية والإسلام، ومدينة العلم ومقر السنة والجماعة»، وكما يقول المقرى أيضا نقلا عن الحجارى: «مركز الراية، وأم القرى (أى فى الأندلس)، وقرارة أولى الفضل والتقى، ووطن أولى العلم والنهى، وقلب الإقليم، **وينبوع متفجر العلوم،**

---

١) أحسن التقاسيم ص ١٠٧.

وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر وفرسان النظم والنثر، وبها أنشئت التأليفات الرائقة، وصنفت التصنيفات الفائقة»[١].

ثانيا: إن اختيارنا للقرنين الثالث والرابع الهجريين على وجه التحديد (وهما يمثلان العصر الذهبي لنشأة العلوم الإسلامية وتدوينها وتطويرها) لا يعنى - فى دراستنا هذه - الوقوف جامدين عند حدود هذين القرنين؛ فلا نزيد عليهما ولا نؤرخ لما قبلهما. وإنما كان البحث فى الحركة العلمية - سواء فى (بغداد/المشرق) أم فى (قرطبة/الأندلس) - يقتضى الرجوع بالظاهرة العلمية أو بالحركة التأليفية لعلم من العلوم إلى ما قبل ذلك التاريخ، أو بعده بقليل، ومن غير تطويل، إلا فى حالة واحدة تتعلق بإنجازات الأندلسيين فى ميادين الفكر والثقافة، فقد تتبعنا - بإجمال - فى الباب قبل الأخير من الدراسة التراث العلمى الأندلسى الذى أنجزه الأندلسيون، وتخطينا حدود القرنين المذكورين. وسندلى بحجتنا فى ذلك فى موضع لاحق إن شاء الله[٢].

وأمر آخر يتعلق باختيار القرنين الثالث والرابع الهجريين فترة للدراسة، وهو - كما ذكرنا قبل قليل - أن هذين القرنين يمثلان بحق العصر الذهبى الذى ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية ونمت، وبلغت غايتها من الإنتاج الواسع فى شتى ميادين العلوم والآداب. كما أن معظم الإنتاج العلمى الذى انتقل إلى (قرطبة/الأندلس) إنما وصل إليها خلال هذين القرنين والقرن الذى يليهما.

ثالثا: وليس المقصود من عنوان الدراسة أن أتناول الحركة العلمية فى (بغداد/المشرق) و(قرطبة/الأندلس) فى صورة مقارنات بين الإقليمين، وبعبارة أخرى: إننى لن أجعل من مهمتى فى هذه الدراسة الوقوف عند علم ما من العلوم - وليكن علم التفسير أو الفقه أو اللغة أو الفلسفة أو الطب - لرصد أوجه الاتفاق والاختلاف للحالة التى كان عليها ذلك العلم فى بغداد وقرطبة من حيث القوة والضعف، أو الانتشار والانحسار... ثم الانتقال إلى علم آخر... وهكذا بطريقة رأسية. ولكن المنهج المتبع هو - فى خط أفقى - القيام أولا برصد معالم النهضة العلمية التى شهدتها (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. ثم - ثانيا - انتقال

---

١) المقرى: نفح الطيب ١/٤٥٩، ٤٦١. وراجع مزيدا من الكلام حول أهمية قرطبة وعظم دورها فى نشر الفكر والحضارة المشرقية فى ربوع الأندلس كلها - راجع (ص ٦٧٦ - ٦٧٧) فى خاتمة الباب الأول من القسم الثانى.

٢) راجع (ص ٦٩٤) من المجلد الثانى.

هذه النهضة إلى قرطبة حاضرة الأندلس، وتكوينها للحركة العلمية هناك وصبغها بصبغتها. وأخيرا محاولة الكشف عن الشخصية أو "الخصوصية" العلمية للأندلس، وحجم ما أضافه الأندلسيون إلى العلوم الوافدة. ثم الوقوف سريعا عند دور الأندلس كمعبر من أكبر المعابر التى نفذت من خلالها العلوم العربية الإسلامية إلى الممالك الأوربية.

وقد يقال: إن ترتيب أفكار البحث على هذه الصورة غير منطقى، ويفتقر إلى الوحدة والترابط. وهنا نسارع إلى السؤال التالى: هل كانت قرطبة بمعزل عن الاتصال بالحواضر المشرقية حتى إذا اكتملت عناصر النهضة العلمية فى تلك الحواضر أخذت هى - يعنى قرطبة - فى النقل والاقتباس؟!

الجواب: لا. وإنما الذى يبرهن عليه منطق العقل والواقع التاريخى هو أن قرطبة كانت - منذ السنوات الأولى من تاريخ الإسلام فى الأندلس - على صلة دائمة بمراكز العلم والحضارة بالمشرق (وفى مقدمتها بغداد بعد تأسيسها)، وكانت كل التيارات العلمية والظواهر الحضارية التى تظهر فى (بغداد/المشرق) سرعان ما تلقى بظلالها أولا بأول على حاضرة الأندلس، فيتعرف عليها الأندلسيون ويتدارسونها، ثم ينسجون على منوالها أو يضيفون إليها أو يبدعون من خلالها. وبعبارة موجزة: إنه فى الوقت الذى كانت فيه الحضارة الإسلامية تكتمل جوانبها فى بغداد فى ميادين الفكر والثقافة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كانت قرطبة تسير - فى الغالب - على نفس الخطا وفى نفس التوقيت لتكوين حضارة مماثلة أو قريبة منها، اعتمادا على الثقافة المشرقية.

وإذا كان الأمر هكذا - وهذا بالفعل هو الواقع التاريخى - فإن تقسيمنا للبحث بالصورة التى هو عليها تقسيم شكلى، القصد منه التنسيق والتبويب وترتيب المادة العلمية.

رابعا: إن الموضوع الذى نتناوله فى هذه الدراسة - والذى شرحنا فكرته الرئيسية التى ينبنى عليها - لم يأت من فراغ، فقد كتبت حوله بعض الدراسات، لكنها لم تتناوله بصورة شاملة كما فى دراستنا هذه، وبالمنهج التفصيلى الذى وضعناه لأنفسنا. وإنما تطرقت إلى بعض جوانبه أو ملامحه. ولا بد من القول: إن ما اطلعنا عليه من بحوث ودراسات بشأن تأثير النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق) على (قرطبة/الأندلس) ساعدنا على كشف مداخل هذا البحث، وأضاء لنا الطريق لمعالجته بقدر من التفصيل والعمق.

ومن أهم الدراسات التى سبقتنا إلى معالجة هذا الموضوع بصورة عامة:

١ - دراسة باللغة الإسبانية بعنوان: "التيارات الثقافية المشرقية وأثرها فى إسبانيا

الإسلامية"، للدكتور محمود على مكى [١]. وهذه الدراسة من أجود ما كتب فى موضوعها، لكنها كانت مقتصرة على التأثيرات المشرقية فى مجال المذاهب الفقهية - وخصوصا المذهب المالكى - والحديث النبوى وعلم الكلام (الفرق الدينية) واللغة والأدب والشعر، مع خاتمة تضمنت بعض معالم الشخصية الثقافية للأندلس، ولم تقف الدراسة كثيرا عند إنجازات الأندلسيين فى مجالات الفكر والثقافة كما أنها لم تتعرض لتأثير الثقافة المشرقية على الأندلس فى مجال العلوم التجريبية.

٢ - "تأثر الفكر الأندلسى بالحركة العلمية فى المشرق الإسلامى " للأستاذ سوادى عبد محمد. وهذه الدراسة عبارة عن بحث صغير نشر بإحدى الدوريات العلمية المتخصصة[٢]، وعنى فيها صاحبها بإلقاء نظرة سريعة على الحركة العلمية فى أهم مراكزها فى المشرق، ثم إظهار بعض تأثيراتها على الأندلس فى المجالات العلمية المختلفة.

والباحث - وإن كان موفقا فى تتبع التأثيرات التى أورثها المشرق الإسلامى فى بلاد الأندلس - إلا أن تتبعه هذا لم يكن مستقصيا، كما أن بحثه يوحى بأن الحضارة الأندلسية ما هى إلا مجرد صورة طبق الأصل لكل ما هو مشرقى فى جميع المجالات العلمية والفكرية بدون استثناء، وأن الأندلسيين مجرد مقلدين لإخوانهم المشارقة، دون أن يقف عند محاولة الأندلسيين فى أن يكون لهم خصوصية ثقافية أو أصالة علمية.

ومن البحوث الجيدة التى تناولت هذا الموضوع من بعض جوانبه[٣]:

١ - "أثر زرياب (المغنى) وأسرته البغدادية فى الأندلس" للدكتور محسن جمال الدين.

٢ - "الفارابى: ملامح من شخصيته العلمية فى الأندلس" - للدكتور محسن جمال الدين.

٣ - "أصول عراقية فى الأدب الأندلسى " - للأستاذ أحمد حاجم الربيعى.

---

١) Mahmud Makky: Ensayo Sobre Las Aportaciones Orientales En La Espania Musulmana. رسالة دكتوراه منشورة باللغة الإسبانية فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، فى عدديها (٩ ، ١٠) [١٩٦١-١٩٦٢]، و(١١، ١٢) [١٩٦٣-١٩٦٤م]. وقد استعنت بمترجم يجيد اللغة الإسبانية فى ترجمة أجزاء ومقاطع من هذه الرسالة بغية الوصول إلى محتواها والاستفادة منها فى دراستنا.

٢) نشر هذا البحث فى مجلة عالم الفكر - المجلد الثالث عشر - العددالثانى (يوليو/أغسطس/سبتمبر ١٩٨٢م) - (ص ١٨٧ - ٢١٤).

٣) هذه البحوث منشورة فى دوريات متخصصة، وسيجد القارئ بياناتها فى القائمة الخاصة بالدوريات فى نهاية الدراسة.

٤ - "دخول المذهب المالكى إلى بلاد الغرب الإسلامى وانتشاره" - للأستاذ عبد الهادى الحسينى.

٥ - "مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى " - للدكتور محمود على مكى.

٦ - قضية التواصل بين المشرق والمغرب" للدكتور محمود محمد الطناحى.

وهذه الأبحاث على الرغم من اتسامها فى جملتها بالدقة والعمق فإنها اقتصرت على معالجة جانب أو مجال واحد من المجالات العلمية التى كان للمشرق فيها تأثير كبير على الأندلس.

هذا، عدا الدراسات والبحوث العديدة التى كتبها كبار الباحثين من العرب والإسبان التى تؤرخ للحضارة الإسلامية فى الأندلس، فقد تطرقت بصورة سريعة إلى الحديث عن مدى تأثرها بالثقافة المشرقية، وكلها دراسات مفيدة ومهمة فى موضوعاتها، لكن ليست متخصصة فى معالجة موضوعنا فى صورته الشاملة المستوعبة، وإن كنا قد استفدنا منها فى معالجة بعض جوانب الموضوع.

وعلى كثرة ما كتب حول النهضة العلمية فى المشرق الإسلامى عامة، أو فى بغداد خاصة، أو فى أى مركز علمى آخر من المراكز المشرقية فإننا - حاولنا من جانبنا - التفرد أو التميز فى طريقة التناول للمادة العلمية التى عالجنا من خلالها الملامح العامة والاتجاهات الرئيسية التى كانت عليها العلوم العربية الإسلامية فى بغداد خلال القرنين فترة الدراسة.

فدراستنا - إذن - لم يتعرض لها أحد بالصورة الموسعة والشاملة التى هى عليها، ولا بالمنهج الذى ارتضيناه لأنفسنا فى عرض المادة العلمية وطريقة التناول والتتبع الذى يصل إلى درجة "الاستقراء" - فى حدود المتاح من المراجع - لكثير من جوانب البحث.

والآن نأتى إلى عرض خطة البحث التى أملتها علينا الفكرة الرئيسية المذكورة آنفا.

تنقسم الدراسة إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وفى هذا القسم نحاول استجلاء أبرز الملامح والمعالم التى تتميز بها النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق)، والتى كان لها صدى واسع وتأثير كبير على الحركة العلمية فى (قرطبة/الأندلس)، وذلك من خلال عرض شامل لجميع العلوم الدينية (علوم القرآن - علوم الحديث النبوى - علم الفقه - علم الكلام/أصول الدين) وعلوم اللغة العربية (اللغة والنحو

والبلاغة والنقد الأدبى والنثر الفنى) والدراسات التاريخية والجغرافية، ثم العلوم العقلية والتجريبية (الفلسفة – الفلك – الرياضيات – الطب – الصيدلة – الكيمياء – النبات – الحيوان – علوم الطبيعة).

وقد وقفت عند كل علم من هذه العلوم على حدة، بتعريفه أولا، وإعطاء لمحة سريعة عن بدايته ونشأته، ثم الانتقال إلى عرض جهود البغداديين (ومن نزل بغداد من علماء الأقطار الإسلامية بالمشرق) فى تدوينه وتأسيسه وتطويره، مبرزا أهم ما أسهموا به من إنتاج لخدمة هذا العلم أو ذاك، مع اختيار نماذج من مؤلفاتهم، للحديث- باختصار – عن أهميتها والتعريف بمضمونها ومناهجها. وأوليت عناية تامة بتحديد المراحل والاتجاهات الكبرى (المدارس) التى يتميز بها كل علم، ويتحدد بها مسار التأليف فى أنواعه وفروعه. وقد يجمع العلم الواحد فنونا عديدة، كل فن منها يمثل علما مستقلا، فكنت أقف عند بيانها وتجلية ملامحها، فى إطار العلم الذى تتفرع منه هذه الفنون[1].

ونشير هنا إلى بعض الأمور التى التزمنا بها فى تأريخنا لحركة العلوم فى بغداد:

١- إننا – وإن كنا نعتبر بغداد رمزا – أو ممثلة – للحواضر الإسلامية بالمشرق كما ذكرنا فإننا لم ندخل علماء الأمصار الأخرى فى عداد المدرسة البغدادية إلا من تأكد لنا أنه عاش فترة طويلة فى بغداد تكفى للحكم عليه بأنه يمثل هذه المدرسة.

٢ – لم أتوسع فى تراجم العلماء والتعريف بهم، وإنما كنت أكتفى بإعطاء نبذة سريعة عن شخصيتهم العلمية، ثم التركيزعلى ذكر إنتاجهم العلمى والتعريف بأهميته، وكانت هناك أحوال قليلة تتطلب الإطالة فى ترجمة بعض الأعلام.

٣ – يحدث كثيرا أن يتكرر اسم العالم الواحد فى مواضع عديدة، وفى علوم شتى، فكنت أكتفى بذكر جهوده العلمية بحسب العلم الذى نتحدث عنه. وهذه الظاهرة تعكس الموسوعية التى يتميز بها العلماء المسلمون القدامى.

٤ – العناية التامة بذكر وفيات الأعلام بالتقويم الهجرى والميلادى مهما تطلب ذلك من عناء البحث عن هذه التواريخ.

٥ – وسيلحظ القارئ أننى فصلت علم الكلام (أصول الدين) عن علم الفلسفة، فضممت

---

١) مثال ذلك: علم الحديث (وهو من العلوم الدينية) يتفرع منه (علم الجرح والتعديل – علم تاريخ الرواة – علم علل الحديث – علم غريب الحديث – علم مختلف الحديث ومشكله- علم ناسخ الحديث ومنسوخه) – ومثال آخر: علوم الرياضيات، يتفرع منها علم الهندسة – علم الجبر – علم المثلثات – علم الحساب.

الأولى إلى جانب العلوم الدينية (علوم القرآن والحديث النبوى والفقه) لأنه أليق بها وأقرب إليها؛ إذ يبحث فى أصول الدين الإسلامى فيما يتعلق بالعقيدة الإيمانية والبرهنة عليها، والرد على الشبهات التى يثيرها الخصوم حولها، وضممت الفلسفة إلى جانب العلوم العقلية والتجريبية (الفلك - الرياضيات - الطب. .. الخ)، لارتباطها بهذه العلوم فى إطار حركة الترجمة لكتب اليونان، ومنها الكتب الفلسفية المنسوبة لأرسطو وأفلاطون وغيرهما ممن تأثر بهم فلاسفة الإسلام الذين أخذوا على عاتقهم نشر الفلسفة اليونانية فى بغداد، ومنها إلى الحواضر الإسلامية الأخرى. وكان من أبرزهم: الكندى (ت ٢٥٢ هـ/٨٦٦م)، والفارابى (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م) وغيرهما.

٦ - وقبل البدء فى الحديث عن العلوم العقلية والتجريبية فى الباب الأخير من القسم الأول كان لا بد لنا - لكى نتعرف على ملامح النهضة العلمية التى شهدتها بغداد فى هذا المجال - أن نتعرض أولا - وفى فصل خاص - للحديث عن حركة الترجمة التى استطاع العلماء العرب والمسلمون بفضلها الوقوف على التراث العلمى للأمم التى سبقت مجئ الإسلام، كالفرس والهنود واليونان وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة، ثم محاولة الإبداع من خلاله وتطويره وتحديثه، وصبغه بصبغة جديدة، والوصول به إلى مستوى يعلو بكثير عن المستوى الذى كان عليه قديما.

٧ - وقد كان من منهجنا فى تناول العلوم التجريبية أن نذكر أولا أهم ما ترجمه علماء (بغداد/المشرق) فى كل علم منها، ثم أردف ذلك بعرض ما أنجزوه وأسهموا به من إضافات هامة واكتشافات جليلة ومؤلفات نادرة.

٨ - ذيلت كل فصل من فصول القسم الأول بتعقيب أو خلاصة تتضمن أهم النتائج المستخلصة، إلى جانب خاتمة عامة فى نهاية هذا القسم تصله بما بعده.

*** أما أبوابه وفصوله فهى على النحو التالى:**

تمهيد : أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فى بغداد

الباب الأول: (العلوم الدينية). ويشمل أربعة فصول:

الفصل الأول: علوم القرآن الكريم.

الفصل الثانى: علوم الحديث النبوى.

الفصل الثالث: علم الفقه وأصوله.

الفصل الرابع: علم أصول الدين (علم الكلام).

الباب الثانى: (علوم اللغة العربية). ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: النحو واللغة.

الفصل الثانى: البلاغة والنقد الأدبى.

الفصل الثالث: الشعر والنثر الفنى.

الباب الثالث: (الدراسات التاريخية والجغرافية). وفيه فصلان:

الفصل الأول: الدراسات التاريخية.

الفصل الثانى: الدراسات الجغرافية.

الباب الرابع: (العلوم العقلية والتجريبية). ويشمل الفصول التالية:

الفصل الأول: حركة الترجمة فى (بغداد/المشرق) وأثرها فى التقدم العلمى.

الفصل الثانى: علم الفلسفة.

الفصل الثالث: علوم الفلك والرياضيات.

الفصل الرابع: علم الطب

الفصل الخامس: علوم الصيدلة والكيمياء.

الفصل السادس: علوم الحياة (النبات – الحيوان).

الفصل السابع: علوم الطبيعة (الفيزياء.)

خاتمة القسم : وهى عبارة عن تعقيب ونتائج مستخلصة.

وأما القسم الثانى من الدراسة فعنوانه: "انتقال النهضة العلمية من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس) وجهود الأندلسيين فى تطويرها، وتأثيرها على أوربا".

وهذا القسم يتضمن ثلاثة أبواب، لكل باب منها تمهيد وخاتمة.

الباب الأول: انتقال العلوم من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس):

ويبدأ هذا الباب بتمهيد، ناقشنا فيه آراء الباحثين حول حجم الدور المشرقى فى تكوين

الفكر الإسلامى بالأندلس وتأسيس الحركة العلمية هناك، ورجحنا بعد دراسة مستفيضة عبر فصول هذا الباب الرأى القائل بأن المشرق الإسلامى بفكره وثقافته (وبغداد فى القلب منه) كان له دور متميز وبالغ الأهمية فى تكوين الثقافة الأندلسية إلى جانب مؤثرات أخرى قليلة مغربية ومحلية.

وقد جاءت الفصول الخمسة التى يتكون منها هذا الباب للبرهنة على صحة هذه المقولة، وسلكنا من أجل ذلك طريقا صعبا، حيث وقفت من جديد عند كل علم من العلوم التى سبق عرضها فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية)، لأبين الجهود التى بذلت فى ادخال كل علم على حده إلى (قرطبة/الأندلس)، وما هو دور الأندلسيين والمشارقة فى إمدادها بهذه العلوم؟، وما الوسائل الكبرى التى عملت على تحقيق ذلك؟، وأهم الأقاليم والمدن المشرقية التى توجه إليها الأندلسيون بالرحلة لتحصيل تلك العلوم ونقلها إلى الأندلس، والوقوف عند دور (بغداد) بوجه خاص.

ولا نريد أن نتعجل هنا ذكر النتائج التى توصلنا إليها، فقد سجلناها فى الخاتمة المطولة التى ذيلنا بها هذا الباب.

ولقد كان عدد المؤلفات (البغدادية/المشرقية) التى وصلت إلى قرطبة فى كل علم كبيرا جدا، ولا يكاد يحصى، ولم يكن من المنطق العلمى التعرض لكل ما وصل إليها فى علم "القراءات" مثلا أو علم التفسير أو الحديث أو غير ذلك من العلوم، وإنما كنت أتخير بعض النماذج لكل علم، وأتتبع وصولها، وأوائل العلماء الذين جلبوها، وأهميتها بالنسبة للأندلسيين. ثم قمت بمسح شامل لكل ما توفر لدى من مصادر (وأكثرها أندلسية) لاستخراج ما ورد فيها من أسماء الكتب (البغدادية/المشرقية) التى انتقلت إلى الأندلس (مع ذكر مؤلفيها وتاريخ وفياتهم) مرتبة فى جداول ترتيبا أبجديا، بحسب العلم الذى تنتمى إليه، وقد تجمع لدى عدد هائل من هذه المؤلفات، وكان الغرض من القيام بهذا الإحصاء محاولة التعرف على مدى اعتماد الأندلسيين على الإنتاج العلمى الذى أثمرته الحركة العلمية فى (بغداد/المشرق)[1].

وبالطبع ليس هذا العدد الهائل هو كل ما وصل إلى الأندلس، فهناك الكثير والكثير مما سكتت عنه المصادر، أو لم نستطع الوصول إليه، لتعذر الحصول على بعض المصادر الأندلسية، إما لأنها مفقودة، أو مخطوطة ومبعثرة فى مكتبات العالم.

ومع وفرة المعلومات عن الكتب التى وصلت إلى الأندلس فى علوم (القراءات والتفسير

---

١) راجع هذه الجداول فى الملحق الخامس بداية من (ص ١٠٣٢- ١٠٨١) - القسم الثانى.

والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ) فقد كان من الصعوبة التعرف على أوائل العلماء الذين أدخلوا عددا من هذه الكتب، واستطعنا أن نتغلب على هذه الصعوبة بالرجوع إلى كتب الفهرسة "وتسمى بكتب برامج العلماء" التى اشتهر الأندلسيون بالاكثار من تأليفها لتسجيل سماعاتهم ومروياتهم ورحلاتهم وأسماء شيوخهم[١].

وقد لاحظنا ندرة فى المعلومات بشأن الكتب التى وصلت إلى قرطبة فى مجال العلوم التجريبية، كالفلك والرياضيات والطب. ..الخ، وأدى ذلك إلى بذل مزيد من الجهد للتعرف على مثل هذه المؤلفات وأهميتها فى تشكيل الفكر الأندلسى فى هذا المجال العلمى.

* أما عناوين الفصول التى ينتظمها الباب الأول بعد تمهيد مختصر:

الفصل الأول : العلوم الدينية ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : علوم القرآن (القراءات – التفسير – علوم أخرى)

المبحث الثانى : علوم الحديث

المبحث الثالث : علم الفقه.

الفصل الثانى : علوم اللغة العربية.

الفصل الثالث : الدراسات التاريخية والجغرافية وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الدراسات التاريخية.

المبحث الثانى : الدراسات الجغرافية.

الفصل الرابع : علم الكلام والفلسفة.

الفصل الخامس: العلوم التجريبية ويتضمن أربعة مباحث بعد مدخل قصير:

المبحث الأول :علم الطب.

المبحث الثانى : علم الصيدلة والنبات.

المبحث الثالث : علوم الفلك والرياضيات.

المبحث الرابع : علم الموسيقى.

وينتهى الباب بخاتمة مطولة تنتهى بأهم النتائج المستخلصة، وتصله بما بعده.

---

١) سيأتى مزيد من التعريف بهذا النوع من المؤلفات فى كلمتنا عن دراسة بعض المصادر التى عولنا عليها كثيرا فى هذه الدراسة – راجع (ص ٢٤). وراجع أيضا (ص ٨٦٣) من القسم الثانى.

وقد خصصت الباب الثانى لعرض أبرز ما أسهم به الأندلسيون من إنتاج علمى فى مجال الفكر والثقافة. واخترت له العنوان التالى (إنجازات الأندلسيين ودورهم فى دعم الثقافة الإسلامية الوافدة).

والدعامة التى يقوم عليها هذا الباب هى: هل كان للأندلسيين "شخصية" مستقلة أو "خصوصية" متميزة فى العلم والفكر؟ أم أنهم ظلوا يجارون الثقافة المشرقية ويلحقون بركبها أينما اتجهت؟.

والفصل الأول من هذا الباب يجيب بوضوح وبشئ من التفصيل عن هذا التساؤل. أما بقية فصول الباب فهى مخصصة لعرض التراث الأندلسى فى جميع العلوم، بنفس الصورة التى سرنا عليها وبنفس المنهج الذى اتبعناه - مع اختلاف يسير - فى عرضنا للحركة الثقافية والتراث العلمى فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية)، مع العناية بإبراز الخصوصية الأندلسية فى كل علم كلما عنت لنا ملامحها، وعقد مقارنات عامة وغير تفصيلية فى نهاية كل مبحث أو فصل بين الإنتاج المشرقى والتراث الأندلسى.

وخلاصة ما توصلنا إليه فى هذا الباب أن التراث الأندلسى فى مختلف العلوم مدين فى جانب كبير منه إلى الثقافة (البغدادية/المشرقية). وعلى الرغم من أن الأندلسيين كانت لهم مؤلفات وفيرة، ولا يكاد يخلو فن من الفنون العلمية التى ألفوا فيها من مؤلفات مجيدة تعتبر معالم واضحة فى تاريخ العلم كله: فإنهم لم يخرجوا فى الأعم الأغلب عن المناهج التى سار عليها المشارقة فى التأليف والتبويب، إضافة إلى ما جاء على سبيل التجديد والابتكار والتميز عن المشارقة ببعض الخصوصيات العلمية.

* وعناوين الفصول التى تنتظم هذا الباب هى على النحو التالى:

الفصل الأول(تمهيدى) : (هل كان للأندلس "شخصية" متميزة أو "خصوصية" فى الثقافة والفكر؟)

الفصل الثانى : (إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم الدينية)، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : علوم القرآن الكريم.

المبحث الثانى : علوم الحديث النبوى.

المبحث الثالث : علم الفقه وأصوله.

الفصل الثالث : (إنجازات الأندلسيين فى مجال علوم اللغة العربية).ويقع فى أربعة مباحث:

المبحث الأول : الدراسات النحوية واللغوية.

المبحث الثانى : مصادر الأدب فى التراث الأندلسى.

المبحث الثالث : البلاغة والنقد الأدبى.

المبحث الرابع : الشعر والنثر الفنى.

الفصل الرابع : إنجازات الأندلسيين فى مجال الدراسات التاريخية والجغرافية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الدراسات التاريخية.

المبحث الثانى : الدراسات الجغرافية.

الفصل الخامس: إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم العقلية والتجريبية ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: الفلسفة.

المبحث الثانى: علوم الفلك والرياضيات والموسيقى.

المبحث الثالث: علم الكيمياء.

المبحث الرابع: علم الطب.

المبحث الخامس: علوم الصيدلة والنبات والزراعة.

خاتمة الباب : وتتضمن أهم النتائج المستخلصة.

ونأتى إلى الباب الثالث من القسم الثانى، وهو الباب الأخير فى هذه الدراسة، وقد خصصته للحديث عن دور الأندلس كمعبر من أكبر المعابر التى نفذت من خلالها العلوم العربية الإسلامية إلى أوربا. ويتضمن هذا الباب مقدمة وفصلين.

أما المقدمة فتتحدث باختصار عن "أهم معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا" واعتبار الأندلس أهم هذه المعابر على أساس أنها تشكل المركز المتقدم للحضارة الإسلامية على الأرض الأوربية ذاتها.

ويتناول الفصل الأول "وسائل وقنوات انتقال العلوم العربية والإسلامية من الأندلس إلى

أوربا"، وكان من أهمها: المستعربون، واليهود والمدجنون[١]، والوفود والسفارات وحركة الترجمة.

ولما كانت الترجمة هى السبيل الطبيعى والوسيلة الرئيسية التى تحقق من خلالها نقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوربا على أرض الأندلس فقد أفردنا لها فصلا مستقلا، هو الفصل الثانى والأخير من هذا الباب.

وقد تتبعنا مسار هذه الحركة بداية من القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادى، ومرورا بالقرن الخامس/الحادى عشر الميلادى، ثم الوقوف عند النشاط الذى شهدته حركة الترجمة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، وأبرزنا الدور الكبير الذى قامت به مدينة طليطلة فى هذا المجال، والجهود العظيمة التى بذلها الملك ألفونسو العاشر المشهور "بالحكيم" وجماعته لنقل التراث العلمى إلى اللغتين القشتالية "الإسبانية القديمة" واللاتينية.

وجملة القول فيما ذكرناه فى هذا الباب أن الأندلس كانت تمثل الطريق الرئيسى الذى تسربت منه العلوم العربية والإسلامية إلى أوربا، لا بالترجمة فحسب، بل وبالاحتكاك والتعايش بين المسلمين والنصارى واليهود، مما يسر للأوربيين - وفى مقدمتهم الإسبان - سبل الأخذ عن الأندلسيين، والاستفادة من الثقافة العربية المتفاعلة مع غيرها، هذه الثقافة التى كانت من أبرز العناصر التى مهدت لبزوغ عصر النهضة الأوربية.

وقد ذيلنا هذا الباب بمجموعة من أقوال الغربيين فى الاعتراف بفضل الأندلس فى نقل الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية إلى أوربا.

ثم تأتى الخاتمة فى النهاية لتلخص لنا أهم النتائج التى توصلنا إليها عبر هذه الدراسة الطويلة، ويليها قسم خاص بعدد من الملاحق وثيقة الصلة بموضوعنا.

وأخيرا أسأل الله سبحانه الإخلاص والقبول.

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

والحمد لله رب العالمين.

***

١) سيأتى التعريف بالمستعربين والمدجنين (ص٩٥٧ - ٩٦٤) من القسم الثانى.

دراسة فى بعض مصادر ومراجع البحث

وقبل البدء فى موضوع الدراسة نلقى نظرة على أهم المصادر التى استقينا منها معلوماتنا.

أولا: كتب الطبقات والتراجم:

والمصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى هذا كثيرة ومتنوعة، ويأتى فى مقدمتها كتب الطبقات والتراجم على اختلاف أنواعها واتجاهاتها. وهذه الكتب على درجة كبيرة من الأهمية فى دراسة التاريخ الإسلامى عامة، والحركة العلمية والدينية خاصة، حيث تعكس تطورات هذه الحركة وتحديد اتجاهاتها، والوقوف على إنتاجها الثقافى، وبالتالى الكشف عن كل من أسهم فى وضع أسس الحضارة الإسلامية، أو شارك فى بناء صرحها الشامخ فى ميادين الفكر والعلم.

وقد أفادتنا هذه المصادر إفادة واسعة، وزودتنا بمعلومات غزيرة فى كل مرحلة من مراحل البحث.

وكان من أهم الكتب التى كشفت لنا عن ملامح النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق):

١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) مؤرخ بغداد ومحدثها. وهذا الكتاب من أقدم وأوسع المعاجم المخصصة للعلماء، ويقع فى أربعة عشر مجلدا، جمع فيها الخطيب تراجم عدد هائل جدا من رجال بغداد والوافدين إليها، البارزين فى كل فن وعلم. وقد احتوى على معلومات وفيرة تنفع الباحثين فى مختلف أنواع المعرفة، ويمكن أن يعتمد عليه وحده إلى حد كبير لإعطاء صورة كاملة للحركة العلمية فى (بغداد/المشرق) منذ نشأة هذه المدينة حتى منتصف القرن الخامس الهجرى. والكتاب وإن كان فى عمومه يؤرخ لعلماء الحديث النبوى لكن لم يهمل غيرهم من العلماء الذين استأثروا باهتمام المصنف أيضا.

ولعل من أهم ما يميز هذا الكتاب الكبير أنه احتوى على عدد كبير جدا من أسماء المؤلفات، يمكن جمعها فى قائمة تضم (٤٤٦) كتابا ألفت جميعها خلال القرنين الثالث والرابع ومنتصف القرن الخامس للهجرة، وتتناول موضوعات مختلفة تمثل أهم مجالات الإنتاج الفكرى فى الحضارة الإسلامية خلال تلك القرون، وكثير منها انتقل إلى قرطبة. وإذا قورنت هذه الكتب بما ورد فى "الفهرست" لابن النديم وهو موسوعة ضخمة فى تدوين التراث العربى الإسلامى خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة يتبين أن الخطيب البغدادى ذكر (٢٩٨) كتابا لم يأت ذكرها فى "الفهرست"، وبذلك يتبين مقدار ما أضافه الخطيب إلى ابن النديم، وبينهما

قرن من الزمان[1]. وهذا يمثل لنا أهمية كبيرة بالنسبة لدراستنا.

٢- وهناك عدد آخر من كتب التراجم تضمنت معلومات مهمة وقيمة أثرت البحث، وساعدت على كشف كثير من جوانب النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق). ويطول المقام بالوقوف عند بيان أهميتها، ومنها: كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموى (المتوفى ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)، وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان (المتوفى ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وكتاب "الوافى بالوفيات" للصفدى (المتوفى ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، وكتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبى (المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) وكتاب "بغية الوعاة" للسيوطى (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، وكتاب "غاية النهاية فى طبقات القراء"، وكتاب "طبقات المفسرين" للداودى (المتوفى ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، وكتاب "طبقات الشافعية الكبرى " لتاج الدين السبكى (المتوفى ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، وغيرها كثير.

وهذه المؤلفات المشرقية أمدتنا بمادة نافعة عن بعض العلماء الأندلسيين الذين كان لهم دور كبير فى تأسيس الحركة العلمية وتطويرها فى الأندلس.

٣ - لكن الكتب التى كان التعويل عليها كبيرا فى القسم الأندلسى من الدراسة هى كتب التراجم الأندلسية، وهى كثيرة، وكلها تعد أساسية لهذا القسم، وأمدتنا بمعلومات مهمة عن رحلات الأندلسيين إلى الحواضر المشرقية، وحجم استفادتهم من ثقافة المشرق وإنتاجه العلمى فى تكوين حضارة الأندلس فى ميادين العلم والفكر، إضافة إلى التعرف على جهودهم فى إثراء التراث الأندلسى ومحاولة الوصول به نحو التميز والخصوصية.

ومثال هذا النوع من الكتب الأندلسية: كتاب "طبقات النحويين واللغويين" لأبى بكر الزبيدى الإشبيلى (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م)، جمع فيه تراجم علماء النحو واللغة فى المشرق والأندلس. وكتاب "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس" لابن الفرضى (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) وكتاب "الصلة" لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) وكتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار (المتوفى ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، وكتاب "الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة" لابن عبد الملك المراكشى، و"جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس" للحميدى (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) وكتاب "بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس" للضبى

---

١) هذا لا يعنى أن الخطيب استوعب الكتب التى ذكرها ابن النديم فى "الفهرست"، بل اشتمل على (١٤٨) كتابا منها فقط. راجع بحثا بعنوان " الكتب التى أوردها الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد مرتبة حسب موضوعاتها " للدكتور أكرم ضياء العمرى فى كتابه "دراسات تاريخية" ص ١٨٣ وما بعدها (ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

(ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م) و"الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) وكتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقرى التلمسانى (المتوفى ١٠٤١هـ/١٦٣١م).

وهذا الكتاب الأخير على الرغم من أنه مصدر متأخر تاريخيا، ألفه صاحبه وهو بعيد عن وطنه فإنه يعد موسوعة علمية أدبية تاريخية كبرى فى تاريخ الأندلس السياسى والاجتماعى والثقافى، جمع فيه مؤلفه كثيرا، ونقل كثيرا من كتب ضاعت أصولها، ولذلك فهو مرجع جليل الفائدة لكل من يعنى بتاريخ الأندلس. وقد كان اعتمادنا عليه كبيرا فى الوقوف على ملامح التراث العلمى للأندلس.

٤- وقد اعتمدنا على أربعة كتب على غاية من الأهمية فى دراسة حركة التأليف فى مجال العلوم العقلية والتجريبية (الفلسفة الفلك الرياضيات الطب الصيدلة النبات... الخ) فى بغداد وقرطبة على حد سواء، والوقوف على الأطوار التى مرت بها حركة الترجمة للعلوم اليونانية التى شهدتها بغداد فى هذا المجال خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. وهذه الكتب هى:

(١) "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل (المتوفى بعد ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، وهو أندلسى.

(٢) "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسى (المتوفى ٤٦٢هـ/١٠٦٩م).

(٣) "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطى (المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

(٤) "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء" لابن أبى أصيبعة (المتوفى ٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

وهذا الكتاب الأخير يعد مرجعا ضخما، ويمتاز على غيره فى هذا الباب بسعة المادة ووفرتها، وكان خير عون لى على دراسة حركة التأليف والترجمة فى الميادين العلمية المشار إليها. وكل هذه الكتب الأربعة يكمل بعضها بعضا، وإن كان كتاب ابن جلجل أقدمها، ويعتبر وثيقة مهمة لها قيمتها فى تاريخ العلم[1].

ثانيا: كتب البرامج والفهارس العلمية:

ومن أهم الكتب التى تعد من أعمدة هذه الدراسة ما يطلق عليها اسم "البرامج" وقد يطلق عليها اسم "الفهرسة" أو "الثبت" أو "المشيخة" أو "المعجم"، وهى كتب يسجل فيها العالم أو يتعهد بذلك غيره ما قرأه من مؤلفات فى مختلف العلوم، وأسانيده إلى مؤلفيها الأوائل، وشيوخه الذين أخذ عنهم، وإجازاته منهم، ورحلاته العلمية التى قام بها إلى مختلف الأقطار لطلب العلم.

---

١) أعطينا نبذة عن كتاب ابن جلجل وكذلك كتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسى فى سياق الحديث عن أحد اتجاهات التأليف التأريخى فى الأندلس راجع (ص ٨٥٦) من القسم الثانى.

وهذا النوع من المصادر يعرفنا بالكتب التى كانت متداولة بين الناس فى عصر من العصور، أو فى مصر من الأمصار. وأمر آخر تكشف عنه هذه البرامج فيما يتصل بحياة الكتب فى الأندلس وصلتها بما كان يؤلف فى المشرق وهو: «أى هذه الكتب المشرقية دخل الأندلس؟، وعلى يد من انتقلت من المشرق إلى المغرب؟، ثم ما مقدار الكتب المشرقية إلى الأندلسية فيما قرأه العالم الواحد؟، وأى أنواع العلوم كان محتكرا أو شبه محتكر لمشارقة؟، وأيها كان وقفا على مؤلفين مغاربة وأندلسيين؟، وإلى أى مدى كانت كتب المحدثين من المؤلفين تنافس كتب السابقين من القدماء؟، وكل هذه المشاكل التى تتصل بتاريخ العلوم وبحياة الكتاب العربى مما تعين كتب البرامج على الوصول فيها إلى نتائج حاسمة أو واضحة»[١].

ويعد كتاب "فهرسة" ابن خير الإشبيلى (المتوفى ٥٧٥هـ/١١٧٩م) من أهم كتب البرامج الأندلسية التى مثلت لنا أهمية قصوى فى البحث، والتى أعطتنا صورة صادقة عن الحركة العلمية فى الأندلس، فقد أمدنا هذا الكتاب بكثير من أسماء الكتب المتداولة فى ساحات العلم بالأندلس، وكشف لنا عن الدور الحقيقى الذى أدته مؤلفات المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى تكوين الثقافة الأندلسية، وهو دور جد كبير.

وكان مما يميز هذا "البرنامج " أن مؤلفه عنى بذكر المؤلفات العلمية التى رواها مسلسلة (مسندة)، بدءا من شيوخه المباشرين الذين روى عنهم هذه الكتب، وانتهاء إلى مؤلفيها، مشارقة كانوا أو أندلسيين. وقد يسر ذلك علينا مع الاستعانة بكتب الطبقات والتراجم معرفة جهود العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى حواضر المشرق، وتتلمذوا على أعلامه، ثم عادوا إلى بلادهم ليرسموا لها معالم النهضة العلمية.

أما أوسع كتاب فهرسة سيبقى على الدوام المصدر الرئيسى لمعرفة تاريخ العلم فى القرون الأربعة الأولى للإسلام ولكن فى حدود المشرق الإسلامى، ولا سيما فى بغداد فهو كتاب "الفهرست" لابن النديم البغدادى (المتوفى فيما بين عامى ٣٨٥هـ و٣٩٠هـ/٩٩٥م، ٩٩٩م). ولا نريد أن نعيد هنا ما سيأتى ذكره عن أهمية هذا الكتاب بالنسبة لتأريخ الحياة العلمية فى (بغداد/المشرق)[٢]. لكن الذى نريد تأكيده هو أن فهرست ابن النديم جاء على رأس قائمة المصادر التى اعتمدنا عليها فى تأريخ العلوم بكل فروعها، ولا تكاد صفحة من صفحات القسم

---

١) د. عبد العزيز الأهوانى: كتب برامج العلماء فى الأندلس بحث منشور فى مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول ج ١ ص ٩٢ ٩٣ (رمضان ١٣٧٤هـ/مايو ١٩٥٥م).

٢) راجع معلومات مهمة عن "فهرست" ابن النديم فى سياق حديثنا عن أهم ما ساهم به العراقيون فى التأريخ للحركة الثقافية التى شهدها الجناح المشرقى من العالم الإسلامى راجع (ص٢٦٠-٢٦١) من القسم الأول.

الأول من الدراسة تخلو من الإشارة إليه.

وقد استعانت الدراسة بعدد آخر من كتب "الفهرسة" أمدتنا بمعلومات يندر وجودها فى غيرها، مثل "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" للحافظ السخاوى (المتوفى ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) و"كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون" لحاجى خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ) وكتاب "المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى " لابن الأبار (المتوفى ٦٥٨هـ/١٢٦٠هـ)، و"برنامج " أبى عبد الله المجارى الأندلسى (المتوفى ٨٦٢هـ/١٤٥٧م) و"الرسالة المستطرفة" للكتانى. وهذا المصدر الأخير أعاننا كثيرا على التأريخ لعلم الحديث فى بغداد وقرطبة.

ثالثا: مصادر أخرى:

هذه نبذة عن بعض الكتب التى رجعت إليها فى إطار نوعين فقط من المصادر، هما (التراجم) و(الفهارس والبرامج العلمية). والواقع أننى استفدت من كل المصادر التى اطلعت عليها بما تضمنته من معلومات أو إشارات تخدم موضوع الدراسة وتعين على تفهـــم جوانب عديدة منه، وكلها تركت عليه بصمات من قريب أو بعيد، وكلها جليل النفع واضح الأثر فيه، على تفاوت بينها. وتتنوع هذه المؤلفات مشرقية كانت أو أندلسية بين مؤلفات فى التاريخ العام والمحلى والأنساب والجغرافيا والأدب واللغة والفقه والحديث وعلوم القرآن، وعلم الكلام، ومجموعة من كتب الحضارة والنظم. ويطول المقام لو أردت أن أعدد ما أسهمت به هذه المؤلفات فى تشكيل دراستنا.

وتجدر الإشارة إلى أننى حينما أقف بين الحين والحين للتعريف ببعض المؤلفات العلمية وبيان أهميتها فى سياق الحديث عن العلوم التى تمثلها كنت أعود إلى هذه المؤلفات فى صورتها المطبوعة أو المخطوطة للاطلاع عليها، وتسجيل نبذة عنها، فمثال المطبوع: كتاب "السبعة فى القراءات" لابن مجاهد البغدادى (المتوفى ٣٢٤هـ/٩٣٥م) وكتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م) وغيرهما. ومثال المخطوط: كتاب "ناسخ الحديث ومنسوخه" لأبى بكر أحمد بن محمد الأثرم البغدادى (المتوفى ٢٦١هـ/٨٧٤م) وكتاب "الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى " لابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وكتاب "تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل" للحميدى /أندلسى (المتوفى ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)،و"مقتل الشهيد عثمان" لمحمد بن يحيى بن أبى بكر الأشعرى الأندلسى (المتوفى ٧٤١هـ/١٣٤٠م).

رابعا: المراجع:

وقد استعنت بالعديد من المراجع الحديثة وثيقة الصلة بموضوعنا وتتضمن وجهات نظر جيدة. ويمكن أن نختار نماذج منها للتعريف بأهميتها فى دراسة الموضوع:

١- موسوعة "الحضارة الإسلامية" لأستاذنا الدكتور أحمد شلبى. وهى موسوعة كبيرة وفريدة ودراسة تحليلية شاملة فى عشرة أجزاء تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الإسلام لهداية البشرية فى شئون العقيدة والسياسة والاقتصاد، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية، والتشريعية والقضائية والعلاقات الدولية، كما تبرز جهود المسلمين فى إحياء الحضارة التجريبية وتطويرها.

وهذه الموسوعة لا غنى عنها لأى باحث فى جوانب الحضارة الإسلامية المتعددة، وقد أفادتنى الأجزاء: الأول والثانى والخامس منها على وجه الخصوص فى التعرف على أفكار جديدة فى دراسة الفكر الإسلامى.

٢- موسوعة "حضارة العراق" لنخبة من العلماء والباحثين العراقيين. وهذه الموسوعة بأجزائها العشرة ليست تأريخا للحضارة الإسلامية بكل جوانبها وميادينها فى إقليم العراق فقط، وإنما يمكن اعتبارها شاملة لدراسة هذه الحضارة فى المشرق الإسلامى كله. وقد أضاءت لنا العديد من مسالك البحث فى جميع العلوم والمعارف التى تعرضنا لها فى إطار المدرسة البغدادية/المشرقية.

٣- سلسلة الدراسات القيمة التى كتبها الدكتور على عبد الله الدفاع للكشف عن جهود العلماء العرب والمسلمين فى علوم الطب والصيدلة والنبات والحيوان والفلك والرياضيات، فهذه المؤلفات غزيرة فى مادتها، مستوعبة لموضوعاتها. ومنها كتاب "أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك"، وكتاب "إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات"، وكتاب "العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية"، وكتاب "الموجز فى التراث العلمى العربى الإسلامى "، وغير ذلك من كتبه التى ساعدت على التأريخ للعلوم التجريبية فى الجناحين المشرقى والأندلسى.

٤- كتاب "التاريخ العربى والمؤرخون" للدكتور شاكر مصطفى. وهذا الكتاب على جانب كبير من الأهمية فى التأريخ للمدارس التاريخية الكبرى التى ظهرت فى العراق والمدينة والشام ومصر والعراق واليمن وفارس عبر قرون عديدة. وقد صدر منه أربعة أجزاء، وتوفى مؤلفه رحمه الله قبل إتمامه، وكان فى عزمه أن يصدر جزءا خاصة بالأندلس، ولا ندرى هل فعل أم لا؟.

وهذا الكتاب أفادنا كثيرا فى دراسة الحركة التأريخية فى (بغداد/المشرق)، وساعدنا على تلمس المراحل التى مرت بها، والاتجاهات التى أفرزتها.

٥ - أما بالنسبة لدراسة الاتجاهات التأريخية التى أفرزتها الحركة العلمية بالأندلس فقد

استعنا للكشف عن ملامحها على عدد من المراجع الأندلسية، منها: "نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس" للدكتور عبد الواحد ذنون طه، وكتاب "التاريخ الأندلسى تدوينه ومروياته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى " للدكتور عبد الله جمال الدين. وهاتان الدراستان أعانتا إلى جانب بحوث أخرى منشورة فى دوريات علمية متخصصة فى التعرف على إنتاج الأندلسيين فى تدوين التاريخ الأندلسى من البدايات الأولى وحتى نهاية القرن الثالث الهجرى.

٦- وأهم كتابين على درجة عالية من الأهمية والعمق لدراسة تاريخ علم الجغرافيا فى (بغداد/المشرق) و(قرطبة/الأندلس) على حد سواء هما: كتاب "تاريخ الأدب الجغرافى العربى " للمستشرق الروسى كراتشكوفسكى فى مجلدين كبيرين. والكتاب الثانى "تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس" للدكتور حسين مؤنس رحمه الله. إضافةإلى كتاب "جهود المسلمين فى الجغرافيا" لنفيس أحمد.

٧- وعند دراسة حركة الترجمة وأثرها على التقدم العلمى فى (بغداد/المشرق) فى مجال العلوم التجريبية والفلسفية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين رجعنا إلى كتاب "حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة". وهذا الكتاب مميز فى معالجة موضوعه باستفاضة، ومن شتى جوانبه، ولا يكاد يضاهيه كتاب آخر فى هذا الباب.

٨- ويعد كتاب "العلم عند العرب وأثره على تطور العلم العالمى " للمستشرق البريطانى "ألدوميلى Aldo Mieli" من أهم الكتب التى كشفت لنا عن الدور الحقيقى الذى قامت به الأندلس كمعبر رئيسى نفذت من خلاله العلوم العربية الإسلامية إلى أوربا. وأمدنا بمعلومات مهمة عن حركة الترجمة التى نشطت فى طليطلة وغيرها من المدن الأندلسية إبان حركة الاسترداد المسيحية التى انتهت بسقوط الحكم الإسلامى فى الأندلس. ويضاف إليه من الكتب التى خدمت البحث فى هذا الميدان: كتاب "فضل الإسلام على الحضارة الغربية" ل "مونتجمرى وات" وكتاب "المستشرقون: لنجيب العقيقى. وكتاب "الإسلام فى إسبانيا" للدكتور لطفى عبد البديع، وكتاب "العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف" للدكتور رجب محمد عبد الحليم.

٩- ومن أهم الكتب الأندلسية التى صحبتنا فى تأريخنا لإنجازات الأندلسيين فى ميادين العلم والفكر وفى القسم الأندلسى كله كتاب "تاريخ الفكر الأندلسى " للمستشرق الإسبانى "آنخل جنثالث بالنثيا". وهذا الكتاب الذى ترجمه وأضاف إليه الدكتور المرحوم حسين مؤنس جمع فيه مؤلفه أهم ما كان يعرف فى أيامه عن الفكر الأندلسى فى شتى ميادينه، وأهم ما ألفه بالعربية أو بغيرها غير المسلمين من أهل الأندلس عن هذا الموضوع، وهو من أنفع وأحسن ما

صنفه المستشرقون فى تاريخ الفكر الأندلسى، ويمتاز علاوة على الشمول بالاعتدال والإنصاف كما يقول د. حسين مؤنس.

١٠- وقد كان لمؤلفات الدكتور الطاهر أحمد مكى والدكتور محمود على مكى وهما عالمان مصريان جليلان، وحجة فى حقل الدراسات الأندلسية صدى طيب على دراستنا هذه. فمنها للأول "دراسات أندلسية" و"دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة" و"دراسة فى مصادر الأدب" وغيرها، إضافة إلى بعض الكتب التى قام بترجمتها من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية.

ومنها -للثانى - المقدمة الوافية لتحقيقه جزءا من كتاب "المقتبس" لابن حيان الأندلسى، وبحثه المنشور باللغة الإسبانية بعنوان: "التيارات الثقافية المشرقية وأثرها فى إسبانيا الإسلامية"[1].

ومن الدراسات الجيدة التى أفادتنا كثيرا فى موضوعاتها:

١- الحركة اللغوية فى الأندلس منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر الطوائف تأليف: إلبير حبيب مطلق.

٢- تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس للدكتور محمد رضوان الداية. وهو مرجع هام فى التعرف على التراث الأندلسى وخصائصه فى ميدان البلاغة والنقد الأدبى.

٣- الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية للدكتور محمد العربى الخطابى. وهذا الكتاب نادر فى موضوعه، ويعنى فيه مؤلفه بدراسة أهم المؤلفات الأندلسية فى هذا العلم، المخطوطة أو المطبوعة، وبيان دور الأندلسيين فى تطوير هذا العلم.

وعلى الرغم من اطلاعنا على عدد كبير من دراسات المستشرقين الغربيين المنقولة من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية مما له صلة بموضوعنا فإننا اعتمدنا على بعض المراجع والبحوث المنشورة باللغتين الإنجليزية والإسبانية التى ألقت ضوءا على بعض الجوانب العلمية. وسيجدها القارئ مثبتة فى قائمة المراجع الأجنبية فى مؤخرة الرسالة.

خامسا: الدوريات العلمية المتخصصة والرسائل الجامعية:

وتمثل البحوث والدراسات المنشورة فى الدوريات العلمية المتخصصة أهمية كبيرة فى دراستنا، لما تتميز به من عمق التحليل ودقة الصياغة وقوة العرض.وقد كنا حريصين على مطالعة ما صدر منها، ومتابعة ما يستجد، مما له صلة بموضوعنا، وخاصة فيما يتصل بالأندلس،

---

١) سبقت الإشارة إليه قبل صفحات قليلة — ص ١٢.

مثل البحوث التى قُدِّمت لندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) المنعقدة بمكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، فى الفترة [١٥١٩ جمادى الأولى / ٣٠من أكتوبر ٣ من نوفمبر ١٩٩٣م]. وبحوث ندوة (الأندلس: الدرس والتاريخ) المنعقدة بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية فى الفترة [٢-٤ ذو القعدة ١٤١٤هـ/١٣١٥ إبريل ١٩٩٤م].

ويطول المقام هنا إذا أردنا تعداد الفوائد التى يسرت سبل البحث بسبب الاعتماد على هذه الدراسات وبعضها منشور باللغة الإسبانية. ويمكن الوقوف على أهميتها بالاطلاع على الثبت الخاص بها فى قائمة المصادر والمراجع فى مؤخرة الرسالة.

وقد اعتمد البحث أيضاً على عدد من الرسائل الجامعية ماجستير ودكتوراه أثبتنا عناوينها فى القائمة المذكورة، نذكر منها: "الحياة العلمية فى قرطبة على عهد الناصر والمستنصر" رسالة دكتوراة، من إعداد مصطفى محمد إبراهيم كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر. ساعدت فى تكوين فكرة عن تأثر الأندلس بالثقافة المشرقية، والتعرف على جانب من منجزات الأندلسيين فى بعض ميادين العلم.

ومنها: "الكتابات التاريخية فى مصر والأندلس فى القرن الرابع الهجرى دراسة مقارنة"، رسالة دكتوراة من إعداد الباحث: عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، وهى دراسة منهجية تحليلية موسَّعة ودقيقة لعدد من الكتابات التاريخية مطبوعة ومخطوطة ومفقودة لعدد من المؤرخين المصريين والأندلسيين فى السيِّر التاريخية والتراجم والنُّظُم الحضارية. وقد أفادتنى فى التعرف على ملامح بعض كتب الأندلسيين فى فن التراجم، وهو أحد فروع البحث التاريخى.

***

وبعد هذه العجالة السريعة والموجزة للتعرف على بعض المصادر والمراجع وبيان أهميتها بالنسبة لموضوع البحث نبدأ الآن فى عرض أبوابه وفصوله ومباحثه المختلفة. والله المستعان، ومنه نستمد العون.

* * * *

(القسم الأول)

النهضة العلمية في بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين

ويشمل هذا القسم تمهيدا وأربعة أبواب:

التمهيد : أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في بغداد

الباب الأول : العلوم الدينية.

الباب الثاني : علوم اللغة العربية.

الباب الثالث : الدراسات التاريخية والجغرافية.

الباب الرابع : العلوم العقلية والتجريبية.

تمهيد

أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار

الحركة العلمية في بغداد

أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فى بغداد

سنحاول فى الأبواب والفصول التى ينتظمها هذا القسم من الدراسة أن نتتبع الحركة العلمية التى شهدتها مدينة بغداد منذ تأسيسها وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى، باعتبارها ممثلة – إلى حد كبير – لبقية المراكز الإسلامية الأخرى فى مشرق العالم الإسلامى، وذلك من خلال عرض شامل لجهود علماء المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى مجالات العلم المتعددة، والاتجاهات العامة التى تتحدد بها مسارات التأليف فى هذه العلوم.

وقبل البدء فى تحقيق هذا الغرض نرى أن نمهـــد له – باختصار وفى عجالة – بالحديث عن أهم العوامل التى ساعدت على تنشيط الحركة العلمية وازدهارها فى بغداد[1]، على اعتبار أن أى نهضة علمية لا تأتى من فراغ، وإنما هى ثمرة لمجموعة من الأسباب والعوامل، لعل من أهمها فى نظرنا – اثنان، هما:

العامل الأول: نزوح العلماء إلى بغداد بعد تأسيسها، ودعمها بما ظهر فى الأمصار والحواضر الإسلامية الأخرى من علم وفكر.

ولا نريد أن نكرر هنا ما ذكرناه فى مقدمة البحث عن أهمية بغداد كأهم مركز لجميع أنواع النشاط الفكرى فى الفترة المذكورة، وحسبنا أن نؤكد من جديد على أن هذه المدينة كانت تجتذب العلماء من كل صقع ومن كل اختصاص حتى أصبحت المدينة الأم التى تلخص الفكر الإسلامى كله، كما أنها أصبحت بالنسبة لبقية البلاد أشبه بالقلب الذى منه تصدر أمارات الحياة، ومنه تتوزع مادتها إلى سائر أنحاء الجسم.

ولا شك فى أن موقع بغداد كان من أهم الأسباب فى ارتيادها من قبل عدد كبير جدا من العلماء؛ إذ تمر معظم القوافل القادمة من خراسان ببغداد فى طريقها إلى مكة المكرمة، وبسبب وقوعها على نهر دجلة صار لها اتصال بالبحر جنوبا، وبالموصل وما وراء النهر شمالا، علاوة على اتصالها بالطرق البرية بالشام ومصر[2]، مما سهل السفر للعلماء القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى إليها، فضلا عن مرور قوافل الحجاج بها، وقد كانت هذه القوافل فى العادة

---

١) قولنا بأن بغداد عاشت خلال الفترة المذكورة ازدهارا علميا وحركة ثقافية نشطة – هذا القول وإن كنا أثبتناه هنا فى مطلع هذا القسم – إلا أنه جاء نتيجة لما أملته علينا هذه الدراسة من خلال عرضنا لحركة التأليف واتجاهاتها المختلفة فى كل علم من العلوم التى عرضنا لها فى إطار (بغداد/المشرق).

٢) راجع: لسترانج: بغداد فى عهـــد الخلافة العباسية ص ١٤ وما بعدهـــا (المطبعة العربية / بغداد ١٣٥٥ هـــ/١٩٣٦م).

تضم عددا من العلماء والطلبة، مما كان يجعل بغداد كخلية النحل فى النشاط العلمى أيام إقامة تلك القوافل بها، إذ كان العلماء المسافرون كثيرا ما يعقدون مجالس للمذاكرة مع زملائهم المقيمين فى بغداد، أو مجالس للإملاء، فينتفع بهم طلبة العلم،

وإذا حاولنا إحصاء المدن التى ينتمى إليها كل من رحل من علمائها إلى بغداد لنشر العلم بها، ولتبادل الثقافات والمعلومات - وذلك بالاعتماد على مرجع واحد فقط هو "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادى - لأمكن الخروج بقائمة طويلة بأسماء هذه المدن، وأسماء علمائها، فقد توافد على بغداد علماء من جرجان وبلخ وخوارزم وترمذ ومرو ونيسابور وسجستان وبخارى وأصبهان وشيراز والرى وهراة وخراسان ونسا واستراباذ والشاش وجوزجان والأهواز والأنبار وحران والرقة ونصيبين والموصل والطالقان وحمص وواسط وعكبرا ودمشق وأنطاكية وطبرية ومصر ومكة والمدينة وغيرها من المدن والأقاليم التى يطول ذكرها.

غير أننا لاحظنا أن أكثر الوافدين على بغداد كانوا من مدينتى البصرة والكوفة، حيث ورثت بغداد عن هذين المركزين الرئيسيين للحضارة الإسلامية كل ما فيهما من مدارس (اتجاهات) علمية فى مجالات اللغة والأدب وعلوم القرآن والحديث والفقه وعلم الكلام.

وتعود المكانة الكبيرة التى تكتسبها هاتان المدينتان فى ميادين العلم والفكر إلى أنهما كانتا أكثر المدن الجديدة التى استقبلت الفكر الإسلامى الذى نشأ وترعرع فى أرض الحجاز - فى مكة والمدينة - ثم انطلق مع جيوش الفتوحات الإسلامية لإقليمى العراق والشام.

ويمكن القول: إن التراث العلمى الذى أثمرته الحركة العلمية فى البصرة والكوفة على مدى قرن ونصف قرن من الزمان تقريبا - أى منذ تأسيسهما فى حدود سنة ١٤هـ بالنسبة للبصرة، وسنة ١٧هـ بالنسبة للكوفة، وحتى تاريخ بناء بغداد عام ١٤٥هـ/٧٦٢م - انتقل أكثره - إن لم يكن كله - إلى مدينة بغداد. كما أنه ما من عالم من علماء هذين المصرين - محدث أو فقيه أو مفسر أو مقرئ أو متكلم أو مؤرخ (أخبارى) أو نسابة أو أديب أو شاعر - إلا وقد نزل بغداد وأقام بها مدة طالت أو قصرت، وشارك فى إثراء الحركة الثقافية بها.

والمقصود أن الحواضر والمدن الإسلامية - وخاصة البصرة والكوفة - قامت بدور فعال فى تكوين وتأسيس الحركة العلمية التى شهدتها بغداد والنهوض بها ورفدها[1] بكل جديد فى العلم، حتى صارت هذه المدينة المركز الرئيسى للإشعاع الحضارى والفكرى، ومقرا لفحول العلماء من المقيمين فيها والوافدين عليها، ومن ثم أمكن الحكم عليها من جانبنا بأنها تمثل

---

١) الرفد - بكسر الراء وسكون الفاء: العطاء والصلة، ورفده، أى أعطاه وأعانه (مختار الصحاح - رفد).

حواضر المشرق الإسلامى والمصب لكل ما يظهر فى هذه الحواضر من تجديد وابتكار.

وأما العامل الثانى من العوامل التى ساعدت على تنشيط الحركة العلمية وازدهارها فى بغداد، وبالتالى جعل هذه المدينة زعيمة الأمصار الإسلامية فى ميدان العلم والفكر هو: **عملية التعليم**، باعتبارها المنطلق والأساس لكل نهضة ثقافية.

والحديث عن أهمية التعليم فى نشر الثقافة والعلم، والنهوض بالعلوم المختلفة يصلح أن يكون مدخلا أو مقدمة للحديث عن أى نهضة علمية شهدها العالم الإسلامى على مر العصور، وهذا الموضوع واسع ومتشعب، لكننا سنكتفى بإيراد أبرز الملامح العامة التى تكشف عن أهمية التعليم فى النهوض بالعلوم والمعارف فى بغداد.

وإذا نحن تخطينا ما هو متفق عليه فى مجال التربية الإسلامية من أن الإسلام هو الباعث الأول على طلب العلم والحث على تحصيله والترغيب فى تأليفه ونشره، والترهيب من كتمه وحبسه بما اشتملت عليه نصوصه من بيان أهمية العلم والتعلم والتعليم، وفضل ذلك ومنزلته فى الدنيا والآخرة وارتباطه بالعقيدة الإسلامية فإن أهم المظاهر التى عملت على نشر التعليم والعناية به فى بغداد خاصة، وبالتالى أدت إلى نهضة علمية شاملة فى جميع العلوم والمعارف شهدتها هذه المدينة الكبرى هى:

أولا: كثرة أماكن التعليم وتنوعها: وأهمها:

أ – المسجد، فهو «أقدم مؤسسات التعليم فى الإسلام، وظل منذ ظهوره فى فجر الدعوة الإسلامية يقوم بالدور الأساسى فى التربية الإسلامية، وفى التثقيف العلمى للمسلمين، حيث كان يقوم فى عصور الإسلام الأولى مقام المدارس والجامعات»[١].

وقد كان لمساجد بغداد دورها الكبير فى نشر العلم وتيسير عملية التعليم، ولا سيما جامع المنصور الذى شيد عام ١٤٥هـ/٧٦٢م وكان يطلق عليه "جامع المدينة"[٢]. ويمدنا الخطيب البغدادى فى كتابه "تاريخ بغداد" بمعلومات وفيرة عن حلقات العلم والتعليم التى كانت تعقد فى هذا المسجد الجامع للإفتاء وتدريس كافة العلوم الدينية واللغوية والأدبية[٣]. ويعد أشهر مراكز التعليم فى المشرق الإسلامى كله وفقا لما ذكره (آدم متز) فى كتابه "الحضارة الإسلامية فى القرن

---

١) حسن عبد العال: التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ١٨٨ (بتصرف يسير).

٢) تاريخ بغداد ٥/٤٥٧، ١٠/٤٦٤، ١٤/٤٠٤-٤٠٥.

٣) راجع تاريخ بغداد ٢/١٥٦-١٥٧، ص ٢١٣، ٤/١٨٩، ٥/١٢٤، ٤٥٧، ١٠/٤٦٣-٤٦٤، ١١/٣٢، ١٣/٢٧٦، ١٤/٧٠، ٤٠٤-٤٠٥. وراجع أيضا معجم الأدباء لياقوت ج١٨ ص ٦٠-٦١.

الرابع الهجرى "[١]. ولعل مما يشير إلى أهمية هذا المسجد فى نشر العلم والتعليم أن كبار العلماء كان من أمنياتهم أن يحدثوا فيه، مثل الخطيب البغدادى الذى كان يأمل أن يكون له حلقة تعقد له فى جامع المنصور لإملاء الحديث النبوى [٢]، وكان فيه حوالى خمسين حلقة عندما زاره الإمام الشافعى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م) فى أواخر القرن الثانى الهجرى [٣].

وثانى أكبر المساجد التى ساعدت على الانشغال بالعلم ونشره فى بغداد مسجد الرصافة، ويسمى أيضا "جامع المهدى "، ينسب إلى الخليفة العباسى المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) وقد عقدت فيه حلقات للعلم كثيرة، منها حلقة لأبى بكر بن أبى شيبة (المتوفى ٢٣٥ هـ/٨٤٩م)، وهو من كبار علماء الحديث، اجتمع له فيها نحو من ثلاثين ألفا من طلبة العلم، وذلك فى حدود (سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م) فى مطلع خلافة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)[٤].

وهناك مساجد أخرى كثيرة فى بغداد ربما يصل عددها إلى (٥٧) مسجدا[٥] كانت من مراكز التعليم، نذكر منها مسجد "دعلج بن أحمد السجستانى " بدرب ابن خلف فى قطيعة الربيع، وهو من مراكز التعليم المهمة لدى الشافعية[٦]، ومثله مسجد "عبد الله بن المبارك"، كانت فيه حلقة (بل كلية) أبى حامد الإسفرائينى الفقيه الشافعى المشهور (المتوفى ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، وقد اجتذبت هذه الحلقة عددا كبيرا من طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى إلى بغداد، حتى بلغ عددهم فى بعض الأحيان سبعمائة متفقه، فضلا عن المجالس التى كان يعقدها فيه الزائرون[٧]. وبعد موت أبى حامد استمر تدريس الفقه الشافعى فى هذا المسجد على يد أبى القاسم الداركى (المتوفى ٤١٤هـ/١٠٢٣م)[٨].

---

١) آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ج ١ ص ٢٥١.

٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء ٤٩٨/١.

٣) تاريخ بغداد ٦٨/٢.

٤) تاريخ بغداد ٦٧/١٠.

٥) د. منير الدين أحمد تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم - ص ٧١ (ط الرياض - ١٩٨١م/١٤٠١هـ).

٦) تاريخ بغداد ٤٦٣/١٠.

٧) تاريخ بغداد ٣٦٩/٤، طبقات الشافعية للسبكى ٢٥/٣.

٨) تاريخ بغداد ١٠٥/٨.

وهناك مسجد الصحابة - عند القنطرة العتيقة - الذى كانت فيه حلقة للقراءات[١]. ومسجد أبى بكر بن مجاهد (المتوفى ٣٢٤هـ/٩٣٥م) شيخ القراء فى وقته، وصاحب أول كتاب فى القراءات السبع[٢]. ومسجد "براثا"، وهو من مراكز التعليم المهمة عند الشيعة[٣].

هكذا قامت المساجد والجوامع بوظيفتها كمؤسسات تعليمية إلى جانب وظيفتها كأماكن للعبادة ولا شك فى أن الطلبة والعلماء الذين يفدون إلى بغداد لتحصيل العلوم أو نشرها كانوا يرتادون مساجد بغداد، ويحضرون مجالس العلم وحلقات التدريس بها و"تاريخ بغداد" ملئ بأسماء هؤلاء الطلبة والعلماء الغرباء، ومن ثم اضطلعت هذه المساجد بدور كبير فى إثراء الحركة العلمية ونشر التعليم من خلال حلقات العلم لا فى محيط بغداد وحدها، وإنما تعدى نفعها إلى سائر حواضر العالم الإسلامى، مشرقه ومغربه.

ب - وقد قامت **منازل العلماء** فى بغداد بدور كبير فى نشر العلم وتوسيع رقعة التعليم. والأخبار الواردة عن المجالس العلمية المنتظمة التى كانت تعقد فى البيوت لإلقاء الدروس وقراءة الكتب وفيرة، منها ما ذكر عن مجلس القاضى الحسين بن إسماعيل المحاملى البغدادى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) كل يوم أربعاء، لدراسة الفقه، وكانت بدايته عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م، واستمر بعد وفاته، وظل معروفا باسمه حتى القرن الخامس الهجرى [٤]. ويروى الخطيب البغدادى فى "تاريخه" أن أبا عبيد المرزبانى الأديب المعتزلى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م) كان يخصص لأهل العلم فى بيته خمسين لحافا للمبيت عنده، وأكثر أهل العلم الذين روى عنهم سمع منهم فى داره[٥]. وقد كانت دار هارون بن محمد الضبى (المتوفى ٣٣٥هـ/٩٤٦م) - وهو أحد العلماء باللغة والأدب - «مجمعا لأهل العلم فى كل فن» كما يقول الخطيب[٦]. وكان الفقيه الحنفى محمد بن الحسن الشيبانى (المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٤م) - صاحب أبى حنيفة - يحدث فى منزله بموطأ الإمام مالك، فيمتلأ عن آخره[٧].

وتذكر المصادر بيتا من أكثر بيوت العلماء إسهاما فى الحركة التعليمية والفكرية ببغداد فى

---

١) تاريخ بغداد ٤٣٠/٧، ٢٠٥/١٢.

٢) تاريخ بغداد ٤٣٠/٧، ٢٠٥/١٢. وسيأتى الحديث عن ابن مجاهد وكتابه المذكور - (ص ٥٦).

٣) تاريخ بغداد ١٤٦/٥.

٤) تاريخ بغداد ٢٢/٨.

٥) تاريخ بغداد ١٣٦/٣.

٦) المصدر نفسه ج ١٤ ص ٣٣.

٧) المصدر نفسه ١٧٣/٣.

علوم الفلسفة والمنطق وهو مترل أبى سليمان المنطقى السجستانى (الأصل) نزيل بغداد (المتوفى ٣٩١هـ/١٠٠١م)، وصفه القفطى بقوله «كان مترله مقيلا لأهل العلوم القديمة، وله أخبار وحكايات وسؤالات وأجوبة فى هذا الشأن،...، ولا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم»[١].

وقال المستشرق مايرهوف «كانت جماعات من العلماء تجتمع غالبا حول أبى سليمان السجستانى فى بيته، مكونة من أناس مختلفى المشارب والنحل، ومن العلماء الذين رحلوا إلى بغداد من الأندلس فى الغرب، ومن بخارى فى الشرق، ومن شيراز فى الجنوب كى يحصلوا العلوم فى قلب الإمبراطورية الإسلامية»[٢].

ويحدثنا عالم الفلك والرياضيات المعروف بالجوزجانى نزيل بغداد (المتوفى ٣٨٨هـ/٩٩٨م) يحدثنا عن شيخه الرئيس ابن سينا «أنه كان يجتمع فى كل ليلة فى داره - دار ابن سينا - طلبة العلم، وكنت أقرأ معه "الشفاء"، وكان يقرئ غيرى من "القانون" نوبة، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار. .. وقضينا على ذلك زمنا»[٣].

هذه أمثلة قليلة لما كان يحدث فى بيوت العلماء، وهى تعطينا فكرة عامة عن أهمية هذه البيوت فى تنشيط الحركة العلمية ببغداد.

ج - وقد تعقد **مجالس العلم فى الضواحى والطرقات** ولا سيما مجالس التحديث، ويروى الخطيب فى ذلك أن أبا مسلم إبراهيم بن عبد الله البصرى المعروف بالكجى - أو الكشى - لما قدم بغداد أملى الحديث فى رحبة غسان، وكان فى مجلسه سبعة مستملين، يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذى يليه، وكتب الناس عنه قياما، وفى أيديهم المحابر، وبلغ عدد الحاضرين بمحبرة - سوى النظارة - نيفا وأربعين ألفا[٤]. وكان الجعانى - محمد بن عمر التميمى (المتوفى ٣٥٥هـ/٩٦٥م) - أصله من عمان، ونزل بغداد - إذا أملى الحديث فى الطريق امتلأ بالطلبة عن آخره حتى يضيق على المارة[٥].

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢) ماكس مايرهوف: من الإسكندرية إلى بغداد - بحث مترجم فى كتاب "التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية" - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٤٠م -ص ٨٩. وراجع مزيدا من المعلومات عن أبى سليمان المنطقى (ص٣٢٢-٣٢٣) تحت عنوان "الجمعية الفلسفية السجستانية ببغداد".

٣) تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى (مخطوط) ص ٣١، طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٤١.

٤) تاريخ بغداد ٦/١٢١ - ١٢٢.

٥) المصدر نفسه ٣/٢٨.

وهكذا يتبين أن العديد من العلماء درس عليهم عشرات الطلبة وتخرجوا بهم دون أن يدرسوا فى أية مؤسسات تعليمية.

د – والأسواق – من جانب آخر – كانت ملتقى للخاصة والعامة. وقد كان بعض العلماء يعملون فى الأسواق لكسب معاشهم، وكانوا يستقبلون الطلبة فى دكاكينهم وحوانيتهم، وبما أن العلماء حريصون على نشر العلم، والناس متلهفون إلى التعلم ومعرفة السلوك القويم فإنهم كانوا يستغلون هذه الأماكن للسماع. ويروى فى ذلك أن أبا بكر محمد ابن عبد الله المعروف بالمستعينى (المتوفى ٣٢٥هـ/٩٣٦م) كان يترل بسوق يحيى ببغداد ويحدث الناس[١]. ويذكر السبكى فى "طبقاته" أن الفقيه أبا بكر الصبغى (المتوفى ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) كان حانوته مجمع الحفاظ والمحدثين فى مربعة الكرمانيين على باب خان مكى [٢].

(هـ) مهنة الوراقة وحوانيت الوراقين: ولم تكن حوانيت الوراقين مقتصرة على بيع الكتب والاتجار فيها، وإنما أسهمت هى الأخرى فى حركة التعليم، «ولعل فى وجود أفاضل العلماء وأماثل الفقهاء فى طائفة الوراقين فى هذا العصر ما يلقى الضوء على عمق ما كان يدور فى حوانيت الوراقين من محاورات ومناظرات وملتقى لأفاضلهم، يتذاكرون، ويتناقشون فى مجالس علمية يحضرها طلاب العلم والمعرفة»[٣].

وكان لاحتراف الكثيرين حرفة الوراقة عامل كبير فى نشر المؤلفات العلمية ووفرتها ورواجها بين الناس، وقد ساعد ذلك على تصدير هذه المؤلفات خارج بغداد[٤]. وكثيرا ما نجد العلماء يتخذون لهم وراقين لنسخ مؤلفاتهم وإذاعتها، مثل أبى ثور الفقيه (المتوفى ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[٥]، والجهشيارى صاحب كتاب (الوزراء) = المتوفى ٣٣١هـ/٩٤٣م)[٦]، ويعقوب بن شيبة (المتوفى ٢٦٢هـ/٨٧٥م) الذى أعد فى بيته أربعين لحافا لمن كان يبيت عنده من الوراقين

---

١) المصدر نفسه ٤٤٧/٥.

٢) طبقات الشافعية الكبرى ج٣ ص١٨٣.

٣) حسن عبد العال: التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ١٩٢. وراجع أسماء العلماء الذين كانوا يعملون فى التوريق: تاريخ بغداد ٢٢٤/٢، ٢٣٦، ٢٥٠، ٣٥٥،٥٧/٤، ٥٦/٥ – ٥٧، ٢٣٣، ٥٩/٦– ٦٠، ١٨٣، ٣٢٩/٧-٣٣٠، ٣٤٢، ٤٣/١٠، ٢٨/١١-٢٩، ٩/١٢، ٨٩-٩٠.

٤) يروى ابن النديم فى "الفهرست" أن يحيى بن عدى الفيلسوف النصرانى البغدادى (المتوفى ٣٦٤هـ/٩٧٤م) كان كثير النسخ لكتب العلم، وأنه نسخ من تفسير الطبرى – على طوله – نسختين وحملهما إلى ملوك الأطراف (الفهرست ص ٣٦٩).

٥) تاريخ بغداد ٨٣/١٣.

٦) معجم الأدباء ١٨٩/٤.

لتبييض "المسند" من تأليفه[١]. وقد كان لحنين بن إسحق العبادى الطبيب البغدادى (المتوفى ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) وراق يورق له ترجماته لعلوم الأوائل فى الطب والفلسفة والنبات وغيرها[٢].

وقد حفلت كتب الأدب والتراجم بالعديد من المناقشات العلمية والمحاورات الأدبية وكثير من المناظرات بين العلماء الذين كانوا يجتمعون فى حوانيت الوراقين، فمن ذلك ما ذكره ياقوت أنه كان من عادة أبى الفرج الأصفهانى - صاحب "الأغانى " (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٦م) وأبى نصر الزجاج أن يلتقيا كثيرا فى دكان فى سوق الوراقين ببغداد، فيتناقشان فى قضايا الشعر والأدب واللغة[٣].

وقد كان بعض أهل العلم يؤجر حوانيت الوراقين للاطلاع على ما فيها من كتب، وممن اشتهر بذلك من الأعلام: عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ/٩٦٥م).

ولعل اشتغال ابن النديم/البغدادى بمهنة الوراقة قد أتاحت له كتابة سجله الحافل بتاريخ الحياة العلمية فى (بغداد/المشرق)، ونعنى به كتاب "الفهرست".

وهكذا كانت حرفة الوراقة وحوانيت الوراقين عاملا مساعدا على ازدهار حركة التعليم فى بغداد، ودفع هذه المدينة إلى أن تتبوء مكان الصدارة فى نشر العلم والفكر فى جميع أرجاء الدولة الإسلامية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

(و) وإذا كانت المساجد والمنازل وحوانيت الوراقين وغيرها من الأماكن تعد من الأماكن المهمة فى نشر علوم الفقه والحديث والتفسير والقراءات والأدب واللغة وتنشيط الحركة العلمية فى هذه المجالات بوجه خاص فإن المؤسسات العلاجية فى بغداد - والتى كانت تعرف بالبيمارستانات[٤] - أدت دورا مهما فى تدريس علم الطب ونشر معارفه، لا سيما فى القرن الرابع الهجرى. ولم تكن هذه البيمارستانات مؤسسات علاجية فقط، وإنما كانت تؤدى دور المعاهد العلمية المتخصصة لتدريس الطب والصيدلة فى حلقات خاصة تعقد لهذا الغرض، ويفد إليها الطلاب من كل ناحية.

وتذكر كتب طبقات الأطباء عددا من الأساتذة الذين كانوا يقومون بتعليم الطب فى البيمارستان العضدى ببغداد[٥]، منهم: أبو الفرج عبد الله بن الطيب، وهو من النصارى. قرأت عليه فى هذا البيمارستان كتب أبقراط وجالينوس فى الطب سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، وقصده

---

١) تاريخ بغداد ٢٨١/١٤ - ٢٨٣.

٢) معجم الأدباء ٤٨٢/٦.

٣) معجم الأدباء لياقوت ١٥٧/٥-١٥٨.

٤) سيأتى تعريف البيمارستان فى الفصل الخاص بعلم الطب من القسم الأول - (ص٣٩٠).

٥) راجع ما ذكرناه عن هذا البيمارستان (ص ٣٩١ ، ٣٩٢).

بعض الطلبة من بلاد فارس وخراسان للتتلمذ عليه[١]. وكان الطبيب إبراهيم بن بكس يقوم بتدريس الطب فى البيمارستان المذكور أيضا[٢].

ثانيا: انتشار المكتبات العامة والخاصة

وقد كان لخزائن الكتب (وهى المكتبات) العامة والخاصة التى انتشرت فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين انتشارا واسعا أثر كبير فى تيسير العلم والتعليم، وتشجيع الطلاب على الاستمرار فى الدراسة والبحث، والمساعدة على نمو الحركة الفكرية فى شتى ميادينها.

ولم يكن أحد من علماء بغداد يخلو بيته فى الغالب من خزينة كتب (مكتبة) كبيرة، وربما تكون أكثر هذه الكتب فى نفس العلم الذى يبرز فيه صاحبها، فيحيى بن معين - عالم بغداد الكبير فى علم الجرح والتعديل (المتوفى ٢٣٣هـ/٨٤٧ م) - خلف من الكتب - بعد موته - ثلاثين قمطرا وعشرين حبا[٣]. وكان فى بيت إبراهيم بن إسحق الحربى (المتوفى ٢٨٥هـ/٨٩٨م) - وهو أحد كبار الحنابلة فى بغداد- اثنا عشر ألف جزءا فى اللغة وغريب الحديث كتبها بخطه. وابن عقدة: أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٣٣٢هـ/٩٤٣م) بلغت كتبه ستمائة جمل[٤]، وكان عالما باللغة والحديث والتاريخ[٥]. وحينما أراد أبو بكر أحمد بن محمد البرقانى الخوارزمى (نزيل بغداد - المتوفى ٤٢٥هـ/١٠٣٣م) أن ينتقل من محلة الكرخ ببغداد إلى قرب باب الشعير حملت كتبه فى ثلاثة وستين سفطا وصندوقين[٦]. وحملت كتب الواقدى - المؤرخ المشهور (المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م) حينما أراد أن يتحول من الجانب الغربى من بغداد فى عشرين ومائة وقر. وقيل: كان له ستمائة قمطر كتبا[٧]. ويذكر الخطيب البغدادى أن الأديب والمؤرخ الكبير أبا بكر الصولى (المتوفى ٣٣٥هـ/٩٤٦م) كان يمتلك بيتا كبيرا ملأه بالكتب، وكانت كلها من سماعه، وقد رتبها صفوفا بحسب لون جلودها، «كل صف من الكتب لون، فصف أحمر، وآخر أخضر، وآخر أصفر، وغير ذلك»[٨]. والأمثلة كثيرة فى هذا الباب.

---

١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٣٢٣-٣٢٤. وسيأتى التعريف بأبقراط وجالينوس (ص٣٧٦ - ص٣٧٧).

٢) عيون الأنباء ص ٣٢٩.

٣) تاريخ بغداد ١٤/١٨٣. والقمطر: ما يصان فيه الكتب. والحب هو الصندوق.

٤) تاريخ بغداد ٦/٣٣.

٥) تاريخ بغداد ٥/١٨.

٦) تاريخ بغداد ٤/٣٧٥.

٧) معجم الأدباء لياقوت ١٨/٢٨١.

٨) تاريخ بغداد ٣/٤٣١.

وقد تمتع الوزراء والأمراء والوجهاء باقتناء مكتبات ضخمة فى بيوتهم حوت آلاف الكتب والمجلدات، فالوزير الأديب الصاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) كان عنده من الكتب ما إذا احتاج إلى نقلها لحملت على أربعمائة جمل[١]. وكان أستاذه أبو الفضل بن العميد (المتوفى ٣٦٠هـ/٩٧٠م) يمتلك مكتبة فيها من كل علم، ويبلغ كل نوع من أنواع الحكم والآداب مائة وقر وزيادة، وقد نجت هذه الكتب عندما نهب قوم من الخراسانية منزله عام ٣٥٥هـ/٩٦٥م[٢]. وكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل والمقتول معه فى سامراء سنة ٢٤٤ هـ/٨٥٨م محبا للكتب، ويمتلك منها خزانة «لم ير أعظم منها كثرة وحسنا»[٣]، وقد عهد بجمعها إلى رجل من خيرة رجال العصر، وهو على بن يحيى بن أبى منصور المنجم (المتوفى ٢٧٥هـ/٨٨٨م) ويقول ابن النديم: «إن ابن المنجم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة حكمة نقل إليها من مكتبته ومما استكتبه الفتح أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط»[٤].

ومن المكتبات العامة التى أنشئت لتيسير المطالعة على الراغبين فى تحصيل العلم: "دار علم سابور"، وهى الدار التى أسسها سابور بن أردشير (المتوفى ٤١٦هـ/١٠٢٥م) - وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهى - فى محلة (بين السورين) ببغداد، سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، احتوت على كتب العلم من كل فن، وبلغت عدد مجلداتها عشرة آلاف مجلد، وقد وصفها ياقوت فى معجم الأدباء بقوله «لم يكن فى الدنيا أحسن كتبا منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة»[٥].

وهذه الدار كانت على درجة كبيرة من الأهمية فى نشر الثقافة بما كانت تحتويه من مؤلفات نادرة، «ولأنها كانت بمثابة كعبة ثقافية يحج إليها كل من لديه الرغبة فى تحصيل العلم والمعرفة، فضلا عن نشاطها التعليمى»[٦].ويمكن الاستدلال على الأهمية العلمية "لدار

---

١) وفيات الأعيان ١/٢٣١.

٢) هاشم عبد الراضى: الحياة الاجتماعية والفكرية فى العراق منذ سنة ٣٣٤هـ، وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى - رسالة دكتوراه. دار العلوم (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) - ج ٢ ص ٦٣٤.

٣) الفهرست لابن النديم ص ١٦٩، معجم الأدباء ١٦/١٧٤.

٤) الفهرست ص ٢٠٥. وراجع د. أحمد شلبى: التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى - الجزء الخامس من موسوعة الحضارة الإسلامية/ص ٢٠٤ (مكتبة نهضة مصر، الطبعة العاشرة ١٩٩٤م).

٥) معجم البلدان ج ١ص٥٣٤. وراجع البداية والنهاية ٦/٤٧٨ (ط دار الغد العربى - القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

٦) هاشم عبد الراضى: المرجع السابق ص ٦٤٤.

علم سابور" من ثلاثة أوجه[١]:

الأول: أنها كانت تستقبل أوقافا من مؤلفات العلماء البارزين مثل جبرائيل بن عبيد الله ابن بختيشوع الطبيب (المتوفى ٣٩٦هـ/١٠٠٥م) الذى أوقف على هذه الدار كتابه المسمى "الكناش الكبير"، ويلقب "بالكافى " - فى الطب يقع فى خمس مجلدات ألفه للصاحب بن عباد[٢].

والثانى: كان من أهل العلم من يرسل مؤلفه إلى هذه الدار لتقييمه علميا، حيث إن قبوله فيها يعتبر اعترافا بقيمته العلمية.

والثالث: أن هذه الدار استهوت كبار رجال العلم والأدب، فأقبلوا عليها للدرس والبحث والمناظرة والإقامة، ومن هؤلاء الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى (المتوفى ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) الذى رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وأقام بها سنة وستة أشهر، وكان يقول: «آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتى فيه».

(بيت) الحكمة ببغداد:

أما أعظم دار علم فى بغداد - وفى العالم الإسلامى كله - زمن العباسيين فهى "دار الحكمة" أو "بيت الحكمة" التى «كان فيها - كما يقول القلقشندى - من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها وأعفيت آثارها».

ولسنا هنا بصدد الوقوف عند كل ما يتصل بهذه المؤسسة العلمية العريقة، فقد كتبت حولها عدة دراسات أبانت عن تاريخ نشأتها ونظام الإدارة بها ودورها فى ترجمة علوم اليونان والهنود والفرس وغير ذلك من القضايا[٣]. وحسبنا أن نشير فقط إلى أهمية هذه الدار (أو المؤسسة) فى قيام نهضة علمية كان لها تأثير واسع على الحركة العلمية خارج بغداد فى شرق

---

١) راجع د. أحمد شلبى: التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى - الجزء الخامس من موسوعة الحضارة الإسلامية (له) - ص ١٩٢-١٩٣، هاشم عبد الراضى: المرجع نفسه ص ٦٤٢ - ٦٤٣.

٢) راجع عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٢١٤.

٣) من الدراسات المهمة التى كتبت عن بيت الحكمة: دراسة موسعة وشاملة حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراه، وهى مطبوعة بعنوان (بيت الحكمة فى عصر العباسيين) للدكتور خضر أحمد عطا الله (دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م). وأورد أستاذنا الدكتور أحمد شلبى معلومات وفيرة ومهمة عن دار الحكمة فى كتابه "التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى"، الجزء الخامس من موسوعة الحضارة الإسلامية (ص ١٨٦-١٩٠).

العالم الإسلامى وغربه، وخاصة فى مجالات الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والفلسفة. وفى هذا الشأن يقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبى فى دراسته عن (التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى): «وبيت الحكمة كان أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامى، بل إنه كان أول جامعة إسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون، ولجأ إليها الطلاب، فكان بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا، ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل الطب والفلسفة والحكمة وغيرها»[١].

ولم تكن مهمة هذه الدار العتيقة - التى وصل نشاطها العلمى إلى ذروته فى عهد المأمون العباسى منذ دخوله إلى حين وفاته (سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م) - تقتصر على ترجمة كتب اليونان والفرس والهنود[٢]، بل كانت تقوم بدور التعليم والبحث العلمى، وكان بها طائفة من كبار العلماء فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، لا سيما من كان ذا حظ وافر فى معرفة لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية، كالسريانية واليونانية والفارسية والهندية وغيرها. ونذكر منهم على سبيل المثال: محمد بن موسى الخوارزمى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥١م) والكندى (ت٢٥٢هـ/٨٦٧م) وحنين بن إسحق العبادى (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ويوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م)، وأبو سهل الفضل بن نوبخت، وعلان بن الحسن الوراق الشعوبى وأبو بشر متى بن يونس (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وسهل بن هارون (المتوفى ٢١٥هـ/٨٣٠م) وأحمد ومحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر، وغيرهم ممن يطول المقام بذكرهم، وسيأتى الحديث عن جهودهم فى مجال الترجمة والتأليف فى علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات... الخ.

وقد كان العمل الذى يقوم به هؤلاء العلماء فى بيت الحكمة هو الإشراف عليها وإدارتها واستنساخ الكتب القديمة أو نقلها من لغاتها الأصيلة إلى اللغة العربية والتعليق عليها أو شرحها، إلى جانب إفادة الطلاب وراغبى العلم من أهل بغداد أو الوافدين إليها.

وليس من المغالاة إذا قلنا: إن كل - أو جل - ما ترجم فى "دار الحكمة " من كتب فى الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والمنطق والفلسفة، وكذلك الكتب التى ألفها علماء هذه المؤسسة العلمية - أو غيرهم من علماء بغداد- للتعليق على التراث القديم أو شرحه أو نقده أو تطويره انتقل إلى الحواضر الإسلامية فى بلاد خراسان وما وراء النهر والشام ومصر والمغرب

---

١) د. أحمد شلبى: التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى - الجزء الخامس من موسوعة الحضارة الإسلامية، ص ١٨٩.

٢) سيأتى فصل خاص عن حركة الترجمة فى بغداد وأثرها فى التقدم العلمى فى ميدان العلوم العقلية والتجريبية كالفلسفة والفلك والرياضيات والطب وغيرها - راجع بداية من (ص ٣٠٩).

والأندلس، وأثمرت بها نهضة علمية فى تلك الميادين. كما أن كثيرا من المكتبات العامة التى أنشأت فى الأقاليم المذكورة - مثل مكتبة الزهراء التى كونها الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) بقرطبة ودار العلم التى أنشأها الحاكم بأمر الله بالقاهرة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، ودار كتب عضد الدولة البويهى (المتوفى ٣٧٢هـ/٩٨٢م) فى شيراز - كانت عامرة بكثير من الإنتاج العلمى الذى خرج من دار الحكمة ببغداد.

* * * *

ولم تكن كثرة أماكن التعليم وانتشار خزائن الكتب هى وحدها الأسباب التى ساعدت على نشر العلم وتنشيط عملية التعليم، وإنما كانت هناك مظاهر أخرى قوية - وإن كانت تقليدية - عملت على النهوض بحركة التعليم، ويأتى فى مقدمتها فشو العلم بين الحكام - خلفاء وأمراء ووزراء - واهتمامهم به وجمع مؤلفاته وجلبها، وتشجيعهم العلماء على تدوينه ونشره، وإنشاؤهم للمراكز العلمية، كالمكتبات العامة، وعقدهم مجالس العلم فى القصور، وتنظيم المناظرات بين العلماء، والسعى فى جلبهم إلى عاصمة الخلافة.

* * * *

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن نزوح العلماء إلى بغداد من كل حدب وصوب، وإعطاء عملية التعليم أهمية كبيرة هما من أهم العوامل والأسباب التى عجلت بظهور نهضة علمية واسعة فى هذه المدينة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ومن ثم ظهورها كأكبر مركز علمى يقوم بإمداد العالم الإسلامى بأوفر نصيب من الثقافة والفكر.

ونبدأ الآن فى عرض جهود المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى ميادين العلم المختلفة. وفى عرضنا لهذه الجهود لن نقف عند التفاصيل، إذ ليس من هدفنا التركيز على كل علم من ناحية أصوله ونظرياته، لأن هذا النوع من الدراسة يحتاج إلى تخصص دقيق فى كل فرع من فروع المعرفة. وحسبنا أن نركز على رصد الاتجاهات العامة لكل علم، ومسارات التأليف فيه، وأهم العلماء الذين يمثلونه، مع ذكر أبرز مؤلفاتهم، والتعريف ببعضها بين الحين والآخر، بإعطاء نبذة عن مضمونها وما تمثله من أهمية.

ونبدأ بالعلوم الدينية: علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث النبوى، وعلم الفقه وأصوله، وعلم الكلام (أصول الدين).

الباب الأول

العلوم الدينية

* ويشمل هذا الباب الفصول التالية:

الفصل الأول : علوم القرآن.

الفصل الثانى : علوم الحديث النبوى.

الفصل الثالث : علم الفقه وأصوله.

الفصل الرابع : علم الكلام (أصول الدين)

الباب الأول
العلوم الدينية

مدخل: كانت العلوم الدينية على اختلاف فروعها أسبق العلوم التى وجدت عناية وحرصا كبيرين فى الثقافة الإسلامية بعامة، وتأسست عليها الحركة العلمية فى المجتمع الإسلامى، و لم يعتن العلماء المسلمون بشئ مثل عنايتهم بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوى والتشريع وما كان يخدمها من علوم اللغة، حيث إنهم اعتبروا تناول هذه العلوم بالتلقى والرواية دينا تراعى فيه الأمانة العلمية، وتعبدا يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى.

وإذا كانت العلوم الدينية بهذه المنزلة من الفكر الإسلامى فإن أهمها ما كان يتعلق بالقرآن الكريم، فهو كتاب الهداية الإلهية الأخير الذى حدد للإنسان معالم الحق، ورسم لهم طريق الخير.. وبين لهم المثل الأعلى فى كل شئ، وهو الدستور العظيم الذى فصل الحقوق والواجبات، ونظم العلاقات والمعاملات، وشرع الحدود والأحكام. ومن هنا جاز لنا أن نبدأ بالحديث عن علوم القرآن، فإذا انتهينا منها عرجنا على بيان جهود المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى خدمة الأصل الثانى من أصول التشريع الإسلامى، وهو الحديث النبوى وعلومه، ويعقبه الكلام عن النهضة العلمية التى شهدتها بغداد فى مجال الفقه الإسلامى وأصوله ومدارسه، ثم نختم هذا الباب بفصل خاص عن علم الكلام (أصول الدين)، باعتباره أقرب إلى العلوم الدينية كما أوضحنا من قبل.

***

الفصل الأول

علوم القرآن الكريم

أولا : علم القراءات وما يتصل به من فنون.

ثانيا : علم التفسير.

ثالثا : علوم أخرى:

(مشكل القرآن – ناسخ القرآن ومنسوخه – أسباب النزول. .. وغيرها)

التعريف بعلوم القرآن الكريم:

ويمكن أن نعرف مصطلح" علوم القرآن " بأنه: «كل المعارف والعلوم المتصلة بكتاب الله تعالى المنزل على النبى محمد ﷺ»[1].

وهذا المصطلح يشمل كل علم يبحث فى القرآن الكريم من أى ناحية من نواحيه المتعددة، فيشمل "علم التفسير" و"علم القراءات" و"علم الرسم القرآنى " و"غريب القرآن" و"إعرابه" و"إعجازه" و"ناسخه ومنسوخه" و"محكمه ومتشابهه" و"أمثاله". .. إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة التى توسع العلماء فى بحثها، وأفردوا لها المؤلفات، أى أفردوا كل علم منها بمؤلفات تخصه دون غيره على طريقة الاستيعاب والاستقراء لأجزاء العلم ومباحثه؛ فمن صنف فى "قراءات" القرآن تتبع كل آية فيها قراءة أو أكثر، ومن صنف فى ناسخ القرآن ومنسوخه تتبع كل آية وقع فيها النسخ، ومن صنف فى "أمثاله" تتبع كل آية فيها مثل،. .. وهكذا فى بقية الأنواع.

وأما الجمع بين تلك العلوم فى كتاب واحد جامع لأصولها ومسائلها بعد أن كانت مبعثرة فى عشرات الكتب – ويحمل عنوان "علوم القرآن" – فإن ذلك لم يظهر إلا بعد انقضاء القرن الرابع الهجرى. وكل المؤلفات التى ظهرت قبل هذا القرن وتحمل العنوان نفسه لا تخرج عن كونها كتبا فى التفسير تتعرض لذكر تفسير الآيات بحسب ترتيب السور، مع العناية بما ورد من أسباب النزول، وما روى من قراءات وناسخ ومنسوخ وغير ذلك من فنون[2].

---

١) د. محمد محمد أبو شهبة: المدخل إلى علوم القرآن ص ٢٤ – ٢٥.

٢) من أمثلة هذه الكتب "المختزن فى علـــوم القـــرآن" لأبى الحسن الأشعرى: على بن إسماعيل بن أبى بشر =

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نذكر ملاحظة مهمة، وهى أن بعض المفسرين البغداديين فى القرنين (فترة الدراسة) صدروا كتبهم فى "التفسير" بمقدمات قيمة فى علوم القرآن لتكون مفتاحا لتفاسيرهم، وإن لم يسموا هذه المقدمات بهذا الاسم. وأوضح مثال على ذلك هو "تفسير" ابن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)[١].

جهود العراقيين فى هذا الميدان العلمى:

ومهمتى الآن أن أبين مساهمات علماء (بغداد/المشرق) فى ميدان الدراسات القرآنية, وهذه المساهمات كما سيرى القارئ شملت كل نوع من أنواع علوم القرآن، كل علم على حده، فألفوا فى تفسيره، وفى قراءاته، وفى ناسخه ومنسوخه، كما ألفوا فى معانى القرآن وإعرابه وغريبه ومشكله ومجازه وإعجازه وأمثاله وفضائله، وغير ذلك من الدراسات المختلفة التى كانت تدور حول القرآن ووجوه هدايته وأسراره.

والمسار الذى سنسير عليه فى عرضنا لجهود المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى علوم القرآن هو أننا سنقسم هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم القراءات وما يتعلق به من علوم، مثل علم التجويد، وعلم الوقف والابتداء، وعلم نقط المصحف ورسمه، وغير ذلك.

والقسم الثانى: علم التفسير واتجاهاته.

والقسم الثالث: علوم أخـــرى، كعلم "مشكل القرآن"، وعلم "متشابه القرآن" وعلم الناسخ والمنسوخ". و"أسباب النزول"، وغير ذلك من العلوم.

أولا: علم القراءات

تعريف "القراءات": ويقصد بعلم "القراءة" أو "القراءات": أداء القرآن الكريم بطريقة خاصة تعتمد على السماع من رسول الله[٢] ﷺ. وهو علم يبحث فى وجوه الاختلاف فى

= البغدادى (المتوفى ٣٣٤هـ/٩٤٥م). ويقع فى مائة جزء، وبلغ فيه إلى سورة الكهف (طبقات المفسرين للداودى ١/٣٩٦-٣٩٨). وكتاب "الحاوى فى علوم القرآن" لأبى بكر الآجرى محمد بن خلف بن المرزبان البغدادى (المتوفى ٣٠٩هـ/٩٢١م) (طبقات المفسرين للداودى ٢/١٤٦، ١٤٧، الفهرست لابن النديم ص ٢١٤). وكتاب "الأمد فى علوم القرآن" لابن جرو الأسدى: عبيد الله بن محمد بن جرو الموصلى نزيل بغداد (المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٧م) وهو تفسير للقرآن لم يتم (معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٢/٦٢-٦٧).

١) سيأتى الحديث عن أهمية هذا التفسير ومكانته العلمية - راجع بداية من (ص ٧٣).

٢) القنوجى: أبجـد العلوم ٢/٤٢٨ (طبعـة الهند ١٣٩٥هـ)، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ٢/ص٦ (دار الكتب الحديثة بالقاهرة).

القراءات المتواترة - وغير المتواترة - لألفاظ القرآن الكريم وحروفه، ويفيد فى صون كلام الله تعالى من التحريف أو التغيير[١].

لمحة سريعة عن بداية العناية بعلم القراءات:

ولا نريد أن نخوض فى تفاصيل بعض القضايا التى تتعلق بهذا العلم من حيث نشأته والمراحل التى مر بها، وغايتنا هى التركيز على جهود العراقيين فى خدمة هذا الفن من العلوم خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وحسبنا أن نقول على سبيل الإجمال: عندما صدر مصحف عثمان سنة ٣٠هـ وبعث به إلى الأمصار كان على المسلمين أن يلتزموه فيقرءوا وفقا له، وينسخوا مصاحفهم عنه، غير أن المصحف الجديد الموحد كان مجردا، أى خاليا من علامات الإعجام (النقط) والضبط مما ترك الباب مفتوحا أمام قراءة كثير جدا من الكلمات بأكثر من وجه. وهنا كان للقارئ أن يختار هذا الوجه أو ذاك فيقرأ به. على أن القراء حرصوا على أن يكون الوجه الذى يختارونه متمشيا مع رسم مصحف عثمان من جهة، سليما لغويا ونحويا من جهة أخرى، ويستند إلى رواية صحيحة ترجع إلى النبى ﷺ من جهة ثالثة. وكان طبيعيا أن يتجهوا - باختيارهم - إلى القراءات التى تتحقق فيها هذه الشروط الثلاثة من بين تلك القراءات التى حفظوها عن مصاحف الصحابة القديمة عندما كان اعتمادهم عليها وحدها فى أقاليمهم فى مرحلة القراءة الحرة (أى قبل صدور مصحف عثمان)، ولم تكن هذه العملية (أى اختيار القراءات بالشروط المذكورة) سوى المرحلة الثانية للقراءة: مرحلة الاختيار التى ظلت ممتدة حتى مطلع القرن الرابع الهجرى [٢].

ويطول بنا المقام لو أردنا أن نسرد أسماء عدد من القراء ممن كان لهم اختيار وعناية بضبط القراءات حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم[٣]. والآن: **ما هى جهود العراقيين (البغداديون منهم أو من نزل بغداد من الأقطار الإسلامية الأخرى) فى جمع القراءات المختلفة وتدوينها فى القرنين الثالث والرابع الهجريين؟.**

---

١) د. على محمد نصر: مراقى الإيمان فى علوم القرآن - ص ١- [مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م].

٢) د. عبد الله خورشيد البرى: القرآن وعلومه فى مصر (٢٠-٣٥٨هـ) - ص ١٦٦- [ط دار المعارف بمصر بدون تاريخ].

٣) راجع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ١ ص ٩٧ (مطبعة الحلبى ١٩٧٨م).

جهود علماء (بغداد/المشرق) فى جمع القراءات وتدوينها:

اتجاهات التأليف فى علم القراءات خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين:

يمكن لنا أن نوزع اتجاهات التأليف فى هذا العلم على فترتين، مراعين فى ذلك حدود الفترة الزمنية التى تتناولها هذه الدراسة:

الفترة الأولى: القرن الثالث الهجرى. وفى هذا القرن برز اتجاهان فى التأليف:

الاتجاه الأول: التأليف فى القراءات المنفردة، وهى التى تتناول قراءة مقرئ واحد، ومن هذه المؤلفات التى تسير فى هذا الاتجاه:

١ - كتاب "قراءة الكسائى " [المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٤م/وهو كوفى نزل بغداد] تأليف المغيرة ابن شعيب المازنى البغدادى أحد تلاميذ الكسائى [١]. وكتاب آخر فى "قراءة الكسائى " لأحد تلامذته أيضا، وهو أبو مسلم عبد الرحمن بن واقد الختلى البغدادى [٢].

٢ - كتاب "قراءة أبى عمرو بن العلاء" [بصرى توفى ١٥٤هـ/٧٧٠م] من تأليف يحيى بن المبارك اليزيدى (المتوفى ٢٠٢هـ/٨١٧م)، وهو بصرى سكن بغداد[٣].

الاتجاه الثانى: التأليف فى القراءات الجامعة، وهى الكتب التى تجمع أكثر من قراءة، ولكنها لا تشير إلى عدد معين من القراء، بل تحمل عنوانا مطلقا هو " القراءات". وأشهر مؤلفات القرن الثالث التى تسير فى هذا الاتجاه:

١ - كتاب "القراءات" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٤هـ/٨٣٨م)[٤].

٢ - كتاب "القراءات" لإسماعيل بن إسحق الأزدى القاضى المالكى البغدادى (المتوفى ٢٨٢ هـ/٨٩٢م)، قال عنه الخطيب البغدادى: «كتاب جليل القدر عظيم الخطر»، جمع فيه قراءة عشرين إماما، وروى عنه عدد من كبار القراء ببغداد[٥].

---

١) ابن النديم: الفهرست ص ٤٥، ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٣٠٥.

٢) الفهرست ص ٤٥، غاية النهاية ج ١ ص ٣٨١.

٣) الفهرست ص ٤٢، بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ٢٣١.

٤) الفهرست ص٥٣،١٠٦، تاريخ بغداد ج١٢ص٤٠٥، وفيات الأعيان ج٤ ص٦٢، بغية الوعاة ج٢ ص ٢٥٣.

٥) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٨٤، معجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ١٣٢، غاية النهاية ج ١ ص ١٦٢.

ويدخل فى هذا الاتجاه الكتب التى تحمل عنوان "الجامع فى القراءات"، ومنها كتاب "الجامع فى القراءات" لمحمد بن سعدان البغدادى (المتوفى ٢٣١هـ/٨٤٥م)[١]. وكتاب "الجامع فى القراءات" لمحمد بن يزيد بن رفاعة الكوفى نزيل بغداد وقاضيها والمتوفى بها (٢٤٨هـ / ٨٦٢م)[٢]. وكتاب "الجامع فى القراءات - كما سماه ابن الجزرى - لمحمد بن جرير الطبرى البغدادى المشهور (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)[٣]، وذكره ابن النديم باسم "القراءات" [٤] وأثنى عليه ياقوت الحموى بقوله: «كتاب جليل كبير، رأيته فى ثمانى عشرة مجلدة، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ، وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور»، وقال أيضا: «ذكر فيه اختلاف القراء، وهو من جيد الكتب، وفصل فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها، وفيه من الفصل بين كل قراءة، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها، واختياره الصواب منها، والبرهان على صحة ما اختاره»[٥].

الفترة الثانية: القرن الرابع الهجرى: وفى هذا القرن شهدت بغداد تطورا فى التأليف فى القراءات؛ فقد كانت كتب هذا الفن قبل القرن الرابع تحمل عناوين عامة أى غير محددة بعدد، إما "القراءت". وإما "الجامع فى القراءات". ومع مطلع القرن الجديد ظهرت مؤلفات يلتزم أصحابها بجمع عدد معين من القراءات.

ابن مجاهد البغدادى والقراءات السبعة:

وأول من سار فى هذا الاتجاه القارئ البغدادى ابن مجاهد، واسمه أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (المتوفى ٣٢٤هـ/٩٣٥م)، حيث صنف كتاب "السبعة فى القراءات" [٦]. وقد اشتهر ابن مجاهد بأنه "مصنف السبعة" [٧]، ونعته ابن الجرزى بقوله: «شيخ الصنعة ومسبع السبعة»[٨]. وكان لهذا العالم مكانة كبيرة فى علم القراءات، «وانتهت إليه الرياسة بمدينة السلام

---

١) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ١٤٣.
٢) ابن الجزرى: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨١.
٣) ابن الجزرى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٧.
٤) الفهرست ص ٣٢٧، والوافى بالوفيات للصفدى ٢٨٥/٢، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ١٢١/٣.
٥) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٤٥، ص ٦٥ - ٦٦.
٦) ياقوت: معجم الأدباء ج ٥ ص ٧٠.
٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٢٧٢، السبكى: طبقات الشافعية ج ٣ ص ٥٧.
٨) ابن الجزرى: غاية النهاية ج ١ ص ١٣٩. والقراء السبعة الذين جمعهم كتاب ابن مجاهد هم ١- نافع بن أبى نعيم المدنى (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م) ٢- عبد الله بن كثير المكى (ت ١٢٠هـ/٨٣٧م) ٣- عاصم =

فى عصره» كما يقول ابن النديم[١]، وقال الخطيب البغدادى: «شيخ القراء فى وقته، والمقدم منهم على أهل عصره»[٢]. وقد تتلمذ عليه عدد كبير من أهل بغداد وغيرهم حتى قال ابن الجزرى: «لا أعلم أحدا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه»[٣].

وكتاب ابن مجاهد نال شهرة واسعة، مع أنه مسبوق بعدد من كتب القراءات لأئمة مشهود لهم بالرسوخ فى هذا العلم، وقد يكون من المبالغة أن يذهب أحد الباحثين إلى القول: «إن أهمية كتاب السبعة فى القراءات كأهمية صحيح البخارى فى الحديث وكتاب سيبويه فى النحو»[٤].

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه قام بعملية مقابلة بين القراءات الكثيرة الشائعة وتجريدها من الخلط والغلط، ثم استخلص سبعة منها أجمع العلماء على التمسك بها، وكان آخذا على نفسه ألا يروى إلا عمن اشتهر بالضبط والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة واتفاق القراء على الأخذ عنه والتلقى منه. وقد وضع ثلاثة أصول لقبول هذه القراءات، وهى أن تكون مطابقة لخط مصحف عثمان رضى الله عنه، وأن تكون صحيحة السند وحملها رواة موثقون حتى زمن القارئ، وأن توافق اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه. ومن ثم عمد ابن مجاهد إلى اختيار طائفة نابهة من القراء، مبينا خلافاتهم فى كتابه هذا، وخلافات من حملوا عنهم بيانا دقيقا. لكن لا يعنى هذا أنه أسقط القراءات الأخرى، وإنما اعتبرها شاذة، وجعلها وراء القراءات السبع فى السند والرواية، وذلك لقلة القراء بها فى الأمصار المختلفة بالقياس إلى القراءات السبع[٥]. على أن هذه القلة لا تعنى أيضا عدم التواتر، فقد تداولها - هى الأخرى -

---

= ابن أبى النجود الكوفى (١٢٧هـ/٧٤٤م) ٤- حمزة بن حبيب الزيات الكوفى (ت ١٥٦هـ/٧٧٢م) ٥- على بن حمزة الكسائى الكوفى (ت١٨٩هـ/٨٠٤م) ٦- أبو عمرو بن العلاء البصرى (المتوفى ١٥٤هـ/٧٧٠م) ٧- عبد الله بن عامر الشامى (ت ١١٨هـ/٧٣٦م) - راجع الفهرست لابن النديم ص ٤٢ - ٤٥.

١) الفهرست لابن النديم ص ٤٧.

٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٤٤.

٣) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ١٤٢.

٤) د. أحمد نصيف: علوم القرآن - ضمن موسوعة حضارة العراق ج ٧ ص ٣٢.

٥) راجع مقدمة تحقيق كتاب "السبعة فى القراءات" لابن مجاهد - حققه د. شوقى ضيف (دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م) وانظر مقالا بعنوان "ابن مجاهد وكتابه السبعة فى القراءات - مجلة الأمة بقطر، العدد ٦٩ - السنة السادسة (ص ٥٢-٥٥).

أئمة ثقات وقراء حفظة، بحيث أصبحت لها صفة التواتر، واعتمدها العلماء، وألحقوها بسبعة ابن مجاهد، درءا للظن بأن القراءات السبعة هى وحدها الصحيحة دون غيرها كما سيأتى بعد قليل.

مسارات التأليف فى القراءات بعد ابن مجاهد:

وإذا تتبعنا المؤلفات التى وضعها علماء بغداد فى جمع القراءات بعد كتاب ابن مجاهد فسنجد أنها تسير فى مسارين:

المسار الأول: مؤلفات تحمل عنوان "القراءات السبع" تقليدا لابن مجاهد، وأبرزها: كتاب "البيان والفصل فى القراءات السبع" لأبى طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد البزار البغدادى (المتوفى ٣٤٩هـ/٩٤٤م) تلميذ ابن مجاهد[١]. وكتابا "السبعة الأوسط" و"الأصغر" لأبى بكر النقاش محمد بن الحسن بن زياد البغدادى [٢]. وكتاب "قصيدة فى القراءات السبع" للحسين بن على بن ثابت البغدادى (المتوفى ٣٧٨هـ/٩٨٨م) حازت إعجاب شيوخ زمانه، وكان يمليها فى جامع المنصور ببغداد[٣].

والمسار الثانى: مؤلفات فيما زاد على السبع أو نقص. وقد ظهرت هذه المؤلفات كرد فعل ضد سبعة ابن مجاهد ليمحو الأئمة القراء أثر كون القراءات السبع هى وحدها القراءات الصحيحة، وأيضا لإزالة الشبه التى وقع فيها الناس حينما ظنوا أن القراءات السبع هى المقصودة بالحديث الشريف "أنزل القرآن على سبعة أحرف".

ومن أشهر مؤلفات البغداديين فيما زاد عن السبع: كتاب "القراء الثمانية" - أضاف إلى السبعة رواية خلف بن هشام البزار البغدادى - تأليف أبى الحسن على بن مرة النقاش البغدادى (من علماء القرن الرابع الهجرى)[٤]. وكتاب "المفيد فى القراءات العشر" لأبى نصر أحمد بن مسور بن عبد الوهاب البغدادى (المتوفى ٤٤٢هـ/١٠٥٠م)[٥]. وكتاب "الروضة فى القراءات

---

١) ابن الجزرى: غاية النهاية ج ١ ص ٤٧٥، وراجع الفهرست ص ٤٨-٤٩، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٧-٨، بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ١٢١.

٢) الفهرست ص ٥٠، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٠١-٢٠٥، معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ١٤٦-١٤٧، وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٩٨-٢٩٩.

٣) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٧٥.

٤) الفهرست ص ٥٨.

٥) غاية النهاية لابن الجزرى ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٨.

الإحدى عشرة" لأبى على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى المالكى [١]، وغير ذلك.

ومع أن هذه الفترة (القرن الرابع الهجرى) قد شهدت نوعا جديدا من التأليف فى القراءات وهو الالتزام بجمع عدد محدد منها - كالقراءات السبع والعشر والإحدى عشرة - فإن الاتجاه الذى كان سائدا فى القرن الثالث الهجرى (والذى تحمل مؤلفاته عناوين عامة) ظل التأليف فيه مستمرا. ومن الأمثلة على ذلك: كتاب "القراءات" لأبى الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بغلام الشنبوذ (المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٧م) قال عن نفسه: «أحفظ ألف بيت من الشعر شواهد للقراءات»[٢]. ومنها كتاب "البديع فى القراءات" للحسن بن أحمد بن خالويه اللغوى النحوى نزيل بغداد (المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م)[٣].

حركة تجديد أخرى فى تدوين القراءات فى القرن الرابع:

وقد شهد القرن الرابع الهجرى حركة تجديد أخرى فى التأليف فى علم القراءات، حيث ظهرت مؤلفات يمكن حصرها فى ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: مؤلفات **تهتم بتعليل القراءات والاحتجاج لها**[٤]. وهذا الاتجاه أقرب ما يكون إلى الدراسات النحوية، إذ إن كثيرا ممن صنفوا فى هذا المجال علماء ذاع صيتهم فى علم النحو واللغة.

ومن السابقين إلى هذا الاتجاه: محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (المتوفى ٢٨٥هـ/٨٩٨م) له كتاب "احتجاج القراءة" [٥]. ومحمد بن السرى بن سهل أبو بكر النحوى البغدادى المعروف بابن السراج (المتوفى ٣١٦هـ/٩٢٨م) له كتاب "احتجاج القراء" [٦]. وصنف ابن درستويه عبد الله ابن جعفر بن محمد البغدادى (المتوفى ٣٤٧هـ/٩٥٨م) كتاب "الاحتجاج للقراء" [٧]. ولأبى بكر النقاش محمد بن الحسن بن محمد الموصلى نزيل بغداد (المتوفى ٣٥١هـ/ ٩٦٢م) كتاب "السبعة بعللها" [٨] ومن هذه المؤلفات أيضا كتا ب "الاحتجاج للقراء" لأبى

---

١) غاية النهاية ج ١ ص ٢٣٠.

٢) تاريخ بغداد ١/٢٧١-٢٧٢، غاية النهاية ٢/٥٠-٥١، معجم الأدباء ١٧/١٧٣-١٧٤.

٣) معجم الأدباء ٩/٢٠٠، وفيات الأعيان ٢/١٧٩، غاية النهاية ١/٢٣٧.

٤) راجع موسوعة حضارة العراق ج ٧ ص ٣٥.

٥) الفهرست ص ٨٨.

٦) وفيات الأعيان ٤/٣٣٩، معجم الأدباء ١٨/٢٠٠.

٧) الفهرست لابن النديم ص ٥٣.

٨) الفهرست ص ٥٠، وانظر ترجمة أبى بكر النقاش فى غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/١١٩-١٢١.

بكر العطار محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المقرئ البغدادى (المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥م)[١]. وفى هذا الكتاب ذكر ابن مقسم بعض القراءات التى تخالف الإجماع، واستخرج لها وجوها من اللغة والمعنى مع كونها لم يقرأ بها أحد. وقد ذكر ياقوت الحموى أمثلة على هذه القراءات من كتاب ابن مقسم[٢]. وعن ذلك يقول الخطيب البغدادى: «ومما طعن به على أبى بكر بن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن فخالف الإجماع فيها، وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز فى اللغة والعربية، وشاع ذلك عند أهل العلم، فأنكروه، وارتفع الأمر إلى السلطان فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء، فأذعن بالتوبة، وكتب محضرا بتوبته، وأثبت جماعة من حضر ذلك المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه. وقيل إنه لم يترع عن تلك الحروف، وكان يقرأ بها إلى حين وفاته»[٣].

وفى النصف الثانى من (ق ٤هـ) صنف فى هذا الاتجاه كل من أبى منصور الأزهرى اللغوى الهروى نزيل بغداد (المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، له كتاب "علل القراءات" [٤]. وعثمان بن جنى الأزدى النحوى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م) له كتاب "المحتسب فى علل شواذ القراءات" [٥].

الاتجاه الثانى: التطوير المنهجى فى التأليف القرائى [٦]، ورائد هذا الاتجاه على بن عمر بن أحمد الإمام الحافظ أبو الحسن الدار قطنى البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، ألف كتابا مختصرا فى القراءات، ذكره ابن النديم[٧]، وقال عنه ابن الجزرى: «لم يؤلف مثله، وهو أول من وضع الأصول قبل الفرش[٨]. ولم يعرف مقدار هذا الكتاب إلا من

---

١) معجم الأدباء ١٨/١٥٠.

٢) معجم الأدباء ١٨/١٥٠-١٥١.

٣) تاريخ بغداد ٢/٢٠٦-٢٠٧، ومعجم الأدباء ١٨/١٥١، غاية النهاية ٢/١٢٤.

٤) معجم الأدباء ١٧/١٦٤-١٦٧، طبقات الشافعية للسبكى /٦٣-٦٥.

٥) معجم الأدباء ١٢/١١٣.

٦) راجع موسوعة حضارة العراق ج ٧ ص ٣٤.

٧) الفهرست ص ٥٣.

٨) أى قبل فرش الحروف (كما قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٢/٣٤-٣٥)، والفرش عبارة عن قواعد عامة تطلق على نظائر متعددة واردة فى كثير من آيات القرآن الكريم مثل (لا يستحيى) بالبقرة والأحزاب، قرأها حفص بإسكان الحاء وبياءين فى آخرها، الأولى مكسورة، والثانية ساكنة ممدودة.

وقف عليه، ولم يكمل حسن كتاب جامع البيان (لأبى عمرو الدانى) إلا لكونه نسج على منواله»[١]. وقال الخطيب البغدادى: «جمع الأصول فى أبواب عقدها أول الكتاب». وقال أيضا: «سمعت بعض من يعتنى بعلوم القرآن يقول: لم يسبق أبو الحسن إلى طريقته التى سلكها فى عقد الأبواب المقدمة فى أول القراءات، وصار القراء بعده يسلكون طريقته فى تصانيفهم ويحذون حذوه»[٢].

ونستنتج من هذين النصين أن كتاب الدار قطنى يعد أول كتاب وضع أصول القراءات فى القسم الأول منه، وجعل الفروع فى القسم الآخر[٣]، وأن مؤلفه أثر فيمن جاء بعده من القراء، ومنهم أبو عمرو الدانى القرطبى (عثمان بن سعيد) المتوفى ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م فى كتابه "جامع البيان فى القراءات السبع" [٤]،إضافة إلى أن كتاب الدار قطنى لم يصنف مثله.

الاتجاه الثالث: التأليف فى طبقات القراء:. ومن أوائل الذين كتبوا فى هذا الفن ابن المنادى الإمام المقرئ الحافظ أبو الحسن أحمد بن جعفر بن محمد البغدادى (المتوفى ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، له كتاب "تسمية قراء أهل مدينة بغداد" نقل منه الخطيب البغدادى فى تاريخه[٥]. وبعده صنف أبو بكر النقاش محمد بن الحسن بن زياد البغدادى (المتوفى ٣٥١هـ/٩٦٢م) كتابه "المعجم الكبير فى أسماء القراء وقراءاتهم" [٦].

* * *

وبعد... فهذه لمحة تاريخية عن مدرسة بغداد فى علم القراءات خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وقد اتضح أن الاتجاه إلى جمع القراءات المختلفة ودراستها وتدوينها والاختيار من بينها ظهر كأقوى ما يكون فى هذه المدينة.

---

١) غاية النهاية لابن الجزرى ٥٥٩/١، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبى ٤٥٠/١٦.

٢) تاريخ بغداد ٣٤/١٢-٣٥، سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٦.

٣) موسوعة حضارة العراق ٣٦/٧.

٤) غاية النهاية لابن الجزرى ٥٠٥/١.

٥) تاريخ بغداد ٤/ ص ٨، ج ٥ ص ٣٣٤ وغيرها. وراجع ترجمة ابن المنادى فى سير أعلام النبلاء ٣٦١/١٥ -٣٦٢، الفهرست ص ٥٨.

٦) الفهرست ص ٥٠، معجم الأدباء ١٤٦/١٨-١٤٧، وفيات الأعيان ٢٩٨/٤، طبقات المفسرين للداودى ١٣٦/٢.

العلوم المتعلقة بعلم القراءات:

(أ) علم التجويد وأداء القرآن:

وما من شك فى أن الأمة الإسلامية كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وتفسيره وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة أسانيدها إلى النبى ﷺ. ولذا اهتم العلماء بعلم تجويد القرآن[١]، وقاموا بخدمته ورعايته بالقراءة والإقراء والتصنيف، وهو من العلوم التى لها صلة قوية بعلم القراءات.

ويرى ابن الجزَرى أن المقرئ البغدادى أبا مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقانى (المتوفى ٣٢٥هـ/٩٣٦م) أول من ألف فى التجويد[٢] - أى كتاباً جامعاً فى هذا العلم. وصنف أبو حاتم السجستانى سهل بن محمد بن عثمان البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٥٠ هـ/٨٦٤م) كتاباً سماه "الإدغام" [٣]. ووضع الحسن بن داود بن الحسن النقَّار الكوفى (المتوفى ٣٥٠هـ/٩٦١م) كتاباً فى مخارج الحروف[٤]. ويذكر ابن الجزرى أن محمد بن محمود بن أحمد البغدادى له كتاب بعنوان "التجريد فى التجويد" ولم يذكر سنة وفاته، ويبدو من سياق ترجمته أنه تأخر عن القرن الرابع الهجرى [٥].

والمؤلفات التى ألفها علماء القراءات واللغة فى **علم الأصوات اللغوية** هى من صميم علم التجويد، لأن «موضوع التجويد هو - أساساً - علم الأصوات اللغوية، وأنه يعنى أداء هذه الأصوات أداءً لغوياً مجوداً موافقاً لطريقة العرب فى إخراج هذه الأصوات من مخارجها»[٦].

وقد بدأت حركة التأليف فى هذا الجانب من علم التجويد (الأصوات) منذ بداية القرن الثالث الهجرى، إذْ ألَّف قُطْرب: محمد بن المستنير بن أحمد (المتوفى ٢٠٦هـ/٨٢١م) كتاب "الأصوات" [٧]، وتبعه الأصمعى عبد الملك بن قُريب (المتوفى ٢١٦هـ/٨٣١م)[٨]، والأخفش

---

١) التجويد: لغة هو التحسين والتكميل والإتقان، ومعناه فى الاصطلاح - كما يقول السيوطى - «إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف» (الإتقان للسيوطى ١/١٣٢).

٢) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٣٢١.

٣) الفهرست ص ٨٧، معجم الأدباء ١١/٢٦٥، بغية الوعاة للسيوطى ١/٦٠٦.

٤) الفهرست ص ٤٩.

٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/٢٦٠.

٦) موسوعة حضارة العراق ج ٧ ص ٣٨.

٧) الفهرست ص ٧٨، معجم الأدباء ١٩/٥٢-٥٣، وفيات الأعيان ٤/٣١٢، بغية الوعاة للسيوطى ١/٢٤٣.

٨) الفهرست ص ٨٣.

الأوسط سعيد بن مسعدة (المتوفى ٢١٥هـ/٨٣٠م)[١]. وثلاثتهم من علماء البصرة باللغة والنحو، نزلوا بغداد وأقاموا بها مدة، ونشروا فيها علمهم ومؤلفاتهم.

(ب) علم الوقف والابتداء:

و " الوقف والابتداء" فن من فنون تجويد القرآن، وعرفه السيوطى - تعريفا عاما - فقال: «هو فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة»[٢].

ويبدو لنا أن عناية العلماء المسلمين بهذا الفن ترجع إلى أن معرفة الوقوف من أهم متطلبات التجويد القرآنى، إذ يعين على فهم النص القرآنى، ليس من ناحية الشكل الجزئى للكلمات، وإنما من ناحية ارتباط الجمل بعضها ببعض، ومعرفة حدودها من حيث المبنى ولا سيما الجمل المركبة.

وقد بدأ التأليف فى "الوقف والابتداء" فى القرن الأول الهجرى على يد (نصر بن عاصم الليثى البصرى - المتوفى ٨٩هـ/٧٠٧م)، واسم كتابه "وقف التمام" [٣]، ونصر بن مزاحم من القراء ترجم له ابن الجزرى فى طبقات القراء، وكان ممن اشتهر فى البصرة بنقط المصاحف[٤].

وفى القرن الثانى الهجرى كان من المبادرين إلى التأليف فى هذا العلم ضرار بن صرد التميمى (المتوفى ١٢٩هـ/٧٤٦م)، له كتاب "الوقف والابتداء" [٥]، وهو معدود فى قراء الكوفة[٦]. وتبعه المقرئ الكوفى حمزة بن حبيب الزيات (المتوفى ١٥٦هـ/٧٧٢م)[٧]، أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد البغدادى فى كتابه "القراءات السبعة" المذكور آنفا[٨]. وعلى هذا فإن التأليف فى فن الوقف والابتداء بدأ مبكرا جدا على خلاف ما ذهب إليه

---

١) الفهرست ص ٧٧، بغية الوعاة ١/٥٩٠-٥٩١.

٢) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن ١ / ١٠٩.

٣) ابن النديم: الفهرست ص ٥٤، موسوعة حضارة العراق ج ٧ ص ٤٢.

٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/٣٣٦، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٧، بغية الوعاة للسيوطى ٢/٣١٣-٣١٤.

٥) الفهرست ص ٥٤.

٦) غاية النهاية فى طبقات القراء ١/٣٣٨.

٧) الفهرست ص ٥٤.

٨) راجع عنه (ص ٥٦).

بروكلمان فى كتابه "تاريخ الأدب العربى "[١] من أن أقدم كتاب عن الوقف فى القرآن هو كتاب أبى العباس المبرد (محمد بن يزيد الأزدى البصرى - المتوفى ٢٨٥هـ/٨٩٨م)، وكان قد رد به على كتاب "المقاطع والمبادئ" لأبى حاتم السجستانى البصرى (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)[٢] نزيل بغداد.

ومن الملاحظ أن علماء الكوفة والبصرة كان لهم السبق فى العناية بهذا الفن والتأليف فيه، وذلك قبل القرن الثالث الهجرى، ومع مطلع هذا القرن - وبعد أن انتقل النشاط العلمى إلى الحاضرة العباسية بغداد - بدأ البغداديون يوجهون عنايتهم إلى هذا العلم، مثله فى ذلك مثل العلوم الأخرى؛ فألف أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى البغدادى (المتوفى ٢٠٢هـ/٨١٧م) كتاب "الوقف والابتداء"، وهو أحد أكابر القراء واللغويين، وكان - فى أيام هارون الرشيد - مع الكسائى (الكوفى) ببغداد يقرئان الناس فى مسجد واحد[٣]. ثم صنف فى هذا العلم عدد من البغداديين من أمثال خلف بن هشام البزار (المتوفى ٢٢٨ هـ/٨٤٢م) - وهو أحد القراء العشرة[٤] - وأبو سليمان بن يحيى المعروف بالضبى (المتوفى ٢٩١هـ/٩٠٣م)[٥]. وأحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى المشهور بثعلب (المتوفى ٢٩١هـ/٩٠٣م) وهو كوفى عاش فى بغداد[٦].

ويطول المقام لو تتبعنا المصنفات التى وضعها البغداديون فى هذا العلم خلال القرن الثالث الهجرى [٧]. أما القرن الرابع فقد شهد أيضا وفرة من هذه المؤلفات فى بغداد، ومن أشهر المؤلفين البغداديين فيه: ابن الأنبارى محمد بن القاسم بن محمد النحوى (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، له كتاب "إيضاح الوقف" [٨]، وأبو سعيد السيرافى: الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى ٣٦٨هـ/٩٧٨م)[٩]، وهو من تلاميذ ابن مجاهد المقرئ البغدادى الكبير.

---

١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج ٤ ص ٤ (دار المعارف).
٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٤.
٣) معجم الأدباء لياقوت ٢٠/٣٠-٣١.
٤) الفهرست ص ٥٤. وراجع تاريخ بغداد ٨/٣٢٢-٣٢٨، وفيات الأعيان ٢/٢٤٢، غاية النهاية ١/٢٧٢-٢٧٤.
٥) الفهرست ص ٥٤، غاية النهاية ١/٣١٧.
٦) الفهرست ص ١١١.
٧) راجع أيضا: الفهرست ص ٥٤، تاريخ بغداد ١٠/١٩٨-١٩٩، معجم الأدباء ١٦/٢١٦-٢١٧.
٨) الفهرست ص ٥٤، تاريخ بغداد ٣/١٨١، طبقات المفسرين للداودى ٢/٢٣١.
٩) وفيات الأعيان ٢/٧٨-٧٩، بغية الوعاة للسيوطى ١/٥٠٨.

(ج) علم رسم المصحف (هجاء المصاحف)[١]:

وقد بدأ التأليف فى "علم رسم المصحف وهجائه" مبكرا. ومن أوائل الذين صنفوا فيه حمزة بن حبيب الزيات المقرئ الكوفى (المتوفى ١٥٦هـ/٧٧٢م)، له كتاب "مقطوع القرآن وموصوله"[٢]. وصنف الكسائى - مؤسس النحو الكوفى ببغداد - (المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٤م) كتابين فى هذا العلم، أولهما: "مقطوع القرآن وموصوله"، والثانى: "مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة"[٣].

وفى القرن الثالث الهجرى: كتاب "اختلاف مصاحف أهل الكوفة والبصرة والشام" للفراء يحيى بن زياد الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م). وكتاب "اختلاف المصاحف" للمدائنى: على بن محمد بن عبد الله البغدادى (المتوفى ٢١٥هـ/٨٣٠م). ومثله للمقرئ البغدادى خلف بن هشام البزار (المتوفى ٢٢٩هـ/٨٤٣م)[٤]. وقال ابن الجزرى فى ترجمة نصير بن يوسف بن أبى نصر البغدادى المتوفى (٢٤٠هـ/٨٥٤م): «كان من الأئمة الحذاق، لاسيما فى رسم المصحف، وله فيه تصنيف»[٥].

• **وفى القرن الرابع الهجرى:** كتاب "المصاحف" لعبد الله بن سليمان (أبى بكر بن أبى داود) السجستانى البغدادى (المتوفى ٣١٦هـ/٩٢٨م)[٦]، وكتاب "اللطائف فى جمع

---

١) رسم المصحف يراد به الوضع الذى أقره وارتضاه الخليفة عثمان رضى الله عنه ومن كان معه من الصحابة الكرام فى كتابة كلمات القرآن ورسم حروفه فى المصاحف التى وجه بها إلى الآفاق والمصحف الإمام الذى احتفظ به لنفسه. وقد ذهب جمهور العلماء المسلمين الأوائل إلى أن رسم المصحف العثمانى توقيفى لا تجوز مخالفته. ومن أقوال الأئمة فى التزام الرسم العثمانى قول الإمام مالك لما سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟، فقال: «لا، إلا على الكتبة الأولى». وقال الإمام أحمد بن حنبل: «يحرم مخالفة خط عثمان فى واو أو ياء أو ألف أو نحو ذلك» وجدير بالذكر أن الرسم العثمانى ينحصر فى ستة قواعد، هى: الحذف - الزيادة - الهمز - البدل - الفصل والوصل - ما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما. (راجع: المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص ٣٠٢، ٣٠٩، موسوعة حضارة العراق ج ٧ص ٢١-٢٢).

٢) الفهرست ص ٥٥.

٣) الفهرست ص ٥٥، ٩٨، طبقات المفسرين للداودى ١/٤٠٧.

٤) الفهرست ص ٥٤، ٥٥، معجم الأدباء لياقوت ج ٢٠ ص ١٣.

٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/٣٤٠-٣٤١.

٦) الفهرست ص ٥٤، طبقات المفسرين للداودى ١/٢٣٧. وهذا الكتاب مطبوع مشهور حققه آرثر جعفرى طبعة مصر ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

هجاء المصاحف" لأبى بكر العطار محمد بن الحسن بن يعقوب المقرئ البغدادى (المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥م)[١].

كتب الهجاء:

ويمكن أن نعد الكتب المؤلفة فى (الهجاء) لها صلة بكتب رسم المصاحف، فقد عرف (طاش كبرى زادة) فى كتابه (مفتاح السعادة) الهجاء بقوله: «أصل معنى الهجاء رسم خط المصحف من الزيادة والحذف والهمز والبدل والفصل والوصل وما فيه قراءتان على أحدهما»[٢]. وبناء على هذا فإن الكتب التى صنفها العراقيون وتحمل عنوان "الهجاء" تدخل فى هذا المفهوم.

ومن أوائل الذين صنفوا فى "الهجاء" – فى القرن الثانى الهجرى – على بن حمزة الكسائى المقرئ النحوى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٤م)، له كتاب "الهجاء"[٣].

وفى القرن الثالث: كتاب "الهجاء" لأبى العباس ثعلب (أحمد بن يحيى بن زيد البغدادى – المتوفى ٢٩١هـ/٩٠٣م)[٤]. وكتاب "الهجاء" للمبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصرى إمام العربية فى بغداد (المتوفى ٢٨٥هـ/٨٩٨م)[٥].

وفى القرن الرابع: كتاب "الهجاء" لابن السراج محمد بن السرى بن سهل البغدادى (المتوفى ٣١٦هـ/٩٢٨م)[٦]. ومثله لابن درستويه عبد الله بن جعفر النحوى البغدادى (المتوفى ٣٤٧هـ/٩٥٨م)[٧]. والمؤلفات فى هذا الفن كثيرة.

(د) التأليف فى عدد آى القرآن وكلماته وحروفه:

وقد عنى أهل كل مصر من الأمصار التى وجه إليها عثمان بن عفان بالمصحف الذى كتب فى عهده بإجماع الصحابة – عنوا بالتأليف فى عدد آى القرآن الكريم وعدد كلماته وحروفه وتحديد ألفاته وياءاته وهاءاته. وأورد ابن النديم فى "الفهرست" قائمة بمؤلفات أهل كل

---

١) الفهرست ص ٥٠، معجم الأدباء ١٨/١٥٣، طبقات المفسرين للداودى ٢/١٣١-١٣٢.

٢) مفتاح السعادة ٢/٣٧٢، حضارة العراق ٧/٢٣.

٣) الفهرست ص ٩٨، بغية الوعاة للسيوطى ٢/١٦٤.

٤) الفهرست ص ١١١.

٥) الفهرست ص ٨٨، طبقات المفسرين ٢/٢٧١.

٦) معجم الأدباء ١٨/٢٠٠.

٧) الفهرست ص ٩٤، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/٢٣٥.

مصر على حدة، وهذه الأمصار هى الكوفة والبصرة والمدينة ومكة والشام[١].

وكان لعلماء بغداد اهتمام بهذا الفن، فأفردوه بالتصنيف. ومن المؤكد أن البغداديين اعتمدوا على كتب البصريين والكوفيين والشاميين وغيرهم. وأول من صنف فيه فى بغداد: أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م) له كتاب "عدد آى القرآن" [٢]. ومثله لأبى العباس أحمد بن إبراهيم البغدادى (كان حيا سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م) ذكره ابن المنادى فى كتابه "قراء مدينة السلام" [٣].

وفى القرن الرابع الهجرى: كتاب "عدد آى القرآن والاختلاف فيه" للقاضى البغدادى محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع (المتوفى ٣٠٦هـ/٩١٨م)[٤]. وكتاب "اختلاف العدد" لابن المنادى أحمد بن جعفر بن محمد البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) وكان مقرئا غاية فى الضبط والإتقان[٥].

أما كتب الألفات والياءات. .. الخ (فى القرآن) فهى كثيرة، ومنها لعلماء بغداديين: كتاب "الهاءات المكنى بها فى القرآن" للكسائى (كوفى نزل بغداد-وتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م)[٦]. وكتاب "الهاءات" للمقرئ البغدادى عبد الواحد بن عمر (المتوفى ٣٤٩هـ/٩٦٠م)، وله أيضا كتاب "الياءات" [٧]. ومنها: كتاب "الألفات فى القرآن" لأبى الحسن على بن عيسى المعتزلى المعروف بالرمانى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م)[٨]. وغير ذلك كثير[٩].

ثانيا علم التفسير

ويعد علم التفسير من أهم علوم القرآن بعد علم القراءات، لأهميته فى محاولة فهم القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع والوقوف على الأحكام الشرعية الواردة فيه والتى يمثل فهمها

---

١) الفهرست ص ٥٦.
٢) الفهرست ص ١٠٦، معجم الأدباء ١٦/٢٦٠، وفيات الأعيان ٤/٦٣.
٣) تاريخ بغداد ج ٤ ص ٨.
٤) تاريخ بغداد ٥/٢٣٦-٢٣٧.
٥) طبقات المفسرين للداودى ١/٣٤-٣٥، وانظر الفهرست ص ٥٨.
٦) طبقات المفسرين للداودى ١/٤٠٧.
٧) الفهرست ص ٤٩.
٨) معجم الأدباء ١٤/٧٥.
٩) راجع أيضا: الفهرست ص ٥٤، تاريخ بغداد ٣/١٨١، وفيات الأعيان ٢/١٧٩، ٤/٣٤٢، معجم الأدباء ٩/٢٠٤، طبقات المفسرين ٢/١٣١.

مناط العمل والالتزام. ولهذا كانت الكتب المؤلفة فى التفسير أكثر من غيرها فى أى علم آخر من علوم الكتاب العزيز.

تعريفه: وكلمة "التفسير" تطلق فى اصطلاح علماء التفسير والمعنيين به على "العلم الذى يفهم به كتاب الله المترل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه". هكذا عرفه الزركشى كما نقله السيوطى فى كتابه "الإتقان" [١]، وعرفه بعضهم بأنه "علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها" [٢].

وهناك تعاريف أخرى نقلها صاحب "الإتقان"، وكلها تدور على أن التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد.

وقبل الدخول فى الحديث عن اتجاهات التفسير فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين نرى من الأهمية أن نعطى لمحة تاريخية عن نشأة مدرسة التفسير بالعراق قبل القرنين المذكورين.

لمحة تاريخية عن علم التفسير بالعراق قبل القرن الثالث الهجرى:

حمل الصحابة معهم إلى البلاد التى فتحوها ما وعوه من التفسير وما حفظوه عن رسول الله ﷺ من العلم، ومن استقر منهم فى المدينة النبوية أو مكة استقر معه التفسير بها، ومن نزح منهم إلى العراق نزح معه علمه بالتفسير وحيثما يقم عالم منهم فى أى من الأمصار يجلس للناس يفسر لهم القرآن، فيحملوا عنه علمه وينقلوه لمن وراءهم، فقامت على أيديهم مدارس فى التفسير نسبت إليهم، وتتلمذ عليهم فيها كثير من التابعين، وكانت أشهر هذه المدارس[٣]:

١ - مدرسة التفسير بمكة، وتنتمى إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه.

٢ - مدرسة التفسير بالمدينة، وتنتمى إلى أبى بن كعب رضى الله عنه.

٣ - مدرسة التفسير بالعراق، وهى ما تعنينا بالبحث. ويعد عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلى الصحابى الجليل (المتوفى ٢٣هـ/٦٥٢م) رأس هذه المدرسة. وقد كان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق تفسير القرآن، غير أنه كان المؤسس الأول

---

١) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن ٢/٢٢٢-٢٢٣.

٢) السيوطى: المصدر نفسه ٢/٢٢٢.

٣) راجع تفاصيل الحديث عن هذه المدارس وأشهر رجالها من التابعين كتاب "التفسير والمفسرون" لمحمد بن حسين الذهبى ج ١ ص ١٠١-١٢٧.

لهذه المدرسة، لشهرته فى التفسير، وكثرة المروى عنه فيه، ولأن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لما ولى عمار بن ياسر على الكوفة سير معه ابن مسعود معلما ومفقها، وكتب إلى أهلها: «إنى قد بعثت عمار بن ياسر أميرا، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا،وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى»[١]، ولذا كان أهل العراق - وخاصة الكوفة - يأخذون عن ابن مسعود أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة.

ومن أشهر رجال هذه المدرسة من التابعين:

(أ) من الكوفيين: علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى (المتوفى ٦١هـ/٦٨٠م)، كان من أشهر رواة ابن مسعود وأجمعهم لعلمه وأشبه الناس به هديا وسمتا[٢]. ومنهم: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى (المتوفى ٦٣هـ/٦٨٢م)، قال عنه ابن المدينى البغدادى: «ما أقدم على مسروق من أصحاب عبد الله أحدا»[٣]. ومنهم أيضا الأسود بن يزيد بن قيس النخعى (المتوفى ٧٤هـ/٦٩٣م)[٤] وعامر بن شراحيل الشعبى (المتوفى ١٠٩ هـ/٧٢٧م)[٥]، وهما من كبار التابعين وعلى جانب عظيم من الفهم والعلم بتفسير القرآن.

(ب) ومن البصريين:

١ - الحسن بن أبى الحسن البصرى (المتوفى ١١٠هـ/٧٢٨م) شيخ أهل البصرة، وبحر من بحار العلم، أدرك كثيرا من الصحابة، وأكثر من الرواية عن على بن أبى طالب وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك رضى الله عنهم، وهو رأس المدرسة البصرية فى التفسير، وله "تفسير" ذكره الداودى فى "طبقات المفسرين"، ورواه عنه جماعة من تلامذته[٦].

٢ - قتادة بن دعامة السدوسى أبو الخطاب البصرى (المتوفى ١١٧هـ/٧٣٥م) قال عنه الإمام أحمد: «قتادة عالم بالتفسير». وقال عن نفسه: «ما فى القرآن آية إلا وقد سمعت فيها

---

١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٧ (ط دار صادر، بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).
٢) راجع عنه تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٢٧٦-٢٧٨.
٣) راجع عنه تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٠٩-١١٠.
٤) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٤٢-٣٤٣.
٥) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٦٥ - ٦٩.
٦) طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٥٠، وانظر الفهرست ص ٥١.

شيئا». وله "تفسير" ذكره الداودى فى "طبقات المفسرين"، ورواه عنه شيبان بن عبد الرحمن التميمى البصرى [١].

وهذه المدرسة القديمة فى التفسير - والتى يمثلها هؤلاء التابعون من الكوفيين والبصريين - استمرت فى خلق البيئة العلمية لاستمرار حركة التفسير فى العراق، فخلف من بعدهم خلف جمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير، فمن علماء الكوفة فى القرن الثانى الهجرى: سفيان بن سعيد الثورى الكوفى (المتوفى ١٦١هـ/٧٧٧م) صنف كتابا فى التفسير[٢]. وفى أخريات القرن صنف فى "التفسير" كل من وكيع بن الجراح الرؤاسى الكوفى (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢م)[٣]، وسفيان بن عيينة الهلالى الكوفى (المتوفى ١٩٨هـ/ ٨١٣م)[٤]، والفضل بن دكين أبو نعيم الكوفى (المتوفى ٢١٨هـ/٨٣٣م)[٥].

ومن علماء البصرة فى القرن نفسه صنف "تفسيرا" كل من شعبة بن الحجاج العتكى الأزدى (المتوفى ١٦٠هـ/٧٧٦م)[٦]، وسعيد بن بشير الأزدى (المتوفى ١٦٨هـ/٧٨٤م)[٧]، وروح بن عبادة بن العلاء (المتوفى ٢٠٥هـ/٨٢٠م)[٨].

اختلاط التفسير بالحديث النبوى قبل القرن الثالث الهجرى:

ونود أن نشير هنا إلى أن أصحاب هذه التفاسير كانوا من أئمة علم الحديث النبوى، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد، بمعنى أن التفسير فى هذه الفترة - والتى واكبت عصر التدوين مع مطلع العصر العباسى الأول - لم يفرد له تاليف يعنى بتفسير القرآن سورة سورة وآية آية من مبدئه إلى منتهاه، وإنما وجد من العلماء من طوف فى الأمصار المختلفة ليجمع الحديث النبوى، فجمع بجوار ذلك ما روى من تفسير منسوب إلى النبى ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين وجميع ما نقله هؤلاء المفسرون عن

---

١) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٤٧-٤٨.
٢) الداودى: طبقات المفسرين ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٦.
٣) الفهرست ص ٥١، طبقات المفسرين للداودى ٢/٣٥٨ - ٣٦١.
٤) الفهرست ص ٥١، ٣١٦، طبقات المفسرين ١/١٩٦-١٩٨.
٥) الفهرست ص ٥١، طبقات المفسرين ٢/٣٣.
٦) د. صبحى الصالح: مباحث فى علوم التفسير ص٢٣٨.
٧) الفهرست ص ٥١، طبقات المفسرين للداودى ١/١٨٧.
٨) الفهرست ص ٣١٨، طبقات المفسرين ١/١٧٩.

أسلافهم من أئمة التفسير نقلوه بالأسانيد[١].

وإلى جانب هذا الاتجاه (تدوين التفسير بطريقة علماء الحديث) ظهر فى القرن الثانى نوع آخر من التفسير، وهو التفسير اللغوى، ورائد هذا الاتجاه هم العراقيون. ويدخل فى هذا النوع كل من التفاسير التى تحمل عنوان "معانى القرآن". وأقدم من صنف فيه واصل بن عطاء المعتزلى البصرى (المتوفى ١٣١هـ/٧٤٨م)[٢]، ثم أبان بن تغلب الكوفى (المتوفى ١٤١ هـ/٧٥٨م)[٣]. ثم توالت المؤلفات فى ذلك الاتجاه، وأخذت تنمو مادتها وتتطور أساليبها. ويطول المقام لو تتبعنا أسماء المؤلفين فى "معانى القرآن" فى القرن الثانى الهجرى، وقد ذكر ابن النديم فى "الفهرست" والداودى فى "طبقات المفسرين" طائفة منهم، وجلهم من نحاة البصرة أو الكوفة ولغوييها، كالكسائى (كوفى - توفى ١٨٩هـ/٨٠٤م) وخلف بن الأحمر (بصرى / توفى ١٨٠هـ/٧٩٦م) ومؤرج بن عمرو السدوسى البصرى (توفى ١٩٤هـ/٨٠٩م) وغيرهم[٤].

المدرسة البغدادية فى التفسير:

والذى نريد أن ننتهى إليه هو أن هؤلاء المفسرين الذين ذكرنا أسماءهم - سواء كانوا من علماء الحديث النبوى أو من اللغويين، وسواء كانوا من أهل الكوفة أو البصرة أو من غيرهم - كانوا إرهاصا لظهور المدرسة البغدادية فى علم التفسير مع مطلع القرن الثالث الهجرى، حيث إن مدينة بغداد استقطبت جل العلماء والفقهاء والمفسرين من مختلف البلدان، وكان مما يلفت النظر أن هذه المدرسة هى حصيلة كل اتجاهات التفسير، والبحر الزاخر الذى صبت فيه آراء جمهرة من علماء الأمصار.

اتجاهات التفسير فى بغداد:

وفى بغداد كثرت مناحى المفسرين واتجاهاتهم، فمنهم من اتجه بالتفسير اتجاها مأثورا، فجمع ما صح من أحاديث النبى ﷺ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين فى التفسير، ويسمى هذا النوع "التفسير بالمأثور". ومنهم من لم يكتف بأقوال السلف، وإنما اجتهد وأعمل رأيه، وهذا الاتجاه يسمى "التفسير بالرأى ". ومنهم من اهتم بالأحكام القرآنية المتصلة

١) راجع: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبى ج ١ ص ١٤١.

٢) الفهرست (الملحق - ص ١).

٣) الداودى: طبقات المفسرين ج ١ ص ٣.

٤) راجع الفهرست ص ٥١-٥٢، طبقات المفسرين للداودى ١/٤٠٧، ٢/١٣٤، ٣٤٠، ٣٨٥، وفيات الأعيان ٧/٢٤٥، بغية الوعاة ١/٨٣.

بالمعاملات والعبادات، وهذا المنحنى مقترن بالاتجاهات الفقهية. ومنهم من اكتفى بالتفسير اللغوى أو البيانى. وفيما يلى عرض لهذه الاتجاهات كلها.

الاتجاه الأول: التفسير بالمأثور:

وهو ما يكون مصدر التفسير فيه النقل والرواية الصحيحة، كتفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة النبوية الصحيحة، أو بما روى عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم بطريق صحيح[١]، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى فى كتابه الكريم.

وبانتهاء مرحلة الرواية والمشافهة (فى تحمل العلوم ونقلها) وابتداء مرحلة التدوين كان التفسير بالمأثور أول ما دون من علم التفسير. وقد عرفنا من قبل أن التفاسير التى صنفت فى القرن الثانى الهجرى كان أصحابها من أئمة الحديث، وكان التفسير إلى هذا الوقت لم يتخذ شكلا منظما، وإنما كان يكتب على أنه باب من أبواب الحديث المختلفة يجمعون فيه - أى علماء الحديث - ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين، ثم انفصل التفسير بعد ذلك عن الحديث النبوى، وأصبح علما قائما بنفسه، وتم ذلك على أيدى طائفة من العلماء فى القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ونختار من كتب التفسير بالمأثور المنسوبة إلى البغداديين فى القرنين المذكورين:

(أ) فى القرن الثالث:

١ - كتاب "التفسير" لأبى الحارث سريح بن يونس بن إبراهيم البغدادى الحافظ (المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م) روى عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما[٢].

٢ - كتاب "التفسير" لأبى بكر بن أبى شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م) كان يجلس فى مسجد الرصافة ببغداد للتعليم فيجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفا[٣]. ولأخيه عثمان كتاب فى التفسير أيضا[٤].

---

١) د. عبد الفتاح فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعى ص ١٦ (دار الطباعة والنشر الإسلامية بمصر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٢) الفهرست ص ٣٢٢ - ٣٢٣، طبقات المفسرين للداودى ١/١٨٥، وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/٣٨٥.

٣) الفهرست ص ٣٢٠، تاريخ بغداد ١٠/٦٦.

٤) الفهرست ص ٥١، ٣٢٠، طبقات المفسرين للداودى ١/٣٨٤.

٣ - كتاب "التفسير" للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م) وهو تفسير كبير يضم مائة وعشرين ألف حديث وأثر[١].

(ب) فى القرن الرابع الهجرى:

١ - كتاب "شفاء الصدور فى التفسير" لأبى بكر النقاش محمد بن الحسن بن محمد البغدادى (المتوفى ٣٥١هـ/٩٦٢م)[٢]. وهو إمام فى التفسير والقراءات، وكتابه يقع فى اثنى عشر ألف ورقة كما يقول ابن النديم الذى سماه "التفسير الكبير". غير أن الكتاب لم يحظ بقبول العلماء المعاصرين لمؤلفه، فقد سأل الخطيب البغدادى شيخه أبا بكر البرقانى عن هذا التفسير فقال: «كل حديثه منكر. .. ليس فيه حديث صحيح»[٣]، وقال السبكى فى "طبقات الشافعية": «فيه موضوعات كثيرة»[٤].

٢ - "التفسير الكبير" لعمر بن أحمد بن عثمان البغدادى المعروف بابن شاهين (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) ويقع فى ألف جزء كما يقول الخطيب البغدادى [٥] (أى من الأجزاء الصغيرة). وقد رآه الذهبى صاحب "سير أعلام النبلاء" المتوفى ٧٤٨هـ[٦].

تلك بعض الأمثلة أوردناها كنماذج لعدد من المفسرين البغداديين، غير أن أعظم هؤلاء المفسرين فى القرنين المذكورين هو محمد بن جرير الطبرى، وفيما يلى نبذة مختصرة عنه وثناء العلماء على تفسيره.

ابن جرير الطبرى وثناء العلماء على تفسيره:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبرى [٧]. ولد سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) فى

---

١) الفهرست ص ٣٢٠، تاريخ بغداد ٣٧٥/٩، طبقات المفسرين للداودى ٧٢/١، المقصد الأرشد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، لابن مفلح (مخطوط) ص ٢/ب، ص ٦٠/أ .

٢) تاريخ بغداد ٢٠٥/٢، وفيات الأعيان ٢٩٨/٤، سير أعلام النبلاء ٥٧٣/١٥-٥٧٥، طبقات الشافعية للسبكى ١٤٥/٣، ١٤٦.

٣) تاريخ بغداد ٢٠٥/٢، وفيات الأعيان ٢٩٨/٤.

٤) طبقات الشافعية ١٤٥/٣ - ١٤٦.

٥) تاريخ بغداد ٢٦٧/١١، طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٤، وانظر غاية النهاية لابن الجزرى ٥٨٨/١، لسان الميزان لابن حجر ٢٨٣/٤ - ٢٨٥.

٦) الذهبى: سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٦ - ٤٣٢.

٧) له ترجمة فى كثير من المصادر، ومنها على سبيل المثال: الفهرست ص ٣٢٦-٣٢٧، تاريخ بغداد ١٦٢/٢-١٦٩، معجم الأدباء (ترجمة مفصلة وطويلة) ٤٠/١٨-٩٤، وفيات الأعيان ١٩١/٤-١٩٢، سير =

مدينة آمل أكبر مدينة بطبرستان، وطلب العلم بعد سنة ٢٤٠هـ، وأكثر من الترحال، واستقر فى أواخر أمره ببغداد. وقد تبوأ مكانة علمية رفيعة وشهرة واسعة فى العالم الإسلامى فى عصره، جمع بين الكثير من العلوم الإسلامية، وله فيها مناقشات فى تصانيف تدل على إحاطته وتمكنه.

ويعد تفسيره "جامع البيان فى تفسير القرآن" من أجل كتب التفسير وأجمعها وأقومها وأغزرها مادة، أملاه من حفظه من سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) إلى سنة (٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)[١]، أى أنه استغرق فى تأليفه سبع سنين. والقارئ لهذا الكتاب يجد نفسه أمام ثروة هائلة من العلوم المختلفة التى انتظمتها مباحثه، بحيث «لو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوى على علم مفرد مستقصى لفعل» على حد تعبير الفرغانى صاحب كتاب "الصلة على تاريخ الطبرى "[٢]. ويقول الفرغانى أيضا معددا مزايا هذا التفسير: «تم من كتب محمد بن جرير كتاب تفسير القرآن، فجوده، وبين فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه، ومعانيه واختلاف أهل التأويل والعلماء فى أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصص وأخبار الأمم والقيامة، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب، كلمة كلمة، وآية آية»[٣]. وقال أحمد بن كامل البغدادى (المتوفى ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م): «اشتهر الكتاب وارتفع ذكره... وحمل مشرقا ومغربا، وقرأه كل من كان فى وقته من العلماء، وكل فضله وقدمه»[٤].

أما طريقة الطبرى ومنهجه الذى التزمه فى تفسيره فإننا نحيل فى ذلك إلى بعض البحوث والدراسات المتخصصة[٥]، ونكتفى بالقول بأن «ما جمعه ابن جرير الطبرى فى كتابه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه وما نقله لنا عن مدرسة ابن عباس ومدرسة ابن مسعود ومدرسة على بن أبى طالب ومدرسة أبى بن كعب، وما استفاده مما جمعه أئمة المفسرين من قبله جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة فى التفسير بالمأثور. كما أن ما جاء فيه من إعراب وتوجيهات

= أعلام النبلاء ١٤/٢٦٧-٢٨٢، طبقات الشافعية للسبكى ٣/١٢١-١٢٦، طبقات المفسرين للداودى ٢/١١٠-١١٧ وغيرها.

١) معجم الأدباء ١٨/ ص ٤٠.

٢) سير أعلام النبلاء ١٤/٢٧٣، طبقات المفسرين للداودى ٢/١١٤.

٣) طبقات المفسرين للداودى ٢/١١٤.

٤) معجم الأدباء ١٨/٦٢، وانظر ص ٤٣، طبقات المفسرين ٢/١١٤.

٥) من هذه الدراسات ما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبى فى "التفسير والمفسرون" الجزء الأول. وكتاب "الطبرى " للدكتور أحمد محمد الحوفى. وبحث منشور فى مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (العدد الرابع ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) بعنوان "وقفة مع الطبرى وتفسيره" للدكتور مساعد مسلم عبد الله آل جعفر.

لغوية واستنباطات فى نواح متعددة، وترجيح لبعض الأقوال على بعض كان نقطة التحول فى التفسير، ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأى»[١]. - أى الرأى المقبول - ويصح أن نعتبر تفسير الطبرى تحولا فى منهج التفسير، وأثرا بعيدا قطع به هذا العلم ما كان يربطه إلى علم الحديث من تبعية كاملة.

الاتجاه الثانى: التفسير بالرأى:

مفهومه: ويطلق "التفسيربالرأى " على: «تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيها فى القول، ومعرفة ألفاظ اللغة العربية ووجوه دلالاتها، ووقوفه على أسباب نزول القرآن والناسخ والمنسوخ ووجوه القراءات وتعليلها، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاجها المفسر»[٢].

انقسامه إلى ممدوح ومذموم: وقد اختلف علماء التفسير فى جواز تفسير القرآن بالرأى، ووقفوا بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين عرض لهما الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبى بالتفصيل، وذكر أدلة الموافقين والمعارضين، ثم انتهى من بحثه إلى تقسيم التفسير بالرأى إلى قسمين:

القسم الأول: ممدوح جائز، وهو الذى يجرى على موافقة كلام العرب ومناحيهم فى القول مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة سائر شروط التفسير. وهذا النوع هو المقصود بالتعريف السابق.

والقسم الثانى: مذموم غير جائز، وهو الذى لا يجرى على قوانين اللغة العربية ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير. وهذا هو الذى يرمى إليه كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ يقول: «إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأول القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه». فهذا ونحوه - والكلام للذهبى - وارد فى حق من لا يراعى فى تفسير القرآن قوانين اللغة العربية ولا أدلة الشريعة، جاعلا هواه رائده، ومذهبه قائده[٣].

وقد بدأ التفسير بالرأى الجائز مبكرا لم يخرج عن قانون اللغة، ولم يتخط حدود الشريعة، وظل محتفظا بهذه السمة إلى أن قامت الفرق المختلفة وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووجد

---

١) محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٢٢.

٢) محمد حسين الذهبى: المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٥، حضارة العراق ج ٧ ص ٦٠، وراجع أيضا بحثا للدكتور عبد الله إبراهيم الوهبى بعنوان "التفسير بالأثر والرأى وأشهر كتب التفسير فيهما" - مجلة البحوث الإسلامية / الرياض / العدد السابع (١٤٠٣هـ) ص ٢١٠.

٣) محمد حسين الذهبى: المرجع نفسه ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة، وكان القرآن هو هدفهم الأول الذى يقصدون إليه جميعا، كل يبحث فى القرآن ليجد فيه ما يقوى رأيه ويؤيد مذهبه، ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادفه منها تأويلا يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضة معه. ومن هنا بدأ التفسير بالرأى المذموم[١].

المفسرون من المعتزلة (نماذج على التفسير بالرأى المذموم):

وأكثر التفاسير من هذا النوع تنسب إلى المعتزلة والشيعة، ويمكن تسميته "بالتفسير المذهبى"، ويعنى - فى عبارة مختصرة - أن كل فرقة تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها، وتفسره بما يتلائم مع مذهبها.

ولعل أقدم تفسير ينسب إلى المعتزلة هو "تفسير" واصل بن عطاء البصرى المعتزلى (المتوفى ١٨١هـ/٧٩٧م)، وهو أول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين (أحد أصول المعتزلة)، واسم كتابه "معانى القرآن"[٢].

• **وفى القرن الثالث الهجرى:** صنف عبد الرحمن بن كيسان بن الأصم أبو بكر المعتزلى (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م) تفسيرا، ذكره ابن النديم فى "الفهرست"[٣]، وذكره القاضى عبد الجبار المعتزلى فى "طبقات المعتزلة" وقال عنه: «تفسير عجيب»[٤].

وأهم تفاسير المعتزلة فى **القرن الرابع الهجرى** هو "تفسير" أبى على الجبائى (المتوفى ٣٠٣هـ/٩١٥م) محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد ابن أبى السكن البصرى، أحد أكابر شيوخ المعتزلة، كانت له شهرة واسعة فى الفلسفة وعلم الكلام. وتفسيره هذا ذكره ابن النديم والسيوطى وغيرهما[٥]. وقال فيه ابن كثير: «تفسير حافل مطول، له فيه اختيارات غريبة فى التفسير»[٦]. ثم ذكر ابن كثير عن هذا التفسير أنه لأبى الحسن الأشعرى (وكان قبل رجوعه عن الاعتزال تلميذا للجبائى) ردا عليه.

---

١) محمد حسين الذهبى: المرجع نفسه ج ١ ص ٣٦٣- ٣٦٤.

٢) وفيات الأعيان ج ٦ ص ١١، طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٣٥٧، لسان الميزان لابن حجر ج ٦ ص ٢١٤-٢١٥.

٣) الفهرست ص ٥١.

٤) طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٥، لسان الميزان لابن حجر ج ٣ ص ٤٢٧.

٥) الفهرست ص ٥١، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٣، طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ١٩١-١٩٢، وانظر لسان الميزان ج ٥ ص ٢٧١.

٦) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ١٦١ (طبع دار الغد العربى).

قلت: وهذا الرد ذكره أبو الحسن الأشعرى فى مقدمة تفسير له يسمى "المختزن"، وهو مفقود. ومن قوله فيه (كما نقل عنه الحافظ ابن عساكر الدمشقى): «ورأيت الجبائى ألف فى تفسير القرآن كتابا أوله على خلاف ما أنزل الله عز وجل، وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجبى، وليس من أهل اللسان الذى نزل به القرآن، وما روى فى كتابه حرفا عن أحد من المفسرين، وإنما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه، ولولا أنه استغوى بكتابه كثيرا من العوام واستنزل به عن الحق كثيرا من الطغام لم يكن لتشاغلى به وجه»[١].

وممن صنف فى الرد على تفسير الجبائى: أبو على الفارسى (الحسن بن أحمد) نزيل بغداد (المتوفى ٣٧٧هـ/٨٩٠م) - وكان معاصرا للجبائى ودفنا فى مقبرة واحدة - فألف "كتاب التتبع لكلام أبى على الجبائى فى التفسير"[٢]، وكان أبو على الفارسى من أئمة اللغة والنحو.

أما عن منهج المعتزلة فى التفسير والمبادئ التى انتهجوها فجملة القول فى ذلك[٣] أنهم كانوا يحاولون التوفيق بين مذهبهم والقرآن، وأعطوا للعقل السلطان الواسع فى التفسير، مما حدا بهم إلى إنكار بعض الحقائق الدينية الثابتة عند جمهور أهل السنة، ولذا كان أهل السنة فى الفترة المذكورة - كابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وأبى الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤هـ) وهما من علماء بغداد - يشددون النكير على المعتزلة وينتقدون مسلكهم، واتهموهم بتحريف النصوص تمشيا مع المذاهب وميلا مع العقيدة، وأنهم لم يعنوا بالأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن السلف من الصحابة والتابعين، وإنما اعتمدوا على كلام أئمتهم وعولوا عليه[٤].

الاتجاه الثالث: التفسير اللغوى والبيانى:

ويراد باللغة هنا معناها العام ومفهومها الشامل، ويشمل كل نشاط يتصل بمفردات اللغة وتراكيبها وأساليبها. وقد عرفنا من قبل أن هذا النوع من التفسير ظهر مبكرا فى حدود منتصف القرن الثانى الهجرى [٥]، ثم أخذ ينمو وتتكاثر المؤلفات فيه مع مطلع القرن الثالث

---

١) ابن عساكر: تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ص ١٣٩ (نشر القدسى ١٣٤٧هـ).

٢) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٤١.

٣) راجع تفاصيل منهج المعتزلة فى التفسير كتاب "التفسير والمفسرون" لمحمد حسين الذهبى ج١ ص ٣٧٢ وما بعدها.

٤) راجع تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٨٠ - ٨٤، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى لابن عساكر (ص ١٣٩) [مطبعة القدسى ١٣٤٧هـ].

٥) راجع (ص ٧٠) من هذا المبحث.

الهجرى. ويمكن أن نضع تحت التفسير اللغوى كل التفاسير التى سميت ب "معانى القرآن" و"إعراب القرآن" و"غريب القرآن" وفيما يلى عرض لهذه الأنواع:

(أ) كتب معانى القرآن:

ويهتم أصحاب هذه التفاسير اهتماما تاما - على تفاوت فيما بينهم - بتحديد معنى كلمات القرآن وشرح مدلول المفردات واشتقاقاتها، والاستشهاد على هذه المعانى بكثير من الشواهد الشعرية من لغة العرب، إلى جانب العناية بوجوه الإعراب، وبيان الآراء النحوية من بصرية وكوفية وغيرها، والترجيح بين بعض هذه الآراء، واهتموا أيضا بذكر القراءات المختلفة وتوجيهها لغويا مع بيان الشاذ منها، كما اهتموا ببيان الإعجاز البيانى لأساليب القرآن ونظمه، وربما تعرضوا لأسباب نزول الآيات والناسخ والمنسوخ وبعض الأحكام الفقهية والمسائل الكلامية، وعزو بعض أقوال التفسير إلى أئمة الصدر الأول من الصحابة والتابعين.

وقد اتسع التأليف لهذا الصنف من الكتب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، ويطول المقام لو أخذنا فى تعداد الإنتاج (البغدادى /المشرقى) فى "المعانى "، ونكتفى بذكر نموذجين من كل قرن، ثم نحيل إلى المصادر لمعرفة المزيد من هذه المؤلفات:

ففى القرن الثالث:

١ - "معانى القرآن" للفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، أملاه فى بغداد فى حضور جمع كبير من الناس كان من الصعب ضبط عددهم لكثرتهم. والكتاب يقع فى أربعة أجزاء كما يقول ياقوت الحموى. ويقول ثعلب: «لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه». ومما يدل على أهمية كتاب الفراء والمكانة العلمية الرفيعة لمؤلفه أنه حينما فرغ من إملائه منعه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به، واشترطوا على من أراد نسخة منه أن ينسخوا كل خمسة أوراق بدرهم، فشكى الناس إلى الفراء فدعا الوراقين وكلمهم فى ذلك فأبوا عليه، فأعلن أنه سيملى كتابا فى "معانى القرآن" أتم شرحا وأبسط قولا من الأول، فأملى فى "الحمد" - أى من سورة الفاتحة - مائة ورقة. فلما رأى الوراقون ذلك أتوا إليه، واتفقوا معه على أن ينسخوا كل عشر ورقات بدرهم[1].

ومنها:

٢ - "معانى القرآن" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/

---

١) الفهرست ص ٥٢، تاريخ بغداد ١٤/١٥٠-١٥١، معجم الأدباء ٢٠/١٢-١٣، وفيات الأعيان ٦/١٧٦-١٨١، بغية الوعاة ٢/٣٣٣، طبقات المفسرين للداودى ٢/٣٦٧-٣٦٩.

٨٣٧م)، قال عنه الخطيب البغدادى: «جمع فيه بالآثار وأسانيدها وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء». واستفاد من كتب سابقيه فى معانى القرآن، أمثال قطرب والأخفش والكسائى والفراء[١].

وفى القرن الرابع: "معانى القرآن" للزجاج إبراهيم بن السرى بن سهل البغدادى (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م)، استغرق فى تأليفه وإملائه ست عشرة سنة[٢]، وعنى العلماء به فشرحه اثنان من البغداديين، هما الرمانى (على بن عيسى الوراق المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م)[٣] والسيرافى يوسف بن الحسن (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٤].

وأهم ما يميز كتاب الزجاجى: التخريج النحوى للآيات التى تحتاج إلى إيضاح نحوى، وذلك ببيان الأوجه العديدة المحتملة التى يمكن أن تكون عليها الجملة القرآنية، والمعنى الذى تنتهى إليه، وإذا كان ثمة قراءة ذكرها. وكان منهجه الأساسى هو المنهج اللغوى، وهو المنهج الذى نال به مكانته بين اللغويين والمفسرين. وفى حديثه عن الإعجاز القرآنى لم يعن بالجانب البلاغى كثيرا، ولم يلتفت إلى ما فى الآية القرآنية من حسن التعبير أو جمال التركيب أو اختيار اللفظ، ولكنه يعنى بتوضيح المعنى المستفاد من التركيب والتعبير الذى يمكن أن تكون عليه الجملة لو قدم فيها اللفظ أو أخر أو جئ بكلمة غير التى جاءت. وبجانب هذا المنهج اللغوى كان للزجاج وقفات مع ذوى المذاهب الشاذة كالرافضة، وأبان عن مذهب أهل السنة، وكانت له وقفات فقهية، ولكنها ليست مستفيضة. مع عنايته بالمأثور من التفسير[٥].

وفى القرن نفسه صنف ابن درستويه عبد الله بن جعفر نزيل بغداد (المتوفى ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) ثلاثة كتب فى المعانى، هى "معانى القرآن" و"الرد على الفراء فى المعانى " و"التوسط بين الأخفش وثعلب فى معانى القرآن"[٦].

---

١) تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢، معجم الأدباء ٢٦٠/١٦، بغية الوعاة ٣٥٢/٢.

٢) الفهرست ص ٥٢، تاريخ بغداد ٨٩/٦، معجم الأدباء ٢٢/١، وفيات الأعيان ٤٩/١، طبقات المفسرين ٩/١-١١، بغية الوعاة ٤١١/١ - ٤١٢.

٣) معجم الأدباء ٧٥/١٢.

٤) وفيات الأعيان ٧٣/٧.

٥) راجع المقال الذى كتبه دكتور عبد الجليل شلبى عن "الزجاج وكتابه معانى القرآن وإعرابه - مجلة الأمة - العدد ٣٣ سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م / ص ٦٨ - ٧١.

٦) الفهرست ص ٥٢، وفيات الأعيان ٤٥/٣، طبقات المفسرين للداودى ٢٣٠/١.

وهناك كتب أخرى كثيرة فى "معانى القرآن" لعلماء بغداديين فى القرنين الثالث والرابع[١]، لكن الذى يؤسف له أنها مفقودة إلا كتاب "معانى القرآن وإعرابه" للزجاج، وقد عرضنا له باختصار شديد.

(ب) كتب إعراب القرآن:

وهذه الكتب لم تظهر إلا فى القرن الثالث الهجرى، ويرجع ذلك إلى سببين[٢]:

الأول: أن أصول النحو العربى لم تكتمل إلا فى نهاية القرن الثانى الهجرى، ويحتاج من يتصدى لإعراب القرآن إلى أن يحيط علما بكل تفاصيل النحو وأصوله.

الثانى: أن كتب "معانى القرآن" كانت تجمع بين الشرح العام والإعراب وكان بعضها يجمع حتى فى عنوانه بين لفظة "المعانى " ولفظة "الإعراب" مثل كتاب "معانى القرآن وإعرابه" للزجاج المذكور آنفا.

وما من شك فى أن من فوائد هذا النوع الذى عنى بالقرآن: معرفة المعنى، لأن الإعراب يميز المعانى، ولذا كان على من يتصدى لإعراب القرآن أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب، وهذا يجعلنا نرجح أن هذه المؤلفات - وإن كان أصحابها ركزوا بالدرجة الأولى على وجوه الإعراب متتبعين آية آية - فإنها لا تخلو من ذكر المعانى اللغوية وبعض وجوه القراءات وتعليلها.

ومن أشهر الذين صنفوا فى "إعراب القرآن" من العراقيين فى القرنين الثالث والرابع الهجريين:

فى القرن الثالث: قطرب: محمد بن المستنير البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٦هـ/٨٢١م)[٣]. وأبو حاتم السجستانى البصرى [نزيل بغداد] (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م)[٤]. وابن قتيبة: عبد الله ابن مسلم البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م)[٥]. والمبرد: محمد بن المستنير بن عبد الأكبر

---

١) راجع مزيدا من هذه المؤلفات: الفهرست ص ٥٠، ٥٢، تاريخ بغداد ٢٠٦/٢، ٢٤٣، ٣٨١/٣، طبقات الزبيدى ص ٧٣، وفيات الأعيان ٣٨٠/٢ - ٣٨١، ٤٥/٣، معجم الأدباء ٢٢/١، ٢٢٩/١١-٢٣٠، ١٤٢/١٧، ١٣٩، ١٥٠/١٨، إنباه الرواه للقفطى ٣٦/٢، بغية الوعاة ٩٦/١-٩٩، ١٠٧، ١٣١، ١٩١ -١٩٣، ٢٥١، ٢٥٣-٣٥٤، ٣٦/٢، ٥٨-٥٩، ١٩٥، ٢٦٩.

٢) موسوعة حضارة العراق ج ٧ (ص ٥٦).

٣) الفهرست ص ٧٩، معجم الأدباء ج ١٩ ص ٥٣، بغية الوعاة ٢٤٣/١، طبقات المفسرين للداودى ٢٥٦/٢.

٤) معجم الأدباء ٢٦٥/١١، وفيات الأعيان ٤٣٢/٢.

٥) طبقات المفسرين للداودى ٢٥١/١.

البصرى (سكن بغداد) المتوفى (٢٨٥هـ/٨٩٨م)[١].

وفى القرن الرابع: نفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطى نزيل بغداد (المتوفى ٣٢٣ هـ/٩٣٤م)[٢]. والحسين بن أحمد بن خالويه البغدادى (المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، له كتاب "إعراب ثلاثين سورة"[٣].

(ج) كتب غريب القرآن[٤]:

ويعنى أصحاب كتب غريب القرآن بالدرجة الأولى عناية تامة بتحديد معنى الكلمات وشرح مدلول المفردات الغريبة فى آيات القرآن الكريم، مع الاستشهاد عليها بالشعر كما أوضح السيوطى فى كتابه "الإتقان"، ونقل قول ابن عباس: «إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[٥]. ولذا كان من الضرورى لمن يخوض فى مثل هذا الفن أن يكون واسع العلم باللغة؛ فبها يعرف شرح مدلولات الألفاظ بحسب الوضع، ولا يكفى معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو - أى المفسر - يعلم أحد المعنيين والمراد هو الآخر[٦].

ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم يفهمون ألفاظ القرآن ومدلولاتها، فإذا غرب منها شئ سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب. ولكن حين اتسعت رقعة الإسلام ودخل فيه الأعاجم، وتعلموا شيئا من العربية نشأت أجيال جديدة بعد حين وجدت فى ألفاظ القرآن ما يغرب عليهم بحكم أعجميتها، فاحتاجت إلى من يفسرها، فبدأ العلماء يهتمون بذلك، وصنفوا كتبا فى غريب القرآن، وفى غريب الحديث النبوى.

وإذا تجاوزنا ابن عباس - وهو أول من تكلم فى الغريب - نجد أن أول من صنف فى هذا الفن: أبان بن تغلب الكوفى (المتوفى ١٤١هـ/٧٥٨م)[٧]. ويليه مؤرج بن عمرو السدوسى

---

١) الفهرست ص ٨٨، طبقات المفسرين للداودى ٢/٢٧١.

٢) طبقات المفسرين للداودى ١/٢١-٢٣.

٣) الفهرست ص ٥٣، طبقات المفسرين للداودى ١/١٥١ - ١٥٢.

٤) الغريب هو الغامض من الكلام. وغريب القرآن: ما وقع فى القرآن من مفردات غامضة بعيدة عن الفهم لقلة استعمالها. وليس المراد بالغريب الوحشى من الكلام المخل بالفصاحة، لأن القرآن منزه عن ذلك، فهو أفصح كتاب وأسمى بيان. [لسان العرب لابن منظور - مادة (غرب)].

٥) الإتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ١٥٧.

٦) الإتقان ج ٢ ص ٢٣١.

٧) حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ٢/١٢٠٧.

النحوى البصرى (المتوفى حدود ١٩٥هـ/٨١٠م) وهو من أعيان الخليل بن أحمد الفراهيدى، وكان بخراسان ثم قدم بغداد مع المأمون العباسى [١]. ثم تتابعت التصانيف مع مرور الزمن وغزرت حتى قال السيوطى: «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون»[٢].

ففى القرن الثالث: أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى (المتوفى ٢٠٨هـ/٨٢٣م) [أقدمه الرشيد بغداد سنة ١٨٨هـ/٨٠٣م][٣]. والأصمعى عبد الملك بن قريب البصرى (المتوفى ٢١٦هـ/٨٣١م) نزيل بغداد[٤]. وأبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م)[٥]. وابن قتيبة البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م)[٦]. وأبو العباس ثعلب الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٩١هـ/٩٠٣م)[٧]. وغير هؤلاء من علماء هذا القرن[٨]. وكلهم من أئمة النحو واللغة والبيان.

وفى القرن الرابع الهجرى: كتاب "غريب القرآن" لابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البصرى المقيم ببغداد (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م)[٩]، وكتاب "غريب القرآن " لنفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة الأسدى الموصلى ساكن بغداد (المتوفى ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)[١٠]. وكتاب "نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن" للعزيزى: محمد بن عزيز السجستانى نزيل بغداد (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)، استغرق فى تأليفه وتحريره خمس عشرة سنة – هو وشيخه أبو بكر بن الأنبارى البغدادى [١١].

---

١) الفهرست ص ٧١، تاريخ بغداد ٢٥٨/١٣، بغية الوعاة ٣٠٥/٢، وفيات الأعيان ٢٣٨/٥، طبقات المفسرين للداودى ٣٤٠/٢ – ٣٤١.

٢) الإتقان فى علوم القرآن ١٤٩/١.

٣) الفهرست ص ٥٢، تاريخ بغداد ٢٥٢/١٣، وفيات الأعيان ٢٣٨/٥، معجم الأدباء ١٦٠/١٩، طبقات المفسرين للداودى ٣٢٧/٢.

٤) بغية الوعاة ١١٣/٢، طبقات المفسرين ٣٦١/٢.

٥) الفهرست ص ٥٢، معجم المؤلفين ٢٥٥/١٦، وفيات الأعيان ٦١/٤، طبقات المفسرين ٣٨/٢.

٦) تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، وفيات الأعيان ٤٢/٣، بغية الوعاة ٦٣/٢، طبقات المفسرين للداودى ٢٥١/١.

٧) ابن النديم: الفهرست ص ١١١، طبقات المفسرين ١٩٨/١.

٨) راجع مزيدا من هذه الكتب: تاريخ بغداد ١٩٨/١٠ – ١٩٩، طبقات المفسرين للداودى ٢٥٧/١ – ٢٥٨، ١٩٥/٢، ١٥٦ – ١٥٧، معجم الأدباء ج ٧ ص ١٣، ج ١٨ ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

٩) الفهرست ص ٩٢، معجم الأدباء ١٣٦/١٨، وفيات الأعيان ٢٢٤/٤، بغية الوعاة ٧٨/١، طبقات المفسرين ١٢٤/٢.

١٠) الفهرست ١٢١، تاريخ بغداد ١٥٩/٦، معجم الأدباء ٢٧٢/١، الداودى ٢٣/١.

١١) الإتقان فى علوم القرآن ١٤٩/١، بغية الوعاة ١٧١/١، الوافى بالوفيات للصفدى ٩٥/٤، فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ٦١.

والطريقة التى اتبعها مصنفو هذه الكتب هى أحد سبيلين: إما السير على ترتيب السور حسب تسلسلها فى المصحف الشريف كما فعل ابن قتيبة (٢٧٦هـ/٨٨٩م). أو السير على ترتيب الحروف الأبجدية على طريقة المعاجم اللغوية كما فعل العزيزى. وبعض هذه الكتب موجزة، وبعضها الآخر مفصل، وبعضها الثالث كثير التفصيل.

وننتقل الآن إلى الحديث عن الاتجاه الرابع والأخير من اتجاهات علم التفسير، وهو الاتجاه الفقهى.

الاتجاه الرابع: التفسير الفقهى:

ويهتم أصحاب هذا الاتجاه بالأحكام الفقهية التى وردت فى القرآن الكريم. ولم يظهر التأليف فى "أحكام القرآن" إلا فى نهاية القرن الثانى الهجرى وفى العقد الأخير منه. والسبب يرجع إلى أن هذا الاتجاه ارتبط ارتباطا ظاهرا بالمذاهب الفقهية، وهذه المذاهب - المشهور منها على الأقل - لم تتكامل إلا فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى.

ويعد كتاب "أحكام القرآن" للإمام محمد بن إدريس الشافعى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م) من أوائل هذه الكتب[١]. وصنف معاصره يحيى بن آدم بن سليمان الكوفى القرشى (المتوفى ٢٠٣هـ/ ٨١٨م) كتابا يحمل العنوان نفسه[٢]، ثم صنف المقرئ أبو عمر الدورى (نسبته إلى الدور: موضع بالجانب الشرقى ببغداد) (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦م) كتابا فى "أحكام القرآن" [٣]. وصنف أيضا فى الموضوع نفسه كل من الفقيه الشافعى إبراهيم بن خالد الكلبى البغدادى (المتوفى ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[٤]، والفقيه الظاهرى داود بن خلف الأصبهانى البغدادى المعروف بداود الظاهرى (المتوفى ٢٧٠هـ/٨٨٣م)[٥]، وإسماعيل بن إسحق الأزدى المالكى قاضى بغداد (المتوفى ٢٨٢هـ/٨٩٥م) وعن كتابه يقول الخطيب البغدادى: «لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله»[٦]. وسماه ابن النديم: "أحكام القرآن على مذهب مالك" [٧]. وهذا الكتاب نقله الأندلسيون إلى قرطبة، وسيأتى الحديث عن ذلك فى بابه[٨].

---

١) الفهرست ص ٥٧، طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ١٠٣.
٢) الفهرست ص ٥٧، طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٣٦٢.
٣) طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦.
٤) الفهرست ص ٥٧.
٥) الفهرست ص ٥٧، طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٧٣.
٦) تاريخ بغداد ٢٨٦/٦، طبقات المفسرين للداودى ١٠٧/١.
٧) الفهرست ص ٥٧.
٨) سيأتى الحديث عن ذلك (ص ٥٤٧).

ومن أشهر كتب التفسير الفقهى التى تنتمى إلى المذهب الحنفى - فى القرن الرابع الهجرى - كتاب "أحكام القرآن" لأبى بكر الرازى الجصاص (نسبة إلى عمل الجص) أحمد بن على (المتوفى ٣٧٦هـ/٩٨٦م)، كان إمام الحنفية، واستقر له التدريس ببغداد[١].

ويعد هذا الكتاب من أهم كتب التفسير الفقهى، خصوصا عند الحنفية، لأنه يقوم على تركيز منهجهم والترويج له، وهو يعرض لسور القرآن كلها، ولكنه لا يتكلم إلا عن الآيات التى لها تعلق بالأحكام فقط، وهو - وإن كان يسير على ترتيب سور القرآن - مبوب كتبويب كتب الفقه، وكل باب من أبوابه معنون بعنوان تندرج فيه المسائل التى يتعرض لها المؤلف فى هذا الباب[٢].

ثالثا: جهود البغداديين فى دراسة جوانب أخرى من علوم القرآن:

وقد وجه علماء بغداد - خلال القرنين (فترة الدراسة) - عنايتهم إلى دراسة جوانب أخرى عديدة من جوانب القرآن الكريم، أهمها "المحكم والمتشابه من القرآن" و"مشكل القرآن" و"الناسخ والمنسوخ" و"أسباب النزول"، وغير ذلك من الجوانب التى أصبحت علوما ولها مؤلفات.

(أ) وأول من صنف فى علم "متشابه القرآن"[٣] - بحسب ما لدينا من معلومات - هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدى الخراسانى البلخى نزيل بغداد والمتوفى بها (سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م). ويليه فى التصنيف حمزة بن حبيب القارئ الكوفى (المتوفى ١٥٦هـ/٧٧٢م) وكلاهما

---

١) الفهرست ص ٥٧، طبقات المفسرين للداودى ج ١/٥٦.

٢) راجع عن هذا التفسير بشئ من التفصيل: كتاب "التفسير والمفسرون" لمحمد حسين الذهبى ٣/ ١٠٤ - ١٠٦، وكتاب "مباحث فى علوم القرآن" لمناع القطان ص ٣٧٧ (مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

٣) ينقسم القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه، لقوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران/الآية ٧]. وهذا التقابل بين المحكم والمتشابه حمل العلماء المسلمين على تعريف كل منهما، فكثرت آراؤهم فى هذا الموضوع، وقد أفاض السيوطى فى ذكر هذه الآراء فى كتابه (الإتقان ٢ / ٣-٥)، وكلها تؤول - دون الدخول فى تفاصيل - إلى أن (المحكم) هو الذى يدل على معناه بوضوح لا خفاء فيه. وأما المتشابه فهو: الذى يخلو من الدلالة الراجحة على معناه. ووضوح الدلالة فى المحكم يغنى عن البحث فيه. ولكن خفاء المتشابه جدير بأن يشغل العلماء لكى يعرفوا به ويتبعوه حتى لا نتبعه كالذين فى قلوبهم مرض، ولذا عنوا بالتصنيف فيه وكشف الشبهات حوله.

صنف كتابا يحمل عنوان "متشابه القرآن" [١]. ثم تتابعت المؤلفات فى هذا العلم خلال القرنين الثالث والرابع، فصنف محمد بن المستنير أبو على البصرى اللغـــوى المعروف بقطرب (المتوفى ٢٠٦هـــ/٨٢١م) كتابين هما: متشابه القرآن" و"الرد على الملحدين فى متشابه القرآن" [٢]. وفى القرن الرابع صنف فى العلم نفسه كل من أبى على الجبائى البصرى شيخ المعتزلة فى عصره (المتوفى ٣٠٣هـــ/٩١٥م) وأحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى البغدادى (المتوفى ٣٦٨هـــ/٩٧٨م)[٣].

(ب) ولدينا أسماء ثلاثة من علماء بغداد صنفوا فى علم "مشكل القرآن" [٤]، وهم بحسب الترتيب التاريخى:

١ - يحيى بن زياد بن عبد الله، أبو زكريا الفراء الكوفى النحوى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٧ هـــ/٨٢٢م)، له كتابان فى "مشكل القرآن" كبير وصغير[٥].

٢ - ابن قتيبة الدينورى البغدادى: عبد الله بن مسلم (المتوفى ٢٧٦هـــ/٨٨٩م)،واسم كتابه "تأويل مشكل القرآن"، وهو من أهم الكتب فى هذا الباب[٦].

٣ - أبو بكر الأنبارى محمد بن القاسم النحوى البغدادى (المتوفى ٣٢٧هـــ/٩٣٨م)، بلغ فيه إلى سورة (طه) و لم يتمه، وأملاه فى عدة سنين، وله أيضا رسالة فى "المشكل" رد فيها على كتاب ابن قتيبة وابن أبى حاتم السجستانى [٧].

---

١) الفهرست ص ٥٥، تاريخ بغداد ١٦٠/١٣-١٦٩، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٠/٢ - ٣٣١.

٢) الفهرست ص ٥٧، ٧٩، معجم الأدباء لياقوت ٥٢/١٩ - ٥٣، وفيات الأعيان ٣١٢/٤، طبقات المفسرين للداودى ٢٥٦/٢. وراجع عن أعلام أخرى صنفوا فى متشابه القرآن فى القرن الثالث - راجع الفهرست ص ٥٥، ٥٧، طبقات الداودى ١١٧/١.

٣) الفهرست ص ٥٥، طبقات المفسرين للداودى ١٩١/٢.

٤) يقال: أشكل الأمر: التبس واختلط ومنه قيل للأمر المشتبه (مشكل) [لســـان العرب - شكل]. وفى الاصطلاح: «ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم". والأصل فى كتاب الله تعالى أنه منزه عن ذلك لقوله:﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [سورة النساء / الآية (٨٢)]. ولكن قد يقع للبعض ما يوهم اختلافا وليس فى الحقيقة اختلاف أو تعارض، فاحتيج لإزالته، ومن ثم أفرد علماء الشريعة هذا النوع من علوم القرآن بالتصنيف - انظر أعلى.

٥) تاريخ بغداد ١٥٠/١٤.

٦) تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، وفيات الأعيان ٤٢/٣. والكتاب مطبوع بتحقيق السيد أحمد صقر، وقدم له بمقدمة ذكر فيها منهج ابن قتيبة وسبب تأليف الكتاب، وطريقته فى الرد على حجج المشككين والطاعنين/ الطبعة الثالثة، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م.

٧) تاريخ بغداد ١٨٤/٣، معجم الأدباء ٣١٢/١٨، طبقات المفسرين للداودى ٢٣١/٢.

(ج) ومن مصنفات البغداديين فى "علم الناسخ والمنسوخ"[١]. كتاب "الناسخ والمنسوخ فى الكتاب العزيز" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٥٨م)[٢]، قسمه على أبواب الفقه، وامتاز بمزايا عدة من حيث جودة التصنيف وحسن التبويب والأمانة العلمية ودقة المناقشة والنقد البناء[٣].

وفى القرن الرابع الهجرى صنف فى "ناسخ القرآن ومنسوخه" كل من محمد بن عثمان بن مسبح البغدادى المعروف بالجعد (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م)[٤]، والحسين بن على البصرى البغدادى (المتوفى ٣٦٩هـ/٩٧٩م)، وهو من رءوس المعتزلة[٥].

(د) وفى "أسباب النزول": لا نكاد نعثر على كتاب واحد فيه لعالم بغدادى غير كتاب "أسباب النزول" لأبى جعفر على بن عبد الله بن جعفر البغدادى المعروف بابن المدينى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م) وهو من شيوخ البخارى [٦].

(هـ) وفى "إعجاز القرآن": صنف كل من محمد بن عمر بن سعيد الباهلى البصرى (المتوفى ٣٠٠هـ/٩١٢م) من كبار المعتزلة[٧]. وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى البغدادى المعتزلى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م)[٨]، وأبو بكر الباقلانى محمد بن الطيب البغدادى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م) وكتابه مشهور. وصنف الجاحظ عثمان بن عمرو البصرى البغدادى المعتزلى (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م) كتابا فى "نظم القرآن" بين فيه أسرار الإعجاز البيانى [٩]. ومثله أيضا لأبى بكر بن أبى داود المحدث البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)[١٠].

---

١) النسخ لغة: الإزالة والنقل. وفى اصطلاح العلماء: "رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه"، ويسمى هذا الدليل بالناسخ، ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ، ويسمى هذا الرفع بالنسخ (د. عبد الكريم زيدان: الوجيز فى أصول الفقه ص ٣٨٨ - مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م).

٢) الفهرست ص ٥٦، معجم الأدباء ٢٦/١٦، طبقات الداودى ٣٨/٢.

٣) راجع المقدمة التى كتبها محمد صالح المديفر فى مقدمة تحقيقه لكتاب أبى عبيد فى الناسخ والمنسوخ، وقد أفاض فى الحديث عن منهج الكتاب ومحاسنه (مكتبة الرشد بالرياض - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ/١٩٩٠م).

٤) تاريخ بغداد ٤٧/٣، طبقات الداودى ١٩٥/٢.

٥) طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٢١، طبقات الداودى ١٥٩/١.

٦) د. صبحى الصالح: مباحث فى علوم القرآن ص ١٨، د. محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن ص ١٢٢.

٧) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢١٩.

٨) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٧٥.

٩) طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ١٦.

١٠) طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٣٧.

(و) وفى "أمثال القرآن": صنف كل من الجنيد بن محمد الخزاز البغدادى (المتوفى ٢٩٨ هـ/٩١٠م) من أعلام الصوفية فى وقته[١]. ونفطويه إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطى نزيل بغداد (المتوفى ٣٢٣هـ/٩٣٤م)[٢].

(ز) وفى "جوابات القرآن": سفيان بن عيينة الكوفى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م)[٣] ثم الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م)[٤].

(ح) وفى "فضائل القرآن": كل من أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م)[٥]، ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، والمقرئ البغدادى حفص بن عمرو الدورى (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م)[٦].

(ط) وفى "لغات القرآن" صنف العراقيون كتبا كثيرة، منها "لغات القرآن" للفراء (كوفى نزل بغداد - توفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م)[٧]، و"لغات والقرآن" لأبى زيد الأنصارى (المتوفى ٢١٥ هـ/٨٣٠م)[٨]، ومثله لابن دريد البصرى المقيم ببغداد (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م)[٩].

ومن الموضوعات التى لها صلة بعلوم القرآن وأفردها العراقيون بالتصنيف: "المفسر والمجمل فى القرآن" [١٠]، و"نظائر القرآن" [١١]، و"نكت القرآن" [١٢]، و"الأبواب فى القرآن" [١٣]، و"ما اتفقت ألفاظه ومعانيه فى القرآن" [١٤]، و"المسائل فى القرآن"[١٥]، والمقدم والمؤخر فى كتاب الله تعالى [١٦]، وغيرها. وهذه مؤلفات لا نعرف عنها غير أسمائها.

---

١) الفهرست ص ٢٦٤، طبقات المفسرين ج ١ ص ٢١٩ - ١٣٠.
٢) طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٢٣.
٣) طبقات المفسرين ج ١ ص ١٩٨.
٤) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٧٥، طبقات المفسرين ج ١ ص ٧٢، المقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) ص ٦٠/أ.
٥) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٣٩.
٦) طبقات المفسرين ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦.
٧) الفهرست ص ٥٣.
٨) الفهرست ص ٥٣، طبقات المفسرين للداودى ١٨٦/١ - ١٨٧.
٩) الفهرست ص ٥٣.
١٠) طبقات المفسرين ج ١ ص ١٧٣.
١١) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٣٣١.
١٢) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢٨١.
١٣) وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٨١، طبقات المفسرين ٣٦٨/٢.
١٤) الفهرست ص ٥٥، معجم الأدباء ٢١٦/١٠ -٢١٧، تاريخ بغداد ٢٠٩/٦، طبقات المفسرين ٢٥/١-٢٦.
١٥) طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ١٦.
١٦) المقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) ص ٢/ب، ٦٠/ب.

تعقيب:

تلك هى أهم جهود البغداديين - والعراقيين عامة - فى مجال علوم القرآن. ونود فى ختام هذا العرض أن نسجل النتائج التالية:

(١) لقد ساهم علماء بغداد - أو من نزلها من علماء المدن الأخرى للإقامة فيها أو لتحصيل العلم بها - مساهمة فعالة - وكان لهم القدح المعلى - فى خدمة علوم القرآن وتأصيلها، واتضح من خلال عرضنا السابق أن الاتجاه إلى التأليف فى هذه العلوم ظهر كأقوى ما يكون فى مدينة بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

(٢) وكان من الواضح أن علماء اللغة والنحو ساهموا بنصيب وفير فى تدوين علوم القرآن على اختلاف تنوعها، خصوصا فى مجال القراءات وتعليلها وفى مجال التفسير اللغوى للقرآن. وليس عجيبا أن يكون لعلماء اللغة تلك الجهود العلمية فى هذا المجال، لأن العلماء الأوائل عرفوا بالتبحر والتمكن فى علوم مختلفة، فكان الواحد منهم يوصف بكونه لغويا نحويا قارئا مفسرا. .. الخ، وهذه ظاهرة علمية متأصلة فى الفترة التى نؤرخ لها.

(٣) إننا - وإن كنا نركز فى عرضنا التاريخى لعلوم القرآن على مدينة بغداد وبيان دور علمائها الأصلاء (أى الذين ينعتون بالبغداديين) - فإننا عمدنا إلى رصد جهود علماء كل من البصرة والكوفة بوجه خاص ممن نزلوا بغداد لفترة من الزمن أو اتخذوها دارا ومسكنا، وهم كثيرون، كالكسائى والفراء وأبى حاتم السجستانى وأبى عبيدة معمر بن المثنى وقطرب وأبى العباس ثعلب وغيرهم. وهؤلاء جميعا كان لهم إنتاج غزير فى علوم القرآن أثروا به المدرسة البغدادية فى الفترة المذكورة، ولا سيما العلوم التى لها صلة باللغة كالقراءات وعلم الوقف والابتداء والتفسير اللغوى للقرآن (كتب معانى القرآن، وكتب غريب القرآن، وكتب إعراب القرآن).

(٤) ونعيد ما سبق أن قررناه فى مطلع هذا المبحث أن علماء (بغداد/المشرق) الذين صنفوا فى علوم القرآن خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين سلكوا فى مصنفاتهم طريقة الاستيعاب لأجزاء الأنواع التى ألفوا فيها؛ أى أنهم أفردوا كل علم من هذه العلوم بالتأليف، ولم يظهر خلال تلك الفترة كتاب جامع لكل تلك الأنواع كما فعل السيوطى مثلا (المتوفى ٩١١هـ) فى فترة متأخرة فى كتابه "الإتقان فى علوم القرآن".

(٥) إن كثيرا من المصنفات التى ذكرناها فى علوم القرآن قد امتدت إليها يد الضياع، وتناثر بعضها فى بطون الكتب، وبعضها وصل إلى قرطبة وشاركت هناك فى تكوين نهضة العلوم الدينية، بل والحركة الثقافية بوجه عام، وسيتضح ذلك جليا فى بابه إن شاء الله تعالى [١].

---

١) راجع المبحث الخاص بهذه القضية بداية من (ص ٤٨٢) إلى (ص ٥١٢).

الفصل الثانى
علوم الحديث النبوى

أولا : تدوين الحديث النبوى وجمعه.

ثانيا : علم الجرح والتعديل.

ثالثا : علم تاريخ الرواة.

رابعا : علم (علل الحديث).

خامسا : علم غريب الحديث.

سادسا : علم مختلف الحديث ومشكله.

سابعا : علم ناسخ الحديث ومنسوخه.

(أ) **تعريف الحديث النبوى:** يعرف العلماء الحديث النبوى بأنه "كل ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية". والحديث بهذا المعنى مرادف للسنة.

(ب) موضوعه: ويتناول علم الحديث أنواعا كثيرة (ربما لا تعد) كما يقول السيوطى فى كتابه "تدريب الرواة" [١]، ونقل عن الحازمى قوله: «علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ المائة، كل نوع منها علم مستقل، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته»[٢].

وهذه الأنواع الكثيرة - فى نظر الباحثين المحدثين - يمكن أن تنحصر فى موضوعين أو قسمين رئيسيين، هما: علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية[٣]. وإليك التعريف بكل منهما.

(١) علم الحديث رواية: هو العلم الذى يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. وفى ذلك يقول ابن الأكفانى (المتوفى ٧٩٤هـ):

---

١) السيوطى: تدريب الراوى شرح تقريب النواوى ج ١ ص ٥٣.

٢) السيوطى: المصدر السابق ج ١ ص ٥٣. وراجع علوم الحديث لابن الصلاح ص ٥-١٠، الباعث الحثيث شرح علوم الحديث لابن كثير ص ١٩-٢٠.

٣) راجع فى ذلك: علوم الحديث ومصطلحه لصبحى الصالح ص ١٠٧، والمختصر الوجيز فى علوم الحديث محمد عجاج الخطيب ص ٧-٨، والفكر المنهجى عند المحدثين لهمام عبد الرحيم سعيد ص ٦٢.

«علم يشتمل على أقوال النبى ﷺ وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها»[١].

(٢) علم الحديث دراية: هو «العلم الذى يعرف بحقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، واصناف المرويات وما يتعلق بها»[٢]، وقال ابن حجر: «أولى التعاريف له أن يقال: معرفة القواعد المعرفة بحال الراوى والمروى»[٣]. وبالنظر إلى هذين التعريفين الأخيرين لعلم الحديث دراية يمكن القول: إن موضوع هذا العلم هو السند والمتن؛ السند من جهة أحوال أفراده واتصاله أو انقطاعه، وعلوه أو نزوله، وغير ذلك. والمتن من جهة صحته أو ضعفه، وسلامته من القدح.

وقد فرق أحد الباحثين بين الدراية والرواية بقوله: «إذا كانت الرواية نقلا للمعلومات فإن الدراية فهم وتتبع وبحث ومعرفة بالتراجم والطبقات وأحوال الرواة، وخبرة بالمتون والألفاظ وأنواع الترجيح وإدراك عميق للعلل الخفية، ورؤية واسعة للحركة الحديثية»[٤]. وهذا يعنى أن علم الدراية دراسة لنص الحديث من جوانب متعددة؛ منها ما يهدف إلى زيادة التأكد من صحة النص بعد ثبوت سنده، ومنها ما يهدف إلى فهم النص وفقهه، سواء فهم أحكامه ودلالته، أو فهم لغته وألفاظه، ومن ثم كان من مباحث علماء الحديث: "علم غريب الحديث" و" علم أسباب ورود الحديث" و" علم ناسخ الحديث ومنسوخه" و"علم علل الحديث" و"علم مختلف الحديث ومشكله". .. الخ.

ولما كانت أنواع علوم الحديث (رواية ودراية) وقضاياه متعددة فسنكتفى بالحديث عن بعض هذه العلوم التى كان لها أثر كبير فى حفظ الحديث النبوى وبيانه وفهمه ومعرفة رواته، والتى وضع فيها العلماء مصنفات كثيرة مختلفة حتى أصبح كل علم منها قائما بذاته. وهذه العلوم والقضايا هى:

١ -تدوين الحديث النبوى.

٢ - الجرح والتعديل.

٣ - تاريخ الرواة.

---

١) السيوطى: تدريب الراوى ج ١ ص ٤٠، وانظر: المنهل الحديث فى علوم الحديث لمحمد عبد العظيم الزرقانى ص ٣٥ (ط القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م).

٢) السيوطى: تدريب الراوى ج ١ص ٤٠.

٣) السيوطى: المصدر نفسه ج ١ ص ٤١.

٤) د. همام عبد الرحيم سعيد: الفكر المنهجى عند المحدثين ص ٨٠.

٤ - علل الحديث.

٥ - غريب الحديث.

٦ - مختلف الحديث ومشكله.

٧ - ناسخ الحديث ومنسوخه.

وفى عرضنا لتلك النقاط سيكون حديثنا مركزا على النشاط العلمى فى بغداد وإبراز دور علماء العراق وجهودهم فى خدمة هذه العلوم وتأصيلها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

أولا: تدوين الحديث النبوى:

نشأة تدوين الحديث

١ - لم يكن الصحابة الكرام يجدون حرجا فى حياة النبى ﷺ فى تدوين بعض أقواله وأحاديثه، لكن كانت محاولاتهم فى ذلك فردية «وضمن نطاق محدود، وعلى فترات مختلفة، ولم يوضع له نظام خاص كالذى وضع لكتابة القرآن. ويعود ذلك إلى صعوبة تدوين كل ما صدر عن النبى ﷺ، وإلى أن السواد الأعظم من المسلمين لم يكونوا ليستطيعوا الكتابة، إضافة إلى أن الرسول ﷺ كان بين ظهرانيهم ويستطيعون الرجوع إليه فى كل وقت، فكانوا يعتمدون فى الحفظ على ذاكرتهم فى أغلب الأحيان»[١].

٢ - فإذا انتقلنا إلى عصر الصحابة والتابعين وأتباعهم وجدنا أن كتابة الحديث النبوى كانت أمرا مرغوبا فيه، ويجد الباحث روايات كثيرة تدل على أنهم كتبوا الأحاديث بأيديهم، أو أملوها على تلامذتهم، أو حثوا على كتابتها. ومن ذلك أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه كتب أحاديث المناسك فى كتاب كان يقرأ على الحاج[٢]. وروى الإمام أحمد فى "مسنده" أن أبا أيوب الأنصارى كتب صحيفة فيها "مائة واثنا عشر حديثا" [٣].وكتب عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما الصحيفة الصادقة[٤]. وهذه الصحيفة اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير[٥]. وقد وصل إلينا مما كتب بعض التابعين عن الصحابة: صحيفة همام بن منبه (ت ١٣١هـ) عن أبى هريرة رضى الله عنه، وسميت بالصحيفة الصحيحة، وهى برمتها

---

١) محمود الفاخورى: الإمام مسلم بن الحجاج، حياته وصحيحه ص ١٨، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٦.

٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٨٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى -طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٥ م.

٣) المسند ج ٥ ص ٤٢٣ ط دار صادر ١٩٦٩م.

٤) الخطيب البغدادى: تقييد العلم ص ٨٥ ط٢ دار إحياء السنة ١٩٧٤م.

٥) ابن الأثير: أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣ (ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص).

فى مسند أحمد، وكثير منها مروى فى صحيح البخارى، وعدد أحاديثها (١٣٨) حديثا[١].

ومن هذه الأدلة - ويوجد غيرها كثير[٢] - نعلم أنه كانت هناك (فى عصر الصحابة والتابعين) محاولات فى تدوين الحديث النبوى، ولكنهـا كانت شخصية ومحدودة أيضا، وإن كانت أكثر انتشارا مما كان عليه الأمر الأول فى عصر النبوة، كما أن هذه النسخ الحديثية المكتوبة لم تكن شاملة لأحاديث عدد من الصحابة أو التابعين،، وإنما كانت تحتوى أحاديث رواها صحابى أو تابعى واحد، إلى جانب أن هذه المحاولات لم تكن مخصصة لصنف معين من أصناف الحديث، ولا مرتبة على منهج معين، وظل جل اعتماد القوم على الحفظ والرواية.

٣ - فإذا أشرفنا على رأس المائة الثانية فأول ما يطرق سمعنا اسم الخليفة عمر بن عبد العزيز يتردد فيما نحن بسبيله، فهو الذى أمر بتدوين السنة فى دواوين كبيرة وحاز فضل السبق فى ذلك.

والتدوين هو كتابة الحديث النبوى المبثوث فى صدور العلماء وكتبهم وجمعه فى سجل واحد. وكان الدافع إلى ذلك أمرين:

الأول: صيانة الحديث بعد أن اتسعت روايته من أن يختلط بالموضوع. ويروى فى ذلك عن ابن شهاب الزهرى (١٢٤هـ/٧٤١م) أنه قال: «لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ولا أذنت فى كتابته»[٣].

والثانى: الخوف على الحديث من الضياع بموت رواته وعلمائه[٤].

وقد قام عمر بن عبد العزيز ببعض المحاولات فى ذلك؛ منها أنه كتب إلى ابن شهاب الزهرى المدنى - عالم الحجاز والشام - يأمره بتدوين حديث رسول الله ﷺ، فدون فى ذلك كتابا، وهى أول محاولة رسمية. وفى ذلك يقول ابن شهاب: «لم يدون هذا العلم أحد قبل تدوينى»[٥]. وكتب الخليفة أيضا إلى عامله وقاضيه على المدينة النبوية أبى بكر بن محمد بن حزم

---

١) د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٣٢.

٢) لمعرفة المزيد من هذه الأدلة راجع كتاب "دراسات فى الحديث النبوى " للدكتور محمد مصطفى الأعظمى - ط ٣ شركة الطباعة السعودية ١٩٨١م.

٣) الخطيب البغدادى: تقييد العلم ص ١٠٨ بتحقيق يوسف العش - طبع دمشق ١٩٤٩م.

٤) ابن حجر: فتح البارى ج ١ ص ٢٣٥.

٥) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ٤. وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (ج ١ ص ٧٦) حيث يصرح ابن شهاب بأن عمر بعث إلى كل أرض دفترا مما كتبه .

الأنصارى التابعى (من فقهاء المدينة السبعة توفى ١٠٣هـ/٧٢١م): «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»[١]، ولكن عمر توفى قبل أن يبعث إليه أبو بكر بن حزم بما كتبه[٢]. وقد كتب بمثل ذلك إلى عماله فى أمهات المدن الإسلامية وإلى أهل الآفاق، وجاء فيما كتبه: «انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه»[٣].

ونخلص من هذه الروايات أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر بتدوين السنة النبوية فى جميع الأقطار الإسلامية، وطالب العلماء بنشرها ومذاكرتها مع طلاب العلم فى المساجد، ولم يدخر العلماء وسعا من أجل إنجاز ما كلفهم به خليفة المسلمين. ثم استمرت حركة تدوين الحديث النبوى بعد عمر بن عبد العزيز، وتبنى أفكاره الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (المتوفى ١٢٥هـ/٧٤٢م)، فكان يكلف العلماء بكتابة السنة وجمعها، وعين كاتبين يكتبان عن الزهرى، فأقاما سنة يكتبان عنه[٤].

شيوع تدوين الحديث النبوى خلال منتصف القرن الثانى الهجرى:

وقد شاع التدوين فى منتصف القرن الثانى الهجرى - فى الطبقة التى تلى طبقة الزهرى وأبى بكر بن حزم - فكانت هناك محاولات شخصية قام بها بعض العلماء من أمصار وأقطار مختلفة كالبصرة والكوفة وواسط ومكة والمدينة واليمن والشام وخراسان وغيرها. ولعل السبب فى زيادة الإقبال على تدوين الحديث النبوى فى الفترة المذكورة عما كانت عليه من قبل يعود إلى بعد الناس عن عهد النبى ﷺ وصحابته، وانتشار الوضع فى الحديث ونشوء علم الفقه وتطور المجتمع، ومن ثم أصبحت الحاجة ماسة إلى المزيد من الأحكام والأقوال المأثورة، ومن هنا تميز جمع الحديث النبوى - غالبا فى تلك الفترة باختلاطه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

ومن أشهر كتب الحديث المؤلفة فى المائة الثانية كتاب "الموطأ" للإمام مالك (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م) و"المصنف" [٥] لشعبة بن الحجاج البصرى (ت ١٦٠هـ/٧٧٦م) ومثله لحماد بن

---

١) صحيح البخارى - كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم (انظر فتح البارى ج ١ ص ٢٣٤).

٢) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ٥.

٣) ابن حجر: فتح البارى ج ١ ص ٢٣٥.

٤) راجع عن أوائل من عنوا بتدوين الحديث النبوى فى كتب جامعة: "الرسالة المستطرفة" للكتانى ص ٦ - ١٠، تاريخ فنون الحديث النبوى لمحمد بن العزيز الخولى ص ٣٧ - ٤٠.

٥) سيأتى الحديث عن المقصود "بالمصنف" قريبا (ص ١٠٠).

سلمة البصرى (ت ١٦٧هـ/٧٨٣م)، ومثله لسفيان بن عيينة الكوفى (١٩٨هـ/٨١٣م) ومثله لوكيع بن الجراح الكوفى (ت ١٩٧هـ/٨١٢م) وعبد الرازق الصنعانى (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م). وهذه المؤلفات المجموعة فى هذه الفترة المبكرة انتقلت إلى بلاد الأندلس[١]، وكان يغلب عليها طابع الجمع دون العناية بتمييز الصحيح من غيره، وبعبارة أخرى: لم تكن هذه الكتب ذات مناهج فى الاختيار والبحث والجمع والتدوين[٢].

العصر الذهبى لتدوين الحديث النبوى (ق٣، ق٤ هـ)

(جهود المدرسة البغدادية):

ومع مطلع القرن الثالث الهجرى نصل إلى العصر الذهبى للحديث النبوى جمعا وتدوينا وحفظا وضبطا، ففى هذا القرن والذى يليه نضج علم الحديث وتم تكوينه واستقل عن الفقه، وتفرعت عنه علوم أخرى، وأقام جهابذة هذا العلم بوضع الأسس والقواعد المتينة التى اعتمد عليها من جاء بعدهم.

طرق تصنيف الحديث وجمعه:

وقد سلك علماء الحديث فى جمعه وتدوينه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين طرقا مختلفة ومتنوعة، ويمكن أن نقسم الكتب الجامعة للأحاديث النبوية إلى الأنواع التالية:

١ - التأليف على المسانيد

٢ - التأليف على الأبواب الفقهية، وتشمل:

أ - كتب الصحاح. ب - المستخرجات على كتب الصحاح.

ج - كتب السنن. د - المصنفات.

٣ - طرق أخرى لجمع الحديث غير طريقتى المسانيد والأبواب، ومنها:

أ - الأجزاء الحديثية. ب - كتب الأفراد

ج - كتب الأحاديث المسلسلة. د - كتب الأحاديث المرسلة

هـ - كتب الأمالى. و - كتب الأطراف.

وفيما يلى عرض لهذه الطرق، مع العناية بإبراز جهود العراقيين فى هذا المجال أو جهود غيرهم من العلماء الذين نزلوا بغداد واشتهرت فيها مؤلفاتهم:

---

١) فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ١٢٦، ١٢٧، ١٣٤.

٢) د. همام بن عبد الرحيم سعيد: الفكر المنهجى عند المحدثين ص ٦٩.

(١) التأليف على المسانيد:

وموضوعها: أن يجمع ما رواه كل صحابى عن رسول الله ﷺ من الأحاديث، سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة، وتجعل على حده وإن اختلفت موضوعاتها، فيذكر المؤلف مسند أبى بكر مثلا ويثبت فيه ما يريد روايته عنه، ثم يذكر بعده الصحابة واحدا بعد آخر على هذا النسق. ولعلماء الحديث فى ترتيب أحاديث المسند طرق مختلفة، منها الترتيب على حروف الهجاء فى أسماء الصحابة - وهو أسهل تناولا - أو على القبائل (بتقديم بنى هاشم، ثم الأقرب إلى رسول الله ﷺ فى النسب) أو على السابقة فى الإسلام بتقديم العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر. .. الخ. وقد يقتصر فى بعض المسانيد على أحاديث صحابى واحد أو أحاديث جماعة منهم أو طائفة مخصوصة جمعها وصف واحد كمسند الصحابة الذين نزلوا بلدا من البلدان. .. إلى غير ذلك من أنواع المسانيد[١].

والمسانيد التى جمعها العراقيون فى القرنين (٣،٤هـ) كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال[٢] فى القرن الثالث الهجرى:

"مسند" الحمانى: يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٢٨هـ ٨٤٢م). وعدد أحاديثه أربعة آلاف حديث. ويعد الحمانى أول كوفى يجمع "المسند"[٣]. وأما أول من جمعه من البصريين فهو مسدد بن مسرهد الأسدى البصرى (المتوفى ٢٢٨هـ/٨٤٢ م)، ويقع فى مجلد واحد[٤].

وممن جمع مسندا فى القرن الرابع أبو حفص عمر بن أحمد البغدادى المعروف بابن شاهين (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، ويقع "مسنده" فى ألف وخمسمائة جزء كما يقول الخطيب البغدادى. وكان ابن شاهين يحفظ ثلاثين ألف حديث، وله من المصنفات ثلاثمائة وثلاثين مصنفا[٥].

---

١) راجع الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٦٠-٦١، تاريخ فنون الحديث النبوى لمحمد عبد العزيز الخولى ص ٥٦ - ٥٧.

٢) ذكر الكتانى فى الرسالة المستطرفة [٨٢] مسندا (راجع ص ٦٠-٧٤)، كما ذكر الخطيب البغدادى [٤٢] مسندا فى أماكن متفرقة من تاريخ بغداد (راجع بحثا عن أهمية موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد للدكتور أكرم ضياء العمرى / ضمن كتابه "دراسات تاريخية" ص ١٩٠ - ١٩٣ (طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٣) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٦٧ - ١٧٠، الرسالة المستطرفة ص ٦٢ - ٦٣.

٤) الرسالة المستطرفة ص ٦٢.

٥) تاريخ بغداد ١١/١٦٥ - ١٦٨، لسان الميزان لابن حجر ٤/٢٨٣ - ٢٨٤، طبقات المفسرين للداودى ٢/ص ٤.

مسند الإمام أحمد بن حنبل:

ويعد "مسند الإمام أحمد بن حنبل البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م)[١] أعلى المسانيد وأشهرها وأوفاها، وهو موسوعة حديثية ضخمة وديوان عظيم من دواوين السنة النبوية، ويضم بين دفتيه نحوا من ثلاثين ألف حديث انتقاها الإمام أحمد من محفوظاته فى الحديث التى بلغت سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا[٢].وروى فيه مرويات أكثر من ثمانمائة صحابى سوى ما فيه ممن لم ترد تسميتهم، ولم يرو إلا عمن ثبتت عنده عدالته وديانته دون من طعن فى أمانته. وقد قضى الإمام أحمد حياته كلها فى جمعه، وكان يكتبه فى أوراق متفرقة كالمسودات، ولم تتجه همته إلى ترتيبه وتنظيمه، فلما توفى قام ابنه عبد الله بترتيبه وتنقيحه وزاد عليه زيادات من مسموعاته، وابتدأ بأحاديث العشرة المبشرين بالجنة ثم مسند أبى هريرة، ثم مسند أبى سعيد الخدرى، ثم جابر بن عبد الله، ثم عبد الله بن عمر، ثم عبد الله ابن عباس، ثم عبد الله بن عمرو ابن العاص، ثم عمد إلى غيرهم من الصحابة الذين تجمعهم نسبة واحدة، فجعل أحاديثهم فى موضع واحد تحت عنوان واحد، كمسند الأنصار ومسند الكوفيين ومسند البصريين ومسند الشاميين. .. الخ، وختم الكتاب بمسند النساء[٣].

(٢) التأليف على الأبواب:

والمقصود بالتأليف على الأبواب تخريج الأحاديث على أحكام الفقه وتنويعها أنواعا، فتجمع بحسب الموضوعات والأبواب، بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلا عما يتعلق بالصيام[٤].

وأصحاب هذا المنهج منهم من اقتصر على ما صح فقط من الأحاديث، ومنهم من لم يتقيد بذلك. وهذه الطريقة - تبويب الأحاديث - تشمل كتب "الصحاح" و"المستخرجات"

---

١) الفهرست ص ٣٢٠، تاريخ بغداد ج ٤ ص ٧٣، ج ٩ ص ٣٧٥، ج ١٠ ص ٤٦٢، ج ١٣ ص ١٣٥.

٢) المراد بهذه الكثرة من الأحاديث تعدد طرقها واختلاف ألفاظها، فالحديث الواحد قد يروى من طرق عدة بأسانيد مختلفة فيسمى كل طريق منها حديثا والمعنى واحد، وهذا هو السر فى تلك الكثرة.

٣) لمعرفة المزيد عن خصائص مسند أحمد يمكن الرجوع لبحثين مهمين، الأول بعنوان "الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ومسنده" لأحمد بن عبد الرحمن الصويان - مجلة البحوث الإسلامية التى تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض / العدد (٢٥) ١٤٠٩هـ- ص ٢٢١ - ٢٧٥. والبحث الثانى بعنوان "الإمام أحمد والمسند" للدكتور على محمد جماز- حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر - العدد الأول ١٩٨٠م - ص ٢٧٣ - ٢٩٣.

٤) محمد عبد العزيز الخولى: تاريخ فنون الحديث النبوى ص ٥٦.

و"السنن" و"المصنفات" وغيرها. وفيما يلى أمثلة لهذا النوع من التدوين فى منطقة العراق فى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين:

(أ) كتب الصحاح:

وهى الكتب التى تقيد أصحابها برواية الصحيح من الأحاديث. وأهم هذه الكتب:

١ - "الجامع الصحيح المسند المختصر من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" للإمام محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى (المتوفى ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، نزل بغداد ثمانى مرات واشتهر فيها كتابه[١]. ويعد البخارى أول من صنف فى الحديث المجرد، واتفق جمهور العلماء على أن كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى [٢]. وروى عن البخارى قوله: «لم أخرج فى هذا الكتاب إلا صحيحا، وما تركت من الصحيح أكثر» وقال أيضا: «ما أدخلت فى كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحيح حتى لا يطول»[٣]. وقد جمع البخارى "صحيحه" فى ست عشرة سنة[٤]، وانتقاه - كما يقول هو - من ستمائة ألف حديث[٥]، ولما انتهى منه عرضه على أئمة الحديث ببغداد كالإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) وعلى ابن المدينى (ت ٢٣٤هـ) وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة[٦]. وعدد أحاديثه بالمكرر - بما فيه من معلقات ومتابعات واختلاف الروايات - (٩٠٨٢) حديثا. وعدد الأحاديث الموصولة بلا تكرار (٢٦٠٢) حديثا[٧].

٢ - "الجامع الصحيح" للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (المتوفى ٢٦١هـ/ ٨٧٤م). عدد أحاديثه (كما يقول أحد تلاميذ المؤلف) اثنا عشر ألف حديث[٨]. - أى بالمكرر - وانتقاه مسلم من ثلاثمائة ألف حديث[٩]، واستغرق فى تأليفه خمس عشرة سنة[١٠].

---

١) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٠٣.

٢) ابن الصلاح: علوم الحديث ص ١٤، الرسالة المستطرفة ص ١٠-١١.

٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ٢ ص ٩، ابن الصلاح: علوم الحديث ص ١٥-١٦. السبكى: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٢٠، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٠٢، ابن حجر: مقدمة فتح البارى ٩.

٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٠٥.

٥) ابن حجر: مقدمة فتح البارى ص ٩.

٦) ابن حجر: المصدر السابق ص ٩.

٧) ابن حجر: المصدر نفسه ص ٤٨٩.

٨) السيوطى: تدريب الراوى ج ١ ص ١٠٤.

٩) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠١.

١٠) الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٥١.

ويذكر الخطيب البغدادى أن الإمام مسلم «قفا طريق البخارى ونظر فى علمه وحذا حذوه»[١]، غير أن لكل من الصحيحين مزاياه الخاصة التى تميزه عن الآخر[٢].

وقد ألفت كتب أخرى التزم أصحابها الصحة، منها "صحيح ابن خزيمة" محمد بن إسحق النيسابورى نزيل بغداد (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م)[٣]، و"صحيح ابن حبان " محمد بن حبان البستى (المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥م) وسماه "التقاسيم والأنواع"، وترتيبه ليس على المسانيد ولا على الأبواب كما يقول الكتانى [٤]. و"صحيح" سعيد بن عثمان بن السكن البغدادى (المتوفى ٣٥٣هـ/٩٦٤م) ويسمى ب "الصحيح المنتقى " محذوف الأسانيد[٥]. وهذا الكتاب دخل قرطبة وأثنى عليه ابن حزم الظاهرى [٦].

(ب) كتب المستخرجات:

وموضوع المستخرج - كما يقول العراقى - هو أن يأتى المصنف إلى كتاب من كتب الحديث - كصحيح البخارى مثلا - فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه فى شيخه أو من فوقه[٧].

وتوجد "مستخرجات" كثيرة على عدد أنواع المصنفات الحديثية، لكن المستخرجات على صحيحى البخارى ومسلم معا - أو على أحدهما - كان لها النصيب الأكبر، زاد عددها على عشرة مستخرجات[٨]، ومنها:

١- "المستخرج " على صحيح البخارى، للحافظ أبى بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلى الجرجانى (المتوفى ٣٧١هـ/٩٨١م)[٩].

---

١) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٢.

٢) راجع عن المقارنة بين الصحيحين: علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٤-١٦، وكتاب "الإمام مسلم بن الحجاج حياته وصحيحه" لمحمود الفاخورى ص ١٤٩-١٤٠. وعلوم الحديث ومصطلحه لصبحى الصالح ص ١٢٠-١٢٢.

٣) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ٢٠.

٤) الكتانى: المصدر السابق ص ٢٠.

٥) الكتانى: المصدر نفسه ص ٢٥.

٦) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ١١٨.

٧) السيوطى: تدريب الراوى ج ١ ص ١١٢.

٨) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ٢٦-٣١.

٩) السيوطى: تدريب الراوى ج ١ ص ١١١، الكتانى: الرسالة ص ٢٦.

٢ - "المستخرج " على صحيح مسلم" للحافظ أبى عوانة يعقوب بن إسحق الإسفراييني (المتوفى ٣١٦هـ/٩٢٨م)[١].

٣ - "المستخرج " على الصحيحين، للحافظ أبى بكر أحمد بن محمد البرقانى (المتوفى ببغداد سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)[٢].

(ج) كتب السنن:

ويقصد بها فى اصطلاح علماء الحديث: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية كالصلاة والطهارة والزكاة. .. الخ. ويذكر فيها مؤلفوها الأحاديث المرفوعةوليس فيها شئ من الموقوف على الصحابة رضى الله عنهم[٣].

وأشهر كتب السنن هى "السنن" الأربعة المشهورة. وأصحابها من كبار أئمة الحديث ومشهود لهم بالحفظ والصلاح والتقوى مع الثقة والأمانة والضبط، وهم: **أبو داود** سليمان ابن الأشعث الأزدى السجستانى (المتوفى ٢٧٥هـ/٨٨٨م). **والترمذى** محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك السلمى (المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م). **والنسائى** أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب بن على بن سنان (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م). **وابن ماجه** محمد بن يزيد الربعى القزوينى (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م). وهؤلاء الأئمة الأربعة نزلوا بغداد ونشروا فيها علمهم، وذاعت فيها كتبهم[٤].

ولا نريد أن نسترسل فى فضل هذه الموسوعات الأربعة وما قيل عنها من استحسان وثناء، فكل ما ورد بشأنها من كلام العلماء دال على أنها فى الجملة من أفضل كتب الحديث وأصوله الموثوق بها[٥].

ومن كتب "السنن" التى صنفها العراقيون فى القرنين المذكورين: "سنن" أبى مسلم إبراهيم بن عبد الله البصرى الكشى (نسبة إلى كش قرية من جرجان) المتوفى ببغداد ٢٩٢هـ/٩٠٤م[٦].

---

١) تدريب الراوى ج ١ ص ١١١، الرسالة المستطرفة ص ٢٧.

٢) الرسالة المستطرفة ص ٣٠.

٣) الرسالة المستطرفة ص ٣٢.

٤) ذكر الخطيب البغدادى أن أبا داود صنف "سننه" فى بغداد وقرأه على أهلها، وعرضه على الإمام أحمد فاستحسنه (تاريخ بغداد ٥٦/٩).

٥) راجع تاريخ بغداد ٥٦/٩، ٣٥/١٢، سير أعلام النبلاء ٢٠٩/١٣ - ٢١٠، ٢٧٤، البداية والنهاية لابن كثير ٦٩/٦ (ط دار الغد العربى، القاهرة)، الرسالة المستطرفة ص ١١.

٦) البداية والنهاية ج ٦ ص ١٢٧، الرسالة المستطرفة ص ٣٤ - ٣٥.

و"سنن" أبى جعفر محمد بن الصباح الدولابى (مولدا) الرازى ثم البغدادى المعروف بالبزار (المتوفى ٢٢٧هـ/٨٤١م)[١] و"سنن" الدار قطنى البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٢]، وغير ذلك كثير جدا.

وقد صنف العراقيون كتبا صغيرة تعرف بكتب "السنة" وتحمل هذا العنوان، ولم يقصد أصحابها جمع الأحاديث وتدوينها، وإنما هى كتب تضم عددا من الأحاديث تحض على اتباع هدى الرسول ﷺ وسنته وترك البدع والأهواء[٣]. ونذكر منها "كتاب السنة" للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، ومثله للأثرم أحمد بن محمد البغدادى (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م) والخلال أحمد بن محمد البغدادى (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م) وغيرهم[٤].

(د) المصنفات:

وهى كتب مرتبة على الأبواب الفقهية مشتملة على السنن وما هو فى حيزها أو تعلق بها؛ أى تشتمل على الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين[٥].

ومن أمثلة "المصنفات " التى ألفها العراقيون:

١ - "مصنف" وكيع بن الجراح الرؤاسى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢م)[٦].

٢ - "مصنف" أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة العبسى الكوفى البغدادى (المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، ويقع فى مجلدين ضخمين كما يقول الكتانى[٧].

(٣) طرق أخرى لجمع الحديث النبوى غير طريقتى المسانيد والأبواب:

وقد انتهج العراقيون طرقا أخرى لتدوين الحديث النبوى وجمعه غير طريقتى التصنيف على المسانيد والأبواب، وإن كانت هاتان الطريقتان (المسانيد والأبواب) أهم الطرق وأوسعها وأجمعها، ومن ثم كثر التصنيف والجمع لألوان متعددة من فنون الحديث، مثل

---

١) الرسالة المستطرفة ص ٣٥.

٢) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٧٩. ج ١٢ ص ٣٥.

٣) الرسالة المستطرفة ص ٣٧.

٤) راجع الرسالة المستطرفة ص ٣٧ - ٣٨، سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٢٩٨.

٥) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ٣٩ - ٤٠.

٦) الرسالة المستطرفة ص ٤٠.

٧) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٦٦، طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٢٥٢، الرسالة المستطرفة ص ٤٠.

"الأجزاء" و"الأفراد" و"المراسيل" و"الأمالى " و"المسلسلات" وكتب أخرى فى أبواب مخصوصة جمعت أحاديث الزهد والإيمان والأخلاق والآداب والأحكام والشمائل والسيرة وغيرها.

وفيما يلى عرض مختصر لبعض هذه الأنواع من الكتب الحديثية التى ألفها العراقيون فى حدود القرنين فترة الدراسة:

(أ) **الأجزاء**: والمقصود بالجزء الحديثى فى اصطلاح علماء الحديث: "الكتاب الصغير الذى يشتمل على الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم"[١].

ومن الأجزاء الحديثية التى صنفها العراقيون فى القرنين المذكورين: "جزء" أبى عام الضحاك بن مخلد الشيبانى (المعروف بالنبيل) البصرى (المتوفى ٢١٢هـ/٨٢٧م)، وهو من شيوخ البخارى [٢]. و"جزء" أبى على الحسن بن عرفة البغدادى (المتوفى ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[٣].

ومن الأجزاء الحديثية أيضا ما يسمى "بالأجزاء الجعديات" نسبة إلى شيخ بغداد أبى الحسن على بن الجعد بن عبيد الهاشمى (مولاهم) (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٤م) جمعها أبو القاسم عبد الله ابن محمد البغوى البغدادى (المتوفى ٣١٧هـ/٩٢٩م)، وتقع فى ستة عشر جزءا[٤]. ومنها أيضا "الأجزاء القطيعيات" - فى خمسة أجزاء - لأبى بكر أحمد بن جعفر ابن حمدان القطيعى البغدادى (نسبة إلى قطيعة الرقيق ببغداد) المتوفى ٣٦٨هـ/٩٧٨م، وهو من أئمة الحنابلة[٥].

---

١) الرسالة المستطرفة ص ٨٦، وأصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان ص ١٣٧.

٢) الرسالة المستطرفة ص ٨٦. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبى ج ٩ ص ٤٨٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤ ص ٤٥٠.

٣) الرسالة المستطرفة ص ٨٧. وانظر تاريخ بغداد للخطيب ج ٧ ص ٣٩٤، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٩٣-٢٩٤.

٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٤ ص ٤٤٠، تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١١١-١١٧، الرسالة المستطرفة ص ٩١.

٥) الرسالة المستطرفة ص ٩٣. وانظر تاريخ بغداد ٤/٧٣-٧٤، الوافى بالوفيات للصفدى ٦/٢٩٠-٢٩١، سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٠، لسان الميزان لابن حجر ١/١٤٥-١٤٦.

(ب) الأفراد[١]:

مثل كتاب "الأفراد" للدار قطنى البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) قال الكتانى: «وهو كتاب حافل فى مائة جزء حديثية»[٢]. وقال عنه ابن كثير: «لا يفهمه - فضلا عن أن ينظمه - إلا من هو من الحفاظ الأفراد والأئمة النقاد والجهابذة الجياد»[٣]. ومنها "الأفراد" لأبى حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٤].

(ج) الأحاديث المسلسلة:

والحديث المسلسل هو "الذى تتابع رجال إسناده على صفة أو حالة أو كيفية"[٥]. وبعبارة أخرى "هو الحديث المسند المتصل الخالى من التدليس الذى تكرر فى وصف روايته عبارات أو أفعال متماثلة ينقلها كل راو عمن فوقه فى السند"[٦].

ومثال هذا النوع من التصنيف لدى العراقيين "مسلسلات" أبى بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسين بن شاذان البغدادى البزار (المتوفى ٣٨٣هـ/٩٩٣م)[٧].

(د) الأحاديث المرسلة:

وقد عنى علماء (بغداد/المشرق) بجمع الأحاديث المرسلة. والحديث المرسل هو ما سقط من إسناده الصحابى، كأن يقول التابعى: قال رسول الله - ﷺ -كذا، أو فعل كذا[٨]. وسمى

---

١) الأفراد (جمع فرد) وهو نوعان، الأول: فرد مطلق، وهو ما تفرد به راويه عن كل أحد من الثقات وغيرهم وإن لم يروه أحد من الرواة مطلقا إلا هو. والنوع الثانى: فرد نسبى، وهو ما تفرد به ثقة؛ بأن لم يروه أحد من الثقات إلا هو، أو تفرد به أهل بلد؛ بأن لم يروه إلا بلدة (كذا) كأهل البصرة مثلا، أو تفرد به راوية عن راو مخصوص بأن لم يروه عن فلان إلا فلان وإن كان مرويا من وجوه عن غيره (راجع علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٠، تدريب الراوى للسيوطى ج ١ ص ٢٤٨-٢٤٩، الرسالة المستطرفة ص ١١٤).

٢) الرسالة المستطرفة ص ١١٤.

٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٦ ص ٤٠٥. وانظر تدريب الراوى للسيوطى ج ١ ص ٢٥١.

٤) الرسالة المستطرفة ص ١١٤.

٥) الرسالة المستطرفة ص ٨١.

٦) د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٤٩.

٧) الرسالة المستطرفة ص ٨٢. راجع ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/١٨-٢٠، سير أعلام النبلاء ١٦٤٢٩ والبداية والنهاية ٦/٤٠٠.

٨) جمال الدين القاسمى: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص ١١٤ (مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٢٥م/١٣٥٣هـ). وراجع علوم الحديث لابن الصلاح ص ٤٧ - ٤٨.

مرسلا لأن راويه أرسله وأطلقه فلم يقيده بالصحابى الذى تحمله عن رسول الله ﷺ[١].

ومن أمثلة هذه الكتب: كتاب "المراسيل" لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى صاحب كتاب "السنن" (المتوفى ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، وهو ممن نزل بغداد مرارا وذاعت فيها كتبه كما أسلفنا. وكتابه "المراسيل" مرتب على الأبواب الفقهية[٢].

(هـ) الأمالى:

كان الإملاء من وظائف العلماء قديما، خصوصا الحفاظ من أهل الحديث، وذلك فى يوم من أيام الأسبوع. وطريقتهم فيه أن يكتب المستملى فى أول القائمة: هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع (كذا) فى يوم (كذا)، ثم يورد المملى بأسانيده أحاديث وآثارا، ثم يفسر غريبها وما يختاره من الفوائد المتعلقة بها[٣].

ومن أمثلة هذه الكتب فى القرن الرابع الهجرى لعلماء عراقيين: كتاب "الأمالى " لأبى عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملى (بفتح الميم) الضبى البغدادى شيخ بغداد ومحدثها (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) وتقع فى ستة عشر جزءا. ومنها كتاب "الأمالى " لرضى الدين أحمد بن إسماعيل الوراق البغدادى (المتوفى ٣٧٨هـ/٩٨٨م). و"الأمالى " لأبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٤].

(و) الأطراف:

وهى التى يقتصر فيها على ذكر طرف الحديث الدال على بقيته مع الجمع لأسانيده، إما على سبيل الاستيعاب أو على جهة التقيد بكتب مخصوصة، ككتاب "أطراف الصحيحين" لأبى محمد خلف بن محمد بن على بن حمدون الواسطى (المتوفى ٤٠١هـ/١٠١٠م)، ويقع فى أربع مجلدات[٥]، وقد تنقل خلف الواسطى كثيرا بين البلدان لسماع الحديث ثم استقر فى بغداد حتى توفى فى السنة المذكورة.

---

١) د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٦٦.

٢) الرسالة المستطرفة ص ٨٥، تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ج ١ ص ٣٨٨ (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م).

٣) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٥٩.

٤) راجع الرسالة المستطرفة ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

٥) سير أعلام النبلاء للذهبى: ٢٦٠/١٧، البداية والنهاية ٤٣٩/٦، كشف الظنون لحاجى خليفة ١١٦/١، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢٢٩/٣-٢٣٠.

ولأبى مسعود إبراهيم بن محمد الدمشقى نزيل بغداد (المتوفى ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) كتاب فى "أطراف الصحيحين" أيضا[١]، إلا أن كتاب خلف الواسطى أحسن ترتيبا وأقل خطأ كما يقول العلماء[٢].

تعقيب: وبعد... فإن ما عرضناه سابقا يعطى صورة حية وصادقة للجهود الجليلة والمضنية التى بذلها علماء الحديث العراقيون وغيرهم من علماء المشرق الإسلامى الذين نزلوا بغداد ونشروا فيها علمهم فى سبيل حفظ الحديث النبوى وتدوينه. ولا غرابة، فإن العراق منذ أوائل الفتح الإسلامى كان مركز إشعاع فكرى، وحين تسلمت بغداد زمام قيادة الأمة وردها العلماء من كل حدب وصوب فأثمرت فيها تلك الجهود وبلغت الغاية.

وهذا الإنتاج العلمى الخاص بتدوين الحديث النبوى انتقل كثير منه إلى قرطبة بمجرد ظهوره فى بغداد، وكان لهذا الإنتاج مشاركة قوية فى تحديد مسار الحركة العلمية فى مجال علم الحديث هناك، وستكون لنا وقفة أمام هذه الظاهرة فى ثنايا حديثنا عن التأثير المشرقى على الأندلس فى هذا المجال[٣].

والآن ننتقل إلى فن آخر من فنون الحديث النبوى للوقوف على جهود مدرسة (بغداد/المشرق) فى بحثه ودراسته وتأسيسه، وهذا الفن هو "علم الجرح والتعديل".

ثانيا علم الجرح والتعديل:

(أ) **تعريفه وأهميته:** هو العلم الذى يبحث فى أحوال الرواة، من حيث ما ورد فى شأنهم مما يشينهم أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة، وذلك للحكم على مروياتهم بالقبول أو الرد[٤].

وعلم الجرح والتعديل من أهم علوم الحديث النبوى وأعظمها شأنا وأبعدها أثرا، والحاجة ماسة جدا إليه للحكم على رجال الإسناد، وبالتالى لمعرفة مرتبة الحديث، «لأنه لا يمكن أبدا البدء بدراسة الإسناد إلا بعد معرفة قواعد الجرح والتعديل التى اعتمدها أئمة هذا العلم، ومعرفة شروط الراوى المقبول، وكيفية ثبوت عدالته وضبطه، وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بهذه المباحث، ولأنه لا يتصور أن يصل الباحث فى الإسناد إلى نتيجة مهما قرأ فى كتب التراجم عن

---

١) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

٢) الذهبى: المصدر السابق ج ١٧ ص ٢٦٠، الرسالة المستطرفة ص ١٦٧.

٣) خصصنا لذلك مبحثا بداية من (ص ٥١٣) إلى (ص ٥٣٣).

٤) د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١٠٩، محمد عجاج الخطيب: نشأة علوم الحديث ومصطلحه (ص ١٣٠) - رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم/جامعة القاهرة ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م

رواة هذا الإسناد إذا لم يكن عارفا من قبل بألفاظ الجرح والتعديل ومعنى ألفاظهما فى اصطلاح أهل هذا الفن ومراتب هذه الألفاظ من أعلى مراتب التعديل إلى أدنى مراتب الجرح»[١].

(ب) نشأته وأشهر علمائه: وقد نشأ هذا العلم مع نشأة الرواية فى الإسلام، وأرسيت أسسه وقواعده منذ عصر الصحابة، حيث تكلم فى الرواية عدد غير قليل كابن عباس الذى قال: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا بما نعرف»[٢]. وبعد جيل الصحابة تكلم فى الجرح والتعديل كثير من أئمة التابعين وأتباعهم، وكان أشهرهم عامر بن شراحيل الشعبى (المتوفى ١٠٣هـ/٧٢١م) ومحمد بن سيرين البصرى (المتوفى ١١٠هـ/٧٢٨م)، ومن أقواله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة[٣] قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٤]. ثم جاء الأعمش سليمان بن مهران الأسدى الكوفى (المتوفى ١٤٧هـ/٧٦٤م) وشعبة بن الحجاج البصرى (المتوفى ١٦٠هـ/٧٧٦م) وهو أول من فتش بالعراق عن أحوال الرواة وذب عن السنة كما يقول ابن حجر العسقلانى [٥] (أى بصورة أوسع)، وسفيان الثورى الكوفى (المتوفى ١٦١هـ/ ٧٧٧م) والأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو (المتوفى ١٥٦هـ/٧٧٢م) ومالك بن أنس صاحب الموطأ (المتوفى ١٧٩هـ/٧٩٥م).

ونشأ بعد هؤلاء طبقة أخرى قريبة من هذه: كعبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١هـ/ ٧٩٧م) وسفيان بن عيينه الكوفى (نزيل بغداد المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢م) ووكيع بن الجراح الرؤاسى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢م).

وكان من أكثرهم بحثا عن أحوال الرواة حتى كان هذا الشأن لهم لم يتعدوه إلى غيره: اثنان؛ هما يحيى بن سعيد القطان البصرى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م) وعبد الرحمن بن مهدى

---

١) د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص ١٥٩.

٢) مقدمة صحيح مسلم (بشرح النووى) ص ٨١ - ٨٢.

٣) المقصود بالفتنة هنا هى أحداث القتال التى وقعت بين المسلمين عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٣٥هـ.

٤) مقدمة صحيح مسلم (بشرح النووى) ص ٨٤. وحاصل كلامه أنه لا يقبل رواية المجهول وأنه يجب الاحتياط فى أخذ الحديث فلا يقبل إلا من أهله وأنه لا ينبغى أن يروى عن الضعفاء.

٥) ابن حجر: تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٥١. وانظر الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ٢ ص ٢٠١.

العنبرى البصرى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م). قال السخاوى: «ثم انتدب فى زمانهم لنقد الرجال (الرواة) الحافظان الحجتان يحيى بن سعيد القطان وابن مهدى، فمن جرحاه لا يكاد يندمل جرحه، ومن وثقاه فهو المقبول، ومن اختلفا فيه - وذلك قليل - اجتهد فى أمره»[١].

ثم خلفتهم طبقة أخرى يرجع إليها فى ذلك، منهم الشافعى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م) ويزيد بن هارون الواسطى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٦هـ/٨٢١م) وأبو عاصم النبيل الضحاك ابن مخلد البصرى (المتوفى ٢١٢هـ/٨٢٧م) وغيرهم.

وبعد هذه الطبقة صنفت الكتب فى الجرح والتعدل وبينت فيها أحوال الرواة، وكان من أوائل الذين ألفوا فى ذلك الإمام يحيى بن معين البغدادى (المتوفى ٢٣٣هـ/٨٤٧م)، وهذا العالم كان مرجع زمانه فى هذا الشأن، يقول عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: «سمعت أبى يقول: ها هنا (فى بغداد) رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين - يعنى يحيى بن معين»[٢]. ومن طبقته - من أئمة هذا العلم - على بن المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)، وله تصانيف كثيرة فى الجرح والتعديل. والإمام أحمد بن حنبل البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م) ومحمد بن عبد الله بن نمير الكوفى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م). ثم تتابع بعد هؤلاء أئمة كبار نشروا علمهم ومعرفتهم بنقد الرواة فى بغداد كالبخارى (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ومسلم (٢٦١ هـ/٨٧٤م) وأبو زرعة الرازى (ت ٢٦٤هـ/٨٧٧م) وأبو حاتم الرازى (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م) وغيرهم.

وقد رحل هؤلاء العلماء إلى البلدان لجمع السنن، وأطلقوا على الضعفاء من الرواة ألفاظ الجرح، وبينوا أحوال الثقات، وأصبح لعلم الجرح والتعديل - على أيديهم - ألفاظه الخاصة وتعابيره المحددة فى جرح الرواة أو توثيقهم، وإن كانت هذه الصيغ الخاصة تختلف من حيث الدلالة بين إمام وآخر.

(ج) التصنيف فى علم الجرح والتعديل: وقد نما التصنيف فى علم الجرح والتعديل فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، فبعض المصنفات اختص بالضعفاء والكذابين، وبعضها بالثقات والأثبات، وبعضها جمع بين الثقات والضعفاء. وفى معظم هذه المؤلفات اتبع أصحابها ترتيب حروف المعجم، كما أنها تختلف فيما بينها ما بين موجز ومبسوط، فأصغرها ما يضم فى

---

١) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٣٤٠، حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنثال، وترجم التعليقات والمقدمة دكتور صالح أحمد العلى (دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - بدون تاريخ).

٢) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٨٠.

مجلد واحد مئات من الرواة، وأوسعها ما يقع فى مجلدات كثيرة تضم آلاف الرواة. وإليك أمثلة على ذلك فى حدود القرنين المذكورين.

(١) كتب فى الضعفاء: ومنها كتاب "الضعفاء" ليحيى بن معين البغدادى (المتوفى ٢٣٣ هـ/٨٤٧م). وكتاب "الضعفاء" لعلى بن المدينى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م) فى عشرة أجزاء، وله أيضا كتاب "المدلسين" [١].

وفى القرن الرابع صنف عبد الله بن عدى الجرجانى (نزل بغداد) المتوفى ٣٦٥هـ/٩٧٥م كتاب "الكامل فى ضعفاء الرجال" قال عنه الكتانى: «وهو أكمل كتب الجرح وعليه الاعتماد فيها، ويقع - أى فى صورته المخطوطة - فى اثنى عشر مجلدا»[٢]. وللدار قطنى على بن عمر البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) كتاب "الضعفاء والمتروكون من المحدثين" [٣]. وهناك كتب أخرى كثيرة من هذا النوع[٤]، وكثير منها انتقل إلى الأندلس[٥].

(٢) كتب فى الثقات: مثل كتاب "الثقات والمتثبتين" لعلى بن المدينى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م)[٦]، وكتاب "تاريخ الثقات" لابن حبان البستى (المتوفى ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)[٧]، وكتاب "تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم" لأبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٨].

(٣) كتب جمعت بين الثقات والضعفاء: وهى كثيرة، منها "الطبقات الكبرى " لمحمد بن سعد البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، وكتابا "معرفة الرجال" و"التاريخ والعلل" ليحيى بن معين البغدادى (المتوفى ٢٣٣هـ/٨٤٧م). و"الجرح والتعديل" لابن أبى حاتم الرازى (نزل بغداد) (المتوفى ٣٢٧هـ/٩٣٨م) وهو من أجمع الكتب[٩]. وهناك كتب أخرى جمعت

---

١) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٢، الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ج ٢ ص ٣٠١.

٢) راجع الرسالة المستطرفة ص ١٤٥.

٣) الرسالة المستطرفة ص ١٤٤، فهرسة ابن خير ص ٢١٠، تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ج ١ ص ٥١١ (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م).

٤) راجع الرسالة المستطرفة ص ١٤٤ - ١٤٦.

٥) فهرسة ابن خير ص ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢.

٦) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ٢ ص ٣٠٢.

٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٩٥، الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ١٤٦.

٨) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ج ١ ص ٥١٧ (طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧١م).

٩) راجع الرسالة المستطرفة ص ١٤٧.

بين الثقات والضعفاء من الرواة تحمل عنوان "التأريخ" وسيأتى ذكر بعضها عند حديثنا عن علم تاريخ الرواة.

وبعد أن ذكرنا عددا من أهم المصنفات فى علم الجرح والتعديل يبقى الحديث عن بعض القضايا التى تتعلق بهذا العلم كالحديث عن المنهج الذى سلكه علماء الحديث فى بحث الرواة، وأسس هذا المنهج، والقواعد والشروط التى يجب توافرها فيمن يتصدى له، وأقسام المتكلمين فيه ومراتب وألفاظ كل من الجرح والتعديل، وشروط قبول الراوى، وكيف يعرف ضبطه، وبم تثبت عدالته. .. وكل ذلك وغيره محل بحثه فى كتب أصول الحديث ومصطلحه ولا صلة لنا به فى بحثنا[١].

أما عن تدوين أصول علم الجرح والتعديل وقواعده فإن أول من فعل ذلك الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار (المتوفى ٢٩٢هـ/٩٠٤م) فى "جزء" له فى "معرفة من يترك حديثه أو يقبل" [٢]، ثم تلاه ابن حبان البستى (المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥م) فى كتابه "شرائط الأخبار" [٣]، وله كتاب آخر سماه "وصف المعدل والمعدل" [٤]. ثم من بعده تلميذه الحاكم النيسابورى (المتوفى ٤٠٥هـ/١٠١٤م) فى كتابه "المزكين لرواة الأخبار" وكتابه "المدخل إلى معرفة الصحيح" [٥]. ولعلى بن عبد الله المدينى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م) كتاب "مذاهب المحدثين" [٦].

والآن ننتقل إلى علم آخر من علوم الحديث لنتعرف على جهود العراقيين فيه، وهو علم تاريخ الرواة.

ثالثا: علم تاريخ الرواة (علم رجال الحديث):

(أ) **تعريفه وأهميته:** وعلم تاريخ الرواة هو «العلم الذى يعرف برواة الحديث من الناحية

---

١) يمكن الرجوع إلى مثل هذه القضايا إلى رسالة الدكتوراه التى قدمها محمد عجاج الخطيب بعنوان "نشأة علوم الحديث ومصطلحه" ص ١٤٩ - ١٥٤، بحث جيد للدكتور عاطف أحمد أمان بعنوان "علم الجرح والتعديل أهميته وتاريخه وقواعده" منشور فى مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر - العدد الثانى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ (ص ٤١٧ - ٤٥٤).

٢) العراقى: التقييد والإيضاح ص ٩٧.

٣) ابن حبان: المجروحين فى المحدثين ج ١ ص ٧٧.

٤) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ٢ ص ٣٠٣.

٥) الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٥٢.

٦) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ٢ ص ٣٠٢.

التى تمس روايتهم للحديث»[١]. فهو يتناول بالبيان أحوال الرواة بذكر تاريخ ولادة الراوى ووفاته وشيوخه وتاريخ سماعه منهم ومن روى عنهم ومواطنهم، ورحلات الراوى وتاريخ قدومه إلى البلدان المختلفة، وغير ذلك مما له صلة بأمور الحديث.

وهذا العلم من أهم علوم الحديث النبوى شأنا، ذلك لأن علم الحديث يتناول دراسة السند والمتن، ورجال السند هم رواة الحديث، فهم موضوع علم الرجال الذى يكون أحد جانبى علم الحديث، ولا غرو حينئذ من أن يهتم علماء المسلمين بهذا العلم اهتماما كبيرا.

(ب) عناية علماء الحديث به: وقد نشأ هذا العلم مع نشأة الرواية فى الإسلام. ومن مظاهر اهتمام علماء الحديث به أنهم كانوا يسألون الرواة عن أعمارهم وأوطانهم وتواريخ سماعهم من الشيوخ، وحق للعلماء أن يهتموا بكل هذا ليعلموا صحة ما يدعيه الرواة من سماع، وليعرفوا اتصال الأسانيد من انقطاعها، يقول ابن عبد البر: «ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدين للدين عن نبيهم ﷺ ويعنى بسيرهم وفضائلهم، ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم، حتى يقف على العدول منهم من غير العدول»[٢].

ومعرفة تاريخ الرواة خير سلاح يتسلح به العلماء تجاه الكذابين، وفى ذلك يقول سفيان الثورى الكوفى (المتوفى ١٦١هـ/٧٧٧م): «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»[٣]. وقال حسان بن زيد: «لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، نقول للشيخ: سنة كم ولدت؟، فإذا أخبر بمولده عرفنا كذبه من صدقه»[٤].

و لم يكتف علماء الحديث بالإشارة إلى أهمية معرفة تاريخ الرواة وأحوالهم، وإنما مارسوا هذا بأنفسهم، والأمثلة فى هذا الموضوع كثيرة نختار منها ما رواه الخطيب البغدادى تحت باب (امتحان الراوى بالسؤال عن وقت سماعه) عن إسماعيل بن عياش العنسى الحمصى (المتوفى ١٨١هـ/٧٩٧م) قال: «كنت بالعراق فأتانى أهل الحديث فقالوا: ههنا رجل يحدث عن خالد ابن معدان (حمصى توفى ١٠٦هـ) فأتيته فقلت: أى سنة كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال: سنة ثلاث عشرة ومائة، فقلت: أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع

---

١) الزرقانى: المنهل الحديث ص ١٠، د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١١٠.

٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ص ٤٤٦ (ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة).

٣) ابن الصلاح: علوم الحديث ص ٣٤٣ - ٣٤٤، السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٩ (طبع دار العربى، بيروت).

٤) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ١ ص ١٣١.

سنين. قال إسماعيل: مات خالد سنة ست ومائة»[١].

وكان من آثار هذا النشاط العلمى أن اجتمعت لدى علماء الحديث ثروة كبيرة من تراجم الرجال وأخبارهم فأودعوها فى مصنفاتهم، ومع إشراق عصر التدوين طالعنا علماء العراق بالمصنفات الكثيرة التى تضم حياة الصحابة، ومصنفات أخرى فى التابعين وأتباعهم وأهل العلم من بعدهم.

(ج) **التصنيف فى تاريخ الرواة:** وقد اختلفت طرق المصنفين فى تاريخ الرواة وتفننوا فى تنويع هذه المصنفات وتقسيمها وتفريعها؛ فمن مصنفات خاصة بمعرفة الصحابة، وأخرى فى معرفة التابعين، ومن كتب مرتبة على الحروف، إلى كتب على نظام الطبقات أو البلدان، ومن مؤلفات خاصة بالثقات أو الضعفاء، إلى مصنفات عامة لجميع الأنواع، ومن كتب فى معرفة الكنى والألقاب إلى غيرها من المصنفات فى كل باب "كالمؤتلف والمختلف" من أسماء الرواة، و"المتفق والمفترق" و"السابق واللاحق". ..الخ، وكلها تدل على جهود العلماء العظيمة خدمة لعلم الحديث، كما تدل على رسوخ قدمهم فى هذا الشأن، وقل أن نجد عالما من علماء الحديث – من العراقيين أو من غيرهم – ليس له مصنف فى تاريخ الرجال (رواة الحديث).

وفيما يلى عرض لأهم مصنفات المدرسة (البغدادية/المشرقية) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين مما له صلة بتاريخ الرواة، مراعين الترتيب الزمنى لوفيات أصحابها.

(١) كتب فى معرفة الصحابة:

صنف علماء الحديث العراقيون فى معرفة الصحابة عدة مصنفات، وحاولوا فيها حصر أسمائهم وبيان رواياتهم وأحوالهم وتاريخ وفياتهم مرتبة على الحروف أو القبائل أو غير ذلك، إذ لا يتميز الحديث المرسل (الذى سقط من إسناده الصحابى) من الحديث المسند (الذى اتصل إسناده إلى الرسول ﷺ) إلا بمعرفة الصحابى.

ومن تلك الكتب: "معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان" – فى خمسة أجزاء – لعلى بن المدينى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م)[٢]، وكتاب "الحروف فى أسماء الصحابة" لأبى على عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى (المتوفى ٣٥٣هـ/٩٦٤م)[٣]، وهذا

---

١) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج١ ص١٣٢، ابن الصلاح: علوم الحديث ص٣٤٤.

٢) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى ج ٢ ص ٣٠٢، الرسالة المستطرفة ص ١٢٧.

٣) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ١٢٧.

الكتاب وصل إلى قرطبة[١]، وكتاب فى "الصحابة" لأبى حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادى المعروف بابن شاهين (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، وغير ذلك كثير[٢].

(٢) كتب الطبقات:

وهى الكتب التى تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة، وعصرا بعد عصر إلى زمن المؤلف[٣]. والغاية من وضع كتب الطبقات هو خدمة علم الحديث، حيث إن التمييز بين طبقات الرواة له علاقة بنقد الإسناد، وبمعرفتها يمكن التفريق بين الأسماء المتشابهة والمتفقة، حتى لا يقع الإشكال أو الالتباس. قال ابن الصلاح تحت باب "معرفة طبقات الرواة والعلماء": «والباحث الناظر فى هذا الفن يحتاج إلى معرفة المواليد والوفيات ومن أخذوا عنه (أى من الطلاب) ومن أخذ عنهم (أى الشيوخ) ونحو ذلك»[٤].

ومن أشهر هذه الكتب: "طبقات" محمد بن عمر الواقدى [٥] (المتوفى ببغداد ٢٠٦هـ/ ٨٢١م). و"الطبقات الكبرى " لمحمد بن سعد البصرى البغدادى [٦] (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٤م) وهو من أوثق وأهم المصادر فى تاريخ الرجال، قال عنه ابن الصلاح: «كتاب حفيل كثير الفوائد، وهو ثقة غير أنه كثير الرواية فيه عن الضعفاء»[٧]. ومنها كتاب "الطبقات" - فى عشرة أجزاء - لعلى بن عبد الله المدينى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م)[٨]، وكتاب "الطبقات" لخليفة بن خياط العصفرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م)[٩]، وكتاب "ذيل المذيل" للإمام المفسر المؤرخ محمد بن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وهو فى طبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصر المؤلف[١٠]. وهذه المؤلفات جميعها وصلت إلى قرطبة، وسيأتى الحديث عن ذلك فى موضعه[١١].

---

١) فهرسة ابن خير ص ٢١٥.
٢) الرسالة المستطرفة ١٢٧، ١٢٨.
٣) الرسالة المستطرفة ص ١٣٨.
٤) ابن الصلاح: علوم الحديث ص ٣٥٨.
٥) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٤، ياقوت: معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٢.
٦) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٢١.
٧) ابن الصلاح: علوم الحديث ص ٣٥٧.
٨) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ٢ ص ٣٠٢.
٩) الكتانى: الرسالة المستطرفة: ص ١٣٩.
١٠) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٨ ص ٧٠-٧١، فهرسة ابن خير ص ٢٢٧.
١١) راجع فهرسة ابن خير ص ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧.

(٣) كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب:

والمقصود أسماء من اشتهر بكنيته، وكنى من اشتهر باسمه، وألقاب المحدثين لدفع اللبس فى أسماء الرواة، ولئلا يظن الشخص الواحد اثنين. وطريقة التأليف أن يبوب المؤلف تصنيفه على ترتيب حروف المعجم فى الكنى، ثم يذكر أسماء أصحابها[١].

ومن أمثلة هذه الكتب من تصنيف العراقيين: كتاب "الأسامى والكنى " فى ثمانية أجزاء لعلى بن عبد الله المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م)[٢]، وكتاب "الأسماء والكنى " للإمام أحمد بن حنبل البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م)[٣]. وفى القرن الرابع الهجرى صنف محمد بن حبان البستى نزيل بغداد (المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥م) كتابين: الأول "أسامى من يعرف بالكنى " فى ثلاثة أجزاء، والثانى: كنى من يعرف بالأسامى " فى ثلاثة أجزاء أيضا[٤]. والمصنفات فى هذا الفن كثيرة[٥].

(٤) كتب فى تواريخ الرجال:

وأهمها "التاريخ الكبير" لمحمد بن إسماعيل البخارى (المتوفى ٢٥٦هـ/٨٦٩م) جمع فيه أسامى من روى عنه الحديث من زمن الصحابة إلى زمنه، فبلغ عددهم قريبا من أربعين ألفا، قال فيه السبكى: «إنه لم يسبق إليه، ومن ألف بعده فى تاريخ الرواة أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه»[٦]. وللبخارى أيضا "التاريخ الأوسط" و" التاريخ الصغير" [٧].

ومنها كتاب "التاريخ" ليحيى بن معين البغدادى إمام الجرح والتعديل (المتوفى ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م) وهو مرتب على حروف المعجم[٨]. وكتاب "التاريخ" لعلى بن المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م) فى عشرة أجزاء[٩]، و"تاريخ" ابن أبى خيثمة زهير بن حرب

---

١) ومثال ذلك أن يذكر فى باب الهمزة – مثلا – "أبا إسحق "، ثم يذكر اسمه، وفى باب "الباء" "أبا بشر" ثم يذكر اسمه. .. وهكذا (د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص ٢١٩).

٢) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى ج ٢ ص ٣٠١، الرسالة المستطرفة ص ١٢١.

٣) الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ١٢٠.

٤) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى ج ٢ ص ٣٠٣، الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ١٢١.

٥) راجع الرسالة المستطرفة ص ١٢٠– ١٢٢، فهرسة ابن خير ص ٢١٣– ٢١٤.

٦) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٣٢١، وانظر الفهرست لابن النديم ص ٣٢١، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٧، سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٠٣، ٤٧٠.

٧) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١١٨، الرسالة المستطرفة ص ١٢٩.

٨) الفهرست ص ٣٢٢، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨، ج٤ ص ١٧٢، ج ٧ ص ١٩٧.

٩) الخطيب البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى ج ٢ ص ٣٠٢، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٩٥.

البغدادى (المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فى اثنى عشر مجلدا كبارا، قال عنه الخطيب البغدادى: «لا أعرف أكثر فوائد منه وسمعه الشيوخ الأكابر»[١]. وصنف أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) كتاب "التاريخ" فى مائة وخمسين جزءا فى صورته المخطوطة[٢].

ومؤلفات العراقيين فى هذا النوع من تاريخ الرواة كثيرة جدا، وما ذكرناه فى هذا الباب انتقل إلى الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين[٣].

(٥) تواريخ الوفيات:

وقد صنف علماء الحديث فى العراق كتبا خاصة متضمنة ذكر سنى الوفيات، لأهميتها فى نقد الرواة وفضح الكذابين، ومنها فى القرن الرابع الهجرى: كتاب "الوفيات" لعبد الباقى بن قانع البغدادى (المتوفى ٣٥١هـ/٩٦٢م)، توقف فيه عند وفيات سنة ٣٤٦هـ[٤].

(٦) كتب المشيخة:

وهى التى تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم. ومن هذه الكتب: "معجم الشيوخ" لأبى جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى الكوفى المعروف بمطين (المتوفى ٢٩٧هـ/٩٠٩م)[٥]، و"معجم الشيوخ" لأبى سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصرى المعروف بابن الأعرابى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م)[٦]، و"تسمية شيوخ النسائى " لأبى عبد الرحمن أحمد بن على بن سعيد النسائى نزيل بغداد (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)[٧].

(٧) كتب المتفق والمفترق:

وصنف علماء الحديث العراقيون كتبا فى المتفق لفظا وخطا من الأسماء والألقاب

---

١) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٦٣، المقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) ص ٩/أ، الرسالة المستطرفة ص ١٣٠.

٢) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٦٧، سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٤٣٢.

٣) راجع فهرسة ابن خير ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٢٨. وانظر القسم الثانى من هذه الدراسة – مبحث انتقال كتب التاريخ من بغداد إلى قرطبة.

٤) الرسالة المستطرفة ص ٢١٢.

٥) تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢١٦.

٦) الرسالة المستطرفة ص ١٣٧.

٧) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٣٠.

والأنساب وهو مفترق معنى. والمقصود أن تتفق أسماء الرواة وأسماء آبائهم - فصاعدا - خطا ولفظا، وتختلف أشخاصهم[١]. والفائدة من هذه المصنفات التمييز بين المشتركين فى الاسم، فربما يكون أحدهما ثقة والآخر ضعيفا، فيضعف ما هو صحيح أو العكس، وكذلك لعدم ظن المشتركين فى الاسم واحدا مع أنهم جماعة[٢].

وأشهر المؤلفات فيه فى بغداد: كتاب المتفق والمفترق" للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وهو كتاب نفيس يقع فى ثمانية عشر جزءا[٣]. ومثله لأبى عبد الله محمد ابن النجار البغدادى [٤].

(٨) كتب فى المؤتلف والمختلف:

ويقصد به: أن تتفق الأسماء أو الألقاب أو الكنى أو الأنساب خطا، وتختلف لفظا، مثل (سلام - وسلام) الأول بتخفيف اللام، والثانى بتشديدها[٥]. ومعرفة هذا النوع من مهمات علم الرجال حتى قال على بن عبد الله المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م): «أشد التصحيف ما يقع فى الأسماء لأنه شئ لا يدخله القياس ولا قبله شئ يدل عليه ولا بعده»[٦].

ومثال هذا النوع من تاريخ الرواة - لعلماء بغداديين: كتاب "المؤتلف والمختلف" للدارقطنى على بن عمر البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٧]. ولأبى محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدى البصرى (المتوفى ٤٠٥هـ/١٠١٨م) كتاب "المؤتلف والمختلف" [٨]، وجاء الخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فجمع بين كتابى الدار قطنى وعبد الغنى بن سعيد، وزاد عليهما وجعله كتابا مستقلا سماه "المؤتنف فى تكميل المختلف" [٩].

(٩) كتب فى المتشابه من أسماء الرواة:

وصنف العراقيون فى المتشابه من أسماء الرواة، وهو المركب من النوعين السابقين، ويقصد

---

١) د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص ٢٠٦.
٢) ابن حجر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٦٢، د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص ٢٠٧.
٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٢٤، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٨ ص ٢٩٠، تدريب الراوى للسيوطى ج ٢ ص ٣١٦، الرسالة المستطرفة ص ١١٥.
٤) الرسالة المستطرفة ص ١١٥.
٥) ابن الصلاح: علوم الحديث ص ١٦٠، د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص ٢٨.
٦) ابن حجر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٦٢.
٧) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٨٣، ج ٤ ص ٥٢، وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٩٧.
٨) الرسالة المستطرفة ص ١١٦.
٩) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٩١، ابن كثير: البداية والنهاية ج ٦ ص ٦٠٩، الكتانى: الرسالة المستطرفة ص ١١٦.

به «أن تتفق أسماء الرواة لفظا وخطا، وتختلف أسماء الآباء لفظا لا خطا، أو بالعكس»[١].

وأشهر المصنفات فيه لعلماء بغداديين: كتاب "تلخيص المتشابه فى الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم" للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وهو من أحسن كتبه[٢].

(١٠) كتب أخرى فى تاريخ رواة الحديث:

وهناك أنواع أخرى تتصل بتاريخ رواة الحديث النبوى أفردها العلماء العراقيون بالتصنيف، فصنفوا فى "معرفة المهمل" و"معرفة المبهمات" و"معرفة الوحدان" و"الإخوة والأخوات" و"السابق واللاحق" و"رواية الآباء عن الأبناء" و"المعمرين" و"المدلسين" و"الغرباء" و"من روى عن رجل لم يره" و"من يعرف باسم دون اسم أبيه". .. إلى غير ذلك من الأنواع التى تدل على اهتمامهم العظيم بعلم معرفة الرواة.

تعقيب: وبعد هـذا العرض لشئ من جهـود علماء (بغداد/المشرق) في التعريف برواة الحديث النبوى وتدوين سيرهم وأخبارهم فى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين فقط يمكن القول - على سبيل الإجمال - إن هؤلاء العلماء العظماء قاموا بتصنيف أنواع كثيرة من المصنفات فى تراجم الرجال وتاريخ الرواة، وكانت غايتهم الأولى من هذه المؤلفات الكثيرة هى خدمة السنة المطهرة وذب الافتراء والكذب عنها، وذلك بحصر أسماء جميع من تعرض لرواية السنة النبوية ونقل نصوصها، ثم الكلام عنهم وعن حياتهم من جميع النواحى، لاسيما ما يتعلق بالتوثيق والتجريح.

وقد بذلوا فى هذه المصنفات جهودا جبارة مضنية تشهد لهم على مر الأيام والدهور بصبرهم ومهارتهم ودقتهم وأمانتهم وتفانيهم العجيب فى خدمة الحديث النبوى، وتوصلوا بذلك إلى ما لم تتوصل إليه الأمم السابقة ولا اللاحقة فى هذا الميدان، بل ولا إلى قريب مما توصلوا إليه، ويكفينا فى بيان هذا شهادة المستشرق الألمانى "شبرنجر" الذى اطلع على جانب من التراث الإسلامى فيما يخص موضوعنا حيث يقول: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت فى علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون فى هذا العلم العظيم الخطر»[٣].

---

١) راجع علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٣١، تدريب الراوى للسيوطى ج ٢ ص ٣٢٩، تيسير مصطلح الحديث للدكتور الطحان ص ٢١٠ - ٢١١.

٢) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٣١، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١١٩.

٣) محمد عجاج الخطيب: نشأة علوم الحديث ص ١٢٧ (رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).

ومما تجدر الإشارة إليه أن اهتمام العلماء العراقيين لم يقتصر على تاريخ أحوال الرجال من رواة الحديث فقط، بل أرخوا للرواة من النساء اللائى عرفن طريق النور إلى الحياة العلمية الكريمة التى هيأتها شريعة الإسلام للمرأة المسلمة، وقد ضمت المصنفات الأولى تراجم كثير منهن، ولم يفت المؤرخ الثقة ابن سعد (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٤م) أن يخصص المجلد الأخير من طبقاته للنساء، وتبعه المصنفون على ذلك كالخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد. وهذا من أوضح الأدلة على الرقى الحضارى وعلى مساهمة المسلمين - رجالهم ونسائهم - فى بناء تراث الإنسانية يوم كان الظلام يخيم على العالم وحين كانت المرأة خادمة الأرض رقيقة السادة فى أوربا.

وننتقل الآن إلى علم آخر من علوم الحديث النبوى، وهو علم "علل الحديث"، لنرى ماذا قدم علماء المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى هذا الميدان.

رابعا: علم علل الحديث:

(أ) **تعريفه:** العلة فى الحديث - فى اصطلاح المحدثين - هى «سبب غامض يقدح فى الحديث مع ظهور السلامة منه»[١]. ومقتضى هذا التعريف أن علم علل الحديث يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من جهة قدحها فى الحديث، كوصل منقطع، ورفع موقوف، وإدخال حديث فى حديث، أو إلزاق سند بمتن، ومواطن العلة القادحة تكون فى سند الحديث أو فى متنه أو فيهما معا[٢].

ولم يعرف العلماء القدامى - فى القرنين الثالث والرابع الهجريين - العلة اصطلاحا، ولم يحاولوا وضع تعريف لهذا العلم الذى مارسوه فعلا، غير أنهم لم يقصروا فى بيان مكانته وأهميته، فبينوا علل كثير من الأحاديث، وأرشدوا إلى السبيل التى تكشف عن هذه العلل[٣].

(ب) أهميته: ويعد هذا العلم رأس علم الدراية ونوعا من النقد الموضوعى العميق للأحاديث النبوية، ويحتاج إلى معرفة واسعة، وقد اتفق علماء الحديث على أهميته وجلالة قدره ودقته، وأقوالهم فى ذلك كثيرة، كقول الإمام ابن حجر العسقلانى: «هو من أغمض علوم الحديث وأدقها، ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهما ثاقبا وحفظا واسعا ومعرفة تامة بمراتب

---

١) السيوطى: تدريب الراوى ج ١ ص ٢٥٢، ابن الصلاح: علوم الحديث ص ٨١.

٢) راجع أمثلة على ذلك فى: علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٢ - ٨٣، تدريب الراوى للسيوطى ج ١ ص ٢٥٣ وما بعدها.

٣) التفاصيل فى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ج٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٦، علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٢، تدريب الراوى للسيوطى ج ٢ ص ٢٥٣.

الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتون، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل من أهل هذا الشأن، كعلى ابن المدينى (بغدادى / توفى ٢٣٤هـ) وأحمد بن حنبل (بغدادى /توفى ٢٤١هـ) والبخارى (ت ٢٥٥هـ) ويعقوب بن أبى شيبة (ت ٢٦٢هـ) وأبى حاتم (رازى / توفى ٢٧٧هـ) وأبى زرعة (رازى / توفى ٢٦٤هـ) والدار قطنى (بغدادى / توفى ٣٨٥هـ»[١].

(ج) طريقة التأليف فيه: والغالب على منهج كتب العلل أن يسأل الشيخ عن حديث من طريق (إسناد) معينة، فيذكر الخطأ فى سنده أو متنه أو فيهما، وقد يذكر بعض الطرق الصحيحة ويعتمد عليها فى بيان علة الحديث المسؤول عنه، ويعرف أحيانا ببعض الرواة، ويبين أحوالهم قوة وضعفا، حفظا وضبطا، ولهذا أطلق بعض المصنفين فى هذا العلم على كتبهم اسم "التاريخ والعلل" أو "الرجال والعلل". وإن التزام الأئمة بهذا المنهج يعود إلى طبيعة هذا العلم الذى يعتمد اعتمادا كبيرا على سعة الحفظ وقوة الفهم ومعرفة الطرق (الأسانيد) الكثيرة والمشتبه من أسماء الرواة وألقابهم وأنسابهم وأوطانهم وشيوخهم ومروياتهم[٢].

وقد اتبع المصنفون فى علم العلل طريقتين[٣]:

١ - الترتيب على الأبواب الفقهية، وهو أحسن لسهولة تناوله.

٢ - الترتيب على طريقة المسانيد.

(د) التصنيف فى علل الحديث: وبحسب ما لدينا من معلومات فإن يحيى بن سعيد القطان التميمى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م) يعد أقدم من صنف فى هذا العلم، له كتاب "العلل" لم يرتبه على الأبواب الفقهية ولا على المسانيد[٤].ثم تتابعت بكثرة مصنفات العراقيين فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأشهرها فى القرن الثالث الهجرى:

١ - "علل المسند" فى ثلاثين جزءا لعلى بن عبد الله المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)[٥]، وكان علما فى معرفة الحديث والعلل كما يقول أبو حاتم الرازى [٦].

---

١) ابن حجر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٤١ - ٤٢.

٢) محمد عجاج الخطيب: نشأة علوم الحديث ومصطلحه (رسالة دكتوراه) ص ٢٢٢.

٣) محمد عبد العزيز الخولى: تاريخ فنون الحديث النبوى ص ٥٨.

٤) د. يوسف العش: الخطيب البغدادى ص ٩٥.

٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٢، الجامع لأخلاق الراوى للخطيب البغدادى ج ٢ ص ٣٠٢، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٦ ص ٤٥٥.

٦) معرفة علوم الحديث لابن الصلاح ص ٧١. .

٢ - "علل الحديث" للإمام أحمد بن حنبل البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م)[١]. وللإمام أحمد باع طويل فى معرفة العلل، وربما لا يدانيه أحد فى كثرة أحكامه وأقواله فى الرواة والعلل.

٣ - "المسند المعلل" لأبى يوسف يعقوب بن شيبة السدوسى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٦٢هـ/٨٧٥م). وهذا الكتاب يقع فى كثير من الأجزاء ولم يتم، ولو تم لكان فى نحو مائتى مجلد كما يقول الرواة. وقد أنفق مؤلفه على ما خرج منه عشرة آلاف درهم، ومن ثناء العلماء عليه قول الدارقطنى البغدادى: «لو أن كتاب يعقوب بن شيبة كان مسطورا على حمام لوجب أن يكتب»[٢].

ومن أجمع كتب العلل فى القرن الرابع الهجرى: كتاب "العلل الواردة فى الأحاديث النبوية" للدار قطنى على بن عمر البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٥٥م) شيخ عصره وحافظ زمانه، وكتابه أجمع كتاب فى العلل، مرتب على المسانيد، ويقع فى اثنى عشر مجلدا، وقد أملاه على تلميذه أبى بكر البرقانى. قال الخطيب البغدادى: «سألت البرقانى هل كان أبو الحسن (الدارقطنى) يملى عليك العلل من حفظه؟، قال: نعم، وأنا الذى جمعتها وقرأها الناس من نسختى»[٣]. وقال الذهبى: «إن كان كتاب العلل الموجود قد أملاه الدار قطنى من حفظه فهذا أمر عظيم يقضى به للدار قطنى أنه أحفظ أهل زمانه»[٤]. وهذا الكتاب انتقل إلى قرطبة[٥].

ومن الفروع التى أعطى لها علماء (بغداد/المشرق) اهتماما كبيرا فى مجال خدمة الحديث النبوى: "علم غريب الحديث " وهو محل بحثنا الآن.

خامسا: علم غريب الحديث:

(أ) **تعريفه وأهميته:** وهذا العلم يبين ما يخفى معناه من ألفاظ الحديث النبوى. وقد اهتم علماء المسلمين به لما يترتب عليه من ضبط ألفاظ الحديث وفهم معناه، قال النووى: «وهو

---

١) الفهرست ص ٣٢٠، طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٧٢، الرسالة المستطرفة ص ١٤٨.
٢) تاريخ بغداد ج ٤ / ص ٢٨١ - ٢٨٣، تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ١٥٥.
٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٧ - ٣٨، ج ٦ ص ٥٩ - ٦٠، الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٩ (ط ٢).
٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٤٥٥.
٥) فهرسة ابن خير ص ٢٠٣.

فن مهم والخوض فيه صعب، وكان السلف يتثبتون فيه أشد تثبت»[١].

والهدف الذى دفع علماء الحديث إلى التصنيف فى هذا الباب هو نفس الهدف الذى دفع علماء التفسير واللغة للتأليف فى غريب القرآن الكريم[٢]. ومما يعكس اهتمام علماء الحديث بعلم الغريب ما قاله الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ١٩٨ هـ/٨١٣م): «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لكتبت بجنب كل حديث تفسيره»[٣].

(ب) أشهر المصنفات فى غريب الحديث: وأكثر من ساهم فى تصنيف كتب غريب الحديث هم علماء اللغة، وقد عد ابن النديم فى "الفهرست" الكتب المصنفة فى هذا العلم - خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين - فبلغت سبعة وعشرين كتابا وأغلبها لعلماء عراقيين[٤].

التعريف بكتاب "غريب الحديث" لأبى عبيد الجمحى:

ويطول المقام بذكر أوائل العلماء البغداديين الذين صنفوا فى هذا الباب[٥]. ويعد كتاب "غريب الحديث" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٤هـ/٨٣٨م) من أجمع الكتب وأفضلها فى هذا الباب، صنفه فى بغداد كما يقول الداودى [٦]، وقد أثنى عليه عامة أهل العلم، قال ابن درستويه بعد أن ذكر أول من صنف فى هذا العلم: «فجمع أبو عبيد عامة ما فى كتبهم وفسره، وذكر الأسانيد. .. وأجاد تصنيفه، فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة، لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه»[٧].

وقد قسم أبو عبيد كتابه إلى قسمين، قسم جعله لغريب ألفاظ حديث رسول الله ﷺ، والقسم الآخر لغريب آثار الصحابة والتابعين. وعدد أبواب الكتاب ألف باب كما يقول

---

١) السيوطى: تدريب الراوى ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥.

٢) راجع عن ذلك (ص٨١) من الفصل السابق

٣) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٢٦٢/١، سير أعلام النبلاء للذهبى ٢٠٢/٩.

٤) ابن النديم الفهرست ص ١٢٩ - ١٣٠.

٥) راجع الفهرست ص ٨٣، ١٠١، تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢، وفيات الأعيان ٢٠٢/١، ١٧٦/٣، ٣١٢/٤، ٢٣٨/٥، ٤٠٤، معجم الأدباء ج ٦ ص ٨٢، ج ١٩ ص ٥٣، تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٦٢/٢-٣٦٣، بغية الوعاة للسيوطى ٣١٧/٢، طبقات المفسرين للداودى ٤٠/٢، ٢٥٦، ٣٢٦.

٦) طبقات المفسرين للداودى ٣٨/٢. وراجع الفهرست ص ١٢٩، تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢، وفيات الأعيان ٤ /٦١، معجم الأدباء ٢٥٥/١٦، ٢٦٠، ١٣٥/١٤.

٧) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٠٥، طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٤٠، والمقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) ص ١٠٩/ب.

ياقوت الحموى [١]. وكان منهج المؤلف أن يذكر الحديث بسنده، ويبين معنى الغريب فيه، وكثيرا ما يستشهد لمعناه بالشعر أو بالمثل العربى، قال ياقوت: «وفيه من شواهد الشعر ألف ومائتا بيت»[٢]. وقد يسترسل فيشرح الحديث كله ويبين المراد منه، ويستشهد له بحديث آخر، وقد يكون فى الآخر لفظ غريب فيوضح معناه، وقد يكون للفظ الغريب معنيان فيذكرهما ويرجح أحدهما، وأحيانا يبين فقه الحديث وفهم الفقهاء له[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب "غريب الحديث" لأبى عبيد غير كتابه "غريب المصنف" الذى يعد من أهم كتبه، وهو بمثابة المعجم اللغوى، وعده بروكلمان أول معجم عربى كبير مرتب على الموضوعات[٤]. وسيأتى الحديث عنه عند تأريخنا للحركة اللغوية فى بغداد.

وبعد أبى عبيد صنف فى علم غريب الحديث علماء كثيرون من القرن الثالث الهجرى، أشهرهم[٥]: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الكوفى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م) له كتاب "غريب الحديث"، كما أنه عقب على كتاب أبى عبيد، بكتاب سماه "إصلاح الغلط فى غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام»[٦]. وكلا الكتابين وصل إلى الأندلس[٧]. وممن عقب على كتاب أبى عبيد: أبو على الحسن بن عبد الله الأصبهانى القادم إلى بغداد، له كتاب "الرد على أبى عبيد فى غريب الحديث" [٨].

وفى القرن الرابع الهجرى أملى أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى البغدادى (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م) "غريب الحديث" فى خمسة وأربعين ألف ورقة من حفظه[٩]. وصنف أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) كتاب

---

١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ١٣٩.

٢) معجم الأدباء ج ١٤ ص ١٣٩.

٣) محمد عجاج الخطيب: نشأة علوم الحديث ومصطلحه (رسالة دكتوراه) ص ٢٣٦، وراجع غريب الحديث لأبى عبيد ج ١ ص ٤٨، ٦٨ وما بعدها.

٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ١٥٦ - ١٥٧.

٥) راجع الفهرست ص ١٢٩، الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ٣٠٢/٢، معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٧، ج ١٨ ص ١١٦، إنباه الرواة للقفطى ٢٩٧/٢.

٦) الفهرست ص ١٢٩، تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٧٠، وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢، سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٩٧، طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٢٥١، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ٢ ص ٢٢٨.

٧) راجع (ص ٥٨٣، ٥٨٤).

٨) معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٤٢.

٩) الفهرست ص ١٢٩، تاريخ بغداد ١٨٢/٣، معجم الأدباء ٣١٢/١٨، وفيات الأعيان ٣٤٢/٤.

"غريب الحديث" صنفه على مسند الإمام أحمد بن حنبل[١]. ثم صنف أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى (المتوفى ٣٨٨هـ/٩٩٨م) كتابه فى العلم نفسه، سلك فيه نهج أبى عبيد وابن قتيبة، واستفاد ممن قبله[٢].

وبهذا القدر من كتب غريب الحديث نكتفى. وإذا عرفنا أن عدد المصنفات فى هذا العلم أربى على أربعين كتابا حتى نهاية القرن الرابع الهجرى فقط أدركنا الجهود التى بذلها علماء المسلمين - وخاصة علماء العراق فى القرنين المذكورين - فى هذا المضمار، وعرفنا اهتمامهم الكبير بالحديث النبوى ومزيد عنايتهم بحفظه وتفسيره وروايته ونقده وتيسير العمل به.

ويعد علم مختلف الحديث ومشكله من أهم علوم الحديث النبوى التى تناولها علماء (بغداد/المشرق) بالبحث والدراسة وهو ما سنتناوله فى السطور التالية.

سادسا: علم مختلف الحديث ومشكله

(أ) التعريف به وموضوعه: وهو علم يبحث عن الأحاديث النبوية التى ظاهرها التناقض، من حيث إمكان الجمع والتوفيق بينها؛ إما بتقييد مطلقها أو بتخصيص عامها أو حملها على تعدد الحادثة التى جاء من أجلها الحديث، أو غير ذلك[٣].

وقد أطلق عليه بعض العلماء اسم (مشكل الحديث) و(اختلاف الحديث) و(تأويل الحديث) و(تلفيق الحديث)[٤]. وقد يراد بكل هذه الأسماء مسمى واحد.

وهذا العلم من أهم علوم الحديث النبوى التى يحتاج إليه المحدثون والفقهاء وغيرهم من العلماء، ولابد للمشتغل به من فهم ثاقب وعلم واسع ودربة ودراية، ولا ينبغ فيه إلا من جمع بين الحديث والفقه، وفى ذلك يقول النووى: «هذا فن من أهم الأنواع، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف. .. وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون الغواصون على المعانى»[٥].

---

١) تاريخ بغداد ٣٥٨/٢، معجم الأدباء ٢٣٢/١٨، وفيات الأعيان ٣٣٢/٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ١٩٠/٣.

٢) ابن الأثير " النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ٧.

٣) د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١١١، محمد عجاج الخطيب: نشأة علوم الحديث (رسالة دكتوراه) ص ٢٤٤.

٤) راجع الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٥٨.

٥) السيوطى: تدريب الراوى شرح تقريب النواوى ج ٢ ص ١٩٦.

ولا بد من الإشارة إلى أن جل ما تناوله المحدثون وأهل العلم فى القرنين الأول والثانى الهجريين مما له صلة بهذا الفن كان فى اختلاف الحديث والجمع بين الأحاديث التى ظاهرها التعارض، من أجل معرفة أحكامها، وكان لا يخلو الأمر من إيضاح غامض أو تفسير مشكل. ولما ظهرت الفرق المختلفة وكثرت مقالاتها وأثارت الشبهات حول بعض الأحاديث النبوية نشط العلماء فى بيان هذه الأحاديث والتوفيق بينها وإيضاح المشكل والكشف عن الصواب، وظهرت فى ذلك تصانيف متعددة أكثرها لعلماء بغداديين.

(ب) مصنفات العراقيين فى هذا العلم: ومن أشهر مصنفات العراقيين فى هذا العلم فى القرن الثالث الهجرى: كتاب "اختلاف الحديث" للإمام محمد بن إدريس الشافعى نزيل بغداد ومصر (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م). اعتبره بعض الأئمة أول من صنف فى هذا الباب، ولكنه لم يقصد استيعاب جميع الأحاديث المختلفة، ولا إفرادها فى مصنف، بل ذكر جملة منها فى كتابه "الأم" وبين طريق جمعها والتوفيق بينها، ليكون ذلك مثالا يحتذى [١].

ولعل أول كتاب كامل فى هذا العلم هو كتاب "اختلاف الحديث" للإمام على بن المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م)، ويقع فى خمسة أجزاء[٢].

وفى القرن الرابع الهجرى صنف فى هذا العلم كل من الإمامين أبى يحيى زكريا بن يحيى الضبى الساجى البصرى (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م)[٣]. وأبى بكر محمد بن إسحق بن خزيمة النيسابورى نزيل بغداد (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م)، وهذا العالم كان من أحسن الناس كلاما فى "مختلف الحديث" حتى إنه قال عن نفسه: «لا أعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده فليأتنى به لأؤلف بينهما»[٤].

---

١) تدريب الراوى للسيوطى ج ٢ ص ١٩٦، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوى ص ٣٦٢، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٥٨.

٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ٣٠٢/٢.

٣) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٥٨.

٤) تدريب الراوى للسيوطى ١٩٦/٢، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوى ث ٣٦٢.

التعريف بكتاب "تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):

ويعد كتاب ابن قتيبة الدينورى /البغدادى من أفضل المؤلفات فى هذا العلم[١]، وهذا الكتاب وصل إلى قرطبة، وقد ناقش فيه دعاوى التعارض فى الأحاديث النبوية، وكشف عن زيفها، كما هاجم فيه المتكلمين الذين تبنوا تلك الدعاوى وروجوا لها، وقال فى مقدمته: «ونحن لم نرد أن نرد على الزنادقة المكذبين بآيات الله عز وجل وإنما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين إلى المسلمين»[٢].

وكان لابن قتيبة فى كتابه هذا منهج علمى فى دراسة الأحاديث ونفى التعارض بينها، وهذا المنهج ينهض على دعامتين أساسيتين[٣]:

الأولى: تقرير وجهة نظر القائلين بالتعارض بين الأحاديث فى أمانة وموضوعية.

والثانية: المناقشة الهادفة التى تتوخى الرد المنطقى على القائلين بالتعارض، وهو فى هذا يأخذ بأصول المنهج العلمى فى الاستقراء والتجربة والمشاهدة وتقريب المعنى بضرب الأمثلة.

وابن قتيبة فى تفنيد دعاوى التعارض والاختلاف بين الأحاديث يهتم كل الاهتمام بالجانب اللغوى؛ فهو فى نظره المدخل لإزالة كل لبس وتوضيح كل مبهم، كما يستعين بالأدب شعرا ونثرا، ويسرف فى ذلك أحيانا، وكان ينقل من التوراة والإنجيل فى بعض الأحيان، إضافة إلى أنه كان يستطرد فيتحدث فى بعض المسائل الأصولية والفقهية والعلمية والتاريخية التى لها صلة بما يدرسه. والكتاب بهذه الصورة يكاد يقدم كل ألوان المعرفة التى ألم بها المؤلف فى عصره، ففيه الحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام والأصول واللغة والأدب والتاريخ على تفاوت بين هذه العلوم[٤]. وأما جملة الأحاديث التى اشتمل عليها الكتاب فتبلغ نحو ثلاثمائة حديث، وقد تنوعت من حيث موضوعاتها وجهة التعارض كما يراها المتكلمون ومن سلك سبيلهم[٥].

---

١) ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ١١٦، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/١٧٠، ابن خلكان فى وفياته ٣/٤٢، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٧، ابن كثير فى البداية والنهاية ٦/٦٤، السيوطى فى البغية ٢/٦٣، القفطى فى الإنباه ٢/١٤٣.

٢) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص ١١٧.

٣) د. محمد الدسوقى: ابن قتيبة وكتابه تأويل مختلف الحديث - بحث منشور بمجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر - العدد الرابع ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م - ص ١٩٥.

٤) د. محمد الدسوقى: المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧.

٥) د. محمد الدسوقى: المرجع نفسه ص ١٩٣.

وننتقل الآن إلى علم آخر من علوم الحديث النبوى وهو علم ناسخ الحديث ومنسوخه:

سابعا: علم ناسخ الحديث ومنسوخه:

(أ) **تعريفه:** هو علم يبحث عن الأحاديث المتعارضة التى لايمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ، وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ، فما ثبت تقدمه يقال له "ناسخ"، وما ثبت تأخره يقال له "منسوخ"[١].

(ب) نشأته وأهميته: وقد اهتم العلماء منذ زمن الصحابة والتابعين بمعرفة ناسخ الحديث ومنسوخه، لما له من أثر كبير فى استنباط الأحكام ومعرفتها، فمن الصحابة: على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ممن أورد لهم الحازمى عددا من الآثار تدل على شدة عنايتهم بالناسخ والمنسوخ فى الحديث النبوى[٢]. واشتهر من التابعين إبراهيم بن يزيد النخعى الكوفى (المتوفى ٩٦هـ/٧١٤م) ومحمد بن شهاب الزهرى (المتوفى ١٢٥هـ/٧٤٢م) الذى قال: «أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه»[٣]، ومراده أن الفقهاء بذلوا جهدا كبيرا فى البحث والترجيح حتى تمكنوا من معرفة هذا العلم.

ويعد الزهـــرى - كما حدث عن نفسه - أول من جمع هذا العلم؛ فقد روى عنه الحازمى قوله: «لم يدون هذا العلم أحد قبل تدوينى»[٤]. ولا غرابة فى هذا، فإن الزهرى كما يقول الحازمى أيضا «أحد من انتهى إليه علم الصحابة وعليه مدار علم الحجاز، وكان إليه المرجع فى علم الحديث وعليه المعول فى الفتيا»[٥].

ولم يأت بعد الزهرى من تصدى لهذا الفن ولخصه وأمعن فيه - باستثناء ما يوجد من بعض الإيماءات والإشارات فى عرض الكلام عن آحاد الأئمة - حتى جاء أبو عبد الله محمد ابن إدريس الشافعى، «فإنه خاض تياره وكشف أسراره واستنبط معينه واستخرج دفينه

---

١) د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١١٣، محمد عبد العظيم الزرقانى: المنهل فى علوم الحديث ص ١١ (ط القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م).

٢) الحازمى: الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٦ - ٧.

٣) الحازمى: المصدر السابق ص ٤، السيوطى: تدريب الراوى ج ٢ ص ١٩٠.

٤) الحازمى: المصدر نفسه ص ٤. ويذكر محقق كتاب "الاعتبار" الدكتور عبد المعطى قلعجى أن كتاب الزهرى "الناسخ والمنسوخ فى الحديث" لخصه وهذبه الحسين بن محمد السلمى المتوفى ٤١٢هـ، ويقع المختصر فى ست عشرة ورقة بمكتبة بايزيد تحت رقم ٤٤٥.

٥) الحازمى: المصدر نفسه ص ٤.

واستفتح بابه ورتب أبوابه»[١]، ولا أدل على ذلك من قول الإمام أحمد بن حنبل - على جلالته فى العلم - «ما علمنا المجمل من المفسر، ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعى»[٢].

والحق أن الشافعى -رحمه الله - لم يفرد هذا العلم بكتاب، وإنما تناول مباحث منه فى كتابه "الرسالة"، وهو من أقدم الكتب التى تؤكد اهتمام المسلمين بعلم أصول الفقه، قال الحازمى: «وقد ذكر الشافعى فى كتابه الرسالة من هذا الفن أحاديث، ولم يستترف معينه فيها، إذ لم يضع الرسالة لهذا الفن وحده، غير أنه أشار إلى قطعة صالحة توجد فى غضون الأبواب»[٣].

(ج) أشهر مصنفات البغداديين فى ناسخ الحديث: ومن أشهر مصنفات العراقيين فى علم ناسخ الحديث ومنسوخه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين:

١ - "ناسخ الحديث ومنسوخه" للحافظ الكبير أبى بكر أحمد بن محمد الأثرم البغدادى (المتوفى ٢٦١هـ/٨٧٤م) صاحب الإمام أحمد[٤]. وهذا الكتاب من أقدم ما وصلنا فى هذا الفن، ومنهج المؤلف فيه أنه رتبه على الأبواب الفقهية[٥]، وحاول أن يجمع بين الأحاديث المختلفة حينا، وبين الناسخ والمنسوخ منها أحيانا، كما أنه يذكر درجة بعض الأحاديث من حيث القوة والضعف ويتكلم فى أسانيدها أحيانا أخرى، ويشرح معانيها[٦].

٢ - وصنف محدث العراق الحافظ عمر بن أحمد بن عثمان البغدادى المعروف بابن شاهين (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) كتاب "ناسخ الحديث ومنسوخه"، وهو من أجمع ما وصلنا

---

١) الحازمى: المصدر نفسه ص ٥.

٢) الحازمى: المصدر نفسه ص ٥، السيوطى: تدريب الراوى ج ٢ ص ١٩٠.

٣) الحازمى: المصدر نفسه ص ٥. وراجع "الرسالة" للشافعى بتحقيق أحمد شاكر (طبع دار التراث بالقاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ١٠٦ - ١٤٦، ص ٢٣٤ وما بعدها.

٤) ابن النديم: الفهرست ص ٣٢١.

٥) توجد من الجزء الثالث من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى خزانة دار الكتب المصرية (برقم ١٥٨٧ حديث) ويقع فى اثنى عشر ورقة من القطع العادى، وفى الصفحة ٢٦ سطرا ويبدأ هذا الجزء بباب [الهلال يرى ما يقول؟] ثم باب (صوم يوم السبت - باب فى المسك - باب فى الخليطين - باب فى الشرب قائما - باب الشرب فى الظروف - باب الشرب فى السقاء - باب ...)، وآخر هذه الأبواب: فى الكفارة من الحنث (ص ١١/ب).

٦) ناسخ الحديث ومنسوخه للأثرم (مخطوط ص ١/أ، ٢/ب، ٦/أ، ٦/ب، ٧/ب، ٨/ب، وغيرها).

فى هذا العلم قبل نهاية القرن الرابع الهجرى، وقد رتبه مؤلفه على الأبواب الفقهية[١]. ونقل إلى الأندلس[٢].

تعقيب عام:

وإلى هنا نكون قد انتهينا من عرضنا لأهم علوم الحديث النبوى وجهود علماء (بغداد/المشرق) فى خدمتها وتأصيلها فى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين ونستطيع - من خلال عرضنا السابق لهذه العلوم، ومن خلال قراءتنا الفاحصة للمادة العلمية فى هذا المجال العلمى - أن نخرج بعدد من النتائج والملاحظات ندونها فيما يلى:

أولا: لقد كانت حركة علم الحديث وعلمائه فى بغداد - حاضرة الخلافة ومركز العلم والحضارة فى المشرق الإسلامى - على درجة كبيرة من التنامى والاتساع والتنوع خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وإن ما أوردناه فى ثنايا هذا المبحث من كتب حديثية للعلماء العراقيين على كثرتها (وما تركناه أكثر) واختلاف تنوعها وتعدد مناهجها لدليل ساطع على ازدهار النشاط العلمى فى هذا المجال. وكان التمايز ظاهرا فى مناهج وطرق هؤلاء العلماء فى الجمع والتصنيف، ولم يتركوا فنا من فنون هذا العلم إلا وأصلوه وصنفوا فيه.

ثانيا: إن العلماء العراقيين الجامعين للسنة النبوية المدونين لها - وإن كانت مهمتهم الجمع والتدوين - فقد كانوا يفقهون الأحاديث ويفهمونها ويعرفون مقاصدها، كما أنهم عنوا بنقد الأسانيد، وخبروا رواة الحديث بمخبار النقد الصحيح، ولم يقبلوا راوية إلا بعد أن تحروا عنه ووثقوه من دينه وعقله وعدالته وأمانته. ولم يقف هؤلاء العلماء عند علم الجرح والتعديل الذى يهتم بأحوال رجال الأسانيد من حيث الحكم عليهم بالقبول او الرد، وإنما عنوا إلى جانب ذلك بنقد متون الأحاديث نقدا علميا أصيلا يمتاز بالدقة والتبصر، لا بالتهجم والدعاوى التى لم يقم عليها دليل، وكان البحث فى علم علل الحديث وعلم مختلف الحديث ومشكله وغريبه وناسخه ومنسوخه صورة عملية لدراسة متون الأحاديث دراسة جادة وعميقة.

ثالثا: كان من آثار الالتزام بالأسانيد أن قام علماء الحديث المتخصصون بوضع القوانين والضوابط التى تحدد من من الرواة تقبل روايته ومن ترد روايته، فدونوا كتب الرجال والتراجم التى تعنى بأخبارهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم وطبقاتهم وأوطانهم وتاريخ ولاداتهم

---

١) الرسالة المستطرفة ص ٨٠، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج ٣ ص ٢١٤، وقال: توجد منه نسخة فى مكتبة باريس الأهلية رقم ٧١٨.

٢) راجع الملحق (ص١٠٥٠).

ووفياتهم، وتعنى كذلك ببحث عدالتهم جرحا وتعديلا، مما أتيح للمسلمين ثروة علمية عظيمة النفع؛ إذ توضح حركة المجتمع وتاريخ العدد الكثير من أفراده وعلمائه، ووضعت من أجل ذلك كتب على نظام الطبقات والأنساب والبلدان والوفيات وحروف المعجم، وتخصصت الكتب، فبعضها للصحابة وأخرى للتابعين، ثم للضعفاء، ثم الثقات. .. إلى آخر ما ذكرناه فى حديثنا عن تاريخ الرواة وعلم الجرح والتعديل.

رابعا: ومامن شك فى أن منهج علماء الحديث (وعلماء العراق فى القلب منهم) انعكس على معظم العلوم والفنون النقلية، حيث شاع استعمال الأسانيد فى مختلف التصانيف والمؤلفات، و لم يعد قاصرا على الحديث النبوى، وإنما صار يمثل الصفة الغالبة على منهج تدوين العلوم الإسلامية الأخرى كاللغة والأدب والتاريخ وإن لم يكن ذلك بنفس الدقة والالتزام الذى وقع من علماء الحديث. وقد استمر ذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجرى تقريبا، حيث قل بعد هذا الوقت الاعتناء بالأسانيد وحل محلها تدريجيا النقل من المؤلفات والكتب بواسطة الإجازة والوجادة.

خامسا: كان علماء الحديث يعتمدون فى جمع الحديث وتدوينه وتلقيه على شيوخ كثيرين فى مختلف الأقطار الإسلامية، لذلك كثرت الرحلات والأسفار فى طلب الحديث النبوى، وكانت بغداد فى اتصال دائم ووثيق بعلماء المدارس الأخرى فى الحجاز ومصر والشام وخراسان عن طريق رحلة أبنائها طلبا للعلم هناك، أو من خلال مجئ الآخرين إليها، ومن ثم أتيح لبغداد أن تكون مركزا خصبا تجلب إليه كل الجهود العلمية التى انتجها علماء المشرق الإسلامى فى مجال علم الحديث والعلوم الأخرى.

ومن بغداد (ومراكز علمية أخرى) انتقل علم الحديث بقواعده وفنونه وكثير من دواوينه – إلى قرطبة، فتأسست هناك حركة علمية نشطة فى هذا المجال العلمى اعتمادا على رحلات الأندلسيين إلى عاصمة الخلافة العباسية وتلمذتهم على علمائها. وسيكون لنا دراسة حول هذا الموضوع إن شاء الله[1].

وننتقل الآن إلى بحث علم آخر من العلوم الإسلامية الأصيلة، وذلك فى إطار حديثنا عن ازدهار الحياة العلمية فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذا العلم هو علم الفقه وأصوله.

****

١) راجع بداية من (ص ٥١٣-٥٣٣).

الفصل الثالث
علم الفقه الإسلامى وأصوله

تعريف الفقه الإسلامى:

تطلق كلمة " الفقه " بالمفهوم العام على " ما كان متعلقا بأمر الدين الإسلامى، سواء فى ذلك ما يتعلق بالأحكام الاعتقادية أو العملية ".وهذا المفهوم العام لكلمة " الفقه " كان هو المعروف فى صدر الإسلام[١]، وظل متداولا حتى ظهور الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية كأبى حنيفة وسفيان الثورى والأوزاعى ومالك والشافعى، فأصبح الفقه يطلق على " العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من الأدلة التفصيلية" [٢]. والمقصود بالأحكام الشرعية العملية هى كالصلاة والزكاة والحدود والبيوع وسائر تصرفات العباد التى تمثل الجانب التطبيقى لما جاءت به الشريعة الإسلامية.

الأدوار التى مر بها الفقه الإسلامى:

والفقه بمعناه الاصطلاحى المذكور لم يتكون جملة واحدة على نحو تام ومتماسك، وإنما تدرج فى مراحل متعددة حتى بلغ ما قدر له من نضج وكمال. وقد اعتاد الباحثون فى تاريخ الفقه الإسلامى – تيسيرا للبحث والدراسة – أن يقسموا هذا التاريخ إلى عدة أدوار أو فترات مبنية على مراعاة الفوارق والميزات والخصائص التى لها أثر ظاهر فى تطوره. وقد اختلفت طرائقهم فى عدد هذه الأدوار تبعا لاختلاف طريقة البحث التى يختارها كل باحث فى هذا الميدان[٣]. ومجمل هذه الأدوار أربعة:

١ – دور النشأة والتأسيس: ويشمل هذا الدور عصر النبى ﷺ. وقد تميز التشريع فى هذه الفترة بعدة خصائص؛ من أبرزها أن الشريعة الإسلامية كملت أصولها وقواعدها، وأن السلطة

---

١) استعمل القرآن الكريم والسنة النبوية هذا المفهوم العام كما فى قوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. ....﴾ [سورة التوبة / الآية ١٢٢]. وكقول النبى صلى الله عليه وسلم: " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ".

٢) د. عبد المجيد مطلوب: المدخل فى التعريف بالفقه الإسلامى وتاريخه ص ١٧ – ١٨، د. حسن محمد سفر: المدخل للفقه الإسلامى (تاريخ التشريع الإسلامى) ص ١٨.

٣) انظر هذه التقسيمات عند كل من: جاد الحق على جاد الحق: الفقه الإسلامى نشأته وتطوره ص ٢٣، د. حسن محمد سفر: المدخل للفقه الإسلامى ص ٢٦، د. عبد المجيد مطلوب: المدخل فى التعريف بالفقه الإسلامى وتاريخه. ..ص٢٥–٢٦، د. محمد على محجوب: المدخل لدراسة التشريع الإسلامى ص ٥٨ –٥٩.

التشريعية - بمعنى تبليغ الأحكام وتفسير نصوصها وتنفيذها كانت له وحده ﷺ، وإليه يرجع أمر القضاء والفتوى، وأنه لم يترك لأصحابه فقها مدونا، وإنما ترك جملة من الأصول والقواعد الكلية والأحكام الجزئية، ونبههم إلى علل الأحكام وأسرار التشريع، وعلمهم طريقة الاستنباط على وجه يحقق مصالح العباد، ويلائم الحاجات المختلفة فى كل زمان ومكان. ويمكن القول: إن كل ما جاء من تشريع بعد عصر النبوة مبنى على ما رسمه الرسول ﷺ من منهج فى استنباط الأحكام[١].

٢ - دور البناء: ويشمل عصر الصحابة والتابعين، ويمتد إلى نهاية تاريخ الدولة الأموية أو منتصف القرن الثانى الهجرى. وهذه الفترة شهدت ظهور مدرستى الحديث والرأى فى دراسة الفقه.

٣ - دور النضج والكمال وظهور المذاهب الفقهية. ويستمر هذا الدور إلى منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا.

٤ - عصر التقليد للمذاهب الفقهية؛ ويمتد هذا الدور إلى الآن.

نهضة الفقه الإسلامى فى عصر العباسيين وظهور المذاهب الفقهية ونموها

ويعتبر العصر العباسى (خصوصا الفترة التى تمتد إلى نهاية القرن الرابع الهجرى) أزهى عصور الفقه الإسلامى، ففيه تهيأ لهذا العلم النشاط والقوة والنضج الفكرى والتوسع والشمول والبحث العميق والمنافسة الجادة والاجتهاد المطلق فى النظر والاستنباط[٢].

ولم تكن هذه النهضة مقصورة على الفقه وحده، بل كانت شاملة لعلوم كثيرة ومتنوعة مثل علوم القرآن والحديث النبوى واللغة وسائر العلوم التجريبية، وأصبح لكل علم رجاله الذين نبغوا فيه ورفعوا شأنه.وكانت مدينة بغداد فى ذروة المدن الإسلامية التى شهدت هذه النهضة العلمية الواسعة خلال تلك الفترة.

وكان من أهم العوامل التى أدت إلى نهضة الفقه الإسلامى فى هذا العصر وظهرت كأقوى ما تكون فى بغداد عاصمة الخلافة العباسية (دون الدخول فى تفاصيل) هى [٣]: اتساع حركة

---

١) د. حسن محمد سفر: المدخل للفقه الإسلامى ص ٢٧، ٤٧ - ٤٨، جاد الحق: الفقه الإسلامى نشأته وتطوره ص ٢٨ -٢٩، د. عبد المجيد مطلوب: المدخل فى التعريف بالفقه الإسلامى وتاريخه ص ٤٩ - ٥٠.

٢) محمد على السايس: نشأة الفقه الإسلامى وتطوره ص ٨٩ - ٩٠.

٣) راجع تفاصيل الكلام عن هذه العوامل: كتاب الفقه الإسلامى نشأته وتطوره للشيخ جاد الحق ص ٧٦ - ٨٢، المدخل للفقه الإسلامى للدكتور حسن محمد سفر ص ٨٨ - ٩٦، المدخل فى التعريف بالفقه الإسلامى وتاريخه للدكتور عبد المجيد مطلوب ص ١٠٠ - ١٠٩، تاريخ الفقه الإسلامى للدكتور محمد يوسف موسى ص ١٦٣ وما بعدها.

التدوين للعلوم الإسلامية الأصيلة (وفى مقدمتها الحديث النبوى)، وشيوع الجدل العلمى والمناظرات بين الفقهاء فى جو من الحرية الواسعة، وكثرة الوقائع وتنوعها وما تبع ذلك من رحلات علمية واستنهاض همم الفقهاء. ويضاف إلى ذلك إجلال الخلفاء وكبار رجال الدولة للفقهاء ولأهل العلم عامة، وحثهم على وضع الأنظمة القانونية لشئون الدولة كما فعل هارون الرشيد حينما طلب من أبى يوسف (صاحب أبى حنيفة) أن يكتب له كتابا فى السياسة المالية، فكتب له كتاب " الخراج "[١]. وقد كان لهذه العناية أوضح الأثر فى نشاط التشريع ونموه وكماله.

ونتيجة للاجتهاد الفقهى الذى بلغ أوجه فى ذلك العصر أن ظهرت كثير من الاتجاهات والآراء الفقهية المختلفة، وتكونت منها مدارس فقهية، ثم تبلورت تلك المدارس فصارت مذاهب اعترف لها الجمهور بالريادة والقيادة، وأخذت كل جماعة من المسلمين تتبع مذهبا منها، وتترسم خطى مؤسسها وتعمل بمقتضى آرائه. وحسب هذا العهد أنه أنجب أكثر من ثلاثة عشر مجتهدا دونت مذاهبهم وقلدت آراؤهم، وكان لها وجود قوى فى بغداد؛ فسفيان ابن عيينة الكوفى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م) فى مكة، ومالك بن أنس(المتوفى ١٧٩هـ/٧٩٥م) فى المدينة النبوية ثم فى مصر وبغداد. وسفيان الثورى (المتوفى ١٦١هـ/٧٧٧م) فى الكوفة. وأبو حنيفة (المتوفى ١٥٠هـ/٧٦٧م) فى الكوفة وبغداد. والأوزاعى (المتوفى ١٥٧هـ/٧٧٣م) فى الشام. والليث بن سعد (المتوفى ١٧٥هـ/٧٩١م) فى مصر. والشافعى (توفى ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) فى بغداد ثم مصر. وأحمد بن حنبل (توفى ٢٤١هـ/٨٥٥م) فى بغداد. وأبو ثور (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م) وداود بن على الظاهرى (المتوفى ٢٧٠هـ/٨٨٣م) وابن جرير الطبرى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م) فى بغداد أيضا.

غير أن كثيرا من هذه المذاهب قد اندثرت ولم تدم طويلا فى ساحة الحركة العلمية. وقد يكون من عوامل هذا الاندثار عدم وجود التلاميذ النجباء الذين ينشرون المذهب وينصرونه، أو عدم تأييد سلطة حاكمة، أو عوامل أخرى تتعلق بأصول المذهب وجوهره[٢].

وكانت أوفر المذاهب حظا، وأكثرها أتباعا، وأوسعها انتشارا - على تفاوت بينها - هى: مذهب أبى حنيفة، ومذهب مالك، ومذهب الشافعى، ومذهب أحمد بن حنبل، ومذهب داود الظاهرى. وفيما يلى حديث عن هذه المذاهب الفقهية، مركزين على دور

---

١) الفهرست ص ٢٨٦.

٢) د. هاشم عبد الراضى: الحياة الاجتماعية والفكرية فى العراق منذ سنة ٣٣٤ هـ وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى - رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم (١٩٩٥م) ص ٨٠١.

أبرز فقهائها فى تدوين الفقه الإسلامى فى إطار القرنين (فترة الدراسة) وفى حدود مدينة بغداد مجمع الثقافة والفكر الإسلامى آنذاك، دون الدخول فى الحديث عن الأصول العلمية التى تتميز بها تلك المذاهب، تاركين ذلك للمراجع المتخصصة. ونبدأ بأول هذه المذاهب ظهورا، وهو المذهب الحنفى.

أولا: المذهب الحنفى:

ينسب هذا المذهب إلى مؤسسه أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى (المتوفى ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وهو أشهر من أن نعرف به، فمناقبه عظيمة ومفاخره جليلة، ويكفينا أن الشافعى رحمه الله – على جلالة قدره – شهد له بعلو المترلة فى الفقه فقال: «الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة» وعلق الذهبى على هذه المقولة فقال: «الإمامة فى الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام (أبى حنيفة) وهذا أمر لاشك فيه»[١].

ويعد المذهب الحنفى أول مذهب فقهى من بين المذاهب التى انتشرت بين جمهور المسلمين، وكان منشأه بالكوفة حيث كان أبو حنيفة يقيم، ثم انتشر فى بغداد على يد تلامذة الإمام، ومنها انتقل إلى سائر أقاليم الدولة الإسلامية.

وقد سمى هذا المذهب "بمذهب أهل الرأى" لكثرة اعتماد أبى حنيفة وأتباعه على القياس والاستحسان وتوسعه فيهما. وهذه العبارة –" أهل الرأى " – تتردد كثيرا فى كتب الطبقات والتراجم فى ثنايا التعريف بالفقهاء الأحناف[٢]، كما تكرر أيضا عبارة " كان على مذهب أهل العراق" أو " انتهت إليه الرياسة فى مذهب العراقيين" [٣] فى إشارة إلى أن هذا المذهب – بالصفة التى عرف بها – كان منتشرا بصورة واسعة فى هذا الإقليم.

انتشار المذهب الحنفى فى بغداد فى (ق٢هـ) على أيدى تلامذة الإمام:

ولم يؤثرعن أبى حنيفة أنه كتب كتابا فى الفقه لتدوين مذهبه[٤]، ولكن تلامذته الملازمين له قاموا بهذه المهمة، فحفظوا أقواله وأصول مذهبه، واشتهر منهم أربعة هم: أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم الأنصارى (المتوفى ١٩٣هـ/٨٠٨م) الذى تولى منصب قاضى القضاة فى

---

١) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٤٠٣.

٢) راجع على سبيل المثال: تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٤٧، ج ٥ ص ١٤١، ٤١٦، ٤٣١.

٣) راجع تاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٩ – ٦٠، ص ٤٠٣، ج ٣ ص ١٠٩، ج ٧ ص ٣٦٤، ج ٨ ص ٩٣.

٤) أما كتابه " الفقه الأكبر " فهو فى أصول العقيدة.

خلافة هارون الرشيد. ومحمد بن الحسن الشيبانى (المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٤م) وزفر بن الهذيل (المتوفى ١٥٨هـ/٧٧٤م) والحسن بن زياد اللؤلؤى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م).

وأعظم هؤلاء الأربعة أثرا فى تدوين فقه الإمام ونشره: أبو يوسف ومحمد بن الحسن، فهما أول من دونا كتبا فى المذهب الحنفى. أما **أبو يوسف** فقد تصدى للفتوى بعد موت أبى حنيفة، وعاش اثنتين وثلاثين سنة كاملة يفتى ويواصل جهود أستاذه وينميها ويضع الكتب فى فقهه، ومنها: كتاب "اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى "[١]. وكتاب "الرد على مالك بن أنس " مؤسس المذهب المالكى. وكتاب " الخراج " الذى ألفه لهارون الرشيد. وكتاب " الآثار " وهو عبارة عن "مسند" للأحاديث التى رواها أبو حنيفة نفسه وجمعها أبو يوسف بعد وفاته، وأضاف إليه مروياته الخاصة[٢].

وأما **محمد بن الحسن** فيعتبر بحق جامع فقه أبى حنيفة ومدونه فى كتبه الشهيرة: " الجامع الكبير " و" الجامع الصغير ". وكتاب " المبسوط " ويعرف " بالأصل " جمع فيه ألوفا من المسائل التى استنبط أبو حنيفة أجوبتها. وكتاب " الرد على أهل المدينة " عبارة عن مسائل خالف فيها الإمام أهل المدينة، وهذا الكتاب رواه الشافعى فى "الأم" وتعقب كل مسألة فيه إما انتصارا لأهل المدينة، وإما موافقة لرأى أبى حنيفة[٣]. وهذه المؤلفات كان الإمام أحمد بن حنبل - مؤسس المذهب الحنبلى - يحرص على قراءتها، وحينما يسأل: من أين لك هذه المسائل الدقاق؟ يقول:" من كتب محمد بن الحسن "[٤].

ونسجل هنا أن هؤلاء التلاميذ الأربعة كان لهم - مع تتلمذهم على أبى حنيفة واعتمادهم قواعده وسيرهم على طريقته فى الاجتهاد والفتوى - شخصية فقهية مستقلة وآراء خاصة، وقد خالفوا أستاذهم فى كثير من المسائل إذا ظهر ما يوجب الخلاف[٥].

---

١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى الكوفى قاضى الكوفة وفقيهها، كان يفتى بالرأى قبل أبى حنيفة - كما يقول ابن النديم - ومات سنة ١٤٨هـ(الفهرست ص ٢٨٥ - ٢٨٦).

٢) الفهرست ص ٢٨٦.

٣) الفهرست ص ٢٨٧ - ٢٨٨، وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨٤، سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ١٣٤، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٢ - ١٨٢. وراجع تاريخ التشريع الإسلامى لمحمد الخضرى ص ٣٠٤.

٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٧، سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ١٣٦، البداية والنهاية ج ٥ ص ٧٢٠ (طبعة دار الغد العربى).

٥) تفاصيل هذه القضية فى كتاب: " مناهج التشريع الإسلامى فى القرن الثانى الهجرى "للدكتور محمد بلتاجى ج ١ ص ٣٩٨ - ٤٣١ (طبع لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بالرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

نمو المذهب الحنفى فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين:

وقد جاء بعد هؤلاء التلاميذ المباشرين تلاميذ لهم تلقوا عنهم مذهب أهل الرأى، ونما المذهب على أيديهم فى بغداد خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، وفى مقدمتهم اثنان:

١ - أبو موسى عيسى بن أبان بن صدقة البغدادى (المتوفى ٢٢١هـ/٨٣٥م) قال عنه الخطيب: «صحب محمد بن الحسن الشيبانى وتفقه به... وله مسائل كثيرة واحتجاج لمذهب أبى حنيفة، وكان خيرا فاضلا»[١]. وله من المؤلفات: كتاب " إثبات القياس "، وكتاب " اجتهاد الرأى "[٢].

٢ - أبو عبد الله محمد بن سماعة التميمى الكوفى قاضى بغداد (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٤م). روى عن محمد بن الحسن كتبه، وله مصنفات فى الفقه الحنفى وأصوله، منها كتاب "المحاضر والسجلات"[٣]. وهو متعلق بمسائل القضاء.

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى نبغ أئمة كبار انتهت إليهم رئاسة المذهب الحنفى فى بغداد وخارجها، وكان لهم الفضل فى تثبيت أركانه وشرح أصوله وبسط فروعه، منهم : أحمد بن عمر بن مهير الشهير بالخصاف (المتوفى ٢٦١ هـ/٨٧٤م) له كتاب "الأوقاف"[٤] . وأبو خازم (بالخاء المنقوطة) عبد الرحمن بن عبد العزيز القاضى (المتوفى ٢٩٢ هـ/٩٠٤م) أخذ عنه الطحاوى إمام الأحناف فى مصر[٥].

وكان أكثر هذا الجيل شهرة هو : أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجى (المتوفى ٢٦٦هـ/٨٧٩م)، قال عنه ابن النديم : «هو الذى فتق فقه أبى حنيفة واحتج له وأظهر علله وقواه بالحديث وحلاه فى الصدور»[٦] ومن مصنفاته الفقهية : " كتاب المناسك " فى نيف وستين جزءا[٧]، وكتاب " تصحيح الآثار " وكتاب " المضاربة "[٨].

---

١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ١٥٧ - ١٥٨.
٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٨٩.
٣) الفهرست ص ٢٨٩. وله ترجمة فى تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٤١ - ٣٤٣، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٠ ص ٦٤٦.
٤) الفهرست ص ٢٩٢ .
٥) الفهرست ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .
٦) الفهرست ص ٢٩١ .
٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٢٩١ .
٨) الفهرست ص ٢٩١. وراجع ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٢٢٠، شذرات الذهب ٢/١٥١.

وفى القرن الرابع الهجرى: برزت شخصيات علمية كثيرة تفقهوا على مذهب أبى حنيفة، وأصبح لهم جهد ملموس فى رسوخ المذهب فى بغداد وخارجها. وبعيداً عن الاستقصاء نذكر اثنين من هؤلاء الفقهاء، أحدهما فى النصف الأول من القرن المذكور، والآخر فى النصف الثانى منه، وكل منهما كوَّن - من خلال تلاميذه - مدرسة فى الفقه الحنفى وانتشر أصحابهما فى البلاد:

الأول : أبو الحسن الكَرْخى عبيد الله بن الحسين بن دلال البغدادى (المتوفى ٣٤٠ هـ/٩٥١م) قال عنه الخطيب : «إليه انتهت رياسة أصحاب أبى حنيفة، وانتشر أصحابه فى البلاد»[١]. وله من المؤلفات " رسالة فى الأصول " عليها مدار فروع الحنفية. وله " شرح الجامع الصغير " و" شرح الجامع الكبير "[٢] (وكلاهما لمحمد بن الحسن تلميذ أبى حنيفة) وذكر له ابن النديم كتاب " المختصر فى الفقه "[٣].

ومن تلاميذه الذين صاروا أئمة من بعده : أبو على الشاشى أحمد بن محمد بن إسحق البغدادى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) تولى التدريس للأحناف بعد الكرخى حين أصابه الفالج[٤]. وأبو بكر الدَّامْغَانى أحمد بن محمد بن منصور البغدادى (ت فى منتصف ق٤ هـ) أسند إليه الكرخى الفتوى دون أصحابه[٥]. وأبو عبد الله الحسين بن على البصرى البغدادى المعروف بالجُعَل وبالكاغدى (المتوفى ٣٦٩هـ/٩٧٩م). وهذا الأخير كان من شيوخ المعتزلة فى علم الكلام، وله تصانيف كثيرة على مذاهبهم، ومن أهم تصانيفه فى الفقه الحنفى: كتاب "شرح مختصر أبى الحسن الكرخى "[٦].

الثانى: أبو بكر الجصَّاص أحمد بن على الرازى (المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م) إمام أصحاب الرأى فى وقته. أصله من الرى، وورد بغداد فى شبيبته فاستوطنها، ودرس الفقه على أبى الحسن

---

١) تاريخ بغداد ١٠ / ٣٥٥، سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٢٦، البداية والنهاية ٦ / ٢٨٩.
٢) الأعلام للزركلى ٤ / ١٩٣ ،تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ / ٢٦٧ .
٣) الفهرست ص ٢٩٣.
٤) تاريخ بغداد ٤ / ٣٩٢ .
٥) تاريخ بغداد ٤ / ٣٩٢ ، ٥ / ٩٧ - ٩٨ .
٦) الفهرست ص ٢٩٤ ، ص ٢٤٨ . وله ترجمة فى تاريخ بغداد ٨ / ٧٣ - ٧٤، سير أعلام النبلاء ١٦ / ٢٢٤ - ٢٢٥، لسان الميزان لابن حجر ٢ / ٣٠٣ ، طبقات المفسرين للداودى ١ / ١٥٥ - ١٥٦ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٦٨ .

الكرخى، و لم يزل حتى انتهت إليه رياسة المذهب الحنفى، ورحل إليه المتفقهة من كل الآفاق، وعرض عليه الخليفة الطائع لله العباسى (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٤٧-٩٩١م) أن يوليه القضاء فامتنع[١]. ومن أشهر تصانيفه فى الفقه الحنفى: " شرح الجامع الكبير " (لمحمد بن الحسن تلميذ أبى حنيفة). و" شرح مختصر الطحاوى " (إمام الأحناف بمصر) وكتاب " أحكام القرآن"[٢] فسر فيه الآيات التى لها تعلق بالأحكام فقط، ويستطرد إلى كثير من مسائل الفقه والخلافيات بين الأئمة مع ذكر الأدلة بتوسع كبير وظهور روح التعصب للمذهب الحنفى فى كثير من المواقف والتشدد فى الرد على المخالفين[٣].

ومن تلاميذ الجصاص النابغين : أبو محمد بن يحيى بن مهدى الجرجانى (المتوفى ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م). سكن بغداد إلى أن توفى بها. وكان يدخل فى مناظرات فقهية مع أستاذه، ودرس الفقه الحنفى فى قطيعة الربيع بالكرخ ببغداد، وترك من المصنفات : كتاب "ترجيح مذهب أبى حنيفة"[٤].

والخلاصة: أن المذهب الحنفى احتل مكانة رفيعة بين العراقيين، ونبغ فيه مجموعة من الأئمة كانت إليهم الرحلة من الأقطار الإسلامية لدراسة فقه أبى حنيفة، وكان لهؤلاء الأئمة مؤلفات كثيرة (ذكرنا بعضها) شرحت قواعد المذهب وأصوله، وبسطت فروعه، وردت على المخالفين من فقهاء المذاهب الأخرى.

و لم يقف نمو المذهب فى العراق عند حدود القرن الرابع، وإنما استمر إلى ما بعد ذلك بنفس القوة والظهور، خصوصا فى عصر السلاجقة الذين كانوا يعتنقون هذا المذهب ويشجعون أنصاره، وبنوا لهم مدرسة لتدريسه سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[٥].

---

١) تاريخ بغداد ٤ / ٣١٤، سير أعلام النبلاء ١٦/٣٤٠، البداية والنهاية ٦/٣٨٠(طبعة دار الغد العربى) طبقات المفسرين للداودى ١ / ٥٥، الوافى بالوفيات للصفدى ٧/٢٤١.

٢) الفهرست ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

٣) راجع التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٠٤ - ١٠٦ . وانظر ما كتبناه عن هذا الكتاب (ص ٨٤) فى مبحث علوم القرآن (الاتجاه الرابع من اتجاهات التفسير فى بغداد - التفسير الفقهى) .

٤) تاريخ بغداد ٣ / ٤٣٣، البداية والنهاية ٦ / ٤٣٤ (طبعة دار الغد العربى)، الأعلام للزركلى ج ٧ ص ١٣٦.

٥) راجع " الحياة الاجتماعية والفكرية فى العراق منذ سنة ٣٣٤ هـ وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى " - رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) لهاشم عبد الراضى محمد - ج ٢ ص٨١٨.

ومن بغداد انتقل المذهب الحنفى إلى أقطار عديدة: إلى مصر والشام وخراسان وبلاد ما وراء النهر، ودخل بلاد المغرب فترة قصيرة، و لم يكن له وجود فى الأندلس إلا فى حدود ضيقة للغاية لغلبة المذهب المالكى على الحياة العلمية هناك كما سيتضح فى مكانه من الباب التالى إن شاء الله.

ثانيا: المذهب المالكى:

من المشهور أن الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ/٧١١-٧٩٥م) هو مؤسس المذهب المالكى. وكانت إقامته بالمدينة لم يتحول عنها، حتى إنه لما طلب منه الخليفة المهدى ثم الخليفة هارون الرشيد الخروج إلى بغداد أبى عليهما وفضل البقاء فى جوار النبى ﷺ[١]. وقد أجمع المؤرخون على أنه لم يكن بالمدينة عالم بعد التابعين يشبه مالكا فى العلم والفقه والجلالة والحفظ، وكان لملازمته المدينة وانتهاء رياسة الفقه بها إليه أثر كبير فى ذيوع شهرته وكثرة قاصديه من طلاب العلم الذين رحلوا إليه من مختلف الأقطار الإسلامية؛ من العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس. ولهذا كان له تلاميذ كثيرون انتفعوا به انتفاعا كبيرا ونقلوا مذهبه ونشروه فى بلادهم.

وقد ظهر المذهب المالكى فى مصر فى حياة الإمام مالك، وكان أشهر أصحابه الذين نشروا مذهبه فى مصر: عبد الرحمن بن القاسم (المتوفى ١٩٢هـ/٨٠٧م) صحب مالكا قرابة عشرين عاما وكان له دور كبير فى تدوين المذهب[٢]. وعبد الله بن وهب (المتوفى ١٩٧هـ/ ٨١٢م) الذى وصفه الإمام مالك ب " مفتى أهل مصر "[٣]. وأشهب بن عبد العزيز القيسى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م) الذى قال عنه الشافعى: " ما أخرجت مصر أفقه من أشهب "[٤]. وعبد الله بن الحكم " أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله "[٥].

دخول المذهب المالكى إلى بغداد فى القرن الثالث الهجرى:

وإذا كان المذهب المالكى قد انتقل إلى مصر فى حياة الإمام مالك وصارت له الغلبة على أيدى تلامذته المذكورين حتى جاء المذهب الشافعى فنازعه السلطان فيها فإن هذا المذهب لم

---

١) ابن فرحون: الديباج المذهب ص ١٣٢، الذهبى: سير أعلام النبلاء ٦٣/٨.

٢) سير أعلام النبلاء ١٢٠/٩. وله ترجمة فى تاريخ خليفة ص ٣٩٨، وفيات الأعيان ٣ /١٢٩، تهذيب التهذيب ٢٥٢/٦ وغيرها.

٣) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٧ وله ترجمة فى كثير من كتب التراجم والطبقات.

٤) سير أعلام النبلاء ٩ / ٥٠١، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٢ / ٤٤٧.

٥) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٢٢.

يحظ بالانتشار فى العراق إلا مع بداية النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى بفضل عائلة "حماد بن زيد" التى سيأتى الحديث عنها بعد قليل. وقد كانت هناك - قبل هذا التاريخ - جهود لنقل المالكية إلى العراق، ولكنها كانت جهودا محدودة ويدور أغلبها حول رواية " الموطأ " للإمام مالك، إلى جانب تدوين بعض أقواله فى بعض المصنفات[١]. ويعد "الموطأ " كتاب حديث وفقه سجل فيه مالك آراءه واجتهاده الذى ينتهى إليه مخرجا له على ما يعرض من أحاديث وفتاوى الصحابة وأقضيتهم وآراء التابعين وفتاويهم.

وكانت البداية الحقيقية لدخول هذا المذهب إلى العراق على يد عالم من أهل البصرة، هو أبو العباس أحمد بن المعذل البصرى، نعته الذهبى بقوله: «كان من بحور الفقه صاحب تصانيف وفصاحة وبيان. .. وكان أهل البصرة يسمونه الراهب لتعبده ودينه»[٢]. وهذا العالم نزل المدينة النبوية وتلقى الفقه المالكى عن عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن الماجشون (بكسر الجيم) (المتوفى ٢١٣هـ/٨٢٨م) تلميذ الإمام مالك ومفتى أهل المدينة فى زمانه[٣]. كما أنه تلقى المذهب أيضا عن عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب[٤]، وهما من تلاميذ مالك من أهل مصر كما ذكرنا.

وفى البصرة بدأ ابن المعذل فى نشر المذهب المالكى، وكان أبرز تلامذته الذين حملوا عنه المذهب ثلاثة[٥] هم:

١ - إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الجهضمى الأزدى البصرى قاضى بغداد (المتوفى ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، كان يقر بفضل شيخه ابن المعذل عليه فى الفقه ويقول: «أفخر على الناس برجلين فى البصرة: ابن المعذل يعلمنى الفقه، وابن المدينى يعلمنى الحديث»[٦].

---

١) راجع تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥١، ١٣٢/٧، ٨٢/٨، ٢ / ١٧٣، ٤ / ٢٢. والديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ٣٤٩، سير أعلام النبلاء للذهبى ٨ / ٨٥.

٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٢٠.

٣) من مصادر ترجمته: طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٤٨، طبقات ابن سعد ٥ / ٤٤٢، وفيات الأعيان ٣ / ١٦٦، تهذيب التهذيب ٦ / ٤٠٨، سير أعلام النبلاء ١٠ /٣٥٩.

٤) الفهرست لابن النديم ص ٢٨٢.

٥) سير أعلام النبلاء ٥٢٠/١١. وانظر تاريخ بغداد ٢٨٥/٦، ٢٨١/١٤-٢٨٣، الديباج المذهب ٢٨٤/١، ٣٤١.

٦) ابن فرحون: الديباج المذهب ١/ ٢٨٤.

٢ - حماد بن إسحق (أخو إسماعيل) (المتوفى ٢٦٧هـ/٨٨٠م).

٣ - يعقوب بن شيبة بن الصلت السدوسى البصرى (المتوفى ٢٦٢هـ/٨٧٥م). يقول عنه الخطيب: «كان من فقهاء البغداديين على قول مالك ومن كبار أصحاب أحمد بن المعذل، وأخذ عن عدة من أصحاب مالك»[١]. وقال ابن فرحون: «كان بارعا فى مذهب مالك، ألف فيه تآليف جليلة، وأخذ ذلك عن ابن المعذل»[٢]. وقد ذكرنا له " المسند المعلل " فى ثنايا حديثنا عن علم علل الحديث[٣].

وهؤلاء الثلاثة الفقهاء البصريون نزلوا بغداد وأقاموا بها ونشروا المذهب المالكى فيها كما تدل على ذلك تراجمهم.

أسرة " حماد بن زيد " ودورها فى نشر المالكية ببغداد:

وقد كان لإسماعيل بن إسحق الفضل الأكبر فى نشر فقه الإمام مالك فى بغداد، وإليه رحل عدد من أهل قرطبة بالأندلس لتلقى هذا الفقه كما سنبين فى حديثنا - فى القسم التالى - عن تأثر علماء قرطبة بالمذهب المالكى عن طريق بغداد[٤].ويعد هذا الفقيه من أشهر فقهاء المالكية بالعراق فى القرن الثالث الهجرى، ويمتد نسبه إلى عائلة عريقة كان لها نفوذ اجتماعى وتأثير علمى واسع ودور كبير فى نشر المذهب المالكى بالعراق، وهى عائلة "حماد بن زيد بن درهم "، يقول ابن فرحون عن هذه العائلة: «كانت هذه البيئة على كثرة رجالها وشهرة أعلامها من أجل بيوت العلم بالعراق، وأرفع مراتب السؤدد فى الدين والدنيا، وهم نشروا هذا المذهب (يعنى المالكى) هناك، وعنهم اقتبس، فمنهم من أئمة الفقه ومشيخة الحديث عدة، كلهم جلة ورجال سنة، روى عنهم فى أقطار الأرض، وانتشر ذكرهم ما بين المشرق والمغرب، وتردد العلم فى طبقاتهم وبيتهم نحو ثلاثمائة عام؛ من زمن جدهم الإمام حماد بن زيد[٥] وأخيه سعيد - ومولدهما فى نحو المائة - إلى وفاة آخر من وصف منهم بعلم وهو المعروف بابن أبى يعلى،

---

١) تاريخ بغداد ١٤ / ٢٨١ - ٢٨٣

٢) الديباج المذهب ٢ / ٣٦٣.

٣) راجع (ص ١٠٧) من مبحث علوم الحديث

٤) سيأتى الحديث عن ذلك (٥٤٧) من القسم التالى.

٥) هو حماد بن زيد بن درهم البصرى (المتوفى ١٦٧هـ). ثقة عابد محدث فقيه، وصفه الإمام أحمد بقوله «هو من أئمة المسلمين ومن أهل الدين» (من مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٧، تهذيب التهذيب٩/٣- ١١).

ووفاته قرب أربعمائة»[١].

وإلى هذه الأسرة ينتمى جماعة من العلماء الذين تفقهوا على مذهب مالك، ونشروه فى العراق ودونوه فى مؤلفاتهم، وحظوا بتولى منصب القضاء فى بغداد[٢].غير أن أكثر الشخصيات شهرة وأبرزهم فى هذه العائلة هو إسماعيل بن إسحق (المذكور)، وفيما يلى تعريف موجز بهذا الإمام وجهوده فى نشر المذهب:

تولى إسماعيل قضاء بغداد مدة كبيرة (من سنة٢٤٦هـ/٨٦٠م إلى حين وفاته سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥)، ووصل إلى رتبة الاجتهاد الفقهى وجمع آلته من العلوم، «و لم تحصل هذه الدرجة (أى لأحد من المالكية) بعد مالك إلا لإسماعيل» على حد قول أبى الوليد الباجى أحد فقهاء المالكية فى الأندلس[٣]. ويقول عنه التنوخى فى (نشوار المحاضرة) مبينا فضله فى خدمة المذهب المالكى: «أخذ الفقه على مذهب مالك عن أحمد بن المعذل، وتقدم فى هذا العلم حتى صار علما فيه، ونشر من مذهب مالك وفضله ما لم يكن بالعراق فى وقت من الأوقات، وصنف فى الاحتجاج والشرح له ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه وطريقا يسلكونه»[٤]. وقد أكثر العلماء فى الثناء على هذا الفقيه وإمامته فى كثير من العلوم الإسلامية الأصيلة، وعد له ابن فرحون سبعة وعشرين كتابا فى الفقه والحديث والقراءات والتفسير وغيرها[٥].

وأهم مؤلفاته التى صنفها لتقرير المذهب المالكى وتدوينه والرد على مخالفيه هى: كتاب "المبسوط" و"مختصره" وكتاب "الفرائض" - فى مجلد - وكتاب " أحكام القرآن" لم يسبق إلى مثله كما قال ابن فرحون (ووصل إلى قرطبة)، وكتاب " الموطأ "، وكتاب "الرد على أبى حنيفة" و"الرد على الشافعى " فى مسألة الخمس وغيرها، وكتاب "الرد على محمد بن الحسن" تلميذ أبى حنيفة - ويقع فى مائتى جزء من الأجزاء الصغيرة (و لم يتم)، وكتاب "مسند حديث مالك" وكتاب "شواهد الموطأ" وغيرها[٦].

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

٢) يرجع إلى تراجم هؤلاء العلماء فى الفهرست ص ٢٨٢، تاريخ بغداد ٨ / ١٥٩، ١١/ ٢٢٩، ١٤ / ٣٢٢ - ٣٢٤، الديباج المذهب ١/٣٤١، ٢ / ١٧٥ - ١٧٧، ١٨١ - ١٨٣.

٣) الديباج المذهب ١ / ٢٨٦.

٤) نشوار المحاضرة ٦ / ٢١ - ٢٣، تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٥ - ٢٨٦. وراجع الديباج المذهب ١ / ٢٨٥، معجم الأدباء لياقوت ٦ / ١٣١.

٥) الديباج المذهب ١ / ٢٨٩.

٦) الديباج ١ / ٢٨٥، ٢٨٩، الفهرست ص ٢٨٢، طبقات المفسرين للداودى ١ / ١٠٧ - ١٠٨.

المذهب المالكى فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى:

تلاميذ القاضى إسماعيل بن إسحق المالكى (مدرسته الفقهية):

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجرى - وفى النصف الأول منه - نجد أن تلاميذ إسماعيل القاضى واصلوا الجهود فى نشر المذهب المالكى فى بغداد وخارجها، وكونوا مدرسة فقهية تمثل المذهب، وأبرزهم ثلاثة من الأئمة:

الأول: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم البصرى قاضى بغداد (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) - من عائلة حماد بن زيد - كان معنيا بتدريس كتب الفقه المالكى التى صنفها القاضى إسماعيل بن إسحق، وحمل عنه الطلبة علما كثيرا من الفقه والحديث، وله مصنفات فيهما كثيرة، وهو الذى أمر بقتل الحلاج سنة ٣٠٩ هـ/٩٢١م[١].

الثانى: أبو الفرج عمرو بن محمد الليثى القاضى البغدادى (المتوفى ٣٣١هـ/٩٤٢م) صحب إسماعيل القاضى المالكى وكان من كتابه. وله من المؤلفات: " الحاوى " فى فقه المالكية، وكتاب "اللمع" فى أصول الفقه[٢].

الثالث: أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيرى البصرى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م). من أهل البصرة وانتقل إلى مصر قبل (سنة ٣٣٠هـ) وتوفى بها. أخذ عن القاضى إسماعيل كتبه بالإجازة. وله فى الفقه المالكى: كتاب "الأحكام" [مختصر من كتاب "أحكام القرآن" لإسماعيل القاضى]، وقد وصل إلى الأندلس، وكتاب " الرد على المزنى " [تلميذ الشافعى]، وكتاب " الأشربة " وهو نقض لكتاب الطحاوى إمام الأحناف بمصر، وقد وصل إلى الأندلس أيضا، وكتاب فى " مسائل الخلاف ". و" رسالة إلى من جهل محل مالك بن أنس فى العلم" [٣].

أبو بكر الأبهرى ومدرسته الفقهية:

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى برز فى بغداد واحد من أئمة المالكية، انتشر عنه

---

١) تاريخ بغداد ٣/٤٠١ - ٤٠٥، سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥٥٥ - ٥٥٧، البداية والنهاية ٦/٢٢١، الديباج المذهب ٢ / ١٨١ - ١٨٣.

٢) الفهرست ص ٢٨٣، الديباج المذهب ٢ / ١٢٧.

٣) الديباج المذهب ١ / ٣١٣ - ٣١٥، سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٣٧ - ٥٣٨، الوافى بالوفيات ١٠/ ٢١٧، ترتيب المدارك للقاضى عياض٣/٢٩٠-٢٩١. وراجع ملحقا بكتب الفقه التى وصلت الأندلس (ص ١٠٣٨).

المذهب فى البلاد وأسدى إليه خدمات جليلة، وكان له شأن كبير فى نصرته وتثبيته والرد على مخالفيه، واسمه أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح التميمى الأبهرى (٢٩٠-٣٧٥ هـ/٩٠٢-٩٨٥م). مولده بأبهر من أرض الجبل، وانتقل إلى بغداد وأقام بها. ووصفه الخطيب البغدادى بقوله: «انتهت إليه الرياسة فى مذهب مالك، وله تصانيف فى شرحه والاحتجاج له والرد على من خالفه ... وكان معظما عند سائر علماء وقته»[١]. ويقول ابن فرحون: «كان القيم برأى مالك فى العراق». ويقول أيضا: «لم ينجب أحد بالعراق من الأصحاب (أى المالكية) بعد إسماعيل القاضى ما أنجب أبو بكر الأبهرى، كما أنهما لاقرين لهما فى المذهب بقطر من الأقطار إلا سحنون بن سعيد (بالمغرب فى طبقتهما)، بل هو (أى الأبهرى) أكثر الجميع أصحابا وأفضلهم أتباعا، وأنجبهم طلابا»[٢].

وتشير المصادر إلى أنه كان متمكنا من آراء المذاهب الأخرى، فإذا اختلف أصحاب الشافعى وأبى حنيفة فى أقوال أئمتهم يسألونه فيرجعون إلى قوله ويسلمون له[٣]. وقد كان الأبهرى على صلة وثيقة بكتب المالكية، ينسخها ويراجعها باستمرار ويدرسها لطلابه؛ وفى ذلك يروى أحد تلامذته فى " جزء " له جمعه فى أخباره أنه سمعه يقول: «قرأت (مختصر ابن عبد الحكم) خمسمائة مرة، و(الأسدية) خمسا وسبعين مرة، و(الموطأ) كذلك، و(المبسوط) ثلاثين مرة، و(مختصر ابن البرقى) سبعين مرة»[٤]. وهذه مؤلفات فى المذهب المالكى. وليس ذلك بمستغرب، لاسيما إذا عرفنا أن الأبهرى لم يكن له شغل إلا العلم، وبقى ستين عاما بجامع المنصور ببغداد يدرس ويفتى، وأنه رفض منصب القضاء حينما عرض عليه[٥]، مما أتاح له فرصة أكبر فى نشر المذهب، وأن يتبوأ مكانة عالية بين الفقهاء المالكية وأهل العلم عامة.

وأهم المؤلفات الفقهية التى دعم بها الأبهرى مذهبه: " شرح المختصر الكبير " و" شرح المختصر الصغير " [٦] لعبد الله بن الحكم الفقيه المالكى المصرى (المتوفى ٢١٤هـ/٨٢٩م). والمختصر الكبير لابن عبد الحكم يضم ثمان عشرة ألف مسألة فقهية[٧]، وهو عبارة عن سماعاته الفقهية من عبد الرحمن بن القاسم (توفى ١٩٢هـ/٨٠٧م) وعبد الله بن وهب (توفى

١) تاريخ بغداد ٤٦٢/٥ - ٤٦٣.
٢) الديباج المذهب ٢ / ٢٠٩
٣) الديباج المذهب ٢ / ٢٠٧.
٤) الديباج ٢ / ٢٠٧.
٥) تاريخ بغداد ٥ / ٤٦٣، الديباج ٢ / ٢٠٩.
٦) الديباج المذهب ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٧، سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٣٣.
٧) الديباج المذهب ٢ / ٢٠٨.

١٩٧هـ/٨١٢م) وأشهب بن عبد العزيز (توفى ٢٠٤هـ/٨١٩م)، وثلاثتهم من تلاميذ مالك المباشرين، وكان عليهم المعول فى نشر مذهبه فى مصر كما أوضحنا من قبل[١]. وقد أوضح ابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) أن الكتابين - المختصر الكبير والصغير - كان عليهما معول البغداديين المالكية فى المدارسة، وإياهما شرح أبو بكر الأبهرى [٢]. وهذان الكتابان نقلهما علماء قرطبة إلى الأندلس، وسيأتى الحديث عن ذلك فى مكانه[٣].

ومن مؤلفاته الفقهية أيضا: " كتاب الرد على المزنى " (تلميذ الشافعى) فى ثلاثين مسئلة. وكتاب صغير فى " أصول الفقه " وكتاب " إجماع أهل المدينة "[٤].

وقد تفقه على أبى بكر الأبهرى عدد كبير من أهل العراق وخراسان ومصر والمغرب والأندلس، يقول الدارقطنى - وكان من تلاميذه ببغداد ولكن لم يكن مالكيا - يقول: «كانت إليه الرحلة من أقطار الدنيا، ورأيت جماعة من الأندلس والمغرب على بابه»[٥]. ومن أشهر تلاميذه فى بغداد الذين حملوا لواء المذهب من بعده اثنان:

الأول: أبو القاسم عبيد الله بن الجلاب البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٣٧٨هـ/٩٨٨م). قال عنه الذهبى: «تفقه بالقاضى أبى بكر الأبهرى وكان أفقه المالكية فى زمانه بعد الأبهرى، وما خلف ببغداد فى المذهب مثله»[٦]. وله فى الفقه المالكى كتاب "التفريع" - وهذا الكتاب وصل إلى الأندلس - وكتاب " شرح المدونة " وكتاب " مسائل الخلاف "[٧].

الثانى: أبو الحسن على بن محمد بن عمر، قاضى بغداد المعروف بابن القصار (المتوفى ٣٩٧ هـ/١٠٠٦م). من كبار تلامذة الأبهرى. وله كتاب " مسائل الخلاف " قال عنه الشيرازى فى "طبقات الفقهاء": «لا أعرف للمالكيين كتابا فى الخلاف أحسن منه»[٨]. وذكر فؤاد بن سزكين أن اسم هذا الكتاب هو "عيون الأدلة فى مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار" واختصره القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على المالكى البغدادى نزيل مصر (المتوفى ٤٢٢هـ/١٠٣٠م)[٩].

---

١) راجع (ص ١٣٦) من هذا المبحث.
٢) سير أعلام النبلاء ١٠ /٢٢٢.
٣) راجع (ص٥٤٧) من القسم التالى.
٤) الفهرست ص ٢٨٣، الأعلام للزركلى ج ٦ ص ٢٢٥.
٥) سير أعلام النبلاء ٣٣٢/١٦، الديباج المذهب ٢ / ٢٠٨.
٦) سير أعلام النبلاء ٣٨٤/١٦.
٧) سير أعلام النبلاء ٣٨٤/١٦/ تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين - المجلد الأول ج ٣ ص ١٥٠، ١٦٦، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٦ [دار المعارف].
٨) طبقات الفقهاء ص ١٦٨، سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٠٨، الديباج المذهب ٢ /١٠٠.
٩) تاريخ التراث العربى - المجلد الأول ج ٣ ص ١٧٤.

ضعف المذهب المالكى بالعراق بعد القرن الرابع الهجرى:

وبعد موت الأبهرى وكبار تلاميذه وأصحابه وخروج منصب القضاء عن المالكيين إلى غيرهم من مذهبى الشافعى وأبى حنيفة ضعف مذهب مالك بالعراق وقل طالبه بعد القرن الرابع الهجرى. ويعلل ابن فرحون قلة الإقبال على المذهب المالكى بعد ذلك التاريخ بأن الناس غالبا يميلون إلى أهل الرياسة والظهور[١].

وقد ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخه عددا من العراقيين ممن تفقهوا على مذهب مالك خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجرى [٢]، لكن لم يكن لهم تأثير ملحوظ فى خدمة المذهب ونشره، باستثناء رجلين وصلا إلى رتبة الاجتهاد فيه، هما القاضى عبد الوهاب بن على ابن نصر البغدادى المتوفى بمصر سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م صاحب كتاب " التلقين " فى الفقه المالكى [٣]. وأبو الفضل محمد بن عبيد الله بن عمروس البغدادى (المتوفى ٤٥١هـ/١٠٥٩م) تلميذ ابن القصار المذكور من قبل. له تعليق حسن فى فقه الخلاف[٤]، ودرس عليه بعض أهل الأندلس كما سيأتى فى بابه.

والخلاصة: أن المذهب المالكى نشأ وانتظم فى بلاد الحجاز، وظهر قويا فى مصر فى حياة الإمام مالك، وعاش جنبا إلى جنب مع المذاهب الأخرى فى بغداد منذ بداية القرن الرابع، حيث قل طالبوه بعد ذلك، ويأتى ترتيبه - من حيث الشيوع والانتشار فى بغداد - بعد المذهبين الحنفى والشافعى، وربما تساوى مع المذهب الشافعى فى ذلك. وقد كان لأسرة "حماد ابن زيد بن درهم" البصرية التى استقرت فى بغداد فى القرنين (٣،٤هـ) دور كبير فى نشر المالكية بالعراق خلال القرنين المذكورين.

وفى الأندلس كان المذهب المالكى صاحب السلطان على الحياة العلمية والمذهب الرسمى للدولة، وقد نقله الأندلسيون إلى بلادهم فى حياة الإمام مالك وبعد موته، واعتمدوا أيضا على تلامذته المصريين، وكان لبغداد تأثير مباشر فى تدعيم قرطبة بهذا المذهب الفقهى، لكن هذا

---

١) الديباج المذهب ٢ / ٢٠٩.

٢) راجع تاريخ بغداد ٥/٦٤-٦٥، ص١٢٤-١٢٥، ص٣٢٢، ٢/٣٣٩، ٦/١٩-٢٠، ٢١/١٩٧-١٩٨، ص ١٠٠-١٠١.

٣) طبقات الشيرازى ص ١٤٣، وفيات الأعيان ٣/٢١٩ - ٢٢٢، تاريخ بغداد ١١/٣١ - ٣٢، سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٢٩ - ٤٣١، الديباج المذهب ٢/٢٦ - ٢٩.

٤) تاريخ بغداد ٢/٣٣٩، الديباج المذهب ٢/٢٣٨، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٣ - ٧٤، ترتيب المدارك ٤ / ٧٦٢ - ٧٦٣.

التأثير العراقى جاء متأخرا، أى بعد أن اشتد عود المذهب فى قرطبة اعتمادا على المدينة النبوية ومصر، وسيأتى تفصيل ذلك فى بابه إن شاء الله.

ثالثا: المذهب الشافعى:

ظهوره فى بغداد:

يحتل المذهب الشافعى المرتبة الثالثة من حيث النشأة والظهور، فقد كان ظهوره بعد المذهب الحنفى فى العراق والمذهب المالكى فى الحجاز، كما أنه انتشر فى بغداد قبل أن ينتقل المذهب المالكى إليها.

ومؤسس هذا المذهب هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠-٢٠٤ هـ/٧٦٧-٨١٩م). والحديث عن طلبه العلم ومكانته فيه وفضله وجوانب سيرته مستفيض ومشهور، والذى يعنينا من ذلك ما يتصل بظهور مذهبه فى بغداد؛ فبعد أن تلقى الحديث النبوى والفقه على عدد من شيوخ الحجاز - وفى مقدمتهم الإمام مالك - دخل بغداد فى خلافة هارون الرشيد (١٧٠ -١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) بسبب محنة ألمت به[١]، وكان ذلك فى حدود سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م[٢]. وفى هذه القدمة - التى استغرقت مدة سنتين تقريبا - لازم الشافعى فقيها حنفيا كبيرا هو محمد بن الحسن الشيبانى [٣] (المتوفى ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) تلميذ أبى حنيفة، فنقل عنه الشافعى ودارسه، وقرأ كتبه التى صنفها فى فقه العراقيين (الفقه الحنفى)وحمل عنه علما كثيرا حتى لقد قال: «حملت عن علم محمد بن الحسن وفر بعير»[٤]، وكان يجله ويكبره ويقر له بالفضل فيقول:«أمن الناس على فى الفقه محمد بن الحسن»[٥]. وفى أثناء إقامته ببغداد كان الشافعى يناظر تلاميذ أبى حنيفة ويحاورهم. وقد أتاح له ذلك كله أن يجتمع له فقه أهل العراق إلى جانب فقه أهل الحجاز، وبعبارة ابن حجر: «اجتمع له علم أهل الرأى وعلم أهل الحديث»[٦].

عاد الشافعى إلى الحجاز ومعه كتب العراقيين فى الفقه، فأقام بمكة مدة تسع سنين يدرس

---

١) تفاصيل هذه المحنة فى: توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس - لابن حجر العسقلانى ص ١٥٩ وما بعدها.
٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٥٠، تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤١٤.
٣) راجع ما ذكرناه عنه (ص ١٣٢) من هذا الفصل.
٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٤ ص ١٨٤.
٥) تاريخ بغداد ٢ / ١٧٦.
٦) توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس لابن حجر ص ١٢٥.

ويفتى ويوازن بين الآراء المختلفة التى وعاها والمناهج المتعددة التى عرفها، وقاده ذلك إلى التحلل من التبعية لأى طائفة من الفقهاء والخروج باجتهاد مستقل ومنهج (مذهب) جديد فى ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ[١].

وقد رأى الشافعى أن من واجبه أن ينشر ما وصل إليه من اجتهاد، وليس ثمة إلا مكان ينبثق منه نور العلم إلى البلاد الإسلامية، وهو مقر الخلافة العباسية (بغداد)، فقدم إليها ثانية (سنة١٩٥هـ/٨١٠م)، أى بعد وفاة محمد بن الحسن الشيبانى، فمكث فيها مدة سنتين[٢]. وفى هذه القدمة استرعى نظر كل العلماء، واحتف به طلاب العلم وأعجبوا بشخصيته، ووجدوا فيه من الصفات ما لم يعهدوه فيمن سبقوه، كالقدرة على المناظرة وقوة الاستدلال والفصاحة والبيان، فاستولى عليهم عامل الرغبة فى الاستفادة؛ ويؤيد ذلك قول أبى الفضل الزجاج: «لما قدم الشافعى إلى بغداد وكان فى الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة، فلما دخل بغداد ما زال يقعد فى حلقة حلقة ويقول لهم: قال الله وقال الرسول، وهم يقولون: قال أصحابنا. حتى ما بقى فى المسجد حلقة غيره»[٣]. وهذه الرواية تدل على أن البغداديين قد غلب عليهم طريقة أهل الرأى فى الفقه، وهم الأحناف، فلما قدم الشافعى بغداد أتى بمنهج لم يكن على طريقة ما درسوه أو عهدوه، ويؤيد ذلك أيضا ما قاله أحد تلامذته البغداديين وهو الحسن بن محمد الزعفرانى البغدادى (الآتى ذكره) قال: «لقد كتبنا كتب الشافعى يوم كتبناها وقرأناها عليه وإنا لنحسب أنا فى اللعب وما يحصل فى أيدينا شئ، وأنه ضرب من اللعب، ولا نصدق أنه يكون آخر أمره إلى هذا، وذلك أنه قد غلب علينا قول الكوفيين»[٤] أى غلب عليهم طريقة الأحناف فى الاعتماد على القياس والاستحسان والتوسع فيهما[٥].

والكتب التى أملاها الشافعى فى بغداد - والتى أطلق عليها الكتب البغدادية - هى كتاب " المبسوط "، وهو كتاب (الأم) الذى اشتمل على أكثر ما أثر عنه فى الفروع الفقهية. وكتاب

---

١) راجع تاريخ المذاهب الإسلامية لأبى زهرة ص ٤١٥ - ٤١٦، حضارة العراق لنخبة من الباحثين ج ٧ ص ١٧٣ (الفصل الخاص بالتشريع)، تاريخ التشريع الإسلامى للدكتور حسن محمد سفر ص ٣٤.

٢) تاريخ بغداد ٦٨/٢، سير أعلام النبلاء ١٠ /٥٠، ٨٥، توالى التأسيس لابن حجر ص ١٧٦.

٣) تاريخ بغداد ٢ / ٦٨ - ٦٩.

٤) تاريخ بغداد ٧ / ٤٠٨.

٥) راجع ما كتبناه عن توسع الأحناف فى الاعتماد على الرأى فى أول حديثنا عن المذهب الحنفى (ص١٣١).

"الرسالة" فى أصول الفقه[١]. وسيأتى ذكره عند الحديث عن تدوين علم أصول الفقه فى بغداد. وهذان الكتابان انتقلا إلى قرطبة فى إطار عناية علماء الأندلس بالمذهب الشافعى ومحاولة نقله إلى بلادهم، وسيأتى الإشارة إلى ذلك فى القسم الثانى إن شاء الله[٢].

أبرز تلاميذ الشافعى فى بغداد:

تتلمذ للشافعى فى بغداد - وقبل رحيله إلى مصر - كثيرون، برز منهم ستة[٣] نفر كانوا بمثابة الأصحاب له ورواة مذهبه، وجميعهم بغداديون، وهم: أحمد بن حنبل الشيبانى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م) الذى اجتهد لنفسه وصار له مذهب مستقل وأتباع كثر. وأبو على الحسين ابن على الكرابيسى (المتوفى ٢٤٨هـ/٨٦٢م) له مصنفات فى أصول الفقه وفروعه. والحارث ابن شريح النقال (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م) سمى بذلك لأنه نقل "رسالة" الشافعى فى أصول الفقه إلى عبد الرحمن بن مهدى أحد كبار رجال الحديث النبوى بالعراق[٤]. وأبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز الذى كان من الملازمين للشافعى وانتحل طريقة المعتزلة فى علم الكلام[٥]. وأبو على الزعفرانى (الحسن بن محمد الصباح - المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م) أثبت من روى كتب الشافعى البغدادية، وكان يتولى القراءة فى مجلس أستاذه فى حضور أحمد بن حنبل وغيره[٦]. وأخيرا: أبو ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبى (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، كان أول اشتغاله فى الفقه بمذهب أهل الرأى (الأحناف) حتى قدم الشافعى بغداد فاختلف إليه واتبعه وقرأ كتبه وترك مذهبه الأول[٧]. وأبو ثور - وإن كان معدودا من كبار الشافعية - فقد كان له مذهب مستقل وله أتباع، ولكن لم يدم مذهبه طويلا. وله من المصنفات الفقهية "كتاب فى الفقه" رتبه تبعا لكتاب (الأم). وكتاب ذكر فيه "اختلاف مالك والشافعى " وهو فى هذا

---

١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٦٢، ٢٦٣، تاريخ بغداد ٧ / ٤٠٧، الفهرست ص ٢٩٥، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٢ ص ١١٥.

٢) راجع (ص ٥٥١) من القسم التالى.

٣) تاريخ بغداد ٢ / ٦٨.

٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٢ / ١١٢.

٥) تاريخ بغداد ٥ / ٢٠٠، طبقات الشافعية للسبكى ٢ / ٦٤ - ٦٥.

٦) الفهرست ص ٢٩٧، تاريخ بغداد ٧/٤٠٧- ٤١١، وفيات الأعيان ٢ / ٧٣ - ٧٤، طبقات الشافعية للسبكى ٢ / ١١٤ - ١١٧، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ / ٣١٨، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٢٧ - ٢٨، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٦٢ - ٢٦٤.

٧) راجع قصة تركه لمذهبه الأول فى تاريخ بغداد ٦ / ٦٨.

الكتاب - وغيره من كتبه - أكثر ميلا إلى الشافعى كما يقول ابن عبد البر القرطبى [١].

نزول الشافعى مصر وذيوع مذهبه الجديد بها:

وقبل أن نكمل المسيرة مع نمو المذهب الشافعى فى بغداد نذكر كلمة موجزة عن انتقال هذا المذهب إلى مصر وذيوعه هناك.

فقد خرج الشافعى من بغداد إلى مصر سنة ١٩٨هـ، وقيل: سنة ١٩٩هـ/٨١٤م[٢]، «مع أن السياق التاريخى كان يقتضى أن يقيم فى بغداد طويلا،لأنها عش العلماء وقصبة الدولة الإسلامية، وقد صار له بها تلاميذ ومريدون، والعلم الذى ينتشر بين ربوعها يشع نوره فى كل الآفاق الإسلامية»[٣]. ومهما كان من سبب فى نزوح الشافعى إلى مصر[٤] فمن المؤكد أنه عمل على نشر مذهبه بها تدريسا وإفتاء وتصنيفا إلى أن توفى ودفن بها (سنة٢٠٤هـ/٨١٩م).

وقد رجع الشافعى عن كثير من الآراء التى قال بها فى العراق، وأصبح فى مذهبه ما يعرف بالقول القديم والقول الجديد. فالقديم هو كل ما صنفه الشافعى فى الفقه وما صرح به من آراء فقهية فى بغداد استنباطا من حصيلته العلمية التى تلقاها من أساتذته فى الحجاز والعراق. ويتسم هذا المذهب القديم فى عمومه بموافقاته لمذهب الإمام مالك بن أنس[٥]. ومن أشهر رواته البغاددة: الزعفرانى وأبو ثور والكرابيسى وأحمد بن حنبل[٦].

وأما القول الجديد فيطلق على كل ما صنفه أو قاله الشافعى بعد دخوله مصر[٧]. وأشهر رواة الجديد فى مصر: البويطى (المتوفى ٢٣١هـ/٨٤٥م) والمزنى (المتوفى ٢٦٤هـ/٨٧٧م) والربيع المرادى (المتوفى ٢٧٠هـ/٨٨٣م) والربيع الجيزى (المتوفى ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ويونس ابن عبد الأعلى (المتوفى ٢٦٤هـ/٨٧٧م) ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى فى حدود

---

١) الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص ١٠٧، تاريخ بغداد ٦ / ٦٥ - ٦٩، وفيات الأعيان ١/٢٦، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٧٢ - ٧٦، طبقات الشافعية للسبكى ٢ / ٧٤ - ٨٠، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٢٢ - ٢٣.

٢) تاريخ بغداد ٢ / ٦٨، سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥١، - توالى التأسيس ص ١٧٦ - ١٧٧.

٣) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٤١٨.

٤) راجع عن ذلك طبقات ابن هداية الله ص ١٣، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبى زهرة ص ٤١٨.

٥) المذهب عند الشافعية - بحث للدكتور محمد إبراهيم أحمد منشور بمجلة جامعة الملك عبد العزيز - العدد الثانى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ص ٢٧ - ٢٨).

٦) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٣.

٧) المذهب عند الشافعية (مقال مذكور) ص ٢٨.

٢٦٠هـ/٨٧٣م) وحرملة (المتوفى ٢٤٣هـ/٨٥٧م)[١]. وإلى الثلاثة الأول يرجع أكبر الفضل فى نقل مذهب الشافعى الجديد، وما رووه مقدم على ما رواه الآخرون. والربيع المرادى هو أكثرهم رواية، ومن ثم انطبق عليه قول الشافعى «الربيع روايتى»[٢] وهو الذى روى كتاب (الأم) كاملا وصارت إليه الرواحل من أقطار الأرض لسماع كتب الشافعى [٣].

وهؤلاء التلاميذ الفقهاء المصريون أدوا واجبهم فى نقل المذهب إلى طلابهم ليقوموا بنشره فى أنحاء المعمورة، وهم فى عملهم هذا لم يكتفوا بنقل أقوال إمامهم، بل عملوا على تنمية المذهب وتوسيعه باجتهاداتهم وتخريجاتهم ومصنفاتهم.

انتقال المذهب الشافعى فى ثوبه الجديد من مصر إلى بغداد:

وقد أصبحت آراء الشافعى وكتبه الجديدة التى وضعها فى مصر هى المعتمدة فى مذهبه، وانتشرت عنه فى الآفاق بجهود تلامذته. أما كتبه وأقواله القديمة - التى رواها عنه البغداديون قبل انتقاله إلى مصر - فقد قل الاعتماد عليها بصورة كبيرة، ويشهد لذلك أن أحد طلاب الفقه فى بغداد سأل الإمام أحمد بن حنبل: ما ترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين أهى أحب إليك أو التى بمصر؟، فقال: «عليك بالكتب التى عملها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك»[٤]. ومن هنا أدرك العراقيون قيمة آرائه وكتبه الجديدة وأهميتها فعملوا على نقلها إلى بغداد. وقد أشارت كتب الطبقات إلى عالمين من بغداد كان لهما الفضل فى ذلك، كما كان لهما الفضل فى تثبيت أركان المذهب فى حاضرة الخلافة، وهما:

الأول: أبو القاسم الأنماطى عثمان بن سعيد بن بشار البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠٠م) من كبار الفقهاء الشافعية. أخذ الفقه الشافعى فى مصر عن المزنى والربيع المرادى، «وكان هو السبب فى نشاط الناس ببغداد فى كتب الشافعى وحفظها» كما يقول ابن خلكان[٥].

والثانى: أبو جعفر الترمذى محمد بن أحمد بن نصر البغدادى (المتوفى ٢٩٥هـ/٩٠٧م). كان أولا من كبار الفقهاء الحنفية ثم تحول إلى الشافعية وتفقه فى مصر على الربيع المرادى

---

١) راجع عن هؤلاء الفقهاء كتاب طبقات الفقهاء للشيرازى (ص ٩٧ - ٩٩).
٢) طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٩٧-٩٨، انظر المقال السابق ص ٢٩.
٣) الاجتهاد وطبقات مجتهدى الشافعية للدكتور محمد حسن هيتو ص ١٣٥.
٤) سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٥.
٥) وفيات الأعيان ٣ / ٢٤١. وراجع تاريخ بغداد ١١/٢٩٢-٢٩٣، طبقات الشافعية للسبكى ٢/٣٠١-٣٠٢، سير أعلام النبلاء ١٣/٤٢٩-٤٣٠.

وغيره، ثم سكن بغداد ونشر بها كتب الشافعى الجديدة. قال الدار قطنى: «لم يكن للشافعيين فى العراق أرأس منه ولا أشد ورعا»[١].

نشاط المذهب وذيوعه ببغداد فى القرن الرابع الهجرى

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجرى فسنجد أن المذهب الشافعى قد اتسعت رقعته فى بغداد، ونازع فيها المذهب الحنفى من حيث الذيوع والانتشار، وأصبح له أتباع كثر، تتلمذ عليهم عدد كبير من الطلاب النازحين إلى بغداد، فانتشر المذهب فى كثير من البلدان فى المشرق الإسلامى، خصوصا فى بلاد خراسان وما وراء النهر، وظهر فى الفقه الشافعى مدرستان: مدرسة العراقيين ومدرسة الخراسانيين.

وأول من يطالعنا فى أول القرن الرابع الهجرى من كبار الشافعية فى بغداد، وعنه انتشر فقه الشافعى فى الآفاق (كما يقول الرواة) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضى البغدادى (المتوفى ٣٠٦هـ/٩١٨م) تلميذ الأنماطى (المذكور آنفا). قال الشيرازى: «كان ابن سريج يفضل على جميع أصحاب الشافعى، حتى على المزنى»[٢]، ونعته السبكى بقوله «شيخ المذهب وحامل لوائه»[٣]، وثناء العلماء عليه وبيان فضله فى نشر المذهب وشرحه والرد على مخالفيه من الحنفية والظاهرية كثير، حتى إنه وصف بالشافعى الصغير[٤]. وبرع فى علم الكلام كبراعته فى الفقه، وبلغت مصنفاته الأربعمائة[٥]، منها فى الفقه: كتاب " الرد على محمد بن الحسن " (تلميذ أبى حنيفة)، وكتاب " الرد على ابن داود الظاهرى "، وكتاب " التقريب بين المزنى والشافعى "وغيرها[٦].

وقد عاصر ابن سريج اثنان من شيوخ الشافعية فى بغداد:

أولهما: ابن خيران: الحسن بن صالح (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م). قال عنه السبكى: «أحد أركان المذهب». وقال الخطيب البغدادى: «كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء مع حسن المذهب وقوة الورع». وكان يعيب على ابن سريج توليه القضاء ويقول له: «هذا الأمر لم يكن

---

١) تاريخ بغداد ١/٣٦٥-٣٦٦، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٠٥، وفيات الأعيان ٤/١٩٥-١٩٦، طبقات الشافعية للسبكى ٢/١٨٧-١٨٨، سير أعلام النبلاء ١٣/٥٤٥-٥٤٧، لسان الميزان لابن حجر ٥/٤٦.

٢) طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٠٩، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٤١-٤٢.

٣) طبقات الشافعية للسبكى ج ٣ ص ٢١.

٤) طبقات السبكى ج ٣ ص ٢٢.

٥) طبقات السبكى ٣/٢٣، طبقات الشيرازى ص ١٠٩، البداية والنهاية ٦ / ١١٦.

٦) الفهرست لابن النديم ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

فى أصحابنا، إنما كان فى أصحاب أبى حنيفة»[١].

والثانى: أبو سعيد الإصطخرى الحسن بن أحمد بن يزيد (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م). تفقه بأصحاب المزنى والربيع المرادى (المصريين). أصله من اصطخر بفارس، وولى الحسبة ببغداد. قال عنه تلميذه أبو إسحق المروزى: «لما دخلت بغداد لم يكن بها من يستحق أن أدرس عليه (أى فقه الشافعى) إلا أبا سعيد الإصطخرى وأبا العباس بن سريج». ونعته ابن النديم بأنه «كان رأسا فى مذهب الشافعى». ومن مؤلفاته فى المذهب " كتاب الأقضية " لم يصنف مثله فى بابه كما يقول ابن كثير، وكتاب " الفرائض" الكبير، وكتاب " الشروط والوثائق"[٢].

وقبل أن ينتهى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى برز عدد من الفقهاء انتهت إليهم رئاسة المذهب الشافعى فى بغداد، وأثروا المذهب بمؤلفات حسان، وأكثرهم تفقه على ابن سريج، منهم أبو إسحق المروزى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م) تتلمذ عليه سبعون إماما من الأئمة الشافعية من مختلف البلدان. وله شرح " مختصر المزنى " فى ثمانية أجزاء[٣]. ومنهم: أبو بكر الصيرفى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) أعلم الناس بأصول الفقه بعد الشافعى، وله فيه مصنف[٤]. ومنهم: القاضى أبو على بن أبى هريرة (المتوفى ٣٤٥هـ/٩٥٦م) له شرحان على " مختصر المزنى " وتخرج عليه خلق كثير من الشافعية[٥]، ومن تلامذته الأعلام: أبو على الطبرى (المتوفى ٣٥٠هـ/٩٦١م) من طبرستان وعاش فى بغداد، وصنف كتاب " المحرر " فى الفقه المقارن، و"شرح مختصر المزنى"[٦].

---

١) راجع تاريخ بغداد ٨/٥٣-٥٤، وفيات الأعيان ١/١٣٣-١٣٤، البداية والنهاية ٦/٢٢١، طبقات الشافعية للسبكى ٣/٢٧١-٢٧٣، طبقات مجتهدى الشافعية للدكتور محمد حسن هيتو ص ١٣٥.

٢) هذه المعلومات عن أبى سعيد الإصطخرى منقولة من: الفهرست ص ٣٠٠، تاريخ بغداد ٧/٢٦٨، وفيات الأعيان ٢/٧٤-٧٥، طبقات الشافعية للسبكى ٣/٢٣٠-٢٣٣، البداية والنهاية ٦/٢٤٨، سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٢٥٠-٢٥٢.

٣) الفهرست ص٢٩٩، تاريخ بغداد٦/١١، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١١٢، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٦-٦٨، وفيات الأعيان ١/٢٦-٢٧، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٢٩-٤٣٠، شذرات الذهب ٢/٣٥٥.

٤) الفهرست ص٣٠٠، تاريخ بغداد ٥/٤٤٩، طبقات الشافعية للسبكى ٣/١٨٦، وفيات الأعيان٤/١٩٩، الوافى بالوفيات ٣/٣٤٠-٣٤٦.

٥) له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٧/٢٩٨-٣٠٠، طبقات الشيرازى ١١٢-١١٣، طبقات السبكى ٣/٢٥٦-٢٥٧، وفيات الأعيان ٢/٧٥، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٣٠.

٦) له ترجمة فى: الفهرست ص ٣٠١، تاريخ بغداد ٧/٨٧، طبقات الشيرازى ص ١١٥، وفيات الأعيان ٢/ ٧٦، طبقات الشافعية للسبكى ٣/٢٨٠، طبقات الشافعية لابن هداية الله ٧٤-٧٥، سير أعلام النبلاء ١٦ /٦٢-٦٣، البداية والنهاية ٦/٣٠٦، شذرات الذهب ٣/٣.

وفى النصف الثانى من القرن نفسه ظل المذهب فى نمو مستمر وذيوع، وحسبنا أن نتعرف على واحد من أبرز أئمة المذهب ببغداد فى هذه الفترة، وهو أبو القاسم الداركى (بفتح الراء) عبد العزيز بن عبد الله (المتوفى ٣٧٥هـ/٩٨٥م) - نسبة إلى دارك من أصبهان - ونزل نيسابور فدرس بها الفقه الشافعى سنتين، ثم انتقل إلى بغداد وسكنها إلى حين وفاته، وأخذ عنه عامة شيوخها الشافعيين، وكان صاحب رأى واجتهاد، وله فى المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه خالف فيها الشافعى وأبا حنيفة. وانتحل مذهب المعتزلة فى علم الكلام[١].

والخلاصة: أن المذهب الشافعى قدر له أن يحظى بقسط وافر من الذيوع والانتشار فى العراق خلال القرنين فترة الدراسة، وانتشر بصورة أفضل فى القرن الرابع الهجرى والذى يليه. ومن بغداد انبثق إلى خراسان وما وراء النهر فى آخر القرن الثالث الهجرى. وقد ذاع المذهب فى مصر أيضا (لنزول الشافعى بها إلى آخر حياته) وزاحم فيها المذهبين المالكى والحنفى.

وقد لاحظنا أن المذهب الشافعى رغم ما كان له من مكانة جيدة عند البغداديين فقد كانت الغلبة للفقهاء المالكية والحنفية بخصوص منصب القضاء[٢].

والمذهب الشافعى - وهو ثالث المذاهب السنية المعتمدة ظهورا بعد المذهبين الحنفى والمالكى - مر بمرحلة من التطور لم تطرأ على غيره من المذاهب، وهى مرحلة التأسيس حيث ظهر فيه ما يعرف بالقديم والجديد من أقوال الشافعى.

أما عن انتقال هذا المذهب إلى قرطبة فقد كانت مصر (فى ق ٣) ثم بغداد (فى ق٤هـ) فى مقدمة المدن التى شاركت فى نقله إلى الحاضرة الأندلسية، لكن لم يكن له حضور كبير هناك لغلبة المذهب المالكى على المستوى الرسمى والحياة العامة. وسيأتى تفصيل ذلك فى بابه إن شاء الله تعالى [٣].

وننتقل الآن إلى الحديث عن مذهب فقهى آخر، وهو المذهب الحنبلى.

رابعا: المذهب الحنبلى:

مؤسس هذا المذهب هو الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى المروزى (١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م). كانت نشأته فى بغداد ومنها اشتهر. تلقى الحديث النبوى عن أكابر المحدثين فى

---

١) تاريخ بغداد ٤٦٣/١٠-٤٦٥، طبقات الفقهاء للشيرازى ١١٧-١١٨، وفيات الأعيان ١٨٨/٣-١٨٩، طبقات الشافعية للسبكى ج ٣ ص ٣٣٠-٣٣٣، سير أعلام النبلاء ٤٠٤/١٦-٤٠٥، البداية والنهاية ٣٨٩/٦.

٢) راجع طبقات الشافعية للسبكى ٢٧٢/٣.

٣) راجع المبحث الخاص بانتقال المذاهب الفقهية من بغداد إلى قرطبة (ص٥٥١-٥٦٠).

عصره، وغلب عليه الاشتغال بهذا العلم حتى لقب بحق "إمام أهل السنة ". ويدين بثقافته الفقهية - فى المقام الأول - إلى شيوخه الذين أخذ عنهم فى الحجاز وبغداد، مثل الإمام الشافعى، حيث لازمه مدة مقامه فى بغداد. وبلغ من علو منزلته أن قال فيه الشافعى حين ارتحل إلى مصر: «خرجت من بغداد فما خلفت بها أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من ابن حنبل»[١].

تدوين فقه الإمام أحمد على يد تلامذته البغداديين:

وقد كان للإمام أحمد مذهب فقهى مفصل، لكنه لم يكتب فقهه كما فعل الشافعى فى كتابه (الأم)، بل إنه كان ينهى عن كتابة آرائه، وفى ذلك يقول ابن الجوزى (أحد أئمة الحنابلة): «كان الإمام لايرى وضع الكتب وينهى عن كتبة كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة»[٢]. والسبب فى ذلك - كما يقول أبو زهرة - أنه لايرى كتابة شئ غير أحاديث الرسول ﷺ خشية أن يعنى الناس بالفقه الذى استنبط ولا يعنوا بالأصل الذى منه أخذ[٣].

وتتفق المصادر على أن تلامذة الإمام أحمد هم الذين قاموا بمهمة تدوين مذهبه الفقهى ونشره، حيث جمعوا أقواله وفتاويه ونسقوا بينها ورتبوها على أبواب الفقه، يقول الذهبى: «وقد دون عنه كبارتلامذته مسائل وافرة فى عدة مجلدات»[٤] ثم ذكر قائمة بأسماء تسعة وأربعين من أصحاب أحمد أكثروا من النقل عنه ودونوا فقهه[٥]، ومن أشهرهم: ولداه صالح (ت٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) وعبد الله (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م) وأبو بكر الأثرم: أحمد بن محمد الطائى (ت ٢٧٣ هـ/٨٨٦م) وعبد الملك الميمونى - صحب أحمد نحو اثنين وعشرين سنة - (وتوفى ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) وأبو بكر المروزى (توفى ٢٧٥هـ/٨٨٨م) وإبراهيم الحربى (توفى ٢٨٥هـ/٨٩٨م). وأحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ، روى عنه مسائل كثيرة جدا فى بضعة عشر جزءا[٦]. وعبدوس الحربى، روى عن الإمام نحوا من عشرة آلاف مسألة[٧]. ومهنى بن يحيى الشامى نزيل بغداد، " مسائله عن أحمد أكثر من أن تحد" كما قال الخطيب البغدادى، وكان عنده

---

١) الذهبى: سير أعلام النبلاء ١١ / ١٩٥.
٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٢٧.
٣) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٤٨٧.
٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣٠.
٥) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣٠ - ٣٣١.
٦) تاريخ بغداد ٥ /١٢٨.
٧) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣٠، وراجع: المقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) (ص ٨٢/ب، ١٢٣/أ).

مسائل كثيرة لم تكن عند غيره من الحنابلة[١].

وقد بلغ من اهتمام أصحاب الإمام بتدوين فقهه وتنقيحه أن أبا يعقوب الكوسج: إسحق بن منصور المروزى النيسابورى (المتوفى ٢٥١هـ/٨٦٥م) بلغه أن أحمد بن حنبل رجع عن بعض المسائل الفقهية التى نقلها عنه ببغداد، فحملها فى جراب على ظهره، وخرج من نيسابور قاصدا بغداد، وعرضها عليه فى كل مسئلة استفتاه فيها، فأقر له بها مرة أخرى [٢].

أبو بكر الخلال البغدادى وجهوده فى تدوين المذهب الحنبلى وجمعه:

وجاء من بعد طبقة الأصحاب أحد الفقهاء البارزين فى المدرسة الحنبلية صرف كل همته إلى جمع فقه الإمام أحمد، وتتبع كل من رواه من تلاميذه فى البلدان، وهو أبو بكر الخلال أحمد ابن محمد بن هارون البغدادى (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م)[٣]، قال عنه الخطيب:«كان ممن صرف عنايته إلى الجمع لعلوم أحمد بن حنبل وطلبها، وسافر لأجلها، وصنفها كتبا، ولم يكن فى من ينتحل مذهب أحمد أجمع منه لذلك»[٤]. وقال الذهبى فى كلمة جامعة: «رحل إلى فارس وإلى الشام والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى. ثم إنه صنف كتاب (الجامع) فى الفقه من كلام الإمام بأخبرنا وحدثنا، فى عشرين مجلدا... ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاثمائة»[٥]. وقد بلغ عدد الذين نقل عنهم من أصحاب الإمام نحو مائة نفس كما يقول الذهبى [٦]. وبناء على ما ذكرنا فإن أبا بكر الخلال يعد الجامع لفقه الإمام أحمد بعد تلاميذه المباشرين، ولم يسبقه فى هذا العمل الضخم أحد غيره حتى قال هو عن نفسه: «ما يكن أحد علمت عنى بمسائل أبى عبد الله قط ما عنيت بها أنا»[٧]. وكان يقوم بمهمة الفتوى والتدريس للفقه الحنبلى فى حلقة له بجامع المنصور ببغداد[٨].

---

١) تاريخ بغداد ٢٦٧/١٣.

٢) طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ١ /١١٤، تاريخ بغداد ٣٦٤/٦، سير أعلام النبلاء ٢٥٩/١٢ - ٢٦٠.

٣) من مصادر ترجمته: طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ١٢/٢-١٥، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٧١، البداية والنهاية ١٩١/٦، سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٤-٢٩٨، الوافى بالوفيات ٩٩/٨، وغيرها.

٤) تاريخ بغداد١١٢/١٥ وراجع: المقصد الأرشد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل (مخطوط) ص١٩/أ.

٥) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٩٨.

٦) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣١.

٧) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣١. وانظر طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ٢ / ١٣.

٨) طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ٢ / ١٥.

أبرز الفقهاء الحنابلة ببغداد فى القرن الرابع الهجرى:

ثم جاء بعد الخلال نقلة كثيرون حتى شاع المذهب وانتشر بين الناس، وكان من أبرز الفقهاء الحنابلة فى بغداد فى القرن الرابع:

١ - أبو القاسم الخرقى: عمر بن الحسين بن عبد الله البغدادى (المتوفى ٣٣٤هـ/٩٤٥م). له " مختصر " مشهور فى المذهب الحنبلى، يشتغل به أكثر الطلبة المبتدئين، وعدد مسائله ألفان وثلاثمائة مسألة، وقام بشرحه علماء حنابلة لاحقون. وللخرقى مصنفات أخرى كثيرة فى المذهب لم تظهر، لأنه خرج من بغداد حينما ظهر فيها سب الصحابة (أبى بكر وعمر ومعاوية رضى الله عنهم) بدخول البويهيين الشيعة إليها[١]. وكان قد أودع كتبه بدار بدرب سليمان، فاحترقت الدار وعدمت مصنفاته[٢].

٢ - أبو بكر النجاد: أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادى (المتوفى ٣٤٨هـ/٩٦٠م) شيخ العراق وأحد كبار رجال علم الحديث. كانت له فى جامع المنصور ببغداد يوم الجمعة حلقتان، إحداهما للفتوى فى الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، والثانية - بعد الصلاة - لإملاء الحديث النبوى. ومن مصنفاته فى الفقه: "كتاب الخلاف" فى مائتى جزء. وله مصنفات فى الحديث ذكرنا بعضها فى مبحث علوم الحديث النبوى [٣].

٣ - غلام الخلال: عبد العزيز بن جعفر بن أحمد البغدادى (المتوفى ٣٦٣هـ/٩٧٣م) كان تلميذا لأبى بكر الخلال (المذكور آنفا)، ذا معرفة بالفقه والتفسير والحديث، رأسا فى مذهب الإمام أحمد، وله فيه تصانيف شاملة، منها " المقنع " فى نحو مائة جزء، وكتاب "الشافى" فى ثمانين جزءا، وكتاب " الخلاف مع الشافعى "، وكتاب " القولين " [٤]. وقد تفقه على يديه عدد من البغداديين صاروا أئمة فى الفقه الحنبلى، أشهرهم أبو إسحق إبراهيم بن أحمد المعروف بابن شاقلا (المتوفى ٣٦٩هـ/٩٧٩م) كان له حلقة بالفتيا بجامع المنصور. وأبو الحسن

---

١) دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣١ هـ، وامتد سلطانهم إلى سنة ٤٤٧ هـ.

٢) راجع عن الخرقى: تاريخ بغداد ٢٣٤/١١-٢٣٥، طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ٧٥/٢-٧٦، وفيات الأعيان ٤٤١/٣، الأنساب للسمعانى ٩٩/٥، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٧٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٣، البداية والنهاية ٢٧٥/٦-٢٧٦.

٣) تاريخ بغداد ١٨٩/٤-١٩٢، طبقات الحنابلة ٧/١٥-١٢، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٧٢، سير أعلام النبلاء ٥٠٢/١٥، الوافى بالوفيات ٤٠٠/٦، البداية والنهاية ٣٠١/٦، الأعلام للزركلى ١٣١/١.

٤) تاريخ بغداد ٤٥٩/١٠-٤٦٠، طبقات الحنابلة ١١٩/٢-١٢٧، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٧٢، سير أعلام النبلاء ١٤٣/١٦-١٤٤، البداية والنهاية ٣٥٥/٦-٣٥٦ والمقصد الأرشد (مخطوط) ص ٨٠/أ.

عبد العزيز بن الحارث التميمى (المتوفى ٣٧١هـ/٩٨١م)، وأبو بكر محمد بن محمد ابن حمدان ابن بطة (المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، وأبو عبد الله الحسن بن حامد الوراق (المتوفى ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) مصنف كتاب " الجامع " فى الاختلاف، فى عشرين مجلدا[١].

والخلاصة: أن المذهب الحنبلى نشأ فى بغداد فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، وقام تلاميذ الإمام أحمد بتدوينه وترتيبه. ومع أن كثيرا من تلامذة الإمام انتشروا فى عدد من الأمصار الإسلامية فإن المذهب لم يكن له كبير حظ فى هذه الأمصار كمصر والشام وخراسان وغيرها. وقد شهد هذا المذهب نهضة ملموسة فى بغداد فى أوائل القرن الرابع الهجرى على يد أبى بكر الخلال البغدادى (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م) كما أوضحنا، واستمر فى نموه بقية هذا القرن والذى يليه.

وبالرغم من وجود أئمة للمذهب كانوا يقومون بنشره فى العراق فإنهم كانوا قليلين إذا قورنوا بأئمة المذاهب الثلاثة الحنفية والشافعية والمالكية[٢].

أما عن انتقال هذا المذهب إلى قرطبة فلم يتح له أن يظهر هناك، مع أن عددا من مشاهير الأندلسيين جالسوا الإمام أحمد وولده عبد الله فى بغداد، وأدخلوا من كتبه "المسند" و"علل الحديث" إلى قرطبة. وسيأتى الحديث عن ذلك فى موضعه من القسم التالى إن شاء الله[٣].

خامسا المذهب الظاهرى:

المذهب الظاهرى من المذاهب الفقهية التى نشأت ونمت فى بغداد، وكانت نشأته فى منتصف القرن الثالث الهجرى، ثم انتشر فى العراق وماوراءه من بلاد المشرق، واستمر العمل به إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، ثم اضمحل.

إمام المذهب: وإمام المذهب هو أبو سليمان داود بن على الأصفهانى البغدادى المعروف بداود الظاهرى (٢٠٠-٢٧٠هـ/٨١٥-٨٨٣م). أصله من أصفهان، ومولده بالكوفة، ونشأ فى بغداد وتلقى الفقه بها عن تلاميذ الشافعى كأبى ثور[٤] (المتوفى ٣٤٠هـ/٨٥٤م). وكان

---

١) هؤلاء الفقهاء الحنابلة تلاميذ الخلال ذكرهم الذهبى فى سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ١٤٣. وراجع تراجمهم على الترتيب فى تاريخ بغداد ٦/١٧، ١٠/٤٦١، ٧/٣٠٣. وانظر أيضا: سير (الذهبى) ج ١٧ ص ٢٠٣.

٢) لتفسير هذه الظاهرة يمكن الرجوع إلى محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٠٤-٥٠٥، الشيخ جاد الحق: الفقه الإسلامى نشأته وتطوره ص ١١٥ - ١١٦.

٣) راجع عن ذلك (ص ٥٦٠).

٤) راجع عن ما كتبناه عن أبى ثور (ص ١٤٦-١٤٧).

معجبا أشد الإعجاب بالشافعى ومن المتعصبين له، وصنف فى فضائله والثناء عليه كتابين. وكانت له رحلة إلى نيسابور، سمع خلالها من إسحق بن راهـــويه (المتوفى ٢٣٨هـــ/٨٥٢م) كتابيه " المسند " و" التفسير"، ثم رجع إلى بغداد «وانتهت إليه رياسة العلم بها. وقد وصفه الذهبى بقوله: «بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس فى معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وفيه دين متين»[١].

أصول المذهب: وقد انتحل داود بن على لنفسه مذهبا خاصا، أساسه العمل بظاهر القرآن والسنة النبوية ما لم يدل دليل منهما أو من الإجماع على أنه يراد به غير الظاهر، فإن لم يوجد نص عمل بالإجماع ورفض القياس رفضا باتا، وقال: إن فى عمومات النصوص من القرآن والسنة ما يفى بكل جواب[٢]. يقول الخطيب البغدادى: «هو أول من أظهر انتحال الظاهر، ونفى القياس فى الأحكام قولا، واضطره إليه فعلا فسماه دليلا»[٣]. والدليل الذى أشار إليه البغدادى فى هذا النص هو نوع من أنواع الاستدلال الفقهى يعتمد على صريح النصوص (من غير تعليل لها)، وليس هو من ضروب القياس[٤].

جهود الظاهرية فى نشر المذهب بالعراق خلال القرنين (٣، ٤هـــ):

عمل داود الظاهرى على نشر مذهبه، وكان يؤيده فى تفكيره شيوع الرواية وكثرة السنن ورواجها فى ذلك العصر، فكان يعقد مجالس للتدريس والفتوى والمناظرة فى بغداد يدعو فيها إلى فكره وأصوله فى الاستنباط، وصنف عدة مؤلفات فقهية دون فيها آراءه، أهمها: كتاب "الإيضاح " وكتاب " الإفصاح " وكتاب " إبطال القياس " وكتاب "إبطال التقليد" وكتاب "الإجماع" وكتاب " الأصول " وغيرها[٥].

وكان أخص تلاميذه الذى قام على الدعوة للمذهب ونشر كتبه: ولده أبو بكر محمد بن داود (المتوفى ٢٩٧هـــ/٩٠٩م). قال ابن كثير: «اشتغل على أبيه وتبعه فى مذهبه ومسلكه وما

---

١) له ترجمة فى كثير من المصادر، منها: الفهرست ص ٣٠٣ - ٣٠٥، تاريخ بغداد ٣٦٩/٨-٣٧٥، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٩٢، وفيات الأعيان ٢٥٥/٢-٢٥٧، طبقات الشافعية للسبكى ٢٨٤/٢-٢٨٧، سير أعلام النبلاء ٩٧/١٣-١٠٨، البداية والنهاية ٦٣/٦، لسان الميزان لابن حجر ٤٢٢/٢-٤٢٤.

٢) محمد الخضرى: تاريخ التشريع الإسلامى ص ٢٧٠ - ٢٧١.

٣) تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٤.

٤) راجع حضارة العراق (فصل: التشريع الإسلامى) ٧ / ١٨٠، المدخل للفقه الإسلامى (تاريخ التشريع الإسلامى) للدكتور حسن محمد سفر ص ٦١.

٥) الفهرست ص ٣٠٣، ٣٠٥، سير أعلام النبلاء ١٠٤/١٣. .

اختاره من الطرائق وارتضاه»[١] وجلس للفتوى فى حلقة أبيه بعد وفاته، «وشوهد فى مجلسه أربعمائة صاحب محبرة» كما يقول الرواة. وكانت له مناظرات حافلة مع شيخ الشافعية فى بغداد أبى العباس بن سريج (المتوفى ٣٠٦هـ/٩١٨م) - المذكور من قبل[٢] - وصنف ابن سريج هذا كتابا فى الرد على (ابن داود) فى مسألة نفى القياس[٣]. وقد دعم ابن داود المذهب الظاهرى بعدد من المؤلفات ذكرها ابن حزم إمام الظاهرية فى الأندلس، ومنها: كتاب " التقصى " فى الفقه، وكتاب " الإيجاز" [ولعله مختصر للأول]، وكتاب " الوصول إلى معرفة الأصول" وكتاب " الانتصار من محمد بن جرير الطبرى ". وله أيضا فى الفقه كتاب "الإنذار والإعذار" [٤].

ثم انتهت رياسة المذهب الظاهرى فى بغداد بعد أبى بكر بن داود إلى أحد تلامذته، وهو أبو الحسن بن المغلس (بتشديد اللام وكسرها) عبد الله بن أحمد بن محمد (المتوفى ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م). قال عنه الخطيب البغدادى: «وعنه انتشر علم داود فى البلاد»[٥]. وله تصانيف فى نصرة المذهب، منها كتاب " الموضح" فى الفقه. وكتاب " الدافع" فى الرد على المخالفين للمذهب. و" أحكام القرآن"[٦].

وتتلمذ على ابن المغلس طائفة من الفقهاء الظاهرية أبرزهم: حيدرة بن عمر (المتوفى ٣٨٥ هـ/٩٩٥م). كان صديقا لابن النديم صاحب " الفهرست " وقام على نشر المذهب الظاهرى وله مؤلفات فى نصرته[٧]. وكان أبو الحسن عبد العزيز الخرزى البغدادى (المتوفى ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) من المعاصرين له، وهو من المتمكنين فى المذهب الظاهرى والمصنفين فيه، وولى القضاء فى الجانب الشرقى من بغداد[٨].

والخلاصة: أن المذهب الظاهرى كان له وجود بارز فى بغداد منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى حتى نهاية القرن الرابع، وقد لاقى معارضة قوية من بعض الفقهاء فى بغداد

---

١) البداية والنهاية ١٤٢/٦ (طبعة دار الغد العربى).

٢) راجع عن ابن سريج (ص ١٤٩).

٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣ / ٢٣.

٤) راجع مؤلفاته فى الفهرست ص ٣٠٥، سير أعلام النبلاء ١١٠/١٣.

٥) تاريخ بغداد ٣٨٥/٩.

٦) الفهرست ص ٣٠٦. وراجع سير أعلام النبلاء ٧٧/١٥، البداية والنهاية ٢٤٠/٦ (طبعة دار الغد العربى). وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٧٧.

٧) الفهرست ص ٣٠٧، تاريخ بغداد ٨ / ٢٧٣.

٨) الفهرست ص ٣٠٧، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٠، البداية والنهاية ٤٢١/٦.

طوال تلك الفترة، بسبب رفضه للقياس واعتماده على ظاهر النصوص. وكان شيوخ هذا المذهب فى بغداد على قلتهم من العلماء الأفذاذ الذين أمدوا الفكر الفقهى الإسلامى بآراء مثرية ربما لاتوجد فى المذاهب الفقهية الأخرى.

وقد دخل هذا المذهب إلى قرطبة بمجرد ظهوره فى بغداد، أى فى الوقت الذى كان داود الظاهرى نفسه حيا. ولكن هل كان له سلطان فى المجتمع القرطبى ؟. سنعود إلى الحديث عن ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى [١].

مذاهب فقهية أخرى فى العراق:

كانت تلك أهم وأكبر المذاهب الفقهية التى نشأت ونمت فى بغداد، أو نشأ بعضها فى أقاليم أخرى (وعلى وجه التحديد المذهب المالكى) ثم انتقلت إلى الحاضرة العباسية.

وإلى جانب هذه المذاهب الكبرى نشأت فى بغداد (أو فى إقليم العراق عامة) مذاهب فقهية أخرى كان لها قدر من الازدهار ثم اندرست بموت أصحابها أو بعد موتهم بقليل، لعدم وجود أنصار يهتمون بأمرها ويروجون لها، ولم يبق منها إلا ما فى بطون الكتب. ومن هذه المذاهب: مذهب محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الكوفى (المتوفى ١٤٨هـ/٧٦٥م) وكان معاصرا لأبى حنيفة[٢]، ومنها: مذهب سفيان الثورى الكوفى (المتوفى ١٦١هـ/٧٧٧م)[٣]. ومذهب أبى ثور (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م)[٤]. **ومذهب محمد بن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)**، وهذا المذهب كان له أتباع حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ثم اضمحل[٥]. ولايفترق كثيرا عن المذهب الشافعى فى أصوله، فهو وإن خرج عن فقه الشافعى فى كثير من الفروع لم يخرج كثيرا عن أصوله، ولذا بعد أن أجمع أصحاب كتب الطبقات على أن الطبرى مجتهد مطلق اختلفوا فى كونه مع ذلك من أصحاب المذهب الشافعى. فبعضهم عده من ضمن المجتهدين خارج طبقات المذهب[٦]، وعده البعض الآخر من أصحاب المذهب[٧]. وللطبرى عدد من الكتب الفقهية دون فيها آراءه، وأهمها كتابه

---

١) راجع عن ذلك (ص ٥٥٨).

٢) راجع عن فقه ابن أبى ليلى ومنهجه: كتاب " التشريع الإسلامى فى القرن الثانى الهجرى " للدكتور محمد بلتاجى ج ١ ص ٢٢٩-٢٥٨.

٣) عن فقه سفيان الثورى راجع: المرجع السابق ج ١ ص ٤٧٣-٥٠١.

٤) راجع ما ذكرناه عن أبى ثور فى أثناء حديثنا عن تلامذة الشافعى (ص ١٤٦-١٤٧).

٥) راجع الفهرست ص ٣٢٧-٣٢٨.

٦) الفهرست ص ٣٢٦-٣٢٧.

٧) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ص ١٢٠ وما بعدها.

الكبير " اختلاف علماء الأمصار فى أحكام شرائع الإسلام" [١]. وله كتاب آخر يسمى "لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام" سجل فيه اختياراته الفقهية التى خالف فيها غيره من أئمة المذاهب، قال عنه ياقوت الحموى: «هو من جياد كتبه، وهو مجموع مذهبه الذى يعول عليه جميع أصحابه». وقال عنه أيضا: «ماعمل كتاب فى مذهب أجود من كتاب أبى جعفر لمذهبه» [٢].

ومن المذاهب الفقهية التى لم يكتب لها البقاء **مذهب الإمام الأوزاعى** (المتوفى ١٥٧ هـ/٧٧٣م). وهذا المذهب لم ينشأ بالعراق، وإنما كانت نشأته وذيوعه ببلاد الشام حيث يقيم الإمام. وقد عرجنا على ذكره هنا لأنه كان له وجود فى قرطبة بالأندلس فى أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث، وبقى له النفوذ بها حتى غلب المذهب المالكى على الأندلس وحل محله هناك. وسيأتى حديثنا عن ذلك فى موضعه إن شاء الله [٣].

* * *

وإلى هنا نكون قد انتهينا من الحديث عن النشاط الفقهى فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين من خلال الحديث عن أهم وأشهر المذاهب الفقهية التى نشأت وانتشرت فى تلك المدينة وغيرها من المدن والبلدان الإسلامية. وقبل أن ننهى هذا المبحث نرى من الأهمية أن نتكلم عن دور الفقهاء البغداديين فى تدوين علم أصول الفقه، لما له من صلة وثيقة بالفقه ذاته، ثم يكون لنا تعقيب.

تدوين علم أصول الفقه (فى بغداد):

تدور قواعد هذا العلم على بيان الأدلة التى يرجع إليها الفقهاء فى استنباط الأحكام الشرعية وطرق الاستدلال بهذه الأدلة. وتعريفه اللقبى - أى باعتباره لقبا على علم مخصوص - هو " العلم بالقواعد والأدلة الإجمالية التى يتوصل بها إلى استنباط الفقه" [٤].

وقد استمدت قواعد هذا العلم من أساليب اللغة العربية ومبادئها، ومما عرف من مقاصد الشريعة الإسلامية وأسرارها ومراعاتها للمصالح، وما كان عليه أصحاب النبى ﷺ من نهج فى الاستدلال.

---

١) الفهرست ص ٣٢٧، معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ٧١-٧٢.
٢) معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ٧٣. وانظر الفهرست ص ٣٢٧.
٣) راجع عن ذلك (ص ٥٣٤).
٤) د. عبد الكريم زيدان: الوجيز فى أصول الفقه ص ١١ (مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م).

ومنذ أن وجد الفقه وجدت أصوله، لكن الفقه سبق علم الأصول فى التدوين؛ أى أن الفقه دون وهـذبت مسائله ونظمت أبوابه قبل تدوين قواعد علم الأصول وتمييزها من غيرها. ولايعنى هذا أن علم الأصول لم ينشأ إلا منذ تدوينه وأنه لم يكن موجودا قبل ذلك، أو أن الفقهاء ما كانوا يجرون فى استنباطهم للأحكام على قواعد معينة ومناهج ثابتة. فالواقع أن قواعد هذا العلم ومناهجه كانت مستقرة فى نفوس الفقهاء، وكانوا يسيرون على ضوئها وإن لم يصرحوا بها[١].

و لم تكن الحاجة إلى تدوين علم أصول الفقه قد ظهرت أولا فى زمن النبى ﷺ وعصر الصحابة والتابعين، حتى إذا «اتسعت البلاد الإسلامية وجدت حوادث ووقائع كثيرة، واختلط العجم بالعرب على نحو لم يعد بسببه اللسان العربى على سلامته الأولى، وكثر الاجتهاد والمجتهدون، وتعددت طرقهم فى الاستنباط، واتسع النقاش والجدل، وكثرت الاشتباهات والاحتمالات، فكان من أجل ذلك كله أن أحس الفقهاء بالحاجة إلى وضع قواعد وأصول وضوابط للاجتهاد الفقهى يرجع إليها المجتهدون عند الاختلاف، وتكون موازين للفقه والرأى الصواب»[٢].

الشافعى وأول محاولة جادة فى تدوين أصول الفقه (فى بغداد):

وقد قيل: إن أول من كتب فى أصول الفقه هو أبو يوسف (توفى ١٩٣هـ/٨٠٨م) ومحمد بن الحسن (توفى ١٨٩هـ/٨٠٤م) صاحبا الإمام أبى حنيفة[٣]. ولكن لم يصل إلينا شئ من كتبهما فى هذا العلم.

والشائع عند العلماء أن أول من دون الأصـول وكتب فيه بصورة مستقلة هو الإمام محمد بن إدريس الشافعى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م)، يقول الفخر الرازى فى كتابه " مناقب الشافعى ": «كانوا قبل الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة وفى كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع، فثبت أن نسبة الإمام الشافعى إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل»[٤].

---

١) د. عبد الكريم زيدان: المرجع السابق (ص ١٣ - ١٤ باختصار).

٢) د. عبد الكريم زيدان: المرجع نفسه ص ١٥.

٣) تاريخ التشريع الإسلامى لمحمد الخضرى ص ٢١٨. وانظر مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة للموفق بن أحمد المكى الخوارزمى (٤٨٤-٥٦٨هـ) ج ٢ ص ٢٤٥ [مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن بالهند ١٣٢١هـ]. وراجع الفهرست لابن النديم ص ٢٨٨.

٤) الفخر الرازى: مناقب الإمام الشافعى ص ٥٧

وقد اشتهر كتابه فى أصول الفقه باسم " الرسالة "، صنفه فى بغداد، ولما دخل مصر أعاد تصنيفها[١]. وسبب تأليفها أن الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م) [الذى قال عنه الشافعى: لا أعرف له نظيرا فى الدنيا] طلب من الشافعى «أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن ويجمع قبول الأخبار وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة»[٢].

وفى بغداد كان الشافعى يقوم بتدريس " الرسالة". والذى كان يتولى قراءتها عليه - فى حضور تلاميذه - هو تلميذه وراوى كتبه البغدادية: أبو على الحسن بن محمد الزعفرانى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م)[٣].

وهذا الكتاب عنى به جماعة من الفقهاء الشافعية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (فترة الدراسة) فشرحوه، ونذكر منهم أبا بكر الصيرفى محمد بن عبد الله البغدادى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) «أعلم الناس بأصول الفقه بعد الشافعى» كما يقول بعض الرواة. واشتهر بالحذق فى النظر والقياس. له كتاب فى شرح " الرسالة " يسمى " دلائل الإعلام "[٤]. ولا أدل على الأهمية الكبيرة لهذا الكتاب فى علم الأصول والعناية الكبيرة التى أولاها الفقهاء له من قول المزنى (المتوفى ٢٦٤هـ/٨٧٧م) [وهو من كبار تلامذة الشافعى بمصر]: «أنا أنظر فى كتاب الرسالة عن الشافعى رضى الله عنه منذ خمسين سنة ما أعلم أنى نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد منه شيئا كثيرا لم أكن عرفته»[٥].

التأليف فى أصول الفقه (ببغداد) بعد الشافعى:

وبعد الشافعى الذى مهد السبيل فى وضع قواعد علم أصول الفقه بدأ الفقهاء - خلال القرنين المذكورين - يهتمون بهذا العلم والتصنيف فيه. ولم يسلكوا فى ذلك طريقا واحدا؛ فمنهم من سلك مسلك تقرير القواعد الأصولية دون موافقة أو مخالفة هذه القواعد للفروع الفقهية المنقولة عن إمام مذهب معين. وهذا المسلك اتبعه المعتزلة والفقهاء الشافعية والمالكية. ومن الفقهاء من سلكوا مسلكا آخر يقوم على تقرير القواعد الأصولية على مقتضى ما نقل عن

---

١) الفخر الرازى: المصدر السابق ص ٥٧.

٢) تاريخ بغداد ٢/٦٤-٦٥، معجم الأدباء لياقوت ٦/٣٨٨-٣٨٩، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٤.

٣) تاريخ بغداد ٧/٤٠٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٢/١١٥.

٤) الفهرست ص ٣٠٠، وفيات الأعيان ٤/١٩٩، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٣، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة ١/٨٧٣.

٥) وفيات الأعيان ٣ / ٢٤١.

أئمة المذاهب من فروع فقهية، بمعنى أن هذه الطريقة تقرر القواعد الخادمة لفروع المذهب وتدافع عن مسلك إمامه فى الاجتهاد والاستنباط. وقد اشتهر فقهاء الحنفية باتباع هذا المسلك.

وقد لاحظنا - من خلال ما لدينا من معلومات - أن أكثر الفقهاء الذين عنوا بالتصنيف فى أصول الفقه فى القرنين (٣، ٤هـ) كانوا من الفقهاء الشافعية: فمنهم فى القرن الثالث: أبو على الحسين بن على الكرابيسى البغدادى (المتوفى ٢٤٥هـ/٨٥٩م) له أكثر من تصنيف فى أصول الفقه[١]. ومنهم فى القرن الرابع: أبو على الحسن بن القاسم الطبرى ساكن بغداد (المتوفى ٣٥٠هـ/٩٦١م)[٢] وأبو الحسين أحمد بن محمد القطان البغدادى (المتوفى ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)[٣] والقفال الشاشى (المتوفى ٣٦٥هـ/٩٧٥م)[٤] وابن الدقاق البغدادى (المتوفى ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١م) له كتاب " الأصول على مذهب الشافعى "[٥].

ومن كتب أصول الفقه التى ظهرت للفقهاء المالكية ببغداد فى القرن الرابع الهجرى: كتاب " اللمع فى أصول الفقه" لأبى الفرج الليثى عمرو بن محمد البغدادى (المتوفى ٣٣١ هـ/٩٤٢م)[٦]. وكتابا " أصول الفقه " و" القياس" لأبى الفضل بكر بن العلاء القشيرى البصرى نزيل مصر (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م)[٧]. وكتابا " أصول الفقه " و" إجماع أهل المدينة " لأبى بكر الأبهرى (المتوفى ٣٧٥هـ/٩٨٥م) إمام المالكية فى وقته ببغداد[٨].

ومن كتب الحنفية: كتابا " إثبات القياس" و" اجتهاد الرأى " لعيسى بن أبان بن صدقة (المتوفى ٢٢٠هـ/٨٣٥م)[٩]. ورسالة فى " الأصول" عليها مدار فروع الحنفية لأبى الحسن الكرخى البغدادى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م)[١٠]، وكتاب " الأصول " لأبى بكر أحمد بن على الرازى البغدادى المعروف بالجصاص (المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م)[١١].

---

١) طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٢٦.
٢) تاريخ بغداد ٨٧/٨، وفيات الأعيان ٧٦/٢، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٧٤.
٣) تاريخ بغداد ٣٦٥/٤، وفيات الأعيان ٧٠/١، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٨٥.
٤) الفهرست ص ٣٠٣.
٥) تاريخ بغداد ٢٢٩/٣-٢٣٠.
٦) الفهرست ص ٢٨٣، الديباج المذهب لابن فرحون ١٢٧/٢.
٧) الديباج المذهب لابن فرحون ١ / ٣١٣-٣١٤.
٨) الفهرست ص ٢٨٣، الأعلام للزركلى ٢٢٥/٦. وراجع ما كتبناه عن الأبهرى (ص١٤٠-١٤٢).
٩) الفهرست ص ٢٨٩.
١٠) الأعلام للزركلى ٢٩٣/٤، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ / ٢٦٧.
١١) د. عبد الكريم زيدان: الوجيز فى أصول الفقه ص ١٨.

وصنف الظاهرية فى أصول مذهبهم، مثل كتاب " إبطال القياس" وكتاب " أصول الفقه" لداود بن على البغدادى الظاهرى (مؤسس المذهب)، وكتاب " الوصول إلى معرفة الأصول" لولده أبى بكر محمد بن داود البغدادى (المتوفى ٢٩٧هـ/٩٠٩م)[١].

ومن الكتب التى صنفها أتباع ابن جرير الطبرى البغدادى: " كتاب الإجماع " على مذهب الطبرى، لأبى الحسن أحمد بن يحيى بن على المنجم (توفى ٣٠٠هـ/٩١٢م)[٢]، وللطبرى نفسه كتاب فى هذا العلم سماه " الأصول فى معرفة الأصول" عرف به ياقوت الحموى فى "معجم الأدباء"[٣].

وهكذا كثرت المصنفات فى هذا الفن خلال القرنين المذكورين، وكان لفقهاء بغداد على اختلاف مذاهبهم - ولا سيما الشافعية - مشاركة جيدة فى بسط مباحثه وشرح قواعده.

تعقيب:

وفى نهاية هذا الفصل نقول: لقد ركزنا فى عرضنا السابق لعلم الفقه وأصوله على المذاهب الفقهية التى ظهرت وانتشرت فى إقليم العراق، وأعطينا اهتماما أكبر لدور أبرز فقهاء كل مذهب فى نشر مذهبهم وتدوين فروعه وأصوله الفقهية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. وقد ظهر حرصنا على ذكر أهم مؤلفاتهم الفقهية كنماذج للإنتاج الفقهى الغزير فى هذه الفترة المزدهرة. وهذه المؤلفات كانت تمثل ثروة تشريعية هائلة أغنت الدولة الإسلامية آنذاك بالقوانين والأحكام والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد تنوعت بين مؤلفات تقرر مسائل المذهب وفروعه، وثانية فى تأصيل قواعده وأصوله، وثالثة فى الرد على مخالفيه، ورابعة فى اختلاف المذاهب والمقارنة بين آرائها، ويطلق عليها كتب الفقه المقارن.

ورأينا أن حظ بغداد من حركة الاجتهاد الفقهى وعدد المجتهدين فى كل مذهب، والإنتاج الفقهى وذيوع المذاهب الفقهية وتكونها وتدوين تلك المذاهب والاعتراف لها بالريادة كان وفيرا، ودور فقهائها فى هذا كان متميزا. ومن هذه المدينة الكبرى انتقلت بعض تلك المذاهب إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فى الشرق والغرب، وذلك مرجعه إلى أن بغداد كانت حاضرة العالم الإسلامى، وحشر إليها العلماء من جميع البلدان، وزهت حضارتها على كل حضارة، وسوف نرى - فى باب لاحق - أنها كانت محط أنظار الأندلسيين فى هذا الميدان العلمى (الفقه وأصوله) وغيره من ميادين الثقافة والفكر الإسلامى الأصيل[٤].

---

١) الفهرست ص ٣٠٣، ٣٠٥.

٢) الفهرست ص ٣٢٨. معجم الأدباء لياقوت ج ٢٠ ص ٢٩.

٣) معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ٧٢.

٤) راجع عن دور (بغداد/ المشرق) فى تدعيم الأندلس ببعض المذاهب الفقهية بداية من (ص٥٣٤) إلى (٥٦٢).

الفصل الرابع
علم الكلام (أصول الدين)

تعريفه: يعرف ابن خلدون "علم الكلام" بعبارة أكثر شمولا فيقول: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة»[١]. ويمكن أن يقال فى تعريف هذا العلم أيضا: «إنه العلم الذى يبحث فيه عن الأحكام الشرعية الاعتقادية التى تتعلق بالإلهيات أو النبوات أو السمعيات، من أجل البرهنة عليها ودفع الشبه عنها»[٢]. وهناك تعريفات أخرى كثيرة، وكلها متفقة على أن هذا العلم يعتمد على البراهين العقلية فيما يتعلق بالعقائد الإيمانية، بغية الدفاع عنها وتفنيد الشبهات التى يثيرها الخصوم حولها، وإبطال العقائد المخالفة لها. وهذا المعنى - أى البحث فى العقائد الإسلامية - هو المراد عند البحث فى تاريخ علم الكلام.

تسميته: وقد تعددت الأسماء التى عرف بها "علم الكلام" حتى أوصلها البعض إلى ثمانية؛ فمنها: "الفقه الأكبر" و"علم أصول الدين" و"علم العقائد" و"علم التوحيد والصفات" و"علم النظر والاستدلال". وأكثر هذه الأسماء شيوعا وأشهرها هو "علم الكلام"[٣].

أما عن سبب تسمية هذا العلم "بالكلام" فيعود إلى أحد وجهين كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق[٤]:

أحدهما: مجموعة الآثار الثابتة عن الأئمة الأوائل والتى تنهى عن "الكلام" فى بعض أمور الدين، كالقدر والتفكر فى ذات الله[٥].

---

١) ابن خلدون: المقدمة ج ٣ ص ١٠٣٥ بتحقيق د. على عبد الواحد وافى.

٢) د. حسن الشافعى: المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ٢٠-٢١ (مكتبة الزهراء ١٤١١هـ/١٩٩١م الطبعة الثانية).

٣) الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٦٥ (القاهرة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م). وراجع التفاصيل عن هذه المسميات: المدخل إلى دراسة علم الكلام للدكتور حسن الشافعى ص ٢٥ - ٣٣، أصول العقيدة الإسلامية للدكتور عبد المقصود عبد الغنى ص ٢١ (مكتبة الزهراء - القاهرة ١٤٠٦هـ).

٤) التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٦٥ - ٢٦٨.

٥) من هذه الآثار: قول سفيان الثورى الكوفى (توفى ١٦١هـ): «عليكم بالأثر وإياكم والكلام فى ذات الله». وقال الإمام مالك (توفى ١٧٦هـ): «من طلب الدين بالكلام تزندق». وقال أيضا: «أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون كما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان». وقال الإمام أحمد بن حنبل: «الكلام كله جهل وإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل». وهناك أقوال كثيرة حول هذا المعنى (راجع: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام - طبعة القاهرة ١٩٦٢م).

والثانى: هو أن البحث العقلى فى العقائد كلام خالص صرف لا عمل تحته، بخلاف الفقه، أى أن المتكلمين قوم يقولون فى أمور ليس تحتها عمل، فكلامهم لفظى نظرى لا يتعلق بعمل، بخلاف الفقهاء الباحثين فى الأحكام الشرعية العملية. ويؤيد ذلك قول الإمام مالك: «... لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، وأما الكلام فى الله فالسكوت عنه أولى، لأنى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا ما تحته عمل»[١].

ومن أقوى الأسباب فى وجود هذه التسمية فى فترة مبكرة هو أن أشهر المباحث الكلامية وأكثرها نزاعا وإثارة للخلاف بين المتكلمين هى مسألة "كلام الله تعالى " والنزاع فى أن القرآن كلام الله غير مخلوق أو مخلوق، وقد تبنى "المعتزلة" [٢] فيها القول بخلق القرآن، وكان لتشددهم وصلتهم بالخليفة المأمون (المتوفى ٢١٨هـ/٨٣٣م) أثر بالغ فى المحنة التى عرفت "بمحنة القول بخلق القرآن" والتى شهدتها بغداد، ونكل فيها بالإمام أحمد بن حنبل وعدد من العلماء لرفضهم الإقرار بأن القرآن مخلوق، وتمسكهم بأنه كلام الله تعالى غير مخلوق.

نشأة علم الكلام:

وليس من مهمتنا هنا البحث فى تفاصيل نشأة علم الكلام والعوامل التى أدت إلى هذه النشأة، سواء كانت عوامل خارجية طرأت على تفكير المسلمين وأتت من الثقافات الأجنبية، أم عوامل داخلية ترجع إلى طبيعة الإسلام والبيئة الإسلامية ذاتها. لكن نود أن نشير - فى هذا الصدد - إلى أن «هذا العلم هو النتاج الخالص للمسلمين، وصدر المسلمون فيه عن ذاتهم. ومما لا شك فيه أن المتكلمين قد كانوا فى وسط فلسفى وأمام هجمات فلسفية من أديان مختلفة وعقائد فلسفية متعددة ومذاهب شرقية منتشرة فى البلاد التى فتحوها قد أخذوا منها بعض الأفكار الجزئية، ولكن علم الكلام بقى فى جوهره العام حتى القرن الخامس إسلاميا بحتا، وبعد هذا شابته عناصر يونانية ومزج بالعلوم الفلسفية»[٣].

هذا رأى. ورأى آخر يرجح أن علم الكلام ليس إسلاميا بحتا لم يتأثر أى أثر بفلسفة اليونان؛ لأن المتكلمين كانوا فى حاجة إلى الاطلاع على هذه الفلسفة والانتفاع بمنطقها للوقوف أمام الخصوم ومجادلتهم، كما أن استعراضا بسيطا لمباحث هذا العلم وموضوعاته

---

١) السيوطى: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ج ١ ص ١٦٧.

٢) سيأتى حديث مفصل عن هذه الفرقة بعد أسطر قليلة.

٣) د. على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ٥٤ (دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثامنة)

يؤكد أن كثيرا من مسائله تعد من صميم الفلسفة اليونانية وتدخل فى بحوث المتكلمين. وفى الوقت نفسه لا يعد هذا العلم وليد هذه الفلسفة وحدها؛ لأن الإسلام هو أساسه ومحوره الذى يدور عليه، وإنما هو مزيج منهما، وشخصية المسلمين فيه أقوى من شخصيتهم فى دراسة الفلسفة اليونانية[١].

ويكاد الباحثون يتفقون على أن بدايات النظر العقلى فى العقائد الدينية الإيمانية قد ظهرت فى أواخر القرن الأول الهجرى وبدايات القرن الثانى على أيدى أتباع المدارس الكلامية الأولى: القدرية[٢] والجهمية[٣] والمعتزلة، «وقد طرحت فى هذه الفترة المبكرة - حين كان الإيمان غضا طريا والقلوب والعقول مشتغلة بتثبيت أركان الدين وبناء حضارته الجديدة - أسئلة ومشاكل واجهت العقل المسلم واقتضتها ظروف الجماعة المسلمة وتجاربها الصحيحة والخاطئة، واتخذت بعض الفئات فيها مواقف متطرفة تنحرف قليلا أو كثيرا عما بينه كل من الكتاب والسنة»[٤]. فمن المسائل التى أثيرت وافترق حولها الرأى: مسألة عصاة المؤمنين أو مرتكبى الكبائر من الذنوب: هل هم مؤمنون ما يزالون (وهذا قول أهل السنة) أم كفار مخلدون فى النار (قول الخوارج) أم فى منزلة بين المنزلتين (قول المعتزلة) ومسألة الحرية والإرادة الإنسانية: هل الإنسان فاعل حر مختار يصنع وجوده بذاته ويطورها بإرادته الحرة والمشيئة غير المقيدة وليس هناك علم أزلى ولا خط مرسوم وأن "لا قدر والأمر أنف" (وهذا قول القدرية) أم هو مجبور ومسير فى خط القدر المرسوم، وأنه كالريشة فى مهب الريح لا فعل له ولا قدرة (قول الجبرية)؟. ثم مسألة الإمامة

---

١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٨ - ٩.

٢) **القدرية** مصطلح قصد به هؤلاء الذين ينسبون القدر إلى الإنسان، لا إلى الله سبحانه. أى أن العبد حر الإرادة وأنه خالق بفعله نفسه، وليست هناك وراء تصرفاته الاختيارية قوة خارج ذاته ترغمه عليها إن فعلا وإن تركا. وتجمع المصادر على أن أول من نادى فى الإسلام بفكرة القدر تلك هو معبد بن خالد الجهنى الذى نشأ بالبصرة بالعراق فى حدود النصف الثانى من القرن الأول الهجرى. وقد تبنت المعتزلة القول بالقدر فيما بعد وتعددت الفرق القائلة به وتعددت مذاهبها حوله. (راجع التعريفات للجرجانى ص ٢٢٢، والمواعظ والاعتبار للمقريزى ٣٤٩/٢).

٣) **الجهمية** تنسب إلى الجهم بن صفوان. أصله من سمرقند وقضى جزءا من حياته بترمذ، وتتلمذ على الجعد ابن درهم الدمشقى، التقى به فى الكوفة. وتلقى منه القول بخلق القرآن ونفى صفات الله تعالى، وقد تبنت المعتزلة هذه المقولة فيما بعد، ولذلك يطلق عليهم أيضا الجهمية. وذهب جهم بن صفوان إلى القول بالجبر، حيث يقول: إن الله خلق فعل العبد، وليس للعبد فى ذلك فعل ولا صنع. ولذلك تعد الجهمية جبرية خالصة (راجع التعريفات للجرجانى ص ١١٣، والمواعظ والاعتبار للمقريزى ٣٤٩/٢، ٣٥١، د. عبد الرحمن سالم: التاريخ السياسى للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ص ٣٧ - ٣٨).

٤) د. حسن الشافعى: المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ٥٩ - ٦٠.

وقيادة الجماعة المسلمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم من أحق بها؟، وهل هى بالنص الإلهى كما تقول الشيعة أم بالاختيار؟.

إلى غير ذلك من المسائل والقضايا الكلامية الكثيرة.

وكان طبيعيا أن يشتد الخلاف بين أتباع هذه المواقف والاجتهادات؛ ذلك أن كل موقف إنما يلزم عنه على وجه الضرورة مواقف ومقالات أخرى فى دائرة الدين والأخلاق والسياسة العملية على السواء.

المعتزلة أهم الفرق الكلامية:

ولسنا هنا بصدد كتابة تاريخ مفصل لموضوعات علم الكلام ومسائله بقدر ما نقصد تأكيد حقيقة جوهرية وهى أن فرقة "المعتزلة" - وإن لم تكن أول الفرق الكلامية ظهورا، حيث سبقتها نشأة فرق أخرى كالشيعة والجهمية والقدرية - لكنها إذا قورنت بهذه الفرق فستكون «أهم فرقة عرضت موضوعات علم الكلام فى نسق مذهبى متكامل، بل لقد أصبحت مسائل هذا العلم تناقش فى إطار الحدود التى وضعها رجال المعتزلة»[١]. ويؤيد هذا ما يقوله عنهم الإسفراييني صاحب كتاب "التبصير فى الدين": «إنهم أول فرقة أرسوا قواعد الخلاف»[٢]. ويقول صاحب الانتصار" - وهو معتزلى - «إنهم أرباب النظر دون جميع الناس، وأن الكلام لهم دون سواهم»[٣].

مدرسة البصرة الاعتزالية:

ومهما كان السبب الذى يرجع إليه نشأة فرقة المعتزلة ومبدأ هذه النشأة وتسميتها بهذا الاسم[٤] فإن من المجمع عليه أن أول ظهورها كان بالبصرة فى فترة تنحصر بين نهاية القرن

---

١) د. أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين ص ٩٩ (مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م).

٢) التبصير فى الدين ص ٥٣ (مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٥٥م بتحقيق زاهد الكوثرى).

٣) أبو الحسين الخياط: الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد ص ٧٢ (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥م - تحقيق وتقديم الدكتور نيتبرج).

٤) تفاصيل هذه القضية فى: فضل الاعتزال للقاضى عبد الجبار ص ١٦٥، ذكر المعتزلة للبلخى ص ١١٥، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٧ - ١١٨، ومن الدراسات الحديثة كتاب: المعتزلة لزهدى حسن جار الله (ص ٢) وما بعدها، التاريخ السياسى للمعتزلة إلى نهاية ق ٣ هـ للدكتور عبد الرحمن سالم (ص ٥٣) وما بعدها.

الأول الهجرى وبداية الثانى، وبالتحديد بين سنتى ٩٨هـ/٧١٦م - ١١٠هـ/٧٢٨م[١]، وأن المؤسس الأول لهذا المذهب هو:

واصل بن عطاء البصرى المعروف بالغزال (٨٠-١٣١هـ/٦٩٨-٧٤٨):

وهو الذى ترتبط به الحادثة المشهورة التى وقعت بينه وبين الإمام الحسن البصرى (المتوفى ١١٠هـ/٧٢٨م) فى مسجد البصرة، وعلى أثرها ظهرت فرقة المعتزلة بشكل علنى، وكان له أكبر الأثر فى إرساء قواعد الاعتزال؛ إذ يعد - كما يقول المسعودى - «قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين»[٢]. كما أنه كان أوسع معرفة بالمذاهب المختلفة فى عصره، ماهرا بمعرفة المسالك فى الرد عليها، قال بعض أصحابه: «ليس أحد أعلم بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين والرد عليهم منه»[٣]. وكان له تلاميذ أرسلهم إلى عدد من البلدان الإسلامية لنشر الإسلام أولا ومذهب الاعتزال ثانيا، أرسلهم إلى خراسان وأرمينية واليمن والجزيرة والكوفة والمغرب[٤].

أما كتبه التى دون فيها آراءه ومذهبه فهى كثيرة حتى ذكر أنه «الأصل فى علم الكلام لكثرة ما صنف فيه»[٥]، ويقال: إنه وصل إلى أبى الهذيل العلاف المعتزلى - وسيأتى ذكره - قمطران من كتبه كانا منبعا لعلمه[٦]. فمن هذه الكتب: "كتاب الألف مسألة فى الرد على المانوية"[٧]. وكتاب " المنزلة بين المنزلتين". وكتاب "التوبة" و"الخطب فى العدل والتوحيد"

---

١) د. عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة إلى نهاية ق ٤هـ (ص ١٢١) [ط ٣ دار المعارف] وراجع مفتاح السعادة - لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ٣٧.

٢) ابن حجر: لسان الميزان ج ٢ ص ٣٧.

٣) ابن المرتضى اليمانى: المنية والأمل فى شرح الملل والنحل ص ٧٧ - الطبعة الأولى ١٩٧٩ دار الفكر، بيروت.

٤) ابن المرتضى اليمانى: المصدر السابق ص ١٩ - ٢٠، الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ (المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢ بتحقيق حسن السندوبى).

٥) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٣٤.

٦) ابن المرتضى اليمانى: المنية والأمل ص ٦١.

٧) المانوية نسبة إلى مؤسسها مانى بن فاتك المولود حوالى سنة ٢١٥ م والمقتول سنة ٢٧٢م. كان قريب العهد من ظهور المسيح عيسى عليه السلام. وأصله من أذربيجان وانتقل أبوه إلى بابل، وبها درس الأديان الفارسية القديمة وبخاصة عقيدة زرادشت وكتبه (المتوفى ٥٨٢م). وانتقل إلى الهند، ثم إلى الصين، ومنها إلى خراسان ثانية. وانتشر مذهبه فى تلك البلاد، وهو خليط من الزرادشتية (المجوس) والنصرانية (راجع تفاصيل مذهبه فى الفهرست لابن النديم ص ٤٥٦ - ٤٧٢).

و"السبيل إلى معرفة الحق" و"أصناف المرجئة" و"طبقات أهل العلم والجهل" وله كتاب فى "معانى القرآن"[١].

عمرو بن عبيد البصرى (٨٠-١٤٤هـ/٦٩٨-٧٦١م):

وكان أول مفكر معتزلى احتل مكانة كبيرة فى تاريخ مدرسة واصل بن عطاء هو: عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصرى مولى بنى تميم (المتوفى ١٤٤هـ/٧٦١م). يقول الدكتور النشار: «إن المعتزلة تنسب إليه قدر نسبتها إلى واصل بن عطاء، فهو فى الحقيقة قرين لواصل أكثر منه تلميذا له»[٢]، وقد وافقه فى كل آرائه ولزمه ملازمة كاملة. وكان فى مبدأ أمره تلميذا للحسن البصرى ومن جلسائه، فأزاله واصل عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر، ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث[٣]. وكان معروفا بالزهد وعلما من أعلامه، ووصفه الحسن بقوله: «هذا سيد شباب القراء (الفقهاء) ما لم يحدث»[٤].

وله من الكتب على مذهب المعتزلة: كتاب "العدل والتوحيد" وكتاب "الرد على القدرية"، وينسب إليه تفسير للقرآن يرويه عن الحسن البصرى [٥].

أبو الهذيل العلاف (٢٢٧هـ/٨٤١م * أو ٢٣٥هـ/٨٤٩م):

ويمضى مؤرخو الفكر الإسلامى فى تاريخهم لمذهب المعتزلة من زمن عمرو بن عبيد إلى ظهور أبى الهذيل العلاف فيلسوف المعتزلة الأول وأقوى الشخصيات فى مدرسة البصرة، وإليه ترجع المبادرة فى تطعيم مبادئ الاعتزال بمبادئ الفلسفة. واسمه: محمد بن الهذيل بن عبد الله العبدى البصرى مولى عبد القيس (المتوفى ٢٢٧هـ/٨٤١م) وقيل (٢٣٥هـ/٨٤٩م). أخذ المذهب عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء الغزال[٦]. وقيل: أخذه عن بشر بن

---

١) فضل الاعتزال للقاضى عبد الجبار ص ٢٤١، معجم الأدباء لياقوت ٢٤٧/١٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ١١/٦، لسان الميزان لابن حجر ٢١٤/٦ - ٢١٥، وراجع الفهرست (الملحق فى آخره - الصفحة الأولى).

٢) د. على النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ٣٩٩.

٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٢ ص ١٦٢ - ١٧٨، تاريخ الإسلام للذهبى ٢٥٢/٤، عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى (مخطوط) ص ١٣٩ (أحداث سنة ١٤٢هـ).

٤) الذهبى: تاريخ الإسلام ٢٥٢/٤، البداية والنهاية ٥٦٥/٥.

٥) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٠٦/٦، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٦٢/٣.

٦) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار ص ١٦٤. سير أعلام النبلاء للذهبى ٥٤٣/١٠، ١٠٦/٦.

سعيد وأبى عثمان الزعفرانى صاحبى واصل[١]. وكان حسن الجدل قوى الحجة سريع الخاطر، امتلأت حياته بالمناظرة والجدل، قال عنه ابن النديم: «شيخ البصريين فى الاعتزال ومن أكبر علمائهم وصاحب مقالات فى مذهبهم ومجالس ومناظرات»[٢]. ويقول القاضى عبد الجبار: «ومناظراته مع المجوس والثنوية وغيرهم كثيرة وطويلة ومدونة»[٣]. ويروى الدكتور النشار أن تطورا كبيرا فى المذهب الاعتزالى حدث على يديه؛ إذ خاض فى مسائل فلسفية بحتة، وترك مذهبا فلسفيا متناسقا»[٤].

ويعد العلاف رائد التأليف فى علم الكلام عند المعتزلة بالرغم من أن فلسفته كانت مختلفة إلى حد ما عن مجمل تعاليمهم، الأمر الذى جعل بعضهم يؤلف الكتب للرد عليه، مثل جعفر بن حرب البغدادى المعتزلى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م) له كتاب "توبيخ أبى هذيل". ورد عليه أيضا محمد بن عبد الوهاب الجبائى (المتوفى ٣٠٣هـ/٩١٥م)[٥].

وقد أشار بعض الرواة إلى أن أبا الهذيل له مؤلفات كثيرة، يقول الملطى: «وضع من الكتب ألفا ومائتى صنف يرد فيها على المخالفين وينقض كتبهم»[٦]. غير أننا لا نكاد نعرف بالتفصيل أسماء كتبه، و لم يذكر ابن النديم له سوى كتاب واحد فى "متشابه القرآن"[٧]. ويشير ابن خلكان إلى كتاب آخر للعلاف باسم "ميلاس" على اسم رجل مجوسى أسلم على يدى العلاف بعد مناظرة له مع جماعة من الثنوية قطعهم فيها[٨]. وذكر البغدادى فى "الفرق بين الفرق" كتابين آخرين لأبى الهذيل هما: "الحجج" و"القوالب" ذكر فيه بابا فى الرد على الدهرية[٩].

وعلى قلة ما حصلنا عليه من أسماء مؤلفات العلاف فقد ترك مدرسة فى الاعتزال، ولا يكاد يعرف أحد من المعتزلة بعده إلا وقد أخذ عنه أو انتسب إليه، ليس فحسب من معتزلة البصرة، بل وبغداد أيضا، فتتلمذ عليه أبو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان الأصم، وأبو يعقوب بن عبد الله بن إسحاق الشحام البصرى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م) الذى انتهت إليه

---

١) الملطى: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٤٣.
٢) ابن النديم: الفهرست – الملحق (ص ١).
٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٥٤.
٤) د. على النشار: نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ٤٠٤.
٥) البغدادى: الفرق بين الفرق ص ١٢٢.
٦) الملطى: التنبيه والرد ص ٤٣.
٧) ابن النديم: الفهرست ص ٥٥.
٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٦.
٩) الفرق بين الفرق ص ١٢٤.

رياسة المعتزلة فى عصره[١]، وهو أستاذ أبى على الجبائى البصرى البغدادى (المتوفى ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، وسيأتى ذكره.

ومن أكابر المعتزلة الذين تتلمذوا لأبى الهذيل العلاف: ابن أخته: إبراهيم بن سيار بن هانئ، أبو إسحق البصرى المعروف بالنظام. تربى فى البصرة وعاش فى بغداد حينا، وانفصل عن أستاذه فأسس مدرسة مستقلة فى البصرة. ويعد النظام أكبر شخصية فلسفية معتزلية صدر عن فكر مبدع ونظام فلسفى دقيق، وقد اعتبره ابن حزم أعظم رجال المعتزلة إطلاقا[٢]، وذكر عنه (طاش كبرى زادة) «أنه شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم فى العلوم، شديد الغوص على المعانى»[٣]. وقد تبحر فى علوم الفلسفة الطبيعية، واطلع على بعض ما كتبه رجالها، وتأثر بهم، وانفرد بآراء خاصةأدت إلى الإنكار عليه فيها من قبل أكثر شيوخ المعتزلة أنفسهم، فضلا عن عامة أهل السنة. ومن الذين ردوا عليه: أستاذه أبو الهذيل العلاف فى كتابه "الرد على النظام"، ومحمد بن عبد الله الإسكافى البغدادى (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م) وجعفر بن حرب البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م) وأبو على الجبائى البغدادى (المتوفى ٣٠٣هـ/٩١٥م) وغيرهم، وهؤلاء جميعا من المعتزلة.

وللنظام كتب كثيرة فى الاعتزال والفلسفة، منها: "الطفرة" وكتاب "الجواهر والأعراض"، وكتاب "حركات أهل الجنة" وكتاب "الوعيد" وكتاب "النبوة"، وكتاب "فى الرد على الثنوية" وكتاب "النكت"[٤]، وهذا الكتاب الأخير انتصر فيه لكون الإجماع ليس بحجة، واضطره ذلك إلى ان ذكر عيوب الصحابة، فذكر لكل واحد منهم عيبا، ووجه إلى كل واحد منهم طعنا[٥]. وله أيضا نقض على كتاب أرسطوطاليس[٦]، قرأه فى بغداد على جعفر بن يحيى البرمكى[٧].

ويعد الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م) - الذى يمثل أصدق تمثيل مدرسة الموسوعية فى الأدب والفكر والفن - وليد مدرسة النظام ونتاجا له وصورة من صوره فى البلاغة وفى منهج البحث وفى سعة الاطلاع وفى الشك والتجربة، وربما فاقه الجاحظ فى اطلاعه على كتب الثقافة

---

١) د. على النشار: نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ١/٤٥١.

٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٤٧ (ط القاهرة ١٣٤٨هـ).

٣) مفتاح السعادة ج ٢ ص ٤٩.

٤) الفرق بين الفرق ص ١٣٤، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٢.

٥) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٨ (دار الكتب العربية، مصطفى البابى الحلبى، القاهرة).

٦) سيأتى التعريف به (٣١١).

٧) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

اليونانية وغيرها بحكم تقدم الزمان وازدياد حركة الترجمة والتأليف[١].

وسيأتى الحديث عن دور الجاحظ فى علوم الأدب. أما عن دوره فى علم الكلام فقد كان فى حياته - بالبصرة وبغداد - لسان المعتزلة المدافع عنها والمناصر لها، واسع العلم بالمذاهب الكلامية ودقائق الفلسفة اليونانية فى الطبيعيات والإلهيات، وفى النفس والأخلاق، يدل على ذلك كتابه الموسوعة "الحيوان" الذى يكثر فيه من النقل عن أرسطو، معتمدا عليه، أو ناقدا إياه[٢]. وحول هذا المعنى يقول الشهرستانى: «طالع (الجاحظ) كثيرا من كتب الفلاسفة، وخلط وروج كثيرا من مقالاتهم بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة»[٣].

ومن كتبه التى سجل فيها آراءه الكلامية "فضيلة المعتزلة" [٤] - الرد على المشبهة - الرد على النصارى - الرد على اليهود - الرد على من ألحد فى كتاب الله - الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ - الرد على الكندى [٥] الفيلسوف - الإمامة على مذهب الشيعة - العثمانية - وجوب الإمامة - كتاب الوعيد - المخاطبات فى التوحيد - النبوة - نظم القرآن. .. وغير ذلك[٦]، بالإضافة إلى آرائه الكلامية المبثوثة فى ثنايا كتبه المتنوعة.

تعقيب: هؤلاء هم أعلام المعتزلة فى البصرة إلى عصر الجاحظ. وقد تبين أن البصرة كانت مركزا للاعتزال والمنبع الأصلى له، بل وكانت هى والكوفة مجمعا للعلم والأدب فى الدولةالإسلامية لا سيما قبل بناء بغداد. ويظهر من عبارة نقلها القاضى عبد الجبار المعتزلى عن الجاحظ أن المعتزلة كانوا من الشهرة فى البصرة بحيث إن أهلها كانوا يبعثون إليهم أولادهم ليتأدبوا بآدابهم شريطة ألا يقبلوا مذاهبهم[٧] والسبب فى هذا الحرص من البصريين هو فى تقديرنا ما عرف عن المعتزلة من رسوخهم فى الأدب واللغة والبيان والفصاحة وأساليب الكلام.

---

١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ١٢٧/٣ بتصرف.

٢) راجع على سبيل المثال المواضع التالية من كتاب الحيوان ٣٤/٤، ٣٢٧ - ٢٢٠/٥، ٥٤١ - ٥٢٩/٣ - ٦ /٣٨ - ١٧/٧، ٣٧.

٣) الشهرستانى: الملل والنحل ج ١ ص ٨٠ (على هامش الفصل لابن حزم - طبعة القاهرة ١٣٤٨هـ).

٤) هذا الكتاب نقضه الراوندى (سيأتى ذكره) فى كتابه "فضيحة المعتزلة"، فنقضه أبو الحسين الخياط المعتزلى فى كتابه "الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد"، وانتصر فيه للجاحظ.

٥) سيأتى حديث منفصل عن الكندى (ص ٣١٤-٣١٦).

٦) راجع معجم الأدباء ٥٦/١٦ - ٨٠، هدية العارفين ٨٠٢/١ - ٨٠٣.

٧) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار ص ٢٧٧.

مدرسة بغداد:

بشر بن المعتمر المؤسس الأول لمدرسة الاعتزال فى بغداد:

وعن طريق البصرة تأسس فرع لمذهب الاعتزال فى بغداد. ويتفق المؤرخون على أن المؤسس الأول لهذا الفرع هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالى البغدادى - أصله من الكوفة - (المتوفى ٢١٠هـ/٨٢٥م). وصل إلى قمة مجده فى عصر المأمون، ومنذ ظهوره - ومع مطلع القرن الثانى الهجرى - سارت مدرسة الاعتزال فى بغداد جنبا إلى جنب مع مدرسة البصرة؛ إذ إن «جميع المعتزلة فى بغداد كانوا من مستجيبيه» كما يقول البلخى [١]. ويقول ابن حجر: «هو من كبار المعتزلة، انتهت إليه رياستهم ببغداد»[٢]. وقد تتلمذ على أئمة الاعتزال بالبصرة من تلاميذ واصل بن عطاء النظام مثل: أبى عثمان الزعفرانى وبشر بن سعيد ومعمر بن عباد السلمى، واكتسب من الأخير دقته فى مسائل الكلام.

وقد كان بشر بن المعتمر شاعرا مفلقا، وأكثر شعره تعليمى يتعلق بالديانات والمذاهب ووصف الطبيعة، وذكر له الجاحظ قصيدتين تعليميتين فى تاريخ الطبيعة[٣]، وإليه تنسب "أرجوزة" من أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين لمذهبه[٤]. ومن مؤلفاته التى دون فيها آراءه الاعتزالية: كتاب "التوحيد" - كتاب "إثبات النبوة" - كتاب "تأويل المتشابة" - كتاب "العدل" - كتاب "فى متشابه القرآن". .. وغيرها. ويضاف إليها كتبه فى اللغة والأدب[٥]. وقد نسب إلى التشيع والرافضة فحبسه الرشيد، ثم أطلقه بعد أن قال شعرا يتبرأ فيه من تهمة الترفض[٦]. ولعل نزعته الشيعية هذه تتضح فى كتاب له بعنوان "قتال على وطلحة" [٧].

---

١) مقالات الإسلاميين للبلخى ص ٧٢.

٢) ابن حجر: لسان الميزان ج ٢ ص ٣٣.

٣) الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٢٨٤ - وراجع البيان والتبيين ١٢٦/١.

٤) الصفدى: الوافى بالوفيات ١٥٥/١٠-١٥٦، ابن حجر: اللسان ٣٣/٢، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال ص ٢٦٥.

٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٠، الكتبى: عيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٢٤٧ - ٢٤٨، تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول ج ٤ ص ٦٢ - ٦٣.

٦) الجرجانى: التعريفات ص ٧٠ - ٧١.

٧) د. أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام ج ١ ص ٢٧٠.

أبو موسى المردار (المتوفى ٢٢٦هـ/٨٤٠م):

تتلمذ لبشر بن المعتمر كثيرون من أهل بغداد، وكان من أظهرهم وأبعدهم أثرا فى نشر الاعتزال فى بغداد بشخصيته الناسكة وقوة لسانه وفصاحته وقدرته على الوعظ: أبو موسى المردار عيسى بن صبيح البغدادى (المتوفى ٢٢٦هـ/٨٤٠م). كان يسمى "راهب المعتزلة" لعبادته. ويقال: إن أبا الهذيل العلاف البصرى (المذكور آنفا) حضر مجلسه وسمع قصصه[١]. ومع ذلك كان شديد الغلو فى الاعتزال، يمعن فى تكفير الناس فلا يسلم منه إلا القليل، و لم يسلم بعض كبار المعتزلة أيضا مثل إبراهيم النظام، بل وأستاذه بشر بن المعتمر، حتى إن المردار ألف كتابا كفر فيه أكثر أهل الأرض. ولعله أول من حرك الفتنة فى بغداد التى عرفت بالمحنة[٢].

والمردار هو أستاذ الجعفرين[٣]:

الأول: جعفر بن حرب الهمدانى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م)، وهو من كبار معتزلة بغداد، كان يميل إلى الزيدية، وتتلمذ أيضا لأبى الهذيل العلاف فى البصرة، وله رد عليه فى كتاب "توبيخ أبى الهذيل". وكان له اختصاص بالخليفة الواثق ومناظرات فى حضرته. وله من المؤلفات: "متشابه القرآن" و"الاستقصاء" و"الرد على أصحاب الطبائع" – يعنى فلاسفة اليونان – و"الأصول"[٤].

ومن أكابر تلامذته فى بغداد: **أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى (المتوفى ٢٤٠ هـ/٨٥٤م).** كان الخليفة المعتصم يجله ويقدره ويجزل له العطاء. وكان يتشيع فألف كتابا فى "تفضيل على ". وله من الكتب على مذهبه: كتاب: "نقض مقالات العثمانية للجاحظ" و"الرد على من أنكر خلق القرآن"[٥].

والثانى: جعفر بن مبشر الثقفى أبو محمد البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م) يوصف بالزهد والتبحر فى العلوم، وله كتب فى علم الكلام، منها "تنزيه الأنبياء" و"الرد على المشبهة والجهمية والرافضة" وغيرها[٦].

---

١) فضل الاعتزال للقاضى عبد الجبار ص ٢٧٧، الملل والنحل للشهرستانى ١/٧٥، لسان الميزان ٤/٣٩٨.

٢) الفرق بين الفرق ص ١٦٥، الملل والنحل ١/٧٦، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٨، ضحى الإسلام ٣/١٤٧.

٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٧٨.

٤) الفهرست ص ٥٥، فضل الاعتزال ص ٢٨٣، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٥٠، لسان الميزان ٢/١١٣.

٥) تاريخ بغداد ٥/٤١٦، فضل الاعتزال ص ٢٧٦، ٢٨٥، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٥٠-٥٥١، تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول – الجزء الرابع ص ٧١.

٦) تاريخ بغداد ٧/١٦٢، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٩، لسان الميزان ٢/١٢١.

وجملة القول فى المردار وتلاميذه أنهم أظهروا فى بغداد نوعا من الاعتزال المشوب بالورع والزهد، فكانوا أشبه بعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء فى البصرة.

ثمامة بن أشرس (المتوفى ٢١٣هـ/٨٢٨م):

ومن مشاهير المعتزلة البغداديين: ثمامة بن أشرس النميرى (المتوفى ٢١٣هـ/٨٢٨م). أصله من البصرة، أخذ بها عن أبى الهذيل العلاف، ثم ورد بغداد واكتسب مكانة عالية عند الخلفاء العباسيين من هارون الرشيد إلى المأمون. وكان جدلا حاذقا عظيم القدر فى الفصاحة والبلاغة وحسن الإفهام. درس عليه الجاحظ وروى عنه كثيرا من أخباره وأدبه وآرائه. «ولم تنتشر آراؤه بين العامة لقلة اختلاطه بهم» كما يقول القاضى عبد الجبار[1]، وإنما كان له دور فى نشر الاعتزال بين الخاصة لقربه من المأمون ومعرفة الناس بأنه يستشار فى المناصب.

ابن أبى دؤاد ووصول المعتزلة إلى أوج قوتهم:

وقد حاول ثمامة بن أشرس جعل الاعتزال مذهبا رسميا للدولة العباسية، لكن لم يكن له من الجاه والنفوذ وحسن مداخلة الخلفاء وسحر التأثير فيهم ما كان لابن أبى دؤاد: قاضى القضاة أبى عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م)[2]، حيث نجح فيما فشل فيه ثمامة، واستطاع بما أوتى من علم وفصاحة وجاه عريض ونفوذ كبير فى قصور الخلفاء العباسيين أن يحمل الناس على مذهب الاعتزال. وأن يجعل المأمون ثم المعتصم يتبنيان هذه الدعوة حتى عظم شأن المعتزلة وأصبح مذهبهم هو المذهب الرسمى للدولة. وعقدت فى هذا العهد محكمة رسمية ذات صبغة دينية تبحث عن المناوئين لآراء هذا المذهب، وترأس ابن أبى دؤاد مناقشات هذه المحكمة بصفته قاضيا لقضاة بغداد.

وكانت مسئلة القول بخلق القرآن هى مركز الدائرة التى دارت حولها المناقشات الكلامية وهى المسئلة التى تركز فيها مذهب المعتزلة فى تلك الفترة لكثرة القول والجدل فيها، ولأنها مبنية على أكبر أصل من أصولهم الخمسة، وهو التوحيد وعدم تعدد صفات الله تعالى. وقد ظلت هذه المسئلة مسئلة الدولة والناس من سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م إلى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، وسميت فى التاريخ بالمحنة، ولا تذكر إلا ويذكر معها الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م) حتى قيل: «أيد الله تعالى هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبى بكر يوم الردة،

---

١) فضل الاعتزال ص ٢٧٥. وراجع عن ثمامة: الفهرست (ص ٢ من الملحق) وتاريخ بغداد ١٤٥/٧ - ١٤٨، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٠ - ٢٠٦، لسان الميزان ٨٣/٢ - ٨٤.

٢) له ترجمة فى تاريخ بغداد ١٤١/٤-١٥٦، وفيات الأعيان ٨١/١-٩١، تاريخ الطبرى ١٩٧/٧، سير أعلام النبلاء ١٦٩/١١-١٧١، لسان الميزان ١٧١/١.

وأحمد بن حنبل يوم المحنة»[١].

لقد عرف عن الخليفة المأمون أنه كان متعطشا إلى العلم والفلسفة، شغوفا بالآداب محبا للمناقشة والجدال، ولما كان المعتزلة فى وقته أقطاب الأدب وأرباب الجدل فإنه قربهم واستطاب مجالسهم، فأدى به ذلك إلى الإيمان بمبادئهم والدخول فى مذهبهم، ومن ثم - ومنذ سنة ٢١٨ هـ على وجه التحديد - وصل المعتزلة إلى أوج قوتهم وذروة رفعتهم، وانتهى إليهم الأمر، واستمر نفوذهم إلى زمن الخليفة الواثق الذى واصل مناصرته لهم، وما هو أن مات سنة ٢٣٢ هـ/٨٤٦م وقام المتوكل بالخلافة حتى قلب لهم ظهر المجن، وحمل عليهم حملة عنيفة، فزالت قوتهم، ودالت دولتهم وبدأوا فى دور الضعف والاضمحلال. وزاد من هذا الضعف الفرقة والخلاف الذى وقع بينهم وانفصال بعض رجالهم.

المعتزلة فى طريقهم إلى الاضمحلال:

وقد كانت بذور الشقاق والخلاف موجودة بين صفوف المعتزلة قبل المحنة، لكن أثرها كان خفيفا، فلما زالت سلطتهم السياسية وتعرضوا لهجمات الخصوم خرج عليهم بعض رجالهم، كأبى عيسى الوراق (المتوفى ٢٤٧هـ/٨٦١م) الذى انضم إلى الرافضة. وأبى الحسين أحمد بن يحيى الراوندى (المتوفى ببغداد ٢٥٠هـ/٨٦٤م) الذى انضم إلى الرافضة أيضا ووضع لهم كتاب "الإمامة"، قال عنه ابن حجر: «كان أولا من متكلمى المعتزلة، ثم تزندق واشتهر بالإلحاد. وقيل: إنه كان لا يستقر على مذهب، وقد صنف كتبا كثيرة يطعن فيها على الإسلام. .. وأكثر الكتب التى صنفها قبل انسلاخه كانت فى الاعتزال والرفض، وهو نحو من أربعين كتابا، وكتبه التى ألفها فى الطعن على الشريعة اثنا عشر كتابا»[٢].

وبعد تأليف الجاحظ كتابه "فضيلة المعتزلة" ألف ابن الراوندى كتابه "فضيحة المعتزلة" ينقض فيه كتاب الجاحظ. وقد انبرى أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط البغدادى (المتوفى ٣٠٠هـ/٩١٢م) - وهو أحد كبار معتزلة بغداد - للدفاع عن مدرسته وأصحابه، فوضع كتابا يرد فيه على ابن الراوندى وينتصر للمعتزلة ويظهر فضلهم، وسماه "الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد"[٣].

---

١) ابن مفلح: المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد (مخطوط) ص ٣/أ. والقائل هو على بن المدينى البغدادى (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٤٨م) وكان من المعاصرين للإمام أحمد.

٢) ابن حجر: لسان الميزان ٣٢٣/١ - ٣٢٤. وراجع الفهرست (الملحق - ص ٤ - ٥)، وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٤.

٣) تاريخ بغداد ٨٧/١١، لسان الميزان ٨/٤، تاريخ التراث العربى - سزكين مجلد ١ ج ٤ ص ٧٤ - ٧٥، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٩٨ - ١٩٩.

أبو على الجبائى (٣٠٣هـ/٩١٥م):

وقد استمر رجال المعتزلة فى خلافاتهم حتى قويت واستحكمت وتطرقت إلى أفراد العائلة الواحدة، كالذى وقع بين أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى البصرى البغدادى (المتوفى ٣٠٣هـ/٩١٥م) - وهو من تلاميذ أبى الحسين الخياط صاحب "الانتصار" - وبين ولده أبى هاشم عبد السلام البغدادى (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م)، حيث اختلفا فى عدة مسائل وكثر بينهما الجدال فيها[١].

وأبو على الجبائى هذا كان - كما وصفه الذهبى - «متوسعا فى العلم سيال الذهن، ذلل الكلام وسهله، ويسر ما صعب منه»[٢]. وقد تتلمذ على أبى يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام أهم رجال المعتزلة بالبصرة[٣] (المتوفى ٢٨٠هـ/٨٩٣م) وأصبح الجبائى رئيسا لهذه المدرسة بعد موت شيخه. وصنف سبعين كتابا، منها كتاب "فى تفسير القرآن"، وكتاب "الأصول" و"التعديل والتجوير" و"النهى عن المنكر" و"الأسماء والصفات" و"الرد على ابن الراوندى " و"الرد على المنجمين". وله ردود على بعض رءوس المعتزلة فيما خالفهم فيه كالنظام وأبى الحسين الخياط صاحب "الانتصار"[٤].

وفى الفترة التى ترأس فيها الجبائى مدرسة الاعتزال فى البصرة وبغداد جاءت الضربة القاصمة للمعتزلة على يد واحد منهم كان ربيبا للجبائى نفسه وتلميذه، وهو أبو الحسن الأشعرى الذى عاش أربعين سنة فى بيت الاعتزال، لكنه عندما درس طريقة الإمام أحمد بن حنبل ومنهجه فى أصول العقيدة التى امتحن بسببها سارع إلى نبذ منهج المعتزلة وعقائدهم، وأخذ يؤلف كتبه للرد عليهم ونقض مقالاتهم. غير أن الجبائى سارع من جانبه إلى الدفاع عن مذهبه، فصنف كتابا فى "الرد على الأشعرى " قال عنه ابن حجر: «وهو من العجائب، لأن الأشعرى كان من تلامذته. ثم خالفه وصنف فى الرد عليه، فنقض هو - أى الجبائى - بعض تصانيفه»[٥]. وسيأتى مزيد بيان عن الأشعرى فى سياق حديثنا عن موقف أهل السنة من المعتزلة وعلم الكلام بعد أسطر قليلة.

---

١) الشهرستانى: الملل والنحل ج ١ ص ٨٣ - ٨٨ (على هامش الفصل)

٢) سير أعلام النبلاء ١٤/١٨٣.

٣) ترجمة الشحام فى لسان الميزان لابن حجر ٦/٣٢٥، الأعلام للزركلى ٨/٢٣٩.

٤) سير أعلام النبلاء ١٤/١٨٤، لسان الميزان ٥/٢٧١. وراجع وفيات الأعيان ٤/٢٦٧-٢٦٩، الوافى بالوفيات ٤/١٦٧-١٦٩.

٥) لسان الميزان ٥/٢٧١.

ومما يسترعى انتباه الباحث فى تاريخ المعتزلة (بالعراق/بغداد) أننا لم نسمع عن متكلمين لامعين ومفكرين بارزين منهم بعد أبى على الجبائى وولده أبى هاشم؛ فالذين جاءوا من بعد ذلك لم يبتكروا جديدا، وإنما كانوا مجرد مقلدين لأسلافهم، باستثناء القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى (المتوفى ٤١٥هـ/١٠٢٤م) صاحب كتاب "المغنى فى أصول الدين" فى عشرين جزءا، وكتاب "الأصول الخمسة"[١]، وهى الأصول التى ينبنى عليها مذهب الاعتزال.

أهل السنة فى بغداد وموقفهم من المعتزلة وعلم الكلام:

كانت محنة القول بخلق القرآن التى شهدتها بغداد نقطة تحول واضحة فى تاريخ الحياة الفكرية والعقائدية فى تاريخ المسلمين؛ ذلك لأنها أثارت فى النفوس ما أثارت من سخط وغضب، وعززت النزعة السلفية لمواجهة تيار العقليين الغلاة[٢]. ومنذ ذلك الحين تميزت المواقف إزاء أصول الدين، فكانت الغالبية العظمى من أهل الحديث والسنة فى جانب المعارضة للقول بخلق القرآن ونفى الصفات الإلهية بعامة؛ ذلك القول الذى تبناه - إلى جانب المعتزلة - المأمون والخليفتان من بعده.

وقد أسفرت هذه المحنة - فى إطار أهل السنة - عن التمييز بين منهجين معارضين للمعتزلة:

المنهج الأول: منهج علماء الحديث: وكان الإمام أحمد بن حنبل علما له، واشتهر باسمه بسبب ما لاقاه فى المحنة من عذاب وابتلاء، وكان موقفه فى الحقيقة معبرا عن طريقة العلماء من معاصريه السائرين على طريقة السنة. وهؤلاء «وقفوا طويلا أمام علم الكلام نابذين أصحابه، مبتعدين عن الخوض فيه، ثم دخلوا الميدان حينما قويت شوكة المعتزلة، فاضطروا اضطرارا إلى مجابهتهم، ولكن بمنهج مخالف، فكانت طريقتهم فى الدفاع عن أصول الدين اتباع منهج السلف؛ أى مراعاة المعانى الصحيحة والألفاظ الشرعية والرد على من تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا»[٣].

ولا يعنى ذلك أن أهل الحديث والسنة أنكروا جنس النظر والاستدلال فيما يتعلق بأصول الدين، فما كان يمكنهم أن يفعلوا ذلك، ولكنهم اعتصموا فى تفكيرهم بالقرآن والسنة، وأوغلوا فيهما بالعقل برفق، وأنكروا الاصطلاحات التى أوردها "أهل الكلام" وخالفوا بها الأصول الشرعية.

---

١) تاريخ بغداد ١١/١١٣-١١٥، سير أعلام النبلاء ١٧/٢٢٤-٢٤٥، لسان الميزان ٣/٣٨٦-٣٨٧.

٢) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ٢/١١٣.

٣) د. مصطفى حلمى: منهج علماء الحديث والسنة فى أصول الدين ص ١٥٥.

وقد تجلى موقف أهل السنة من مخالفيهم - خصوصا المعتزلة - فى جانبين أو طريقتين:

الطريقة الأولى: الحوار والمناظرة. وقد حفظت لنا المصادر أهم المحاورات التى دارت فى هذا الصدد، ونعنى بها محاورة الإمام أحمد بن حنبل وابن أبى دؤاد[١]، ومحاورة عبد العزيز بن يحيى الكنانى المكى لبشر بن غياث المريسى البغدادى أحد كبار المعتزلة[٢] (المتوفى ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) فى حضرة المأمون ببغداد[٣].

الطريقة الثانية: التأليف وتدوين المسائل الاعتقادية وفقا لمنهج السلف، والتعريض بالمنهج العقلى، وذم رواده من المعتزلة، وتفنيد آرائهم والكشف عن زيفها. وقد اتخذت هذه المؤلفات منهجين مختلفين:

١ - منهج الرد؛ أى عرض آراء الخصوم والرد عليها مدعما بالأدلة النقلية من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين. ويتمثل هذا المنهج فى مؤلفات عدة، منها: كتاب "الإيمان" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٤هـ/٨٣٨م)[٤]. وكتاب "الاختلاف فى اللفظ (أى لفظ القرآن) والرد على الجهمية والمشبهة" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م)[٥]. وكتاب "الرد على الجهمية والزنادقة" للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى البغدادى (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م)[٦]. وكتاب "الرد على الجهمية" لعبد الرحمن ابن محمد بن أبى حاتم الرازى نزيل بغداد (المتوفى ٣٢٧هـ/٩٣٨م)[٧]. وكتاب "الرد على بشر ابن المريسى فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية" لعثمان بن سعيد الدارمى السجستانى نزيل بغداد (المتوفى ٢٨٠هـ/٨٩٤م)[٨].

---

١) أورد الذهبى طرفا من هذه المحاورة فى سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٢٤٣ وما بعدها، وابن مفلح فى المقصد الأرشد (مخطوط) (ص ٥٤ /ب - ٥٥/ب).

٢) كان بشر المريسى أحد الداعين إلى القول بخلق القرآن، وكان له قدر عند الدولة، وناظره الشافعى. وله مصنفات كثيرة منها: الرد على الخوارج - الرد على الرافضة فى الإمامة - الإرجاء - الوعيد - الاستطاعة (له ترجمة فى تاريخ بغداد ٧/٥٦-٦٧، سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٩-٢٠٢، لسان الميزان ٢/٢٩ - ٣١).

٣) طبعت هذه المحاورة فى كتاب يحمل عنوان "كتاب الحيدة فى الرد على بشر بن غياث المريسى ببغداد" - المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٩هـ.

٤) مطبوع بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - مطبعة المدنى بمصر - بدون تاريخ.

٥) الفهرست لابن النديم ص ١١٦.

٦) تاريخ بغداد ٣/٣٠٤.

٧) ابن مفلح: المقصد الأرشد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد (مخطوط) - ص ٧٧/أ .

٨) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٠٢.

٢ – منهج العرض؛ أى عرض أصول العقيدة، والحث على اتباعها وترك ما حدث بعد الصدر الأول من بدع وأهواء. ويمثل هذا المنهج كتب تحمل عنوان "السنة"، نذكر منها: كتاب "السنة" للإمام أحمد، وكتاب "السنة" للأثرم": أحمد بن محمد البغدادى (المتوفى ٣١١ هـ/٩٢٣م)[١]. ومنها: كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" –فى مجلدين – لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائى الطبرى البغدادى (المتوفى ٤١٨هـ/١٠٢٧م)[٢] وهو أهم كتاب فى أصول العقيدة عند أهل السنة، حفظ لنا مؤلفه عقيدة أحد عشر إماما من علمائهم، وذكر فى أكثرها موقفهم من المسائل العقدية المختلف فيها. ومن هذه الكتب أيضا: كتاب "الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة" – فى ثلاثة مجلدات – لعبيد الله بن محمد الحنبلى العكبرى البغدادى (المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٧م)[٣].

المنهج الثانى من المنهجين اللذين أسفرت عنهما المحنة فى إطار أهل السنة: وهو منهج جديد فى معارضة المعتزلة استخدم طريقة علماء الكلام مع محاولة التوفيق – فى رأيهم – بين المنقول والمعقول. وقد تبنى أبو الحسن الأشعرى هذا المنهج موافقا مذهب أهل السنة والحديث فى أصولهم العامة. وإليك التعريف به وبدوره فى مجابهة المعتزلة.

أبو الحسن الأشعرى (٣٢٤هـ/٩٣٥م):

والأشعرى: هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر البصرى البغدادى (٢٦٠–٣٢٤هـ/ ٨٧٣–٩٣٥م)، ينتهى نسبه إلى أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخذ مذهب الاعتزال عن زوج أمه أبى على الجبائى (كما ذكرنا)[٤]، وبرع فيه حتى صار من أئمة المعتزلة، وحينما بلغ سن الأربعين تحول إلى مذهب أهل السنة وما كان يقول به الإمام أحمد بن حنبل، وأعلن ذلك على الملا[٥].

وبعيدا عن الأسباب التى أدت بأبى الحسن إلى الرجوع عن مذهب الاعتزال فإن من المؤكد أن انشقاقه عنه يعد نقطة فاصلة فى تاريخ المعتزلة، بل ويمكن القول: إنه مثل البداية الحقيقية لسقوطهم وزوالهم، ويؤيد ذلك ما يقوله الفقيه الشافعى أبو بكر الصيرفى البغدادى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م): «كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى نشأ الأشعرى فحجرهم فى

---

١) راجع قائمة بأسماء هذه الكتب فى "الرسالة المستطرفة" للكتانى ص ٣٧ – ٣٩.

٢) تاريخ بغداد ٧٠/١٤، ٧١، سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٧–٤٢٠.

٣) سير أعلام النبلاء ٥٢٩/١٦، المقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) ص ٩٧/أ.

٤) قصة إعلان رجوعه عن مذهب المعتزلة فى الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧.

٥) وفيات الأعيان ٢٨٥/٣، سير أعلام النبلاء ٨٩/١٥.

أقماع السمسم»[١].

ويرى الأشاعرة بعامة فى ظهور أبى الحسن حسما للمشاكل الكلامية المثارة على ساحة الفكر الإسلامى من الوجهين المنهجى والموضوعى؛ فقد استطاع منهجيا استخدام نفس أسلوب المعتزلة لدحض آرائهم، مستخدما المنهج الكلامى الجدلى، كما استطاع موضوعيا إيجاد الحلول للمسائل المتنازع عليها بين طائفتى أهل السنة والمعتزلة، «وعلى يديه تمت هزيمة المعتزلة بعد أن نازلهم بنفس سلاحهم، وناقشهم بأسلوب يعتمد على العقل والمنطق»[٢].

ويقرر ابن عساكر أن الأشعرى لم يكن أول من تكلم بلسان أهل السنة، ولكنه جرى على سنة غيره مناصرا المذهب فزاده حجة وبيانا، «ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهب انفرد به. .. وليس له فى المذهب أكثر من بسطه وشرحه وتأليفه فى نصرته»[٣]. وكان حريصا على الارتباط بأهل السنة والحديث فى شخص الإمام أحمد، ولذلك ذيل مقالتهم فى كتابه "مقالات الإسلاميين" بقوله: «وبكل ما ذكر من قولهم نقول، وإليه نذهب»[٤].

إن دور الأشعرى الذى نال به مكانته هو انصرافه إلى الرد على المذهب الذى نشأ فى بيئته ودرسه عن قرب وعمق، وكان قد صنف - قبل تحوله - كتبا فى تصحيح مذهب المعتزلة ثم نقضها - كما يقول هو - فى كتابه "الصفات" وكتاب "النقض على كتاب الأصول للجبائى " وصنف أيضا "النقد على البلخى " [٥] (أحد أئمة المعتزلة). وقد اطلع الذهبى له على أربعة مؤلفات فى أصول العقيدة يثبت فيها قواعد مذهب السلف فى صفات الله تعالى [٦]. ومن كتبه التى بسط فيها هذه الأصول: كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" و"اللمع فى الرد على أهل البدع" و"مقالات الإسلاميين"، وهذا الكتاب الأخير يدل على اطلاع كبير وفهم دقيق للفرق الإسلامية على اختلاف منازعهم وتباين مذاهبهم. وله كتب أخرى كثيرة فى أصول الدين والرد على المخالفين تصل - كما يقول الخطيب البغدادى - إلى خمس وخمسين كتابا[٧].

---

١) تاريخ بغداد ٣٤٧/١١، سير أعلام النبلاء ٨٦/١٥.

٢) د. حمودة غراب: أبو الحسن الأشعرى ص ٥٩ (مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٣) ابن عساكر: تبيين كذب المفترى ص ١١٨.

٤) مقالات الإسلاميين ٣٢٥/٢.

٥) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٧.

٦) سير أعلام النبلاء ٨٦/١٥.

٧) تاريخ بغداد ٣٤٧/١١. وراجع عن مؤلفاته: الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧، وفيات الأعيان ٢٨٥/٣، سير أعلام النبلاء ٨٠/١٥-٨٨، تبيين كذب المفترى - لابن عساكر ص ١٢٨ - ١٣٦.

ابن كلاب (المتوفى بعد سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م بقليل):

وتروى كتب الفرق والتراجم أن أبا الحسن الأشعرى لما رجع عن الاعتزال سلك طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصرى (المتوفى بعد سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م) الذى قام مدافعا عن عقيدة أهل السنة فى مواجهة المعتزلة، مبينا فساد آرائهم فى نفى الصفات الإلهية، وفى ذلك يقول ابن حجر فى ترجمته لابن كلاب: «وعلى طريقته مشى الأشعرى فى كتاب الإبانة»[١].

وكان ابن كلاب أحد المتكلمين فى زمن المأمون، ومنسوب إلى أهل السنة، وله أثر كبير فى الدفاع عن أصولهم. ويعد داود بن على الأصفهانى البغدادى مؤسس المذهب الظاهرى (المتوفى ٢٧٠هـ/٨٨٣م) من تلاميذه. وتعلم على يديه أيضا الحارث المحاسبى الصوفى البغدادى (المتوفى ٢٤٣هـ/٨٥٧م)، أخذ عنه شيئا من علم الكلام. ولابن كلاب كتب فى الرد على المعتزلة «وربما وافقهم» كما يقول الذهبى - أى فى بعض المسائل القليلة. وذكر له ابن النديم كتاب "الصفات" وكتاب "خلق الأفعال"[٢].

أبو بكر الباقلانى البغدادى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م):

ومع أن أبا الحسن الأشعرى منسوب إلى ابن كلاب لأنه اقتفى أثره فى الحجاج والنظر - حتى إن صاحب الفهرست يصنفه ضمن الكلابية[٣]- إلا أن الشهرة صارت لأبى الحسن، وتبعه على نهجه عدد من الأئمة انتسبوا إليه فى القرن الرابع الهجرى [٤]، منهم صاحبه محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو عبد الله الطائى البصرى (الأصل) البغدادى [٥]. وعلى يد هذا الرجل درس علم الكلام على طريقة الأشعرى: القاضى محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلانى البصرى البغدادى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م) الذى يعد أنبه متكلمى المدرسة الأشعرية. قال عنه الخطيب: «كان أعرف الناس بعلم الكلام، وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا، وأوضحهم بيانا، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة فى الرد على المخالفين

---

١) لسان الميزان ٢٩١/٣.

٢) معلوماتنا عن ابن كلاب من الفهرست ص ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ١٧٤/١١-١٧٥، لسان الميزان ٢٩٠/٣-٢٩١، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٢٩٩/٢-٣٠٠.

٣) الفهرست ص ٢٥٧.

٤) ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد عددا كبيرا من المنتسبين لأبى الحسن الأشعرى - راجع مثلا: ٣٢٥/١-٣٢٦، ٣٧٧/٤-٣٧٨، ٥٩/٥، ٢٧٩/٧-٢٨٠، ٨٣/١١.

٥) تاريخ بغداد ٣٤٣/١.

من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم»[١] وقد عده القاضى عياض فى طبقات المالكية وقال: «هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث وطريقة أبى الحسن، وإليه رئاسة المالكية فى وقته»[٢].

وقد أربت مؤلفات الباقلانى على (٥٠) كتابا، منها "مناقب الأئمة ونقض المطاعن عن سلف الأمة" و"الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن" و"شرح الإبانة عن أصول الديانة" للأشعرى و"هداية المسترشدين والمقنع فى معرفة أصول الدين" و"إعجاز القرآن" و"التمهيد". والكتاب الأخير من أهم الكتب الكلامية التى تعلق بها أهل السنة، لأنه أجمع كتاب يبصرهم بمسائل الخلاف بينهم وبين مخالفيهم، ويرشدهم إلى أقوى الأدلة الجدلية وأحكم البراهين العقلية التى تعضد مذهبهم[٣].

تتلمذ على الباقلانى كثيرون فى البصرة وبغداد وخراسان، ومن أشهرهم: عبد بن أحمد الهروى (المتوفى ٤٣٤هـ/١٠٤٢م) تتلمذ عليه فى بغداد، وله كتب وصلت إلى الأندلس، والقاضى عبد الوهاب بن نصر البغدادى المالكى (المتوفى ٤٢٢هـ/١٠٣٠م) وغيرهما. ثم تتابع كثير من الأئمة فى الانتساب إلى هذا المذهب، كابن فورك (المتوفى ٤٠٦هـ/١٠١٥م) والجوينى (المتوفى ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) والغزالى صاحب "إحياء علوم الدين" (المتوفى ٥٠٥ هـ/١١١١م) وابن تومرت المغربى (المتوفى ٥٢٤هـ/١١٢٩م) وهو تلميذ الغزالى. والشهرستانى صاحب كتاب "الملل والنحل" (المتوفى ٥٤٨هـ/١١٥٣م) والرازى (المتوفى ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وغيرهم ممن شرحوا مقالات الأشعرى ونظموها وزادوا عليها ودافعوا عنها، غير أن المتأخرين منهم - بدءا من ابن فورك - «نزعوا إلى الإسراف فى التأويل، وتبنى المناهج الاعتزالية والقبول ببعض الأفكار الفلسفية وخاصة المنطقية، مما كان تمهيدا للتطور الذى لحق بالمذهب بعد ذلك حتى كاد يلتحم بالاعتزال»[٤].

وهكذا، فمنذ قيام الأشعرى وأتباعه من بعده بالرد على المعتزلة وغيرهم من الفرق ومعارضتهم أصبح هناك تياران يعيشان جنبا إلى جنب (أهل الحديث - الأشعرية) كل منهما ينتهج منهجا متميزا، وإن كان الاثنان يرتبطان بالسنة التى تميزها عن الفرق الأخرى كالشيعة

---

١) تاريخ بغداد ٥/٣٧٩.

٢) ترتيب المدارك ٤/٥٨٥-٥٨٦.

٣) ذكر الأستاذ أحمد صقر فى مقدمته الطويلة لكتاب إعجاز القرآن للباقلانى "قائمة" بأسماء كتب الباقلانى تتضمن (٥٥) كتابا (ص ٣٧-٤٩). وراجع أيضا تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين، المجلد الأول ج ٤ ص ٤٩-٥١.

٤) د. حسن شافعى: المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ٨٨.

والخوارج وغيرهما. والمنهجان - وإن كانا ينتسبان إلى السنة ويعلنان أنهما يتمسكان بها - لكن المحدثين يرون أن منهجهم وحده هو الذى يلتزم باتباع طريقة السلف، وكان هؤلاء يمثلون الأغلبية فى مجتمع بغداد، وفى المجتمع الإسلامى بعامة.

نتائج وتعقيب:

وفى ختام هذا الفصل نود أن نسجل الملاحظات التالية:

أولا: لقد ألفت الكتب فى علم الكلام، مثله فى ذلك مثل غيره من العلوم الإسلامية. وأكثر المؤلفات فى هذا العلم كانت للمعتزلة على اعتبار أنها أهم فرقة عرضت موضوعاته ومسائله بمنهج عقلى وفى نسق مذهبى متكامل. وكان لأهل السنة والحديث - فى المقابل - مؤلفات كثيرة تشرح أصول الاعتقاد على منهج السلف من الصحابة والتابعين. ثم دخل فى ساحة المواجهة أبو الحسن الأشعرى وأتباعه من بعده فكان لهم حظ كبير من تأليف الكتب الكلامية. وقد نتج من مجموع هذه الكتب - إضافة إلى المحاورات والمناظرات بين تلك المذاهب - تراث علمى وفير فى أصول الدين وعلم الكلام حفظته مكتبات بغداد الخاصة والعامة، ثم اندثر أكثره مع عوادى الزمن ونوائب الدهر.

ولقد كان واضحا فى سياق عرضنا لعلم الكلام أننا لم نلتفت إلى المسائل الكلامية التى تتميز بها أهم المذاهب والفرق إلا فى حدود ضيقة للغاية، فى حين أننا أعطينا اهتماما ملحوظا للمؤلفات العلمية التى نتجت عن الخلاف الواقع بين تلك المذاهب، أو بين أصحاب المذهب الواحد (وأعنى هنا المعتزلة)، لأننا معنيون فى المقام الأول برصد الحركة العلمية واتجاهاتها العامة ومعالمها الرئيسية فى (بغداد) مركز الحضارة الإسلامية.

ثانيا: كان لمعتزلة بغداد والبصرة - نظرا لثقافتهم الواسعة وبيئتهم العلمية التى كثر فيها الجدل والمناظرة - أثر حميد فى تأسيس كثير من مبادئ علوم العربية التى لها صلة بمعانى الكلام وأساليبه وترتيب أفكاره. وكانت البلاغة هى أهم هذه العلوم؛ حيث كان علماء الكلام أنفسهم حريصين على حذق فنون البيان والتمرس بأساليب القول، ليتمكنوا من شرح مقالاتهم الكلامية وإيصالها إلى الناس والدفاع عنها ضد الخصوم[1]. ويأتى فى مقدمة المعتزلة أصحاب الفضل الأول فى تأسيس علم البلاغة: إبراهيم النظام وبشر بن المعتمر وثمامة بن أشرس والجاحظ. ومن الأشاعرة: أبو بكر الباقلانى. وكلهم عراقيون بغداديون. كما أن من هؤلاء

---

١) راجع د. عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجرى ص١٦١-١٦٢ (دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثالثة).

الأعلام - معتزلة وأشاعرة - من شارك بالتصنيف فى تفسير القرآن العظيم وجمع الحديث النبوى وتدوين الفقه وأصوله. غير أن جهودهم فى هذه العلوم كانت محدودة إذا قورنت بجهود أهل السنة أصحاب الحديث الذين كانوا يمثلون أغلبية المجتمع من العلماء آنذاك.

ثالثا: إن الاكتفاء بالاطلاع على مؤلفات الفرق فى أصول الاعتقاد يعطى انطباعا بأن هذه المسائل كانت الشغل الشاغل للمسلمين كافة. وهذا لم يحدث إلا بعد أن فرض المأمون القول بخلق القرآن - وفى هذه القضية وحدها - وفيما عدا هذا فقد كانت الأمة الإسلامية تمضى قدما فى بناء حضارة زاهرة بعلومها وآدابها وفنونها ونظمها فى السياسة والاقتصاد والاجتماع. وكانت بغداد هى المدينة الأم التى يرنو إليها العلماء والمفكرون من كل فج للتعرف على معالم هذه الحضارة ونشرها.

رابعا: أما عن تأثر الأندلسيين بالتيارات الكلامية فى إطار توجههم صوب بغداد لنقل معالم الحضارة فإنهم لم يعيروا اهتماما كبيرا لهذه التيارات، ولم يتأثروا تأثرا ذا بال بمقالات الفرق المخالفة لأهل السنة ورجال الحديث، وكان تعويلهم فى تلقى العلوم والمعارف من (بغداد/المشرق) على أهل السنة. وسوف نجلى هذا الأمر فى مبحث خاص من القسم الثانى من الدراسة إن شاء الله.

* * * *

الباب الثانى

علوم اللغة العربية

* ويشمل هذا الباب الفصول التالية:

الفصل الأول : النحو واللغة.

الفصل الثانى : البلاغة والنقد الأدبى.

الفصل الثالث : الشعر والنثر الفنى.

الفصل الأول
الدراسات اللغوية والنحوية

البصرة والكوفة منبع الدراسات اللغوية والنحوية فى العالم الإسلامى:

أدت محاولات العلماء المسلمين فى البحث عن معانى القرآن الكريم وإقرائه وتفسير غريب آياته وألفاظه وبيان مشكله وتوضيح أحكامه-وكذلك الحديث النبوى - إلى جمع اللغة عن القبائل العربية الفصيحة وظهور الدراسات اللغوية وتطورها.

وكان من أوائل المهتمين بذلك العلماء الذين استقروا فى البصرة أول المدن التى مصرت فى العراق سنة ١٤هـ إبان الفتوحات الإسلامية، ومن هنا «كانت هذه المدينة منبع هذه الدراسات، والشمس التى شع نورها على الناطقين بالضاد، وغمرت بضوئها بلاد العرب والمسلمين بعد أن استطاع رجالها القائمون على هذه الدراسات أن يضعوا أصولها وضوابطها وأقيستها التى بها يستطيعون أن يفسروا آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ وأساليب أسلافهم من العرب الفصحاء، وأن يفهموها من عاصرهم أو جاء بعدهم ممن دخلوا فى الإسلام وانضووا تحت لوائه من أبناء الألسن المختلفة والأجناس المتعددة»[١].

وكانت الكوفة - ثانى مدينة مصرت فى العراق بعد الفتح الإسلامى - مركزا ثانيا منافسا للبصرة لدراسة علوم العربية، إلا أن هذه الدراسات تأخر ظهورها فى الكوفة قرابة قرن من الزمان؛ «إذ كانت فى شغل عن ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه، وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهى هو مذهب أبى حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم فى العالم العربى، وهم عاصم وحمزة والكسائى، وعنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعارالقديمة وصنعة دواوين الشعر»[٢].

وهذا السبق الذى عرف عن البصرة فى ميدان دراسة اللغة العربية قد تنبه إليه القدامى كابن سلام الجمحى (المتوفى ٢٢٤هـ/ ٨٣٨ م) الذى يقول: «وكان لأهل البصرة قدمة (أى تقدم وسبق) وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية»[٣]. ويقول ابن النديم مبينا سبب تقديمه لعلماء

---

(١) حضارة العراق - لعدد من الباحثين ج ٧ص ١٩٩(الفصل الرابع).

(٢) د. شوقى ضيف: المدارس النحوية ص ١٥٣(الطبعة الخامسة - دار المعارف بالقاهرة).

(٣) ابن سلام الجمحى: طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٢ بتحقيق الشيخ شاكر.

النحو واللغة البصريين على الكوفيين: «وإنما قدمنا أهل البصرة أولا لأن علم العربية عنهم أخذ»[١].

نهضة علوم اللغة والنحو فى بغداد على أيدى علماء البصرة والكوفة:

وقد نبغ فى هذين المصرين (لا سيما فى البصرة) جماعة كبيرة من علماء العربية أخذوا على عاتقهم جمع اللغة وروايتها وتدوينها وتقعيدها، وتميزوا بالتتبع الدقيق والتقصى والتوسع فى الإحصاء والضبط والتحليل والتفسير والتصنيف. ومنذ أن أنشأت بغداد لا يزال عدد كبير من اللغويين والنحاة الكوفيين والبصريين يترح إليها، وهؤلاء نشروا بها علوم العربية، وانتقلت معهم مؤلفاتهم فى اللغة والنحو والأدب، وتتلمذ على أيديهم جماعة من البغداديين اشتركوا إلى جانب أساتذتهم فى النهوض بالدراسات اللغوية والنحوية حتى نمت أصولها واكتملت عناصرها.

وعلى الرغم من أن الدراسات اللغوية والنحوية تأخر ظهورها فى الكوفة كما ذكرنا فإن هذه الدراسات تسربت إلى بغداد عن طريق الكوفيين أولا؛ إذ كانوا أسبق فى التروح إلى الحاضرة العباسية من البصريين، وأصبح علماء الكوفة حاشية الخلافة العباسية ومؤدبى أولاد الخلفاء ومستشاريهم فى علوم العربية إلى أن زاحمهم البصريون فيما بعد.

وكان على بن حمزة الكسائى (المتوفى ١٨٩ هـ/ ٨٠٤ م) مؤسس المدرسة الكوفية أبرز من أدخل الدراسات النحوية واللغوية إلى عاصمة الخلافة، وأول نحوى لغوى يستدعيه الخليفة المهدى ليؤدب ولده هارون الرشيد، ثم لازمه ملازمة كاملة، مما شجعه على أن يواصل بحثه وتدريسه، فذاع صيته فى بغداد، وأشاع النحو الكوفى بين الدارسين فيها، وصنف فيه كتابين هما: " مختصر النحو " و" الحدود "[٢].

وأعقبه على مجالس الدرس اللغوى والنحوى فى بغداد تلميذه يحيى بن زياد الفـــراء الكوفى (المتوفى ٢٠٧هـ/ ٨٢٢ م) الذى تعلم على يد الكسائى ولازمه فى بغداد، وتصدر مجلس الدرس فيها بعد وفاته[٣].

وقد تنبه العلماء البغداديون إلى جهود كل من الكسائى والفراء فى نشر علوم اللغة العربية

---

(١) الفهرست ص ٩٦.

(٢) راجع ترجمة الكسائى فى الفهرست ص ٩٧-٩٨، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٢٧-١٣٠، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء للأنبارى ص ٥٨-٦٤، معجم الأدباء لياقوت ج ١٣ص١٦٧-١٦٨، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) معجم الأدباء ج ٢٠ ص ٩-١٤.

والنهوض بها فى بغداد، فيقول اللغوى المفسر أبو بكر بن الأنبارى البغدادى (المتوفى ٣٢٨هـ / ٩٣٩ م): «لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس؛ إذ انتهت العلوم إليهما»[١]،

ويقول ثعلب (وهوأحد رءوس المدرسة الكوفية فى بغداد/توفى ٢٩١هـ/ ٩٠٣م): «لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية، لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد... "[٢].

وتشير المراجع إلى أن الفراء أملى كتبه فى بغداد، وأهمها كتاب "معانى القرآن"، وكتاب "الحدود" فى النحو، ألفه فى سنتين بأمر من الخليفة المأمون، وكتاب "اللغات"، وكتاب "مشكل اللغة" صغير وكبير، وكتاب " النوادر " و" المقصور والممدود" و"المذكر والمؤنث" وغيرها.[٣]

لقد كان للحظوة التى نالها الكسائى الكوفى - والفراء من بعده - لدى العباسيين العامل القوى فى التفاف العلماء والطلاب حوله، وكان هذا مما أثار حفيظة نحاة البصرة ولغوييها، ودعا واحدا مثل الأخفش سعيد بن مسعدة البصرى (المتوفى ٢١٥ هـ/٨٣٠ م) تلميذ سيبويه وأكبر أئمة النحو البصريين من بعده أن يشد الرحال إلى بغداد، ويقوم بدور نشر النحو البصرى منافسا للنحو الكوفى، وأذاع فيها " كتاب " سيبويه، فأخذه عنه تلاميذه من البصريين كالجرمى والمازنى، وسمعه منه علماء الكوفة أنفسهم وعلى رأسهم الكسائى [٤]. وصنف الأخفش كتبا نشرها فى بغداد، منها كتاب " الأوسط " (وصل إلى قرطبة) وكتاب "المقاييس" - وكلاهما فى النحو- وكتاب " الاشتقاق " و" القوافى " و" العروض" و" الأصوات " و"معانى الشعر" وغيرها[٥].

ومن البصريين الذين انتقلوا إلى بغداد وعملوا على نشر العربية فيها: عبد الملك بن قريب الأصمعى (المتوفى ٢١٦هـ / ٨٣١ م)، كان بحرا فى اللغة لا يعرف مثله فيها وفى كثرة الرواية، وكان الرشيد قد استدعاه إلى بغداد[٦]، فأقام بها مدة، وانتشرت فيها كتبه وحملها الناس عنه،

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥٢، معجم الأدباء ج ٢٠ ص ١٣.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٤٩، وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٧٦.

(٣) الفهرست ص ١٠٠، تاريخ بغداد ١٤/١٤٩، معجم الأدباء ج ٢٠ ص ١٤.

(٤) وفيات الأعيان ٢/٣٨٠-٣٨١، معجم الأدباء ١١/٢٢٤-٢٢٩.

(٥) الفهرست ص ٧٨، وفيات الأعيان ٢/٣٨١، معجم الأدباء١١/٢٣٠.

(٦) له ترجمة مطولة فى تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٤ وما بعدها.

وكان تلميذه وروايته أبو عمران موسى بن سلمة البغدادى يتولى إملاءها فى بغداد[١].

وقدم إلى بغداد أيضا من البصريين: أبو عبيدة معمربن المثنى (المتوفى ٢١٠هـ/٨٢٥م)، وكان معاصرا للأصمعى ومنافسا له، وحدثت بينهما مناظرات ومساجلات فى اللغة مشهورة فى حضرة هارون الرشيد[٢]، وقام تلميذه أبو الحسن الأثرم على بن المغيرة (المتوفى ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م) بنسخ كتبه وإذاعتها فى الحاضرة العباسية، ومنها " مجاز القرآن " و" اللغات " و"الأمثال " وغيرها[٣]. وتتلمذ عليه العالم اللغوى البغدادى الشهير: أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى (المتوفى ٢٢٤هـ / ٨٣٨ م)[٤].

هذه نماذج لبعض الأعلام من اللغويين والنحويين الممثلين للمدرستين الكوفية والبصرية ببغداد فى حدود فترة وجيزة تمتد من أواخر القرن الثانى الهجرى إلى مطلع القرن الثالث. ولم يقف عطاء البصرة والكوفة لبغداد فى ميدان الدراسات اللغوية والنحوية عند هذا التاريخ، وإنما ظل هذا العطاء متصلا طيلة القرن الثالث والقرن الذى يليه بانتقال أعلام المصرين إليها، وكانت ثمرة ذلك أن شهدت بغداد نهضة كبيرة فى علوم العربية خلال القرنين المذكورين، وأصبحت محط أنظار العالم الإسلامى كله لدراسة هذه العلوم وغيرها من العلوم الإسلامية الأصيلة.

وفيما يلى نلقى الضوء على جهود العراقيين فى الدراسات النحوية واللغوية (والتى صبت جميعها فى بغداد). ويضيق المقام إذا أردنا أن نحصى كل جهود العراقيين فى خدمة علوم العربية، ولكننا (وعلى طريقتنا فى هذه الدراسة دائما) ننحو منحى التمثيل، مع التركيز على رصد الاتجاهات العامة، وذكر أبرزالعلماء الممثلين لها، وذكر أهم مصنفاتهم.

الدراسات النحوية واللغوية فى بغداد فى القرنين ٣، ٤ هـ:

أولا: الدراسات النحوية والصرفية:

كان مما يميز الدرس النحوى فى بغداد شيوع المذهب الكوفى بمنهجه وأصوله على يدى الكسائى ثم الفراء كما ذكرنا من قبل[٥]، وإلى الفراء يعود الفضل فى الوصول بالنحو الكوفى

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٣.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٦، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٥-٢٣٧.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠٧-١٠٨، معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٧ - ٧٨، وراجع الفهرست ص ٧٩-٨٠.

(٤) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢.

(٥) راجع عن ذلك (ص ١٩٠)

ومصطلحاته إلى الوضع النهائى [١]. ثم سار على خطى هذين الشيخين تلميذهما أبو العباس أحمد بن يحيى الكوفى المعروف بثعلب (المتوفى ٢٩١هـ/ ٩٠٣ م) الذى بقى فى بغداد زمنا يدرس منهج شيخيه، معتمدا فى علمه على حفظه لآرائهما النحوية، ومحتجاعليه بمحفوظه الواسع من اللغة والشعر. يقول الزبيدى: «كان ثعلب من الحفظ والعلم وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين ما ليس عليه أحد، وكان يدرس كتب الكسائى والفراء درسا»[٢]. ومع اطلاعه على كتب النحو البصرى - مثل كتاب سيبويه وكتاب "المسائل " للأخفش سعيد بن مسعدة - فإنه كما يقول الزبيدى «لم يكن يعلم مذهب البصريين، ولا مستخرجا للقياس ولامطالبا له، وكان يقول: قال الفراء وقال الكسائى، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة فى ذلك لم يغرق فى النظر»[٣]. وصنف فى بغداد كتبا فى النحو، مثل " المصون " وكتاب " اختلاف النحويين ". وفى الصرف كتاب "التصغير" [٤]. وصنف كتبا فى اللغة سيأتى ذكرها فى الدراسات اللغوية[٥].

عاش ثعلب فى بغداد فى ظل ذوى الجاه والثراء الذين كانوا يدعونه لتعليم أولادهم، وأصبح شيخ الدرس النحوى الكوفى فى حاضرة الخلافة بعد وفاة الفراء (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، ولم تكن بغداد تعرف أحدا غيره وشيخيه. أما النحاة البصريون فلم يستطيعوا مقاومة تمركز الكوفيين فيها وتعصب الوزراء ومن حولهم من الحاشية لهم، ولم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم لنشر المنهج البصرى، إلى أن جاء أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصرى المعروف بالمبرد (المتوفى ٢٨٥هـ/ ٨٩٨ م) الذى كان فى العلم بنحو البصريين فردا، وكان شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية كما يقول الخطيب البغدادى [٦]. وله من المؤلفات النحوية والصرفية : "المقتضب" و" المدخل" و" الرد على سيبويه" و" إعراب القرآن " و"الاشتقاق"، إضافة إلى كتبه فى الأدب واللغة[٧].

وقد استطاع المبرد بما عرف به من سعة اطلاع على مسائل النحو وتضلع فيها وحفظ لشواهدها وتمرس بأساليب الحجاج والتعليل والقياس والتأويل أن يفسح لنفسه مكانا بين النحاة

---

١) د. حسين مؤنس: المدارس النحوية ص ١٩٥.
٢) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ١٤١.
٣) الزبيدى المرجع السابق ص ١٤١، ١٤٢.
٤) الفهرست ص ١١١، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٢ -١٠٣.
٥) راجع (ص ١٩٩) من هذا المبحث.
٦) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٨٠، ٣٨٧.
٧) ابن النديم: الفهرست ص ٨٨.

الكوفيين وأصحابهم فى بغداد، وأن ينفض عن أذهان الدارسين منهم ما أصابها من ركود وجمود لاعتماد ثعلب (إمام الكوفيين) على الحفظ والرواية فى تدريسه ونقل ما يحفظه من أقوال الكسائى والفراء، تاركا الاعتماد على القياس والتنظير والبحث عن العلل واستنباط الأحكام، ومن ثم كان للمنهج الجديد الذى طرأ على الدرس النحوى واللغوى على يدى المبرد فى بغداد الأثر البعيد فى اجتذاب الدارسين إليه، لكى يطلعوا عليه ويستطيعوا المقارنة بين المنهجين[١].

ومن هنا - وقبل أن ينتهى القرن الثالث الهجرى - شهدت بغداد اشتداد المنافسة بين أنصار المذهبين الكوفى والبصرى وأتباعهما ممثلين فى علمين من أعلامهما انتهت إليهما رئاسة الدرس النحوى واللغوى: أبى العباس ثعلب حامل لواء المدرسة الكوفية، وأبى العباس المبرد حامل لواء المدرسة البصرية. ومن تلامذة هذين الشيخين تكونت طبقة من النحاة البغداديين مع مطلع القرن الرابع الهجرى تنوعت ميولهم العلمية، واحتدم التنافس بينهم مدة من الزمن، وتبينت عندهم ثلاث اتجاهات[٢]:

الاتجاه الأول: اتجاه من كان بصرى النزعة، سواء أخذ عن شيوخ المدرستين، أو عن البصريين وحدهم. ويمثل هذا الاتجاه كل من:

١- أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السرى البغدادى (المتوفى ٣١١ هـ/ ٩٢٣م) تلميذ المبرد، ومن أكابر علماء العربية. ومن مصنفاته فى النحو: كتاب " مختصر" وكتاب " شرح أبيات سيبويه". وصنف فى الصرف كتاب " الاشتقاق" وله مآخذ على كتاب " الفصيح " لثعلب إمام الكوفيين[٣].

وتتلمذ عليه العالم الكبير أبو القاسم الزجاجى عبد الرحمن بن إسحاق (المتوفى ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م). خلف مصنفات كثيرة، منها " الجمل " فى قواعد النحو والصرف، وهذا الكتاب كان ذائع الصيت فى قرطبة[٤]. وكتاب " الإيضاح فى علل النحو"[٥].

٢- ابن درستويه عبد الله بن جعفرالبغدادى (المتوفى ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، قرأ على المبرد كتاب سيبويه وبرع فيه، ولقى ثعلبا الكوفى وأخذ عنه، قال ابن النديم: «كان مفننا فى علوم كثيرة من

---

١) حضارة العراق ج ٧ ص ٢٦٥.

٢) راجع حضارة العراق ج ٧ ص ٢٦٧.

٣) الفهرست ص ٩٠ - ٩١، معجم الأدباء ١/٢٢. وله ترجمة فى تاريخ بغداد ٦/ ٩٣ - ٩٥، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١١١-١١٢.

٤) راجع (ص ٥٧٨-٥٧٩) من القسم التالى.

٥) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١١٩، وفيات الأعيان ٣ / ١٣٦.

علوم البصريين ويتعصب لهم عصبية شديدة»[١]. ومن مؤلفاته النحوية: كتاب " النصرة لسيبويه على جماعة النحويين " وكتاب " الإرشاد فى النحو" وكتاب " الرد على الفراء الكوفى فى كتاب معانى القرآن "، وكتاب " شرح المقتضب للمبرد البصرى " فى النحو أيضا[٢].

٣- أبوالفتح عثمان بن جنى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م) صاحب كتاب " الخصائص" و"اللمع " فى النحو، و" التلقين " فى النحو، وكتاب " سر صناعة الإعراب ". وفى علم الصرف كتاب "المنصف شرح كتاب التصريف للمازنى البصرى [٣]. وابن جنى هو الذى عنى بعلم الصرف «فما أحد أعلم منه به - أى فى زمنه - ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه فى تصنيفه» كما يقول ياقوت الحموى [٤].

الاتجاه الثانى: اتجاه من ظل كوفيا، سواء أخذ عن شيوخ المدرستين أم عن الكوفيين وحدهم. ومن أشهرهم أبو موسى الحامض سليمان بن محمد بن أحمد (المتوفى ٣٠٥هـ/ ٩١٧م) تلميذ ثعلب إمام الكوفيين والمقدم فى أصحابه. قال عنه ياقوت الحموى: «أوحد الناس فى البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر، وكان جامعا بين المذهبين الكوفى والبصرى، وكان يتعصب للكوفيين»[٥]. وله مختصر فى النحو، بالإضافة إلى كتب كثيرة فى اللغة[٦].

الاتجاه الثالث: اتجاه من خلط بين المذهبين البصرى والكوفى فى مؤلفاته وآرائه، ولم ينحز لأحدهما، سواء أخذ عن شيوخ البلدين، أم اقتصرعلى شيوخ أحدهما. وكان من أشهرهم:

١- ابن كيسان محمد بن أحمد البغدادى (المتوفى ٢٩٩ هـ /٩١١م) قال عنه ياقوت: «كان يحفظ المذهبين الكوفى والبصرى فى النحو، لأنه أخذ عن المبرد وثعلب»[٧]. وكان أبو بكر بن الأنبارى البغدادى (المتوفى ٣٢٨ هـ / ٩٣٩م) يتعصب عليه ويقول: «خلط بين المذهبين فلم

---

١) الفهرست ص ٩٣.

٢) الفهرست ص٩٤، طبقات الزبيدى ص١١٦، وفيات الأعيان ٣ / ٤٥، إنباه الرواة للقفطى ج ٢ ص١١٣.

٣) معجم الأدباء ١٢ / ١٠٩ - ١١٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦ - ٢٤٨.

٤) معجم الأدباء ج ١٢ ص ٩١.

٥) معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

٦) الفهرست ص ١١٧، تاريخ بغداد ٩ / ٦١، وفيات الأعيان ٢ / ٤٠٦، إنباه الرواة ٢ / ٢١، معجم الأدباء ١١ / ٢٥٥.

٧) معجم الأدباء ج ١٧ ص ١٣٧، وراجع الفهرست ص ١٢٠.

يضبط منهما شيئا»[١]. ومن مؤلفاته: " مختصر " فى النحو، و" المختار فى علل النحو " فى ثلاث مجلدات، وكتاب " المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون". وله فى علم الصرف كتاب " التصاريف "[٢].

٢- نفطويه أبوعبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة البغدادى (المتوفى ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م). قال ابن النديم «أخذ عن ثعلب والمبرد... وخلط المذهبين». وكان دائم الدراسة لكتاب سيبويه. وله فى النحو كتاب " المقنع "[٣].

تلك هى الاتجاهات العامة للمدرسة البغدادية فى الدراسات النحوية. والخلاصة أن هذا الجيل من النحاة البغداديين: منهم من كان يغلب عليه الميل إلى الآراء الكوفية، ومنهم من يغلب عليه الآراء البصرية، ومنهم من اتبع نهجا جديدا فى دراساتهم يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين، «وكان من أهم ما هيأ لهذه الاتجاهات أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل جديد من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، ويعنى بالتعمق فى مصنفات أصحابهما، والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة»[٤].

وقد ظل هؤلاء جميعا يؤلفون فى النحو - وفى اللغة أيضا - ويشرحون كتب سابقيهم، أو يؤلفون فى الرد عليها حتى تكونت ثروة علمية كبيرة فى هـذا الميدان انتقلت إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى، كالشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، وفى تلك الأقاليم أخذ علماؤها يتدارسون ما وصل إليهم من كتب البصريين والكوفيين والبغداديين، ويستضيئون بمناهجها فى نشاطهم العلمى.

ثانيا: الدراسات اللغوية:

كان السبب المباشر الذى أظهر الدراسات اللغوية فى العراق ارتباطها بالدراسات الدينية أو اتحادهما فى نشأتهما، حيث كانت حركة جمع اللغة والتأليف فيها ترمى إلى تفسير ألفاظ القرآن الكريم وتبيين معانيه وتوضيح غريبه وغريب ألفاظ الحديث النبوى، ومن هنا اهتم علماء اللغة من القراء والمفسرين والمحدثين بالتأليف فى هذه الموضوعات، فألفت كتب تحمل عناوين "غريب القرآن " و" معانى القرآن" و" غريب الحديث " وقد ظهرت مثل هذه المؤلفات فى فترة

---

١) معجم الأدباء ١٧ / ١٣٧.

٢) الفهرست ص ١٢٠، معجم الأدباء ١٧ / ١٣٩.

٣) الفهرست ص ١٢١، تاريخ بغداد ٦ / ١٥٩ - ١٦٢، معجم الأدباء ١ / ٢٥٤ - ٢٧٢، وفيات الأعيان ج١ / ص ٤٧ ٤٨.

٤) د. شوقى ضيف، المدارس النحوية ص ٢٤٥.

مبكرة مع مطلع حركة تدوين العلوم الإسلامية فى منتصف القرن الثانى الهجرى، وربما قبل ذلك بقليل، ثم اتسع التأليف فيها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكان لعلماء العراق القدح المعلى فى إخراج هذه المؤلفات على النحو الذى سبق بيانه فى مبحثى علوم القرآن والحديث[١].

وأما الدراسات اللغوية الخالصة التى لا صلة لها بأى نشاط آخر فقد نشأت ضعيفة لا تستطيع أن تعتمد على نفسها أو تنفرد بوجودها، ثم أخذ المهتمون بها يغذونها بأقوالهم وأبحاثهم، فقويت ونمت إلى أن استقلت بنفسها حتى بلغت مرحلة الفتوة والنضج، وفى هذه المرحلة الأخيرة ظهرت المعاجم اللغوية[٢].

وبيان ذلك أن اللغويين حينما بدأوا فى جمع ألفاظ اللغة كان جمعهم لها حيثما اتفق وبدون ترتيب لها على نظام معين، ثم تلى ذلك تدوين الكلمات المتعلقة بموضوع واحد على شكل رسائل صغيرة. وهذه الطريقة توسع فيها جدا علماء اللغة العراقيون، بحيث يمكن القول: ما من عالم منهم - من أهل القرون الهجرية الثلاثة: الثانى والثالث والرابع - إلا له كتاب أو أكثر فى اللغة خاص بمفردات لغوية ذات اتجاه واحد وتحمل عناوين مثل: " خلق الإنسان " و" خلق الفرس" و"صفة الخيل" و" صفة الإبل " و" صفات الغنم والشاء "، و"الحشرات" و"الجراد " و"الوحوش" و" الطير" و" الأنواء " و" صفة النخل" و"الزرع " و" الشجر والنبات" و" المطر" و"الرياح" و"المياه والجبال" و"البلدان" و"السلاح" و"السرج واللجام" و"القوس والترس" و"صفة الدرع " و"السبق والنضال" وغير ذلك من الموضوعات.

وإذا تتبعنا أسماء اللغويين العراقيين الذين صنفوا فى تلك الموضوعات (وقد فعلنا ذلك بالفعل) فسنجد أنفسنا أمام قائمة طويلة يضيق المقام بذكرها، فضلا عن أن ذلك لا يتناسب مع منهجية البحث. والذى نريد أن نؤكد عليه فى هذا الصدد أن المصنفات التى ألفت فى الموضوعات السابقة إنما ألفت لأغراض لغوية صرفة، حيث كان الاهتمام فيها موجها بالدرجة الأولى إلى الألفاظ ومعانيهـــا وأبنيتها وأصواتها وطريقة النطق بها. وعلى نحو ما يقول الأستاذ عبد السلام هارون «لم تؤلف هذه الكتب للقصد العلمى الخالص، وإنما أريد بها أن تكون باحثة فى اللغة أولا، فهى بمثابة معجمات لغوية خاصة بما ألفت له»[٣].

---

١) راجع عن التفسير اللغوى للقرآن (ص ٧٧) والكلام عن علم غريب الحديث (ص ١١٨).

٢) د. حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ٢٨ (مكتبة مصر بالقاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٨٨ م / ١٤٠٨ هـــ).

٣) مقدمة تحقيق كتاب" الحيوان " للجاحظ ص ١٦ (مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٨ م).

وصنف علماء اللغة بالعراق كتبا لغوية تحمل عنوان " الصفات " وهى كتب تتناول موضوعات لغوية مثل الرسائل السابقة، ولكنها لا تقصر بحثها على موضوع واحد، بل تحاول أن تجمع ما أمكنها من موضوعات، ومن هنا جاء اسمها، فقد كان اسم كثير من الرسائل السابقة " صفة الخيل " و" صفة الإبل "...الخ، فجاءت كتب الصفات فجمعت بينها[١]. وممن صنف فى هذا النوع من الكتب من العراقيين: الأصمعى البصرى نزيل بغداد (توفى ٢١٣ هـ/ ٨٢٨م)[٢]، والنضر بن شميل البصرى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩ م)، وكتابه كبير يقع فى خمسة أجزاء وذكر ابن النديم ما يشتمل عليه من موضوعات لغوية[٣].

وقد يطلق على كتب " الصفات " اسم " الغريب المصنف "، وهى تحمل الدلالة نفسها، فالرسائل ذات الموضوع الواحد - والمذكورة آنفا - تقتصر على ذكر الغريب الوارد فى النبات أو الحيوان أو الأنواء. .. الخ، أما كتب الغريب فجعلت الغريب أصنافا، كل صنف يعنى بموضوع واحد[٤]، ومن هنا وصف ابن خلكان كتاب " الصفات " للنضر بن شميل (المذكور) بقوله: «هو على مثال الغريب»[٥]. وأشهر الكتب المصنفة فى " الغريب " كتاب "الغريب المصنف" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٤ هـ/ ٨٣٨ م)، صنفه فى ثلاثين سنة كما يقول ياقوت الحموى [٦]، وقال عنه الخطيب البغدادى: «هو من أجل كتبه فى اللغة، احتذى فيه كتاب النضر بن شميل الذى يسميه كتاب "الصفات"، وبدأ فيه بخلق الإنسان ثم بخلق الفرس ثم الإبل...فذكر صنفا بعد صنف حتى أتى على جميع ذلك»[٧]. وقد اعتمد فيه على الكتب المؤلفة قبله فى الموضوعات اللغوية المفردة وأدخلها برمتها فيه مع الترتيب والتبويب، مراعيا الالتزام بنسبة كل قول إلى قائله[٨]. وهذا الكتاب من الكتب التى عرفها الأندلسيون واعتمدوا عليه فى ميدان اللغة كما سنعرف فى مكانه من هذه الدراسة[٩].

---

١) د. حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ١٦٥.

٢) ابن النديم الفهرست ص ٧٨، ٨٢.

٣) الفهرست ص ٧٧، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٠٣، إنباه الرواه للقفطى ٣٥٢/٤.

٤) د. حسين نصار: المعجم العربى ج ١ ص ١٦٥.

٥) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٠٣.

٦) معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٥٥.

٧) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٠٤، وراجع الفهرست لابن النديم ص ١٠٧.

٨) معجم الأدباء ج ١٦ ص٢٥٥، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٠٢ ومراتب النحويين ص٩٣، بغية الوعاة ٢ / ٥٣ وراجع المعجم العربى للدكتور حسين نصار ج ١ ص ١٦٦.

٩) راجع (ص٥٨٤) من القسم التالى.

كتب لحن العامة:

وقد اهتم علماء اللغة العراقيون بتأليف كتب كثيرة تحمل عنوان " لحن العامة " أو "ماتلحن فيه العوام "، وعنوا فيها بتصويب المفردات اللغوية التى انحرفت عن العربية الفصحى وابتعدت عنها، وممن صنف فى هذا الباب: أبو نصر النحوى أحمد بن حاتم صاحب الأصمعى وراوى كتبه فى بغداد (المتوفى ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م)[١] وأبوعثمان بكر بن محمد المازنى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢ م)[٢]. ويدخل فى هذا الفن كتاب "إصلاح المنطق " ليعقوب بن السكيت البغدادى (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م)[٣] قال عنه المبرد: «ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب يعقوب بن السكيت»[٤].

كتب الفصيح:

واهتموا أيضا بالتأليف فى الفصيح من الألفاظ ، ووضعوا له صفات تميزه عن غيره، وشروطا يجب أن تتوفر فيه، وأخرى يجب أن يخلو منها. وكان أول من صنف فيه: أحمد بن يحيى ثعلب الكوفى المقيم ببغداد (المتوفى ٢٩١هـ/٩٠٣م)، له كتاب "الفصيح" صغير الحجم[٥]. وهذا الكتاب عنى به من جاء بعده، فشرحوه مثل ابن درستويه البغدادى (المتوفى ٢٨٥هـ/ ٨٩٨ م)[٦] وعثمان بن جنى الموصلى البغدادى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م)[٧]، وأبو عمر الزاهد البغدادى المعروف بغلام ثعلب (المتوفى ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م)، له كتابان: هما: " شرح الفصيح " و" فائت الفصيح "[٨].

كتب فى لغات القبائل:

وصرف اللغويون العراقيون عنايتهم إلى التأليف فى " لغات القبائل ". وأول من ينسب إليه كتاب فى "اللغات" من العراقيين: يونس بن حبيب البصرى (المتوفى ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٩]، ثم

---

١) الفهرست ص ٨٣، تاريخ بغداد ٤ / ١١٤.
٢) الفهرست ص ٨٥، تاريخ بغداد ٧ / ٩٣-٩٤.
٣) الفهرست ص ١٠٨، معجم الأدباء لياقوت ج ٢٠ ص ٥٢.
٤) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٧٤.
٥) الفهرست ص ١١١، وفيات الأعيان ١ / ١٠٣، ٦ / ١٨١، معجم الأدباء ج ٢٠ ص ٣٤. وراجع دراسة عن كتاب الفصيح للدكتور حسين نصار فى كتابه: المعجم العربى ١ / ٨٣ - ٨٤.
٦) الفهرست ص ٩٤، وفيات الأعيان ٣ / ٤٥.
٧) معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٢/ ١١٣.
٨) الفهرست لابن النديم ص ١١٤، معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ٢٣٢.
٩) الفهرست لابن النديم.ص ٦٣.

تبعه من النحويين واللغويين أبو عمرو الشيبانى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٦هـ/٨٢١ م)[١] ويحيى بن زياد الفراء الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)[٢] وأبو زيد الأنصارى سعيد بن أوس البصرى (المتوفى ٢١٥هـ/٨٣٠م)[٣].

كتب النوادر:

وصنفت كتب لغوية هى أقرب ما تكون من كتب " اللغات "، وهذه الكتب تحمل عنوان "النوادر"، وتتسم فى مادتها بالكثرة والتضخم، «ولم تتخصص فى موضوع معين، ولا بألفاظ معينة، وإنما كانت تتمثل فى روايات لغوية متنوعة عن قبائل عربية مختلفة يقارن فيها بين هذه اللغات فى نطق بعض اللغات أو الألفاظ أو العبارات أو فى معانيها، ويحتجون عليها بما ورد من شعر شعراء هذه القبائل»[٤]. وهذا النوع من التأليف يمثله كتاب " النوادر " لأبى زيد الأنصارى البصرى (المتوفى ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م) قال عنه الأزهرى: «كتاب جامع للغرائب الكثيرة والألفاظ النادرة والأمثال السائرة والفوائد الجمة»[٥]. ومنها: كتاب "النوادر" ليعقوب بن السكيت البغدادى (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م)[٦]. وصنف أبو عمرو الشيبانى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م) كتاب " الجيم " الذى سماه ابن النديم كتاب " النوادر "[٧].

التأليف فى فنون لغوية أخرى:

ولم يقتصر أمر التأليف فى اللغة على ما ذكرناه من جوانب، وإنما خاض العراقيون فى فنون اللغة المختلفة، فصنفوا كتبا فى " الأصوات " و" الأبنية" (أبنية الأسماء والأفعال وما اشتق منها) و" مشكل اللغة"، و"غريب اللغة" و"الأضداد" و"الأشباه " و"الأجناس" و"الأمثال" و"ما اتفق لفظه واختلف معناه" و"الخاص والمشترك فى لغة العرب" و"الهمزات" و"اللامات" و"الهجاء" وغير ذلك من اللغويات.

المعاجم اللغوية

كان المعجم اللغوى أهم ما جد فى التأليف اللغوى لدى العراقيين، ويمكن القول: إن

---

١) الفهرست ص ١٠١، معجم الأدباء ٦ / ٨٢.

٢) الفهرست ص ١٠٠، وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٨١، معجم الأدباء ج ٢٠ ص ١٤.

٣) معجم الأدباء ج ١١ ص ٢١٦.

٤) حضارة العراق (لمجموعة من الباحثين) ج ٧ ص ٢٢٠، وراجع المعجم العربى للدكتور حسين نصار ج ١ ص ١١٨.

٥) الأزهرى: تهذيب اللغة ج ١ ص ١٢.

٦) الفهرست ص ١٠٨، معجم الأدباء ج ٢٠ ص ٥٢.

٧) الفهرست ص ١٠٢. وراجع قائمة بكتب النوادر التى صنفها العراقيون ص ١٣٠ من كتاب الفهرست.

الدراسات اللغوية المتنوعة (سواء المختلطة منها أو المستقلة بموضوعاتها، وسواء المرتبة منها على نهج معين أو التى كانت مجرد الجمع وضم المتشابهات فى الموضوع الواحد) هذه الدراسات توجت باكتشاف الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى (المتوفى ١٧٥هـ/٧٩١ م) فكرة المعجم ومحاولته تحقيقها فى كتابه "العين".

وهذا الكتاب يعد أول معجم شامل لمواد اللغة العربية محصورة حصرا دقيقا. وقد قام مؤلفه بترتيب المفردات اللغوية فيه على أساس صوتى بحسب مخارج الحروف، معتمدا على حرف الكلمة الأسبق مخرجا، مراعيا الأبنية ومقلوبات الكلمة، وبدأ بحرف العين الذى سمى الكتاب به[١].

وقد بعث هذا المعجم نشاطا ملحوظا فى حركة التأليف اللغوى؛ إذ ألفت عليه كتب ودراسات بلغت خمسة عشر كتابا كما يقول الدكتور حسين نصار، «منها ما رأى فيه نقصا فأراد أن يملأه ويكمله، ومنها ما رأى عيبا فأراد إبرازه والدفاع عنه، ومنها ما رأى إطالة فأراد الاختصار»[٢]. ونذكر من مؤلفات العراقيين على كتاب " العين ": كتاب " ما أغفله الخليل فى كتاب العين " لأبى عبدالله محمد بن عبد الله الكرمانى الوراق نزيل بغداد (المتوفى ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)[٣]، وكتاب " فائت العين " لأبى عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد البغدادى المعروف بغلام ثعلب (المتوفى ٣٤٥هـ/ ٩٥٦ م)[٤]، وكتاب " الرد على الخليل وإصلاح ما فى كتاب العين من الغلط والمحال والتصحيف " للمفضل بن سلمة الكوفى (المتوفى ٣٠٨ هـ/ ٩٢٠م)[٥]. وصنف كل من العالمين البغداديين: نفطويه (المتوفى ٣٢٣ هـ/ ٩٣٤ م) وابن درستويه (المتوفى ٣٤٧هـ/ ٩٥٨ م) كتابا فى الرد على المفضل بن سلمة فى نقضه على الخليل[٦].

ولقد سار على نهج الخليل فى تأليف المعجم العربى (على الأساس الصوتى والتقليبات واعتبار الأبنية) اثنان من علماء اللغة فى العراق:

الأول: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م) أصله من هراة

---

١) راجع منهج الخليل فى تأليف كتاب العين عند ابن النديم فى الفهرست ص ٦٤ - ٦٥، د. حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٧.

٢) د. حسين نصار: المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٢.

٣) الفهرست لابن النديم ص ١١٨.

٤) معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ٢٣٢.

٥) الفهرست لابن النديم ص ١٠٩ - ١١٠.

٦) الفهرست ص ٩٤، ١٢١، معجم الأدباء ١ / ٢٧٢، وفيات الأعيان ٣ / ٤٥.

ورحل إلى بغداد، وله كتاب " تهذيب اللغة " فى عشرة مجلدات[١]، «اتبع فيه المنهج الذى وضعه الخليل بحذافيره، ويرمى فيه إلى تنقية اللغة من الشوائب التى تسربت إليها على يد سابقيه ومعاصريه»[٢].

الثانى: أبو القاسم الصاحب إسماعيل بن عباد الوزير (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م) فى كتابه "المحيط " [٣]، أتى فيه بكثير من الألفاظ والمعانى التى لم يذكرها من قبله، مع الميل إلى الاختصار[٤].

وإلى جانب مدرسة الخليل فى التأليف المعجمى ظهرت فى بغداد معاجم أخرى سارت على منهج يختلف عن منهج الخليل، فأهملت ترتيب الحروف على المخارج واتبعت الترتيب "الألف بائى "، ولم يكن هدفها هدف كتاب العين من إحصاء للألفاظ وحصر لها، والتنبيه على المستعمل منها والمهمل، وإنما كان الغرض منها استيعاب كلام العرب الواضح غير المستنكر ولا الغريب. ويمثل هذه المدرسة المعجمية ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن البغدادى (المتوفى ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م) فى كتابه " جمهرة اللغة " الذى أملاه من حفظه ببغداد والبصرة وفارس[٥]. وقامت حوله دراسات منها: " فائت الجمهرة والرد على ابن دريد " لأبى عمر الزاهد البغدادى المعروف بغلام ثعلب (المتوفى ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م)[٦] وكتاب "جوهرة الجمهرة" للوزير الصاحب بن عباد (المذكور آنفا - المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٧].

وهذه المدرسة التى تتبع الترتيب على الألف باء تضم معجمين آخرين من تصنيف أبى الحسن أحمد بن فارس نزيل بغداد والمتوفى بالرى سنة (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥ م)، وهما "المجمل"

---

١) معجم الأدباء ١٧ / ١٦٤ -١٦٥، ج ١٨ ص ٩٩، وفيات الأعيان ٤ / ٣٣٤ - ٣٣٥، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣ / ٦٣ - ٦٥.

٢) د. حسين نصار: المعجم العربى ١/ ٢٥٩ وما بعدها، وراجع مقالا بعنوان " كيف نشأ المعجم العربى وتطور " للدكتور محمد عبد الحميد أبو سكين - مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر - فرع الزقازيق - العدد الثالث ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م (ص ٩٥ - ٩٦).

٣) ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٨ -٢٣٠، وابن كثير فى البداية والنهاية ج ٦ ص ٤٠٤ (طبعة دار الغد العربى).

٤) راجع المعجم العربى نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار ١ / ٣٨٠ - ٣٨٦.

٥) الفهرست ص ٩١، معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٣١، ١٣٨، بغية الوعاة للسيوطى ١/ ٧٧. وراجع دراسة عن كتاب الجمهرة عند دكتور حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ٢ / ٣١٦ - ٣٣٩.

٦) الفهرست ص ١١٤، معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٣٢.

٧) د. حسين نصار: المرجع السابق ٢ / ٣٣٩.

و"مقاييس اللغة"، الأول منهما مختصر، واعتمد فى الثانى على كتب من سبقوه " كالعين" للخليل و"الجمهرة " لابن دريد، و" الغريب المصنف" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى، و"إصلاح المنطق " لابن السكيت[1].

والخلاصة: أن علماء اللغة العراقيين على مدى القرون الثلاثة الهجرية: الثانى والثالث والرابع (وجلهم اتخذوا من بغداد مقرا أو مركزا لنشر علمهم) كان لهم القدح المعلى فى تدوين لغة العرب، وجعلوا دراستها علما، وألفوا فيها الكتب المتنوعة، وكانت جهودهم وعنايتهم باللغة لا نظير لها، تتبعا واستنباطا ووصفا وتقعيدا ومقارنة وتنظيما وترتيبا وإحصاء، وذلك فى سبيل الحفاظ عليها وصيانتها، لتبقى لغة القرآن الكريم خالدة نقية وسليمة من التحريف والفساد.

وقد أخذ هذا عنهم ونقل ونشر فى البلدان الإسلامية، وكانت كتبهم فى هذا الميدان هى المعين الذى استقى منه الأندلسيون ثقافتهم اللغوية، ونسجوا على منوالها، كما سنعرف فى حينه إن شاء الله تعالى.

* * * *

١) وفيات الأعيان ١ / ١١٨ - ١١٩، إنباه الرواه للقفطى ١ / ٩٢، الوافى بالوفيات للصفدى ٧ / ٢٧٨ - ٢٨٠، تاريخ التراث العربى لفؤاد سركين المجلد الثانى ج ١ ص ٣٧٧- ٣٨٣. وراجع: المعجم العربى نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار ج ٢ ص ٣٤٠ وما بعدها.

الفصل الثاني

البلاغة والنقد الأدبى

يستطيع القارئ فى كتب الأدب العربى أن يقف على كثير من الأقوال التى تدور حول مفهوم البلاغة العربية. ولعل عمرو بن عثمان الجاحظ البصرى البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) فى كتابه "البيان والتبيين" هو أول من عنى بإيراد كثير من هذه الأقوال والتعريفات[١]، وجاء بعده من أضاف إليها تعريفات أخرى لا تختلف كثيرا عما ذكره. وقد ظلت هذه التعريفات تنتقل من كتاب إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، وكل جيل يضيف إليها أو يحور فيها حتى انتهى المطاف إلى الخطيب القزوينى (المتوفى ٧٣٩ هـ/ ١٣٤١ م) فكان تعريفه للبلاغة بأنها: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[٢]. وهذا التعريف كتب له من الذيوع والانتشار ما جعله يتردد فى كل كتب البلاغة التى تلته و لم يشذ منها كتاب[٣].

وتتشعب البلاغة - بعد أن تبلورت ملامحها وتحددت معالمها على يد السكاكى (المتوفى ٦٢٦ هـ/ ٢٢٨ م) والخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٤١ م) إلى ثلاثة علوم هى: المعانى والبيان والبديع. وكل من هذه العلوم يختلف فى مفهومه عن كل من مفهوم العلمين الآخرين، ويدخل فى دائرته مباحث تغاير كلا منهما، على الرغم من اتفاقها جميعا فى أهدافها وغاياتها.

وليس من مهمتنا هنا التتبع الدقيق للمراحل التى مرت بها البلاغة، وإنما غايتنا هى التركيز على أهم السمات العامة التى تتميز بها كل مرحلة، وذلك فى إطار إبراز جهود العراقيين ودورهم فى خدمة هذا العلم، وفى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين.

نشأة البلاغة والنقد الأدبى بالعراق فى كنف علوم القرآن واللغة:

وقد أجمع الباحثون فى تاريخ البلاغة العربية أنها لم تنشأ مكتملة الأبواب والمباحث، «وإنما نشأت - شأن كل علم فى بدايته - مجرد أفكار وملاحظات متناثرة على هامش العلوم العربية

---

١) الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص ٨٧، ٩٤، ١٠٧ وغيرها (تحقيق حسن السندوبى).

٢) الخطيب القزوينى: الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح (ص ٨) مطبعة محمد على صبيح القاهرة.

٣) د. عبد الواحد علام: قضايا ومواقف فى التراث البلاغى ص ٩ - ١١ بتصرف.

والإسلامية الأخرى التى سبقتها إلى الوجود والتى لم تكن بدورها قد تبلورت على نحو نهائى»[١]. وأهم هذه العلوم التى احتضنت البلاغة فى نشأتها هى العلوم القرآنية والعلوم اللغوية والأدبية.

أما الصلة بين العلوم القرآنية والبلاغة فهى واضحة جلية؛ فقد كان علماء الدراسات القرآنية فى فترة تكوين العلوم الإسلامية بلاغيين بقدر ما كانوا مفسرين أو متكلمين أو لغويين، وحسبنا أن نشير إلى أسماء أبى عبيدة معمر بن المثنى (توفى ٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م) والفراء (توفى ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢م) والأخفش سعيد بن مسعدة (توفى ٢١٥ هـ/٨٣٠م) وابن قتيبة (توفى ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م) والزجاج (توفى ٣١١ هـ/٩٢٣ م) وابن درستويه (توفى ٣٤٧ هـ/ ٩٥٨ م) والرمانى (توفى ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م) وغيرهم من علماء اللغة والكلام والتفسير ببغداد الذين كانوا فى الوقت ذاته ممن أرسوا دعائم علم البلاغة وصنفوا كتبا كثيرة تحمل عنوان "معانى القرآن " و"إعجاز القرآن " و"مجاز القرآن "، و" تأويل مشكل القرآن" و" متشابه القرآن" وغيرها.

وهذه المؤلفات تضم - إلى جانب العناية بالتراكيب والأساليب اللغوية- بعض الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والاستفهام والتقديم والتأخير وغيرها. وقد أشرنا إلى عدد من تلك المؤلفات فى معرض حديثنا عن أحد اتجاهات تفسير القرآن التى ظهرت فى بغداد وهو التفسير اللغوى [٢].

وليس أدل على دور العلوم اللغوية فى نشأة البلاغة من أن أول كتاب احتوى بعض الأفكار البلاغية المتبلورة هو أساسا كتاب لغوى، ومؤلفه من علماء اللغة وهو أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م) صاحب كتاب "مجاز القرآن" الذى يعده بعض مؤرخى البلاغة أول كتاب معروف من كتب البلاغة العربية[٣]. وقد ذهب أحد الباحثين - بصدد حديثه عن أهمية كتاب أبى عبيدة فى تأصيل العربية - إلى أنه إذا كان عبد القاهر الجرجانى (المتوفى ٤٧١هـ/١٠٧٨ م) فى كتابه "دلائل الإعجاز " أول من نادى من البلغاء بأن للكلام نظما تجب رعايته واتباع قوانينه عند الإبانة والإفهام وإلا عد الكلام لغوا لا يدل على شئ - إذا كان عبد القاهر أظهر من نادى بذلك فإن بذور قضيته هذه (قضية النظم) كانت تكمن فى كتاب" المجاز " لأبى عبيدة، حيث رأى فى زمنه السابق ما رآه

---

١) د. على عشرى زايد: البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها مناهجها ص١٢ (مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٨٢م).

٢) راجع عن ذلك (ص ٧٧) وما بعدها.

٣) د. على عشرى زايد: البلاغة العربية: تاريخها مصادرها مناهجها ص ٢٢.

صاحب "الدلائل" فى زمنه اللاحق. ويضاف إلى ذلك أن كتاب "المجاز" يحمل بذورا لغراس ما عرف فيما بعد بعلمى المعانى والبديع[١].

ولعل أبرز تأثير للعلوم الأدبية فى تلك المرحلة المبكرة من مراحل حياة البلاغة العربية والنقد الأدبى يتمثل فى موسوعة عمرو بن عثمان الجاحظ البصرى البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨ م) "البيان والتبيين". وهذا الكتاب (الذى انتقل إلى الأندلس) «احتوى على مجموعة من أهم الأصول البلاغية والنقدية الأولى التى قامت عليها دعائم علم البلاغة والنقد فيما بعد، والتى جعلت مؤرخى البلاغة يعتبرون الجاحظ واحدا من الآباء الشرعيين الأول لهذا العلم، على الرغم من أن الكتاب لا يشتمل على نظرية علمية متكاملة، أو حتى على قضايا بلاغية محددة، وإنما هى أفكار بلاغية متناثرة وسط حشد هائل من النصوص والأخبار الأدبية التى نماها البلاغيون فيما بعد، والأصول التى شادوا عليها صرح البلاغة العربية»[٢]. ومن ذلك مثلا أن الجاحظ أول من عنى بالبديع وصوره، وأطلقه على فنون البلاغة المختلفة، ولكنه لم يعرفه أو يشير إلى فنونه، بل كان يطلق هذا المصطلح إطلاقا[٣].

ومن الكتب الأدبية التى ذكرت فيها كثير من المسائل البلاغية والآراء النقدية كتاب "الكامل" لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد البصرى البغدادى (المتوفى ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م)، وقد احتوى هذا الكتاب على دراسة للتشبيه من أعمق ما عرفته الكتب الأولى [٤].

لقد كانت الكتابات البلاغية المبثوثة فى مثل المؤلفات السابقة (القرآنية أو اللغوية أو الأدبية) تتسم بمجموعة من السمات والخصائص العامة التى يمكن أن تندرج تحت «غياب المنهج العلمى»، وكانت أبرز هذه السمات التى تمثل افتقار تلك المؤلفات إلى المنهج العلمى أربع سمات أساسية، هى - ودون الدخول فى التفاصيل-: عدم التبويب واضطرا ب مدلول المصطلحات، واختلاط القضايا البلاغية بموضوعات العلوم الأخرى، وعدم تميز علوم البلاغة الثلاثة بعضها عن بعض[٥].

---

١) د. رجب محمد البيومى: خطوات التفسير البيانى للقرآن الكريم ص ٤٦ - ٤٧ (سلسلة البحوث التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - كتاب رقم ٤٢- السنة الثالثة شوال ١٣٩١ هـ/ ديسمبر ١٩٧١م وراجع تحليلا لكتاب المجاز للدكتور على عشرى زايد فى كتابه: البلاغة العربية ص ٢٢ - ٣٣.

٢) د. على عشرى زايد: المرجع السابق ص ١٩، وراجع موسوعة حضارة العراق ج ٧ ص ٣٠٤ (فصل البلاغة والنقد)، د. شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ٥٧ - ٥٨.

٣) د. أحمد مطلوب: مصطلحات بلاغية ص ٨٢ (مطبعة العانى ببغداد ١٩٧٢ م).

٤) د. شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ٦٠ (دار المعارف الطبعة السادسة).

٥) د. على عشرى زايد: البلاغة العربية ص ٣٤ وما بعدها.

وهذه الظاهرة - أعنى غياب المنهج العلمى بمفهومه الدقيق - اتسعت لتشمل كل العلوم العربية والإسلامية فى تلك المرحلة، مرحلة اختلاط هذه العلوم بعضها ببعض، ولم يكن الأمر مقصورا على البلاغة وحدها.

مرحلة النمو فى الدراسات البلاغية وبعض المؤلفات العراقية التى تمثلها:

وقد ظلت العلوم القرآنية واللغوية والأدبية تمارس تأثيرها على البلاغة لفترة طويلة تجاوزت مرحلة النشأة إلى مرحلة النمو، «حيث لم تستطع البلاغة فى مرحلتها الجديدة أن تتحرر تماما من إسار تلك العلوم التى نشأت على هامشها ونمت فى كنفها، لكن ملامح هذا العلم أخذت تتبلور وتتحدد حيث بدأت هذه الملاحظات البلاغية العابرة وتلك الآراء والأفكار المتناثرة فى مؤلفات اللغويين والأدباء والمفسرين تنمو وتنضج لتصبح أبوابا وفصولا متكاملة تتجاور مع الفصول والأبواب المخصصة لقضايا العلوم الأخرى ومباحثها فى مؤلفات المرحلة الجديدة»[١].

ومن المؤلفات التى تمثل مرحلة النمو فى الدراسات البلاغية:

(١) " تأويل مشكل القرآن " لابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)[٢]. صنفه للرد على الملاحدة وأشباههم الذين يطعنون على القرآن الكريم ويقولون إن به تناقضا وفسادا فى النظم واضطرابا فى الإعراب، وهو طعن مرده إلى الجهل بأساليب العربية[٣].

وفى هذا الكتاب يزداد البحث البلاغى والبحث اللغوى كلاهما تبلورا ونضجا، مع احتفاظ كل منهما بملامحه الخاصة، الأمر الذى كان تمهيدا لأن تستقل البلاغة كلية فى المرحلة التالية عن العلوم اللغوية وعن كل العلوم الأخرى التى نشأت فى كنفها[٤].

(٢) كتاب " نقد الشعر " لأبى الفرج قدامة بن جعفر (المتوفى ٣٣٧هـ/٩٤٨م). وهذا الكتاب من أهم الكتب التى حولت كلا من البلاغة العربية والنقد العربى إلى علم «حيث حاول فيه مؤلفه أن يضع لهما الأساس النظرى الدقيق بعد أن كانا قبله مجرد

---

١) د. على عشرى زايد: المرجع السابق ص ٤٩ بتصرف.

٢) تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠، وفيات الأعيان ٣ / ٤٢. والكتاب مطبوع، حققه السيد أحمد صقر، وقدم له بمقدمة وافية - الطبعة الثالثة، المكتبة العلمية ببيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٣) د. شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ٥٨ - ٦٠.

٤) د. على عشرى زايد: البلاغة العربية ص ٧٠.

ملاحظات انطباعية»[١]، وبعبارة أخرى «بنى فيه أسسا نقدية وبلاغية متكاملة، وغاص على أمور دقيقة فى المعانى، وآمن بأن النقد يقوم على نظرية محددة»[٢]. ويكتسب الكتاب أهميته أيضا فى أنه من أوضح نماذج تأثير الثقافة اليونانية على النقد والبلاغة العربيين بعد أن كانت نشأتهما نشأة عربية خالصة، كما أن مؤلفه اكتشف فيه مجموعة من الفنون البلاغية التى لم يسبق أحد إلى اكتشافها[٣].

(٣) كتاب "النكت فى إعجاز القرآن" لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى البغدادى المعتزلى (المتوفى ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م)[٤]. ويعد واحدا من الكتب الرائدة حول قضية الإعجاز القرآنى، وهو فى الوقت ذاته واحدا من المصادر الأساسية الأولى فى البلاغة العربية، فالجانب البلاغى فيه طاغ على علم الكلام. ويقول الدكتور شوقى ضيف: «إن الرمانى أضاف فى حديثه عن البلاغة إضافات جديدة إلى من سبقوه، فحدد بعض فنونها تحديدا نهائيا، ورسم لها أقسامها رسما دقيقا»[٥]. وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب فإنه ترك أثرا بارزا فى مسار التأليف البلاغى، وتأثر به كثير من البلاغيين والنقاد والمتكلمين الذين جاءوا بعد الرمانى، كالباقلانى (المتوفى ٤٠٣هـ/ ١٠١٢ م) فى كتابه " إعجاز القرآن " وأبى هلال العسكرى (المتوفى ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤ م) الذى نقل فى كتابه " الصناعتين الكتابة والشعر " فصلا كاملا عن التشبيه من كتاب الرمان[٦].

وتوجد كتب أخرى من تأليف العراقيين تمثل المرحلة الجديدة (مرحلة النمو) ولا تقل أهمية عن الكتب الثلاثة المذكورة فى كونها احتوت على فصول ومباحث بلاغية ساعدت على استقلال هذا الفن فيما بعد، رغم أنها تعنى أساسا بالنقد الأدبى، مثل كتاب " الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى " للحسن بن بشر الآمدى (الأصل) البصرى (المنشأ) نزيل بغداد (المتوفى ٣٧١هـ/ ٩٨١م)[٧]، وكتاب " عيار الشعر " لأبى الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا (المتوفى ٣٢٢ هـ/٩٣٣ م)[٨].

---

١) د. على عشرى زايد: المرجع السابق ص ٧٦.

٢) د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٢١٤.

٣) د. على عشرى: المرجع السابق ص ٧٣، ص ٧٧.

٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ١٤ ص ٧٥.

٥) د. شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٧.

٦) راجع مقدمة تحقيق كتاب "النكت فى إعجاز القرآن " للدكتور محمد زغلول سلام والأستاذ محمد خلف الله أحمد (نشرة دار المعارف مع رسائل أخرى فى الإعجاز للخطابى والجرجانى).

٧) ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء ج ٨ ص ٧٥ - ٨٩.

٨) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٧ ص ١٤٣، الفهرست لابن النديم ص ١٩٦.

عبد الله بن المعتز العباسى وأولى المحاولات لاستقرار البلاغة:

وقبل أن تنتهى المرحلة التى شهدت نمو البلاغة العربية والدراسات النقدية ممتزجة بالعلوم الأخرى - ولاسيما العلوم اللغوية والأدبية - ظهرت أولى المحاولات نحو استقلال البلاغة واستقرارها على يد الخليفة الشاعر الناقد عبد الله بن المعتز العباسى (المتوفى ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) فى كتابه " البديع"[١] الذى يعد «أول كتاب فى تاريخ البلاغة العربية معروف لنا يرصد بأكمله للقضايا والمباحث البلاغية»[٢]، كما أنه يعد ذا أهمية بالغة فى النقد العربى وتطوره وتجميع الفنون الأسلوبية التى اعتاد الشعراء والبلغاء استخدامها[٣]. ويرى الدكتور شوقى ضيف فى سياق تحليله لكتاب " البديع ": أن ابن المعتز أول من صنف فى البديع ورسم فنونه وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البينة والشواهد الناطقة، بحيث أصبح إماما لكل من صنفوا فى البديع بعده، ونبراسا يهديهم الطريق[٤].

وقد عثرنا على اسم كتاب يحمل عنوان " تهذيب البلاغة " لأبى على المازيار أحمد بن نصر بن الحسين (المتوفى ٣٥٢ هـ/٩٦٣ م) كان نديم سيف الدولة الحمدانى بالموصل، ونزل بغداد وخدم الخليفة العباسى المعتضد[٥]. وقد يكون هذا الكتاب يمثل خطوة أخرى نحو استقلال البلاغة.

وعلى الرغم من أن بداية استقلال البلاغة العربية تعود إلى وقت مبكر كانت المرحلة الثانية فيه لا تزال فى عنفوانها (أواخر القرن الثالث الهجرى تاريخ تأليف كتاب " البديع " لابن المعتز) فإنها احتاجت إلى قرنين من الزمان لتبلغ قمة نضجها وازدهارها على يد عبد القاهر الجرجانى (المتوفى ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨ م) فى كتابيه " دلائل الإعجاز " و"أسرار البلاغة "، ثم إلى أكثر من قرن ونصف قرن آخرين لكى تستقر نهائيا أو تتجمد على صورتها الأخيرة على يد السكاكى (المتوفى ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م) فى كتابه "مفتاح العلوم"[٦].

---

١) مذكور فى الفهرست ص ١٦٨ - ١٦٩، وفيات الأعيان ٣ / ٧٦ - ٧٧. وراجع ترجمة ابن المعتز فى تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ - ١٠١.

٢) د. بدوى طبانة: البيان العربى ص ١٢٧ (الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ م)، د. على عشرى: البلاغة العربية ص ١٠٩.

٣) د. محمد زغلول سلام: تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ص ١١٥.

٤) د. شوقى ضيف: البلاغة العربية ص ٧٥.

٥) معجم الأدباء ج ٥ ص ٧٩ - ٨٠، الفهرست لابن النديم ص ١٨٩.

٦) د. على عشرى زايد: البلاغة العربية ص ١٠٨.

ارتباط النقد الأدبي بالبلاغة فى مؤلفات العراقيين خلال القرنين ٣، ٤هـ:

وقبل أن نختم هذا المبحث نود أن نشير إلى ملاحظة لها صلة بالنقد الأدبى، وهى أن النقد الأدبي قد نما وتطور فى ظل البحث البلاغى ونموه، وكان من الصعب التفريق فى كثير من النتاج النقدى والأدبي الذى كتبه العراقيون فى القرنين الثالث والرابع الهجريين بين ما هو مؤلفات نقدية وما هو مؤلفات بلاغية، حيث لم ينفصل النقد عن البلاغة انفصالا حاسما على الرغم من أن كلا منهما كان قد استقل بمباحث وقضايا خاصة، ولكن هذه القضايا ظلت متجاورة ومتداخلة فى مؤلفات تلك الفترة، وكان كل من يعرض لتاريخ البلاغة العربية (من الباحثين المحدثين) من خلال مؤلفات هذه المرحلة يتناول المؤلفات ذاتها باعتبارها مصادر نقدية، ويستوى فى ذلك كتب النقد النظرى التى تدور حول نظرية الأدب أو جنس من أجناسه (مثل كتاب " الصناعتين " لأبى هلال العسكرى، وكتاب " نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، و" عيار الشعر" لابن طباطبا) وكتب النقد التطبيقى التى تهتم بدراسة نتاج شاعر أو أكثر، مثل كتاب " الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى " للحسن بن بشر الآمدى نزيل بغداد (المتوفى ٣٧١ هـ/ ٩٨١ م)[١].

ومن الكتب التى أولت عناية أكثر بنقد الشعر غير ما ذكرنا - وتنسب لعلماء عراقيين - كتاب "قواعد الشعر" لأبى العباس ثعلب الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ٢٩١ هـ/ ٩٠٣م)[٢]. وكتاب "صنعة الشعر والبلاغة" لأبى سعيد السيرافى البغدادى (المتوفى ٣٦٨هـ/٩٧٨م)[٣]، وكتاب "الموشح" لأبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى البغدادى (المتوفى ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م)[٤] وله أيضا كتاب " الشعر " وهو كتاب جامع لفضائل الشعر ومحاسنه وأوزانه وعيوبه وأجناسه ومختاره وبيان منحوله ومسروقه وغير ذلك[٥]. ومن كتب النقد أيضا: كتاب " سر الصناعة " لأبى الفتح عثمان بن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١م)[٦] ورسالة الصاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م) " الكشف عن مساوئ المتنبى " [٧] وكتاب "الأوراق" لأبى بكر محمد بن

---

١) راجع البلاغة العربية للدكتور على عشرى ص ٧١.

٢) ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ١١١. وراجع تحليلا للكتاب عند الدكتور شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ٦١.

٣) الفهرست ص ٩٣.

٤) الفهرست لابن النديم ص ١٩٢.

٥) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٧٠.

٦) معجم الأدباء ج ١٢ ص ١١٣.

٧) الفهرست ص ١٩٤، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٠.

يحيى البغدادى المعروف بالصولى (المتوفى ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦م)[١] وغير ذلك من المؤلفات التى تعطى عناية أكثر بالنقد الأدبى. وقد دارت هذه المؤلفات حول مجموعة من الآراء النقدية مما له صلة بالشعر والنثر من حيث أسرار البيان وحسن الطبع وجودة الصنعة ودقة التصوير، وحسن التشبيهات، وصدق العاطفة، فضلا عن دراسة المعانى والألفاظ من حيث التجديد والابتكار، والعناية بالأنواع البديعية والصنعة الفنية، والموازنة بين الشعراء من حيث سبقهم إلى ابتكار المعانى والتجديد فى الصياغة ومكانتهم الشعرية وما كان بينهم من تنافس وخصومة أدبية.

والخلاصة أن حياة البلاغة العربية - ومعها النقد الأدبى - بدأت فى العراق، وأن الذين كانت لهم اليد الطولى فى تطويرها وجعلها علما مستقلا كانوا من اللغويين والبلاغيين العراقيين على النحو المذكور آنفا.

وهؤلاء كان لهم تأثير مباشر فى هذا الميدان على الأقطار الإسلامية، لا بما صنفوه من كتب فحسب، ولكن أيضا بما علموه للوافدين عليهم فى مجالس اللغة والأدب، ولم يكن لعلماء الأندلس أن يبنوا صرح الحياة الأدبية فى بلادهم إلا باعتمادهم على الأدب العربى الذى نما وترعرع فى ظل الحضارة الإسلامية ببغداد. وسيأتى البرهان على ذلك فى بابه من هذه الدراسة إن شاء الله.

---

١) الفهرست ص ٢١٥، وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

الفصل الثالث
الشعر والنثر الفني

أولا: الشعر (اتجاهاته الفنية العامة)

كانت بغداد المركز الأدبى الأول، والمصب الذى كانت ترفده البيئات الأدبية الأخرى كالبصرة والكوفة بعد انتقال طائفة كبيرة من أهل هذين المصرين إليها، ثم ما لبث هذا المركز الجديد أن طغى وارتفع حتى انفرد بالمقام الأول فى الأدب (شعره ونثره) ، وصار موطن التجديد والإبداع والإبتكار، وأصبح مصدر الإشعاع فى الحياة الأدبية لسائر أمصار الدولة الإسلامية.

وفى بغداد تجاذبت الشعر تيارات المحافظة والتجديد والتطور، وتمثلت هذه المحافظة بتمسك الشعراء إلى حد كبير بأصوله وفنونه الأولى، ولكنه تأثر من ناحية أخرى بالحياة الجديدة وبما استجد فيها من عوامل سياسية واجتماعية وثقافية. ويمكن القول: «إن حياة الشعر فى بغداد كانت صورة من صور التنافس على البقاء بين القديم والجديد؛ القديم الذى توارثه الشعر من عصوره الأولى، والجديد الذى خلقته عوامل السياسة والاجتماع والحضارة والفكر فى البصرة والكوفة وفى بغداد نفسها»[١].

وفى ظل الحياة الجديدة والتنافس بين القديم والجديد فى الشعر العربى ظهرت فى بغداد عدة اتجاهات شعرية، حاول بعض دارسى تاريخ الأدب العربى جمعها وحصرها فى ثلاثة اتجاهات كبرى لها سماتها وخصائصها الواضحة[٢]، وقد تعاصر الأول والثانى منهما فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، وبدأ الأخير فى الظهور مع مطلع القرن الثالث، وامتد إلى ما بعد ذلك. وفيما يلى حديث موجز عن خصائص هذه الاتجاهات وأبرز من يمثلها من الشعراء فى مدينة السلام.

---

١) أحمد عبد الستار الجوارى: الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ص ٣٢٦ (طبعة دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع – العراق ١٩٥٦ م/ ١٣٧٥ هـ).

٢) من هذه الدراسات: الشعر العباسى تطوره وقيمه الفنية للدكتور محمد أبو الأنوار، والشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث لأحمد عبد الستار الجوارى، (ص ٢١١ وما بعدها)، تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى لنجيب محمد البهبيتى (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م) وغيرها.

الاتجاه الأول: التجديدى المحدث:

وأهم خصائص هذا الاتجاه: التحلل من وقار الشعر وبعض قيمه الاجتماعية، والتحول من الأسلوب القديم إلى أسلوب الحياة الجديدة ولغتها، والجنوح إلى السهولة والبساطة، إلى جانب التحول بالقصيدة من نظامها القديم فى تعدد موضوعاتها إلى محاولة جعلها واحدة الموضوع فى الغالب، وكان شعر أصحاب هذا الاتجاه صدى قويا للحياة فى شتى نواحيها، وتميز فى جانب منه (فى شكله ومضمونه) بالنزوع إلى الحياة الشعبية بعيدا عن بلاط الخلفاء والدوائر الرسمية، والإقبال على الجانب الذاتى؛ أى التعبير عن الذات وتصويرها فى إطار فنون مختلفة. .. وتميز أيضا بالدخول فى موضوعات لم نكن موجودة من قبل «ما مرت قط بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا إسلامى» كما يقول ابن رشيق، كالمجون والزندقة والزهد، إضافة إلى التجديد فى الموضوعات المألوفة فى الشعر العربى كالمديح والشعر السياسى والحزبى والهجاء والرثاء والوصف والخمريات والغزل[1]. وبعبارة جامعة يمكن القول: إن الخط العام لأصحاب هذا الاتجاه - وعلى حد تعبير أحد الدارسين - هو «إطلاق الفكر من قيود التقليد»[2].

وأبرز الشعراء الذين يمثلون الاتجاه التجديدى المحدث فى بغداد: بشار بن برد (المتوفى ١٦٧ هـ/ ٧٨٣م) وأبو نواس الحسن بن هانئ (المتوفى ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، وأبو العتاهية (المتوفى ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) ومسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى (المتوفى ٢٠٨ هـ/ ٨٢٣م) والحسين بن الضحاك (المتوفى ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤م) المعروف بحسين الخليع. وكان بعض أفراد هذه الطائفة يدينون بعقائد غريبة، ويتهمون بالزندقة والمجون، ويتحدثون فى شعرهم عن حياة اللهو والتبذل حديثا صريحا[3].

الاتجاه الثانى: الاتجاه المحافظ:

ويجرى أصحاب هذا الاتجاه على جادة القدماء فى نهج القصيدة وموضوعها وديباجتها وأسلوبها الذى يتألف فى الأعم الأغلب من لغة تستوحى الذاكرة والتراث أكثر مما تستوحى العصر والواقع، وهم أكثر اشتغالا بما كان السابقون أكثر به اشتغالا: من مدح للملوك وفخر

---

١) راجع عن خصائص الاتجاه الجديد المحدث: الشعر فى بغداد لأحمد عبد الستار الجوارى ص ٢١٢ - ٢١٣، اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ١٨٢، ص ١٨٨، الفصل الثانى كله من الباب الثانى ص ٢١٣ وما بعدها.

٢) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٩ (الطبعة الثانية، مطبعة الهلال بالقاهرة ١٩٣٦ م).

٣) للدكتور محمد مصطفى هدارة فى كتابه " اتجاهات الشعر العربى فى ق ٢ هـ " بحث مستفيض ناقش فيه مجون الشعراء المذكورين هنا وزندقتهم (ص ٢٠٣ - ٢٨٠).

وحماسة وما إلى ذلك[١].

وقد أطلق أحد مؤرخى الأدب العربى على أصحاب هذا الاتجاه اسم " المقلدين " وذهب إلى أنهم لم يتأثروا بالحضارة الجديدة فى قليل أو كثير، و لم يحاولوا الإبداع أو الإبتكار، ولولا ما ذكروه فى شعرهم من الأعلام العباسية لما أمكننا أن نستدل على عصرهم، ولجاز أن يتوهم دارس شعرهم أنه قيل فى العصر الأموى أو فى العصر الجاهلى [٢].

وأغلب الشعراء المحافظين كانوا من البدو الذين لا يأتون إلى الحواضر إلا لمدح أمير أو وال طلبا لعطاء، وكأنما كانوا فى بيئة مغلقة قد اعتصمت من التأثير الشديد الذى أحدثته العوامل المختلفة من ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية، ولهذا كانوا بعيدين عن مراكز الحركة العقلية والتيارات الثقافية النشطة. ومن هؤلاء مثلا –" ناهض بن ثومة " الذى يقول عنه صاحب كتاب" الأغانى ": «شاعر بدوى فصيح من شعراء الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة»[٣]. ومنهم عمارة بن عقيل الذى كان يقدم على الخليفة المأمون وينشده شعرا مليئا بالغريب[٤]. وأبو العميثل الذى كان المأمون يقدمه ويقول فيه: «هو أشعر عندى من جرير»[٥]. وهناك آخرون ذكرهم ابن النديم فى "الفهرست"[٦]، وجلهم يجرى شعرهم على السنن الجاهلى القديم.

وقد جعل بعض الدارسين " مروان بن أبى حفصة " (المتوفى ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م) أحد دعائم هذه المدرسة المحافظة، وهناك عبارة للأصمعى تصف مروان بأنه «لم يتجاوز مذهب الأوائل»، وذلك فى سياق المفاضلة بينه وبين بشار بن برد، ويقدم الثانى منهما، «لأن مروان سلك طريقا كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه، وشركه فيه من كان فى عصره، وبشار سلك طريقا لم يسلك، وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفا وفنون شعر، وأغزر وأوسع بديعا. ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل»[٧].

---

١) نجيب محمد البهبيتى: تاريخ الشعر العربى حتى آخر ق ٣ هـ (ص ٤٧٢).

٢) أحمد عبد الستار الجوارى: الشعر فى بغداد إلى نهاية القرن الثالث ص ٢٢٩.

٣) أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى ج ١٢ ص ١٧٥ (طبعة دار الكتب المصرية).

٤) الأغانى ج ٢ ص ١٨٦.

٥) تاريخ بغداد لطيفور ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

٦) الفهرست ص ٦٦ – ٦٩. وراجع د. محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ١٦٩ – ١٧٢.

٧) الأغانى ج ٣ ص ٢٥ طبعة الساسى. وراجع: تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى – لنجيب البهبيتى ص ٤٧٢ – ٤٧٣.

وبالرغم من قوة حركة التجديد التى ظهرت فى بغداد فى القرن الثانى الهجرى فإن الشعر القديم ظل مسيطرا على جانب من الحياة الأدبية بها. ولعل السبب يرجع إلى تقدم الحركة العلمية فى الرواية والتدوين، وخاصة فى اللغة وعلومها، وظهور علماء كبار مثل الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى والكسائى والفراء وغيرهم ممن قاموا على إحياء القديم والاعتداد به واعتباره المثل الأعلى فى الشعر[١]. ولعل السبب أيضا يرجع إلى التأثير القوى الذى كان لبيئة الكوفة، حيث كانت تعتمد على رواية الشعر القديم، فلما انتقلت الخلافة إلى بغداد توافد عليها عناصر العلم والأدب والشعر من الكوفيين. يضاف إلى ذلك أن حركة الشعوبية فى القرن الثانى الهجرى استلزمت وجود حركة عربية مناوئة لها كان من أهم أسلحتها تأييد التراث الأدبى القديم والحفاظ عليه[٢].

وقد كان هناك مظهر آخر من مظاهر قوة الشعر القديم ووجوده جنبا إلى جنب مع تيار التجديد، وهو خضوع الشعراء المجددين(وهم أكثرية) لهذا التيار المحافظ فى بعض أشعارهم، وبخاصة شعر المدح، وذلك لإرضاء العلماء والرواة، ولإثبات تمثلهم القوى للثقافة العربية القديمة، وقدرتهم على مجاراة النهج الشعرى القديم فى بعض الأحيان[٣]. «وليس من المستغرب من ناحية التطور الأدبى والفكرى ظهور مثل هذا التيار المحافظ فى شعر بعض المجددين، لأن الأنواع الأدبية وفنونها بطيئة التحول، ولهذا تختلط فى الأغلب الأساليب القديمة بالجديدة فى عصر واحد، ويظل هذا الاختلاط مدة حتى يأخذ الأسلوب الجديد فى الغلبة على القديم شيئا فشيئا»[٤].

الاتجاه الثالث: المحافظ الجديد:

ويطلق عليه أيضا " التعميق والإثراء الفنى للجديد المحدث وللقديم الموروث "[٥]، ويسميه الدكتور شوقى ضيف " اتجاه الصنعة والتصنيع "[٦]، أى إثراء الصناعة الفنية بالزخرف اللفظى والعمق العقلى.

---

١) د. محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربى فى ق ٢ هـ (ص ١٦٤)، أحمد عبد الستار الجوارى: الشعر فى بغداد إلى نهاية القرن ٣ هـ (ص ١٩٤).

٢) الجوارى: الشعر فى بغداد ص ١٩٢، ص ٢٣٣.

٣) د. محمد مصطفى هدارة: مرجع سابق ص ١٦٥ وما يليها.

٤) د. محمد مصطفى هدارة: المرجع نفسه ص ١٦٩.

٥) د. أبو الأنوار: الشعر العباسى تطوره وقيمه الفنية ص ١١٥.

٦) د. شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى الشعر العربى - الفصل الثالث والرابع.

وقد ظهر هذا الاتجاه كرد فعل للاتجاه المحدث الذى تزعمه أبو نواس، والذى خرج بالشعر العربى عن كثير من تقاليده، فجاء هذا الاتجاه" المحافظ الجديد " ليعيد الشعر العربى إلى طبيعته؛ وذلك بالاقتراب من التقاليد الشعرية المأثورة، والتخفيف من تلك الثورة المتمردة التى لجأ إليها المحدثون، كل ذلك دون وقوف أو جمود عند ما كان عليه الشعر القديم، بل مع سير وتطور يفيدان الشعر مما وصلت إليه العقلية العربية من رقى ومما بلغته الثقافة العربية من نهوض، ومما نعم به المجتمع العربى من حضارة. ومن هنا جاء هذا الاتجاه محافظا من جانب، ومجددا من جانب؛ فهو محافظ فى منهج القصيدة ولغتها وموسيقاها، ثم فى روحها وأخلاقياتها إلى حد كبير، وهو مجدد فى معانى الشعر وصوره، ثم فى أسلوبه وجمالياته إلى درجة بالغة[١].

وقد كان الشاعر البغدادى الكبير أبو تمام حبيب بن أوس الطائى (المتوفى ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢م) من أوائل من ساروا فى هذا الاتجاه، وتبعه بعد ذلك البحترى "الوليد بن عبيد بن يحيى" (المتوفى ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧م) وابن الرومى (المتوفى ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م) وآخرون مما عاصروهم أو جاءوا بعدهم حتى وصل هـذا الاتجاه إلى غايته بعد ذلك مـع أبى الطيب المتنبى (المتوفى ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) الذى يعد بحق «قمة التأصيل للقيم الفنية فى الشعر العربى حديثه وموروثه»[٢]، والذى أعاد للقصيدة العربية روحها البدوى فى غير انفصال عن روح العصر الجديد بما يحمله من ثقافات عقلية، فحقق بهذا مزاوجة عبقرية بين بساطة البداوة وصفائها وفطريتها وبين ثقافات عصره العقلية بقضاياها المعقدة[٣].

وإن كان لبغداد من أثر فى هذا الاتجاه فهو أثر الحضارة بزخرفتها وزينتها وعنايتها بجمال المظهر وتناسقه، وكما أثرت مدنيتها وحضارتها فى الناس أو فى طائفة منهم فغيرت فى مظاهرهم وفى أساليب حياتهم فقد أثرت فى الشعر من هذه الناحية، فحضرته وأخضعته لمقاييس الحضارة التى عمادها الذوق السليم والأناقة والاتساق والانسجام[٤].

تلك هى الاتجاهات العامة التى تمثل الشعر فى بغداد منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الرابع

---

١) راجع عن خصائص هذا الاتجاه: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل ص ١٩٥ (ط دار المعارف) وتاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث لنجيب البهبيتى ص ٤٨٥ وما بعدها، وكتابه "أبو تمام الطائى " ص ٨٥ (ط القاهرة ١٩٣٦م)، الشعر فى بغداد إلى نهاية القرن الثالث لأحمد عبد الستار الجوارى ص ٢٢٠ - ٢٢٩).

٢) د. أبو الأنوار: الشعر العباسى تطوره وقيمه الفنية ص ١١٧.

٣) د. يوسف خليف: تاريخ الشعر فى العصر العباسى (ص ٨) مطبعة دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨١ م.

٤) د. أحمد عبد الستار الجوارى: الشعر فى بغداد إلى نهاية القرن الثالث الهجرى ص ٢٢١.

الهجرى. وفى إطار هذه الاتجاهات توزع الشعر بين عدة اتجاهات فرعية، فكان هناك الشعر السياسى، والشعر الاجتماعى، والشعر التعليمى، والشعر الفكرى الفلسفى، والشعر الشعبى (الذى يعنى بهموم الطبقات الشعبية الفقيرة) والشعر القومى الذى يمجد العروبة ويرد على الشعوبية، وأخيرا الاتجاه الشعرى العام الذى يتمثل فى مجموعة من الفنون والأغراض الشعرية التى يكاد يشترك فيها الكثيرون من الشعراء فى بغداد، كالوصف والمدح والفخر والهجاء والرثاء والغزل والخمريات. وهذه الفنون تتفاوت فى قوتها وتأثيرها واتساعها حسب الظروف والمؤثرات العامة، وكان الشعراء يعبرون من خلالها عن ذواتهم ومعاناتهم وعواطفهم وعلاقاتهم بالمجتمع والبيئة، وصدى هذه البيئة فى نفوسهم وما تجيش به من جميل القول ورائع الفن ورقيق الشعور.

ولقد كانت لهذه الاتجاهات الكبرى وما يتفرع عنها صدى قوى فى الأندلس، حيث تأثر بها الأدباء والشعراء الأندلسيون بالفعل فى إطار مواكبتهم لحركة الشعر فى المشرق الإسلامى والسعى للاتصال بشعراء بغداد كأبى نواس وأبى تمام والمتنبى. وسوف نعرف أن الأدب الأندلسى (شعره ونثره) مدين فى نهضته - إلى حد كبير- للأدب العربى المشرقى الذى نما وتطور فى ظل الحضارة الإسلامية التى شهدتها بغداد مدينة السلام.

حركة جمع الشعر العربى فى بغداد خلال القرنين (٣، ٤ هـ):

وكان من مظاهر الازدهار الأدبى فى بغداد: هذا العدد الكبير من الرواة والأخباريين واللغويين والأدباء الذين حفظوا الشعر العربى وتناقلوه ودونوا ما تلقفته آذانهم منه فى مجالس العلماء والأدباء، وخلفوا مجاميع نفيسة للشعر، أصبحت فيما بعد مصادر لكل المهتمين بهذا الفن الرفيع.

ويعد أبو العباس المفضل بن محمد الضبى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى ١٧٨هـ/٧٩٤ م) إمام المتقدمين فى اختيار عيون الشعر القديم فى كتابه "المفضليات" الذى ألفه للخليفة العباسى المهدى، ويضم مائة وثمانية وعشرين قصيدة[١]. وبعده كانت اختيارات عبد الملك بن قريب الأصمعى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢١٦هـ/٨٣١ م) المعروفة بـ "الأصمعيات"، وتضم سبعا وسبعين قصيدة[٢].

وهناك لون آخر من الاختيارات الشعرية عرف بـ " الحماسات ". وكان الأديب الشاعر

١) الفهرست لابن النديم ص ١٠٢، إنباه الرواة للقفطى ٤ / ٣٠٢.
٢) الفهرست ص ٨٣.

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى (المتوفى ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) - والذى كان من زعماء الاتجاه المحافظ الجديد فى الشعر العربى كما أسلفنا - كان الرائد فى هذا المجال؛ حيث ألف مجموعته النفيسة التى أطلق عليها اسم " الحماسة " [١]. وجمع الشاعر البحترى (المتوفى ٢٨٤هـ/٨٩٧م) - وهو تلميذ أبى تمام - كتاب " الحماسة " وأهداه إلى الخليفة العباسى المتوكل[٢]. وعلى غرار ما صنع أبو تمام والبحترى صنع آخرون من حفظة الشعر ورواته ببغداد، فحفظوا لنا " حماساتهم "، مثل أبى هلال العسكرى (المتوفى ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤م)[٣]، ومحمد بن خلف بن المرزبان البغدادى (المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٧ م)[٤] وغيرهما.

وتوجد مجموعات شعرية كثيرة جدا لشعراء جاهليين وإسلاميين قام بجمعها وترتيبها الأدباء واللغويون والشعراء العراقيون فى دواوين، وقد ذكر ابن النديم قوائم طويلة بها فى المقالة الرابعة من كتابه "الفهرست " [٥]. ويزخر كتاب" معجم الأدباء" لياقوت الحموى بذكر كثير من هذه المجموعات الشعرية يضيق المكان عن حصرها.

هذا إلى جانب مصادر عظيمة أخرى للشعر فى مختلف مراحله وأيامه، مثل كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى البغدادى (المتوفى ٣٦٥هـ/ ٩٦٦م) وكتاب " الشعر والشعراء " لابن قتيبة الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) و" طبقات فحول الشعراء " لمحمد بن سلام الجمحى البصرى البغدادى (المتوفى ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وكتاب "الأوراق " لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى (المتوفى ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)[٦] وكان جماعا للشعر. وكتاب " معجم الشعراء " لأبى عبدالله محمد عمران المرزبانى البغدادى (أصله من خراسان) (المتوفى ٣٧٨هـ/ ٩٨٨ م)[٧].

وهناك آخرون كانوا يعنون بجمع الشعر المعاصر لهم، ومن أولى هذه المجموعات كتاب "البارع فى أخبار الشعراء المولدين" لأبى عبد الله هارون بن على بن يحيى المنجم البغدادى (المتوفى ٢٨٨ هـ/٩٠٠م) ، أرخ فيه لنيف ومائة وستين شاعرا من شعراء القرن الثالث

---

١) فؤاد سركين: تاريخ التراث العربى، المجلد الثانى - ج ٤ ص ١٢٢.
٢) فؤاد سركين: المرجع السابق — المجلد الثانى ج ٤ ص ١٣٥.
٣) معجم الأدباء لياقوت ج ٣ ص ١٣٥.
٤) الفهرست ص ١٢٨، معجم الأدباء ج ١٩ ص ٥٢.
٥) الفهرست ص ٢٢٣ - ٢٤٢.
٦) الفهرست ص ٢١٥، وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٦.
٧) الفهرست ص ١٩٢، معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٦٨ - ٢٧٢.

الهجرى [١]. ثم جاء أبو منصور الثعالبى عبد الملك بن محمد (نيسابورى نزيل بغداد) (المتوفى ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) فأرخ فى كتابه " يتيمة الدهر" لشعراء المائة الرابعة[٢].

وهكذا يمكن القول: إن حركة جمع الشعر العربى فى بغداد كانت نشطة وقوية، وإن الأدباء واللغويين العراقيين لم يكادوا يتركون قصيدة ولا مقطوعة جيدة لشاعر جاهلى أو إسلامى إلا سجلوها ودونوها وشرحوها. وكثير من هذه المجموعات الشعرية نقلها الأندلسيون من بغداد إلى قرطبة وأثرت على حركة الشعر والأدب هناك.

ثانيا: النثر الفنى:

النثر الفنى هو الذى يرتفع به أصحابه عن لغة الحديث العادية ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له ضروبا من التنسيق والتنميق والزخرف، فيختارون ألفاظه، وينسقون جمله، وينمقون معانيه، فيكون النثر بهذا المعنى: لونا جميلا من الإنشاء العالى للتعبير عن خلجات النفس وومضات العقل وخطرات الشعور، ويطلق عليه اسم " الكتابة الراقية" [٣].

ولا يستطيع الدارس أن يتحقق على وجه الدقة من تاريخ محدد لنشأة النثر الفنى العربى بمعناه المذكور، ولكن من المحقق أنه «كان للعرب الجاهليين نثر فنى له خصائصه الفنية الأصيلة، وأن هذا النثر بلغ إلى درجة ما من الرقى والجودة، وأنه كان صورة من البيئة التى نتج فيها ممثلا لبساطتها وسهولتها، وأنه فوق هذا كله كان نواة لنهضة أدبية واسعة نماها الإسلام، ثم ترعرعت فى عصوره اللاحقة»[٤]. وقد نقل لنا رواة الأدب القديم وحفظت لنا كتب التاريخ واللغة والأدب شيئا كثيرا من الخطب والوصايا والأمثال والحكم التى تنسب إلى العصر الجاهلى، ومجموع هذه الأنواع هو ما يمكن أن يسمى بالنثر الفنى عند الجاهليين.

وإذا تجاوزنا عصر النبوة والخلفاء الراشدين (وكان هذا العصر - كما يقرر الباحثون - قد شهد تغيرا محسوسا، لا من الناحية الشكلية التى تتصل بالألفاظ والأساليب النثرية، ولكن فى أغراض النثر وموضوعاته ومعانيه) إذا تجاوزنا هذا العصر إلى عصر بنى أمية فسنلاحظ ظهور عوامل مختلفة دفعت الحياة العربية كلها نحو وضع جديد كان له تأثيره على تطور النثر الفنى

---

١) معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٨ - ١٨٠.

٣) د. عبد الحكيم بلبع: النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه ص ١١ - ١٢ (لجنة البيان العربى بالقاهرة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م).

٤) د. عبد الحكيم بلبع: المرجع السابق ص ٦١. وراجع حضارة العراق (موسوعه) ج ٧ ص ٣٨٣، د. زكى مبارك: النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٣ وما بعدها (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٢ هـ/١٩٣٤م).

(وعلى الأدب العربى كله) من حيث الأفكار والموضوعات والأساليب والمنهج العام، ولا يذكر هذا العهد إلا ويذكر معه ذلك الرجل الذى تزعم أكبر حركة تطورية للكتابة الفنية، وهو عبد الحميد الكاتب (المتوفى ١٣٢هـ/ ٧٤٩م). وقد تواترت آراء المؤرخين والأدباء والشعراء منذ القرن الثالث الهجرى على أنه ذو مكانة ملحوظة فى تاريخ النثر العربى، وإمام طور جديد فى الكتابة، وأنه هو الذى سن طريقة جديدة سار على نهجها من جاء بعده من الكتاب[١].

تطور النثر الفنى فى بغداد فى ظل الخلافة العباسية:

وعلى الرغم من أن النثر العربى قد شهد تطورا ملحوظا فى عصر بنى أمية فإن «المؤثرات القوية العميقة التى غيرت مناهجه تغييرا تناوله فى شكله وموضوعه لم تكد تظهر فى شكل قوى ومحسوس إلا فى ظل الخلافة العباسية حينما أخذت الحياة العربية تتجه نحو وضع جديد؛ حيث بدأ العرب يأخذون أنفسهم وحياتهم بأبهة الملك، وينهلون من فيض هذه العلوم الكثيرة والآداب الغزيرة التى رفدتها جداول أجنبية بعد اتساع حركات الترجمة والتدوين، وامتزاج العرب امتزاجا وثيقا بالأعاجم وغيرهم، حينئذ تم التفاعل الشديد الذى ظهرأثره واضحا فى اللغة العربية: نثرها وشعرها وموضوعاتها وأساليبها على السواء»[٢].

ومن مظاهر التطور الذى طرأ على النثر فى هذا العصر (دون الوقوف على الجانب الشكلى كالألفاظ والجمل والصور البيانية والمحسنات البديعية) ما يتعلق بالموضوعات التى تناولها، فقد «تناول كثيرا من الموضوعات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والثقافية والدينية والعلمية وما إليها مما تطلبته تلك الحياة الواسعة المتشابكة، وهذه الثقافات والحضارات الجديدة التى اطلع عليها العرب ولم تكن معروفة لهم من قبل، فنرى الكتاب (وكثير منهم استوطن بغداد) قد كتبوا فى سياسة الحرب وسياسة السلم وتدبير الملك ونظام العمران وأخلاق الملوك، كما كتبوا فى الدين والأخلاق والقضاة وتدبير المعيشة وفنون المعاملة وحقوق المرأة وحقوق الرجل، والمسائل الشخصية من مدح وذم وهجاء واستعطاف وتعزية وتهنئة»[٣]، أى أن النثرالفنى كاد يستوعب الحياة بكل مظاهرها وصورها ومشكلاتها. ومن يتصفح ما تناثر من

---

١) راجع أقوال المؤرخين والأدباء عن عبد الحميد الكاتب فى الفهرست لابن النديم ص ١٧٠، البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢١٤ (ط الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٧م) والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢ / ١٠٦ (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٢م). وراجع د. بلبع: النثر الفنى ص ١٣٦ - ١٣٧، د. شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ١٢٠ (دار المعارف الطبعة العاشرة).

٢) د. عبد الحكيم بلبع: النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه ص ٩٦.

٣) د. عبد الحكيم بلبع: المرجع السابق ص ١٧٩ - ١٨٠. وراجع الفهرست لابن النديم ص ١٨٣ تحت عنوان " أنواع ما كتبت فيه ".

الآثار الكتابية فى أمهات كتب الأدب والتاريخ التى صنفت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين - مثل " عيون الأخبار " لابن قتيبة و" الكامل " للمبرد، و" تاريخ " الطبرى وغيرها - يجد فيها كتابات نثرية رائعة فى كل تلك الموضوعات.

وقد ذكر ابن النديم فى " الفهرست" أسماء عدد كبير من الكتاب والبلغاء كان لهم رسائل وكتابات نثرية كثيرة تعبر عما وصل إليه النثر الفنى من تطور ورقى فى بغداد خلال القرنين المذكورين[١].

ويأتى على قمة هؤلاء الكتاب المترسلين فى العصر العباسى الأول: اثنان كان لهما مكانة فريدة فى تاريخ النثر الفنى ودور حاسم فى توجيهه وجهة جديدة، وأضافا إليه خصائص جديدة فى الشكل والموضوع لم تكن موجودة، ولهما فى ذلك رسائل وكتب كثيرة، وهما: عبد الله بن المقفع[٢] (المتوفى ١٤٢هـ/ ٧٥٩م) وسهل بن هارون[٣] (المتوفى ٢١٥ هـ/ ٨٣٠م) وكلاهما من أصل فارسى، وكان الأول كاتبا لعيسى بن على العباسى (عم الخليفة أبى جعفر المنصور)، وكان الثانى كاتبا فى بغداد ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة الرشيد، ثم خازنا بدار الحكمة فى خلافة المأمون، وكان كل منهما من البلاغة والفصاحة فى الذروة، ومثقفا ثقافة ممتازة بجميع معارف العصر[٤].

مدرسة الجاحظ النثرية وآثارها العميقة فى الأجيال المتعاقبة:

وإذا كنا قد قررنا أن النثر قد خطا خطوات واسعة وأصاب حظوظا من التطـــور على يد عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وسهل بن هـــــارون وأضرابهم فإن الدور الذى لعبه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) فى هذا الميدان كان أوسع مدى وأبعد غاية، «وإذا كان هؤلاء السابقون قد وضعوا البذور الأولى لتطور النثر فإن هذه البذور لم تنضج وتؤت أكلها وثمارها إلا على يد الجاحظ»[٥]، ويمكن القول: إن الجاحظ

---

١) الفهرست ص ١٧٠ - ١٨٢ تحت عنوان (تسمية الكتاب المترسلين ممن لرسائله كتاب مجموع).

٢) راجع عنه: الفهرست ص ١٧٢، أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٤٨، الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ١٠٩ - ١١٠.

٣) راجع عنه: الفهرست ص ١٧٤، معجم الأدباء لياقوت ١١ / ٢٦٦، فوات الوفيات للكتبى ١ / ١٨١، الأعلام للزركلى ٣ / ١٤٣.

٤) راجع دراسة مفصلة عن دور ابن المقفع وسهل بن هارون فى تطور النثر الفنى: كتاب الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف ص ١٣٤ - ١٥٤، كتاب النثر الفنى للدكتور عبد الحكيم بلبع ص ١٥٩ - ١٧٥.

٥) د. عبد الحكيم بلبع: النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه ص ٢١٦.

يمثل نقطة تحول فى تاريخ النثر العربى، وكان صاحب مدرسة نثرية جديدة لها خصائصها ومميزاتها، وزعيما لنهضة أدبية واسعة الأطراف امتدت آثارها إلى آماد بعيدة، وسرت تياراتها فى الأجيال اللاحقة جيلا بعد جيل[١].

والحق أن الجاحظ الذى مكنه قدومه من البصرة إلى بغداد من الاتصال بأرباب الأدب والعلم والسياسة كان ألمع كتاب عصره، ويمثل أرقى ما بلغته الثقافة العربية الإسلامية فى ذلك العصر، وهيأته ثقافته الواسعة المتعددة الجوانب لأن يحتل هذه المكانة الرفيعة فى تاريخ النثر الفنى، بل وفى تاريخ الأدب العربى كله، وإن آثاره الباقية - على قلتها- لشاهد صدق على ما أتيح له من سبق فى ذلك الميدان.

ولقد كتب الجاحظ فى أغراض نثرية متعددة ومتنوعة؛ كتب فى كبير الأمور وصغيرها: فى المسائل الدينية والفكرية والعقلية والسياسية والاجتماعية، كتب فى الإنسان والحيوان والطير والنبات والطبيعة والكيمياء والطب والفلسفة والدين والأخلاق والاجتماع والطباع وأحوال النفس والتربية والتعليم والبيان والتبيين والسياسة والفرق والملل والنحل، وفى الجد والهزل، وفى المغنين والقيان والرقيق، وفى السود والبيض، والترك والعجم والعرب، «ولم يكن يدع بابا من أبواب المعرفة الإنسانية على تشعبها وتنوعها واتساعها إلا وكانت له فيه اليد الطولى والقدح المعلى»[٢]، وفى هذا ما يدل على أن الجاحظ خطا بالكتابة الفنية عند العرب خطوة جديدة نحو التعبير عن جميع الموضوعات فى بيان عذب وأسلوب خلاب. وتعد كتبه بحق دائرة معارف متكاملة، وأشهرها: " الحيوان " و" البيان والتبيين " و" البخلاء" و" مجموعة رسائل " فى مجلدين، وغيرها. ومؤلفاته كلها حازت إعجاب العلماء فى كل عصر، وأشاد بها الوزير ابن العميد (وسيأتى ذكره) فقال: «إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا»[٣]، وقال أيضا: «إن الناس عيال عليه فى البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة»[٤].

وهذه المؤلفات تركت آثارا عميقة فيمن عاصره أو جاء بعده من الكتاب والأدباء. وقد قام الدكتور عبد الحكيم بلبع بدراسة عميقة عن أثر الجاحظ فى تطوير النثر الفنى، وأثبت فيها بجلاء تأثر الكتاب بطريقته فى الأسلوب والعرض والموضوعات وفى إخضاع مسائل العلم والفلسفة للآداء الأدبى وفى الاتجاه الواقعى، وغير ذلك من الخصائص الفنية التى تميزت

---

١) د. عبد الحكيم بلبع: المرجع السابق ص ٢١٤، ٢١٦، ٢٨٢ (بتصرف).
٢) د. بلبع: المرجع نفسه ص ٢١٤.
٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٩.
٤) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ١٠٣.

بها فى كتاباته الأدبية[١]. وكان من أبرز الذين تأثروا به فى ذلك: ابن قتيبة الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م) فى كتابه " عيون الأخبار " ، والمحسن بن على بن محمد التنوخى البصرى المقيم ببغداد (المتوفى ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) فى كتابيه " الفرج بعد الشدة" و" نشوار المحاضرة "[٢]. وأبو حيان التوحيدى المقيم ببغداد (المتوفى ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) فى عدد من كتبه، مثل: "المقابسات" و"الإمتاع والمؤانسة" و"الرسالة البغدادية" و"الصداقة والصديق" وغيرها[٣]. وللتوحيدى كتاب فى تقريظ الجاحظ[٤]، وفى ذلك دلالة على إعجابه وتأثره به.

ولم يكن تأثير الجاحظ فيمن تبعه مقصورا على الكتاب والأدباء المشارقة فحسب، وإنما تعدى ذلك التأثير إلى الحياة الأدبية بالأندلس، وكانت كتبه أحد الركائز الأساسية التى اعتمد عليها الأندلسيون فى ميدان الأدب بكل صوره وأنواعه. وسيأتى حديثنا عن ذلك فى موضعه من هذه الدراسة.

ويتعذر علينا أن نتتبع أسماء الذين برزوا فى ميدان الكتابة النثرية، فمن المحقق أن بغداد زخرت بأعظم الأدباء والكتاب فى القرن الرابع الهجرى كان لهم كتابات فنية رائعة أودعوها كتبهم، وحسبنا أن نورد بعض الأعلام الذين لا يمكن إغفالهم فى هذا الصدد، فمن أبرزهم: الوزير أبو محمد الحسن المهلبى (المتوفى ٣٥١هـ/ ٩٦٢م)[٥]، والوزير ابن العميد (المتوفى ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠م) الذى قال عنه الثعالبى: «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد»[٦]. والوزير الصاحب إسماعيل بن عباد (المتوفى ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)[٧]. وإبراهيم بن هلال الصابى (المتوفى ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م) الذى كان متوليا ديوان الإنشاء فى

---

١) راجع: النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه (الفصل الثالث بداية من ص ٢٩٢).

٢) له ترجمة فى تاريخ بغداد ١٣/ ١٥٥ - ١٥٦، معجم الأدباء ١٧ / ٩٢، وفيات الأعيان ٤ / ١٥٩، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٦ / ٥٢٤، وغير ذلك.

٣) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٥ / ٥ - ٥٢، وفيات الأعيان ٥ / ١١٢ - ١١٣، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٧ / ١١٩ - ١٢٣ وغيرها. وكتاب المقابسات عبارة عن مائة وثلاث مقابسات فى مباحث من العلوم فى الفلسفة والأدب، وذكر فيه بعض ما وقع له من مفاوضات علماء عصره ببغداد. وقد طبع فى بغداد ٩٧٠ م بتحقيق دكتور محمد توفيق حسين.

٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٢٠.

٥) له ترجمة فى الفهرست ص ١٩٤، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٤ - ١٢٧، وغيرهما.

٦) الثعالبى: يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٨٣ (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م بتحقيق محمد مفيد قميحة). وراجع عنه الفهرست ص ١٩٤.

٧) له ترجمة فى وفيات الأعيان ١ / ٢٢٨ - ٢٣٣، معجم الأدباء ٦ / ١٦٨.

بغداد سنة ٣٤٩ هـ/ ٩٦٠ م، وقال عنه الثعالبى: «أوحد العراق فى البلاغة ومَنْ به تثنى الخناصر فى الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية»[١]. ومنهم أيضاً: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى البغدادى (المتوفى ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) الذى قيل عنه: «إنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ»[٢].

والخلاصة: أن النثر الفنى شهد نهضة كبرى فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ إذ تعددت أنواعه وفروعه، وأصبح فيه - إلى جانب النثر الأدبى الرفيع - نثر علمى ونثر فلسفى ونثر تاريخى. وكما تغير النثر بأقسامه وألفاظه ولغته فإنه تطور فى معانيه وأفكاره، وتعددت أغراضه؛ فكان أشهرها وأوسعها شيوعاً: الخطب - سياسية ودينية - والتوقيعات والرسائل والمناظرات والمقامات والقصص والحكايات والكتابات النقدية.

وكل هذه الفنون النثرية والأدبية حاكاها الأندلسيون وتأثروا بها فى أدبهم حينما توجهوا إلى العاصمة العباسية بغداد ليستمدوا منها العلم والمعرفة والحضارة بشتى جوانبها.

* * * *

١) الثعالبى: يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٨٧. وراجع ترجمته فى الفهرست ص ١٩٣، وفيات الأعيان ١ / ٥٢- ٥٤، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٦ / ٥٢٣.

٢) معجم الأدباء ١٨ / ٢٦٨ - ٢٧١.

الباب الثالث

الدراسات التاريخية والجغرافية

* ويشمل هذا الباب الفصلين التاليين:

الفصل الأول : الدراسات التاريخية

الفصل الثانى : الدراسات الجغرافية

الفصل الأول

الدراسات التاريخية

المراحل التى مر بها علم التاريخ

ودور العراقيين فى تدوينه وتطور مناهجه:

فى نص هام يحدد الذهبى (المتوفى٧٤٨هـ/١٣٧٤م) - وينقل عنه ابن تغرى بردى فى "النجوم الزاهرة" - السنة التى بدأ فيها تدوين العلوم الإسلامية وتصنيفها فى كتب ودواوين وبصورة منظمة، وهى سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠ م. وبعد أن عدد الذهبى أوائل العلماء الذين كان لهم فضل السبق فى تصنيف العلوم أردف قائلا «وقبل ذلك العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم، ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة»[1].

وإذا نحن ضيقنا دائرة العلوم الإسلامية حتى لا تشمل - هنا - غير علم التاريخ، وفى ضوء هذا التحديد المذكور - وهو تحديد يتسم بالدقة لحد كبير - فإننا يمكن أن نلاحظ فى نشأة التدوين التاريخى وتطور مناهجه مروره بمراحل ثلاث توازى ما مر به غيره من العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث، ولكنها ليست مراحل منفصلة بقدر ما هى مترابطة ومتشابكة[2]. وهى:

أولا مرحلة التدوين الأولى:

وقد امتدت هذه المرحلة حتى مطالع القرن الثانى الهجرى. وفيها بدأت عملية التدوين مبكرة جدا نقلا عن الشفاة ومن السجلات (كالوثائق وبعض الصحائف). وعملية التدوين هذه يرقى بعضها إلى العهد النبوى والخلافة الراشدة، لكنها ما اتسعت ولا وضحت إلا فى العصر الأموى (٤٠-١٣٢هـ/-٧٤٩م)، وظهرت فيها عدد من الاتجاهات؛ فبعضها للسيرة النبوية، وبعضها للأنساب، وبعضها لأخبار الفتوحات...الخ. غير أن الاهتمام كان متوجها بصورة خاصة إلى مواضيع محددة من السيرة، وبرز فيها من الرعيل الأول: عبد الله بن عباس

---

١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ١ ص٣٥١.

٢) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٩٣ وما بعدها (دار العلم للملايين - بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(ت٧٨هـ) ثم أبان بن عثمان بن عفان (توفى ما بين ٩٥-١٠٥هـ) وعروة بن الزبير بن العوام (ت٩٤هـ/ ٧٢٢م) أول من ألف كتابا فى " المغازى "[١]، (وهى تعنى لغويا غزوات الرسول ﷺ وحروبه، ولكنها تناولت فى الأصل فترة الرسالة بكاملها). ثم تلاهما: شرحبيل بن سعد (ت١٢٣هـ/ ٧٤٠م) وابن شهاب الزهرى (ت١٢٤هـ/ ٧٤١م) الذى يعد «أول من أعطى السيرة هيكلا محدودا، ورسم خطوطها بوضوح، وراعى التسلسل التاريخى لحوادثها، ودون رواياتها فى كتب بصورة منظمة»[٢]، كما أنه طور فكرة السيرة محاولا - هو وشرحبيل بن سعد فى كتابه " المبتدأ " - جعلها أساسا لكتابة تاريخ عالمى من خلال سلسلة الأنبياء وخاتم النبيين، أو جعلها أساسا لكتابة تاريخ " الأمة " الإسلامية الذى يبدأ بسيرة الرسول ﷺ[٣].

ولقد رافق هذه المرحلة - كما سوف يرافق التأريخ الإسلامى فى جميع مراحله وتطوراته المقبلة - وجود جمهور واسع من رواة التاريخ والأخبار والأنساب يحدثون بما يحفظون. وما من شك فى أن هذا الجمهور كان يشكل الإطار العام من اهتمامات الناس التاريخية، وعلى يد عدد من أفراده كانت تجرى الخطوات الأولى للانتقال بالتاريخ من حالة المعرفة الشفهية إلى المعرفة الكتابية: من التاريخ المروى إلى التاريخ المكتوب[٤].

ثانيا: مرحلة جمع الأخبار والروايات التاريخية فى كتب ذات موضوع واحد:

وهى المرحلة التى اهتم الأخباريون[٥] خلالها بجمع أخبار الأحداث المختلفة والمواضيع المتنوعة، ومن جميع الأفواه والرواة، كل منها على حدة، وفى كتاب يختص بموضوع واحد لا يتجاوز إلى غيره.

---

١) د. عبد العزيز الدورى: بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص٢١ (المطبعة الكاثوليكية - بيروت)، د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص١٥٢.

٢) الدورى: المرجع السابق ص٢٣ - ٢٤.

٣) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٩٤.

٤) د. شاكر مصطفى: المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة (باختصار وتصرف).

٥) يقال لمن يروى الحكايات والقصص والنوادر: الأخبارى (اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير ج ١ ص٣٤). ويقول طاش كبرى زادة: الأخبارى ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها والنقل عمن سلف، سواء كانت الأخبار صحيحة أم باطلة (مفتاح السعادة ٢ / ٨٥) ويرى أحمد أمين فى (ضحى الإسلام ٢ / ٣٥٦) أن الأخبارى لا ينـزل إلى درجة القصص فيكون وليد الخيال، ولا يرتفع إلى درجة لتاريخ فتفحص وقائعه وتضبط رواياته، بل كان مزيجا من هذا وذاك.

وإذا استعرضنا عناوين المؤلفات التاريخية التى صنفها الأخباريون فى تلك المرحلة - والتى لا شك فى أن كثير منها أشبه بالرسائل الصغيرة، وتقدر بالعشرات أو المئات - فسنجد أنها تنحصر فى السيرة النبوية والمغازى وأحداث التاريخ الإسلامى (حتى عصورهم)، لا الأخبار السياسية فقط، ولكن الحضارية أيضا (خطط ونظم مالية وقضائية وولاة ورجال علم...)، بالإضافة إلى أخبار الجاهلية (أنساب وأيام العرب، ومرويات أدبية وأمور حضارية: أديان وأحلاف وأسواق...) وتاريخ الأنبياء السابقين، وشئ من تاريخ الأمم الأخرى كالفرس والروم والهنود. وهـــذه الموضوعات كانت تشكل فى مجموعها المادة التاريخية الأساسية لكتابة التاريخ، والنواة الأولى للمؤرخين الذين اعتمدوا عليها فى تأليف تواريخهم العامة. «ومع أن الاهتمام بالسيرة النبوية لم ينقطع فى هذه المرحلة إن لم يتسع وينتظم ويعط السيرة شكلها النهائى على يد محمد بن إسحق المدنى نـــزيل بغداد (المتوفى ١٥١هـــ/ ٧٦٨م) صاحب أقدم سيرة نعرفها الآن - إلا أن العناية بالأخبار التاريخية الأخرى صارت أكثر وضوحا، بل لقد واكبت وزاحمت أحيانا كثيرة الاهتمام بالسيرة نفسها»[١].

ومن أبرز الأخباريين الذين تخصصوا فى تدوين الأحداث التاريخية الجزئية فى الفترة التى نتحدث عنها (القرن الثانى الهجرى):

(١) أبو مخنف لـــوط بن يحيى الأزدى الكوفى (المتوفى ١٥٧هـــ/ ٧٧٣م). ألف ما يقرب من (٣٣) كتابا فى موضوعات مختلفة من التاريخ الإسلامى، منها: كتاب الردة - كتاب فتوح الشام - فتوح العراق - حرب صفين - الجمل - مقتل على - مقتل الحسين - الشورى - الأزارقة... الخ[٢].

(٢) سيف بن عمر الأسدى التميمى الكوفى (المتوفى حوالى١٨٠هـــ/ ٧٩٦م). كان معاصرا لأبى مخنف، واشتهر وتوفى ببغداد. وله من الكتب: الردة - الفتوح - الفتنة - واقعة الجمل، وغيرها[٣].

(٣) هشام بن محمد بن السائب الكلبى الكوفى النسابة (المتوفى٢٠٤هـــ/ ٨١٩م). له كتب كثيرة تبلغ نحو (١٥٠) كتابا فى مختلف المواضيع والأحداث التاريخية فى الجاهلية

---

١) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ١ / ٩٦.

٢) الفهرست لابن النديم ص١٣٦ - ١٣٧. ومعجم الأدباء ١٧ / ٤١ - ٤٣، فوات الوفيات للصفدى ٢ / ٢٤٠، لسان الميزان لابن حجر ٤ / ٤٩٢ - ٤٩٣.

٣) الفهرست ص١٣٧، وراجع تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ / ٢٩٥.

والإسلام، ذكرها ابن النديم وقسمها إلى أقسام بحسب موضوعاتها[١]. وقد اتصل هشام الكلبى بالخليفة المأمون وصنف له كتاب " الفريد " فى الأنساب، واتصل بجعفر بن يحيى البرمكى وألف له كتاب " الملوكى " فى الأنساب أيضا[٢].

(٤) الهيثم بن عدى الطائى البحترى الكوفى (المتوفى ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) أخبارى كبير، اختص بمجالسة عدد من الخلفاء العباسيين (المنصور- المهدى - الهادى - الرشيد).

وعد له الرواة خمسين كتابا فى التاريخ منها: أنساب القبائل - الخوارج - خطط البصرة والكوفة - ولاة الأمصار - طبقات الفقهاء والمحدثين - التاريخ (مرتب على السنين)- أخبار الفرس... وغيرها[٣].

(٥) الواقدى: محمد بن عمر بن واقد الأسلمى (مولاهم) (المتوفى ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) من أهل المدينة وانتقل إلى بغداد، وتولى بها قضاء الجانب الشرقى أربع سنين فى خلافة المأمون، وكانت وفاته بها. وهو أحد أوعية العلم، وصاحب التصانيف الكثيرة، وله فى التاريخ نحو (٢٨) كتابا، منها: المغازى - السقيفة - الردة - يوم الجمل - صفين - تاريخ الفقهاء - التاريخ الكبير - وضع الدواوين - ضرب الدنانير... وغيرها[٤].

(٦) أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى نزيل بغداد (المتوفى٢١١هـ/ ٨٢٦م). له دراسات واسعة تكاد تشمل حقل الروايات العربية بكامله، ولذا وصفه ابن النديم بقوله: «له علم الإسلام والجاهلية، وكان ديوان العرب فى بيته» [٥]. ومصنفاته تقارب مائتى مصنف، حدث بجملة منها فى بغداد، ويتناول عدد منها تاريخ العرب وتاريخ صدر الإسلام، فكتب فى المفاخر والمثالب القبلية، وفى الأخبار، وعن شخصيات تاريخية، وعن الحروب والأحزاب الدينية، وعن القضاة والموالى، والمدن والأمصار[٦]. وكانت دراسته عن " أيام العرب " أساسا

---

١) الفهرست ص١٤٠ - ١٤٣. وراجع تاريخ بغداد ١٤ / ٤٥، معجم الأدباء ١٩ / ٢٨٧ - ٢٩٢، وفيات الأعيان ٦ / ٨٢ - ٨٣، لسان الميزان ٦ / ١٩٦.

٢) معجم الأدباء ١٩ / ٢٩٢.

٣) الفهرست ١٤٥ - ١٤٦، المعارف لابن قتيبة ص٢٣٤، تاريخ بغداد ١٤ / ٥٠ - ٥٤، معجم الأدباء ١٩ / ٣٠٤ - ٣١٠، وفيات الأعيان ٦ / ١٠٦ - ١٠٧، لسان الميزان ٦ / ٢٠٩، الأعلام للزركلى ٨ / ١٠٤ - ١٠٥.

٤) الفهرست ١٤٤، المعارف ٥١٨، تاريخ بغداد ٣ / ١٣ -٢١، وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٨، معجم الأدباء ١٨ / ٢٧٧- ٢٨٢، سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٥٤- ٤٦٩، تهذيب التهذيب ٩ / ٣٦٣.

٥) الفهرست ص٧٩.

٦) راجع الفهرست ٧٩ - ٨٠، المعارف ٥٤٣، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٢، معجم الأدباء ١٩ / ١٦٠ - ١٦١، وفيات الأعيان ٥ / ٢٣٥ - ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٤٥ -٤٤٧.

للمؤرخين من بعده[١].

وفى تلك المرحلة نفسها من مراحل التدوين التاريخى نجمت أسماء أخرى من الأخباريين شاركوا بإنتاجهم الوفير فى تدوين موضوعات شتى تاريخية وحضارية. وقد بلغت هذه المرحلة أوجها وقمتها بأعمال **المدائنى**: على بن محمد بن عبدالله (المتوفى ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، وهو بصرى سكن المدائن فنسب إليها، ثم تحول إلى بغداد، فلم يزل بها إلى حين وفاته، قال عنه الذهبى: «كان عجبا فى معرفة السير والمغازى والأنساب وأيام العرب، مصدقا فيما ينقله، عالى الإسناد» [٢]. ومؤلفاته الكثيرة تدل على سعة علمه بموضوعات التاريخ الإسلامى سعة فائقة حتى قيل: «من أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائنى». وقد عد له ابن النديم فى "الفهرست" أسماء ما يقرب من (٢٣٩) كتابا، وزاد عليها ياقوت فى معجمه[٣]. وهذه المؤلفات صارت المصدر الأساسى للمؤرخين التالين حيث «يمثل المدائنى درجة أعلى من أسلافه فى البحث والدقة... وجاء فيها بأخبار أوفى وأكثر توازنا ممن سلف عن الحوادث والموضوعات التى تناولها» [٤]، وتغطى مجموعة عناوينها أخبار الجاهلية وأحداث الإسلام وأخبار الخلفاء والتاريخ الأدبى والحضارى للدولة الإسلامية فى القرنين الأول والثانى الهجريين.

إن أهم ما تتميز به هذه الطبقة من الأخباريين - طبقة أبى مخنف وسيف بن عمر والواقدى والمدائنى:

١ - أنهم كانوا من أهل العراق، ومن أهل البصرة والكوفة خاصة: فأبو مخنف كوفى، وسيف بن عمر كوفى أيضا، والمدائنى بصرى عاش أكثر حياته فى بغداد. وأما الواقدى وإن كان مدنيا فإنه قضى شطرا كبيرا من حياته فى بغداد وتوفى بها. وسوف نلاحظ فيما بعد أن أكثر المؤلفات التاريخية على اختلاف أنواعها وأنماطها ومناهجها فى القرنين الثالث والرابع الهجريين كانت لمؤرخين عراقيين، وأن حركة التدوين التاريخى فى هذين القرنين ظهرت كأقوى ما يكون فى بغداد، وتفسير ذلك «أن أمصارا كالمدينة والبصرة والكوفة كانت وحدها أمصار تدوين التاريخ، وقد تلتها فى هذا الباب دمشق، وكتب شئ من التاريخ فى مصر، فلما ظهرت بغداد استقطبت الفكر الثقافى كله، وكان بين ما استقطبته عملية التدوين التاريخى، فاختفت المدينة ودمشق، وخفتت لحد ما الفعاليات العلمية فى البصرة والكوفة لحساب بغداد» [٥].

---

١) الدورى: بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص٤٥.
٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٠٠ - ٤٠١، وراجع تاريخ بغداد ١٢ / ٥٥.
٣) الفهرست ١٤٧ - ١٥٢، معجم الأدباء ١٤ / ١٢٩ - ١٣٩.
٤) الدورى: المصدر السابق ص٣٩.
٥) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٨٤.

٢- لم تكن مؤلفات هذه الطبقة مرتبة، ولا عملهم مسلسلا منظما ولا شاملا وافيا، وإنما كثر الترتيب والتنظيم فى الطبقة التى أتت بعدهم، وهى طبقة خليفة بن خياط البصرى (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) والبلاذرى البغدادى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) والطبرى البغدادى (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وغيرهم. وهذا شأن المحاولات الأولى فى التأليف[١]، غير أن هذه الأبحاث والدراسات التاريخية التى كتبها الأخباريون المارة أسماؤهم أنتجت مادة تاريخية واسعة أقامت هذا العلم على قاعدة عريضة من المعلومات الأولى، كما أنها كانت على مستويات متباينة من الدقة والصحة حسب الرواة والمؤرخين.

ثالثا: التأريخ على الأساس الزمنى فى إطار وحدة الأمة والتاريخ العالمى:

وعلى الرغم من وجود ذلك الجمع التوزعى المفرق لمواضيع التاريخ فى المرحلة السابقة "مرحلة الأخباريي " فقد ظهر خلالها وفى وقت مبكر مطالع مرحلة جديدة، يمكن تسميتها بمرحلة تدوين التاريخ على الأساس الزمنى المتسلسل، وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالى فى كتاب واحد. وقد امتدت هذه المرحلة إلى نهاية القرن الثالث الهجرى حتى استقرت وتوطدت، فتوطد بها علم التأريخ الإسلامى ومناهجه فى التدوين[٢].

والحق أن القرن الثالث الهجرى يمثل مرحلة تطور هامة وحاسمة فى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية وظهور المدارس الفكرية المختلفة فى شتى أنحاء دار الإسلام (وبغداد فى القلب منها)، ويتمثل فيه الازدهار العلمى فى تعدد المؤلفات التى كتبت فى شتى فروع العلم، وكان لابد أن ينال علم التاريخ نصيبه من هذا الازدهار، حيث ساعدت الظروف التاريخية والتطورات الثقافية على نمو المعرفة التاريخية وتعدد أنماطها، فضلا عن تطور مناهج البحث التأريخى فى ذلك القرن، «ولا شك أن ظهور الورق وانتشاره بعد أواسط القرن الثانى الهجرى وكثرة صناعته قد أعان على التوسع فى التدوين التاريخى، كما أعان على جمع المؤلفات التاريخية الصغيرة ذات الموضوع الواحد فى مجموعات تاريخية واسعة تضم مختلف المواضيع فى نسق زمنى متصل، بالإضافة إلى أن العمق الفكرى الذى أصاب الحياة الثقافية، مع حركة الترجمة واستبحار الحضارة فى العصر العباسى الأول وما بعده قد منح المؤرخين السعة اللازمة فى الأفق والتوازن فى النظرة التاريخية لمختلف الحضارات وتسلسلها»[٣].

---

١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٢ ص٣٤٢، ٣٤٥.

٢) راجع: التاريخ العربى والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى ج ١ ص٩٩ - ١٠٠.

٣) د. شاكر مصطفى: المرجع السابق ج ١ ص١٠٠.

وقد أدى ذلك كله بالفعل إلى تراكم هائل على المستوى النوعى والكمى فى مجال الكتابة التاريخية التى شهدت مرحلة انتقال منهجية هامة نقلت كتابة التاريخ من مجرد التجميع والتأليف والوصف إلى مرحلة جديدة قوامها منهج صارم يقوم على أساس من ضبط الرواية وتحقيقها، وتستند فى فلسفتها العميقة إلى فكرتين أساسيتين هما: وحدة التاريخ الإسلامى، وأهمية تجارب الأمة الإسلامية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الكتابة التاريخية على الأساس الزمنى فى إطار وحدة الأمة والتاريخ العالمى - والتى استقرت وتوطدت فى القرن الثالث الهجرى كما ذكرنا - قد ظهرت بواكيرها فى أواخر القرن الثانى الهجرى، أى خلال المرحلة السابقة. ولعل عوانة بن الحكم الكوفى الأخبارى (المتوفى ١٤٧هـ/ ٧٦٥م) أول من صنف كتابا يحمل عنوان" التاريخ " يتناول أحداث التاريخ الإسلامى فى القرن الأول الهجرى بوجه عام[١]. ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبى (المتوفى ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) أيضا كتاب "التاريخ" [٢]. وكتب فى الوقت نفسه الهيثم بن عدى الكوفى نزيل بغداد (المتوفى٢٠٦هـ/ ٨٢١م) كتاب " التاريخ على السنين"[٣]. ثم تتابعت المصنفات فى التاريخ العام خلال القرن الثالث الهجرى، حيث نبغ فى هذا القرن - وفى النصف الثانى منه بوجه خاص - عدد من المؤرخين حققوا تلك الفكرة: أعنى تدوين تاريخ عام استنادا إلى الكم الهائل من المادة التاريخية التى خلفها طبقة الأخباريين، وكان من أبرز الممثلين للتطور الجديد من العراقيين:

خليفة بن خياط العصفرى البصرى (المتوفى ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). له كتاب "التاريخ"[٤]. وهو أقدم كتاب فى أيدينا لتاريخ الإسلام العام ومرتب على المنهج الحولى، وفيه من الاهتمامات التاريخية ما لا نجده عند غيره، ولعله كان المثال الذى احتذاه المؤرخ الكبير ابن جرير الطبرى. ولقد اعتمد خليفة بن خياط فى كتابه هذا على عدد كبير من مرويات الأخباريين الأوائل كابن إسحق وهشام الكلبى والمدائنى وغيرهم[٥]. وتظهر أهميته البالغة فى دقته وحسن انتقاء مؤلفه لرواياته بأسانيدها وفق منهج المحدثين الذين ينتمى خليفة بن خياط إلى مدرستهم.

---

١) الفهرست ص١٣٤.

٢ الفهرست ص١٤٢.

٣) الفهرست ص١٤٦، معجم الأدباء ١٩ / ٣١٠، وفيات الأعيان ٦ / ١٠٧.

٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٧٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

٥) راجع كتاب " خليفة بن الخياط " للدكتور فاروق عمر فوزى (دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - الطبعة الأولى (١٩٨٨م).

ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م). إمام فى اللغة والأدب والأخبار وعلوم القرآن والحديث[١]. وله عدد من المؤلفات التاريخية «تمثل بالنسبة للتأليف التاريخى مرحلة من النظرة العالمية والحضارية لم يعرفها المؤلفون السابقون إلا جزئيا، وإن تكن محاولة محدودة بالقدر الذى سمحت به معارف ابن قتيبة وعصره ومواهبه»[٢]، وأهم هذه المؤلفات كتاب " المعارف "، وهو أشبه بدائرة معارف تمتزج فيها مختلف خطوط الكتابة التاريخية. وله أيضا كتاب " عيون الأخبار " يحتوى على الكثير من عناصر الحضارة الإسلامية.

البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى[٣](المتوفى ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ندىم الخليفة العباسى المتوكل. له كتاب " أنساب الأشراف " وهو كتاب عام للتاريخ الإسلامى فى إطار الأنساب، لا الزمن التاريخى، بمعنى أنه ليس مؤلفا تاريخيا متصل الحلقات، وإنما تجمع خطته بين أساليب كتابة كتب الطبقات وكتب الأخبار وكتب الأنساب، «ويظهر فيه تلاقى طريقة الخبر بالأنساب فى الطبقات بالتاريخ، وتلاقى طريقة الرواية المنفصلة والخبر المفرد مع الرواية التاريخية المتصلة والتاريخ المطرد»[٤]، غير أنه فى النهاية يعبر عن فكرة وحدة الأمة واتصال خبراتها فى التاريخ الإسلامى[٥].

(٤) أبو حنيفة الدينورى: أحمد بن داود، نـزيل بغداد (المتوفى ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) فارسى الأصل، وأمضى شبابه فى الرحلات بين العراق والحجاز والشام، وهو موسوعى المعارف متنوع الثقافة، وقربته مواهبه إلى البلاط العباسى فى بغداد، وخاصة إلى الموفق أخى الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ - ٨٩٢م) فاختص به[٦]ويهمنا من كتبه كتاب " الأخبار الطوال "، وهو نموذج للتاريخ العالمى، روعى فيه التسلسل الزمنى، ويهتم فيه مؤلفه بتاريخ الرسل كثيرا، ويقدم صورا متوازية لتاريخ اليمن والجزيرة العربية وبيزنطة، ويتوسع فى تاريخ فارس، ويمر بفترة الرسالة المحمدية مرورا سريعا ليركز اهتمامه بالدرجة الأولى على تاريخ العراق وإيران[٧].

---

١) سبق ذكره مرات فى ثنايا عرضنا لعلوم القرآن والحديث والأدب.

٢) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٢٤٢.

٣) له ترجمة فى الفهرست ص١٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ١٦٢ - ١٦٣، ومعجم الأدباء ٥ / ٨٩ - ١٠١، لسان الميزان ١ / ٣٢٢ - ٣٢٣، الوافى بالوفيات ٨ / ٢٣٩ - ٢٤١.

٤) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى ج ١ ص٢٤٤.

٥) الدورى: بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص٥٠ - ٥١.

٦) له ترجمة فى الفهرست ١١٦، معجم الأدباء ٣ / ٢٦ - ٣٢، إنباه الرواة للقفطى ١ / ٤١ - ٤٤، الوافى بالوفيات ٦/ ٣٧٧ - ٣٧٩، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٢٢.

٧) راجع التاريخ العربى والمؤرخون، لشاكر مصطفى ١ / ٢٤٩، بحث فى نشأة التاريخ عند العرب =

(٥) اليعقوبى: أحمد بن إسحق (أبى يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى مولى بنى هاشم (المتوفى ٢٨٤هـ/ ٨٩٩م) أو (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م). مؤرخ وجغرافى كبير[١]، وله من كتبه: كتاب " البلدان " فى الجغرافيا الوصفية - وسيأتى ذكره والتعريف به فى مبحث الدراسات الجغرافية من هـذا الباب - وكتاب " التاريخ "، وهـو خلاصة وافية للتاريخ العالمى قبل الإسلام وللتاريخ الإسلامى حتى سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢ م زمن الخليفة العباسى المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م)، وروعى فيه التسلسل التاريخى للحوادث. ويبدأ بالخليقة (بدء الخلق)، ولا يقتصر على تناول تاريخ الأنبياء والتاريخ الإيرانى وتاريخ العرب قبل الإسلام، بل يتناول أيضا تاريخ أمم أخرى قديمة كالآشوريين والبابليين والهنود واليونان والرومان والمصريين والبربر والحبشة والزنوج والترك والصينيين، إلى جانب الفترة الإسلامية التى اتبع فيها اليعقوبى فى عرض مادته تسلسل العهود خليفة بعد خليفة، متبعا فى كل عهد أسلوبى العهود والحوليات. والكتاب بهذا «يمثل بالنسبة لتطور التدوين التاريخى أول تاريخ عالمى بمعنى العالمية للكلمة»[٢]. أما عن مزايا الكتاب وقيمته العلمية وبيان أهميته فى تطور علم التاريخ عند المسلمين فهى عديدة، وأفاض الباحثون فى ذكرها[٣].

(٦) الطبرى: محمد بن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م). علم معروف من أعلام التاريخ الإسلامى وغيره من العلوم[٤]، بلغ فى علمه بالروايات التاريخية منـزلة لا تبارى. ويمثل كتابه " تاريخ الرسل والملوك " قمة ما وصلت إليه كتابة التاريخ عند المسلمين فى فترة التكوين، وحصادا ناجحا لكل المحاولات السابقة عليه، وصياغة تركيبية - فى إطار المنهج الحولى - لكل التطورات والأنماط التأريخية التى حاولها مؤرخون قبل الطبرى فى مجال التدوين التاريخى: كابن إسحق وابن هشام والواقدى والمدائنى وابن سعد والبلاذرى، بل وفاقهم كثيرا من حيث الشمول والإحاطة ووفرة المادة وغزارتها. كما أن أهميته تكمن أيضا فى أنه «يعبر عن فكرتين أساسيتين فى التاريخ هما: وحدة الرسالات من جهة، وأهمية خبرات

= لعبد العزيز الدورى ص٥٤ - ٥٥، التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية لعمـر رضا كحالة ص٣٥ - ٤٠ (دمشق ١٩٧٢م).

١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٥ ص١٥٣ - ١٥٤.

٢) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٢٥٣.

٣) راجع مثلا: كتاب "اليعقوبى المؤرخ والجغرافى" لياسين إبراهيم الجعفرى (ط بغداد ١٩٨٠م)، وكتاب "اليعقوبى" للدكتور خالص الأشعب (طبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد)، وبحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب للدورى ص ٥١-٥٤، التاريخ العربى والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى ج١ ص٢٥٠-٢٥٣.

٤) راجع عن الطبرى ما كتبناه عنه فى المبحث الخاص بعلوم القرآن (ص٧٣-٧٤).

الأمة الإسلامية واتصالها على الزمن من جهة أخرى»[١]: إذ يتناول التاريخ العام منذ الخليقة وحتى نهاية سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤ م.

ولا تنحصر القيمة الكبيرة لتاريخ الطبرى فى كونه مصنفا تاريخيا عاما لتاريخ العرب والمسلمين يفوق كثيرا ما صنفه السابقون للطبرى والمعاصرون له، ولكنها تتمثل أيضا فى أنه كان مصدرا أصيلا وأساسيا اعتمد عليه المؤرخون اللاحقون فى معرفة تاريخ القرون الثلاثة الأولى من عمر الحضارة الإسلامية (كالمسعودى [ت٣٤٥هـ / ٩٥٦ م].
وابن مسكويه [ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م] وابن الأثير [ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م]، ثم الذهبى [ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م] وابن كثير [ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٦م] وابن خلدون [ت٨٠٨هـ/ ١٤١٠م]): إذ ليس فى كتب المؤرخين - حتى اليوم - ما يضارع هذا الكتاب من حيث الأمانة العلمية والسعة والإحاطة بالوجهات المختلفة للروايات، وحسبنا أن مؤرخا كبيرا كابن الأثير يقول عنه إنه «الكتاب المعول عليه عند الكافة، والرجوع إليه عند الاختلاف»[٢].

ويطول المقام هنا لو أردنا أن نعدد المزايا التى يتحلى بها ذلك الكتاب، سواء فى موضوعه أو منهجه أو مادته (نصوصه ورواياته). وقد كتبت دراسات عديدة حول هذا العمل الضخم[٣]، وجميعها تؤكد - إذا استثنينا بعض المآخذ التى لا تؤثر فى جوهره - على أنه تأريخ جليل القدر، عظيم القيمة. ونسجل هنا كلمة للدكتور جواد على من بحثه القيم عن "موارد تاريخ الطبرى "، وهى كلمة تبرز لنا قيمة الكتاب فى كونه يمثل قمة ما وصل إليه التأريخ الحقيقى فى القرن الثالث الهجرى؛ يقول: «إن كتاب الطبرى - وإن كان قد أنهاه فى بداية القرن الرابع الهجرى - يمثل فى الواقع نتاجا كان خاتمة نتاج القرن الثالث؛ القرن المشرق بالنسبة للرواية العربية والأسلوب العربى الصميم فى التأليف. والحق أن هذا الكتاب وحده رمز لختام عصر من عصور التاريخ، وبداية تطور فى تأريخ التأريخ»[٤].

---

١) الدورى: بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص٥٥.

٢) مقدمة ابن الاثير لكتاب " الكامل " ج ١ ص٦ (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م).

٣) من هذه الدراسات: "الطبرى ومنهجه فى التاريخ "رسالة ماجستير، لعلى بكر حسن (دار العلوم ١٩٨٣م). "الطبرى السيرة والتاريخ" للدكتور عبد الرحمن حسين العزاوى (دار الشؤون الثقافية العامة — بغداد ١٩٨٩ م/ط١). "الطبرى مفسرا وفقيها ومؤرخا" للدكتور أحمد محمد الحوفى (سلسلة أعلام العرب — رقم ١٣ / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م/ ١٣٨٢هـ) . "موارد تاريخ الطبرى "للدكتور جواد على (مجلة المعهد العلمى العراقى — المجلد الأول (سنة ١٩٥٠م) ص١٤٣-٢٣١. والمجلد الثانى (سنة ١٩٦١م) ص ٤٢٥_٤٣٩. هذا بالإضافة إلى الأبحاث والكتب الكثيرة التى تدور حول نشأة علم التاريخ وتطور مناهجه عند المسلمين.

٤) بحث منشور بمجلة المعهد العلمى العراقى - المجلد الأول (سنة ١٩٥٠ م/ ١٣٦٩هـ) ص١٦٩.

وخلاصة ما سبق عرضه أن الكتابة فى التاريخ الإسلامى عند المسلمين ظهرت فى وقت مبكر: فى العقود الأخيرة من القرن الأول الهجرى، وكانت السيرة النبوية هى موضوع الكتب التاريخية الأولى، ثم عالجت المصنفات التاريخية فى القرن الثانى للهجرة أخبار الجاهلية والأحداث المهمة فى صدر الإسلام، كأحداث الردة والفتنة (حرب الجمل وصفين...) وأحداث الفتوحات الإسلامية، وغير ذلك من الموضوعات. وقد عرفت تلك الكتب بكتب الأخبار، وعرف مؤلفوها (وأكثرهم عراقيون) بالأخباريين، لجمعهم الأخبار الخاصة بحادثة معينة أو إقليم واحد دون أن يكتبوا تاريخا عاما، باستثناء محاولات قليلة ونادرة وغير وافية. ثم حدث فى القرن الثالث الهجرى - وفى النصف الثانى منه بالتحديد - تطور كبير فى الكتابة التاريخية، حيث ظهر عدد من المؤرخين الكبار، مثل خليفة بن خياط والبلاذرى واليعقوبى والطبرى، وهؤلاء هم طبقة كاملة من المؤرخين العراقيين / البغداديين كانوا «النهاية الطبيعية لخط من التطور المستمر أصاب علم الأخبار وما يتصل به من خلال أكثر من قرنين»[1]، وقد تميزوا بأنهم فهموا التاريخ بالمعنى الشامل واستفادوا كثيرا من كتب " الأخباريين "، فأعادوا تنظيم مادتها، ودمجوا بينها فى مصنفات كبيرة تميزت بشمولها لأحداث الدولة الإسلامية وتاريخ الأمم قبل الإسلام، كما تميز معظمها باتباع نظام "الحوليات".

وبالرغم من تأليف الكتب التاريخية على هذا النمط الجديد فى القرن الثالث الهجرى كان يكسب مع الأيام أكثر وأكثر من المؤرخين منذ خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ) إلى الطبرى (ت٣١٠هـ) فإن النمط الأول للمرحلة السابقة (جمع الأخبار فى كتب يختص الواحد منها بموضوع واحد) ظل قائما مدة طويلة حتى أواخر القرن المذكور، وكان من ممثليه الأخيرين: عمر بن شبة النميرى البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٦٢هـ/ ٩٧٢م)، له (٢٢) كتابا، منها كتب فى الأخبار مثل: البصرة - الكوفة - مقتل عثمان - أخبار المنصور - أمراء الكوفة - كتاب السلطان -... الخ، وله أيضا بجانب ذلك كتاب فى "التاريخ" على ترتيب السنين[2].

وما من شك فى أن النقلة من مرحلة "الأخباريين" و"الأخبار" إلى مرحلة "المؤرخين" و"التاريخ العام" لم تتم فى قفزة واحدة، وإنما جاءت بين المرحلتين مرحلة انتقالية ظهر فيها عدد من "أنصاف المؤرخين"، ونعنى بهذا أن من ندعوهم بالمؤرخين الكبار - كالبلاذرى واليعقوبى والطبرى - لم يكونوا وحدهم ممثلى علم التاريخ الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى، فقد وجد معهم عدد كبير من "المؤرخين الصغار" أو من "الأخباريين الهامين"

---

١) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٢٠٢.

٢) الفهرست ص١٦٣، تاريخ بغداد ١١/ ٢٠٨ - ٢١٠، وفيات الأعيان ٢ / ٤٤٠.

كانوا يتممون جمهرة هذا العلم ويمهدون الطريق لظهور التدوين التاريخى على الأساس العلمى المنظم فى الزمن والموضوع[١]، وأكثرهم - إن لم يكن كلهم - من أهل (بغداد / العراق) ومن علماء الحديث، ونذكر منهم على سبيل التمثيل: الزيادى: الحسن بن عثمان ابن حماد البغدادى (المتوفى ٢٤٣هـ/٨٥٧م) وهو من أعيان أصحاب الواقدى، وولى قضاء بغداد الشرقية فى خلافة المتوكل، وصنف كتاب " التاريخ " مرتبا على السنين، وكان أحد الموارد المهمة للخطيب البغدادى فى كتابه "تاريخ بغداد"[٢]. ومنهم: ابن سعيد القطربلى أحمد بن عبدالله بن الحسين (المتوفى٢٦١هـ/ ٩٧١م) قال عنه ابن النديم: «كتب كتاب التاريخ، عمله إلى أيامه»[٣].

اتجاهات التأليف التاريخى فى (العراق / بغداد) خلال القرنين ٣، ٤ هـ:

ولم يكن التقدم الذى أحرزه علم التاريخ فى القرن الثالث الهجرى ثم فى القرن الذى يليه راجعا إلى كثرة عدد المؤرخين، أو نمو المادة التاريخية وتراكمها، أو تطور منهج البحث التاريخى فحسب، وإنما - إضافة إلى ذلك - كان راجعا بالضرورة إلى تعدد اتجاهات التأليف التاريخى وأنماطه. «ومن الصعب أن نتتبع جذور نشأة كل نمط من أنماط الكتابة التاريخية فى تراث الثقافة الإسلامية، بيد أننا نستطيع من خلال النظر فى هذا التراث أن نكتشف مدى التنوع والثراء المذهل فى المؤلفات التاريخية، ومدى استجابة هذه الأنماط للحاجات الثقافية الاجتماعية التى فرضتها التطورات والظروف التاريخية للعالم الإسلامى»[٤]فى القرنين المذكورين.

وقد أحصى الذهبى (المتوفى ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) موضوعات التاريخ الإسلامى فبلغت أربعين فنا، نقل ذلك عنه السخاوى (المتوفى ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) فى كتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ "، وأتبعه بذكر أمثلة عديدة من المؤلفات لكل فن[٥]. غير أنه حاول عقب

---

١) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٢٠٤.

٢) تاريخ بغداد ٧ / ٣٥٧، معجم الأدباء ٩ / ١٨ - ٢٤. وراجع كتاب " موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد " للدكتور أكرم ضياء العمرى ص١٣٠ - ١٣٢ (الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م - دار القلم، بيروت / دمشق).

٣) الفهرست ص١٨٠.

٤) د. قاسم عبده قاسم: تطور مناهج البحث فى الدراسات التاريخية (بحث منشور بمجلة عالم الفكر - المجلد [٢٠] العدد الأول ١٩٨٩ م - ص١٩٢).

٥) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٥٠ - ٢١٤، حققه وعلق عليه بالانجليزية فرانز روزنثال، وترجم التعليقات ونشره الدكتور صالح أحمد العلى (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان).

ذلك أن يحصر كل هذه الفنون والأنواع فى أربعة عشر نوعا، ولعله قصد به أن يكمل الإحصاء الذى وضعه الذهبى. وهذه الفنون الأربعة عشر هى[1]:

١- تاريخ الرسول والأنبياء. ٢- تاريخ الصحابة.

٣- تاريخ الأشراف. ٤- تاريخ القرشيين.

٥- تاريخ الموالى. ٦- تاريخ الرواة المعتمدين أو المصنفين.

٧- تاريخ رجال علم الحديث. ٨- تاريخ المعاجم والمشيخة.

٩- تاريخ المسمين باسم خاص. ١٠- تاريخ المعمرين.

١١- تراجم الأفراد. ١٢- التواريخ المحلية (ومعلوماته فيها وفيرة).

١٣- تصانيف البلدان.

١٤- مطلق التاريخ. وهو ما وصفه بأنه «مطلق التاريخ غير مقيد بوصف ولا جنس أو نحو ذلك» وهو على أقسام:

أ- كتب عن تواريخ الوفيات. ب- التاريخ على الحوادث والوفيات.

ج- التاريخ على الحوادث. د- كتب التراجم.

هـ- كتب تواريخ منوعة.

والمعلومات التى يقدمها السخاوى عن أسماء الكتب التاريخية بكل أنواعها واسعة وثرية جدا، وقد غطت - إلى حد كبير - فترات التاريخ الإسلامى إلى عصره. وعلى الرغم من أن السخاوى متأخر عن العصر الذى نؤرخ له مما قد يمنع من الاستشهاد بتوزيعه التاريخى فإن هذا الاعتراض ينتفى إذا علمنا أن كافة فنون التاريخ التى ذكرها إنما كانت موجودة ومعروفة قبله بقرون، وقد توطدت وصنف الناس فيها أو فى معظمها منذ القرنين الثانى والثالث الهجريين، ثم انتشرت فى القرون التالية. كما أننا إذا تتبعنا ماذكره من المؤلفات الممثلة لتلك الأنواع فى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين (فترة الدراسة) فسنجد أنها كثيرة جدا، وأكثرها لمؤرخين عراقيين / بغداديين.

ومن ناحية أخرى فإننا نلحظ التداخل الواضح بين عدد من تلك الأنواع والفنون التى ذكرها

---

١) الإعلان بالتوبيخ للسخاوى (ص ٢١٤ - ٢٣٨)، والعناوين التالية هى من إضافة ناشر الكتاب الدكتور صالح العلى.

السخاوى فى قائمته الطويلة، كما أن هذه القائمة خلت من أنماط أخرى من المؤلفات التاريخية، مما يجعلنا نعيد النظر فى ترتيب وتنظيم هذه الأنماط، بحيث يمكن دمجها فى ست مجموعات بحسب النهج الذى سلكه المؤرخون فى كتاباتهم التاريخية، وهى:

١- السيرة النبوية.

٢- كتب التاريخ العام.

٣- كتب التاريخ المحلى (تواريخ المدن).

٤- كتب الأنساب.

٥- كتب التراجم (تواريخ الرجال).

٦- كتب فى التاريخ الحضارى (الإدارة - الاقتصاد - الفكر السياسى...).

وفيما يلى عرض موجز لهذه الاتجاهات فى إطار المدرسة (العراقية / البغدادية)، وفى حدود القرنين (فترة الدراسة):

أولا: السيرة النبوية:

بدأ التدوين التاريخى للسيرة النبوية فى مدينة الرسول ﷺ، وكان ذلك من الأمور الطبيعية، لأنها الموطن الأصلى للدعوة الإسلامية، ومنها انتشر الإسلام، فاكتسبت السيرة ثوبا مدنيا، وطبعت بالطابع الذى تميز به علماء الحجاز، وهو ميلهم إلى رواية الحديث النبوى، ومن هنا أخذت السيرة شكل الرواية الحديثية المجردة، وأصبحت جزءا من الحديث نشأت وتطورت بنشوئه وتطوره، وظلت الدعامة الأساسية لتكوين المادة التأريخية لها.

وقد أشرنا من قبل إلى عدد من رواة المادة التاريخية الخاصة بالسيرة من الرعيل الأول، وهم مدنيون من أبناء الصحابة، مثل أبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير، ثم شرحبيل ابن حسنة (ت١٢٣هـ) والقاسم بن محمد بن أبى بكر (١٠٧هـ)، ووهب بن منبه (حوالى ١١٤هـ). وتلا هذه المجموعة جيل ثان كان أبرزهم وأكثرهم شأنا: محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت١٢٤هـ) مؤسس المدرسة التاريخية فى المدينة. وقد تابع جهده من بعده تلاميذه، وأبرزهم ثلاثة: موسى بن عقبة الأسدى المدنى (ت١٤١هـ)، صنف كتابا فى السير قال عنه الإمام مالك: «إنها أصح السير»[1]. ومعمر بن راشد البصرى (ت١٥٤هـ)، ومحمد ابن إسحق المطلبى المدنى (ت١٥٤هـ) عمود المدرسة المدنية وصاحب أقدم سيرة نبوية

١) الذهبى: تاريخ الإسلام ج ٤ ص٢٨١ (ط دار الغد العربى / القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦م).

محفوظة إلى الآن. وظهر بجانبه معاصر له مدنى هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى المدنى (المتوفى بعد ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) له مؤلف فى "المغازى" نقل عنه ابن سعد والواقدى[١].

ويستفاد مما تقدم أن كتابة السيرة كانت مقصورة على أهل المدينة، غير أن هذا الاحتكار - وإن دام طوال عهد الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين بصورة عامة - فإنه لم يدم منذ مطالع العهد العباسى بهجرة محمد بن إسحق إلى بغداد وإهدائه "مغازيه" للخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م)[٢]، كما هاجر إليها أبو معشر السندى، استدعاه المهدى، وانتشرت بها "مغازيه"[٣]. ومنذ ذلك الحين «ظهر منافسون لعلماء السيرة المدنيين؛ ظهروا فى بغداد والكوفة والبصرة، بل فى مصر كذلك، وهم وإن كانوا قد تأثروا بسيرة ابن إسحق المستمدة من روحية أهل المدينة (الميالة إلى الرواية والنقل) فإن الأمور سرعان ما تبدلت وظهرت روح النقد الميالة إلى النقد...»[٤].

ولقد لاقت سيرة ابن إسحق رواجا واسعا فى بغداد[٥]: فكان من أوثق رواتها وأشهرهم: زياد بن عبد الله بن طفيل العامرى البكائى الكوفى البغدادى (المتوفى ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٦]. ثم رواها عن البكائى كثيرون، أبرزهم عبد الملك بن هشام السدوسى البصرى نزيل مصر (المتوفى ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وقد قام باختصارها وترتيبها فنسبت إليه، وصارت لا تعرف إلا بسيرة ابن هشام[٧]، «وأصبح للمصريين بها فرط غرام وكثرة رواية، وعنهم نقلت إلى سائر الآفاق» كما يقول القفطى[٨]، ولاقت رواجا كبيرا فى قرطبة/ الأندلس كما سيأتى فى حينه.

وكان من أشهر المؤلفين فى المغازى والسير اثنان: الواقدى (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) وابن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، وهما - وإن كانا ممثلين لمدرسة المدينة فى الأصل - فإنهما يمثلان نهاية تطورها وقمتها فى بغداد / العراق، حيث قضى الواقدى أعوامه الثلاثين الأخيرة فى بغداد، وانتشرت بها مؤلفاته فى السيرة[٩]. وكان ابن سعد كاتبا له وعلى صلة قوية به، وعليه

---

١) تاريخ بغداد ٣ / ٣٢٦.

٢) تاريخ بغداد ١ / ٢١٤ - ٢٣٤، الفهرست ١٣٦، سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٨ وما بعدها.

٣) تاريخ بغداد ٣ / ٣٢٦.

٤) جواد على: موارد تاريخ الطبرى (مجلة المعهد العلمى العراقى / المجلد الأول / السنة الأولى ١٩٥٠ م - ١٣٦٩هـ/ ص١٥٣).

٥) راجع مثلا تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٣، ١٠/١١٣، ١٣ / ١٧٧.

٦) تاريخ بغداد ج ٨ ص٤٧٦ - ٤٧٨، وفيات الأعيان ٢ / ٣٣٨ - ٣٣٩، سير أعلام النبلاء ٩ /٥ - ٧.

٧) وفيات الأعيان ٢ / ٣٣٨ - ٣٣٩، ٣ / ١٧٧، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٢٨ - ٤٢٩.

٨) القفطى: إنباه الرواة ج ٢ ص٢١١ - ٢١٢.

٩) تاريخ بغداد ٣ / ١٢١، ٤ / ٨٩.

اعتمد فى تأليف السيرة فى القسم الأول من كتابه " الطبقات "، وعاش مدة طويلة فى بغداد، وكانت وفاته بها[١].

وممن نال شرف التصنيف فى السيرة من العراقيين / البغداديين خلال القرنين (٣، ٤هـ): أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى نـزيل بغداد (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)[٢]وأبو عمر صالح بن إسحق الجرمى نـزيل بغداد (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، قال الخطيب: «له كتاب فى السيرة عجيب» [٣]. وأحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز البغدادى (المتوفى ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)[٤]. وأبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى الأديب الكاتب (المتوفى ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، له كتاب " المغازى " فى ثلاثمائة ورقة[٥].

ثانيا: كتب التاريخ العام:

وتتميز هذه الكتب بشمولها لأحداث الدولة الإسلامية على اتساعها، مع مقدمة لتاريخ ما قبل الإسلام، أو بدونها. وتميزت هذه الكتب فى معظمها باتباع المنهج الحولى[٦]. وهذا المنهج هو أبرز المناهج التى اتبعها المؤرخون المسلمون فى تنظيم وترتيب المادة التاريخية، وهو المنهاج الأساسى فى كتابة التاريخ العالمى، ويعبر المؤرخ من خلاله عن إدراك واضح لمفهوم وحدة التاريخ العالمى ووحدة تاريخ الأمة الإسلامية وتجاربها عبر السنين. «ومع أن هذه الطريقة لم تكن أكثر من أسلوب فى عرض المادة التاريخية فقد كان لها تأثير كبير على المحتويات التاريخية: إذ كانت تحصر دائرة الأحداث حصرا من حيث الزمان والمكان» [٧].

وقد أوضحنا من قبل أن طريقة التدوين التاريخى باتباع المنهج الحولى استقرت وتوطدت فى

---

١) راجع عن الواقدى: الفهرست١٤٤، معجم الأدباء ١٨/ ٢٧٧-٢٨٢، وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٨ - ٣٥٢، وراجع عن ابن سعد: الفهرست ١٤٥ - ١٤٦، تاريخ بغداد ٥ / ٣٢١، سير أعلام النبلاء١٠ / ٦٦٤.

٢) تاريخ بغداد ٧ / ٢٧٧.

٣) المصدر السابق ٩ / ٣١٤.

٤) معجم الأدباء ج ٣ ص٧.

٥) معجم الأدباء ج ١٨ ص٢٧١.

٦) المنهج الحول: هو أن يقوم المؤرخ بتأريخ حوادث عام بعد عام بما يشمله من نواح سياسية أو حربية أو دينية أو اقتصادية فى مجمل واحد، وقد ينهى العام بذكر من توفى فيه من مشاهير الناس، وإذا حدثت جملة حوادث مختلفة فى أماكن متعددة فإن الذى يجمع بينها هو سنة حدوثها، لا موضوعها.

٧) د. عبد الرحمن حسين العزاوى: الطبرى السيرة والتاريخ ص١٨٩ - ١٩٠.

بغداد على يد جماعة من كبار المؤرخين العراقيين وعدد من الأخباريين الهامين خلال القرن الثالث الهجرى حتى نضجت هذه المنهجية بمجئ ابن جرير الطبرى البغدادى وتأليفه كتاب "تاريخ الرسل والملوك ". ثم اتبع هذه الطريقة بعد الطبرى عدد من المؤرخين المسلمين، نخص بالذكر منهم فى القرن الرابع الهجرى من البغداديين / العراقيين على سبيل المثال:

(١) نفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى الواسطى البغدادى (المتوفى٣٢٣ هـ/ ٩٣٤م). وهو عالم فى اللغة والنحو، وله كتاب "التاريخ"[١]، قال عنه المسعودى: «محشو من ملاحات كتب الخاصة، مملوء من فوائد السادة» [٢]. وقد اقتبس منه الخطيب البغدادى فى مواضع كثيرة من كتابه " تاريخ بغداد " ويبدو من بعض المقتطفات التى نقلها الخطيب أن هذا "التاريخ "

مرتب على السنين[٣]، كما أنه يقتصر على الفترة الإسلامية: حيث تتناول تلك المقتطفات أخبار معظم الخلفاء العباسيين حتى زمن المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ - ٩٣٢م)، كما تناولت خطط بغداد وتاريخ وفيات وبعض أخبار الأمراء والوزراء والولاة والقادة والقضاة والكتاب والعلماء والشعراء والأدباء[٤].

(٢) أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة الصابئ المؤرخ الطبيب البغدادى (المتوفى ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م). له كتاب " التاريخ " مرتب على السنين، بدأه من أول أيام الخليفة المقتدر (سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)، وينتهى به إلى (سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)[٥]. وهذا الكتاب يعد بداية سلسلة من التواريخ كتبت من قبل أفراد من آل الصابئ، وكلها عبارة عن ذيول لتاريخ الطبرى على غاية من الأهمية فى رواية أخبار أحداثها، ولعل أهمها " ذيل " هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ (المتوفى ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)، أتم به كتاب خاله ثابت بن سنان، ولم يتعرض أحد فى مدته إلى ما تعرض له من الأمور والاطلاع على أسرار الدولة كما يقول

---

١) الفهرست ص١٢١، معجم الأدباء ١ / ٢٧١.

٢) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٣٣٨.

٣) تاريخ بغداد ٦ / ١٢٨.

٤) د. أكرم ضياء العمرى: موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ص١٤٢.

٥) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٧٧، ياقوت: معجم الأدباء ٧ / ١٤٢ - ١٤٣. والكتاب مفقود إلا قطعة تتعلق بتاريخ القرامطة، نشرها سهير زكار (مؤسسة الرسالة، دار القلم ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م). وقد تناول هذه القطعة بالتحليل: عبد الرحمن حسين العزاوى فى رسالته للماجستير بعنوان "المنهج التاريخى عند المؤرخين العراقيين فى العصر البويهى" [٣٣٤ - ٤٧ هـ] ص٩١ (دار العلوم / جامعة القاهرة).

القفطى[١]. ويقع كتاب هلال الصابئ فى أربعين مجلدا على ما يذكر السخاوى[٢].

(٣) مسكويه: أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب البغدادى الملقب مسكويه (المتوفى ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). عالم موسوعى واسع الفكر: مؤرخ فيلسوف طبيب أديب فقيه، عارف بالكيمياء والرياضيات. عاش فى بغداد فى ظل البويهيين، وحاز مكانة مرموقة فى المجتمع البغدادى المتزاحم بالعلماء[٣]. وأهم مؤلفاته فى التاريخ: كتاب "تجارب الأمم" وهو من أجل الكتب فى التاريخ العام. ويقع فى ست مجلدات: تبدأ مع الخليقة وتنتهى إلى أحداث (سنة ٣٦٩ هـ/ ٩٧٩م)، وتتناول تاريخ الفرس القدماء، وتاريخ العرب والإسلام. وينتهى الجزء الأول سنة ٣٧ هـ، ويأتى تاريخ الأمويين مع مطلع العباسيين فى الجزء الثانى، ثم تسهب الأجزاء الباقية فى أخبار الدولة العباسية، مع التركيز الواضح على العراق، والعناية فى كثير من الأحيان بذكر التفاصيل والوثائق والكتب الرسمية والملامح الاقتصادية. ولا يسير على التنظيم الحولى إلا فى القسم الخاص بالعباسيين. وأما قبل ذلك فهو يتبع أساس المواضيع فى التدوين[٤].

وإلى جانب جمهرة المؤرخين البغداديين الذين التزموا المنهج الحولى كان هناك عدد آخر صنفوا فى " التاريخ العام " دون الالتزام بهذه الطريقة فى التصنيف، وإنما جمعوا الحوادث التاريخية تحت رءوس موضوعات تتعلق بالشعوب والأسرات والدول والحكام، ومن أبرزهم اثنان من البغداديين:

الأول: المسعودى: على بن الحسين المسعودى البغدادى (المتوفى ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م). له سلسلة من التواريخ الخصبة، يأتى فى مطلعها تاريخه الأكبر "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة" فى حوالى ثلاثين مجلدا[٥]، اختصره فى "الكتاب الأوسط"، ثم عمد إلى الأخير فاختصره فى "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وهذا أيضا اختصره فى "التنبيه والأشراف". وللمسعودى بجانب هذه السلسلة سلسلة أخرى ذكرها على الشكل التالى: "فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف" (وهو صنو كتاب

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبارالحكماء ص٧٧.

٢) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ ص٣١٤.

٣) له ترجمة فى: معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص٥-١١، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٣٣١.

٤) راجع دراسة لكتاب تجارب الأمم فى رسالة الماجستير " المنهج التاريخى عند المؤرخين العراقيين فى العصر البويهي" (ص ٩٨ - ١١٤) من إعداد عبد الرحمن العزاوى. وكتاب "دراسات عن المؤرخين العرب" لمرجليوث (ص ٢٦ - ٢٧) ترجمة حسين نصار (دار الثقافة / بيروت ١٩٢٩م). والتاريخ العربى والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى ج ١ ص٤٠٨ - ٤٠٩.

٥) هذا الكتاب مفقود لم يبق منه إلا الجزء الأول، مطبوع فى القاهرة ١٩٣٧ م، وفى بيروت ١٩٦٦ م.

أخبار الزمان)، و"ذخائر العلوم وما جرى فى سالف الدهور" (ويعدل الكتاب الأوسط أو المروج) و"نظم الجواهر فى تدبير الممالك والعساكر" وكتاب "الاستذكار لما جرى فى سالف الأعصار"، وعليه بنى كتابه "التنبيه والأشراف"[١].

ويبدو المسعودى فى هاتين السلسلتين اللتين كتبهما فى التاريخ العالمى نموذجا فريدا بين المؤرخين فى عصره. وإذا كان الطبرى قد مثل فى نهاية القرن الثالث الهجرى أوج الفكر التأريخى الإسلامى حتى عهده - سواء فى جمع المعلومات أو فى المنهج - فإن المسعودى بثقافته الموسوعية قد استطاع أن يمثل توسع ذلك الفكر وامتداده فى أواسط القرن الرابع الهجرى.

ولو أخذنا كتابه " مروج الذهب " نموذجا لمؤلفاته التاريخية لوجدنا أنه فى هذا الكتاب وضع تاريخا عالميا فى (١٣٢) بابا، فى أربعة أجزاء؛ تبدأ بذكر المبدأ والخليقة والأنبياء، وتنتهى بذكر من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦م. وبين هذا وذاك ذكر تاريخ أمما كثيرة، كبنى إسرائيل والهنود واليونان والسريان والخزر والفرنجة...الخ، ومعلومات جغرافية واسعة حتى يصل بعد ذلك كله إلى السيرة النبوية ثم الخلفاء الراشدين فالأمويين، فالخلفاء العباسيين حتى خلافة المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٥ - ٩٧٣م). وقد سرد المسعودى فى مقدمة هذا الكتاب أكثر من مائة مصدر من مصادره التاريخية - سوى ما أعرض عن ذكره - تمثل أبرز ما أنتجه الفكر التاريخى الإسلامى حتى عهده[٢]. ومن الجدير بالذكر أنه لم يعتمد فقط على الروايات السماعية التى نقلها عمن سبقه من المؤرخين، وإنما اعتمد أيضا على المشاهدة والمعاينة من خلال تجربته الشخصية فى الأسفار، وهذا أهم ما فى كتبه وأساس دراساته. وقد أتاح له ذلك أن يمزج بين الدراسات التاريخية والجغرافية، وأن يفتح آفاقا جديدة فى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية ومعالم الحضارات المختلفة فى إطار الطريقة الموضوعية. وسوف نعود إليه مرة أخرى فى المبحث التالى لبيان مكانته ودوره الرائد فى علم الجغرافيا: حيث يقف على قمة هذا العلم فى عصره[٣].

الثانى: الصولى: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولى البغدادى (المتوفى ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م). أديب ومؤرخ كبير، «وعمدة فى تاريخ الدولة الإسلامية» كما يقول صاحب (كشف الظنون)[٤]. وكان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، مقبول القول. نادم عدة من

١) راجع مقدمة كتاب التنبيه والأشراف للمسعودى ص١ - ٤.
٢) راجع مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص١٧، ١٩ - ٢٨.
٣) راجع بداية من (ص ٢٧٥).
٤) كشف الظنون لحاجى خليفة ص٢٨٣.

الخلفاء العباسيين، وصنف أخبارهم وسيرهم، وجمع أشعارهم، ودون أخبار الوزراء والكتاب والرؤساء والشعراء[١]. وقد صنف كتبا كثيرة تزيد على الثلاثين مصنفا، بعضها فى التاريخ والأخبار، ويهمنا منها مصنفه الكبير " كتاب الأوراق فى أخبار آل العباس وأشعارهم "، قال عنه ابن النديم: «إنه لم يتمه، والذى خرج منه أخبار الخلفاء بأسرها وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام ابن المعتز»[٢]،

ويتضمن قدرا كبيرا من التاريخ السياسى والإدارى للدولة العباسية. وقد سمى الكتاب بهـذا الاسم لأن الصولى يعرض فيه أخبار كل خليفة بالتفصيل فى أوراق عديدة، خلافا لمحمد بن داود بن الجراح البغدادى (المتوفى ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) الذى جعل ورقة واحدة لكل واحد فى كتابه " الورقة"[٣].

هذا، وكتاب " الأوراق " معظمه مفقود، ولم يبق منه سوى أجزاء متفرقة، ومنها القسم الأخير الذى طبع بعنوان " أخبار الراضى والمتقى"[٤]، وينتهى إلى سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤ م حيث توقف الصولى. ومن هذا الجزء نعرف «الصولى المؤرخ» ومنهجه فى التأريخ وطريقته فى التفكير وتحليل الأحداث وتعليلها.

ثالثا: التواريخ المحلية (تواريخ المدن):

وفى مقابل تلك التواريخ العامة الواسعة (سواء كانت مرتبة على السنين أو على الموضوعات) لجأ المؤرخون البغداديون / العراقيون فى القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى أنماط أخرى فى التصنيف التأريخى، وأهمها: تواريخ المدن أو التواريخ المحلية. وقد برز صنفان من هذا النوع من الكتابة التاريخية:

الأول: كتب تهتم بتدوين تاريخ المدينة (مدينة معينة) فتتناول طوبوغرافيتها (أى خططها) وأخبارها العامة، وتاريخها السياسى، دون الاهتمام برجالها أو من وردها من العلماء والمفكرين.

---

١) ترجمته فى تاريخ بغداد ٣ / ٤٢٧، الفهرست ٢١٥ - ٢١٦، معجم الأدباء ١٩ / ١٠٩ - ١١١، وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٦ - ٣٥٧، سير أعـلام النبلاء ١٥ / ٣٠١ - ٣٠٢، البدايـة والنهاية ٦/ ٢٨٢ (ط دار الغد العربى / القاهرة)، لسان الميزان ٥ / ٤٢٧، وللأستاذ أحمد جمال العمرى كتاب عن حياة الصولى بعنوان " أبو بكر الصولى العالم الأديب النديم "، سلسلة أعلام العرب (رقم ١٠١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م.

٢) الفهرست ٢١٥.

٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٣ / ٥٢ (ط دار المعارف).

٤) نشره هيوارت دن - لندن ١٩٣٥ م.

والنوع الثانى: كتب أكدت على تراجم رجال المدينة، مع مقدمة طوبوغرافية أحيانا، ومن ثم قدمت مادة غنية عن الحياة الثقافية فى المدن الإسلامية. وهذا النوع الأخير هو الأكثر شيوعا، ويعود السبب فى ذلك إلى الرغبة القوية فى خدمة علم الحديث عن طريق التعريف بالرواة ومواطنهم[١]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكتب التى تتوسع فى تراجم أعلام مدينة ما - وإن أمكن وضعها فى قائمة كتب الرجال - لكنها بسبب احتوائها على الخطط والأخبار وطول التراجم يمكن وضعها ضمن كتب التاريخ التى تهتم بتأريخ الأحداث. وقد حظيت مدينة بغداد باهتمام واسع من مؤرخيها وعلمائها، فظهرت كتب عديدة فى تاريخها، مثل:

١- تاريخ بغداد، لأحمد بن أبى طاهر - طيفور، المروزى الأصل، البغدادى (المتوفى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[٢]، عالج فيه خططها وتاريخها السياسى. وهذا الكتاب - الذى وصل إلى الأندلس - ربما يعد أول كتاب فى سلسلة تاريخ مدينة السلام، وفى تواريخ المدن عامة.

٢- كتاب " فضائل بغداد وصفتها " تأليف يزدجرد بن مهمندار الكسروى بن اسفنديار [من أهل المائة الثالثة للهجرة - فى أيام المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ]، وهو يعنى بخصائص بغداد، وذكر عدد سككها وحماماتها وما يحتاج إليه فى كل يوم من الأقوات والأموال[٣].

ومن أوائل المؤرخين الذين صنفوا فى علماء بغداد وأعلامها والقادمين إليها من الغرباء: أحمد بن جعفر المنادى البغدادى (المتوفى ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، وهو من كبار القراء والمحدثين، وله كتاب " تاريخ بغداد"[٤] وصنف أبو بكر محمد بن عمر بن محمد الجعابى الحافظ الموصلى البغدادى (المتوفى ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) كتاب "محدثى بغداد"[٥]ويلى هؤلاء: الخطيب البغدادى أحمد بن على بن ثابت (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م) صاحب كتاب " تاريخ بغداد " فى خمسة عشر مجلدا، جمع فيه تراجم رجال بغداد البارزين فى كل

---

١) راجع: موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد، للدكتور أكرم ضياء العمرى ص٢٦٠ - ٢٦١.
٢) الفهرست ص٢٠٩، الإعلان بالتوبيخ للسخاوى ص٢٥٣.
٣) الفهرست ١٨٥، التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى ٢ / ١٥. وقد اقتبس من هذا الكتاب هلال بن المحسن الصابئ البغدادى (ت ٤٤٨هـ) فى كتابه " رسوم دار الخلافة " واستل ذلك ونشره ميخائيل عواد بعنوان " فضائل بغداد العراق " (مطبعة الإرشاد / بغداد ١٩٦٢م).
٤) د. أكرم ضياء العمرى: موارد الخطيب فى تاريخ بغداد ص٢٨٤ - ٢٨٩.
٥) تاريخ بغداد ١ / ٩٠.

فن وميدان، ومن زارها من الغرباء، لاسيما رجال الحديث، ورتبه على حروف الأبجدية، وخصص الجزء الأول منه لوصف بغداد وبنائها وأقسامها وخططها. وقد اتسع الاهتمام بهذا التاريخ الجليل، وصدرت عليه ذيول عديدة فى عشرات المجلدات كتبها عدد من المؤرخين: مثل السمعانى (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) وابن الدبيثى (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) وابن القطيعى (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) وابن النجار (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) وابن الساعى (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م) وابن رافع (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٦م)[١].

وإذا حظت بغداد بهذا الاهتمام الواسع فلأنها كانت أم الدنيا العباسية وخلاصة تاريخ البلاد الإسلامية ومجمع رجالها العلميين، ومع ذلك فإنها لم تمنع من ظهور عدد من التواريخ البلدانية للمدن الأخرى فى العراق: مثل البصرة والكوفة وواسط والموصل وغيرهـــا: فقد كتب تاريخ البصرة كل من (فى حدود القرنين ٣، ٤هـــ): عمر بن شبة البصرى نـــزيل بغداد (المتوفى٢٦٣هـــ/٨٧٦م)[٢]وزكريـــا بن يحيى الساجى البصرى (المتوفى٣٠٧هـــ/ ٩٢٠م)[٣]. وصنف فى تاريخ الكوفة كل من: عمر بن شبة (أيضا)[٤]، وابن النجار الحسن ابن محمد ابن جعفر التميمى الكوفى (المتوفى ٤٠٢هـــ/ ١٠١١م)[٥]. وصنف فى تاريخ واسط: أبو الحسن أسلم بن سهل الواسطى المعروف باسم " بحشل" (المتوفى فى حدود ٢٨٨هـــ/٩٠٠م)[٦]. وصنف "تاريخ الموصل " أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدى قاضى الموصل (المتوفى ٣٣٤هـــ/٩٤٥م)[٧].

وهذه المصنفات جميعها كانت معروفة ومتداولة فى بغداد، وموارد مهمة للخطيب البغدادى فى تاريخه المشهور، وكانت موضع اهتمام الأندلسيين كما سنعرف فى حينه[٨].

أما مدن المشرق الإسلامى (بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر) - مثل هراة،

---

١) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٢٥٤.
٢) الفهرست ١٦٣، وفيات الأعيان ٢ / ٣٣٢، لسان الميزان ٣ / ١٢٧.
٣) ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص٤٤٠.
٤) الفهرست ١٦٣، معجم الأدباء = إرشاد الأريب ج ١٦ ص٦١.
٥) الوافى بالوفيات للصفدى ج ٦ ص٣٠٩.
٦) الإعلان بالتوبيخ للسخاوى ص٢٨٦.
٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء ١٥/٣٨٦- ٣٨٧.
٨) راجع (ص٦٠٧) من القسم الثانى، والملحق (ص١٠٥٢).

والرى، ومرو، وإصبهان، وبلخ، وهـمذان، وشيراز، وقم، وقزوين، وطبرستان، ونيسابور، وبيهـق، وخوارزم، وبخارى، وجرجان، ونسا، وسمرقند، وغيرها - هذه المدن (ويضاف إليها مدن الشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد المغرب) كانت موضع اهتمام فائق من قبل علمائها: حيث صنفوا فى التعريف بها وبرجالها كتبا كثيرة، وحسبنا أن نشير إلى تلك القائمة الطويلة التى ذكرها السخاوى فى "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" وتضم أسماء كتب تاريخ المدن مرتبة (بحسب المدن) على حروف المعجم[١]. والذى نريد أن نؤكد عليه هنا أن كثيرا من تواريخ المشرق المحلية انتقلت إلى بغداد، وأصبحت متداولة بها، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال قائمة بأسماء بعض هـذه التواريخ اعتمد عليها الخطيب البغدادى فى كتابه " تاريخ بغداد"[٢]. ومما يعكس طبيعة العلاقة الوثيقة بين بغداد ومدن المشرق الإسلامى أن أصحاب تلك الكتب عنوا بذكر من قدم مدنهم من الغرباء (ومنهم بغداديون)، كما سجلوا رحلة علماء مدنهم إلى بغداد.

وهكذا حظيت كتب تواريخ المدن التى صنفها العراقيون (وغيرهم ممن استقطبتهم بغداد) بالضخامة الواسعة بما حملته من مفهوم " التراجم " الذى حولها من تاريخ سياسى عمرانى إلى تاريخ للرجال، وهذه الكتب نبع لا ينضب من المعلومات.

كتب الفتوح:

وهناك بعض الكتب التاريخية التى يمكن أن تندرج فى التاريخ المحلى، وهى الكتب الخاصة بالفتوحات الإسلامية، وتتناول المعارك التى خاضها المسلمون فى الشام والعراق وفارس... الخ، مؤكدة على تاريخ الفتح لكل إقليم أو مدينة، ومراحله، وطريقته (صلحا أو عنوة) وما وقع خلال ذلك من عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع سكان البلاد المفتوحة، كما تناولت عددا من الأمور الاقتصادية المتعلقة بالتشريع الإسلامى، كالخراج والفئ والجزية، وغيرها.

وأقدم من كتب فى هذا الميـدان: أبو مخنف لـوط بن يحيى الأزدى الكوفى (المتوفى

---

١) الإعلان بالتوبيخ ص٢٤٥ - ٢٨٩. وراجع كشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٠٦، التاريخ العربى والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى ٢ / ٢١ - ٣٩.

٢) راجع: موارد الخطيب فى تاريخ بغداد للدكتور أكرم ضياء العمرى ٢٦٣ - ٢٨٢، ومقالا له بعنوان " الكتب التى أوردهـا الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد مرتبة حسب موضوعاتها " منشور ضمن كتابه "دراسات تاريخية " ص٢٠٥ - ٢٠٦ [ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م].

١٥٧هـ/ ٧٧٣م) له " فتوح الشام " و" فتوح العراق "، ثم سيف بن عمر التميمى الكوفى (المتوفى ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) فى كتابه " الفتوح الكبير". والواقدى نزيل بغداد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) الذى صنف " فتوح العراق "، " فتوح الشام " و" فتوح إفريقية " وغيرها. ومنهم أيضا على بن محمد المدائنى البصرى البغدادى (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، له ما يقارب ستة عشر كتابا فى فتوح عدد من المدن والأقاليم غطت عدة فترات تاريخية[١]. وكل هذه الكتب لم تكن شاملة لجميع الفتوحات. وأول من كتب كتابا شاملا للفتوحات هو أحمد بن يحيى البلاذرى البغدادى (المتوفى ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)[٢]، وهو من أروع كتب الفتوح فى التاريخ العربى الإسلامى «وتظهر فيه خبرة الأمة للأغراض الإدارية والتشريعية»[٣]. ويليه فى الأهمية كتاب " الفتوح " لأحمد بن أعثم الكوفى (المتوفى٣١٤هـ/ ٩٢٦م)[٤]؛ انتهى فيه إلى أيام الرشيد العباسى.

رابعا: كتب الأنساب:

ويعد علم الأنساب فرعا أساسيا من فروع التاريخ الإسلامى، ويتصل بصفة وثيقة به، حتى لقد ظهرت تواريخ منظمة على أساسه، مثل " أنساب الأشراف " للبلاذرى البغدادى، وهو من أعظم الكتب التاريخية المكتوبة فى إطار الأنساب[٥].

وقد أعان النسابون الدراسات التاريخية بما قدموا - مع الأنساب - من معلومات تاريخية عن أصحابها، وبعبارة أخرى «حين انصرف النسابون إلى جمع مادتهم وتسجيلها. جمعوا معها ومن حولها الكثير من المادة التاريخية التى دخلت التاريخ من بابه الواسع»[٦].

وكان من الطبيعى أن يكون النسابون الأول هم من الأخباريين الأوائل، مثل محمد بن السائب الكلبى الكوفى (ت١٤٦هـ/ ٧٦٣م) وابنه هشام (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) - وهو من أشهر النسابين، وله تصانيف كثيرة فى الأنساب - وأبو اليقظان النسابة (١٩٠هـ/ ٨٠٨م)

---

١) راجع عن هؤلاء المؤرخين على الترتيب فى كل مصدر: الفهرست ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٠. ومعجم الأدباء ١٤/ ١٢٩ - ١٣٩، ١٧ / ٤١ - ٤٣، ١٨ / ٢٢٧ - ٢٨٢. وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٨ - ٣٥٢. وقد سبق التعريف بهم فى مطلع هذا المبحث بدءا من (ص ٢٢٩-٢٣٠).

٢) سبق التعريف به (ص ٢٣٤).

٣) الدورى: بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص٥١.

٤) راجع عنه معجم الأدباء ٢/٢٣٠، الأعلام للزركلى ١/٩٦ (الطبعة الثانية).

٥) سبق التعريف بهذا الكتاب (ص ٢٣٤).

٦) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص١٩٠.

والهيثم بن عدى (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م). ثم ظهر بعد هؤلاء:

(١) مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيرى المدنى نزيل بغداد (المتوفى ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). عالم بأيام العرب، وأفقه قرشى فى علم النسب، أخذه عن الواقدى[١]، وله كتابان فيه هما: " النسب الكبير " و" نسب قريش"[٢]، والأخير مطبوع، أعطى فيه أخبارا مهمة ومفصلة عن بعض الشخصيات الهامة من جاهليين وإسلاميين.

(٢) محمد بن حبيب، مولى بنى العباس (المتوفى ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). كان من علماء بغداد البارزين فى النسب والأخبار واللغة. ومن أشهر كتبه فى النسب كتاب "المحب" وكتاب "القبائل الكبير والأيام " فى أربعين جزءا[٣].

(٣) الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب الزبيرى المدينى نزيل بغداد (المتوفى بمكة ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م). إخبارى نسابة، ومن أبرز كتبه: " نسب قريش وأخبارها " قال عنه ابن خلكان: «جمع فيه شيئا كثيرا، وعليه معول الناس فى معرفة نسب القرشيين»[٤].

وهذا الكتاب يختلف فى مضمونه وترتيبه عن كتب النسب الأخرى، حيث تطغى عليه مادة الأخبار على الأنساب. وقد لاحظ شيئا من ذلك أحد معاصرى الزبير - وهو إسحق الموصلى الأديب المغنى البغدادى (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) - حيث قال له: «يا أبا عبدالله عملت كتابا سميته كتاب النسب، وهو كتاب الأخبار»[٥]. وهو من الكتب التى شاع صيتها فى قرطبة كما سنعرف إن شاء الله.

ونكتفى هنا بذكر هؤلاء الأعلام من النسابين (العراقيين / البغداديين)، ثم نسجل ثلاث ملاحظات مهمة:

الأولى: يقدم ابن النديم فى " الفهرست " أكثر من مائة مصنف فى أنساب وأخبار القبائل العربية صنفت خلال الفترة من النصف الثانى للقرن الثانى الهجرى إلى نهاية القرن الرابع[٦]، وأكثرها لعلماء عراقيين.

---

١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص١١٢ - ١١٣.
٢) الفهرست ص١٦٠.
٣) الفهرست ١٥٥ - ١٥٦، معجم الأدباء ١٨ / ١١٢ - ١١٧.
٤) وفيات الأعيان ٢ / ٣١١. وراجع الفهرست ١٦١، معجم الأدباء ١١ / ١٦١ - ١٦٥.
٥) تاريخ بغداد ٨ / ٤٦٩، وفيات الأعيان ٢ / ٣١١.
٦) د. صالح أحمد العلى: الكتب التى أوردها ابن النديم فى الفهرست مصنفة حسب مواضيعها، وهو ملحق بكتاب " علم التاريخ عند المسلمين " تأليف روزنثال (ص ٢٩٧ - ٣٠٢) (مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين، بغداد ١٩٦٣م).

والثانية: نظرا لأهمية الأنساب فى حياة الأمة الإسلامية فى القرون الهجرية الأولى فإن العناية بها لم تقتصر على النسابين والأخباريين وحدهم، وإنما نجد من المشتغلين بعلم الحديث من اهتموا بها، وجعلوها ميدانا لتأليفهم، وذلك لمعرفة رواة الحديث وأنسابهم. وأوضح مثال على ذلك: خليفة بن خياط العصفرى البصرى (المتوفى٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) فى كتابه "الطبقات"، حيث جعل النسب هو الأساس فى ترتيب الكتاب[١].

والثالثة: إن العناية بالأنساب وتاريخ القبائل والتأليف فيها بدأت بالضمور والاضمحلال مع مطلع القرن الرابع الهجرى، وقل المعنيون والمختصون بهذا الجانب، نتيجة لضعف التنظيمات القبلية وقلة أثرها فى الحياة العربية عما كانت عليه من قبل خلال القرون الثلاثة الماضية، وتزايد الاختلاط بين العرب وغيرهم، الأمر الذى جعل دراسة تاريخ الأنساب والقبائل منصبة على دراسة الأسر الحاكمة والمتنفذة، وبالأخص الأسرة العباسية، ومثال هذه الدراسات: كتاب "سيرة آل الجراح وأخبارهم وأنسابهم" لعبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادى وزير الخليفة المتقى[٢](٣٢٩- ٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م). وآل الجراح أسرة خدمت الخلافة العباسية. وقد برزت منذ أواسط (ق ٣هـ)و استمر أفرادها يتولون مع غيرهم من المتنافسين منصب الوزارة للعباسيين حتى مطلع العهد البويهى[٣]. ومن هذه الكتب أيضا: كتاب " التاجى فى دولة بنى بويه "، تأليف أبى إسحق إبراهيم بن هلال الصابئ البغدادى (المتوفى ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)[٤].

خامسا: كتب التراجم وتواريخ الرجال: وتمثل كتب التراجم قسما هاما من الكتب التاريخية فى القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة. وهذه الكتب ظهرت منذ بواكير التدوين عند المسلمين، وهى ضخمة فى كميتها، متنوعة فى مادتها. وقد نشط علماء الحديث دون سواهم - ولغرض توثيق الروايات الحديثية - فى دراسة أحوال رجال الحديث (الرواة) من حيث مواليدهم ووفياتهم وأسماؤهم وأنسابهم وألقابهم وميولهم العقائدية، وأوردوا آراء العلماء الثقات فيهم تجريحا أو تعديلا، وعنوا بالتعرف على شيوخهم وتلاميذهم ورحلاتهم

---

١) راجع كتاب " خليفة بن خياط " للدكتور فاروق عمر فوزى ص٢١ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٩٨٨م - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد).

٢) الفهرست ص١٨٦.

٣) راجع عن هذه الأسرة: الفهرست ص١٨٥ - ١٨٦.

٤) الفهرست ص١٩٣ - ١٩٤.

العلمية إلى البلدان، فتجمعت نتيجة لذلك مادة ضخمة كان لابد من تنظيمها وترتيبها فى كتب يسهل الرجوع إليها، وعرفت هذه الكتب بكتب الرجال، وكتب الجرح والتعديل. وقد اختلفت كتب المصنفين لها، وتفننوا فى تنويعها وتقسيمها وتفريعها على النحو الذى فصلناه من قبل عند تأريخنا لعلم تاريخ الرواة وعلم الجرح والتعديل فى المبحث الخاص بعلوم الحديث النبوى، فليرجع إليها[١]. وهناك ذكرنا عددا من مصنفات (العراقيين / البغداديين) فى هذا الفن من التراجم على اختلاف تنوعها ومناهجها. ونسجل هنا كلمة للصفدى بشأن غزارة المؤلفات فى تاريخ الرواة ورجال الحديث، قال رحمه الله: «وأما كتب المحدثين فى معرفة الصحابة وكتب الجرح والتعديل والأنساب ومعاجم المحدثين ومشيخات الحفاظ والرواة فإنها شئ لا يحصره حد، ولا يقصره عد، ولا يستقصيه ضبط، ولا يستنديه ربط: لأنها كاثرت الأمواج أفواجا، وكابرت الأدراج اندراجا...»[٢]. وقد تأثر بالمحدثين المؤلفون فى فنون أخرى من التراجم، فألفوا كتبا على مثال كتب رجال الحديث، وقلدوها فى عناصر الترجمة وتنظيم المادة، وتوسعوا فى ذلك: بحيث صارت هذه الكتب تشمل إلى جانب رواة الحديث وعلمائه: الفقهاء والقراء واللغويين والأدباء والشعراء ورجال الحكم والإدارة (جميعها فى مؤلف واحد)، أو تقتصر على تراجم أرباب فن واحد فى كتاب مستقل: فظهرت كتب فى أخبار الخلفاء على حدة، وأخرى فى أخبار القضاة فقط، وثالثة فى طبقات الفقهاء، وأيضا للقراء والصوفية والزهاد، وللوزراء والكتاب، وللحكماء والأطباء، وللنحاة واللغويين، وللأدباء والشعراء، بل وكتب خاصة بالمغنين، والمنجمين، وفى أخبار النساء. وإذا كنا قد ذكرنا فيما سبق قوائم بأسماء بعض كتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة التى ظهرت فى بغداد خلال القرنين (فترة الدراسة) فإننا نضيف إليها هنا أسماء عدد من الكتب تخصصت فى التأريخ لرجال صنعة واحدة أو فن واحد، وذلك فى حدود القرنين المذكورين، ولمؤلفين (عراقيين / بغداديين)، فمنها:

(١) فى الخلفاء: كتاب "أخبار الخلفاء الكبير" للمدائنى البغدادى (٢٢٥هـ/٨٣٩م)[٣]. وكتاب " تاريخ الخلفاء " لمحمد بن حبيب النسابة البغدادى (المتوفى ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[٤].

---

١) راجع عن ذلك بدءا من (ص ١٠٤) إلى (ص ١٠٨).
٢) الصفدى: الوافى بالوفيات ج ١ ص٥٥ (المقدمة).
٣) الفهرست ١٤٩، ومعجم الأدباء ١٤ / ١٣٣.
٤) معجم الأدباء ج ١٨ ص١١٦.

إضافة إلى كتب كثيرة فى أخبار خلفاء مخصوصين.

(٢) فى الوزراء: صنف الوزير محمد بن داود بن الجراح البغدادى (المتوفى ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) كتاب " الوزراء"[١]. وصنف أبو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفى المعروف بالجهشيارى (المتوفى ٣٣١هـ/ ٩٤٣م) كتاب " الوزراء والكتاب"[٢]. وهو أهم مصدر تاريخى فى تاريخ الوزراء، ومن أدق المصادر التى أمدتنا بمادة وفيرة عن أحوال الدولة العباسية من الناحية السياسية والإدارية والمالية والاجتماعية. ولمعاصره محمد بن يحيى الصولى البغدادى (المتوفى ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) كتاب " الوزراء"[٣].

(٣) فى الكتاب والحجاب: وقد أرخ الكتاب بدورهم لأبناء صناعتهم، فمنهم: محمد بن أحمد بن الحسين بن حرون البغدادى (من مطالع القرن الرابع الهجرى)، له كتاب "الكتاب"[٤]. وصنف على بن عيسى بن داود الوزير (المتوفى٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) - الذى وزر ثلاث مرات للخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ - ٩٣٢م) - كتاب "الكتاب وسياسة الملك"[٥]. وصنف الصولى (توفى ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م).

كتاب "أدب الكاتب"[٦].

ولم يهمل المؤرخون فئة "الحجاب" بجانب الوزراء والكتاب، فكتبوا عنهم، ومن ذلك كتاب "الحجاب" لأحمد بن أبى طاهر طيفور البغدادى (المتوفى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[٧]. وهو الذى صنف "تاريخ بغداد" المذكور من قبل[٨].

(٤) القضاة: أقدم من صنف فى أخبارهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى نزيل بغداد (ت٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) فى كتابه " قضاة البصرة"[٩]. والهيثم بن عدى

---

١) الفهرست ص١٨٥ - ١٨٦.
٢) الفهرست ص١٨٤.
٣) الفهرست ٢١٥، وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٦، معجم الأدباء ١٩ / ١٠٩. وراجع عن الصولى (ص ٢٤٥) من هذا المبحث.
٤) الفهرست ٢١٢.
٥) المصدر السابق ص١٨٦.
٦) المصدر نفسه ص٢١٥، وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٦.
٧) الفهرست ص٢١٠.
٨) راجع عنه (ص ٢٤٧).
٩) الفهرست ٨٠، معجم الأدباء ١٩ / ١٦٢.

الكوفى نـــزيل بغداد (ت٢٠٦هـ/ ٨٢١م) فى كتابه " قضاة الكوفة والبصرة[١]. وصنف المدائنى البغدادى (المتوفى ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) " قضاة أهل المدينة " و" قضاة أهل البصرة[٢]. وهذه المؤلفات تتعلق بقضاة قطر معين. أما الكتب التى عالجت أخبار القضاة عامة فمنها: كتاب " أخبار القضاة " لأبى بكر أحمد بن كامل بن شجرة القاضى البغدادى (المتوفى٣٥٠هـ/ ٩٦١م) وكان من أصحاب ابن جرير الطبرى وعلى مذهبه فى الفقه[٣]. وكتاب " أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم " [مطبوع] للقاضى محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع (المتوفى ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)[٤]، استعرض فيه تاريخ القضاة فى مختلف الأمصار الإسلامية حتى عهده. وهو من أثمن الكتب فى هذا الباب، وسجل حافل لجانب من أهم الجوانب فى تاريخ الإسلام.

وأما عن " أدب القاضى " والشروط والخصال المعتبرة فيه فقد صنف فى ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/ ٨٣٦م)[٥].

(٥) الفقهاء: وفى أخبار الفقهاء (عامة) صنف كل من الواقدى نـــزيل بغداد (توفى ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، والهيثم بن عدى الكوفى البغدادى (ت٢٠٦هـ/ ٨٢١م)[٦]. وقد اتجه فقهاء كل مذهب إلى التصنيف فى تراجم فقهاء مذهبهم، وقد سبق الحنابلة غيرهم فى ذلك، فألف أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال البغدادى (ت٣١١هـ/ ٩٢٣م) كتاب "طبقات أصحاب أحمد بن حنبل"[٧]. ويدخل فى هذا الباب كتب مناقب الائمة الفقهاء أصحاب المذاهب، وهى كتب كثيرة، منها: كتاب "مناقب أبى حنيفة" لأبى العباس أحمد بن الصلت الحمانى البغدادى (ت٣٠٨هـ/٩٢٠م)[٨]، وكتاب "فضائل الشافعى" لداود بن على الأصبهانى البغدادى الظاهرى - مؤسس المذهب الظاهرى -

---

١) الفهرست ١٤٦، وفيات الأعيان ٦ / ١٠٧.
٢) الفهرست ١٥٢، معجم الأدباء ١٤ / ١٣٨.
٣) معجم الأدباء ٤ / ١٠٢ - ١٠٥.
٤) تاريخ بغداد ٢٣٦ - ٣٣٧، والفهرست ص١٦٦.
٥) معجم الأدباء ١٦/٢٦٠.
٦) الفهرست ص١٤٤، ١٤٦، معجم الأدباء ج ١٨ ص٢٨٢، ج ١٩ ص٣١٠، وفيات الأعيان ٦/١٠٧.
٧) المقصد الأرشد لابن مفلح (مخطوط) (ص ١٩/أ) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى٣/٣١٤ (ط دار المعارف).
٨) تاريخ بغداد ٤ / ٢٠٧.

(المتوفى ٢٧٠هـ/٨٨٣م)[١]، وكتاب "مناقب الشافعى " لأبى يحيى زكريا بن يحيى الساجى البغدادى (المتوفى٣٠٧هـ/ ٩١٩م)[٢].

(٦) وفى تراجم القراء: صنف أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى البغدادى (المتوفى ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) كتاب " أفواج القراء[٣]، ولعله أقدم كتاب فى تراجمهم. وألف محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرئ البغدادى (المتوفى٣٥١هـ/ ٩٦٢م) فى "تاريخ القراء"[٤].

(٧) وفى طبقات الزهاد والصوفية: " طبقات النساك " لأحمد بن محمد بن الأعرابى البصرى (ت٣٤١هـ/ ٩٥٢م)[٥]. و" الزهد وأخبار الزهاد " لأبى عبدالله محمد بن عمران المرزبانى الكاتب المعتزلى البغدادى (المتوفى ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)[٦]. وصنف أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمى النيسابورى نزيل بغداد (المتوفى ٤١٢هـ/ ١٠٢١م) كتابى " طبقات الصوفية " و"تاريخ الصوفية"، استفاد منهما الخطيب البغدادى فى مواضع كثيرة من كتابه " تاريخ بغداد"[٧].

(٨) وفى تراجم النحاة واللغويين: مصنفات كثيرة كتبها فى الغالب علماء النحو واللغة أنفسهم، وبذلك أرخوا لرجال صنعتهم، ومنها: "طبقات النحويين البصريين وأخبارهم" لمحمد بن يزيد المبرد البصرى نزيل بغداد (ت٢٨٥ هـ،/ ٨٩٨م)[٨]. وكتاب " أخبار النحويين " لابن درستويه البغدادى (ت٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)[٩] و"مراتب النحويين" لأبى الطيب عبد الواحد بن على البغدادى (المتوفى٣٥١هـ/٩٦٢م)[١٠]. وغير ذلك.

---

١) المصدر السابق ١٠ / ٤٤٩.
٢) المصدر نفسه ٢ / ٢٤٠.
٣) المصدر نفسه ٣ / ١٤٣، ٤ / ٨، ج ٥ / ٣٢٤.
٤) طبقات المفسرين للداودى ٢ / ١٣٢.
٥) موارد الخطيب فى تاريخ بغداد، للدكتور أكرم العمرى ص١٨٤.
٦) معجم الأدباء ١٨ / ٢٧٠.
٧) راجع: موارد الخطيب فى تاريخ بغداد للدكتور أكرم العمرى ص١٨٥ - ١٨٧.
٨) الفهرست ص٨٨.
٩) وفيات الأعيان ٣ / ٤٤ - ٤٥.
١٠) له ترجمة فى بغية الوعاة ص٣١٧ (ط القاهرة ١٣٢٦هـ)، الأعلام للزركلى ٤/ ٣٢٥ (الطبعة الثانية).

(٩) وفى طبقات الشعراء: صنف كل من المدائنى البغدادى[١](ت٢٢٥هـ) ومحمد بن سلام الجمحى البصرى (ت٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) [٢][وهو غير أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى المتوفى ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م]. وأبو عبد الله المرزبانى البغدادى (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) - له أكثر من كتاب فى أخبار الشعراء[٣]- والصولى (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)[٤]، وغير هؤلاء كثيرون[٥].

وهكذا يظهر لنا أن أهمية كتب التراجم فى دراسة التاريخ الإسلامى كبيرة وشاملة؛ حيث إنها تلقى ضوءاً على النظم السياسية والإدارية والمالية إذا كانت تتناول تراجم الخلفاء والوزراء والولاة والقضاة والكتّاب. وإن كانت تتناول تراجم أرباب العلوم والآداب من نحاة ولغويين وأدباء وفقهاء وقراء وحكماء وأطباء فهى تقدم معلومات وفيرة عن الحياة الثقافية. وإن تناولت الصوفية أو المتكلمين - كالمعتزلة - فإنها تعكس التيارات العقلية والروحية التى أثرت فى المجتمع الإسلامى، وهى - فى مجموعها - نبع لا ينضب من المعلومات عن الحضارة الإسلامية فى بغداد.

سادساً: كتب فى التاريخ الحضارى:

ولقد بلغ المجتمع الإسلامى فى القرنين (٣، ٤هـ) - وخصوصاً فى العاصمة العباسية بغداد) أَوْجَ تطوره وفاعليته الحضارية، مما أوجد حاجات فكرية مستجدة عليه، انعكست فى إنتاجه الفكرى، وفى الكتب التى ألفها الناس وتداولوها، وكلها تدور لحد كبير فى نطاق ما يمكن له تسميته بالتاريخ الحضارى. وقد فُتح على علم التاريخ باب واسعٌ من المعلومات من خلال الكتب التى تتحدث عن النظم الإدارية والمالية وكتب الفكر السياسى والثقافى والاجتماعى.

١- ففى التاريخ الإدارى: كتب المؤرخون العراقيون / البغداديون فى فنون الإدارة والقيادة، وعالجوا مواضيعها المتنوعة من خلال الكتب التى صنفت عن الخلفاء والوزراء وأمراء المدن والأقاليم والقادة والقضاة والكتّاب والحجّاب. وقد ذكرنا أمثلة عديدة من الكتب التى تحكى أخبار هذه الفئات، وما من شك فى أن هذه الكتب تتضمن معلومات مهمة عن المؤسسات الإدارية التى تقوم عليها الدولة.

---

١) معجم الأدباء ١٤ / ١٣٦.
٢) المصدر السابق ١٨ / ٢٠٤ - ٢٠٥.
٣) المصدر نفسه ١٨ / ٢٦٨ - ٢٧١.
٤) وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٦ - ٣٥٧.
٥) راجع تاريخ بغداد ٢ / ٣٤٢، ٣ / ٤٢٩، ٥ / ١٢٧، ٦ / ٢٨٤.

٢ – الشؤون المالية: وكان للتطور الاقتصادى الذى شهدته بغداد / العراق فى العصر العباسى خلال القرنين (٣، ٤هـ) أثر كبير فى نشوء وتطور الدراسات التاريخية الاقتصادية. وقد تطرقت تلك الدراسات إلى معالجة مختلف المسائل المالية، وخاصة العملة والسكة، إضافة إلى معالجتها لأحكام الأراضى والملكية الزراعية فى التاريخ الإسلامى، وذلك كله بسبب الازدهار الحضارى وازدياد واتساع حاجة المجتمع.

وكان موضوع " الخراج " من الأهمية فى النظام السياسى ومن المساس بتكوين الدولة وأوضاع الرعية ومن الضرورة العلمية والعملية لأصحاب الدواوين والكتاب وللناس بحيث تكاثرت فيه الكتب[١]بصورة واضحة، لاسيما فى القرن الرابع الهجرى، وذكر منها ابن النديم فى " الفهرست " ما يقرب من ثمانية عشر كتابا حتى عهده (النصف الثانى من القرن الرابع)[٢]، وأغلب من صنفها كانوا من الكتاب والفقهاء العراقيين. ورغم صلة كتب الخراج الوثيقة بالفقه فإنها تتناول جانبا من النظم الإسلامية، وتلقى ضوءا على الحياة العملية، وتعكس المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى واجهتها الدولة الإسلامية فى العصر العباسى.

ومن أمثلة هذه الكتب: كتاب " الخراج " لأبى يوسف قاضى القضاة [فى خلافة هارون الرشيد] (المتوفى ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٣]. وكتاب " الخراج " ليحيى بن آدم القرشى البغدادى (المتوفى ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)[٤]، ومثله للأصمعى عالم اللغة البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢١٦هـ/ ٨٣١م)[٥]وصنف عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الكاتب وزير الخليفة المتقى (٣٢٩ - ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ - ٩٤٤م) كتاب " الخراج " كبير، وله كتاب تاريخى هام فى هذا الموضوع أيضا وهو " سيرة أهل الخراج وأخبارهم وأنسابهم فى القديم والحديث[٦].

ومن أفضل الكتب فى هذا الباب: كتاب " الخراج وصنعة الكتابة " لقدامة بن جعفر البغدادى الكاتب (المتوفى ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)[٧]وإذا استعرضنا مضمون الكتاب فسنجد أن مؤلفه رتبه على ثمانى منازل، خصص كل منزلة منها لبحث موضوع محدد ومستقل عن

---

١) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٣٢٢ - ٣٢٣.
٢) راجع الفهرست من ص١٧٦ - ٢٠٠ تحت عنوان " أسماء الكتاب " وراجع التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى ١ / ٣٢٣ - ٣٢٥.
٣) الفهرست ٢٨٦.
٤) الفهرست ٣١٧، تاريخ بغداد ٨ / ١٦٥.
٥) الفهرست ٨٢.
٦) الفهرست ص١٨٦.
٧) المصدر السابق ١٨٨، معجم الأدباء ج ١٧ ص١٢ - ١٣.

غيره. وقد أفاض فى الحديث عن دواوين الدولة (الجيش - المظالم - البريد - النفقات - بيت المال - الرسائل... الخ) وتحدث عن جغرافية الأرض وثغور الدولة الإسلامية والأمم المحيطة بها، كما تكلم عن وجوه الأموال وكيفية جبايتها وتوزيعها ووجوه صرفها فى الدولة الإسلامية (كالفئ والجزية والصدقات والمواريث وأخماس الغنائم، وإحياء الأرض، وعن القطائع والصفايا والمعادن والركائز والمال المدفون وما يخرج من البحار...)، وأفرد بابا فى علم الاجتماع وآخر فى علم السياسة، فتحدث عن شؤون المجتمع الإنسانى وأسباب قوته وعوامل ضعفه وتدهوره، واستعرض نظم الحكم فى البلاد وما ينبغى أن يكون عليه الحكام ومعاونوهم وما يجب عليهم، وعلاقتهم بالرعية.

وفى المسائل المالية صنف أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) كتاب " الأموال"[١]، وهو من أهم الكتب التى وصلتنا فى موضوعه. وصنف على بن محمد المدائنى البغدادى (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) كتاب " الدرهم والصرف " وكتاب " المراعى والجراد ويحتوى على الكسور والطساسيج[٢] وجباياتها"[٣]، وصنف الواقدى البغدادى (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) كتاب " ضرب الدنانير والدراهم"[٤]. وكتب القاضى محمد بن خلف ابن حيان البغدادى المعروف بوكيع (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) كتاب "المكاييل والموازين" وكتاب "التصرف والنقد والسكة"[٥]. كما أن المؤلفين فى "الفتوحات الإسلامية" لم يهملوا هذه المسائل كما فعل البلاذرى فى كتابه " فتوح البلدان ".

٣- الفكر السياسى: وقد كتبت منذ القرن الثالث الهجرى عدد من الكتب الفكرية السياسية ذات جذور ومستند من التاريخ الإسلامى؛ أى أن الرابطة التى كانت تربط هذه الكتب بالتاريخ هى الأمثلة العديدة التى كانت تلتقط من التاريخ حسب المناسبات للتدليل على صحة الآراء المقترحة، وكانت تشتمل أحيانا على مختصرات للتاريخ الإسلامى. وهذه المؤلفات تهدف إلى هداية الملوك والأمراء فى الحكم على الأساس الإسلامى. وقد سميت أحيانا بـ " آداب السلطان "، وأحيانا بـ " سياسة الملوك "، «ويزعم مؤلفوها وضع نظرية سياسية

---

١) المصدر نفسه ١٠٦، تاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٥، ٤١٣، معجم الأدباء ١٦ / ٢٦٠.

٢) قال ابن منظور فى لسان العرب (طسج): «الطسوج: الناحية. والطسوج: حبتان من الدوانيق، والدانق: أربعة طساسيج، وهما معربان. وقال الأزهرى: الطسوج: مقدار من الوزن. ويقال: واحد من طساسيج السواد»، ويطلق اسم السواد على الأرض المزروعة فى إقليم العراق.

٣) الفهرست ص١٥٢، معجم الأدباء ١٤ / ١٣٨.

٤) الفهرست ص١٤٤، معجم الأدباء ١٨ / ٢٨٢.

٥) تاريخ بغداد ٥ / ٢٣٧، الفهرست ص١٦٦.

تطبيقية متكاملة أو شبه متكاملة على أساس من العقيدة الإسلامية لسياسة الحكم. على أن هذه الكتب ظلت جميعها فى إطار النصيحة والموعظة، و لم تجاوزها إلى إيجاد النظرية السياسية الكاملة، وظلت فى حدود التعليمات النظرية لم تحاول اختراقها إلى الواقع العملى واقتراح المؤسسات» [١].

ومن المصنفين فى الفكر السياسى الإسلامى فى القرنين (٣، ٤هـ) بالعراق / بغداد: سهل بن هارون بن راهبون الدستميسانى (المتوفى٢١٥هـ/ ٨٣٠م) وهو كاتب بليغ حكيم كان قائما على خزانة الحكمة ببغداد فى خلافة المأمون، وله كتاب "تدبير الملك والسياسة[٢]. وصنف الفتح بن خاقان البغدادى (المتوفى ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) - وزير المتوكل العباسى - كتاب " أخلاق الملوك"[٣]. وصنف ابن أبى طاهر طيفور (المتوفى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) - صاحب " تاريخ بغداد " - صنف كتاب " خبر الملك العالى فى تدبير المملكة والسياسة[٤]. وللجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) كتاب "التاج فى أخلاق الملوك " [مطبوع]، وهو - وإن كان أكثره من التاريخ الإسلامى والفارسى - فإنه يتضمن أفكارا وآراء قيمة لتنظيم علاقة الملك بالحاشية والناس. وقد أهداه للفتح بن خاقان الوزير المذكور قبل قليل.

ويستمر التأليف فى الفكر السياسى حتى جاء الماوردى أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (المتوفى ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) فألف كتاب "الأحكام السلطانية والولايات الدينية " (مطبوع)، وهو من أفضل الكتب فى الفكر السياسى الإسلامى. وله أيضا كتاب " سياسة الملك"[٥]، ثم تكاثرت أمثال هذه المؤلفات فيما بعد.

٤- وأهم ما ساهم به العراقيون فى **تأريخ الثقافة والفكر العربى** الإسلامى كتاب "الفهرست" لأبى الفرج محمد بن إسحق المعروف **بابن النديم**، الوراق البغدادى (المتوفى فيما بين ٣٨٥هـ/ و٣٩٠هـ)، وهو أجمع كتاب لمختلف المؤلفات التى عرفها الفكر العربى حتى عهده (آخر القرن الرابع الهجرى) «وكان الهدف من هذا العمل هو حصر وتسجيل ووصف

---

١) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٣٣١.

٢) راجع الفهرست ١٨٢، معجم الأدباء ٤ / ٢٥٨، الأعلام للزركلى ٣ / ١٤٣. وراجع ما ذكرناه عنه فى الفصل الخاص بعلوم اللغه والآدب (ص ٢٢١).

٣) هدية العارفين ج ٢ ص٨١٤.

٤) معجم الأدباء ٣ / ٩١.

٥) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٢-٢٠٣، معجم الأدباء ١٥ / ٥٢-٥٥، سير أعلام النبلاء ١٨/٦٤-٦٧، وفيات الأعيان ٣/٢٨٢-٢٤٨، كشف الظنون ٢ / ١٠١١، ١٣١٥.

الكتب التى ورقت فى العالم الإسلامى باللغة العربية فى القرون الأربعة الأولى للهجرة، سواء كانت مؤلفة أو مترجمة. وقد اقتضى الحصر الحديث عن المؤلفين أنفسهم، كما تطلب تصنيف الإنتاج الفكرى معالجة فروع المعرفة وتأطيرها وشرح محتويات كل فرع. ومن هنا جاء " الفهرست " قائمة ببليوجرافية إقليمية مشروحة، ومعجم تراجم، ودائرة معارف»[١]. وقد بلغ عدد الكتب التى حصرها ابن النديم نحو ثمانية آلاف وخمسمائة كتاب (٨٣٦٠ عنوانا على وجه الدقة)، أما عدد المؤلفين فيدور حول ألفى مؤلف بشتى أنواع التأليف (٢٢٣٨ على وجه الدقة)، ويدخل فى عدد الكتب الكتاب ذو المائة جزء أو مجلد واحد، والرسالة ذات العشر ورقات، والمقالة ذات الخمس ورقات فأقل[٢]. وتشمل علوم الدين والعربية، وفى علوم الفلسفة والعلوم القديمة والمذاهب، كلها موزعة على مقالات وفنون.

ومن المؤكد أن ابن النديم استفاد من مكتبة بيت الحكمة ببغداد فائدة كبرى هى وغيرها من المكتبات الرسمية فى بغداد، وفى الفهرست إشارات عديدة إلى ذلك[٣]، وقد ذكر ابن النديم أن بعض مكتبات بغداد بخلاف بيت الحكمة بلغت مجموعاتها أكثر من مائة ألف مجلد، كلها جيدة النسخ والتجليد، وكان من بينها «ستة آلاف مجلد وخمسمائة فى علمى الفلك والطب وحدهما»[٤]

والحق أن كتاب ابن النديم يعد وثيقة شاملة تبين ما وصل إليه المسلمون من رقى وتقدم فى حياتهم العقلية والعلمية فى العصر العباسى. والناظر فيه يعجب لهذا النشاط العلمى الذى كان فى ذلك العصر، وكثرة المؤلفات والمترجمين فى جميع نواحى العلم، غير أن أكثر الكتب التى وصفها ابن النديم ضاعت بتوالى النكبات على الدولة الإسلامية: ولا سيما فى غزو التتار بغداد (٦٥٦ هـ /١٢٥٨م)، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها كما ضاعت معالمها. ومن الجدير بالذكر أن العراقيين كان لهم الحظ الأوفر من تأليف الكتب التى ذكرها ابن النديم فى كتابه.

٥- ويدخل فى باب الكتب التاريخية الحضارية **كتب الديارات** التى كانت تتضمن كثيرا

---

١) د. شعبان عبد العزيز: الفهرست لابن النديم دراسة بيوجرافية ببلوجرافية ببليو مترية - بحث منشور بمجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر / السنة الثالثة - ع٣ (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ص١٥٤ - ١٥٥.

٢) د. شعبان عبد العزيز: المقال السابق ص١٥٥.

٣) المقال نفسه ص١٥١.

٤) إبراهيم الإبيارى: الفهرست لابن النديم - مجلة تراث الإنسانية المجلد ١٣، العدد الأول (ص ١٩٣ -٢٠٩).

من صور الحياة الاجتماعية، ومن أمثلتها: كتاب "الديارات" لأبى الفرج الأصفهانى البغدادى صاحب كتاب الأغانى (المتوفى ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)[١]. ومن أشهر هذه الكتب "الديارات" لأبى الحسن على بن محمد المصرى المعروف بالشابشتى (المتوفى ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)[٢]، وفيه من الأخبار والأحداث التاريخية ما لو استخلص لكان مؤلفا فى التقاليد والمظاهر الاجتماعية، وفى أنباء الموسيقى والغناء، والطعام واللباس، وأساليب العيش، وتراجم الأدباء والوزراء والندماء والمغنين، فضلا عن قيمته البلدانية والأدبية. وقد كان حظ مدن العراق من مادة هذا الكتاب واسعا.

ولم تكن الكتب المتعلقة **بالغناء والموسيقى والطرب** بأقل من ذلك انتشارا فى العراق فى (فترة البحث). وإذا نحن تركنا جانبا ذلك الكتاب الضخم الذى ألفه أبو الفرج الأصفهانى البغدادى فى " الأغانى " - وهو تراث كامل فى تاريخ هذا الفن غطى به على المؤلفات الأخرى - فإن المؤلفات فى الغناء وتاريخه وفى الطرب والطنبورين كثيرة، ويأتى فى مقدمتها كتب إسحق بن إبراهيم الموصلى البغدادى (المتوفى ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، وهو من العلماء باللغة والأشعار والأخبار، وكان بارعا فى الغناء فغلب على جميع علومه ونسب إليه. وأهم كتبه فى الغناء: كتاب " الأغانى " يروى فيه أخبار المغنين واحدا واحدا. وله أيضا ما يزيد على عشرة كتب فى أخبار مشاهير المغنين ذكرها ابن النديم. وله كتاب "الاختيار من الأغانى " ألفه للخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ/ ٨٤١ - ٨٤٦م)[٣].

وصنف حسن بن موسى النصيبى كتاب " الأغانى " مرتبة على حروف المعجم وأهداه للمتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٦١م)[٤]. ولأبى عبدالله المرزبانى البغدادى (المتوفى ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) كتاب " أخبار المغنين"[٥]. وكتب قريض الجراحى المغنى البغدادى (المتوفى ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) كتابا فى "صناعة الغناء وأخبار المغنين" يقع فى نحو ألف ورقة، ولم يتمه[٦].

---

١) الفهرست ص١٦٦ - ١٦٧.

٢) عنى بنشره وتحقيقه كوركيس عواد - مطبعة المعارف / بغداد ١٩٥١ م. وللشابشتى ترجمة مفصلة ذكرها كوركيس عواد فى مقدمة التحقيق.

٣) راجع الفهرست ص٢٠٢، تاريخ بغداد ٦ / ٣٣٨، وفيات الأعيان ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣ والأغانى ج ١٧ ص١٢ وما بعدها.

٤) الفهرست ص٢٠٨.

٥) معجم الأدباء ج ١٨ ص٢٧٢.

٦) الفهرست ص٢٢٢.

تعقيب: تلك هى أهم المجموعات التى تندرج تحتها المؤلفات التاريخية (السيرة - التاريخ العام - التواريخ المحلية - الأنساب - التراجم - التاريخ الحضارى). وقد كان من الملاحظ تعدد المواضيع المطروقة التعدد الواسع، وتنوع المعلومات التاريخية، وتضخم عدد المؤلفات، وكأن هناك شعورا عاما بأن كل شئ يستحق أن يسجل ويؤرخ له، رغم أننا لم نذكر إلا غيضا من فيض، وفى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين، ولمؤلفين أغلبهم عراقيون، وبعضهم ممن استقطبتهم بغداد من علماء الأقاليم الأخرى.

وكان من الملاحظ أيضا تكاثف عدد المؤرخين العراقيين / البغداديين، وخاصة فى القرن الرابع الهجرى الذى يمكن أن يعتبر فترة الأوج والنضج فى مركز الحضارة الإسلامية بغداد، وإن كثرة الفنون والأنواع التأريخية التى ظهرت فيه إنما كانت نتيجة التطلع العلمى الموسوعى الذى طبع بطابعه ذلك القرن.

وصحيح أن الأسماء اللامعة والهامة من المؤرخين العراقيين / البغداديين فى تلك الفترة (ق ٣، ٤هـ) كانت تضم جماعة واسعة من الفقهاء وعلماء الحديث، لكنا نجد بجانب هؤلاء مجموعات أخرى: وهم علماء الأدب واللغة والشعر، وأكثرهم - إن لم يكن كلهم - عراقيون. ولعلنا نلاحظ ذلك فى سياق عرضنا السابق. وهذه المجموعة قدمت الكثير لعلم التاريخ، وزودته بالروايات الأولية التى دخلت فى صلب هذا العلم، وخدمت التدوين التارخى خدمة هامة: ومن ثم فقد كان طبيعيا أن نجد بين كبار اللغويين والأدباء من كانوا فى الوقت نفسه من الأخباريين، خصوصا فى نهاية (ق ٢هـ) ومطلع (ق٣هـ)، مثل أبى عبيدة معمر ابن المثنى والأصمعى وغيرهما. ولم ينقطع نشاط هذه المجموعة فيما بعد، وإنما ظلت جهودهم متصلة فى التأليف التاريخى خلال (ق٤هـ)، خاصة فيما يتصل بكتب التراجم التى تؤرخ لرجال صنعتهم.

وقد انضم إلى جوار المؤرخ والفقيه والمحدث واللغوى فى مجال التأليف التاريخى مجموعة أخرى قدمت الكثير من الإنتاج فى هذا المجال على اختلاف أنواعه وفنونه، وخاصة التاريخ السياسى والحضارى، وهم كبار الموظفين فى بغداد من عمال الدواوين والكتاب وحتى الوزراء. ويأتى فى طليعة هذه المجموعة: مسكويه (المتوفى ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) والصولى (المتوفى ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) وثابت بن سنان بن قرة (المتوفى ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) وغيرهم ممن ذكرنا أسماءهم فى سياق عرضنا السابق. وقد عرفوا بالتمكن فى علم الأدب والبلاغة وفنون الكتابة الأدبية، كما كانوا «من ذوى شأن خاص فى النظام السياسى فى بغداد، وعلى اطلاع أكثر من غيرهم على دخائل الأحداث، كما كانت تحت أيديهم محفوظات الدولة ووثائقها، وكان بعضهم هو من صانعى تلك الأحداث وكتاب تلك الوثائق، وكان فى ذلك كله ما

يغرى الكثير منهم بكتابة التاريخ»[١].

ولقد كان طبيعيا أن تكون بغداد - بسبب من مكانتها السياسية والدينية والعلمية - أكبر مركز للتدوين التاريخى فى المشرق الإسلامى منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى، لأنه ما من عالم كبير إلا رحل إليها فى طلب العلم، أو قصدها ليشتهر ويعرف على نطاق أوسع. ويمكن القول: إن ثلاثة أرباع المؤرخين فى القرنين المذكورين كانوا من بغداد، أو كانوا على صلة مباشرة بها بشكل أو بآخر. وإذا كان تدوين التاريخ قد بدأ فى الإسلام فى أقاليم محددة كونت لنفسها مدارس خاصة فإن مدرسة (بغداد / العراق) - وفى القرن الثالث خاصة - ابتلعت تلك المدارس واستقطبتها، مثل مدرسة المدينة والشام وخراسان وغيرها، رغم أنها كانت تتمتع بمركز علمى ضخم، غير أنها لم تنافس بغداد فى مجال التاريخ ولا فى مجالات علمية أخرى.

وليس عجيبا أن نرى أن كافة المؤرخين الكبار فى القرنين (٣، ٤هـ) ذوى السمعة التاريخية المعروفة والآثار الضخمة الباقية - وفى مقدمتهم ابن جرير الطبرى البغدادى - إنما كانوا عراقيين: ذلك أن (بغداد / العراق) كانت تلخص وتمثل فكر وثقافة العالم الإسلامى كله، ومن ثم كانت تطبع بطابعها العلمى مختلف العلماء الذين كانوا يؤمونها من كل صوب، فتوحد مواردهم ومنازعهم العلمية. وقد كان كتاب " تاريخ بغداد " - مثلا - النموذج الذى نسج على منواله علماء الأقاليم الأخرى: كابن عساكر الدمشقى (المتوفى٥٧١هـ/ ١١٧٥م) فى كتابه " تاريخ دمشق " وابن العديم (المتوفى٦٦٠هـ/١٢٦٢م) فى كتابه " زبدة الحلب فى تاريخ حلب ". كما كانت تواريخ الطبرى ومسكويه وغيرهما من المؤرخين البغداديين هى النماذج التى تابعها وقلدها كثير من المؤرخين المتأخرين.

وإلى هنا نكون قد أعطينا صورة واضحة للنهضة العلمية التى شهدتها بغداد فى مجال التدوين والتأليف التاريخى. ولقد كان لهذه النهضة التأثير المباشر على الحياة الثقافية فى قرطبة / الأندلس، واستطاع المؤرخون ورجال العلم فى الأندلس - بما جلبوه من (بغداد / المشرق) من كتب فى هذا العلم على اختلاف تنوعها - أن يحاكوا مناهجها، ويؤلفوا على منوالها، بل ومثلت لهم موارد مهمة فى كتبهم التى صنفوها فى موضوعات تاريخية شتى. وسوف نبرهن على صحة هذه المقولة فى الفصل الخاص بهذا الموضوع إن شاء الله.

وننتقل الآن إلى علم آخر مرتبط بالدراسات التاريخية - وهو علم الجغرافيا - لنرى طبيعة ما وصلت إليه بغداد من تقدم فى هذا الميدان الحضارى.

* * * *

١) التاريخ العربى والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى ج ١ ص٢٧٦.

الفصل الثانى
الدراسات الجغرافية

يعد لفظ " جغرافيا " من الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية: فهى كلمة يونانية، ومعناها "صورة الأرض" أو " رسم الأرض ". ويعرف هذا العلم عند العرب " بتقويم البلدان"[١]، ويقوم على الرحلات إلى الأقطار والبلدان المختلفة ودراسة تضاريسها ووديانها وأنهارها وخلجانها وحدودها وجبالها وسهولها، ومشاهدة عادات سكانها ومعتقداتهم وثرواتهم ومواصلاتهم، والتعرف على مناخ تلك البلاد ومواقع مدنها الكبرى وأهميتها من مختلف النواحى الاقتصادية والصناعية، ثم تدوين ذلك كله بعد تحليله على أساس علمى سليم[٢].

والمسلمون بحكم فتوحاتهم ولعوامل تتصل بالتجارة وطلب العلم والحج وجهوا الكثير من عنايتهم لعلم الجغرافيا، واتصلوا بالعلم الخارجى، «وظهر فيهم جغرافيون عالميون وضعوا من المؤلفات ما زاد فى ثروة البشر العلمية زيادات أدت إلى تقدم الجغرافيا خطوات فاصلات» [٣]. واستطاعت أوربا الإفادة منها وتطويرها.

جهود العراقيين فى الدراسات الجغرافية خلال القرنين (٣، ٤هـ):

بداية التأليف الجغرافى على يد اللغويين العراقيين[الجغرافيا الخاصة بجزيرة العرب]:

وإن أقدم ما دونه المسلمون مما له علاقة بمسائل الجغرافيا تلك الكتب التى صنفها اللغويون العراقيون بهدف لغوى وبمنهج لغوى، حيث عنوا بتحديد البقاع والبلدان الكثيرة الواردة فى أدب الجاهليين والإسلاميين وأحاديث الرسول وآى القرآن الكريم، وعالجوها معالجة لغوية أدبية. وتكاد تنحصر هذه المؤلفات - أو جلها - فى وصف جزيرة العرب وما فيها من أعلام جغرافية، بحيث يمكن أن نسمى ما كتبوه "بالجغرافيا الخاصة"[٤].

---

١) حاجى خليفة: كشف الظنون ج ١ ص٥٩٠ (ط دار العلوم الحديثة / بيروت / لبنان)

٢) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ص١١٠ (دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص٦٨ (مكتبة مصر بالفجالة).

٤) الذى أطلق على هذه الكتب اسم (الجغرافيا الخاصة) هو العلامة بهجة الأثرى فى بحث له عن "الجغرافيا عند المسلمين " - مجلة المجمع العلمى العراقى - المجلد الثانى ١٩٥٢ م.

ولعل أقدم من يعرف له كتاب فى ذلك من طائفة اللغويين: خلف بن حيان الأحمر الكوفى (المتوفى حدود١٨٠هـ/٧٩٦م)، له كتاب " جبال العرب وما قيل فيها من الشعر"[١]، و أبو الوزير عمر بن مطرف (المتوفى فى عهد هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ)، له كتاب "منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم وإلى أين انتقل منها"[٢]. وصنف النضر بن شميل التميمى البصرى نـزيل بغداد (المتوفى ٢٠٣هـ/ ٨١٨م) كتاب "الجبال"[٣]. وصنف أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى نـزيل بغداد (المتوفى٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) كتاب "الحرات" وكتاب "مكة والحرم"[٤]. وللأصمعى عبد الملك بن قريب البصرى نـزيل بغداد (المتوفى ٢١٦ هـ/ ٨٣١م) من الكتب: " مياه العرب " و" جزيرة العرب"[٥]، والكتاب الأخير كثيرا ما ينقل عنه ياقوت الحموى فى "معجم البلدان"[٦]. وصنف أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى البغدادى (المتوفى ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) كتاب "المناهل والقرى"[٧]. وصنف أبو على الحسن بن عبدالله الأصفهانى المعروف بـ "لغدة" المقيم بالعراق (وكان معاصرا لأبى حنيفة الدينورى المتوفى ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) صنف كتاب "بلاد العرب" أو "جزيرة العرب"[٨]وعول فيه على المشاهدة والعيان، لا على مجرد الرواية أو النقل من الكتب، وعنى بذكر الثروة المعدنية فى كل الجزيرة العربية عناية تفوق من وصفها من الجغرافيين البلدانيين كالهمدانى فى كتابه "صفة جزيرة العرب"[٩]. هذه بعض المصنفات الجغرافية التى عنيت بوصف جزيرة العرب، وهى كتب لغوية قصد فيها مؤلفوها جمع المادة اللغوية كما ذكرنا. ويلاحظ أن مؤلفيها من علماء اللغة العراقيين ومن أهل القرن الثالث الهجرى. وبعد هذا القرن لم تنقطع الصلة بين اللغة والجغرافيا، وإنما استمر اللغويون والمتأدبون من أهل القرن الرابع فى تأليف الكتب من هذا النوع[١٠].

---

١) الفهرست ص٧٤، إنباه الرواة للقفطى ج ١ ص٣٥٠.
٢) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص٧١ - ٧٢.
٣) فؤاد سركين: تاريخ التراث العربى - المجلد ٨ ج ١ ص٩٥.
٤) الفهرست ص٨٠ وفيات الأعيان ٥ / ٢٣٩، والحرات: مفردها "حرة " وهى الصخور السوداء البركانية التى تكثر فى جهات جبلية من جزيرة العرب (اللسان: حرر).
٥) الفهرست ص٨٢، ٨٣، تاريخ التراث العربى لسركين مج ٨ ج ١ ص١٢٥ - ١٢٦.
٦) د. حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص١٢٠ - ١٢١.
٧) الفهرست ص١١٧، معجم الأدباء ٣ / ٦٢ - ٦٤، إنباه الرواة ١ / ٢٩١ - ٢٩٣.
٨) معجم الأدباء ٣ / ٨١ - ٨٤، إنباه الرواة ٣ / ٤٣، تاريخ التراث العربى مج ٨ ج ١ ص٢٩٩.
٩) راجع مقالا لمحمد بن رضا الشبيبى بعنوان: أقدم مخطوط وصل إلينا عن بلاد العرب - مجلة المجمع العلمى العراقى، المجمع الأول ١٩٥٠ م / ١٣٦٩ هـ - ص٣٩ - ٤٥.
١٠) لمعرفة المزيد من كتب الجغرافيا اللغوية يرجع إلى كتاب المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ١١٩-١٣٧، وفهرست كتاب تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين (المجلد٨) الجزء الثانى.

المؤلفات الجغرافية لهشام الكلبى (المتوفى ٢٠٦هـ/ ٨٢١م):

وهناك عالم عراقى كبير - من الكوفة وذاعت مؤلفاته فى بغداد - يمثل ظاهرة نادرة بين لغوي ذلك العهد بما اتصف به من اتساع الأفق: ذلك أن أغلبهم اكتفى بوضع ملخصات لغوية عن جزيرة العرب، أما هو فقد كتب فى موضوعات جغرافية عامة تتجاوز نطاق الجزيرة العربية. وهذا العالم هو المؤرخ هشام بن محمد بن السائب الكلبى (المتوفى٢٠٦هـ/ ٨٢١م). ومن بين العدد الضخم من مؤلفاته يذكر ابن النديم فى "الفهرست" عشرة منها فى الجغرافيا. وإذا كانت له مؤلفات تتعلق بجزيرة العرب على نمط اللغويين — مثل "كتاب تسمية من بالحجاز من أحياء العرب" - فثمة أخرى تعالج موضوعا أوسع من ذلك: فلديه كتاب "الأقاليم" و"كتاب البلدان الصغي" وكتاب "البلدان الكبير" وكتاب "العجائب السبعة"[١]. والذى يؤكد ما ذهبنا إليه تلك الاقتباسات التى ينقلها عنه ياقوت الحموى مشيرا فى العادة لابن الكلبى إلى كتاب "أنساب البلدان"، والمقصود به فى أغلب الظن كتاب "اشتقاق البلدان" الذى ينسبه ياقوت إلى ابن الكلبى فى مقدمة "معجم البلدان"[٢]. وهذه الاقتباسات تمس بعض المدن خارج جزيرة العرب، مثل الكوفة والرها والمخرم (قرب بغداد) والنهروان[٣].

الدراسات الجغرافية فى مؤلفات الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

وتقدم لنا مؤلفات أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) - والبالغ عددها أكثر من (٣٦٠) ثلاثمائة وستين كتابا ورسالة - مادة جغرافية ضخمة، خاصة فى كتابه " الحيوان " الذى يحفل بكثير من المعلومات فى الجغرافية الحيوانية والإثنوجرافيا[٤]، على الرغم من غلبة الموضوعات الأدبية عليه. وإن هذا الكتاب يمثل معلمة واسعة وصورة لثقافة العصر العباسى المتشعبة.

---

١) الفهرست ص١٤٢.

٢) معجم البلدان لياقوت ج ١ ص١١.

٣) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص١٢٦ - ١٢٧، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم (طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية).

٤) الإثنوجرافيا: كلمة معربة تعنى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة. وبعبارة أخرى: وصف طبائع البلدان وخصال أهلها وأسلوب حياتهم (راجع: أدب الرحلات (ص٤٩-٥٠) للدكتور حسين محمد فهيم - سلسلة عالة المعرفة - المجلس الأعلى للثقافة بالكويت - العدد رقم ١٣٨).

وللجاحظ كتاب آخر عن صفات ومحاسن الحواضر الكبرى، يدور الكلام فيه عن مواطنيها أكثر مما يدور عن البلاد نفسها، ويتحدث فيه عن البصرة والكوفة وبغداد ودمشق ومصر والفسطاط والرى ونيسابور وبلخ وسمرقند. وهذا الكتاب يطلق عليه المسعودى اسم "الأمصار وعجائب البلدان"[١]، ويقابلنا أحيانا بعنوان "كتاب البلدان"[٢]، وأشار إليه الثعالبى باسم "خصائص البلدان[٣]ونشره الأستاذ عبد السلام هارون فى مجموعة رسائل الجاحظ باسم "الأمصار" أو "الأوطان والبلدان"[٤]. وقد كان لهذا الكتاب تأثير مباشر على الجغرافيين اللاحقين، فنقلوا عنه وقدروه حق قدره كابن حوقل فى كتابه "صورة الأرض = المسالك والممالك"، وابن الفقيه فى كتابه "تقويم البلدان" والمسعودى فى "مروج الذهب"، وهذا الأخير قال عنه: «كتاب فى نهاية الحسن، وإن كان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار، ولا تقرا الممالك والأمصار»[٥].

وصنف الجاحظ كتابا آخر يدل على اهتمامه الواسع بالجغرافيا، ويمثل على وجه العموم أهمية كبرى بالنسبة للتاريخ الحضارى للعالم الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى، كما يمكن أعتباره أول محاولة فى الجغرافيا الاقتصادية، وهو كتاب " التبصر بالتجارة"[٦]. وينقسم إلى بضعة أبواب تعالج السلع التجارية المختلفة وأسعارها ومزاياها. ومن أحسن أبوابه: باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك، ويرد فيه ذكر للبلاد الشمالية كخوارزم وبلاد الخزر والبلغار. ويذكر حسن حسنى عبد الوهاب (محقق الكتاب) من خلال المقارنات التى أجراها أن ابن الفقيه فى كتابه " تقويم البلدان " مدين بقدر غير قليل لرسالة الجاحظ هذه[٧].

---

١) المسعودى: مروج الذهب ج ١ ص٢٠٦.
٢) ياقوت: معجم البلدان ج ٦ ص٧٧.
٣) الثعالبى: ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص٤١١، ٤٣٨ (ط القاهرة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).
٤) رسائل الجاحظ، الجزء الرابع (ط مكتبة الخانجى، القاهرة).
٥) مروج الذهب ج ١ ص٢٠٦ - ٢٠٧. وراجع كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى ج ١ ص١٢٩ - ١٣٠.
٦) عنى بنشره وتصحيحه الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب التونسى (دمشق ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).
٧) راجع مقدمة تحقيق التبصر بالتجارة (ص ٣)، وراجع أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ص٢٤١ (ط ليدن ١٩٠٦م)، تاريخ الأدب الجغرافى العربى لكراتشكوفسكى ج ١ ص١٣٠.

التوسع فى التأليف الجغرافى (الجغرافيا الإقليمية الوصفية):

لم يبق الميدان فى التأليف الجغرافى خاليا للغويين وحدهم، وإنما وجد معهم جماعات لا يمتون إليهم بصلة عنوا بوصف البقاع والبلدان التى ربما لم يسمع عنها اللغويون، وتناولوها تناولا مختلفا اختلافا كبيرا فى الهدف والمنهج، فما كانوا ليعنوا بدراسة اللغة العربية، وإنما اتخذوا تحديد البقاع والبلدان علما قائما بذاته، واطلعوا على كتب أهل الحضارات الأجنبية القديمة التى تسمى ذلك البحث باسم " الجغرافية " وأفادوا منها. وهذا الفريق الأخير يسمون أنفسهم " الجغرافيين " و" أصحاب المسالك والممالك ". وتعد كتبهم من مصنفات الجغرافية الوصفية التى تعنى بوصف أقاليم العالم الإسلامى والممالك والأصقاع المتاخمة له، ووصف الطرق الكبرى التى تربط هذه الأقاليم بعضها ببعض، وبيان أحوال المدن الطبيعية والبشرية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، «وهذه الكتب تعادل فى أيامنا هذه ما يعرف بالجغرافية الإقليمية إلى حد كبير، لأنها تبحث فى الجغرافيا الطبيعية والبشرية وما يتصل بهما من منظور إقليمى، وهذا المنهج يمثل الجغرافية فى صورتها الحقيقية»[١].

وقد أشار ياقوت الحموى فى مقدمة "معجم البلدان" إلى وجود هذين الفريقين - الجغرافيين البلدانيين واللغويين - المغايرة بينهما حين قال: «صنف المتقدمون فى أسماء الأماكن كتبا، وبهم اقتدينا، منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلاد المسكونة المشهورة، ومنها ما قصد به ذكر البوادى والقفار، واقتصر على منازل العرب الواردة فى أخبارهم والأشعار. فأما من قصد ذكر العمران فجماعة وافرة، منهم من القدماء والفلاسفة والحكماء: أفلاطون وفيثاغورس وبطليموس وغيرهم كثير من هذه الطبقة، وسموا كتبهم فى ذلك جغرافيا... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التى ذكرت فيها، وأبهم علينا أمرها وعدمت لتطاول الزمان فلا تعرف. وطبقة أخرى إسلاميون سلكوا قريبا من طريقة أولئك من ذكر البلاد والممالك، وعينوا مسافة الطرق والمسالك وهم: ابن خرداذبة وأحمد بن واضح (اليعقوبى) والجيهانى وابن الفقيه. وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب وهم أبو سعيد الأصمعى....»[٢].

وفيما يلى عرض موجز لأبرز الجغرافيين العراقيين ومؤلفاتهم فى الجغرافيا الوصفية (كتب المسالك والممالك - البلدان) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين:

---

١) راجع بحثا بعنوان "جغرافية الحضر — دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين فى تطويرها" للدكتور وليد عبد الله عبد العزيز المنيس — حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الحادية عشرة، الرسالة الخامسة والستون ١٤١٠هـ (١٩٨٩م) (ص ٣١).

٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان ج ١ ص٦.

أولا: فى القرن الثالث الهجرى:

وأول من صنف كتابا فى " المسالك والممالك " - كما يقول ابن النديم وينقل عنه ياقوت الحموى - هو أبو العباس جعفر بن أحمد المروزى. وكتابه لم يتم، وقد توفى بالأهواز، وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت فى طاق الحرانى سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧ م[١].

وصنف أحمد بن الطيب السرخسى المعروف بالفرائقى كتاب " المسالك والممالك "، ذكره ابن النديم فى " الفهرست[٢] والمسعودى فى " مروج الذهب " وقال: «صنف السرخسى كتابا حسنا فى المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها»[٣]، وذكر ياقوت الحموى أنه كان نديما للخليفة العباسى المعتضد بالله(٢٧٩ -٢٩٥هـ/ ٨٩٢ - ٩٠٧م) وتولى له الحسبة والمواريث وسوق الرقيق فى بغداد سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥ م، وقتله الخليفة متهما إياه بالإلحاد. وكان عالما بالفلسفة وتلميذا للكندى الفيلسوف المشهور(المتوفى ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)[٤]، الذى خلف هو الآخرمؤلفا جغرافيا عنوانه " رسم المعمورمن الأرض[٥].

* ابن خرداذبة (المتوفى حوالى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م):

ويعد كتاب " المسالك والممالك " لأبى القاسم عبيد الله بن أحمد ابن خرداذبة (المتوفى حوالى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) أول مؤلف كامل يصلنا فى الجغرافية الوصفية. وابن خرداذبة كان فارسى الأصل مجوسيا، وقدم بغداد وأسلم على يد البرامكة، واتصل بالموسيقى الشهير إسحق الموصلى، فجمع بين الموسيقى والأدب، ونادم الخليفة العباسى المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ - ٨٩٢م) وعين عاملا على البريد يختص بالإشراف على شئونه فى إقليم الجبال[٦].

ولم يتبع ابن خرداذبة فى تأليف كتابه نظاما دقيقا، وربما بدا لنا هذا لأن الكتاب لم يصلنا إلا مختصرا. ولم يقتصر فيه على العالم العربى وطرق التجارة الرئيسية فيه، وإنما تحدث - إلى جانب ذلك - عن جهات قاصية عن هذا العالم كالصين واليابان، غير أنه كان يخلط فى مواضع عدة بين الحقيقة والشائعات. وقد كان لاهتمامه بالرحلة أن حفظ لنا مادة جيدة خاصة فيما يتعلق بوصف الطرق فى عهود مبكرة. وتعد المادة التى جمعها فى الكتاب بمثابة

---

١) الفهرست ص٢١٤، معجم الأدباء ج ٧ ص١٥١.
٢) الفهرست ص٢١٣.
٣) مروج الذهب ج١ ص١٢٨.
٤) معجم الأدباء ج ٣ ص٩٨ - ١٠٢.
٥) نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص٤٣ - ٤٤ (ترجمة فتحى عثمان) نشر دار القلم.
٦) راجع الفهرست ص٢١٢ - ٢١٣، جهود المسلمين فى الجغرافيا لنفيس أحمد ص٤٤ - ٤٥.

الأساس المتين بالنسبة لكثيرين من بعده، وكان تأثيره على الجغرافيين اللاحقين كبيرا[١].

* اليعقوبى: المؤرخ والجغرافى البغدادى (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):

ومن قبيل كتاب ابن خرداذبة: كتاب " البلدان " أو " أسماء البلدان " للمؤرخ والجغرافى الكبير أحمد بن إسحق (أبى يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى مولى بنى هاشم (المتوفى ٢٨٤هـ/ ٨٩٩م)[٢]ويطلق عليه أيضا اسم " المسالك و الممالك " كما أشار أبو الفدا[٣].

وعلى الرغم من أن اليعقوبى بغدادى الأصل فإنه أمضى معظم حياته فى مصر والمغرب، وقام برحلات طويلة فى أرمينية وإيران والهند ومصر والشام وبلاد المغرب، «وكان فى رحلاته مغرما بالبحث والتمحيص، معتمدا دقة الملاحظة من أجل جمع المعلومات والبيانات التفصيلية عن بنية كل منطقة أو مدينة أو إقليم أو ظاهرة، مما يؤكد وصفه بحق أول البلدانيين الذين جعلوا الرحلة وسيلة أساسية لإثراء المعرفة... وقد وظف ما يملكه من معارف وخبرات ومشاهدات لتسجيل البيانات الوافية والدقيقة عن البلدان التى زارها، مازجا بين الجغرافيا والتاريخ الحضارى فى أكثر من حال، معتبرا الجغرافيا إطارا مكانيا ووعاء للتاريخ بأبعاده المختلفة» [٤].

ويتميز كتاب " البلدان " لليعقوبى بمعلومات دقيقة ومتعددة، وتتناثر فيه محاولات بذلت لتقرير حقائق الجغرافيا الطبيعية وإيضاح الجغرافيا البشرية (الأجناس والسكان وحياتهم داخل المدن وخارجها)، فضلا عن الجغرافيا الإقليمية والجغرافيا الاقتصادية (الزراعة والرى والمعادن وطرق المواصلات والخراج...). وتتجلى فيه عناية خاصة بالنواحى الإحصائية، وفى كل ذلك تفرد بتقديم معلومات جديدة لم يتطرق إليها من سبقه، «ويمثل وصفه للخطط التاريخية لبغداد وسامراء أهمية منقطعة النظير» كما يقول كراتشكوفسكى[٥]وهذا يعنى أن اليعقوبى كان يهتم

---

١) راجع عن قيمة كتاب ابن خرداذبة كلا من: كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ٢ ص ١٥٦ – ١٥٨، نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص٤٥.

٢) معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص١٥٣ – ١٥٤.

٣) ياسين إبراهيم على الجعفرى: اليعقوبى المؤرخ والجغرافى ص٤٦ (بغداد ١٩٨٠م).

٤) د. خالص الأشعب: اليعقوبى (ص ١٠) – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٨ م، الطبعة الأولى.

٥) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص١٦٠.

بوصف المدن وخططها أكثر من اهتمامه بالمسالك والطرق كما عند ابن خرداذبة[١]. ويتميز الكتاب - بالإضافة إلى ما سبق- بجوانب عديدة جيدة عرض لها بعض الباحثين فى مجال تاريخ الجغرافيا عند المسلمين[٢].

* ابن الفقيه الهمدانى نزيل بغداد (كان حيا ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م):

وفى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى نلتقى بكتاب جامع على منهج مؤلفات الجاحظ، وهو كتاب " البلدان " لأحمد بن الفقيه الهمدانى. أصله من همدان إحدى مدن فارس، وتألق نجمه ببغداد فى عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ - ٩٠١م). ومؤلفه الجغرافى كبير الحجم، يقع فى نحو ألف ورقة كما يقول ابن النديم[٣]، ووصل إلينا مختصره الذى عمله على بن جعفر الشيرازى عام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢ م. وهذا الكتاب - إذا حكمنا عليه من مختصره - ليس مصنفا جغرافيا بالمعنى الدقيق للكلمة، بل مجموعة أدبية عن بلاد العالم الإسلامى تذخر بكمية كبيرة من الشعر والقصص، وهو عبارة عن نخبة مختارة من الطرائف الأدبية لاتمس الجغرافيا أو الأسماء الجغرافية إلا من بعيد... ولا يرقى إلى مصاف عدد من مؤلفات معاصريه فى ميدان الجغرافيا، إلا أنه من جهة نظر تاريخ الحضارة يقف أحيانا على مستوى أعلى[٤].

ثانيا: فى القرن الرابع الهجرى:

(١) المدرسة الكلاسيكية (البلخى - الإصطخرى - ابن حوقل):

وقد نشطت حركة التأليف الجغرافى فى بغداد وما حولها فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، وظهر عدد من الجغرافيين الكبار استطاعوا أن يضيفوا معطيات جديدة فى هذا الحقل

---

١) د. وليد عبدالله عبد العزيز: جغرافية الحضر دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين فى تطويرها (حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية [١١] العدد [٦٥] ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ - ص٣١.

٢) راجع كتاب " اليعقوبى " للدكتور خالص الأشعب، وقد خصصه كله لدراسة كتاب البلدان لليعقوبى. وكتاب " تاريخ الأدب الجغرافى العربى لكراتشكوفسكى ١/ ١٥٨ - ١٦١، كتاب جهود المسلمين فى الجغرافيا - نفيس أحمد ص٤٥ - ٤٧، التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية لعمر رضا كحالة ص٢٢٨، ٢٤٩، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز ج٢ ص٣ - الطبعة الثانية ترجمة دكتور أبى ريدة.

٣) الفهرست ص٢١٩.

٤) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص١٦٢ - ١٦٣، نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص٤٨.

العلمى. وجمع كراتشكوفسكى فى كتابه " تاريخ الأدب الجغرافى العربى " ثلاثة من جغرافىّ ذلك القرن فى نسق واحد يرتبطون فيما بينهم ارتباطاً وثيقاً، وأطلق عليهم اسم " المدرسة الكلاسيكية " للجغرافيا الإسلامية، وذكر أن من أبرز سمات هذه المدرسة «قَصْر المادة الجغرافية على بلاد الإسلام مع إهمال الأقطار الواقعة خارجها، أى أنها كانت أميل إلى تضييق أفقها الجغرافى بعض الشئ»، كما تمتاز أيضاً برسم الخرائط للعالم الإسلامى التى تمثل " أطلس الإسلام " فى القرن الرابع الهجرى[١].

والجغرافيون الثلاثة الذين تنتظمهم هذه المدرسة هم:

١- أبو زيد أحمد بن سهل البلخى (المتوفى ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)[٢]. وهو رأس هذه المدرسة، ويسمى كتابه " صورة الأرض ".

٢- أبو إسحق إبراهيم بن محمد الإصطخرى الكرخى (توفى حدود سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). واسم كتابه " الأقاليم " أو " المسالك والممالك[٣].

٣- أبو القاسم محمد بن حوقل النَّصيبينى البغدادى التاجر (توفى فى حدود ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م). واسم كتابه " صورة الأَرض " أو " المسالك والممالك[٤].

ويُعدُّ كتاب أبى زيد البلخى (وكان قد أقام فى بغداد ثمانى سنوات ووقع تحت تأثير الفيلسوف المعروف بالكندى المتوفى ٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م، وأصبح من ألزم تلامذته به)[٥]. هذا الكتاب فى جوهره عبارة عن مصورات جغرافية أضيفت إليها نصوص مختصرة، ولم يصلنا النص الأصلى له، ولكنه أدمج فى الكتابين الجغرافيين للإصطخرى وابن حوقل[٦].

واعتُبر كتاب "المسالك والممالك" للإصطخرى رائداً للكتب الإقليمية التى أُلفت بعده فى منهجه ومعلوماته وتبويبه، وقد قسم فيه بلاد المسلمين إلى عشرين إقليماً، مبتدئاً بديار العرب كعادة الجغرافيين فى تلك الفترة، ورسم خارطة لكل من هذه الأقاليم جعلها فى مطلع الحديث عنه[٧].

---

١) كراتشكوفسكى: المرجع السابق ج ١ ص١٩٧، ص٢٠٥ – ٢٠٦.
٢) راجع عنه الفهرست ص١٩٨ – ١٩٩.
٣) له ترجمة فى الأعلام للزركلى ج ١ ص٥٨ (الطبعة الثانية)..
٤) له ترجمة فى الأعلام للزركلى ج ٦ ص٣٤٤ (الطبعة الثانية)..
٥) كراتشكوفسكى: المرجع السابق ج ١ ص١٩٨.
٦) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص٢٢٩.
٧) موسوعة حضارة العراق ح ٨ ص٢٢٨(الفصل الذى كتبه دكتور صبرى فارس الهيتى عن: الفكر الجغرافى).

أما كتاب ابن حوقل - إلى جانب أنه من أبرز الكتب العربية المبكرة التى تمثل ركنا هاما من أركان الجغرافيا؛ حيث يتميز بمنهجه القويم واعتبار الخارطة جزءا لا يتجزأ من النص - هذا الكتاب «يحفل بالعديد من الأخبار والمعلومات التاريخية التى لا نكاد نجدها لدى المؤرخين»[١]، وقد ذكر فى مقدمته أنه التقى بالإصطخرى - وذلك فى حدود سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١ م - وراجع له (بناء على طلبه) كتابه وخرائطه، فصحح مواضع منه، و أجرى عليه تعديلات أساسية[٢].

إن هذه المدرسة الإسلامية فى التصنيف الجغرافى - والتى تنتظم أولئك الثلاثة - لم تظهر فى بلاط العباسيين أول الأمر، ولكنها نشأت على يد أبى زيد البلخى فى المركز الثقافى الذى تغلب عليه النـــزعة الفارسية، وهو المركز الذى تجمع حوله بلاط السامانيين[٣]، ثم انتقل تأثيرها إلى بغداد على يد أحمد بن حوقل البغدادى الذى اشتهر برحلاته الواسعة والتى دامت ما يقرب من ثلاثين عاما جاب خلالها أرجاء العالم الإسلامى متخذا من بغداد نقطة الانطلاق فى حدود سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م[٤].

(٢) ابن فضلان والمسعودى:

وكان إلى جانب هذه المدرسة الكلاسيكية التى تقتصر على جغرافية العالم الإسلامى توجد طائفة من المؤلفين الجغرافيين من علماء القرن الرابع الهجرى ساهموا فى نشر المعارف الجغرافية وتقدمها، وتعد مصنفاتهم ذات قيمة كبيرة فى هذا الميدان. ونخص اثنين منهم بالذكر نالا شهرة واسعة بفضل أوصاف الرحلات التى خلفوها، وكلاهما من بغداد:

الأول: ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس بن رشيد البغدادى. وهو من طلائع الجغرافيين الرحالة، أوفده الخليفة العباسى المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ - ٩٣٢م) فى صفر سنة ٣٠٩هـ/ يونية ٩٢١ م من قبله إلى ملك البلغار بالفلجا (نهر إتيل). حيث وصل

---

١) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ٢ ص٧٠ (المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٢) ابن حوقل: المسالك والممالك ص ٢٨٤، كراتشكوفسكى: مرجع سابق ج ١ ص٢٠٠ - ٢٠٢، نفيس أحمد: مرجع سابق ص٥٤.

٣) أول الأمراء السامانيين هو نصر بن أحمد بن سامان (٢٦١ - ٢٧٩هـ/ ٨٧٥ - ٨٩٢م) وآخرهم هو عبد الملك بن نوح بن نصر (٣٨٩ هـ / ٩٩٩م) [راجع كتاب: العالم الإسلامى لعمر رضا كحالة ج ٢ ص١٩٦ - الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨ م / دمشق].

٤) راجع ابن حوقل: صورة الأرض — ص ١٠ (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٩٧٩).

إليه فى ١٣ محرم ٣١٠هـ/ ١١ مايو ٩٢٢ م. وكان بلغار الفولجا (الصقالبة) أرسلوا رسولا إلى عاصمة الخلافة يطلبون العون ضد ضغط الخزر عليهم من الجنوب، وأن ينفذ إليهم من يفقههم فى الدين ويعرفهم بشعائر الإسلام، فأرسلت إليهم سفارة كان من أفرادها ابن فضلان كفقيه ذى خبرة. وفى طريق عودته إلى بغداد دون وصفه لرحلته فى كتاب لعله أول ما يعول عليه بالنسبة لمنطقة ما كان يعلم عنها إلى ذلك الوقت إلا القليل (وهى المنطقة التى تكون روسيا الآن)، وكان فى ذلك عمدة الجغرافيين العرب مدة طويلة أمثال المسعودى (٣٤٦هـ/ ٩٦٦م) وياقوت الحموى (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) وغيرهم[١].

ومع أن ابن فضلان لم يتحدث فى رسالته[٢]عن تفاصيل مهمة ونتائجها إلا أنه ترك صورة واضحة للبلغار وحضارتهم وعاداتهم وتجاراتهم، ويحفل كتابه بمادة اثنوجرافية[٣]قيمة ومتنوعة وفريدة تمس عدد من القبائل التركية البدوية القاطنة فى آسيا الصغرى، وعددا من الشعوب التى كانت تلعب آنذاك دورا سياسيا فى تاريخ أوربا الشرقية كالروس والخزر والبلغار[٤].

الثانى: المسعودى[٥]: أبو الحسن على بن الحسين البغدادى المعتزلى (المتوفى ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) أحد الشخصيات الكبرى ذات الجوانب المتعددة، ليس فى مجال الجغرافيا فحسب، بل فى التاريخ والسياسة والعمران، وله فى ذلك مؤلفات كثيرة حوت أخبار رحلاته الواسعة ومشاهداته وتجاربه، وقد شملت رحلاته المتصلة جميع البلدان تقريبا فى العالم القديم، من الهند إلى المحيط الأطلسى، ومن البحر الأحمر إلى بحر قزوين، وتعرض خلالها لكثير من الأخطار والمغامرات، وجمع كثيرا من المعلومات أدت إلى تطور الدراسات الجغرافية والتاريخية[٦].

وأهم كتب المسعودى التى تحتوى دراسات جغرافية عديدة ومتنوعة: كتاب " أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة " - وهو مفقود

---

١) راجع: كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص١٨٧، نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص٥٠ - ٥١، د. حسين محمد فهيم: أدب الرحلات ٢١٦.

٢) طبعت رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، حققها سامى الدهان، مطبوعات المجمع العلمى بدمشق ١٩٥٩ م.

٣) سبق تحديد معنى هذا المصطلح (ص ٢٦٧).

٤) كراتشكوفسكى: مرجع سابق ١ / ١٨٦، عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص٢٣١، ص٢٥٢.

٥) راجع ما كتبناه عن المسعودى فى المبحث الخاص بالدراسات التاريخية (ص٢٤٥).

٦) راجع كلام المسعودى عن رحلاته فى كتابه مروج الذهب ج ١ ص١٠ - ١١.

- وكتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر "، وكتاب "التنبيه والأشراف[١]. وهذه الكتب تقف مثالا حيا لصعوبة الفصل بين المؤلفات التاريخية والجغرافية.

ويطول المقام هنا لو تحدثنا عن المعارف الجغرافية التى سجلها المسعودى فى مؤلفاته المذكورة، ونكتفى بالإحالة إلى بعض البحوث التى كتبت فى ذلك[٢]. وخلاصة القول:

إن المسعودى - وهو عالم بغدادى - يقف على قمة المعارف الجغرافية لعصره، وتميز عن كثير ممن سبقوه فى ميدان الجغرافيا بالدقة والعمق، وأول من وضع أسس المدرسة العربية فى الدراسات الجغرافية، ويضاهيه فى ذلك العالم والمؤرخ البغدادى المعروف باليعقوبى الذى تقدم ذكره. ونسجل هنا شهادة المستشرق " كيمبل " Kimble فى كتابه " الجغرافيا فى العصور الوسطى " إذ يقول: «إن عمل المسعودى كان عظيما حيث لم يهمل أية مصدر من مصادر المعلومات، ووصف الأصقاع الإسلامية وغيرها بموضوعية ودون تحيز، وقد قام بوصف زلزال عام ٩٥٥ م / ٣٤٤ هـ ومياه البحر الميت ونشأة البحار... وسلك فى ذلك طريقة العالم الباحث المتجرد»[٣].

***

١) الفهرست ص٢١٩ - ٢٢٠، معجم الأدباء ١٣ / ٩٠ - ٩٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣ / ٤٥٦ - ٤٥٧، لسان الميزان لابن حجر ٤ / ٢٢٤ - ٢٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥ / ٥٦٩.

٢) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ١ / ١٧٧ - ١٨٦، موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص٢٣٢ - ٢٣٤، د. على حسن الخربوطلى: المسعودى ص٤٨ - ٥٢، ص٦٩ - ٨٦، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ص١١١ - ١١٢.

٣) George H.T.Kimble: Geography in the Middle Ages, New York, Russell, P.35-54, 1968.

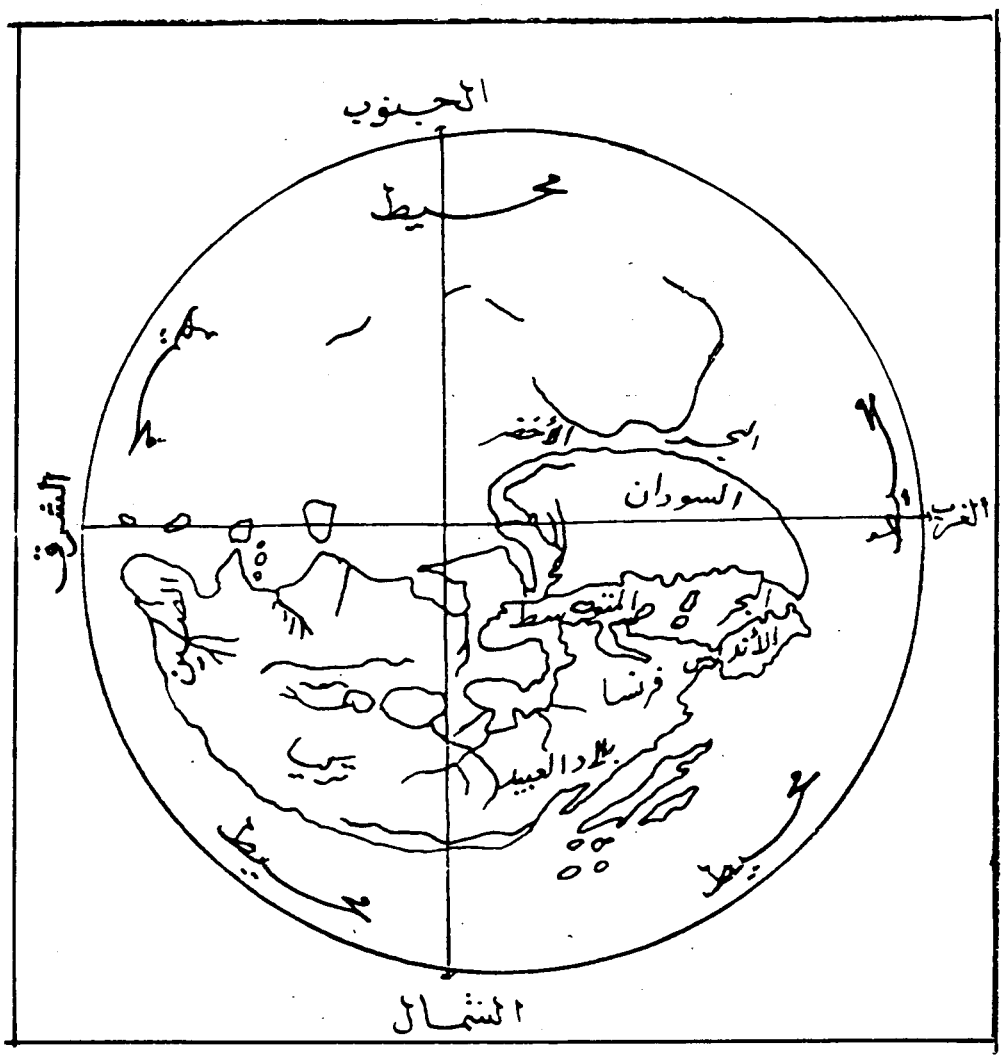

العالم طبقاً لخريطة المسعودى

مجالات أخرى فى التأليف الجغرافى غير الجغرافية الوصفية:

تلك هى جهود بعض الجغرافيين فى مجال الجغرافيا الإقليمية والوصفية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، سواء كان هؤلاء الجغرافيون من بغداد - كاليعقوبى وابن حوقل والمسعودى وابن فضلان - أو من قطر إسلامى آخر وكن نـــزلوا بغداد وذاعت شهرتهم فيها كابن خرداذبة وابن الفقيه الهمدانى وغيرهما.

و لم يكن التقدم الملحوظ فى مجال الجغرافيا لدى الجغرافيين العراقيين مقصورا على ميدان الجغرافيا الوصفية الإقليمية (التى تمثلها كتب المسالك والبلدان)، بل لقيت النواحى المختلفة من الجغرافيا اهتماما مماثلا، وتعددت المجالات أو الفروع الخاصة بهذا العلم، فشملت أيضا الجغرافيا الفلكية والرياضية، والجغرافيا الطبيعية وفن رسم الخرائط، وغير ذلك من الفروع، وفيما يلى نلقى الضوء على هذه الجوانب:

* الجغرافيا الفلكية والرياضية:

وأكثر الذين عنوا بهذا المجال هم علماء الفلك والرياضيات بالعراق، مثل محمد بن موسى الخوارزمى القائم على خزانة بيت الحكمة ببغداد فى خلافة المأمون (والمتوفى ٢٣٦هـ/ ٨٥١م) ومحمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتانى (المتوفى ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) وغيرهما. وقد اعتمد هؤلاء العلماء فى هذا الجانب فى بادئ الأمر على كتب اليونان، وخاصة كتابى " المجسطى" (رسالة فى الفلك) وكتاب " الجغرافيا "، وكلاهما لبطليموس[١]. والكتاب الأخير يمثل فى جوهره جداول فلكية لعروض وأطوال النقاط الرئيسية المسكونة فى العالم. وقد اهتم علماء الفلك والرياضيات بالعراق بترجمة هذين الكتابين[٢]، وكانت أقدم هذه الترجمات وأحسنها تلك الترجمة التى قام بها الخوارزمى لكتاب " الجغرافيا " لبطليموس، والتى «يمكن اعتبارها فى الوقت ذاته أول رسالة أصيلة فى الجغرافيا الرياضية والفلكية عند العرب، وشاملة لجميع العالم المعروف لهم» [٣]، وذلك لأن الكتاب وفى الحقيقة - كما يقول كراتشكوفسكى - «ليس بترجمة ولكنه ترتيب لمادة بطليموس على هيئة جداول، مع إضافات واسعة من ميدان الجغرافيا

---

١) بطليموس فلكى وجغرافى يونانى، عاش فى الإسكندرية فى القرن الثانى بعد الميلاد، وعصره بعد عصر أغسطس قيصر (المتوفى سنة ١٤م) بمائة وإحدى وستين سنة (راجع تعليقات فؤاد سيد على كتاب: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص٣٧).

٢) راجع كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص٨٠، ٧٨.

٣) كراتشكوفسكى: المرجع السابق ج ١ ص٨٠.

العربية وطائفة من التعديلات الأخرى»[١].

وقد وضع الخوارزمى كتابا عن " صورة الأرض " قال عنه نللينو: «إن مثل هذا الكتاب لاتقوى على وضعه أمة أوربية فى فجر نهضتها العلمية»، وعالج فيه بصفة أساسية أهم الموضوعات الجغرافية المتعلقة بخطوط طول وعرض الأماكن والجبال والأنهار وأسماء المدن الواقعة على الجانب المعمور من الأرض[٢].

وللعالم الفيلسوف الطبيب أبى بكر محمد بن زكريا **الرازى** (المولود بالرى سنة ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤م)، وزاول نشاطه العلمى ببغداد وتولى بها رئاسة البيمارستان العضدى، ثم توفى بها سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢ م، وكان من تلاميذ الجغرافى أبى زيد البلخى المتقدم ذكره) هذا العالم صنف فى الجغرافيا الفلكية عدة كتب منها: "هيئة العالم" وله تعليق على "المجسطى" لبطليموس[٣].

وإذا كان بحثنا يتسع ليشمل المراكز العلمية فى المشرق الإسلامى (مثل خوارزم والرى...) على اعتبار أن الحركة العلمية فى هذه المراكز بمثابة امتداد للحركة العلمية فى بغداد، وإذا كنا نؤكد على أن الإنتاج العلمى الذى يظهر فى تلك المراكز سرعان ما ينتقل إلى بغداد - فإن مجال الجغرافيا الفلكية والرياضية لا يذكر إلا ويذكر معه أحد أعاظم العلماء المسلمين وهو أبو الريحان محمد بن أحمد **البيرونى** (المتوفى فى حدود ٤٤٢هـ/١٠٣٠م) الذى عاش تحت كنف السلطان محمود الغزنوى (٣٨٨-٤٢١هـ/ ٩٩٨-١٠٣٠م)[٤]. وهذا العالم «جمع بين أطراف الفكر الجغرافى كلها، وتفهمها جيدا، وتعلو منـــزلته فى هذا المضمار فوق الجميع، وتمثل جهوده - فى رأى باحث قدير - عصر بعث علمى بالقياس إلى تطلعات أولئك الباحثين الطموحين الذين كانوا يعملون فى بغداد فى ظل العباسيين الأوائل»[٥]. ولم يكن ميدان تفوق البيرونى فى الجغرافيا الوصفية بقدر ما كان الجغرافيا الرياضية، وله فيها عشر مؤلفات، وعلم هيئة الأرض،

---

١) كراتشكوفسكى: المرجع نفسه ج ١ ص١٠٠، عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص٢٢٢.

٢) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ص١١٣.

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٧٨ وما بعدها. وسيأتى الحديث عن الرازى وجهوده فى الطب والصيدلة والكيمياء — راجع عنه ص٣٩٥، ص٤١٠، ص٤١٨.

٤) السلطان محمود أحد أمراء الغزنويين الذين حكموا بلاد الأفغان والبنجاب ويطلق على دولتهم أيضا اسم الدولة السبكتكينية نسبة إلى مؤسسها سبكتكين (٣٦٦ هـ - ٣٨٧هـ/ ٩٧٧ - ٩٩٧م)، وآخر أمرائهم هو تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاة (٥٥٥-٥٨٢هـ/١١٦٠- ١١٨٦م).

٥) نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص١٥٩ - ١٦٠.

وكتب فيه أربعة كتب، ثم فن رسم الخرائط وله فيه مبتكرات عديدة[١]،ومن أهم كتبه التى تتناول معظمها المسائل الجغرافية:

كتاب: " الآثار الباقية عن القرون الخالية " وكتاب " تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة فى العقل أو مرذولة "، وغيرهما[٢].

هذا، وقد عنى الجغرافيون العراقيون الذين صنفوا فى الجغرافيا الوصفية " كتب المسالك والممالك وكتب البلدان " عنوا بالجغرافيا الفلكية فى ثنايا مؤلفاتهم، ولكن ليس بالقدر الذى كان عليه العلماء المتخصصون فى الفلك والرياضيات، وعلى سبيل المثال احتوت كتب اليعقوبى المسعودى على معلومات متفرقة ودقيقة فى هذا المجال، ورجع اليعقوبى إلى كتاب " المجسطى " لبطليموس، وناقشه فى عدة مواضع[٣].

* الجغرافيا الطبيعية:

وقد تناول الجغرافيون العراقيون أمورا تتعلق بعلم ظواهر الجو وعلم المحيطات وعلم وصف الطبيعة، ومن هذه الظواهر: ظاهرة المد والجزر، والعوامل المؤثرة فى المناخ وطبيعة الأقاليم المناخية وحركة الرياح، وفصول السنة الأربعة وأوصافها وطبقات الجو، وكيفية تكون الأمطار، وطبيعة الأرض ومكوناتها، والمياه الجوفية، وغير ذلك من الدراسات.

ويذكر المسعودى (المتوفى ٣٤٦هـ/ ٩٦٦م) باعتباره أحد المبرزين فى الجغرافيا الوصفية، ولكن بجانب ذلك تتناثر هنا وهناك بحوث خلال كتابه " مروج الذهب " تعرض لمعلومات وآراء مهمة فى الجغرافيا الطبيعية اكتسبها عن طريق النظر والتجربة والإفادة من خبرات البحارة.

وتفرد اليعقوبى (المتوفى ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) بمعلومات جديدة فى الجغرافيا الطبيعية لم يتطرق إليها من سبقه ومن أهم ما جلب انتباهه فى هذا المجال ظاهرة تضرس الأرض، وتطرق إلى دراسة المناخ واعتبره عاملا أساسيا فى إقامة المدن، ودرس ظاهرة الغيوم التى تسبب الظلام واختفاء ضوء الشمس. وانعكس اهتمامه بظاهرة الأنهار على دراسته للأقاليم.

إخوان الصفا: وتتضمن الأبحاث الهامة التى كتبها الجماعة المعروفة باسم " إخوان

---

١) مقال للدكتور جمال بدر – مجلة المجلة، العدد ٢٣ نوفمبر ١٩٥٨ م.

٢) راجع أسماء بعض مؤلفات البيرونى فى معجم الأدباء ج ١٧ ص١٨٠-١٩٠.

٣) راجع كتاب " اليعقوبى " للدكتور خالص الأشعب ص٣٧ – ٤٠، كتاب " اليعقوبى المؤرخ والجغرافى" لياسين إبراهيم الجعفرى ص١٠٢ (بغداد ١٩٨٠م).

الصفا[١]- (وهى مجموعة رسائل تستوعب بوجه عام نطاق المعرفة القائمة فى القرن الرابع الهجرى على اختلاف أنواعها) تتضمن هذه الأبحاث إشارات متعددة إلى المفاهيم والآراء الجغرافية السائدة فى ذلك العصر، وقدموا شروحا لظواهر جغرافية طبيعية عديدة، منها كسوف الشمس وخسوف القمر، ودورة الفصول تبعا لحركة الشمس الظاهرية، وقالوا بوجود غلاف جوى يحيط بالكرة الأرضية، وعالجوا ظواهر الجو والطبقات الجوية، كما عالجوا ظاهرة الزلازل والبراكين، ودرسوا تركيب المعادن وتكوينها، وبحثوا موضوع التغيرات الجيولوجية الكبرى وما تم تدريجيا من عمليات التركيب الأرضى[٢].

رسم الخرائط[٣]:

وتعتبر بادرة الخليفة العباسى المأمون (المتوفى ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) أول محاولة إسلامية لرسم خارطة العالم، حيث أمر بجمع جمهرة من العلماء- ربما يصل عددهم إلى سبعين عالما - كى يقوموا بوضع خارطة أطلق عليها المسعودى اسم "الصورة المأمونية". وكان الخوارزمى - وطبقا لأحد الآراء - واحدا من العلماء الذين تعاونوا على إخراج تلك الصورة، وقد عرفنا من قبل أنه كان قائما على خزانة بيت الحكمة ببغداد فى خلافة المأمون[٤]. ويعد من أسبق من عرف أهمية الخريطة كوسيلة لتوضيح المعلومات الجغرافية، وأضاف مجموعة من الخرائط إلى كتابه "صورة الأرض". ويمكن أن يستنتج من الجداول التى أوردها فى ذلك الكتاب أن الرسم المأمونى الذى هو أول صورة للمعمور - استند على ما امتحن من خطوط الطول ودوائر العرض، وأنه بنى على الرصد والقياس بآلات من اختراع علماء الفلك المسلمين فى ذلك العصر[٥].

---

١) سيأتى التعريف بإخوان الصفا فى الفصل الخاص بعلم والفلسفة (ص٣٢٦).

٢) راجع د. صباح محمود محمد: دراسات فى التراث الجغرافى العربى ص٩٦، نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص١١٧ - ١١٩، عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص٢٢٧، عدنان النقاش: الجيولوجيا عند العرب ص٣٩ (سلسلة الموسوعة الصغيرة - العدد ٢٤٧ - دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد).

٣) لم يكن الجغرافيون الأوائل يعرفون كلمة (خريطة) بمعناها المألوف لدينا الآن، ولم يستعملوا قديما للدلالة على المعنى غير كلمة (الصورة) أو (الرسم) أو (رسم المعمور) أو (لوح الرسم)، وشاعت هذه التسميات فى القرنين (٣، ٤هـ/ ٩، ١٠م) وامتد استعمالها عند العرب فى أيام متأخرة فى التاريخ حيث حلت كلمة (الخريطة) أو (الخارطة) بديلها (راجع موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص٢٠٢).

٤) سيأتى مزيد من المعلومات عن الخوارزمى فى المبحث الخاص بعلم الرياضيات ص٣٦٤-٣٦٧.

٥) موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص٢٠٣، نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص١٤٢ - ١٤٣.

وكان بلوغ المرحلة التالية عند ظهور ما يمكن تسميته بمدرسة أبى زيد البلخى - المدرسة الكلاسيكية التى أشرنا إليها من قبل[١]- حيث وضع البلخى (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) أول أطلس إسلامى، وألحقه بكتابه " صورة الأرض " أو " كتاب الأشكال ". وهذا الكتاب فى جوهره مصورات جغرافية على الأرجح أضيفت إليها نصوص مختارة، ولم يصل إلينا النص الأصلى، ولكنه أدمج فى الكتابين الجغرافيين لابن حوقل والإصطخرى المعروف كلاهما باسم " المسالك والممالك ". ويشتمل أطلس البلخى على خريطة للعالم، وأخرى لشبه جزيرة العرب ولبحر فارس، وخرائط لمصر والمغرب والشام وبحر الروم، كما يشمل اثنى عشر خريطة أخرى للجهات الوسطى والشرقية من العالم الإسلامى[٢].

ويمثل **المقدسى** (المتوفى ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) فى كتابه " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " المراحل الأخيرة فى مدرسة البلخى، وأوضح أنه بذل جهده فى إعداد خرائطه ليمثل عليها بصورة صحيحة أقاليم الدولة بعد أن درس عدد من الرسوم، ومنها رسوم الإصطخرى التى تدنو من الحقيقة فى رأى المقدسى، وتستحق أن يعول عليها، وإن كان فيها خلط وخطأ فى بعض المواضع[٣]. وقد استخدم المقدسى فى الخرائط التى رسمها لكل قسم من الأقسام الأربعة عشر التى قسم إليها العالم الإسلامى - استخدم فى تلك الخرائط طرقا لتمثيل الظاهرات الجغرافية المختلفة حتى يمكن للجميع أن يفهمها فهما صحيحا، فرسم الطرق المعروفة بالحمرة، والرمال الذهبية بالصفرة، والبحار المالحة بالخضرة، والأنهار بالزرقة، والجبال المشهورة بالغبرة[٤].

وقام **البيرونى** (المتوفى ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) بعمل خريطة مستديرة للعالم فى كتابه "التفهيم فى صناعة التنجيم" لتوضيح موضع البحار، وكذلك فى مؤلفه الآخر "الآثار الباقية من القرون الخالية"، وله مبتكرات كثيرة فى كيفية نقل صورة الأرض الكروية إلى الورق المسطح ورسم الخرائط الفلكية للسموات[٥].

---

١) راجع (ص٢٧٢) من هذا المبحث.

٢) عمر رضا كحالة التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص٢٢٦، ٢٢٩. نفيس أحمد: مرجع سابق ص١٤١، كراتشكوفسكى: مرجع سابق ج ١ ص١٩٧ - ١٩٩.

٣) المقدسى: أحسن التقاسيم ص٦ (مكتبة المثنى ببغداد تصوير عن الأصل المطبوع فى ليدن ١٩٠٦م).

٤) أحسن التقاسيم ص٩، ولمعرفة المزيد عن القواعد والأصول التى وضعها الجغرافيون الأوائل لرسم الخرائط - راجع موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص٢٠٩.

٥) راجع مقال د. جمال بدر فى مجلة " المجلة " العدد (٢٣) نوفمبر ١٩٥٨م.

وقد استمرت جهود الجغرافيين المسلمين سواء من العراقيين أو من غيرهم فى صنع الخرائط، وأحصى "ميللر" الخرائط التى رسمها المسلمون للعالم الإسلامى فوجدها مائتين وخمسا وسبعين (٢٧٥) خريطة، باستثناء خرائط الإدريسى (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٤م) التى وصفها " ميللر " بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير فى تصوير الدنيا للأوربيين[١]. وسيأتى ذكر هذا الجغرافي الكبير في سياق الحديث عن جهود الأندلسيين في علم الجغرافيا[٢].

تعقيب: تلك هى أهم المجالات أو الفروع الخاصة بعلم الجغرافيا التى درسها الجغرافيون فى القرنين الثالث والرابع الهجريين. وفى نهاية هذا المبحث نود أن نشير إلى ثلاث ملاحظات مهمة تعليقا على ما سبق، وهى:

أولا: كانت اتجاهات التأليف الجغرافى فى القرنين المذكورين لدى الجغرافيين الذين مر ذكرهم تخضع لاتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: العناية الشديدة بأقطار العالم الإسلامى من حيث وصفها إقليميا وخاصة أقطار الوطن العربى، والاقتصار على ذلك، على نحو ما يوجد فى كتب المدرسة الكلاسيكية: البلخى - الإصطخرى - ابن حوقل، بالإضافة إلى المقدسى فى كتابه " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ".

والاتجاه الثانى: التوسع فى الوصف الجغرافى ليشمل - إلى جانب البلاد الإسلامية الأقطار المجاورة لها، على نحو ما فعل اليعقوبى وابن خرداذبة والمسعودى.

والاتجاه الثالث: التخصص فى قطر أو إقليم واحد، كما هو الحال عند اللغويين الذين قصروا كتبهم على وصف جزيرة العرب أو مناطق منها، وكما فعل الهمدانى فى كتابه " صفة جزيرة العرب " وابن فضلان الذى ترك رسالته فى وصف بلاد الصقالبة والبلغار. وظهر هذا الاتجاه أيضا عند البيرونى فى كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة... ".

وهكذا، فكما تعددت مجالات التأليف الجغرافى وفروعه تعددت اتجاهاته.

ثانيا: إن الصفة الموسوعية التى اتصف بها العلم والعلماء فى القرنين (فترة الدراسة) جعلت الحدود بين العلوم من الضعف بحيث يمكن بسهولة أن ينساح بعضها على بعض، وقد كانت هذه السمة واضحة فى كتب الجغرافيا: حيث كانت مؤلفات كبار الجغرافيين

---

١) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية.... ص١١٤.

٢) بدأ هذا المبحث من ص٨٦٦ والحديث عن الإدريسي ص٨٧٤.

العراقيين (جغرافى المسالك والبلدان) فى تلك الفترة نوعا من الجغرافيا التاريخية: أى أن التاريخ كان له - ودون أن يقصد المؤلفون إليه - مكانه فى كتب الجغرافيا، ولم يستطع جغرافيون من أمثال ابن خرداذبة واليعقوبى وابن الفقيه والمسعودى وابن فضلان أن يتحرروا من ضغط معلوماتهم التاريخية. كما كانت بعض الكتب الجغرافية - رغم عنوانها الجغرافى - أقرب إلى تاريخ الحضارة منه إلى ميدان الجغرافيا. وهناك كتب تاريخية يطلق عليها " تواريخ المدن[١] وتشتمل على مقدمات تعنى بالجغرافيا المحلية الخاصة بوصف خطط مدينة بعينها، والسمة الغالبة عليها «أن تحتوى على الجانب الجغرافى الذى يعطى وصفا طوبوغرافيا للمدينة، بينما تتحكم فى بقية مادة الكتاب السير: أى تراجم حياة المشاهـــيرمن أهل تلك المدينة»[٢]. ومن أمثلة هذه الكتب التى اشتملت على مقدمة جغرافية: كتاب "تاريخ بغداد " للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـــ/ ١٠٧٠م). وكتاب " تاريخ بغداد " لأحمد بن أبى طاهر طيفور (المتوفى ٢٨٠هـــ/ ٨٩٣م). وهذا الكتاب الأخير فقدت مقدمته، غير أن مصدرا أندلسيا وصفها باقتضاب: فقد ذكر أن أحمد بن محمد الرازى الأندلسى (المتوفى ٣٤٤هـــ/ ٩٥٥م) كتب وصفا لقرطبة وبحث عن خططها ومنازل أشرافها على مثل ما فعل أحمد بن أبى طاهر طيفور فى أخبار بغداد[٣].

ثالثا: اتبع الجغرافيون المسلمون المنهج التجريبى فى البحث والتنقيب وصولا إلى المعلومات الجغرافية السليمة على أساس علمى سليم يعتمد على الملاحظة والمشاهدة واستخلاص النتائج فى صور حقائق علمية جديدة. وفى ضوء هذه الحقيقة الهامة يشهد التراث الجغرافى للحضارة الإسلامية بسبق علماء العرب والمسلمين إلى مفهوم البحث الجغرافى وإنجازه عن طريق الرحلة الميدانية. وقد برز فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (فترة الدراسة) - وما تلاه من قرون - عدد من الجغرافيين العراقيين الرحالة (كاليعقوبى وابن خرداذبة وابن حوقل والمسعودى وابن فضلان)، كان لهم الفضل بما قاموا به من رحلات واسعة فى اتساع المعارف الجغرافية، وكانت رحلاتهم تلك تمثل آنذاك وجها مشرقا لعلم الجغرافيا، وفى بطونها معين لا ينضب من المعلومات التاريخية والاقتصادية والبشرية والإثنوجرافية والطبوغرافية عن جميع مناطق العالم الإسلامى والمناطق المتاخمة له.

---

١) راجع عن هذا النوع من التواريخ (ص٢٤٧) من المبحث الخاص بالدراسات التاريخية.

٢) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص١٦٧.

٣) رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس (رواه لسان الدين بن الخطيب فى نفح الطيب ج ٣ ص١٧٣) وراجع: يعقوب ليسنر: خطط بغداد فى العصور العباسية الأولى (ص ٣٣) ترجمة د. صالح أحمد العلى، المجمع العلمى العراقى ١٩٨٤ م.

والخلاصة: أن العلماء العراقيين المقيمين ببغداد فى حدود القرنين (فترة الدراسة) كان لهم النصيب الأوفر فى تأليف الكتب الجغرافية، وكان جل الذين صنفوا فى هذا الميدان العلمى من غير العراقيين على صلة بحاضرة الخلافة العباسية، وجعلوا منها نقطة البدء لرحلاتهم الجغرافية. ومن هنا شهدت هذه المدينة الكبرى نهضة علمية نشطة فى مجال الدراسات الجغرافية، ولم يكن الاشتغال بالمسائل الجغرافية يبدأ إلا فى الوقت الذى استقرت فيه الحضارة الإسلامية ونجحت فى بغداد والتى تعد أعظم حاضرة ثقافية لها.

* * *

الباب الرابع

العلوم العقلية والتجريبية

* ويشمل هذا الباب الفصول التالية:

الفصل الأول : حركة الترجمة فى بغداد وأثرها فى التقدم العلمى.

الفصل الثانى : علم الفلسفة.

الفصل الثالث : علوم الفلك والرياضيات.

الفصل الرابع : علم الطب.

الفصل الخامس: علوم الصيدلة والكيمياء.

الفصل السادس: علوم الحياة (النبات – الحيوان).

الفصل السابع : علوم الطبيعة (الفيزياء).

الفصل الأول

حركة الترجمة فى بغداد وأثرها فى التقدم العلمى

أهمية الترجمة فى التعرف على النهضة العلمية التى شهدتها بغداد:

للتعرف على ملامح النهضة العلمية التى شهدتها بغداد فى مجال العلوم العلمية لابد لنا من التعرض أولا لحركة الترجمة التى استطاع علماء العرب والمسلمين بفضلها- وعلى مدى ما يقرب من ثلاثة قرون تبدأ مع أواخر القرن الأول الهجرى وحتى منتصف القرن الرابع- التعرف على التراث العلمى لأهالى البلاد المفتوحة والتزود بقسط وفير من علوم الأوائل كالفرس والهنود واليونان وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة.

والحق أن هذا الموضوع قد تناولته أقلام الدارسين بالبحث المستفيض، ومن زوايا عديدة. وسنحاول من جانبنا أن نركز على الملامح العامة والنتائج المهمة التى لها صلة بدراستنا. وقبل الدخول فى الحديث عن المراحل التى مرت بها عملية الترجمة حتى وصلت فى بغداد إلى قمتها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين نود أن نشير إلى أهم المراكز العلمية القديمة التى كانت فى مجموعها ذات أثر فعال ومباشر فى ذلك الازدهار الذى تميزت به حركة الترجمة ونقل تراث الأوائل إلى اللغة العربية فى علوم الفلسفة والطب والصيدلة والفلك والرياضيات وعلوم الطبيعة والحياة. وهذه المراكز (أو المدارس) هى: الإسكندرية وأنطاكية[١] وحران[٢] ونصيبين[٣] والرها[٤] وجنديسابور[٥].

---

١) أنطاكية: من أهم الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، وتقع على نهر العاصى (راجع معجم البلدان لياقوت، موجز تاريخ الشرق الأدنى للأستاذ فيليب حتى- ص٩٤٠).

٢) حران: مدينة كبيرة تقع فى شمال العراق على طريق(الموصل الشام) بين الرها ورأس العيق. وقد سكنها كثير من اليونانيين على عهد الإسكندر الأكبر، وكانت منازل الصابئة المعزوفين بالحرانيين (معجم البلدان، السريان فى الحضارة الإسلامية للدكتور الشحات السيد زغلول ص٥١).

٣) نصيبين: كانت إحدى مدن الحدود بين المملكتين الفارسية والرومانية مما جعلها تدعى مدينة التخوم، كما وصفت بأنها رئيسة ما بين النهرين. وكانت قريبة من مدينة سنجار التى تقع فى شمال العراق (معجم البلدان، السريان فى الحضارة الإسلامية ص٨١).

٤) الرها: مدينة كبيرة تقع فى شرقى الفرات فى الجزء الشمالى الغربى من إقليم ما بين النهرين (الجزيرة)- بين الموصل والشام. وكانت أهم مراكز اللغة السريانية. وتسمى بالرومية (ايدسا). والنسبة إليها: رهاوى(معجم البلدان، السريان فى الحضارة الإسلامية ص٧٣).

٥) جنديسابور: مدينة فارسية أسسها سابور بن أردشير (٢٤١-٢٧٢م) وجعل منها مركزا للنشاط العقلى، وكانت له عناية عظيمة بجمع كتب الفلسفة اليونانية ونقلها إلى الفارسية.

ويطول المقام لو تتبعنا الأثر المهم الذى قدمته كل مدرسة على حدَه فى قيام حركة الترجمة وازدهار الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم التجريبة والفلسفية[١]. ولكن لا بد من إبراز بعض الحقائق المهمة عن أهمية هذه المراكز:

أولها: كانت هذه المدارس بمثابة جسور عبرت فوقها العلوم من حضارات مختلفة، فامتزجت فيها رياضيات وفلك بابل وهندسة مصر وعلومها الطبية وعلوم اليونان والهنود والفرس، ثم شكلت- ومنذ الفتح الإسلامى- قوساً جغرافياً يبدأ بالإسكندرية، ويمر عبر البحر المتوسط بأنطاكية ونصيبين وحران وجنديسابور، لتنتهى المسيرة العلمية فى خطوتها الأخيرة ببغداد، تلك المدينة التى قدر لها أن تكون عاصمة الدنيا عدة قرون، ومركزاً حضارياً جامعاً تلاقت فيه الحكمة القديمة من يونانية ورومانية وفارسية وهندية لتتعانق مع إبداعات المسلمين الحضارية فى وقت بدأت فيه علامات الانهيار تدب فى معظم المراكز العلمية المذكورة[٢].

ثانياً: لقد أدت مدرسة الإسكندرية- بوجه خاص- دوراً مباشراً فى إيقاظ الحركة العلمية فى العصر الأموى فى مجالات الفلسفة والطب والرياضيات. والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن هذه المدرسة «انقضت تماماً منذ القرن الأول الهجرى عن متابعة رسالتها الثقافية بعد أن انتقل رجال الفكر منها زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أنطاكية بالشام، وإلى حران وجنديسابور والرها وقنسرين ورأس العين، وتفرق علمهم فى البلاد» [٣]، الأمر الذى جعل خلفاء بنى العباس وغيرهم من المهتمين بحركة الترجمة وإحياء علوم الأوائل أن يعتمدوا على مدارس جديدة أصبحت أكثر أهمية وأكثر قرباً من مدرسة الإسكندرية. وتأتى مدرستا حران وجنديسابور فى مقدمة المدارس الجديدة، حيث كانت كل منهما تموج بالعلماء وتزخر بالأطباء، وأمدتا حركة الترجمة بجزء كبير من مادتها العلمية، ومنهما جاء أبرز النَّقَلة الذين ساهموا فى ازدهار هذه الحركة، وكان أشهر الأطباء فى بغداد من نتاج هاتين المدرستين.

ثالثاً: كانت تلك المدارس مجتمعة السبب المباشر وراء قيام أعظم مركز علمى للترجمة

---

١) لمعرفة الدور الذى قدمته هذه المراكز- كل واحد على حدة- فى قيام حركة الترجمة: راجع الفصل الخاص بمراكز الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة، لرشيد حميد حسن الجميلى (ص ١٧٩-٢٢٠). وراجع كتاب السريان والحضارة الإسلامية للدكتور الشحات السيد زغلول(ص٣٩-٨٨).

٢) حضارة العراق- الجزء الثامن، ص٣٧٧.

٣) د. شاكر مصطفى: حول حركة الترجمة عن ثقافات الأوائل فى القرون الثلاثة الأولى للإسلام - وهو بحث منشور بمجلة كلية الآداب والتربية/ جامعة الكويت- العدد السادس ديسمبر١٩٧٤، ذو القعدة ١٣٩٤هـ- ص٣٣.

والتأليف والنشر أنشئ فى تاريخ الإسلام الحضارى والثقافى على مدى خمسة قرون، ألا وهو "بيت الحكمة" البغدادى الذى اجتمع فيه أجل العلماء من الفلاسفة والأطباء والفلكيين والرياضيين وأصحاب الصناعات لترجمة الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعارف والصنائع.

الأدوار التى مرت بها حركة الترجمة حتى وصلت إلى قمتها فى بغداد:

مرت الترجمة فى المشرق الإسلامى - وعبر أربعة قرون من تاريخها- بمراحل مختلفة من التطور، ابتداء من القرن الأول الهجرى حتى وصلت إلى قمتها فى بغداد فى منتصف القرن الرابع الهجرى. ولكى نقف على حقيقة هذا التطور وأهميته فى حركة الترجمة لابد لنا من جعلها ضمن مراحل(أو أدوار) زمنية، ابتداء من مرحلة قيامها وحتى مرحلة انتهائها.

وقد اختلف الباحثون فى تقسيم الأدوار التى مرت بها حركة الترجمة[١]؛ لكننا نرى أن التقسيم الذى يعبر عن الواقع الفعلى لتاريخ هذه الحركة يتمثل فى أربعة أطوار رئيسية هى[٢]:

الطور الأول: الترجمة فى القرن الأول الهجرى(العصر الأموى).

الطور الثانى: الترجمة فى القرن الثانى الهجرى. وينقسم إلى دورين:

الأول: زمن أبى جعفر المنصور.

الثانى: زمن هارون الرشيد.

الطور الثالث: الترجمة فى القرن الثالث الهجرى (عصر المأمون والمتوكل).

الطور الرابع: الترجمة فى القرن الرابع الهجرى.

وهذا التقسيم لا يعنى أن هناك حدودا فاصلة تضع البداية والنهاية لكل دور؛ فالظواهر الفنية والتيارات الأدبية والعلمية متداخلة ومتشابكة وفضلا عن ذلك فإن الكثيرين ممن قاموا بالترجمة والنقل قد عاصروا أكثر من دور من تلك الأدوار، مثل يوحنا بن ماسويه (المتوفى

---

١) راجع عن ذلك: O'leary: Arabic thought and its place in history, London, 1958 , p. 105 وحركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرةص ٢٦- ٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص٢٦٣- ٢٦٥، الرفاعى: عصر المأمون(طبعة القاهرة ١٩٢٧م)ج ٣ ص ٣٧٩- ٣٨٠، سليم التكريتى: أثر الترجمة فى تطور الفكر العربى الإسلامى (بغداد ١٩٦٥م)ص ٦٧، السريان فى الحضارة الإسلامية ص١٨٣، د. أميرة حلمى مطر: الفكر الإسلامى وتراث اليونان ص٢٤-٢٦.

٢) حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٢٧.

٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) الذى خدم الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل[١].

وفيما يلى نتحدث عن تلك المراحل.

أولا: الترجمة فى القرن الأول الهجرى= العصر الأموى والاتصالات الأولى:

ويمثل العصر الأموى فى حقيقة الأمر أول دور من أدوار حركة الترجمة، «وعلى الرغم من أن الترجمة فى هذا العصر كانت ترجمة بدائية وضعيفة المستوى إذا ما قورنت بالترجمة الأخرى فى الأدوار التالية، إلا أن هذا العصر كان بحق حجر الأساس لبناء هذه الحركة عموما، كما أنه كان المنطلق الأول لها فى أنحاء العالم الإسلامى مشرقه ومغربه[٢]».

وقد كانت الترجمة فى تلك الفترة مقصورة على بعض العلوم الطبيعية كالكيمياء والطب، دون أن يتعدى ذلك إلى العلوم العقلية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن «اهتمام الناس كان موجها بكليته إلى العلوم الدينية الإسلامية، وكانوا ينظرون إلى العلوم التى تدرس فى المراكز الثقافية (القديمة) على أنها علوم غير المسلمين، مما أدى إلى انصرافهم عنها، وظلت العناية بها قاصرة على النصارى والصابئة واليهود على اختلاف مذاهبهم ونحلهم[٣]».

رعاية خالد بن يزيد الأموى (المتوفى ٨٥هـ/ ٧٠٤م) للترجمة:

ولعل الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى(المتوفى ٨٥هـ / ٧٠٤م) هو أول شخصية فى الإسلام يرعى ترجمة كتب الطب والكيمياء والفلك إلى اللغة العربية، كما أنه أول عربى يبحث فى العلوم العقلية ويظفر منها بمركز جدير بالنظر والاعتبار. وقد دفعه تحمسه للعلم والمعرفة إلى الحصول على مصنفات الإغريق والسريان، حيث «أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينـزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة(الكيمياء) من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى، وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة إلى لغة...» ،[٤] ومن ثم كان خالد بن يزيد أول من أضاء شعلة العلم التجريبى

---

١) راجع ترجمته فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص٢٤٦.

٢) حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى خلال القرنين٣،٤ هـ (ص ٢٧-٢٨). وراجع: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد ص١٣-١٤ (دار الفكر العربى بالقاهرة١٤٤١ه/ ١٩٩١م).

٣) الحياة الفكرية والأدبية بمصر، للدكتور محمد كامل حسين- مطبعة مصر ١٩٥٩م (ص٦٣).

٤) الفهرست لابن النديم ص٢٤٢ (ط فلوجل). وراجع: د. شاكر مصطفى: حول حركة الترجمة عن ثقافات الأوائل(بحث مذكور من قبل بمنشور بمجلة كلية الاداب والتربية/ جامعة الكويت- =

عند العرب والمسلمين. وسوف يأتى مزيد بيان عن دوره فى علم الكيمياء[١].

ومن المصنفات التى ترجمت من السريانية إلى العربية فى هذا القرن (كناش) [٢]فى الطب، من تأليف أهـــرون بن أعين القس. قام بترجمته أشهر نقلة هذا القرن الطبيب البصرى ماسرجويه(اليهودى المذهب السريانى اللغة) ويسمى أيضا " ماسرجيس"، ترجمه فى أيام الخليفة مروان بن الحكم (المتوفى ٦٥هـ/ ٦٨٥م)، ثم حفظ فى خزائن كتب الأمويين إلى أن أخرجه عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ/ ٧١٧ ٧٢٠م) وبثه بين الناس للانتفاع به[٣].

ويبدو اهتمام عمر بن عبد العزيز الشديد بعلم الطب وتعريبه فى حادثة تروى أنه لما أفضت إليه الخلافة استدعى من الإسكندرية طبيبه عبد الملك بن أبجر الكنانى إلى الشام، "وكان ابن أبجر- كما يقول ابن أبى أصيبعة- فى أول أمره مقيما فى الإسكندرية، لأنه كان المتولى فى التدريس بها من بعد الإسكندرانيين الذين تقدم ذكرهم، وذلك عندما كانت البلاد (أى مصر) فى ذلك الوقت لملوك النصارى، ثم إن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان عمر حينئذ أميرا قبل أن تصل إليه الخلافة، وصحبه، فلما أفضت الخلافة إلى عمر نقل التدريس إلى أنطاكية وحران» [٤].

تعريب الدواوين:

ومن الأمور الهامة التى يجب ألا نغفل عنها ونحن نتكلم عن الترجمة فى القرن الأول الهجرى: تلك الظاهرة ذات الصلة الوثيقة بينها وبين ما حدث فى هذا القرن من ترجمة

= ع٦- ص٣٦-٣٧)، شمس العرب تشرق على الغرب للاستاذة زيغريد هونكه ص٣٧٨- ٣٧٩ (ط بيروت ١٩٦٩م).

١) راجع عن جهود خالد بن يزيد فى علم الكيمياء(ص٤١٤).

٢) الكناش- بضم الكاف وتشديد النون- الأوراق التى تجعل كالدفاتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط (تاج العروس للزبيدى-مادة: كنش) وعلى هذا يكون الكناش المنسوب إلى القس أهرون ابن أعيق عبارة عن كتاب فى الطب.

٣) طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص٦١، الفهرست ص ٤١٣، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٢٨٠، تاريخ الحكماء للقفطى ص٢١٣، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص٨٨، مختصر الدول لابن العبرى ص١٩٢- ١٩٣، مسالك الأبصار للعمرى (مخطوط)ص ٥- القسم الثالث- لوحة ٤٧٩- ٤٨١.

٤) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص١٧١.

للعربية، كما أنها تمثل أحد أوجه النقل والتعريب، ونعنى بها حركة تعريب الدواوين فى الدولة الإسلامية؛ فهذه الحركة كانت تتمة لترجمة العلوم فى هذا الوقت[١].

تلك هى أهم محاولات الترجمة فى عهد الأمويين. ومن الملاحظ أنها كانت بسيطة وفردية، وتموت بموت القائمين عليها. فلما جاء العباسيون وانتقل مركز الثقل السياسى والثقافى إلى بغداد أصبحت الترجمة عمل أمة أو مدرسة كبيرة لايضيرها موت فرد أو أفراد منها.

ولعل التوسع والتعمق فى تعريب العلوم فى هذا العصر يرجع أساسا إلى أن المسلمين أوغلوا فى الحضارة - وهى تستند إلى العلم - فالتمسوه عند أهله من أصحاب الحضارات الأخرى.

ثانيا: الترجمة فى القرن الثانى الهجرى (التعريب الواسع):

[١] أبو جعفر المنصور:

ولقد كان لرعاية الخلفاء العباسيين للترجمة - إضافة إلى ما رافق ذلك من عوامل أخرى - الأثر المباشر فى ازدهارها. «ويعتبر أبو جعفر المنصور أول خليفة عباسى يقوم على رعاية حركة الترجمة - وهى التى بدأ أمرها كما رأينا فى العصر الأموى - ويعمل على تشجيعها وتنشيطها بمختلف الوسائل والسبل، فترجمت فى عهده المؤلفات المختلفة ومن مصادر عدة يونانية وفارسية وهندية»[٢]، وذلك لما عرف عنه من محبته للعلم وتقريبه للعلماء وخوضه فى بحوث مختلفة من العلوم والمعارف[٣].

وفى زمن المنصور ترجمت بعض كتب الفلك لاهتمامه البالغ بهذا النوع من العلوم. ومن بين هذه الكتب: الكتاب الهندى فى النجوم المعروف " بالسند هند " كما أنه أول خليفة ترجمت له كتب أرسطوطاليس فى الفلسفة والمنطق كما يقول المسعودى[٤]. ومن المؤلفات التى ترجمت فى عهده أيضا: كتاب " المجسطى " فى الفلك لبطليموس، وكتاب " أصول الهندسة " لأوقليدس، وغير ذلك. وكل هذه الكتب سيأتى عنها وعن مؤلفيها مزيد من المعلومات فى سياق حديثنا عن علوم الفلك والرياضيات. .. الخ.

---

١) عن تعريب الدواوين راجع د. أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى (عشرة أجزاء) - الجزء الثانى الخاص بالدولة الأموية - ص٦٢. وراجع فتوح البلدان للبلاذرى ص١٩٦ - ١٩٧، ص ٢٩٨ (ط ليدن١٨٦٦م) وراجع حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٦١.

٢) حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٦٩. وراجع كشف الظنون لحاجى خليفة ص٣٤.

٣) لمزيد من التفاصيل عن عناية أبى جعفر المنصور بالعلوم والترجمة راجع مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص٢٤١ - ٢٤٢ (ط القاهرة ١٩٥٨م) وطبقات الأمم لصاعد (ص٤٨).

٤) مروج الذهب (ط القاهرة ١٩٥٨ م) ج ٤ ص٢٤١.

• ابن المقفع:

ويعتبر الأديب والكاتب عبد الله بن المقفع (المتوفى ١٤٢ هـ / ٧٥٩م) من أشهر النقلة فى عصر المنصور،ومن أوائل المترجمين الجيدين، وهو الذى نقل إلى العربية ما كانت الفرس نقلته فى القديم من كتب الطب والمنطق إلى اللغة الفارسية[١]. يقول صاعد الأندلسى فى (طبقات الأمم): «إن أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة: علم المنطق، وأول من اشتهر فى هذه الدولة (العباسية) عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسى....فإنه ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة، وهى: كتاب "قاطاغورياس" (ومعناه المقولات)، وكتاب "بارى أرمنياس" (ومعناه العبارة)، وكتاب " أنالوطقيا " (ومعناه تحليل القياس). .. وعبر عما ترجم من ذلك عبارة سهلة قريبة المأخذ، وترجم مع ذلك الكتاب الهندى المعروف بكليلة ودمنة، وهو أول من ترجم من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية»[٢].

ويضاف إلى ما نقله ابن المقفع عن الثقافة الفارسية: كتاب " خداينامة " (فى تاريخ ملوك الفرس) وكتاب " آيين نامه " فى مراسم الملك. وكتاب " التاريخ فى سيرة أنوشروان " وكتاب " سيرة مزدك "، وكتاب " اليتيمة فى طاعة السلطان "، وغير ذلك من الكتب[٣].

• أبو يحيى البطريق وآخرون:

ومن النقلة الذين كان لهم دور ايجابى فى ازدهار حركة الترجمة ببغداد فى أيام المنصور: أبو يحيى البطريق. قال عنه ابن أبى أصيبعة: «... أمره (المنصور) بنقل أشياء من الكتب القديمة، وله نقل كثير،. .. وقد وجدت بنقله كتبا كثيرة فى الطب؛ كتب أبقراط وجالينوس[٤]»[٥]. ومنهم أيضا الطبيب النسطورى جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور، وهو الذى ساهم فى نقل الكتب الطبية من اليونانية إلى العربية، وكان المنصور قد استدعاه إلى بغداد سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م، فبقى بها إلى سنة ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م[٦].

---

١) الفهرست لابن النديم ص١٧٢.

٢) طبقات الأمم ص٤٩، تاريخ الحكماء للقفطى ص١٤٨-١٤٩، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٤١٣.

٣) لمعرفة المزيد عن ابن المقفع ودوره فى الترجمة راجع: رسائل الجاحظ ج ٢ ص١٩٢ - ٢٠٢ [ط القاهرة ١٩٦٤ م]، وفيات الأعيان ٢ / ١٥٢ - ١٥٤، كشف الظنون ٢ / ١٥٠٨، صبح الأعشى للقشقلندى ج ١ ص٤٠، ٩٣، ٣٢٧، ٤٤٥، ٤٤٦ (ط القاهرة ١٩٦٣ م).

٤) التعريف بأبقراط وجالينوس.

٥) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٨٢.

٦) القفطى: تاريخ الحكماء ص١٠٩، عيون الأنباء ص١٨٣.

وجملة القول فإن المنصور هو أول من ازدهرت فى عهده حركة الترجمة من خلفاء بنى العباس، وأمدها بكل ما احتاجت إليه، الأمر الذى ترتب عليه فيما بعد إيجاد نهضة علمية زاهرة فى بغداد كان قيامها نتيجة حتمية لما تمت ترجمته من مؤلفات فى شتى العلوم التجريبية والعقلية من اللغات اليونانية والسريانية والسنسكريتية (الهندية القديمة) إلى اللغة العربية.

[٢] عصر الرشيد / البرامكة

ولم تلق حركة الترجمة الاهتمام ذاته من لدن الخليفتين المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥م) والهادى (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م)، الأمر الذى أدى إلى ركود ذلك النشاط الذى حفل به عهد المنصور[١]، ولكن لم يدم ذلك طويلا: إذ سرعان ما بزغ عصر جديد بلغت فيه الترجمة مبلغا جاوز فى حده كل ما سبق فى هذا الباب، ذلك هو عصر هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م).

كان للرشيد شغف عظيم بالعلم والأدب أكثر مما كان عند أى واحد من أسلافه، «وكان للرعاية التى أولاها لحركة الترجمة وتشجيعه المادى لها أهم الأسباب التى حدت بها أن تبلغ ما بلغته فى هذا الوقت»[٢]، ولذلك اعتبر عصره من أزهى العصور التى مرت بها الترجمة قبل الخليفة المأمون.

ومن مظاهر عناية الرشيد بالترجمة أنه كان يولى العلماء الذين يدرسون كتب العلوم اليونانية ويترجمونها بمساعدات مجزية، كما أنه أنفذ الرسل إلى امبراطورية الروم لجلب المخطوطات اليونانية، وهى سياسة سخية جاءت إلى بغداد بكثير من المؤلفات الهامة[٣].

وهنا - ونحن نتكلم عن دور الرشيد فى حركة الترجمة - يجب ألا نغفل عن دور آخر لايقل أهمية عن دور الرشيد، بل كان له الأثر الفعال فى ازدهار الترجمة فى هذا العصر، وهو دور البرامكة الذين رعوا هذه الحركة بصفة عامة، والترجمة الفارسية إلى العربية بصفة خاصة[٤]. ويأتى يحيى بن خالد بن برمك (وزير الرشيد) (المتوفى ١٨٧ هـ / ٨٠٢م) فى مقدمة البرامكة الذين شغفوا بعلوم الأوائل والحرص على تعريبها[٥]. وبهذا الخصوص يقول

---

١) رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٧٧.

٢) رشيد حميد الجميلى: المرجع السابق ص٧٨.

٣) أوليرى: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب (ص٢٢٨ - ٢٢٩) نقله إلى العربية د. تمام حسان - مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٥٧ م.

٤) رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٨٠.

٥) راجع كشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٥٠٨، صون المنطق والكلام للسيوطى ص٦ - ٩.

شوقى ضيف فى سياق حديثه عن البرامكة: «لقد كان للبرامكة فضل عظيم فى إذكاء الترجمة: فقد شجعوا بكل ما استطاعوا على نقل الذخائر النفيسة إلى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية. .. وكانوا مما عنوا به إعادة ترجمة بعض الكتب اليونانية التى ترجمت قبل عصرهم، بحيث تكون أكثر دقة وإتقانا على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجسطى»[١]، وهو الكتاب الذى صنفه بطليموس.

وقد عنى البرامكة عناية خاصة وواسعة بترجمة التراث الفارسى، ونرى جيلا كبيرا ينهض فى عصرهم والعصر الذى تلاهم - بهذه الترجمة، نذكر بينهم آل نوبخت، وفى مقدمتهم أبو سهل الفضل بن نوبخت الذى أكثر من ترجمة كتب الفلك، وعرف به ابن النديم بقوله: «فارسى الأصل، وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وله نقل من الفارسى إلى العربى»[٢].

وعلى نحو ما دفع البرامكة إلى ترجمة التراث الفارسى واليونانى دفعوا أيضا إلى الانتفاع بالتراث الهندى وترجمته، فقد اجتلب يحيى بن خالد البرمكى إلى بغداد أطباء الهند؛ مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندباذ، وفتح لهم بيمارستانا (مستشفى)، وسرعان ما استعربوا وشاركوا هم وغيرهم من مستعربة الهند فى نقل الكنوز الهندية، وخاصة فى الطب والعقاقير[٣].

ثالثا: الترجمة فى القرن الثالث الهجرى (التعريب الكثيف):

كانت النتائج الهامة التى تمخض عنها الدور الذى قام به كل من المنصور والرشيد فى حركة الترجمة بمثابة الطريق المعبد الذى مهد للمأمون (١٩٨-٢١٨ هـ/٨١٣-٨٣٣م) من السير فى الاتجاه ذاته.

وتبدأ عناية المأمون بالترجمة بعد دخوله بغداد سنة١٩٨هـ/ م، أى مع مطلع القرن الثالث الهجرى، وهذا القرن «يعتبر بحق نقطة تحول فى تاريخ الترجمة، لما آلت إليه من التطوير والانتشار السريع فى امتدادها إلى ضروب العلوم المختلفة التى خضعت لها[٤]، وبلوغها آخر

---

١) د. شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول (ص ١١٢) دار المعارف - الطبعة التاسعة - وراجع الفهرست لابن النديم ص٣٧٤.

٢) الفهرست لابن النديم ص٣٨٢، ص٣٤١ - ٣٤٢، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص٦٠، تاريخ الحكماء للقفطى ص١٦٨ - ١٦٩.

٣) الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص٩١ (بتحقيق حسن السندوبى) وراجع د. شاكر مصطفى: حول حركة التعريب عن ثقافات الأوائل (بحث منشور بمجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت - العدد السادس - ص٣٩).

٤) رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٨٩.

مراحل نضجها - وفى مستوى من التمام - لم تبلغه طيلة تاريخها؛ الأمر الذى يمكن معه أن يطلق على هذا القرن اسم " قرن الترجمة ": وذلك بسبب التحولات الجذرية التى شهدها فى هذا الميدان بصفة خاصة، وما رافق ذلك من نتائج بصفة عامة.

فى هذا الدور تقاطر إلى بغداد المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس، وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية واللاتينية والهندية، وكثر فى بغداد الوراقون وباعة الكتب، وتعددت مجالس العلم والمناظرة، وأصبح هم الناس البحث والدرس، وظلت تلك النهضة بعد المأمون حتى نقلت أهم كتب القدماء إلى اللغة العربية.

ولعل أهم ما يميز تلك المرحلة من تاريخ الترجمة أن الحصول على كتب الأوائل بأنواعها أصبح مطلبا ثقافيا عاما، وأن البحث عنها فى بلاد الروم واستدعاء التراجمة لها، وإجزال العطاء لهم لم يكن عملا ملكيا فقط (كما كان المأمون يفعل)، ولكن كان الأفراد الأغنياء يتولون ذلك أيضا، ويقوم به التراجمة أنفسهم. وبهذا الخصوص يقول ابن النديم - مثلا - عن محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر المنجم (وكان أفراد هذه الأسرة من مشاهير علماء بغداد فى علوم الرياضيات والفلك)- «وهؤلاء القوم ممن تناهى فى طلب العلوم القديمة، وبذلوا فيها الرغائب، وأتعبوا فيها نفوسهم، وأنفذوا إلى بلد الروم من أخرجها إليهم، فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السنى، فأظهروا عجائب الحكمة»[١]. ويذكر القفطى ما يفهم منه أن الطبيب والفيلسوف حنين بن إسحق العبادى[٢](المتوفى ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م) - وكان من كبار النقلة فى بغداد - بحث عن الكتب لحسابه، وأنه «دخل بلاد الروم لأجل تحصيل كتب الحكمة، وتوصل فى تحصيلها غاية إمكانه، وأحكم اليونانية عند دخوله إلى تلك الجهات، وحصل نفائس هذا العلم، وعاد يلازم بنى موسى بن شاكر، ورغبوه فى النقل من اللسان اليونانى إلى العربى»[٣]. ويذكر القفطى أيضا أمن محمد بن إسماعيل التنوخى المنجم بلغ من شدة بحثه عن هذه العلوم أنه رحل فى طلبها إلى الآفاق، ودخل الهند، وصدر عنها بغرائب فى علم النجوم والفلك[٤].

---

١) الفهرست ص٣٧٩، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٢٠٨.

٢) ستكون لنا عودة إلى هذا العالم فى عدة مواضع من البحث لما كان يتمتع به من مكانة مرموقة فى كثير من فروع العلم (راجع ص٣٨٦، ص٤٠٩، ٤٥٢).

٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١١٩.

٤) إخبار العلماء. ... ص١٨٥.

وكما كان المأمون وغيره من الخلفاء فى القرن الثالث الهجرى ينفقون على الترجمة من أموالهم كان الناس بدورهم يبذلون من غناهم، فيكر ابن أبى أصيبعة أنه كان لدى حنين بن إسحق العبادى كاتب يعرف بالأزرق ينسخ له كتبه بخط مولد كوفى «... وهى حروف كبار بخط غليظ فى أسطر متفرقة، وورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الأوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات أو أربع... وكان قصد حنين بن إسحق بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه لأجل ما يقابل به من وزنه دراهم» [١]. ويروى حنين نفسه فى رسالة كتبها أنه حين برز اسمه واغتنى صار يقضى الحوائج لسائر الناس، وينقل (يترجم) لهم الكتب بغير عوض ولا جزاء، «بعد أن كنت إذا نقلت لأحدهم كتابا أخذت وزنه دراهم» [٢].

وفى دار بنى موسى بن شاكر ببغداد كان يعمل - دون إبطاء - فريق كبير من المترجمين من أنحاء البلاد، وقد عرف هؤلاء الأخوة الثلاثة (محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر) بالبذل فى سبيل التعريب والترجمة بقصد تشجيعها وتنشيطها، حيث كانوا يغدقون على النقلة كل ما يحتاجون إليه من مال لنقل العلوم والمعارف، وفى ذلك يقول ابن أبى أصيبعة: «إن بنى المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة - منهم حنين بن إسحق وحبيش بن الحسن الأعسم وثابت بن قرة الصابئ وغيرهم - فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة» [٣].

ويعتبر يوحنا بن ماسويه الطبيب البارز (المتوفى ٢٤٣ هـ / ٨٥٧م) أحد رعاة حركة الترجمة الذين ساعدوا على ازدهارها فى القرن الثالث الهجرى، وذلك بتدعيمها ماديا وعن طريق تشجيع النقلة المعاصرين له، فترجمت باسمه الكثير من الكتب، وبخاصة الطبية منها، بالإضافة إلى دوره كمترجم لعدد من المؤلفات اليونانية. ومن جهة أخرى كان ابن ماسويه أحد الذين ساهموا فى نقل المخطوطات اليونانية من القسطنطينية عن طريق البعثات التى كان الخليفة المأمون يبعث بها إلى هناك لانتقاء أهم ما خلفه اليونان من تراث فى مختلف العلوم، والعودة بها إلى بغداد، ثم العمل على ترجمتها إلى العربية على يد يوحنا نفسه، أو على يد غيره من النقلة الأكفاء [٤].

وهكذا يتبن لنا أن رعاية حركة الترجمة لم تكن مقصورة على الخلفاء والأمراء فقط، بل

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٧٠ - ٢٧١.
٢) عيون الأنباء ص٢٧٠.
٣) عيون الأنباء ص٢٦٠، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٢٠٨.
٤) عيون الأنباء (ترجمة يوحنا بن ماسويه ص٢٤٦ - ٢٥٧) وإخبار العلماء للقفطى ص٢٤٨ - ٢٥٦. وراجع: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى لرشيد حميد الجميلى ص١٦٠ - ١٦١.

شاركهم فى هذا المجال أناس كرسوا جل أوقاتهم فى سبيل ازدهار هذه الحركة ونشر العلوم الطبية والفلسفية والرياضية، فدعموهاماديا، وتجشموا عناء الأسفار من أجل توفير مادة الترجمة من كتب ومخطوطات، وجلبها إلى بغداد.

أشهر النقلة فى القرن الثالث الهجرى:

أما عن أشهر النقلة فى القرن الثالث الهجرى فإننا نستطيع أن نسرد العديد الكبير من نجوم التعريب فى هذا القرن والوقوف على الأثر الذى تركه كل واحد فى تعريب كتب القدماء. غير أن ذلك يطول، ويخرج بالبحث عن المقصود. وتزخر المصادر بأخبار هذه الجماعة فى صفحات بعد صفحات، وسوف يجد القارئ فى سياق تناولنا للنهضة العلمية التى شهدتها بغداد فى مجال العلوم التجريبية أمثال عديدة للكتب التى قام هؤلاء النقلة بترجمتها وتنقيحها. ولابأس أن نشير هنا إلى عدد من القمم البارزة، فمنهم: يوحنا بن البطريق وحنين بن إسحق العبادى (المتوف ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م) [وهو تلميذ يوحنا بن ماسويه الطبيب المذكور قبل قليل] وولده إسحق بن حنين بن إسحق (المتوفى ٢٩٨ هـ / ٩١٠م) ويعقوب بن إسحق الكندى الفيلسوف (المتوفى ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م) وثابت بن قرة الحرانى (المتوف ٢٨٨ هـ / ٩٠٠م) وعمر بن الفرخان الطبرى البغدادى (المتوفى هـ /م) وحبيشى بن الحسن الأعسم تلميذ حنين وابن أخته. وقسطا بن لوقا البعلبكى (المتوفى ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) وغيرهم. وأربعة من هؤلاء كانوا حذاق الترجمة فى الإسلام كما يقول أبو معشر البلخى البغدادى، وهم: حنين بن إسحق والكندى وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان[١].

حنين بن إسحق عميد المترجمين:

ويأتى حنين بن إسحق على رأس هؤلاء جميعا؛ فقد كان ناقلا لامعا، استطاع أن ينقل إلى اللغتين السريانية والعربية أهم تراث اليونان فى الطب والفلسفة، وإن نظرة سريعة على أسماء المصنفات التى ترجمها تبين لنا ذلك العمل الذى أنجزه فى هذا المجال[٢]، الأمر الذى استحق معه أن يحمل لقب " حامل لواء الترجمة " أو " عميد المترجمين " أو " شيخ المترجمين "

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٨٦، صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص٣٧.

٢) راجع ترجمة حنين فى عيون الأنباء ص- وإخبار العلماء للقفطى ص١١٧ - ١٢٢ - وراجع: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص٢٣٢ - ٢٣٤، إسهام علماء العرب والمسلمين فى الطب، لعلى عبد الله الدفاع ص٧ وما بعدها.

إلى غير ذلك من ألقاب أطلقها الباحثون عليه[١]. بل ووصف بأنه «أعظم شخصية علمية أنجبتها الحضارة الإسلامية فى المائة الثالثة للهجرة» [٢]، ويقول عنه القفطى: «لم يزل أمره يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر فى النقل والتفاسير (أى الشروح) حتى صار ينبوعا للعلم ومعدنا للفضائل» [٣]. وقد أتقن حنين العبادى أربع لغات هى: السريانية واليونانية والفارسية والعربية، وكان بها ناقلا مجيدا إلى أقصى درجات الدقة والجودة[٤]. وترجم وحده - كما يقول هو نفسه - إلى اللغة السريانية مائة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته، وترجم إلى اللغة العربية تسعا وثلاثين رسالة أخرى، وبفضل ترجماته هذه نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء.

والمقصود إذن أن جمهرة النقلة خلال القرن الثالث الهجرى أضحوا يشكلون طبقة بارزة فى الوسط العلمى البغدادى، ولم يكونوا أفرادا محدودى العدد والمكانة، ولكن جماعة ثقافية واضحة أسهمت بدور كبير وفعال فى مجال التطور الفكرى والتقدم العلمى الذى تميز به العصر العباسى فى ذلك القرن والذى يليه.

وهكذا يتضح لنا أن الترجمة فى القرن الثالث قد بلغت حدا من النشاط والرقى لم تبلغه فى تاريخها من قبل، وقد تمثل هذا التقدم بصفة رئيسية خلال هذا القرن فى عصرى المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) والمتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦٢م). وبالرغم من أن القرن الثالث الهجرى - عصر الترجمة الحقيقى - كان قد استوفى أهم أغراضه فى هذا الميدان؛ حيث أدخل إلى اللغة العربية أهم ما فى تراث الأوائل من أمهات المصادر فى مختلف فروع العلم التجريبى وبعض جوانب فروع الأدب والتاريخ - بالرغم من ذلك فإن المد التعريبى لم ينقطع بعد ذلك، ولكن استمر قائما حتى أواسط القرن الرابع الهجرى تقريبا.

رابعا: الترجمة فى القرن الرابع الهجرى:

ويعتبر النصف الأول من القرن الرابع الهجرى هو المكمل المباشر لنظيره النصف الأول من القرن الثالث فى مجال الترجمة. وعلى الرغم مما قيل فى هذا القرن الجديد من حيث ازدهار حركة الترجمة فيه فإن القرن السابق عليه - الثالث الهجرى - كان أفضل فى هذه الناحية من وجوه عديدة؛ أهمها أن القرن الثالث قد شهد رعاة كثيرين لحركة الترجمة هذه وعلى مختلف

---

١) Bartod , v.v. , Mussulman culture , calactta ص ١٤٠، د. عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص١١٨ (القاهرة ١٩٤٠م)

٢) د. عبد السلام محمد النويهى: علم النبات عند العرب ص١٧.

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٢١.

٤) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٩، عيون الأنباء ص٢٥٩.

المستويات، سواء كان ذلك من جانب الخلفاء أو من جانب بعض الشخصيات العلمية البارزة فى الدولة ممن عضدوا هذه الحركة وآزروها[١]. ومن جهة ثانية فإن القرن الثالث الهجرى كان قد شهد نشاطا غير محدود فى هذا الميدان أسفر عن قيام حركة ثقافية فى التدوين والتأليف، ولكنها كانت أقل اتساعا من حركة الترجمة ذاتها. فى حين انبثقت فى القرن الرابع حركة واسعة فى التدوين والتأليف على حساب حركة الترجمة وكنتيجة مباشرة لها. وفى هذا السياق يقول الدكتور محمد جمال سرور: «شغل علماء بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقل وترجمة العلوم الأجنبية إلى العربية، ولكنهم فى القرن الرابع انصرفوا إلى الإنتاج الشخصى»[٢]، وهذا يعنى - كما يقول أحد الباحثين - أن القرن الرابع ما كاد يستهل حتى أخذت الحركة العلمية (ببغداد / المشرق) فى النضج، وغدت الترجمات مردفة بالتعليقات والشروح، وبدأت المؤلفات تظهر أولا بصورة دراسات قصيرة فى موضوعات محدودة، ثم بشكل مؤلفات جامعة فيها اقتباس واجتهاد وتحليل ونقد، وتنظيم وتبويب واستنباط[٣].

ومع أن القرن الرابع الهجرى يتميز بهذه الخصوصية فإنه كان قريب الشبه بالقرن السابق عليه من حيث كثرة عدد النقلة الذين قدموا للعلم والحضارة خدمات جليلة، ومن أشهرهم: الطبيب البارز سنان بن ثابت بن قرة الحرانى (المتوفى ٣٣٢ هـ / ٩٤٣م) وأبو بشر متى بن يونس (المتوفى ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م) ويحيى بن عدى التكريتى البغدادى (المتوفى ٣٦٤ هـ / ٩٧٤م) وعيسى بن إسحق بن زرعة (المتوفى ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م) وغيرهم. وسيأتى مزيد من المعلومات عن هؤلاء الأعلام فى سياق حديثنا عن اسهاماتهم فى العلوم الفلسفية والطبية وغيرها.

الملامح العامة لحركة الترجمة والنتائج التى تمخضت عنها:

تلك هى - بإجمال - الأطوار الأربعة التى مرت بها حركة الترجمة عبر ما يقرب من ثلاثة قرون حتى وصلت إلى قمتها فى بغداد. ونتساءل بعد ذلك عن حصاد التعريب وملامحه العامة

---

١) رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ص١١٣.

٢) د. محمد جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس للهجرة - ص٢١٣ (دار الفكر العربى، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م).

٣) كمال اليازجى: معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط - ص٦٧ - ٦٨ (بيروت ١٩٦٦م). وراجع: رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى ص١١٤.

فى أطواره الأربعة فنجد ما يلى:

[١] كانت حركة الترجمة إلى اللغة العربية واسعة النطاق، وشملت أكثر ما أنتجه الأقدمون فى الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والكيمياء والنبات وغيرها، حتى لنكاد نظن أنه لم يبق شئ من هذا التراث لم ينقل إلى العربية. ولم تمض مائة عام تقريبا على تأسيس بغداد حتى كان العرب والمسلمون يقرءون بلغتهم معظم ما كتبه اليونان والفرس والهنود.

[٢] لقد قام النقلة بالترجمة عن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية (السنسكريتية) بالدرجة الأولى، كما ترجموا أحيانا عن النبطية واللاتينية وعن القبطية (فى مطلع أيام التعريب). وهذه هى تقريبا كل اللغات الحضارية التى كانت موجودة فى القرون الأولى من العهد الإسلامى، وكتبت بها مختلف علوم الأوائل. غير أن أكثر ما نقل إلى العربية فى تلك النهضة هى الكتب اليونانية (سواء المكتوبة باليونانية أو السريانية)، وأكثرها فى ميادين الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وفروع العلم الطبيعى. وبهذا الخصوص يقول كراتشكوفسكى: «ويبدو جليا أن شمول التراث الهـــلنستى[١] واتساع مداه واستيعابه المنظم لدى العرب هو الطابع المميز فى تاريخ نفوذ العلم اليونانى إلى العرب لدى مقارنته بالهندى والإيرانى (الفارسى). ففيما يتعلق بالتراث الهندى والإيرانى نلتقى بمصنفات منفردة تدين بظهور الجهودات فردية، وذلك بعكس التراث اليونانى الذى بدأ العمل فيه بطريقة منظمة... وفى زمن قصير انتشرت بين العرب مؤلفات أبقراط وجالينوس وأقليدس وأرخميدس (أرشميدس) ومينلاوس وأبولونيوس وماريوس، وهى تمثل فى مجموعها القاعدة الأساسية للعلم اليونانى»[٢].

[٣] شملت عملية التعريب كل ما كان بين الأيدى من تراث الأوائل - لاسيما التراث اليونانى كما ذكرنا - إلا فى ميدان الأدب والتاريخ، فقد كانت عملية التعريب فى هذا الباب انتقائية؛ أى أن الحضارة العربية الإسلامية اختارت ما يتفق وحاجاتها. ومع كثرة ما نقل عن اليونان أهملت تماما ترجمة كتبهم التاريخية والأدبية إلا فى القليل النادر، بينما نقل ما يقابلها عند الفرس والهنود، حيث ترجمت جملة صالحة من تواريخ الفرس وأخبار ملوكهم وسيرهم وبعض

---

١) العصر الهيلينستى هو العصر اليونانى الشرقى، وكان مزيجا من الحضارة اليونانية ومختلف الحضارات الشرقية كالمصرية والسورية والفارسية. ويسمى هذا العصر بالعصر الهيلينستى تفريقا له عن الهيلينى، وهو العصر اليونانى الصرف (حركة الترجمة بالمشرق الإسلامى - لرشيد حميد الجميلى ص٧٨ [نقلا عن كتاب " من حضارتنا " لجورج عطية ص٣١ - ٣٢ - ط بيروت ١٩٥٦م]).

٢) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص٧٨.

كتب السياسة والقصص، وترجمت عن الهنود بعض كتب السحر والطلسمات.

[٤] أما عن عدد الكتب التى نقلت فهى بضع مئات، فمجموع كتب الطب - مثلا - التى ترجمت عن اليونانية وحدها يبلغ حوالى تسعين كتابا على الأقل. وقد قام جورج زيدان فى كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى) بعمل حصر للكتب المترجمة التى كان عليها معول علماء العرب والمسلمين فيما صنفوه. وعلى كثرة ما ذكر الباحث من أسماء هذه الكتب موزعة على فروع العلم المختلفة فإن عمله هذا كان محددا، «لتشتت أخبارها وضياع كثير منها» كما يقول[١].

وعلى الرغم من هذه الكثرة فقد بذلت فى الترجمة جهود مضاعفة فى كثير من الأحيان جعلت العديد من الكتب تترجم مرتين، أو ترجم - أحيانا - ثلاثا أو أربعا، أو تصحح مرة بعد مرة. ومن هنا كان من أعمال التعريب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ما نقرؤه فى تراجم كثير من كبار النقلة من أنهم «صححوا» ترجمات غيرهم، وعن ترجمة الكتاب الواحد اكثر من مرة. وقد يتعاون بعض التراجمة على كتاب واحد معا، أو قد ينقلونه إلى السريانية أو الفارسية أولا تمهيدا لنقله إلى العربية فى عملية من الترجمة المزدوجة. وستأتى أمثلة على ذلك فى ثنايا بحثنا. «ولا يمكن أن ينظر إلى هذه الأعمال إلا على أنها مراحل متتالية من الجهد المنظم المتعمد للوصول لا إلى النصوص الصحيحة الأصلية فقط، ولكن إلى أمرين آخرين فى وقت واحد: الاتصال المباشر بعلوم الأوائل فى لباب العمليات الفكرية التى أبدعها من جهة، والوصول باللغة العربية - بالمقابل - إلى مستوى التعبير العلمى اللازم لاستيعاب تلك العمليات الفكرية والتفاعل معها وتجاوزها»[٢].

ومن ناحية أخرى لم يكن عامة المترجمين آلة للنقل فى مترجماتهم لمصنفات الأمم الأخرى إلى اللغة العربية، وإنما كانوا متخصصين فى العلوم التى يقومون بترجمتها، وكثيرا ما كانوا يقومون بعمل ملخصات وتفاسير وشروح لعدد من الكتب المترجمة، بالإضافة إلى تآليفهم العديدة فى مختلف العلوم العقلية والتجريبية التى عرفوها من خلال ترجماتهم، أو ما كان موجودا منها قبل ذلك، أو ما أوجده البعض منهم بالفعل و لم يكن معروفا من قبل. وسوف نقف على هذا الجانب خلال الفصول التى تبحث فى مآثر المدرسة البغدادية فى علوم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء وغيرها.

---

١) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج ٣ ص١٧٠ - ١٨٢.

٢) د. شاكر مصطفى: حول حركة التعريب عن ثقافات الأوائل فى القرون الثلاثة الأولى للإسلام - بحث منشور بمجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت - العدد السادس ١٩٧٤ م / ١٣٩٣هـ، - ص٥٣.

[٥] وعادة ما كان يقوم بالترجمة جماعات من المترجمين، يشرف على كل منها رئيس يراجع أعمالهم، ويصحح أخطاءهم، ويقف وراء حركتهم الخلفاء والأمراء وأهل اليسار من محبى العلم، يغذونها بالمال، ويتعهدون أهلها بالرعاية والتقدير، بقطع النظر عن مللهم أو نحلهم أو أنسابهم.

ولعل من نتائج هذا أن أضحت الترجمة حرفة أو صنعة من صناعات الراغبين فى خدمة البلاط العباسى وقصور الكبراء ونشدان الثروة والجاه، أو كانت على الأقل باب رزق لهم. «ولأن الترجمة قد صارت حرفة فقد لحقها ما لحق الأمور الأخرى ضمن النظام العباسى؛ فكما صارت الوزارة والكتابة والحجابة أعمالا وراثية كذلك صارت الترجمة عملا وراثيا يتوالى عليه من الأسرة الواحدة أكثر من جيل، ويكفى أن نتذكر فى هذا الصدد آل بختيشوع، وآل حنين بن إسحق، وآل البطريق، وآل قرة، وغيرهم»[١].

[٦] ومن الملاحظ أن المترجمين كانوا - فى كثرتهم الساحقة - من غير العرب، ووجود بضعة أسماء معدودة عربية لايمنع من تعميم هذه الظاهرة. وكان أكثر العاملين بالترجمة نساطرة من المسيحيين، ثم يأتى من بعدهم فى الكثرة اليعاقبة، وكلا الفريقين ظل على دينه إلا القليل. وقد اختص هؤلاء جميعا بالتراث الإغريقى. وأما التراث الفارسى فالفرس الذين تحولوا إلى الإسلام خاصة هم الذين عملوا على نقله إلى العربية. وأما ما نقل عن الهند فالهنود بدورهم هم الذين نقلوه.

وقد يقال: إن جمهرة المترجمين كاموا من الأجانب غير المسلمين، بل ومن غير العرب، فإذا صح أن يكون لأحد فضل فى حركة نقل العلوم فإلى هؤلاء يرجع الفضل. والرد على هذه المقولة يتلخص فى أن الفضل مشترك، والسبب الذى من أجله كانت غالبية المترجمين من غير العرب هو أن الترجمة تحتاج إلى معرفة عدد من اللغات، و لم يكن هذا متوافرا للعرب، ولكن ذلك لايكفى، فلابد - لكى يقوم هؤلاء النقلة من غير المسلمين والعرب بمهمتهم - لابد من وجود من يحرص على إتمام هذه المهمة ويتكفل بنفقاتها، وقد كان قادة العرب على استعداد للبذل وحرص على تحقيق النهضة العلمية التى يرجع إليهم - لا إلى سواهم - فضل بدئها والاستمرار فيها ونجاحها[٢].

---

١) د. شاكر مصطفى: حول حركة التعريب عن ثقافـات الأوائل - بحث منشور فى المجلة المذكورة ص٥٢.

٢) كويلريانج: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته ص١٤٢ - ١٤٣ (بتصرف) [ترجمة عبد الوهاب أيوب - ط القاهرة ١٩٧٣م].

[٧] وقد انحصرت عملية التعريب كلها - بعد غياب دمشق فى القرن الأول الهجرى- انحصرت فى العراق، وفى بغداد منها بالذات، فإليها كان يهرع المترجمون - على اختلاف جنسياتهم وأديانهم - من حران وجنديسابور والرها وأنطاكية وغيرها من المدن. ولانكاد نسمع عن تعريب فى الشام أو مصر أو فارس بداية من العصر العباسى. وبالرغم من أننا لانشك فى أن هذه الأقطار لم تكن بعيدة عن ما يحدث فى بغداد من بناء للحضارة إلا أننا لانشك فى الوقت نفسه أن بغداد كانت المركز الأكثر حيوية وحركة وإنتاجا، وأن هذا التمركز خدم عملية التعريب، وسمح لها على الأقل أن تلتقى فى بؤرة واحدة، وأن تتبادل الخبرات، وأن ينطلق منها العلماء لنشر الحضارة والمدنية فى ربوع الدولة الإسلامية كلها.

لقد تقاطر العلماء النقلة من الأنحاء المختلفة إلى بغداد من أجل تجسيد هدف واحد، ألا وهو خدمة العلم عن طريق المسلمين بنقل ما خلفته أمم اليونان والفرس والهند من تراث إلى اللغة العربية. وعلى الرغم من اختلاف أهميتهم وقدرهم فى هذا السبيل فإنهم هم الذين يقفون وراء ما وصل إليه العرب والمسلمين من تقدم وازدهار فى شتى مجالات الحضارة.

****

تطوير علوم الأوائل وتحديثها فى بغداد / المشرق:

وأخيرا فإن الكثرة العددية الواسعة فى المترجمين وفى الكتب المترجمة، وفى إقبال السوق الفكرية على هذه الكتب، كل ذلك كان يقابله فى بغداد وحواضر المشرق الإسلامى استيعاب واضح للتيارات الثقافية الأجنبية «وفى الوقت الذى كانت الثقافة العربية الإسلامية تنمو وتتطور دون انقطاع بما يصلها عبر تلك السفارة من ثقافات الدنيا».

ولم تقف الحركة الثقافية العربية الإسلامية عند حدود نقل حضارات العالم القديم واستيعابها كما زعم البعض من الباحثين الأوربيين حيث قال أحدهم مدعيا أن كل ما فعله العرب لم يكن سوى مجرد نقل: «وإذا ما بحثنا حضارات البلدان التى فتحها العرب استطعنا أن نحكم بسهولة بأن كل شئ بقى فى الإسلام كما كان على عهده القديم لم يضف ايه جديد، سواء فى ميادين السياسة وفن الحرب والاقتصاد والعلم والفنون والصناعات، وإن المرء لتدخله الدهشة من المترجمات الضخمة العديدة فيحسب أن أفكارا جديدة قد أدخلت إلى مهد الحضارة الإسلامية، لكن هذا الرأى باطل من أساسه، فكل شئ بقى عمليا كما كان من قبل»[1].

---

١) كارل هينر بكر: تراث الأوائل فى الشرق والغرب - مطبوع ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، لكبار المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوى (ص ١٥) - دار القلم، بيروت، لبنان ١٩٨٠ م.

إن هذا القول المردَّد دوماً بأن العرب والمسلمين نَقَلةٌ للفكر القديم فحسب إنما هو قول باطل متحامل على الحقيقة الناصعة، وهى أن الحركة العلمية فى بغداد / المشرق انتقلت من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة إلى مرحلة التأليف العلمى والابتكار الأصلى، وإجراء التجارب والبحوث واستخلاص النتائج والقوانين على أساس من المنهج العلمى الصحيح. وهذا ما يقرره **أستاذنا الدكتور أحمد شلبى** بقوله: «من الحق أن نؤكد أن المسلمين حين ترجموا هذه العلوم إلى لغتهم زادوا عليها وحوّروا فيها وصبغوها صبغة جديدة، ولم يكن العرب مترجمين فقط أو معلقين، بل إنهم اخترعوا الكثير. ..»[١]. ويقول جورجى زيدان: «لما نضج التمدن الإسلامى وانتشرت العلوم الدخيلة فى بلاد الإسلام عنى المسلمون بدرسها، ونبغ منهم جماعة فاقوا أصحابها، وأدخلوا فيها آراء جديدة، فتنوعت وارتقت على ما اقتضاه الإسلام والآداب الإسلامية وما مازجها من علوم الأمم الأخرى، فأصبحت على شكل خاص بالتمدن الإسلامى»[٢].

وهذا يعنى أن علماء المسلمين كانوا ينظرون إلى الحضارات القديمة بعين،/ وينظرون بالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية، فتفاعل الفكر الأجنبى الدخيل مع التراث الإسلامى الأصيل،فكان الإنتاج الخصيب الجديد.

وقد وجد من بين علماء الغرب الأوربى من دافع عن تلك الحقيقة الناصعة، من أمثال "ول دِيورَانت" فى كتابه (قصة الحضارة) و " ل. لِكْلير " فى كتابه (تاريخ الطب العربى) و"بِرينولت " فى كتابه (تكوين الإنسانية) و " جُورج سَارْتُون " فى كتابه (المدخل إلى تاريخ العلوم) و " زِيغْرِيد هـــونكه " فى كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) و " كَرلُونلِّينو " فى كتابه (علم الفلك تاريخه عند العرب فى العصور الوسطى) و " سيديو" فى كتابه (تاريخ العرب العام) وغيرهم. ولا يتسع المقام لذكر أقوال هؤلاء الباحثين للتدليل على ما نقول، ونكتفى بالنقل عن اثنين منهم:

١ - يقول " سيديو " فى كتابه المذكور: «خلال العصر الذهبى للحضارة الإسلامية تكونت مجموعة من أكبر المعارف الثقافية فى التاريخ، وظهرت منتوجات ومصنوعات متعددة واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهنى المدهش فى هذا العصر، وجميع ذلك تأثرت به أوربا، بحيث ينبغى القول بأن العرب كانوا أساتذتها فى جميع فروع المعرفة. ولقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء، وليس من مفر أمامنا إلا أن

---

١) د. أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية (عشرة أجزاء) الجزء الأول ص٥٢.
٢) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج ٣ ص١٩٦.

نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلا أو آجلا»[١].

٢ - ويقول سارتون فى كتابه (حضارة الثقافة الغربية فى الشرق الأوسط): «حاول بعض المؤرخين التقليل من أهمية المآثر العظيمة للحضارة العربية بإنكار ما فيها من أصالة، والادعاء بأن العرب مقلدون ليس إلا. إن حكما كهذا خطأ فى جملته؛ إذ يمكن القول إلى حد ما أنه ليس أعمق أصالة من الأصالة التى تملكت الرواد العرب فى التعطش الحقيقى إلى المعرفة، وقد تمكن المسلمون من تطوير معارف كثيرة خاصة بهم فى حقل الرياضيات وغيرها، وكانت لهم فتوحات علمية رفعت العلوم إلى مستوى يعلو بكثير من المستوى الذى رفعها إليه الإغريق»[٢].

وخلاصة القول: كان للعرب والمسلمين الدور الرئيسى والمؤثر فى ميدان الإسهامات الجديدة التى طرأت على مختلف العلوم والمعارف التى تناولتها حركة الترجمة فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر للميلاد). وفى الوقت ذاته لابد من الإشارة إلى أن هذه المآثر التى خلفها العرب والمسلمون فى شتى المجالات ما هى إلا مردودات - أو نتائج - مباشرة لحركة الترجمة ذاتها. ولسنا فى حاجة إلى القول من جديد بأن بغداد كانت هى المركز الذى تجمعت فيه كل الإسهامات الحضارية فى ثوبيها: القديم (الكتب المعربة) والجديد (الإبداع والابتكار).

والآن - وبعد أن تبين لنا أهمية الترجمة بصفة عامة كمدخل (أو مفتاح) للتعرف على ملامح النهضة العلمية التى شهدتها مدرسة (بغداد / المشرق) فى مجال العلوم العقلية والعملية - نحاول فيما يلى (وبقدر من الإجمال والتركيز على الاتجاهات العامة، ودون الوقوف عند الجزئيات والتفاصيل، وفى حدود القرنين الثالث والرابع للهجرة) أن نقف على معالم تلك النهضة من خلال العلوم التالية:

* الفلسفة. * الكيمياء. * الفلك. * الصيدلة.
* الرياضيات. * الموسيقى. * الطب.
* علوم الحياة (علم النبات - علم الحيوان).
* علوم الطبيعة (الميكانيك - الضوء — البصريات — الأصوات — الموسيقى..).

****

١) سيديو: تاريخ العرب العام ، وراجع على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية - ص١٨ - ١٩، جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث ص١٣.

٢) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص٢٧ - ٢٨.

الفصل الثانى
الفلسفة

يعرف الفارابى[١]الفلسفة بقوله: «الفلسفة حدها وماهيتها: العلم بالموجودات بما هى موجودة». ثم يشرح هذه العبارة فيقول: «والحد صحيح مطابق لصناعة الفلسفة؛ وذلك يتبين من استقراء جزئيات هذه الصناعة، وذلك أن موضوعات العلوم وموادها لاتخلو من أن تكون: إما إلهية، وإما طبيعية، وإما منطقية، وإما رياضية سياسية. وصناعة الفلسفة هى المستنبطة لهذه والمخرجة لها، حتى إنه لايوجد شئ من موجودات العلم إلا وللفلسفة فيه مدخل وعليه غرض ومنه علم، بمقدار الطاقة الإنسية»[٢].

وبناء على هذا التعريف فإن مدلول الفلسفة يتسع ليشمل جميع المعارف الإنسانية. وحول هذا المعنى يقول حاجى خليفة فى (كشف الظنون): «علم الحكمة هو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هى عليه فى نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. وموضوعه: الأشياء الموجودة فى الأعيان والأذهان»[٣]. ويقول الخوارزمى فى (مفاتيح العلوم): «ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح»[٤].

نوع الفلسفة التى نؤرخ لها فى [بغداد / المشرق]:

وقبل الدخول فى الحديث عن مدرسة بغداد الفلسفية نود أن نشير إلى أن الفلسفة التى نؤرخ لها - والتى ظهرت فى العالم الإسلامى انطلاقا من الحاضرة العباسية (بغداد) - هى الفلسفة ذات الإلهام اليونانى، ويطلق عليها اسم "الفلسفة التقليدية"[٥] أو "الفلسفة التوفيقية التلفيقية"[٦]. وأشهر من يمثلها فى المشرق الإسلامى: الكندى والفارابى وإخوان الصفا وابن

---

١) سيأتى التعريف بالفارابى وجهوده فى الفلسفة بعد صفحات قليلة (ص ٣١٨).
٢) الثمرة المرضية فى بعض الرسالات الفارابية ص١ - ٣ (نشره ديتريصى Dietrici / ليدن ١٨٩٠ م).
٣) كشف الظنون ج ١ ص٦٧٦.
٤) الخوارزمى: مفاتيح العلوم ص٧٩ (المطبعة السلفية بالقاهرة).
٥) د. حامد ظاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا ص٢٢. ومن الجدير بالذكر أن لفظ "الفلسفة" - كما يقول الفارابى - اسم يونانى، وهو دخيل على العربية، وينطق فى اليونانية (فيلسوفن) ومعناه: المؤثر للحكمة (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٦٠٤).
٦) روجيه أرنالديز: العلوم والفلسفة فى حضارة بغداد أيام العباسيين الأولى - بحث بمجلة المورد (العدد الرابع ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩م) - ص٥٠٢.

سنا وغيرهم[١]، «ونلتقى مع هؤلاء جميعا بما يمكن أن يطلق عليه دائرة المعارف الإغريقية، وأننا نجد لديهم تقديرا لكل ما كتبه الإغريق (اليونان) أو " الأوائل " على حد تعبيرهم».

وليست الفلسفة التقليدية (اليونانية القديمة) هى الممثل الأساسى للفلسفة الإسلامية كما يرى بعض المستشرقين، وإنما تتسع دائرة الفلسفة الإسلامية لتضم عددا من الفروع والمجالات الحقيقية الخاصة بها والمعبرة عن روح الإسلام وحضارته وبنائه الاجتماعى، وتتعارض مع الفلسفة اليونانية فى المنهج والمادة. وهذه المجالات هى: علم الكلام والتصوف والأخلاق وفلسفة التاريخ والسياسة وآداب البحث والمناظرة وغيرها. وكل مجال من هذه المجالات يتميز بمصطلحاته وحدوده وقضاياه التى تكاد تفصله عن غيره وتجعل منه علما قائما بذاته . ومن ثم فإن الدعوى التى تتلخص فى أن ما يسمى بالفلسفة الإسلامية ليست إلا نقلا خالصا أو محاكاة للفلسفة اليونانية – هذه الدعوى تقوم على أساس ما كتبه الفلاسفة المسلمون المتأثرون بالاتجاه اليونانى، «لكن لابد أن نعترف أن كل واحد من هؤلاء الفلاسفة كانت له شخصيته الفلسفية الخاصة به، ويتميز بفكرة عاش من أجلها حتى ارتبطت به وأصبحت علامة عليه، الأمر الذى يعنى أنهم مع وحدة المصادر التى استقوا منها آراءهم مختلفون فى الاهتمام والاتجاه والغاية» .

كما أن الدعوى التى تقول: إن الفلسفة الإسلامية ظلت طول حياتها فلسفة انتخابية، قوامها الاقتباس مما ترجم من كتب الإغريق، ومجرى تاريخها أدنى من أن يكون استمدادا من معارف السابقين لا ابتكارا، ولم تتميز عن الفلسفة التى سبقتها بافتتاح أبحاث جديدة – هذه المقولة تصدق – إلى حد ما – على مجال الفلسفة التقليدية ذات الاستلهام اليونانى، لكنها لا تنطبق بحال على معظم المجالات الأخرى التى ذكرناها، فهناك من هذه المجالات ما يسلم وجه الأصالة فيه، «ومع ذلك لو استعرضنا أعمال الفلاسفة المسلمين لوجدنا أن إنتاج كل منهم ينقسم إلى قسمين؛ الأول: يختص بمحاولة عرض الفلسفة الإغريقية وتقديمها إلى المسلمين، سواء بالتلخيص أو بالشرح أو بالتعليق. والثانى: يختص بإنتاجه وأفكاره الخاصة التى أفادت بالضرورة من القسم الأول»[٢].

لقد كانت استعانة فلاسفة المسلمين بالعناصر الأجنبية يكاد يقتصر على جيل الرواد الذين وقع على عاتقهم مهمة نشر الفلسفة فى العالم الإسلامى. وقد وجد هؤلاء من الضرورة أن يستمدوا من مصادر كثيرة، كان من بينها المصدر الإغريقى، لكنهم ما لبثوا أن أدمجوه فى

---

١) سيأتى التعريف بهذه الأعلام ودورهم فى مجال الفلسفة.

٢) د. حامد طاهر: مرجع سابق ص٥١ – ٥٢.

بناء فكرى خاص بهم، ولم يتحول إلى لون من التبعية المطلقة أو فقدان الأصالة الشخصية، «والأقرب إلى الاعتدال هو القول بأن الفكر اليونانى قد خالط الفكر الإسلامى فتأثر به الأخير، مع وجود الملامح الأصيلة للفكر الإسلامى لايمكن جحدها أو التغاضى عنها»[١].

ولابد أن ننبه هنا إلى حقيقة مهمة اتصلت بتاريخ الفلسفة فى الإسلام، وهى أن هذا المجال المذكور - الفلسفة التقليدية - ظل دائما موضع شك من جمهور المسلمين، وموضع هجوم من أكثر علماء الشريعة، وهؤلاء كان لهم تأثير كبير على الجمهور الواسع، ورأوا أن الفكر الصحيح ينبغى أن يستمد من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وآراء السلف بالصورة التى ظهرت فى أقوالهم المأثورة أو طرائق معالجتهم للمشكلات. ومن ثم فقد ظل الإعجاب بالفلسفة اليونانية محصورا فى دائرة ضيقة لايتعدى تأثيرها المباشر عددا قليلا من التلاميذ اتخذوا من بغداد مركزا لهم.

الاعتراف بسلطان الفلسفة اليونانية:

والاعتراف بسلطان الفلسفة اليونانية على العلوم الفلسفية فى الإسلام ظاهر وشائع فى كتب مؤلفى العربية، كالفهرست لابن النديم، و "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسى، و"إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطى، وغيرها. ومن الجدير بالذكر أن العلوم المنقولة عن اليونان وغيرهم - كالفلسفة والطب والفلك والرياضيات - يعبر عنها بلفظ "علوم الأوائل"، وذلك فى مقابلة العلوم المحدثة فى الإسلام التى تمثل "الحضارة الإسلامية الأصيلة" بتعبير أستاذنا الدكتور **أحمد شلبى**[٢].

والرأى السائد عند المؤلفين المسلمين القدامى فى أن الفلسفة اليونانية التى تأثرت بها فلاسفة الإسلام من أمثال الكندى والفارابى. .. الخ ليست إلا مقالات " أرسطاطاليس"[٣]مع

---

١) د. عبد اللطيف العبد: الفكر الفلسفى فى الإسلام ص١١.

٢) د. أحمد شلبى: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية (عشرة أجزاء) - الجزء الأول: تاريخ المناهج الإسلامية ص٢٣.

٣) أرسطاطاليس - ويكتب (أرسطو) - [٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م] من أهل مجذونية (أو مقدونية) إحدى بلاد الروم. قال عنه ابن جلجل: " فيلسوف الروم، عالمها وجهبذها ونحريرها وخطيبها وطبيبها، تكلم فى الطب، وغلب عليه علم الفلسفة وله فيها أشعار وكتب. .. وكان معلم الإسكندر بن فلبس" [وهو الإسكندر المقدونى (حكم من ٣٣٦ / ٣٢٣ قزم) وبنى مدينة الإسكندرية وإليه تنسب وبها دفن] وإليه كتب أرسطو رسالة فى ثمان مقالات فى تدبير ملكه وجميع حاله وأمره، وهو كتاب السياسة فى تدبير الرياسة المعروف بسر الأسرار (راجع طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص٢٥ - ٢٦، طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص٨٦ وما بعدها).

بعض آراء أفلاطون[١] والمتقدمين من فلاسفة اليونان قبل أفلاطون، وهذا ما يقوله الشهرستانى فى (الملل والنحل) عند الكلام عن فلاسفة الإسلام، يقول «... سلكوا كلهم طريقة أرسطوطاليس فى جميع ما ذهب إليه وانفرد به، سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطن والمتقدمين» [٢]. ويقول القفطى فى هذا الصدد: «وبسبب أرسطو كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة فى البلاد الإسلامية» [٣]. وهذا يعنى أن بعض مفكرى الإسلام - على الرغم من أنهم عرفوا الفلسفة اليونانية فى مراحلها المختلفة - فإنهم عرفوا أرسطو على أحسن ما يكون، واهتموا به أكثر من اهتمامهم بأى فيلسوف آخر، وإليه نسبوا فنونا كثيرة، وترجموا عديدا من كتبه إلى العربية، وجاء بعده فى المرتبة التالية أفلاطون، واعتبروهما من مدرسة واحدة.

ويبدو أن السر فى عناية الفلاسفة المسلمين بأرسطو خاصة هو أن هذا الفيلسوف - كما يقول القفطى- «انتهت إليه فلسفة اليونانيين، وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم. .. وله فى جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة كلية وجزئية» [٤]. ويقول ابن خلدون فى (مقدمته): «وإمام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها ودون علمها وسطر حجاجها فيما بلغنا فى هذه الأحقاب هو أرسطو. .. ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق، يعنون معلم صناعة المنطق و لم تكن قبله مهذبة، وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحسن بسطها. .. ثم كان من بعده فى الإسلام من أخذ بتلك المذاهب، واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا فى القليل» [٥].

ترجمة كتب الفلسفة اليونانية فى بغداد:

وفى بغداد - وفى إطار حركة الترجمة عن العلوم القديمة - أعطى الخليفة المأمون الفلسفة نصيبا أكبر من الأهمية، وربما فضلها على غيرها من العلوم اليونانية نقلا وبحثا، وأنفق كثيرا من

---

١) أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م) فيلسوف يونانى، من أهل مدينة أثينا. وكان عالما بالفلسفة والطب والهندسة. عاش إحدى وثمانين سنة. وعنه أخذ أرسطو، وخلفه بعد موته. قال ابن جلجل: " وله فى الفلسفة كلام عجيب، وهو ممن وضع لأهل زمانه سننا وحدودا، وله كتاب السياسة فى ذلك. .. " (طبقات الأطباء والحكماء ص٢٣ - ٢٤. وراجع الفهرست ص٣٤٣، طبقات ابن أبى أصيبعة ص٧٩ - ٨٦).

٢) الشهرستانى: الملل والنحل ج ٤ ص١٨ (على هامش كتاب الفصل فى الأهواء والملل والنحل لابن حزم).

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٢.

٤) القفطى: المصدر السابق ص٢٢.

٥) ابن خلدون: المقدمة ج ٣ ص١٢١١(دار نهضة مصر، القاهرة، بتحقيق د. على عبد الواحد وافى).

المال للمترجمين والمحققين لإنتاج سقراط[١] وأرسطو وأفلاطون[٢] وغيرهم: الأمر الذى ترتب عليه انتشار هذه الكتب الفلسفية بين الناس، مما أدى إلى ازدهار هذا العلم - وفى هذا العصر بالذات - ازدهارا ربما لم تشهده العلوم اليونانية الأخرى ذات الاهتمام المشترك. يقول صاحب كتاب (طبقات الأمم): «إن المأمون أقبل على طلب العلم من مواطنه، واستخراجه من معادنه، بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة، فاستجاد مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حض الناس على قراءتها، ورغبهم فى تعلمها، فنفقت سوق العلم فى زمانه، وقامت دولة الحكمة فى عصره، وتنافس أولو النباهة فى العلوم لما كانوا يرون من إحصائه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها... فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعلم فى أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة»[٣].

وإذا كان المجال هنا لايتسع لذكر مشاهير المترجمين لكتب الفلسفة القديمة وما قدموا من خدمات فى هذا الميدان فإن مثالا واحدا قد يعكس صورة العمل الذى أنجزوه. فالكندى[٤] - مثلا - (المتوفى ٢٥٢ هـ / ٨٦٦م) وكان يعيش فى بغداد - كان مترجما مهما وموسوعيا يندر وجود من يعدله خصبا. وكان أحد النقلة البارزين فى مجال العلوم اليونانية الفلسفية، وأثبت كفاءة عالية بنقله لهذه الكتب إلى العربية، وانصرف نشاطه الجدى إلى ترجمة كتب الفيلسوف أرسطو. ومن الكتب التى ترجمها فى هذا المجال: الجزء الثالث عشر من كتاب "الميتافيزيقا" (ما بعد الطبيعة) لأرسطو، و(الأنالوطيقا) المقالة الأولى والثانية [تحليل القياس والبرهان] وكتاب " السوفسطيقا " (الحكمة المموهة) وغيرها. فضلا عن عمله الجبار فى شرح

١) سقراط: أحد الفلاسفة اليونانيين الكبار مولده ومنشأه فى أثينا. وكان معاصرا لأفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) ومن تلاميذ فيثاغورس. اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها، وأعلن مخالفة اليونانيين فى عبادتهم الأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة، فأثاروا عليه العامة واضطروا ملكهم إلى قتله. ولم يخلف كتبا فى الفلسفة، لأنه كان من رأيه أن لاتستودع الحكمة الصحف والقراطيس تنـــزيها لها عن ذلك، فكان يلقن تلاميذه العلم تلقينا، وتعلم ذلك من أستاذه "طيماناوس". وعاش مائة سنة وبضع سنين. وأخباره كثيرة (راجع طبقات الأمم لصاعد ص٢٣، تاريخ الحكماء للقفطى ص١٣٥ - ١٤٠، طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص٣٠ - ٣٢، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٧٠ - ٧٩).

٢) سبق التعريف بأرسطو وأفلاطون (ص ٣١١، ٣١٢).

٣) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص٤٨.

٤) سيأتى عنه حديث خاص بعد قليل.

الكتب اليونانية واختصارها[١].

و لم يقتصر عمل أولئك المترجمين على نقل النصوص الفلسفية من لغة إلى لغة فقط، وإنما أوجدوا مصطلحات فلسفية واضحة مركبة، وطوعوا اللغة العربية على تقبل المعانى الفلسفية المجردة والتعبير عنها بدقة ووضوح. كما أنهم ضموا إلى ترجماتهم " مختصرات " أو " مداخل " وضعوها بأنفسهم لتمهد السبيل إلى الدراسة الواسعة والبحث المستفيض. وإن هذا العمل وحده يعتبر ثروة ضخمة قدمها العرب لتاريخ الفلسفة[٢].

مدرسة بغداد الفلسفية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة:

وهكذا بذرت بذور الفلسفة اليونانية فى الديار الإسلامية، و لم يبق إلا أن تؤتى أكلها. وقد تعهد هذه البذور أول الأمر جماعة المترجمين فى بغداد تحت إشراف الخليفة المأمون كما ذكرنا. وكان أكثر المترجمين من المسيحيين والصابئة. وبعد أن تتلمذ المسلمون لهؤلاء الأساتذة الأكفاء بدءوا يفكرون فى الاستقلال، وقادوا حركتهم العلمية، و لم يحل القرن الثالث الهجرى إلا وقد أخذوا ينشئون مدارس خاصة بهم، لافى الفلسفة فحسب، وإنما أيضا فى الطب والفلك والرياضيات والكيمياء. وكانت مدرسة بغداد الفلسفية وليدة أخريات هذا القرن. والذى وضع دعائمها الأولى هو:

• أبو يوسف يعقوب بن إسحق البغدادى (المتوفى ٢٥٢ هـ / ٨٦٦م):

وهو إمام أول مذهب فلسفى فى بغداد كما يقول ما سينيون[٣]. ويذكر ابن جلجل فى كتابه (طبقات الأطباء والحكماء) أن الكندى أصله من البصرة، وانتقل إلى بغداد وفيها تعلم[٤]. وكان مقربا إلى المأمون وتبوأ عنده - وعند المعتصم والواثق - منـــزلة كبيرة على أنه مترجم وعالم فى وقت واحد[٥]. ووصفه ابن النديم قائلا: «إنه فاضل دهره، وواحد عصره

---

١) راجع: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة - تأليف رشيد حميد الجميلى ص٢٥٤ - ٢٥٥ (ط طرابلس ١٣٩١ هـ / ١٩٨٢م)، موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص٢٥٨.

٢) ريتشارد فالتزر: الفلسفة الإسلامية ومركزها فى التفكير الإسلامى ص١٥، ٢٦ - ٢٧ (ط بيروت ١٩٥٨م)، د. إبراهيم مدكور: دروس فى تاريخ الفلسفة ص٩٩.

٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٠٦.

٤) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص٧٣.

٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٨٦.

فى معرفة العلوم القديمة بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب» [١].

وقد عاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة، فعاصر كبار النقلة المشهورين، وخاض غمار هذه الحركة وشارك فيها، بل كان أحد النقلة الأربعة الذين تميزوا بصفة خاصة فى تاريخ هذه الحركة كما ذكرنا. ويعترف المؤرخون بأثره فى مجال الفلسفة وفضله عليها، فنجد ابن جلجل - وينقل عنه القفطى وابن أبى أصيبعة - يبين أن الكندى أعطى عناية كبيرة بكتب الفلسفة حيث «ترجم منها الكثير، وأوضح منها المشكل، ولخص المستصعب العويص، واحتذى فى تواليفه حذو أرسطاطاليس» [٢]. وهذا القول يدل دلالة واضحة على أن الكندى «قد فهم الفلسفة اليونانية، وأن فهمه لها وصل إلى درجة أخرجتها من اليونانية إلى العربية» [٣]، يضاف إلى ذلك أن الكندى لم يكن مترجما فحسب، بل وملخصا لمصنفات أشهر فلاسفة اليونان (أرسطو)، وهذا ما عرف به الكندى أيضا، كما كان فى الوقت نفسه صاحب تفاسير وشروح لكتب اليونان الفلسفية. ومن مختصراته لبعض مصنفات أرسطو: كتاب " أبوطيقا " (ومعناه: الشعر). وكتاب " قاطيغورياس " (ومعناه: المقولات). وكتاب " بارى أرمينياس "، (ومعناه: العبارة)[٤].

ويظهر أن معاصرة الكندى لكبار المترجمين فى بغداد مكنته من الإلمام بمختلف الدراسات المعروفة لعهده، فيذكر مترجموه أنه كان - إضافة إلى تبحره فى الفلسفة والمنطق - عالما بالطب والفلك والرياضيات والموسيقى والسياسة والجدل، وله مصنفات كثيرة فى كل ذلك. وقد أورد ابن النديم أسماء كتبه فى ثمانى صفحات، وعد له (٢٤١) كتابا تقريبا[٥]، أغلبها عبارة عن رسائل صغيرة الحجم تتناول كل منها مسألة محددة بدقة كما يبدو من العنوان الذى تحمله. وهذه الكتب والرسائل موزعة على سبعة عشر نوعا[٦]، وفى ذلك دلالة على عبقريته

---

١) ابن النديم: الفهرست ص٣٥٧.

٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص٧٣ - ٧٤، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤١، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٨٦.

٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٠٦.

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٣١ - ٣٤، كشف الظنون ٢ / ٦٨٢.

٥) الفهرست ص٣٥٨ - ٣٦٥.

٦) كتبه فى الفلسفة (٢٢) كتابا، وفى المنطق (٩)، وفى الحساب (١١)، وفى الكريات (٨) وفى الطب (٢٢). وفى الأحكام (١٠). وفى الجدل (١٧). وفى النفس . وفى الموسيقى (٧). وفى النجوم (١٩). وفى الهندسة (٢٣). وفى الفلك (١٦). وفى السياسة (١٢). وفى الأحداث (١٤). وفى الأبعاد (٨). وفى التقدم والمعرفة . وفى الأنواع (الطبيعيات - ٣٣) كتابا [راجع الفهرست ٣٥٨ - ٣٦٥، القفطى ٢٤١ - ٢٤٦. وابن أبى أصيبعة ٢٨٩ - ٢٩٣].

الفذة وقدرته الكبيرة على إلمامه العميق بمعظم ميادين المعرفة فى عصره.

ويعتبر بعض الدارسين أن مؤلفات الكندى فى الفلسفة تمتاز باحتوائها على المرحلة الأولى من تطور المصطلح العربى فى مجال الفلسفة الإسلامية، كما أنها تعبر بصفة خاصة عن اللقاء الأول الذى تم بين العقلية العربية الإسلامية والفلسفة الإغريقية[١]. إضافة إلى أن تلك المؤلفات تعد نقطة تحول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى، إذ كانت فى عهده وقفا على غير المسلمين العرب.

وجملة القول: إن الكندى يعتبر فيلسوف الإسلام، وكان جديرا بهذا اللقب لأنه أول عربى مسلم فرض نفسه بعبقريته على العديد من العلوم، ووجه الفلسفة وجهة إسلامية، ومهد لها سبيل الانتشار بين العرب، وصحح الكثير من التراجم التى قام عليها غير العرب وكانت غير سوية الأسلوب[٢].

تلامذة الكندى:

ويذكر الدكتور " ماكس مايرهوف"[٣]أن الكندى ترك تلميذين على قدر كبير من العلم بالفلسفة:

أحدهما: أحمد بن مروان بن الطيب السرخسى، نديم الخليفة العباسى المعتضد بالله (مدة خلافته ٢٧٩ - ٢٩٥ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٧م). قال عنه ابن النديم: «ممن ينتمى إلى الكندى، وعليه قرأ، ومنه أخذ». وقال أيضا: «تولى فى أيام المعتضد الحسبة ببغداد، وكان أولا معلما للمعتضد، ثم نادمه وخص به، وكان يفضى إليه بأسراره، ويستشيره فى أمور مملكته» [٤]. وقال القفطى: «كان أحد المتفننين فى علوم الفلسفة، وله تآليف جليلة فى الموسيقى والمنطق وغير ذلك» [٥]. ويذكر ابن أبى أصيبعة من مؤلفاته أكثر من خمسين كتابا فى علوم مختلفة، نذكر منها فى مجال الفلسفة: كتاب فى ألفاظ سقراط، وكتاب فى وصايا فيثاغورث، وكتاب

---

١) د. حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا ص١٠٣.

٢) د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية ص٦٩ - ٧٠.

٣) د. ماكس مايرهوف: (من الإسكندرية إلى بغداد، بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب)، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ضمن كتابه (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - دراسات لكبار المستشرقين) - ص٧٦ [ط ٤ - دار القلم / بيروت].

٤) ابن النديم: الفهرست ص٣٦٦، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٩٣.

٥) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٥٥ - ٥٦.

فى الرد على جالينوس، وكتاب أركان الفلسفة، وكتاب فى وحدانية الله..وغير ذلك. وله مختصرات لكثير من كتب فلاسفة اليونان[١].

والثانى: جعفر بن محمد بن عمر، أبو معشر البلخى. عاش فى الجانب الغربى من بغداد، وكان معاصرا للعالم الفلكى الشهير أبى جعفر محمد بن سنان البتانى (المتوفى٣١٧هـ/ ٩٢٩م). ولأبى معشر كتب كثيرة، وأكثرها فى علم الفلك والنجوم[٢]. وسيأتى ذكره عند حديثنا عن هذا العلم.

ابن كرنيب الكاتب البغدادى:

ويمثل أبو أحمد الحسين بن إسحق بن إبراهيم بن كرنيب الكاتب البغدادى مع تلميذى الكندى - المذكورين - الجيل الثانى من الفلاسفة المسلمين. ويقول عنه القفطى وغيره: «كان من جلة المتكلمين فى بغداد، ويذهب مذهب الفلاسفة الطبيعيين»[٣]. وفى ذلك دلالة على أن بعض علماء الكلام تأثروا بالتيارات الفلسفية التى عرفت عن طريق ترجمة الكتب اليونانية. وينسب إلى ابن كرنيب تأليف كتابين صغيرين فى الفلسفة.

أبو بشر متى بن يونس (المتوفى ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م):

وقد ترك ابن كرنيب تلميذا له نصرانيا، أصله من أهل ديرقنى (فى الجنوب الغربى من بغداد، على ستة عشر فرسخا منها)[٤]، عاش فى بغداد، وتوفى بها، وهو: أبو بشر متى بن يونس (المتوفى ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م)، «إليه انتهت رياسة المنطقيين فى عصره» كما يقول ابن النديم[٥]: وترجم كثيرا من كتب الفلسفة اليونانية، وكانت تراجمه وشروحه - كما يقول القفطى - «عليها اعتماد أهل هذا الشأن فى عصره ومصره»[٦]، ويقول فى موضع آخر: «وعلى كتب متى بن يونس فى علم المنطق تعويل العلماء ببغداد وغيرها من أمصار المسلمين

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٩٤ - ٢٩٥.

٢) راجع عنه الفهرست ص٣٨٦ - ٣٨٧، طبقات الأمم لصاعد ص٥٦، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٢٨٦، تاريخ الحكماء للقفطى ص١٠٦ - ١٠٧، تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى (مخطوط) ص١٨ - ١٩.

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١٦ - ١١٧، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٣١٧.

٤) ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص٥٢٨.

٥) الفهرست ص٣٦٨، عيون الأنباء لابن لأبى أصيبعة ص٣١٧.

٦) القفطى: إخبار العلماء ص٢١٢.

بالمشرق، لقرب مأخذها وكثرة شرحها»[١]. ويذكر ابن خلكان أنه كان يعقد فى بغداد حلقة يقرأ فيها كتاب المنطق لأرسطوطاليس، ويملى شرحا له على تلامذته، فكتب عنه فى شرحه هذا سبعون سفرا. وكان يجتمع له فى تلك الحلقة - كل يوم - المئون من الطلبة المشتغلين بالمنطق[٢]. وكان متى بن يونس أستاذا للفارابى الفيلسوف الكبير[٣].

الفارابى (المتوفى ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م):

وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى (المتوفى ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م). أصله من " فاراب " إحدى مدن التركستان وراء نهر جيحون. دخل العراق واستوطن بغداد، وقرأ بها الفلسفة على يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام[٤]فى أيام الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م) واستفاد منه حتى برز فى هذا العلم وأربى على أقرانه، كما أنه كان يحضر حلقة أبى بشر متى بن يونس فى بغداد، وسمع منه شرحه لكتاب أرسطوطاليس فى المنطق حتى قال بعض علماء هذا الفن: «ما أرى أبا نصر الفارابى أخذ طريق تفهم المعانى الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبى بشر»[٥]. وكان سيف الدولة مكرما له وعارفا موضعه من العلم ومنـــزلته من الفهم[٦].

ويطلق على الفارابى لقب " المعلم الثانى "، إشارة إلى مكانته الكبيرة فى استيعاب وشرح مذهب أرسطو الذى أطلق عليه "المعلم الأول"، يقول ماكس مايرهوف: «الفارابى أشهر الفلاسفة المسلمين بعد الكندى، بل إنه فاقه فى تأثيره بعد حياته فى الأجيال التالية، وإلى عمله يرجع تأثر علم الكلام بمنطق أرسطو تأثرا أكبر بكثير من تأثير الكندى والمعتزلة، ومن أجل ذلك سمى " المعلم الثانى " - أى بعد أرسطو - ولم يفقه إلا ابن سينا (المتوفى ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦م)[٧]فى شهرته كفيلسوف وطبيب»[٨].

وعلى الرغم من أن الفارابى كان يعرف الكثير من اللغات - كالتركية والفارسية

---

١) القفطى: المصدر نفسه ص١٨٣.
٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص١٥٣.
٣) وفيات الأعيان ٥ / ١٥٣ - ١٥٤.
٤) ترجمة ابن حيلان فى عيون الأنباء ص٦٠٥.
٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص١٥٤.
٦) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٢، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٦٠٣.
٧) سيأتى حديث خاص عنه بعد صفحات قليلة.
٨) د. عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - دراسات لكبار المستشرقين ص٤٩.

واليونانية والسريانية[١]- فإنه لم يكن مترجما. وإذا كان حنين بن إسحق (المتوفى ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) قد استطاع عن طريق مترجماته وملخصاته للكتب اليونانية أن يجعل جالينوس[٢] سيد الطب المطلق فى العصور الوسطى[٣] فإن الفارابى قد استطاع أن يقيم سيطرة أرسطو النهائية فى ميدان الفلسفة، لاسيما فيما يتعلق بالمنطق. ولقد أنصف صاعد الأندلسى فى كتابه (طبقات الأمم) حين أقر بأن الفارابى بز فى صناعة المنطق جميع أهل الإسلام، وأربى عليهم فى التحقق به، «فشرح غامضها، وكشف سرها، وقرب تناولها، وجمع ما يحتاج إليه منها فى كتب صحيحة العبارة، لطيفة الإشارة، منبهة على ما أغفله الكندى وغيره. .. فجاءت كتبه فى ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة»[٤].

ويرى الدكتور إبراهيم مدكور أن الفارابى هو الأب الحقيقى للفلسفة الإسلامية؛ فقد شاد بناءها، وألم بأجزائها الرئيسية، رابطا بعضها ببعض، ولا تكاد توجد فكرة عند خلفائه إلا ولها أصل لديه، وكل ما لهؤلاء من فضل غالبا أنهم أوضحوا غامضه، وفصلوا القول فيما أجمله. وهو أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة، حيث يتحدث عن المدارس اليونانية، ويبين الفوارق التى تفصل كل واحدة منها عن الأخرى، ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطوطاليس فيلسوفى اليونان فى رأيه بلا جدال[٥].

وقد ألف الفارابى كتبا عديدة فى الفلسفة، بعضها شرح لمؤلفات أرسطو، أو مختصرات لها، وبعضها الآخر من تأليفه ليعبر بها عن رأيه وبحثه الخاص. وإلى جانب كتاباته فى الفلسفة والمنطق صنف الفارابى فى نواح مختلفة مثل كل أصحاب المعارف الواسعة فى عصره، فكتب فى الأخلاق والسياسة والدين والتربية والرياضيات والموسيقى والطبيعيات والتاريخ وفى إحصاء العلوم وتقسيمها. وقد أحصى له ابن أبى أصيبعة (١١٣) مؤلفا ما بين كتاب ورسالة[٦]. ومن أحسن كتبه: كتاب " المدينة الفاضلة "، وفيه يضع الفارابى تصوره الخاص لمدينة مثالية على غرار ما فعله أفلاطون فى كتابه " الجمهورية"[٧]، وقد ألفه فى بغداد، وحمله

---

١) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ج ١١ ص١٩٤.

٢) سيأتى التعريف به (ص ٣٧٧).

٣) راجع عن جهود حنين بن إسحق فى ترجمة كتب الطب لجالينوس - راجع (ص ٣٨٠).

٤) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص٥٣.

٥) د. إبراهيم مدكور: دروس فى تاريخ الفلسفة ص٩٩ - ١٠٠.

٦) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٦٠٨ - ٦٠٩. وأحصى له القفطى (٦٧) مؤلفا (راجع إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٣ - ١٨٤).

٧) للدكتور حامد طاهر دراسة مقارنة عن (المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابى)[ط ١٩٨٥ م القاهرة].

إلى الشام فى آخر سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م، وتممه بدمشق سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م[١]. وله من محاسن كتبه: كتاب " إحصاء العلوم "، وهو المحاولة الأولى والمكتملة نسبيا بعد رسالة صغيرة للكندى فى نفس الموضوع فى مجال تصنيف العلوم فى العصر الذى عاش فيه الفارابى. وعلى الرغم من أنها جاءت مختصرة جدا فإنها وضعت أساسا طيبا لمجموعة من المفكرين الذين توسعوا فى تصنيف العلوم[٢]. ويقول القفطى عن هذا الكتاب: «لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولايستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه»[٣].

وجملة القول، كان الفارابى شيخ فلاسفة (بغداد/المشرق) وأستاذ الفلاسفة الإسلاميين، وكان لكتبه الأثر الكبير بعد وفاته، حتى إنها بقيت تقرأ طوال عدة قرون فى مصر والأندلس، ولم يكن بين الفلاسفة فى العصور المتأخرة واحد غير مدين للفارابى وآثاره ولكثير من أفكاره ونظرياته. وقد امتد تأثيره إلى فلاسفة الأندلس المشهورين كابن باجه (ت ٥٣٣هـ/١١٣٨م) وابن طفيل (ت ٥٨١ / ١١٨٥م) وابن رشد (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨م) وموسى بن ميمون (المتوفى ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م). وهذا الأخير هو أكبر فلاسفة اليهود تحت الحكم الإسلامى بالأندلس، وكان يوصى بقراءة كتب الفارابى ويقول: «فإنى أنصح لك بألا تقرأ فى المنطق إلا كتب الحكيم أبى نصر الفارابى، لأن كل ما كتبه وخصوصا كتاب مبادئ الموجودات أدق من الدقيق»[٤].

مدرسة بغداد الفلسفية فى النصف الثانى من [ق ٤ هـ]:

ولم يترك الفارابى تلاميذ مباشرين كثيرين، ولكن هؤلاء القليلين الذين تركهم كونوا من جانبهم مدرسة فلسفية فى بغداد وغيرها من المدن الإسلامية. وخير من يمثل هذه المدرسة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى:

يحيى بن عدى بن حميد بن زكريا التكريتى البغدادى (المتوفى٣٦٤هـ/٩٧٤م).

وهو شيخ وأستاذ مناطقة بغداد. وكان نصرانيا يعقوبيا من تكريت (على الدجلة فى شمال العراق). قرأ على الفارابى ويعد من أكابر تلامذته. وقرأ أيضا على أبى بشر متى بن يونس

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٦٠٨.

٢) د. حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا ص١٠٤.

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٢.

٤) د. عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين (بحث ماكس مايرهوف) ص٨٠. د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية ص٧٨. وذكر القفطى ترجمة لموسى بن ميمون فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٠٩ - ٢١٠.

(المذكور من قبل)[١]، وأصبح مترجما ومؤلفا خصبا. قال ابن أبى أصيبعة: «وإليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية فى وقته. .. وكان أوحد دهره، جيد المعرفة بالنقل (الترجمة)، وقد نقل من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وكان كثير الكتابة، ووجدت بخطه عدة كتب»[٢]. وأضاف القفطى: «وكان ملازما للنسخ بيده، كتب الكثير من كل فن»[٣]. وأكثر كتب أستاذه (الفارابى) بخط يده[٤].

وقد كان ابن النديم (صاحب الفهرست) على صلة وثيقة بيحيى بن عدى، ورأى الكثير من ترجماته، وعاتبه على ملازمة نسخ الكتب والإكثار منها، ويحكى عنه قائلا: (قال لى يحيى بن عدى يوما فى الوراقين - وقد عاتبته على كثرة نسخه - فقال لى: من أى شئ تعجب فى هذا الوقت؛ من صبرى وقعودى ؟، قد نسخت نسختين من (التفسير) للطبرى، وحملتهما إلى ملوك الأطراف، وكتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعهدى بنفسى وأنا أكتب فى اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»[٥].

وهذه الرواية تدل على علو همة يحيى بن عدى فى النسخ والترجمة وتحصيل العلوم، كما تدل على رواج كتب الفلسفة والمنطق فى بغداد فى ذلك العصر.

ومن الملاحظ على يحيى بن عدى أنه أعطى مؤلفات أرسطوطاليس أهمية أكبر فى ترجماته العديدة إلى العربية. ومن ناحية أخرى كان له - إلى جانب ترجماته - مصنفات عديدة، وقد أحصى القفطى من كتب ابن عدى التى صنفها حوالى خمسين كتابا فى الفلسفة والمنطق والأخلاق[٦]. منها كتاب " تهذيب الأخلاق" الذى يعد من الكتب الرائدة فى حقل الأخلاق أثر فيمن لحقه من الفلاسفة، ونخص بالذكر منهم: ابن مسكويه[٧]فى كتابه "تهذيب الأخلاق[٨].

---

١) راجع عنه (ص ٣١٧).
٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٣١٧ - ٣١٨.
٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٣٧.
٤) ظهير الدين البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام (مخطوط) - ص١٢.
٥) الفهرست لابن النديم ص٣٦٩، عيون الأنباء ص٣١٨.
٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٢٧ - ٢٢٨.
٧) سبق التعريف به فى مبحث الدراسات التاريخية (ص ٢٢٤) وسيأتى مزيد بيان عنه بعد قليل.
٨) راجع تحليلا لكتاب تهذيب الأخلاق ليحيى بن عدى فى موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص٣٢٣ - ٣٢٨.

وكان ليحيى بن عدى تلاميذ نبغاء، أشهرهم:

أبو سليمان المنطقى (المتوفى ٣٩١هـ/ ١٠٠١م): وهو محمد بن طاهر بن بهرام، أبو سليمان السجستانى المنطقى. أصله من سجستان، ونـزل بغداد فأقام بها، والتقى بيحيى بن عدى فأخذ عنه علم الفلسفة والمنطق[١]. وأخذ أيضا عن متى بن يونس[٢](المذكور من قبل) [٣] إلى أن «تصدر لإفادة هذا الشأن، وقصده الرؤساء والأجلاء» كما يقول القفطى[٤]. وكان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه[٥]يكرمه ويعلى من قدره، وصنف له أبو سليمان المنطقى مجموعة رسائل فى فنون مختلفة من الفلسفة[٦]. وألف كتابا فى تاريخ الفلاسفة والحكماء سماه "صوان الحكمة"، اعتمد عليه ظهر الدين البيهقى (المتوفى ٥٦٥هـ/١١٦٩م) فى تأليف كتابه "تاريخ حكماء الإسلام" وترجم فيه لأبى سليمان، وقال: «هو مصنف "صوان الحكمة"... وله تصانيف كثيرة فى المعقولات، منها رسالة فى اقتصاص طرق الفضائل وتصانيف عن أرسطو»[٧].

الجمعية الفلسفية السجستانية ببغداد:

وفى منـزل أبى سليمان المنطقى ببغداد كان يجتمع جماعة من الفلاسفة والمتكلمين لقراءة كتب الفلسفة، وللبحث والمناقشة فى مختلف شؤون الفكر، وفى ذلك يقول القفطى: «وكان منـزله مقيلا لأهل العلوم القديمة، وله أخبار وحكايات وسؤالات وأجوبة فى هذا الشأن...

---

١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٤٢٧.

٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٥.

٣) سبق التعريف به (ص ٣٢٠).

٤) إخبار العلماء ص١٨٥.

٥) فناخسرو الملقب بعضد الدولة بن الحسن الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمى، أبو شجاع أحد المتغلبين على الملك فى عهد الدولة العباسية بالعراق (٣٦٧ - ٣٧٢هـ / ٩٧٧ - ٩٨٢م) وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب " شاهنشاه ". وكان شديد الهيبة عسوفا أديبا شاعرا عالما بالعربية، ومدحه فحول الشعراء كالمتنبى. وصنف له أبو إسحق الصابى (المتوفى ٣٨٠ هـ) كتاب " التاجى فى أخبار بنى بويه " ونعته بتاج الملة. وكان كثير العمران، عمر القناطر والجسور، وأنشأ ببغداد البيمارستان العضدى. وتوفى ببغداد ودفن بالنجف (راجع عنه: سير أعلام النبلاء للذهبى ١٦ / ٢٤٩ - ٢٥٢، البداية والنهاية ٦ / ٣٨٢ - ٣٨٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٥٠ - ٥٥، الأعلام للزركلى ٥ / ٣٦٤ الطبعة الثانية).

٦) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٦.

٧) البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام (مخطوط) - ص٣، ص٤٩.

ولا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم»[١]. وكان من أعضاء هذه الجمعية (التى أطلق عليها " ول ديورانت " فى كتابه [قصة الحضارة] اسم: الجمعية السجستانية)[٢]: **أبو على عيسى بن إسحق بن زرعة النصرانى البغدادى (المتوفى ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م)** أحد المتقدمين فى علم المنطق والفلسفة والنقلة المجودين (المترجمين)، ملازم للتدريس والتصنيف، كثير الصحبة ليحيى ابن عدى[٣]. قال عنه ابن النديم: «كان ينقل من السريانى إلى العربى، وأكثر ما نقله يدخل فى دائرة الفلسفيات»[٤]. ومن الكتب التى ترجمها: كتاب (الحيوان) لأرسطو. وله مؤلفات كثيرة فى الفلسفة وآداب المناظرة. «وكتبه كلها من نوع كتب المدرسة الأرسطوطالية الأفلاطونية المحدثة ببغداد»[٥]. منها: «رسالة فى أن علم الحكمة أقوى الدواعى إلى متابعة الشرائع»[٦].

ومن أعضاء هذه الجمعية أيضا:

أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام المعروف بابن الخمار: وهو أحد تلاميذ "يحيى بن عدى " الصغار. مولده سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م. جمع بين الفلسفة والطب، وصنف فيهما عددا من الكتب، وترجم كتبا لأرسطو، ولخص كتبا أخرى وشرحها[٧]. ويذكر ظهير الدين البيهقى (المتوفى ٥٦٥ هـ / ١١٦٩م) فى كتابه " تاريخ الحكماء " أن ابن الخمار دعى من بغداد إلى خوارزم بعد أن فتح محمود سبكتكين[٨]هذه البلاد - أى سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٧ م. وهناك أسلم، وصادف نجاحا كبيرا كطبيب، ومن أجل هذا سمى "أبقراط الثانى"[٩].

وكان **أبو حيان التوحيدى: على بن محمد بن العباس البغدادى (المتوفى ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م)** أحد أعضاء هذه الجمعية، ومن المترددين على منـــزل أبى سليمان المنطقى، وصنف له كتاب " الإمتاع والمؤانسة "، وهذا الكتاب وصفه القفطى بقوله: «كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة فى فنون العلم، فإنه خاض كل بحر، وغاص كل لجة، وما أحسن ما

---

١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٥ - ١٨٦.
٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الرابع - الجزء الثانى ص٢٠٦.
٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٦٣ - ١٦٤، عيون الأنباء ص٣١٨ - ٣١٩.
٤) الفهرست ص٣٦٩ - ٣٧٠.
٥) د. عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية (بحث ماكس مايرهوف) ص٨٨.
٦) البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام (مخطوط) - ص٤٢.
٧) الفهرست ص٣٧٠، د. عبد الرحمن بدوى: المرجع السابق ص٨٧.
٨) سبق التعريف به(ص ٢٧٩).
٩) تاريخ الحكماء - مخطوط بدار الكتب المصرية - ص٧ / ب إلى ص٩ / ب.

رأيته على ظهر نسخة منه بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو: ابتدأ أبو حيان كتابه صوفيا، وتوسطه محدثا، وختمه سائلا ملحفا»[١].

ولأبى حيان التوحيدى كتاب آخر يسمى " المقابسات"[٢]سجل فيه كثيرا مما وقع من مفاوضات بعض علماء عصره الذين كانوا يجتمعون فى بيت أبى سليمان المنطقى ببغداد، وكان أبو حيان واحدا منهم كما ذكرنا[٣]. وهذا الكتاب يحتوى على (١٠٦) مقابسة أو محاورة بين العلماء، تدور حول التعاريف الفلسفية والطبيعيات والمنطق والإلهيات وموضوعات أخرى. وليس لهذه الموضوعات قيمة كبيرة فهى موضوعة فى قالب أدبى، والملح تسودها، إلى جانب التلاعب بالألفاظ. ولكن المهم هو الوسط العلمى الذى يدخلنا أبو حيان فيه، حيث تلتقى جماعات من العلماء حول أبى سليمان المنطقى فى بيته أو تتقابل فى سوق الوراقين عند باب البصرة ببغداد، وكانت الجماعة مكونة من أناس مختلفى المشارب والنحل، فكانت تجمع بين المسلمين المختلفى المذاهب والنصارى والصابئة، والعلماء الذين رحلوا إلى بغداد: من الأندلس فى الغرب، ومن بخارى فى الشرق، ومن شيراز فى الجنوب، ومن حدود الإمبراطورية البيزنطية فى الشمال، لكى يحصلوا العلوم فى قلب الدولة الإسلامية، وإلى جانب الفلاسفة نجد الرياضيين والفلكيين والأطباء والمتكلمين والمؤرخين والشعراء والأدباء[٤].

• مسكويه (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م):

وكان أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه البغدادى (المتوفى٤٢١هـ/١٠٣٠م) [٥]على اتصال بجماعة مدرسة بغداد الفلسفية التى نحن بصدد الحديث عنها، ويذكره أبو حيان التوحيدى فى بعض الأحيان من ضمن الجماعة، كما أن كتابه «الهوامل والشوامل» - الذى هو عبارة عن سؤال وجواب بين أبى حيان ومسكويه - خير دليل على اتصال الأخير بفلاسفة بغداد[٦]. ويعتبر مسكويه من الفلاسفة الإسلاميين القلائل الذين اتجهوا اتجاها كاملا إلى الكتابة فى فلسفة الأخلاق؛ إذ إن كتبه كلها تعالج مشكلات أخلاقية، ما عدا كتابه

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٦.

٢) طبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٩٣٠ م بتحقيق حسن السندوبى، مع عمل مقدمة له وفهارس.

٣) القفطى: ص١٨٦.

٤) د. عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين (بحث: ماكس مايرهوف) ص٨٩ - ٩٠.

٥) سبق التعريف به فى مبحث الدراسات التاريخية (ص ٢٤٤).

٦). موسوعة حضارةالعراق ج ٨ ص٣٣٣، د. عبد الرحمن بدوى: مرجع سابق ص٨٦.

"تجارب الأمم " فى التاريخ[١]. يقول الدكتور حامد طاهر: «وفى مبحث الأخلاق نجد الفيلسوف الشهير الذى تخصص فيه - وهو مسكويه - يتخذ طابعا يونانيا شديد الوضوح، إلى حد أنه يمكننا بسهولة أن نلاحظ تأثره البالغ بأرسطو، ولايكاد كتابه المعروف " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق " يتجاوز كثيرا ما قرره أرسطو من قبل فى كتابه " الأخلاق"[٢]. ولكننا إذا تصفحنا كتاب مسكويه نجد أنه بالرغم من تفهمه للفلسفة اليونانية واطلاعه عليها فلا يكاد - فى معالجته للقضايا الأخلاقية - يبت فى أمر من الأمور إلا بعد أن يسنده بآية قرآنية موافقة أو يجد له دليلا من حديث رسول الله ﷺ. أى أن فلسفته فى الأخلاق هى مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو وغيرهما ومن مبادئ الشريع الإسلامية.

• عبد الله بن الطيب البغدادى (ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣م):

وتتم سلسلة كبار مدرسة بغداد الفلسفية بأبى الفرج عبد الله بن الطيب البغدادى (المتوفى ٤٣٥هـ/١٠٤٣م). كان نصرانيا نسطوريا، وكان فى نفس الوقت كاتبا لجاثليق[٣] بغداد، وطبيبا وأستاذا للطب فى البيمارستان العضدى (الذى جدده عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو البويهى المتوفى ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)[٤]. وكان فى الفلسفة - التى مال إليها أكثر من غيرها - تلميذا لابن الخمار (المذكور آنفا)[٥]. ووصفه ابن أبى أصيبعة بقوله: «كان عظيم الشأن، جليل المقدار، واسع العلم، كثير التصنيف، خبيرا بالفلسفة، كثير الاشتغال بها، وشرح كتبا كثيرة من كتب أرسطوطاليس فى الحكمة، وشرح أيضا كتبا كثيرة من كتب أبقراط وجالينوس فى صناعة الطب»[٦].

وكان عبد الله بن الطيب على اتصال بأشهر معاصريه عن طريق المكاتبات، ومن بينهم ابن سينا (الآتى ذكره) وابن الهيثم العالم الرياضى الذى كان يعيش فى مصر آنـــذاك. وكان

---

١) راجع ما كتبناه عن هذا الكتاب (ص ٢٤٤).

٢) د. حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا ص٢٢. وراجع تحليلا فنيا لكتاب (تهذيب الأخلاق) عند زكى مبارك فى كتابه (النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى) ج ٢ ص١٥٢ - ١٥٨.

٣) الجاثليق هو رئيس النصارى، وله صفات يجب أن تتوافر فيه (راجع عن ذلك رسالتنا للماجيستير: الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية فى البصرة والكوفة فى العصر العباسى الأول - دراسة مقارنة (ص ٧٠١) دار العلوم ١٩٩٣ م.

٤) راجع ترجمة عضد الدولة (ص ٣٢٢). وسيأتى التعريف بالبيمارستان العضدى (ص ٣٩٢).

٥) راجع عن ابن الخمار (ص ٣٢٣).

٦) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٣٢٣.

ابن سينا يحمد كلامه فى الطب، أما فى الفلسفة فكان يذمه[١]. ويذكر ابن أبى أصيبعة من تلاميذ ابن الطيب عشرة، أهمهم ابن بطلان البغدادى (المتوفى ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) الذى يحكى عن شيخه ابن الطيب أنه ظل عشرين سنة يعمل شرحا ضخما لكتاب " الإلهيات " لأرسطو[٢]. ومن بين تلامذته أيضا أبو عبد الله النائلى معلم ابن سينا وأستاذه الأول[٣].

• إخوان الصفا (أواخر القرن الرابع الهجرى):

ولابد من الإشارة إلى وجود مدرسة فلسفية أنشئت فى البصرة فى أواخر القرن الرابع الهجرى وكان لها فرع فى بغداد، ومعاصرة للمدرسة البغدادية؛ إنها المدرسة التى اشتهرت فى تاريخ الفلسفة باسم " إخوان الصفا "، وهم جماعة كتبوا موسوعة فلسفية كاملة وصلتنا تحت اسم " رسائل إخوان الصفا"[٤]، التى بلغت إحدى وخمسين رسالة كونت دائرة معارف كبرى وصل عدد صفحاتها الألفين تقريبا، وتعد أقدم دائرة معارف فى العالم، ولو أنها لاتتبع نظام التصنيف الأبجدى.

وأول من أعطانا تفصيلات عن هذه الجماعة هو أبو حيان التوحيدى البغدادى المذكور قبل أسطر قليلة، فبعد أن ذكر أسماء عدد من الذين اشتركوا فى تأليف هذه الجماعة قال: «وكانت هذه العصابة (الجماعة) قد تألفت بالعشرة، وتصادفت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا الطريق إلى الفوز برضوان الله: وذلك أنهم قالوا: إن الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولاسبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال، وصنفوا

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٣٢٣ - ٣٢٤.

٢) عيون الأنباء ص٣٢٤، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٥١.

٣) عيون الأنباء ص٣٢٤، ٤٣٧.

٤) تضم هذه الرسائل إحدى وخمسين رسالة، وتنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: أ - **القسم الأول**: وهو القسم الرياضى الفلسفى، ويضم ثلاث عشرة رسالة: (الأولى) فى العدد، (والثانية) فى الهندسة. (والثالثة) فى الأسطرنوميا - أى علم النجوم. (والرابعة) فى الجغرافيا. (والخامسة) فى الموسيقى. (والسادسة) فى النسب العددية والهندسية. (والسابعة) فى الصنائع العلمية. و (الثامنة) فى الصنائع العملية. (والتاسعة) فى بيان اختلاف الأخلاق. (والعاشرة) فى الإيساغوجى - أى المدخل إلى علم المنطق (والحادية عشرة) فى لمقولات. (والثانية عشرة) فى بارى إرمينياس - أى العبارة. (والثالثة عشرة) فى البرهان.ب - **والقسم الثانى**: وهو القسم الطبيعى. ويضم (١٧) رسالة فى الجسمانيات والطبيعيات، وعشر (١٠) رسائل فى النفسانيات العقليات و (١١) رسالة فى العلوم الناموسية الإلهية والشرعية.

خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرسا وسموه رسائل إخوان الصفا، وكتموا فيه أسماءهم، وبثوها فى الوراقين، ووهبوها للناس، وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة»[١].

وقد حمل أبو حيان أجزاء من هذه الرسائل إلى بغداد - كما أخبر هو - وعرضها على أستاذه أبى سليمان المنطقى (المذكور من قبل)، فقرأها بدقة وروية، وأمعن فيها النظر، ثم نقد الفكرة التى قامت عليها، وهى التوفيق بين الشريعة والفلسفة، وقد نقل أبو حيان كلام أستاذه بطوله[٢].

وإذا ما تأملنا هذه الرسائل[٣] لرأيناها مماثلة تماما لمصنفات جميع الفلاسفة الآخرين؛ حيث إن طابع الشمول لمختلف العلوم كان طاغيا على مؤلفاتهم، ولذا فإن رسائل إخوان الصفا هذه أشبه شئ بدائرة معارف فلسفية علمية مرتبة تضم علوم ذلك العصر، ومن جهة أخرى «تعبر أصدق تعبير عن دور النضج الذى وصلت إليه الفلسفة الإسلامية فى عصر هذه الجماعة. وبالدرجة نفسها التى تأثر بها أمثال الكندى والفارابى وغيرهما بفلاسفة اليونان فإن هذا الأثر نفسه قد بان فى مصنفات هذه الجماعة وفى مختلف المجالات التى تطرقوا إليها»[٤]. وإذا كان البحث الحديث قد أثبت أن هذه الرسائل كانت تسعى إلى نشر المذهب الإسماعيلى[٥] تمهيدا لقلب نظام الدولة العباسية[٦] فإنها - من الناحية الفلسفية - تهمنا فى إنها اشتملت على لون آخر من تصنيف العلوم الذى بدأه الفارابى فى كتابه (إحصاء العلوم)، كذلك فإنها - كما ذكرنا - دعوة قوية لمزج الفلسفة بالدين، وإدخال الثقافة الرياضية والطبيعية فى بناء الفلسفة نفسه، بالإضافة إلى ما قامت به من تبسط لمعانى الفلسفة العميقة[٧].

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٥٩ - ٦٠.

٢) القفطى: المصدر السابق ص٦٢ - ٦٣.

٣) طبعت رسائل إخوان الصفا بالقاهرة فى أربعة أجزاء بتقديم د. طه حسين وأحمد زكى باشا ١٩٢٨م.

٤) رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين ٣، ٤ هـ - ص٣٧٠ وراجع كرانشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص٢٢٧.

٥) الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة تنتمى إلى إسماعيل بن جعفر الصادق أحد الأئمة من آل البيت، ويحتاج الحديث عنها إلى استفاضة، ويمكن للتعرف عليها الرجوع إلى: المدخل إلى دراسة علم الكلام للدكتور حسن الشافعى ص٩١ - ٩٧، والتربية والتعليم فى الفكر الإسلامى (الجزء الخامس من موسوعة الدكتور أحمد شلبى) ص٣٩٩ - ٤٣٢.

٦) من الدراسات التى أثبتت علاقة إخوان الصفا بالمذهب الإسماعيلى: كتاب " حقيقة إخوان الصفا وخلاق الوفا " لعارف تامر (المطبعة الكاثوليكية - بيروت).

٧) د. حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا ص١٠٦.

• ابن سينا (٣٧٥ - ٤٢٨ هـ / ٩٨٥ - ١٠٣٦م):

ويأتى على رأس فلاسفة الإسلام فى القرن الرابع الهجرى وأوائل الخامس: الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٥ - ٤٢٨هـ/٩٨٥ - ١٠٣٦م). أصله من بلخ، وانتقل منها إلى بخارى، وبها تعلم المنطق والفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء، وبرع فى الطب، كل ذلك و لم يتعد ست عشرة سنة[١].

ولا نعرف عن ابن سينا أنه نـــزل بغداد ليتلقى عن فلاسفتها وأطبائها، ولكنه يعترف بأنه تأثر بالفارابى (أحد الفلاسفة البغداديين الكبار)، وأعطى اهتماما كبيرا بكتبه ونظرياته. ويحدثنا عن نفسه فيقول: «قرأت كتاب (ما بعد الطبيعة) لأرسطو، فما كنت أفهم ما فيه، والتبس على غرض واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة، وصار لى محفوظا، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به، وآيست من نفسى». ثم يذكر ابن سينا قصة شرائه كتاب أبى نصر الفارابى فى (أغراض كتاب ما بعد الطبيعة)، وأنه لمل قرأه - كما يقول هو - «انفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب (كتاب أرسطو) بسبب أنه كان محفوظا عن ظهر قلب، وفرحت بذلك وتصدقت فى ثانى يومه بشئ كثير على الفقراء شكرا لله تعالى»[٢].

لقد بلغ بابن سينا من تعلقه بالفارابى أن بذل كل مجهود فى تفهم نظرياته، وأفاض فى شرحها وتوضيحها بحيث منحها نفوذا وسلطانا لم تنله على يد واضعها ومبتكرها، ولئن كان للفارابى فضل السبق فلتلميذه فضل البيان والإيضاح[٣].

وتتلمذ ابن سينا أيضا فى بداية حياته العلمية على أبى عبد الله النائلى، ولانعلم عن هذا الشيخ غير أنه تتلمذ فى بغداد على يد الفيلسوف والطبيب النصرانى عبد الله بن الطيب البغدادى (المتوفى ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م)- وقد سبق ذكره[٤]- ثم نـــزل النائلى بخارى حيث يقيم ابن سينا الذى يقول «وأنـــزله أبى دارا رجاء تعلمى منه، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه. .. ثم أبتدأت بكتاب إيساغوجى [المدخل إلى علم المنطق] على النائلى. ..»[٥].

وما ذكرناه عن دراسة ابن سينا لكتب الفارابى وتلمذته على النائلى فيه إشارة إلى أن

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٤٣٧ - ٤٣٨.

٢) ظهير الدين البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام (مخطوط) - ص٢٨. عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة - ص٤٣٨ والنص منقول من (عيون الأنباء).

٣) د. إبراهيم مدكور: دروس فى تاريخ الفلسفة ص١٠٠.

٤) راجع عنه ما سبق (ص ٣٢٥).

٥) ظهير الدين البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام (مخطوط) - ص٢٦، عيون الأنباء ص٤٣٧.

مدرسة بغداد الفلسفية امتد تأثيرها إلى مراكز العلم بالمشرق (الرى - بخارى - أصفهان - جرجان - سجستان -... الخ)، ويؤيد ذلك أيضا ما نجده فى كتب طبقات الأطباء والحكماء من أسماء عدد كبير من رجال تلك المدن نـزلوا بغداد لتحصيل علوم الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات، ثم عودتهم إلى بلادهم حاملين الكتب المترجمة وشروح البغداديين عليها[١].

ويطول المقام لو تتبعنا جهود ابن سينا فى ميدان الفلسفة ونشر العلوم. **وجملة القول** فى ذلك أنه يعد من العلماء الخالدين الذين يحتلون مكانا ساميا فى تاريخ تقدم الفكر والطب والفلسفة، وهو من أصحاب الثقافات العالية والاطلاع الواسع، ومن ذوى المواهب النادرة والعبقرية الفذة. وعلى الرغم من عدم امتداد حياته (٣٧٥ - ٤٢٨هـ): إلا أنها كانت عريضة تفيض نشاطا وحيوية، وتحفل بالإنتاج والتأليف والإبداع. ولقد كان إنتاجه متنوعا وغزيرا، فكتب فى الفلسفة والطب والطبيعيات والإلهيات والنفس والأخلاق والمنطق والرياضيات، ووضع فيها ما يزيد عن مائة كتاب ورسالة[٢]، يعتبر بعضها موسوعات ودوائر معارف؛ إذ جمع فيها شتات الحكمة والفلسفة وما أنتجه المفكرون الأقدمون، وأضاف إليها إضافات أساسية وهامة جعلته من المقدمين فى تاريخ الفكر والعلم، مما دفع البروفسور (جورج سارتون) إلى الاعتراف بأن «... ابن سينا أعلم علماء الإسلام ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين»[٣]. وقال (ول ديورانت) عن كتابيه " الشفاء " و " القانون ": (هما أرقى ما وصل إليه التفكير الفلسفى فى العصور الوسطى، وهما من أعظم البحوث فى تاريخ العقل الإنسانى»[٤]، وقال أيضا: «كان ابن سينا عظيم الأثر فيمن جاء بعده من الفلاسفة والعلماء، وقد تعدى هذا الأثر بلاد المشرق إلى الأندلس، حيث شكل فلسفة ابن رشد (٥٩٥هـ / ١١٩٨م) وموسى بن ميمون (ت٦٠٥ هـ / ١٢٥٢م)، وإلى العالم اللاتينى وفلاسفته»[٥].

***

١) راجع الباب الحادى عشر [طبقات الأطباء الذين ظهروا فى بلاد العجم] من عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص٤١٣ وما بعدها.

٢) راجع قائمة بمؤلفات ابن سينا فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٤٤٢، ص٤٥٧ - ٤٥٩، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٢٧٢ وما بعدها.

٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٤٨.

٤) ول ديورانت: قصة الحضارة المجلد الرابع - ج ٢ ص٢١١.

٥) ول يورانت: المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة.

ولم يبق أمامنا من فلاسفة بغداد سوى بعض تلاميذ الرجال المذكورين سابقا الذين يمثلون مدرسة بغداد الفلسفية فى القرن الرابع. وكان هؤلاء التلاميذ - وهم من أهل القرن الخامس الهجرى - فلاسفة وأطباء، وتخرج على أيديهم تلاميذ آخرون أيضا. ويعد يحيى بن عيسى بن على بن جزلة الفيلسوف الطبيب البغـــدادى (المتوفى ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) [١] آخر الفلاسفة الذين يمثلون المدرسة البغدادية، سواء كانوا من المسلمين أو من النصارى، ولم يظهر من بعده شخصية مهمة فى هذا الميدان.

وبموت ابن سينا ينقضى تقريبا أجل الدراسات الفلسفية التقليدية فى الشرق، ذلك أن نـــزعة السلاجقة السنية[٢] وارتياع علماء الشريعة من الآراء الفلسفية الجريئة، وانتصار نـــزعة الغزالى (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) الأشعرية ومنطقه الجلى وشهرته الواسعة أسهمت كلها بأوفر نصيب فى الكفاح ضد دراسة الفلسفة، «ومن المؤكد أن انحطاط الفلسفة فى بغداد منذ القرن الخامس الهجرى يرجع إلى حد كبير إلى تأثير الغزالى»[٣]. وقد جاراه فى حملته أشخاص آخرون، من بينهم الشهرستانى(ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) والرازى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) اللذان لم تمنعهما نـــزعتهما الفلسفية الواضحة وإحاطتهما بدقائق الفلسفة من مهاجمة الفلاسفة القدامى (اليونانيين) والمحدثين (الإسلاميين). ومنذ ذلك الحين - أى منذ أن اضمحلت الفلسفة فى [بغداد/المشرق] فى مطالع القرن السادس الهجرى بازدياد معارضيها ومنتقديها - أحست الفلسفة بحرج موقفها فى الشرق (إذا صح هذا التعبير)، فولت وجهها إلى أقصى الغرب فى الأندلس، رجاء أن تجد نصيرا، وبالفعل فلم تكد تصل كتب الفارابى وابن سينا والغزالى إلى هناك حتى أحدثت حركة فكرية أساسها الانتصار للفلسفة. وأبطال هذه الحركة ثلاثة هم: ابن باجه (٥٣٣هـ/١١٣٨م) وابن طفيل (٥٨١هـ/١١٨٥م) وابن رشد (٥٩٥هـ/١١٩٨م).

وهكذا ظهر لنا أن الفلاسفة (المشرقيين / البغداديين) هم أهم جماعة فى تاريخ الفلسفة فى الإسلام، إذ إنهم هم الذين كانوا مسئولين إلى حد بعيد عن إيقاظ الدراسات اليونانية - لاسيما دراسات أرسطو - وطوروا التراث الذى تلقاه المسلمون من الجماعة السريانية بالتصحيح، ومراجعة محتواه بالدراسة المباشرة للنص اليونانى، ثم بكتابة خلاصاتهم على هدى من شرح الشراح لهذا التراث.

---

١) له ترجمة فى عيون الأنباء ص٣٤٣، القفطى ص٢٣٩ - ٢٤٠.

٢) كانت بداية دولة آل سلجوق الكبرى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م، وبدأت دولة السلاجقة بالعراق سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م، وانتهت سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م.

٣) د. عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية (بحث ماكس مايرهوف) ص٩٨.

الفصل الثالث

علوم الفلك والرياضيات

ويشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول: علوم الفلك.

المبحث الثانى: الرياضيات.

المبحث الأول

علم الفلك

تعريفه: يعرف (طاش كبرى زادة) علم الفلك - أو علم الهيئة - بأنه «علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها»[١]. وقد جعل إخوان الصفا فى الرسالة الثالثة من رسائلهم الفلسفية المشهورة علم الهيئة قسما ثالثا من علم النجوم، فقالوا: إن علم النجوم ينقسم ثلاثة أقسام: قسم منها معرفة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها وما يتبعها من هذا الفن، ويسمى هذا القسم «علم الهيئة». ومنها قسم هو معرفة حل الزيجات[٢]. وعمل التقاويم واستخراج التواريخ وما شاكل ذلك. ومنها قسم هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب وكيفية دلائلها على الكائنات. ويسمى هذا النوع «علم الأحكام»[٣]. ويعلق (كرلونلينو) على هذا التقسيم قائلا: «وهذا الكلام ظاهر فى أن القسم الأول فى هذا التقسيم هو العلم النظرى. و الثانى: العملى. و الثالث: أحكام النجوم»[٤].

علم الفلك فى الحضارات القديمة وعند العرب قبل الإسلام:

وعلم الهيئة من العلوم القديمة التى عرفت عن كل من القدماء المصريين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وعند البابليين (حوالى ١٨٠٠ ق.م) حيث توصلوا فيه إلى نتائج عظيمة. وعند الكلدانيين الذين كانوا أساتذة العالم فى علم النجوم والفلك. وعرف أيضا عند الإغريق

---

١) مفتاح السعادة ج ١ ص٣٧٢ (ط دار الكتب الحديثة، القاهرة).

٢) سيأتى التعريف بالزيجات (أو الأزياج) قريبا (ص ٣٤٨-٣٤٩).

٣) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص٣٧٢ (القاهرة ١٣٢٧ هـ).

٤) كرلونلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص٢٥ - ٢٦.

(اليونان) و الهنود والفرس[١].

وقد قدم الشعر الجاهلى بعض الدلائل على أن العرب قبل الإسلام كان لديهم بعض المعرفة عن مبادئ علم الهيئة: وجاء القرآن الكريم فأيد هذه المعرفة، بيد أن «هذه المعرفة لم تكن تعتمد على دراسات منظمة، و لم تتجاوز بعض الضرورات البسيطة»[٢]. ويقول "نلينو" فى هـــذا الصدد: «إن العرب القدماء عرفوا عددا من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها ومغاربها. ... وعرفوا الكواكب السيارة ومنازل القمر، وانفردوا عن سائر الشعوب فى استعمال تلك المنازل وأخذ أنوائها، ولكن لعدم معرفتهم بالرياضيات - وخصوصا بالهندسة- ولعدم الاعتناء بالعلوم الأخرى أيضا لم يتوصلوا إلى تعيين السنين بحساب دقيق مستقصى، فاقتصروا على ما يدرك بمجرد العيان» ثم أردف "نلينو" قائلا: «إن عرب الجاهلية كانوا ذوى معرفة عملية بالنجوم و لم يكن لهم شيء من علم الهيئة الحقيقى»[٣].

فى العصر الاموى:

ظل الحال على هذا الوضع فى فترة صدر الإسلام والعصر الأموى باستثناء ما قيل إن كتابا فى الفلك بعنوان«عرض مفتاح النجوم» لهرمس الحكيم[٤]ترجم فى ذى القعدة من سنة ١٢٥هـــ ٧٤٣م[٥]أى قبل نهاية الدولة الأموية بسبع سنين. وهذا الكتاب موضوع على تحاويل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية[٦].

وقد روى أن الوزير الفاطمى أبا القاسم على بن محمد الجرجانى عثر فى خزانة الكتب

---

١) راجع التفاصيل فى بحث الدكتور فوزى رشيد بعنوان «فضل البابليين فى علم الفلك» وبحث الدكتور فاروق ناصر بعنوان «العراقيون القدماء إسهامات وريادة فى علم الفلك»، وكلا البحثين ضمن كتاب (دراسات فى الفلك عند العرب) [ص٩ - ٢٠، ص٢٣ - ٤٠] - مركز إحياء التراث العلمى بجامعة بغداد ١٩٨٧م - وراجع الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد ص٦٦.

٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية) ص٦٦.

٣) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص١٣٦.

٤) هرمس الحكيم فيلسوف كثرت حوله الخرافات بين العرب فى عهد الإسلام. وقد فرق البعض بين ثلاثة يحملون هذا الاسم، الأول والثانى من بابل، والثالث مصرى، ونسب إلى المصرى عدة كتب فى أحكام النجوم والكيمياء والسحر (راجع التفاصيل فى فهرست ابن النديم ص٤٩٤، ص٣٧٣، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٢٢٧).

٥) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب (ص٢٢٧).

٦) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب (ص٦٠).

الفاطمية عام ٤٣٥هـ/١٠٤٤م على كرة من نحاس من عمل بطليموس[١]مكتوب عليها «حملت هذة الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية»[٢]، وهو حفيد معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية. وهذة الرواية تؤكد على اهتمام خالد بن يزيد بالفلك. وقد عرفنا من قبل أنه كان ذا همة بعلوم الأوائل، وأنه أول من ترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء[٣].

تقدم علم الفلك على أيدى العباسيين الأوائل اعتمادا على الكتب المترجمة:

• أبو جعفر المنصور وعنايته بهذا العلم:

ومما لا شك فيه أن علم الفلك - كغيره من العلوم العملية- تقدم تقدما ملحوظا مع مطلع العصر العباسى، لاسيما بعد تأسيس بغداد. ويقول نلينو بهذا الخصوص: «لما انتهت أيام بنى أمية (١٣٢هـ / ٧٥٠م) وأشرقت شمس بنى العباس المضيئة وأصبحت (العراق / بغداد) دار الخلافة ومركز الأمة الإسلامية اختلطت العرب بالمماليك والموالى، فكثر أخذهم التمدن والعلم من الأمم الأعجمية، فزادوا أيضا كلفا بأحكام النجوم وحبا للاطلاع على الكتب فى هذا الفن»[٤]ومما ساعد على هذه النهضة شغف الخلفاء بتلك العلوم.

وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن أول من عنى بالفلك من الخلفاء العباسيين وقرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥م) فيذكر القفطى أن «نوبخت الفارسى المنجم» كان يصحب المنصور. ولما ضعف عن الخدمة أمر المنصور بإحضار ولده أبى سهل بن نوبخت ليقوم مقامه، وكان أبو سهل - كما يقول القفطى - حاذقا خبيرا باقتران الكواكب وحوادثها[٥].

ويذكر اليعقوبى فى كتابه (البلدان) أن المنصور لما ابتدأ فى بناء بغداد سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وضع أساسها فى وقت اختاره «نوبخت المنجم» و «ابن سارية» المسمى «ماشاء الله»[٦]. وهذا الأخير كان منجما يهوديا ماهرا بصناعة التنجيم فى زمن المنصور، وعاش إلى أيام المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م)، وصنف كتبا فى الفلك، منها كتاب " صنعة الاصطرلاب

---

١) سيأتى التعريف ببطليموس (ص ٣٣٧).
٢)القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٨٦.
٣) راجع الفصل الخاص بحركة الترجمة (ص ٢٩٢).
٤) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص١٤٣.
٥) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٦٦ - ٢٦٧. ويذكر المسعودى فى (مروج الذهب٨ / ٢٩١ طبعة باريس) أن نوبخت كان مجوسيا ثم أسلم على يد المنصور.
٦) اليعقوبى: البلدان ص٢٣٨ (طبعة ليدن ١٨٩٢م).

والعمل بها"[١] وكتاب " ذات الحلَق " [آلة من آلات الرصد] وغيرهما من الكتب[٢].

• أهم ما تُرجم من كتب الفلك فى بغداد

ولم يقتصر الخليفة المنصورعلى مجرد إحكام النجوم وما يتعلق بها، بل إنة منذ تأسيس بغداد بسنين قليلة بادر إلى إحياء علم الفلك مستعيناً فى ذلك بعلماء الهند، حيث أمر بترجمتها إلى العربية.

كتاب "السِّند هند":

والذى دعاه إلى ذلك-كما يذكر الرواة - أن رجلاً هندياً حضر إلى بغداد سنة ١٥٤ هـ/٧٧٠م (وفى رواية: سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٢م) فى جملة وفد من السند. وهذا الرجل يُدعى (مانكا Manka) أو (كانكا Kanka)، وكان عالماً بالفلك على مذهب علماء الهند. وقد اصطحب معه إلى بغداد كتاباً فى الفلك باللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) يسمى "السِّدَهــنْتا " أو " السِّدَهــانْتَ " (Siddhanta). ومؤلفه هو الفلكى والرياضى "بَرَهــمَكَبْت" أو " براهماغبتا " (Brahmgupta)[٣].

ولفظ "السِّدَ هانتا" تحول - أو حُرّف - فى الوسط العربى تحت تأثير الاختصار أو الاشتقاق إلى لفظ "السند هند" الذى تنعكس فيه التسمية العربية لشطرى الهند: أى الهند والسند. ومعنى "السد هانتا" فى الأصل: المعرفة والعلم والمذهب، ثم لم يلبث أن أطلق اصطلاحاً على كل مُصنَّف فى الفلك على طريقة الهند[٤]. ويحتوى الكتاب على مقدمة وجيزة أرفق بها عدد من الجداول الفلكية فى تحركات الأجرام السماوية وطلوع ومغيب البروج. وقد حسبت هذه الحركات على أساس دورات زمنية تضم آلاف السنين، وهى ما تسمى بالكالبا (Kalpa)[٥].

وقد كلف المنصور العالم الهندى الذى نــزل بغداد بإملاء مختصر لذلك الكتاب المذكور[٦]، ثم أمر بترجمته إلى العربية، وباستخراج كتاب منه " تتخذه العرب أصلاً فى

---

١) سيأتى التعريف بآلة الاصطرلاب قريباً (ص ٣٤٥).
٢) الفهرست لابن النديم ص٢٨٢، إخبار العلماء للقفطى ص٢١٤ - ٢١٥.
٣) البيرونى: تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ص٢٠٨ (ط لندن ١٨٨٧ م)، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٧٧.
٤) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص٧٠.
٥) كراتشكوفسكى: المرجع السابق ج ١ ص٧٠.
٦) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٧٧.

حركات الكواكب " كما يقول القفطى[١]والذى تولى الترجمة هو: محمد بن إبراهم بن حبيب الفزارى، وقد سمى العمل الذى قام به كتاب "السند هند الكبير"[٢]، واستخرج منه زيجا عرف بزيج الفزارى[٣]. وهذا الزيج نقل عنه البيرونى فى مواضع شتى من كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة...) وبين أنه مستنبط مما أملاه الحكيم الهندى فى حركات الكواكب على مذهب السند هند[٤].

ومن الملاحظ أن ابن النديم والقفطى يسميان زيج الفزارى باسم " كتاب الزيج على سنى العرب"[٥]، وهذا يعنى أن الفزارى حول سنى الأدوار الهندية (وهى سنون نجومية) إلى سنين هلالية- أى بالتاريخ العربى[٦]. ويقول كراتشكوفسكى فى هذا:«وقد استعمل الفزارى فى كتابه، الأسس والمناهج الهندية فى الحساب لوضع جداول فلكية جديدة- زيج- وحفظ لنا على العموم أصل المذهب الذى أطلق عليه فى العلم العربى (مذهب السند هند)، ولكنه أجرى فيه بالطبع تعديلات وإضافات جوهرية، وقام بتحويل حساب التوقيت الهندى إلى سنى العرب: أى أنه استبدل بنظام الكلبا Kalpa حساب السنين القمرية المستعمل لدى المسلمين»[٧].

ولم ينفرد الفزارى بالاشتغال بالسند هند ونشر تعاليمه فى زمن أبى جعفر المنصور ومن بعده؛ فقد كان هناك عالم آخر عنى أيضا بالمذهب الهندى. وهو يعقوب بن طارق الذى قال عنه صاحب الفهرست: "من أفضل المنجمين[٨]، وقال القفطى: "كان مشهورا بين أهل هذه الصناعة، مذكورا من أفاضلهم، وله تصانيف جياد فى هذا النوع"[٩]. ومن بين مؤلفاته فى الفلك كتاب " الزيج محلول فى السند هند " - أى مستخرج منه[١٠].

---

١) القفطى: المصدر السابق ص١٧٧.

٢) القفطى: المصدر نفسه ص١٧٧.

٣) الفهرست لابن النديم ص٣٨١، مروج الذهب للمسعودى ٤ / ٣٧ - ٤٠(ط باريس - الباب ٦٢).

٤) البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة ص٧٨، ١٥٧، ١٦١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤. وراجع نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص١٦٢.

٥) الفهرست ص٣٨١، إخبار العلماء للقفطى ص٤٢.

٦) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص١٦٢-١٦٣.

٧) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ١/٧١ - ٧٢.

٨) الفهرست ص٣٨٨.

٩) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٤٧.

١٠) الفهرست ص٣٨٨، إخبار العلماء ص٢٤٧، وراجع معلومات مهمة عن هذا الكتاب ذكرها نلينو فى (علم الفلك تاريخه عند العرب ص١٧١ - ١٧٢).

ويبرز من بين كتبه أيضا كتاب "تركيب الفلك " جمع بين دفتيه المعلومات التى استقاها من العلماء الهنود أعضاء السفارة الثانية إلى بلاد العباسيين ببغداد عام ١٦١ هـ / ٧٧٧ م[١]، أى بعد خلافة المنصور. واعتمادا على بعض المعلومات التى ذكرها البيرونى يمكن أن نفترض - كما يقول نلينو - أن المعين الذى استقى منه يعقوب بن طارق مادة كتابه كان أوسع، ولم يقتصر على رسالة "براهماغوبتا " - السند هند - وحدها، وإنما شمل عددا من الآثار الأخرى، مما يدل على أنه كان أوسع من الفزارى معرفة بكتب الهند وأكثر اطلاعا على أخبارهم[٢].

ومع أن كتبا هندية أخرى فى علم الفلك ترجمت فى بغداد فى مطلع العصر العباسى - مثل كتاب " الأركند " Arkand (وهو عبارة عن زيج صغير)، وكتاب "الأرجبهـــر"[٣]- فإنها لم تنل عند العرب شهرة مثلما ناله كتاب " السند هند " الذى عنى به الفزارى، فلم يزل أساسا لأزياج العرب والعمل به، وفى هذا السياق يقول القفطى عن «السند هند»: " وبقى سائدا سيادة مطلقة حوالى الخمسين عاماً إلى ابتداء عصر المأمون (١٩٨-٢١٨هـــ)[٤]، حيث بدأ المذهب اليونانى يزاحمه بترجمة كتاب " المجسطى " لبطليموس، وسيأتى الحديث عنه بعد قليل[٥]. غير أنه لايمكن القول بأنه قد اختفى العمل بالسند هند مرة واحدة بأجمعه - أى بعد ترجمة كتب اليونان - وإنما اتبع مذهبه عدد من علماء الفلك فى بغداد، وعنوا بإصلاحه وتهذيبه والإضافة إليه: ففى أيام المأمون وضع محمد بن موسى الخوارزمى (القائم على خزانة بيت الحكمة فى بغداد) " زيجه " المسمى (السند هند الصغير)، وقد اعتمد فيه على النظام الهندى، إلا أنه غير بعض المسائل لتتفق مع مذاهب الفرس واليونان، وأضاف إليه أبوابا حسنة " فاستحسن أهل زمانه - من أصحاب السند هند - وطاروا به فى الآفاق، ومازال نافعا عند أهل العناية بالتعديل إلى زماننا هذا"[٦] أى إلى زمان القفطى صاحب كتاب " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " (المتوفى ٧٤٦ هـــ / ١٣٤٥م).

---

١) نلينو: المرجع السابق ص١٦٦. وراجع البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة ص٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٩، ٢٣٣.

٢) نلينو: المرجع المذكور ص١٦٤ - ١٦٥، كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص٧٢.

٣) نلينو: المرجع نفسه ص١٧٢ - ١٧٣.

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٧٧.

٥) راجع عن كتاب المجسطى (الصفحة التالية).

٦) القفطى: المصدر السابق ص١٧٧ - ١٧٨.

كتاب زيج الشهريار:

ولم تجد النظريات الفلكية والجغرافية الهندية طريقها إلى العرب مباشرة فحسب، بل وصلتهم أحيانا فى ثوبها الإيرانى / الفارسى. ومن بين المصنفات الفارسية كتاب اشتهر "بزيج الشهريار" أو "زيج الشاه" أو " زيج شهرياران الشاه "، ومعناه: زيج الملك. نقله إلى العربية - فى حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى - أبو الحسن على بن زياد التميمى[١]. وهذا الزيج بنى على قواعد وأصول أغلبها هندية كما يقول نلينو، وأصله الفارسى معروف باسم " زيك شترو آيار"، ويبدأ حساب توقيته ببداية ملك يزدجرد عام ٦٣٢ م، وهو يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان[٢].

وقد انتشر زيج الشهريار ومذاهبه بين الفلكيين البغداديين، ولو لم يدرك عندهم قدر شهرة السند هند "، فقد أفاد منه العالم الفلكى المعروف باسم " ماشاء الله "، وكان يهوديا زمن الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م)، ولم تكن نظرياته غريبة على محمد الخوارزمى (نزيل بغداد) أكبر دعاة المذهب اليونانى فى علم الفلك[٣]. وكثيرا ما اعتمد عليه الفلكى حبش المروزى (الأصل) البغدادى الذى عاش فى زمن المأمون والمعتصم، وذلك أنه صنف أحد أزياجه الثلاثة على مذهب الفرس وسماه "زيج الشاه"[٤]. كما أن أبا معشر: جعفر بن محمد البلخى نـزيل بغداد (المتوفى ٢٧٢ هـ / ٨٨٥م) تأثر فى أزياجه التى وضعها بزيج الشهريار[٥].

كتاب المجسطى لبطليموس:

وكان أهم كتاب اعتمد عليه العرب والمسلمون فى بداية نهضتهم العلمية فى علم الفلك هو كتاب " المجسطى" لبطليموس القلوذى[٦]، بل «ربما كان هذا الكتاب هو

---

١) الفهرست لابن النديم ص٣٤٢.

٢) نلينو: المصدر السابق ص١٨٤، كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى ج ١ ص٧٥ - ٧٦.

٣) نلينو: المصدر نفسه ص١٨٧، كراتشكوفسكى: المرجع السابق ج١ ص٧٦. وراجع ترجمة (ماشاءالله) فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٢١٤.

٤) القفطى: إخبار العلماء ص١١٧.

٥) الفهرست ص٣٨٦ - ٣٨٧، إخبار العلماء للقفطى ص١٠٦ - ١٠٧، كشف الظنون لحاجى خليفة ج٢ ص٩٧٠.

٦) **بطليموس** قلاوديوس (القلوذى) فلكى وجغرافى يونانى، عاش فى مصر الرومانية فى القـرن الثانى بعد الميلاد. وقد بين حقيقة الوقت الذى عاش فيه فى كتابه (المجسطى)- كما أشار القفطى - وأن عصره بعد عصر أغسطس قيصر أول ملوك الروم (المتوفى ١٤م) بمائـة وستين سنة. وقد تنبـه القفطى =

الكتاب الوحيد الذى دارت من حوله جميع البحوث الفلكية، واستقى منه كل الفلكيين فى العصور الوسطى"[١].

وهذا الكتاب هو أهم ما خلفته حضارة الإغريق فى علم الفلك: ذلك أن مؤلفه «انتهت إليه علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك، وعنده اجتمع ما كان متفرقا من هذه الصناعة بأيدى اليونانيين والروم وغيرهم، وبه انتظم شتاتها وتجلى غامضها، وما أعلم أحدا بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطى» [٢]. ويضيف صاعد الأندلسى قائلا: «وإنما غاية العلماء بعد بطليموس التى يجرون إليها، وثمرة عنايتهم التى يتنافسون فيها فهم كتابه على مرتبته، وإحكام جميع أجزائه. ..... ولا يعرف كتاب ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب: أحدها كتاب المجسطى فى علم هيئة الفلك وحركات النجوم. والثانى: كتاب أرسطوطاليس فى علم صناعة المنطق. والثالث: كتاب سيبويه البصرى فى علم النحو العربى» [٣].

وقد ترجم " المجسطى " إلى العربية عدة مرات: يقول ابن النديم: «وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية: يحيى بن خالد بن برمك (المتوفى ١٩١ هـ / ٨٠٧ م) ففسره له جماعة فلم يتقنوه و لم يرض ذلك، فندب لتفسيره (أى عين للإشراف على ترجمته) أبا حسان وسلم صاحب بيت الحكمة - ببغداد - فأتقناه، واجتهدا فى تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين، فاختبرا نقلهم، وأخذا بأفصحه وأصحه» [٤].

= إلى الخلط بين بطليموس (هذا) صاحب المجسطى، وبطليموس الملك، وهذا الأخير هو بطليموس الثانى الملقب " فيلادلفوس " أحد البطالمة اليونانيين الذين حكموا الإسكندرية، مولده سنة ٣٠٩ ق. م، وحكم فى (٢٨٥-٢٤٦ ق.م)[راجع إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٦٧-٦٨، تعليقات فؤاد سيد على طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص٣٧].

والمجسطى - بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء الأخيرة (أو بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد الياء): كلمة يونانية أصلها (مجال سنطا كسيس) أى: النظام العظيم. وقيل: أصله (ماجستووس) ومعناه: البناء الأكبر، ومؤنثه: ماجستى. ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث عشرة مقالة [راجع فهرست ابن النديم ص٣٧٤، كشف الظنون ص١٥٩٤ - ١٩٥٩، علم الفلك تاريخه عند العرب - لنلينو ص ٢٢١ - ٢٢٢].

١) جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث ص٨٨.

٢) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص٣٠، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٦٨.

٣) صاعد: المصدر السابق ص٣١، القفطى: المصدر السابق ص٦٨ - ٦٩، ياقوت: معجم الأدباء ج ١٦ ص١١٧.

٤) الفهرست ص٣٧٤، إخبار العلماء للقفطى ص٦٩.

وهذه الترجمة التى أشرف على إخراجها يحيى البرمكى هى الموسومة بالنقل القديم لكتاب المجسطى، وقد برهن العلامة (نلينو) على أنها استخرجت من ترجمة سريانية لا من الأصل اليونانى[١]، «غير أنها بإجماع الآراء لم تكن ذات قيمة كبرى، وتفوقها الترجمة التى عملت فى عصر المأمون والتى قام بها الحجاج بن يوسف بن مطر حوالى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧ م، ويبدو أنها قد نقلت عن السريانية» [٢]. ولم يقف الجهد عند هذا الحد؛ فقد شارك فى ترجمة المجسطى عميد المترجمين فى بغداد: حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣ م)[٣]، وقام بمراجعة هذه الترجمة عالم الفلك الشهير فى عصره: ثابت بن قرة الحرانى (المتوفى ٢٨٨ هـ / ٩١٠م)[٤].

إن هذه العناية بكتاب المجسطى تقف دليلا على ما بلغته حركة الترجمة لكتب الفلك من حيوية وانتظام، وعلى مدى الاهتمام العميق والخاص بهذا الكتاب الذى ترك أثرا محمودا فى تقدم الفلك والرياضيات فى بغداد مركز الحضارة الإسلامية آنذاك.

ومن الجدير بالذكر هنا أن اعتماد علماء الفلك فى بغداد على تراث اليونان الفلكى جاء متأخرا بعض الشئ: حيث كان التراث الهندى قد استحوذ على الاهتمام العربى بهذه الدراسة زمن الخليفتين المنصور والرشيد. والحق أن علماء بغداد لم يحولوا أنظارهم صوب الفلك اليونانى إلا بعد أن وقفوا على دقائق الفلك الهندى، وأن هذه المرحلة الأولى من الدراسة للفلك الهندى هى التى ساعدت هؤلاء العلماء على تحقيق الخطوة التالية نحو تطوير علم الفلك اليونانى، وذلك بعد أن أصبحت أشهر مصنفاته - وهى المجسطى - فى متناول أيديهم[٥].

جهود المدرسة البغدادية فى تطوير علم الفلك:

هكذا ظهر لنا أن علماء العرب والمسلمين قاموا فى مطلع نهضتهم العلمية فى مجال الفلك بترجمة ما عثروا عليه من كتب تحت رعاية الخلفاء العباسيين. لكن لم يقف هؤلاء العلماء عند مرحلة النقل، ولم يركزوا على مجرد التعليق والتنقيح للكتب التى ترجموها، وإنما انتقلوا إلى مرحلة الابتكار الأصيل، وفتحوا آفاقا جديدة أمام هذا العلم، فصححوا الأخطاء،

---

١) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص٢٢٥ - ٢٢٦.
٢) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص٧٩، وراجع الفهرست لابن النديم ص٣٧٤.
٣) الفهرست ص٣٧٤، وفيات الأعيان ج ٢ ص٢١٧.
٤) الفهرست لابن النديم ص٣٧٤، ٣٨٠ - وراجع إخبار العلماء للقفطى ص٨٢.
٥) راجع: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى، لرشيد حميد الجميلى ص٣٩٤.

وأضافوا إضافات جوهرية بعد أن كانوا ينهجون أول الأمر نهج الكتب المترجمة، شأنهم فى ذلك شأن باقى فروع العلوم التجريبية التى بلغت أوج ازدهارها ابتداء من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى.

ومن المؤسف حقا أن يدعى بعض العلماء الأوربيين أن علماء العرب والمسلمين حافظوا على إسهام الحضارات السابقة عليهم فى علم الفلك، ولم يقدموا إنتاجا فكريا خاصا بهم فى هذا الميدان. وأكثر من ذلك نسب هؤلاء لأنفسهم الكثير من اكتشافات نوابغ علماء المسلمين فى الفلك. فعلى سبيل المثال: الاكتشاف الذى حققه العالم الفلكى البغدادى أبو الوفا محمد بن محمد بن يحيى البوزجانى[١](المتوفى ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م)، وهو أن القمر يختلف سيره بين سنة وسنة، ووضع معادلة لهذه الظاهرة سماها " معادلة السرعة " (التفاوت فى سرعة القمر تبعا لجاذبية الأرض). وقد نسب هذا الاكتشاف إلى العالم الدانيماركى "تيكوبراه Tycho Brake" (١٥٤٦-١٦٠١م)، ويقول الدكتور نفيس أحمد: «قام الجوزجانى برصد دائرة البروج سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م، وأعد جداوله الفلكية (الزيج الشامل) وقيل: إن أخطاء نظرية بطليموس عن القمر قد صدمته، وعندما شرع فى تحقيق الأمر أبرز اختلافا آخر لم يكن سوى ماكشفه (تيكوبراه) من بعده بستمائة عام»[٢]. وقد علق العلامة (سيديو) على نظرية الجوزجانى قائلا: «وهكذا انتهت مدرسة بغداد إلى أقصى حدود المعارف بغير منظار أو تلسكوب»[٣].

ويطول المقام إذا تتبعنا جهود المدرسة البغدادية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة للنهوض بعلم الفلك والتقدم به خطوات كبيرة. وحسبنا أن نركز بصورة موجزة على مجموعة من الإنجازات، أهمها:

أولا: المراصد الفلكية:

لاجدال فى أن تقدم علم الفلك على أيدى علماء المسلمين فى إطار مدرسة (بغداد /

---

١) أصله من بوزجان من أعمال خراسان بين هراة ونيسابور - وعاش فى بغداد وأدار أحد مراصدها الكبرى. وستكون لنا عودة إليه فى مواضع عدة - راجع ترجمته فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٨٨-١٨٩.

٢) د. نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص١٥٦. وراجع: على عبدالله الدفاع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص٤١ - ٤٢، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٤٠ - ١٤١، جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث ص ٩٠.

٣) نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص١٥٦.

المشرق) يرجع بالدرجة الأولى إلى حرصهم على إقامة المراصد التى سهلت لهم عملية ملاحظة الظواهر الفلكية من أجل التوصل إلى معلومات صحيحة ودقيقة عن أحوال الكواكب والنجوم مكانا وزمانا، ومراقبة ما يحدث من تغييرات فلكية لسنة أو سنتين، وتثبيت ذلك بقدر كبير من الدقة.

(١) ومن الثابت - فى حدود ما لدينا من معلومات أن الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) هو أول من أشار باستعمال الآلات فى الرصد، وأمر ببناء مرصدين فلكيين: أحدهما عند باب الشماسية ببغداد. والآخر بجبل قاسيون بدمشق، وعهد بإدارتهما إلى عالمين فلكيين ببغداد هما: يحيى بن أبى منصور، وسند بن على، وذلك سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م (أو سنة ٢١٥ هـ). وكان من أعضاء هذا المرصد: العباس بن سعيد الجوهرى وخالد بن عبد الملك المروروزى. وقد توقف العمل فى هذا المرصد بموت المأمون، إلا أنهم قيدوا ما توصلوا إليه من الرصد، وسموه " الرصد المأمونى"[١].

(٢) وبعد وفاة المأمون أنشأ أولاد موسى بن شاكر المنجم (محمد- المتوفى ٢٩٥هـ- وأحمد والحسن)- وكانوا من المتقدمين فى علوم الفلك والرياضيات-أنشأوا مرصدا فى بغداد على طرف الجسر عند اتصاله بباب الطاق، رصدوا فيه الكواكب، واستخرجوا حساب العروض الأكبر من عروض القمر[٢]. وشيدوا مرصدا فى مدينة سامراء، قيل: إنه كان يحتوى على آلة بناها الأخوان (محمد وأحمد) ذات شكل دائرى، تحمل صور النجوم، ورموز الحيوانات فى وسطها، وتديرها قوة مائية. وكان كلما غاب نجم فى قبة السماء اختفت صورته فى اللحظة ذاتها فى الآلة، وإذا ما ظهر نجم فى قبة السماء ظهرت صورته فى الخط الأفقى من الآلة[٣].

---

١) الفهرست لابن النديم ص٣٨٣، ٣٨٤، ٣٧٩. إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٤٠-١٤١، ص١٦٢، ص٢٣٤ - ٢٣٥ - وراجع تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص٢٣٧، كشف الظنون لحاجى خليفى ج ١ ص٥٧٢.

٢) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ج١ ص١٥١ (ط القاهرة١٢٨٢هـ)، زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص١٢٠ (بيروت١٩٨١م)، جورجى زيدان: تاريخ التمدن الأسلامى ٣ /٢١٤.

٣) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص١٢٢، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية للعصور الوسطى (العلوم العقلية) ص٧١.

• قياس محيط الأرض فى عهد المأمون بإشراف علماء بغداد:

ومن أعمال بنى شاكر المأثورة أنهم قاسوا للمأمون درجة محيط الأرض، فى حديث طويل ذكره ابن خلكان فى (وفيات الأعيان)[١]، غير أن روايته فى ذلك ليست دقيقة. وقد ذكر ابن يونس المصرى أحد علماء الفلك (المتوفى ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م) ذكر رواية أكثر دقة فى كتابه (الزيج الكبير الحاكمى) [الذى ألفه للخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (المتوفى ٤١١هـ / ١٠٢٠م)] نقلا عن العالم الفلكى البغدادى سند بن على، وهو أحد الذين عهد إليهم المأمون بإدارة المرصد الذى أمر ببنائه فى بغداد كما ذكرنا. وهذه الرواية لم تذكر أن الذى قام بالتجربة هم بنو موسى، وإنما ذكرت أسماء علماء آخرين اختارهم المأمون لهذه المهمة، وهم: سند بن على، وخالد بن عبد الملك المرورزى (فى فريق). وعلى بن عيسى الإسطرلابى، وعلى ابن البحترى (فى فريق آخر)[٢]. أما عن تفاصيل التجربة فإن ذكرها يطول، ولكنها تنطوى على عدة حقائق علمية، أهمها أن علماء الفلك فى بغداد كانوا على يقين تام بكروية الأرض، وأن هؤلاء العلماء اعتمدوا لقياس محيط الأرض على عمل بعثتين علميتين فى مكانين مختلفين، ومقارنة النتائج التى يتوصل إليها كل فريق، بقصد الوصول إلى القياس الصحيح[٣].

(٣) وقد بنى شرف الدين بن عضد الدولة البويهى (٣٧٢-٣٧٩هـ/٩٨٢ - ٩٨٩م) مرصدا فى بغداد اشتهر بالمرصد الشرقى، أقامه فى طرف بستان قصره المعروف بدار المملكة مما يلى باب الخطابين، وأحكم أساسه وقواعده لئلا يضطرب بنيانه. وذلك سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م. ومؤسس هذا المرصد والمصمم لكثير من أجهزته هو: أبو سهل ويجن ابن رستم الكوهى (المتوفى ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م). قال عنه القفطى: «عالم بعلم الهيئة وصنعة آلات الرصد، وتقدم فى الدولة البويهية والأيام العضدية وبعدها... وكان حسن المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة متقدما فيهما إلى الغاية المتناهية»[٤]. وسيأتى المزيد عنه فى علم الرياضيات.

---

١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص١٦٢ - ١٦٣.

٢) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص٢٨١ وما بعدها. وراجع إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٦٢.

٣) حضارة العراق ج٨ ص٤٣٩. ومن الجدير بالذكر أن القياس الذى توصل إليه هؤلاء العلماء لمحيط الأرض كان (٢٤٨ و٤١) مليون كيلو متر مربع. وأما الرقم الذى توصل إليه علماء اليونان فهو (٣٤٠ و٣٨) مليون كيلو متر مربع. وأما الرقم الحقيقى فهو (١٠٧٠و٤٠) مليون كيلو متر مربع. أى أن الرقم الذى وصل إليه علماء بغداد فى القرن الثالث الهجرى فى عهد المأمون يقارب الرقم الحقيقى، فلابد لنا من عداد ذلك القياس فى أعمال علماء المسلمين العلمية المجيدة المأثورة [راجع: العلوم عند العرب لقدرى حافظ طوقان ص٣١، علم الفلك فى الحضارة الإسلامية لعبد الرحمن المؤمن (بحث فى مجلة الجامعة الإسلامية - العدد الرابع ١٩٩٤ م/ ١٤١٥ هـ)].

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٣٠، ٥٦ - ٥٧.

وفى هذا المرصد الذى تولى الكوهى رئاسته قام بالاشتراك مع فريق من علماء بغداد برصد موقع الشمس، ورصد الكواكب السبعة، وسجلوا هذا الرصد فى محضرين ذكرهما القفطى فى كتابه، وقد ذيل أحدهما بأسماء العلماء المشتركين فى عملية الرصد[١].

لقد حاول شرف الدولة البويهي أن يسير على غرار المأمون، فأراد أن تتضافر جهود علماء الفلك على نجاح العمل المشترك، فكان يحف الكوهى بأفضل علماء عصره.

(٤) وتتحدث المصادر عن مرصد آخر فى بغداد أقامه بنو الأعلم. وقد أشار القفطى إلى أحد فلكيه، وهو على بن الحسن أبو القاسم العلوى المعروف بابن الأعلم (المتوفى ٣٧٥هـ / ٩٨٥م). كان مقدما عند عضد الدولة البويهى[٢](٣٦٧ - ٣٧٢ هـ / ٩٧٧ - ٩٨٢م).

هذه بعض المراصد التى أنشأها علماء الفلك ببغداد خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة. ولم يقتصر الأمر على تشييد المراصد فى بغداد وحدها، وإنما أنشأت مراصد عديدة فى كثير من أنحاء الدولة الإسلامية، لاسيما بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية وتشعبت

إلى فروع، فأنشأت مراصد فى الشام والقاهرة وأصبهان وسمرقند والأندلس[٣]. وما كانت هذه المراصد - فى تلك المدن - أن توجد لولا النهضة العلمية التى شهدتها بغداد فى مجال علم الفلك.

ونظرا لإدراك علماء الفلك لأهمية الرصد الفلكى فقد عملوا فى اتجاهين يكمل أحدهما الآخر، تمثل الأول فى بناء المراصد الفلكية، وتمثل الثانى فى ابتكار آلات رصد جديدة.

ثانيا: آلات الرصد:

وقد تمكن علماء الفلك فى بغداد من اختراع العديد من الأجهزة الدقيقة التى تستخدم فى عمليات الرصد، خاصة «وقد كان ما ورثوه منها عن الأغريق يعد بدائيا بسيطا لا يفى باحتياجاتهم، ولايعاونهم فى سباقهم من أجل تطوير هذا العلم، لذلك كان من الطبيعى أن يهرع هؤلاء إلى تطوير تلك الآلات، وأن يقوموا باختراع آلات جديدة، تعاونهم فى أداء

---

١) القفطى: المصدر السابق ص٢٣٠ - ٢٣١، ص٥٦.

٢) القفطى: المصدر نفسه ص١٥٧. وراجع تاريخ التمدن الإسلامى لجورج زيدان ج ٣ ص٢١٤. وراجع ترجمة سبقت لعضد الدولة البويهى (ص ٣٢٢).

٣) قام الدكتور أحمد عبد الرازق أحمد بتتبع المراصد التى أنشأت فى كثير من الحواضر الإسلامية (راجع كتابه: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - العلوم العقلية ص٧٢-٧٣).

رسالتهم من رصد ومراقبة وقياسات»[١].

وقد استخدم علماء بغداد- الذين كانوا يمثلون العالم الإسلامى آنذاك- أنواعا من الآلات الفلكية، بعضها اقتبسوه من الحضارات الأخرى، وخاصة اليونانية، والبعض الآخر كان من إبداعهم. وبلغت هذه الآلات من الكثرة ما جعل البعض يخصص لها المؤلفات التى تشرحها وتتحدث عن فوائدها، ومن أمثلتها فى- القرن الرابع الهجرى- كتاب الخازن (المتوفى ٣٤٩هـ/٩٦٠م) المسمى "الآلات العجيبة الرصدية"، اشتمل على كثير من آلات الرصد[٢]. وصنف أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزى(من علماء القرن الرابع الهجرى) كتاب "البراهين وتهيئة آلات يتبين فيها أبعاد الأشياء"[٣].

وقد ذكر ابن النديم نصا مهما مفاده أن آلات الرصد قبل الإسلام كانت تصنع فى مدينة حران[٤]، ولكنها تشتت، ثم أحياها علماء بغداد وزادت فى عصر المأمون. وذكر ابن النديم قائمة تضم سبعة وعشرين صانعا لآلات الرصد على اختلاف أنواعها وأشكالها، وذكر من بينهم امرأة تسمى " العجيلة"[٥].

ومن الآلات التى ورد ذكرها فى المصادر وقام بصنعها علماء بغداد:

(١) ذات الحلق: وتتألف من خمس حلقات متداخلة من النحاس، تمثل دائرة نصف النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، والدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب[٦]. وقيل إن ذات الحلق تشتمل على سبع حلق معدنية متحركة مركبة فى بعضها[٧]. وقد صنف العالم الفلكى اليهودى (قيل إنه أسلم) المعروف باسم "ما شاء الله" كتاب " ذات الحلق "، وكان معاصرا للمنصور، وعاش إلى أيام المأمون[٨](١٩٨-٢١٨هـ). ويذكر ابن النديم أن المأمون ندب لصناعة هذه الآلة أحد علماء الفلك ببغداد، هو خالد بن

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٧٣.
٢) حاجى خليفة: كشف الظنون ج١ ص٤٥.
٣) الفهرست لابن النديم ص٣٨٩، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٦٨ .
٤) سبق التعريف بمدينة حران (ص ٢٨٩).
٥) الفهرست ص٣٩٦.
٦) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ٢ / ١٥١، مقدمة ابن خلدون ص٤٨٨.
٧) نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص١٤٨.
٨) الفهرست ص٣٨٢، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٢١٤ - ٢١٥.

خلف المروروذى[١]. وللحسن بن الصباح البغدادى كتاب "العمل بذات الحلق"[٢].

(٢) ذات الشعبتين: وهى ثلاث مساطر مثبتة على كرسى يعرف بها الارتفاع. وممن صنف فى هذه الآلة: أبو الحسن محمد بن عيسى المعروف بابن عباد (من علماء القرن الرابع الهجرى)، له كتاب " العمل بذات الشعبتين وغيرها"[٣].

(٣) الإسطرلاب وريادة البغداديين فى صناعتها:

ولعل أكثر الآلات التى برع علماء بغداد فى صناعتها براعة تفوق الوصف - وكان غيرهم مقلدين لهم - هى آلة " الإسطرلاب " أو " الإصطرلاب"[٤]، وهو من أهم آلات الرصد.

ومهما قيل فى شأن المخترع الأول لهذه الآلة قبل الإسلام - " لأن هذا لا يدرك بالتحقيق " كما يقول ابن النديم[٥]- فإنها لم تتطور وتصل إلى درجة عالية من الفائدة والتعقيد فى الاستعمال إلا على يد العرب والمسلمين فى إطار المدرسة البغدادية؛ إذ الأصل اليونانى كان آلة بسيطة بدائية يقاس بها ارتفاع النجوم فحسب، فأدخل علية العلماء المسلمون العديد من التحسينات، وأصبحت تقوم بعمليات فلكية ورياضية تتجاوز الثلاثمائة مسألة تفك لغزها وتحل مشكلها[٦].

وأول من عمل الإسطرلاب فى الإسلام هو الفلكى البغدادى إبراهيم بن حبيب الفزارى فى زمن أبى جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م)، «عمله مسطحا ومبطحا» كما يقول ابن النديم. ويقول القفطى: «له كتاب فى تسطيح الكرة (أى الإسطرلاب المسطح)

---

١) الفهرست ص٣٩٦.

٢) الفهرست ص٣٨٧، القفطى المصدر السابق ص٤٣ - ٤٤.

٣) الفهرست ص٣٨٩.

٤) كلمة (الاسطرلاب) معربة عن اليونانية (استرلابيوم Astrolabium) ومعناها: مقياس النجم، أو ميزان النجم، أو مرآة النجم. ويقال: إن أصلها فارسى أخذ من (ستاره ياب)، وقيل غير ذلك. راجع بحثا منشورا بمجلة المجمع العلمى العراقى - المجلد التاسع عشر - ١٣٩٠ هـ /١٩٧٠م (ص٦) بعنوان "الأصطرلاب: طرق وأساليب رسمه وصنعته " للدكتور إبراهيم شوكة. ويقول حاجى خليفة: " هى آلة فلكية تمثل قبة السماء، وقسمت إلى أقسام بها النجوم فى المجموعات المختلفة، ويوضح عليها حركة الشمس والكواكب " (كشف الظنون ج ١ ص١٠٦).

٥) الفهرست ص٣٩٦. وراجع القفطى: إخبار العلماء ص٥١.

٦) د. إبراهيم شوكة: الاصطرلاب طرق وأساليب رسمة وصنعتة- بحث فى مجلة المجمع العراقى- المجلد (١٩)- ص٧. د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٧٥.

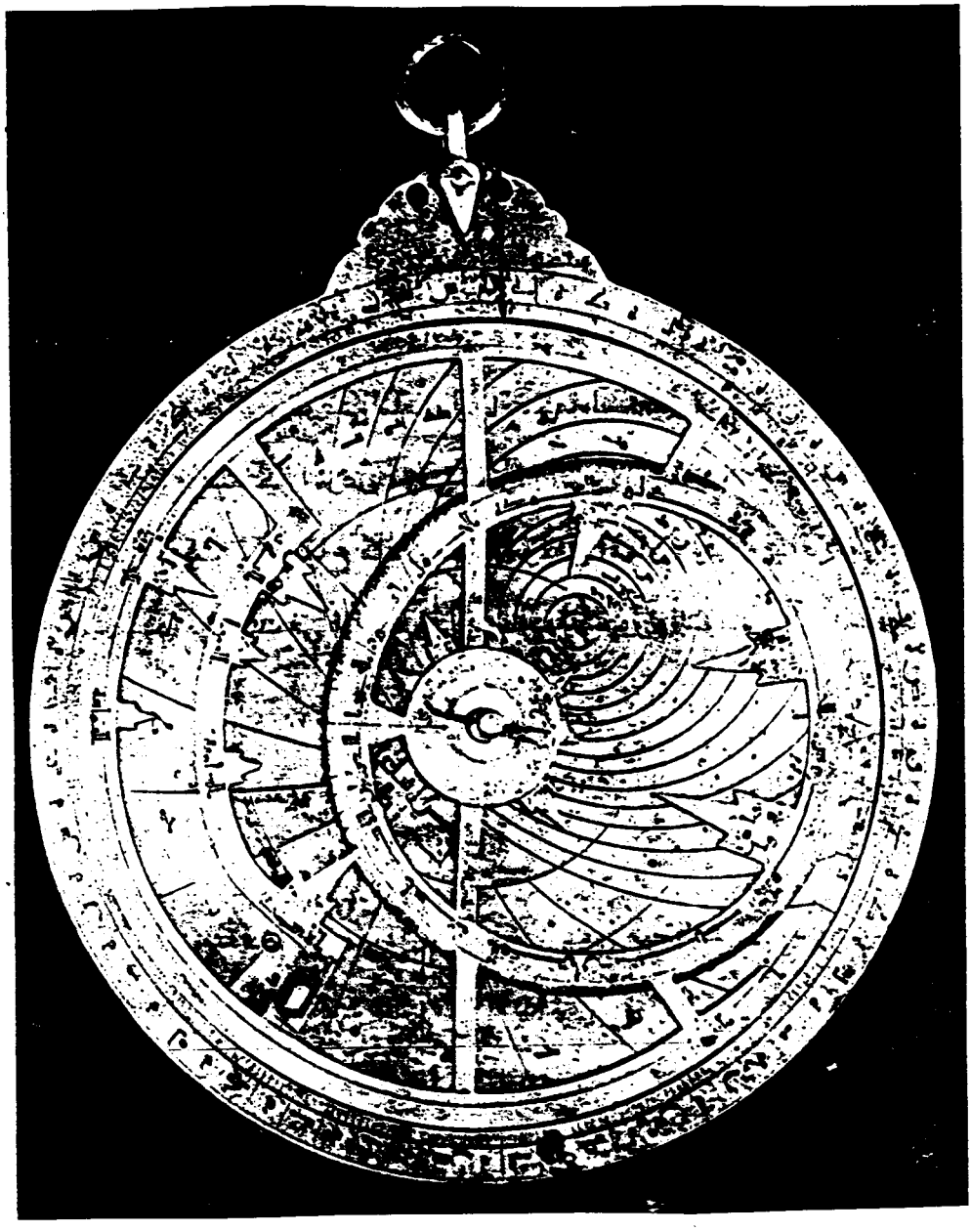

اسطرلاب من النحاس الأصفر ينسب إلى العراق، منقوش عليه اسم صانعه "بسطوس"، وسنة الصنع ٣١٥هـ/٩٢٨م محفوظ فى دار الآثار الإسلامية – متحف الكويت الوطنى تحت رقم LNS 36 M

منه أخذ كل الإسلاميين»[١]. ويعد الإسطرلاب المسطح أقدم الأنواع وأكثرها شيوعا، وقد اكتسب اسمه من رسم القبة السماوية الكروية على سطحه المنبسط، حيث مثل العالم كله على صفيحة واحدة[٢].

وفى زمن الخليفة المنصور أو بعده صنف العالم الفلكى المعروف باسم " ما شاء الله" كتابين، أحدهما"صنعة الإسطرلاب" والآخر "العمل بالإسطرلاب". وقد عرفنا من قبل أن هذا العالم امتد عمره إلى زمن الخليفة المأمون[٣]، «ويظهر من مادة كتابه عن الإسطرلاب أنه وضع متأخرا عن زمن المنصور؛ وذلك لأن عدد النجوم الثوابت فيه تبلغ تسعا وأربعين نجمة، وهذا أكثر بكثير مما يوضع عادة على الإسطرلاب، ومعنى هذا أن الإسطرلاب تطور تطورا كبيرا من بعد زمن الخليفة المنصور، وفى عهد المأمون»[٤].

ويذكر ابن النديم أن الخليفة المأمون عهد إلى خالد بن خلف المروروذى - المذكور من قبل - أن يصنع له " الإسطرلاب"[٥]. وكان لخالد المروروذى تلميذ حذق صناعة هذه الآلة، وهو على بن عيسى الإسطرلابى البغدادى، وهذا الأخير هو نفسه الذى كلفه المأمون مع فريق من علماء بغداد القيام بمهمة قياس محيط الأرض. وقد تكلمنا عن هذه المحاولة من قبل[٦]. وصنف من المؤلفات كتاب " العمل بالإصطرلاب"[٧].

وقد ترك على بن عيسى ثلاثة تلاميذ أورثهم العلم والعمل بالإصطرلاب وهم: خفيف وأحمد بن خلف، ومحمد بن خلف. وهؤلاء الثلاثة بدورهم تتلمذ على أيديهم آخرون، ونجد سلسلة من الأسماء ممن تتلمذوا بالفعل على أيديهم وأيدى تلامذتهم يزيد عددهم عن العشرين فى قائمة ذكرها ابن النديم[٨]. وهؤلاء جميعا كانوا بمثابة صناع مهرة أكثر من أن يكونوا من

---

١) الفهرست ص٣٨١، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٥١.

٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: المرجع السابق ص٧٥.

٣) الفهرست ص٣٨٢، القفطى: إخبار العلماء. .. ص٢١٤ - ٢١٥.

٤) د. إبراهيم شوكة: الاصطرلاب... (البحث المنشور بمجلة المجمع العلمى العراقى- مجلد (١٩)، ص٨-٩، ص٢٧).

٥) الفهرست ص٣٩٦.

٦) راجع عن ذلك (ص ٣٤٢).

٧) هذا الكتاب نشر فى مجلة المشرق (١٩١٣ هـ / العدد (١١٦) - ص٢٩ - ٤٦ بعناية الأب شيخو مع مقدمة جيدة (راجع بحث الدكتور إبراهيم شوكة [المذكور من قبل] ص١١، ص٣٠).

٨) الفهرست ص٣٩٦. ومن جانبنا يمكن أن نجمع قائمة أخرى بأسماء العلماء البغداديين الذين صنفوا فى صناعة الإصطرلاب وفى كيفية العمل به (راجع الفهرست لابن النديم - الصفحات من ٣٨٢ - إلى ٣٨٧، ص٣٩٥. والقفطى: إخبار العلماء ص٤٤، ١١٧، ١٦٢، ١٨٧ — ١٨٨).

العلماء الرياضيين الذين يعتمدون على الاصطرلاب فى تجارتهم.

ولا يذكر هذا الباب إلا ولابد أن يذكر معه أحد العلماء البغداديين المهرة بعلم الفلك وصناعة آلاته الرصدية، وخاصة الإصطرلاب، وهو أبو حامد أحمد بن محمد الصاغانى البغدادى (المتوفى ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م) المعروف بالإصطرلابى، قال عنه القفطى: «كان فاضلا فى الهندسة وعلم الهيئة، يسلم إليه فى وقته، وكان ببغداد يحكم صناعة الاصطرلاب والآلات الرصدية غاية الإحكام، وآلاته مذكورة بأيدى أرباب هذا الشأن، معروفة فى ذلك الزمان وفى هذا الأوان، ونبغ له تلاميذ ينسبون إليه، وله زيادة فى الآلات القديمة فاز بها دون غيره من أهل هذا النوع»[١]. وقد كان أبو حامد الصاغانى أحد أعضاء الفريق الذى ترأسه أبو سهل الكوهى فى المرصد الشرقى ببغداد، وهو المرصد الذى بناه شرف الدولة بن عضد الدولة البويهى على ما ذكرناه آنفا[٢]. وفى أوائل القرن السادس الهجرى برز عالم بغدادى وصفه القفطى بقوله «كان وحيد زمانه فى عمل الآلات الفلكية»[٣]، وقال عنه ياقوت الحموى: «كان متقنا علم الآلات الفلكية، ولاسيما الإسطرلاب، فنسب إليه، وحصل له مال جزيل من عمله، و لم يخلفه فى صناعته مثله»[٤].

والمقصود أن علماء الفلك فى بغداد كانوا مبدعين فى صناعة آلات الرصد وتطويرها واستخدامها، وأخذ بعضهم لقبه من خلال عمله فيها أو فى بعضها.

ثالثا: الأزياج (الجداول الفلكية):

وكان أهم ما قدمته المدرسة البغدادية من إنجازات فى علم الفلك خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة هو وضع الكتب المسماه " بالأزياج " أو " زيجات " أو " زيجة"[٥]، وهى عبارة عن جداول فلكية حسابية مبنية على قوانين عددية توضح حركة كل كوكب، ويفهم

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٥٦.

٢) راجع (ص ٣٤٢) من هذا الفصل.

٣) القفطى: المصدر السابق ص٢٢٢.

٤) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٩ ص٢٧٣.

٥) لفظ (زيج) أصله من اللغة البهلوية التى كان الفرس يستخدمونها فى زمن الملوك الساسانيين (٢٣٦ - ٦٥٢م)، ويكتب (زيك) ومعناه: السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج، ثم أطلقت الفرس هذا الاسم على الجداول العددية لمشابهة خطوطها الرأسية بخطوط السدى (راجع: نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص٤٢، كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى (ج ١ ص٧٥).

منها مواقع الكواكب فى أفلاكها، ومنها يعرف تواريخ الشهور والأيام والتقاويم المختلفة[١].

وقد كان حظ علماء الفلك البغداديين من تأليف " الأزياج " وفيرا، بحيث يمكن القول: ما من عالم فلكى عاش فى بغداد منذ نشأتها إلى منتصف القرن الخامس الهجرى تقريبا إلا وله " زيج " أو أكثر. وقد يشترك عدد من العلماء فى وضع " زيج " واحد. وما من شك فى أن هذه الكثرة فى "الأزياج" من أكبر الأدلة على سيادة لغة الأرقام والملاحظات العلمية التى استخلصها هؤلاء العلماء من عمليات الرصد.

ولا يتسع المقام لعرض مؤلفات البغداديين فى هذا الفن، ولكن نكتفى بذكر ثلاثة منهم:

الأول: حبش بن عبدالله المروزى الحاسب:

ويسمى أيضا: أحمد بن عبدالله البغدادى. كان فى زمن المأمون والمعتصم، ومن أصحاب الأرصاد فى بغداد، وله تقدم وشهرة فى حساب سير الكواكب، وصنف ثلاثة أزياج[٢]:

١- " الزيج " المؤلف على مذهب " السند هند ". خالف فيه الفزارى والخوارزمى فى عامة الأعمال[٣]. وكان تأليفه له فى أول أمره حينما كان يأخذ بحساب السند هند.

٢ - " الزيج " المعروف بالممتحن، وهو أشهر مؤلفاته، ضمنه حركات الكواكب على مايوجبه الرصد فى زمانه. ويسمى هذا الزيج أيضا بالمأمونى، نسبة إلى المأمون.

٣ - الزيج الصغير المعروف " بالشاه ". وقد سبق ذكره عند حديثنا عن الزيج الفارسى المترجم المعروف بالشهريار[٤].

الثانى: أبو معشر: جعفر بن محمد بن عمر البلخى (الأصل) البغدادى (الدار):

(المتوفى ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م). وهو - كما يقول القفطى - عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم، وأعلم الناس بسيرة الفرس وأخبار سائر الأمم[٥]. وقد صنف:

١ - الزيج الكبير. وهو المعروف " بالهزارات ": - أى " زيج الألوف " - ويقع فى نيف وستين بابا ووصفه بأنه «جامع أكثر العلم بالفلك بالقول المطلق المجرد من البرهان»[٦].

---

١) راجع مقدمة ابن خلدون ص٤٤٨ - ٤٨٩، شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريدهونكه.
٢) الفهرست ص٣٨٤، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١٧.
٣) راجع ما كتبناه عن السند هند (ص ٣٣٤ — ص٣٣٥).
٤) راجع عن زيج الشهريار (ص ٣٣٧).
٥) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٠٦.
٦) القفطى: المصدر السابق ص١٠٧.

٢ - الزيج الصغير، المعروف " بزيج القرانات و الاحترافات ". ويتضمن معرفة أوساط الكواكب لأوقات اقتران زحل و المشترى منذ عهد الطوفان[١].

الثالث: البتانى: أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان الحرانى المعروف بالبتانى، المولود فى " بتان " (من نواحى حران على نهر البلخ أحد روافد نهر الفرات) - سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م، و المتوفى بدمشق سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩ م. نزل بغداد بعد العام الثلاثمائة للهجرة. ويعد من أعظم علماء الفلك والرياضيات، ليس فى عصره فحسب، وإنما يعد - كما يقول سارتون فى كتابه (المدخل إلى تاريخ العلم) - «أنبغ علماء العرب فى الفلك والرياضيات، ولو أخذت الظروف بعين الاعتبار لاعتبر البتانى أعظم عالم فلكى فى العالم لما قدم من خدمة للبشرية»[٢].. وعده (لالاند) من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله[٣]. ويعترف له علماء الفلك فى العصر الحديث بأنه أول من وضع جداول فلكية بطريقة رياضية على مستوى كبير من الأهمية والاتقان والدقة[٤].

وللبتانى " زيج " من نسختين، أولى وثانية. والأول هو الأجود[٥]. وهذا الزيج مقسم إلى سبعة وخمسين بابا، «ويحتوى على معلومات صحيحة ودقيقة وأرصاد كان لها أثر كبير فى علم الفلك خلال العصور الوسطى عند العرب وأوائل عصر النهضة فى أوربا»[٦]. وقد ظل البتانى اثنين وأربعين عاما يقوم بأرصاد فلكية اشتهرت بدقتها واتساع مداها[٧]، «ووصل بهذه الأرصاد إلى الكثير من المعادلات الفلكية تمتاز بقربها العجيب من تقديرات هذه الأيام»[٨].

***

تعقيب: هذه بعض الجوانب التى تبرز الدور الكبير الذى قامت به المدرسة البغدادية

---

١) الفهرست ص٣٨٦، القفطى: المصدر السابق ص١٠٦ - ١٠٧.

٢) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص٤٨.

٣) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة - ص٩٩ (ط دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).

٤) على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم الفلك ص٤٥.

٥) الفهرست ص٣٨٩، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٥.

٦) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ص٩٩.

٧) يقول القفطى فى (إخبار العلماء ص١٨٥): " ابتدأ البتانى الرصد سنة ٢٦٤ هـ، إلى سنة ٣٠٦ هـ، وأثبت الكواكب الثابتة فى زيجه لسنة ٢٩٩ هـ وراجع تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى (مخطوط) - ص١١.

٨) ول. ديورانت: قصة الحضارة - كتاب رقم ١٤ - ص١٨٥.

لتطوير علم الفلك. وبالجملة فإن لأعلام هذه المدرسة فضلا كبيرا على هذا العلم:

أولا: لأنهم نقلوا الكتب الفلكية عن الهنود والفرس واليونان. وهذا عمل جليل، لاسيما إذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت و لم يبق منها غير ترجماتها العربية.

ثانيا: تصحيح الآراء والنظريات الفلكية التى ورثوها عن اليونان، وذلك من خلال الأرصاد البديلة وما توصلوا إليه من نتائج عن أحوال النجوم والكواكب، وما أمدهم به الجداول الفلكية الكثيرة والمتنوعة.

ثالثا: إضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بعلم الفلك شوطا بعيدا. وما كان لهم أن يصلوا إلى هذه الاكتشافات إلا بفضل المراصد والآلات الفلكية التى لعبت دورا مهما جدا فى تطور هذا العلم، وأثمرت إنجازات فلكية رائعة كانت أحد أهم مفاخر الحضارة الإسلامية فى بغداد.

***

المبحث الثانى
الرياضيات

مرت الرياضيات بالمرحلتين التاريخيتين اللتين سارت فيهما بقية الإنجازات العلمية للحضارة الإسلامية فى مجال العلوم التجريبية؛ أعنى مرحلة الترجمة والنقل، ثم مرحلة الإسهام والإبداع. فقد كان من الطبيعى ألا تغفل الحضارة الإسلامية - وهى فى دور النشأة - تراث الشعوب القديمة فى الرياضيات، فعمد علماؤها - فى مركز الخلافة بغداد - إلى نقلها وترجمتها، ثم خطوا بها بعد ذلك خطوات واسعة نحو الأمام، وأضافوا إليها إضافات هامة واكتشافات جديدة، صارت مثار إعجاب ودهشة علماء الغرب فى العصر الحديث. «ويمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) القرنين الذهبيين للرياضيين المسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير، لحفظهم التراث القديم، ولابتكاراتهم الجليلة»[1].

ترجمة كتب الرياضيات فى بغداد:

وقبل البدء فى الحديث عن إنجازات المدرسة البغدادية وما قدمته من إسهامات وإبداعات فى الفروع المختلفة لعلم الرياضيات نود أن نشير إلى أهم الكتب التى استفاد منها علماء هذه

---

١) على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٠١.

المدرسة فى هذا المجال، وأكثرها فى علم الهندسة، وجلها لعلماء اليونان. فمنها:

(١) كتاب أوقليدس[١] فى علم الهندسة. واسمه باليونانية " الاسطروشيا " (Stroicheia)، وترجمته بالعربية «الأصول الهندسية»، أو «الأركان الهندسية» [٢]. وهذا الكتاب أهم الكتب المترجمة عن اليونان فى علم الرياضيات، وصفه القفطى بقوله: «كتاب جليل القدر، عظيم النفع، أصل فى هذا النوع، لم يكن لليونان قبله كتاب جامع فى هذا الشأن، ولاجاء بعده إلا من دار حوله وقال قوله. وقد عنى به جماعة من رياضى يونان والروم والإسلام، فمن بين شارح له، ومشكل عليه، ومخرج لفوائده. وما فى القوم إلا من سلم إلى فضله، وشهد بغزير نبله» [٣].

ويحتوى كتاب أوقليدس على قرابة (٤٦٥) نظرية تقع فى خمس عشرة مقالة[٤]. وقد نقل إلى اللغة العربية عدة مرات. وكان أشهر المترجمين له:

أ - الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفى نـــزيل بغداد (المتوفى فى حدود عام ٢٢٠ هـــ / ٨٣٥م). ترجمه مرتين: الأولى فى عصر هارون الرشيد، وتسمى " الهارونى "، والثانية فى عصر المأمون، وتسمى " المأمونى ". والترجمة الثانية هى التى كانت معتمدة كما يقول ابن النديم[٥].

ب - شيخ المترجمين فى بغداد: حنين بن اسحق العبادى (المتوفى٢٦٠هـــ/٨٧٣م) والنسخة التى ترجمها هذا العالم قام بمراجعتها تلميذه ثابت بن قرة الحرانى (المتوفى٢٨٨هـــ/ ٩٠٠م) وهو أحد كبار المترجمين فى بيت الحكمة ببغداد[٦].

---

١) أوقليدس. وتكتب أيضا: أقليدس - ويطلق عليه "أقليدس الصورى" و "أقليدس المهندس النجار". كان أعلم أهل زمانه بالهندسة كما يقول ابن جلجل (طبقات الأطباء والحكماء ص٣٩). ويقول عنه القفطى: " هو حكيم قديم العهد، يونانى الجنس، شامى الدار، صورى البلد، نجار الصنعة، له يد طولى فى علم الهندسة " (إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٤٦). وكانت وفاته سنة ٣٠٠ ق. م (وراجع ترجمته أيضا فى الفهرست لابن النديم ص٣٧١، تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص٦٣).

٢) الفهرست ص٣٧١، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٤٥ - ٤٦.

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٤٦.

٤) راجع عن محتويات هذا الكتاب: القفطى: المصدر السابق ص٤٦ - ٤٧، على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٣٥، ص١٣٧.

٥) الفهرست ص٣٧١، القفطى: إخبار العلماء ص٤٧.

٦) الفهرست ص٣٧١، القفطى: المصدر السابق ص٤٧، وراجع ما ذكرناه عن حنين بن اسحق فى مبحث الترجمة (ص ٣٠٠)، ومبحث علم الفلك (ص ٣٣٨).

الصفحة الأولى من مخطوط أصول الهندسة المعروف بالمجسطى لـ (أوقليدس) — معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ١٧/حساب).

وهى النسخة المترجمة فى زمن الخليفة المأمون المعروفة بالنقل المأمونى.

ترجمها الحجاج بن يوسف بن مطر الوراق (كان حياً سنة ٢٢٠هـ).

(٢) كتاب "المخروطات" فى علم أحوال الخطوط المنحنية ليست بمستقيمة ولا مقوسة، من تأليف " أبلونيوس"[١](Appollonius) . ويتكون من ثمانى مقالات. وتعد المقالة الثامنة خلاصة ما فى المقالات السبع وزيادة. وقد ترجم هذا الكتاب فى عهد المأمون العباسى. ترجمت المقالات الأربعة الأولى بقلم هلال بن هلال الحمصى، ترجمها فى بغداد تحت إشراف أحمد بن محمد بن شاكر (وهو أحد الإخوة الثلاثة أولاد موسى بن شاكر المنجم المذكور من قبل)[٢]. وأما الثلاث مقالات الأواخر فقد ترجمها ثابت بن قرة الحرانى البغدادى[٣]وهو أحد المعنيين بكتاب أوقليدس المقدم ذكره.

(٣) كتاب أصول الهندسة فى ثلاث مقالات من تأليف " منالاؤس"[٤]ترجمه إلى العربية ثابت بن قرة الحرانى البغدادى. وصنف منالاؤس كتاب " المثلثات " نقل أيضا إلى اللغة العربية[٥].

هذه بعض المؤلفات التى ترجمها علماء بغداد فى مجال الرياضيات. وهناك كتب أخرى عديدة ترجمت إلى العربية فى هذا الميدان ولا يعرف مترجموها على وجه التحديد، مثل كتاب "صناعة الجبر" المعروف باسم (الحدود) من تأليف إبرخس اليونانى (١٤٠ق.م)[٦]، وكتاب "الجب " لديو فنطس (كان حيا سنة ٢٥٠م)[٧]، وكتاب "شيل الأثقال" من تأليف "إيرن" الرومى المصرى[٨]، وجميع كتب أرشميدس (= أرخميدس)[٩]، وأهمها: كتاب الكرة

---

١) أبلونيوس: عالم رياضى يونانى، عاش فى الإسكندرية بين ٢٦٠ - ٢٠٠ ق.م، وهو أقدم من أوقليدس بزمان طويل (له ترجمة فى الفهرست ص٣٧٣، إخبار العلماء للقفطى ص٤٤، تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص٦٣- وراجع العلوم البحتة للدكتور على عبدالله الدفاع ص٥٧-٥٨).

٢) راجع عن أولاد بنى موسى بن شاكر (ص ٣٤٢، ص٤٣٨، ٤٤٣).

٣) الفهرست ص٣٧٣، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص٤٥.

٤) منالاؤس: عالم بالهندسة والفلك، يونانى، عاش بالإسكندرية، وقيل بمنف. وكان قبل بطليموس القلوذى صاحب كتاب المجسطى المتوفى ١٤م (راجع القفطى: إخبار العلماء ص٢١١. وراجع ما كتبناه عن بطليموس (ص ٣٣٧).

٥) الفهرست ص٣٧٤.

٦) الفهرست ص٣٧٦، إخبار العلماء ص١٨٩.

٧) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٩.

٨) الفهرست ص٣٧٦، إخبار العلماء ص٥٣.

٩) أرشميدس: عالم يونانى، ولد فى جزيرة سرقوسة بجزيرة صقلية، ودرس فى الإسكندرية ورجع إلى مسقط رأسه. عاش بين (٢٨٧ - ٢١٢ ق.م) وكان من أشهر علماء الإسكندرية بعد إقليدس (راجع الفهرست ص٣٧٢، إخبار العلماء ص٤٨ - ٤٩، العلوم البحتة الحضارة العربية الإسلامية للدكتور على عبدالله الدفاع ص٥٧).

والإسطوانة - كتاب تربيع الدائرة - كتاب تسبيع الدائرة - كتاب مساحة الدائرة - كتاب الدوائر المماسة - كتاب المثلثات - كتاب الخطوط المتوازية... وغيرها[١].

وقد تعرف المسلمون على تراث الأوائل فى مجال الرياضيات من خلال المترجمة فى علمى الفلك والجغرافيا - مثل كتاب المجسطى لبطليموس[٢]. وهذه الكتب تضم مجموعة من المسائل الرياضية - لاسيما فى علم حساب المثلثات الكروية - استعان بها علماء الفلك فى تجاربهم.

جهود علماء (بغداد / المشرق) فى تطوير علم الرياضيات وتقدمه:

أبدى علماء بغداد اهتماما بالغا بالرياضيات بفروعها المختلفة، وركزوا فى دراساتهم على اتجاهين اثنين؛ الأول: هـــو استيعاب ما ورثوه من نظريات من الكتب المترجمة،

ثم القيام بالعديد من الابتكارات الجديدة التى لم يسبقهم أحد إليها. وقد أكدنا على ذلك من قبل. والاتجاه الثانى: الناحية التطبيقية فى كثير من المجالات التى تستدعى معرفة رياضية، كالفلك والهندسة الميكانيكية (علم الحيل) والهندسة المعمارية والضوء وحساب المواريث وغيرها.

وفيما يلى نتحدث عن بعض إنجازات علماء العرب والمسلمين فى فروع الرياضيات: الهندسة والجبر وعلم حساب المثلثات وعلم العدد، وذلك خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، وفى إطار المدرسة البغدادية / المشرقية.

أولا: علم الهندسة[٣]:

• شروح علماء بغداد لكتاب أوقليدس فى الهندسة:

كانت الخطوة الأولى التى أخذها العلماء فى بغداد هى ترجمة كتاب "أوقليدس" فى علم الهندسة المسمى "بالأصول الهندسية"؛ إذ «هو مبدأ العلوم الهندسية بإطلاق» كما يقول

---

١) الفهرست لابن النديم ص٣٧٢، إخبار العلماء للقفطى ص٤٩، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص٢٩.

٢) راجع معلومات مفصلة عن كتاب المجسطى (ص ٣٣٧ - ٣٣٩).

٣) تعرف الهندسة تعريفا مختصرا بأنها: "العلم الذى يؤدى إلى دراسة الأشكال من حيث الحجم والمساحة " (على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٣٦). وتسمى باليونانية (جومطريا)[أى: المساحة]. وبالفارسية (أندازة) أى المقادير (راجع مفاتيح العلوم، للخوارزمى ص١١٧. وراجع مقدمة ابن خلدون ج ٣ ص١١٣١ (ط على عبد الواحد وافى).

ابن خلدون[١]، وهو البوابة العظمى التى دخل منها العقل الإسلامى إلى عالم الهندسة[٢].

وقد أعطى علماء العرب والمسلمين - فى إطار المدرسة المذكورة - هذا الكتاب اهتماما واسعا، فكتبوا عليه شروحا كثيرة، واختصروه مرات عديدة، وصنفوا كتبا على نسقه، وأدخلوا فيها قضايا وبحوثا جديدة لم يتناولها أوقليدس أو غيره من القدماء. ويمكن القول: «لم يعد ثمة فيلسوف أو رياضى يمضى دون أن يضيف رسالة أو أكثر حول ناحية أو أخرى من هندسة أوقليدس، فكثرت شروح (أصول الهندسة) والتعليقات عليه ومناقشاته، وأيضا مختصراته»[٣].

ومن الشروح الكاملة لهذا الكتاب: (شرح) للفضل بن حاتم النيريزى المقدم ذكره فى علم الفلك[٤]، وهو من العلماء بالفلك والهندسة، وكان مقربا إلى الخليفة العباسى المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ ٨٩٢ - ٩٠١م)[٥]. وشرحه أيضا بكامله أحد علماء الأرصاد بمرصد الشماسية الذى أنشأه المأمون ببغداد، وهو العباس بن سعيد الجوهرى البغدادى. وهذا العالم له إضافات فى الأشكال التى فى المقالة الأولى من كتاب أوقليدس[٦]. وممن شرحه ولم يتمه: أبو الوفا محمد بن محمد البوزجانى الفلكى الحاسب نزيل بغداد سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م، والمتوفى بها سنة ٣٨٨ هـ / ٩٨٨م[٧]. وقد مر ذكره فى علم الفلك[٨]. ومن أشهر مختصرات كتاب أوقليدس ما فعله الفيلسوف الرئيسى ابن سينا فى كتابه (الشفا) حيث أفرد له جزءا اختصه به[٩].

وكشأن كتاب " الأصول " لأوقليدس قل أن يمر عالم رياضى ينتمى إلى المدرسة (البغدادية/المشرقية) بغير أن يصنف رسالة حول كتاب (المخروطات) الذى صنفه

---

١) مقدمة ابن خلدون ج ٣ ص١١٣١.
٢) د. يمنى طريف الخولى: ترجمة وتقديم ودراسة لكتاب (فى الرياضيات وفلسفتها عند العرب) للدكتور رشدى راشد ص٤٨ (دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٤م).
٣) د. يمنى طريف الخولى: المرجع السابق ص٤٩.
٤) راجع الفصل الخاص بعلم الفلك (ص ٣٤٢).
٥) الفهرست ص٣٧١، إخبار العلماء للقفطى ص٤٧، ص١٦٨.
٦) الفهرست ص٣٧٩، إخبار العلماء ص٤٧، ص١٤٨.
٧) الفهرست ص٣٧١.
٨) راجع عنه (ص ٣٣٩ - ٣٤٠).
٩) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص٥٦.

أبولونيوس، والذى يعد الإضافة الحقة لهندسة أوقليدس المستوية[١]. ومن الكتب التى صنفها علماء بغداد فى فن المخروطات: "كتاب فى قطع المخروط"، "وكتاب فى رسم القطوع"، وكلاهما لإبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٣٣٥هـ/٩٤٦م)[٢].

ونركز الآن على بعض **الشخصيات البارزة التى كان لها إسهامات كبيرة فى تقدم علم الهندسة** - وفروع الرياضيات عامة - عند المسلمين، وجميعهم ينتمون إلى المدرسة البغدادية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة، ونبدأ بالكندى العالم الموسوعى:

الكندى الفيلسوف البغدادى (المتوفى ٢٥٢ هـ / ٨٦٧م):

كان أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندى (١٨٥ - ٢٥٢ هـ / ٨٠١ - ٨٦٧م) عالما بالرياضيات، إلى جانب توسعه فى علوم الفلسفة والفلك والطب والموسيقى وغيرها، وله عدد كبير من الكتب فى كل هذه الفنون العلمية[٣]. «وكان يتفق مع أفلاطون- الفيلسوف اليونانى - فيما يراه من أنه ليس فى وسع الإنسان أن يصبح فيلسوفا من غير أن يكون قبل ذلك عالما هندسيا» [٤]، ولذلك وجدناه يؤلف رسالة فريدة بعنوان" لاتنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات"[٥].

وقد أعطى جزءا كبيرا من مؤلفاته فى الرياضيات لعلم الهندسة، وذكر المؤرخون ثلاثة وعشرين كتابا أفردها لهذا العلم. وكانت له عناية بكتاب أوقليدس "أصول الهندسة" وربما كان أول من يهتم به بعد نقله إلى العربية، فصنف كتابى "أغراض كتاب أوقليدس" و"إصلاح كتاب أوقليدس" ومن كتبه التى ربط فيها بين الرياضيات والعلوم الأخرى: كتاب "فى شروق الكواكب وغروبها بالهندسة "، وكتاب " فى البراهين المساحية لما يعرض من الحسابات الفلكية" وكتاب " صنعة الإصطرلاب بالهندسة"[٦].

---

١) د. يمنى طريف الخولى: ترجمة وتقديم ودراسة لكتاب (فى الرياضيات وفلسفتها عند العرب) للدكتور رشدى راشد - ص٥٠.

٢) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٤٣ - ٤٤.

٣) راجع ما كتبناه عن الكندى فى الفصل الخاص بعلم الفلسفة (ص٣١٣).

٤) على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص٧٤ - ٧٥.

٥) الفهرست ص٣٥٨، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص٢٨٩.

٦) راجع الفهرست ص٣٥٩ - ٣٦٢، ص٣٧٢، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٥٣، ص٣٧٥، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٨٩ - ٢٩٣.

ثابت بن قرة الحرانى البغدادى وأولاده:

ومن أبرز علماء بغداد الذين أسهموا فى تقدم علم الهندسة عند العرب والمسلمين: أبو الحسن ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (٢٢١ - ٢٨٨ هـ / ٨٢٦ - ٩٠١م). أصله من حران، واستوطن بغداد إلى حين وفاته، ونال حظوة عند الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠١م). وكانت له شهرة فى علوم متعددة، كالفلك والطب والرياضيات والفلسفة. وترجم كتبا عديدة للأقدمين فى كل هذه العلوم لمقدرته على إجادة العديد من اللغات، كالسريانية واليونانية والعبرية.

وقد أثنى مؤرخو العلوم بريادة ثابت بن قرة فى علم الهندسة، وأنه أعظم علماء المسلمين فى هذا الفرع، وذكروا له عددا من النظريات، بعضها من إبداعه، وبعضها تطوير وتجديد لآراء قديمة، مثل تطوير لنظرية فيثاغورث (٥٨٤ - ٤٩٥ ق.م) التى تقول " إن مربع الوتر فى المثلث قائم الزاوية يساوى مجموع مربعى الضلعين القائمين "، إلى غير ذلك من المسائل[١].

ومن بين كتبه التى ألفها فى الهندسة وبعض فروع الرياضيات الأخرى: كتاب المدخل إلى أوقليدس - رسالتان فى أعمال أرخميدس (=أرشميدس) بالهندسة - تعليق على كتاب الكرة والإسطوانة لأرخميدس - كتاب المختصر فى الهندسة - وكتاب فى مساحة الأشكال - كتاب فى قطوع الإسطوانة - كتاب فى المخروط المكافئ (فى التفاضل والتكامل) - رسالة فى المربع وقطره - رسالة فى عمل شكل مجسم ذى أربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلقة... وغير ذلك من المؤلفات التى تشهد بعبقريته.

وقد نهج **سنان بن ثابت بن قرة (المتوفى ببغداد ٣٣٢ هـ / ٩٤٣م)** طريقة أبيه فى تمكنه من فروع الرياضيات والفلك، إلى جانب شهرته فى الطب وتنصيبه رئيسا للأطباء ببغداد فى عهد المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م). وله من المؤلفات: "إصلاح كتاب أوقليدس فى الأصول الهندسية " وزاد فيه شيئا كثيرا. وهذب جزءا من كتاب أرشميدس فى المثلثات .

---

١) ول. ديورانت: قصة الحضارة المجلد الرابع - ج ٢ ص١٨١، د. على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية ص١٧٧ (نقلا عن كارل فنك من كتابه: المختصر فى تازيخ الرياضيات) و (ص١٧٩ وما بعدها). وراجع: تراث الإسلام ج ٢ ص٣١٣ - ٣٣٤ (بحث جوان فيرنيه Juan Vernet).

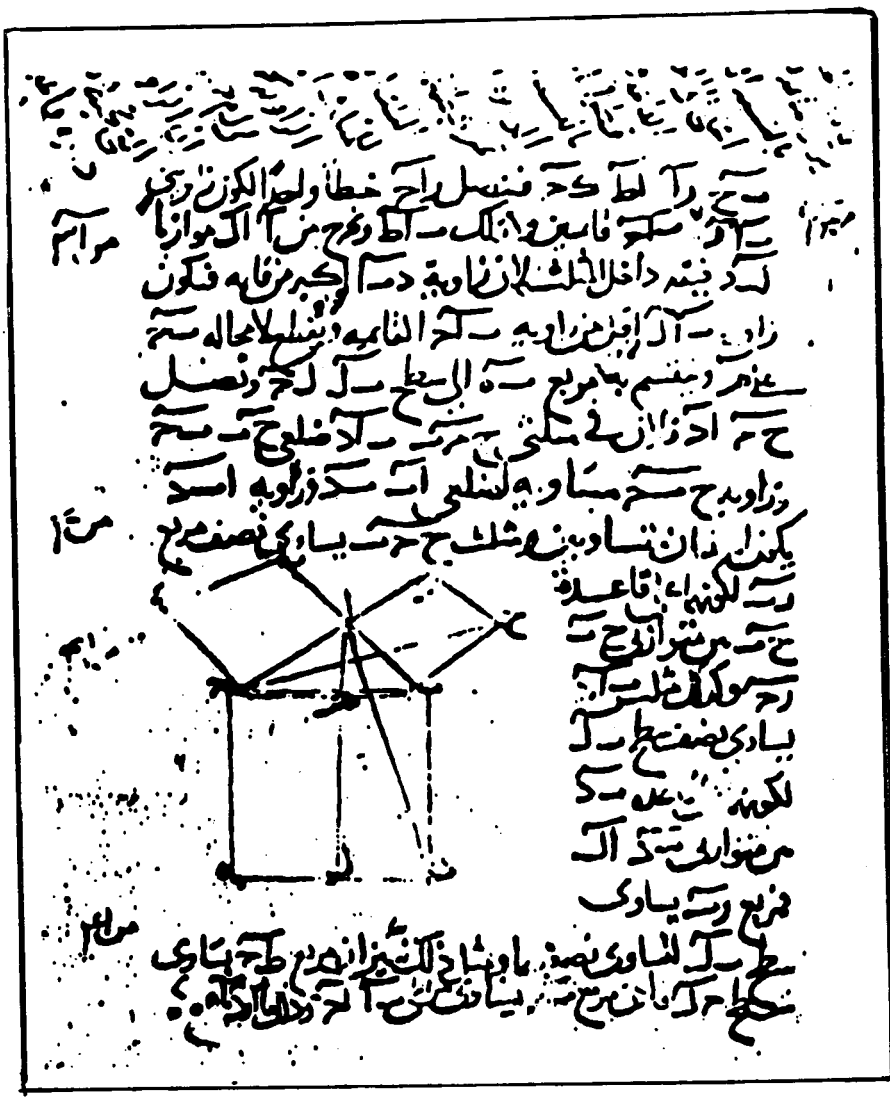

برهان نظرية فيثاغورث بعد التعديلات التى أدخلها ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م)، من مخطوطة له نسخت سنة ١٣٥٠م

وسار على النهج نفسه الحفيد: **أبو إسحق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة الحرانى البغدادى** (المتوفى ٣٣٥ هـ / ٩٤٦م). وصفه القفطى بقوله: «كان ذكيا عاقلا فهما عالما بأنواع الحكمة، والغالب عليه فن الهندسة، وهو مقدم فى ذلك، ولم ير أذكى منه، وله مصنفات حسان فى هذا الشأن». ثم ذكر له عدة كتب، منها كتاب فى الهندسة يتكون من ثلاثة عشر مقالة، منها أحد عشرة فى الدوائر المتماسة، ومقالة تضم إحدى وأربعين مسألة هندسية من صعاب المسائل فى الدوائر والخطوط والمثلثات،... إلى غير ذلك من مؤلفاته المهمة التى دون فيها ابتكاراته وملاحظاته .

• أبوسهل الكوهى البغدادى (المتوفى ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م):

وقد كان العالم البغدادى: أبو سهل ويجن بن رستم الكوهى - نسبة إلى الكوه بجبال طبرستان - (المتوفى ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م) كان - إلى جانب شهرته بعلم الفلك وصناعة الآلات الرصدية - متقدما فى علم الهندسة وله فيها عدة مؤلفات تناولت موضوعات جديدة، وأهمها كتاب فى الهندسة على نسق كتاب أوقليدس، بعنوان " الأصول على تحريكات أوقليدس"، ولم يتمه. وصنف أيضا كتاب "مراكز الأكر"، وكتاب " البركار التام " (الآلة المعروفة بالبرجال)، وكتاب " مراكز الدوائر على الخطوط " وكتاب " الزيادة على كتاب أرشميدس " وغيرها[١].

وفى هذه المؤلفات اهتم أبوسهل الكوهى ببعض المسائل التى كانت مستعصية على أساتذته من علماء عصره، وبعض الشروح المغلوطة التى ورثوها عن علماء اليونان، فقام بتعديل الكثير من هذه المسائل، وركز بشكل خاص على دراسة حجوم ومساحات بعض الأجسام. ومن إبداعاته التى كان له فيها فضل السبق ما أشار إليه "البارون كاردى فو" فى كتاب (تراث الإسلام) الذى ألفه جمهرة من المستشرقين: «حل الكوهى الفلكى الرياضى - والذى كان منجما وراصدا لشرف الدولة البويهى - بكل براعة المسألة القائلة: (لإنشاء قطعة من كرة حجمها قطعة من كرة أخرى، ومساحة سطحها الجانبى يساوى مساحةالسطح الجانبى لقطعة كروية أخرى) مستعينا بمخروطين مساعدين وقطعتين مخروطتين هما القطع الزائد والقطع المنتظم، ثم ناقش الحدود بعدئذ»[٢].

---

١) إخبار العلماء للقفطى ص٢٣١ - ٢٣٢، الفهرست ص٣٩٥.

٢) العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور على عبدالله الدفاع ص٣٩٥.

ابن الهيثم البصرى نـــزيل مصر (المتوفى ٤٣٠هـــ / ١٠٣٩م):

ومن أبرز علماء العرب والمسلمين فى الهندسة: عالم البصريات أبو على الحسن بن الحسن ابن الهيثم البصرى (٣٥٤ هـــ - ٤٣٠ هـــ / ٩٦٥ - ١٠٣٩م). مولده بالبصرة، وبها نشأ وتعلم، وصنف بعض كتبه[١]. وزار بغداد عدة مرات للتعرف على علمائها، وصنف بها كتبا عبارة عن أجوبة سبع مسائل تعليمية أجاب عنها سائليه[٢]. وصنف فيها أيضا (سنة ٤١٨ هـــ / ١٠٢٧م) رسالة عبارة عن جواب له عن مسألة هندسية[٣]. وقد انتقل إلى القاهرة بترغيب من الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـــ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م) فحصل على تقدير كبير فى بلاطه[٤]. وقد نعته القفطى بقوله: «المهندس البصرى نـــزيل مصر، صاحب التصانيف والتآليف المذكورة فى علم الهندسة، كان عالما بهذا الشأن متقنا له، متفننا فيه، قيما بغوامضه ومعانيه، مشاركا فى علوم الأوائل، أخذ الناس عنه واستفادوا منه» [٥]. وأضاف ابن أبى أصيبعة قوله: «... لم يماثله أحد من أهل زمانه فى العلم الرياضى، ولا يقرب منه» [٦].

كان ابن الهيثم كثير العناية (درسا ونسخا) لكتابن مهمين من كتب اليونان؛ هما: كتاب " المجسطى " لبطليموس والثانى: كتاب "أصول الهندسة" لأوقليدس[٧]. وقد عمل للأول "مختصرا" و "شرحا" واستخرج منه كتابا خاصا بالجزء العملى[٨]. وصنف حول كتاب أوقليدس عددا من الدراسات المهمة، منها:

١ - شرح مصادرات أوقليدس. ناقش فيه المسلمات أو الأصول والبديهيات الخمس التى تنطلق منها سائر العلوم الهندسية[٩].

٢ - كتاب حل شكوك أقليدس فى الأصول وشرح معانيه[١٠].

---

١) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٥٥٧.
٢) عيون الأنباء ص٥٥٥.
٣) عيون الأنباء ص٥٥٧.
٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١٤ - ١١٥.
٥) القفطى: المصدر السابق ص١١٤.
٦) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٥٥٠.
٧) تحدثنا عن هذين الكتابين.
٨) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص٥٥٤، ٥٥٩، إخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطى ص١١٦.
٩) عيون الأنباء ص٥٥٤.
١٠) إخبار العلماء ص١١٦، عيون الأنباء ص٥٥٤.

وهذان الكتابان «من أهم المؤلفات التى أثارت العديد من المجادلات والمناقشات العلمية، وفتحت الباب لمزيد من التأليف فى هذا المجال» [١]. وقد أشار ابن الهيثم فى مقدمة الكتاب الثانى إلى أن كتاب أقليدس فى الأصول الهندسية «هو الغاية التى يشار إليها فى صحة البراهين والمقاييس، ومع ذلك لم يزل الناس قديما وحديثا يتشككون فى كثير من معانى هذا الكتاب وكثير من مقاييسه» [٢].

ومن أهم كتب ابن الهيثم كتاب جمع فيه بين هندسة أوقليدس وأبولونيوس، وطبق عليه علم المنطق، وقال عنه: «جمعت فيه الأصول الهندسية والعددية من كتاب أوقليدس وأبولونيوس، ونوعت فيه الأصول وقسمتها، وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الأمور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك، مع انتقاص توالى أوقليدس وأبولونيوس» [٣].

ولابن الهيثم مؤلفات أخرى عديدة فى فروع الرياضيات المختلفة، وقد سجل هو بنفسه عناوينها، وعددها خمسة وعشرون كتابا[٤] فضلا عما ذكره المؤرخون له من كتب فى هذا المجال. ويضيق المكان عن حصرها. وقد أورد له ابن أبى أصيبعة قائمة أخرى طويلة بأسماء الكتب التى صنفها فى فروع الفلسفة والفلك والطب، ويزيد عددها عن أربعة وأربعين كتابا، إضافة إلى مؤلفاته التى لامثيل لها فى علم البصريات[٥]. وهذا العلم الأخير هو الذى أعطى ابن الهيثم شهرته التى جعلته من علماء البصريات القليلين فى العالم كله. وستكون لنا عودة إليه عند حديثنا عن هذا العلم[٦].

اهتمام علماء (بغداد / المشرق) بالهندسة التطبيقية:

وبعد أن عرضنا لبعض الشخصيات العلمية البارزة التى كان لها إسهامات كبيرة فى علم الهندسة لابد من الإشارة إلى أن هؤلاء العلماء قسموا الهندسة إلى قسمين[٧]:

الأول: هندسة عقلية، وتسمى الهندسة النظرية.

والثانى: الهندسة الحسية، وهى التى ترى بالعين وتدرك باللمس، أى: الهندسة التطبيقية.

---

١) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ص٥٨.
٢) د. أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق ص٥٩.
٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٥٥٤.
٤) عيون الأنباء ص٥٥٤ - ٥٥٥.
٥) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٥٥٤ - ٥٦٠، إخبار العلماء ص١١٥ - ١١٦.
٦) راجع عن دور ابن الهيثم فى علم البصريات (ص ٤٥٤ - ٤٥٦).
٧) على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٣٩.

وهى معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعانى إذا أضيف بعضها إلى بعض، ويؤدى النظر فيها إلى الحذق فى الصناعة العملية كلها، «لاسيما المساحة التى يحتاج إليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والعقارات فى معاملاتهم فى جباية الخراج وحفر الأنهار وعمل البريدات وما شاكلها» [١].

وقد اهتم علماء اليونان اهتماما كبيرا بالنوع الأول، فلم يزد عليه علماء المسلمين إلا القليل، لكنهم حفظوه وعلقوا عليه وطوروه. أما الهندسة العملية التطبيقية فقد انصبت بحوثهم على مساحات السطوح والحجوم المختلفة وطرق استخراجها، بغية استخدامها فى مجال الصناعة والعمران والفنون. ويتجلى هذا بوضوح فى بعض مؤلفات علماء (بغداد/المشرق)، ومنها:

١- كتاب " سمت القبلة " للفضل بن العباس النيريزى البغدادى[٢].

٢ - كتاب " استخراج نصف النهار وسمت القبلة بالهندسة " للكندى الفيلسوف[٣].

٣ - كتاب" آلات الساعات التى تسمى رخامات"، لثابت بن قرة الحرانى البغدادى[٤].

٤ - كتاب "آلة الظل" لإبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (المتوفى٣٣٥هـ/٩٤٦م) [٥].

٥ - بعض كتب ابن الهيثم، مثل: مقالة فى استخراج سمت القبلة - مقالة فيما تدعو إليه حاجة الأمور الشرعية من الأمور الهندسية - مقالة فى استخراج ما بين البلدين فى البعد بجهة الأمور الهندسية - رسالة طابق فيها بين الأبنية والحفور بجميع الأشكال الهندسية[٦].

يضاف إلى ذلك مؤلفات كثيرة فى المساحات والحجوم، وتحليل المسائل الهندسية، مما يتعلق بالموضوعات التى تحتاج إلى استعمال الهندسة.

وعلى صعيد الهندسة العملية أيضا وجد علماء بغداد أن معظم العلوم الطبيعية تفتقر إلى الهندسة، فاستخدموها على نطاق واسع فى علم الفلك، وفى علم الحيل (الميكانيك)، واعتمدوا فى علم المناظر (البصريات) على الخواص الهندسية لتحليل الشعاعات وانعطافها وانكسارها

---

١) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص٩٧.

٢) الفهرست لابن النديم ص٣٨٩. وراجع ما ذكرناه عن النيريزى (ص ٣٥٦) من هذا الفصل.

٣) الفهرست ٣٨٩.

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٨٢.

٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٥٥٥.

٦) ابن أبى أصيبعة: المصدر السابق ص٥٥٤ - ٥٥٥.

وانعكاسها على المرايا بمختلف أنواعها. وهذا كله يعنى مدى تقدير هؤلاء العلماء لأهمية الهندسة وارتباطها بحياتهم العملية واليومية.

ثانيا: علم الجبر:

ويعد علم الجبر[١] من العلوم العربية الإسلامية المنشأ، رغم ماقيل بأن الأصول الأولى لهذا العلم قد عرفت عند الشعوب القديمة من مصريين وبابليين وإغريق وهنود[٢]. وبهذا الخصوص يقول قدرى حافظ طوقان فى كتابه (العلوم عند العرب): «اشتغل العرب بالجبر، وأتوا فيه بالعجب العجاب، حتى إن (كاجورى) فى كتابه (تاريخ الرياضيات) قال: (إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب فى الجبر). وهم أول من أطلق لفظ (جبر) على العلم المعروف الآن بهذا الاسم، وعنهم أخذ الإفرنج هذه اللفظة Algebra وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة»[٣].

الخوارزمى وفضله فى تأسيس علم الجبر:

ويعود الفضل فى تأسيس علم الجبر بصورة علمية ومنظمة ومبتكرة إلى أحد أركان المدرسة البغدادية فى علم الرياضيات والفلك والجغرافيا فى مطلع القرن الثالث الهجرى، وهو: محمد بن موسى الخوارزمى (المتوفى ٢٣٦ هـ / ٨٥١م). أصله من خوارزم، وأقام فى بغداد، حيث اشتهر وذاع صيته بين الناس، وقد ظهر فى عصر المأمون، وكان ذا مقام كبير عنده، وأحاطه بالرعاية وولاه بيت الحكمة[٤].

---

١) عرف ابن خلدون علم الجبر " بأنه فرع من فروع علم العدد، وهو عملية يستخرج بها العدد المجهول من العدد المعلوم إذا كان بينهما صلة تقتضى ذلك " (مقدمة ابن خلدون ج٣ ص١١٢٨). وهو أيضا العلم الذى يحتفظ بتوازن المعادلة، وذلك بنقل بعض الحدود من طرف إلى آخر (راجع التفاصيل فى كتاب: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور على عبد الله الدفاع ص ١٢١ - ١٢٣، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية) للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد ص٥٥ - ٥٦.

٢) يرى البعض أن الأصول الأولى لهذا العلم وضعها العالم اليونانى السكندرى ديوفانتوس (أو / ديوفنطس) - مولده عام ٢٥٠ بعد الميلاد تقريبا ووضع كتابا سماه (أرثيماطيقى Arithmetic) - راجع الفهرست ص٣٩٤، إخبار العلماء للقفطى ص١٨٩، العلوم البحتة للدفاع ص٥٨).

٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص٥١. وراجع: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية) للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد - ص٥٥.

٤) من مصادر ترجمة الخوارزمى - الفهرست ص٣٨٣، إخبار العلماء للقفطى ص١٨٧ - ١٨٨، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص١٤، ١٥، ٥٤، ٦٩.

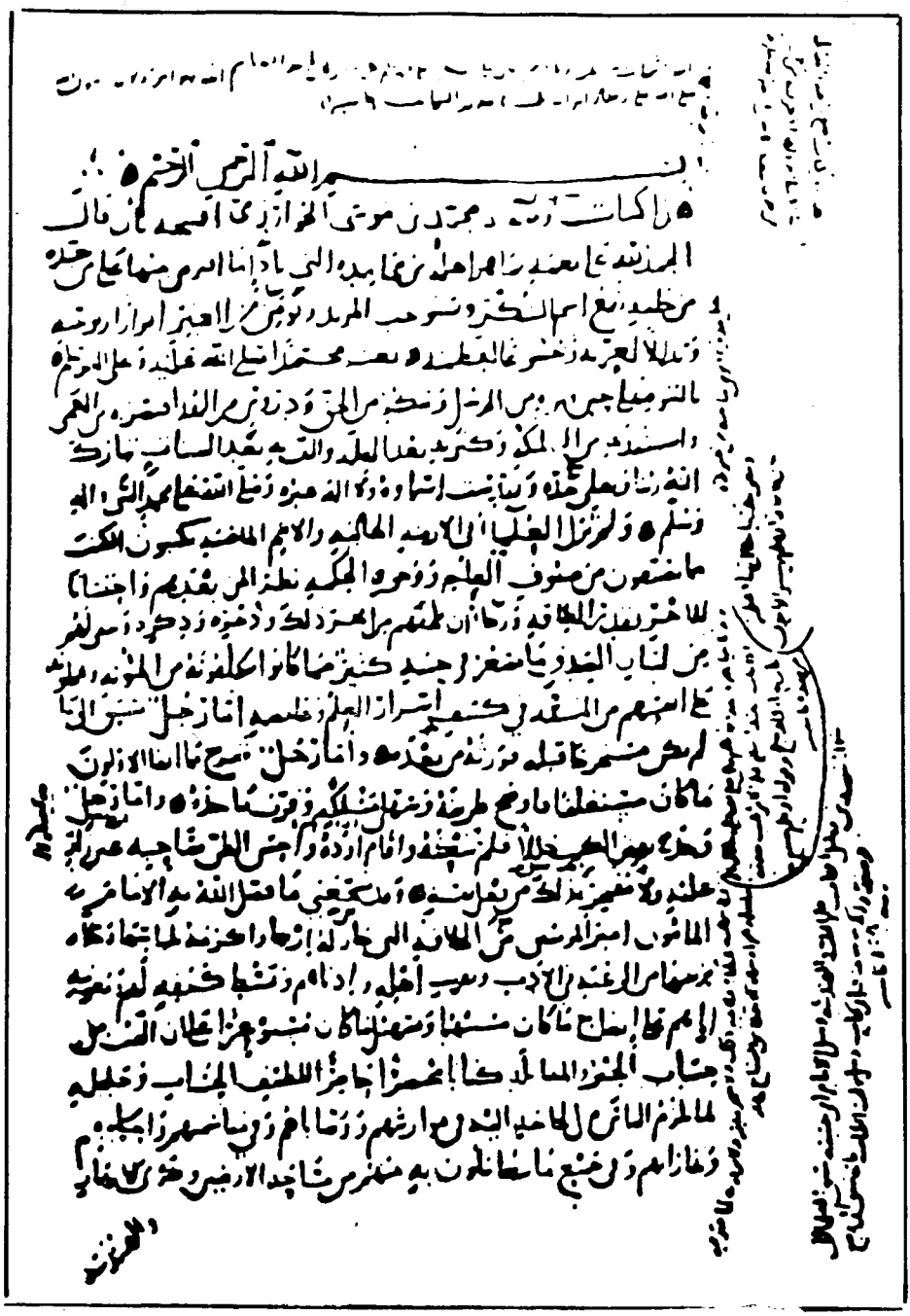

الصفحة الأولى من مخطوط كتاب (الجبر والمقابلة)

لمحمد بن موسى الخوارزمى البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥١م)

وقد استطاع الخوارزمى – فى كتابه " الجبر والمقابلة " – بفضل عبقريته أن يخلق لنا علما متكاملا ومستقلا عن العلوم الرياضية الأخرى. وهذا الكتاب «أقدم كتاب فى موضوعه» كما يقول (M.M. Sharif)[١]. ويقول العالم المشهور فى تاريخ الرياضيات (سلمان قندز) فى مقاله له بعنوان (مصدر جبر الخوارزمى): «إن كتاب الخوارزمى هو اللبنة الأولى فى العلوم الحديثة، ويستحق الخوارزمى أن يسمى والد الجبر حيث لم يكن عند العلماء الرياضيين الذين سبقوه فكرة واضحة عنه كعلم مستقل، بل كانوا يحاولون معرفة علم الأعداد»[٢]. ومن الخطأ أعتقاد أن جبر الخوارزمى متأثر بالجبر الذى وضعه "ديوفانتوس" (مولده ٢٥٠ بعد الميلاد تقريبا)، وذلك لعدم وجود الدليل؛ إذ لم يذكر الخوارزمى فى كتابه اسم ديوفانتوس، وكان من عادة العلماء العرب والمسلمين فى هذه الفترة أن يذكروا بأمانة ما أخذوه من العلوم الأجنبية مع ذكر فضل العلماء الآخرين عليهم، كما أن المقارنة البسيطة بين أسلوب أو طريقة الخوارزمى مع طريقة ديوفانتوس تبين بوضوح البعد الشاسع بينهما. وإضافة إلى ما تقدم فإن كتاب ديوفانتوس فى صناعة الجبر لم يكن مترجما إلى العربية فى أيام الخوارزمى (المتوفى ٢٣٦ هـ / ٨٥١م)، وأن أول ترجمة له تمت على يد " قسطا بن لوقا البعلبكى" سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢ م، وهذه سنة تشير إلى طول المدة الفاصلة بين وفاة الخوارزمى وقسطا بن لوقا[٣].

وقد بين الخوارزمى فى مقدمة كتابه (الجبر والمقابلة) أن الخليفة المأمون هو الذى طلب منه أن يؤلف هذا الكتاب كى يسهل الانتفاع به فى كل ما يحتاج إليه الناس، ثم يضيف قائلا: «.... على أنى ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم، وفى مقاسماتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفى جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأراضى وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه....»[٤].

ولأهمية كتاب الخوارزمى فقد كان محل اهتمام كثير من علماء بغداد خلال القرنين

---

١) الفكر الإسلامى منابعه وآثاره – ترجمه وعلق عليه الدكتور أحمد شلبى – ص٨٢.

٢) على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٢١، ص١٥٢.

٣) على عبدالله الدفاع: المرجع السابق – ص١٥٥.

٤) الخوارزمى: الجبر والمقابلة ص١٥ – ١٦. نشره فى القاهرة ١٩٣٧ م / ١٣٥٦ هـ كل من الدكتور على مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسى أحمد، اعتمادا على مخطوط محفوظ فى مكتبة بودليان بأكسفورد. وهذا المخطوط كتب فى القاهرة بعد موت الخوارزمى بخمسمائة عام. وقد علق عليه الباحثان، وأوضحا ما استغلق من بحوثه وموضوعاته (راجع العلوم عند العرب، لقدرى حافظ طوقان ص٥١، العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية للدفاع – ص١٢٣).

الثالث والرابع للهجرة، فكتبوا حوله عددا من الشروح والدراسات، أهمها: " شرح " لعبدالله بن الحسن الصيدلانى الحاسب[١]. وشرحه شرحا وافيا كل من سنان بن الفتح الحرانى الحاسب[٢]، والعالم الفلكى الكبير أبو الوفا محمد بن محمد بن يحيى البوزجانى (المتوفى ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م) الآتى ذكره[٣].

ولم يقف اهتمام العلماء الرياضيين بكتاب الخوارزمى عند هذا التاريخ، وإنما «بقى عدة قرون مصدرا اعتمد عليه علماء المسلمين فى مختلف الأقطار فى بحوثهم الرياضية، كما أنه كان النبع الذى استقى منه فحول علماء أوربا فى القرون الوسطى[٤].

جهود علماء بغداد فى علم الجبر بعد الخوارزمى:

وقد استطاع الخوارزمى استعمال علم الهندسة فى الجبر، حيث برهن على الكثير من نظرياته بالطريقة الهندسية والتحليلية[٥]. وكان العالم الرياضى البغدادى ثابت بن قرة (المتوفى ٢٨٨ هـ / ٩٠٠م) من بين علماء عصره الذين كان لهم مقدرة على إدخال علم الجبر على علم الهندسة، وله كتاب فى «تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية»[٦]. وقد خطى ابن قرة بهذا الكتاب خطوة كبيرة نحو الهندسة التحليلية، وأنه بذلك - كما يقول ..M.M.Sharif - وضع الأساس لهذا العلم[٧].

ويعتبر أبو الوفا البوزجانى البغدادى (المتوفى ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م) - أحد شراح كتاب (الجبر والمقابلة) للخوارزمى كما ذكرنا - من الأئمة المعدودين فى هذا الفن، وفى علوم الرياضيات بوجه عام، «وقد زاد على بحوث الخوارزمى زيادات تعتبر أساسا لعلاقة الجبر بالهندسة، ومهدت السبيل أمام علماء الغرب الأوربى كى يتقدموا بالهندسة التحليلية خطوات واسعة أفضت بدورها إلى ظهور علم التكامل والتفاضل»[٨]وهذا العلم الأخير هو أرقى

---

١) الفهرست ص٣٩٠. وراجع إخبار العلماء للقفطى ص١٤٩.
٢) الفهرست ص٣٩٢. وراجع إخبار العلماء ص١٣٠.
٣) الفهرست ص٣٩٤، وإخبار العلماء ص١٨٩. وراجع (ص ٣٦٩) من هذه الدراسة.
٤) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٠٠.
٥) على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٤١.
٦) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٨٣.
٧) الفكر الإسلامى منابعه وآثاره - ترجمه وعلق عليه د. أحمد شلبى - ص٨٣.
٨) قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص١٩٨ - ٢٠٥ (ط القاهرة ١٩٥٤م). والعلوم عند العرب - للمؤلف نفسه - ص١٣٩. والعلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية للدفاع - ص٣٧٦ - ٣٧٧. وسيأتى ذكر البوزجانى فى سياق الحديث عن علم حساب المثلثات (ص ٣٦٩).

وأروع الاكتشافات التى وصل إليها العقل البشرى، حيث أنه المصدر الأول للمخترعات والمكتشفات الحديثة[١].

ومن علماء الرياضيات الذين كانت لهم مشاركة فى علم الجبر - وينتمون إلى المدرسة البغدادية:- سند بن على المنجم أحد كبار علماء الفلك بمرصد الشماسية الذى أنشأه المأمون ببغداد. صنف كتاب "الجبر والمقابلة"[٢]. ويعقوب بن محمد الحاسب المصيصى، صنف أيضا كتاب "الجبر والمقابلة"[٣]. وصنف الحسن بن الهيثم عالم البصريات - البصرى الأصل، المصرى الدار - (المتوفى ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨م) - صنف أربعة كتب فى هذا الفن؛ هى: كتاب فى تحليل المسائل العددية بجهة الجبر والمقابلة مبرهنا - ورسالة أوضح فيها علاقة الجبر بعلم الفرائض - وكتاب جمع فيه تحليلا لكثير من المسائل الهندسية والعددية على أصول الجبر والمقابلة - وكتاب علق فيه على كتاب "ديوفانتوس" فى مسائل الجبر[٤].

ثالثا: علم حساب المثلثات:

وكما أسس علماء بغداد علمى الجبر والهندسة التحليلية فإنهم وضعوا أيضا الأساس لعلم حساب المثلثات. وهو «علم ينظر فى النسب القائمة بين أضلاع المثلث وزواياه»[٥]. وقد نشأ متصلا بعلم الفلك. ورغم أن هذا العلم قد عرف عند كل من القدماء المصريين

والإغريق والهنود إلا أن الفضل يعود إلى المسلمين بالدرجة الأولى - وفى إطار المدرسة البغدادية - فى جعله علما منظما ومستقلا عن الفلك، وله قوانينه الخاصة. وقد عرف عند

---

١) على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة...ص ٣٧٧.

٢) الفهرست ص٣٨٣ - ٣٨٤، إخبار العلماء للقفطى ص١٤٠ - ١٤١. وراجع عن سند بن على فى الفصل الخاص بعلم الفلك (ص ٣٤٢).

٣) الفهرست ص٣٩٢. وراجع إخبار العلماء للقفطى ص٢٤٧.

٤) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - ص٥٥٤، ٥٦٠، إخبار العلماء للقفطى ص ١١٦. العلوم البحتة للدفاع ص٣٢٧.

٥) يهزاد جابر: الكافى من تاريخ العلوم عند العرب - ص١٥ (دار مصباح الفكر، بيروت / لبنان ١٩٨٦م). وراجع تفاصيل حول هذا التعريف فى كتاب د. على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٣٠ - ١٣١ وقد أوضح أن الفكرة الأساسية فى علم حساب المثلثات هى قياس المساحات الكبيرة والمسافات الطويلة بطريقة غير مباشرة، كقياس الأهرام أو أى بعد صعب المنال، مثل ممر بين جبلين، والأبعاد فى حقل الملاحة. وكلمة حساب المثلثات فى جميع اللغات تعنى قياس الارتفاعات.

علماء العرب والمسلمين بعلم النسب؛ نظرا لما فيه من النسب المثلثية بين أضلاع المثلث[١].

أبرز علماء المدرسة البغدادية فى علم حساب المثلثات:

ومن أبرز علماء المدرسة البغدادية الذين أرسوا قواعد علم حساب المثلثات اثنان:

الأول: أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان البتانى (المتوفى ٣١٧ هـ / ٩٢٩م) وقد مر ذكره فى علم الفلك[٢]. ومن جهوده فى علم حساب المثلثات أنه اكتشف غالبية النسب المثلثية الأساسية على الصورة المستخدمة فى الوقت الحاضر[٣]. وهو أول من استعمل المعادلات المثلثية[٤]، وأول من أدخل مصطلح (الجيب) واستعمله بدلا من كلمة (الوتر) التى كانت مستعملة عند اليونانيين، كما أنه ابتكر مفاهيم " جيب التمام " و " الظل " و " تمام الظل ". وعمل الجداول الرياضية لما يسمى " نظير المماس " (شكل الظل) [٥]، وابتكر طريقة تنظيم جداول الجيوب والظلال إلى ثمانى منازل عشرية حسبما جاء فى مؤلفه (رسالة فى تحقيق أقدار الاتصالات)[٦] الذى ألفه للوزير أبى الحسن بن الفرات[٧](المتوفى٣١٢هـ /٩٢٤م).

وقد استخدم البتانى علم المثلثات استخداما واضحا فى جداوله الفلكية التى وضعها على مستوى كبير من الإتقان[٨]. ويبدو أنه أول من سخر هذا العلم لخدمة الفلك، وسبق غيره فى إعطاء " المثلثات الكروية " عناية تامة، وعمد إلى تطبيق القوانين والعمليات الجبرية على المعادلات المثلثية[٩].

والثانى: أبو الوفا محمد بن محمد بن يحيى البوزجانى البغدادى (٣٢٨ - ٣٨٨ هـ / ٩٢٩ - ٩٩٨م). مولده بالبوزجان بين هراة ونيسابور من أرض خراسان. وانتقل إلى بغداد

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية) - ص٦٣ - ٦٤.

٢) راجع ما ذكرناه عن البتانى فى علم الفلك - (ص ٣٥٠).

٣) شريف، م. م: الفكر الإسلامى منابعه وآثاره - ص٨٤ (ترجمة د. أحمد شلبى).

٤) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٣١.

٥) Cajori , a History of Mathematics Notations, ص ١٠٥، نيويورك ١٩٢٦. وراجع عن المصطلحات المذكورة (علم الفلك تاريخه عند العرب-تأليف نلينو ص١٦٨ - ١٧١، ص٢٣٦).

٦) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٦٤.

٧) الفهرست لابن النديم - ص٣٩٠.

٨) راجع عن هذه الجداول ما ذكرناه فى فصل علم الفلك - (ص ٣٤٨).

٩) على عبد الله الدفاع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك - ص٤٥، ص٤٧. وراجع المقصود بالمثلثات الكروية: علم الفلك تاريخه عند العرب - تأليف نلينو- ص٢٣٨ وما بعدها.

سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م، فبقى بها إلى حين وفاته. وكان من أبرز علماء الفلك[١]، وبرع فى علم الهندسة، وامتاز على غيره بشروحه لمؤلفات أوقليدس وديوفانتوس، وبطليموس، والخوارزمى، شروحا جلت غامضها وأوضحت ما كان مستغلقا فيها[٢]. ويقول عنه ابن خلكان: «هو أحد الأئمة المشاهير فى علم الهندسة، وله فيها استخراجات غريبة لم يسبق إليها. وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس - وهو القيم بهذا الفن - يبالغ فى وصف كتبه، ويعتمد عليها فى أكثر مطالعاته، ويحتج بما يقوله، وكان عنده من تواليفه عدة كتب» [٣].

وقد قضى أبو الوفا البوزجانى جل وقته فى دراسة مؤلفات أستاذه البتانى فى علم حساب المثلثات، فعلق عليها وفسر الغامض منها، وحذا حذوه فى العمل على فصل هذا العلم عن علم الفلك، واعترف له المحققون فى تاريخ العلوم ببراعته وفضله على علم المثلثات حتى اقترن اسمه عند علماء أوربا بتقدم هذا العلم[٤]، فوصفه " كارل بوير " فى كتابه (تاريخ الرياضيات) بأنه «من المسئولين الأوائل عن فصل علم حساب المثلثات عن علم الفلك حتى تمكن من إدخال علم الجبر عليه بالطريقة النظرية، وهذا واضح فى متطابقاته المثلثية» [٥]. ومن مبتكرات أبى الوفا فى المثلثات ابتكاره للقاطع (معكوس جيب التمام - **قا**) وقاطع التمام (جيب الزاوية - **قتا**). وأوجد (جداول لجيب الزاوية - **جا**) و (ظل الزاوية [**ظا**] لكل عشر دقائق). كما أنه أعطى المتطابقات المثلثية عناية كبيرة، وابتكر عددا كبيرا منها، وهى التى ما انفكت تلعب دورا كبيرا فى علم حساب المثلثات[٦]. ويقول البيرونى: إن السبق فى استنباط شكل الظل - وهو ما يسمى بالمماس - لأبى الوفا بلا تنازع من غيره[٧].

وخلاصة القول بشأن البوزجانى أنه كان من ألمع علماء المدرسة البغدادية / المشرقية

---

١) راجع ما ذكرناه عنه فى علم الفلك (ص٣٣٩).

٢) القفطى: إخبار العلماء ص١٨٨ - ١٨٩، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٣٩.

٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص١٦٧.

٤) الدومييلى: العلم عند العرب ص٢١١.

٥) على عبد الله الدفاع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص٦٣، العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية - لنفس المؤلف ص٣٧٨، وراجع ص٣٧٦، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٤١.

٦) شريف. م. م: الفكر الإسلامى منابعه وآثاره - ص٨٤، على عبد الله الدفاع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص٦٣ - ٦٤، العلوم البحتة... ص٣٧٨.

٧) قدرى حافظ طوقان: العلم عند العرب ص٥٨.

الذين كان لبحوثهم ومؤلفاتهم الأثر الكبير فى تقدم العلوم الرياضية. وقائمة كتبه ورسائله التى صنفها فى هذا المجال تدل على مكانته الرفيعة فى تاريخ العلوم البحتة[١].

وقد ظلت عناية علماء بغداد بعلم حساب المثلثات وفصله عن علم الفلك مستمرة إلى أن جاء نصير الدين محمد بن محمد الطوسى المولود بخراسان سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م، والمتوفى ببغداد سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م، فوضع كتابه " شكل القطاع " فى حساب المثلثات المستوية والكروية، وهو أول كتاب يفصل علم المثلثات عن علم الفلك، وتطور فيه النسب المثلثية إلى ما هى عليه الآن[٢]. وبعض فصول هذا الكتاب مقتبس من بحوث علماء بغداديين بارزين فى مجال الرياضيات، أمثال ثابت بن قرة، والبوزجانى، وغيرهما[٣].

رابعا: علم الحساب[٤]:

إن الأرقام العربية التى يستخدمها العرب الآن هى أرقام هندية فى الأصل؛ وذلك أن العرب اطلعوا على حساب الهنود فأخذوا عنه نظام الترقيم؛ إذ أنهم رأوا أنه أفضل من النظام الذى كان شائعا عندهم - نظام الترقيم على حساب الجمل[٥]. وقد كان للهنود أشكال عديدة للأرقام، فهذب العرب بعضها، وكونوا من ذلك سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية، وهى التى تستعملها أكثر الأقطار العربية والإسلامية[٦]. والثانية الأرقام الغبارية[٧]،

---

١) ذكر القفطى مؤلفات البوزجانى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٨- ١٨٩، وراجع فهرست ابن النديم ص٣٩٤، العلوم البحتة للدفاع ص٣٧٩ - ٣٨٠.

٢) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص٦٣.

٣) قدرى حافظ طوقان: العلم عند العرب ص٢١١.

٤) لعلم الحساب تعريف جامع فى مقدمة ابن خلدون-ج٣ص ١١٢٧ (ط على عبد الواحد وافى).

٥) حساب الجمل هو الترتيب النبطى للحروف العربية: أبجد - هوز - حطى - كلمن - سعفص - قرشت، بالإضافة إلى الروادف الناقصة (ثخذ - ضظغ). وكل حرف من هذه الحروف - على الترتيب - يقابل برقم محدد، مثال ذلك: [أبجد / أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤] ويطول المقام بذكر كل حرف والعدد الذى يقابله - والحرف الأخير - وهو الغين - يقابله العدد (١٠٠٠). وكانوا يرمزون للأعداد التى تزيد عن الألف بضم الحروف بعضها إلى بعض فى نظام تجميعى ضربى، مثل (بع = ٢٠٠٠ - أى ٢ × ١٠٠٠) وهكذا (راجع التفاصيل فى مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١١٤ - ١١٥، الحضار الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور أحمد عبد الرازق ص٥٠، حضارة العراق ج ٨ ص٤١٦ - ٤١٧).

٦) وهذه الحروف التى تكتب هكذا: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩).

٧) هذا الاسم جاء بسبب أن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا ويبسطونه على لوح من الخشب أو غيره ويرسمون عليه الأرقام التى يحتاجون إليها فى عملياتهم الحسابية أو معاملاتهم التجارية =

وهذه انتشر استخدامها فى بلاد المغرب والأندلس، ومنها دخلت إلى أوربا وسميت هناك. بالأرقام العربية[١](Arabic Nambers)[٢].

ويعتقد البعض أن بداية معرفة العلماء العرب والمسلمين بالترقيم الهندى كان عن طريق ترجمة الكتاب المعروف ب (سدهـــانتا Saddahanata) المقدم ذكره فى علم الفلك، وعرفنا هناك أنه ترجم إلى العربية فى بغداد بأمر الخليفة أبى جعفر المنصور[٣]. وهذا الكتاب وإن كان فى الفلك إلا أنه تضمن أقساما فى الحساب كما يقول " أوليرى"[٤]. وبهذا الخصوص يقول الأستاذ (سنديرس: Saunders): «إن الأرقام العربية على الرغم من اسمها إلا أنها هندية، ومن الجائز أنها وصلت إلى المسلمين من خلال ترجمة (السد هانتا) الرسالة الهندية فى الفلك والتى ترجمت بأمر من الخليفة المنصور سنة١٥٦هـ/ ٧٧٣م»[٥]. ويقول (M.M.Sharif) عن هذه الرسالة: «عرف العرب عن طريقها استعمال الصفر كما عرفوا الأرقام الهندية»[٦]. ويؤكد "أوليرى" على ذلك فى كتابه (الفكر العربى ومكانه فى التاريخ) بقوله: «ولقد كانت الرسالة الهندية فى الحساب ذات أهمية أعظم، إذ أن الأرقام الهندية انتقلت بواسطتها إلى العرب لتصبح بمرور الزمن أرقاما عربية»[٧].

جهود المدرسة البغدادية فى علم الحساب:

• محمد بن موسى الخوارزمى (ت ٢٣٦ هـ):

ويعود الفضل فى تناول الأرقام وشيوعها إلى محمد بن موسى الخوارزمى مؤسس علم الجبر وأول من وضع فيه كتابا منظما كما عرفنا من قبل[٨]. وهو أيضا أول من صنف كتابا فى علم الحساب كان الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة، «وبين فيه نظام

= (الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٠٤، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى لأحمد عبد الرازق أحمد ص٥١).

١) قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص٣٨ - ٣٩، وكتابه العلوم عند العرب ص٤٩، على عبدالله الدفاع: العلوم البحتة ص١٠٤.

٢) وهذه الأرقام تكتب هكذا (٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١).

٣) راجع ما كتبناه عن (السند هند) فى الفصل الخاص بعلم الفلك (ص ٣٣٤- ٣٣٥).

٤) اوليرى: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص١٥٧ (ترجمة تمام حسان).

٥) Saunders: A History of Medieval Islam, ص ١٨٩-١٩٠، (لندن ١٩٢١).

٦) الفكر الإسلامى منابعه وآثاره (ترجمة د. أحمد شلبى) ص٨١.

٧) O'leary: Arabic thought ant its place in History, ص ١٠٩، (لندن ١٩٥٨).

٨) راجع جهود الخوارزمى فى علم الجبر (ص ٣٦٤ - ٣٦٦).

الأعداد الهندى وطريقة استخدامها عمليا عن طريق ضرب الأمثلة على ذلك حتى يسهل على رجال المال والتجارة عملهم، كما عرض فيه للعديد من الأمثلة بالنسبة لتقسيم الميراث بين مستحقيه حسبما ورد فى القرآن الكريم بطريقة مبسطة، وشرح فيه أيضا طرق الجمع والطرح والقسمة والضرب وموقع الصفر فى العمليات الحسابية»[١].

وقد أمدتنا المصادر بالعديد من العلماء البغداديين الذين برزوا فى علم الحساب وكان لهم فيه مؤلفات عديدة، ويأتى فى مقدمتهم بعد الخوارزمى:

• **أبو يوسف: يعقوب بن إسحق الكندى** (المتوفى ٢٥٢ هـ / ٨٦٧م). فيلسوف العرب الشهير الذى جعل من الرياضيات جسرا للفلسفة. وقد أبدع فى الحساب، وترك فيه أربعة عشر كتابا[٢]، منها: كتاب فى مبادئ الحساب - وكتاب فى استعمال الحساب الهندى، صنفه للمعتصم - رسالة فى تأليف الأعداد - رسالة فى استعمال الخط المستقيم لتسهيل عملية الضرب، «وهى الطريقة المستعملة الآن فى الرياضيات المعاصرة»[٣].

• ومنهم: **سند بن على، أبو الطيب البغدادى** أحد علماء الفلك بمرصد الشماسية الذى أنشأه المأمون فى بغداد. صنف فى علم الحساب كتاب " الجمع والتفريق ". وكتاب " الحساب الهندى"[٤].

• **ومنهم: سنان بن الفتح الحرانى البغدادى** الذى اشتغل بالرياضيات وبرع بوجه خاص فى علم الحساب والأعداد، أوائل القرن الثالث الهجرى، ووضع فيه العديد من الكتب؛ منها: كتاب " حساب المكعبات ". وكتاب " حساب الوصايا". وكتاب " التحت فى الحساب الهندى ". وكتاب " الجمع والتفريق"[٥]. وفى الكتاب الأخير شرح كيفية إجراء عمليات الضرب والقسمة بواسطة عمليات الجمع والطرح، وهذه الفكرة هى أساس علم "اللوغاريتمات" التى كان له أكبر الأثر على تقدم الرياضيات بوجه عام، حيث إنه هو الوسيلة الوحيدة لتبسيط العمليات الحسابية التى ترد فى مسائل العلوم التطبيقية مثل الفيزياء والهندسة

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٥٢. وراجع: على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٧٢، قدرى طوقان: العلم عند العرب ص ١٠٢.

٢) الفهرست لابن النديم ص٣٥٨ - ٣٥٩.

٣) الدفاع: العلوم البحتة... ص٧٤. وراجع عيون الأنباء: لابن أبى أصيبعة ص٢٨٩.

٤) الفهرست لابن النديم ص٣٨٣ - ٣٨٤.

٥) الفهرست ص٣٩٢، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٣٠.

والإحصاء والحساب التجارى وغيرها، ومن ثم كان لسنان بن على فضل السبق فى التمهيد لهذا العلم[١].

● ومنهم عالم الفلك والرياضيات **أبو الوفا البوزجانى** (المتوفى ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م) وقد مر ذكره فى العديد من فروع العلم. وكان له مشاركة جيدة فى علم الحساب، فصنف فيه كتبا كثيرة، منها: كتاب "المنازل فى الحساب" وهو كتاب جميل كما يقول القفطى[٢]. وكتاب " المدخل إلى الأرثماطيقى (الحساب) ". وكتاب " فيما ينبغى أن يحفظ قبل الأرثماطيقى "، وفى هذين الكتابين الأخيرين ركز البوزجانى على المفاهيم الحسابية الدقيقة وتعريفاتها. ومن أهم كتبه: كتاب " ما يحتاج إليه العمال والكتاب من صناعة الحساب "، ويقع فى سبعة فصول، الثلاثة الأولى فى الرياضيات البحتة (النسبة - الضرب - القسمة - أعمال المساحات). والأربعة الباقية فى المعاملات اليومية ين الناس فى المكاييل والمقاييس والبيع والشراء والأجور (أعمال الخراج) وأعمال المقاسمات ومعاملات التجار والصروف[٣]. ويدل محتوى هذا الكتاب بوضوح على أن علماء المسلمين فى الحساب كانوا يعملون دائما للإبقاء على الفائدة العملية لهذا العلم من أجل الخدمات والمصالح العملية، بالإضافة إلى تطويره من الناحية النظرية البحتة.

وهكذا كثر التأليف فى علم الحساب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، وهناك كتب أخرى كثيرة لاتقل أهمية وأثرا عن النماذج التى ذكرناها[٤]. وقد كان لعلماء بغداد النصيب الأكبر من هذه المؤلفات؛ الأمر الذى يؤكد أهمية تراث المدرسة البغدادية فى هذا الفرع، وفى غيره من فروع الرياضيات. وهذا التراث العلمى هو الذى سهل على المجتمع الإسلامى كله والمجتمع الأوربى من بعده - بل والعالم كله - الخروج إلى عصر النهضة والمدنية، ومن أوسع الأبواب.

****

١)على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٤٣ - ١٤٥، وفيه مزيد من المعلومات عن دور المسلمين فى نشأة علم اللوغاريتمات.

٢) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٩.

٣) فهرست ابن النديم ص٣٩٤، إخبار العلماء للقفطى ص١٨٩، وراجع تحليلا لبعض العمليات الحسابية الواردة فى ذلك الكتاب - راجع: حضارة العراق ج ٨ ص٤١٠ - ٤١١.

٤)راجع الفهرست - ص٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦.

تعقيب: ومما تقدم يتبين لنا الإسهام الكبير الذى قدمته المدرسة البغدادية للحضارة الإسلامية فى مجال علوم الرياضيات. ويمكن القول: إن علماء بغداد وصلوا فى فترة وجيزة فى عمر التاريخ إلى أقصى ما يمكن اكتسابه من المعارف فى هذه العلوم، وكان لهم الفضل العظيم فى تقدمها وازدهارها بكافة فروعها، ذلك التقدم الذى استحقوا عليه أن يكونوا حقيقة أساتذة للأجيال اللاحقة. وقد تأكد لنا أن خدمة هؤلاء العلماء لعلوم الرياضيات لم تقتصر على حفظ ونقل تراث الأمم السابقة، بل كانت لهم إسهامات هائلة فى إثراء الفكر الرياضى بأهم مقومات تقدمه، وأصبحت الرياضيات تدين لهم بقدر كبير من هذا التقدم، وكانت بعض فروعها من اختراعهم، ولهذا حفل التراث العلمى الإسلامى بالكثير من أفكارهم ونظرياتهم الرياضية الأصيلة التى أجمع المؤرخون لتاريخ العلم على أهميتها.

وقد مر بنا التنويه بذكر عدد من الأعلام البارزين فى العلوم الرياضية الذين عاشوا فى بغداد فى ظل الدولة العباسية، أمثال الخوارزمى والكندى الفيلسوف وثابت بن قرة والبتانى والكوهى وأبى الوفا الجوزجانى وغيرهم، ولم يكن لواحد من هؤلاء أن يبرز نجمه فى علوم الرياضيات أو الفلك لو بقى فى بلده الأصلى دون أن يقضى عمرا طويلا فى بغداد (أم الدنيا ومنبع الحضارة والمدنية آنذاك) لطلب الاستزادة من حياض العلم المليئة.

****

الفصل الرابع
علم الطب

تعريفه: يعرف " طاش كبرى زادة " الطب فى كتابه (مفتاح السعادة) بقوله: «هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح وما يمرض، لحفظ الصحة وإزالة المرض» [١].
ويقول ابن خلدون: «هو صناعة تنظر فى بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، يحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذى يخص كل عضو من أعضاء البدن، والأسباب التى ينشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه...» [٢].

الطب فى الحضارات القديمة:

وعلم الطب من العلوم القديمة قدم الإنسان، وهو مهنة أممية، أى شاركت فى وضع قواعده أمم شتى فى مختلف الأزمان والبلدان، وتناقل الرواة والكتاب معارفه من أمة إلى أمة.

ومن المتفق عليه لدى الباحثين فى تاريخ العلوم أن صناعة الطب كانت تمثل قطاعا بارزا فى الحضارات القديمة: المصرية والبابلية والصينية والهندية والفارسية واليونانية، ومارسه عرب الجاهلية. وليست مهمتنا أن نقف هنا عند مآثر وخبرات تلك الحضارات فى هذا الحقل العلمى. لكن الذى نريد التأكيد عليه بهذا الصدد هو أن الحضارة الإغريقية (اليونانية) - التى اعتمد عليها علماء العرب والمسلمين فى جانب كبير من العلوم التجريبية كانت على قدر كبير من الدراية بالعلوم الطبية، «وقد وصل الطب اليونانى (الإغريقى) ذروة تاريخه الزاهر فى القرن الخامس ق.م، وهو عصر أبقراط» [٣]. وقد كان أبقراط[٤](٤٦٠-٣٦٥ق.م) أوحد زمانه فى

---

١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ج ١ ص٣٢٦ (ط دار الكتب الحديثة، القاهرة - بدون تاريخ).
٢) مقدمة ابن خلدون ص٤٦٣.
٣) الطب وتاريخه عند العرب - بحث للدكتور كمال السامرائى بمجلة المورد/ المجلد (١٤) العدد الرابع - ص١٩.
٤) أبقراط: أصله باليونانية " أيفوقراطيس ". وقيل: " بقراطيس ". وخففه العرب إلى " أبقراط ". ومعناه: ماسك الصحة. وقيل: معناه ضابط الخيل. ولد فى جزيرة قوص اليونانية. وكان يسكن مدينة (قو) وهى حمص من الشام. وعاش خمسا وتسعين سنة. وهو من آل " اسقلبيوس " المعلم الأول للطب عند اليونانيين (لمزيد من المعلومات عن أبقراط راجع: الفهرست ص٤٠٠، طبقات =

علم الطب؛ فهو الذى رتبه وبوبه وبناه على أسس علمية سليمة، وخلصه من الخرافات والشعوذة، وأخرجه من دائرته الضيقة، وعممه على الناس، وصنف فيه الكتب الكثيرة.

ومن أشهر أطباء اليونان أيضا جالينوس[١]، «وهوعملاق الطب والصيدلة فى العصر اليونانى» [٢]، جدد من علم أبقراط وشرح كتبه ما كان قد درس، ففاق أهل زمانه. وقد تخصص فى علم التشريح أكثر من غيره فى فروع الطب، ولم يسبقه أحد قبله فى هذا المجال، وصنف فيه كتبا عديدة، أهمها كتاب " التشريح الكبير "، اعتمد عليه أطباء بغداد فى ذلك الفرع من علوم الطب[٣].

نشأة علم الطب فى بغداد والاستفادة من التراث اليونانى والهندى:

ومن المعلوم سلفا أن مدرسة الإسكندرية قبل الإسلام هى التى حافظت على التراث العلمى اليونانى، واستطاعت أن تتقدم به خطوات كبيرة إلى الأمام فى بعض الجوانب. وكانت مصنفات أبقراط وجالينوس أساس منهج التعليم الطبى فى هذه المدرسة. وكانت مؤلفات أرسطو وأوقليدس وأرشميدس وبطليموس تشكل جوهر المنهج التعليمى فى هذه المدرسة أيضا فى مجالات الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعيات. وقد انتقل هذا التراث بعد الفتح الإسلامى لمصر - انتقل إلى الرها وأنطاكية ونصيبين وحران وجنديسابور[٤].

وهذه المدينة الأخيرة على وجه الخصوص - أعنى جنديسابور - كانت ذات أهمية خاصة فى العلوم الطبية، «لكونها البوتقة التى انصهرت فيها الأفكار اليونانية والهندية، إضافة إلى الأفكار الفارسية» [٥]. وأحد الأسباب التى جعلت من هذه المدينة - التى تقع فى الجنوب

= الأطباء لابن جلجل ص١٦ - ٢٠، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٤٣ - ٥٦، على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص١١١ - ١١٢).

١) ظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة أبقراط. ومقدار ما بينه وبين المسيح عيسى عليه السلام سبع وخمسون سنة، المسيح أقدم منه. ولم يتنصر، وإنما ظل على وثنيته. وكان كثير التنقل فى البلدان، وجيها عند الملوك، وأكثر أسفاره إلى رومية. وكثيرا ما كان يلتقى مع الإسكندر الإقروديسى. (لمعرفة مزيد من المعلومات عن جالينوس راجع: الفهرست ص٤٠٢، طبقات الأطباء لابن جلجل ص٤١ وإخبار العلماء الحكماء للقفطى ص٨٥ - ٩٢، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص١٠٩ - ١٤٩).

٢) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص١١٥.

٣) راجع طبقات الأطباء لابن جلجل ص٤٢. وراجع ما سيأتى عن التشريح (ص ٣٨٨).

٤) راجع ما ذكرناه عن مدرسة الإسكندرية (ص ٢٩٠) من الفصل الخاص بحركة الترجمة.

٥) رشيد الجميلى: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ص٢٠٣.

الغربى من فارس -أحد مراكز الطب الهامة هو إغلاق مدرسة الطب فى مدينة الرها عام ٤٨٩م وما ترتب على ذلك من هجرة أغلب علمائها من السريان وغيرهم إلى جنديسابور، حتى صارت ملتقى العديد من الأطباء من مختلفى الجنسيات. هؤلاء هم الذين تولوا تعليم الطب حتى صار هذا العلم أرقى بكثير من طب البلاد المجاورة[١]. وفى هذا السياق يقول القفطى: «وأهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة من زمن الأكاسرة، وذلك سبب وصولهم إلى هذه المنـــزلة»[٢].

ولعـــل الشـــهرة التى حظيت بها مدينة جنديسابور هى التى حدت بالخلفاء العباسيين الأوائـــل أن يوجهوا اهتمامهم صوب هذه المدينة لاستقدام كبار أطبائها إلى بغداد، ومن هـــنا بـــدأت الحاضرة العباسية تشهد نهضتها الحضارية فى هذا العلم. وأول الأطباء الذين اســـتدعاهم الخلـــيفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـــ/ ٧٥٣ - ٧٧٢م) إلى بغداد لمعالجـــته هو جورجيوس بن بختيشوع رئيس الأطباء فى جنديسابور. وقد أحسن مداواة المنصـــور ومداراته، وصار طبيبه الخاص، وبقى فى خدمته أربعة سنوات متوالية عاد بعدها إلى وطـــنه ســـنة ١٥٢هـــ مـــثقلا بالأفضال والهدايا. وكان جورجيس يجيد العربية واليونانية، إضافة إلى لغته السريانية، فترجم للخليفة بعض كتب الطب إلى اللغة العربية[٣]. وقـــد أثـــار دخوله بغداد وما حظى به من تكريم وعطاء رغبة الأطباء السريان من أهل جنديسابور، فرحلوا إلى بغداد، وتبوأوا مكانة عالية بسرعة وسهولة، لقلة الأطباء يومئذ فى هـــذه المدينـــة، واحتضنهم الخلفاء والوزراء حتى صاروا هم وحدهم المعول عليهم فى الطب على مدى قرن بتمامه. ونذكر من هؤلاء: بختيشوع بن جورجيس (ت ١٨٥هـــ/ ٨٠١م) الذى صار رئيسا للأطباء فى عهد الرشيد[٤]. وكذلك ابنه جبرائيل (ت٢١٣هـــ/ ٨٢٨م) الـــذى خدم فى بلاط الرشيد ما يقـــرب من ثلاثـــة عشر عاما، وصار طبيبا خاصـــا لـــولديه الأمين والمأمون[٥]. ومنهم أيضا: عيسى بن شهلا[٦] وسرجس[٧] وسهل

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص١٤٢. وراجع: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة - لرشيد الجميلى ص١٩٦.

٢) القفطى: إخبار العلماء ص٩٣.

٣) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص١٨٣ - ١٨٦، ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢١٤.

٤) عيون الأنباء ص١٨٦ - ١٨٧، تاريخ مختصر الدول ص٢٢٦ - ٢٢٧.

٥) عيون الأنباء ص١٨٧ - ٢٠٠، تاريخ مختصر الدول ص٢٢٧.

٦) ابن أبى أصيبعة: عيون - ص١٨٥، ابن العبرى ص٢١٦.

٧) عيون الأنباء ص٢٨١.

الكوسج[١] وابنه سابور بن سهل (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م)[٢] وداود بن سرابيون[٣] وماسويه (أبو يوحنا) طبيب العيون فى خلافة الرشيد والقائم على بيمارستان بغداد[٤].

وقد تبوأت أسرة آل بختيشوع مكانة مرموقة فى بغداد، وعاشوا فى عز وجاه على مدى ثلاثة قرون، تعاقب خلالها ستة أو سبعة أجيال من أطباء هذه الأسرة، وتوارثوا مهنة الطب ترجمة وتأليفا وتدريسا، وكان آخرهم أبا سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع (المتوفى حوالى ٥٤٣هـ/١٠٦١م).

ومن أقوى الأدلة على أن أطباء جنديسابور السريانيين كان لهم شهرة كبيرة فى بغداد، وتأثير واسع فى ميدان الطب، بحيث أصبح الناس فى الغالب لايثقون بأحد من الأطباء إلا بهم: ما يحكيه الجاحظ فى كتابه(البخلاء) فى رواية نادرة عن طبيب نصرانى يدعى أسد بن جانى «اشتكى كساد مهنته عند المرضى فقال له قائل: السنة وبئة، والأمراض فاشية، وأنت عالم، ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة، فمن أين تؤتى هذا الكساد ؟. فقال: أما واحدة: فإنى عندهم مسلم، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب - لا، قبل أن أخلق - أن المسلمين لايفلحون فى الطب. واسمى " أسد " وكان ينبغى أن يكون اسمى صليبا وجبرائيل ويوحنا وبيرا. وكنيتى أبو الحارث، وكان ينبغى أن تكون أبا عيسى وأبا زكريا وأبا إبراهيم، وعلى رداء قطن أبيض، وكان ينبغى أن يكون ردائى حريرا أسود، ولفظى عربى، وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جنديسابور»[٥].

وقد بلغ التأثير الإغريقى فى الطب العباسى أوجه فى عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) بفضل تشجيعه لحركة الترجمة. ويعتبر يوحنا بن ماسويه الجنديسابورى (المتوفى٢٤٣هـ/٨٥٧م) من الأطباء البارزين الذين رعوا حركة الترجمة فى بغداد على عهد الخليفة المأمون إلى خلافة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٦١م).

---

١) عيون الأنباء ص٢٢٨ - ٢٢٩.

٢) الفهرست ص٤١٣، إخبار العلماء للقفطى ص١٤١، عيون الأنباء ص٢٣٠.

٣) عيون الأنباء ص٢٤٥.

٤) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٤٢ - ٢٤٦.

٥) الجاحظ: البخلاء - ط دار المعارف - ص١٠٢. وراجع: طه عبد المقصود عبد الحميد: الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية فى مدينتى البصرة والكوفة فى العصر العباسى الأول - رسالة ماجيستير - دار العلوم - ١٩٩٣ م - ص٦٩٩ - ٧٠٠.

وكان مسيحيا سريانيا. وقد ترجمت باسمه الكثير من كتب الطب، والذى قام بترجمتها هو حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م) أحد أشهر النقلة فى ذلك العصر[١]، وكان تلميذا لابن ماسويه، واشتغل عليه بصناعة الطب حتى أصبح من أعلامه فى بغداد. وهذا العالم هو الذى عنى بمصنفات أبقراط وجالينوس، ونقلها إلى العربية ولخصها أحسن تلخيص، وكشف ما استغلق منها، «حتى إنه فى غالب الأمر لايوجد شئ من كتب جالينوس إلا وهو بنقل حنين أو بإصلاحه لما نقل غيره»[٢].

وقد ذكر جورجى زيدان فى كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى) قائمة تضم أكثر من ثمان وخمسين كتابا فى علم الطب لأبقراط وجالينوس قام حنين بن إسحق بترجمة ما يقرب من نصفها، وترجم النصف الآخر تلميذه فى الطب وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم النصرانى (المتوفى حدود ٢٧٠هـ/٨٨٣م)[٣]. وبهذا الخصوص يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا «ترجم حنين بن إسحق سبعة كتب من كتب أبقراط العشرة إلى العربية، وترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين، وترجم منها إلى العربية تسعة وثلاثين، أخلدها كتاب "التشريح" وكتاب " البرهان " الذى قال عنه حنين: إننى جبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر و لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق»[٤].

ويعد كتاب " **الفصول** " لأبقراط من أهم الكتب الطبية المترجمة فى بغداد عن التراث اليونانى. ترجمه حنين بن إسحق، وترجمه غيره. وهذا الكتاب كما يقول ابن أبى أصيبعة: «يقع فى سبع مقالات، وضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانين فى نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من أعمال الطب، وهو يحتوى على مجمل ما أودعه فى سائر كتبه. ...»[٥].

و لم يكتف علماء بغداد بنقل طب اليونان إلى العربية، وإنما نقلوا أيضا كثيرا من إنتاج الهنود والفرس فى هذا العلم. وكان لعلماء الهند المتميزين فى الطب والصيدلة دور بارز فى ترجمة الكتب الطبية من اللغة الهندية، وهى كثيرة وإن لم يصل إلينا من أخبارها إلا القليل.

---

١) راجع عن حنين بن إسحق (ص ٣٠٠) من الفصل الخاص بحركة الترجمة.

٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٦٢.

٣) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج ٣ ص١٧٣ – ١٧٤.

٤) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص١٦٧، د. على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص٧٣ – ٧٤.

٥) عيون الأنباء ص٥٤.

وقد عرفنا سلفا أن البرامكة كانت لهم عناية فى استقدام أطباء الهند إلى بغداد[١]، فاعتمد عليهم الخلفاء العباسيون وعامة الناس فى التداوى وتركيب الأدوية، وتركوا كتبا مهمة فى هذا الباب مترجمة ومصنفة[٢]

مآثر علماء العرب والمسلمين فى علم الطب (مدرسة بغداد / المشرق):

ولم يكد عصر الترجمة ينصرم حتى كانت مؤلفات الطب المترجمة عن اليونان والهنود فى متناول أطباء المسلمين فى بغداد مركز الحضارة الإسلامية. وقد أقبل هؤلاء - كعادتهم فى تعاملهم مع العلوم الأخرى المنقولة عن الأوائل - على فحص ما جاء فى هذه الكتب من معلومات، وصححوا ما ورد فيها من أخطاء، ثم أضافوا إليهـــا الكثير من خلال ما وضعوه من مؤلفات طبية جديدة نتيجة للتجربة والملاحظة.

وهذا ما يقرره (فرانشيسكو فرانكو سانشت) فى مقال له عن تطور الطب فى الأندلس[٣]. ويقول (هـــل) فى كتابه " الحضارة العربية ": «إذا كان الأطباء الأول فى بغداد قد انهمكوا فى ترجمة مؤلفات أسلافهم إلى العربية، ولاسيما أعمال أبقراط فإن الأطباء المتأخرين (كالرازى وعلى بن ربن وابن سينا وابن التلميذ وابن ملكا) استطاعوا إبعاد أعمال جالينوس وأبقراط، وأحلوا محلها كتبهم الخاصة فى معاهد الدراسة لمدى قرون طويلة»[٤].

وإذا أردنا النظر فى مآثر علماء العرب والمسلمين فى مجال الطب خلال قرنين من الزمان (الثالث والرابع الهجريين) - وفى إطار المدرسة البغدادية / المشرقية فقط - فإن ذلك أمر يطول. وعلى الرغم من الدراسات العديدة التى أفردت لهذا الأمر فإن الإحاطة به من الأمور الشاقة التى يعسر تحقيقها إلا من خلال لجنة علمية متخصصة. وسنكتفى هنا بذكر بعض المآثر التى أصبحت تمثل الأساس العلمى الذى قام عليه علم الطب فيما بعد، وذلك بالتركيز على ثلاث لقطات هى:

أولا: اتباع المنهج العلمى التجريبى فى الطب، سواء فى التأليف أو البحث أو التطبيق. والمقصود بالمنهج التجريبى فى العلوم الطبية مجموعة الطرق والأساليب والقواعد التى

---

١) راجع (ص ٢٩٦ - ٢٩٧) من الفصل الخاص بحركة الترجمة.

٢) راجع عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة - باب (طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند) ص٤٧٣ - ٤٧٧.

٣) المجلة العربية الثقافية (تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية) - السنة الرابعة عشر - العدد (٢٧) - ص١٨١ وما بعدها. وراجع حول هذا المعنى كلاما لماكس مايرهوف (الألمانى): كتاب أعلام العرب والمسلمين فى الطب للدكتور على عبد الله الدفاع ص٣٩.

٤) هل: الحضارة العربية ص١١٢ - ترجمة د. إبراهيم أحمد العدوى (القاهرة ١٩٥٦م).

اهتدى إليها الأطباء العرب والمسلمين من خلال ممارستهم للمهنة، فلم يكتفوا بالخبرة العلمية وما ورثوه عن الأوائل، وإنما اعتمدوا التشريح وعلم وظائف الأعضاء، كما استخدموا أسلوب التشخيص، إضافة إلى منهج العلة والمعلول واختبار الأدوية[١].

وينقسم الأطباء المسلمون من هذه الزاوية إلى مجموعتين[٢]؛ الأولى: مجموعة الممارسين الذين اهتموا فى المقام الأول بتشخيص المرض وعلاجه، معتمدين على المشاهدات والملاحظات. وتأتى الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية. ويمثل هذه المجموعة أبو بكر الرازى (المتوفى ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م)، وكان رئيس البيمارستان ببغداد فى عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/٨٩٢ - ٩٠١م). أما الفريق الثانى: فهو فريق المدرسيين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لاغنى عنه، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى تحصيل الطب بأسلوب منطقى، ولهذا أطلق عليهم " الفلاسفة الأطباء "، ويمثلهم ابن سينا (المتوفى٤٢٨هـ/١٠٣٦م). وكلا الفريقين اتبع المنهج العلمى التجريبى بصرف النظر عن كونه غاية أو وسيلة.

لقد أدرك هؤلاء الأطباء أن الطب السريرى للتعرف على تاريخ المرض وتسجيل الملاحظات ونتائج الفحوص والمعاينة ومراقبة تغيراتها هى أمور لايمكن الاستغناء عنها. وكان الرازى بارعا ودقيقا فى دراسة الحالات المرضية، وجاء القسم الأكبر من كتابه "الحاوى " عبارة عن سجل دقيق لملاحظاته على مرضاه. ويقول فى كتابه " المرشد ": «ليس يكفى فى أحكام صناعة الطب قراءة كتبها، بل يحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى، إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول علاج المرضى يستفيد من قبل التجربة الكثير، ومن زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة. ..» [٣]. ويقول أيضا محذرا من سوء فهم جهال الأطباء: «إنهم ينظرون فى الكتب فيستعملون منها العلاجات، وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ليست هى أشياء تستعمل بأعيانها، بل هى مثالات جعلت ليحتذى عليها وتعلم الصناعة منها» [٤].وينقل عنه ابن أبى أصيبعة قوله: «العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل

---

١) حضارة العراق ج ٨ ص٣٨٢.

٢)د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص١٧٢. وراجع د. أحمد شلبى: تاريخ الطب فى الإسلام (سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار - الكتاب رقم ٥٣ - ص٢٥ - ٢٦، تحت عنوان " أطباء فلاسفة وفلاسفة أطباء")

٣) د. أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق ص١٧٣.

٤) جلال موسى: منهج البحث العلمى عند العرب ص١٨٣.

نبات فى الأرض، فعليك بالأشهر مما أجمع عليه، ودع الشاذ، واقتصر على ما جربت»[١]. وفى هذا كله إشارة صريحة إلى وعى الأطباء المسلمين بقواعد التجربة ودورها الحقيقى فى منهج البحث الطبى. ويؤيد ذلك أيضا قول ابن سينا: «رغبت فى علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه. وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم أنى برزت فيه فى أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون على علم الطب، وتعهدت المرضى فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لايوصف...»[٢].

- **امتحان الأطباء:**

وإمعانا من الأطباء العرب والمسلمين فى عصر النهضة الإسلامية فى بغداد - وغيرها من الحواضر المرتبطة بها - إمعانا منهم لأهمية الطريقة العلمية إلى جانب الدراسة النظرية فى تعليم الطب والوصول إلى الحقائق العلمية فإنهم لم يكونوا ليسمحوا بممارسة الطب إلا بعد اجتياز امتحان فى كتب التخصص المعروفة فى ذلك العصر، والتأكد من سعة ثقافة الطلاب النظرية والعملية فى مجال تخصصهم، والوثوق من مهارتهم ومقدرتهم على التشخيص والعلاج. مثال ذلك ما ذكره ابن أبى أصيبعة فى " عيون الأنباء " أن الخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ - ٩٣٢م) عهد فى عام ٣١٩هـ/٩٣١م إلى الطبيب سنان بن ثابت بن سنان بن قرة الحرانى البغدادى بامتحان المتطببين فى بغداد إثر وفاة أحد العامة نتيجة جهل أحد الأطباء، «وحدد لكل واحد منهم ما يصلح له، وما يمكن أن يتصدى له، وبلغ عددهم فى جانبى بغداد ثمانمائة ونيفا وستين رجلا، سوى من استغنى عن محنته (امتحانه) باشتهاره بالتقدم فى صناعته، وسوى من كان فى خدمة السلطان»[٣]. هذا، وقد اهتم كبار الأطباء فى بغداد بتأليف كتب خاصة بامتحان الأطباء، وممن صنف فى ذلك الطبيب الكبير والمترجم القدير حنين بن إسحق العبادى البغدادى (المتوفى ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م)[٤].

ثانيا: التخصص فى فروع الطب المختلفة:

ويعد التخصص فى الطب من أهم منجزات الحضارة الإسلامية التى شهدتها بغداد خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة - وما بعدهما بالطبع. فقد وجد بين الأطباء فى تلك الفترة: متخصصون فى علاج الأمراض الباطنية ويسمون " الطبائعيون"، ومتخصصون فى إجراء

---

١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٤٢٠.
٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٤٣٨.
٣) عيون الأنباء ص٣٠٢، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٣٠.
٤) عيون الأنباء ص٢٧٣.

العمليات الجراحية، ويسمون " الجرائحيون "، وآخرون يتولون علاج العظام وتجبيرها، ويسمون "المجبرون ". كما وجد من مارس طب العيون ويسمون " الكحالون"، وكذلك طب الأسنان، وطب النساء، وطب الأطفال، والطب النفسى والعقلى[١]. وفيما يلى نقف عند اثنين من هذه التخصصات هما: طب العيون، وطب الجراحة والتشريح فى إطار مدرسة (بغداد/المشرق)، وفى حدود القرنين المذكورين.

طب العيون:

تناول أطباء (بغداد/المشرق) أمراض العيون بكل عناية واهتمام حتى قيل: «إن طب العيون من اختراع العرب»، حيث بلغ هذا العلم ذروته بجهودهم التى ظلت الحجة الأولى خلال عصور طويلة، فلم يطاولهم فى هذا الميدان لا اليونان من قبلهم ولا اللاتين الذين عاصروهم أو أتوا من بعدهم[٢].

ولا شك فى أن علماء العرب والمسلمين اعتمدوا على معلومات الإغريق (اليونان) فى هذا العلم المهم، وقد ظهر أثر ذلك واضحا فى مؤلفاتهم، ولكنهم توصلوا بتجاربهم الخاصة إلى تطورات جديدة، مما جعل هذا الفرع يتطور على أيديهم تطورا هائلا، وأثمر مؤلفات هامة يأتى فى مقدمتها كتاب " العشر مقالات فى العين " الذى صنفه الطبيب والمترجم الكبير حنين بن إسحق العبادى البغدادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م). وهذا الكتاب اكتسب شهرة واسعة فى مجال الكحالة بدليل أن المحتسب كان لايسمح لأحد بممارسة هذه الصنعة قبل التأكد من معرفته بمضمون هذا الكتاب[٣]. وقد ذكر ابن أبى أصيبعة الأغراض التى تضمنها، وهى: المقالة الأولى: عن طبيعة العين وتركيبها. والثانية: عن طبيعة الدماغ ومنافعه. والثالثة: فى العصب الباصر والروح الباصر، وفى نفس الإبصار، وكيف يكون. والرابعة: تحتوى على أشياء عديدة عن علامات أمراض العين. والسابعة: عن الأدوية العامة. والثامنة: عن أجناس أدوية العين. والتاسعة: عن مداواة أمراض العين. والعاشرة: فى الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين. وقد وجدت مقالة أخرى مضافة إلى هذا الكتاب يذكر فيها علاج الأمراض التى تعرض فى العين بالحديد (أى بالقدح)[٤].

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص١٥١ - ١٥٢.

٢) على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص٥٨.

٣) عبد الرحمن الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص١٠٠ (القاهرة ١٩٤٦ م، نشر السيد الباز العرينى)، ابن الإخوة: معالم القربة فى أحكام الحسبة ص٢٥٧ (نشر روبن ليفى - كمبردج ١٩٣٧م).

٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٧١ - ٢٧٢.

صفحة من مخطوط (العشر مقالات فى العين) لحنين بن إسحق العبادى البغدادى
وهى نموذج لعضلات العين

وقد صنف حنين بن إسحق مؤلفات أخرى فى طب العيون «مشهورة بالجودة» كما يقول ابن أبى أصيبعة[١]. منها كتاب " فى العين " فى ثلاث مقالات على صورة سؤال وجواب، ويحتوى على مائة مسألة وتسع مسائل. وكتاب آخر فى " تركيب العين"[٢]..

ومن مؤلفات البغداديين فى طب العيون: رسالة فى مداواة علل العين بشكل منظم، عرفت باسم " دغل العين "، ليوحنا بن ماسويه (المتوفى٢٤٣هـ/٨٥٧م) وهو أستاذ حنين ابن إسحق[٣].

وصنف على بن عيسى الكحال (المتوفى حدود سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) كتاب " تذكرة الكحالين "، وهو من أشهر كتب العراقيين التى سطرت فى هذا المجال. قال عنه ابن أبى أصيبعة: «وهو الذى لابد لكل من يعانى صناعة الكحل (طب العيون) أن يحفظه، وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التى ألفت فى هذا الفن وصار مستمرا عندهم»[٤]. ويتضمن هذا الكتاب معلومات قيمة عن تشريح العين وطبقاتها، ووصف مفصل لمائة وثلاثين مرضا من أمراض العين وعلاماتها وطرق مداواتها بمائة وثلاثة وأربعين دواء[٥]. كل ذلك ضمن ثلاث مقالات يتكون منها الكتاب: الأولى: فى تشريح أعضاء العين ووظائفها. والثانية: فى أمراض العين الظاهرة. والثالثة: فى الأمراض الباطنة للعين[٦].

وهناك عالم من أعظم أطباء المسلمين فى طب العيون، وهو أبو القاسم عمار بن على الموصلى (المتوفى٤٠٠هـ/١٠٩٠م). أصله من العراق (الموصل). ولكن ذاعت شهرته فى بلاط الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ/٩٩٦ - ١٠٢٠م). وقد وضع كتابا سماه " المنتخب فى علاج أمراض العين " المعروف أيضا باسم " المنتخب فى علم العين

---

١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٦٢.

٢) عيون الأنباء ص٢٧٢، ٢٧٣. وفى المكتبة العامة بجامعة الإسكندرية مخطوط رقم (٥١) بعنوان (كتاب حكمة العين) ومخطوط رقم (٢٢٤) بعنوان (رسائل فى العين) وكلاهما منسوب لحنين بن إسحق.

٣)عيون الأنباء ص٢٥٥.

٤)عيون الأنباء ص٣٣٣.

٥) فيليب حتى: تاريخ العرب ص٤٣٩ (ط بيروت ١٩٨٦م)، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى ص١٦١، على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص٦١.

٦) على بن عيسى: تذكرة الكحالين (المقدمة) - طبع حيدر أباد الدكن (١٩٦٤م) وراجع: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور فرج محمد الهونى ص٩١ - ٩٢.

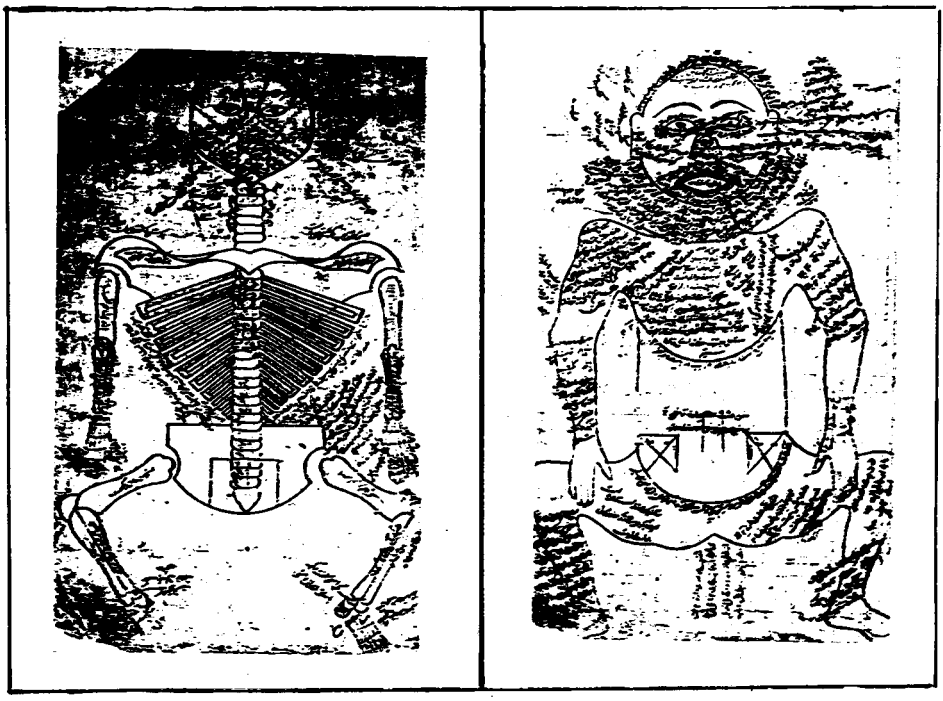

رسمان توضيحيان يمثلان تشريح العين، عن نسخة من كتاب تذكرة الكحالين
لعلى بن عيسى (المتوفى ٤٣٠هـ/١٠٣٩م)

وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد"[١]. ضمنه العديد من الملاحظات الجديدة والمبتكرة فى مداواة علل العين، من بينها شرح لست عمليات لقدح الساد (الماء الأبيض)، إحداها عن طريق المص بواسطة أنبوب زجاجى دقيق يعرف بالمهت[٢].

(٢) طب الجراحة والتشريح:

وقد تقدم علم الجراحة وارتفع شأنه بين فروع الطب بفعل العديد من الأطباء العرب والمسلمين الذين برعوا فى إجراء العمليات الجراحية بآلات وأدوات مناسبة، وأظهروا دراية فائقة فى جراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم، كالأعصاب والعظام والعيون والأذن والأسنان والفتوق وتفتيت الحصاة داخل المثانة، واستئصال الأورام بأنواعها، واستخدموا الخيوط المصنعة من أمعاء الحيوانات فى تخييط الجروح بعد العمليات الجراحية.

ومن أعلام مدرسة (بغداد/المشرق) فى علم الجراحة: أبو الحسن على بن ربن الطبرى/ البغدادى (المتوفى٢٣٦هـ/٨٥٠م) فى كتابه "فردوس الحكمة"[٣]، وعلى بن عباس المعروف بابن المجوسى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٤٤م) الذى كتب فصلا خاصا عن الجراحة فى كتابه " كامل الصناعة الطبية " المعروف " بالملكى "، وهذا الفصل تضمن وصفا لبعض الجراحات، كالشق العجانى عن الحصاة، وعلاج الشريان العضدى الذى كان كثير الإصابة أثناء عملية الفصد؛ إذ يوصى أنه فى حالة عدم جدوى القابضات والكى بضرورة ربط الشريان من ناحيتين، وقطع ما بين الرباطين[٤]. ويأتى وصفه لإحدى عمليات استئصال الورم - فى كتابه المذكور - دليلا على المستوى الرفيع الذى وصل إليه علم الجراحة فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى[٥].

ويعد أبو بكر الرازى/ البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) من أوائل الذين أشاروا إلى

---

١) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٥٤٩، عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب ص٢٨٣. حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات فى تاريخ العلوم ص٦٤، ألدوميلى العلم عند العرب (مترجم) ص٢٤٠.

٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص١٦٠ - ١٦١، محمود الحاج قاسم: طب العيون عند العرب - بحث منشور بمجلة المورد، المجلد الرابع - العدد الثانى ١٩٧٥ م - ص٥٢ - ٥٣.

٣) سيأتى حديث خاص عن ابن ربن الطبرى/ البغدادى وكتابه فردوس الحكمة - انظر (ص ٣٩٤).

٤) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص١٥٢، محمد كامل حسين: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة ص١٠٠، على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص٥٦.

٥) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص١٧٨ - ١٧٩.

الجراحة التجميلية كفرع من فروع الجراحة[١]. وتضمن السفر الحادى والعشرين من كتابه (الحاوى) العديد من المعلومات عن جراحات أعضاء التناسل والمقعدة والعضل والأوتار والأربطة، وجراحات الدماغ والخراجات الحادثة فى داخل الأذن وإزالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها، وجراحة البطن والأمعاء وخياطة الجروح[٢].

أما التقدم الحقيقى فى الجراحة فينسب بالدرجة الأولى إلى الطبيب القرطبى الأندلسى أبى القاسم خلف بن عباس الزهراوى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٣م) الذى أصبح رائدا فى هذا العلم، وفرق بينه وبين غيره من الموضوعات الطبية، وجعل منه فرعا أساسيا من فروع الطب. وسوف نعرض لجهوده فى هذا المجال فى حينه إن شاء الله[٣].

ولا تستقيم الجراحة بغير ممارسة التشريح، ولذا اشترط الأطباء العرب والمسلمين على اختلاف تخصصاتهم أن تكون لهم معرفة بعلم التشريح ووظائف الأعضاء. وكان منهم من زاول التشريح بالفعل، إما للغاية العلمية، أو ابتغاء معرفة العلل والأمراض. وقد اختلفوا مع أطباء اليونان فى كثير من آرائهم حول تشريح الأعضاء[٤].

ويعد الرازى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) من أوائل الأطباء المسلمين الذين كتبوا فى علم التشريح ومارسوه عن دراية واقتدار، وكان يؤكد على أن الطبيب يحتاج لمعرفة علل الأعضاء الباطنة إلى العلم بجواهرها أولا بأن تكون شوهدت بالتشريح، وإلى العلم بمواضعها من البدن، والعلم بأفعالها (الفسيولوجيا) وبما تحتوى عليه (المورفولوجيا) وبفضولها التى تدفع عنها (طبائع الأمراض)، «لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب»[٥].

وممن مارس التشريح على الحيوانات: الطبيب البغدادى يوحنا بن ماسويه (المتوفى٢٣٤ هـ/٨٥٧م)، قام بتشريح قرد كبير، وسجل ما توصل إليه من نتائج فى كتاب له قال عنه «لم يوضع فى الإسلام مثله»[٦]. وقد ذكر له ابن أبى أصيبعة من بين كتبه الطبية الكثيرة كتابا يحمل عنوان " التشريح"[٧].

---

١) على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص٥٦.
٢) محمد كامل حسين: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة ص٩٨ - ٩٩.
٣) راجع عن جهود الزهراوى فى الطب (ص ٩١١ - ٩١٦).
٤) حضارة العراق ج ٨ ص٤٠٠ - ٤٠٢، د. فرج محمد الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص٧٣.
٥) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص١٧٣.
٦) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٥٠.
٧) عيون الأنباء ص٢٥٥. وسيأتى ذكر يوحنا بن ماسويه فى علم الصيدلة (ص ٤٠٨).

ثالثا: بناء البيمارستانات:

ومن أعظم إنجازات المسلمين فى مجال الطب بناء البيمارستانات[١] لا فى بغداد وحدها، وإنما فى شتى أنحاء العالم الإسلامى. وقد شهدت بغداد البداية الحقيقية لبناء البيمارستانات بكل تجهيزاتها، ثم تأثرت بها بقية المدن الإسلامية الكبرى، شرقا وغربا.

ولم يعرف البيمارستان بالشكل المحدد له ونظام إدارته وأقسامه إلا على يد المسلمين الذين توسعوا فى بنائها كمستشفيات كاملة متطورة أعدت للخدمات الصحية وتقديم العلاج للمرضى على مختلف حالاتهم، ويدرس فيها الطب نظريا وعمليا، بل وتحولت إلى مستشفيات متخصصة فى مجالات الطب المختلفة، مزودة بأطباء وصيادلة مختصين وإداريين ومكتبات غنية بمراجعها[٢].

ولا يعنينا الآن أن نتتبع تاريخ البيمارستانات منذ نشأتها فى الإسلام ومرورا بالدولة الأموية، ثم الدولة العباسية[٣]. لكن الذى نريد أن نؤكد عليه بهذا الخصوص أن بيمارستانات بغداد - وخصوصا فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) - لم تكن مجرد مؤسسات علاجية فقط، وإنما كانت بمثابة مدارس (أو معاهد) علمية لتدريس الطب بالمعنى الصحيح، ويفد إليها الطلاب من كل ناحية يتلقون فيها العلوم الطبية، ويستمعون إلى شرح الأساتذة فى حلقات خاصة تعقد فى هذه البيمارستانات[٤]، أو فى قاعات المرضى لملاحظة ما يقوم به

---

١) البيمارستان - بفتح الراء وسكون السين - كلمة فارسية مركبة من (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب. و (ستان) بمعنى: مكان أو دار، فيكون معناها: دار المرض. ثم اختصرت فى الاستعمال فصارت (مارستان). وكانت البيمارستانات عبارة عن مستشفيات عامة تعالج فيها كافة الأمراض والعلل - راجع: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، تأليف أحمد عيسى ص٤ (ط دمشق ١٩٣٩م)، د. محمد فرج الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٩٣.

٢) د. محمد الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٩٧.

٣) عنى عدد من الباحثين فى تاريخ الحضارة الإسلامية عامة وفى تاريخ الطب الإسلامى خاصة - عنوا بتاريخ البيمارستانات فى الإسلام وما كانت تقوم عليه من نظام. ومن أهم هذه الدراسات: كتاب "تاريخ البيمارستانات فى الإسلام - لأحمد عيسى (ط دمشق ١٩٣٩م) وكتاب تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور محمد الهونى (ص ١٩١ - ٢٣٤) وغيرها.

٤) للوقوف على صورة من جلسات تعليم الطب فى أوائل القرن الرابع الهجرى ببغداد راجع عيون الأنباء ص٤١٦، وراجع تفاصيل أكثر عن تدريس الطب فى البيمارستانات: حضارة العرب لوغستاف لوبون ص٤٩٢ - (٤٩٣ ط القاهرة ١٩٥٦ م - ترجمة عادل زعيتر)، تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية لمحمد الهونى - ص٢٠٨، شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكة، ص٢٩٦.

الأطباء من تشخيص الأمراض، وإعطاء الأدوية اللازمة، وإجراء العمليات الجراحية.

وشئ آخر لابد من الإشارة إليه وهو أن الضرورة اقتضت أن يكون لدى المسلمين نوعان من البيمارستانات[١]؛ الأول: بيمارستانات ثابتة، وهذه كانت مزودة بقاعات فسيحة وغرف للمرضى والأطباء، وغير ذلك من نظام دقيق يتقيد به المرضى والمشرفون. والنوع الثانى: بيمارستانات متنقلة من مكان إلى آخر، ومزودة بما تحتاجه من الأدوية والأدوات الطبية. وهذا النوع - الذى أشرف عليه رجال الحكم فى بغداد - أنشئ نتيجة لأسباب عديدة، منها الحروب وضرورة معالجة المصابين بسرعة لتقليل الخسائر، والوقاية من انتشار الأوبئة فى المناطق البعيدة عن المدن، وعدم وجود بيمارستانات أو أطباء فى مناطق أخرى بحيث لايستطيع المصاب أن ينتقل إلى المدينة بسهولة. ومن الأمثلة على ذلك مايرويه ابن أبى أصيبعة أن الوزير على بن عيسى بن الجراح وزير الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ - ٩٣٢م) كتب إلى رئيس بيمارستان بغداد أبى سعيد سنان بن ثابت بن قرة (المتوفى ٣٣١هـ/٩٤٢م) فى سنة كثرت فيها الأمراض - كتب إليه يقول: «فكرت فيمن فى السواد[٢]من أهله فإنه لايخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب، لخلو السواد من الأطباء، فتقدم بإنفاذ متطببين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون فى السواد، ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إليه، ويعالجون من فيه من المرضى، ثم ينتقلون إلى غيره. ..فاعمل أكرمك الله على ذلك، واكتب إلى أصحابك به، ووصهم بالتنقل فى القرى والمواضع التى فيها الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية»[٣].

وبرزت أهمية هذا النوع من البيمارستانات المتنقلة أيضا فى خدمة الحبوس (السجون)، وقد كتب الوزير على بن عيسى - المذكور - إلى الطبيب سنان بن ثابت أيضا بما نصه: «فكرت - مد الله فى عمرك - فى أمر الحبوس، وأنهم لايخلون من كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض، وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فى أمراضهم، فينبغى - أكرمك الله - أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم فى كل يوم

---

١) راجع د. أحمد شلبى: تاريخ الطب فى الإسلام - ص٢٤ (سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار- رقم ٥٣).

٢)أرض السواد بالعراق، وتمتد طولا من الحديثة بالموصل (شمالا) إلى عبادان (جنوبا) ويتحدد عرضه من أرض حلوان (غربا) وينتهى إلى منتهى طرف القادسية المتصلة بالعذيب (شرقا) - راجع تفصيلات أخرى عن السواد فى رسالتنا (الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية فى مدينتى البصرة والكوفة فى العصر العباسى الأول-ص٢) وهى رسالة ماجستير بدار العلوم ١٩٩٣م.

٣)عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٣٠١.

يحملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون إليه من المزورات، وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى، ويريحوا عللهم فيما يصفونه لهم إن شاء الله تعالى» [١].

إن هذه النصوص تعكس بوضوح المستوى الحضارى الراقى الذى كان العرب والمسلمون يعيشونه فى عصر النهضة الإسلامية فى بغداد. ولقد حدث ذلك فى الوقت الذى كانت فيه أوربا على النقيض منه تماما.

أما عن نظام العمل فى البيمارستان فكان يقوم على أسس غاية فى الدقة والنظام. من ذلك أنه كان مقسما قسمين منفصلين: قسم للرجال، وآخر للنساء. وكل قسم يحتوى على غرف وقاعات، منها ما هو للأمراض الداخلية (الباطنية)، ومنها ما هو لأمراض العيون، ومنها ما هو للجراحة والكسور والتجبير. وقسم الأمراض الداخلية مقسم هو الآخر إلى غرف، منها للحميات ومنها لحوادث الإسهال، ومنها للأمراض العقلية. وهناك قسم خاص أو غرف خاصة للناقهين[٢]. وقد كان للبيمارستان رئيس يتولى جميع شؤونه وأقسامه، ويسمى «ساعور» [٣] وهو رئيس الأطباء. ويوجد لكل جناح أو قسم رئيس، مثل رئيس الكحالين ورئيس الباطنية. كما ألحقت بكل بيمارستان صيدلية يشرف عليها رجل متخصص فى الأدوية والعقاقير، يطلق عليه " شيخ صيدلانى البيمارستان " وله معاونون[٤].

أما عدد الأطباء بالبيمارستان فكان يتوقف على سعته. فقد يكون به أربعة أو ستة أو عشرة أطباء، أو أكثر من ذلك. ويروى أن البيمارستان العضدى فى بغداد - المنسوب لعضد الدولة البويهى[٥]، وهو أكبر البيمارستانات الإسلامية - كان يضم أربعة وعشرين طبيبا، ما بين طبائعيين وكحالين ومجبرين (للعظام) وأطباء عيون، وقد ذكر ابن أبى أصيبعة بعض أسمائهم[٦]. هذا إلى جانب الغلمان، وهم الموظفون الصحيون والمضمدون والخدم على اختلاف أنواعهم، من فراشين وطباخين وكناسين وخدم المرضى، وكذلك الصيادلة

---

١) عيون الأنباء ص٣٠١.

٢) راجع: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام لأحمد عيسى ص١٨ - ١٩، تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية لمحمد الهونى ص٢٠١.

٣) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٣٤٩، ٤١٥ - ٤١٦.

٤) عيون الأنباء ص٤١٥، د. محمد الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص٢٠١ - ٢٠٢.

٥) سبق التعريف به فى الفصل الخاص بعلم الفلسفة (ص ٣٢٢).

٦) عيون الأنباء ص٤١٥، ٤١٦، ص٣٤٩.

والمساعدون لهم فى تحضير الأدوية وتركيبها[١].

وكان الأطباء يتناوبون العمل فى البيمارستان؛ حيث كان لكل طبيب وقت معين (نوبة) لزيارة قاعته التى يقوم فيها بمعالجة المرضى. وكان بعضهم يلازم البيمارستان يوما واحدا فى الأسبوع، أو يومين، أو أكثر حسب عدد الأطباء، وربما لازم بعضهم البيمارستان ليلاونهارا[٢]. وبهذا الخصوص يروى ابن أبى أصيبعة أن الطبيب البغدادى جبرائيل بن عبيد الله ابن بختيشوع (المتوفى٣٩٦هـ/١٠٠٥م) رئيس البيمارستان العضدى ببغداد - كان له نوبة فى الأسبوع: يومان وليلتان، وكان يتقاضى راتبا قدره ثلاثمائة درهم شجاعية، سوى الجراية[٣].

هذا، وقد عنى علماء بغداد بوضع مؤلفات خاصة بتشييد البيمارستانات وتنظيمها ونظام العمل بها وإداراتها. ومن أهم هذه المؤلفات: كتاب " صفات البيمارستان " لأبى بكر الرازى البغدادى (٣٢٠هـ/٩٣٢م). وقد سجل فيه ما كان يلاحظه من أحوال المرضى الذين كانوا يعالجون تحت يديه فى البيمارستان الذى كان يشرف عليه ببغداد فى عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢هـ -٩٠١م)، وهو البيمارستان الذى طوره فيما بعد عضد الدولة البويهى سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، ونسب إليه، ويقع على طرف الجسر فى الجانب الغربى من بغداد[٤]. ويعد من أشهر البيمارستانات على الإطلاق كما ذكرنا قبل قليل، وظل هو النمط السائد فى جميع مدن وحواضر العالم الإسلامى، فأسست بيمارستانات عديدة بنفس تصميمه، فى واسط والموصل والرقة وحران وأنطاكية ودمشق والرى ومصر وبلاد المغرب والأندلس[٥].

بعض أعلام الطب فى (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة:

تلك ثلاث لقطات من المآثر التى تنسب لعلماء العرب والمسلمين فى مجال الطب، مع مراعاة أننا لم نتجاوز فى عرضنا السابق حدود القرن الرابع الهجرى، ولم نخرج عن إطار

---

١) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ص٢٠، ٤٠، محمد الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص٢٠٢.

٢) د. محمد الهونى: المرجع السابق ص٢٠٨.

٣)عيون الأنباء: ص٢١١.

٤) عيون الأنباء ص٢١١، ص٤١٥.

٥)راجع: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٩٧ - ١٩٨، ص٢١٢ - ٢١٣. ولمزيد من المعلومات عن عدد من البيمارستانات التى بنيت فى بغداد خلال القرنين (٣، ٤هـ) راجع: عيون الأنباء ص٣٠٢، ٣٠٤ - ٣٠٥، ص٣١٦. إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٣٣، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص١٧٠ - ١٧٢.

المدرسة البغدادية / المشرقية.

ويقتضينا سياق البحث أن نقف بإيجاز عند بعض أئمة الطب الذين برزوا فى مدرسة (بغداد/المشرق) خلال القرنين المذكورين. وإذا ما استثنينا عددا من كبار البغداديين مثل يوحنا ابن ماسويه (المتوفى ٢٣٤هـ/٨٥٧م) وحنين بن إسحق (المتوفى٢٦٠هـ/٨٧٣م) وسنان بن ثابت بن قرة الحرانى (المتوفى٣٣٦هـ/٩٤٧م) وابنه ثابت (المتوفى٣٦٥هـ/٩٧٥م) وقسطا ابن لوقا (المتوفى ٣٠٠هـ/٩١٢م) والكندى الفيلسوف (المتوفى٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) وغيرهم. وجميعهم تركوا تراثا ضخما فى فروع الطب المختلفة، ترجمة وتأليفا - إذا استثنينا هؤلاء فإن هذه الدراسة لاتكتمل عناصرها بدون الوقوف عند أربعة من رواد علم الطب فى بغداد وحواضر العالم الإسلامى المرتبطة بعاصمة الخلافة، نظرا لما خلفوه من موسوعات طبية ضخمة كان لها الأثر الكبير فى تقدم هذا العلم ونضجه وازدهاره. وهؤلاء الأربعة هم:

الأول: على بن ربن الطبرى/البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م):

وهو من كبار علماء الطب والصيدلة. مولده ومنشؤه بمرو (من طبرستان) وبها تعلم على والده علوم الفلسفة والطب والصيدلة والهندسة وعددا من اللغات، ثم انتقل إلى بغداد لمزيد من العلم، فأقام بها، وكان نصرانيا فأسلم على يد الخليفة المعتصم، وقربه إليه واتخذه طبيبا خاصا، ثم أدخله المتوكل (المتوفى٢٣٢ - ٢٤٧هـ/٨٤٦ -٨٦١م) فى جملة ندمائه[١].

وقد ترك على بن ربن مؤلفات عديدة، وأكثرها فى الطب والصيدلة. ولعل أشهر كتبه هو " فردوس الحكمة "، حيث اعتبره مؤرخو العلوم موسوعة فى الطب والصيدلة، وأول كتاب عربى منظم فى هذا الفن[٢]، ويحتوى على فصول كثيرة مبوبة تبويبا فنيا، ويصفه القفطى وابن أبى أصيبعة بالقول: «جعله فى سبعة أنواع، والأنواع تحتوى ثلاثين مقالة، والمقالات تحتوى على ثلاثمائة وستين بابا» [٣]. وقد اهتم فيه مؤلفه بالطب اهتمامه بالفلسفة وعلم النفس وعلم الحيوان وعلم الأجنة وعلم المعادن، واستعان فى تأليفه بكتب أبقراط

---

١) له ترجمة فى الفهرست ص٤١٢، عيون الأنباء ص٤١٤، تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور محمد الهونى ص١٢٨، إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم الصيدلة للدكتور على عبد الله الدفاع ص١٦٠، د. أحمد شلبى: تاريخ الطب فى الإسلام ص٣١ (سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار - رقم ٥٣).

٢) الدفاع: المرجع السابق ص١٦٢.

٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص١٥٥، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٤١٤.

وجالينوس ويوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحق[١]. واهتم فيه على وجه الخصوص بالطب الهندى وجعل له قسما خاصا، وتوسع كثيرا فى وصف تشريح الجسم[٢]. ويعد الجزء الرابع - الذى يختص بالأمراض العامة والخاصة وعلاجها - أنفس ما جاء فى ذلك الكتاب[٣].

وقد كان لأبى الحسن على بن ربن الطبرى/البغدادى فضل كبير على علماء العرب والمسلمين الذين تتلمذوا عليه مباشرة وعلى كتبه، فأنجب فى العلم أفذاذا قدموا إنتاجا عظيما بقى مرجعا فى جميع أنحاء العالم؛ شرقيه وغربيه. ويأتى فى مقدمة من تتلمذوا عليه[٤]: أبو بكر محمد بن زكريا الرازى/البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).

الثانى: أبو بكر محمد بن زكريا الرازى/البغدادى(المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م).

مولده بالرى، وقدم إلى بغداد وله من العمر ثلاثون سنة، وقضى حياته فى بغداد، وكانت وفاته بها[٥]. ويعتبر بحق أعظم علماء المسلمين فى الطب من ناحية الأصالة فى البحث والخصوبة فى التأليف[٦]. ووصفه القفطى بأنه «طبيب المسلمين غير مدافع فيه»[٧]. وقد عرف عند مؤرخى العلوم أنه من كبار علماء الإسلام؛ ليس فقط فى الطب، ولكن فى الكيمياء والصيدلة والفلسفة والرياضيات والبصريات والبيئة والموسيقى واللغة والأخلاق[٨]. وتشهد مؤلفاته الغزيرة فى كل هذه العلوم على أنه كان علامة عصره، وأنه برز كموسوعة فى جميع فروع المعرفة بدون استثناء، الأمر الذى حدا بابن النديم أن يصفه بقوله: «كان أوحد دهره، وفريد عصره، جمع المعرفة بعلوم القدماء والمحدثين، لاسيما الطب»[٩].

ولا يتسع المقام هنا للوقوف على جهود الرازى فى علم الطب، فهذا أمر يحتاج إلى دراسة خاصة. وبوجه عام يمكن القول إن هذا العالم «يعتبر من أهم من وضعوا الأسس الراسخة والقواعد الثابتة لتعليم الطب وممارسته، ليس فى العالم الإسلامى فحسب، بل وفى

---

١) إدوارد براون: الطب العربى (مترجم) ص٤٢، ٤٣ - ترجمة داود سليمان على - بغداد ١٩٦٤ م.
٢) د. محمد فرج الهوى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٢٨.
٣) على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص١٦٣.
٤) راجع عيون الأنباء ص٤١٤ (مطلع ترجمة الرازى).
٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٤١٤.
٦) على عبد الله الدفاع: المرجع السابق ص١٨٥، د. أحمد شلبى: تاريخ الطب فى الإسلام ص٣٠ (سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار - رقم ٥٣).
٧) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٧٨.
٨) تكلمنا عن جهود الرازى فى كثير من العلوم.
٩) الفهرست لابن النديم ص٤١٥.

أثره البعيد فى تدريس الصناعة الطبية وما إليها من علوم وتوجيهها فى القرون الوسطى والأوساط المستنيرة فى الشرق والغرب لقرون عديدة، فقد كتب باستفاضة فى الطب السريرى والنفسانى، وصنف فى الكيمياء والعقاقير وتحضيرها، ووضع أصول فلسفة النظريات الطبية فى هذه الحقبة، وساعد على تطور أدب الطبيب وأهمية العمل فى البيمارستانات، والتجربة الطبية، وحارب الشعوذة، وهاجم جهلاء المتطببين، وحاول رفع مستوى التعليم الطبى برفع مستوى مزاولة المهنة من الناحيتين العلمية والعملية»[١].

وقد كتب الرازى فى كل الفروع التى تتعلق بصناعة الطب، وبلغت مؤلفاته الطبية حوالى ستة وخمسين كتابا[٢]، منها ما كان على شكل رسائل، ومنها ما كان فى مجلدات كبيرة. ومن أهمها كتاب "الحاوى"، وكتاب "المنصورى"، وكتاب "الطب الروحانى"، ويعرف بـ "طب النفوس". وكتاب "الطب الملوكى فى العلل وعلاج الأمراض كلها بالأغذية والأدوية". وكتاب " البرهان " الذى سجل فيه ثمانية وعشرين نقدا على كتب جالينوس[٣]. وكتاب "الجامع"، ويسمى أيضا "حاصر صناعة الطب". وكتاب "المرشد" ويسمى أيضا "الفصول". وكتاب "الجدرى والحصبة "، ويقع فى أربعة عشر بابا. وكتاب "الفاخر فى الطب". وكتاب "إلى من لايحضره طبيب". وكتاب "علاج العين بالحديد" - أى بالجراحة - وكتاب "برء ساعة" وغير ذلك من الكتب. وقد صنف الكتاب الأخير بطلب من الوزير أبى القاسم بن عبد الله، وهو أحد وزراء الخليفة المكتفى بالله (٢٩٠ - ٢٩٥هـ/٩٠٢ - ٩٠٧م)[٤]. وقد أعطى ابن أبى أصيبعة نبذا مختصرة - وأحيانا مطولة - عن محتويات بعض كتب الرازى الطبية، كما أن هناك دراسات عديدة تناولت عددا منها بالتحليل[٥].

---

١) د. محمد الهوى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٣٣، إلبير زكى إسكندر: كتاب المرشد أو النصوص للرازى - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد السابع - ج ١ ص٥ - ١٢٥ (١٣٨٠هـ/١٩٦١م).

٢) ويذكر أستاذنا الدكتور أحمد شلبى أن للرازى فى الطب وحده مائتى كتاب (راجع: تاريخ الطب فى الإسلام - ص٣٠ - سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار - رقم ٥٣). وراجع مؤلفات الرازى الطبية فى الفهرست ص٤١٦ - ٤٢٠، إخبار العلماء للقفطى ص١٧٩ - ١٨٢، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص٤٢١ - ٤٢٧.

٣) د. كمال السامرائى: الطب وتاريخه عند العرب - مجلة المورد / المجلد (١٤) العدد) ص٢٥.

٤) عيون الأنباء ص٤٢٧.

٥) من هذه الدراسات على سبيل المثال: بحث عن "قراءة أولى فى كتاب المنصورى لأبى بكر الرازى" - مجلة المورد - المجلد (١٨) عدد) [١٤٠٩ هـ / ١٩٨٤ م] ص٢٠٤ - ٢٠٨.

كتاب الحاوى:

ويعتبر كتاب الحاوى «من أجل كتب الرازى وأعظمها فى مجال الطب، وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقا فى ذكر الأمراض الطبية ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن أتى بعدهم إلى زمانه، ونسب كل شيء نقله فيه إلى قائله»[١]. وهذا الكتاب أخذ من الرازى جل عمره بدءا من تعلمه مهنة الطب. ويقع فى ثلاثين جزءا (أو عشرين مجلدا)، جمعت فيه كل المعارف الطبية التى توصل إليها العقل البشرى منذ أيام أبقراط حتى أيام الرازى، ومن هنا يقول عنه (إدوارد براون). «إنه أكبر كتاب عربى فى الطب، بل وأهمها»[٢]، وأثنت عليه الأستاذة (زيغريد هونكه) واعتبرته موسوعة طبية ضخمة مليئة بالمحاضر والتقارير عن المرضى فى مستشفيات بغداد وغيرها خلال الربع الأول من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى)، استعملها الأطباء الأوربيون خلال مئات السنين ككتاب للتعلم[٣]. ويقول (ول.ديورانت) فى كتابه (قصة الحضارة):«إنه يبحث فى كل فرع من فروع الطب، وأغلب الظن أنه ظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة، وأهم مرجع لهذا العلم فى بلاد الرجل الأبيض»[٤].

كتاب الجدرى والحصبة:

ومن أشهر كتب الرازى التى أبدى فيها أصالة وابتكارا: رسالته " فى الجدرى والحصبة ". أشار في مقدمتها إلى أنه لا أحد من القدماء ولا المحدثين (أى المعاصرين له) قال فى هذا الموضوع قولا مستقصى ولا كافيا، فإن جالينوس وإن كان قد عرف الجدرى إلا أنه لم يذكر له علاجا كافيا ولا سببا مقنعا. وهذه الرسالة- كما يقول (نيوبرجر M.Neuberger) - تعد من خير المؤلفات العربية، وأنها احتلت برغم صغرها مكانا ملحوظا فى تاريخ الأوبئة، فوق أنها أول رسالة وضعت عن مرض الجدرى[٥]. ويقول (ديورانت): «وفى وسعنا أن نحكم على ما

---

١) عيون الأنباء ص٤٢١، شريف. م.: الفكر الإسلامى منابعه وآثاره - ترجمة د. أحمد شلبى - ص١٠٠.

٢) إدوارد براون: الطب العربى (مترجم) ص١٠٨.

٣) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص٢٣٤ - ٢٣٥ (ط بيروت ١٩٦٩ م، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى).

٤) ول. ديورانت: قصة الحضارة - المجلد الرابع ج ٢ ص١٩١.

٥) د. توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى ص١٣٣، د. محمد الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٤١، د. أحمد شلبى: تاريخ الطب فى الإسلام - ص٣٠ (سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار - رقم ٥٣).

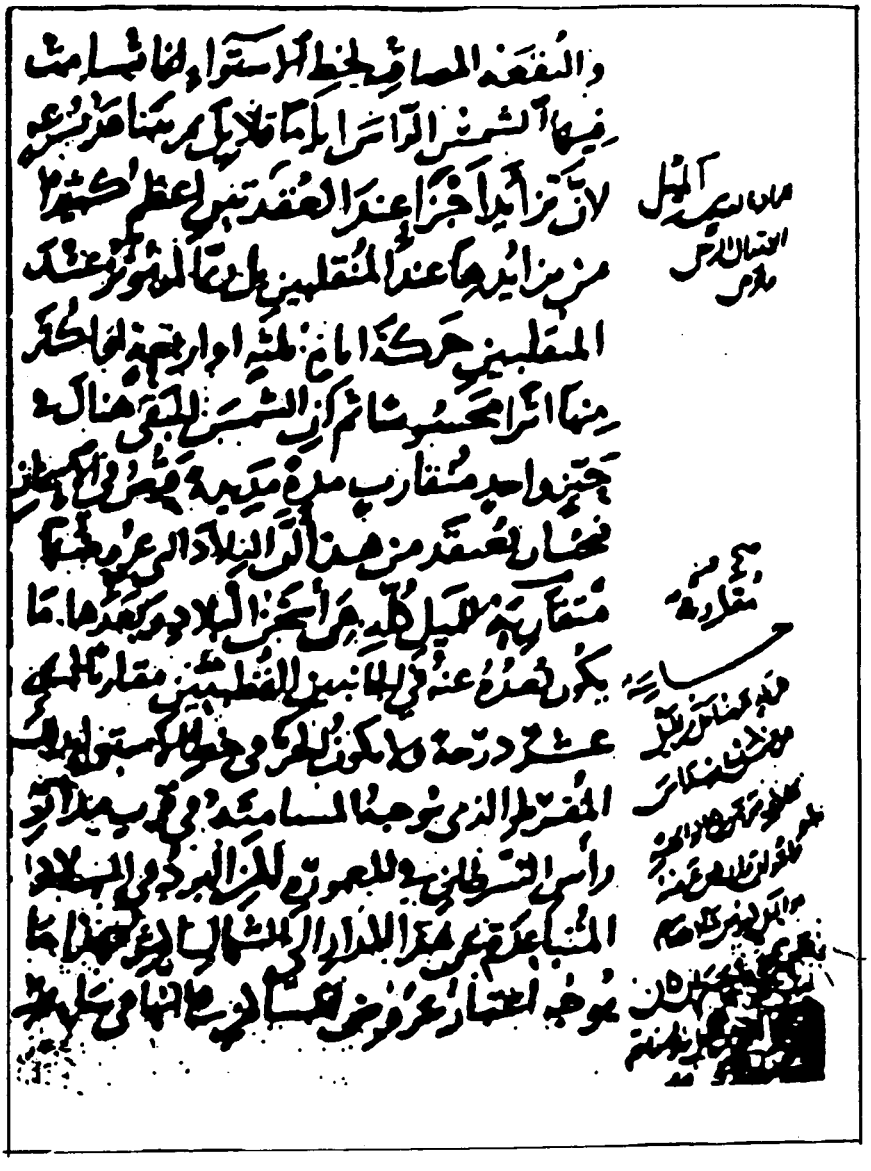

من مخطوطة كتاب (الحاوى في علم التداوى) لأبي بكر الرازى

كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر واتساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة، ما بين عامى ١٤٩٨م، ١٨٦٦م»[١].

لا شك - إذن - فى أن كتب الرازى فتحت طريقا جديدا فى ميدان الطب، وأصبح لها أثر كبير يفوق كل تقدير فى العالمين الإسلامى والغربى الأوربى. ويأتى بعد الرازى من عظماء الطب فى إطار المدرسة البغدادية/ المشرقية:

الثالث: على بن العباس المعروف بابن المجوسى (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

وأصله من الأهواز (جنوبى إقليم فارس)، وتتلمذ على يد الطبيب البغدادى موسى بن يوسف بن سيار صاحب كتاب (الفصد)[٢]، وكان متصلا بالسلطان فناخسرو عضد الدولة البويهى[٣]، وتولى رئاسة البيمارستان الذى أسسه فى بغداد المعروف بالبيماريستان العضدى، وصنف له كتاب " الملكى". ويقع هذا الكتاب فى عشرين مقالة، كل منها مقسم إلى عدد من الأبواب. وتتناول المقالات العشر الأولى النواحى النظرية. بينما تتناول المقالات العشر الأخرى النواحى العلمية (الصناعة الطبية)[٤]. وقد جمع فيه مؤلفه فن الطب بكامله فى عصره، ويتميز عن غيره من كتب الطب - كالحاوى والمنصورى للرازى - بالوضوح ودقة التنظيم فى تناوله للموضوعات الطبية[٥]. ولذلك- وكما يقول القفطى- «مال الناس إليه فى وقته، ولزموا درسه إلى أن ظهر كتاب (القانون) لابن سينا، فمال الناس إليه وتركوا (الملكى) بعض الترك. والملكى فى العمل أبلغ، والقانون فى العلم أثبت»[٦].

والحق أن كتاب ابن سينا لم يحل محل كتاب " الملكى "، وإنما كان إضافة جديدة، لأن ابن سينا تناول فى كتابه الناحية الفلسفية فى حقل الطب، بينما استند على بن العباس فى مؤلفه على مشاهداته العلمية مثل الرازى تماما، لا مجرد الدراسة النظرية[٧].

---

١)ول. ديورانت: قصة الحضارة - المجلد الرابع ج ٢ ص١٩١.

٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٣١٩، ٣٢٠.

٣) حكم ما بين ٣٢٤ - ٣٧٢ / ٩٣٦ - ٩٨٣ م - راجع ترجمة سابقة له (ص ٣٢٢).

٤) ذكر ناصر النقشبندى فى كتابه: مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - ذكر فى هذا الكتاب محتويات المقالات العشرين وعدد أبواب كل مقالة، وأن كتاب الملوكى مخطوط فى المكتبة المذكورة تحت رقم ١٨٥٦، صورة رقم ٢٠ - ٢١ [راجع على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الطب ص٢٤٧ - ٢٤٩].

٥) د. محمد الهوى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٤٦.

٦) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٥٦.

٧)على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص٢٤٠، أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص١٠٥.

الرابع: ابن سينا (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) وكتابه (القانون):

أما أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا فهو شيخ أطباء المسلمين وأميرهم كما سماه علماء الغرب وأطباؤه، وقد أعطينا نبذة عنه فيلسوفا[١]، وعرفنا هناك أنه كان موسوعى المعرفة، فهو عالم فى كل علم، إلا أنه فيلسوف قبل كل شىء. وهو- وإن لم يعرف عنه أنه نـــزل بغداد ليتلقى عن فلاسفتها وأطبائها على عادة كثير من علماء منطقته- لكنه تأثر إلى حد كبير بفكر المدرسة البغدادية فى علوم الأوائل، وتتلمذ فى بلده على بعض علمائها الذين تلقوا علومهم فى بغداد، وقرأ عددا من الكتب المترجمة فى الحاضرة العباسية مثل كتب أرسطو وأبقراط وبطليموس وغيرهم.

وأهم كتاب له فى الطب ذائع الصيت هو كتاب (القانون)، وهو كما يقول جورج لوكمان- «موسوعة طبية يفخر بها كل العرب والمسلمين والعالم أجمع»[٢]، وهو - فضلا عن كونه موسوعة علمية شاملة - فإنه يعتبر خلاصة الفكر الإسلامى فى العلوم الطبية تصل إلى أعلى المستويات العلمية التى وصلت إليها الحضارة الإسلامية فى الطب، ومرتبته العلمية تضاهى رتبة كتب جالينوس وأبقراط، بل وتفوقها قدرة ومعرفة[٣].

وبعيدا عن التفصيلات حول محتويات كتاب " القانون " وما توصل إليه ابن سينا من مبتكرات فإنه يمكن القول بوجه عام: إن ابن سينا لم يترك جانبا من جوانب علم الطب وفروعه إلا وبحث فيه وأعطاه حقه من العناية والدرس، وتوصل فيه إلى نتائج إيجابية عظيمة كانت مبتكرات لم يسبق لها مثيل. «وقد وصلت شروح المسلمين لذلك الكتاب إلى أكثر من ثلاثة عشر شرحا حسب تقدير بعض المؤرخين، كما وضع المؤلفون ملخصات له. وقد ترجمت تلك الشروح والملخصات إلى ثلاثين لغة غير العربية»[٤].

وبالرغم من أن كتاب " القانون " بقى المرجع الأكبر للطب فى القسم الشرقى من العالم الإسلامى وحل محل كتب أخرى فإنه لم يصادف مثل هذا النجاح فى الأندلس، وكان كل من الطبيبين ابن زهر وابن رشد لا ينظران إليه نظرة اعتبار على حد تعبير ابن النفيس الطبيب

---

١) راجع الفصل الخاص بعلم الفلسفة (ص ٣٢٨ - ٣٢٩).

٢) على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص١٥٨.

٣) د. محمد الهونى: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ص١٦٤، شريف. م. م: الفكر الإسلامى، منابعه وآثاره ص١٠٣ (ترجمة د. أحمد شلبى). وراجع: تاريخ الطب فى الإسلام للدكتور أحمد شلبى ص٣٤ - ٣٥ (سلسلة المكتبة الإسلامية لكل الأعمار - رقم ٥٣).

٤) د. على عبد الله الدفاع: المرجع السابق ص١٦١ - ١٦٢.

فى كتابه (الموجز)[١]. أما عن المكانة التى حظى بها هذا الكتاب (أو غيره من كتب العلم التى صنفها علماء العرب والمسلمين) فى الوسط الأوربى واعتماد الجامعات الأوربية عليه فى العلوم الطبية فسوف يأتى الحديث عن ذلك فى آخر الدراسة بخصوص تأثر أوربا بالحضارة الإسلامية فى مجال العلوم عن طريق الأندلس.

* * * *

تعقيب: هذه لمحات خاطفة عن أربعة من أعلام الطب الإسلامى فى إطار المدرسة البغدادية / المشرقية خلال قرنين من التاريخ. والحق أننا لو أحصينا الأطباء العرب والمسلمين الذين نبغوا فى مجال الطب خلال ثلاثة أو أربعة قرون من بدء تاريخ بناء بغداد لزاد عدد المؤلفين منهم ممن بلغت إلينا أسماؤهم على بضع مئات، وأكثرهم ممن اشتغل بسائر العلوم الدخيلة، وألفوا فيها الكتب العديدة، ونرى ذلك مفصلا فى كتب (طبقات الأطباء والحكماء) لابن جلجل والقفطى وابن أبى أصيبعة، إضافة إلى الفهرست لابن النديم، وكشف الظنون لحاجى خليفة وغيرها من الكتب التى عنيت بتاريخ العلم والعلماء.

وقد أحصى عدد أطباء بغداد وحدها فى زمن الخليفة المقتدر بالله العباسى (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧- ٩٣٢م) فى أول القرن الرابع الهجرى، وبالتحديد فى سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م، فبلغ ثمانمائة وستين طبيبا تقدموا للامتحان فى البيمارستان العضدى لنيل الإذن والإجازة فى ممارسة التطبيب، سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته، وسوى من كان فى خدمة السلطان[٢]. ولا يمكن أن يكون مجموع ذلك كله أقل من ألف طبيب متعاصرين فى مدينة واحدة هى بغداد مركز الحضارة وينبوع التقدم، وهذا ما لم يعرف له مثيل فى تاريخ أى أمة سبقت ظهور الإسلام. ومن ثم فقد شهدت هذه المدينة تقدما عظيما فى علم الطب بفروعه المختلفة، الأمر الذى جعل العلماء والطلبة المهتمين بهذا الفرع من العلوم يقصدونها من جميع أقطار العالم الإسلامى للتتلمذ على كبار الأطباء بها، ولجلب المؤلفات الطبية النادرة والعودة بها إلى أوطانهم. وقد كان لعلماء الأندلس نصيب وافر من هذا التوجه، وسيتضح ذلك جليا فى موضعه من هذه الدراسة[٣].

---

١) د. محمد الهونى: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص١٦٦. وراجع (ص ٦٨٤ - ٦٨٥، ص٩١٨).

٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٣٠٢، إخبار العلماء للقفطى ص١٣٠.

٣) راجع (ص ٦٣٩ - ٦٤٤) من الفصل الخاص بانتقال علم الطب من بغداد إلى قرطبة.

الفصل الخامس

الصيدلة والكيمياء

ويشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : علم الصيدلة.

المبحث الثانى : علم الكيمياء.

المبحث الأول

علم الصيدلة

تعريفه: علم الصيدلة هو «علم يبحث فيه عن جمع وانتخاب الأدوية وتحضيرها ومزجها وتهيئتها للاستعمال الطبى، بقطع النظر عن الظواهر الكيمياوية التى قد تظهر مدة هذه العمليات»[١].

وقد عرف علم الصيدلة عند العلماء بأسماء كثيرة، منها: علم الأدوية، وعلم المفردات، وعلم العقاقير، وعلم "الأقراباذينيات" [٢] وغيرها. ولكن علماء العرب والمسلمين هم الذين أطلقوا على هذا العلم اسم «الصيدلة». والقائم به يعرف بالصيدلى أو الصيدلانى[٣].

ترجمة كتب الصيدلة القديمة فى بغداد:

والصيدلة من العلوم القديمة التى ارتبطت ارتباطا وثيقا بالطب. ويعد المصريون القدماء أول من اهتم بالعقاقير وطرق تحضيرها. وعرفت كذلك عند الصينيين والفرس والهنود،

---

١) منصور أحمد: عمدة المتطببين فى فن الصيدلة المعروف بالأقراباذين (ص٥)ط القاهرة ١٢٨٣هـ، حاجى خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٠٨٥.

٢) مفرد أقراباذينيات: (أقراباذين) مأخوذة من أصل يونانى. واستعملها علماء الإسلام لتعطى معنى الأدوية المركبة، أو تركيب الأدوية. وقد تدل على دستور الأدوية. أما المفردات التى تدخل فى تركيبها فكانوا يسمونها الأدوية المفردة (راجع مزيدا من المعلومات عن الأقراباذينات فى كتاب: حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ص ٤٠٩، على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ١٢٣).

٣) على عبد الله الدفاع: المرجع السابق ص ١٢٣.

وتقدمت كثيرا على أيدى علماء الإغريق، مثل أبقراط وجالينوس وديسقوريدس، إذ كان لهؤلاء اليونانيين باع طويل فى حقلى الطب والصيدلة، وضربوا بسهم وافر فى هذا السبيل. وتعتمد المعرفة الفعلية للأدوية والعقاقير لدى المسلمين على المصادر الفارسية والهندية إلى حد كبير. وكما يقول الجاحظ: «قل صيدلانى عندنا (أى بالعراق) إلا وله غلام سندى، فبلغوا فى البربهار والمعرفة بالعقاقير، وفى صحة المعاملة واجتلاب الحرفاء مبلغا حسنا»[١]. وهذا يعنى أن الهنود كان لهم علم واسع بالأعشاب والعقاقير التى تستخدم فى عمل الأدوية، ومن هنا دخلت إلى اللغة العربية ألفاظ هندية كثيرة فى مفردات الأدوية مثل زنجبيل وكافور وصندل وأبنوس وغيرها[٢].

ومن المصادر الهندية التى استفاد منها علماء المسلمين فى بداية عصر النهضة الإسلامية ببغداد فى مجال الأدوية والعقاقير: كتاب (أيورافيدا) Ayurvedas (أو ما يعرف بعلم الحياة). وكتاب (سوسروتا) Susruta الذى يحتوى على معلومات هامة عن الجراحة والتشريح وما يقرب من سبعمائة عقار نباتى[٣]. وكتاب " السموم " تأليف شانان الهندى، ونقله " صنكه " الهندى من اللغة الهندية إلى الفارسية، ثم نقله إلى العربية العباس بن سعيد الجوهر مولى المأمون بأمر من الخليفة، وكان يتولى قراءته عليه[٤].

وقد اعتمد علماء بغداد فى مجال الصيدلة على معارف اليونان أيضا. ونقلت هذه المعارف إلى اللغة العربية عن طريق الترجمات السريانية للكتب التى ألفها "جالينوس" و"ديسقوريدس". ومن أهم الكتب التى صنفها جالينوس ونقلت إلى العربية: كتاب "تركيب الأدوية "، ويقع فى سبع عشرة مقالة، وترجمه حبيش بن الأعسم. وكتاب " الأدوية المفردة" فى إحدى عشرة مقالة، وهو كتاب ذو أهمية كبيرة. وكتاب " الأدوية المقابلة للأدواء" الذى ترجمه عيسى بن يحى[٥]، وهو تلميذ حنين بن إسحق (المتوفى ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) أبرز المترجمين فى بغداد.

---

١) الجاحظ: الحيوان ج ٣ص ٤٣٤-٤٣٥. والبربهار: هو الأدوية التى تجلب من الهند، من الحشيش والعقاقير والقلوس وغيرها (راجع تعليقات عبد السلام هارون على رسائل الجاحظ ج ١ ص ٢٢٥- رسالة فخر السودان على البيضان).

٢) راجع: العلوم العملية فى العصور الإسلامية، لعمر رضا كحالة ص ١٤١، تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٢٣٨.

٣) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ١٠٥.

٤) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٧٤. وراجع عن دور الهنود فى حركة الترجمة وعلم الطب.

٥) عيون الأنباء ص ١٣٧، ١٤١، ١٤٣. وراجع: د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٩٣.

ترجمة كتاب (الحشائش) لديسقوريدس:

ويعتبر " ديسقوريدس" - أو " دياسقوريدوس"- الحكيم اليونانى الذى عاش فى الدور الأول أو الثانى من التاريخ المسيحى، ولايعرف وقته تماما - يعتبر أعلم من تكلم من اليونانيين فى علم العقاقير المفردة. وهو من أهل " عين زربة " بالشام، وجاء بعد أبقراط (٤٦٠- ٣٦٥ ق.م) وصنف كتاب "الأدوية المفردة" الملقب بكتاب " الحشائش " أو "هيولى علم الطب" أو "الخمس مقالات". وهذا الكتاب أثنى عليه جالينوس بقوله: «تصفحت أربعة عشر مصحفا (أى كتابا) فى الأدوية المفردة لأقوام شتى، فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس[١]. وترجع أهميته في أنه يشتمل على ما يربو على ستمائة عشب، وعدد من الأدوية المعدنية والزيوت والأدهان ذات الفائدة الطبية. كما أنه يتميز بالوصف الدقيق للمواد الطبية وصفا يدل على قوة ملاحظة غير عادية. إضافة إلى أن مؤلفه جمع فيه كل ما ورد في مؤلفات من سبقوه من الأطباء في هذا الباب. ومن هنا كان هذا الكتاب أهم مصدر للصيدلة الإسلامية، والمرجع الأول في موضوعه، ومامن طبيب ذي قدر إلا ودرسه درسا مطولا وعلق عليه منذ جالينوس إلى ابن سينا (٤٢٨هـ،/١٠٣٦م) وداود الأنطاكي (١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)[٢].

وقد ترجم كتاب ديسقوريدس من اليونانية إلى اللغة العربية بمدينة السلام فى أيام الخليفة المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٨٦١م)، ومترجمه هو: اصطفن بن بسيل الترجمان. وقام عميد المترجمين حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) بتصحيح هذه الترجمة وإجازتها[٣].

مما سبق يتبين لنا أن علم الصيدلة- كأى علم آخر- مر فى بغداد بمرحلة استيعاب معارف القدماء. لكن لم يقف المترجمون- كعادتهم مع بقية العلوم- بترجمة النصوص القديمة واستيعابها، وإنما تطرقوا إلى لون آخر من التأليف يعتمد على تلخيص الكتب القديمة والتعليق عليها وشرحها. وقد مهدت مرحلة التلخيص والشرح هذه إلى مرحلة النضج العلمى والفكرى والمقدره على الاختراع والابتكار والإبداع واستخلاص النظريات السليمة بعد البحث والتجربة؛ بحيث يمكن القول فى النهاية: إن علماء المسلمين فى إطار مدرسة (بغداد / المشرق) طوروا هذا العلم ونظموه، وزادوا عليه، وأصبحوا المؤسس

---

١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٩. وراجع طبقات الأطباء لابن جلجل ص٢١-٢٢.

٢) راجع: د. علي عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الصيدلة ص ١١٤، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص ٢٠٨، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي في الحضارة الإسلامية ص١٩٣.

٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٩٣.

تصويرة عن نسخة مترجمة من كتاب الحشائش لديسقوريدس، تُنسب إلى العراق فى حوالى سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م، تمثل نبات قليماطيس، محفوظة فى دار الآثار الإسلامية — متحف الكويت الوطنى، تحت رقم LNS 38 MS

الحقيقى له. وهذا يدعونا- قبل الوقوف على بعض أعلام المدرسة البغدادية / المشرقية فى علم الصيدلة- إلى أن نسجل أولا عددا من المآثر التى حققها هؤلاء الأعلام فى هذا المجال؛ فمن ذلك:

أولا: اهتم علماء (بغداد / المشرق) فى مجالى الطب والصيدلة بتحضير الأدوية المفردة والمركبة، سواء كانت من نبات أو من حيوان أو من المعادن. وقد عرفوا الأدوية هذه المفردة بالعقاقير الأصلية. أما الأدوية المركبة فسموها "الأقراباذين"[١]. وكان تحضير هذه الأدوية يتم عندهم بوسائل شتى، أشاروا إليها فى مؤلفاتهم، وكثير منها مبتكر، من بينها: الطبخ والنقع والسحق والدق، والإحراق (أو التحميص) والإجماد بالتبريد، والمجاورة (وضع الدواء إلى جوار آخر) والغربلة، وغير ذلك من الطرق.

ثانيا: برع هؤلاء العلماء فى معرفة أنواع الأدوية وخصائصها وتراكيبها ومقاديرها وكيفية استعمالها بطريقة علمية، ومراقبة فاعلياتها، ومدى استجابة أحوال المرضى لها. كما أنهم ابتكروا المعالجة المعتمدة على الكيمياء الطبية، فأرجعوا الشفاء إلى إثارة تفاعل كيميائى يحدثه الدواء فى جسم المريض ويعتبر الرازى (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) رائد هذا الاتجاه.

ثالثا: أجرى هؤلاء العلماء البحوث والاختبارات على الأدوية قبل استعمالها لمعرفة طبائعها ومدى صلاحيتها وتأثيرها، وآثارها الجانبية، وقوتها الشفائية. وقد طرحوا جملة من طرق امتحان الأدوية؛ منها امتحان الدواء من جهة التجربة على الأبدان، ومن جهة سرعة جموده وعسره، ومن رائحته أو لونه أو طعمه.....الخ. وهذا يعنى أن هؤلاء العلماء اعتمدوا التجربة أساس معرفة كثير من الأدوية المركبة. وتمتلئ كتب البغداديين المصنفة فى الأدوية والعقاقير بالنصوص الدالة على ذلك[٢].

---

١) راجع عن معنى الأقرباذين (ص٤٠٢).

٢) ومن النصوص الدالة على ذلك ما جاء في كتاب عن الأدوية المفردة للعالم البغدادي يوحنا بن ماسويه (المتوفى ٢٤٣هـ/٨٥٧م)، حيث بين أهمية توفر سبعة شروط، للتوصل إلى معرفة الأدوية وأمزجتها بطريق التجربة والقياس، ويمكن تلخيص هذه الشروط وهى: أولا: أن يكون الدواء خاليا من كيفية مكتسبة مثل الحرارة أو البرودة. وثانيا: أن يكون المجرب عليه علة مفردة، لا علة مركبة. والثالث: أن تكون التجربة على بدن الإنسان. والرابع: أن تكون القوة فى الدواء مقابلا بها ما يساويها من قوة العامة. والخامس: أن يراعى الزمان الذي يظهر فيه أثره وفعله. والسادس: أن يراعى فعله على الدوام وعلى الأكثر، فإن لم يكن كذلك فصدور الفعل عنه بالعرض. والسابع: =

رابعا: ومن مآثر علماء المسلمين وقادتهم إنشاء الصيدليات العامة والخاصة. وقد أنشئت أول صيدلية فى بغداد سنة١٤٩هـ/ ٧٦٦م فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور[١]. ويذكر أن عيسى ابن ماسة – المعروف بأبى قريش – كان صيدلانيا، وكان يبيع الأدوية فى موضع بالقرب من باب قصر الخليفة المهدى ببغداد[٢] (١٥٨ – ١٦٩هـ/٧٧٤ – ٧٨٥م). وتتحدث المصادر عن نوع من الصيدليات المتنقلة التى كانت تمثل جزءا من البيمارستانات المتنقلة المصاحبة للجيوش أثناء المعارك الحربية[٣]، أو تلك التى كانت تجوب المناطق النائية والحبوس أثناء انتشار الأمراض والأوبئة كما حدث فى زمن الخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠هـ/٩٠٧ – ٩٣٢م)[٤].

خامسا: وبالرغم من كثرة المصنفات التى وضعها علماء (بغداد/المشرق) فى مفردات الأدوية والعقاقير وتركيبها فإن المعالجة بالأدوية أخذت حيزا كبيرا من كتب الطب؛ فلا نجد كتابا من الكتب الشاملة فى الطب – "كالحاوى" للرازى، و"القانون" لابن سينا، و"الملكى"[٥] لعلى بن عيسى المعروف بابن المجوسى، و"فردوس الحكمة " لعلى بن ربن الطبرى/البغدادى، وغيرها – إلا وقد خصص مؤلفه فصلا أو أكثر للأدوية والعقاقير. وهكذا ارتبطت الصيدلة بالطب ارتباطا وثيقا، «حيث كانت دراسة الأدوية هى حجر الأساس لدى كل مهتم بالطب والعلاج والمداواة»[٦]. وقد ارتبطت الصيدلة من جهة أخرى بالكيمياء، نظرا لافتقار صناعة الأدوية إلى التحضيرات والأجهزة العلمية، ونجد الكتب الكيميائية – والتى سنذكر عددا منها فى حديثنا عن هذا العلم – زاخرة بالتحضيرات النباتية والحيوانية والمعدنية التى لاتستغنى عنها صناعة الأدوية.

= أن يكون الدواء قد جرب على المضادة وهل منفعته من بعض الأمراض بالذات أو بالعرض؟ (الفتح الربانى فى التداوى من صنوف الأمراض والشكاوى – وسمى: ذخيرة العطار من مفردات ابن ماسويه، ويعرف بالأدوية المنجحة. ص٥ (وجه) – ص٦ (جه) – مخطوط تحت رقم(٢٩) بالمكتبة العامة لجامعة الإسكندرية. وراجع: د. علي عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الصيدلة ص١٣٣-١٣٤.

١) محمد كامل حسين: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة ص ٣١٥، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢١٩، محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز فى تاريخ العلم ص ١٠٠، زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢٩.

٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٢١٥.

٣) راجع عيون الأنباء ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

٤) راجع عيون الأنباء ص ٣٠١. وانظر ما سبق فى حديثنا عن البيمارستانات المتنقلة من المبحث الخاص بعلم الطب.

٥) سبق التعريف بهذه المؤلفات وأصحابها فى المبحث الخاص بعلم الطب.

٦) د. على عبد الله الدفاع: إسهام العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ١٤٧.

وعلى الرغم من ارتباط علم الصيدلة الوثيق بالطب والكيمياء إلا أنها أخذت تنفصل شيئا فشيئا لتؤلف علما مستقلا له أصوله وقواعده ومنهاجه العلمى ومصنفاته الخاصة. ويعد علماء (بغداد/المشرق) فى القرنين الثالث والرابع للهجرة هم الذين حققوا هذا التطور الكبير.

سادسا: خضعت مهنة الصيدلة للرقابة، وتعرضت حوانيتها للتفتيش، واقتضت المصلحة العامة فرض امتحان ومنح ترخيص بمزاولة المهنة لكل من يريد الاشتغال بها كما كان الحال مع الأطباء. ومما يروى فى ذلك أن الأفشين أحد قادة الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ - ٨٤١م) طلب إلى طبيبه الطيفورى أن يعقد للصيادلة امتحانا لمعرفة «الناصح منهم»... فى رواية طويلة ذكرها ابن أبى أصيبعة فى "عيون الأنباء"[١]، وهى تدل بوضوح على أهمية مهنة الصيدلة عند المسلمين وتنظيمهم لها، وضرورة أن يتولاها أناس أمناء ومهرة فى تحضير الأدوية وتركيبها، نظرا لعلاقتها بصناعة الطب وصحة الناس بوجة عام.

أعلام المدرسة البغدادية فى علم الصيدلة:

وقد ظهر فى بغداد - خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين - العديد من نوابغ الصيدلة، وهؤلاء أثروا المكتبة العربية والإسلامية بإنتاجهم الغزير ودراساتهم الأصيلة عن الأدوية والعقاقير وتركيبها وتحضيرها. وكان كل عالم منهم يدلى بدلوه مشاركا فى بناء النهضة الإسلامية فى هذا المجال، مسترشداً بما نادى به الفيلسوف يعقوب بن إسحق الكندى (٢٥٥ هـ/٨٦٨م) فى قوله «ينبغى أن لانستحى من الحق واقتناء الحق من أين يأتى، وإن أتى ممن الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فإنه لاشئ أولى بطالب الحق من الحق، وليس ينبغى بخس الحق ولا التصغي ربقائله ولا بالآتى به »[٢].

وفيما يلى نتناول عددا من الرواد البغداديين لنتعرف على جانب من جهودهم فى تأسيس علم الصيدلة وتنظيمه وتطويره، ولنتعرف على ما خلفوه من آثار علمية مهمة فى هذا العلم. ونبدأ بيوحنا بن ماسويه البغدادى:

(١) يوحنا بن ماسويه[٣] (٢٤٣هـ/٨٥٧م):

له فى علم الصيدلة - إلى جانب مصنفاته فى الطب - كتاب " فى تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها". وكتاب" فى ترتيب سقى الأدوية المسهلة بحسب الأزمنة" وكتاب

---

١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

٢) راجع هذا النص عند الدكتور: أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٩٣.

٣) سبق التعريف به وبيان جهوده فى مجال الترجمة والطب - راجع عنه (ص٢٩٩، ص٣٧٩).

"المنجح فى الصفات والعلاجات " ولعله هو الكتاب المسمى " الأدوية المنجحة"[١]. وكتاب "السموم وعلاجها" وغيرها[٢]. وقد رتب كتابه "سقى الأدوية المسهلة " على خمسة فنون، هى: فى القوى الجاذبية لجميع البدن - وفى الإرسال الكائن من المقعدة - ومن الكبد - ومن الأمعاء - وفى الإسهال العارض من الآلام[٣].

(٢) وصنف **على بن سهل بن ربن الطبرى/البغدادى[٤] (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م)** فى علم الأدوية: كتاب "منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير[٥]". وخصص القسم السادس من كتابه الموسوعة "فردوس الحكمة" للأدوية المفردة والمركبة. وكان إذا تكلم عن صنف من الأدوية أعطى أولا مدخلا تاريخيا، ويبنى آراءه العلمية على الحقائق التاريخية[٦].

(٣) وكان للطبيب البارع والمترجم البارز: **حنين بن إسحق العبادى البغدادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م)** عناية بالأدوية والعقاقير، وله فيها عدة ترجمات ومؤلفات، منها: "اختصار كتاب جالينوس فى الأدوية المفردة". وكتاب "شرح كتاب الأدوية المكتومة لجالينوس ". وكتاب " أسرار الأدوية المركبة " وكتاب "الأدوية المسهلة" - لم يسبقه إليه أحد كما يقول القفطى[٧] - وكتاب "المنهج المنير فى معرفة أسماء العقاقير[٨]". وكتاب " أسماء الأدوية المفردة". وكتاب "اختيار الأدوية المحرقة" وغيرها[٩].

(٤) ويعتبر **سابور بن سهل النصرانى البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م)** من كبار العلماء بالصيدلة فى بغداد. قال عنه ابن أبى أصيبعة: «كان فاضلا عالما بقوى الأدوية المفردة وتركيبها. وتقدم عند الخليفة المتوكل وعند من تولى بعده من الخلفاء، وتوفى فى أيام المهتدى

---

١) مخطوط تحت رقم (٢٩) فى المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية.

٢) الفهرست لابن النديم ص ٤١١ - ٤١٢، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٤٨ - ٢٤٩. وعيون الأنباء لابن أبى أصيبعة - ص ٢٥٥، هدية العارفين ٢/٥١٥، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ١٣ ص ٢٦٣.

٣) أسامة ناصر النقشبندى: من نوادر المخطوطات العلمية فى العراق - مقال منشور بمجلة المورد - المجلد (١٤) - العدد الرابع (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) - ص ٣٥٦.

٤) تحدثنا عن جهوده فى علم الطب.

٥) الفهرست ص ٤١٢، عيون الأنباء ص ٤١٤.

٦) على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦.

٧) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٨، ١١٩.

٨) محفوظ بالمكتبة العامة لجامعة الإسكندرية تحت رقم ١٩، ٢٣٢، ٢٧٣.

٩) راجع الفهرست لابن النديم ص ٤١٠، عيون الأنباء ص ٢٧٢، ٢٧٣.

بالله»[١]. ومن كتبه فى هذا المجال: كتاب " الأقراباذين الكبير " يقع فى سبعة عشر بابا، وكان له من الشهرة والذيوع فى بغداد بحيث ظل معترفا به فى جميع دكاكين الصيادلة والبيمارستانات على مدى ثلاثة قرون حتى صنف الطبيب البغدادى الكبير أمين الدولة هبة الله بن التلميذ (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٤م) كتابه فى "الأقراباذين" الذى يقع فى عشرين بابا[٢]. وقد صنف سابور بن سهل أيضا فى الأدوية كتاب "إبدال الأدوية". وكتاب "قوى الأطعمة وضارها ومنافعها"[٣].

(٥) وقد نال فيلسوف العرب يعقوب بن إسحق الكندى (٢٥٥هـ/٨٦٨م) إلى جانب حذقه لعلوم الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء وعلوم الطبيعة - نال شهرة كبيرة فى حقل تحضير الأدوية المفردة والمركبة، وله إنتاج جدير بالاعتبار فى هذا المجال، منه: كتاب " الأقراباذين " ، وكتاب " كيفية إسهال الأدوية وانجذاب الأخلاط ". وكتاب " الغذاء والدواء المهلك ". وكتاب " الأدوية المشفية من الروائح المؤذية ". و " الأدوية الممتحنة " - أى المجربة - ورسالة " فى علة الجذام وأشفيته ". ورسالة فى " علاج الطحال ". وله دراسة حول كتاب " الأدوية المفردة " لجالينوس[٤]. ويذكر (ألدوميلى) فى كتابه (العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى) أن الكندى ألف كتابا فى معرفة قوى الأدوية المركبة بقى ردحا من الزمن مرجعا للمتخصصين فى علم الصيدلة، وقام " أرنالدوس " (ت ١٣١١م) بترجمته إلى اللاتينية، لما يحتويه من معلومات نادرة[٥].

(٦) ولايزال **الرازى الطبيب البغدادى (٣٢٠هـ/٩٢٣م)** - كالكندى - فى صحبتنا مع كل علم من العلوم التجريبية التى نؤرخ لها فى إطار المدرسة البغدادية / المشرقية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة. فقد كان من رواد علم الصيدلة، ويأتى اهتمامه بهذا العلم لغزارة معارفه وطول باعه فى الكيمياء والطب، وترك لنا فى الأدوية والعقاقير عدة كتب نادرة، منها:

١ . كتاب "صيدلة الطب".

---

١) عيون الأنباء ص ٢٣٠، إخبار العلماء للقفطى ص ١٤١.

٢) راجع الفهرست ص ٤١٣، عيون الأنباء ص ٢٣٠، ٣٧١. إخبار العلماء ص ١٤١، معجم الأدباء لياقوت ج ١٩ ص ٢٧٩.

٣) الفهرست ص ٤١٣، عيون الأنباء: ص ٢٣٠.

٤) الفهرست ص ٣٦١ - ٣٦٢، إخبار العلماء ص ٢٤٤، عيون الأنباء ص ٢٩١، د. على عبد الله الدفاع: إسهام اعلماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ١٧٩ - ١٨١.

٥) ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى (مترجم) ص ٤٦٣، ٤٨٢.

٢ . كتاب " الأقراباذين "، كبير وصغير.

٣ . كتاب " الأدوية الموجودة بكل مكان " يذكر فيه أدوية لايحتاج إليها الطبيب الحاذق إلى غيرها.

٤ . كتاب " منافع الاغتذاء " وهو جامع لذكر الأدوية المعدنية. ويتكون من تسعة عشر بابا تبدأ ببيان سبب تأليف الكتاب، ثم التعرض فى الأبواب التالية لمنافع العديد من الأغذية ومضارها، والأحوال التى ينبغى فيها تناولها أو تجنبها. وهذا الكتاب يعكس فلسفة العلاج بالأغذية والاعتماد عليها قبل الأدوية. وقد ذكر (جورج قنواتى) فهرست محتوياته فى كتابه " تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط[١].

٥ . كتاب فى أثقال الأدوية المركبة.

وقد خصص الرازى لعلم الأدوية أقساما أو أبوابا مهمة فى كتبه الطبية الشاملة، ففى كتابه "الحاوى " قسم عام للصيدلة، وآخر للأدوية المركبة، وثالث للعلاج بالأغذية[٢]. وتحدث فى كتابه "المنصورى" عن قوى الأغذية والأدوية وحفظ الصحة وصنعة السموم[٣]. وذكر فى كتابه " الملوكى " علاج الأمراض بدس الأدوية فى الأغذية حيث لا بد منها[٤]. وجعل القسم الثانى من كتاب "حاصر صناعة الطب" فى قوى الأغذية والأدوية وما يحتاج إليه من التدبير فى الطب. والقسم الثالث فى الأدوية المركبة. والرابع فيما يحتاج إليه من الطب فى سحق الأدوية وإحراقها وتصعيداتها وغسلها واستخراج قواها وحفظها ومقدار بقاء كل دواء منها، وما أشبه ذلك. وفى القسم الخامس: صنعة الأدوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورديئها ونحو ذلك من علل الصيدلة. وفى القسم السابع: تفسير الأسماء والأوزان والمكاييل التى للعقاقير[٥].

هذا، وقد طبق الرازى علم الكيمياء على الصيدلة، واستخدم العديد من الأجهزة لإجراء تجاربه فى دقة متناهية لتحضير كيماويات جديدة استعملها للمداواة، وكان إيمانه بخضوع

---

١) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم الصيدلة ص ١٩٥ - ١٩٦، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٩٣ - ١٩٤. وراجع أسماء مؤلفات الرازى فى الصيدلة: الفهرست ص ٤١٦ - ٤١٩، إخبار العلماء للقفطى ص ١٧٩، ١٨٠، ص ١٨١. وعيون الأنباء ص ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤ - ٤٢٥، ص ٤٢٦، على عبد الله الدفاع: المرجع السابق ص ٢٢٦.

٢) الدفاع: المرجع السابق ص ١٩٢.

٣) الدفاع: المرجع نفسه ص ١٩٣.

٤) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

٥) الفهرست ص ٤١٧، عيون الأنباء ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

الأجسام لقوانين الكيمياء يملى عليه القول بنسبة البرء من الأمراض إلى إثارة تفاعلات كيميائية تجرى داخل الجسم. وفى كتابه " محنة الطبيب " دعا الرازى إلى استقلال علم الصيدلة عن الطب، واعتباره وحدة مستقلة، وأوضح أن هذه الصناعة هى بالصيدلانى أولى منها بالطبيب المعالج[١].

هؤلاء ستة من أعلام المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى علم الصيدلة. وقد واصل المسيرة من بعدهم علماء أفذاذ، من أمثال ابن المجوسى (٣٨٤هـ/م) فى كتابه "كامل الصناعة الطبية"[٢] وابن سينا (٤٢٨هـ/١٠٣٧م) فى كتابه "القانون"، أدرج فيه أبحاثا عن سبعمائة وستين عقارا، منها خمسمائة من أصل نباتى[٣]. والبيرونى (٤٤١هـ/١٠٥٠م) فى كتابين "العقاقير" الذى ضمنه خصائص ألف عقار من النباتات والأعشاب والمعادن[٤]. و"الصيدلة " استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها ومواطنها وجرعاتها وطرق تخزينها، واختلاف آراء المتقدمين حولها[٥].وتطرق فيه أيضا - فى الفصل الثالث منه - إلى تعريف الصيدلة تعريفا مطولا، وأكد على أن الصيدلانى لابد أن يتعرف على ما كتبه ديسقوريدس وجالينوس، والاطلاع على كل ما كتبه المحدثون (فى الإسلام) فى هذا المجال، مثل يحيى بن ماسويه البغدادى ومحمد بن زكريا الرازى وغيرهما[٦]. وجاء بعد البيرونى: أبو الحسن يحيى بن عيسى ابن على بن جزلة البغدادى (المتوفى ٣٩٤هـ/١١٠٠م)، فألف كتاب "تقويم الأبدان فى تدبير

---

١) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٩٤. وراجع الدفاع: المرجع السابق ص ١١٨.

٢) سبق الحديث عن هذا الكتاب وعن مؤلفه فى علم الطب. ولمعرفة ما يتعلق منه بعلم الصيدلة يمكن الرجوع إلى دكتور على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٢٥٧، د. فاضل أحمد الطائى: علم الصيدلة والكيمياء عند العرب ص ٧٦ - ٧٧، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضار ة الإسلامية ص ١٩٤، جورج قنواتى: تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط ص ١٤٩ - ١٥٥ (ط دار المعارف ١٩٥٩م).

٣) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢١١. وراجع: ول. ديورانت: قصة الحضارة - المجلد الرابع - الجزء الثانى ص ١٩٦.

٤) عادل محمد الشيخ حسين: كتب العرب فى علوم الحياة - بحث بمجلة العم والإيمان التونسية - العدد التاسع (١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ) - ص ٣٦.

٥) عيون الأنباء ص ٤٥٩.

٦) راجع تحليلا لكتاب الصيدلة للبيرونى عند الدكتور فاضل أحمد الطائى: علم الصيدلة والكيمياء عند العرب ص ٨٢ وما بعدها.

الإنسان" صنفه للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله[١] (٤٧٦-٤٨٧هـ/١٠٨٣- ١٠٩٤م). وصنف له أيضا كتاب "منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان" وهو كتاب مرتب على حروف المعجم فى الأدوية والأشربة والأغذية وكل مركب من ذلك بسيط أو مفرد أو خليط[٢].

خلاصة القول أن علماء العرب والمسلمين الذين يمثلون المدرسة البغدادية/المشرقية قد أبدعوا فى علم الصيدلة أيما إبداع، وبرعوا فيه كل البراعة حتى نال على أيديهم نصيبا كبيرا من التقدم والتطور، وأصبح علما مستقلا قائما بذاته يسير مع الطب جنبا إلى جنب فى مضمار ما يطرأ عليهما من ابتكار وإبداع.

وبالرغم من أن الأندلسيين اعتمدوا فى هذا العلم على مؤلفات المشارقة فإنهم أضافوا إليه إضافات جديرة بالاهتمام والتقدير. وسيتضح ذلك فى موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله.

****

المبحث الثانى
علم الكيمياء

الكيمياء عند ابن سينا تعنى: «سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواص غيرها من الأجسام ». أما عند ابن خلدون فهى «علم ينظر فى المادة التى يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذى يوصل إلى ذلك...»[٣].

وقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة "كيمياء" ومصدرها ونسبتها إلى إحدى الحضارات الثلاث: المصرية واليونانية والعربية. والذى نميل إليه هو أن الكلمة عربية الأصل، استنادا إلى ما ذهب إليه الخوارزمى فى كتابه "مفاتيح العلوم"[٤]. وقد أكد "هولميارد Holmyard" فى كتابه

---

١) عيون الأنباء ص ٣٤٣، وراجع: كشف الظنون ١ / ٤٦٧.

٢) أسامة ناصر النقشبندى: من نوادر المخطوطات العلمية فى العراق - مجلة المورد المجلد (١٤) العدد) - ص ٣٦١، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ج ٧ ص ١٦١، الأعلام للزركلى ج ٨ ص ١٦١.

٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٥٠٤، د. حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات فى تاريخ العلوم ص ٢٣٩.

٤) الخوارزمى: مفاتيح العلوم ص١٤٦(ط مكتبة الكليات الأزهرية/القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م). وقد بين أن كيمياء مشتقة من الفعل (كمى - يكمى) إذا ستر وأخفى. ويقال كمى الشهادة يكميها، إذا كتمها. وهذا الاشتقاق راجع فى حقيقة الأمر إلى طبيعة الموضوع، حيث كانت الكيمياء فى البداية من العلوم المكتومة إلا على أصحابها(وراجع أيضا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية للدكتور أحمد فؤاد باشا ص ١٤٨، الكافى من تاريخ العلوم عند العرب، لبهزاد جابر ص ٦١).

"المبدعون فى علم الكيمياء" على هذا الرأى؛ من أن علماء العرب هم أول من أطلق على " علم الصنعة " اسم: "علم الكيمياء"[١].

خالد بن يزيد الأموى وجهوده فى مجال الكيمياء:

وقد بدأت الكيمياء فى الإسلام كأى علم آخر بترجمة كتب اليونانيين الممثلين لمدرسة الإسكندرية[٢]. وهذه المرحلة بدأت على يد خالد بن يزيد بن معاوية الأموى (المتوفى ٨٥ هـ/٧٠٤م)، فقد أولع بهذا العلم، ونسب إليه ترجمة كتب النجوم والطب والكيمياء وغيرها[٣]. ويقول " هولميارد Holmyard ": «ويذكر أن خالد بن يزيد شغف بحب العلوم بصورة عامة، غير أنه جعل الكيمياء فى المرتبة الأولى، وقد أمر باستدعاء فلاسفة اليونان من مصر، وطلب إليهم ترجمة العلوم وبالأخص كتب الكيمياء من اللغتين اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية»[٤].

ويضيف هولميارد: «إن خالدا درس الكيمياء على يد عالم مسيحى من أهل الإسكندرية يدعى ماريانوس (Marianos) أو " مارينوس (Marinos)، فلما تعلمها أمر بنقل كتبها إلى العربية، فنقلها له رجل يدعى " اسطيفانوس " (Staphenos)[٥].

وقد أكد صاعد الأندلسى فى كتابه " طبقات الأمم " على أن خالد بن يزيد له فى الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها[٦]. وينسب له ابن النديم من الكتب التى رآها: كتاب " الحرارات" وكتاب " الصحيفة الكبير" وكتاب "الصحيفة الصغير" ووصيته إلى ابنه فى صنعة الكيمياء[٧]. ومن كتبه أيضا إضافة إلى ما ذكره ابن النديم: كتاب "السر البديع فى رمز المنيع" وكتاب " فردوس الحكمة فى علم الكيمياء" وهو عبارة عن منظومة فى قوافى مختلفة يبلغ عدد أبياتها ألفان وثلاثمائة وخمسة عشر بيتا. وله أيضا كتاب

---

١) على عبد الله الدفاع: الموجز فى التراث العلمى العربى الإسلامى - ص ٣٤.

٢) كانت مدينةالإسكندرية من دون بقية المدن الإغريقية الأخرى المركز الذى تكونت فيه النواة الأولى لعلم الكيمياء (راجع تفاصيل ذلك فى كتاب: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور أحمد عبد الرازق ص ٢٨١، الموجز فى تاريخ العلوم لمحمد عبد الرحمن مرحبا - ص ١٠٥).

٣) تحدثنا عن دور خالد بن يزيد فى حركة الترجمة - راجع عن ذلك (ص ٢٩٢).

٤) د. فاضل أحمد الطائى: أعلام العرب فى الكيمياء ص ٢٧.

٥) د. فاضل أحمد الطائى: المرجع السابق ص ٢٨، علم الكيمياء والصيدلة (لنفس المؤلف) ص ١٣ - ١٤، د. أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٣٨١.

٦) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٤٨.

٧) الفهرست لابن النديم ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

"الرحمة" فى الكيمياء، ومقالتا مريانوس الراهب فى الكيمياء[١].

وبهذا يكون خالد بن يزيد قد أتاح الفرصة أمام العلماء من بعده لاستيعاب النظريات القديمة فى علم الكيمياء، وهيأ الظروف لظهور مرحلة التأليف والإبداع على أيدى العديد من عباقرة العلم وصناع الحضارة الإسلامية، وأولهم جابر بن حيان الملقب بشيخ الكيميائيين، ويليه الكندى والرازى. وفيما يلى عرض لشىء من الإنجازات التى قدمها هؤلاء الثلاثة فى هذا العلم:

جهود المدرسة البغدادية فى علم الكيمياء:

(١) جابر بن حيان الأزدى الكوفى:

ويعتبر جابر بن حيان الأزدى الكوفى أول رجل ظهر فى العالم جدير بأن يلقب بالكيميائى[٢]. وقد احتل اسمه مكانة مرموقة فى تاريخ الكيمياء، ولم يتسن لغيره الوصول إلى ما وصل إليه، نظرا لكثرة ما ألف من رسائل وكتب، وللمهارة التجريبية التى امتاز بها عن سواه. «وكانت مكانته فى الكيمياء مالأرسطو قبله فى المنطق»على حد تعبير (برتلو) العالم الكيميائى الفرنسى[٣]. ووصفه ابن خلدون بأنه إمام المدونين فى الكيمياء، «حتى إنهم يخصونها به ويسمونها علم جابر»[٤].

وقد رجح عدد من الباحثين أن جابر بن حيان أصله من" طوس"، ورحل إلى الكوفة، ثم جعل مقر إقامته فى بغداد، واتصل بالبرامكة فى خلافة هارون الرشيد، وصار صديقا لهم ومقربا لديهم، وروى فى كتابه "الخواص" نوادر كثيرة وقعت له مع كبارهم (يحى والفضل)، وأدرك عصر المأمون وفقا لرواية الجلدكى المصرى فى كتابه(نهاية الطلب فى الكيمياء). وتوفى على الأرجح فى حدود (عام ١٩٨هـ / ٨١٣م) أو عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م[٥].

---

١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨، معجم الأدباء لياقوت ج ١١ ص ٣٥، كشف الظنون ج ٢ ص ٩٨٦، ص ١٢٥٤ ، هدية العارفين ١ / ٣٤٣ (ط استانبول ١٩٥٥م).

٢) محمد محمد فياض: جابر بن حيان وخلفاؤه - ص ٣٥.

٣) العلوم عند العرب - لقدرى حافظ طوقان ص ٩٠.

٤) مقدمة ابن خلدون - ص ٥٠٤.

٥) راجع: أعلام العرب فى الكيمياء للدكتور فاضل أحمد الطائى - ص ٤٤ - ٤٥، جابر بن حيان وخلفاؤه - محمد محمد فياض - ص ٣٧ - ٣٨، دائرة المعارف البريطانية ج ١٠ ص ٨٣ (الطبعة ١٤).

صنف جابر عددا كبيرا من الكتب والرسائل فى علوم شتى، شأنه فى ذلك شأن علماء كثيرين، فتناولت مؤلفاته المنطق والفلسفة والفلك والرياضيات والطب والأدوية والنبات والكيمياء. وقد قاربت هذه المؤلفات مائة واثنى عشر كتابا. ونظرة إلى أسماء كتبه فى (الفهرست) لابن النديم[١] تبين المآثر الجليلة التى خلفها للأجيال من بعده.

ويعد كتابه (الخواص الكبير) من أهم كتبه فى علم الكيمياء. يضاف إليه كتاب "الرحمة" وكتاب "العنصر الأساسى" وكتاب "الاستتمام" وكتاب "الاستيفاء" وكتاب "التكليس" وكتاب "الإيضاح" [٢] وغيرها. والكتاب الأخير فحص فيه نظريات القدماء فى الكيمياء. وحللها تحليلا دقيقا، وأدخل تعديلات جوهرية على نظرية أرسطو عن تكوين المعادن والفلزات، وبين أنها لا تساعد على تفسير بعض التجارب، ولا تلائم بعض الحقائق العلمية المعروفة آنذاك[٣]. وقد عالج فى كتابه "الموازين" معادلة ما فى المعادن من طبائع، وجعل لكل معدن موازين خاصة بطبائعه[٤].

ولا نود التطرق إلى ما كتب عن اكتشافات جابر بن حيان وتجاربه العلمية فى مجال الكيمياء. وكل هذه الكتابات[٥] تؤكد على أنه صاحب نظريات فى هذا العلم، وقام بأعمال جليلة، كتحضيره العدد الكبير من المركبات الكيميائية، وتصميمه عددا من الأجهزة التى تستعمل فى هذا المجال، ومعرفته لكثير من العمليات الكيميائية، كالترشيح والتقطير والتبلور والانصهار والإذابة وغيرها. وقد تجاوز حدود الآراء المميزة لعلوم اليونان والهنود، وانتقل إلى المختبر وإجراء التجارب. وعبر عن منهجه التجريبى بقوله: «وأول واجب أن تعمل وتجرى

---

١) الفهرست لابن النديم ص ٥٠٠ – ٥٠٣.

٢) الفهرست ص ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢. أعلام العرب فى الكيمياء ص ٤٥ – ٤٧، العلوم عند العرب لقدرى حافظ طوقان ص ٩٥ – ٩٦.

٣) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص١٥٢.

٤) د. أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق ص ١٥٢. وراجع العلوم عند العرب لقدرى حافظ طوقان – ص ٩٢.

٥) أهم البحوث التى كتبت عن جابر بن حيان وجهوده فى علم الكيمياء: كتاب " جابر بن حيان وخلفاؤه " لمحمد محمد فياض. وكتاب " أعلام العرب فى الكيمياء " للدكتور فاضل أحمد الطائى ص ٣٦ – ٥٧، علم الكيمياء والصيدلة عند العرب (للطائى أيضا) ص١٩–٢٣، التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية للدكتور أحمد فؤاد باشا ص١٥٢– ١٥٤، العلوم عند العرب – لقدرى حافظ طوقان ص٩٠ – ٩٦، وغيرها.

التجارب، لأن من لا يعمل ويجرى التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان، فعليك بالتجربة لتصل إلى المعرفة». وكان يؤكد على ذلك كلما جاءت مناسبة، فقال فى كتابه (الخواص الكبير): «قد عملته بيدى وبعقلى من قبل، وبحثت عنه حتى صح، وامتحنته فما كذب»[١]. وقد أثنى عليه فى هذه الناحيه (بول كراوس)- ناشر رسائله- بقوله:«إنه من أعظم رواد العلوم التجريبية، لأنه جعل الميزان[٢] أساسا للتجريب، ومن ثم قدم أقوى محاولة فى العصور الوسطى لإقامة مذهب كمى لعلوم الطبيعة»[٣].

(٢) الكندى: الفيلسوف البغدادى (المتوفى ٢٥٢هـ / ٨٦٦م):

وبالرغم من أن علماء الفلسفة يعتبرون الكندى الفيلسوف البغدادى(المتوفى ٢٥٢هـ / ٨٦٦م) من أنصار الفلسفة اليونانية، وأنه أخذ بالفلسفة الأرسطية فدرس ما ترجم منها إلى العربية وحاول إصلاحه وشرحه وتهذيبه- بالرغم من ذلك فإنه فيما يتعلق بالكيمياء رفض نظرية أرسطو فى تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب أو فضة، وقال باستحالة ذلك، بل يجب الحصول عليهما من المناجم، ورأى أن الاشتغال بالكيمياء للحصول على الذهب مضيعة للوقت والمال، بل إنه حذر من ذلك، وصنف لهذا الغرض عدة رسائل، منها: «رسالة فى التنبيه عن خدع الكيميائيين». ورسالة «فى بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم»[٤].

وقد صنف الكندى فى مجال الكيمياء التجريبية والصناعية رسائل هامة منها: "رسالة فى أنواع الجواهر الثمينة". و"رسالة فيما يصبغ فيعطى لونا ". و"رسالة فى كيمياء العطور " ورسالة فى العطور وأنواعها" و"رسالة فى تلويح الزجاج". و"رسالة فى السيوف والحديد"[٥]. و"رسالة فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى تتثلم ولا تكل".

---

١) د. أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق ص ١٥٣ - وراجع: جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث ص ٧١ - ٧٢.

٢) المقصود بالميزان هنا: معادلة ما فى الأجساد - أى المعادن - من طبائع (راجع: العلوم عند العرب لقدرى حافظ طوقان — ص٩٣).

٣) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص١٥٣.

٤) الفهرست ص ٣٦٥، وراجع د. أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق ص ١٥١، علم الكيمياء والصيدلة عند العرب للدكتور فاضل الطائى ص ٢١، إخبار العلماء للقفطى ص ٢٤٦، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٢٩٢، ٢٩٣.

٥) وهذه الرسالة حقق جزءا منها الدكتور فيصل دبدوب - مكتبة داود الحلبى - الموصل، مطبعة العانى ١٩٦٢ م. ونشرت أيضا فى مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة فى المجلد (١٤) الجزء الثانى لعام ١٩٥٢ م (د. الطائى: علم الكيمياء والصيدلة عند العرب ص ٢٦).

وفى رسالته "كيمياء العطروالتصعيدات" تناول الكندى كيفية صنع أنواع كثيرة من العطور، وتطرق إلى ذكر عمليات كيمياوية عديدة، كالترشيح والتقطير، وجاء بمخطط يتضمن جميع أدوات التقطير مربوطة بعضها ببعضها الآخر لتؤلف جهازا كاملا للتقطير[١].

أما رسالته فى "أنواع السيوف والحديد" فهى تبحث فى صنعة السيف وتعدد أنواع الحديد، وطرائق السقى والمواد اللازمة، والظروف التى يجب أن تتم بها طريقة الصنع من حيث درجة الحرارة ومدة النفخ وتكرار التسخين، وطرائق التبريد. وقد قدمت هذه الرسالة إلى الخليفة العباسى المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١م)، وعلى الرغم من صغر حجمها وعدم تمامها فإنها ذات فائدة كبيرة، وتجلى فيها نهج الكندى العلمى، وتعتبر دليل مختبر فى الكيمياء الصناعية[٢].

(٣) الرازى (المتوفى ٣٢٠هـ / ٩٣٢م):

وننتقل إلى عالم آخر من أعلام المدرسة البغدادية احتل مكانة لائقة فى علم الطب ولقب بجالينوس العرب، وكاد يقف على قدم المساواة مع جابر بن حيان فى علم الكيمياء. وهذا العالم هو محمد بن زكريا الرازى (المتوفى ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) رئيس بيمارستان بغداد فى عهد المكتفى بالله العباسى (٢٨٩- ٢٩٥هـ / ٩٠١- ٩٠٧م).

وقد صنف الرازى من بين مؤلفاته التى تصل إلى ما ينوف على مائة وثمانين مؤلفا[٣]، صنف فى الكيميائيات ثلاثة وعشرين مصنفا[٤]، نذكر منها: كتاب "المدخل التعليمى" وكتاب " المدخل البرهانى" وكتاب " التدبير" (أى التجارب) وكتاب " الرد على الكندى فى إدخاله صناعة الكيمياء فى الممتنع". وكتاب "فى أن صناعة الكيمياء أقرب منها إلى الامتناع".

---

١) د. فاضل أحمد الطائى: أعلام العرب فى الكيمياء ص ٨٨ - ٨٩، علم الكيمياء والصيدلة عند العرب ص ٢٥ - ٢٦.

٢) د. فاضل الطائى: المرجعان السابقان - على الترتيب ص ٨٩ - ٩٠، ص ٢٧.

٣) هذه هى إحصائية البيرونى فى كتابه " فهرست كتب الرازى ". وقد ذكر على عبد الله الدفاع هذه المؤلفات كاملة ووزعها على العلوم المختلفة (إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٢٢٥ وما بعدها). وقد أحصينا الكتب التى ذكرها ابن أبى أصيبعة فى ترجمته للرازى فوصلت (٢٣٢) كتابا فى مختلف فروع المعرفة (عيون الأنباء ص ٤٢١ - ٤٢٧).

٤) أبو بكر الرازى وبحوثه فى العلم الطبيعى - بحث لجلال شوقى بمجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) - العدد الثانى (١٩٨٣م) ص ٢١٣. ويذكر ابن جلجل فى (طبقات الأطباء والحكماء ص ٧٧ - ٧٨) أن الرازى صنف فى صناعة الكيمياء أربع عشرة مقالة. ويذكر ابن العبرى (تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٤ - ٣٧٥) وابن أبى أصيبعة (عيون الأنباء ص ٤٢٢) أنصنف اثنى عشر كتابا فى الكيمياء. قلت: والعدد الذى ذكره البيرونى هو الأقرب للصحة.

وكتاب "سر الأسرار". وهذا الكتاب الأخير من أشهر كتب الرازى، ليس فى تقدم علم الكيمياء فقط، ولكن أيضا فى ظهور علم العقاقير الكيميائية[١]. وفيه يسير الرازى على منهاج جابر بن حيان، ولكنه يبدو أكثر قربا من المنهج العلمى فى الكيمياء الحديثة. ويبحث الكتاب فى ثلاثة أقسام هى: ومعرفة العقاقير بأنواعها الثلاثة: الترابية والنباتية والحيوانية. ومعرفة الآلات (الأدوات). ومعرفة التدابير، أى التجارب. ففى القسم الأول وصف الرازى مواد العقاقير وصفا دقيقا ومسهبا كما شرح خواصها وصفاتها وطرق تنقيتها، وكيفية التمييز بينها، ومعرفة جيدها من رديئها. وجعل المواد الترابية- أى المعدنة وغير العضوية- ستة أنواع، هى: الغازات والمعادن والحجارة والزاجات والبوارق. وفى القسم الثانى وصف الرازى الكثير من الآلات والأجهزة المستعملة فى التجارب، وجعلها على نوعين: نوع لتذويب المعادن- كالمنفخ والبوتقة والماشة - ونوع آخر لتذويب العقاقير، كالأقداح والقنانى والأنبيق والمستوقد والأتون وغيرها. وقد اهتم بشرح كيفية تركيب الأجهزة المعقدة وصيانتها وطرق استعمالها. وأما القسم الثالث فقد شرح فيه كيفية إجراء التجارب لتحضير العقاقير، ووصف العمليات الكيميائية المستخدمة فى ذلك، موضحا سير التفاعلات الكيميائية والنتائج المترتبة عليها[٢]. وقد استعرض فى هذا القسم على سبيل المثال- عمليات تحضير زيت الزاج أو الزاج الأخضر (حامض الكبريتيك)، وكذلك الكحول. وذكر أن الأول يستخرج بتقطير كبريت الحديد. والثانى يستخرج بتقطير المواد النشوية والسكرية المتخمرة، وكان يستعمله فى الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاج. كما درس خصائص الزئبق ومركباته واستخدمها كعقار ضد بعض الأمراض[٣]. ويقول قدرى حافظ طوقان: عن كتاب " سر الأسرار" للرازى: «إنه ضمنه المنهاج الذى يسير عليه فى إجراء تجاربه؛ فكان يبتدىء بوصف المواد التى يشتغل بها، ثم يصف الأدوات والآلات التى يستعملها، وبذلك يصف الطريقة التى يتبعها فى تحضير المركبات، كما كان يشرح كيفية تركيب الأجهزة المعقدة، ويدعم شروحه بالتعليمات

---

١) الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٢٢٠، د. فاضل الطائى: علم الكيمياء والصيدلة عند العرب ص ٣ .

٢) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٥٤ - ١٥٥. وراجع د. فاضل الطائى: المرجع السابق ص ٣٢، أعلام العرب فى الكيمياء (للطائى) ص ١١٩ - ١٥٨. الدومييلى: العلوم عند العرب (مترجم) ص ٢٦٤، بمزاد جابر: الكافى من تاريخ العلوم عند العرب ص ٦٩ - ٧٠، على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٢٢١ - ٢٢٣. شريف. م. م.: الفكر الإسلامى منابعه وآثاره ص ٩٢ (مترجم) .

٣) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم الصيدلة ص ٢٢٠.

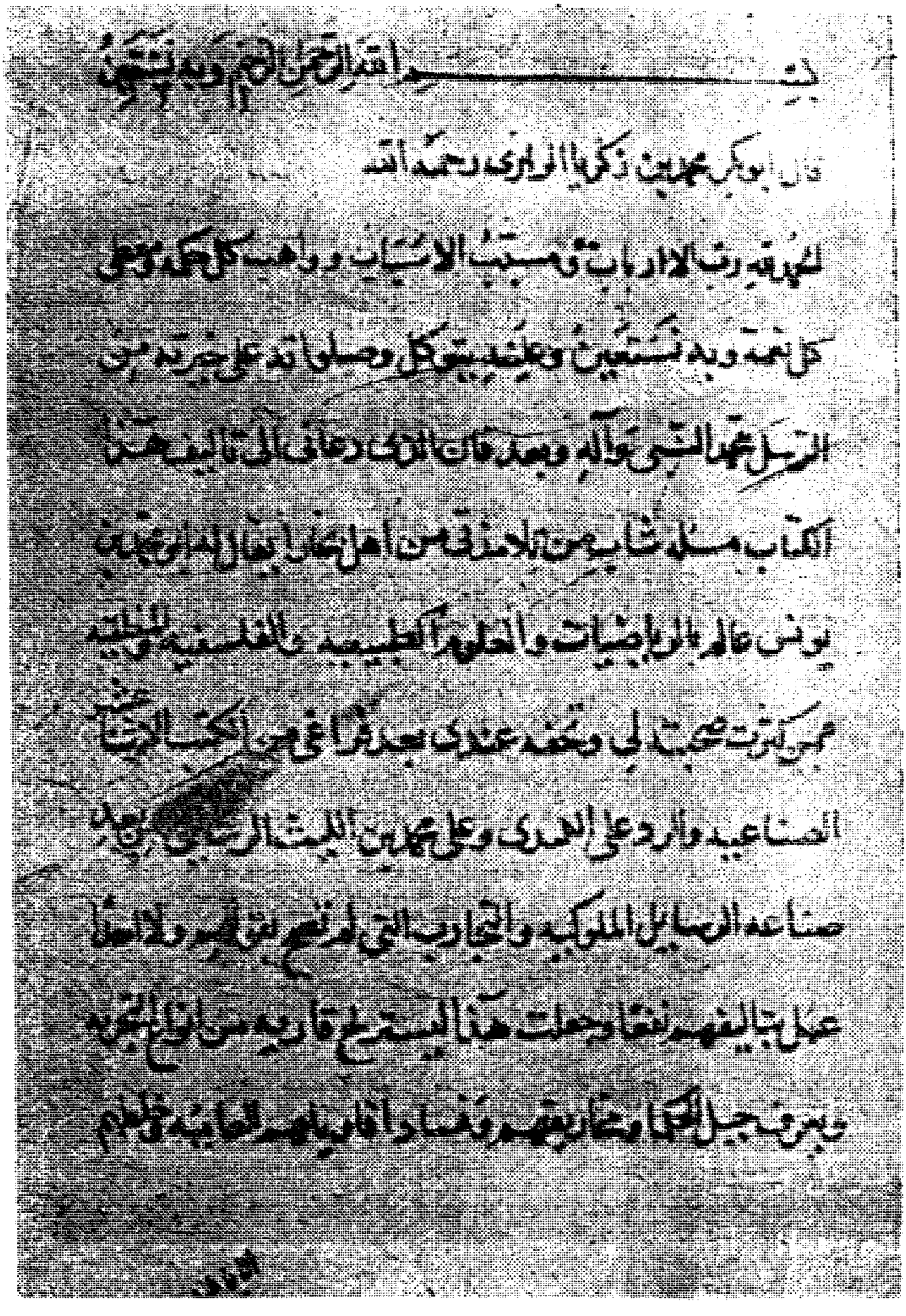

صورة من كتاب (سر الأسرار) للرازى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م)

التفصيلية الواضحة، وهذا التنظيم الذى يتبعه الرازى فى كتابه هذا هو تنظيم يقوم على أساس علمى يقرب من التنظيم الذى يسير عليه علماء هذا العصر فى المختبرات»[١].

وقد ذكر (هوليمارد Holmyard) أن الرازى كطبيب مال إلى دراسة الكيمياء لعلاقتها الوثيقة بالطب، وعمل على تحضير الأدوية والعقاقير. وكان أهم ما ينسب إليه فى مجال الكيمياء هو ربطها بالطب والصيدلة. وقد عد مؤسسا لعلمى الكيمياء العلاجية والعقاقير، واعتبره بعض المستشرقين أوسع علما وأكثر تجربة وأدق تصنيفا للمواد من جابر بن حيان، وفاقه فى وصف الأجهزة والمواد الكيمياوية، ذلك لأن الرازى قد خبر ما جاء فى كتب جابر، وأضاف بخبرته الواسعة وتجاربه المهمة الشيء الكثير إلى علمى الكيمياء والصيدلة[٢].

علماء آخرون أسهموا فى علم الكيمياء:

ومن العلماء العرب والمسلمين الذين امتد نشاطهم العلمى إلى علم الكيمياء وأسهموا فى إثراء التراث العلمى للحضارة الإسلامية بالعديد من المؤلفات القيمة والابتكارات الأصيلة فى هذا الميدان: الجاحظ (المتوفى٢٥٥هـ/٨٦٨م) فى كتابه "الكيمياء" [٣]. وقد استطاع الحصول على النشادر من روث الحيوان (ملح الأمونيا) عن طريق التقطير الجاف[٤]. ومنهم أيضا: الفارابى (المتوفى ٣٣٩هـ / ٩٥٠م) وإخوان الصفا وابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) والبيرونى (المتوفى ٤٤١هـ/١٠٥٠م) فى كتابيه (الجماهر فى معرفة الجواهر) و(الصيدلة)[٥].

ويرتبط بهذه المدرسة العلمية فى الكيمياء القديمة: أبو الحكم محمد بن عبد الملك الصالحى الخوارزمى الذى عاش فى بغداد، وصنف فى حدود سنة ٤٢٥هـ /١٠٣٤م كتاب "عين الصنعة وعون الصناع"، ضمنه وصفا لأهم الآلات التى يستخدمها فى

---

١) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم الصيدلة ص ٢٢٠.

٢) د. فاضل أحمد الطائى: علم الكيمياء والصيدلة عند العرب ص٣٢-٣٣، أعلام العرب فى الكيمياء ص ١١٣، ص ١٥٩.

٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ١٦ ص ١١٠.

٤) شريف. م. م: الفكر الإسلامى منابعه وآثاره ص ٩٣ (ترجمة دكتور أحمد شلبى).

٥) عن دور ابن سينا والبيرونى فى علم الكيمياء راجع: علم الكيمياء والصيدلة عند العرب ص ٣٥ - ٤٥، أعلام العرب فى الكيمياء ص ٢٠٢ - ٢٠٧، ص ٢٢٦ (وكلاهما للدكتور فاضل أحمد الطائى)، الكافى من تاريخ العلوم عند العرب لبهزاد جابر ص ٧٠.

عملياته الكيميائية[١].

تعقيب: وهكذا كان لجهود علماء المسلمين- فى إطار المدرسة البغدادية/ المشرقية، وفى حدود قرنين من الزمان- الأثر الكبير فى تأسيس علم الكيمياء، وجعله علما تجريبيا بفضل نزعتهم العلمية وميلهم إلى البحث والتدقيق والتجربة، لكنهم بالرغم من الاكتشافات التى حققوها والجهود التى بذلوها والمواد التى توصلوا إليها والتجارب التى مارسوها فإنهم «لم يهتدوا إلى القوانين التى تضبط العمليات الكيميائية، ولم يضعوا للكيمياء قوانين عامة أو رموزا تدل عليها. وهذه أمور كانت وليدة الكيمياء الحديثة »[٢]. ويمكن القول: إن هؤلاء العلماء لم يقفوا فقط عند نتاج الأقدمين من فلاسفة اليونان وإنما- على عادتهم- خالفوهم فى بعض النظريات والآراء، وأتوا بآراء ونظريات أكثر ملائمة للحقائق العلمية.

***

١) الدوميلى: العلم عند العرب (مترجم)ص ٢٦٥، زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢٦، د. أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - ص ٢٨٩.

٢) بهزاد جابر: الكافى من تاريخ العلوم عند العرب ص ٦٧.

الفصل السادس
علوم الحياة

ويشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : علم النبات.

المبحث الثانى : علم الحيوان.

مدخل:

علم الحياة فى مفهومه الحديث هو أحد فروع العلوم الطبيعية الذى يعنى بدراسة الأحياء النامية من جميع جوانبها الوصفية والبيئية والسلوكية والتشريحية والوراثية. ولهذا العلم علاقة وثيقة بالمجالات التطبيقية فى الطب والزراعة والاقتصاد وغيرها[١].

ويعد علما (النبات) و(الحيوان) من أقسام علوم الحياة الرئيسية التى وجهت إليهما عناية الإنسان بسبب ارتباطهما الوثيق بحاجاته الضرورية فى حياته المعيشية. لذلك كان من الطبيعى أن يحظى كل منهما بعناية الشعوب القديمة من مصريين وبابليين وهنود وصينيين وإغريق ورومان، وأن ينعكس ذلك على علماء المسلمين الذين عمدوا إلى الاستفادة من تراث تلك الشعوب عن طريق نقل وترجمة كل ما وصل إلى أيديهم فى مجال النبات والحيوان إلى اللغة العربية جريا على عادتهم فى ذلك بالنسبة لكل العلوم التجريبية التى كانت شائعة عن ظهور الإسلام فى الممالك التى اتصلوا بها واستولوا عليها[٢].

***

المبحث الأول
علم النبات والفلاحة

التأليف فى النبات باعتباره مادة لغوية

وقد بدأ علم النبات عند العرب باهتمامهم بالنباتات وجمع أسمائها باعتبارها جزءا من

---

١) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٣١.

٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية) ص ٢٣٥، جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج ٣ ص ١١٥.

اللغة واجب التحقيق. فمن الثابت أن عملية التدوين لم تعرف طريقها إلى النور إلا فى العصر الإسلامى، وبالتحديد إبان القرن الثانى الهجرى بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بالأعاجم، وخشى المسلمون على لغتهم من الفساد، فأخذوا فى جمع مفردات لغتهم وتسجيلها باعتبارها المدخل الصحيح لفهم معانى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف. وكان الزرع والنبات والكرم والعنب والبقل والنخل وغير ذلك مما عنوا به وجدوا فى تدوينه؛ حيث استقوا أغلب معلوماتهم عنها من خلال أشعار الجاهلية وما جاء فى القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية وما أخذوه عن الأعراب الذين وفدوا على الأمصار، بالإضافة إلى ما حققوه بأنفسهم من خلال زياراتهم الميدانية للبادية، وهذا يعنى أن «أغلب مؤلفات علماء المسلمين المبكرة فى مجال النبات كانت عبارة عن مجموعة من الأسماء والمصطلحات النباتية التى صنفت ضمن محتويات المعاجم اللغوية باعتبارها جزءا من اللغة لا ينفصل عنها، وإن كان هذا لا يعنى بالضرورة إقبال علماء المسلمين إبان تلك الفترة المبكرة على وضع مؤلفات متخصصة فى علم النبات»[١].

وإذا تتبعنا أسماء اللغويين العراقيين الذين يرجع إليهم الفضل فى العناية بجمع أسماء النبات ومصطلحاته فسنجد أنفسنا أمام قائمة طويلة يضيق المقام بذكرها، ولكن نذكر منهم على سبيل المثال: النضر بن شميل (المتوفى ٢٠٤هـ / ٨١٩م) وأبا عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) وعبد الملك بن قريب الأصمعى (المتوفى ٢١٧هـ / ٨٣٢م) وأبا زيد الأنصارى (المتوفى ٢١٥هـ / ٨٣٠م) وابن الأعرابى (المتوفى٢٣١هـ / ٨٤٥م) وأبا حاتم السجستانى (المتوفى ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) وابن السكيت (المتوفى ٢٤٤هـ ٨٥٨م) والجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) وأبا سعيد السكرى (المتوفى ٢٧٥هـ /٨٨٨م) والمفضل بن سلمة (المتوفى ٣٠٨هـ /٩٢٠م) وسليمان بن محمد المعروف بالحامض (المتوفى ٣٠٥هـ / ٩١٧م) وغيرهم كثير. وهؤلاء صنفوا كتبا فى النبات تحمل عناوين: "النبات"- وهو عنوان لكثير من الكتب- و" النخل" و"الشجر" و"الزرع" و"النبت والبقل" و"العشب" وغيرها، فضلا عن المعاجم اللغوية التى حوت أبوابا خاصة بالنبات[٢].

---

١) مقدمة تحقيق كتاب النبات للأصمعى - حققه ونشره عبد الله يوسف الغنيم - القاهرة ١٩٧٢ م - ص ٥ - وراجع: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد - ص ٢٣٧ .

٢) راجع قائمة بأسماء كتب النبات بعناوينها المختلفة - فى الفهرست الخاص بعلم اللغة من كتاب تاريخ التراث العربى لفؤاد سركين - المجلد الثامن - ج ٢ ص ٦٥٠، ٥٦٢، ٦٥٦، ٦٨٤، ٦٨٥.

كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى البغدادى:

ويعتبر كتاب (النبات) لأبى حنيفة الدينورى البغدادى[١] (المتوفى ٢٨١هـ /٨٩٤م)- الملقب بشيخ النباتيين العرب- من أهم الكتب العربية التى صنفت فى النبات. وهذا الكتاب فى الذروة فى معرفة النباتات، ولم يصنف مثله فى اللغة العربية حتى عصر المؤلف. ويقع فى ستة أجزاء، استقصى فيه مؤلفه ما نطقت به ألسنة العرب شعرا أو نثرا فى أسماء النباتات ووصفها، سواء ما يختص منها بنص اللغة، أو من جهة شرحها شرحا علميا بعد معاينتها فى أماكنها وملاحظتها بنفسه. وقد زاد أبو حنيفة فيما وجده من نبات على سابقيه، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا أثبتها فى كتابه حتى فاق المتقدمين من علماء اللغة والباحثين فى النبات. واعتمد على المصادر العربية دون غيرها، ولم يعر الناحية الطبية كثيرا من العناية، ولذا فهو نباتى فحسب. ومع أن المقصود الأول من هذا الكتاب هو الجانب اللغوى فإن الأطباء والعشابين قد اعتمدوه، كما اعتمده علماء اللغه من بعـــده[٢].

ترجمة كتب التراث اليونانى فى النبات والفلاحة:

وفى بغداد اطلع علماء المسلمين على ما حصلوا عليه من كتب التراث الإغريقى فى النبات والفلاحة، ونقلوها إلى اللغة العربية، مثل كتاب "الفلاحـــة" لديموقريطس[٣] Democrite[٤] وثلاثة كتب لأرسطو، هى: كتاب " الفلاحة فى عشر مقالات[٥]، وكتاب "الإبانة عن علل النبات" أشار إليه اليعقوبى فى كتابه "البلدان" [٦]. والثالث: كتاب" النبات"

---

١) راجع ما كتبناه عن أبى حنيفة الدينورى فى الفصل الخاص بالدراسات التاريخية (ص ٢٢٥).

٢) على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات ص ٦١، عادل محمد الشيخ: كتب العرب فى علوم الحياة - بحث منشور بمجلة - العلم والإيمان التونسية - العدد التاسع (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) - ص ٣١ - ٣٢.

٣) محمد عيسى صالحية: ملاحظات على مخطوطات الفلاحة - بحث بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد (٥٩) - ج ٣ (١٩٨٤م)- ص ٥٧٠.

٤) ديموقريطس (٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م) من جزيرة أبديرة الواقعة فى الطرف الشمالى من بحر إيجة. اشتغل بالفلسفة والرياضيات والفلك والملاحة والطبيعة (راجع عنه: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية - لعلى عبد الله الدفاع ص ٥٤).

٥) القفطى: إخبار العلماء ص ٣٥، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٠٥.

٦) عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ص ١٤٥ (ط - دمشق ١٩٨٠م).

الذى ترجمه ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ / ٩٠٠م) بعنوان "تفسير كتاب أرسطو فى النبات" وقام إسحق بن حنين (المتوفى ٢٩٨هـ/٩١٠م) بمراجعته وتنقيحه[١]. وكتاب "ثاوفرسطس" Theophreacte- أحد تلاميذ أرسطو- الذى ترجمه إبراهيم بن بكوس (فى القرن الثانى الهجرى) تحت عنوان " أسباب النبات" [٢]. إلى جانب أهم كتاب اعتمد عليه العلماء المسلمون فى مجال النبات والأدوية، وهو كتاب "الحشائش" لديسقوريدس الذى تحدثنا عنه فى علم الصيدلة[٣].

ونقل علماء بغداد أيضا بعض مؤلفات جالينوس فى علم النبات، أهمها كتاب" النبات"، ومقالة فى استخراج مياه الحشائش أو " خواص الحشائش ومنافع الحيوان" [٤]. وترجموا كذلك كتاب "الفلاحة " لأبلونيوس (Apollonios) وكتاب " الفلاحة" لأناطوليوس[٥] (Anatolios). وترجم كل من قسطا بن لوقا ويحى بن عدى المنطقى (تلميذ الفارابى) واصطفن بن بسيل وسرجس بن هلبا الرومى (وجميعهم عاشوا فى بغداد وشاركوا فى حركة الترجمة) ترجموا إلى العربية كتاب " الفلاحة الرومية" لمؤلفه قسطوس بن اسكور الرومى[٦].

يضاف إلى ذلك كله كتب مفردات الأدوية المترجمة عن الهنود واليونانيين وهى تحتوى على أسماء عدد هائل من النباتات وخواصها الطبية. وقد تحدثنا عنها فى الفصل الخاص بعلم الصيدلة[٧].

والمقصود أن علماء العرب والمسلمين- فى إطار مدرسة (بغداد / المشرق) ترجموا ما ورثوه من إنتاج حضارات الأوائل فى علم النبات. ولكن- وعلى عادة علماء العرب والمسلمين فى مثل هذه العلوم- لم تقتصر جهودهم على ترجمة كتب التراث القديم فحسب،

---

١) إخبار العلماء للقفطى ص ٣٤، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ١٠٤، وراجع د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢٣٧.

٢) إخبار العلماء ص ٧٥، وراجع عيون الأنباء ص ١٠٦.

٣) راجع حديثنا عن كتاب ديسقوريدس (ص ٤٠٤ - ٤٠٦).

٤) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢٣٨.

٥) د. أحمد عبد الرازق: المرجع السابق ص ٢٣٨.

٦) حاجى خليفة: كشف الظنون ج ٢ ص ١٦٠. وراجع: عمر رضا كحالة: العلوم العملية فى العصور الإسلامية ص ١٨٧ - ١٨٨ (وفيه عرض لمحتويات هذا الكتاب). وراجع محمد عيسى صالحية: ملاحظات على مخطوطات الفلاحة (بحث بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج ٥٩ / ج ٣ ص ٥٨٢.)

٧) راجع (ص ٤٠٢ - ٤٠٣) من الفصل الخاص بعلم الصيدلة.

وإنما تجاوزوها إلى مرحلة الدراسة والتأليف، وأضافوا إلى هذا العلم الكثير من الدراسات العلمية التى اعتمدت على التجربة والملاحظة والدراسة الميدانية، ونبغ من العرب والمسلمين عدد من النباتيين، ليس فقط فى مشرق الدولة الإسلامية (ومركزها بغداد)، ولكن أيضا فى مغربها (الأندلس وشمال إفريقية)[١].

أعلام المدرسة البغدادية /المشرقية فى علم النبات والفلاحة:

وإذا استثنينا عددا من العلماء الأطباء والصيادلة الذين مر ذكرهم فى علم الصيدلة- مثل يوحنا بن ماسوية وحنين بن إسحق والكندى وثابت بن قرة- (وهؤلاء كانت لهم مصنفات عديدة فى عمل العقاقير والأدوية ومنافع الأغذية ومضارها، وهى مؤلفات حافلة بأنواع النباتات والأعشاب الطبية). وإذا استثنينا أيضا علماء الجغرافيا البغداديين الذين ضمنوا فى مؤلفاتهم كل ما شاهدوه من أنواع النباتات فى مختلف البقاع والبلدان التى ارتادوها- أمثال اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ) وابن رسته (ت ٢٩٠ هـ) وابن فضلان (٣٠٩هـ) وغيرهم[٢]- أقول: إذا استثنينا هؤلاء وهؤلاء فى مجال علم النبات والفلاحة فإن مدرسة بغداد / المشرق أنجبت مجموعة من العلماء تفخر بهم الحضارة الإسلامية فى هذا الحقل العلمى، نذكر منهم فى حدود القرنين الثالث والرابع الهجريين.

(١) قسطا بن لوقا البعلبكى البغدادى (المتوفى ٣١١هـ / ٩٢٣م):

وهو مسيحى النحلة، طبيب حاذق، عالم بالفلسفة والرياضيات والفلك والموسيقى، وله مؤلفات عديدة فى جميع هذه العلوم، وكان يجيد اللغة السريانية واليونانية والعربية، وله دور نشط فى ترجمة علوم اليونان وتوفى أيام الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥- ٣٢٠هـ / ٩٠٧- ٩٣٢م)[٣]. وقد صنف كتاب " الفلاحة الرومية" ونقله إلى العربية: سرجس بن هلبا الرومى[٤]. ويحتوى هذا الكتاب فى أجزائه الاثنى عشر على خصائص الأرض وأنواع السماد وما يصلح للزراعة والرعى وأحوال البذور والحصاد والبساتين وترتيبها وغرس أشجارها وصيانة ثمارها ومنافع بعض الحبوب والخضروات. وفى الكتاب أيضا بحث فى الخيل وتربيتها

---

١) سيأتى الحديث عن إسهام علماء الأندلس فى علم النبات والفلاحة (ص ٩٢٩ - ٩٤٤).

٢) سبق الحديث عن أعلام الجغرافيا ومنجزاتهم فى فصل خاص (يبدأ من ص ٢٦٧).

٣) من مصادر ترجمة قسطا بن لوقا: الفهرست ص ٤١٠ - ٤١١، طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ٧٦، إخبار العلماء للقفطى ص ١٧٣ - ١٧٤، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٣٢٩ - ٣٣١.

٤) كتب العرب فى علوم الحياة - بحث منشور فى مجلة العلم والإيمان التونسية - العدد التاسع (١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م) ص ٣٥. وقد طبع كتاب قسطا بن لوقا بالقاهرة ١٢٩٣ هـ.

والمحمود من صفاتها والمذموم، وفى تربية الماشية والطيور والنحل والأسماك..... وبحوث أخرى كثيرة ومبتكرة[١].

(٢) ابن وحشية النبطى (المتوفى ٢٩٦هـ / ٩٠٩م):

وصنف أبو بكر أحمد بن على بن المختار الكلدانى النبطى (المتوفى ٢٩٦هـ / ٩٠٩م) كتاب "الفلاحة النبطية"[٢]، صنفه سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م وهو من أقوم كتب النبات والزراعة المكتوبة باللغة العربية، اعتمد عليه الكثيرون بعده ممن كتبوا فى هذا العلم. وقد شرح فيه مؤلفه -على مدار ثلاثة عشر بابا - العلوم الزراعية والنباتية المختلفة: من علوم التربة والرى وأنواع المحاصيل وطرق الانتفاع بها والمحافظة عليها من الآفات، والأشجار والخضروات والأنواء الجوية[٣].

ويقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء؛ الأول: حوى كيفية استنباط الماء وحفر الآبار وغرس الأشجار وعلاجها. واشتمل الثانى على بعض الحاصلات كالأرز والحنطة والباقلاء وغيرها. ثم تناول فى الجزء الثالث الكروم وزراعتها وآفاتها. وقد أفسح المؤلف مجالا واسعا لكيفية عمل البيادر وخزن الحنطة وأوقات الزرع ومعرفة الأهوية، كما أنه عنى بدراسة مختلف أنواع النبات وكيفية زرعها وريها وتسميدها. ويتفق ابن وحشية فى كثير من مواضع الكتاب مع أصول العلم الحديث فى مجال النبات والزراعة[٤].

(٣) وقد صنف عالم بغدادى يعرف بابن إسحق (المتوفى٢٦٤هـ/٨٧٧م)-

وكان فى عصر الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م)- صنف كتابا فى "الفلاحة" وهو يبحث فى أكثر النواحى الزراعية وكيفية الاعتناء بها. وله أيضا كتاب فى "النبات" وكتاب آخر فى "البقول وخواصها" و"الفواكه ومنافعها"[٥].

---

١) د. محمد عبد السلام الهيتى: علم النبات عند العرب ص ٢٦، عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢) الفهرست لابن النديم ص ٤٣٣.

٣) كتب العرب فى علوم الحياة (مجلة العلم والإيمان التونسية / ع ٩ (ص ٣٠).

٤) راجع تفاصيل أخرى عن هذا الكتاب فى: علم النبات عند العرب للدكتور عبد السلام الهيتى ص ٢٧، العلوم العملية فى العصور الإسلامية لعمر رضا كحالة ص ١٨٩ - ١٩٠، التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٤٣، دراسة مقارنة فى كتب التراث الزراعية للدكتور ناصر حسين صفر [بحث بمجلة المورد - المجلد (١٤) - العدد الرابع (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) - ص ١٣٥ - ١٣٦].

٥) عادل محمد الشيخ حسين: كتب العرب فى علوم الحياة - بحث بمجلة العلم والإيمان التونسية - العدد =

(٤) الرازى (المتوفى ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢م):

وقد أسهم الطبيب الكبير والكيميائى: أبو بكر محمد بن موسى الرازى- رئيس بيمارستان بغداد- أسهم فى علم النبات لصلته الوثيقة بالطب والصيدلة والكيمياء. فلا تخلو مؤلفاته فى هذه الفروع من مقتطفات غزيرة فى علم النبات، مثل كتابيه (الحاوى) و(المنصورى). وهذا الكتاب الأخير تناوله أحد الباحثين بالدراسة، فأخرج منه المفردات الدوائية- وجلها نباتية، والقليل منها معدنية كما يقول- ورتبها فى قائمة (فهرست) تضم (٢٧٦) نبتا، وقام بشرحها والتعليق عليها[١]. ومن الكتب التى صنفها الرازى وتدخل فى علم النبات: كتاب "منافع الأغذية ودفع مضارها" وكتاب "السكنجبين"[٢].

تعقيب: وخلاصة القول أن علماء (بغداد / المشرق) قد أثروا علم النبات بما لديهم من علم وخبرة، وقطعوا فيه شوطا بعيدا، وتناولوه من نواحيه العلمية البحتة إلى جانب تناولهم إياه من النواحى اللغوية والطبية والزراعية والجغرافية. وكانت تجاربهم العلمية فى هذا المجال هى سبب تقدم هذا العلم، حيث درسوا بكل دقة أنواع النباتات وخصائصها، واعتمدوا عليها فى تحضير الأدوية، وكانت لهم أفكار واضحة ودراسات دقيقة وعميقة استفادت منها أوربا فى العلوم النباتية والزراعية بصورة لا تقبل التأويل.

***

= التاسع (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) - ص ٢٩.

١) د. حازم البكرى الصديقى: فهرس الأدوية المفردة النباتية والمعدنية الواردة فى كتاب المنصورى فى الطب للرازى - مجلة المورد - المجلد (١٤) - العدد) - ص ٢٨٧ - ٢٨٨. ولم يدرج الباحث المفردات ذات الأصل الحيوانى، وأرجأه لبحث آخر.

٢) عيون الأنباء: ص ٤٢٦.

المبحث الثانى
علم الحيوان

ويقصد بعلم الحيوان: العلم الذى يبحث عن خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها. وأما موضوعه فهو: جنس الحيوان البرى والبحرى والماشى والزاحف والطائر وغير ذلك. والغرض منه: التداوى والانتفاع بالحيوانات، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها[١].

ولم يكن اهتمام عرب ما قبل الإسلام بالحيوان أقل من غيرهم من شعوب الحضارات السابقة، بسبب ما يشكله الحيوان من أهمية قصوى بالنسبة للعربى، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الجمالية[٢]. وقد استمر هذا الاهتمام فى ظل الإسلام. ومع أن دراسات العرب والمسلمين فى علم الحيوان امتدت لعدة قرون، إلا أنها كانت وفيرة فى القرون الأربعة الأولى للهجرة، وهى القرون التى تمثل ازدهار الكتابة فى هذا العلم وفى غيره من العلوم.

ترجمة كتب الحيوان عن الإغريق:

ولم تكن معلومات المؤلفين العرب والمسلمين فى علم الحيوان- فى إطار المدرسة البغدادية- كلها خاصة بهم ومن استنباطاتهم وبحوثهم، وإنما عملوا أيضا على الاستفادة من علوم الأمم السابقة- وخاصة الإغريق (اليونان)- بعد ترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية.

وقد كان الإغريق على دراية بعلم الحيوان، وصنفوا فيه كثيرا من المصنفات ترجمت جميعها- تقريبا - إلى اللغة العربية فى إطار حركة الترجمة التى شهدتها بغداد خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة. ومن أشهر هذه الكتب:(كتاب الحيوان) لديموقريطس (تلميذ أرسطو) الذى يعد أول من حاول تصنيف الحيوانات حسب أنواعها، مع الإشارة إلى طبائعها ومنافعها[٣] ومؤلفات أرسطو العديدة فى علم الحيوان، مثل: كتاب" أعمار الحيوان". وكتاب "حركات الحيوان المكانية على الأرض". وكتاب اتخاذ الحيوانات ما يتخذ من المواضع ليأوى

---

١) حاجى خليفة: كشف الظنون ص ٦٩٥، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ١ / ٣٣١.
٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢٥٣.
٣) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢٥٢، عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ٣٣٣.

إليها". و"كتاب تناسل الحيوان" [١]. وكتاب "الحيوان". وهذا الكتاب الأخير أهم كتاب له فى هذا العلم، نقله عن السريانية يوحنا بن البطريق، ويقع فى تسع عشرة مقالة[٢]. وقد عنى به علماء بغداد غاية العناية، دراسة وشرحا واختصارا واقتباسا.

علم الحيوان عند المسلمين (المدرسة البغدادية):

كتب علماء اللغة عن الحيوان:

وكان لعلم الحيوان عند العرب - حتى قبل أن يتعرفوا على ما لدى اليونان من هذا العلم- جذور عميقة فى المجتمع العربى، فالعرب قبل الإسلام تركوا لنا الكثير من المعلومات عن الحيوانات فى أشعارهم ورواياتهم، وهى غنية بالحقائق الجيدة عن البيئة والتاريخ الطبيعى، بالإضافة إلى المصطلحات والمفردات فى التسمية. إلا أن هذه المعلومات المأثورة عن العرب الجاهليين لم تتطرق إلى تشريح الحيوان[٣]. فلما جاء الإسلام تجلت محاولات المسلمين الأولى فى معالجة علم الحيوان فى ظل حركة جمع اللغة العربية التى قام بها علماء العراق(البصرة - الكوفة- بغداد) فى القرنين الثانى والثالث للهجرة، فصنفوا عددا كبيرا من الكتب والأجزاء الصغيرة تحمل عناوين: "الخيل" - "الإبل" - "خلق الفرس" - "البغال" - "الغنم والمعز" - "الوحوش" - "الطير" - الحمام" - "البازى والعقاب" - "الحشرات"- "الجراد" - "النمل" - "الذباب" - "الحيات والعقارب" - "النحل وأجناسه" - "السباع" - "البهائم" وغيرها[٤]. وقد زخرت المعاجم اللغوية الشاملة بأسماء كثير من الحيوانات التى عرفها العرب فى محيطهم أوخارج الجزيرة العربية ومحيطها.

ونؤكد على أن هذه الكتب التى تعتمد على أشعار العرب ومروياتهم لا تزيد فى الحقيقة عن كونها أجزاء لغوية خاصة بالحيوانات ولا تتضمن دراسة علمية عن طبائعها وخصائصها

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣١، ٣٣، ٣٥. لابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٠٤، ١٠٥.

٢) إخبار العلماء للقفطى ص ٣١، كشف الظنون ١ / ٦٩٥، ٦٩٦. وراجع معلومات مهمة عن محتويات كتاب الحيوان لأرسطو: (دراسات فى تاريخ العلوم) لحكمت نجيب عبد الرحمن - ص ٣٤٨، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور أحمد عبد الرازق ص ٢٥٣. وراجع التعريف بابن البطريق فى الفصل الخاص بحركة الترجمة (ص ٢٩٥).

٣) د. جليل أبو الحب: علم الحيوان عند العرب - بحث بمجلة المورد - المجلد (١٤) العدد ٤ - ص ٢٤.

٤) راجع قوائم بالمؤلفات التى تحمل تلك العناوين فى فهرست الجزء الثانى من المجلد الثامن لكتاب (تاريخ التراث العربى) لفؤاد سزكين - الصفحات ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٩. .

وتشريحها، باستثناء ما اشتملت عليه من معلومات غنية بأوصاف هذه الحيوانات وسلوكها وأماكن وجودها ومعاشها وطرق تكاثرها وتوالدها[١]، ومن ثم فلا تعتبر من كتب علم الحيوان الصرف.

كتب الحيوان (كعلم من العلوم البحتة):

أما كتب الحيوان الصرف فهى التى تهمنا فى مثل هذه الدراسة، وهى ما تركه علماء العرب والمسلمين من معلومات عن الحيوان بصورة بحتة ولم تأت بصورة جانبية. وقد صنف العلماء البغداديون كتبا من هذا النوع، نذكر منها:

١- كتاب "الحيوان" لأبى عبيدة معمر بن المثنى البصرى (المتوفى ٢٠٨هـ/٨٢٣م)[٢] وهو من أقدم ما صنفه المسلمون فى هذا الباب. ولا نعرف شيئا عنه.

٢ـ كتاب البغال- للجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ / ٨٦٨م[٣].

٣- كتاب "الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق"- تأليف قسطا بن لوقا البعلبكى نزيل بغداد (المتوفى ٣١١هـ / ٩٢٣م)[٤] الذى تقدم ذكره فى علم النبات[٥].

٤- رسالة فى أعضاء الحيوان وأفعالها وقوتها، للفيلسوف أبى نصر الفارابى نزيل بغداد (المتوفى ٣٣٩هـ / ٩٥٠م)[٦].

٥- كتاب المنافع التى تستفاد من أعضاء الحيوان- للطبيب عيسى بن على، تلميذ حنين بن إسحق (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م)، وكان يخدم بالطب الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦- ٢٧٩ / ٨٦٩- ٨٩٢م)[٧].

٦- كتاب طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها، لأبى سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع (المتوفى ٤٥٣هـ / ١٠٦١م)، وهو أحد أفراد سلالة آل بختيشوع التى خدمت

---

١) د. جليل أبو الحب: علم الحيوان عند العرب (البحث المذكور من قبل) ص ٩٩، ١٠١.

٢) الفهرست ص ٧٩، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى - مجلد) ج ١ ص ١١٥.

٣) حققه المستشرق الفرنسى شارل بلا، وطبع لأول مرة باللغة العربية فى القاهرة ١٩٥٥ م. ونشره عبد السلام هارون ضمن مجموعة رسائل للجاحظ.

٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٣٠.

٥) تقدم التعريف بقسطا بن لوقا (ص٤٢٧)

٦) عيون الأنباء ص ٦٠٩.

٧) عيون الأنباء ص ٢٧٧.

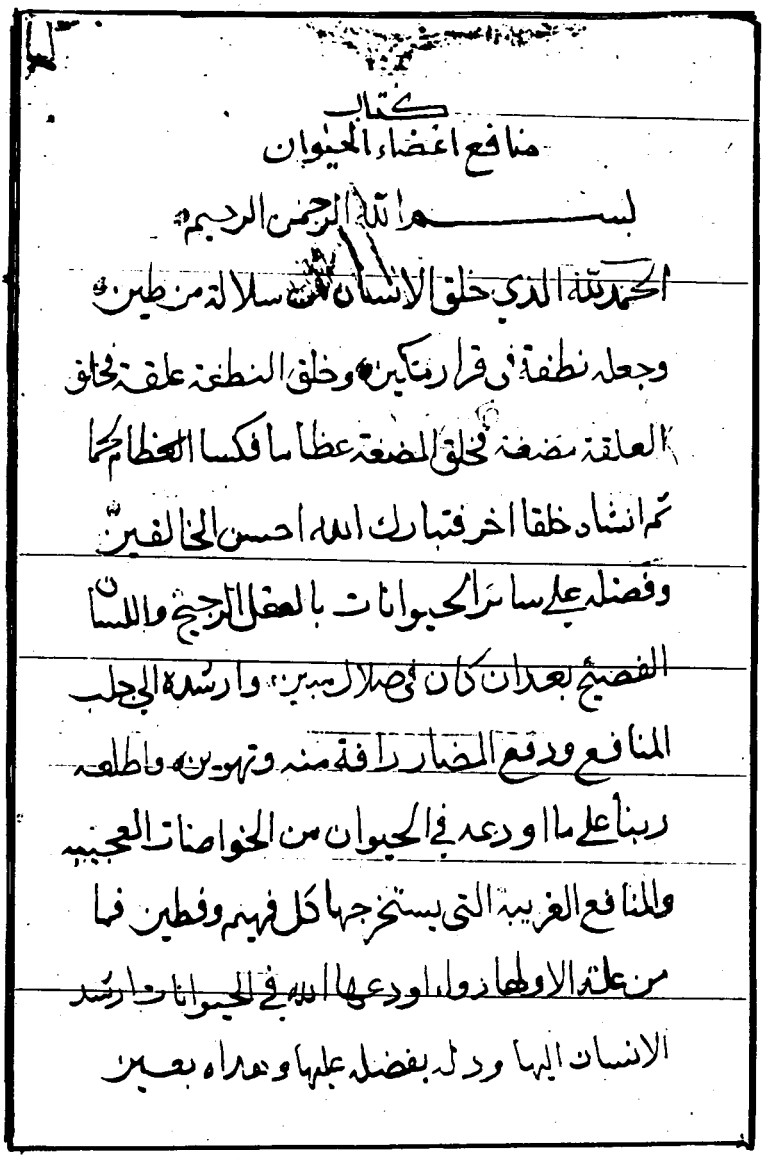

كتاب
منافع اعضاء الحيوان
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق الانسان من سلالة من طين
وجعله نطفة فى قرار مكين وخلق النطفة علقة فخلق
العلقة مضغة فخلق المضغة عظاما فكسا العظام لحما
ثم انشاه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين
وفضله على سائر الحيوانات بالعقل الراجح واللسان
الفصيح بعد ان كان فى ضلال مبين وارشده الى جلب
المنافع ودفع المضار رافة منه ورحمة به واطلعه
ربنا على ما اودعه فى الحيوان من الخواصات العجيبة
والمنافع الغريبة التى يستخرجها كل فهيم وفطين فما
من علة الا وقد اودعها الله فى الحيوانات وارشد
الانسان اليها ودله بفضله عليها وهداه بعين

الصفحة الأولى من مخطوط (منافع أعضاء الحيوان)، لعلى بن عيسى الطبيب الكحال المتوفى ٤٠٠هـ – معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٧٥٥/طب)

الدولة العباسية ببغداد فى مجال الطب زهاء قرنين من الزمان. وكان أبو سعيد بدوره فاضلا فى صناعة الطب، مشهورا بالمهارة فيها ومتقنا لأصولها وفروعها، وله تصانيف عديدة فى مجالها، بالإضافة إلى مصنفه المذكور فى الحيوان[١]. وقد وصلنا منه بضعة نسخ مزوقة بالتصاوير الملونة، من بينها نسخة تضم أربعا وتسعين تصويرة[٢].

كتاب الحيوان: للجاحظ:

ويعد عمرو بن بحر الجاحظ البصرى / البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) فى نظر الكثير من أقدم المسلمين المصنفين فى علم الحيوان بعد أن صار كتابه (الحيوان) -وهو كتاب ضخم يقع فى سبعة أجزاء- بمثابة أول كتاب عربى جامع فى هذا العلم[٣]، لما تضمن من معلومات غزيرة تنم عن سعة اطلاع ودقة ملاحظة وبراعة فى وصف المظاهر الخارجية للحيوانات وسلوكها وحركاتها وطبائعها وتكاثرها وفوائدها، وغير ذلك من المواضيع الأخرى التى تعطى صورة لعلم الحيوان فى القرن الثالث الهجرى.

وقد استمد الجاحظ مادته عن الحيوان من عدة مصادر؛ أهمها القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأدب العربى، كما أنه قد يكون أول العلماء المسلمين الذين اقتبسوا ونقلوا من كتاب (الحيوان) لأرسطو، فأكثر النقل عنه،ونقل أيضا عن جالينوس، وأورد- فى هذا الفن- معلومات كثيرة عن الفرس والهنود. ولم يقف الجاحظ موقف الناقل عن أرسطو، بل أخضع كلامه وآراءه للتحليل والتجربة؛ فقد عاب عليه قوله «إن الإناث من العصافير تعمر فى الحياه أكثر من الذكور»[٤]، وعاب عليه قوله «إن عض الثعبان يستطب له بحجر يستخرج من بعض قبور قدماء الملوك»[٥]. وعاب عليه أيضا- وهو المعلم الأول- أن يسجل فى كتبه «شهادات لا يحققها الامتحان»[٦]. لكن الجاحظ- مع الأسف - «لم يستفد من أرسطو فى تنظيم معلوماته عن الحيوان، فبقى الكتاب بشكل متاهات، من يدخله لا يرى طريقه بسهولة»[٧].

---

١) عيون الأنباء ص ٢١٤.

٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٢٥٨.

٣) راجع مقدمة عبد السلام هارون لتحقيقه كتاب الحيوان ج ١ ص ١٤ (ط القاهرة ١٣٦٦ هـ).

٤) الجاحظ: الحيوان ج ٥ ص ٢٠.

٥) الحيوان ج ٤ ص ٢٢٦.

٦) الحيوان ج ١ ص ١٥٨.

٧) علم الحيوان عند العرب - بحث للدكتور جليل أبو الحب منشور بمجلة المورد - المجلد [١٤] العدد - ص ١٠٣

واستمد الجاحظ مادة كتابه أيضا من تجاربه الشخصية التى كان يجريها بنفسه، أو من تلك التى كان يقوم بها غيره. وكان فى كل تجربة يسير على نهج خاص بهدف التوصل إلى الحقيقة والتأكد من صحة نظريات وآراء غيره، وكان يعلل فعله هذا قائلا: «وليس يشفينى إلا المعاينة،...وكل قول يكذبه العيان فهو أفحش خطا ومذهبا، وأدل على المعاندة الشديدة أو غفلة مفرطة»[1].

وقد بقى هذا الكتاب مصدرا مهما عن الحيوان لمن جاء بعده من العلماء المسلمين، مثل القزوينى (توفى ٦٦١ هـ) فى كتابه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات". والدميرى المصرى (توفى ٨٠٨ هـ) فى كتابه " حياة الحيوان ".

علم الحيوان فى كتب الطب:

هذا، وقد نبغ فى علم الحيوان عدد كبير من أطباء العرب والمسلمين فى عصر النهضة الإسلامية فى بغداد، ولايكاد يخلو كتاب لهم فى الطب من باب أو أكثر - بإيجاز أو إطناب - من الحديث عن الحيوان، لاسيما ما يتعلق بالتشريح وفوائد الأعضاء من وجهة نظر الأغذية والأدوية. ومن أبرز الأطباء الذين عنوا بهذا الجانب نظريا وعمليا: الكندى (٢٥٢هـ/٨٦٦م)، له رسالة فى أجساد الحيوان إذا فسدت. والرازى (٣٢٠هـ/٩٣٢م) فى كتابيه "الحاوى" و"المنصورى". والحسن بن سهل الطبرى/البغدادى (٢٣٥هـ/٨٥٠م) فى كتابه " فردوس الحكمة ". والشيخ الرئيس بن سينا فى " القانون " وكثير من كتاباته.

تعقيب: ومما سبق يتضح أن اهتمام علماء العرب والمسلمين (مدرسة بغداد/المشرق) بعلوم الحياة لايقل عن الاهتمام بباقى فروع العلم الأخرى. وقد كان هذا الاهتمام ينبع أساسا من الاستفادة من النبات والحيوان فى أغراض الطب والصيدلة، أو كان يأتى عرضا ضمن اهتمام بعض العلماء بالجوانب اللغوية وإظهار جوانب ثقافتهم الموسوعية. ويمكن القول: إن ما تركه هؤلاء العلماء من مؤلفات قيمة فى هذا المجال كانت غنية بالمعلومات المبنية على الملاحظة، كما كانت بمثابة اللبنة الأولى التى قام عليها علم الحياة الحديث بمنهجه التجريبى السليم. ونحن نتساءل فى النهاية: هل يتحقق تطور الفكر البشرى إلا بوضع مثل هذه اللبنات جيلا بعد جيل، وأمة بعد أمة ؟؟.

***

١) الحيوان ج ١ ص ١١.

الفصل السابع
علوم الطبيعة
(الفيزياء)

* علم الحيل (الميكانيك) * الوزن النوعى.
* الجاذبية الأرضية. * المناظر والضوء.
* علم الصوت. * الموسيقى.

تعريفها: عرف الفارابى علوم الطبيعة بأنها: «العلوم التى تنظر فى الأجسام الطبيعية وفى الأعراض التى قوامها فى هذه الأجسام. وتعرف الأشياء التى عنها والتى لها والتى بها توجد هذه الأجسام والأعراض التى قوامها فيها»[١]. ويعرف ابن خلدون الطبيعيات بأنها العلوم التى تبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون، فتنظر فى الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان ونبات ومعدن، وما يتكون فى الأرض من العيون والزلازل، وفى الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك[٢].

التأثر بالفكر اليونانى فى العلوم الطبيعية:

وقد بنى هذا العلم مثل غيره من العلوم التجريبية الأخرى على ما نقله علماء المسلمين عن الحضارات السابقة عليهم، لاسيما الحضارة الإغريقية، ومن الكتب اليونانية التى ترجمت فى بغداد مبكرا وتندرج تحت العلوم الطبيعية: " كتاب الحركات " وكتاب "فى المسائل الحيلية" وكتاب "الحيل"، وكلها لأرسطوطاليس[٣]. وكتاب "الحيل الروحانية" وكتاب "رفع الأثقال"، وكتاب " فى الأشياء المتحركة من ذاتها"، وثلاثتها من تأليف (أيرن)[٤]. ومنها: كتاب "الدواليب"، وكتاب "الآلات المصوتة على بعد ستين ميلا" لمورطس (أو/ مورسطس)[٥].

---

١) الفارابى: إحصاء العلوم ص ٩١.
٢) مقدمة ابن خلدون ج ٣ ص ١١٤١ (ط / على عبد الواحد وافى).
٣) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٠٤، ١٠٥.
٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٧٦، ٣٩٧، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٥٣.
٥) الفهرست ص ٣٧٧، إخبار العلماء ص ٢١١.

وكتاب فى "الآلات الحربية" لهيرون الصغير. ومؤلفات (قطيزنيوس) و(هيرون الإسكندرى) فى الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه[١]. ومنها أيضا: كتاب " الثقل والخفة " لأوقليدس[٢]، وكتاب " ساعات الماء التى ترمى بالبندق " لأرشميدس، وغيرها[٣].

منجزات المدرسة البغدادية فى علوم الطبيعة (الفيزياء):

درس علماء العرب والمسلمين هذه المؤلفات، ووقفوا على محتوياتها، ثم أدخلوا تغييرات بسيطة على بعضها، وتوسعوا فى البعض الآخر، واستطاعوا أن يزيدوا عليها زيادات تعتبر أساسا لبحوث الطبيعة المتنوعة. ويمكن القول: «إذا كان لعلماء اليونان الفضل الأول فى وضع المبادئ الأولية لعلوم الطبيعة (الفيزياء) فإن علماء العرب والمسلمين فى عصر النهضة الإسلامية - التى شهدتها بغداد، وانعكس تأثيرها على العالم الإسلامى كله - الفضل الأكبر فى حفظ ذلك التراث اليونانى بترجمته ونقله، ثم فى شرح هذا التراث وإيضاحه وتهذيبه والتعريف به، وأخيرا فيما أضافوه إليه من زيادات هامة وابتكارات أصيلة توصلوا إليها بالبحث والتجربة وفق منهج علمى سليم »[٤].

وفيما يلى عرض موجز لمنجزات المدرسة البغدادية فى ميادين علم الطبيعة ممثلة فى: علم الحيل (أو الميكانيك) [ويشمل مراكز الثقل وتطبيقاتها، وآلات الحركة، وصناعة ما يسمى بالأوانى العجيبة بأنواعها المختلفة]. وعلم السوائل ودراسة الثقل النوعى، ودراسة الجاذبية الأرضية، ودراسة الضوء والبصريات والصوت وغير ذلك من الطبيعيات.

أولا: علم الحيل (الميكانيك):

أطلق اليونان على العلم المخصص للأجهزة الميكانيكية اصطلاح " نيوماتك " وعربه العلماء القائمون على حركة الترجمة ببغداد باسم "علم الآلات الروحانية وعمل الحيل" [٥]. وهو يعد مدخلا لجميع فروع علم الفيزياء، وأساسا لفهم الظواهر الطبيعية بسبب عنايتهم بدراسة حركة الأجسام وتغير مواضعها.

ومن أشهر الذين كتبوا فى علم الحيل فى إطار المدرسة البغدادية:

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - ص ١٠٤.
٢) فهرست ابن النديم ص ٣٧٢.
٣) الفهرست ص ٣٧٢، ٣٩٧.
٤) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ٧٢ - ٧٣.
٥) كشف الظنون ج ١ ص ١٤٨.

(١) أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندى البغدادى (المتوفى ٢٥٢هـ/٨٦٧م). قال الدفاع: «أعطى الكندى جل وقته لعلم الحيل المعروف الآن بعلم الميكانيكا، فكان العلماء يعتمدون على نظرياته عند القيام بأعمال البناء، كما حدث عند حفر الأقنية بين دجلة والفرات»[١]. وقد صنف رسالة فى أركان الحيل[٢].

(٢) أبناء موسى بن شاكر المنجم البغدادى (محمد وأحمد وحسن). وكان ثلاثتهم من كبار علماء الرياضيات والفلك فى بيت الحكمة ببغداد. يقول القفطى: «كانوا أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل، ولهم فى ذلك تآليف عجيبة تعرف بحيل بنى موسى، وهى شريفة الأغراض، عظيمة الفائدة، مشهورة عند الناس»[٣]. ويصف ابن خلكان كتاب الحيل الذى صنفه الإخوة الثلاثة بأنه «عجيب نادر، يشتمل على كل نادرة، وقد يكون هو الكتاب الأول الذى يبحث فى الميكانيك، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها، وهو مجلد واحد»[٤].

وقد تحدث معظم المؤلفين فى تاريخ العلم عن القيمة العلمية لكتاب "الحيل" لبنى موسى، واتفقوا على أن له مكانته التكنولوجية العظيمة التى توضح بعض ما قدمه العقل الإسلامى والعربى للعالم من ابتكارات علمية[٥]. ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب جمع فيه مؤلفوه علم الميكانيكا القديمة إلى جانب تجاربهم الخاصة[٦]. ويحتوى على مائة تركيب ميكانيكى، عشرون منها ذات قيمة علمية[٧].

(٣) ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠٠م). شارك فى هذا العلم بكتاب يحتوى على عدة أشكال فى الحيل كما يقول القفطى[٨].

صناعة آلات الحركة وما يسمى بالأوانى العجيبة:

وقد برع علماء الحيل - أو الميكانيكا - فى عمل آلات الحركة وفى صناعة الأوانى العجيبة ذات المنافع الكثيرة، ونعنى بها: الآلات والأوانى التى ابتكرها علماء بغداد للمنفعة

---

١) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٦٩.
٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٦٥.
٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٨، صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٥٥.
٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٦١ - ١٦٢، وراجع فهرست ابن النديم ص ٣٩٧.
٥) راجع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية، لعلى عبد الله الدفاع ص ٣١١.
٦) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة ص ٣١٢.
٧) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٢، T. Arnold and A. Guillaume, The legacy of Islam، ص ٣٤١، (أوكسفورد ١٩٣١).
٨) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨٢.

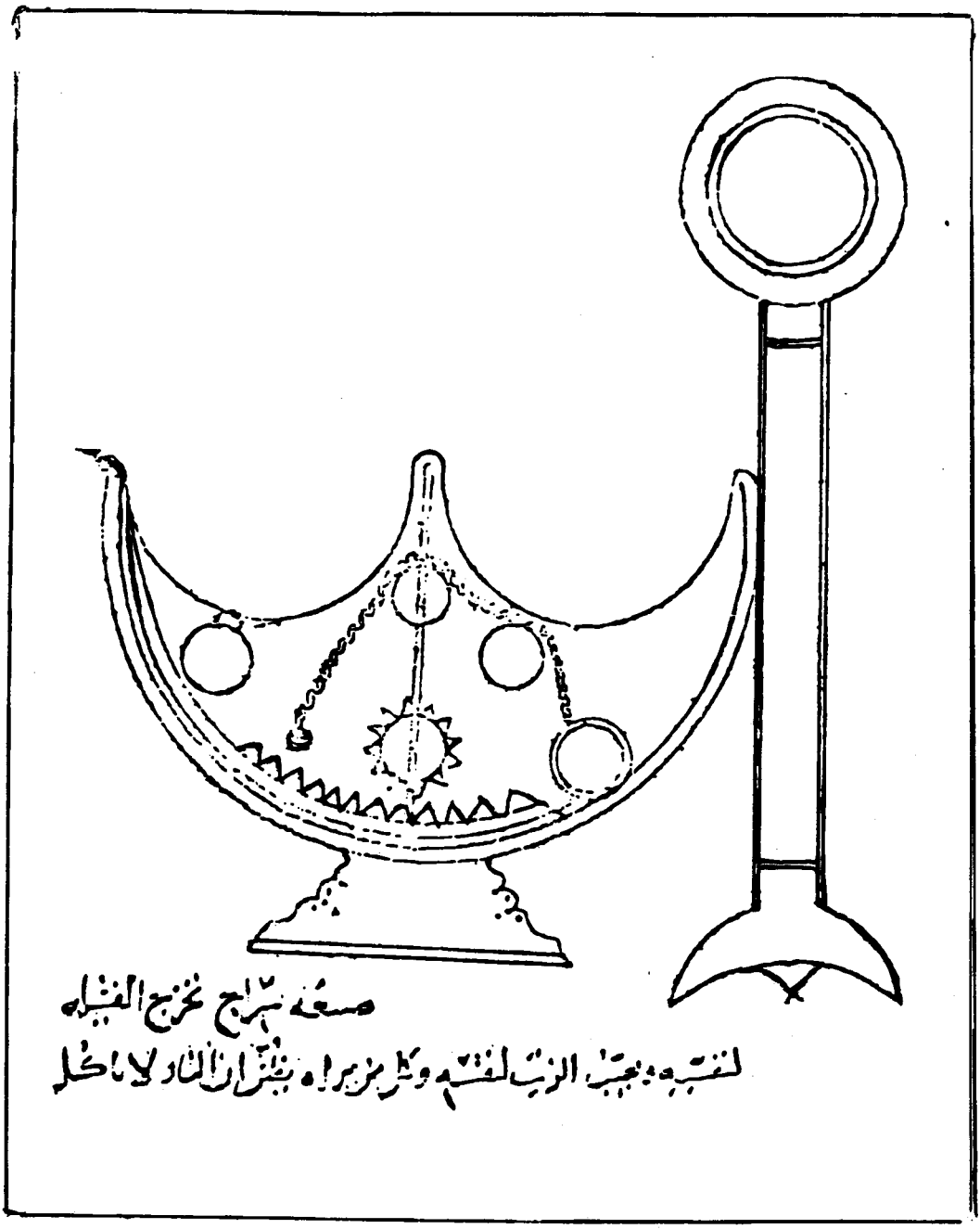

رسم توضيحى لقنديل من القناديل التى ترتفع فيها الفتائل تلقائياً
لأحمد بن موسى بن شاكر

العامة كتدبير المترل أو آلات الحرب والرى والآلات الفلكية والساعات. ونبغ فى هذا المجال أحد الإخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكر كعقلية خلاّقة مبدعة بابتكاراته العديدة التى وصفها بأنها «أوضاع غريبة وأشياء عجيبة فى جر الأثقال، وكلها عملت بالطليات والبكر »[١].

وتذكر المؤلفة الألمانية (زيغريد هونكه): إن أحمد بن موسى بن شاكر (أحد الإخوة الثلاثة) تفنن فى الهندسة الميكانيكية، فاخترع تركيبا ميكانيكا يسمح للأوعية أن تمتلئ تلقائيا كلما فرغت، والقناديل ترتفع فيها الفتائل تلقائيا كلمت أتت النار على جزء منها، ويصب فيها الزيت تلقائيا ولاتنطفئ عند هبوب الريح عليها، كما ابتكر آلة ميكانيكية للزراعة والفلاحة تحدث صوتا بصورة تلقائية كلما ارتفع الماء إلى حد معين فى الحقل عند سقيه. واخترع عددا كبيرا من النافورات التى تظهر صورا متعددة بالمياه الصاعدة[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى آلة من اختراع الأخوين أحمد ومحمد ابنى موسى بن شاكر لرصد الفلك. وكان لهما السبق فى صنع بعض الروافع المبنية على القواعد الميكانيكية والتى تستعمل فى جر الأثقال أو رفعها أو لوزنها. كما أنهما اشتركا فى بناء ساعة نحاسية كبيرة الحجم استفاد منها المعاصرون لهما[٣].

وبالإضافة إلى أعمال أبناء موسى بن شاكر البغدادى توجد مجموعة من المؤلفات لعلماء بغداديين عنيت برصد الآلات الميكانيكية، وأعطت رسوما توضيحية تبين طريقة صنعها وكيفية عملها[٤]. وقد عقد الخوارزمى - العالم البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥١م) - فى كتابه "مفاتيح العلوم" فصولا فى صناعة الحيل، وأفرد فصلا خاصا سماه " فى حيل الماء وصنعة الأوانى العجيبة"، ونذكر من الأوانى والأدوات التى وصفها الخوارزمى: الإجانة، والسحارة المخنوقة، والمينار (إناء كبير يسخن فيه الماء)، وسرن الرحى، وبركار السرن، والقطارات، والحنانات (آلات تعمل فتحن مثل صوت المعازف والصفارات وغيرها) والنضاحات، والفوارات، والشاقول، وغيرها[٥].

---

١) الصفدى: الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٨٥.

٢) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٢١ - ١٢٢. وراجع تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك لقدرى حافظ طوقان ص ١٥٩، العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية لعلى عبد الله الدفاع ص ٣١٠.

٣) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة. ...ص ٣٠٨، ٣١٠.

٤) محمد عيسى صالحية: الفيزياء والحيل عند العرب - بحث بمجلة عالم الفكر، المجلد (١٤) العدد) - ١٩٨٣ م - ص ٢٢٧.

٥) للتعرف على وصف هذه الآلات وكيفية عملها راجع: مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٤٣ - ١٤٥.

وفى أوائل القرن السادس الهجرى برز عالم عراقى عنى بعلم الحيل وتأثر بكتب من سبقه من العراقيين النابغين فى هذا العلم، وصنف كتاب " الحيل "، أو " الجامع بين العلم والعمل ". وهذا العالم هو أبو العز بن إسماعيل بن الرزاز الجزرى (المتوفى ٥٢٩هـ/١١٣٤هـ). وقد أولى فى كتابه المذكور اهتماما خاصا بالمسائل العملية لعلم الهيدروليكا والآلات المتحركة بذاتها. وحوى الكتاب صورا للبنكام الذى يعرف به ما مضى من ساعات النهار، وصورا لآلات رفع الماء، ورسوما توضيحية لتركيب الدمى وحركاتها وأشكالها. كما أن الكتاب يعد مرجعا لدراسة الساعات عند العرب وطرق صنعها وعملها[١].

الساعات الشمسية والمائية:

وكان صنع الساعات والعمل بها من أهم ما عرفه علماء بغداد فى علم الميكانيكا. وكانت الساعات الشمسية النقالة أكثر اختراعاتهم أصالة وفنا، وهى المسماه "بساعة الرحلة"، لاسيما بعد أن أصبحت دائرية الشكل، وجعلوا فى وسطها محورا لتحديد موضع الشمس والوقت[٢].

ومن الساعات الشمسية ما عرف "بالرخامة". وهذا النوع كثرت فيه مؤلفات البغداديين. منها كتاب "الساعات التى تسمى رخامات" لثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠٠م)[٣]. وصنف الخوارزمى - رئيس خزانة بيت الحكمة ببغداد / المتوفى ٢٣٦ هـ/٨٥١م صنف كتاب "الرخامة" [٤]. وللكندى الفيلسوف البغدادى (المتوفى ٢٥٢ هـ/٨٦٦م) رسالة فى "عمل الرخامة بالهندسة"[٥]. وصنف حبش بن عبد الله المروزى البغدادى (المتوفى ٢٢٠هـ/٨٣٥م) كتاب "الرخائم"[٦]. ولمحمد بن كثير الفرغانى نزيل بغداد (كان حيا سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١م) كتاب "عمل الرخامات"[٧].

وقد اقتصرت الفائدة فى استعمال الساعة الشمسية (المزولة) على أيام الصحو. أما فى أيام الغيم والمطر فقد تعذر استعمالها، لأنها تقوم أساسا على الظل، ومن ثم اضطر العلماء إلى

---

١) الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - بحث لمحمد عيسى صالحية بمجلة عالم الفكر - مجلد (١٤) عدد ٢ - ١٩٨٣ م - ص ٢٢٧ - ٢٢٨. جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٧٤.

٢) الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - البحث المذكور - ص ٢٣٢.

٣) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨٢.

٤) الفهرست ص ٣٨٣، القفطى: المرجع السابق ص ١٨٨.

٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٩٠.

٦) الفهرست لابن النديم ص ٣٨٤.

٧) الفهرست ص ٣٨٩.

استنباط الساعة المائية لحل المشكلة الوقتية[١]. ولعل أبا يوسف الكندى الفيلسوف البغدادى كان أول من ألف رسالة فى عمل ساعات مائية على صفيحة تنصب على السطح الموازى للأفق[٢].

ومما يجدر ذكره أن علماء بغداد أطلقوا على الساعة المائية اسم "البنكام"[٣] أو "فنكان". وممن صنف كتابا يحمل هذا العنوان: الحسن بن الهيثم العالم البصرى (الأصل) المصرى الدار (المتوفى ٤٣٠ هـ/١٠٣٩م)[٤]. ويذكر الجاحظ فى كتاب " الحيوان " أن المسلمين كانوا يستعملون الاسطرلابات[٥] بالنهار لمعرفة أوقات الصلوات والصيام. ويستعملون البنكامات بالليل[٦]. وقد بلغ من عناية العلماء البغداديين بالساعات المائية أنها تعددت أنواعها. يشهد لذلك ما ذكره الخوارزمى - رئيس خزانة بيت الحكمة ببغداد (المتوفى ٢٣٦ هـ/٨٥١م) فى كتابه " مفاتيح العلوم"[٧].

ويبدو أن التقدم الفعلى لصناعة الساعات عامة والعمل بها قد تم فى القرون الثلاثة: السادس والسابع والثامن للهجرة؛ إذ وردت إشارات عديدة لمؤلفات فى كيفية عمل الساعات. وتخصص عدد من المهندسين فى صنع آلاتها. ومنهم على سبيل المثال: على بن تغلب بن أبى البيضاء (المتوفى ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) الذى ينسب إليه تدبير الساعات المعلقة على أبواب المدرسة المستنصرية فى بغداد. ويقال: هو الذى صنعها[٨].

---

١) راجع طريقة عمل الساعة المائية والفكرة التى تقوم عليها: الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - البحث المذكور بمجلة عالم الفكر - مجلد (١٤) - عدد) - ص ٢٣٣.

٢) الفهرست ص ٣٦١، هدية العارفين للبغدادى ١ / ٥٤٠.

٣) عرف حاجى خليفة علم البنكامات (علم آلات الساعة) بأنه الصور والأشكال المصنوعة لمعرفة الساعات المستوية والزمانية، وذلك بآلات يقدر بها الزمن. وموضوعه حركات مخصوصة فى أجسام مخصوصة تنقضى بقطع مسافات مخصوصة، وغايته معرفة أوقات الصلوات وغيرها دون ملاحظة حركات الكواكب، وكذلك معرفة الأوقات المفروضة للقيام فى الليل. ..(كشف الظنون ج ١ ص ١٤٧، ٢٠٠).

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٦. وقد سبق الحديث عن ابن الهيثم فى علم الرياضيات (ص ٣٦١). وسيأتى مزيد بيان عنه فى البصريات (ص ٤٥٤).

٥) راجع عن المقصود بالاسطرلاب (ص ٣٤٥).

٦) الجاحظ: الحيوان ج ٢ ص ١٠٧.

٧) الخوارزمى: مفاتيح العلوم ص ١٤٢ وما بعدها. ناجى معروف: تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ ص ٣٢١.

٨) ناجى معروف: تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ ص ٣٢٤. وراجع بحث (الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - عالم الفكر - مجلد (١٤) عدد ٢ - ص ٢٣٤ - ٢٣٧).

الروافع ومراكز الأثقال:

وقد كان لعلماء بغداد بحوث نفيسة فى دراسة الروافع وعملها، وكان لديهم عدد غير قليل من آلات الرفع، وكلها مبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الأثقال بقوى يسيرة. وقد ذكر محمد بن موسى الخوارزمى (المتوفى ٢٣٦ هـ/٨٥١م) - وكان متوليا خزانة بيت الحكمة ببغداد - ذكر فى كتابه " مفاتيح العلوم " بعض التفاصيل عن هذه الآلات، مثل آلة المحيط والمنحل والبرطيس والبيرم والأسفين واللولب والإسقاطولى و(غالاغرا) - وهى معصرة للزياتين. وهى كلها تعتمد على الارتكاز والمحاور[١].

أما علم مراكز الأثقال فهو «علم يتعرف منه كيفية استخراج ثقل الجسم المحمول، والمراد بمركز الثقل: حد فى الجسم عنده يتعادل بالنسبة إلى الحامل...»[٢]. وقد صنف البغداديون فى هذا العلم، منهم: أبناء موسى بن شاكر المنجم البغدادى وأبو سهل ويجن بن رستم الكوهى البغدادى (المتوفى ٤٠٥هـ/١٠١٤م). تقدم ذكره فى علم الهندسة[٣]. وكان له السبق فى دراسة مركز الأثقال، حيث استخدم البراهين الهندسية لحل كثير من المسائل التى لها علاقة بإيجاد الثقل، وكانت مثل هذه الدراسات تنال عناية عظيمة من طرف معظم علماء بغداد. ويذكر محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه " الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب " أن أبا سهل الكوهى تلقى ما عند اليونان من معلومات هزيلة فى حقل مراكز الأثقال فجاء ببحوث جديدة فى هذا الحقل، ومنها كيفية استخراج ثقل الجسم المحمول، وكذلك بحوث قيمة فى المبادئ التى تقوم عليها الروافع[٤].

الموازين:

وقد أدى بعلماء بغداد التعمق فى دراسة مراكز الأثقال ونظريات الروافع إلى الاهتمام بالموازين، دراسة وتأليفا وصناعة؛ فعرفوا منها أنواعا متعددة، كالميزان العادى والميزان المعروف

---

١) الخوارزمى: مفاتيح العلوم ص ١٤١- ١٤٢ (ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١)، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٦، الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - بحث بمجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) العدد ٢ - ص ٢٢٧.

٢) حاجى خليفة: كشف الظنون ج ٢ ص ١٦٥٢، القلقشندى: صبح الأعشى ج ١ص ٤٧٦.

٣) راجع عن الكوهى (ص ٣٦٠) فى المبحث الخاص بعلم الرياضيات.

٤) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص٣٩٩ - ٤٠٠، إسهام علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك (للدفاع) ص ٩٥.

بالقرستون (الميزان ذو العاتق) ويعرف أيضا بالقبان[١]. وجاء وصفه فى رسائل إخوان الصفا - وهم جماعة فلسفية عاشوا فى البصرة وبغداد فى أواخر القرن الرابع الهجرى - قالوا: «..... ومن عجائب خاصية النسبة ما يظهر فى الأبعاد والأثقال من المنافع، ومن ذلك يظهر فى القرسطون، أعنى القبان، وذلك أن أحد رأسى عمود القرسطون طويل بعيد من المعلاق (نقطة الارتكاز)، والآخر قصير قريب منه، فإذا علق على رأسه الطويل ثقل قليل، وعلى رأسه القصير ثقل كثير تساويا وتوازنا متى كانت نسبة الثقل القليل إلى الكثير كنسبة بعد الرأس القصير إلى بعد رأس الطويل من المعلاق...»[٢].

ومن العلماء البغداديين الذين صنفوا فى الموازين وعلم الأوزان:

١ - أبناء موسى بن شاكر. لهم كتاب " القرسطون"[٣].

٢ - ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠٠م). صنف كتابين: أحدهما: كتاب "صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك"[٤]. والثانى: كتاب "القرسطون[٥]. وهذا الكتاب الأخير استخرج منه أحد الباحثين مجموعة مسلمات قال عنها: «إنها من صميم علم الديناميكا أو الاستاتيكا اللذين يدرسان فى مدارسنا الآن. وكانت هذه المسلمات نقطة الانطلاق فى مؤلفات علماء النهضة بأوربا »[٦].

٣ - أبو بكر محمد بن زكريا الرازى البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) تقدم ذكره فى علم الطب[٧]. صنف عددا فى علم الميكانيكا، منها " كتاب فى أن للجسم حركة من

---

١) قال ابن منظور فى لسان العرب (مادة / قين): " القبان: الذى يوزن به، لا أدرى أعربى أم معرب. وقال الجوهرى: القبان: القسطاس، (معرب).

٢) رسائل إخوان الصفا ج١ ص٢٨ (ط القاهرة١٣٢٧هـ).

٣) الفهرست ص ٣٧٠، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٨.

٤) القفطى: المرجع السابق ص ٨٢.

٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٩٩. ويوجد من كتاب القرسطون نسختان مخطوطتان، إحداهما فى برلين. والثانية فى المكتب الهندى بلندن (العلوم عند العرب لقدرى حافظ طوقان ص ٣٧). وهو منشور بالفرنسية فى الأكاديمية العالمية لتاريخ العلوم - ليدن ١٩٧٦ م(راجع: علم الفيزياء عند العرب للدكتور أحمد سعيد الدمرداش ص ٣٢ - ط تونس).

٦) د. أحمد سعيد الدمرداش: علم الفيزياء عند العرب ص ٣٢ - ٣٤. وراجع مزيدا من المعلومات عن هذا الكتاب فى بحث للدكتور محمد عيسى صالحية: الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - مجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) العدد ٢ - ص ٢٢٦.

٧) راجع ما كتبناه عن الرازى فى علم الطب (ص ٣٩٥ - ٣٩٩).

ذاته وأن الحركة معلومة" و"كتاب الحيل". وصنف فى الموازين كتاب "الميزان الطبيعى" [١]. وهذا الكتاب الأخير يحظى بمنزلة مرموقة فى تاريخ العلم؛ فهو «أول كتاب استقل فى نهجه عن أبحاث اليونان فى علم الميزان؛ وخالف فى صنعته وعمله "قرسطون" أرشميدس»[٢]. وقد جعله الرازى فى ثلاثة فصول تشتمل على: العمل بالميزان - بيان الميزان الطبيعى - وضع شعيرات النسبة عليه[٣].

٤ - قسطا بن لوقا البعلبكى نزيل بغداد وأحد المترجمين البارزين[٤]. ومن مصنفاته فى علم الأوزان: كتاب " القرسطون ". وكتاب " فى الأوزان والمكاييل "[٥].

علم السوائل:

وكان لعلماء بغداد فضل اختراع بعض النظريات فى علم السوائل، وهو من فروع الحيل عندهم. وقد شرح بعض أبناء موسى بن شاكر كيفية صعود مياه العيون إلى أعلى، وكيفية ترشيح مياه الأنهار والآبار من الجوانب، وبينوا كيفية صعودالمياه إلى الأماكن العالية بالقلاع ورؤوس المنارات، وطبقوا ذلك على الحاجات اليومية فى القلاع المرتفعة[٦].

وفى كتاب " الآثار الباقية " لأبى الريحان البيرونى (المتوفى ٤٤١هـ/١٠٥٠م) شروح وتطبيقات دقيقة لبعض الظواهر التى تتعلق بضغط السوائل واتزانها وتوازنها[٧]. وقد بين البيرونى فى هذا الكتاب كيفية تجميع مياه الآبار والمياه الجوفية، وكذلك مياه الفوارات والعيون إلى أعلى، وشرح طريقة رفع الماء بأنابيب الرصاص والروافع والبرابخ[٨]، مستندا فى ذلك إلى

---

١) جلال شوقى: أبو بكر الرازىوبحوثه فى العلم الطبيعى - عالم الفكر - المجلد (١٤)- العدد الثانى ص ٢١٥.

٢) حكمت نجيب: دراسات فى تاريخ العلوم ص ٢٩٠.

٣) جلال شوقى: البحث المذكور - ص ٢٢٦. عبد الرحمن الخازنى: ميزان الحكمة ص ٨٣ (ط حيدر أباد).

٤) سبق التعريف به (ص ٤٢٧).

٥) الفهرست ص ٤١١، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

٦) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٣٠٧، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٣.

٧) د. مصطفى نظيف: علم الطبيعة نشوؤه ورقيه وتقدمه الحديث ص ٣٢ (ط القاهرة ١٩٢٧م). طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٣، ص ١٦٧، د. أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية) ص ١١١، طوقان: الخالدون العرب ص ٩ - ١٠ (بيروت ١٩٥٤م).

٨) البرابخ: مفردها (بربخ) وهو المجرى (لسان العرب - بربخ).

أسلوب السوائل فى الأوانى المستطرفة، حيث تتساوى السطوح، فإن أخفضت إحداهما عن الأخرى سال الماء إلى أن ينتهى، أو تعود لحالة التوازن مرة أخرى[١].

ومن العلماء الذين برعوا فى علم السوائل الساكنة (الهيدروستاتيكا) إبداعا أدهش من لحقه من الباحثين: أبو الفتح عبد الرحمن الخازنى (المتوفى ٥٥٠هـ/١١٥٥م). أصله من مرو أشهر مدن خراسان. وتتلمذ فى الفلك والرياضيات على كتب علماء بغداد التى ذاع صيتها فى مشرق العالم الإسلامى. ويعتبره الكثير من المؤرخين فى تاريخ العلم أستاذ الفيزياء لجميع العصور، وأجمعوا على أنه فاق أساتذته كابن سينا (ت ٤٢٨هـ) والبيرونى (ت ٤٤١هـ) وابن الهيثم (٤٣٠هـ)، ولذا يقول قدرى حافظ طوقان: «لمع الخازنى فى سماء البحث والابتكار، واشتغل فى الطبيعة، ولاسيما فى بحوث الميكانيكا فبلغ فيه الذروة، وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب »[٢].

وقد صنف الخازنى كتاب " ميزان الحكمة ". وهو كتاب فى علم الطبيعة العامة، وعلم الهيدروستاتيكا والميكانيكا بوجه خاص. وقسمه إلى ثمان كتب، أفرد الكتاب الأول منها فى علم السوائل الساكنة، وضمنه مواضيع هامة فى موازنة السوائل، الأمر الذى حدا بجورج سارتون أن يمدحه فى كتابه " المدخل إلى تاريخ العلوم" قائلا: «إن كتاب ميزان الحكمة من أجل الكتب التى تبحث فى حقل السوائل الساكنة، وأروع ما أنتجته القريحة الإسلامية فى القرون الوسطى »[٣]. ومن المسائل التى بحثها الخازنى فى هذا الميدان - على سبيل المثال- البحث فى مقدار ما يغمر من الأجسام الطافية فى السوائل؛ أى أحكام الجسم المصمت (المجوف) فى الماء وطفوه ورسوبه وعلل الحالات التى يمكن أن تغرق السفينة، وحساب مقدار غوصها فى الماء وهى محملة[٤].

ثانيا: الوزن (الثقل) النوعى:

وقد برع علماء المدرسة البغدادية فى تقدير الأوزان النوعية للعديد من السوائل والمواد

---

١) الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - عالم الفكر - مج ١٤ - ع ٢ - ص ٢٥١.

٢) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٢٠٠.

٣) قدرى طوقان: المرجع السابق ص ٢٠١، على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٣٣٧.

٤) الدفاع: العلوم البحتة ص ٣٣٠ - ٣٣١، قدرى طوقان: العلوم عندالعرب ص ٢٠١، محمد عيسى صالحية: الفيزياء وعلم الحيل عندالعرب - بحث بمجلة عالم الفكر - مجلد (١٤) - العدد ٢ ص ٢٥١، أنور الرفاعى: تاريخ العلوم فى الإسلام ص ١٤٠.

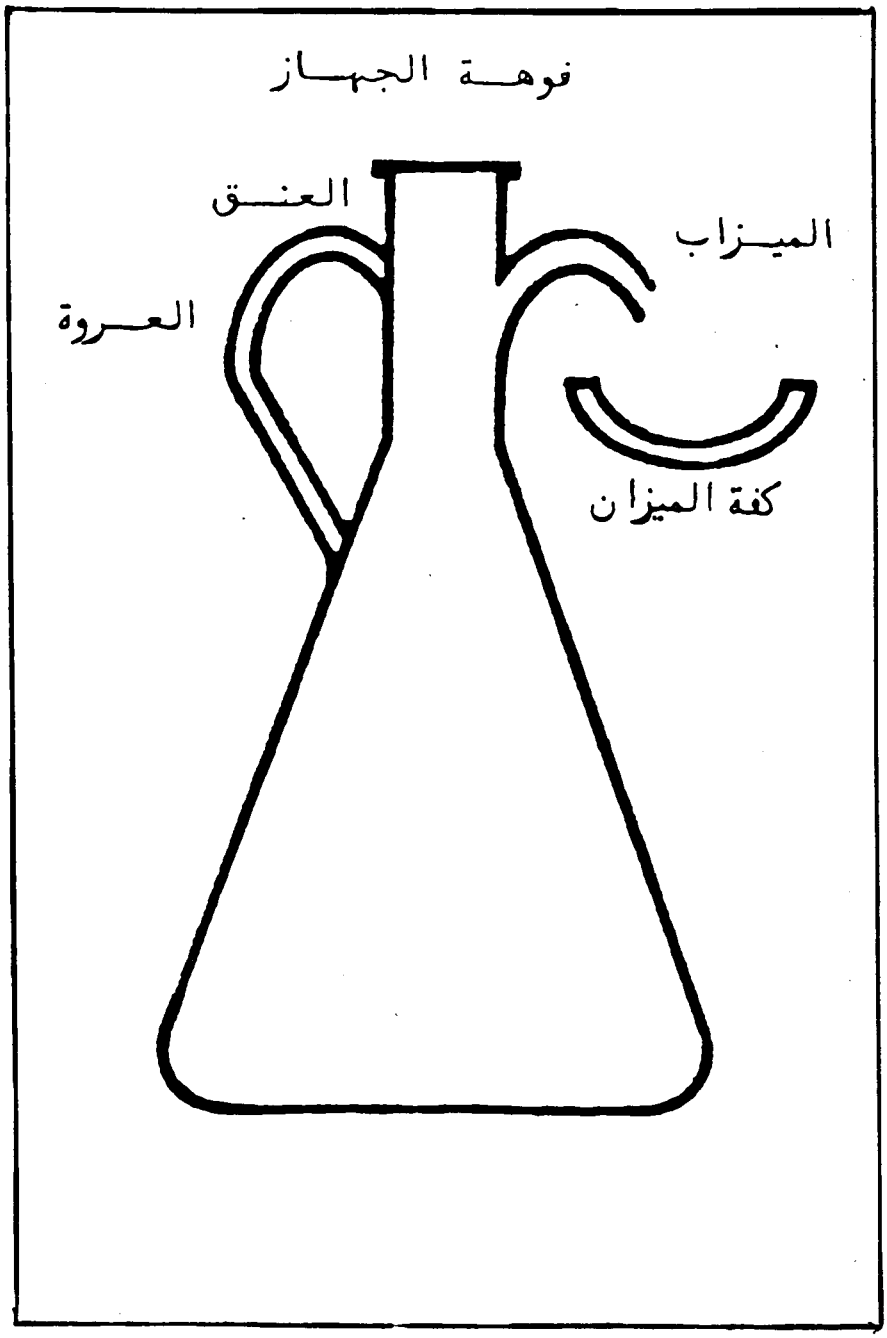

رسم تخطيطى للجهاز الذى استعمله الخازنى لتعيين الثقل النوعى

الصلبة والمعادن والأحجار الكريمة. أى تعيين ثقل حجم معين من المادة منسوبا إلى ثقل نفس الحجم من الماء[١].

ومن العلماء البغداديين الذين كتبوا فى هذا الحقل العلمى[٢]: سند بن على البغدادى (أحد كبار علماء الأرصاد فى عصر المأمون) وأبو بكر الرازى الطبيب رئيس البيمارستان فى بغداد (المتوفى ٣٢٠ هـ/٩٣٢م) والبيرونى (المتوفى ٤٤١ هـ/١٠٥٠م) وابن سينا (المتوفى ٤٢٨ هـ/١٠٣٧م) والخازنى المذكور قبل أسطر قليلة.

وقد استخدم هؤلاء العلماء أجهزة دقيقة وموازين حساسة لمعرفة الوزن النوعى، ومنها (الميزان الطبيعى) الذى ابتكره أبو بكر الرازى، وسبقت الإشارة إليه فى علم الأوزان[٣]. وينسب للبيرونى اختراع آلة مخروطية يتجه مصبها إلى أسفل، صنعها وصورها بنفسه لاستخراج الثقل النوعى عن طريق ملئها بالماء حتى المصب، ثم يوضع فيها المادة المراد معرفة ثقلها النوعى، فيخرج بدخولها قدر من الماء من خلال المصب، ويسقط فى الكفة، فيكون الوزن النوعى لها هو النسبة بين وزنها ووزن الماء المزاح. ومن قسمة وزن الجسم فى الهواء على وزن الماء المزاح يحصل البيرونى على الثقل النوعى لمادة الجسم الموزون[٤]. وبهذه الطريقة استطاع البيرونى عن طريق هذه الآلة التوصل إلى الوزن النوعى لثمانية عشر عنصرا من المعادن والأحجار الكريمة، ومنها الذهب والفضة والنحاس والقصدير والزئبق والبلخش والياقوت الأحمر وغيرها[٥].

وفى كتاب " ميزان الحكمة " للخازنى - المذكور قبل قليل - وصف دقيق لميزان غريب لوزن الأجسام بالهواء والماء. وهذا الميزان له خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرج. وورد فى الكتاب جداول الأوزان النوعية لكثير من المعادن والسوائل والأجسام الصلبة. وهذه الجداول تتسم بالجودة، ومستخرجة بطرق متنوعة، مع مقارنتها بالنتائج التى توصل إليها البيرونى فى هذا الباب[٦]. ومن الجدير بالذكر أن الخازنى فى كتابه المذكور لخص كثيرا من

---

١) د. جلال شوقى: أبو بكر الرازى وبحوثه فى العلم الطبيعى - مجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) العدد ٢ ص ٢٢٠.

٢) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٤.

٣) راجع عنه (ص ٤٤٣).

٤) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٣، الدومييلى: العلم عند العرب (مترجم) ص ١٩٤ - ١٩٦، د. أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ١٠٥، بهزاد جابر: الكافى من تاريخ العلوم عندالعرب ص ٧٤.

٥) قدرى طوقان: المرجع السابق ص ٣٣، د. أحمد عبد الرحمن: مرجع سابق ص ١٠٦.

٦) ذكر الدومييلى فى كتابه (العلم عنـــد العرب - ص ١٩٥ - ١٩٦) جدول مقارنة بين القيم التى =

المسائل التى توصل إليها عدد من علماء بغداد فى مجال الميكانيكا ومراكز الأثقال وأسباب اختلاف الأوزان؛ أمثال: ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠٠م) وأبى بكر الرازى (المتوفى ٣٢٠ هـ/٩٣٢م) وأبى سهل الكوهى (المتوفى ٤٠٥هـ/١٠١٤م) والحسن ابن الهيثم البصرى / البغدادى / المصرى (المتوفى ٤٣٠هـ/١٠٣٩م)[١].

ثالثا: الجاذبية الأرضية:

وقد درس علماء مدرسة (بغداد/المشرق) منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) قوة التثاقل الناشئة عن الجاذبية الأرضية، وسموها " الميل الطبيعى"؛ حيث افترضوا أن لكل جسم مكانه الطبيعى فى منظومة الكون، فإذا ما أخرج منه قسرا نزع إلى استعادة مكانه الطبيعى.

ومن علماء (بغداد / المشرق) الذين درسوا تساقط الأجسام تحت تأثير الجاذبية الأرضية: ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨ هـ/٩٠٠م) وأولاد موسى بن شاكر المنجم، وأبو الوفا البوزجانى / البغدادى (المتوفى ٣٨٩هـ/٩٩٨م) وإخوان الصفا والبيرونى (المتوفى ٤٤١هـ/١٠٥٠م) وابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٧م) والخازنى (المتوفى ٥٥٠هـ/١١٥٥م) وأبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى (٤٨٠ - ٥٦٠هـ/ ١٠٨٧ - ١١٦٥م) وغيرهم[٢]. وهؤلاء جميعا حاولوا أن يعللوا العديد من خواص الجذب؛ «فالمدرة[٣] - كما يقول ثابت بن قرة الحرانى البغدادى - تعود إلى السفل، لأن بينها وبين كلية الأرض مشابهة فى كل الأعراض، من البرودة واليبوسة والكثافة، والشئ ينجذب إلى مثله، والأصغر ينجذب إلى الأعظم، وإلى المجاور الأقرب قبل انجذابه إلى مجاوره الأبعد »[٤]. وعند إخوان الصفا أن الأجسام - وهى فى أمكنتها الطبيعية الخاصة - لاتوصف بالخفة أو بالثقل، فإذا ما خرجت من أمكنتها وصفت بالثقيلة إن كانت حركتها نحو المركز، وبالخفيفة إن كانت حركتها نحو المحيط، ولعل الثقل والخفة تكون

= توصل إليها كل من البيرونى والخازنى فى معرفة الوزن النوعى لعدد من الفلزات والجواهر، مع مقارنة هذه القيمة بالقيمة المعروفة اليوم فى العصر الحديث. وراجع عن هذا الجدول أيضا كتاب علم الفيزياء عند العرب للدكتور أحمد سعيد الدمرداش ص ٣٨ - ٣٩، وكتاب العلوم البحتة للدكتور الدفاع ص ٣٣٣. والموجز فى تاريخ العلوم لمحمد عبد الرحمن مرحبا ص ١١٢.

١) راجع: علم الفيزياء عند العرب للدكتور أحمد سعيد الدمرداش ص ٣٧ - ٣٨.

٢) الفيزياء وعلم الحيل عند العرب-لمحمد عيسى صالحية - مجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) العدد ٢ ص ٢٥٨.

٣) المصدر: قطع الطين اليابس، وقيل: الطين العلك الذى لا رمل فيه، واحدته مدرة (لسان العرب - مدر).

٤) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٤.

أيضا بسبب الموانع التى تعوق الجسم من أن ينتظم فى المركز وأضعفه فى المحيط[١].

وكانت البحوث التى كتبها محمد بن موسى الخوارزمى / البغدادى (المتوفى٢٣٦هـ/ ٨٥١م) فى حركة الأجرام السماوية وخواص الجذب[٢]، وكذلك اكتشاف أبى الوفا البوزجانى البغدادى (المتوفى ٣٨٩هـ/٩٩٨م) لبعض أنواع الخلل فى حركة القمر[٣]- هذه البحوث دليل على أنهما على معرفة شئ عن الجاذبية وخواص الجذب.

وقد أكد البيرونى (المتوفى ٤٤١هـ/١٠٥٠م) فى رده على المعترضين بدوران الأرض حول محورها والمعتقدين بأنها لو دارت حول نفسها لطارت من فوق سطحها الأحجار واقتلعت الأشجار -أكد على أن الأرض تجذب ما فوقها نحو مركزها، وجاء فى كتابه "القانون المسعودى" أن الناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة، وعليها أيضا نزول الأثقال على أسفل[٤].

وكان للخازنى دور جليل فى علم الجاذبية. وشرح فى تجارب كثيرة كيف أن جميع أجزاء الجسم تتجه إلى مركز الأرض عند سقوطها، وذلك بسبب قوة الجاذبية، وعرف كذلك نسبة السرعة المتصاعدة فى سقوط الأجسام. فذكر فى كتابه " ميزان الحكمة " أن الجسم الثقيل هو الذى يتحرك بقوة ذاتية أبدا إلى مركز العالم، أى أن الثقل هو الذى له قوة تحركه إلى نقطة المركز[٥].

ومن الدراسات التى خاض فيها علماء بغداد وتتعلق بظاهرة الجاذبية بحثهم فى حركة المقذوفات من حيث أن حركتها إلى أعلى تعاكس فعل عجلة الجاذبية الأرضية، أو أن القوة القسرية التى قذف بها الجسم تعمل فى تضاد مع قوة الجاذبية. وقد بحث هذه المسألة أبو

---

١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ص ٤٠- ٤١ (عنى بتصحيحها خير الدين الزركلى - المطبعة العربية بمصر ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) (رسالة السماء والعالم). وراجع: الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - البحث المنشور بمجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) عدد ٢ - ص ٢٥٨.

٢) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٥.

٣) راجع عن نظرية البوزجانى عن القمر فى المبحث الخاص بعلم الفلك (ص ٣٤٠).

٤) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٧٧، الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - بحث بمجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) العدد ٢ - ص ٢٥٩، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ١٠٩.

٥) د. أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق ص ٧٧ - ٧٨، على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٣٣٥، قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٢٠٢، محمد عيسى صالحية: الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - عالم الفكر مجلد (١٤) العدد الثانى ص ٢٥٩.

البركات (أوحد الزمان) هبة الله بن ملكا البغدادى (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٤م) فى كتابه " المعتبر فى الحكمة" [١].

وهكذا يمكن القول إن علماء المدرسة البغدادية قد استطاعوا ببحوثهم فى مجال الجاذبية أن يمهدوا الطريق أمام العالم الإنجليزى نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) الذى استطاع بفضلهم أن يصوغ قانون الجاذبية الذى خلد ذكراه[٢].

رابعا: علم المناظر والضوء (البصريات):

وهذا العلم يعنى دارسوه بالبحث فى نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته والأجهزة البصرية بمختلف أنواعها.

وقد أطلق اليونانيون على علم المناظر - أو الأبصار - اسم " أوبطيقا؛ " بمعنى: البصريات. وأما أول من أطلق فى الإسلام اسم " المناظر " عليه هم المترجمون الذين نقلوا كتب اليونان فى هذا العلم إلى العربية. ومن الكتب التى تعد من ينابيع علم البصريات فى عصر الترجمة ببغداد:

١ - كتاب " تحرير المناظر " أو " اختلاف المناظر " لأوقليدس[٣].

٢ - كتاب " البصريات " لبطليموس. ويحتوى على دراسات عن الانعكاس والانكسار والعلاقات بين زوايا السقوط وزوايا الانكسار[٤].

عناية المسلمين بعلم البصريات (المدرسة البغدادية):

(١) الكندى الفيلسوف البغدادى (المتوفى ٢٥٢ هـ/٨٦٦م):

ويرجع اهتمام العلماء المسلمين - فى إطار المدرسة البغدادية - بالبصريات إلى وقت مبكر. ويعد الكندى الفيلسوف البغدادى (المتوفى ٢٥٢هـ/٨٦٦م) من العلماء السابقين فى دراسة المناظر. ومن مصنفاته فى هذا العلم: رسالة فى " اختلاف المناظر "، ورسالة أخرى فى "المناظر الفلكية "، ورسالة فى " اختلاف مناظر المرآة"[٥]. وصنف أيضا رسالة فى "عمل المرايا

---

١) راجع: القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٤ - ٢٢٧، أبن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٣٧٤ - ٣٧٦، على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ١٦٨ - ١٧٦ - أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ٧٨.

٢) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب - ص ٢٠٦.

٣) الفهرست ص ٣٧٢، القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٨.

٤) د. أحمد سعيد الدمرداش: علم الفيزياء عند العرب ص ٤٤.

٥) الفهرست ص٣٦٠، ٣٦١، القفطى: المصدر السابق ص٢٤٣، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٩٠، ٢٩١.

المحرقة " ذكر فيها أنه يعرف عشرين شكلا لها، وأوضح كيفية صنع المرآة المحرقة التى ينعكس منها أربعة وعشرون شعاعا على نقطة واحدة، وكيف تكون النقطة التى تتجمع فيها الأشعة على أى بعد من وسط سطح المرآة. وقد دعم ذلك بالرسوم الهندسية[١].

وللكندى رسالة فى " مطرح الشعاع"[٢]، نوه فيها إلى أن أرشميدس صنع مرايا مقعرة كرية الشكل، واستخدمها لحرق سفن العدو التى اقتربت من (سيراكوزة) بجزيرة صقلية[٣]. ومن كتبه المهمة المبتكرة فى هذا الحقل العلمى: رسالة فى "اللون اللازوردى المحسوس من جهة السماء"[٤]، رد فيهـــا اللون إلى غياب أو حضور نور الشمس، وأرجع زرقة السماء إلى إظلامها، وإلى ذرات الغبار والبخار وضوء الشمس،على اعتبار أن اللون ما هو إلا نتيجة إدراكنا لتفاعل هذه الأشياء[٥].

(٢) حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م):

وصنف الطبيب البارز وعميد المترجمين فى بغداد: حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠ هـ/٨٧٣م) - صنف مقالة فى "حقيقة الضوء" تعد بداية الانطلاق نحو دراسة الضوء والاستفادة منها فى تحليل العديد من الظواهر الكونية ومع أن رسالة حنين استندت أساسا على مقالة أرسطوطاليس، إلا أنه أضاف إليها وطورها، بحيث بدت شيئا متميزا[٦]. كما أنه صنف رسالة فى " قوس قزح"[٧]، وليس ببعيد أن يكون قطب الدين محمد بن مسعود بن مصلح الشيرازى (المتوفى ٧١١هـ/ ١٣١١م) تأثر بهذه الرسالة عندما تحدث عن تفسير ظاهرة قوس قزح فى كتابه " نهاية الإدراك فى دراية الأفلاك"[٨].

---

١) د. أحمد عبد الرازق أحمد الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ١١٩ - ١٢٠.

٢) القفطى: إخبار العلماء ص ٢٤٣، ٤٢٦، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٩٠.

٣) راجع د. أحمد سعيد الدمرداش: علم الفيزياء عند العرب ص ٤٣. وقد قام الدكتور يحيى الهاشمى بطبع رسالة " مطرح الشعاع " فى حلب.

٤) القفطى: إخبار العلماء ص ٢٤٣.

٥) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ١٢٠، محمد شاكر مشعل: الدور العربى فى التراث العالمى ج ١ ص ١٩٢ (ط القاهرة ١٩٨٣).

٦) محمد عيسى صالحية: الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - مجلة عالم الفكر المجلد (١٤) العدد ٢ ص ٢٤٥.

٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٧٣.

٨) محمد عيسى صالحية: المرجع السابق ص ٢٤٦، عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ٢٢٦. ولقطب الدين الشيرازى ترجمة مفصلة فى كتاب د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٣٣٧ - ٣٤٢.

(٣) مشاركة الرازى فى علم البصريات:

وتعد بحوث محمد بن زكريا الرازى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) - رئيس البيمارستان فى بغداد فى عهد الخليفة العباسى المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ/٩٠١ - ٩٠٧م) - تعد بحوثه عن كيفية الإبصار وهيئة العين بمثابة دراسات أولية تخدم علم الضوء والبصريات. وتكشف رسالته فى "علة ضيق الناظر فى النور وتوسعه فى الظلمة"[١] عن توصله إلى معرفة أثر الضوء على حدقة العين واتساعها ليلا وانكماشها نهارا[٢]. ومن أفضل ما قدمه الرازى لعلم الفيزياء أنه قلب نظرية الإبصار، حيث أوضح فى كتابه الموسوم ب " كيفية الإبصار"[٣]- لأول مرة - بأن الإبصار لايكون بشعاع يخرج من العين إلى الجسم، بل على النقيض من ذلك، أى أن الشعاع أو الضوء يخرج عن الجسم المرئى إلى العين[٤]. وهذه هى النظرية الصحيحة للإبصار التى أقام بناءها فيما بعد الحسن بن الهيثم (المتوفى ٤٣٠ هـ/١٠٣٩م). وسيأتى الحديث عنه بعد قليل.

(٤) ابن سينا (٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) والبيرونى (٤٤١هـ/١٠٥٠م):

وقد درس ابن سينا - الذى تلقى تعليمه على يد بعض علماء المدرسة البغدادية - انعكاس الضوء وأخطاء البصر، واستطاع أن يعلل كبر حجم الشمس والقمر والكواكب والنجوم فى رأى العين حينما تكون قريبة من الأفق عند الشروق والغروب. وكانت تحليلاته لكيفية تكون الهالة القمرية والهالة الشمسية هى أساس التفسير العلمى الحديث[٥].

ومع أن ابن سينا هو الذى وضع قانون سير الأشعة سيرا كرويا منحنيا كانحناء سطح الأرض فإن البيرونى كان أكثرمنه دقة فى هذا المجال، وأشار إلى عظم سرعة الضوء إذا ما قيست حتى بالنسبة إإلى سرعة الصوت. وهذه النتائج أفادت العالم الكبير محمد بن محمد نصير الدين الطوسى (المتوفى ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) فى أبحاثه عن المناظر وانعكاس الشعاعات

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨١ - ١٨٢.

٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ١٢٠، عبد الحليم منتصر: تاريخ ودور العلماء العرب فى تقدمه ص ١٦٨ (ط القاهرة ١٩٨٠م).

٣) القفطى: المرجع السابق ص ١٧٩.

٤) د. جلال شوقى: أبو بكر الرازى وبحوثه فى العلم الطبيعى ص ٢٢٠، د. فاضل الطائى: أعلام العرب فى الكيمياء ص ١١٠ - ١١١

٥) عمرو فروخ: عبقرية العرب ص ١١٢.

والانعطافات[١]. والطوسى هذا أصله من خراسان، وعاش وتوفى ببغداد، وله دراسة حول كتاب " تحرير المناظر " لأوقليدس[٢].

(٥) الحسن بن الهيثم رائد علم البصريات:

وإذا كان العلماء يكرمون بنسبة آراء أو نظريات علمية إليهم فإن الحسن بن الهيثم البصرى/البغدادى المصرى (المتوفى ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) ينسب إليه علم البصريات بأكمله، «فقد استطاع أن يحيط بكل ما تفرق من أبحاث السابقين عليه ليصوغها بعد تصحيحها وترميمها وإضافة أبحاث جديدة إليها، ويجعلها علما متكاملا تتردد مصطلحاته وتسمياته فى جميع لغات العالم.... ولايزال المنصفون يشيرون إليه بالبنان كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع »[٣].

وقد صنف ابن الهيثم مجموعة كتب فى علم البصريات يمكن حصرها فيما يلى[٤]:

١ - كتاب المناظر.

٢ - كتاب فى البصريات.

٣ - رسالة عن كيفية إدراك البصر بالانعكاس.

٤ - رسالة عن العين والإبصار.

٥ - رسالة فى انعطاف الضوء

٦ - كتاب لخص فيه علم المناظر من كتابى أوقليدس وبطليموس.

٧ - رسالة فى جوهر البصر وكيفية وقوع الإبصار به.

٨ - مقالة فى المرايا المحرقة.

٩ - مسألة فى اختلاف النظر.

١٠ - رسالة فى ضوء القمر.

---

١) محمد عيسى صالحية: الفيزياء وعلم الحيل عندالعرب - مجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) - العدد ٢ ص٢٤٦.

٢) راجع د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية ص ٢٣٣.

٣) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ٧٩ - ٨٠.

٤) جمعنا هذه المؤلفات من: القفطى: إخبار العلماء ص ١١٦، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٦٠،٥٥٩. الدفاع: العلوم البحتة ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

وأهم كتاب للحسن بن الهيثم فى علم البصريات وأكثرها شمولا ودقة وتحليلا - والذى لايزال المنصفون يشيرون إليه كلما تحدثوا عن هذا العلم - هو كتاب " المناظر ". وهو «من أكثر الكتب استيفاء لبحوث الضوء، وأرفعها قدرا، ولايقل مادة وتبويبا عن الكتب الحديثة العالية إن لم يفق بعضها فى موضوع انكسار الضوء وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكتها »[١]. ويقول "جوان فيرنيه "فى بحثه (الرياضيات والفلك والبصريات) المنشور فى كتاب "تراث الإسلام": «يعتبر كتاب المناظر فى البصريات المصنف العظيم الذى خلد ذكر ابن الهيثم»[٢]. ويقرر الأستاذ سنجر أن هذا الكتاب ليس له مثيل بين مؤلفات اليونان جميعا[٣].

ويقع هذا الكتاب فى سبع مقالات جعلها ابن الهيثم كالفصول، وفيها يتعرض بالتفصيل لكل الموضوعات التى يعنى بها علم البصريات الهندسية. وعلى سبيل المثال تتناول المقالة الأولى كيفية الإبصار، وتشمل خواص البصر، وخواص الضوء، وكيفية إشراق الأضواء، وفيما يعرض بين البصر والضوء، وفى هيئة البصر، وكيفية الإبصار، وفى منافع آلات البصر، وفى علل المعانى التى لاتتم الإبصار إلا بها وباجتماعها. وفى المقالة الرابعة يتناول كيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الثقيلة، وتشمل صور المبصرات التى تنعكس عن الأجسام الثقيلة، وفى أن ما يدركه البصر فى الأجسام الثقيلة هى إدراك بالإنعكاس، وفى كيفية إدراك البصر للمبصرات بالانعكاس[٤].

وحسبنا أن نذكر من بين الآراء والنظريات المنسوبة لابن الهيثم فى مجال علم المناظر والضوء - وهى كثيرة[٥] ومبنية على أسس وتجارب علمية دقيقة، وبأسلوب منطقى بعيد عن

١) على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٣٢٦.
٢) تراث الإسلام (سلسلة عالم المعرفة / الكويت) رقم ١٢ الجزء الثانى ص ٣٤٠.
٣) جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث ص ٩٢.
٤) ذكر الأستاذ مصطفى نظيف المقالات السبع فى كتابه " الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه فى البصريات " ونقلها عنه د. الدفاع: العلوم البحتة ص ٣٢٥ - ٣٢٦، وراجع د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ٨٠ - ٨١.
٥) تناول كثير من مؤرخى العلوم آراء ابن الهيثم وجهوده فى علم البصريات، ومن ذلك: كتاب مصطفى نظيف: " الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه فى البصريات، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٤٢ - ٤٤، د. أحمد سعيد الدمرداش: علم الفيزياء عند العرب ص ٢٤٧ - ٢٥٠، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ٨١ - ٨٧، موسوعة حضارة العراق ج ٨ ص ٤٤٠ - ٤٤٥، شريف م. م: الفكر الإسلامى منابعه وآثاره ص ٩٣ - ٩٤، الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية ص ٣١٣ - ٣٣٠، محمد عيسى صالحية: الفيزياء وعلم الحيل عند العرب - مجلة عالم الفكر - المجلد (١٤) - عدد ٢ - ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

الأوهام القديمة - حسبنا أن نذكر أنه «أحدث انقلابا هائلا فى علم البصريات عندما وضع - أو أقام بناء - نظرية الإبصار السليمة التى تطور على أساسها علم الضوء الحديث بعد أن تناول النظريات القديمة بالنقد والتحليل، وأبطل ما توارثته الأجيال من أفكار خاطئة عن الإبصار منذ عهد اليونان إلى عصره[١]، وصاغ نظريته الجديدة فى الإبصار على أساس الشروط أو (المعانى) التى لايتم الإبصار إلا بها، وهى أن يكون الجسم المرئى مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء من غيره عليه، وأن يكون بين الجسم المرئى والعين بعد ما، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفا، وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها، وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار »[٢].

وهكذا ظهر لنا أن علم البصريات والضوء من العلوم الطبيعية التى أصابت تقدما كبيرا حتى أصبح - فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية) - علما مستقلا له أسسه وأصوله.

خامسا: علم الصوت:

وقد اهتم علماء بغداد بدراسة الصوت ومنشئه وقوته، وألموا ببعض معارفه الأساسية، وبلغت معلوماتهم فى هذا الباب من الدقة والصحة مبلغا لايستهان به. ومن ذلك ما ورد فى رسائل إخوان الصفا أن منشأ الأصوات يرجع إلى حركة الأجسام المصوتة، وأن هذه الحركة تؤثر فى الهواء الذى «لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها، فإذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك فى الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كروى، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل»[٣]. وقد قسم إخوان الصفا الأصوات إلى أنواع، منها: الجهير والخفيف ومنها: الحاد والغليظ. وعزوا ذلك إلى طبيعة الأجسام المصوتة، وإلى قوة تموج الهواء بسببها. وهذا التقسيم يتفق وتقسيم الأصوات فى العلم الحديث إلى أصوات متباينة الشدة، وأصوات مختلفة الدرجة. فالأصوات الكبيرة الشدة سميت جهيرة. والأصوات العالية الدرجة سميت "حادة"[٤].

---

١) ومنها: أن الإبصار يكون بشعاع يخرج من البصر إلى المبصر، وهو رأى أوقليدس وأتباع بطليموس القلوذى.

٢) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ٨٥، مصطفى نظيف: الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية ج ١ ص ٤٢.

٣) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٥، قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٨.

٤) د. أحمد سعيد الدمرداش: علم الفيزياء عند العرب ص ٢١، قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٨.

ولعل أبلغ مخطوط وصل إلينا فى الصوتيات هو مخطوط "أسباب حدوث الحروف" للشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦م)[١]. ويشتمل على فصول ستة: هى:

١ - فى سبب حدوث الصوت.

٢ - فى سبب حدوث الحروف.

٣ - فى تشريح الحنجرة واللسان.

٤ - فى الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب.

٥ - فى الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست فى لغة العرب.

٦ - فى أن هذه الحروف من أى الحركات غير النطقية قد تسمع[٢].

ومن ناحية أخرى فإن بحوث البغداديين لم تقف عند صوت الإنسان، بل تعدتها إلى دراسة أصوات الحيوانات. وكان الجاحظ (المتوفى٢٥٥هـ/٨٦٦م) رائدا فى هذا المجال فى كتابه " الحيوان".

سادسا: علم الموسيقى:

و لم تتوقف دراسة الصوت عند علماء (بغداد/المشرق) على المسائل النظرية، بل «طبقوا مبادئ الطبيعة فى الصوت وغيره على الموسيقى[٣]، وأبدعوا فى هذا الفن، وقطعوا فيه شوطا بعيدا، وكانوا دائما فى نظرياتهم الموسيقية عمليين، فلا يقبلون النظرية إلا بعد التثبت منها عمليا »[٤].

ترجمة كتب الموسيقى عن الإغريق:

وقد قام علماء بيت الحكمة (مدرسة العلم فى بغداد) بترجمة رسائل الإغريق الموسيقية إلى العربيـــة. وكان من علماء الموسيقى الإغريق الذين ترجمت آثارهم: أرسطكسنوس"

---

١) المخطوط محفوظ بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (١٢٣/ فلسفة ومنطق) ويقع فى تسع ورقات.

٢) هذه التقسيمات ذكرها ابن سينا فى الصفحة الأولى من رسالته المذكورة، ثم أخذ فى شرحها عبر ورقات الرسالة.

٣) الموسيقى هى تأليف الألحان. واللفظة يونانية. وسمى المطرب ومؤلف الألحان الموسيقور أو الموسيقار (مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٣٦).

٤) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٣٨.

(Aristoxemus) و" أوقليدس " و" بطليموس " و" نيكوماخوس " – من تلاميذ أفلاطون – وقد تُرجم للأول منهم كتاب "الإيقاع"[١]. وتُرجم للثانى كتابان هما: كتاب " النغم " – ويعرف أيضاً بالموسيقى – وكتاب "القانون"[٢]. وظهر لنيكوماخوس فى اللغة العربية كتاب " الموسيقى الكبير "، وله عدة مختصرات[٣]. وتُرجم له أيضاً كتاب "النغم"[٤].

المدرسة البغدادية فى علم الموسيقى:

وعندما ظهرت هذه الكتب الإغريقية فى اللغة العربية أصبحت الموسيقى من مناهج الدراسة العلمية وأحد العلوم الرياضية، ثم جاءت بعد ذلك فترة المؤلفات العربية.

١ – الكندى الفيلسوف (المتوفى ٢٥٢هـ/٨٦٦م): ويأتى الفيلسوف البغدادى الكندى فى مقدمة العلماء النظريين المسلمين الذين وصلت إلينا كتاباتهم عن الموسيقى. وهو من العلماء المتأثرين بالمدرسة الإغريقية فى هذا الفن، ويُعدُّ صاحب أول مدرسة للموسيقى فى التاريخ الإسلامى، وأول من كتب فى نظرية الموسيقى. وقد بقيت كتبه السبعة فى الموسيقيات نبراساً استضاء به من جاء بعده من الفلاسفة والموسيقيين. ويقول " فارمر " بهذا الخصوص: «كان لرسائل الكندى تأثير غير قليل فى الكتَّاب المتأخرين قرنين من الزمان على أقل تقدير»[٥]. وفى هذه الرسائل عرض الكندى قوانين الموسيقى الإيقاعية عرضاً شاملاً كما يقول (M.M.Sharef)[٦]. ونذكر من رسائله فى هذا العلم[٧]: "الرسالة الكبرى فى التأليف" و"رسالة فى الإيقاع" و" كتاب المدخل إلى الموسيقى" و"رسالة فى خبر صناعة التأليف" – أى تأليف الألحان – ورسالة فى " ترتيب الأنغام "وكتاب " المصوتات الوترية ". وبذلك يكون الكندى قد استبق عدداً كبيراً من الكتَّاب اللاحقين فى إطار المدرسة البغدادية – الذين برز من بينهم أيضاً:

---

١) الفهرست ص ٣٧٧.
٢) الفهرست ص ٣٧٢، إخبار العلماء للقفطى ص ٤٨.
٣) الفهرست ص ٣٧٧.
٤) القفطى: إخبار العلماء ص ٢٢٠ – ٢٢١.
٥) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية (مترجم) ص ١٥٠.
٦) الفكر الإسلامى منابعه وآثاره – ص ٨٨ (ترجمة الدكتور أحمد شلبى).
٧) راجع عن مؤلفات الكندى فى الموسيقى: الفهرست ص ٣٥٩، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٥٢، تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص ٢٧٢، تاريخ الموسيقى العربية لفارمر ص ١٥٠، علم الفيزياء عند العرب للدكتور أحمد سعيد الدمرداش ص ٢٤، رسائل فى الموسيقى – لجواد على (مجلة المجمع العلمى العراقى – المجلد الأول – ص ١٠٦).

٢ - **أحمد بن محمد بن مروان السرخسى (المتوفى ٢٨٦ هـ/٨٩٩م)**[١]. وهو من تلاميذ الكندى، وتولى وظيفة الحسبة ببغداد. وصنف كتاب "المدخل إلى علم الموسيقى". وكتاب "الموسيقى الكبير". وكتاب " الموسيقى الصغير". وكان السرخسى - خلافا لبعض المؤلفين فى الموسيقى - يعنى عناية شديدة بالجانب العملى من هذا الفن كما جاء فى كتابه " الأغانى الكبير ". ومن مؤلفاته أيضا: كتاب " اللهو والملاهى فى الغناء والمغنيين". وكتاب "نزهة المفكر الساهى فى المغنيين والغناء والملاهى". وكتاب " الدلالة على أسرار الغناء"[٢].

٣ - وصنف **ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠٠م)**[٣] كتبا موسيقية أهمها: " كتاب فى آلة الزمر"[٤] - وهو فى نوع من آلة الأرغانون[٥] - و"كتاب فى الموسيقى" ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون[٦]. وذكر له ابن أبى أصيبعة كتبا أخرى فى هذا الفن[٧].

٤ - وممن برع فى علم الموسيقى ولـــه فيه مؤلفات: **قسطا بن لوقا الطبيب المسيحى البغدادى**[٨]، كان فى أيام الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ -٣٢٠هـ/٩٠٧- ٩٣٢م). **وأبناء موسى ابن شاكر المنجم**، وهم من أبرز علماء بيت الحكمة فى بغداد، وكان لهم مشاركة فى علوم كثيرة كما تقدم[٩].

٥ - وكان **يحيى بن على بن يحيى المنجم المعروف بالنديم (المتوفى٣٠٠هـ/٩١٢م)** موسيقيا موهوبا. نادم الموفق أخى المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م)، ثم نادم المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ/٩٠١ - ٩٠٧م) وعلت رتبته عنده. وقد صنف رسالة فى: " أمر النغم وعددها وما يأتلف فيها ويختلف، ومواقع أصبع أصبع من وتر وتر، وموضع كل نغمة من كل

---

١) سبق ذكره فى المبحث الخاص بعلم الجغرافيا (ص ٢٧٠) والفلسفة (ص ٣١٥).
٢) الفهرست ص ٢١٣، إخبار العلماء للقفطى ص ٥٥ - ٥٦، عيون الأنباء ص ٢٩٤، تاريخ الموسيقى العربية لفارمر ص ٢٠٢.
٣) تقدم ذكره فى مواضع عدة (ص ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦٣، ٤٤٤).
٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨٣.
٥) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ٢٠٢.
٦) حاجى خليفة: كشف الظنون ج ٢ ص ١٤٦٥.
٧) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٩٩.
٨) تقدم ذكره فى مواضع (ص ٤٢٧، ٤٣٢).
٩) راجع عن بنى موسى (ص ٤٣٨).

دستان"[١]. وصنف أيضا كتابا عن حياة المغنى والموسيقار الكبير إسحق بن إبراهيم الموصلى (المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م)[٢].

تطور المدرسة البغدادية فى علم الموسيقى على يد الفارابى:

وقد تطورت المدرسة البغدادية التى بدأها الكندى فى علم الموسيقى على يد محمد بن محمد بن طرخان الفارابى (المتوفى ٣٣٩هـ/٩٥٠م)[٣]. وهذا الفيلسوف قدم أرقى الدراسات للموسيقى النظرية، حيث دون شروحا عظيمة الفائدة على ما كتبه اليونان فى هذا الفن، ثم توج أعماله عن الموسيقى بأن خصص لأبحاثها ثلاثة كتب من مؤلفاته القيمة، هى: كتاب "الإيقاعات " و" كتاب " كلام فى الموسيقى " وكتاب " الموسيقى الكبير"[٤].

وهذا الكتاب الأخير من أشهر كتبه، وقد وضع فيه أسس التعاليم الصوتية. ويقول عنه سارتون: «إنه أهم كتاب ظهر فى الشرق يبحث فى نظرية الموسيقى »[٥]. ويقول (أو. رايت O. Wright): «إنه أعظم مؤلف فى الموسيقى صنف حتى عصره...»[٦]. وفى معرض ذكر محتوياته يقول الدكتور محمود الحفنى: «يعد هذا الكتاب من شوامخ الكتب العربية فى الموسيقى، لم يسبقه إليه أحد قبله، و لم يزد عليه من تأخر من العرب القدماء؛ فقد جاء هذا المؤلف شاملا مستوفيا لجميع أنحاء الصناعة النظرية والعملية، وله شهرة عالمية فى الأوساط التى تعنى بدراسة الموسيقى العربية نظرا لغزارة مادته وقوة أسلوبه والمذهب المنفرد الذى سلكه المؤلف فى تصنيفه »[٧].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الفيلسوف الفارابى لم يكن بارعا فى الجانب النظرى من هذا العلم فحسب، بل وفى الجانب العملى منه[٨]؛ حيث يعتبر أول من صمم آلة " القانون "

---

١) قام المجمع العلمى العراقى بنشرها بتحقيق محمد بهجة الأثرى. راجع مجلة المعهد – المجلد الأول (١٩٥٠ / ١٣٦٩هـ) – ص ١٠٤، ١٠٧، ١١٢. وراجع الفهرست لابن النديم ص ٢٠٦.

٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٣ – ٣٧٤.

٣) سبق الحديث عن الفارابى فى الفصل الخاص بعلم الفلسفة (ص ٣١٨).

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٤.

٥) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٤٠ – ٤١.

٦) تراث الإسلام – سلسلة عالم المعرفة (رقم ١٢) ج ٢ ص ٣٥٩.

٧) د. محمود الحفنى: الموسيقى الكبير للفارابى – بحث منشور ضمن سلسلة تراث الإنسانية التى تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م – ص ١٦.

٨) راجع معلومات عن تقسيم الفارابى للموسيقى إلى عملية ونظرية، والمقصود من كل منهما – راجع إحصاء العلوم للفارابى ص ١٠٥ – ١٠٧، د. حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وتاريخ ص ١٧٠ – ١٧١ (الفصل الخاص بنظرية تصنيف العلوم عند الفارابى).

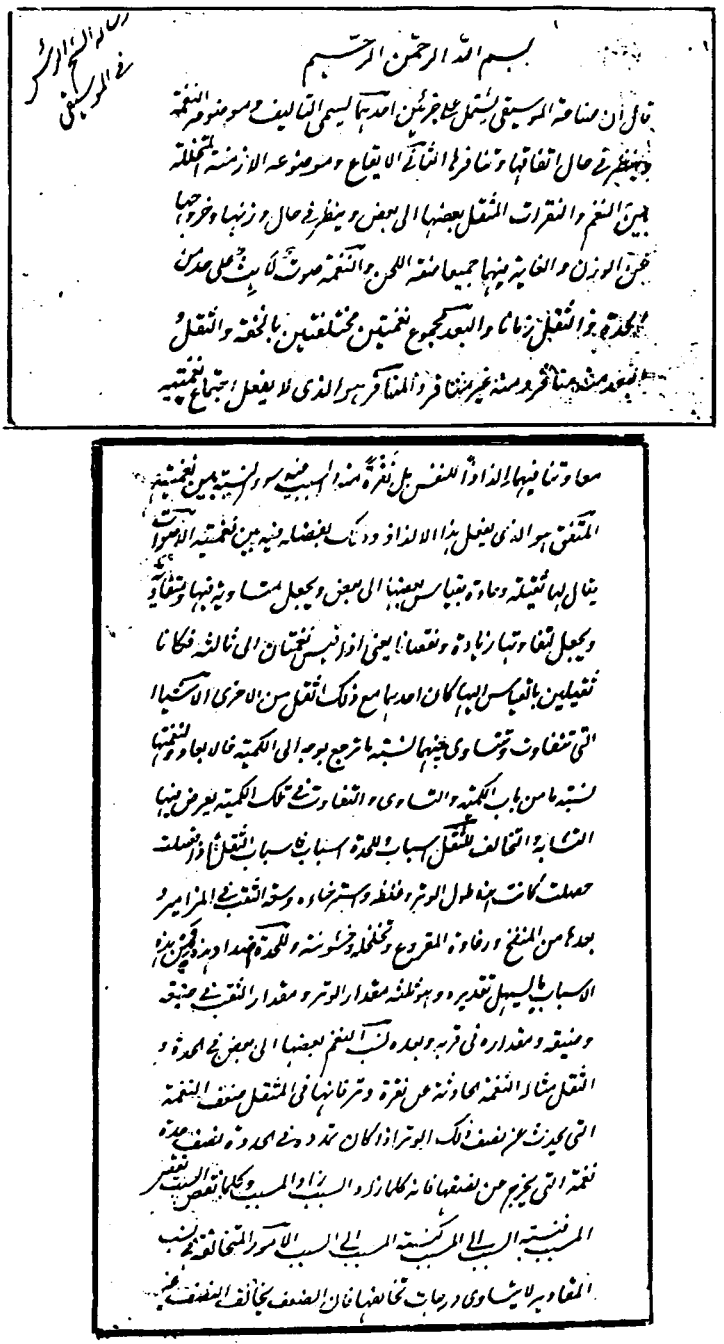

الصفحتان الأولى والثانية من رسالة ابن سينا فى الموسيقى
(مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٥/موسيقى)

وأول من ركبها على الصورة التى هى عليها[١].

بلوغ المدرسة البغدادية الذروة فى علم الموسيقى على يد ابن سينا:

وقد بلغت المدرسة البغدادية فى علم الموسيقى ذروتها عند الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) الذى فصل فى كتابه " جوامع علم الموسيقى " فصلا تاما بين الموسيقى كعلم صوتى، وبينها كفن وصنعة[٢]. ويدور هذا الكتاب حول: الأصوات، والأبعاد، والأجناس، والجموع، والإيقاع، والانتقال، والصنج والشاهرورد، والطنبور، والمزمار، ودساتين البربط، وتأليف الألحان[٣]. كما أنه خصص الفن الثامن من كتابه " الشفا " للموسيقى، وفيه ست مقالات، ولكل منها فصول. وهذا القسم يعتبر أهم ما فى كتابات ابن سينا الموسيقية كما يقول " رايت " (O.Wright)[٤].

صناعة الآلات الموسيقية:

أما عن الآلات الموسيقية فقد بلغت صناعتها فى بغداد شأوا بعيدا من التطور والمهارة. وجمع المهتمون بهذا الفن من البغداديين آلات غناء كثير من الأمم، كالفرس والروم واليونان والهنود، واستخرجوا من ذلك آلات تلائم أذواقهم وميولهم، إضافة إلى ما اخترعوه من شتى الآلات على غير مثال سابق. ومن الآلات التى كانت معروفة لديهم: الأرغانون والبزق والدف والطبلة والشليان (آلة ذات أوتار لليونانيين والروم) والقيثارة والطنبور والرباب والمعزفة (آلة أوتار لأهل العراق) والشهروز (أو الشاهرود) وهو عبارة عن عود مقوس يصدر أنغاما من ثلاث مقامات وهذه الآلة الأخيرة صنعها ببغداد حكيم بن أحوص السغدى[٥]. وكل هذه الآلات تقريبا وصفها الفارابى بكل عناية[٦].

ويعتبر العود ذو العنق القصير أهم الآلات التى استعملت فى الفن الموسيقى وكان له فى الأصل أربعة أوتار تضبط بحيث يكون بين الواحد والآخر أربعة أصوات، ثم أضاف زرياب المغنى البغدادى الذى رحل إلى قرطبة - أضاف إليه وترا خامسا[٧]. وقد عرفت أشكال من

---

١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١١٣.
٢) د. أحمد سعيد الدمرداش: علم الفيزياء عند العرب ص ٢٤.
٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٤١.
٤) تراث الإسلام - سلسلة عالم المعرفة / الكويت / العدد) - ج ٢ ص ٣٥٩.
٥) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ٤٠، فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ١٨٢.
٦) فارمر: المرجع السابق ١٨٤.
٧) تراث الإسلام (سلسلة عالم المعرفة رقم ١٢) ج ٢ ص ٣٨١. وسيأتى الحديث عن زرياب فى المبحث =

العود، من بينها العود الكامل (ذو خمسة أوتار)، وعود " الشبوط " الذى ابتكره منصور زلزل (الضارب) المعروف بمهارته بالضرب على العود (المتوفى ١٧٥هـ/٧٩١م) وهو نوع من العيدان عرف بالعود المحسن، ينسب إلى نوع من السمك يعرف بالشبوط.

وينسب إليه إدخال عفق على العود (وسائر الآلات الوترية ذوات العفق) عرفت باسم "وسطى زلزل "، وهى النغمة الثالثة فى السلم الموسيقى صعودا من الأساس المعروف باسم "رست". كما ابتدع مقاما جديدا يعرف باسم " المقام المنصورى " مازال شائعا فى العراق[١].

وقد وصف الفارابى عودين طويلى العنق، لهما دساتين مختلفة تمام الاختلاف، أحدهما يسمى الطنبور البغدادى (وكان أشيع عند أهل بغداد وما حولها). والآخر: الطنبور الخراسانى ذو الوترين المتساويين الغليظين المشدودين فى قائمة، ويرجع إلى أصل فارسى[٢]. وقد أعطى الفارابى أيضا أول وصف للآلة الموسيقية ذات القوس المعروفة بالرباب[٣].

وهناك أيضا مجموعة مهمة من الأنغام الوترية المتآلفة تعزف بواسطة آلات ذوات أوتار مطلقة، وأشهر هذه الآلات هو " القانون " الذى قام الفارابى بتصميمه كما تقدم ذكره. وقد اصطنع أيضا آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها، وتختلف أنغامها باختلاف تركيبها. واصطنع (الزلام)، وهى آلة موسيقية من الخشب على شكل القصبة منحوتة الجانبين جوفاء من غير تدوير، وتعرف بالناى أو المزمار الزلامى[٤].

وقد صنف أولاد موسى بن شاكر - وهم من علماء بغداد البارزين فى الفلك والرياضيات والطبيعيات - صنفوا رسالة عن الآلات الموسيقية الآلية، ومنها "الأرغن المائى". وعنوان هذه الرسالة "الآلة التى تزمر بنفسها"[٥]. وينسب ابن النديم إلى بنى موسى بن شاكر كتابا آخر بعنوان "الأرغنن"[٦].

= الخاص بالموسيقى فى الأندلس (ص ٦٥٩ - ٦٦٥).

١) تراث الإسلام ج ٢ ص ٣٨١، فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١٤٠، د. محمود أحمد الحفنى: إسحق الموصلى ص ١٣٤، ١٣٥.

٢) فارمر: المرجع السابق ص ١٨٣، تراث الإسلام ج ٢ ص ٣٨٢.

٣) الرباب: آلة وترية، ويطلق عليها أحيانا الكمنجة العربية والغيشق (راجع تراث الإسلام ج ٢ ص ٣٨٢).

٤) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٣، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٤٠.

٥) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١٥١. (ويقول فارمر: إن هذه الرسالة محفوظة فى الكلية الأرثوذكسية الإغريقية ببيروت ونشر فى مجلة المشرق ١٦، ٤٤٤).

٦) الفهرست ص ٣٩٧.

هذا، وقد ارتبطت الموسيقى بفن الطرب والغناء. وإذا كنا نعد أن من أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار الموسيقى العربية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ما قام به علماء بغداد من ترجمة مصنفات يونانية فى هذا المجال كان لها أبلغ الأثر فى تطور هذا العلم نتيجة دراسة تلك المؤلفات وتفسيرها والإضافة عليها، ثم ما عرف من ميل معظم الخلفاء وكبار الشخصيات فى الدولة العباسية لهذا الفن - أقول: إذا كنا نعد ذلك من عوامل الارتقاء بفن الموسيقى فإن هناك عاملا آخر لايقل أهمية عما ذكرنا، وهو ما كان موجودا فى بغداد من أصوات غنائية أولت هذا الجانب (أى الموسيقى) جل اهتمامها، لارتباطه الوثيق بفنهم فى الغناء.

ولقد ظهر فى بغداد مغنون كثيرون، وكانوا فى الوقت نفسه من الموسيقيين ويطول المقام لو تتبعنا سيرتهم للوقوف على المكانة الرفيعة التى كانوا يحظون بها فى البلاط العباسى[١]. ويأتى على رأس هؤلاء: حكم الوادى (المتوفى فى منتصف عهد الرشيد) وسياط: وهب بن عبد الله الخزاعى (المتوفى ١٦٩هـ/٧٨٥م). ويحى المكى وولده أحمد ثم ابن جامع وإبراهيم الموصلى (المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٤م)، وكانا زميلين متنافسين فى بلاط هارون الرشيد. ثم طبقة تلاميذ إبراهيم الموصلى: زلزل (المتوفى ١٧٥هـ/٧٩١م) ومخارق (المتوفى ٢٣١هـ/٨٤٥م) وعلويه (المتوفى فى عهد المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ). وهذا الأخير كان له دور فى إدخال النغم الفارسى فى الموسيقى العربية. ثم جاء إسحق بن إبراهيم الموصلى (المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، ويعد أعظم الموسيقيين فى عصره سعة فى المعلومات، «وهو الذى هذب هذه الصناعة، ووضع حدودها، وميزطرائقها تمييزا لم يقدر عليه أحد »[٢]، واستطاع كعالم موسيقى أن يخضع النظريات المتطاحنة فى ممارسة الفن لنظام واضح، مع أنه لم يبلغ من ناحية النظر العلمى مبلغ الكندى الفيلسوف (المتوفى٢٥٢هـ/ ٨٦٦م). ويقال: إنه قام بهذا العمل من غير أن يقرأ للإغريق كتابا أو يعرفه، وكانت مكتبته من أكبر مكتبات أدباء بغداد[٣]. وكان موضعه من العلم، ومكانه من الأدب، ومحله من الرواية، وتقدمه فى الشعر، ومنزلته فى سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف[٣].

وإذا قلنا: إن الكندى كان صاحب أول مدرسة للموسيقى فى بغداد فإن إسحق الموصلى صاحب أول مدرسة للغناء استمرت فترة طويلة من بعده، الأمر الذى جعل أبا الفرج

---

١) لمعرفة الجهود التى قدمها هؤلاء المغنون فى تطوير فن الموسيقى والغناء يكمن الرجوع إلى فارمر: تاريخ الموسيقى العربية.

٢) عبد الرحمن الحجى: تاريخ الموسيقى الأندلسية ص ٢٣. فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١٤٧.

٣) شيخان: أشهر المغنين عند العرب ص ١٢١ (ط بيروت ١٩٦٢م).

الأصفهانى (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٦م) يقول فى كتابه الكبير "الأغانى": «وكل ما ذكرناه - من نسب الأغانى إلى أجناسها - فعلى مذهب إسحق بن إبراهيم الموصلى؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب من خالفه...»[١].

وإلى جانب هؤلاء المغنين والموسيقيين الكبار ظهر فى بغداد عدد من الصغار، أتى فارمر على أسمائهم وسيرتهم فى كتابه " تاريخ الموسيقى العربية "[٢]. وقد دأب أكثرهم - كبارهم وصغارهم، وشاركهم عدد من المؤرخين وكتاب التراجم - دأبوا على دراسة تاريخ الموسيقى والغناء، وتدوين سيرة الموسيقيين والمغنين، فصنفوا كتبا عديدة خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة. وقد سبقت الإشارة إلى بعضها فى سياق حديثنا عن كتب التاريخ الحضارى، وذلك فى المبحث الخاص بعلم التاريخ[٣].

***

وخلاصة القول: أن علم الموسيقى على الرغم من استناده بادئ ذى بدء على مصنفات اليونان الموسيقية فإن علماء العرب والمسلمين - فى إطار مدرسة (بغداد/المشرق) لم يمنعهم ذلك من التطوير والتجديد، بل وأن يتفوقوا فى هذا المجال أيضا ويبتكروا أساليب فنية جديدة عرفت باسمهم، وأبدعوا فيها غاية الإبداع.

ويمكن القول: أن الموسيقى العربية قد احتفظت لنفسها بطابع عربى شرقى فى الإيقاع والنغم بفضل جهود المدرسة المشرقية، وإن ما صنفه علماء هذه المدرسة فى هذا المضمار وما اخترعوه من آلات موسيقية يدلان بصورة جلية على ذلك الاهتمام الكبير الذى أولوه للموسيقى، كما أن اهتمام علماء هذه المدرسة بدراسة مختلف العلوم التى سبق وأن تناولناها بالدراسة لم يصرفهم عن دراسة فن الموسيقى، بل إن نصيب هذا الفن من الرعاية والتقدير لم يقل عن درجة اهتمامهم بالعلوم الأخرى فى نهضتهم الثقافية تلك. وإن دل هذا على شئ فإنه يدل على نظرة هؤلاء العلماء المتكاملة لمفهوم الحضارة.

****

١) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١٧٦.

٢) فارمر: المرجع نفسه ص ١٥٤ وما بعدها.

٣) راجع ما ذكرناه عن كتاب الغناء والموسيقى (ص ٢٦١) فى الفصل الخاص بعلم التاريخ.

خاتمة الباب

هكذا ظهر لنا - من خلال فصول هذا الباب - ما لمدرسة (بغداد/المشرق) من إسهامات مهمة فى مجال العلوم العقلية والعملية. ولقد كان واضحا أن هذه المدينة التى تعد - بحسن موقعها -درة المراكز العلمية بالمشرق الإسلامى كانت على استعداد دائم لاستقبال وقطف ثمار الحضارة اليونانية مع ثمار الحضارة الفارسية والهندية فى مجالات الفلسفة والفلك والرياضيات والطب والنبات والطبيعة، بحيث كانت كالبوتقة التى تألفت فيها معارف الشعوب القديمة فى هذه العلوم، وعملت على صهرها، وإخراجها فى صورة جديدة.

وقد أنجبت هذه المدرسة - خلال قرنين فقط من الزمان من العلماء الأفذاذ ما لا يستطيع مؤرخ فى مجال العلوم التجريبية أن يتجاهلهم أو يقلل من دورهم، كالكندى (ت٢٥٢هـ/ ٨٦٧م) والخوارزمى (ت٢٣٦هـ/٨٥١م) والفارابى (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م) والبتانى (ت ٣١٧هـ/٩٢٩م) والبوزجانى (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) وحنين بن إسحق (٢٦٠هـ/٨٧٣م) وثابت بن قرة الحرانى البغدادى (ت ٢٨٨هـ/٩٠١م) والرازى (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)... وغيرهم ممن يطول المقام بذكرهم. وهؤلاء العلماء، لم يحافظوا فقط على المعارف التى ورثوها عن الحضارات المختلفة، بل أضافوا إليها إضافات جوهرية ساعدت على اتساعها وتطويرها، ونحن - وإن كنا لا ننكر استفادتهم من كتب الأوائل فى هذه المجالات العلمية - لكن ابتكاراتهم العظيمة أثبتت بطلان كثير من نظريات أبقراط وجالينوس وأوقليدس وبطليموس وأرشميدس وغيرهم.

ويمكن تقسيم المؤلفات التى أفرزتها الحركة العلمية فى ميادين الطب والفلسفة والفلك والرياضيات... الخ، فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية)، بدءا من تاريخ تأسيس بغداد، وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى - إلى ثلاثة أصناف.

الأول: مؤلفات اهتمت بشرح الكتب القديمة، وكشف غوامضها، وتوضيح الأقوال التى يظهر فيها اللبس والإيهام.

الثانى: مؤلفات اهتمت بإصلاح ما وقع فيه الأولون من أخطاء، وإزالة مواضع الخلل والشكوك، مع بيان أسباب الخطأ، وبيان إصلاحه بالحجة العلمية والتجربة العملية.

الثالث: مؤلفات أظهرت نبوغ من قام بوضعها، لاهتمامها بابتكارات وإبداعات لم تكن معروفة من قبل، فتصدرت مكانة مرموقة فى تاريخ العلم، لما ظهر فيها من أساليب ونتائج

جديدة، أصبحت فيما بعد الينبوع الرئيسى للنهضة الأوربية عن طريق الأندلس.

وبعبارة وجيزة: إن علماء هذه المدرسة لم يأخذوا بالفرضيات والآراء والنظريات التى انتقلت إليهم من العلم اليونانى أو الهندى... الخ على أساس أنها صحيحة وغير قابلة للشك أو الطعن، ولهم يستلموا تلك العلوم دون تطوير وتعديل وإعادة صياغة وبناء جديد، بل ذهبت جهودهم نحو التبسيط والشرح والتعليق وتصحيح الخطأ، وإزالة اللبس أولا، ثم سرعان ما انتقلوا إلى الابتكار والإبداع والتجديد.

وليس من قبيل التزيد أو المبالغة إذا قلنا هنا: إن المؤلفات العلمية التى وضعها علماء هذه المدرسة فى ميادين العلوم الصرفة - كالطب والصيدلة والكيمياء والنبات والحيوان والفلك والرياضيات وغيرها - لا تقل أهمية وكثرة عن غيرها من المؤلفات فى ميادين العلوم الإنسانية، كالحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب والتاريخ، ذلك أن الحركة العلمية فى (بغداد/المشرق) قد أغنت كل جوانب الحياة بما تتطلبه من مستلزمات التطور الحضارى من علوم ومعارف.

***

خاتمة القسم الأول

وبعد...

فبهذا التعقيب نكون قد وصلنا إلى ختام القسم الأول من الدراسة. ولعل الهدف الذى وضعناه لأنفسنا فى هذا القسم قد تحقق، فقد كانت غايتنا أن نتعرف على النهضة العلمية التى شهدتها (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (وعلى وجه الدقة منذ نشأتها وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى)، وذلك من خلال عرض شامل لعلوم القرآن (القراءات - التفسير... الخ) والحديث والفقه وأصول الدين واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والفلك والرياضيات والطب والصيدلة والكيمياء والنبات والحيوان وعلوم الطبيعة (الفيزياء).

وقد كان من الواضح أن هذه العلوم جميعها وصلت فى بغداد إلى أقوى ما تكون، وتوغل علماء (بغداد/المشرق) فى ميادينها المختلفة، ولم يتركوا أى ميدان إلا وعنوا بدراسته دراسة فاحصة ومستوعبة، وصنفوا فيه الكتب الجليلة، والأبحاث القيمة والدراسات المستفيضة، وأمعنوا فى دراسة البعض منها وكتبوا فى شأنها الأسفار والمجلدات الكثيرة.

ومن الصعب فى مثل هذه الدراسة حصر الإنتاج العلمى الذى خلفه علماء المدرسة (البغدادية/ المشرقية) فى الفترة المذكورة، كما يصعب إنصاف هؤلاء العلماء بالتعرض لهم جميعا أو الوقوف عند كل ما أسهموا به من إنتاج علمى. لكن يبقى القول بأن هذا الإنتاج العلمى فى كل فرع من فروع العلم كان غزيرا، وما ورد فى كتب التراجم والطبقات بشأنه يشهد بعظمته ووفرته وشموله. ولا نغالى إذا قلنا: إن من يحاول الوقوف على معالم الحركة العلمية فى أى قطر من الأقطار الإسلامية خلال القرون الثلاثة الهجرية من بعد تأسيس مدينة بغداد يمكنه الخروج بنتيجة مؤداها: إن الإنتاج العلمى الضخم الذى أثمرته النهضة العلمية فى بغداد خلال القرنين (فترة الدراسة) شارك بقوة فى تكوين وتطوير الحركة العلمية فى هذه الأقطار على تفاوت بينها.

وإذا كان التراث العلمى الذى يمثل المدرسة (البغدادية/المشرقية) على هذا النحو من التأثير الواسع كما نقول وأن بذور النهضة العلمية التى ألقاها علماء (بغداد/ المشرق)

ظهرت ثمارها فى خراسان والرى ومصر والشام وغيرها انطلاقا من مركز الخلافة، فما هو حظ الأندلس من هذا التراث؟، وهل هذا الإقليم النائى فى أقصى الغرب مدين فى ثقافته ونهضته العلمية لتلك النهضة الشاملة التى وقفنا (بوجه عام) على أبرز معالمها فى مدينة السلام "أم الدنيا" ودرة العالم الإسلامى آنذاك؟؟.

هذا ما سنجيب عليه فى القسم الثانى من الدراسة إن شاء الله.

****

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني، وأوله:

القسم الثانى

انتقال النهضة العلمية من بغداد/ المشرق

إلى قرطبة/ الأندلس

الحضارة الإسلامية

دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية

نشأتها في المشرق - انتقالها إلى الأندلس
دعم الأندلسيين لها - تأثيرها على أوروبا

تأليف

الدكتور طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبية

جامعة القاهرة - كلية دار العلوم

قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3938-X

9 782745 139382

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثانى

انتقال النهضة العلمية من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس) وجهود الأندلسيين فى تطويرها، وتأثيرها على أوربا

* ويتضمن ثلاثة أبواب:

الباب الأول: انتقال العلوم من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/ الأندلس)

الباب الثانى: إنجازات الأندلسيين ودورهم فى تدعيم العلوم العربية والإسلامية.

الباب الثالث: دور الأندلس فى نقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوربا.

الباب الأول

انتقال العلوم من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس)

* ويتضمن تمهيدا وخمسة فصول:

التمهيد

الفصل الأول : العلوم الدينية.

الفصل الثانى : علوم اللغة العربية.

الفصل الثالث : علم التاريخ والجغرافيا.

الفصل الرابع : علم الكلام والفلسفة.

الفصل الخامس : العلوم التجريبية.

الخاتمة : وتتضمن النتائج المستخلصة.

(تمهيد)

أصبحت بلاد الأندلس - بعد الفتح الإسلامى لها (٩٢هـ/٧١١م) - بلدا إسلاميا يدور فى فلك العالم الإسلامى، وينتمى إليه حضارة وفكرا وثقافة، ومنذ ذلك الحين لم تعد هذه المنطقة الجديدة - بكل حواضرها (وقرطبة فى القلب منها) بمعزل عن ما يدور فى ذلك العالم الإسلامى الفسيح؛ من أحداث سياسية متغيرة، وحركة علمية دؤوبة، وعطاء حضارى لا ينقطع.

وقد اعتاد المؤرخون والباحثون المحدثون على تقسيم التاريخ الأندلسى إلى عصور معينة[1]. والفترة الأولى من هذا التاريخ هى التى شهدت البذور الأولى للحضارة الإسلامية فى

---

١) استقر حكم الإسلام فى شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) ثمانية قرون منذ فتحها - بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير - (سنة ٩٢هـ/٧١١م) حتى سقوط غرناطة (سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، ومرت الأندلس فى هذه القرون بعدة عهود تقلبت خلالها بين الضعف والقوة والنصر والهزيمة. ويمكن إجمال هذه العهود - التى كان لكل منها طابع مميز - على النحو التالى: **أولا:** عهد الفتح (٩٢-٩٥هـ/ ٧١١-٧١٤م). **ثانيا:** عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م): ويعتبر بعض المؤرخين مدة الفتح داخلة فى العهد الذى ينتهى بمجئ عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م. **ثالثا:** عهد الإمارة (١٣٨-٣١٧هـ/٧٥٥-٩٢٩م): وبدأ منذ مجئ عبد الرحمن الداخل حتى إعلان الخلافة من قبل عبد الرحمن الناصر (الثالث) [سنة ٣١٧هـ/٩١٩م]. **رابعا:**عهد الخلافة (٣١٦-٤٠٠هـ/٩٢٩ -١٠٠٩م): ويبدأ منذ إعلان الخلافة حتى وفاة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/٩٧٦م). أو حتى الدولة العامرية فى نهاية القرن الرابع. **خامسا:** عهد الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م): وهو عهد دول (أو ملوك الطوائف الذى سبقته أعوام من الفوضى، واستمر ثلاثة أرباع القرن). **سادسا:** عهد المرابطين والموحدين (٤٨٤-٦٢٠هـ/١٠٩١-١٢٢٣م)، حيث دخلت الأندلس أولا فى دولة المرابطين التى تنتهى فى حوالى (٥٢٠هـ/١١٣٤م)، وبعد مدة تنضوى لحكم الموحدين (قرابة القرن) الذى ينتهى حوالى (٦٢٠هـ/١٢٢٣م). ويمكن اعتبارهما عهدين مستقلين.

سابعا: مملكة غرناطة (٦٢٠-٨٩٧هـ/١٢٢٣-١٤٩٢م) حيث تقوم دولة بنى الأحمر وتستمر ما يزيد على قرنين ونصف حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، ويمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامى للأندلس، وذهاب سلطان المسلمين السياسى منها. (راجع: د. عبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة) ص ٣٩-٤٠، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس. آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى [ترجمة حسين مؤنس] الفصل الأول (مقدمة تاريخية)، د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا- الفصل الأول، د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح الإسلامى إلى سقوط الخلافة (ص ٢٨-٢٩)، وغير ذلك من المراجع التى اعتمدت هذا التقسيم السياسى لتاريخ الأندلس).

الأندلس، وفى هذا التوقيت المبكر كانت هذه البلاد تتجه إلى المشرق الإسلامى[١] بكل حواضره ومراكزه العلمية. ويمكن تسمية هذه الفترة التاريخية، إذا ابتعدنا قليلا عن التقسيمات السياسية المشار إليها - بمرحلة "التكوين الحضارى فى الأندلس".

ولم يكن التأثير المشرقى فى الثقافة الأندلسية (أو فى الفكر الأندلسى) مقصورا على فترة التكوين هذه فحسب، وإنما امتد أيضا مع امتداد الثقافة العربية الإسلامية فى الأندلس زمانا ومكانا، ولم ينقطع الاتصال الحضارى بين المراكز العلمية فى المشرق والأندلس طيلة ثمانية قرون هى عمر التاريخ الإسلامى الأندلسى (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م). كما أن التأثير المشرقى لم يكن بدرجة واحدة دائما، بل تفاوت من عصر إلى آخر، وكان أكثر قوة فى القرون الثلاثة الأولى التى تشمل إلى جانب فترة التكوين - فترتين أخريين، هما: "فترة النمو والتطور" (١٨٠-٣٠٠هـ/٧٩٦-٩١٢م)، ثم "فترة النضج والازدهار" وهى ما بعد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م.

ويمكن القول: إذا كانت الأندلس قد طمحت إلى الاستقلال السياسى عن المشرق منذ بدء تاريخها فإنها لم تستطع أن تفلت من الخضوع له - إلى حد كبير - فى المجال الحضارى، ولم يمنعها بعدها عن قلب العالم الإسلامى من أن يتدفق عليها التراث العربى من المشرق، لا فى العصر الأول فحسب، وإنما فيما تلا ذلك من عصور[٢]؛ ليلقى - أى هذا التراث الحضارى المشرقى - بظلاله الواضحة على الحياة الثقافية فى هذه المنطقة ويشارك بقوة فى التكوين الحضارى لها.

ولعل القارئ يلحظ أننا أسرعنا - من جانبنا - فى التأكيد على قوة تأثير الفكر المشرقى وفاعليته على الرغم من أننا لما نبدأ بعد فى عرض هذه القضية بتفاصيلها وسرد الأدلة والبراهين على مدى حقيقتها وواقعيتها.

والذى جعلنا نذهب - ابتداء - إلى التأكيد على هذا الأمر هو أننا قمنا بالتتبع الشديد الذى قد يصل إلى درجة الاستقراء لهذه الظاهرة الحضارية، وقادتنا المصادر التاريخية إلى إقرار هذه الحقيقة التاريخية.

---

١) المقصود بالمشرق الإسلامى فى اصطلاحنا هنا ما يقابل المغرب الإسلامى بما فيه الأندلس. وعلى هذا فإن هذا المصطلح فى دراستنا يضم مدن العراق (بغداد - البصرة - الكوفة...) والشام (دمشق - الموصل - حلب...) وبلاد اليمن وخراسان وما وراء النهر، ونيسابور، ومرو، فارس... الخ. وتمثل مصر حلقة الوصل بين هذه البلدان المشرقية وبلاد المغرب.

٢) د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا ص ٣٩.

والحق أن هذا الموضوع من السعة والشمول بحيث يمكن أن تتاح للباحث فيه معلومات غزيرة وغنية ربما تصل - حسب رأى بعض الباحثين - إلى القول بأن كل ما أنتجه الفكر الأندلسى خلال الحكم الإسلامى من حضارة هو من صنع المشرق بأفكاره وثقافته وسياسته. وعبر بعضهم عن ذلك بقوله: «إن الثقافة الأندلسية كانت تتخذ من الثقافة المشرقية مثلها الأعلى، تنسج على منوالها، بل تبذل أقصى وكدها أن تتبع جزئياتها... ولم يقتصر أخذ الأندلس عن المشرق على ميدان الثقافة الخالصة، فقد قلدوهم فى السياسة، وتلقبوا بالخلافة منذ سنة ٣١٦هـ كالمشارقة، وقلدوهم فى إنشاء الجيوش من الرقيق، وقلدوهم فى إنشاء بيوتهم على طراز مشرقية وبناء مساجدهم كذلك»[١].

ويقول آخر: «كانت قرطبة فى مبدأ نهضتها تتخذ بغداد مثلا أعلى تسير على نموذجه، وتنسج على منواله فى كل شئ؛ فى الأدب والفن وفى الموسيقى والفلك، وفى الطب والكيمياء، وفى العلم والحكمة وفى الأخلاق والسياسة، وبالإجمال فى كل نواحى الحياة الثقافية، وكانت تغالى مغالاة شديدة فى احتذاء خطواتها»[٢].

ومن أصحاب هذا الرأى أيضا الأستاذ العالم الإسبانى غرسيه غومس، حيث إنه استطاع أن يبرز فى قوة وبيان مدى ما كان للحضارة البغدادية من نفوذ طاغ على الممالك الأندلسية، وأن هذه الممالك لم تكن إلا صورا للمدنية المشرقية العظيمة[٣].

وممن انتصر لهذا القول الدكتور إحسان عباس إذ يقول: «وسمت الحياة الثقافية (فى الأندلس) منذ البدء بالاعتماد على المشرق والتقليد لأهله، لأنه كان أرقى حضارة وأوسع ثقافة، وإليه يلتفت الأندلسيون فى تجارهم، ويرونه منبع العلم والدين وموطن القداسة والحج... وقد حاول الحكم المستنصر (الخليفة الأندلسى/ ٣٥٠-٣٦٦هـ) ثم ابن حزم (الفقيه الأندلسى/ المتوفى ٤٥٦هـ) أن يرسما للأندلس حدودا ثقافية، وأن يقفا بها على مستوى المشرق، ولكن تقديس الثقافة والأدب المشرقى ظل حادا ساطعا»[٤].

---

١) د. هاشم باغى: ملامح من الثقافة الأندلسية - بحث منشور فى مجلة كلية الآداب بالجامعة الأردنية - المجلد الثانى - ص ٣١.

٢) د. محمد غلاب: الفلسفة الإسلامية فى المغرب ص ١٣.

٣) Garcia Gomez: Bagdad y los reimos taifas - Revista de occidente ١٩٣٤، Tomo xL (٢٢-٢) III (بغداد وملوك الطوائف) - بحث باللغة بالإسبانية منشور فى مجلة الغرب - العدد ١١٣ من ص ٢ - ٢٢. ومن المؤيدين لهذا الرأى من المستشرقين الروس: كراتشكوفسكى فى كتابه (الشعر العربى فى الأندلس) ترجمة محمد منير مرسى - قدم له د. أحمد هيكل - ص ١٢.

٤) د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى - عصر سيادة قرطبة ص ٣٩.

وهذا الرأى قد يحمل قدرا من المبالغة، وإننا إذا كنا نؤكد من جانبنا على أن المشرق الإسلامى بفكره وثقافته - والعراق فى القلب منه - كان له تأثير قوى فى تكوين حضارة الأندلس إلا أن ذلك لا ينفى وجود مؤثرات أخرى خضعت لها تلك الحضارة، ومن هنا فإننى أتفق مع تصور الدكتور أحمد مختار العبادى حين قرر أن الحضارة الأندلسية «مرت فى أدوار مختلفة، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية تربطها بالوطن الإسلامى الأم باعتبارها جزءا منه، كما خضعت لمؤثرات مغربية بحكم ارتباطها ببلاد المغرب المصاقبة لها من الجنوب، هذا إلى جانب المؤثرات المحلية الإسبانية اللاتينية بحكم البيئة الأوربية التى نشأت فيها»[١].

ولكننى أعقب هنا وأقول: إن المؤثرات المحلية المشار إليها كانت قليلة، ولم تكن أبدا بالقدر الذى كانت عليه المؤثرات المشرقية.

ومن ناحية أخرى يقلل البعض من حجم الدور المشرقى فى تكوين الفكر الأندلسى، ويذهب إلى القول بأنه لا يمكن إنكار ما للمشرق من تأثيرات فى الأندلس، ولكن كان ذلك محدودا ومقصورا على المرحلة الأولى.

وأما نحن فإننا نؤكد - كما ذكرنا قبل أسطر قليلة - على أن للمشرق الإسلامى وخاصة العراق دورا كبيرا ونصيبا أوفر فى تكوين حضارة الأندلس وتدعيمها على امتداد مراحلها. وعلى هذا فإن ما أشار إليه ليفى بروفنسال صحيح من أن المشرق قد فاز بنصيب كبير فى تكوين الثقافة الأندلسية، وكان كل ما يفد من بغداد أو من المدن الكبرى الأخرى فى العالم الإسلامى يستقبل بإعجاب - أو بامتثال على القل - فى ربوع بلاد الأندلس[٢]. ويقول أيضا: «وسوف يكون أمرا ظالما ألا نفسح مكانا متميزا للدور البالغ الأهمية الذى اضطلع به المشرق الإسلامى فى بناء الحضارة العربية الإسبانية»[٣].

هذا. وقد كان لبغداد دور بارز فى مد الأندلس بالعلم والعلماء والمؤلفات العلمية فى كل ميادين المعرفة والفكر، وكانت محط أنظار الأندلسيين فى كل عصر. وسيلمس القارئ مدى الدور الذى أنيط بها بشأن تأسيس وبناء الحركة العلمية فى الأندلس[٤].

---

١) د. أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس - بحث منشور فى عدد خاص لمجلة عالم الفكر (المختار من عالم الفكر) سنة ١٩٨٤م - ص ١٩٤.

٢) ليفى بروفنسال: حضارة العرب فى الأندلس (ص ٤٧) - ترجمة ذوقان قرقوط - طبعة بيروت.

٣) ليفى بروفنسال: المرجع السابق (ص ٦٣) - ترجمة د. الطاهر أحمد مكى بعنوان (الحضارة العربية فى إسبانيا) طبعة دار المعارف ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤) وراجع ما كتبناه عن ذلك الدور فى خاتمة الباب الأول من هذا القسم (ص ٦٧٠-٦٧١، ٦٧٥).

الخيوط الأولى لفجر الحضارة الأندلسية (بدايات التأثير المشرقى):

وقبل البدء فى العرض التفصيلى لتأثير الثقافة المشرقية على الأندلس نعطى كلمة وجيزة عن بدايات هذا التأثير.

فمن المعلوم - باتفاق المؤرخين - أن الجيوش الإسلامية التى توجهت لفتح الأندلس كانت مصحوبة بعدد غير قليل من التابعين، وهم من الجيل الذى تلقى العلم عن طبقة الصحابة - صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]، ونذكر منهم على سبيل المثال:

١ - حنش بن عبد الله بن حنظلة السَّبَئِىّ الصنعانى (من صنعاء الشام). عداده فى المصريين. وكان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة، وقدم مصر بعد مقتل علىّ، وغزا المغرب، ثم الأندلس. وهو أول من اختط جامع سَرَقُسْطة من ثغور الأندلس، وعدَّل وزن قبلة جامع قرطبة[٢].

٢ - حبَّان بن أبى جَبْلة القرشى (مولاهم)، أبو نصر، المتوفى سنة ١٢٢هـ. كان أحد عشرة من التابعين أرسلهم عمر بن عبد العزيز يفقهون أهل إفريقية, وغزا الأندلس حتى وصل إلى حصن قرْقشونة. يروى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو من الصحابة[٣].

٣ - زيد بن قاصد السَّكْسى. تابعى، دخل الأندلس وحضر فتحها، وأصله من مصر. ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٤].

هذه أسماء بعض التابعين الذين دخلوا الجزيرة الإيبيرية فاتحين. ولا تعطينا المصادر إحصائية واضحة عن عدد هؤلاء الأوائل؛ لكن يُذكر أن موسى بن نُصَيْر قد سار إلى الأندلس فى عشرة آلاف فارس، وكان معه من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى (المذكور)... فى عشرين رجلاً منهم. ويقول عبد الملك بن حبيب أحد فقهاء الأندلس (توفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م) فيما يرويه عنه الحميدى: «ودخل الأندلس من التابعين - سوى من لا

---

١) من المشكوك فيه كثيراً أن تكون الجيوش التى فتحت الأندلس قد رافقها أحد من الصحابة الكرام (راجع: محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ العلم فى الأندلس ص ٧١-٧٢).

٢) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج١ ص ١٤٨ - ١٥١، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٦، المقرى: نفح الطيب ج٣ص ٧ -٨، المالكى: رياض النفوس ج ١ ص ٧٨، الدباغ: معالم الإيمان ج ١ ص ١٤٤، ابن بدران: تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٧.

٣) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج١ ص ١٤٦ (رقم ٣٨٣)، المقرى: نفح الطيب ج٣ص ٩، أبو العرب: طبقات علماء إفريقية ص ٨٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧١.

٤) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٣٤٢.

يعرف - نحو من عشرين رجلا، بهؤلاء وغيرهم أتى موسى بن نصير»[١]. وقوله «سوى من لا يعرف»يبين أن هناك غيرهم آخرين من التابعين دخلوا إلى الأندلس»[٢]. كما دخل عدد آخر منهم بعد الفتح، مثل عياش بن شراحيل الحميرى البصرى، قدم الأندلس سنة ١٠٠هـ، وهو ممن يروى عن الصحابى الكبير أبى هريرة[٣].

لقد كان أولئك النفر من التابعين على حظ وفير من المعرفة الدينية، وقد جاءوا إلى الأندلس فى صحبة الجند أو وفودا بعد الفتح. وكانت المهمة الرئيسية لهم هى تعليم الناس الدين الإسلامى، والإفتاء فيما يعن للمسلمين من أمور دينهم، كتقسيم المغانم وتخطيط المساجد وغير ذلك. ويستفاد مما ذكره صاعد الأندلسى فى كتابه "طبقات الأمم" أن هؤلاء - فى أغلب الظن - قد أسسوا أوائل المدارس الأندلسية حين أنشئت أوائل المساجد فى قرطبة وإشبيلية وغيرهما من المدن، وأن عنايتهم كانت قبل كل شئ بتدريس كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبلغة القرآن والحديث[٤].

ومن الملاحظ أن الجيوش التى دخلت الأندلس والتى كانت مصحوبة بثمانية عشر ألفا من العرب - إضافة إلى العناصر البربرية - هذه الجيوش لم تدخل الأندلس إلا بعد مضى حوالى ٧٥ عاما من الاستقرار فى بلاد العراق والشام ومصر. وهذا يعنى أن هذه الأجيال التى دخلت الأندلس مع الفتح هى التى نشأت وتربت فى ظل الأجواء الثقافية المشرقية التى مضى عليها كل هذه المدة. أى أن هؤلاء الفاتحين دخلوا الأندلس وهم يحملون معهم - إلى جانب ثقافة البيئة العربية - ثقافتهم الدينية (التى نعبر عنها بالحضارة الأصيلة) من حفظ للقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال أصحابة، وكذلك بعض الأشعار والآداب والقصص والأخبار[٥].

ومن هنا ندرك أن الثقافة المشرقية وفدت إلى الأندلس مع مطلع تاريخها الإسلامى، وإن اتسمت هذه الثقافة - من حيث الذيوع والانتشار - بطابع القلة والتواضع. وبعبارة اخرى: كانت هذه الثقافة بمثابة الخيوط الأولى لفجر الحضارة الأندلسية الأصيلة.

---

١) الحميدى: جذوة المقتبس ج١ ص ٣٥.

٢) د. محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس ص ٧٣.

٣) الضبى: بغية الملتمس ص ٤٣٢ (رقم ١٢٥٣).

٤) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٦٢. وانظر: أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح الإسلامى إلى سقوط الخلافة ص ٦٠ - ٦١.

٥) باختصار وتصرف من مقال عن الحضارة الأندلسية للدكتور محمد عبد الحميد عيسى - مجلة ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط - ص ٢٧٢ (كتاب سنوى يشترك فيه مجموعة من الأساتذة / المجلد الثانى/ دار المعارف ١٩٨٣م).

أما انتقال الحضارة التجريبية من بغداد إلى الأندلس - والتى تشتمل على التقدم العلمى فى مجالات الطب والصيدلة والرياضيات والفلك - فقد تأخر فترة من الزمن استمرت تقريبا حتى نهاية إمارة هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م). وهى فترة شغل تاريخها السياسى كثير من الحروب والغزوات لاستكمال فتح الأندلس، كما حفلت بالثورات الداخلية والصراع بين القبائل العربية والبربرية. ومع مطلع إمارة الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) بدأت العلوم التجريبية تعرف طريقها إلى قرطبة وبعض مدن الأندلس الأخرى، حيث عمل هذا الأمير العالم المثقف ثم ابنه عبد الرحمن من بعده (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) على إدخال كتب الطب والفلك وغيرها إلى قرطبة، وإرسال من يعنى بجلبها من المراكز المشرقية التى ازدهرت فيها هذه العلوم، وفى مقدمتها بغداد مدينة السلام. وتوالت بعد ذلك جهود الأمراء الذين قاموا باستكمال أسس الحضارة الأندلسية المادية والمعنوية بطابعها العربى المشرقى، وإرساء نهضة عظيمة فى مجال العلوم والمعارف.

وهذه البذور الأولى للمؤثرات الحضارية المشرقية التى حملها الرعيل الأول إلى الأندلس بدأت تنمو وتزداد بفعل عوامل عديدة ووسائل مختلفة على أيدى كثيرين، أندلسيين ومشارقة، كانوا دائما يدعمون الثقافة الأندلسية بكل جديد من العلم والمعرفة.

وفى الصفحات التالية من هذا الباب نتناول قضية انتقال الثقافة المشرقية من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس) وذلك فى فصول هى:

الأول : العلوم الدينية: القراءات والتفسير والحديث والفقه.

الثانى : علوم اللغة والأدب.

الثالث : التاريخ والجغرافيا.

الرابع : علم الكلام والفلسفة.

الخامس: العلوم التجريبية (الطب والصيدلة والنبات والفلك والرياضيات والموسيقى).

ثم نختم هذا الباب بخاتمة مستفيضة تلخص ما وصلنا إليه من نتائج.

***

الفصل الأول
العلوم الدينية

*** ويتضمن ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول : علوم القرآن الكريم.

المبحث الثانى : علوم الحديث النبوى.

المبحث الثالث : علم الفقه.

المبحث الأول
علوم القرآن الكريم

مدخل: من الطبيعى فى أى بلد دخلها الإسلام أن يهتم المسلمون بالقرآن الكريم، ويعتنوا به عناية فائقة؛ إذ هو دستورهم وقانون حياتهم، وبه انتظم عقدهم، وتوحدت كلمتهم، وانتظمت شؤون حياتهم، كما أنه يعد أصلا تصدر عنه كل المعارف المختلفة والعلوم المتنوعة، «ثم هو روح تلك الحضارة الإسلامية التى ازدهرت بعد أن أصبح الإسلام حركة عالمية أخذت مكانها فى سياق الحركة التاريخية العامة للمجتمع الإنسانى»[1].

وعلى الرغم من أن الأندلس كان من أواخر الأقاليم فى الأخذ بالثقافة الإسلامية (باعتبار أنه كان من أواخر الأقاليم فتحا من ناحية، ولتأخر الحركة العلمية فيه من ناحية أخرى) فإنه كان من أسبق الأقاليم إلى العناية بعلوم القرآن بمجرد انتقالها إليه من المشرق الإسلامى.

والسؤال الآن: ما هى جهود الأندلسيين- وفى مقدمتهم علماء قرطبة- فى إدخال علوم القرآن إلى الأندلس؟، وعلى يد من تم هذا الأمر؟. وهل كان للمشارقة دور فى ذلك؟، ثم ما طبيعة الصلات التى قامت بين قرطبة (العاصمة) والمشرق الإسلامى فى هذا المجال؟. الإجابة عن ذلك كله تأتى خلال الصفحات التالية. ونبدأ بعلم القراءات.

* * *

---

١) د. عبد الله خورشيد البرى: القرآن وعلومه فى مصر (٢٠- ٣٥٨هـ)- ص ٦ (ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م).

أولا: علم القراءات

كانت القراءات[١] من العلوم التى لقيت حظا كبيرا من اهتمام الأندلسيين، وكان دور قرطبة والقرطبيين فى تأسيس هذا العلم بالأندلس - اعتمادا على المدارس المشرقية - واضحا جليا.

دخول قراءة نافع (المدنى) إلى قرطبة فى منتصف القرن الثانى الهجرى:

وأول قراءة أدخلها علماء قرطبة إلى بلادهم هى قراءة نافع بن أبى نعيم القارىء المدنى (المتوفى ١٦٩هـ/ ٧٨٥م)[٢]. وقد أجمعت المصادر الأندلسية- وغيرها - على أن أول من قام بهذا الدور هو الغازى بن قيس أبو محمد القرطبى (المتوفى ١٩٩هـ/ ٨١٤م)؛ فقد رحل إلى المشرق فى صدر إمارة عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٦-٧٨٨م)، ودخل المدينة النبوية، والتقى بنافع وتلقى عنه قراءته عرضا[٣]. وعلى يد هذا العالم الأندلسى بدأت هذه القراءة فى الانتشار بالأندلس، إذ كان محل تقدير كبير لدى أهل قرطبة، مبجلا معظما عند الأمير عبد الرحمن بن معاوية المذكور، واتخذه كل من الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢- ١٨٠هـ/ ٧٨٨- ٧٩٦م) والأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م) مؤدبا لأبنائهما[٤]. وكان لهذه المكانة الرفيعة أثره فى إقبال أهل الأندلس عامة عليه، وعنايتهم بسماع قراءة نافع منه.

ومن أوائل الذين حملوا عنه هذه القراءة ولده عبد الله بن الغازى (المتوفى ٢٣٠هـ/

---

١) راجع ما كتبناه عن المقصود بعلم القراءات فى القسم الأول (ص٥٣).

٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارئ المدنى المشهور، أصله من أصبهان، وأخذ القراءة عرضا على كبار التابعين بالمدينة، مثل الأعرج عبد الله بن هرمز (المتوفى ١١٧ هـ/٧٣٥م) ويزيد بن رومان (المتوفى ١٢٠هـ/٧٣٧م) وغيرهما. وقرأ - كما يقول عن نفسه - على سبعين من التابعين. وقال عنه تلميذه الأصمعى: كان من القراء الفقهاء العباد. ومما يبين عظيم مكانته أن كبار المحدثين والفقهاء تلقوا على يديه، وعلى رأسهم الإمامان: مالك بن أنس والليث بن سعد وغيرهما. وكانت وفاته ١٦٩ هـ/ ٧٨٥م (من مصادر ترجمته: معرفة القراء الكبار للذهبى ١ / ٨٩، طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٣٣٠ - ٣٣٤، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠ / ٤٠٧ - ٤٠٨).

٣) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١ / ٣٨٧، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٤، القاضى عياض: ترتيب المدارك ٢ / ٣٤٧ - ٣٤٩، ابن فرحون: الديباج المذهب ٢ / ١٣٦، السيوطى: بغية الوعاة ٢ / ٢٤٠، ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ٢ / ص ٢.

٤) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٤، ٢٥٥.

٨٤٤م)، وهو معدود فى الطبقة الثانية من طبقات علماء اللغة الأندلسيين[١]، ووصفه ابن الفرضى بأنه «كان بصيرا بقراءة نافع بن أبى نعيم»[٢].

ومن طريق عبد الله بن الغازى بدأت هذه القراءة فى الانتشار خارج قرطبة، فقد أخذها عنه أحد علماء سرقسطة، وهو ثابت بن حزم بن عبد الرحمن العوفى السرقسطى (المتوفى ٢١٧ هـ/ ٨٣٢م)، ثم ابنه قاسم بن ثابت (المتوفى ٣٠٢هـ/ ٩١٤م)[٣]. وكلاهما- الوالد وولده- من علماء الحديث والفقه واللغة[٤].

وهنا نضع القارىء أمام عامل مهم كان له الأثر البالغ فى ذيوع قراءة نافع مع مرور الزمن بين أهل قرطبة وفى غيرها من المدن الأندلسية، وهو أن دخول هذه القراءة إلى قرطبة كان مصاحبا لحدث من أهم الأحداث العلمية فى الحركة الثقافية الأندلسية، وهو دخول موطأ الإمام مالك إلى الأندلس[٥]. وقد كان هذا الكتاب يمثل سجلا تشريعيا لعمل أهل المدينة فيما يتعلق بسنة رسول الله ﷺ فى التفسير والتشريع، فى حين كانت قراءة نافع- القارىء المدنى- تمثل من هذه الناحية عملا من أعمال أهل المدينة المتصلة بسنة رسول الله ﷺ فى التلاوة، وكلا الأمرين- الموطأ وقراءة نافع- إنما يتناول أساس الدين: القرآن والسنة. ولا يخفى ما كان لفعل الإمام مالك ورأيه من أثر كبير فى نفوس القرطبيين والأندلسيين بعامة، وما كان يترتب على هذا من إقبالهم على قراءة نافع.

ومما يزيد هذا العامل قوة أن هذه القراءة حملها جمع من مشاهير علماء المسلمين، ومن أشهرهم الإمام مالك نفسه- كما ذكرنا من قبل فى سياق التعريف بنافع القارىء. وقد وصف الإمام مالك هذه القراءة بأنها «سنة»[٦].

يضاف إلى ذلك أن الغازى بن قيس القرطبى الذى له الفضل فى إدخال هذه القراءة إلى

---

١) الزبيدى: المصدر السابق ص ٢٥٩.

٢) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١ / ٢٥١، ابن حيان: المقتبس (بتحقيق محمود على مكى) ص ٨٢، السيوطى: بغية الرواة ١ / ٥٢.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ١ / ٢٥٠، ابن حيان: المقتبس ص ٥٢ (تحقيق محمود على مكى).

٤) ترجمة ثابت بن حزم وابنه قاسم فى تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١ / ١١٩، ٤٠٢ - ٤٠٣، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٢٨٤ - ٢٨٥، نفح الطيب للمقرى ١ / ١٢٠، ٢ / ٤٩.

٥) سيأتى حديث خاص عن جهود الأندلسيين فى نقل المذهب المالكى إلى الأندلس وعنايتهم الخاصة بموطأ مالك (راجع ص ٥٣٦-٥٥٠).

٦) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٢.

الأندلس هو نفسه أول من أدخل إليها موطأ مالك، وكان قد سمعه منه وعاصر تأليفه[١].

كل ذلك أعطى لقراءة نافع وموطأ مالك صفة الأسس التى لم يكن من السهل التفريط فى أى منها، وصار الاعتزاز بهذين الأساسين تقليدا درج عليه فيما بعد الأندلسيون عموما، وهذا يفسر لنا ما ذكره المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم) من تمسك الأندلسيين واعتزازهم بقراءة نافع وموطأ مالك[٢].

ونسجل هنا ملاحظتين مهمتين فى رأينا:

الأولى: إن دخول قراءة نافع يعتبر بداية حقيقية لدراسة علم القراءات فى قرطبة ومدن الأندلس الأخرى.

الثانية: إن قواعد هذا العلم قد تأسست فى قرطبة على مذهب من أهم مذاهب أئمة القراءات المشرقيين، وهو مذهب الإمام نافع إمام أهل المدينة فى القراءة.

دخول قراءة ورش (المصرى – تلميذ نافع) إلى قرطبة:

وقد شهد التأثير المشرقى على الأندلس فى مجال علم القراءات نقلة أخرى بدخول قراءة "ورش" إلى ربوع هذا الإقليم بما تمثله من تطور هذا العلم.

وصاحب هذه القراءة هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو الملقب بورش (المتوفى ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، وهو من أهل مصر، سافر إلى المدينة النبوية وتلقى بها القرآن على نافع بن أبى نعيم[٣]. وكان اكتمال نضجه وحبه للعلم وتمكنه من اللغة والنحو وإتقانه للقراءة جعله لا يقتصر على مجرد الترديد لرواية أستاذه كشأن غيره من الطلاب، وإنما اختط لنفسه أسلوبا متميزا خرج به عن كثير من أوجه قراءة أستاذه فى الأداء وفى بعض الحروف المنتشرة فى القرآن الكريم، وانتهى به ذلك إلى الخروج بقراءة تحمل اسمه كواحد من أئمة القراءات[٤].

---

١) ابن فرحون: الديباج المذهب ٢ / ١٣٦، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٤، ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١ / ٣٨٧.

٢) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٣٦.

٣) من مصادر ترجمة ورش: معرفة القراء الكبار للذهبى ١ / ١٢٦ – ١٢٨، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٠٢ – ٥٠٣، سير أعلام النبلاء للذهبى أيضا ٩ / ٢٩٥ – ٢٩٦، الثقات لابن حبان ٨ / ٤٥٢، معجم الأدباء لياقوت ١٢ / ١١٦ – ١٢١، وغير ذلك من المصادر.

٤) د. عبد الله خورشيد: القرآن وعلومه فى مصر (٢٠ – ٣٥٨هـ) – ص ١٩٥، ويمكن الرجوع إلى الصفحات ١٩٥ – ٢١٤ للوقوف على طريقة ورش فى الأداء واختياراته التى خالف بها أستاذه نافع.

وقد انتهى إلى ورش رياسة الإقراء بمصر فى زمانه، ولم ينازعه فيها أحد، بل وأصبح شيخ القراء المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين؛ لما تمتع به من مزايا ومواهب. وقد نجحت قراءته بين المصريين نجاحاً عظيماً، ومثلت خروجاً من مرحلة التبعية لمدرسة المدينة لتجد مدرسة مصر لنفسها شخصية علمية مستقلة[١].

ولمكانة مصر فى العالم الإسلامى، ولذيوع قراءة ورش بها واستحسان الناس لها كان طلاب العلم من أقطار العالم الإسلامى يهرعون إليها لتلقى "قراءة نافع" فى ثوبها المصرى الجديد، وكان من بين جموع الطلاب الذين ولوا وجوههم شطر مصر لحمل قراءة ورش زمرة من الطلاب الأندلسيين- والقرطبيون منهم على وجه الخصوص- كان لهم دور فى تطعيم الدراسات القرآنية بهذا الجديد فى مجال القراءة.

وقد اتصل الأندلسيون بقراءة ورش عن طريق محمد بن عبد الله القرطبى عندما جاء إلى مصر، وتتلمذ على"ورش" نفسه، وأخذ القراءة عنه عرضاً. وبلغ من مكانة هذا القارىء الأندلسى- وكان بصيراً بالعربية- أن استأدبه أمير الأندلس الحكم بن هشام (١٨٠- ٢٠٦ هـ/ ٧٩٦- ٨٢٢م) لبنيه[٢].

وكانت الجهود الحقيقية فى إدخال هذه القراءة إلى قرطبة ونشرها فى مدن الأندلس لأحد علماء الحديث المشهورين، وهو **محمد بن وضّاح بن بَزِيع** - بالعين المهملة- (المتوفى ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩م). وهذا العالم القرطبى رحل إلى المشرق رحلتين، وتتلمذ على علماء كثيرين: بغداديين ومكيين وشاميين ومصريين[٣] وقد حمل "قراءة ورش" عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصرى (المتوفى ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، وهذا الأخير تلميذ ورش، وأحد تلامذة الإمام مالك فى الوقت نفسه[٤]، ومن هنا- ومن طريق ابن وضاح القرطبى-«اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش، وكانوا يعتمدون قبل على قراءة الغازى بن قيس عن نافع»[٥].

---

١) د. عبد الله خورشيد: المرجع السابق ص ٢١٤، ٢١٥، عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح: الحياة الثقافية فى العالم العربى فى القرنين الأول والثانى الهجريين ج ١ ص ٨٢.

٢) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧٠، ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ج ٢ ص ٨، السيوطى: بغية الوعاة ١ / ١٥١، ابن الجزرى: غاية النهاية ٢ / ١٨٩.

٣) من مصادر ترجمته: تاريخ العلماء لابن الفرضى ٢ / ١٧ - ١٩، بغية الملتمس للضبى ص ١٣٣، الديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ١٧٩ - ١٨١.

٤) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ٢ / ٢٧٥.

٥) ابن فرحون: الديباج المذهب ٢ / ١٨٠.

وفى نفس التوقيت- فى أخريات الثلث الأول من القرن الثالث الهجرى- دخل مصر عالم قرطبى آخر، هو إبراهيم بن محمد بن بازى أبو إسحق القرطبى المعروف بابن القزاز (المتوفى ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) أحد كبار علماء المالكية، فتتلمذ فى قراءة ورش على عبد الصمد (تلميذ ورش) أستاذ ابن وضاح المذكور قبله، وسمع منه كتابا جمعه فى قراءة نافع وحمزة[١].

وفى أواسط هذا القرن نفسه- الثالث الهجرى- كان فى مصر قارىء أندلسى آخر من أهل قرطبة، هو أبو القاسم مطرف بن عبد الرحمن بن الفرج الذى أخذ قراءة ورش عن عبد الرحمن بن داود بن أبى طيبة (المتوفى٢٧٣هـ/٨٨٦م) ومواس بن سهل المعافرى، وهما من المصريين. وقد أجاد مطرف هذه القراءة حتى وصفه أبو عمرو الدانى الأندلسى بأنه من أهل الضبط والإتقان والمعرفة بقراءة نافع رواية ورش عنه[٢].

وهناك عالم آخر كان ممثلا قويا لمدرسة ورش المصرية فى الأندلس، حيث لم يكن بعد الغازى بن قيس- فيما يقرر الدانى- أضبط منه لقراءة نافع، ولا أحفظ بألفاظ المصريين من أصحاب ورش، وهو زكريا بن يحي. قرأ على عدد من كبار أساتذة مدرسة ورش فى مصر. وبعد عودته روى عنه "القراءة" جماعة من أهل قرطبة[٣].

وقد شهد القرن الرابع الهجرى عددا من القراء البارزين الذين أدخلوا قراءة ورش إلى الأندلس، منهم: عبد الكريم بن محمد الجزرى الأندلسى (المتوفى ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، نزل مصر، وقرأ على أبى غانم المظفر بن أحمد المصرى (المتوفى ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) وغيره من كبار القراء المصريين. ولما عاد إلى الأندلس تصدر للإقراء بجامع الزهراء[٤].

رحلة أبى الحسن الأنطاكى إلى قرطبة وعمله على نشر قراءة ورش وغيرها من القراءات:

وفى عام ٣٣٠هـ / ٩٤١م دخل مصر القارىء الإمام الحاذق الثقة المشهور بالعلم

---

١) ابن الجزرى: غاية النهاية ١ / ٢٣. وحمزة: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات أبو عمارة التيمى الكوفى. أحد القراء الكبار (المتوفى ١٥٦ هـ). قال عنه الذهبى: كان إماما قيما لكتاب الله، قانتا. .. عالما بالحديث والفرائض، وأخباره وثناء العلماء عليه كثيرة (له ترجمة فى طبقات ابن سعد ٦ / ٣٨٥، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٢٦١ - ٢٦٣، سير أعلام النبلاء للذهبى ٧ / ٩٠، تهذيب التهذيب لابن حجر ٣ / ٢٧ - ٢٨).

٢) ابن الجزرى: المصدر السابق ٢ / ٣٠٠.

٣) ابن الجزرى: المصدر نفسه ١ / ٢٩٤، وانظر: عبد الله خورشيد: القرآن وعلومه فى مصر - ص ٢٣٤.

٤) ابن الجزرى: المصدر نفسه ج ١ ص ٤٠٠، القرآن وعلومه فى مصر ص ٢٣٥.

والضبط والفضل: أبو الحسن على بن محمد بن إسماعيل الأنطاكى (المتوفى٣٧٧هـ/٩٩٢م)، وهو من أهل أنطاكية بالشام، وكان رأسا فى القراءات لا يتقدمه أحد فى معرفتها فى وقته. وحين وجه الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦هـ / ٩٦١- ٩٧٦م) إلى مصر من يطلب مقرئا حاذقا فإنه لم يجد أشهر من الأنطاكى، فدخل قرطبة سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م، ليصبح مقرئها وشيخها ومحدثها. ولم يكن عالما بقراءة "ورش" فحسب، وإنما كان مجودا للقراءات السبعة، «فأدخل إلى الأندلس- كما يقول ابن الفرضى- علما جما من القراءات ومات فى قرطبة»[١].

وإلى جانب التراث الروائى الذى حمله الأنطاكى إلى قرطبة عن شيوخه المشارقة فقد كان له بعض المؤلفات فى قراءة ورش، رواها عنه تلميذه محمد بن عبد الله الصناع القرطبى (المتوفى ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)[٢].

ومما سبق يتضح أن مصر كان لها دور بارز فى ازدهار علم القراءات فى قرطبة / الأندلس، لاسيما قراءة ورش. ويزداد هذا الدور أهمية إذا عرفنا أن مصر كانت مجمعا لكثير من مدارس القراءات المختلفة، كمدرسة مكة والمدينة والشام والعراق، وكانت حلقة الوصل التى تربط هذه المدارس المشرقية بغرب العالم الإسلامى كله.

دور بغداد فى نقل علم القراءات إلى قرطبة / الأندلس:

وهنا يعن لنا السؤال التالى: هل كان لبغداد- العاصمة الكبرى للمشرق الإسلامى- دور أو تأثير على قرطبة فى مجال القراءات؟.

إن الازدهار الذى شهدته بغداد- والذى سبق تفصيل القول عنه- فى مجال القراءات[٣] كان له تأثر مباشر وقوى على قرطبة، ولا يقل دور المدرسة البغدادية فى ذلك عن دور المدرسة المصرية، بل ويزيد. ويمكن أن نلحظ هذا التأثير من خلال ثلاثة طرق:

الأول: رحلة بعض العلماء الأندلسيين إلى بغداد للأخذ عن قرائها مباشرة. ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

١- الفقيه الأندلسى عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف، أبو محمد الثغرى،

---

١) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١ / ٣٦١، الذهبى: معرفة القراء الكبار ١ / ٢٧٥، ابن الجزرى: غاية النهاية ١ / ٥٦٤ - ٥٦٥، المقرى: نفح الطيب ٣ / ١٤٤.

٢) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ١٨٩.

٣) راجع المبحث الخاص بعلم القراءات فى بغداد -القسم الأول (٥٣-٦٧).

من أهل قلعة أيوب. رحل إلى المشرق سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م، ودخل مصر والشام والعراق، وسمع ببغداد من مقرئها أبى الحسن أحمد بن محمد بن مقسم، وحصل عددا من الكتب فى علم الحديث وعلوم القرآن، وعاد إلى الأندلس. وقد دخل قرطبة سنة ٣٧٥هـ /٩٨٥م، وقرأ أهلها عليه القرآن، ورووا عنه كتبه التى سمعها بالمشرق. وكانت وفاته سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م[١].

٢- سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، أبو الوليد الباجى الإمام الفقيه المحدث القرطبى. رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م، وأقام فى رحلته نحو ثلاثة عشر عاما، وسمع ببغداد من الحسن بن على البغدادى كتابه "الإقناع" فى القراءات العشرين[٢].

٣- وأبرز عالم أندلسى رحل إلى المشرق وتلقى هناك علم القراءات عن البغداديين والمصريين والشاميين والمكيين وغيرهم هو: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبى المعروف بالدانى وبابن الصيرفى (٣٧٢- ٤٤٤هـ / ٩٨٢- ١٠٥٢م) ومن شيوخه البغداديين فى القراءات: محمد بن عبد الواحد البغدادى والحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى وغيرهما. وروى كتاب "القراءات السبعة" لابن مجاهد «مسبع السبعة»(المتوفى ٣٢٤هـ / ٩٣٥م)[٣] سماعا من أبى مسلم محمد بن أحمد الكاتب (تلميذ ابن مجاهد). وصنف كتبا عديدة فى هذا العلم، وفى التفسير ومعانيه وإعرابه. وسيأتى الحديث عنها فى سياق عرضنا لإنجازات علماء الأندلس فى علوم القرآن[٤].

والطريق الثانى: رحلة بعض القراء البغداديين إلى قرطبة أو إلى بعض المدن الأندلسية الأخرى، ومن أبرزهم:

١- عالم اللغة الكبير أبو على القالى إسماعيل بن القاسم البغدادى (المتوفى ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م). سمع ببغداد القراءات من ابن مجاهد، ودخل قرطبة سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م، وقرأ عليه أهلها كتبه وما حمله معه من كتب المشارقة فى اللغة والنحو والأدب وعلوم القرآن، وعظمت استفادتهم منه[٥].

---

١) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج ١ ص ٢٨٥.

٢) الضبى: بغية الملتمس ص ٣٠٢- ٣٠٣.

٣) الصلة لابن بشكوال ٤٠٥- ٤٠٧، معجم الأدباء ١٢/ ١٢٤- ١٢٨.

٤) راجع عن ذلك (ص٦٩٨ -٦٩٩).

٥) سيأتى حديث خاص عن دور أبى على القالى فى نشر الثقافة البغدادية/ المشرقية فى الأندلس- راجع (ص ٥٦٩-٥٧٢).

٢- أحمد بن العباس أبو بكر البهرانى الخفاف (المتوفى سنة ٣٤٩هـ /٩٦٠م). تتلمذ ببغداد على يد ابن مجاهد أيضا، ورحل إلى قرطبة، وروى عنه بعض شيوخها. وهذا العالم له الفضل فى نشر مؤلفات ابن جرير الطبرى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م) فى قرطبة بما فيها كتابه الكبير فى القراءات المسمى "الجامع"[١].

٣- ودخل الأندلس من القراء البغداديين: على بن شيبان الدقاق البغدادى، وهو من أصحاب ابن مجاهد المذكور. وكان عالما بالقراءات، بصيرا بها، وكان دخوله الأندلس سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م، وقرأ عليه بعض أهلها القرآن[٢].

٤- ومنهم: أبو نصر صاعد المقرئ البغدادى. قدم قرطبة نحو سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م، وهو أيضا من تلامذة ابن مجاهد البغدادى، سمع منه كتابه (القراءات السبع)، وأدخله معه الأندلس، وكانت وفاته بعد سنة من رحيله إليها سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م[٣].

٥- وفى أوائل القرن الخامس الهجرى، فى سنة ٤١٧هـ / ١٠٢٦م رحل إلى الأندلس أبو عمرو عثمان بن الحسن بن الخطيب البغدادى، ونزل بإشبيلية؛ وكان عالما بالقراءات السبع، رواها عن عدد من القراء البغداديين، ونشرها بالأندلس[٤].

والطريق الثالث: وجود عدد كبير من علماء القراءات البغداديين بمصر. وهؤلاء تعلموا القراءات فى بغداد ثم تمصروا أى سكنوا مصر، وأقاموا بها، وأصبحوا ينسبون إليها أحيانا، ولكنهم ظلوا فى نفس الوقت يمثلون المدرسة البغدادية، ويرفعون لواءها طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ولسنا هنا بصدد تعداد من نزل مصر من القراء البغداديين من بين الذين كان لهم شأن كبير فيها[٥]، ولكن نذكر منهم- على سبيل المثال- عبد الله بن الحسن بن حسنون المقرئ البغدادى اللغوى الضابط الثقة (المتوفى ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م)، تتلمذ عليه فى مصر عتبة بن عبد الملك بن عاصم المقرئ الأندلسى (المتوفى ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م)، وكان عتبة ممن دخل بغداد

---

١) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٧٥- ٧٦.
٢) ابن الفرضى: المصدر نفسه ١ / ٣٦١.
٣) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/٢٤١.
٤) الصلة لابن بشكوال ص ٤١١.
٥) راجع: القرآن وعلومه فى مصر للدكتور عبد الله خورشيد ص ٢٥١- ٢٥٤، حيث عدد من نزل مصر من القراء البغداديين، وذكر ستة عشر قارئا.

وقرأ على بعض شيوخها[١].

وفى مصر أيضا سمع عدد من الأندلسيين من أبى الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبى الأصل (المتوفى ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م)[٢]، وهو أستاذ كبير، ماهر مقرئ محقق مدقق ناسك صالح. تتلمذ على بعض شيوخ بغداد فى القراءات، وصنف كتاب "الإرشاد" فى السبع[٣]، وكتاب "إكمال الفائدة فى القراءات السبع"، وكتاب "الإمالة فى مذاهب القراء السبعة" وهذه الكتب سمعها منه أهل الأندلس بمصر وأدخلوها بلادهم[٤].

وممن قرأ معه وشاركه فى عدة شيوخه: سليمان بن أحمد الطنجى الذى عاش فى المرية بالأندلس ومات بها بعد أن قرأ عليه الناس وانتفعوا به مدة طويلة[٥].

والخلاصة أن علم القراءات انتقل من مدينة بغداد إلى الأندلس بهذه الطرق. ولا يفوتنا أن ننبه هنا إلى أن علماء أندلسيين كثيرين رحلوا إلى بغداد ومدن أخرى مشرقية، وصنفوا بعد عودتهم كتبا فى تفسير القرآن ومعانيه وإعرابه. ومن المؤكد أن هؤلاء حصلوا قدرا من علم القراءات فى المشرق، ودونوا شيئا منه فى ثنايا تفاسيرهم[٦].

هجرة كتب البغداديين فى علم القراءات إلى قرطبة:

وقد سبق أن فصلنا القول حول اتجاهات التأليف التى شهدتها بغداد فى علم القراءات خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وذكرنا هناك من مؤلفات البغداديين ما يمثل كل اتجاه على حده. ونقرر هنا أن عددا من المؤلفات البغدادية التى تمثل تلك الاتجاهات قد وصلت إلى قرطبة.

ففى القرن الثالث برز فى بغداد اتجاهان فى التأليف القرائى، الأول: التأليف فى القراءات المفردة. والثانى: التأليف فى القراءات الجامعة من غير إشارة إلى عدد معين من القراء.

ومن الكتب التى تسير فى الإتجاه الأول ووجدت طريقها إلى قرطبة: كتاب "قراءة

---

١) الحميدى: جذوة المقتبس ٢/ ٥١٢، الضبى: بغية الملتمس ص ٤٣٥.

٢) الحميدى: المصدر السابق ٢/ ٥١٢، الضبى: بغية الملتمس ص ٣٦٩، ص ٤٣٥.

٣) الذهبى: معرفة القراء الكبار ١/ ٢٨٥- ٢٨٦، ابن الجزرى: غاية النهاية ١/ ٤٧٠- ٤٧١.

٤) فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ٢٧.

٥) الحميدى: جذوة المقتبس ١/ ٣٤٧.

٦) راجع على سبيل المثال: ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ج ١ ص ٢٩٩- ٢٣٠ (رقم ٧٧٨)، ص ٨٤ (رقم ٢٢٣).

الكسائى"- كوفى (توفى ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) - وكتاب "قراءة أبى عمرو بن العلاء" - بصرى (توفى١٥٤هـ/٧٧٠م)- وكتاب "قراءة عبد الله بن كثير المكى". وثلاثتهم من القراء السبعة وكتاب "قراءة يعقوب بن إسحق الحضرمى"، وقراءات أخرى كثيرة مفردة[١].

ومن الكتب التى دخلت قرطبة وتمثل الإتجاه الثانى: كتاب "القراءات" لأبى عبيد القاسم ابن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى٢٢٤هـ/٨٣٨م)[٢]، وكتاب "الجامع فى القراءات" لأبى معشر عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد الطبرى/ البغدادى[٣]. وكتاب "التمهيد فى القراءات" لأبى على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى المالكى[٤]. وهذا الكتاب دخل قرطبة فى حدود سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م. وكتاب "المحبر فى القراءات" لأبى بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة الأصبهانى نزيل بغداد ومصر(المتوفى٣٦٠ هـ/٩٧٠م)، وهو من تلاميذ ابن مجاهد البغدادى «مسبع السبعة»وتتلمذ أيضا على المقرئ البغدادى أبى بكر النقاش (المتوفى ٣٥١هـ / ٩٦٢م). وهذا الكتاب الأخير أدخله قرطبة تلميذان لابن أشتة نفسه، هما: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد القرطبى، قرأه عليه بمصر كما يقول ابن الجزرى[٥]. **والثانى:** أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن هانىء بن عيشون القيسى الأندلسى الإلبيرى (المتوفى بعد ٣٩٠هـ/٩٩٩م) سمع (المحبر) من ابن أشتة، ونشره بالأندلس[٦].

وقد ظهرت فى بغداد مؤلفات يلتزم أصحابها بجمع عدد معين من القراءات، وأول من سار فى هذا الإتجاه هو ابن مجاهد (المتوفى٣٢٤هـ/٩٣٥م)[٧]، وكتابه "السبعة فى القراءات" انتقل إلى قرطبة وانتشر بها[٨]، ودخل إليها أيضا كتابه "اختلاف القراءات وتصريف وجوهها"، سمعه أبو العباس أحمد بن سعيد بن نفيس المقرىء الأندلسى بمصر سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م من عبد الله بن الحسين بن حسنون البغدادى نزيل مصر- وتلميذ ابن مجاهد- (المتوفى ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)[٩].

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٥- ٣٨.
٢) فهرسة ابن خير ص ٢٣.
٣) فهرسة ابن خير ص ٣٠، الذيل والتكملة القسم الأول- المجلد الثانى ص ١٠٦.
٤) فهرسة ابن خير ص ٢٦.
٥) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/ ١٨٤، فهرسة ابن خير ص ٢٤، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٣٢٧-٣٩١.
٦) ابن الجزرى: غاية النهاية ٢/٤٧.
٧) راجع عن ذلك (ص ٥٦) من القسم الأول.
٨) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ج١ ص ٢٤١.
٩) فهرسة ابن خير ص ٢٣- ٢٤.

ومن أمثلة الكتب البغدادية التى عنى أصحابها بجمع القراءات السبع سيرا على طريقة ابن مجاهد **ووصلت إلى قرطبة**: كتاب " البيان فى القراءات السبع " لأبى طاهر عبد الواحد بن عمر البغدادى (المتوفى ٣٤٩ هـ/٩٦٠م) - وهو من تلاميذ ابن مجاهد - وكتاب "القراءات السبع عن الأئمة السبعة " لأبى أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون البغدادى نزيل مصر (المتوفى ٣٨٦هـ/م)، وكتاب " إكمال الفائدة فى القراءات السبع " لأبى الطيب عبد المنعم ابن غلبون نزيل مصر (المتوفى ٣٨٩ هـ/٩٩٨م)[١].

أما المؤلفات البغدادية فيما زاد عن السبع - والتى ظهرت فى بغداد كرد فعل ضد "سبعة" ابن مجاهد ليمحو الأئمة القراء أثر كون القراءات السبع هى وحدها القراءات الصحيحة - هذه المؤلفات[٢] وصل منها إلى قرطبة: كتابا "الروضة فى القراءات الإحدى عشرة " و"الإقناع فى القراءات العشرين " كلاهما لأبى على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى المالكى[٣]، وكتاب " التلخيص فى القراءات الثمان " لأبى معشر الطبرى/ البغدادى[٤].

وأدخل علماء قرطبة / الأندلس إلى بلادهم تلك الكتب التى صنفها علماء بغداد فى تعليل القراءات والاحتجاج لها بقواعد النحو واللغة، وكتب شواذ القراءات. ومنها: كتاب "الحجة فى علل القراءات" - ويسمى أيضا " الحجة لاختلاف القراء " - لأبى على الفارسى/ البغدادى النحوى (المتوفى ٣٧٧هـ/١٠٨٤م)، وكتاب "المحتسب لتبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لأبى الفتح عثمان بن جنى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م)[٥]. وهذان الكتابان كان عليهما معول كبير فى علم القراءات ببلاد الأندلس، ونالا حظا كبيرا من الدراسة، وكانا من أهم المصادر التى رجع إليها الأندلسيون فى مؤلفاتهم، منهم ابن عطية الأندلسى (المتوفى ٥٤٦هـ/١١٥١م) فى تفسيره المسمى " المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز "[٦].

ومن أهم كتب القراءات التى انتقلت من بغداد إلى قرطبة: كتاب لأبى الحسن الدارقطنى المحدث البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، وهو كتاب رائد فى التطوير المنهجى للتأليف فى

---

١) فهرسة ابن خير ص ٢٧، ص ٣٢. وراجع (ص ٥٧) من القسم الأول.
٢) سبق ذكرها (ص ٥٧ - ٥٨) من القسم الأول.
٣) فهرسة ابن خير ص ٢٦، بغية الملتمس للضبى ج١ ص ٣٠٢- ٣٠٣.
٤) فهرسة ابن خير ص ٢٩.
٥) راجع فهرسة ابن خير ص ٤١- ٤٢، ص ٤٣، ص ٣١٨.
٦) د. عبد الوهاب فايد: منهج ابن عطية فى تفسير القرآن ص ١٠٨- ١١٢- الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

هذا العلم، ولم يسبق عليه[١] وقد اعتمد عليه ونسج على منواله المقرئ القرطبى الكبير أبو عمرو الدانى (المتوفى ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) فى كتابه " جامع البيان فيما رواه فى القراءات السبع"[٢]، وكانت له رحلة إلى المشرق كما ذكرنا[٣].

كتب الوقف والابتداء:

وأهم ثلاثة كتب مشرقية فى علم " الوقف والابتداء "[٤] دخلت قرطبة هى:

١ - " الوقف والابتداء " لأبى بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنبارى البغدادى (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م)[٥].

٢- كتاب " الوقف والابتداء " لأبى جعفر بن النحاس المصرى (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م) سمعه منه بمصر أبو إسحق إبراهيم بن على بن محمد بن غالب التمار الأندلسى[٦].

٣ - كتاب " الوقف والابتداء " لأبى عبد الله محمد بن جعفر الأنماطى المقرئ، أدخله قرطبة عبد الملك بن إدريس البجانى القرطبى، كانت له رحلة إلى مصر سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، وتتلمذ بها على الأنماطى وقرأ عليه كتابه المذكور. وكان للخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ) عناية بهذا الكتاب، وقوبل معه فى قرطبة سنة ٣٤٨ هـ/٩٥٩م[٧].

وفى علم رسم المصحف وصل إلى قرطبة كتاب "علم المصاحف" لأبى بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة الأصبهانى نزيل مصر (المتوفى ٣٦٠هـ/٩٧٠م) وهو من تلاميذ ابن مجاهد البغدادى " مسبع السبعة ". وهذا الكتاب عنى بسماعه أحمد بن سعيد القرطبى مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/٩١٢ - ٩٦١م) وكان حيا سنة ٣٨١ هـ/٩٩١م[٨].

---

١) راجع عنه (ص٥٩ -٦٠) من القسم الأول.

٢) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٥٥٩، ص ٥٠٥.

٣) ارجع إلى (ص ٤٨٩) من هذا المبحث.

٤) سبق تعريف هذا العلم (ص ٦٤) من القسم الأول.

٥) فهرسة ابن خير ص ٤٤، الصلة لابن بشكوال ص ٢٢٠، التكملة لابن الأبار ج١ ص ٣٨٢. وراجع ماذكرناه عن كتاب الأنبارى (ص ٦٥) من القسم الأول.

٦) فهرسة ابن خير ص ٤٥.

٧) الذيل والتكملة القسم الخامس- الجزء الأول ص ١٣.

٨) التكملة لابن الأبار ج١ ص ١٥ (رقم ٢٤). وراجع ترجمة ابن أشتة فى غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ج٢ ص ١٨٤.

وقد عرفنا أن البغداديين كان لهم اهتمام بالتأليف فى عدد آى القرآن وكلماته وحروفه وتحديد ألفاته وياءاته وهاءاته، وأفردوا هذا الفن بمجموعة من المصنفات[١]، وصل بعضها إلى قرطبة، منها: كتاب " الهاءات " لأبى طاهر عبد الواحد بن عمر المقرئ البغدادى (المتوفى ٣٤٩هـ/٩٦٠م)[٢]. وصنف العالم القيروانى أبو عبد الله بن محمد بن سفيان المقرئ (المتوفى ٤١٥هـ/١٠٢٤م) كتاب " اختلاف قراء الأمصار فى عدد آى القرآن" اعتمد فيه على كتب العراقيين فى هذا الفن، ودخل قرطبة، واعتمد عليه علماء الأندلس فى دراساتهم[٣]. ومن الجدير بالذكر أن محمد بن سفيان تتلمذ فى مصر على بعض علماء بغداد، مثل أبى الطيب بن غلبون (المتوفى ٣٨٩هـ/٩٩٨م)[٤].

وفى علم التجويد انتقل إلى قرطبة من كتب العراقيين: كتاب " الإدغام الكبير " لأبى عمرو بن العلاء البصرى (المتوفى ١٥٤ هـ/٧٧٠م)[٥] و" قصيدة فى وصف القراءات " - وهى فى علم التجويد على حرف الراء - للمقرئ البغدادى أبى مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقانى (المتوفى ٣٢٥هـ/٩٣٦م). وهذه القصيدة شرحها من علماء قرطبة أبو عمرو الدانى (المتوفى ٤٤٤هـ/١٠٥٢م)[٦].

تعقيب: ومما سبق عرضه يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

١ - اعتمد علماء الأندلس فى تحصيل علوم القراءات فى أول الأمر على المدرسة المدنية، وكانت قراءة "نافع بن أبى نعيم المدنى" أولى القراءات التى بدأت فى الانتشار بالأندلس، ثم تلاها قراءة " ورش " المصرى أبرز تلاميذ نافع، وهى القراءة التى تمثل المدرسة المصرية.

وهاتان القراءتان نقلهما علماء الأندلس بالرواية والسماع المباشر من الشيخين: نافع وورش، أو من تلاميذهما المباشرين. ولم تقتصر جهود الأندلسيين على نقل هاتين القراءتين فقط، وإنما أدخلوا قراءات مدنية ومكية وشامية وعراقية، ومن طرق متعددة.

٢ - وعندما بدأ المشارقة فى تدوين علم القراءات فى كتب إبان حركة التدوين كان حرص الأندلسيين على إدخال هذه الكتب إلى بلادهم شديدا، بحيث يمكن القول: إنه لايكاد

---

١) راجع عن هذا الفن(ص ٦٧) من القسم الأول.
٢) فهرسة ابن خير ص ٣٣.
٣) فهرسة ابن خير ص ٣٨.
٤) ابن الجزرى: غاية النهاية ج ٢ ص ١٤٧.
٥) فهرسة ابن خير ص ٣٥.
٦) فهرسة ابن خير ص ٧٢، ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء ٢ / ٣٢١.

كتاب مهم يصدر فى هذا العلم بالمشرق إلا وسرعان ما يجد صداه فى (قرطبة / الأندلس)، مما يعنى أن هذا الإقليم الغربى كان على صلة دائمة بكل تطور يطرأ على علوم القراءات فى مدرسة (بغداد / المشرق). وقد أمدت بغداد قرطبة بأكبر عدد من تلك الكتب، إما عن طريق بغداد نفسها، أو عن طريق مصر. وهذا الإقليم الأخير - مصر - كان له دور مؤثر للغاية باعتباره معبرا نفذ من خلاله جانب كبير من العلوم المشرقية إلى قرطبة، ومنها علم القراءات.

٣ - وكان من الملاحظ أن معظم كتب القراءات المشرقية التى دخلت قرطبة / الأندلس دخلت إليها خلال القرن الرابع الهجرى ومطالع القرن الخامس. وهذا يتوافق مع النهضة العلمية الواسعة التى شهدها هذا العلم فى بغداد خلال القرن الرابع نفسه.

٤ - ولم تكن الدولة فى العاصمة الأندلسية بمعزل عن الإسهام الجاد والعمل على نهضة الدراسات القرآنية فى مجال علم القراءات؛ وذلك عن طريق استقدام مشاهير القراء المشارقة. ومن ثم لم تكن الجهود المبذولة لإدخال القراءات المشهورة إلى الأندلس مقصورة على القراء الأندلسيين وحسب، وإنما كان للقراء المشارقة - وفى مقدمتهم البغداديون والمصريون - مشاركة واضحة فى نشر هذا العلم بالأندلس بانتقالهم إليها.

وننتقل الآن إلى علم آخر من علوم القرآن - هو علم التفسير - لنرى حجم التأثير المشرقى فى قرطبة / الأندلس على مستوى هذا العلم.

* * *

ثانيا التفسير

مدخل كان التفسير - كغيره من العلوم الدينية - فى الفترة الأولى من تاريخ الأندلس (وهى الفترة التى تلت الفتح) عبارة عن أحاديث متناثرة وروايات متفرقة يرويها الجيل الأول الذى دخل الأندلس مع الجيوش الإسلامية فاتحا أو وافدا إليها من المشرق. ولم يكن ثم كتاب جامع لتفسير القرآن ظهر فى المشرق يمكن أن يعتمد عليه الأندلسيون.

وقد تأخر وصول كتب التفسير المشرقية إلى الأندلس حتى أوائل القرن الرابع الهجرى أى فى الفترة التى تولى فيها عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ثم ابنه الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، وهى الفترة التى شهدت فيها قرطبة انفتاحا على الثقافة المشرقية ودرجة عالية من التطور الحضارى. وكان من مظاهر هذا التطور زيادة الحرص على استجلاب المؤلفات العلمية من كافة البلدان الإسلامية، وخاصة من بغداد ومصر.

نقل كتب التفسير المشرقية إلى قرطبة:

ونقرر هنا حقيقة مهمة، وهى أن مدينة بغداد أمدت قرطبة/ الأندلس بعدد كبير من كتب التفسير على اختلاف مناهجها واتجاهاتها، وعن طريقها أتيح للأندلسيين التعرف على مدارس علم التفسير المشرقية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة. وهذه الاتجاهات هى- كما عرضنا لها من قبل: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى، والتفسير اللغوى والبلاغى، والتفسير الفقهى لآيات الأحكام[١]. وفيما يلى نذكر عددا من التفاسير التى انتقلت إلى قرطبة موزعة على تلك الاتجاهات، لنعرف إلى أى مدى ساعدت على تأسيس الحركة العلمية وتنشيطها بالأندلس فى مجال علوم القرآن. ونبدأ بكتب التفسير بالمأثور، وأهمها:

أولا: كتب التفسير بالمأثور:

(١) التفسير المنسوب إلى عبد الله بن عباس: وهذا التفسير دخل قرطبة من رواية الكلبى: محمد بن السائب بن بشر الكوفى (المتوفى١٤٦هـ / ٧٦٣م) عن أبى صالح عبد الله ابن صالح المصرى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م)، وذلك عن طريق ثلاثة من علماء الأندلس:

الأول: عبد الرحمن بن سعيد التميمى الجزيرى، أبو زيد القرطبى (المتوفى٢٦٥هـ/ ٨٧٨م). رحل إلى المشرق، وروى هذا التفسير[٢]. ولانعرف عمن رواه من المشارقة. وبعد عودته سمعه منه عدد من طلبة العلم بقرطبة، منهم أبو زكريا يحيى بن زكريا بن سليمان القرطبى (المتوفى ٣١٥هـ/٩٢٧م)[٣].

والثانى: سعدان بن سعيد بن خمير، أبو سعيد القرطبى إمام المسجد الجامع بقرطبة. قال ابن الفرضى: «قرأ عليه الناس التفسير لابن عباس من رواية الكلبى»[٤].

والثالث: محمد بن سعدون، أبو عبد الله المعروف بابن الزنونى، من أهل باجة، رحل إلى المشرق سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وسمع هناك كتاب التفسير المنسوب لابن عباس، وكانت وفاته بحضرة بطليموس سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م[٥].

وإذا نظرنا إلى رواية هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس فسنجد أنها كانت من طريق

---

١) راجع المبحث الخاص بعلم التفسير بداية من (ص ٦٨-٨٤) .
٢) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١ / ٣٠٢
٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ٢ / ١٨٦.
٤) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٢١٤- ٢١٥.
٥) ابن الفرضى: المصدر نفسه ٢/ ١٠٧.

الكلبى عن أبى صالح كما ذكرنا آنفا. ونقرر هنا أن هذا الطريق عند المحققين من علماء الحديث النبوى من أوهى الطرق فى الرواية عن ابن عباس؛ ذلك أن الكلبى كان متهما بالوضع والكذب، حتى قال ابن حبان عنه: «وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق فى وصفه»[١]، ثم قال معقبا بشأن "التفسير" المروى من طريقه: «روى عن أبى صالح عن ابن عباس "التفسير". وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولاسمع الكلبى من أبى صالح إلا الحرف بعد الحرف، فما رواه الكلبى لايحل ذكره فى الكتب، فكيف الاحتجاج به»[٢]. وينقل ابن حبان عن أحمد بن هارون قال: «سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبى، فقال: كذب »[٣]. ويذكر ابن حجر العسقلانى أن أبا صالح نفسه أنكر أن يكون الكلبى روى عنه شيئا من هذا التفسير[٤]، بل إن الكلبى ذاته يقول عن نفسه: «ما حدثت عن أبى صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا تروه »[٥].

وعلى هذا - وبناء على ما ذكرناه - فإن الرواية التى كانت بقرطبة ونسبت إلى ابن عباس فى التفسير لم يكن لها نصيب من الصحة. وقد أردنا من ذكر هذا التوثيق أن نعطى صورة - ولو بسيطة - عن طبيعة هذه الطريق التى وصل بها ذلك التفسير إلى قرطبة.

وإذا كان تفسير ابن عباس قد وصل إلى قرطبة من طريق الكلبى - وهى رواية مطعون فيها كما رأينا - فإن القرطبيين لم يكونوا بمعزل عما روى عن ابن عباس ونسب إليه حقيقة فى مجال التفسير؛ ذلك أنه كان بقرطبة واحد من أهم الرواة لتفسير ابن عباس من طريق صحيح، وهو معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى الحمصى الشامى قاضى الجماعة بقرطبة، استقضاه عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية (١٣٨ - ١٧٢هـ/٧٥٦ - ٧٧٨م). وهذا العالم يروى التفسير المذكور عن على بن أبى طلحة الهاشمى (المتوفى ١٤٣هـ/٧٦٠م) عن ابن عباس.

وقد أشار السيوطى إلى أهمية هذا التفسير من رواية ابن أبى طلحة، وقال فى هذا الصدد: «وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لايحصى كثرة،وفيه روايات وطرق مختلفة. فمن

---

١) ابن حبان: كتاب المجروحين ٢/ ٢٥٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩ / ١٨٠.

٢) ابن حبان: المصدر السابق ٢/ ٢٥٣ ومابعدها.

٣) ابن حبان: المصدر نفسه ٢/ ٢٥٣.

٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٩.

٥) ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ١٧٩- ١٨٠. وراجع: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/ ٢٤٢ (ط الحلبى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

جيدها على بن أبى طلحة عنه»، ثم نقل عن الإمام أحمد ثناءه على هذه الرواية بقوله: «بمصر صحيفة فى تفسير [وفى لفظ: فى مصر كتاب التأويل] رواها على بن طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا»[١].

وجملة القول: إن هذه الطريق هى أصح الطرق فى التفسير عن ابن عباس، وكفى توثيق البخارى لها واعتماده عليها كثيرا فى كتاب "التفسير" من "صحيحه"[٢].

والسؤال الآن: أين روى معاوية بن صالح الحمصى - نزيل قرطبة وقاضيها - هذه الرواية الموثقة ؟. وبصيغة أخرى: هل روى هذا التفسير من هذا الطريق فى قرطبة ؟.

إن الرواة يذكرون أن معاوية بن صالح نزل مصر سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م فى سفرته التى سافرها إلى الشام بأمر من الأمير الأندلسى عبد الرحمن الداخل، فحدث بهذا التفسير فى مروره بمصر، وسمعه منه أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد[٣]. وهذا هو المروى. أما قرطبة فإننا لانملك دليلا قويا وواضحا يشير إلى أن قاضى الجماعة قد حدث بهذا التفسير (من رواية ابن أبى طلحة) فى هذه المدينة؛ لأن المصادر لا تنص على ذلك. غير أننا لانستبعد وقوعه، والذى يقوى من هذا الاحتمال أمران:

الأول: أن معاوية بن صالح (القاضى) قضى مدة كبيرة فى قرطبة، فقد كان خروجه من حمص قاصدا الأندلس سنة ١٢٥هـ/٧٤٢ م، ومات بها سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م وهذه مدة كافية تسمح له برواية التفسير المذكور.

والثانى: أنه تولى أهم المناصب التى أسندت إلى العلماء، وهو قضاء الجماعة فى قرطبة. وربما أتاح له ذلك نشاطا أوسع لنشر علمه بالرواية والتحديث.

بقى أن نذكر فكرة عامة وسريعة عن محتوى هذا التفسير الذى عرفه الأندلسيون؛ فهو تفسير لغوى فى المقام الأول، وغاية فى الإيجاز والدقة، وقد يتجاوز الحرفية الجزئية فى التفسير إلى شئ من التحليل اللغوى، أو إلى شرح الآية كلها، بالإضافة إلى اهتمامه فى بعض المواضع بالمأثور من التفسير عن النبى ﷺ وعن الصحابة، مع الاهتمام بأسباب النزول والنسخ وبعض

---

١) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن ٢ / ٢٤١.

٢) السيوطى: المصدر نفسه ٢/ ٢٤١. وراجع: عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح: الحياة الثقافية فى العالم العربى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ١/ ١٠٠- ١٠١، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ١٤١- ١٤٢.

٣) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ٢/ ١٣٧، السيوطى: الإتقان ٢/٢٤١، ابن حجر: التهذيب ١٠/ ٢٠٩- ٢١٢، الذهبى: سير أعلام النبلاء ٧/ ١/ ١٥، الخطيب البغدادى تاريخ بغداد ٨/ ٤٤٣.

القصص والإسرائيليات[١].

(٢) كتاب التفسير المنسوب إلى الحسن البصرى (المتوفى ١١٠هـ/٧٢٨م):

ويعد الحسن البصرى (المتوفى ١١٠هـ/٧٢٨م) من كبار علماء البصرة، وله كتاب فى "التفسير" رواه عنه جماعة[٢]. وهذا التفسير لم يؤلفه الحسن بنفسه، وإنما جمعت أقواله فى تفسير القرآن، ودونها بعض تلاميذه أو طبقة بعدهم. وقد روى من طريق عمرو بن فائد الأسوارى البصرى (المتوفى بعد المائتين بقليل) عن عمرو بن عبيد البصرى المعتزلى (المتوفى ١٤٤هـ/٧٦١م) عن الحسن البصرى[٣].

ومن طريق عمرو بن فائد الأسوارى نقل هذا التفسير إلى قرطبة؛ فقد ذكر ابن الفرضى أن خليل بن عبد الملك بن كليب القرطبى المعروف بخليل فضلة رحل إلى المشرق، وسمع هناك التفسير المنسوب إلى الحسن البصرى من طريق عمرو بن فائد[٤]، فلما عاد إلى الأندلس حدث به فى قرطبة، ورواه عنه أبو بكر يحيى بن يحيى القرطبى المعروف بابن السمينة (المتوفى ٣١٥هـ/٩٢٧م)[٥].

ومن الجدير بالذكر هنا أن عمرو بن فائد البصرى ينسب إلى المعتزلة، ويذهب إلى القول بالقدر[٦]، ويروى عن عمرو بن عبيد بن باب البصرى (المتوفى١٤٤هـ/٧٦١م)[٧]، كما أن خليل فضلة القرطبى الذى يروى تفسير الحسن عن عمرو بن فائد هو الآخر يقول بالقدر، ويعلن الرأى القائل بالاستطاعة من وجهة نظر المعتزلة[٨] أى هو قدرى معتزلى، ولما مات

---

١) راجع معلومات أكثر عن التفسير المنسوب لابن عباس فى: القرآن وعلومه فى مصر (٢٠- ٣٥٨هـ) للدكتور عبد الله خورشيد ص ٣٨٩- ٣٩٤، وراجع عبد الفتاح فتحى: الحياة الثقافية فى العالم العربى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ١/ ١٠٢.

٢) طبقات المفسرين للداودى ١/ ١٥١.

٣) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال ص ٢٧٠- ٢٧١، ابن حجر: لسان الميزان ج٤ ص ٣٧٢- ٣٧٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٢.

٤) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ج١ ص ١٦٥.

٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ٢/ ١٨٥، وراجع ج ١ ص ١٦٥.

٦)راجع المقصود ب: القول بالقدر (ص ١٥٧) من المبحث الخاص بعلم الكلام من القسم الأول.

٧) ابن حجر: لسان الميزان ٤ / ٣٧٢ - ٣٧٣.

٨) الاستطاعة والقدرة والوسع ألفاظ متقاربة. وقد وقع الاختلاف فى هذه المسألة فأهل السنة يقولون: إن الاستطاعة تنقسم إلى قسمين: الأول: الاستطاعة التى يجب بها الفعل، أى لا بد أن يوجد معها، وهى حقيقة القدرة على الفعل، وهذه لا بد أن تكون مع الفعل، إذ لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

أحرقت كتبه التى يقرر فيها مذهبه. وكان ابن السمينة أيضا على نفس مذهب أستاذه خليل[١].

وهذا يقودنا إلى السؤال التالى: هل تفسير الحسن البصرى الذى دخل قرطبة عن طريق هذا العالم القرطبى المنسوب إلى المعتزلة يتضمن وجهة النظر الاعتزالية، ويكون مذهب الاعتزال بذلك قد دخل قرطبة من هذا الطريق ؟. ولو كان ذلك كذلك فهل يدعونا هذا إلى القول بأن الحسن البصرى نفسه كان قدريا ؟.

الحق أننا لانستطيع أن نقرر أن هذا التفسير يتضمن أقوالا للحسن البصرى يذهب فيها إلى القول بالقدر، لأن التفسير ليس بأيدينا، وأغلب الظن أنه مفقود. غير أننا فى هذا الصدد إذا رجعنا إلى المصادر التى ترجمت لهذا العالم الكبير نجد أقوالا تنفى عنه ذلك، وتبين أنه منحول ومدسوس عليه.وبهذا الخصوص يقول أيوب السختيانى أحد كبار العلماء بالبصرة (المتوفى ١٣١هـ/٧٤٨م): «كذب على الحسن ضربان من الناس: قوم القدر رأيهم لينفقوا فى الناس بالحسن (أى ليروجوه باسم الحسن البصرى). وقوم فى صدورهم شنآن وبغض للحسن، وأنا نازلته غير مرة فى القدر حتى خوفته بالسلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. فلا أعلم أحدا يستطيع أن يعيب الحسن إلا به، وقد أدركت الحسن -والله- وما يقوله»[٢]. ويعقب الذهبى على هذه الرواية - بعد أن سرد أقوالا أخرى كثيرة تبرأ الحسن من القول بالقدر على مذهب المعتزلة - قائلا: «وقد مر بنا إثبات الحسن للأقدار من غيروجه عنه سوى حكاية أيوب (السختيانى) عنه، فلعلها هفوة منه، ورجع عنها»[٣]. وهذا ما نميل إليه، وهو قول أكثر المؤرخين وعلماء الحديث. والذى يؤكد ذلك أيضا أن الحسن البصرى نفسه له كتاب كتبه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الأموى (٦٥ - ٨٦هـ/٦٨٥ - ٧٠٥م) فى الرد على القدرية[٤].

= والقسم الثانى: الاستطاعة من جهة الأسباب والآلات، وهذه قد تتقدم الأفعال، ولا يجب أن تكون معها. وأما مذهب المعتزلة فإنهم قالوا: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وهذا بناء على أصلهم أن أقدار الله للبر والفاجر على حد سواء، وهذا أصل فاسد باتفاق أهل السنة المثبتين للقدر، فإن الله تعالى أعان البر على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، قال تعالى ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون**﴾ (الحجرات /٨)- (راجع: تهذيب شرح العقيدة الطحاوية للقاضى ابن أبى العز الحنفى- تهذيب د. محمد صلاح الصاوى- ص ٢٦٩- ٢٧٠ (ط دار الفرقان، القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

١) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ٢/ ١٨٥.

٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء٤/ ٥٧٩- ٥٨٠.

٣) الذهبى: المصدر السابق ٤/ ٥٨٣.

٤) وكيع: أخبار القضاة ٢/ ١٣، الذهبى: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٩- ٥٨٣.

والخلاصة أن هذا التفسير المنسوب إلى الحسن البصرى - والذى من المرجح أن يكون من تدوين الرواة عنه - من أوائل التفاسير المشرقية التى دخلت قرطبة، ومصدره البصرة إحدى المدن الكبرى فى العراق التى رفدت بغداد بزاد وفير من العلم والعلماء.

(٣) تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (المتوفى ١٨٢هـ/٧٩٨م):

ومن التفاسير التى ظهرت فى المشرق فى فترة مبكرة " تفسير" عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى (مولاهم) المدنى (المتوفى ١٨٢هـ/٧٩٨م)، نسبه إليه الداودى فى كتابه (طبقات المفسرين)[١].

وقد كان عبيد الله بن يحيى الليثى القرطبى (المتوفى ٢٩٨هـ/٩١٠م) يروى هذا التفسير بقرطبة، نقله إليها بعد رحلته إلى المشرق التى دخل خلالها مدينة بغداد، ولعله سمع بها هذا التفسير من أحد تلاميذ مؤلفه. وبعد عودته قام بتدريسه، فسمعه منه العالم القرطبى أبو عيسى يحيى بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (المتوفى ٣٦٧هـ/٩٧٧م)[٢].

(٤) تفسير عبدالرازق الصنعانى (المتوفى ٢١١هـ/٨٢٦م):

وكان عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميدى، أبو بكر الصنعانى (المتوفى ٢١١هـ/٨٢٦م) من كبار علماء الحديث المشهورين، وصنف تفسيرا بالمأثور، وكانت له رحلة إلى الشام[٣]، وفيها حدث بالتفسير، فرواه عنه محمد بن حماد الظهرانى، وعنه رواه أبو الحسن بن أبى عياش، ثم جاء أحد علماء الأندلس، وهو تمام بن عبد الله بن تمام المعافرى (المتوفى ٣٧٧هـ/٩٨٧م) فسمعه بالشام (فى غزة تحديدا) عن أبى الحسن بن أبى عياش، ومن هنا عرف الأندلسيون هذا " التفسير"[٤].

(٥) تفسير يحيى بن سلام البصرى/القيروانى (المتوفى ٢٠٠هـ/٨١٥م):

وفى إطار عناية الأندلسيين بفقه الإمام مالك وتراثه العلمى أبدوا حرصهم على إدخال "تفسير" للقرآن من أهم التفاسير، وصاحبه هو: يحيى بن سلام بن أبى ثعلبة أبو زكريا البصرى نزيل إفريقية بالمغرب. وكان ثقة ثبتا، من تلاميذ الإمام مالك، ويعد من القراء الكبار، أخذ

---

١) الداودى: طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٧١.

٢) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة ج ٢ ص ١٨٩، ص ٢٩٢- ٢٩٣.

٣) الداودى: طبقات المفسرين ١/ ٣٠٢، وراجع ترجمة عبد الرزاق الصنعانى فى تذكرة الحفاظ للسيوطى ١/ ٣٦٤، ميزان الاعتدال للذهبى ٢/ ٦٠٩ وغيرها.

٤) ابن الفرضى: تاريخ العلماء بالأندلس ١/ ١١٥- ١١٦.

القراءة عن أصحاب الحسن البصرى، وله اختيار فيها. مولده سنة ١٢٤هـ/٧٤٣م، وتوفى بمصر سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[١].

وقد شهد العلماء بأن تفسير يحيى بن سلام ليس لأحد من المتقدمين مثله[٢]، ويعد من أقدم التفاسير الموجودة اليوم، ومؤلفه مؤسس طريقة التفسير النقدى أو الأثرى النظرى التى سار عليها بعده ابن جرير الطبرى البغدادى واشتهر بها[٣].

حدث ابن سلام بتفسيره بإفريقية، وممن تلقاه عنه من أهلها: أبو داود العطار: أحمد بن موسى بن جرير (المتوفى ٢٤٤هـ/٨٥٨م)[٤]، ومن طريق أبى داود رواه أهل الأندلس. ويمكن أن نذكر الأندلسيين الذين رووا هذا التفسير عن أبى داود عن يحيى بن سلام على النحو التالى:

١ - على بن حسن المرى، أبو الحسن البجانى (المتوفى ٣٣٤هـ/٩٤٥م) انتقل إلى القيروان بإفريقية، وسمع " التفسير " المذكور من أبى داود، ثم عاد إلى بجانة[٥]. وما أن استقر بها حتى رحل إليه العلماء من كل ربوع الأندلس لسماع تفسير ابن سلام، منهم اثنان من أهل قرطبة:

الأول: ابن الفرضى الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى (المتوفى٤٠٣ هـ/١٠١٢م) مصنف كتاب "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس" الذى يعد من أهم المصادر التى تهتم به هذه الدراسة[٦].

---

١) من مصادر ترجمته: طبقات علماء أفريقية لأبي العرب ص١١١-١١٢، رياض النفوس للمالكي ١/١٢٢، معالم الإيمان للدباغ ١/٢٣٩، سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/٢٥٩، غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/٣٧٣، وغيرها.

٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧، ابن الجزرى: غاية النهاية ٢/ ٣٧٣.

٣) راجع معلومات وافية عن هذا التفسير كتاب (التفسير ورجاله) للأستاذ الشيخ محمد الفاضل عاشور- سلسلة البحوث الإسلامية التى تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- السنة الثانية- العدد١٣ (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)- ص ٢٨.

٤) محمد الفاضل عاشور: التفسير ورجاله ص ٢٩، ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة ٢/ ٣٢.

٥) بجانة من أهم المدن العسكرية فى سواحل الأندلس الجنوبية على البحر المتوسط، غير أنها بدأت تفقد أهميتها منذ أوائل القرن الرابع الهجرى حتى أنشأ عبد الرحمن الناصر مدينة المرية المجاورة، وجعلها من أهم الثغور البحرية سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م (راجع الروض المعطار للحميرى ص ٧٩) مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، و(راجع: محمود مكى: تعليقاته على كتاب المقتبس لابن حيان ص ٥١٧- ٥١٨).

٦) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٣٥٧، ص ٦٨.

والثانى: يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى، أبو عيسى القرطبى، رحل إلى على بن الحسن المرى ببجانة، وسمع منه " التفسير " المذكور، ثم عاد به إلى قرطبة[١].

وقد سمع تفسير يحيى بن سلام من أبى داود العطار القيروانى اثنان آخران:

- ياسين بن محمد بن عبد الرحيم الأنصارى، من أهل بجانة (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م)[٢].

- ومحمد بن وضاح، أبو عبد الله الصدفى، من أهل " شذونة "[٣]. كانت له رحلة إلى القيروان، وأخذ تفسير ابن سلام عن أبى داود العطار، وتوفى فى صدر أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢ - ٩٦١م)[٤].

ومما سبق نعرف أن تفسير يحيى بن سلام (البصرى/القيروانى) دخل الأندلس: من القيروان إلى بجانة وشذونة، ومن بجانة انتقل إلى قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية.

(٦) تفسير ابن جرير الطبرى/البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م):

ويعد تفسير محمد بن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م) من أجل وأهم كتب التفسير التى أدخلها الأندلسيون بلادهم. ولسنا فى حاجة أن نعيد هنا ما ذكرناه من قبل عن المكانة العلمية الكبيرة التى كان يتمتع بها الإمام الطبرى فى مشرق العالم الإسلامى[٥]، وما من شك فى أن الأندلسيون كانوا على معرفة بمواهبه المتعددة فى مختلف العلوم الإسلامية، وسكناه بمدينة السلام بغداد أهم العواصم العلمية بالمشرق التى كان النزول بها والرحلة إليها غاية كل عالم وطالب للعلم. ومن ثم كان اهتمام الأندلسيين بهذا العالم الكبير وإنتاجه العلمى واضحا، وما أن علموا أن أحد تلامذة الطبرى البغداديين وصل إلى قرطبة سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م حتى أقبلوا عليه وأسرعوا إليه ليسمعوا منه مصنفات أستاذه الطبرى، ومنها "تفسيره" المذكور. وهذا العالم هو أحمد بن الفضل بن العباس البهرانى الدينورى (الأصل) البغدادى (المتوفى٣٤٩هـ/٩٦٠م)، كان من الملازمين للطبرى فى بغداد، وخدمه، وسمع منه مصنفاته[٦].

---

١) ابن الفرضى: المصدر السابق ٢/ ١٨٩- ١٩٠.

٢) الحميدى: جذوة المقتبس ٢/ ٦١٥.

٣) شذونة: هى اليوم من أعمال قادس بين الجزيرة الخضراء وشريش وكانت فى العصر الإسلامى عاصمة إقليم شذونة، وهو المحيط بشريش فى الجنوب الغربى من شبه الجزيرة (راجع تعليقات د. محمود مكى على كتاب المقتبس لابن حيان ص ٥٨٣- ٣٨٤).

٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ٢/ ٣٢.

٥) راجع عن الطبرى وتفسيره (ص ٧٣-٧٤) من القسم الأول.

٦) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٧٥- ٧٦، الحميدى: جذوة المقتبس (ترجمة رقم ٢٣٩)، المقريزى: المقفى الكبير ١/ ٥٦٧.

وممن سمع من البهرانى كتب الطبرى من أهل قرطبة: يحيى بن هلال بن زكريا بن سليمان القرطبى (المتوفى٣٣٧هـ/٩٤٨م)[١].

ويبدو أن علماء قرطبة لم يقنعوا بما أخذوه عن البهرانى، لأنه كما يقول ابن الفرضى «لم يكن ضابطا لما روى، وكان يكتب كتابة ضعيفة تخل بالهجاء»[٢]، ومن هنا لم يطمئنوا إلى روايته وضبطه، فرحل عدد منهم إلى مصر - وكان الطبرى قد نزل بها مدة - فسمعوا " التفسير " من تلامذة الطبرى المصريين ونسخوه. ويذكر ابن الفرضى اثنين من هؤلاء العلماء الأندلسيين:

الأول: سليمان بن محمد بن سليمان الهمدانى (مولى لهم)، أبو أيوب، من أهل شذونة[٣]، ورحل إلى المشرق سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، فنزل مصر، وسمع بها من أبى الفريابى كتب محمد بن جرير الطبرى، ثم عاد إلى الأندلس سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م،وكانت وفاته سنة ٣٧١هـ/٩٨١م[٤].

والثانى: أخ للأول، وهو يوسف بن محمد بن سليمان الهمدانى، أبو عمر (المتوفى٣٨٣ هـ/٩٩٣م). أقام فى رحلته إلى العراق عشرة أعوام، وسمع بمصر وغيرها، وعنى بكتب الطبرى، وكتب بنفسه منها كتاب " التفسير " و" التاريخ " و" تهذيب الآثار " فى الحديث وكتاب " اختلاف الفقهاء"[٥].

وقد حدث أبو عمر بتفسير الطبرى فى قرطبة وسمعه منه جماعة، منهم أحد علماء قرطبة المشهورين، وهو ابن الفرضى صاحب الكتاب الشهير فى " تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس " - المتوفى٤٠٣ هـ/١٠١٢م[٦].

وأقدم تاريخ يذكر عن معرفة أهل قرطبة بتفسير الطبرى هو سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م أو قبله؛ ذلك أن أحد علماء قرطبة قام باختصاره اختصارا جيدا، واسمه أحمد بن عبد الله بن أيوب بن سليمان الذهبى الأموى، إمام مسجد السيدة فى قرطبة (المتوفى ٣٣٣هـ/٩٤٤م)،

---

١) ابن الفرضى: المصدر السابق ٢/ ١٨٩.
٢) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٧٥، المقريزى: المقفى الكبير ١/ ٥٦٧.
٣) سبق التعريف بشذونة قبل قليل (ص ٥٠٤).
٤) ابن الفرضى: المصدر نفسة ١/ ٢٢١.
٥) ابن الفرضى: نفس المصدر ٢ / ٢٠٦.
٦) ابن الفرضى: نفسه ٢ / ٢٠٧.

وكانت له رحلة إلى المشرق[١].

وجملة القول فى تفسير الطبرى أنه وصل إلى قرطبة عن طريق بغداد ومصر، وكان لأهل الأندلس حفاوة كبيرة به. وأدخلوه فى برامج تعليمهم وأفادوا منه أعظم فائدة، نظرا لأهميته ولمكانة مؤلفه العلمية فى العالم الإسلامى، كما أنه ظل مصدرا مهما لكثير من المفسرين الأندلسيين فى كل المراحل التاريخية التى مرت بها الأندلس.

(٧) تفسير أبى بكر النقاش البغدادى (المتوفى ٣٥١هـ/٩٦٢م):

وفى مطالع القرن الخامس الهجرى انتقل إلى الأندلس " تفسير " آخر سبق أن تكلمنا عنه من قبل، وعنوانه " شفاء الصدور فى تفسير القرآن "لأبى بكر محمد بن الحسن النقاش البغدادى (المتوفى ٣٥١هـ/٩٦٢م)[٢]. وهذا التفسير حمله معه إلى الأندلس وحدث به فى طليطلة عام ٤٢٢هـ/١٠٣٠م العالم المشرقى التبريزى: على بن إبراهيم بن على المعروف بابن الخازن. وهذا العالم ولد سنة ٣٧١هـ، ودخل بغداد لطلب العلم سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، ثم رحل إلى الأندلس، وكان شافعى المذهب، عالما بفنون العربية[٣].

وقد أقبل الأندلسيون على تفسير النقاش بالدراسة والتمحيص، وكان أحد المصادر التى رجع إليها ونقل منها عبد الواحد بن عطية الأندلسى (المتوفى٥٤٦هـ/١١٥١م) فى تفسيره "المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز" [٤].

وفى أوائل القرن المذكور دخل الأندلس "تفسير القرآن" للقاضى البصرى أبى الحسن على ابن محمد الماوردى (المتوفى ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) أخذه عنه على بن أبى القاسم بن عبد الله السرقسطى (المتوفى ٤٢٠هـ/١٠٢٩م). كانت له رحلة إلى المشرق، ولقى فيها الماوردى[٥].

ثانيا: كتب التفسير بالرأى:

وأهم كتاب فى التفسير بالرأى[٦] وصل إلى الأندلس هو " الكشاف عن حقائق التنزيل

---

١) ابن بشكوال: الصلة ص ١٨ (ترجمة رقم ٣١).

٢) راجع ما كتبناه عن تفسير النقاش (ص ٧٢)من القسم الأول.

٣) ابن بشكوال: الصلة ص ٤٢٧- ٤٢٨، وراجع فهرسة ابن خير ص ٥٧.

٤) راجع: منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم، للدكتور عبد الوهاب فايد- ص ١٠٢- ١٠٤ (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٩٧٣م).

٥) الصلة ص ٤١٩.

٦) راجع معنى التفسير بالرأى (ص ٧٤) من القسم الأول.

وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل " للإمام محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى المعتزلى (المتوفى ٥٣٨هـ/١١٤٣م)[١]. وهذا الكتاب يمثل النزعة الاعتزالية فى تفسير القرآن، ويمتاز بعنايته الفائقة فى الإبانة عن أسرار الإعجاز القرآنى بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبى[٢]. وقد سبق القول: إن الزمخشرى استفاد فى تفيسيره هذا من كتاب " الجامع فى تفسير القرآن " لعلى بن عيسى الرمانى البغدادى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، وهذا الأخير جمع بين مذهبى الاعتزال والتشيع، ويميل فى تفسيره إلى مذهب المعتزلة[٣].

ثالثا: كتب التفسير اللغوى والبلاغى:

أما كتب التفسير اللغوى التى تحمل عناوين " معانى القرآن " و" غريب القرآن " و"إعرابه" و" مجازه " و" نظمه "... الخ — هذا النوع من التفاسير المشرقية[٤] كان لها حضور كبير فى تأسيس الحركة العلمية بقرطبة فى مجال علوم القرآن.

فمن كتب " المعانى " التى درسها علماء الأندلس فى المشرق ونقلوها إلى بلادهم:

١ - كتاب " معانى القرآن " لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م). نص على دخوله الأندلس صاحب كتاب " الذيل والتكملة"[٥].

٢ - كتاب " معانى القرآن " لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م). وهذا التفسير نقله إلى قرطبة سماعا على مؤلفه فى بغداد العالم القرطبى قاسم بن أصبغ بن محمد، المعروف بالبيانى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م)[٦]، ثم قام بتدريسه، فسمعه منه عدد من طلاب العلم؛ أبرزهم أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسى (المتوفى ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، وهو من علماء اللغة والتاريخ[٧].

---

١) الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة- القسم الأول -الجزء الثانى ص ٢٩- ٣٢، القسم الخامس- الجزء الثانى ص ٢٨٨، ٥٧٩.

٢) راجع تعريفا بتفسير الزمخشرى كتاب(التفسير ورجاله) لمحمد الفاضل عاشور ص ٥٣- ٥٩، الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص ١٨٥- ١٨٦.

٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ١٨٩ (ط دار المعارف).

٤) راجع عن التفسير اللغوى بداية من (ص ٧٧) بالقسم الأول.

٥) الذيل والتكملة- القسم الخامس- الجزء الثانى ص ٦٤٩.

٦) الحميدى: جذوة المقتبس ١/ ١٢٨- ١٢٩، ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٤٠٦- ٤٠٨.

٧) الحميدى: الجذوة ١/ ١٢٨. وانظر ابن الفرضى ٢/ ٧٨- ٨٠.

٣ - كتاب " معانى القرآن " لأبى إسحق إبراهيم بن السرى بن سهل البغدادى المعروف بالزجاج (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣م)[١]، وهذا الكتاب أدخله قرطبة أبو محمد عبد الله بن محمد بن قاسم الثغرى القلعى - من قلعة أيوب - (المتوفى ٣٨٣هـ/٩٩٣م). كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، وسمع - وهو ببغداد - الكتاب المذكور من عبيدالله بن خالد الضرير المعروف بالحاسب عن أبى إسحق الزجاج[٢].

وقد صنف أبو على الفارسى / البغدادى (المتوفى ٣٧٧هـ/٩٨٧م) كتابا للرد على "معانى القرآن" للزجاج، وسماه " الإغفال ". وهذا الكتاب وجد طريقه إلى قرطبة أيضا برفقة العالم المشرقى أبى الحسن على بن إبراهيم التبريزى المعروف بابن الخازن الذى رحل إلى الأندلس. ونزل طليطلة سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[٣].

٤ - "معانى القرآن" لأبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادى المصرى المعروف بابن النحاس (المتوفى ٣٣٧هـ/٩٤٨م). وهو ممن تتلمذ فى بغداد على يد عدد من علمائها فى اللغة والحديث والقراءات والتفسير، كالزجاج (ت ٣١١هـ/٩٢٣م) والأخفش الأصغر (٣١٥ هـ/٩٢٧م) ونفطويه (٣٢٣هـ/٩٣٤م) وأبى بكر بن الأنبارى (٣٢٨هـ/٩٣٩م) وابن شنبوذ المقرئ (٣٢٤ هـ/٩٣٥م) وغيرهم. وفى تفسيره المذكور تنتشر الروايات عن شيوخه البغداديين، وعن عدد كبير ممن سبقوهم، كالكسائى وسيبويه والفراء وأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى وابن قتيبة وثعلب والمبرد وأمثالهم[٤]. ومن هذا الطريق - وعبر كتب المصريين - وصل من بغداد إلى قرطبة جانب كبير من علوم القراءات والتفسير.

وقد دخل كتاب ابن النحاس قرطبة عن طريق أحد علمائها، وهو محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافرى، أبو عبد الله المعروف بالفنى (المتوفى ٣٧١ هـ/٩٨١م). كانت له رحلة إلى مصر، فلقى بها ابن النحاس وروى عنه تفسيره (معانى القرآن)، وروى عنه أيضا كتابه " الناسخ والمنسوخ "، وكتابه " إعراب القرآن ". ويعد ابن مفرج المعافرى أول من

---

١) راجع عن هذا الكتاب ما ذكرناه (ص ٧٨) من القسم الأول.

٢) فهرسة ابن خير ص ٦٤، ابن الفرضى: تاريخ العلماء بالأندلس ١/ ٢٨٥- ٢٨٦.

٣) فهرسة ابن خير ص ٣١٠. وراجع الصلة لابن بشكوال ص ٤٢٧- ٤٢٨.

٤) من مصادر ترجمة ابن النحاس: طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٢٠- ٢٢١ معجم الأدباء لياقوت ٢/ ٧٢، طبقات المفسرين للداودى ١/ ٦٨- ٦٩، المقفى الكبير للمقريزى ١/ ٧١٣- ٧١٤. وراجع تحليلا لكتاب ابن النحاس (معانى القرآن) للدكتور عبد الله خورشيد فى كتابه: القرآن وعلومه فى مصر ص ٣٩٩- ٤١٧.

أدخل هذه الكتب إلى الأندلس رواية[١]. والكتاب الأخير - وإن كان فى الإعراب - إلا أنه تعرض للتفسير ووجوه القراءات وعللها كما نص مؤلفه على ذلك فى المقدمة[٢].

ويذكر ابن بشكوال فى كتابه " الصلة " أن أهل قرطبة أقبلوا على هذا التفسير رواية ودراسة وحفظا، إلى حد أن بعضهم حفظه عن ظهر قلب، وبعبارة ابن بشكوال «كأنما يقرأه فى كفه»[٣]. ومن هؤلاء: عبيد الله بن محمد بن مالك أبو مروان القرطبى (المتوفى ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)[٤] وعبد الله بن محمد بن القاسم الثغرى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٨٣ هـ/٩٩٣م). وهذا الأخير كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م، ودخل خلالها بغداد والبصرة، وكان يشبه بسفيان الثورى الكوفى فى زمنه[٥].

● وفى غريب القرآن[٦] دخلت قرطبة مجموعة من كتب البغداديين، منها: كتاب "غريب القرآن " لابن قتيبة الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، سمعه منه أبو محمد قاسم ابن أصبغ الحجرى الإشبيلى أثناء رحلته إلى بغداد[٧]. وكتاب " غريب القرآن " لأبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى النحوى البغدادى (المتوفى ٢٠٢هـ/٨١٧م). نقله إلى قرطبة خلف ابن قاسم بن سهل الأزدى القرطبى المعروف بابن الدباغ (المتوفى ٣٩٣هـ/١٠٠٢م). وقد كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م[٨]. ومنها: كتاب " نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن على حروف المعجم " لأبى بكر محمد بن عزيز السجستانى نزيل بغداد (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) أدخله إلى الأندلس مجموعة من علمائها ذكرهم ابن خير فى فهرسته[٩].

● **وأهم كتب التفسير البلاغى التى هاجرت إلى قرطبة** كتاب " مجاز القرآن " لأبى عبيدة معمر بن المثنى البصرى / البغدادى (المتوفى ٢٠٨هـ/٨٢٣م). وهذا الكتاب تواتر نقله إلى

---

١) ابن الفرضى: تاريخ العلماء بالأندلس ٢/ ٨٤، فهرسة ابن خير ٦٥- ٦٦.

٢) مقدمة (إعراب القرآن) لابن النحاس- (مخطوط) بدار الكتب المصرية (رقم ١٩٦٦٧/ب). الصفحة الأولى بعد صفحة العنوان.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٣٠٣.

٤) ابن بشكوال: المصدر السابق ونفس الصفحة.

٥) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٢٨٥.

٦) راجع المقصود بغريب القرآن (ص٨١) من القسم الأول.

٧) فهرسة ابن خير ص ٦٦، ٦٧، ابن الفرضى: المصدر السابق ١/٤٠٥ (رقم ١٠٦٦).

٨) فهرسة ابن خير ص ٦٧، ابن الفرضى ١/ ١٦٣- ١٦٤، المقرى: نفح الطيب ٢/ ١٠٥، الحميدى: جذوة المقتبس ١/ ١٩٥، الضبى: بغية الملتمس ٢٨٦- ٢٨٩.

٩) فهرسة ابن خير ص ٦١- ٦٤.

الأندلس من طرق متعددة، منها طريق أبي محمد قاسم بن أصبغ الإشبيلي الذى كانت له رحلة إلى بغداد، سمع خلالها الكتاب المذكور عن أبي سعيد السكرى البغدادى عن أبي حاتم السجستانى (ت ٢٥٥هـ) عن أبي عبيدة مؤلف " المجاز "[١].

رابعا: كتب تفسير الأحكام (التفسير الفقهى):

ومن أشهر كتب التفسير الفقهى التى دخلت قرطبة فى القرن الرابع الهجرى ثلاثة كتب:

الأول: " أحكام القرآن " للعالم المالكى الكبير إسماعيل بن إسحق الأزدى قاضى بغداد (المتوفى ٢٨٢هـ/٨٩٥م). وهذا الكتاب[٢] كان له أهمية خاصة بالنسبة للأندلسيين، لأنه يركز على الفقه المالكى فى تفسير آيات الأحكام، ولذا فقد عمل على نقله إلى قرطبة أكثر من واحد ممن رحلوا إلى المشرق ونزلوا بغداد، منهم: أحمد بن دحيم بن خليل القرطبى (المتوفى ٣٣٨هـ/٩٤٩م)[٣]، وعمر بن محمد بن إبراهيم العامرى - المعروف بابن الرفا - من أهل بجانة (المتوفى ٣٨٠ هـ/٩٩٠م)[٤].

الثانى: كتاب " أحكام القرآن " - وهو مختصر " لأحكام القرآن " للقاضى إسماعيل المذكور قبله - من تأليف تلميذه أبي الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيرى البصرى المالكى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م). نزل مصر، فتتلمذ عليه بها العالم القرطبى أبو جعفر أحمد بن عون الله بن حدير (المتوفى ٣٧٨هـ/٩٨٨م) وسمع منه الكتاب، وأدخله قرطبة[٥]. وسمعه منه أيضا: أبو سليمان أيوب بن حسين الحجارى الأندلسى[٦].

الثالث: " أحكام القرآن " لأبي بكير محمد بن أحمد بن بكير المالكى البغدادى (المتوفى ٣٠٥هـ/٩١٧م)، من كبار أصحاب القاضى إسماعيل قاضى بغداد[٧]. وكتابه هذا نقله إلى قرطبة عبد الله بن محمد بن القاسم الثغرى القلعى، كان له رحلة إلى العراق، ودخل بغداد والبصرة، وفى البصرة سمع كتاب ابن بكير من تلميذه أبي إسحق إبراهيم بن سعيد الهجيمى

---

١) راجع فهرسة ابن خير ص ٦٠، ابن الفرضى :تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١ / ٤٠٥ .

٢) راجع ما ذكرناه عن هذا الكتاب (ص ٨٣).

٣) ابن خير: فهرسة ص ٥٢، ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٤٧.

٤) الصلة لابن بشكوال ص ٣٩٤- ٣٩٥. وراجع: نفح الطيب للمقرى ٣/ ١٦٩، بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٨، جذوة المقتبس للحميدى ٢/ ٥٢٧.

٥) فهرسة ابن خير ص ٥٢، ابن الفرضى ١/ ٦٧.

٦) فهرسة ابن خير ص ٥٣.

٧) راجع ترجمته فى الديباج المذهب لابن فرحون ٢/ ١٨٥.

المالكى البصرى[١].

ومن الملاحظ أن هذه الكتب الثلاثة هى لعلماء بغداديين، وينتمون فى الفقه إلى المذهب المالكى. ويأتى تركيز الأندلسيين على كتب الأحكام المالكية دون غيرها من كتب المذاهب الأخرى فى إطار الاهتمام الكبير الذى خصوا به الفقه المالكى والعمل على ترسيخه فى الحياة العامة حتى أصبح هو المذهب الرسمى للدولة طيلة تاريخ الأندلس[٢].

تعقيب: وبعد هذا العرض لكتب التفسير المشرقية التى دخلت قرطبة/الأندلس يمكن أن نخرج بعدد من الاستنتاجات نذكرها على النحو التالى:

١ - لقد شاركت بغداد بدور بارز فى إمداد قرطبة بعدد كبير من كتب التفسير المهمة على اختلاف مناهجها. وكان لهذه التفاسير مشاركة فعالة فى تأسيس الدراسات القرآنية، وإثراء الفكر الأندلسى بعامة.

٢ - وكان من الملاحظ أن التفاسير التى انتقلت إلى قرطبة لم تكن كلها عن طريق بغداد وحدها، وإنما شاركها فى ذلك مدن أخرى، يأتى فى مقدمتها مصر، ويليها البصرة والقيروان وغيرها. وقد آثرنا ذكر دور هذه المدن ليتبين لنا حجم الدور الكبير المنوط ببغداد فى هذا الجانب لمقارنتها بالمدن المذكورة. على أن التفاسير التى ينتمى مؤلفوها إلى مدن أخرى غير بغداد مبنية على الروافد البغدادية على نحو ما رأينا فى سياق عرضنا لتفسير " معانى القرآن " لأبى جعفر النحاس المصرى الذى تتلمذ على عدد من الشيوخ البغداديين فى بغداد نفسها.

٣ - لم يكن الإنتاج البغدادى/المشرقى الذى دخل قرطبة فى مجال التفسير بالقدر الذى كان عليه الإنتاج فى مجالات القراءات والحديث النبوى والفقه؛ فقد كانت الكتب فى المجالات الأخيرة من الكثرة والتنوع ما فاق مجال التفسير بكثير، وسيتضح ذلك عند تناولنا لتأثير المشرق على قرطبة فى المجالات المذكورة.

٤ - وقد تأخر وصول كتب التفسير المشرقية إلى قرطبة حتى مطلع القرن الرابع الهجرى كما أشرنا من قبل، بخلاف كتب الحديث والفقه واللغة التى عرفها أهل الأندلس قبل ذلك بكثير. حتى التفاسير التى صنفت فى فترة مبكرة لم تصل إلى قرطبة إلا فى ذلك التوقيت المتأخر المشار إليه.

---

١) فهرسة ابن خير ص ٥٣، ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/ ٢٨٥.

٢) سيأتى حديث خاص عن انتقال المذهب المالكى من الحجاز والعراق إلى الأندلس بداية من (ص ٥٣٦-٥٥٠).

٥ - ولم يكن علم القراءات وعلم التفسير هما وحدهما من بين علوم القرآن التي نقلها علماء الأندلس إلى بلادهم، فهناك فروع أخرى حرص الأندلسيون على جلب مصادرها من بغداد، مثل كتب " ناسخ القرآن ومنسوخه"، وكتب " مشكل القرآن "، وكتب " فضائل القرآن"، وكتب " نظم القرآن " و" شواهده " و" أمثاله "...الخ[١]، ولولا خوف الإطالة لأمكننا رصد هذه الكتب وأسماء ناقليها إلى الأندلس من المشارقة والأندلسيين. ونحيل القارئ إلى قائمة بأسماء تلك الكتب ضمن الملحق المذكور في نهاية هذه الدراسة[٢].

وبهذه الملاحظات نكون قد انتهينا من الحديث عن تأثير المدرسة البغدادية/المشرقية على الأندلس وحاضرتها قرطبة في مجال علوم القرآن، لاسيما في القراءات والتفسير. وفي موضع لاحق إن شاء الله سنتعرف على ما أضافه علماء الأندلس إلى الإنتاج المشرقي من إنجازات متميزة تعبر عن خصوصيتهم في هذا المجال.

وننتقل الآن إلى الحديث عن مجال علمي آخر في سياق تناولنا للمؤثرات المشرقية في الفكر الأندلسي وتكوين معالمه. وهذا المجال الجديد هو " علم الحديث النبوي ".

***

١) راجع عن هذه الفروع مبحث علم التفسير بالقسم الأول من الدراسة.

٢) راجع الملحق (ص١٠٣٧) ومابعدها. وانظر فهرسة ابن خير ص ٤١، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٥. والصلة لابن بشكوال ص ٢٩١.

المبحث الثانى
علم الحديث

بدايات التأثير المشرقى فى مجال علم الحديث:

بدأت دراسات الحديث فى الأندلس اعتمادا على المشرق منذ عهد مبكر، حيث إنهم قد عرفوا قيمة هذه المادة العلمية واعترفوا بحقها. يقول ابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): «إن أول ما نظر فيه الطالب وعنى به العالم بعد كتاب الله عز وجل: سنة رسول اللهﷺ؛ فهى المنبئة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم»[١]. ورغم ذلك فإننا نلاحظ أن هذه الدراسة ظلت محدودة منذ دخول المسلمين الأندلس (٩٣هـ/٧١٢م) حتى منتصف القرن الثالث الهجرى.

دور معاوية بن صالح الشامى الحمصى:

وكان معاوية بن صالح بن حدير الشامى الحمصى[٢] من أوائل المعنيين بتأسيس دراسة الحديث فى قرطبة، فهو يعد من أئمة الحديث فى العالم الإسلامى آنذاك، ووصفه الذهبى بأنه: «إمام حافظ ثقة من أوعية العلم»[٣]. وقال عنه ابن سعد فى الطبقات: «كان معه كثير من الحديث»[٤]. وهذا العالم فر من الشام مع المروانية فدخل معهم الأندلس، فلما استولى عليها عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ولاه قضاء الجماعة بقرطبة. وقد انتفع به أهل قرطبة، ولكن لم يكن لهم همة كبيرة فى جمع أحاديثه؛ قال محمد بن وضاح أحد علماء قرطبة المشهورين المتوفى ٢٨٧هـ/٩٠٠م، (وكان قد رحل إلى المشرق سنة ٢١٨هـ، ودخل بغداد، ولقى بها يحيى بن معين العالم الكبير فى الحديث). قال: «قال لى يحيى بن معين: جمعتم حديث معاوية بن

---

١) ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - ص ٢.

٢) ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ١٣٧-١٣٩، بغية الملتمس للضبى ص ٤٥٨ - ٤٥٩، طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥٢١، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ٧ ص ١٥٨ - ١٦٣، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٢٠٩ - ٢١٢، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج ٨ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ وغيرها.

٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٦٠.

٤) ابن سعد: الطبقات ج ٧ص٥٢١.

صالح ؟. قلت: لا. قال: أضعتم والله علما عظيما»[١]. وكانت وفاة معاوية بن صالح - كما أرخ ذلك ابن حيان المؤرخ الأندلسى الثقة - سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م[٢].

دور صعصعة بن سلام الشامى:

وقد كانت البداية الحقيقية لانتشار علم الحديث فى قرطبة على يد صعصعة بن سلام أبى عبد الله الشامى الذى دخل قرطبة فى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨م)، حيث يذكر ابن الفرضى والضبى أن صعصعة «أول من أدخل الحديث الأندلسى وكتب عنه بها»[٣]. وقد روى عن جماعة من علماء الحديث الشاميين منهم الأوزاعى (المتوفى ١٥٧هـ/٧٧٣م)، ويعتبر أيضا أول من أدخل إلى الأندلس المذهب الفقهى للإمام الأوزاعى[٤].وكانت وفاته سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م. وقيل توفى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م.

ويبدو لى أن وصف الرواة صعصعة بأنه «أول من أدخل الحديث الأندلسى»محمول على علوم الحديث دراية، أما دخول الحديث رواية فقد سبق ذلك بكثير. وهكذا كان لعلماء الشام دور بارز ومبكر فى نقل الحديث إلى الأندلس.

وبعد صعصعة دخل قرطبة فى زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢ -٨٨٦م) أحد علماء الكوفة، وهو أحمد بن الحسن بن الحارث، أبو جعفر النخعى، «وكان يروى أحاديث عظيمة العدد»كما يقول ابن الأبار، وقد روى الأمير محمد عنه شيئا من هذه الأحاديث[٥].

الموطأ من أوائل كتب الحديث التى دخلت قرطبة:

وعلى صعيد آخر يعد كتاب " الموطأ " الذى ألفه الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (المتوفى ١٧٩هـ/٧٩٥م) - وهو كتاب يضم عددا هائلا من الأحاديث المروية بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ - من أوائل كتب الحديث إن لم يكن أولها التى دخلت قرطبة فى فترة مبكرة. وتختلف الروايات فى تحديد أول من أدخل هذا الكتاب إلى الأندلس وعاصمتها قرطبة، والأمر

---

١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج ١٠ص ٢١١.

٢) ابن حجر: المصدر السابق ج ١٠ ص ٢١٢. وقيل توفى سنة ١٦٨ هـ كما قال البخارى. وذهب آخرون إلى أنه توفى سنة ١٥٨ هـ (راجع بغية الملتمس للضبى ٤٥٩/١، تاريخ ابن الفرضى ١٣٨/٢ - ١٣٩).

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٤٠، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ٥٢٤.

٤) ابن الفرضى، الضبى: المصدران السابقان، ونفس الصفحات المشار إليها.

٥) ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ١٢٦ - رقم ٣١٥.

يتردد بين الغازى بن قيس (المتوفى ١٩٩هـ/٨١٩م)[١]، وزياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون (المتوفى ٢٠٤هـ/٨٢٤م)[٢]، وكلاهما من علماء قرطبة، وكلاهما رحل إلى مالك بن أنس بالمدينة النبوية، وسمعا منه "الموطأ". كما أن كلا منهما روى عن أئمة الحديث بالمشرق كالأوزاعى من الشاميين، والليث بن سعد من المصريين وسفيان بن عيينة من العراقيين، وغير هؤلاء.

وما من شك فى أن "موطأ " مالك - وغيره من كتب الحديث التى دخلت قرطبة وسيأتى الحديث عنها بعد قليل - قد أسهم بوضوح فى نشر الحديث النبوى فى الأندلس وروايته وكان للأندلسيين دراسات كثيرة حول أحاديثه ورواياته[٣].

ومن الرواد الذين كان لهم مشاركة جيدة فى نقل الحديث من المشرق إلى قرطبة قبل منتصف القرن الثالث الهجرى اثنان من علماء قرطبة:

الأول: حبيب بن الوليد بن حبيب القرطبى المعروف بدحون (المتوفى ٢٠٠هـ/٨١٥م) (ينتسب إلى البيت الأموى). رحل إلى المشرق فى أيام عبد الرحمن الداخل، ولقى أهل الحديث، وكتب عنهم. وبلغ من ولعه بالحديث أنه أثناء رحلته وهب له جارية ضليعة فى الحديث، وكانت تحفظ عشرة آلاف حديث سمعتها من الإمام مالك، فتزوجها، وأنجبت له ولدا يسمى بشرا صار هو الآخر محدثا[٤].

والثانى: محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافرى أبو عبد الله القرطبى المعروف بالأعشى (المتوفى ٢٢١هـ/٨٣٥م). رحل إلى المدينة النبوية والعراق فى العام الذى توفى فيه الإمام مالك (١٧٩هـ/٧٩٥م)، وسمع الحديث من أئمة عراقيين ومدنيين، أمثال وكيع بن الجراح الكوفى (توفى ١٩٩هـ/٨١٤م) ويحيى بن سعيد القطان البصرى (توفى١٩٨هـ/ ٨١٣م) وسفيان بن عيينة الكوفى (توفى ١٩٨هـ/٨١٣م) وغيرهم. ويصفه ابن الفرضى

---

١) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٤، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٨٧، الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٥١٥، ابن بشكوال: الصلة ص ١٠٧، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ١٣٦.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٣٣٨.

٣) سيأتى الحديث عن جهود الأندلسيين فى دراسة الموطأ من الناحية الحديثية - راجع بداية من (٧٣٨)، (٤٤٠-٧٥٠).

٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود على مكى)ص٩٤ - ٩٦، ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٢٧٧، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٥٠٢ - ٥٠٣ .

بقوله: «كان علمه عراقيا»، وبعد عودته إلى قرطبة روى عنه عدد من علمائها ممن سيكون لهم دور كبير فى ازدهار علم الحديث على أيديهم بعد رحلتهم إلى المشرق بعد منتصف القرن الثالث الهجرى، أمثال أصبغ بن خليل ومحمد بن وضاح وغيرهما[١].

هذه بعض الأمثلة أو المظاهر المتفرقة التى تشير إلى بدايات تأثير المشرق على قرطبة فى مجال علم الحديث، وهذا التأثير - كما نرى، وعلى حد تعبير أحد الباحثين - «لم يكن فعالا ودائما على الثقافة الاندلسية»[٢]. واستمر الحال على هذا القدر المتواضع حتى بدأت مرحلة جديدة تبدأ - فى رأينا - مع أواخر القرن الثالث الهجرى.

تأسيس مدرسة الحديث بقرطبة اعتمادا على المدرسة البغدادية:

وقد شهدت هذه الفترة الجديدة حركة نشطة ونقلة كبيرة فى تقدم دراسة الحديث بالأندلس على أيدى مجموعة من العلماء القرطبيين، وذلك بما جلبوه من مؤلفات الحديث من المشرق - وخاصة المؤلفات العراقية - وبما قاموا به من بث الرواية المشرقية بين طلاب الحديث بهذا الإقليم. إلى جانب تأليف الكتب التى ساعدت على تطوير الدراسة فى هذا المجال والتى لم تبتعد عن المناهج المشرقية فى تأليفها، وفى ذلك يقول الدكتور محمود مكى: «ومع الرحلات التى قام بها بعض (ونقول نحن: كثير من) الأندلسيين إلى العراق لم يلبثوا أن تأثروا بتعاليم (مناهج) أهل السنة البغداديين، وعند عودتهم إلى أسبانيا رأوا أنفسهم مجبرين على الثورة ضد النظام الثابت للفقهاء»[٣].

ولقد كان التطور الذى تحقق فى دراسة علم الحديث بالأندلس فى الفترة المذكورة انعكاسا لما تحقق فى هذا المجال فى المشرق الإسلامى، وعلى وجه التحديد فى العراق خاصة؛ وذلك أن القرن الهجرى الثالث كان من أزهى عصور جمع الأحاديث النبوية وتدوينها، وأن موسوعاتها ودواوينها المشهورة إنما ألفت فى هذا القرن. يقول أحد الباحثين: «كان القرن الثالث الهجرى هو العصر الذهبى فى تاريخ السنة وجمعها، ففيه ظهر كبار أئمة الحديث ونقاده، وفيه أشرقت شموس الكتب الستة وأمثالها التى كانت تشتمل على ما ثبت من

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص٧ - رقم ١١٠٢.

٢) **Mahamid Makki:** Euzoyo Sobre Las aportaciones orientales en la Espania musulmamna رسالة دكتوراة بعنوان " التيارات الثقافية المشرقية وأثرها فى تكوين ثقافة الأندلس" منشور باللغة الأسبانية بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد فى عدديها (٩، ١٠) و(١١، ١٢). والنص المذكور من العدد (١١،١٢) ص ٢٩.

٣) المرجع السابق ونفس الصفحة.

الأحاديث، ولا يغيب عنها إلا النذر اليسير، والتى يعتمد عليها الفقهاء والمجتهدون والعلماء والمؤلفون، ويجد فيها طلبتهم الهداة والمصلحون والمتأدبون والأخلاقيون وعلماء النفس والاجتماع»[١].

وأبرز الشخصيات العلمية الذين كان لهم دور بارز وجهود كثيرة ساعدت على ازدهار دراسة الحديث بقرطبة بعد منتصف القرن الثالث الهجرى تأثرا بالمشرق الإسلامى: ثلاثة، وهم: بقى بن مخلد، ومحمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشنى. وإليك حديث مختصر عن جهود كل واحد من هؤلاء الثلاثة:

(١) بقى بن مخلد ودوره الريادى[٢] (٢٠١-٢٧٦هـ/٨١٦-٨٨٩م):

هو بقى بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن القرطبى، الإمام الحافظ القدوة، أحد الأعلام، تلقى العلم على عدد من علماء قرطبة فى الحديث والفقه، ورحل إلى المشرق، فلقى جماعة من أئمة المحدثين وكبار المسندين، سمع منهم فى إفريقية ومصر ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة وواسط والحرمين. قال ابن بشكوال وغيره: «روى (يعنى فى رحلته) عن الأئمة وأعلام السنة، منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة، وأحمد بن إبراهيم الدورقى (وثلاثتهم من علماء بغداد) وجماعات أعلام يزيدون على المائتين، وكتب المصنفات الكبار والمنثور الكثير، وبالغ فى الجمع والروايات ورجع إلى الأندلس فملأها علما جما»[٣].

وقد انفرد بقى بن مخلد بإدخال بعض الكتب المشرقية المهمة فى الحديث والفقه والتاريخ والسير إلى قرطبة، ذكر الرواة منها: " مصنف " أبى بكر عبد الله بن أبى شيبة الكوفى (الأصل) البغدادى، وهو كتاب فى الحديث والأثر. وكتاب " الفقه " للشافعى، وهو كتابه المعروف " بالأم" وكتابا " التاريخ " و" الطبقات " لخليفة بن خياط البصرى (المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، وكتاب

---

١) د. محمد محمد أبو شهبة: فى رحاب السنة: الكتب الصحاح الستة - ص ٣٦ / سلسلة البحوث الإسلامية التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - الكتاب الثالث ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢) ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨، بغية الملتمس للضبى ص ٢٤٥ - ٢٤٧، جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٧، البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ١٠٩ - ١١٠، المقتبس لابن حيان (تحقيق محمود مكى) ص ٢٤٧ - ٢٤٩، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٥١٨ - ٥٢٠، الصلة لابن بشكوال ص ١١٦ - ١١٩، فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ١٣١ - ١٣٣، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٣ ص ٢٨٥ - ٢٩٦، معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٧ ص ٧٥-٨٥، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٣ ص ٧٥، تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ٦٢٩-٦٣١، طبقات المفسرين للداودى ص ١١٨-١١٩، شذرات الذهب لابن العماد العكبرى ج ٢ ص ١٦٩.

٣) ابن بشكوال: الصلة ص ١١٦، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٤٥، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٢٧٤.

"سيرة عمر بن عبد العزيز" لأحمد بن إبراهيم الدورقى البغدادى (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م)[١].

ولقد كان اهتمام بقى بن مخلد بعلم الحديث كبيرا، وعنى به عناية لا مزيد عليها، وأدخل الأندلس منه علما واسعا، «وبه وبمحمد بن وضاح (الآتى ذكره) صارت تلك الناحية دار حديث» كما يقول الرواة[٢]. وأتاحت له رحلته أن يتتلمذ على عدد كبير من الأئمة فى المشرق، وأن يقترب من المدارس العلمية المختلفة، وخصوصا التى تهتم بالحديث والأثر، وأن يطلع على مصادر الحديث هناك، ومن ثم صارت له شخصية علمية مستقلة، وأصبح - كما يقول الرواة - «إماما مجتهدا صالحا ربانيا صادقا مخلصا، رأسا فى العلم والعمل، عديم المثل، منقطع القرين، يفتى بالأثر (يعنى الحديث)، ولا يقلد أحدا»[٣].

ولما رجع بقى إلى الأندلس رجع بمنهج جديد وبمؤلفات جديدة لم يعهدها الكثيرون من فقهاء الأندلس الذين درجوا على الطريقة التقليدية التى لاتهتم كثيرا بالحديث والأثر، وإنما يكتفى فيها بتعاليم الإمام مالك من خلال " المدونة" و" الموطأ" فحسب، وهنا حدث نوع من الصدام الفكرى بين بقى بن مخلد وغيره من علماء عصره التقليديين.

وليس معنى ذلك أن الأندلس خلت حتى ذلك الحين من المحدثين، فقد سبق أن ذكرنا أسماء عدد من العلماء كان لهم دور كبير فى نشر الحديث بالأندلس عن طريق المشرق، ولكنه كان دورا محدودا إذا قورن بجهود اللاحقين لهم.

أما عن الصدام الذى حدث بين بقى بن مخلد وفقهاء عصره فقد سجله المؤرخون الأندلسيون بكل دقة، ونورد هنا فى ذلك روايتين تكمل إحداهما الأخرى:

* أما الرواية الأولى فقد ذكرها ابن الفرضى فى تاريخه فقال: «ملأ بقى بن مخلد الأندلس حديثا ورواية، وأنكر عليه أصحابه الأندلسيون: عبد الله بن خالد ومحمد بن الحارث وأبو زيد ما أدخله من كتب الاختلاف[٤] وغرائب الحديث، وأغروا به السلطان وأخافوه به، ثم إن الله بمنه وفضله أظهره عليهم وعصمه منهم، فنشر حديثه، وقرأ للناس روايته، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه»[٥].

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩، الذهبى سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٨٧، وانظر فهرسة ابن خير ص١٣٢ .

٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ١٠٨-، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٨٦.

٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٨٦.

٤) أى اختلاف الأئمة فى المسائل الفقهية وكثرة الآراء فى المسألة الواحدة.

٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ١٠٨، ونقل عنه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٨٧.

*وأما الرواية الأخرى في "نفح الطيب" للمقرى، قال: «كان محمد بن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) محبا للعلوم عارفا بها، فلما دخل بقى بن مخلد الأندلس بمصنف ابن أبى شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأى ما فيه من الخلاف، واستبشعوه، وقام جماعة من العامة عليه، ومنعوه من قراءته، فاستحضره الأمير محمد وإياهم، وتصفح الكتاب جزءا جزءا حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغنى خزانتنا عنه، فانظر فى نسخه لنا. وقال لبقى: انشر علمك، وارو ما عندك. ونهاهم أن يتعرضوا له»[١].

وقد بلغ من تعصب أصبغ بن خليل (أبى القاسم القرطبى) أحد الفقهاء المالكية فى ذلك الحين (توفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م) أن قال: «لئن يكون فى تابوتى رأس خنزير أحب إلى من أن يكون فيه مسند ابن أبى شيبة»[٢]، وهذا الفقيه لم يكن له علم بالآثار، بل كان معاديا لها شديد التعصب للرأى، وكان ينهى الناس عن إتيان بقى بن مخلد للسماع منه[٣].

وهناك رواية ثالثة طويلة تذكر تفصيلا قصة بقى بن مخلد مع فقهاء عصره، وهذه الرواية أوردها المؤرخ الكبير ابن حيان فى كتابه "المقتبس"[٤]، وابن عذارى المراكشى فى "البيان المغرب"[٥]، وأرانى لا حاجة لنا إلى ذكرها هنا، وهى لا تخرج فى إطارها العام عن الروايتين السابقتين.

وأهم ما نخرج به من هذه الروايات الثلاث فيما نحن بصدده أن هذه الحادثة فتحت الباب على مصراعيه لانتشار علم الحديث (فى صورته المشرقية) فى العاصمة الأندلسية قرطبة فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بعد أن كانت له بدايات متواضعة. ولم يكن لمثل المؤلفات المشرقية فى الحديث - وفى مقدمتها مصنف ابن أبى شيبة البغدادى - أن تفرض وجودها فى قرطبة إلا عن طريق السلطة الحاكمة وأن تتدخل الدولة ممثلة فى أعلى رئاسة منها للسماح بتدريس هذا المؤلف فى المسجد الجامع.

وترجع أهمية مصنف أبى بكر بن أبى شيبة الكوفى البغدادى (المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م) الذى جلبه بقى بن مخلد معه إلى قرطبة وقام بنشره - إلى ضخامته واتساعه والفكرة التى اتبعها مؤلفه فى ترتيب الأحاديث والأقوال والفتاوى[٦]، كما أنه يعد من أقدم كتب

---

١) المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٥١٩.
٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٩٤.
٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود مكى) ص ٢٤٨ - ٢٤٩.
٤) ابن الفرضى: المصدر نفسه ونفس الجزء والصفحة.
٥) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ج ٢ ص ١٠٩ - ١١٠.
٦) راجع عن المقصود بالمصنف (ص ١٠٠) من القسم الأول.

الحديث التى (دخلت قرطبة) المصنفة على هذا الترتيب[١]. وعلى الرغم من أن هذا الكتاب كان يتناول علم الحديث وأنه كان واحدا من الكتب العديدة التى وردت إلى الأندلس فإنه أحدث تأثيرا واضحا فى الأوساط العلمية بقرطبة، حيث إن فقهاء المالكية القائمين على أمر الحركة العلمية والموجهين لها لم يرضوا بهذا الأسلوب الجديد الذى يتناول دراسة الحديث وتصنيفه تصنيفا فقهيا قد يصرف الشغل عن الاهتمام بالموطأ، مما قد يؤدى فى النهاية إلى التراخى فى التمسك بالمذهب المالكى مذهب الدولة الرسمى[٢].

وقد أتيح لبقى بن مخلد - كما أوضحت الروايات السابقة - أن يقوم بتدريس هذا المصنف ونشره، وتعاقب على ذلك تلامذته من بعده الذين ورثوا عنه أسلوبه التجديدى فى دراسة الحديث، مما كان له أثر كبير فى تطور هذه الدراسة بالأندلس. ومن العلماء الذين سمعوا المصنف من ابن مخلد ثم نشروه: محمد بن عبد الله بن محمد بن قاسم القرطبى (المتوفى٣١٢هـ/٩٢٤م)[٣]، وعبد الله بن يونس بن محمد المرادى القرطبى المعروف بالقبرى (المتوفى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م)، وهذا الأخير «كان مختصا ببقى بن مخلد، مكثرا عنه، وعنه انتشرت كتبه الكبار»[٤].

على أن جهد بقى بن مخلد لم يقف فى سبيل تطوير دراسة الحديث فى قرطبة عند حد رواية كتب ابن أبى شيبة، وإنما قام بوضع (مسند) كبير فى الحديث، لقى شهرة واسعة فى الأندلس والمشرق. وستكون لنا عودة إلى هذا الكتاب عندما نتناول دور علماء قرطبة فى دعم الثقافة الإسلامية التى انتقلت إليهم فى مجال الحديث[٥].

---

١) دخل إلى قرطبة كتب أخرى فى الحديث يطلق عليها اسم المصنف، مثل مصنف سفيان بن عيينة الكوفى (ت ١٩٨هـ/٨١٣م)، ومصنف حماد بن سلمة البصرى (ت ١٦٧هـ/٧٨٣م) - راجع ملحقا بأسماء كتب الحديث المشرقية التى انتقلت إلى الأندلس، ومنها الكتب الحديثية التى تحمل اسم "المصنفات". (ص ١٠٤٩).

٢) مصطفى محمد إبراهيم: الحياة العلمية فى قرطبة فى عهد الناصر والمستنصر - رسالة دكتوراة ص ٢١١ - كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٨١ م.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥.

٤) الضبى: بغية الملتمس ص ٢٤٦ - ٢٤٧، ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٥.

٥) راجع ما ذكرناه عنه (ص ٧٣٠ - ٧٣١).

(٢) محمد بن وضاح[١] (١٩٩-٢٨٧هـ/٨١٤-٩٠٠م)

هو محمد بن وضاح بن بزيع (بوزن عظيم)، أبو عبد الله القرطبى، وجده " بزيع" كان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م). تلقى علمه على عدد من الشيوخ فى قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، ثم رحل إلى المشرق رحلته الأولى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م، ولقى فى هذه الرحلة عددا من شيوخ بغداد وغيرها من المدن، منهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وزهير بن حرب (أبو خيثمة النسائى). ويتفق الرواة على أن رحلته هذه كانت قبل رحلة قرينه بقى بن مخلد، و لم يكن غرضه فيها طلب الحديث، وإنما كان شأنه الزهد والالتقاء بالعباد[٢].

والواقع أنها كانت رحلة مبكرة بالإمكان أن تعطى نتائج طيبة ومثمرة للغاية فى مجال الحديث بالأندلس لوأن ابن وضاح أحسن استغلالها وعرف كيف يستفيد منها، فلو وفق واتصل بشيوخ الحديث الذين كانوا على قيد الحياة فى ذلك العهد وروى عنهم حديثهم وأخذ رواياتهم لكان قد شارك البخارى ومسلما وأبا داود وغيرهم من أصحاب الكتب الستة، ولكان - كما قال ابن الفرضى - «أرفع أهل زمانه درجة وأعلاهم إسنادا »[٣]، ولتفوق على زميله فى الرواية بقى بن مخلد، ولكن شاء الله أن يكون بقى بن مخلد فارس هذا العم بالأندلس رغم أنه رحل بعده بسنوات[٤].

ورحل ابن وضاح رحلة ثانية. ولا سبيل إلى معرفة تاريخها، لأن المصادر سكتت و لم تسعفنا بشئ عن ذلك، إلا أن هناك إشارة ذكرها ابن حارث الخشنى تفيد أنها كانت بعد

---

١) له ترجمة فى تاريخ ابن الفرضى ج ٢ ص ١٧-١٩، وجذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ١٥٣-١٥٤، بغية الملتمس للضبى ص ١١٣، الديباج المذهب لابن فرحون ٢ ص ١٧٩-١٨١، سيرأعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٤٥-٤٤٦، تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ٦٤٦-٦٤٨، لسان الميزان لابن حجر ج٥ص ٤١٦-٤١٧، طبقات القراء لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٧٥.

٢) يذهب الدكتور حسين مؤنس إلى أن محمد بن وضاح فى هذه الرحلة سمع فيها سماعا كثيرا من عدد كبير من شيوخ الحديث ويشكك فيما أجمعت عليه المصادر من أن ابن وضاح لم يكن غرضه الحديث وإنما غرضه الزهد والورع، ويعلق على ذلك قائلا:«ولكن يبدو أن هذا تعليل وضع فيما بعد، لأن الذين سمع منهم كانوا محدثين» (شيوخ العصر فى الأندلس ص ٤٣). والدكتور حسين مؤنس جانب الصواب فى ذلك، وحاول وخالف - بمجرد الظن والتخمين - ما تداولته المصادر القديمة. ونقول: يلزم من كون شيوخ ابن وضاح - فى هذه الرحلة - محدثين أنه يتعين عليه أن يأخذ عنهم حديثهم ولكن لم يفعل ذلك، وإنما كان قصده طلب الزهد والبحث عن الزهاد والعباد.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٧.

٤) راجع ما ذكرناه عن رحلة بقى بن مخلد (ص ٥١٧ — ٥١٨).

الثلاثين ومائتين (٢٣٠هـ/٨٤٤م) بقليل[١]. وذكر ابن الفرضى أن عدة شيوخ ابن وضاح فى هذه الرحلة خمسة وسبعون ومائة رجل، وسرد من أعلامهم ثلاثين اسما، مكتفيا عن ذكر الآخرين بقوله: «فى جماعة كثيرة من البغداديين والمكيين والشاميين والمصريين والقرويين»[٢]، فى حين ذكر ابن فرحون أن عددهم مائة وخمسة وستون رجلا[٣] واكتفى بذكر ثمانية عشر من أعلامهم. أما ابن حارث الخشنى فقد ذكرهم بأسمائهم كاملة، موزعا إياهم على البلدان والأمصار، ناصا على عددهم فى كل بلد، وكان نصيب بغداد أحد عشر عالما[٤].

أسماء البلدان	عدد الشيوخ	أسماء البلدان	عدد الشيوخ
١ - مكة المكرمة	تسعة	١٤ - طرسوس	سبعة عشر
٢ - المدينة المنورة	أربعة	١٥ - المصيصة	أربعة عشر
٣ - بيت المقدس	اثنان	١٦ - غزة بالشام	ثلاثة
٤ - أطرابلس	سبعة	١٧ - هيت	اثنان
٥ - حمص	سبعة	١٨ - القلزم	واحد
٦ - حلب	اثنان	١٩ - عسقلان	ثلاثة
٧ - أيلة	واحد	٢٠ - مصر	واحد وثلاثون
٨ - جدة	اثنان	٢١ - دمشق	ثلاثة عشر
٩ - سوسة	واحد	٢٢ - الكوفة	اثنان
١٠ - صوران	واحد	٢٣ - بغداد	أحد عشر
١١ - خراسان	واحد	٢٤ - تاهرت	واحد
١٢ - أنطاكية	ثلاثة	٢٥ - القيروان	خمسة عشر
١٣ - أذنة	واحد		

١) الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ١٢٢ - ١٢٣ (ط مدريد ١٩٩١م).
٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٨.
٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ١٨٠.
٤) الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ١٢٣ - ١٢٥.

وهذا العدد الكبير - أعنى شيوخ ابن وضاح - من المشرقيين يشير إلى مدى اعتماد علماء قرطبة على المشارقة فى تأسيس مدرسة الحديث فى الأندلس، وهو اعتماد كبير، وأن هذه المدرسة قد تأثرت بمناهج علماء المشرق فى هذا الفرع من العلوم بصورة واضحة.

وقد شارك ابن وضاح زميله القرطبى الحافظ بقى بن مخلد فى الأخذ عن كثير من أساتذته أو " رجاله " على حد تعبير ابن الفرضى[١]. وقام د. نورى معمر بتتبع واستقصاء الشيوخ الذين اشترك فى الأخذ عنهم كل من العالمين، فوجد أن تعدادهم بلغ ستة وأربعين شيخا وسرد قائمة بأسمائهم[٢].

ومما يعطى أهمية لهذا العالم ويبين حجم إسهامه فى تدعيم الحديث بالموارد المشرقية أنه شارك كبار علماء الحديث المشرقيين فى كثير من شيوخهم، فقد اشترك مثلا مع البخارى (توفى ٢٥٦هـ/٨٦٩م) فى تسعة وعشرين شيخا، منهم ثمانية من بغداد. كما شارك الإمام مسلم بن الحجاج تلميذ البخارى (توفى ٢٦١هـ/٨٧٤م) فى سبعة وعشرين شيخا. ويشترك ابن وضاح مع سيد الحفاظ الإمام أبى داود صاحب " السنن " (توفى ٢٧٥هـ/٨٨٨م) فى ثلاثة وخمسين شيخا ويشترك مع الإمام الترمذى صاحب " السنن " (توفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فى ستة عشر شيخا روى عنهم ابن وضاح مباشرة، بينما يروى الترمذى عن بعضهم بواسطة، الأمر الذى يجعل ابن وضاح أعلى سندا من الترمذى. ونجد أن ابن وضاح يشترك مع الحافظ الكبير المعروف بابن ماجه (توفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م) فى أربعة وثلاثين شيخا، ويشترك أيضا مع الإمام النسائى صاحب " السنن " (توفى ٣٠٣هـ/٩١٥م) فى ثمانية وثلاثين شيخا، روى عنهم مباشرة، بينما يروى النسائى عن بعضهم بواسطة[٣].

ومن الجهود التى ساهم بها محمد بن وضاح فى خدمة مجال الحديث اعتمادا على العراق حمله إلى قرطبة ثلاثة من كتب الحديث:

الأول: " مسند" أبى بكر بن أبى شيبة الكوفى البغدادى. ويقع فى عشرين جزءا[٤]. وهذا الكتاب يعد أحد المؤلفات الهامة التى دخلت الأندلس ممثلة للاتجاه الإسنادى فى جمع الأحاديث. وقد رواه ابن وضاح عن مؤلفه، وقام بنشره فى قرطبة، وسمعه منه ثلاثة من علماء

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٧.

٢) د. نورى معمر: محمد بن وضاح مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس - مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب - العدد الثانى ١٤٠١هـ/١٩٨١م - ص ٤٨٥ - ٤٦٠.

٣) د. نورى معمر: المقال السابق ص ٤٦٢ - ٤٦٤.

٤) ابن خير الإشبيلى: الفهرسة ص ١٣٧ - ١٣٨.

الأندلس هم: قاسم بن أصبغ القرطبى (توفى ٣٤٠هـ/٩٥١م) ومحمد بن محمد بن أبى دليم (توفى ٣٧٢هـ/٩٨٢م) ووهب بن مسرة (توفى ٣٤٦هـ/٩٥٧م)[١]. وقد اعتنى الأمراء بهذا الكتاب فيما بعد؛ فقد استقدم الحكم المستنصر - فى حياة أبيه الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ/٩١٢-٩٦١م) - إلى قرطبة وهب بن مسرة التميمى تلميذ ابن وضاح (من أهل وادى الحجارة/ توفى ٣٤٦هـ/٩٥٧م) للقيام برواية هذا المؤلف[٢].

والكتاب الثانى: "الجامع الكبير" لسفيان بن سعيد الثورى الكوفى (المتوفى١٦١هـ/٧٧٧م). رواه ابن وضاح عن محمد بن عمرو الغزى عن مصعب بن ماهان الخراسانى نزيل عسقلان عن سفيان الثورى[٣].

والكتاب الثالث: مصنف وكيع بن الجراح بن الرؤاسى الكوفى البغدادى (المتوفى١٩٧ هـ/٨١٢م) وقد رواه ابن وضاح عن موسى بن معاوية، وحدث به فى قرطبة، فسمعه منه اثنان من علمائها هم: قاسم بن أصبغ البيانى (توفى ٣٤٠هـ/٩٥٢م) ومحمد بن عبد الملك ابن أيمن (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)[٤].

إن المعلومات السابقة التى ذكرناها عن محمد بن وضاح تؤكد على أنه كان من الشخصيات الهامة فى تاريخ الحركة العلمية فى الأندلس وعاصمتها قرطبة بما قام به من الإسهام الكبير فى فروع مختلفة من النشاط العلمى كان أبرزها: القراءات والحديث، حتى اشتهر عنه وعن بقى بن مخلد أنه بجهودهما «صار الأندلس دار حديث»[٥]. وهذه الجهود كما رأينا تتمثل فى الرحلة إلى بغداد وغيرها من المدن المشرقية للتتلمذ على علماء الحديث هناك ونقل الإنتاج العلمى الخاص بهذا الفرع من العلوم إلى قرطبة.

وإذا أردنا أن نعقد مقارنة بين هذين العلمين المتعاصرين فيما يتعلق بالدور الحقيقى الذى قاما به لتأسيس مدرسة الحديث بقرطبة اعتمادا على المشرقيين فيمكن القول فى عبارة قصيرة: إن محمد بن وضاح كان يمثل دور الانتقال من مدرسة الفقه التقليدية إلى مدرسة الحديث. أما بقى بن مخلد فقد قام بالانتقال الفعلى وأدخل مدرسة الحديث العراقية إلى الأندلس.

---

١) ابن خير: المصدر السابق ص ١٣٧ - ١٣٨.
٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢.
٣) ابن خير الإشبيلى: الفهرسة ص ١٣٦ - ١٣٧.
٤) فهرسة ابن خير ص ١٦ - ١٢٧، جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ١٥٤.
٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ١٠٨، ج ٢ ص ١٨.

(٣) محمد بن عبد السلام الخشنى[١] (٢١٨-٢٨٦هـ/٨٣٣-٨٩٩م):

هو محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن أبى ثعلبة الخشنى، أبو عبد الله القرطبى، نعته الذهبى بقوله: «الإمام الحافظ المتقن العلامة صاحب التصانيف.... كان أحد الثقات الأعلام»[٢]. وقال ابن الفرضى: «كان الغالب عليه حفظ اللغة ورواية الحديث، وكان ثقة فى ذلك مأمونا»[٣].

رحل إلى المشرق قبل سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، فحج ودخل البصرة، وأخذ بها عن عدد من علماء الحديث، ولقى فيها من علماء اللغة: أبا حاتم السجستانى (المتوفى ٢٥٠هـ/٨٦٤م) والرياشى (توفى ٢٥٧هـ/٨٧٠م) والزيادى (توفى ٢٤٩هـ/٨٦٣م) فأخذعنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الأصمعى وغيره[٤]. كما أنه دخل بغداد، فسمع بها من غير واحد، وكتب بها كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م). ويقال: إنه لقى الإمام أحمد بن حنبل ونظراءه من المحدثين. وسمع أيضا بمكة ومصر من جماعة كثيرة[٥]. ويذكر الضبى أنه «أقام فى رحلته هذه خمسا وعشرين سنة متجولا فى طلب الحديث»[٦]، وبعد عودته أدخل إلى الأندلس كثيرا من حديث الأئمة وكثيرا من اللغة والشعر الجاهلى رواية[٧].

ومن كتب الحديث التى حملها الخشنى إلى قرطبة:

(١) مصنف سفيان بن عيينة الكوفى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م). ويقع فى ثمانية عشر جزءا، رواه الخشنى عن محمد بن يحيى أبى عمر العدنى تلميذ سفيان، سمعه منه بمكة. ثم نشره الخشنى فى قرطبة فسمعه منه قاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م)[٨].

---

١) من مصادر ترجمته: تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ١٦ - ١٧، المقتبس لابن حيان (تحقيق محمود مكى) ص ٢٥٠ - ٢٦١، والحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١١٧ - ١١٩، بغية الملتمس للضبى ص ١٠٣ - ١٠٥، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٦٨، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٢٣٦، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٣ ص ٤٥٩- ٤٦٠، تذكرة الحافظ للذهبى ج ٢ ص ٦٤٩، بغية الوعاة للسيوطى ج ١ ص ١٦٠.

٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٥٩.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٧.

٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٢٣٦.

٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ج٢ ص ١٦، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١١٨.

٦) الضبى: بغية الملتمس ج ١ص ١٠٣.

٧) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦، المقرى: نفح الطيب ج ٢ص ٢٣٦.

٨) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ص ١٦، ابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود مكى) ص ٢٥٨، فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) كتاب التاريخ لعمرو بن على بن بحر الفلاس أبى حفص البصرى (المتوفى٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)، وهو كتاب فى علم الجرح والتعديل كفرع من فروع الحديث. ويقع فى ثلاثة أجزاء، رواه الخشنى بالبصرة عن مؤلفه[١]. كما رواه عن مؤلفه أيضا عالم قرطبى آخر معاصر للخشنى ورفيقه فى رحلته هو عبد الله بن مسرة بن نجيح (المتوفى٢٨٦هـ/٨٩٩م)[٢].

ويذكر الزبيدى أن الخشنى ألف كتابا فى " شرح الحديث " فيه من غريب اللغة علم كثير[٣]. وأغلب الظن أنه تأثر فى هذا الكتاب بكتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى التى وضعها فى غريب الحديث، وقد عرفنا أن الخشنى كان مهتما بجمع كتب أبى عبيد أثناء وجوده فى بغداد.

وقد تعرض الخشنى لمحنة شبيهة لماتعرض له بقى بن مخلد، فقد تصدى له الفقهاء التقليديون الرافضون للجديد؛ وذلك أن الخشنى أدخل إلى قرطبة ضمن ما أدخله كتاب "الناسخ والمنسوخ" فى الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى، ولم يكن هذا النوع من علوم الحديث قد دخل قرطبة من قبل. قال الرواة: «فأنكر عليه الفقهاء، وكثروا عليه، وأفشوا شأنه إلى محمد بن حارث صاحب السوق، فأرسل فيه، وجئ به إليه، فنهره وقال له أنت تزعم أن فى الحديث ناسخا ومنسوخا؟. فقال له: هو فى القرآن فضلا عن الحديث. قال: وأين هو؟»[٤]. وهنا بدأ الخشنى يسرد الحجج والأدلة على ذلك، إلا أن صاحب الشرطة لم يسلم له، وأمر بسجنه حتى رفع الأمر إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، فتدخل لإنقاذ الخشنى من سورة غضب الفقهاء[٥].

وهذه الحادثة أيضا تبين مدى الانغلاق الذى قوبلت به مناهج علم الحديث الوافدة من العراق، وأنه - لولا تدخل السلطة الحاكمة فى ذلك الوقت - لما وجد هذا العلم الجديد طريقه إلى الأندلس.

---

١) ابن خير: الفهرسة ص ٢١٢.

٢) ابن خير: المصدر السابق ص ٢١٢. وانظر ترجمة عبد الله بن مسرة فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٢٥٥-٢٥٧، وذكر أنه نزل البصرة وروى عن عمرو بن على الفلاس.

٣) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦٨، السيوطى بغية الوعاة ج ١ ص ١٦٠.

٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود مكى) ص ٢٥٤ نقلا عن ابن الفرضى من كتاب " طبقات الأدباء بالأندلس" وهو كتاب مفقود.

٥) ابن حيان: المصدر السابق ونفس الصفحة.

جهود طبقة أخرى من علماء قرطبة فى تطوير علم الحديث اعتماداً على العراق:

ولم تكن جهود بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح والخُشنى هى وحدها التى ساعدت على تطوير علم الحديث بقرطبة اعتماداً على العراق، وإنما كانت هناك جهود أخرى أتت بعدهم ساعدت على ازدهار دراسة هذا العلم اعتماداً على علماء العراق أيضاً، بحيث يمكن القول أنه إذا لم يكن لعلماء قرطبة اتصال بعلماء المشرق (وبعبارة أخرى: إذا لم يكن علماء قرطبة قد تلقّوا علمهم فى الحديث - وغيره من العلوم - عن علماء المشرق وتتلمذوا لهم على النحو الذى رأينا) لَمَا تحقق التقدم العلمى فى هذا المجال ولا فى غيره من فروع الثقافة الإسلامية الأخرى فى الأندلس.

ولقد كان النشاط الكبير الذى قام به الشيوخ الثلاثة المذكورون فى مجال دراسة الحديث مقدمة لنشاط أوسع على أيدى تلامذتهم من الجيل الجديد. وفى الجيل الجديد ظهر عدد كبير من علماء قرطبة كلهم حجة فى علمه، رحلوا إلى المشرق ودخلوا العراق وعادوا بكثير من المؤلفات الحديثية، ونذكر منهم: قاسم بن أصبغ البيَّانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م) ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) ومحمد ابن قاسم بن سيَّار القرطبى (المتوفى ٣٢٨ هـ/٩٣٩م) ومحمد بن إبراهيم بن حيُّون (المتوفى ٣٠٥هـ/٩١٧م) وأحمد بن دُحَيْم بن خليل بن عبد الجبار القرطبى (المتوفى٣٣٨هـ/٩٤٩م) وعبد الملك بن العاصى السعدى القرطبى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفى القرطبى (المتوفى٣٣٨هـ/٩٤٩م)، ومحمد بن زكريا بن محمد بن جعفر بن أبى عبد الأعلى اللخمى (المتوفى٣٢٢هـ/٩٣٣م)، ومحمد بن أحمد بن يحيى بن مفرِّج القاضى القرطبى (المتوفى٣٨٠هـ/٩٩٠م) ومحمد بن معاوية بن عبد الرحمن المعروف بابن الأحمر (المتوفى ٣٥٨هـ/٩٦٨م)[1] وغيرهم.

وفى الصفحات التالية نركز الكلام عن الشخصيات الثلاثة الأولى ببيان جهودهم فى نقل الحديث إلى قرطبة وهم:

(١) قاسم بن أصبغ البيَّانى[2] (٢٤٤-٣٤٠هـ/٨٥٨-٩٥٢م):

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء (مولى الوليد بن عبد الملك بن

---

١) تراجمهم فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى على الترتيب ج ١ ص ٤٠٦-٤٠٨، ج ٢ ص ٥٢-٥٣، ج ٢ ص ٤٨-٤٩، ج٢ ص ٢٨-٢٩، ج١ ص ٤٧، ج١ ص ٣١٦، ج١ ص ٥٥-٥٦، ج٢ ص ٤٤-٤٥، ج٢ ص ٩٣-٩٥، ج٢ ص ٧٠-٧١.

٢) من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضى ج ١ ص ٤٠٦-٤٠٨، بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٧-٤٤٨، والديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ١٤٥.- ١٤٦، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٤٧-٤٩.

مروان)، أبو محمد البيانى القرطبى (وبيانه من أعمال قرطبة)، وصفه الضبى بقوله: «إمام من أئمة الحديث، حافظ مكثر مصنف»[١]، وقال ابن حزم: «كان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره»[٢]. تلقى العلم فى قرطبة على يد شيوخ أجلاء، منهم بقى بن مخلد ومحمد ابن وضاح والخشنى السابق ذكرهم. ثم رحل إلى المشرق سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م فى إمارة المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م)، وتتلمذ فى هذه الرحلة على عدد كبير من علماء مصر والقيروان ومكة والكوفة وبغداد، سرد ابن الفرضى من أعلامهم تسعة وعشرين اسما مكتفيا عن ذكر الآخرين بقوله: «...فى آخرين كثير من أئمة المسلمين ومشاهير الرواة»[٣]. ومن أشهر علماء بغداد الذين تلقى عنهم الحديث: قاضى القضاة إسماعيل ابن إسحق وعبد الله بن مسلم بن قتيبة وأحمد بن زهير بن أبى خيثمة وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم[٤].

وبعد مدة قضاها قاسم بن أصبغ فى رحلته المشرقية عاد إلى الأندلس بعلم كثير، وانصرف إلى التعليم والإقراء بعد عودته انصرافا تاما ينشر علمه المشرقى، وقد علت مكانته فى قرطبة، وأصبح له شهرة واسعة حتى سمع منه عبد الرحمن بن محمد (الناصر) أيام كان أميرا، ثم ابنه الحكم الذى عرف بالمستنصر قبل أن يلى الخلافة[٥]، وفى ترجمة ابن أصبغ نقرأ هذه العبارة: «وكانت الرحلة فى الأندلس إليه»[٦].

وقد اقترن اسم قاسم بن أصبغ فى تاريخ الفكر الأندلسى بإدخال كتب رئيسية عراقية فى الحديث إلى قرطبة، ونجح فى نشرها، وهى كما جاء ذكرها فى المصادر:

١ - مسند مسدد البصرى (المتوفى ٢٢٨هـ/٨٤٢م). مؤلفه مسدد بن مسرهد الأسدى، أبو الحسن البصرى، ثقة حافظ، يقال: إنه أول من صنف المسند بالبصرة. ويقال: إن اسمه عبد الملك بن عبد العزيز، وأما (مسدد) فهو لقبه. وهذا المسند رواه قاسم بن أصبغ بالقيروان عن بكر بن حماد التاهرتى عن مسدد[٧].

---

١) الضبى: بغية الملتمس ص ٤٤٧.
٢) الضبى: المصدر السابق ص ٤٤٨.
٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٠٦-٤٠٧.
٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ١٤٥، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٤٧.
٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٠٧، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ١٤٥.
٦) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة.
٧) الضبى: بغية الملتمس ص ٤٤٨، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٤٨.

٢- مسند الحميدى عن سفيان بن عيينة. وهو خاص بالأحاديث التى رواها الحميدى (عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشى المكى المتوفى ٢١٩هـ/٨٣٤م) عن سفيان بن عيينة الكوفى المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م. وقد روى قاسم بن أصبغ بعض هذا المسند أثناء وجوده فى بغداد عن محمد بن إسماعيل الترمذى عن الحميدى[١].

٣- تاريخ (فى الجرح والتعديل) لأبى بكر أحمد بن أبى خيثمة زهير بن حرب النسائى البغدادى (المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م). وهذا الكتاب ذكر فيه مؤلفه أسماء الثقات والضعفاء من رجال رواة الحديث، أى أنه كتاب فى علم الجرح والتعديل، وهذا العلم فرع من فروع علم الحديث النبوى كما عرفنا من قبل. وقد أخذه قاسم بن أصبغ أثناء وجوده فى بغداد عن مؤلفه مباشرة. كما رواه عن مؤلفه أيضا عالم آخر من علماء قرطبة كان رفيقا لقاسم بن أصبغ فى رحلته وهو محمد بن عبد الملك بن أيمن (المتوفى ٣٣٠هـ/ ٩٤١م)[٢].

٤- مؤلفات عبد الله بن مسلم بن قتيبة البغدادى (المتوفى ٢٦٧هـ/٨٨٠م). وقد أخذها ابن أصبغ عنه ببغداد، خاصة المؤلفات التى وضعها ابن قتيبة فى شرح غريب الحديث[٣]. وتشير المصادر إلى أن طلاب العلم فى قرطبة أقبلوا على كتب ابن قتيبة وتاريخ ابن أبى خيثمة إقبالا كبيرا، وفضلوا أن يقرؤوها على قاسم بن أصبغ دون غيره ممن رافقه فى رحلته وعاد بالمؤلفات نفسها[٤].

هذه هى المؤلفات التى أدخلها قاسم بن أصبغ إلى قرطبة، وهى كلها مؤلفات عراقية. وقد قام ابن أصبغ بتأليف بعض الكتب التى تأثر فيها بمناهج العراقيين فى التصنيف مثل كتاب "السنن" وكتاب "المجتنى"، وستكون لنا عودة إلى ذكرها فى موضع لاحق إن شاء الله[٥].

---

١) ابن خير الإشبيلى: الفهرسة ص ١٤٤.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٠٧، ج ٢ ص ٥٢-٥٣، فهرسة ابن خير ص ٢٠٦، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٤٨.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٧.

٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة، المقرى: نفح الطيب ج٢ ص ٤٨.

٥) راجع (ص ٧٣٢ - ٧٣٣) من الباب التالى.

(٢) محمد بن عبد الملك بن أيمن[١] (توفى ٣٣٠هـ/٩٤١م):

محمد بن عبد الملك أيمن، أبو عبد الله القرطبى. تتلمذ فى قرطبة على محمد بن وضاح والخشنى وغيرهما. وكان معاصرا لقاسم بن أصبغ ورفيقه فى الرحلة إلى العراق سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م، وشاركه فى أساتذته كلهم[٢]. وكان عالما ثبتا، ولم يقف حياته على العلم وحده، بل انصرف كذلك إلى الجانب العملى، فكان «فقيها عالما حافظا للمسائل والأقضية، نبيلا فى الرأى، مشاورا فى الأحكام، صدرا فيمن يستفتى، وولى الصلاة فى جامع قرطبة»[٣].

وقد جلب معه إلى قرطبة مؤلفات ابن قتيبة البغدادى وتاريخ ابن خيثمة البغدادى الخاص بجرح وتعديل رواة الحديث[٤] وتأثر بمناهج العراقيين فى تصنيف كتب الحديث، فألف كتابا فى " السنن " على غرار " سنن " أبى داود، أثنى عليه ابن حزم بقوله: «مصنف ابن أيمن رفيع، احتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس فى كثير من المصنفات»[٥].

ومن علماء هذه الطبقة الذين رحلوا إلى المشرق وأخذوا العلم عن العراقيين واعتنوا بجلب مؤلفاتهم:

(٣) محمد بن قاسم بن محمد القرطبى (٢٦٣-٣٢٨هـ/٨٧٦-٩٣٩م):

محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار، أبو عبد الله القرطبى. تتلمذ على أبيه، وسمع من ابن وضاح والخشنى وبقى بن مخلد، ثم رحل إلى المشرق سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م، فأقام أربعة أعوام وأربعة أشهر، سمع خلالها بالعراق (بغداد والكوفة والبصرة) ومصر والقيروان. وعدد شيوخه الذين تلقى عنهم العلم بالمشرق مائة وثلاثة وستون شيخا، ذكر ابن الفرضى منهم ثمانية عشر شيخا، وذكر من بينهم خمسة بغداديين وثلاثة كوفيين وأربعة بصريين، من أشهرهم الإمام النسائى صاحب " السنن " وصالح بن أحمد بن حنبل. وقد أثنى عليه أبو محمد

---

١) من مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ٥٢-٥٣، جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ١١٦-١١٧، بغية الملتمس للضبى ص ١٩٧، الديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ٣١٣، نفح الطيب للمقرى ج٢ ص ٢٣٧، شذرات الذهب لابن العماد العكبرى ج ٢ ص ٣٢٧، الوافى بالوفيات للصفدى ج٤ ص ٤٧.

٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢.

٣) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج٢ ص٥٢- ٥٣.

٤) ابن فرحون: المصدر نفسه ج ١ ص ٤٠٧، ج٢ ص ٥٢.

٥) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١١٧، الضبى: بغية الملتمس ص ١٠٢، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٢٣٧، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٣١٣، فهرسة ابن خير ص ١٢٤.

الباجى بقوله «لم أدرك بقرطبة أكثر تصنيفا منه»[١]. وقال ابن الفرضى: «كان عالما بالفقه، متقدما فى علم الوثائق، رأسا فيها، وكان مشاورا فى الأحكام، ثقة صدوقا، وسمع الناس منه كثيرا»[٢].

وهذا العالم دعم الفكر الأندلسى بعدد من الكتب المشرقية فى مجال الحديث ذكرها ابن خير الإشبيلى فى " فهرسته "، وهى:

١ – كتاب " السنن " للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى (المتوفى ٣٠٣هـ/٩١٤م)، وهو كتاب مشهور فى الحديث. رواه محمد بن قاسم عن مؤلفه بمصر[٣]. وهناك عالم آخر قرطبى يسمى ابن الأحمر (محمد بن معاوية بن عبدالرحمن المتوفى٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م دخل فيها بغداد والكوفة، والتقى فى مصر بالإمام النسائى[٤] فسمع منه كتاب " السنن " بالفسطاط سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، وأدخله إلى قرطبة[٥].

٢– مسند حديث الزهـــرى بعلله[٦] والكلام عليه، تأليف أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى. رواه محمد بن قاسم عن النسائى[٧].

٣– كتاب تضعيف الرجال لعمرو بن على الفلاس البصرى المتوفى ٢٤٩هـ/٨٦٣م، ويقع فى جزء صغير. رواه محمد بن قاسم القرطبى عن محمد بن أحمد بن زهير بن حرب عن الفلاس[٨].

* * *

هذه أسماء بعض الأعلام الذين كان لهم شرف الرحلة إلى المشرق الإسلامى أوائل القرن الرابع الهجرى لطلب الحديث النبوى من منابعه والعودة بالكتب المروية. ولا يتسع المقام لحصر

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٢٤٨، المقرى: نفح الطيب ج ٢ص ٦٣.
٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨.
٣) فهرسة ابن خير ص ١١١ – ١١٢.
٤) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ٧٠ – ٧١.
٥) فهرسة ابن خير ص ١١٠.
٦) الزهرى: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أبو بكر القرشى الفقيه الحافظ المتوفى ١٢٥هـ (تقريب التهذيب) لابن حجر ج ٢ (ص ٢٠٧).
٧) فهرسة ابن خير ص ١٤٥.
٨) فهرسة ابن خير ص ٢١٢.

علماء الحديث القرطبيين فى القرن الرابع الهجرى ممن كان لهم دور بارز فى نقل التراث المشرقى فى مجال الحديث إلى قرطبة، ولو شئنا أن نسترسل فى ذكر كل ما أوردته المصادر الأندلسية وغيرها من أسماء هؤلاء الأعلام فسنجد أنفسنا أمام قائمة طويلة لاتتفق مع منهجية البحث، ولكننا ننحو منحى التمثيل. ومن الجدير بالذكر أن الرحلة إلى المشرق الإسلامى كانت سمة العلماء الأندلسيين فى القرن الرابع الهجرى والقرون التى تليه، فلا يكاد عالم أندلسى - وخاصة علماء قرطبة - يريد أن يقف على أرض صلبة من العلم إلا ويكون له رحلة أو أكثر إلى مراكز العلم بالمشرق، وكان للعراق ومصر والحجاز النصيب الأوفر من هذه الرحلات.

وبإمكاننا - ونحن فى إطار التعرف على الإنتاج المشرقى الذى انتقل إلى قرطبة فى مجال علم الحديث، وخاصة الإنتاج العراقى - أن نذكر هنا عددا هائلا من هذا الإنتاج، لكننا - ونظرا لكثرة هذه الكتب - سنحيل القارئ إلى ملحق خاص بها فى آخر الرسالة[1]. وهى متنوعة، فمنها كتب الصحاح، ومنها كتب المسانيد والسنن والمصنفات والأجزاء الحديثية، وكتب فى العلل والجرح والتعديل وتاريخ الرواة، وعلم مصطلح الحديث، وغير ذلك من الأنواع.

نتائج وتعقيب:

وفى نهاية هذا المبحث - ومن خلال عرضنا السابق - نضع أمام القارئ عدة استنتاجات مهمة، وهى:

(١) لقد حدث تطور له دلالته فى نمو الفكر الدينى فى قرطبة منذ أواسط القرن الثالث الهجرى؛ ذلك أن أول ما شغل أهل الأندلس فى حياتهم الدينية كان علم الفقه، والفقه المالكى بوجه خاص، ولكنهم لم يوجهوا عنايتهم بصورة كبيرة إلى علم الحديث وما يتصل به من تمييز صحيحه من معتله والتعرف على رجاله وحملته، وهو علم أدرك فى المشرق - ولاسيما فى العراق - نضجا سريعا وصل به إلى الغاية من دقة المنهج العلمى منذ أوائل القرن الثالث الهجرى، ولم يشرف هذا القرن على نهايته حتى ظهر عدد من جلة المحدثين يجمعون مساندهم الكبرى من أمثال البخارى ومسلم والترمذى وابن حنبل وأبى داود وابن أبى شيبة وغيرهم.

وكان الأندلسيون بمعزل عن هذا العلم خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، ثم لم يلبث أن ظهرت فى الأندلس بداية من هذه الفترة عدد من الدارسين تنبهوا إلى هذا النقص فى بلادهم فحاولوا أن يتداركوه وأقبلوا على علم الحديث يحملون عن كبار رواته ولا سيما فى العراق ويأخذون أنفسهم بالدربة على تمييز صحيحه ومعرفة رجاله ونقلته، بل إنهم

---

١) راجع الملحق الخامس بقسم الملاحق ويبدأ من (ص ١٠٤٣).

شاركوا بعد ذلك فى تأليف مسانيد وكتب للحديث سرعان ما رفعت بهم فى مصاف كبار المحدثين فى المشرق. وكان الفضل فى هذه النهضة يرجع إلى مجموعة من العلماء القرطبيين يأتى على رأسهم بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح والخشنى.

(٢) تنوعت كتب الحديث المشرقية التى انتقلت إلى قرطبة كما ذكرنا، ومن ثم تعددت المناهج فى هذا المجال أمام العلماء الأندلسيين، وتوسعت دائرة التأثر بها والإفادة منها. وقد لقيت هذه الكتب قبولا واسعا لدى الأندلسيين، وبعضها نال شهرة أوسع كمسند الإمام أحمد وصحيح البخارى ومسلم، وموطأ مالك، ومصنف ابن أبى شيبة وسنن أبى دود وسنن النسائى وسنن الترمذى وكتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى وكتب ابن قتيبة فى شرح غريب الحديث.

(٣) وإذا رجعنا إلى أسماء هذه الكتب الحديثية فسنجد أن أكثرها كتب عراقية، ومؤلفوها عراقيون من أهل بغداد أو البصرة أو الكوفة، وقليل منها لمؤلفين من بلدان أخرى تعد معابر للإنتاج العراقى كالحجاز ومصر.

(٤) ومن الملاحظ أن كتب الحديث التى دخلت قرطبة إنما انتقلت إليها عن طريق القرطبيين، ولم يكن لعلماء المشرق - فى حدود معلوماتنا - أى جهود تذكر قاموا بها فى ذلك، بخلاف فروع العلم الأخرى كالقراءات والتفسير والفقه واللغة، فقد كان لعلماء المشرق - خاصة العراقيين والمصريين - دور بارز فى نقلها إلى قرطبة.

وأكثر الذين حملوا كتب الحديث من أهل قرطبة هم تلامذة لمن كان لهم الفضل الأول والدور الريادى فى فتح هذا الباب للاستفادة من الاتجاهات المشرقية الجديدة وتحملوا كل الصعاب التى واجهتهم فى سبيل التصدى لتيار التقليد، من أمثال بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح والخشنى وغيرهم.

(٥) إن ثقافة كل جيل فى علم الحديث بالأندلس لاتقتصر على الأصول التى جلبها الجيل الذى قبله، بل يضيفون إليه دائما ما يجد من مؤلفات مشرقية فى هذا المجال، وتدل أسماء الكتب التى نقلها الراحلون أن الثقافة الأندلسية فى مجال الحديث كانت دائما تتغذى بما يظهر فى العراق - والمشرق عامة - من مؤلفات واتجاهات.

(٦) وقد شهد القرن الرابع الهجرى خاصة انتقال كثير من كتب الحديث العراقية إلى قرطبة، وليست كتب الحديث فحسب، وإنما شمل ذلك كل العلوم الأخرى، سواء العلوم الدينية واللغوية أو العلوم التجريبية كالطب والصيدلة والفلك، إذ يعد هذا القرن ممثلا لفترة الازدهار الحضارى فى الأندلس والانفتاح على الفكر والثقافة المشرقية، وسيتضح ذلك للقارئ عند حديثنا عن بقية العلوم التى انتقلت إلى الأندلس.

المبحث الثالث

الفقه (التشريع)

مدخل كانت أقوال التابعين وآراؤهم فى فترة الفتح الإسلامى للأندلس هى المصادر الأولى للعلوم التشريعية على أرض الأندلس وقد استمرت هذه القواعد أو الآراء فى سريانها فى عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) إلى أن نلتقى بالقضاة الأوائل الذين حفظت المصادر التاريخية أسماءهم، من أمثال مهدى بن مسلم وعنترة بن فلاح وخالد بن يزيد التجيبى[١] وغيرهم فى عصر الولاة، فوضعوا مجموعة من القواعد التشريعية الهامة التى يجب أن تسود فى مجال الفقه والتشريع. وقد صاغ مهدى بن مسلم الذى تولى القضاء للأمير عقبة بن الحجاج السلولى [فى الفترة (١١٦-١٢١هـ)] - صاغ نصا تشريعيا أملاه عليه الأمير المذكور موضحا بعض القواعد والأسس التى ينبغى أن يأخذ بها القاضى فى حكمه بين الخصوم. وهذه الوثيقة التشريعية سجلها بطولها الخشنى فى كتابه (قضاة قرطبة)[٢].

دخول مذهب الأوزاعى إلى قرطبة:

وقد شهدت قرطبة فى فترة عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) ومطلع فترة الإمارة فى المجال التشريعى انتشار مذهب الأوزاعى وسيطرته على الحياة التعليمية، وهو مذهب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى (المتوفى عام ١٥٧هـ/٧٧٣م) الذى قضى معظم حياته بالشام.

وأول من أدخل هذا المذهب إلى قرطبة كما يقول الحميدى فى "الجذوة" هو صعصعة بن سلام الشامى الدمشقى (المتوفى ١٨٠هـ/٧٩٦م)،وهو فقيه من أصحاب الأوزاعى، وكانت الفتيا دائرة عليه أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)[٣]. لكن الدكتور محمود مكى يرى أن أول من أدخل المذهب الأوزاعى إلى الأندلس هو قاضى إلبيرة أسد بن عبد الرحمن السبئى (المتوفى حدود سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م)[٤].

---

١) للتعرف عليهم انظر قضاة قرطبة للخشنى الصفحات (٨-١٢)، (١٢-١٣)، (١٤-١٥) على الترتيب.

٢) الخشنى: قضاة قرطبة ص ٩ - ١١.

٣) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٣٧٩، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٤٠، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ٣٢٤ (رقم ٨٥٣).

٤) Mahamid Makki: Euzoyo Sobre Las aportaciones orientales en la Espania musulmamna رسالة دكتوراة منشورة باللغة الأسبانية بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد فى عدديها (٩، ١٠) و(١١، ١٢).بعنوان " تأثير الثقافة المشرقية فى إسبانيا الإسلامية" - ص ١٣٠.

إلا أنه لم يذكر الدليل على ما يقول.

ويرجع الدكتور محمود مكى أسباب احتلال هذا المذهب مكانا مؤثرا فى الحياة التعليمية الأندلسية إلى «أن الأندلس تابع بأمانة - خلال الفترة الأولى من تاريخه - التقاليد الشامية فى كل مظاهر الحياة »[١]. أما الدكتور أحمد هيكل فيقول فى هذا الصدد: «كان الأندلسيون أول الأمر أوزاعيين، لأن أغلب العرب الداخلين إلى الأندلس كانوا من أهل الشام، وكان أهل الشام على مذهب الأوزاعى، فكان طبيعيا أن ينتقل الشاميون إلى الأندلس بمذهبهم»[٢].

هذا، وقد وجد فى قرطبة من يحمل فقه الأوزاعى، إلا أنه لايلتزم به دائما فى قضائه وأحكامه، كمصعب بن عمران أبى محمد الهمدانى (مشرقى من الشام)، تولى قضاء قرطبة فى أيام هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م). وقال عنه ابن الفرضى: «شاب دخل الأندلس فى أيام عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ)، وكان يروى عن الأوزاعى وغيره من الشاميين، وروى عن المدنيين، وكام لا يقلد مذهبا، ويقضى بما رآه صوابا»[٣].

عاش المذهب الأوزاعى بعد ذلك فترة طويلة فى الأندلس، «وعلى الرغم من أنه اعتبارا من عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ) والحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ) فإن المذهب المالكى كان قد بدأ يأخذ طريقه إلى الحياة التشريعية فى الأندلس، إلا أن المذهب الأوزاعى ظل محتفظا ببعض الأوفياء له»[٤]، مثل زهير بن مالك البلوى القرطبى (المتوفى حدود سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، الذى قال عنه ابن الفرضى: «كان فقيها على مذهب الأوزاعى على ما كان عليه أهل الأندلس قبل دخول بنى أمية »[٥]، ومثل عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق أبى مروان القرطبى المعروف بزونان (المتوفى ٢٣٢هـ/٨٤٦م)، وهو من تلامذة صعصعة بن سلام الدمشقى أول من أدخل فقه الأوزاعى إلى قرطبة، لكنه تحول إلى المذهب المالكى بمجرد انتقاله إلى الأندلس[٦].

---

١) محمود مكى: رسالة الدكتوراة المذكورة ص ١٢٨. وانظر د. محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس ص ٧٤.

٢) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٧٩.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٣٣، الخشنى: قضاة قرطبة ص ٢٤-٢٨.

٤) د. محمد عبد الحميد عيسى: الحضارة الأندلسية مرحلة التكوين - مقال منشور بمجلة " ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط" - المجلد الثانى (دار المعارف ١٩٨٣م) - ص ٢٧٦.

٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٨١، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٣٤٣.

٦) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٣١٢، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ص ١٩.

انتقال المذهب المالكى إلى قرطبة:

رحلة الأندلسيين إلى الإمام مالك لسماع "الموطأ" والعودة به إلى الأندلس:

ومع دخول الأمويين واستقرار الأمور لهم فى الأندلس ازداد انسياب العلوم المشرقية إلى الأندلس، ومنها بطبيعة الحال المزيد من العلوم التشريعية، وقد رحل الأندلسيون إلى المشرق وتتلمذوا على مالك بن أنس (١٧٩هـ/٧٩٥م) بالمدينة النبوية، وعادوا ومعهم كتابه المشهور "الموطأ". ويذكر لنا القاضى عياض ثمانية عشر طالبا أندلسيا تتلمذوا على مالك وعاصروه[١].

وأول من أدخل "الموطأ" إلى الأندلس هو الغازى بن قيس أبو محمد القرطبى (المتوفى١٩٩ هـ/٨١٤م)، وذلك فى زمن عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م). ويشير ابن القوطية إلى ذلك بقوله: «وفى أيام عبد الرحمن بن معاوية دخل الغازى بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك بن أنس رحمه الله وقراءة نافع بن أبى نعيم»[٢]. وقال الزبيدى - ويؤيده فى ذلك ابن الفرضى والقاضى عياض -: «كان ملتزما للتأديب بقرطبة أيام دخول عبد الرحمن ابن معاوية الأندلس، ثم رحل إلى المشرق، وشهد تأليف مالك للموطأ، وهو أول من أدخله الأندلس»[٣].

ولا تعارض بين هذا وبين ما يرويه المقرى فى "نفح الطيب" أن أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس مكملا متقنا هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى القرطبى المعروف بشبطون (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م)؛ فما من شك فى أن دخول الموطأ إلى الأندلس على يد الغازى بن قيس كان قبل رحلة زياد شبطون إلى مالك، حيث كان الغازى حاضرا زمن جمعه من مؤلفه مالك، فكان بذلك أول من أدخله على صورته الأولى، أى قبل تهذيبه وتنقيحه. أما زياد فقد رحل إلى المشرق بعد عودة الغازى بن قيس حيث أتى بالموطأ بعد ما قام الإمام مالك بتهذيبه وأعاد النظر فيه، فزاد فيه وحذف منه، فكان بذلك أول من أدخله الأندلس تاما وموثقا، وذلك فى إمارة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م).

وفى الوقت الذى رحل فيه الغازى بن قيس وزياد شبطون إلى المدينة النبوية للسماع من مالك رحل أيضا جماعة من طلاب العلم بقرطبة أمثال قرعوس بن العباس الثقفى (المتوفى٢٢٠

---

١) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٨ - تحقيق عبد الله بن أنيس الطباع.

٣) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٤، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٨٧، القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٤٨.

هـ/٨٣٥م)، قيل: إنه سمع من مالك الموطأ[١]. وسعيد بن أبى هند (المتوفى فى صدر إمارة عبد الرحمن الداخل) وقد سماه الإمام مالك بالحكيم[٢]. ومحمد بن بشير المعافرى قاضى قرطبة (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م)[٣]، وعبد الرحمن بن موسى الهوارى[٤]، وغيرهم. وهؤلاء كما يقول المقرى - «... لما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته فى الأندلس، فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالأندلس»[٥].

هذه هى النخبة الأولى التى على يدها بدأ المذهب المالكى فى الظهور فى أرض الأندلس. ويحسن أن نقتبس هنا من القاضى عياض نصا مهما يحدد على وجه الدقة الفترة التى بدأ فيها هذا المذهب فى الذيوع والانتشار بين الأندلسيين، يقول عياض: «وأما أهل الأندلس فكان رأيها مذ فتحت على رأى الأوزاعى، إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن (شبطون) وقرعوس بن العباس والغازى بن قيس ومن بعدهم، فجاءوا بعلمه، وأبانوا للناس فضله واقتداء الأئمة به، فعرف حقه ودرس مذهبه، إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) الناس جميعا بالتزامهم مذهب مالك، وصير القضاء والفتيا عليه، وذلك فى عشرة السبعين ومائة من الهجرة فى حياة مالك رحمه الله تعالى»[٦]. وعلى هذا يمكن القول بأن المذهب المالكى دخل إلى الأندلس فى عهد تأسيس الإمارة الأموية، أى فى عهد عبد الرحمن الداخل، ثم بدأ فى الانتشار فى عهد ابنه هشام بن عبد الرحمن حتى أصبح المذهب الرسمى للدولة أولا، والمذهب الغالب الشائع العام بين الناس ثانيا.

جهود بعض الفقهاء القرطبيين فى تأسيس المذهب المالكى بالأندلس:

ولا يعنينا كثيرا أن نناقش هنا فى عهد من من الأمراء الأمويين فى الأندلس بدأ الفقه المالكى فى الانتشار والتوسع[٧]، وإنما يعنينا فى المقام الأول جهود عدد من الفقهاء القرطبيين كان لهم الدور الأكبر فى تأسيس هذا المذهب ونشره. والشخصية الكبرى التى يعزى إليها نشر مذهب مالك وموطأه فى الأندلس هى شخصية الفقيه عيسى بن دينار الغافقى، ثم شخصية يحيى بن يحيى الليثى، وهما من العلماء الذين درسوا المذهب المالكى فى المشرق (المدينة

١) القاضى عياض: المصدر السابق ج ١ ص ٤٩٢.
٢) القاضى عياض: المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٣، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٩٠.
٣) القاضى عياض: المصدر السابق ج ١ ص ٤٩٣.
٤) القاضى عياض: المصدر نفسه ج ١ ص ٥٠٧-٥٠٨.
٥) المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٤٦.
٦) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٥٥.
٧) انظر الخلاف الوارد فى ذلك د. محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس ص ٨٤ وما بعدها.

النبوية ومصر)، ثم عادوا إلى بلادهم وتمتعوا بنفوذ كبير مكن لهم من نشر المذهب فى الأندلس وإعطائه الطابع الرسمى. وفيما يلى نبذة عن كل منهما:

(١) عيسى بن دينار الغافقى (توفى ٢١٢هـ/٨٢٧م)[١]:

هو عيسى بن دينار بن واقد، أبو محمد الغافقى. أصله من طليطلة، وسكن قرطبة. رحل إلى المشرق، فسمع من عبد الرحمن بن القاسم المصرى تلميذ الإمام مالك (توفى١٩١هـ/ ٨٠٦م)، وصحبه وتفقه به، «وجمع علما عظيما »[٢]، وأصبح من كبار فقهاء المالكية، إلا أنه لم يدرك الإمام مالك. ودون سماعاته من ابن القاسم فى عشرين كتابا[٣]. ويقول عنه الرواة: كانت الفتيا تدور عليه، لايتقدمه فى وقته أحد بقرطبة، وكانت له بها رئاسة، وذلك بعد انصرافه من المشرق... وكان فقيها بارعا غير مدافع ومن متقدمى العلماء بالأندلس، خيرا عابدا ناسكا ورعا، من أهل العلم والعمل والخشية، وكان ابن القاسم يجله ويعظمه ويصفه بالفقه والورع، ومناقبه كثيرة[٤].

وقد اضطلع عيسى بن دينار بتفقيه أهل قرطبة فى مذهب مالك وكرس حياته لهذا العمل التثقيفى، ساعده على ذلك مستواه العلمى الرفيع وتقواه، ويعترف محمد بن عبد الملك بن أيمن (أحد فقهاء قرطبة المشهورين المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م) بهذا الدور الذى قام به عيسى فيقول: «هو الذى علم لأهل مصرنا المسائل، وكان أفقه من يحيى بن يحيى الليثى على جلالة يحيى وعظم قدره»[٥]، وقال ابن فرحون: «وبه وبيحيى انتشر علم مالك بالأندلس»[٦]. وكانت لعيسى بن دينار مشاركته الفعالة فى التأليف الفقهى؛ إذ ألف كتاب "الهداية " فى عشرة

---

١) له ترجمة فى ترتيب المدارك للقاضى عياض ج ٢ ص ١٦ - ٢٠، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٣٧٣ -٣٧٤، جذوة المقتبس للحميدى ج ٢ ص ٤٧٢، بغية الملتمس ج ١ ص ٤٠٢ - ٤٠٣، الديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ٦٤ - ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٠ ص ٤٣٩ شذرات الذهب للعكبرى ج ٢ ص ٢٨.

٢) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ٢ ص ١٨.

٣) القاضى عياض: المصدر السابق ج ٢ ص ١٩، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٦٦.

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٧٤، القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ٢ ص ١٦، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٦٤.

٥) ابن فرحون: المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤، القاضى عياض: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٧٤.

٦) ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٦٥، ترتيب المدارك للقاضى عياض ج ٢ ص ١٨، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٤٦.

أجزاء، تناول فى جزء منه مسائل البيوع، وكان هذا التناول مثارا لإعجاب العلماء فى عصره وبعد ذلك بزمن طويل، وينص ابن الفرضى على أن أحد تلاميذ عيسى - وهو أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم (توفى ٢٥٨هـ/٨٧١م) - خرج إلى المشرق بكتاب البيوع هذا فعرضه على الفقيه المدنى ابن الماجشون[١] تلميذ الإمام مالك وقرأه عليه فصلا فصلا، فأبدى إعجابه الخالص بالكتاب وثناءه على مؤلفه[٢].

(٢)يحيى بن يحيى الليثى(١٥٢-٢٣٤هـ/٧٦٩-٨٤٨م) ودوره الفعال[٣]:

هو يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس، أبو محمد الليثى (مولاهم) البربرى المصمودى القرطبى. تفقه فى أول نشأته على زياد شبطون المذكور آنفا، وسمع منه "موطأ" الإمام مالك، ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة إلى المدينة المنورة، فسمع من مالك "الموطأ" غير أبواب فى كتاب الاعتكاف شك فيها، فحدث بها عن شيخه زياد. كما أنه سمع فى هذه الرحلة بمصر من عبد الله بن وهب (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢) تلميذ مالك، وأخذ عنه "موطأه" وكتابه "الجامع"[٤]. وتفقه أيضا على الفقيه المصرى عبد الرحمن بن القاسم المالكى أحد كبار تلاميذ الإمام مالك (المتوفى ١٩٢هـ/٨٠٧م) ودون عنه مسائله الفقهية فى عشرة كتب[٥]، وعاد إلى قرطبة بعلم وفير، وبدأ فى نشر المذهب المالكى، فازدحم عليه الطلاب وبعد صيته، وأصبح «إمام وقته وواحد بلده»كما يقول ابن الفرضى[٦]. وقال عنه ابن عبد البر فى الثناء عليه،

---

١) ابن الماجشون - راجع ما ذكرناه عنه (ص ١٣٧) من الباب الأول - الفصل الخاص بالفقه.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٧٤. وانظر د. محمود على مكى: كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسى المتوفى ٢٨٩ هـ- بحث منشور فى مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الرابع ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦م - ص ٩٥

٣) له ترجمة فى: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ١٧٦-١٧٨، ترتيب المدارك للقاضى عياض ج ١ ص ٥٣٤-٥٤٧، الديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٣، جذوة المقتبس للحميدى ج ٢ ص ٦٠٩-٦١٢، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٩-١٢، المغرب فى حلى المغرب للمراكشى ج ١ ص ١٦٣-١٦٥، المقتبس لابن حيان (تحقيق محمود مكى) ص ٤٠، ٥٤، ٥٩، ٦١ -٦٣، ٦٦-٦٨، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٣٠٠-٣٠٣، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٦ ص ١٤٣-١٤٦.

٤) ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٣٥٢.

٥) ابن فرحون: المصدر السابق ج ٢ ٣٥٢.

٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٧٧.

«وكان ثقة عاقلا، حسن الهدى والسمت، يشبه فى سمته بسمت مالك»[١]. وقال الحميدى: «وإليه انتهت الرياسة بالفقه فى الأندلس، وبه انتشر مذهب مالك هنالك، وتفقه به جماعة لا يحصون»[٢].

وكان يحيى الليثى بالإضافة إلى أمانته ومتانة دينه وإمامته فى العلم معظما لدى الأمراء لايقطعون فى أمر من أمور الديانة إلا بعد مشورته، خاصة ما يتعلق بشئون القضاء والإفتاء؛ فقد كان المرجع الأول فى تعيين القضاة وعزلهم، ومن الطبيعى ألا يشير إلا بمن هو على المذهب المالكى الذى يعتقد رجحانه وصوابه، لأنه شريك لكل من القضاة فى المسئولية والحكم. يقول ابن حزم (المؤرخ الأندلسى الثقة) مشيرا إلى المكانة الاجتماعية التى كان يحيى الليثى يتمتع بها فى المجتمع الأندلسى: «مذهبان انتشرا فى بدأ أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبى حنيفة، فإنه لما ولى القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لايولى إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه. ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان، مقبول القول فى القضاة، وكان لا يلى قاض فى أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به. على أن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائدا فى جلالته عندهم، وداعيا إلى قبول رأيه لديهم»[٣]. وهذا القول يؤيده المؤرخ الأندلسى المشهور ابن حيان فى كتابه "المقتبس" - وهو معاصر لابن حزم - حيث يقول: «وغلب يحيى بن يحيى جميعهم - أى الفقهاء - على رأى الأمير عبد الرحمن (عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)، فصار يلتزم من إعظامه وتكريمه وتنفيذ أموره ما يلتزمه الولد لأبيه، فلا يستقضى قاضيا ولا يعقد عقدا ولا يمضى فى ديانة أمرا إلا عن رأيه وبعد مشورته»[٤].

وهذه النصوص تبين أن سلطة الدولة كان لها الأثر القوى فى نشر المذهب المالكى ببلاد الأندلس. وتشير إلى المكانة الرفيعة التى حظى بها يحيى بن يحيى لدى الأمراء، وهذه المكانة هى

---

١) ابن عبد البر: الانتقاء فى مناقب الأئمةالثلاثة الفقهاء ص ٦٠، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٢٣، القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٥٣٧.

٢) الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٦١٠.

٣) الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٦١١، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ١٠، فضل الله العمرى: مسالك الأبصار (مخطوط) ج ٣ص ٣٣٠.

٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود مكى) ص ٤٢. وانظر ترتيب المدارك للقاضى عياض ج ١ ص ٥٣٧، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٠.

التى مهدت السبيل بالفعل إلى نشر المذهب المالكى وإقبال طلاب الفقه عليه دون غيره من المذاهب. ويسجل ابن بشكوال هذه الحقيقة أيضا بقوله: «كان أمير الأندلس لا يولى أحدا القضاء بمدائن إقليم الأندلس إلا من يشير به يحيى بن يحيى، فكثر لذلك تلامذة يحيى بن يحيى، وأقبلوا على فقه مالك ونبذوا ما سواه»[١]. ومنذ أن أصبح هذا الفقيه الجليل رجل الدولة الأول فى عهد الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ثم ابنه عبد الرحمن بن الحكم تكونت منه ومن بعض الفقهاء المالكية الكبار جماعة رسمية سميت بجماعة " الفقهاء " كان لها اليد الطولى فى التمكين لمذهب مالك فى الأندلس، من أمثال:

- عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمى القرطبى (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م) مؤلف "الواضحة" فى الفقه المالكى[٢].

- وتلميذه: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبى عتبة المعروف بالعتبى (المتوفى٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) صاحب مجموعة الأسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس المسماة "بالعتبية" أو "المستخرجة" وكانت من أكثر الكتب تداولا بين الأندلسيين[٣].

- وأصبغ بن خليل القرطبى (المتوفى٢٧٣هـ/٨٨٦م) الذى دارت عليه الفتيا بالأندلس خمسين عاما[٤].

- وسعيد بن حسان القرطبى مولى الأمير الحكم بن هشام (المتوفى٢٣٦هـ/٨٥٠م) الذى كان مشاورا فى الحكم ومؤاخيا ليحيى بن يحيى الليثى، آخذا بهديه، وهو المنفرد برواية فقه أشهب تلميذ مالك[٥].

- ويحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبى (المتوفى ٢٥٩هـ/٨٧٢م) صاحب كتاب "تفسير الموطأ" وهو تلميذ يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب، وتلميذ مطرف بن عبد الله صاحب الإمام مالك[٦].

ومع بداية هذا الجيل الذى ذكرنا بعض أسماء رجاله على سبيل التمثيل - سيصبح للفقهاء المالكية نفوذ كبير، وللمذهب المالكى مكانة مرموقة فى الوسط الأندلسى إلى أن ينتهى

---

١) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٢٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٤-١٤٥.
٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج١ص٣١٢-٣١٥.
٣) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج١ص ٣٩٧.
٤) ابن الفرضى ٢ / ٧-٩.
٥) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج١ ص١٩١.
٦) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٨، القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ٢ ص ١٣٢ - ١٣٤.

الحكم الإسلامى من الأندلس، «ولعلنا لا نسرف إذا قلنا: إن النصف الأول من القرن الثالث الهجرى كان هو العصر الذهبى للفقه المالكى بالأندلس، ففيه وصل التأليف الفقهى إلى أوجه، وعلى الأسس التى وضعها شيوخ هذه الفترة (المذكورون) قامت حياة الأندلس حتى خمود جذوة الإسلام فى هذه البلاد»[١].

أما عن العوامل والأسباب التى تفسر لنا انتشار المذهب المالكى فى الأندلس واستقراره بها وانسجام الأندلسيين معه دون ما سواه فهى كثيرة، وقد تناولها عدد من الباحثين بالدراسة والبحث[٢].

دخول كتب المذهب المالكى من المغرب إلى الأندلس (الأسدية–المدونة):

(١) الأسدية وتأثرها بالفقه العراقى:

نسبة إلى مؤلفها أسد بن الفرات، أبى عبد الله الحرانى، ثم المغربى[٣] أحد المؤسسين للمذهب المالكى فى المغرب. ولد بحران[٤] (سنة ١٤٤هـ)، ورحل إلى العراق فلازم محمد بن الحسن الشيبانى تلميذ أبى حنيفة، وكان مع توسعه فى العلم فارسا بطلا شجاعا، ولاه زيادة الله الأغلبى أمير المغرب على غزاة أميرا وقاضيا، فافتتح بلدا من جزيرة صقلية، ومات وهو محاصر سرقوسية (أكبر مدينة بجزيرة صقلية) سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م.

وتعتبر "الأسدية " ثانى المؤلفات – بعد الموطأ – التى كان لها أثر فى تطور الدراسة والبحث فى الفقه المالكى. وسبب تأليفها أن أسد بن الفرات كان إذا سأل الإمام مالك – وكثيرا ما كان يسأله – يكثر من الافتراضات فى سؤاله؛ إن أجابه مالك عن مسألة يقول له أسد: فإن كان كذا وكذا...؟، حتى ضاق الإمام من هذه الطريقة، فأشار عليه بالذهاب إلى العراق للجلوس إلى الأحناف، وقال: «هذه سلسلة بنت سلسلة، إن أردت فعليك

---

١) محمود على مكى: كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسى – بحث منشور فى مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – المجلد الرابع (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) – ص ٩٦.

٢) راجع بحثا للأستاذ عبد الهادى الحسيس بعنوان "دخول المذهب المالكى إلى بلاد الغرب الإسلامى: أسباب ذيوعه وانتشاره" – مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب/ العدد الثالث ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م / ص ٥١٥–٥٣٦.

٣) له ترجمة فى رياض النفوس للمالكى ج١ ص ١٧٢–١٨٩، ترتيب المدارك للقاضى عياض ج١ ص ٤٦٥–٤٧٣، معالم الإيمان للدباغ ج٢ ص ٣–٢٦، الديباج المذهب لابن فرحون ج١ ص ٣٠٥–٣٠٦، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٠ ص ٢٢٥–٢٢٨، شذرات الذهب للعكبرى ج ٢ ص ٢٨–٢٩.

٤) حران: مدينة كبيرة تقع بشمال العراق.

بالعراق»[١]. وكان جلوسه فى بغداد إلى أبى يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى، ولازم محمد ابن الحسن، وأخذ عنه كتبه، وتعلم الفقه الحنفى حتى برع فيه، ثم إنه أتى بالمسائل الحنفية وأراد أن يعرف آراء الإمام مالك فيها فيجتمع له الفقهان، فلما أراد الرجوع إلى مالك وجده قد مات، فلجأ إلى تلاميذه الذين عرفوا بطول ملازمته وصحة الرواية عنه وحسن التخريج على أصوله، فرحل إلى مصر، وبها جلس إلى عبد الرحمن بن القاسم (المتوفى ١٩١هـ/ ٨٠٦م) تلميذ الإمام مالك، وله به صحبة طويلة، «فكان أسد يغدو عليه كل يوم يسأله ويجيبه»[٢] حتى عرض عليه مسائل الفقه بعد أن جردها من أحكامها الحنفية، وأخذ عليها الإجابات المالكية، ودون كل ذلك فى ستين كتابا أطلق عليها اسم " الأسدية "، يقول القاضى عياض: «لما قدم أسد مصر أتى إلى ابن وهب[٣] وقال له: هذه كتب أبى حنيفة، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك، فتورع ابن وهب وأبى، فذهب إلى ابن القاسم فأجابه إلى ما طلب. فأجابه فيما حفظ عن مالك بقوله. وفيما شك فيه قال: أخال وأحسب وأظن. ومنها ما قال فيه: سمعته يقول فى مسألة كذا وكذا، ومسألتك مثله. ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك. وتسمى تلك الكتب الأسدية»[٤].

"فالأسدية" إذن متأثرة بالعراقيين فى تفريع المسائل وتوليدها، وبالحجازيين فى تطبيق مذهب مالك عليها، ومن ثم «تعتبر نظرة جديدة فى التأليف فى الفقه المالكى، حيث تعد تطعيما للدراسات المالكية بالجهود الحنفية، أى أنها بهذا الاعتبار تمزج بين الجهود التى أثمرها البحث فى كلا المذهبين»[٥].

وعلى الرغم من إقبال طلاب العلم على هذا المؤلف منذ بداية أمره - حتى حرص المصريون على انتساخ نسخة منه قبل رحيل أسد بن الفرات إلى القيروان[٦] - فإنه لم يلق قبولا عاما فى الأندلس، لكنه على أية حال كان معدودا ضمن مرويات الفقه المالكى بالأندلس، وكان " سبرة بن مذكر التميمى الأندلسى" [كان حيا سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م]

---

١) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٦٦، الدباغ: معالم الإيمان ج ٢ ص ٤.

٢) الدباغ: معالم الإيمان ج ٢ ص ١٢.

٣) سبق ذكره (ص ١٣٦) من القسم الأول - الفصل الخاص بعلم الفقه.

٤) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٦٩، الدباغ: معالم الإيمان ج ٢ ص ١٢-١٣، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٠ص ٢٢٦.

٥) مصطفى محمد إبراهيم: الحياة العلمية فى قرطبة فى عهد الناصر والمستنصر - رسالة دكتوراة - كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٩٨١ م- ص ٢٥٠.

٦) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٧٠، الدباغ: معالم الإيمان ج ٢ ص ١٣.

يقوم على روايتها فى بلاده، وكان مقصد الطلاب فى تلك الرواية[١].

ولعل الامتزاج بين كلا الفكرين الحنفى والمالكى فى الأسدية، وكذلك انتقال أسد بن الفرات إلى المذهب الحنفى (كما هو معروف عنه) من الأسباب التى لم تشتهر لها الأسدية فى الأندلس، لما كان يبديه الأندلسيون من التحفظ الشديد تجاه هذا المذهب.

(٢) المدونة:

على أن السبب القوى فى إزاحة الأسدية عن جانب كبير من مساحة الفكر الأندلسى كان فى ظهور مؤلف آخر أكثر أهمية، وهو" المدونة". ومؤلفها هو الفقيه أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخى الحمصى الأصل، المغربى القيروانى المالكى الملقب بسحنون (المتوفى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م). أحد مؤسسى المدرسة المالكية فى المغرب ومن كبار فقهائها[٢].

وتعتبر "المدونة" من أهم المؤلفات المالكية إن لم تكن أهمها بعد موطأ الإمام مالك. وهى عبارة عن تهذيب للأسدية وتوثيق لمسائله؛ ذلك أن أسد بن الفرات لما رحل بالأسدية إلى القيروان تلقاها عنه سحنون بعد إباء شديد من ابن الفرات، فجعل يحتال عليه حتى سمعها منه[٣]. وكان مما جعل بعض الناس يتكلمون فى "الأسدية" ما اشتملت عليه من (أخال وأظن)، وحسبوا ذلك مثارا للشك، وقالوا لأسد: جئتنا بأخال وأظن وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف، فقال: «أما علمتم أن قول السلف هو رأى لهم، ولقد كنت أسأل ابن القاسم عن المسألة فأقول: هو رأى مالك؟ فيقول: كذا أخال وأرى، وكان ورعا يكره أن يهجم على الجواب»[٤].

ولما تلقى سحنون " الأسدية" أراد أن يستوثق مما كان ظنا، فارتحل إلى ابن القاسم بها، وعرضها عليه، وقال: أريد أن أسمعها منك. فاستخار الله وأسمعه إياها، وأسقط من كتاب أسد ما كان ظنا وما كان يشك فى نسبته إلى الإمام مالك، وأما ما لم يجد فيه نصا يثق به فقد أفتاه به على اجتهاده بمقتضى أصول مالك، أو على شبيه رأى مالك فى مثله[٥].

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٢٩.

٢) له ترجمة فى: ترتيب المدارك ج ٢ ص ٥٨٥-٦٢٦، رياض النفوس للمالكى ج ١ ص ٢٤٩، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٢ ص ٦٣-٦٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ١٨٠.

٣) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٧١، الدباغ: معالم الإيمان ج ٢ ص ١٤.

٤) القاضى عياض: المصدر السابق ج ١ ص ٤٧١.

٥) القاضى عياض: المصدر نفسه ونفس الجزء والصفحة. وانظر د. محمود عبد المتجلى خليفة: الإمام مالك حياته وآراؤه وفقهه ج ٢ ص ١٥٢ هدية مجلة الأزهر - عدد ذى القعدة ١٤١٣هـ- ص ٥٢.

وعلى هذا فإن الفرق بين المدونة والأسدية يتمثل فى[١]:

١ - تعد المدونة تهذيبا للأسدية، شارك فيها الإمام عبد الرحمن بن القاسم، وواضعها سحنون الذى تلقى الأسدية عن ابن الفرات.

٢ - لم يكن ابن القاسم قد أجاب ابن الفرات (فى الأسدية) فى كثير من المسائل على وجه القطع برأى مالك، وإنما داخله الشك فيها، فأسقط سحنون من المدونة تلك الإجابات المشكوك فيها، وأجابه ابن القاسم على رأيه بمقتضى أصول الإمام مالك.

٣ - قام سحنون حيال المدونة بجهد آخر، وهو أنه هذبها وبوبها وزاد عليها خلاف أصحاب مالك له، وذيل أبوابها بالأحاديث والآثار[٢]. «وبذلك أصبحت تجمع آراء مالك المروية عنه، والمخرجة على أصوله، وبعض آراء أصحابه، وبعض الآثار والأحاديث الواردة فى مسائل الفقه التى اشتملت عليها، ومن هنا اختلفت عن مدونة أسد، وإن اتحد مصدر الروايتين، وهو ابن القاسم»[٣].

هذه هى المدونة التى أعتبرت الأصل الثانى للفقه المالكى بعد الموطأ، ويلاحظ فى تدوينها أنها إنما كتبت محاكاة للمسائل التى اشتملت عليها كتب محمد بن الحسن الشيبانى فى الفقه العراقى، ومن ثم فقد «تأثرت بكتب العراقيين فى تفريع المسائل وتوليدها وتفريعها وافتراضها، مما كان له أكبر فائدة فى تفتيق الفقه المالكى وتوسيعه، وجعله أكثر مرونة، كما قرب بين الفقه المدنى والعراقى»[٤].ولذا كانت "المدونة " تسمى " أسئلة أهل العراق" [٥].

وهذا الأمر يكشف عن دور العراق فى التأثير على قرطبة فى مجال التشريع بطريقة غير مباشرة.

ولقد حملت "المدونة" منذ الوقت المبكر لظهورها حملا مباشرا عن سحنون، وصارت من أهم المرويات التى قامت عليها دراسة الفقه المالكى فى قرطبة والمدن الأندلسية الأخرى، ومن أشهر الداخلين بها إلى الأندلس اثنان:

الأول: محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبد الله القرطبى (المتوفى ٢٨٧هـ/٩٠٠م)، تلميذ

---

١) مصطفى محمد إبراهيم: الحياة العلمية فى قرطبة فى عهد الناصر والمستنصر - رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٨١م- ص ٢٥٢.

٢) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٧٢، الذهبى سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٦٨.

٣) د. السيد محمد أبو العزم داود: الأثر السياسى والحضارى للمالكية فى شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين ص ٣٩٧ (ط مكة المكرمة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٤) د. السيد أبو العزم داود: المرجع السابق ص ٣٩٩.

٥) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى - المجلد الأول - ج ٣ ص ١٤٣.

سحنون، روى عنه المدونة[١].

الثانى: عميرة بن عبد الرحمن بن مروان العتقى، من أهل تدمير. سمع المدونة من سحنون سنة ٢٢٢هـ، وتوفى بعد سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م[٢].

كما أن هناك عدد من علماء قرطبة تتلمذوا فى القيروان على يد سحنون، وحملوا عنه "المدونة"، مثل وهب بن نافع الأسدى القرطبى (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م)[٣]، ويحيى بن عمر الكنانى (المتوفى ٢٨٩هـ/٩٠١م)[٤]، وغيرهما.

وعن هؤلاء الشيوخ تفرعت الطرق فى مختلف أرجاء الأندلس، وكان القائمين بها من القرطبيين على وجه الخصوص: أحمد بن خالد بن يزيد، أبو عمر المعروف بابن الحباب (المتوفى ٣٢٢هـ/٩٣٣م)[٥]، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)[٦]، ومحمد بن عمر بن لبابة (المتوفى ٣١٤هـ/٢٩٦م)[٧]. ووهب بن مسرة بن مفرج التميمى (المتوفى ٣٤٦هـ/٩٥٧م)[٨]. وسيأتى الحديث عن جهود فقهاء الأندلس فى خدمة المدونة شرحا واختصارا وتبويبا وتفريعا[٩].

وخلاصة القول بعد هذا العرض:

١ - أن المذهب المالكى بدأ انتشاره فى الأندلس مع مطلع القرن الثالث الهجرى،

٢ - وأن علماء قرطبة أدخلوا هذا المذهب إلى بلادهم اعتمادا على الحجازيين والمصريين وعلماء القيروان.

٣ - وأن أهم مؤلفات المالكية بعد الموطأ التى دخلت الأندلس هى "المدونة"، وقد ظهر فيها تلاقى الفقه المدنى بالعراقى وامتزاج الطريقة العراقية فى التفريع الفقهى والافتراضات الفقهية بالطريقة المالكية التى تقتصر على فقه النوازل.

---

١) فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ٢٤٠، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ٦٨.
٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢.
٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٠، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٦٤.
٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٨١، الذهبى: المصدر السابق ج ١٢ ص ٦٤.
٥) فهرسة ابن خير ص ٢٤٠، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٤٢.
٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٧٩.
٧) فهرسة ابن خير ص ٢٤٠، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧.
٨) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢.
٩) راجع عن ذلك بداية من (ص ٧٥٠) من الباب التالى.

والسؤال الآن: هل كان لبغداد دور بارز ومباشر فى تدعيم قرطبة بهذا المذهب الفقهى؟. هذا ما سنجيب عليه فى السطور التالية.

تأثر علماء قرطبة بالمذهب المالكى فى بغداد:

عرفنا من قبل أن المذهب المالكى بدأ فى الانتشار فى بغداد فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، وكان لعائلة "حماد بن زيد بن درهم" الفضل الأكبر فى نشره[١]. ويأتى فى مقدمتهم القاضى البغدادى إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدى (المتوفى ٢٨٢هـ/٨٩٥م) الذى «نشر من مذهب مالك والاحتجاج له ما لم يكن بالعراق فى وقت من الأوقات»على حد تعبير الرواة[٢].

وهذا الفقيه المالكى له فى الفقه المالكى عدد من المؤلفات المهمة كان عليها اعتماد المالكية بالعراق زمنا طويلا. وله كتاب فى " أحكام القرآن" لم يسبق إلى مثله كما يقول ابن فرحون[٣]. وأكبر الظن أنه ضمنه كثيرا من آرائه الفقهية على المذهب المالكى. وهذا الكتاب نقله إلى قرطبةأحد علمائها وهو: أحمد بن دحيم بن خليل أبو عمر القرطبى (المتوفى٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، كتبه ببغداد عن إبراهيم بن حماد بن إسحق (ابن) أخى إسماعيل بن إسحق المذكور[٤].

وقد تتلمذ عدد من علماء قرطبة فى بغداد على الفقيه المالكى إسماعيل بن إسحق، وكان أبرزهم:

١ - أيوب بن سليمان بن حكم أبو سليمان القرطبى (المتوفى ٣٤٦هـ/٩٣٨م)، قال عنه ابن الفرضى: «رحل إلى المشرق ودخل العراق، فسمع بها من قاضى القضاة إسماعيل بن إسحق وغيره، وأدخل كثيرا من كتب العراقيين»[٥].

٢ - قاسم بن أصبغ بن محمد البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م) قال ابن الفرضى: «سمع ببغداد من إسماعيل بن إسحق قاضى القضاة...»[٦]. وقد صنف قاسم بن

---

١) راجع ما ذكرناه عن دور هذه العائلة فى نشر المذهب المالكى بالعراق (ص ١٣٨-١٣٩) من القسم الأول.

٢) راجع ما ذكرناه عن دور هذا الفقيه فى نشر المالكية فى بغداد (ص ١٣٩).

٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ١/٢٨٥، طبقات المفسرين للداودى ١ / ١٠٧.

٤) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١ / ٤٧.

٥) ابن الفرضى ١ / ١٠٣.

٦) ابن الفرضى ١/٤٠٦-٤٠٧، بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٧، الديباج لابن فرحون ١ / ٢٨٤.

أصبغ كتابا تأثر فيه بكتاب شيخه البغدادى إسماعيل القاضى وسماه باسمه، وهو كتاب "أحكام القرآن" وصفه الضبى بأنه «كتاب جليل»[١]، وقال ابن حزم: «ولقاسم بن أصبغ تآليف حسان جدا منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل وكلامه»[٢].

وممن تلقى فى بغداد كتاب "أحكام القرآن" للقاضى إسماعيل ونقله إلى الأندلس أبو حفص عمر بن محمد بن إبراهيم العامرى المعروف بابن الرفا (المتوفى ٣٨٠هـ/٨٩٣م) من أهل بجانة، وكانت له رحلة إلى المشرق وسمع من أبى بكر الأبهرى البغدادى الآتى ذكره[٣].

وفى القرن الرابع الهجرى رحل عدد من علماء قرطبة إلى بغداد، وتتلمذوا على واحد من كبار العلماء المالكية وأئمتهم آنذاك، وهو الإمام القاضى الفقيه المحدث أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح التميمى الأبهرى (المتوفى ٣٧٥هـ/٩٨٥م). وقد ذكرنا عنه من مكانته وإمامته فى العلم والفقه ونصرته للمذهب المالكى والاحتجاج له والتأليف فيه ما يغنى عن إعادته هنا[٤]. وأهم مؤلفاته " شرح " المختصر الكبير فى الفقه المالكى لمحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم الفقيه المالكى المصرى (ت ٢١٤هـ/٨٢٩م)[٥]. وهذا الشرح سمعه من أبى بكر الأبهرى ثلاثة من علماء الأندلس تلقوا عنه الفقه المالكى فى بغداد وعادوا إلى بلادهم بالكتاب، وهم:

١ - عيسى بن سعيد بن سعدان الكلبى أبو الأصبغ القرطبى (المتوفى ٣٩٠هـ/٩٩٩م)، قال ابن الفرضى: (رحل إلى المشرق سنة ٣٧١هـ/٩٨١م فدخل العراق ولقى ببغداد أبا بكر الأبهرى وسمع منه كتابه فى شرح المختصر)[٦].

٢ - إبراهيم بن عمران بن عبد العزيز اللخمى أبو إسحق الإلبيرى (المتوفى٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) قال ابن الفرضى: (رحل إلى المشرق ودخل العراق فلقى الأبهرى وسمع منه وحدث بكتابه فى شرح المختصر وبغير ذلك)[٧].

---

١) بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٨.

٢) رسالة فضل الأندلس لابن حزم المذكورة فى نفح الطيب للمقرى ١٦٩/٣.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٣٩٤.

٤) راجع عن الأبهرى (ص ١٤٠-١٤١) من القسم الأول.

٥) راجع حديثنا عن المختصر وشرحه ما ذكرناه (ص ١٤١).

٦) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٣٧٩/١، الذيل والتكملة لابن عبد الواحد المراكشى - القسم الخامس/ الجزء الثانى، ص ٤٩٤.

٧) ابن الفرضى ٢٨/١ - ٢٩.

٣ - سعيد بن موسى الغسانى الإشبيلى (المتوفى ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) رحل إلى المشرق ودخل بغداد، فسمع بها من أبى بكر الأبهرى "شرح المختصر" وغير ذلك[١].

ولقد كان الأبهرى محط أنظار الأندلسيين والمغاربة «وكانت إليه الرحلة من أقطار الدنيا»كما يقول عنه تلميذه البغدادى الدار قطنى (٣٨٥هـ/٩٩٥م)، ويقول أيضا عنه: «رأيت جماعة من الأندلس والمغرب على بابه»[٢]. ومنهم - غير ما ذكرنا - أبو عبيد الجبيرى وأبو محمد الأصيلى وأبو القاسم الوهرانى وأبو محمد بن أبى زيد[٣].

ويذكر ابن فرحون أن عددا من الأندلسيين تلقوا مقدمة الإمام مالك عن بكر بن محمد ابن العلاء القشيرى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٩٥م) وهو من كبار الفقهاء المالكيين ومن أصحاب إسماعيل بن إسحق القاضى، وأصله من البصرة وسكن مصر وتوفى بها[٤].

ومن كبار علماء الأندلس الذين تتلمذوا فى الفقه المالكى على أئمة المالكية فى بغداد أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى (٤٠٣-٤٧٤هـ/١٠١٢-١٠٨١م) رحل إلى المشرق ودخل بغداد، فأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه على اختلاف مذاهبه، وتتلمذ فى الفقه المالكى على إمام المالكية فى زمنه ببغداد ابن عمروس: محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمروس البزار (المتوفى ٤٥١هـ/١٠٥٩م)[٥].

وقد استطاع أبو الوليد الباجى بعد عودته من رحلته المشرقية وبعد أن حذق علم الخلاف وأصول الجدل وأتقن المناظرة وأصول الفقه أن يكون له أثر كبير فى مناصرة المذهب المالكى بالأندلس وتوضيح مقاصد أحكامه، وفى ذلك يقول الفقيه أبو بكر بن العربى المالكى الإشبيلى (المتوفى٥٤٣هـ/١١٤٨م): «لولا أن الله تعالى من بطائفة تفرقت فى ديار العلم وجاءت بلباب منه كالقاضى أبى الوليد الباجى وأبى محمد الأصيلى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م) فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة، وعطروا أنفاس الأمة الزفرة لكان الدين قد ذهب»[٦].

وابن العربى المالكى نفسه كان من العائدين إلى الأندلس بعلم غزير، وكتب من مؤلفات

---

١) ابن الفرضى ١ / ٢٠٨ - ٢٠٩.
٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ٣٣٢/١٦.
٣) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٠٦/٢.
٤) الديباج ١ / ٣١٣ - ٣١٤.
٥) الديباج ٢٣٨/٢، ج ١ ص ٣٧٨.
٦) الديباج المذهب ١ / ٣٨٤.

المشارقة كتبا كثيرة فى الفقه وغيره، كان لنشرها بالأندلس أطيب الأثر فى تنشيط الحركة العلمية، لكنه كان مبالغا حين قال: «كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضى أبو الوليد الباجى»[١].

تعقيب: والنتائج التى نخرج بها بعد هذا العرض هى:

(١) كان للمذهب المالكى فى بغداد بعض الصدى فى قرطبة، وبعبارة أخرى لقد أسهمت بغداد بدور مباشر فى تدعيم قرطبة بهذا المذهب، خلافا لما ذهب إليه آنخل جونثالث بالنثيا الذى يقول فى كتابه "تاريخ الفكر الأندلسى": «ولم يتبع أحد من أهل الأندلس مدرسة المالكيين العراقيين»[٢]؛ فهذه المقولة تتعارض مع ما سبق أن ذكرناه فى هذا الصدد، ولا تتفق أيضا مع نص عبارة وردت فى سياق الترجمة التى ذكرها الضبى فى "بغية الملتمس" للفقيه المالكى الأندلسى عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن جعفر الأموى المعروف بالأصيلى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وهذه العبارة هى قول الضبى عنه: «كان من حفاظ رأى مالك، إلا أنه كان على مذهب العراقيين من أصحابه»[٣]؛ أى أنه كان يتبع المدرسة العراقية فى الفقه المالكى. وهذا الفقيه كانت له رحلة إلى العراق، والتقى فى بغداد بالعالم المالكى المعروف بالأبهرى (المذكور آنفا) وأخذ عنه.

(٢) وهذا التأثير البغدادى على قرطبة فى دراسة الفقه المالكى جاء متأخرا، أى بعد أن اشتد عود المذهب فى قرطبة اعتمادا على المدينة النبوية ومصر. وهذا شئ بدهى، لأن المذهب المالكى لم ينتقل من المدينة إلى العراق إلا فى خلال النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى كما ذكرنا من قبل، فى حين أن هذا المذهب قد استقر العمل به فى قرطبة فى النصف الأول من ذلك القرن، ومن ثم فإن الفضل الأول فى نشر الفقه المالكى بالأندلس يرجع إلى المدينة النبوية ثم مصر، ثم بغداد.

****

١) أزهار الرياض للمقرى ٣/٦٣ – تحقيق سعيد أمد أعراب، ومحمد بن تاوت، وعبد السلام الحمراس – ط الرياض ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

٢) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلس ص ٤١٥ (ترجمة حسين مؤنس).

٣) الضبى: بغية الملتمس ص ٣٤٠ – ٣٤١.

دخول المذهب الشافعي إلى قرطبة:

ولقد كان السلوك المفرط فى الولاء للمذهب المالكى والأساليب التى اتبعها فقهاء المالكية بالأندلس للتمكين لهذا المذهب وفرض قواعده على اتجاهات التفكير الأندلسى قد ضيق دائرة البحث فى المجال الفقهى زهاء قرن من الزمان منذ دخول المذهب المالكى قرطبة فى أواخر القرن الهجرى الثانى حتى قيام رجال الحديث القرطبيين - من أمثال بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح والخشنى - بمحاولاتهم التى تتمثل فى جلب كتب فقه السنن من العراق[١]، والتى ترتب عليها إضعاف قبضة الفقهاء المالكية على اتجاهات الحياة الفكرية وإتاحة الفرصة أمام الدعوة للمذاهب الفقهية الأخرى الواسعة الانتشار بالمشرق الإسلامى.

وكان الجو العام فى المراكز المشرقية وخاصة العراق ومصر هو الانفتاح على كل المذاهب الفقهية التى ظهرت فى القرنين الثانى والثالث الهجريين واتساع دائرة البحث الفقهى، و لم يعهد فى تلك المراكز مثل هذا التشدد للمذهب المالكى وحده مثلما كان عليه الأمر فى قرطبة، وإنما كان الفقهاء فى العراق ومصر أكثر تسامحا وانفتاحا فى هذا المجال، مما أتاح للدراسات الفقهية أن تنشط وتزدهر.

بقى بن مخلد وأولى المحاولات:

وقد عاش عدد من علماء قرطبة هذا الجو العام فى المشرق، فتأثروا به، وعزموا على نقل ما يجد من اتجاهات فى هذا المجال إلى بلادهم. وكانت أولى المحاولات التى قام بها علماء قرطبة فى هذا الشأن هى المحاولة التى قام بها بقى بن مخلد. وقد عرفنا عنه أنه قام برحلة إلى العراق ومصر وغيرهما، والتقى هناك بعدد كبير من أكابر المحدثين والفقهاء، فتتلمذ عليهم، وجلب معه إلى قرطبة عددا من المؤلفات المهمة والجديدة فى الحديث والفقه، أهمها "مصنف" ابن أبى شيبة البغدادى، وكتاب "الفقه الكبير" للإمام الشافعى، وهو كتابه المعروف "بالأم"[٢]. وبهذا يكون بقى بن مخلد أول من أدخل فقه الشافعى إلى قرطبة، وأتاح لطلبته الاطلاع عليه.

والحق أن محاولة بقى بن مخلد لم تكن دعوة إلى إدخال مذاهب فقهية أخرى بعينها بقدر ما كانت دعوة إلى إقناع المجتمع القرطبى بقبول اتجاهات فقهية تعيش جنبا إلى جنب مع المذهب المالكى. ولقد تميز أسلوبه بالحكمة حين «قصر دعوته على الاعتماد فى استنباط الأحكام على الأحاديث التى صح سندها إلى الرسول ﷺ، وأنه لا يصح أن يغير الإنسان

---

١) سبق الحديث عن هذه المحاولة فى المبحث الخاص بالحديث النبوى من هذا الفصل ٥١٧ وما بعدها.

٢) راجع ما كتبناه عن بقى بن مخلد بداية من الصفحة ٣٧ وما بعدها.

تفكيره بتقليد مذهب بعينه ما دام فى السنة متسع للبحث والنظر وإعمال الفكر»[١]، وكان مصنف ابن أبى شيبة وكتاب "الأم" للشافعى اللذين أدخلهما قرطبة أهم المؤلفات التى اعتمد عليها فى تنفيذ هذه الفكرة والدعوة إليها.

وهذا الاتجاه الذى سبق إليه بقى بن مخلد واستنه لطلاب العلم من بعده كان من آثاره أن بدأت تظهر نزعة التخير فى الاتجاه الفقهى وفى كثرة جلوس الطلاب إلى شيوخ المذاهب الأخرى فى المشرق؛ فمنهم من جلس إلى الشافعية، ومنهم من جلس إلى الحنابلة، ومنهم من جلس إلى فقهاء الظاهرية. ويظهر بوضوح فى تراجم العديد من رجال القرن الرابع الهجرى الأندلسيين هذا النزوع إلى التحرر الفكرى والتخير ونبذ التقليد. ويلاحظ أن مذهب الشافعى ومذهب داود الظاهرى كانا أكثر المذاهب الفقهية - إلى حد ما -بعد المذهب المالكى عند القرطبيين.

تلاميذ بقى بن مخلد الذين درسوا الفقه الشافعى:

وقد خلف بقى بن مخلد من بعده نفرا من تلاميذه الذين درسوا المذهب الشافعى على يديه نذكر منهم:

١ - هارون بن نصر، أبو الخيار القرطبى (المتوفى ٣٠٢هـ/٩١٤م). قال عنه ابن الفرضى: «صحب بقى بن مخلد نحوا من أربعة عشر سنة، وأكثر الرواية عنه، وكان قد مال إلى كتب الشافعى فعنى بها وحفظها وتفقه فيها، وكان من أهل النظر والحجة»[٢].

٢ - أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد، أبو الجعد القرطبى (المتوفى٣١٩هـ/٩٣١م). صحب بقى بن مخلد طويلا وسمع منه، وكانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، فلقى جماعة من فقهاء الشافعية بمصر وسمع منهم كثيرا، منهم المزنى والربيع بن سليمان صاحب الشافعى وغيرهما، وتولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين فى عهد الناصر[٣] (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩٦١-٩٧٦م). وهذا العالم هو الذى أدخل إلى قرطبة كتاب "الرسالة" للشافعى، رواه عن الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى[٤]، وهو كتاب فى أصول الفقه كما أوضحنا من قبل.

---

١) مصطفى محمد إبراهيم: الحياة العلمية بقرطبة فى عصر الناصر والمستنصر - رسالة دكتوراة / كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٩٨١ م - ص ٢٦٣.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٦٦.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ١٠٥، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٣٩، الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٠٦-١٠٩، ص ١١١.

٤) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١٦٠ - ١٦١.

ومن الواضح أن اعتناق قاضى الجماعة لمذهب الشافعى يعد سببا قويا فى التمهيد لقبول هذا المذهب بين جموع الأندلسيين، ذلك أن مكانة القاضى - قاضى الجماعة - وهى أعلى المناصب العلمية بقرطبة كان لها تأثيرها المباشر والفعال فى قبول الناس أو رفضهم لبعض الاتجاهات الفقهية.

دور قاسم بن محمد بن سيار القرطبى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٩٠م):

وقد عرف المذهب الشافعى طريقه إلى الأندلس - إلى جانب جهود بقى بن مخلد - بتلك الجهود التى بذلها معاصره قاسم بن سيار القرطبى[١] (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٩٠م) الذى جلس فى مصر إلى كبار فقهاء الشافعية من أمثال محمد بن عبد الله بن الحكم والمزنى والبرقى (محمد بن عبد الرحيم) والحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن محمد الشافعى وغيرهم، وكان ملازما لابن عبد الحكم والمزنى للتفقه، وأخذ عنهما أصول المذهب الشافعى، فلما عاد إلى قرطبة أنكر على الفقهاء تقليدهم لما كان عليه شيوخهم، وألف كتابا للرد عليهم سماه "الرد على المقلدة"[٢]، أو "الإيضاح فى الرد على المقلدين"[٣]. وقد أثنى ابن الفرضى على هذا الكتاب فقال: «كتاب نبيل يدل على علم»[٤].

ويبدو أن قاسم بن محمد قام بدراسة أكثر من مذهب، أو على الأقل قارن بين المذهبين المالكى والشافعى ومال فى النهاية إلى الثانى، وأصبح يوجه الطلاب إليه ويحثهم عليه، ويظهر ذلك جليا فى وصيته لابنه محمد التى جاء فيها: «وإذا أردت أن تأخذ من هذا الأمر بحظ - يعنى الفقه - فعليك برأى الشافعى، فإنى رأيته أقل خطأ»[٥].

ولم يقتصر قاسم بن محمد فى دراسة المذهب الشافعى على مصر، وإنما رحل فى سبيل

---

١) من مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٣٩٧، جذوة المقتبس للحميدى ج ٢ ص ٥٢٤ - ٥٢٥، بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٦، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٥٠-٥١، الديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ص ١٤٣-١٤٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥، شذرات الذهب للعكبرى ج ٢ص ١٧٠.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٩٩، ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ١٤٤، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٥١.

٣) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٣٤٤، الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٥٢٤، الضبى: بغية الملتمس ص ٤٤٦.

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٩٩.

٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩٨، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٥١.

ذلك أيضا إلى العراق، وأثنى عليه العراقيون لبراعته فى الفقه[١]. وكان يجرى مجرى البغداديين فى دراسة هذا المذهب كما يشير ابن حزم الأندلسى[٢].

ونسجل هنا ملاحظة مهمة، وهى إنه على الرغم من أن المذهب الشافعى قد دخل قرطبة على يد بقى بن مخلد وقاسم بن محمد المذكورين، ومال إليه بعض تلامذتهما إلا أنه حتى ذلك الحين لم يكن له ذلك الذيوع والانتشار الذى كان للمذهب المالكى وقت دخوله الأندلس، وكان قاسم بن محمد (أحد من حملوا أصول المذهب الشافعى إلى قرطبة) يفتى بمذهب مالك ويتحفظ كثيرا من مخالفة المالكية، وإذا سأل فى ذلك يقول: «إنما يسألوننى عن مذهب جرى فى البلد يعرف فأفتيهم به، ولو سألونى عن مذهبى أخبرتهم»[٣].

جهود أخرى لنشر المذهب الشافعى فى قرطبة:

وفى أخريات القرن الثالث الهجرى رحل عالم قرطبى آخر إلى مصر وتتلمذ بها على الفقهاء الشافعية وهو يحيى بن عبد العزيز، أبو زكريا المعروف بابن الخراز (المتوفى٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)، وقد جلب معه إلى قرطبة كتابين من أهم كتب المذهب الشافعى، وهما " كتاب الرسالة" فى أصول الفقه للإمام الشافعى، و" مختصر" المزنى (إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزنى) صاحب الشافعى، وسمعهما الطلبة عليه بقرطبة[٤].

وفى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى تهيأ للدعوة إلى المذهب الشافعى أحد أفراد البيت الحاكم، وهو الأمير عبد الله بن الخليفة عبد الرحمن الناصر، ويعد شخصية هامة فى المجتمع القرطبى، فقد اعتنق هذا المذهب وشجع على دراسته وقام بجمع مصنفاته وإدناء معتنقيه[٥]؛ فكان من مقربى الشافعية إليه والمختصين به بحيث لا يكاد يفارقه: الفقيه القرطبى أحمد بن محمد بن عبد البر (من موالى بنى أمية) الذى تتلمذ على كبار شيوخ قرطبة، وبخاصة الشافعية منهم، مثل أسلم بن عبد العزيز قاضى الجماعة المذكور آنفا[٦].

---

١) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩.
٢) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٧١.
٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ١٤٤.
٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٨٢، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٦٢٧.
٥) الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٤١٤ - ٤١٥، ابن الأبار: الحلة السيراء ج ١ ص ٢٠٦-٢٠٧، الضبى: بغية الملتمس ص ٣٤٦-٣٤٧، ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج ٢ ص ٧٧٩، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٣٠٩-٣١٠، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٢.
٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٥٠-٥١، ابن الأبار: الحلة السيراء ج ١ ص ٢٠٧.

رحلة الفقهاء الشافعية من بغداد إلى قرطبة:

ومن الملاحظ أن دخول المذهب الشافعى إلى قرطبة كان بعد منتصف القرن الثالث الهجرى، ومنذ ذلك التاريخ وإلى أخريات هذا القرن نفسه كان اعتماد علماء قرطبة على علماء مصر واضحا فى هذا المجال. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن المذهب الشافعى فى القرن الثالث الهجرى كان منتشرا فى مصر أكثر من سواها كما يشير ابن خلدون فى مقدمته[١]، مع أن الشافعى بدأ فى تأليف كتبه وإملائها ببغداد مثل كتاب "الأم" - ويسمى أيضا "المبسوط" - وكتاب "الرسالة" فى أصول الفقه، كما أوضحنا من قبل. وفى الوقت الذى تهيأت الأسباب التى أدت إلى انتشار هذا المذهب بالعراق مع مطلع القرن الرابع الهجرى[٢] بدأ ينتقل إلى قرطبة فى ذلك القرن عن طريق عدد من الفقهاء الشافعية البغداديين كان من أبرزهم اثنان:

الأول: عبيد الله بن عمر بن أحمد بن جعفر القيسى الشافعى، أبو القاسم البغدادى[٣]. ولد فى بغداد سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م، وتفقه بها على رؤساء الشافعية البغداديين من أمثال الإصطخرى (أبى سعيد الحسن بن أحمد المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م)[٤] والصيرفى (أبى بكر محمد بن عبد الله المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)[٥]. والمروزى (أبى إسحق إبراهيم بن أحمد المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م)[٦]. والقاضى المحاملى (أبى عبد الله الحسين بن إسماعيل المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)[٧]. وقد أكسبه ذلك فهما للمذهب الشافعى، وفى هذه الناحيةأثنى عليه ابن الفرضى بقوله: «تفقه ببغداد على مذهب الشافعى، وتحقق وناظر فيه». وقال أيضا: «كان فقيها على مذهب الشافعى إماما بصيرا، عالما بالأصول والفتوى، حسن النظر القياس، وكان مع ذلك إماما فى القراءات، ضابطا للحروف، كثير الرواية للحديث...

---

١) عبارة ابن خلدون:«وأما الشافعى فمقلدوه (أى أتباعه) بمصر أكثر مما سواها...»(انظر مقدمة ابن خلدون ج ٣ ص١٠٥٢) (ط / على عبد الواحد وافى).

٢) تكلمنا عن ذلك باستفاضة فى الفصل الخاص بعلم الفقه - القسم الأول - (ص ١٤٤- ص ١٥١).

٣) ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٢٩٥-٢٩٧، بغية الملتمس للضبى ص ٣٥٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ ص ٣٤٣.

٤) له ترجمة فى طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٢.

٥) له ترجمة فى طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٣، تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٤٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ ص ١٨٦، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ١٩٣.

٦) له ترجمة فى طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٦-٦٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٧.

٧) له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٨/١٠٩-٢٣، سير أعلام النبلاء ج ١٥/٢٥٨-٢٦١.

وكان التفقه أغلب عليه من الحديث»[١].

وهذا العالم قدم قرطبة سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، وبقى فيها يعلم ويدرس الفقه الشافعى قرابة ثلاث عشرة سنة، حيث كانت وفاته فى العاصمة الأندلسية (سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، وكان الحكم المستنصر يكرم وفادته ويوسع له ويتألفه بالعطاء ويجله ويعظمه كثيرا[٢]. وقد ألف عدة مؤلفات فى الفقه الشافعى والحديث والفرائض والقراءات وغيرها[٣]، مما يدل على عظم النفع به فى تنشيط الدراسات الشافعية بقرطبة.

ومن تلاميذه القرطبيين الذين صاحبوه وتفقهوا على يديه فى المذهب الشافعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس، أبو عمر القرطبى المعروف بابن صلى الله (المتوفى٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، قال عنه ابن الفرضى: «كان رجلا حافظا للفقه، عالما بالاختلاف، ذكيا بصيرا بالحجاج، حسن النظر، يميل إلى مذهب الشافعى، وصحب عبيدا الشافعى، وتفقه معه، وناظر عليه، وكان من جملة المقابلين للمستنصر بالله»[٤].

والثانى: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبى بردة، أبو الطيب البغدادى الشافعى تفقه فى بغداد على أبى سعيد الإصطخرى وأبى بكر إسحق المروزى رئيسى الشافعية فى وقتهما. وكان جلوسه إلى هؤلاء الشيوخ فى بغداد قد أورثه فهما واسعا، ولذا كان يفضلهم على فقهاء الشافعية فى مصر، وهذا المعنى أشار إليه هو بقوله: «حججنا سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (٣٢٤هـ/٩٣٥م)، وقدمت مصر، فألفيت بها أصحاب يونس بن عبد الأعلى والمزنى والربيع بن سليمان (وهم من الفقهاء الشافعية) فما كتبت عنهم شيئا، ولقد صغروا فى قلبى لما كنت أعرفه من رجال بغداد»[٥]. وقد أثنى عليه ابن الفرضى صاحب كتاب "تاريخ علماء الأندلس" - وكان صديقا له - فقال: «كان من أعلم الناس بمذهب الشافعى، وأحسنهم قياما به، لم يصل إلى الأندلس أفهم منه بالمذهب»[٦]. وكان وصوله إلى قرطبة سنة ٣٦١هـ/٩٧١م. وتقديرا لمكانته العلمية فقد أكرم الحكم المستنصر وفادته، وأمر بإجراء النزل عليه، وبقى فى قرطبة يعلم الناس الفقه الشافعى حتى خرج منها

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٩٥-٢٩٦.
٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٧، السبكى: طبقات الشافعية ج ٣ ص ٣٤٣.
٣) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٢٩٧.
٤) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٥٩.
٥) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١١٦.
٦) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١١٦.

سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م إلى المغرب ومات فى تلك السنة[١].

هذا، وقد ذكر ابن بشكوال فى كتاب "الصلة" عددا من الفقهاء الشافعية عراقيين ومصريين وشاميين دخلوا الأندلس فى آخر عهد الأمويين، وعملوا على نشر المذهب الشافعى بها[٢].

ومما لا شك فيه أن مقدم هؤلاء الشيوخ البغداديين إلى قرطبة وقيام الأمراء على رعايتهم كان له آثاره الإيجابية فى نشر المذهب الشافعى وزيادة الإقبال عليه والرغبة فى دراسته.

رحلة بعض علماء قرطبة إلى بغداد لدراسة المذهب الشافعى:

وفى المقابل اهتم بعض الأندلسيين بالرحلة إلى بغداد لدراسة الفقه الشافعى مثل عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وهو من أصيلة بالمغرب، قدم قرطبة سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م، وتفقه على عدد من علمائها، ثم رحل إلى المشرق سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م ودخل بغداد، وسمع على بعض فقهائها الشافعيين، وتفقه أيضا فى المذهب المالكى والحنفى، ثم عاد إلى قرطبة فى آخر أيام الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، وجمع كتابا فى اختلاف الأئمة: مالك والشافعى وأبى حنيفة سماه كتاب "الدلائل على أمهات المسائل"[٣]. ويتضح من عنوانه أنه فى الفقه المقارن، وأنه تضمن جانبا من أصول الفقه الشافعى.

ورحل إلى المشرق أبو الحسن على بن سعيد العبدرى (المتوفى بعد عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م) وهو من جزيرة ميروقة. وتفقه ببغداد عند أبى شاكر الشاشى الفقيه الشافعى ودون عنه آراءه فى كتاب، وسمع منه الخطيب البغدادى صاحب " تاريخ بغداد" [٤].

وقد مكث أبو على الصدفى السرقسطى المعروف بابن سكرة (المتوفى٥١٤هـ/١١٢٠م) خمس سنين فى بغداد يتلقى الفقه الشافعى عن أبى بكر الشاشى، ولم يتركه حتى علق عنه (تعليقته الكبرى) فى فقه الخلاف[٥].

---

١) ابن الفرضى: المصدر نفسه، ونفس الجزء والصفحة، والوافى بالوفيات٢/٢٥١، ابن هداية الله: طبقات الشافعية ص ٩٧.

٢) ابن بشكوال: الصلة ص ١٣ (رقم ٢٦٩)، ص ١٨١-١٨٢ (رقم ٤١٥)، ص ١٩٢ (رقم ٤٣٨)، ص ٦٠٠ (رقم ١٣١٥، ١٣١٧).

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٩٠-٢٩١، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٤٠٠-٤٠١، الضبى: بغية الملتمس ص ٣٤٠-٣٤٢.

٤) الصلة لابن بشكوال ص ٤٢٢.

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ١/٣٣٠-٣٣١.

والخلاصة:

(١) أن الفقه الشافعى وجد مكانا فى قرطبة حينما أتيحت الفرصة أمام الدعوة للمذاهب الأخرى غير المذهب المالكى وظهور نزعة التخير فى الاتجاه الفقهى.

(٢) وكانت مصر (فى القرن الثالث الهجرى) ثم بغداد (فى القرن الرابع) فى مقدمة المدن التى شاركت فى نقل هذا المذهب إلى العاصمة الأندلسية.

(٣) ومع أن المذهب الشافعى عاصر المذهب المالكى إلا أنه لم يكن له كبير حظ، لغلبة المذهب المالكى على الحياة التعليمية والتشريعية، وهو المذهب الرسمى للدولة.

انتقال المذهب الظاهرى[١] من بغداد إلى قرطبة:

وقد عرفنا من قبل أن المذهب الظاهرى نشأ فى بغداد على يد مؤسسه داود بن على الأصفهانى البغدادى (المتوفى ٢٧٠هـ/٨٨٣م) واستمر وجوده إلى نهاية القرن الرابع الهجرى، ثم بدأ فى الأفول بعد ذلك. وكان لأتباعه طريقة فى الاستدلال تختلف عن طريقة المذاهب الأخرى التى عاصرها كما أوضحنا[٢]. فكيف عرف هذا المذهب فى قرطبة؟ وما هى المكانة التى كان يتمتع بها بين أهلها؟. وللإجابة عن ذلك نقول:

كان أول من نشر مبادئ المذهب الظاهرى فى قرطبة عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال أبو محمد القرطبى (المتوفى ٢٧٢هـ/٨٨٥م)، وكان من أوائل الظاهريين بعامة إذ إن المذهب ظهر فى بغداد فى منتصف القرن الثالث الهجرى، وكان مالكيا إلا أن علم داود الظاهرى كان أغلب عليه كما يقول ابن الفرضى[٣]، حيث تتلمذ على داود فى بغداد، ونسخ كتبه بخطه، - مثل كتاب " إبطال القياس " وكتاب " الإيضاح " وغيرهما - وأقبل بها إلى قرطبة. وكان ابن قاسم إلى جانب ذلك من العارفين بمذهب الشافعى، ولكنه انصرف بكليته إلى مذهب داود واجتهد فى نشره. ويبدو أنه لم يوفق فيما رمى إليه، إذ إن علماء قرطبة لم يلقوا كتب داود الظاهرى بالقبول[٤].

---

١) سبق التعريف بالمذهب الظاهرى ومؤسسه داود بن على الأصفهانى المتوفى ٢٧٠ هـ وذلك فى القسم الأول (ص ١٥٥ - ١٥٧).

٢) راجع ص [١٥٦] من القسم الأول.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٥٧.

٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٧، وانظر تاريخ الفكر الأندلسى لآنخل جنثالث بالنثيا ص ٤٣٩.

ولعل هذا الموقف من علماء قرطبة مشابه لموقف علماء بغداد فى الرد على داود الظاهرى وتلامذته بسبب رفضه القياس واعتماده على ظاهر النصوص فى الاستدلال الفقهى.

ومن بعد ابن هلال لم تجد هذه الدعوة من يقوم بها حتى ظهر فى قرطبة عالم آخر غلب عليه التفقه بمذهب داود الظاهرى، وهو قاض الجماعة منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطى القرطبى[١] (٢٧٣-٣٥٥هـ/٨٨٧-٩٦٦). كانت له رحلة إلى المشرق عاد منها بكتاب "الإشراف" فى الاختلاف الفقهى لمحمد بن المنذر النيسابورى، وكتاب "العين" فى اللغة للخليل ابن أحمد الفراهيدى البصرى[٢]. كما أنه تلقى فى هذه الرحلة أصول المذهب الظاهرى، وعند عودته إلى بلده أنكر تقليد المالكيين، واجتهد فى إذاعة دراسة هذه الأصول فى حرية. وفى ذلك يقول ابن الفرضى: «كان مذهبه فى الفقه مذهب النظر والاحتجاج وترك التقليد، وكان عالما باختلاف العلماء، يميل إلى رأى داود ويحتج له»[٣].وقال ابن حزم عنه: «كان داودى المذهب قويا على الانتصار له»[٤].

والدعوة إلى ترك التقليد وفتح باب الاجتهاد لكل أحد هى من أصول مذهب داود الظاهرى، وقد عرفنا من قبل أن لداود كتاب "إبطال التقليد" [٥]. وكان ذلك من أسباب شدة المعارضة لهذا المذهب، سواء فى بغداد أم فى قرطبة.

وتدلنا النصوص على أن دعوة منذر بن سعيد إلى الظاهرية كانت محدودة، ولم يعرف أحد من طلبة العلم أخذ عنه هذا المذهب، وذلك لغلبة المذهب المالكى على الفتيا وشئون الحياة بالأندلس، يقول المقرى: «كان منذر متفننا فى ضروب العلم، وغلب عليه التفقه بمذهب أبى سليمان داود بن على المعروف بالظاهرى، فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به نفسه وذويه، فإذا جلس للحكومة (أى للقضاء) قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، وهو الذى عليه العمل بالأندلس، وحمل السلطان أهل مملكته عليه»[٦]. هذا، على الرغم من أن هذا العالم كان فيه من الصفات الجليلة ما رشحه أن يكون ذا شخصية علمية

---

١) له ترجمة فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ١٤٢-١٤٣، بغية الملتمس للضبى ص ٤٦٥-٤٦٦، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ١٦-٢٢، قضاة قرطبة للخشنى ص ١٢.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٤٢، ياقوت: معجم الأدباءج ١٩ ص ١٧٤.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة

٤) نفح الطيب للمقرى ١٦٩/٣.

٥) راجع ص (١٥٦) من القسم الأول.

٦) المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٢١.

راسخة وإماما كبيرا[١]، إلا أن أهل قرطبة لم يميلوا إلى مذهبه كما فعلوا مع ابن قاسم الظاهرى من قبل.

وقد ضعف صوت الظاهرية بعد منذر بن سعيد، وتوقف انتشارها أيام المنصور بن أبى عامر، ولم تكد أيامه تنقضى حتى ظهر المذهب من جديد وعاد قويا مع ظهور ابن حزم القرطبى (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) أحد رجالات عصر الطوائف. وهذا العالم جادل عن المذهب الظاهرى بقوة وبقى عليه حتى آخر أيامه، واستخدم كل ما يملك من منطق وعلم وموهبة وحوار جاد وتأليف المصنفات ليدفع عنه تهجم فقهاء المالكية فى عصره. وستكون لنا عودة إليه لبيان جهوده فى نصرة هذا المذهب[٢].

والخلاصة أن المذهب الظاهرى هو أحد المذاهب الفقهية التى أفرزتها الحركة العلمية الخصبة فى بغداد وتأثر به الفكر الأندلسى على يد نفر من فقهاء قرطبة تعلموا فى بغداد، وتتلمذ أحدهم على يد مؤسس الظاهرية داود بن على. ولم يكن لهذا المذهب ذيوع فى قرطبة، ولم يتمتع بشعبية، بل كان أقل المذاهب شيوعا بعد المذهبين المالكى ثم الشافعى. ولعل رفض المجتمع القرطبى لهذا المذهب يرجع إلى الأصول التى بنى عليها والتى تتعارض فى جانب منها مع أصول المالكية التى تمثل المذهب الرسمى للدولة فى الفتيا والقضاء والتعليم.

هل كان للمذهب الحنبلى وجود فى قرطبة؟

أما المذهب الحنبلى - الذى نشأ فى بغداد - فلم يتح له أن يظهر بالأندلس، لأنه لم يكن يوجد من يدعو إليه، على الرغم من أن بقى بن مخلد كان قد جلس فى بغداد إلى الإمام أحمد ابن حنبل وأخذ عنه ونال حظوة عنده[٣]. وكذلك محمد بن عبد السلام الخشنى[٤]. كما أن كثيرا من تلامذة بقى بن مخلد حرصوا على الجلوس إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل فى بغداد، من أمثال قاسم بن أصبغ[٥] ومحمد بن عبد الملك بن أيمن[٦] وغيرهما ممن دخل على أيديهم

---

١) يقول المقرى معددا صفاته: «كان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه، شديد العارضة، حاضر الجواب عتيده، ثابت الحجة، ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لأهل الطلب وانحطاط إليهم وإقبال عليهم» كما أنه كان قاضيا للجماعة بقرطبة ستة عشر عاما (نفح الطيب ج ٢ ص ٢١).

٢) راجع عنه بداية من (ص)٧٥١ - ٧٥٣) فى الباب التالى.

٣) راجع ما كتبناه عن بقى بن مخلد (ص ٥١٧ - ٥١٨) وما بعدها.

٤) راجع عن الخشنى (ص ٥٢٥).

٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٠٧.

٦)ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢.

مسند الإمام أحمد وكتابه " العلل" فى الحديث[١].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض المؤلفات الحديثة قد أشارت إلى أن المذهب الحنبلى قد دخل الأندلس على يد بقى بن مخلد[٢]. وهذا القول مردود، لأن هناك فرقا بين أن يدخل الأندلس مسند الإمام أحمد بن حنبل (وهو كتاب فى المرويات الحديثية) وبين أن يدخل المذهب نفسه، فإدخال المذهب يحتاج إلى أكثر من الدخول بهذه الصورة، يحتاج إلى بث الدعوة إليه وتدريس أصوله ومسائله بغرض الوقوف على المذهب قبل أى شئ آخر، وهذا لم يحدث فى الأندلس، ولم يأت فى المصادر إشارة إلى ذلك فى حدود علمنا. فى حين أن محاولات الدعوة إلى المذاهب الفقهية الأخرى - كالأوزاعية والمالكية والشافعية - كانت واضحة، وأنها كانت مدعمة بالجد فى سبيل فرضها بالمجتمع الأندلسى، وهو الأمر الذى لم يعهد مع المذهب الحنبلى. وعليه فإن جلوس بقى بن مخلد وتلامذته وبعض الطلبة الآخرين إلى الفقهاء الحنابلة فى بغداد كان يهدف إلى تحقيق نزعة التخير وسعة الصدر فى قبول الآراء الفقهية الأخرى، وأن الهدف من جلب مسند الإمام أحمد - كما يظهر لنا - لما كان يحويه من آلاف الأحاديث التى لا توجد فى غيره من مصنفات الحديث.

****

تعقيب عام:

وبعد... فهذه هى المذاهب التشريعية التى وجدت مكانا لها فى قرطبة والمدن الأندلسية الأخرى، وقد كان المذهب المالكى أوسعها انتشارا، وأصبح يمثل المذهب الرسمى للدولة، بحيث يمكن القول: إن الحياة العلمية والتشريعية (الفتيا - القضاء - الحسبة - الشورى - الوثائق... الخ) وكذلك الحياة العامة قد تشكلت طبقا لأصول وأحكام هذا المذهب.

وقد أبرزنا دور بغداد فى إمداد قرطبة بهذه المذاهب الفقهية، وإذا كان دورها يتضاءل إذا قورنت بالمدينة النبوية فى تدعيم الأندلس بالمذهب المالكى فإن هذا الدور يتضاعف إلى جانب مصر بالنسبة للمذهبين الشافعى والظاهرى. ومع ذلك لم يشأ للمذهبين الأخيرين أن يكون لهما فى قرطبة ما للمذهب المالكى من ذيوع وانتشار. ومن الغريب أن المذهب

---

١) انظر أسماء العلماء الذين أدخلوا المسند إلى قرطبة: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٦، ٢٨٨-٢٨٩ وفهرسة ابن خير ص ١٣٩-١٤٠.

٢) كامل الكيلانى: تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٨٠ - الطبعة الأولى.

الحنبلى كان له وجود كبير فى بغداد، إلا أنه لم يوجد من علماء الأندلس من يولى له اهتماما ويعمل على إدخاله إلى بلده.

وبهذا التعقيب نكون قد انتهينا من الحديث عن تأثير المشرق الإسلامى وحاضرته بغداد على الحاضرة الأندلسية قرطبة فى مجال الفقه والتشريع. أما دور الأندلسيين فى إثراء هذه المذاهب بالدراسة والبحث فإن لذلك موضعا آخر سنعود إليه إن شاء الله.

وننتقل الآن إلى مجال علوم اللغة والأدب لنعرف كيف وجدت طريقها إلى الأندلس.

****

الفصل الثانى
علوم اللغة والأدب

مدخل: حظيت علوم اللغة والأدب بعناية الأندلسيين كثيرا. وقد كان هناك عاملان جعلا اللغة العربية تسيطر مع مرور الزمن على جميع مجالات الثقافة والفكر والحياة اليومية فى الأندلس، وهما:

الأول: أنها لغة الدين الإسلامى الذى دخلت فيه نسبة كبيرة من السكان الأصليين.

والثانى: أنها لغة الحكم والإدارة، حيث حرص الحكام والأمراء على اختيار مناصب الكتاب والوزراء وغيرها من بين البارزين فى علوم اللغة العربية. كما أن تعريب الدواوين والمعاملات التجارية أجبر السكان جميعا على اختلاف أديانهم على تعلم هذه اللغة.

وهناك عامل آخر كان له أثره القوى فى ترسيخ الملكة اللغوية فى الأندلس وتنميتها وتطوير حركة التدريس اللغوى ومجالات التأليف، وهو هجرة الأندلسيين للأخذ عن علماء المشرق والسعى إلى لقائهم ورواية الأصول عنهم، وكذلك هجرة بعض المشارقة من علماء اللغة إلى قرطبة، وهؤلاء أضافوا إلى جهود إخوانهم الأندلسيين فى هذا الميدان جهودا جديدة. ثم هناك هجرة الكتب المشرقية على مر الزمن إلى الأندلس، حتى إننا لنجد ثقافة كل جيل فى علم اللغة لاتقتصر على الأصول القديمة ولا على ما ألفه الأندلسيون أنفسهم، بل ينضاف إليها دائما ما يجد من مؤلفات مشرقية فى هذا المجال[1].

وهذا العامل الأخير لم يكن مقصور الأثر على الميدان اللغوى فحسب، وإنما كان له أثره فى جميع جوانب الحياة العلمية بالأندلس كما رأينا فى عرضنا للمجالات الثقافية السابقة، وكما سنرى فيما يأتى من الحديث عن مجالات أخرى.

الرحلة ولقاء اللغويين والنحويين المشارقة:

وقد كانت صلة علماء قرطبة بالأساتذة المشرقيين وبالإنتاج المشرقى فى ميدان اللغة قوية. وتمدنا المصادر بمعلومات وفيرة عن الاتصال المباشر بمشاهير اللغويين البصريين والكوفيين والبغداديين والمصريين من أمثـــال الأصمعى (ت ٢١٦هـــ/٨٣١م) وأبى حاتم السجستانى

١) راجع إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ص ٤٥.

(ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) والكسائى (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) وغيرهم، وهم جميعا ممن نزل بغداد ونشروا فيها علمهم كما عرفنا من قبل، بل إن بعض علماء قرطبة ممن استأثرت اللغة باهتمامهم لم يقتصروا فى رحلتهم إلى المشرق على التلقى من مشايخ اللغة، وإنما توغلوا فى الطلب كما يفعل المشارقة أنفسهم، فلقوا الأعراب وشافهوهم وأخذوا اللغة عنهم مباشرة، كما فعل عبد الرحمن بن موسى الهوارى الذى رحل إلى المشرق فى زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)[١].

ويحسن أن نذكر أسماء بعض علماء قرطبة الذين رحلوا إلى العراق وتلقوا اللغة من أعلامها هناك خلال القرون الثانى والثالث والرابع من الهجرة:

(أ) علماء من القرن الثانى الهجرى:

١ - عبد الرحمن بن موسى الهوارى المذكور قبل قليل. لقى فى رحلته إلى العراق الأصمعى (٢١٦هـ/٨٣١م) وأبا زيد الأنصارى (ت ٢١٦هـ/٨٣١م)[٢].

٢ - جودى بن عثمان النحوى، من أهل مورور[٣]. رحل إلى العراق فلقى ببغداد الكسائى (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، والفراء (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) وأبا جعفر الرؤاسى الكوفى وغيرهم. وهو أول من أدخل كتاب الكسائى فى النحو إلى قرطبة، وسكنها بعد رجوعه من المشرق، وتوفى سنة ١٩٨هـ/٨١٤م[٤].

٣ - الغازى بن قيس القرطبى (المتوفى سنة ١٩٩هـ/٨١٥م) أحد المؤدبين بقرطبة. رحل إلى المشرق وأدرك الأصمعى ونظراءه. وقد عرفنا أنه أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع إلى الأندلس[٥].

(ب) ومن علماء القرن الثالث الهجرى:

١- محمد بن سوار بن طارق (المتوفى سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م). كان من أهل العلم باللغة متفننا فى علم الأدب، رحل إلى البصرة ولقى أبا حاتم السجستانى (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م)

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٠٠، المقريزى: المقفى الكبير ج ٤ ص ٧٧.

٢) نفس المصادر المذكورة فى الحاشية السابقة.

٣) مورور: كورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال قرمونة، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا (ياقوت: معجم البلدان ٥/٢٢٢).

٤) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ابن الأبار: التكملة على الصلة ج ١ ص ٢٤٩.

٥) الزبيدى: المصدر السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٣٨٧.

والرياشى (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م) وغيرهما، وشهد بالبصرة دخول الزنج سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨[١].

٢ - محمد بن عبد الله بن الغازى بن قيس، أبو عبد الله القرطبى (المتوفى٢٩٦هـ/ ٩٠٨م). رحل إلى المشرق ودخل البصرة فلقى بها أبا حاتم السجستانى (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) والرياشى (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م) وغيرهما من أصحاب اللغة والمعانى ورواة الأخبار والأشعار، وأدخل إلى الأندلس علما كثيرا من الغريب والشعر[٢].

٣ - محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن الحسن بن كلب الخشنى، أبو عبد الله القرطبى (المتوفى سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م). رحل إلى المشرق قبيل سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، ودخل البصرة، فلقى بها من علماء اللغة أبا حاتم السجستانى (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) والرياشى (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م) والزيادى (ت٢٤٩هـ/٨٦٣م) والمازنى (ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م) فأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الأصمعى. ودخل أيضا بغداد وكتب بها كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى (ت٢٣١هـ/٨٤٥م). مثل "غريب الحديث"، وأدخل كثيرا من كتب الحديث واللغة والشعر الجاهلى إلى قرطبة رواية[٣].

(ح) ومن علماء القرن الرابع الهجرى:

١ - قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف المعروف بالبيانى. قرطبى محدث فقيه مفسر لغوى. قال ابن الفرضى: كان بصيرا بالحديث والرجال، نبيلا فى النحو والغريب والشعر. رحل إلى المشرق ودخل العراق فنزل الكوفة وبغداد، ولقى فيها المبرد (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) وثعلب (ت ٢٩١هـ/٩٠٣م)، وسمع من عبد الله بن مسلم بن قتيبة كثيرا من كتبه (ومنها كتب فى اللغة والأدب)، وانصرف إلى الأندلس بعلم وفير، ومال الطلاب إليه، وكانت الرحلة إليه فى الأندلس. وتوفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م[٤].

٢ - محمد بن أبى علاقة البواب، من أهل قرطبة. كانت له رحلة إلى المشرق، وأخذ فيها بمصر عن أبى إسحق الزجاج (توفى ٣١١هـ/٩٢٣م) وببغداد عن أبى بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) وأبى عبد الله نفطويه (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) والأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ/٨٣٠م)، وسمع من الأخير كتاب " الكامل " للمبرد، وهو من أوثق من روى

---

١) الزبيدى: المصدر نفسه ص ٢٦٠.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٢٤، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ١٣٩.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦٨، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٥٤، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٦٠.

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٨، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٤٧.

هذا الكتاب فى الأندلس. وكانت وفاته سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م[١].

٣ - عبد الله بن حمود بن عبد الله بن مذحج الزبيدى (المتوفى٣٧٢هـ/٩٨٢م). إشبيلى سكن قرطبة، ورحل إلى المشرق فلزم ببغداد أبا سعيد السيرافى (ت ٣٦٨هـ/٩٧٨م) إلى أن توفى، فلزم أبا على الفارسى (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) ببغداد وغيرها من بلاد العراق وفارس يتبعه حيث حل. وكان من جلة النحاة وأكابرهم، وشرح كتاب سيبويه، وكان مغرى بكتب عمرو بن بحر الجاحظ البصرى (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م)[٢].

٤ - فرج بن سلام أبو بكر القرطبى. كان معتنيا بالأخبار والأشعار والآداب. رحل إلى المشرق ودخل بغداد. ولقى عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م) وأخذ عنه كتبه وأدخلها الأندلس رواية عنه[٣].

٥ - محمد بن أحمد بن محمد بن قادم بن زيد أبو عبد الله القرطبى (المتوفى٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، رحل إلى بغداد، وسمع بها من أبى سعيد السيرافى (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م)، وسمع بالبصرة من غير واحد[٤].

٦ - منذر بن سعيد البلوطى أبو حكم القرطبى. كان متفننا فى ضروب العلم، وكانت له رحلة لقى فيها جماعة من علماء اللغة والفقه، ونزل مصر، وجلب إلى قرطبة كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى رواية عن أبى العباس بن ولاد أحد العلماء باللغة فى مصر[٥]؛ وكانت وفاته سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م.

٧ - محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى القرطبى المعروف بالرباحى (المتوفى٣٥٨هـ/ ٩٦٨م). رحل إلى المشرق، فسمع بمكة من ابن الأعرابى الكوفى (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، وبمصر من أبى جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٠٧هـ/٩١٩م) وأخذ عنه كتاب سيبويه. وقدم قرطبة فاجتمع الناس إليه وقرئ عليه هذا الكتاب كل جمعة[٦].

---

١) ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٣٦٢، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ١٥٠.

٢) المراكشى: الذيل والتكملة - السفر الرابع ص ٢٢٠ - ٢٢١، القفطى: إنباه الرواة ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩، السيوطى: بغية الوعاة ج ٢ ص ٤١.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٩٣.

٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٢.

٥) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٩٥.

٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٧١، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٣١٠ - ٣١١

٨ - محمد بن موسى بن هاشم بن زيد المعروف بالأقشتين (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م). رحل إلى المشرق فلقى أبا جعفر أحمد بن أحمد بن جعفر الدينورى (المتوفى٢٨٩هـ/٩٠١م)، وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته، وأخذه عنه رواية، وأخذه أيضا عن المازنى البصرى (ت٢٤٩هـ/٨٦٣م)[١].

تعقيب:

وبعد أن ذكرنا أهم اللغويين والأدباء القرطبيين الذين تلقوا علوم اللغة فى المشرق يمكن أن نخرج بعدد من الاستنتاجات، أهمها:

(١) كانت مدينتا البصرة والكوفة (وهما من مدن العراق)فى مقدمة المراكز الرئيسية التى رحل إليها القرطبيون لتحصيل العلوم اللغوية، ولاغرو فى ذلك، فإن هاتين المدينتين هما منبع الدراسات اللغوية، وإن رجالها القائمين على هذه الدراسات هم الذين وضعوا أصولها وضوابطها، وخاضوا فى موضوعاتها المختلفة، وصنفوا فى كل فرع من فروعها. ومن الملاحظ أن الطبقات النحوية واللغوية الأندلسية منذ الطبقة الأولى أتيح لها الاتصال اللغوى والنحوى بمدرستى البصرة والكوفة المشهورتين، و لم تقتصر على واحدة منهما.

(٢) ومع أن علماء اللغة القرطبيين أتيح لهم الاتصال بأساتذة اللغة والأدب فى بغداد كابن السراج (توفى ٣١٦هـ/٩٢٨م) والزجاجى (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م) وأبى بكر الأنبارى (٣٢٨هـ/٩٣٩م) وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) وأبى على بن الصفار (ت ٣٤١هـ/ ٩٥٢م) وغيرهم، إلا أن هؤلاء العلماء البغداديين كانوا ينتمون فى النهاية إلى إحدى مدرستى البصرة والكوفة فى النحو واللغة أو يخلطون فى آرائهم ومؤلفاتهم بين منهجى المدرستين[٢].

وقد أتيح أيضا لبعض علماء قرطبة فى مجال الدراسات اللغوية أن يلتقوا فى بغداد بعدد من علماء البصرة والكوفة عاشوا فى بغداد مثل أبى سعيد السيرافى (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) ومحمد ابن سلام الجمحى البصرى (ت ٢٣٢هـ/٨٤٦م). وقد عرفنا من قبل أن بغداد جذبت العلماء والمفكرين من جميع الأرجاء، وأن مدرستى البصرة والكوفة - فى مختلف العلوم الدينية واللغوية - لعبتا دورا مهما فى توجيه الفكر البغدادى وإثرائه.

(٣) وقد تتلمذ عدد من علماء قرطبة على بعض علماء اللغة بمصر، كابن ولآد وابن

---

١) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٣١، الزبيدى: المصدر السابق ص ٢٨١ - ٢٨٢، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٢٥٢، القفطى: إنباه الرواة ج ٣ ص ٣١٦.

٢) راجع عن الاتجاهات النحوية فى بغداد (ص ١٩٤ - ١٩٥) من القسم الأول.

النحاس المصريين، غير أن هؤلاء المصريين تلقوا بدورهم علوم اللغة والأدب فى بغداد. فابن ولاد (أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد المتوفى ٣٣٢هـ/٩٤٣م) تتلمذ فى بغداد على الزجاج، وكان الزجاج يثنى عليه عند كل من قدم بغداد من المصريين[١]. وعرفنا أن منذر بن سعيد البلوطى القرطبى تتلمذ بمصر على ابن ولاد وأخذ عنه كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى.

وابن النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م) الذى تتلمذ عليه محمد بن يحيى الرباحى القرطبى وأخذ عنه كتاب سيبويه - ابن النحاس هذا مصرى تتلمذ فى بغداد على الأخفش الأصغر (توفى ٣١٥هـ/٩٢٧م) والمبرد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) ونفطويه (ت ٣٢٣ هـ/٩٣٤م) والزجاج (ت ٣١١هـ/٩٢٣م) - وهم بصريون عاشوا فى بغداد - وله كتاب "المقنع فى اختلاف البصريين والكوفيين"[٢].

ويعنى هذا أن مصر كانت بمثابة المعبر الذى عن طريقه انتقل قدر كبير من علوم اللغة إلى قرطبة. و لم تكن علوم اللغة هى وحدها التى انتقلت من العراق إلى الأندلس فى ثوب مصرى، وإنما شمل ذلك العلوم الدينية أيضا من قراءات وتفسير وفقه وحديث على نحو ما عرفنا فى عرضنا السابق لهذه العلوم.

(٤) وإذا أراد القارئ أن يعيد قراءة ما ورد آنفا من أسماء الأساتذة البصريين والكوفيين والبغداديين والمصريين ويكتب ثبتا بها فسيرى كيف أن حملة اللغة والأدب فى الأندلس وعاصمتها قرطبة كانوا فى أغلب الأحيان تلامذة لكبار علماء اللغة فى المشرق، وخصوصا فى إقليم العراق.

هجرة بعض علماء اللغة والأدب من بغداد إلى قرطبة وتأثيرهم فى الحياة الأدبية بها

وقد وفد إلى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى اثنان من كبار اللغة والأدب البغداديين وهما: أبو على القالى وصاعد بن الحسن الربعى. وكان لهذين العالمين - وخاصة القالى - أثر كبير فى إثراء اللغة والأدب فى مدينة قرطبة ومدن الأندلس عامة، حتى قيل: «إن ورود القالى إلى الأندلس قد ساعد فى استغناء الطلاب عن الرحلة (يعنى بصورة واسعة)، لأن الأندلسيين رأوا فى القالى خلاصة العلم اللغوى المشرقى»[٣]، وقيل أيضا: «إن قدوم القالى إلى الأندلس كان

---

١) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢١٩ - ٢٢٠، السيوطى بغية الوعاة ج ١ ص ٣٨٦.

٢) الزبيدى: المصدر السابق ص ٢٢٠ - ٢٢١، السيوطى: المصدر السابق ج ١ ص ٣٦٢.

٣) إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ص ١٠٦.

يمثل نهضة فى الدراسات اللغوية والأدبية، وعنه تلقى الأندلسيون واتخذوه حجة »[١].

وفيما يلى حديث عن جهود هذين العالمين فى تدعيم الثقافة اللغوية والأدبية فى قرطبة بالثقافة اللغوية العراقية:

أبو على القالى (٢٨٨-٣٥٦هـ/٩٠١-٩٦٧م)[٢]:

نشأته وعلمه وانتقاله إلى قرطبة:

هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون، أبو على القالى، ينسب إلى (قالى قلا)، وهى قرية من (منازجرد) التى كان مولده فيها، وهى من ديار بكر من أعمال أرمينية. وفى (منازجرد) نشأ إلى أن كبر واشتد عوده فرحل إلى بغداد سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م وهو فى سن الثالثة والعشرين على الأرجح، وفى طريقه إلى بغداد عرج على الموصل ليأخذ عن علمائها. وقد أقام فى مدينة السلام خمسا وعشرين سنة تلقى خلالها العلم على أساتذة كثيرين فى العلوم الدينية واللغوية والأدبية. وذكر القالى نفسه - فيما نقله عنه الزبيدى - جماعة من علماء اللغة والأدب ممن أخذ عنهم[٣]، وبإمكاننا أن نحدد مادرسه على واحد من هؤلا العلماء، وإنما نكتفى بذكر أكبر عالمين أثرا فيه ووجها دراسته وهما: ابن دريد (المتوفى٣٢١هـ/٩٣٣م) ونفطويه (المتوفى ٣٢٣هـ/٩٣٥م).

فقد أخذ عن الأول منهما كتب أبى حاتم السجستانى البصرى (المتوفى ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) ككتاب " لحن العامة "، وكتاب " فعلت وأفعلت " وكتاب " الفرق " وكتاب "الحشرات " وكتاب " الوحوش " وكتاب " الطير "، ثم كتب ابن دريد نفسه كالجمهرة والملاحن، وكذلك أخذ عنه كتب أبى زيد الأنصارى (المتوفى ٢١٥هـ/٨٣٠م) وكتب الأصمعى (المتوفى ٢١٦هـ/٨٣١م) و" نوادر " أبى زياد الكلابى والأشعار الستة الجاهلية وأشعار هذيل وشعر أعشى بكر وأراجيز العجاج ورؤبة والمثقب العبدى وعروة بن الورد، وشعر كثير عزة وعدى بن زيد والطرماح وقيس بن الحطيم وامرئ القيس ودريد بن

---

١) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى - عصر سيادة قرطبة ص ٦٥.

٢) له ترجمة فى: طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٨٥ - ١٨٨، معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٢٥ - ٣٣، بغية الوعاة للسيوطى ج ١ ص ٤٥٣، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج١ ص٨٣-٨٤، جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٥، بغية الملتمس للضبى ص ٢٣١ - ٢٣٣، نفح الطيب للمقرى ج ٣ ص ٧٠ - ٧٥، فهرسة ابن خير ص ٣٩٥.

٣) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٧، القفطى: إنباه الرواة ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

الصمة وطفيل الغنوى وغيرهم[١].

وقرأ على نفطويه نقائض جرير والفرزدق وشعر ذى الرمة وعمرو بن قميئة وعلقمة بن عبدة والنابغة الجعدى وأوس بن حجر والأخطل وعمر بن أبى ربيعة وجرير[٢].

لقد رحل أبو على القالى إلى قرطبة سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م وهو يحمل معه هذا الزاد الوفير من اللغة والأدب والأشعار بعد أن قضى ثلاثة وعشرين عاما من إقامته فى بغداد ودراسته الجادة هناك، وبعد أن بلغ من العمر ستة وأربعين عاما. ولانريد أن نقف عند كيفية استقباله والحفاوة التى قوبل بها عند وصوله إلى قرطبة، والذى نريد أن نلفت النظر إليه هو أن السنين التى قضاها القالى فى بغداد هى التى جعلت منه عالما يتميز بروح علمية فى غاية الدقة، وستكون هذه الدقة العلمية أكبر العوامل التى أمالت إليه قلوب الأندلسيين، وأثرت فى طلابه تأثيرا بعيدا، ووضعت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية فى قرطبة والمدن الأندلسية الأخرى[٣]، وإن وجوده فى قرطبة يعد بحق كسبا ثقافيا فى هذه البلاد، وقد تجلى هذا الكسب واضحا فيما يلى:

جهوده فى إثراء النهضة اللغوية فى قرطبة:

(١) **الكتب الكثيرة التى حملها معه من بغداد:** وهى تتضمن أمهات المصادر العربية وأوثقها وأقدمها فى اللغة والأدب، وقدم للأندلسيين زبدة وحصيلة الاجتهاد المشرقى فى الحفظ والرواية، فأوجد بذلك أساس الدقة اللغوية فى الأندلس. وقد ذكر ابن خير الإشبيلى أسماء كثير منها فى أماكن متفرقة من "برنامجه"؛ ويمكن جمعها فى قائمة طويلة. وهذه الكتب كلها رواها علماء الأندلس عن القالى جيلا بعد جيل فزادت من رسوخ الأندلس فى الموروث العربى المشرقى، وأتاحت لطلاب اللغة والأدب فى قرطبة وغيرها من مدن الأندلس دراسة منظمة قريبة المتناول لكتب كانوا يرحلون لقراءتها على علماء المشرق.

(٢) ومن جهوده التى بذلها لإثراء النهضة اللغوية والأدبية فى الأندلس عامة أنه وضع كتبا هامة فى اللغة والأدب، وهى كلها ذات طابع لغوى وأدبى على منوال ما حمله من مؤلفات المشرق وما رواه وقرأه على كبار شيوخه، أمثال ابن دريد وابن الأنبارى ونفطويه وغيرهم.

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٤٨، ٣٦١، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥-٣٩٧.
وانظر إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس ص ١٩٥.

٢) فهرسة ابن خير ص ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٥ - ٣٩٧.

٣) إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس ص ١٩٧ بتصرف يسير.

وما من شك فى أن القالى أودع فى مؤلفاته ثقافته اللغوية التى حصلها من هؤلاء العلماء، فمن مؤلفاته كتاب " البارع" و"النوادر" و"المقصور والممدود" و" الأمالى " و" الأمثال " و"مقاتل الفرسان" وغيرها[١].

ويعد كل من كتاب " الأمالى " و" البارع " من أهم كتبه إن لم تكن أهمها على الإطلاق. ولقى الكتاب الأول منهما شهرة واسعة فى قرطبة والأندلس كلها، وأثنى عليه المؤرخون وكتاب التراجم، مما كان له أثر كبير فى نشر علوم اللغة والأدب المشرقية فى قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، يقول ابن خير فى (فهرسته):«وهو كتاب حسن يشتمل على أنواع من العلم لانظير له فى معناه»[٢]، وأثنى عليه الزبيدى تلميذ القالى وصديقه فقال: «وهذا الكتاب غاية فى معناه، وهو أنفع الكتب (أى فى اللغة والأدب) لأنه فيه الخبر الحسن والمثل المتصرف والشعر الفائت المنتقى فى كل معنى، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة ليست توجد فى شئ من كتب اللغة بكمال ما هى فى هذا الكتاب...»[٣]. وقال ابن حزم أيضا: «وهذا الكتاب جار لكتاب "الكامل" الذى جمعه أبو العباس المبرد، ولئن كان كتاب أبى العباس المبرد أكثر نحوا وخبرا فإن كتاب أبى على لأكثر لغة وشعرا»[٤].

والعجيب أن القالى أملى كتاب " الأمالى " - الذى يمثل صورة للثقافة اللغوية فى المشرق - أملاه فى قرطبة[٥]، وكان الداعى إلى تأليفه فى المقام الأول هو تلك المهمة التدريسية التى انتدب لها القالى، وتحقيق جانب من الغاية التى من أجلها رحل إلى قرطبة، ولعل القالى فى اقتصاره على إيراد أدب المشارقة فى هذا الكتاب أراد أن يعلم الأندلسيين هذه الآداب التى كانوا يبذلون اهتمامهم لتعلمها ومعرفتها.

وليس من المفيد أن نذكر هنا الخصائص التى تميز بها كتاب " الأمالى " باعتباره أهم مؤلفات القالى[٦]، ولكن يهمنا أن نعرف أن هذا الكتاب يمثل جزءا من الجهود التى بذلها هذا العالم لنشر هذا الفن من العلوم الوافدة من العراق إلى قرطبة، ناهيك عن بقية كتبه فى هذا المجال.

---

١) انظر ثبتا بكتب القالى فى كتاب الحركة اللغوية فى الأندلس لإلبير حبيب مطلق ص ١١٤.
٢) فهرسة ابن خير ص ٣٢٣.
٣) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٦.
٤) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٢٥٤، ياقوت: معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٨ - ٢٩.
٥) مقدمة كتاب الأمالى ج ١ ص ٣ (طبعة القاهرة الثالثة ١٩٥٣ م، ١٩٥٤م).
٦) ذكر إلبير حبيب مطلق الخصائص العامة لكتاب " الأمالى "وذلك فى كتابه: الحركة اللغوية فى الأندلس ص ٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) ومن جهود أبي على القالى التى بذلها لإثراء اللغة والأدب فى قرطبة والأندلس عامة أنه أثر بشخصيته الفذة فى خلق طبقة من التلامذة انتشروا فى قرطبة والحواضر الأندلسية الأخرى، وأصبح بعضهم أساتذة كونوا هم بدورهم جيلا آخر من علماء اللغة والأدب استمدوا ثقافتهم من الزاد العلمى الذى حمله القالى من بغداد إلى قرطبة. وإذا عرفنا أن القالى قضى ستا وعشرين سنة فى التدريس بقرطبة أدركنا قدر العطاء الذى بذله هذا العالم الجليل، وأدركنا أيضا حجم من تتلمذ على يديه فى هذه العلوم، وقد كان من تلامذته شخصيات علمية مرموقة عظمت استفادتهم منه وأشاعوا علمه ومنهجه ولعبت دورا كبيرا فى الحياة الثقافية بالأندلس.

وخلاصة القول: لم تكن هجرة القالى من بغداد إلى قرطبة أمرا عاديا نقف منه كما نقف من هجرة أى عالم آخر، بل كانت هجرة ذات أثر بعيد فى الحياة اللغوية فى الأندلس.

صاعد البغدادى[1]:

هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربعى، أبوالعلاء الموصلى الأصل، البغدادى، اللغوى الأديب. أخذ اللغة عن علماء بغداد مثل السيرافى (ت ٣٦٨هـ/٩٧٨م) وأبى على الفارسى (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) والخطابى (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). ورحل إلى الأندلس سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م فى أيام هشام بن الحكم المؤيد (٣٦٦-٤٠٦هـ/٩٧٦-١٠٠٩م). وكان صاعد البغدادى - كما قال عنه الرواة - «عالما باللغة والآداب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، ممتع المجالسة»[2]. وكان يمثل فى عهد المنصور بن أبى عامر ما كان يمثله أبو على القالى فى أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، فهو - أى صاعد - مشرقى مثله، وهو عالم فى اللغة، وقد لقى من إكرام المنصور ما لقيه القالى من إكرام الناصر، وألف للمنصور كتابا سماه " الفصوص " فى اللغة والأدب على نحو كتاب " النوادر" للقالى.

وعن كتاب " الفصوص " يقول المؤرخ الأندلسى الكبير ابن حيان «وجمع أبو العلاء (صاعد) للمنصور محمد بن أبى عامر كتابا سماه "الفصوص فى الآداب والأشعار والأخبار"

---

١) له ترجمة فى نفح الطيب للمقرى ج ٣ ص ٧٥-٨٤، ص ٩٥-٩٨، بغية الملتمس للضبى ص ٣١٩-٣٢٣، الصلة لابن بشكوال ص ٢٣٧-٢٣٨ (رقم ٥٤١)، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة - القسم الرابع ج ١ ص ٢ - ١٣، معجم الأدباء لياقوت ج ١١ ص ٢٨١ - ٢٨٦، إنباه الرواة للقفطى ج ٢ ص ٨٥، بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ٧ - ٨.

٢) الضبى: بغية الملتمس ص ٣١٩، ابن بشكوال: الصلة ص ٢٣٧، ياقوت: معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٨٢.

وكان ابتداؤه له فى ربيع الأول سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م، وأكمله فى شهر رمضان من العام (نفسه)، وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم فى دفعة واحدة، وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة فى عقب سنة ٣٨٥هـ، واحتشد له جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أمة». ثم قال ابن حيان: «وقرأته عليه منفردا فى داره سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م»[١]. وتشير الروايات إلى أن صاعدا ألف هذا الكتاب وأراد أن يكون «أرفع قدرا وأجل خطرا» من كتاب " النوادر " لأبى على القالى دون أن يورد فيه خبرا مما أورده أبو على[٢]. ومعنى هذا أن المؤلف اعتمد روايات وأخبارا لم يسمع بها الأندلسيون، ولكن لما تتبعه علماء قرطبة «لم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثابت لديهم» على حد تعبير الرواة[٣]، ومن ثم تصدى له الكثيرون، وادعوا أنه لايحمل إلا الأكاذيب، وممن قام بالرد عليه من علماء قرطبة العالم اللغوى سعيد بن عثمان بن أبى سعيد البربرى أبو عثمان القرطبى المعروف بالقزاز (المتوفى٣٩٤هـ/١٠٠٣م)[٤]. وقد تنبه ابن بسام صاحب كتاب " الذخيرة " إلى أن تفرد صاعد هو الذى ساق إلى كتابه هذه التهمة فقال: «وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا (أى الوضع والكذب)، وإنما صاعد اشترط ألا يأتى إلا بالغريب وغير المشهور»[٥].

ومهما كانت الروايات التى اضطربت بشأن تقبل الأندلسيين لهذا الكتاب فإن من المؤكد أنهم انتفعوا به، وحسبنا أن ابن أبى عامر كافئه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم دفعة واحدة، وأن ابن حيان حامل لواء التاريخ الأندلسى قد درس هذا الكتاب على مؤلفه كما مر بنا.

وقد تتلمذ على صاعد نخبة من التلاميذ القرطبيين، منهم جعفر بن يوسف الكاتب القرطبى، روى عنه أشعارا وأخبارا كثيرة[٦]. وابن المصحفى محمد بن هشام بن محمد بن عثمان القيسى القرطبى الوزير الذى كان حافل الأدب متسع المعرفة، (المتوفى٤٨١هـ/١٠٠٨م)[٧].

وانتفع أهل قرطبة بصاعد البغدادى بأن قرأوا عليه بعض كتب اللغة التى أدخلها معه، ككتاب " إصلاح المنطق " لابن السكيت البغدادى (توفى٢٤٤هـ/٨٥٨م)، كان يرويه عن

---

١) ابن بشكوال: الصلة ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

٢) ابن بسام: الذخيرة - القسم الرابع ج ١ ص ٦ - ٧، المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ٧٧ - ٧٨.

٣) ابن بسام: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة.

٤) ابن بشكوال: الصلة ص ٢٠٨ - ٢١٠ (رقم ٤٦٧).

٥) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع ج ١ ص ٨، المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ٧٨.

٦) ابن بشكوال: الصلة ص ١٢٨ (رقم ٢٩٤).

٧) ابن بشكوال: الصلة ص ٥٥٦ - ٥٥٧ (رقم١٢٢١).

شيخيه البغداديين: السيرافى وأبى على الفارسى[١]. إلا أن صاعدا لم يكن فى هذا الجانب - أعنى إدخال كتب العراقيين إلى قرطبة - بنفس السعة والكثرة التى كان عليها أبو على القالى.

ولم يقتصر صاعد البغدادى على تأليف كتاب الفصوص، وإنما كتب للمنصور كتابين من كتب الأسمار، وهى نوع من الكتب الأدبية من وحى طريقته وقوة خياله، وأولهما: كتاب "الجواس بن قعطل المدحجى مع ابنة عمه عفراء "، قال عنه الرواة «كتاب لطيف ممتع جدا، كان المنصور كثير الشغف به حتى رتب له من يقرؤه بحضرته كل ليلة»[٢]. والثانى: كتاب "الهجفجف بن غيدقان بن يثربى مع الحنوت بنت محرمة بن أنيف". وهذا الكتاب على طراز كتاب ألفه سهل بن أبى غالب لهارون الرشيد فى بغداد سماه " كتاب ربيعة وعقيل"[٣].

هذه جهود أبى على القالى وصاعد البغدادى التى قدماها للارتفاع بالمستوى اللغوى والأدبى فى قرطبة اعتمادا على ثقافتهما اللغوية التى تعلماها فى موطنهما بغداد.

هذا، ولدينا أسماء بعض العراقيين ممن لهم اهتمام باللغة والأدب ولكن أقل شهرة هاجروا إلى قرطبة قبل ورود القالى، إلا أن الفائدة التى كان ينقلها هؤلاء المهاجرون تعد ضئيلة الأثر فى الحياة العلمية بالأندلس، ولاتوازى ما قدمه كل من القالى وصاعد البغداديين، لأنهم لم يكونوا من طراز عال فى علمهم واطلاعهم. ونذكر من هؤلاء أبا جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادى، أخذ عنه بعض الأندلسيين، وأدخل معه إلى قرطبة كتب عبد الله بن مسلم بن قتيبة البغدادى وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ الأديب العراقى المشهور[٤]. ومن المهاجرين رجل يعرف بالعجلى، هاجر إلى الأندلس من العراق، ولانعرف كثيرا عنه سوى أنه ضن بكتبه ومنعها من الطلبة، واستدعى الناس للإملاء عليهم بقرطبة، فهرع إليها الناس، وكانت اللغة من إملاءاته[٥].

هجرة كتب اللغة والأدب من العراق إلى قرطبة:

لقد غذى الراحلون من أندلسيين ومشارقة الدراسات اللغوية والأدبية فى الأندلس لا بما جلبوه من علم مروى فحسب، وإنما بالكتب التى هاجرت معهم أيضا «وستظل هجرة

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٣١.

٢) الضبى: بغية الملتمس ص ٣٢٠، ياقوت: معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٨٤.

٣) الضبى: بغية الملتمس ص٣٢٠، ياقوت: معجم الأدباء ج ١١ ص٢٨٥.

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٧٤ - ٧٥، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ضمن ترجمة أبى صالح أيوب بن سليمان المعافرى.

٥) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص٢٧٥.

الكتاب المشرقى ظاهرة هامة فى تحديد التيار العام الذى تسير فيه الحياة اللغوية (والحياة العلمية بعامة) فى الأندلس، فهى التى تقرر نوع الكتب المتداولة لدى المدرسين والطلاب، وهى التى توجه أيضا حركة التأليف فى الأندلس »[١].

وقد أمدتنا المصادر بمعلومات وفيرة عن الكتب اللغوية والأدبية التى دخلت قرطبة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذه الكتب تداولها الأندلسيون وأدخلوها فى برامجهم التعليمية، وقامت عليها الحركة اللغوية والأدبية فى الأندلس. ومن الطبيعى أن تكون أكثر الكتب اللغوية ذيوعا فى الأندلس وعاصمتها قرطبة هى كتب الأعلام العراقيين من أمثال سيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدى والأصمعى والكسائى والمازنى والفراء وابن قتيبة وابن سلام الجمحى والأخفش والمبرد وابن الأعرابى والجاحظ وأبى على الفارسى والثعالبى والزجاجى، ثم كتب المصريين كابن النحاس وابن ولاد.

ونقرر هنا حقيقة مهمة وهى أن الدراسات اللغوية فى قرطبة بدأت مبكرة جدا وقام علماؤها بالرحلة إلى العراق للدراسة وإحضار الكتب الرئيسية من هناك، فنجد مثلا على ذلك العالم الفقيه اللغوى عبد الرحيم بن موسى الهوارى -أول من جمع الفقه فى الدين وعلم العرب فى الأندلس - رحل فى خلافة عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م) فلقى مالكا ونظراءه من الأئمة فى الفقه، ولقى الأصمعى وأبا زيد الأنصارى ونظراءهما من رواة اللغة، وداخل الأعراب فى محالها[٢].

وفى السطور التالية نذكر أهم المؤلفات المشرقية فى النحو واللغة والأدب التى انتقلت من بغداد إلى قرطبة، ومدى ما لاقته هذه المؤلفات من عناية الأندلسيين.

أولا: كتب النحو:

[١] كتاب الكسائى[٣] (ت ١٨٨هـ/٨٠٤م)

بدأ النحو فى قرطبة على يد جودى بن عثمان النحوى (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م)، وهو من أهل مورور[٤]، قام برحلة إلى المشرق تلقى فيها علوم العربية، والتقى بالكسائى، وأخذ عنه كتابه فى النحو، وأدخله قرطبة، فكان أول من أدخل هذا الكتاب إلى هذه البلاد، كما أنه

---

١) إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس..ص٦٢.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ٢ / ٣٠٠، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٣ - ٣٥٤، السيوطى: بغية الوعاة ٢ / ٩٠.

٣) راجع عن الكسائى (ص ١٩٠ - ١٩١) من القسم الأول.

٤) سبق التعريف بها (ص ٥٦٤).

التقى فى رحلته بالفراء تلميذ الكسائى (توفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م) وكان أكثر مقامه ببغداد، فأخذ عنه العربية، ثم تصدر بعد عودته لتدريس اللغة فى قرطبة، ووضع كتابا فى النحو[١].

وقد نال كتاب الكسائى - وهو واحد من كتب النحو التى تمثل مدرسة الكوفة فى بغداد - نال بعد دخوله قرطبة اهتمام كثير من العلماء الأندلسيين، فقامت عليه شروح، واكتسب شهرة فائقة، وسيأتى ذكرها عند حديثنا عن جهود الأندلسيين فى مجال التأليف النحوى[٢].

[٢] كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م):

دخل كتاب سيبويه إلى قرطبة عن طريق عالمين من علمائها: الأول: محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد، أبو عبد الله القرطبى المعروف بالأقشتين مولى الأمير الأندلسى المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م). قال ابن الفرضى والزبيدى: (كان متصرفا فى علم الأدب والخبر، ورحل إلى المشرق، ولقى أبا جعفر الدينورى (بغدادى عاش فى مصر) وانتسخ منه كتاب سيبويه من نسخته، وأخذه عنه رواية، وأخذه أيضا عن المازنى البصرى (المتوفى ٢٤٩ هـ/٨٦٣م) وتوفى سنة ٣٠٧ هـ/٩١٩م[٣]. ولا تحدد المصادر أين التقى الأقشتين بالمازنى، ولعله التقى به فى البصرة أو بغداد. وأغلب الظن أنه أول من أدخل كتاب سيبويه إلى الأندلس وحاضرتها قرطبة.

والثانى: محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى، أبو عبد الله القرطبى المعروف بالرباحى (المتوفى ٣٥٨هـ/٩٦٨م). رحل إلى المشرق، فسمع بمكة من عالم اللغة المشهور ابن الأعرابى (كوفى / توفى ٣٠٧هـ/٨٤٥م)، وبمصر من أبى جعفر أحمد بن محمد بن النحاس (مصرى - توفى ٣٠٧هـ/٩١٩م) أخذ عنه كتاب سيبويه[٤]، وكان ابن النحاس قد درس هذا الكتاب فى بغداد[٥].

ومن الملاحظ - بحسب ما بأيدينا من تواريخ - أن كتاب الكسائى كان دخوله قرطبة أسبق من كتاب سيبويه. وتشير المصادر إلى أن كتاب سيبويه عرفه علماء النحو بالقيروان فى

---

١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٥٦ - ٢٥٧، التكملة لابن الأبار ج ١ ص ٢٤٩ [رقم ٦٥٩]، بغية الوعاة للسيوطى ١ / ٤٩٠.

٢) راجع (ص ٧٧٥) من الباب التالى.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٣١، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨١ - ٢٨٢، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٢٥٢.

٤) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٧١، الزبيدى: المصدر السابق ص ٣١٠ - ٣١١.

٥) السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٣٦٢.

حدود سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، فيذكر أن حمدون بن إسماعيل النحوى المعروف بالنعجة الذى ذكره الزبيدى فى نحاة الطبقة الثالثة من القرويين كان يحفظ كتاب سيبويه، وكانت وفاته (سنة٢٠٠هـ/٨١٥م)[١] ومن ثم فقد وصل "الكتاب" إلى المغرب فى وقت مبكر، ولعله وصل إلى قرطبة فى هذه الفترة المبكرة أيضا.

وقد أولى الأندلسيون عنايتهم بكتاب سيبويه فعكفوا عليه قراءة ودرسا وحفظا وشرحا، ومن الذين اهتموا به وقاموا بتدريسه: سعيد بن عبد الله بن دحيم أبوعثمان الأزدى الإشبيلى (المتوفى٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، «كان عالما فى النحو إماما فى كتاب سيبويه». كما يقول ابن بشكوال[٢]. وكان عبد الله بن عيسى بن الوليد أبو محمد النحوى المعروف بابن الأسلمى يختم كتاب سيبويه فى كل خمسة عشر يوما مرة[٣].

ومن شروح المشارقة لكتاب سيبويه - والتى جلبها الأندلسيون إلى قرطبة أيضا - كتاب "شرح كتاب سيبويه " لأبى سعيد السيرافى البغدادى (المتوفى٣٦٨هـ/٩٧٨م)[٤] و"شرح كتاب سيبويه" و"شرح أبيات سيبويه" كلاهما لابن النحاس المصرى (المتوفى٣٠٧ هـ/٩١٩م)[٥]. والكتاب الأخير أدخله إلى قرطبة عبد السلام بن السمح الهوارى القرطبى (المتوفى٣٨٧هـ/٩٩٧م) سمعه بمصر من ابن النحاس[٦].

هذا، ولدينا معلومات وفيرة عن الاهتمام الواسع الذى كان علماء الأندلس يولونه كتاب سيبويه حفظا وشرحا وتدريسا[٧]. أما شروحهم عليه فسيأتى ذكرها فى سياق الحديث عن جهود الأندلسيين فى التأليف النحوى[٨].

[٣] كتاب الأخفش (المتوفى ٢١٠هـ/٨٢٥م):

وهو بصرى عاش فى بغداد مدة[٩] ويسمى كتابه " الأوسط " فى النحو. نقله إلى قرطبة

---

١) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٣٥.
٢) ابن بشكوال: الصلة ص ٢٢٠.
٣) الصلة لابن بشكوال ص ٢٦٠، بغية الوعاة للسيوطى٢/٤١.
٤) فهرسة ابن خير ص ٣١٢.
٥) فهرسة ابن خير ص ٣١٢، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١ / ٣٣٣.
٦) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١ / ٣٣٢ - ٣٣٣.
٧) راجع الصلة لابن بشكوال ص ٥٨٥، التكملة لابن الأبار ١ / ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٤٨، ٧٧٤، ج ٢ ص ٥٣٢، الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى - السفر الرابع ص ٣٥.
٨) راجع (ص٧٧٥) من الباب التالى.
٩) راجع عنه (ص١٩١) من القسم الأول.

محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى القرطبى ابو عبد الله الرباحى (المتوفى٣٥٨هـ/٩٦٨م)، سمعه بمصر من محمد بن ولاد المصرى (المتوفى٣٣٢هـ/٩٤٣م)، وكان ابن ولاد قد سمعه فى بغداد من المبرد عن المازنى عن الأخفش[١].

والرباحى أيضا هو الذى أدخل كتا " المقتضب " فى النحو لأبى العباس المبرد البصرى البغدادى (المتوفى٢٨٥هـ/٨٩٨م) سمعه بمصر من ابن النحاس الذى تلقى تعليمه ببغداد، وسمع بها الكتاب[٢].

[٤] كتاب الجمل للزجاجى البغدادى (المتوفى ٣٣٩هـ/٩٥٠م)[٣]:

وهذ الكتاب أفرده مؤلفه لقواعد النحو والصرف، وألحق به فصلا عن الخط والإملاء، وقد حظى بشهرة مدوية لدقته ووضوح عبارته واستيعابه لدقائق النحو البصرى التى يحتاجها الناشئة[٤].

ولم تشر المصادر الأندلسية إلى تاريخ دخول كتاب " الجمل " إلى الأندلس على وجه التحديد. ويوجد عالم من أنطاكية (مدينة بالشام) - هو على بن محمد بن إسماعيل الأنطاكى- دخل قرطبة (سنة ٣٥٢هـ/٩٧٦م)، فحدث بكتاب " الجمل " للزجاجى، وأخذه عنه أبو عثمان سعيد بن عثمان النحوى القرطبى[٥]. وإذا عرفنا أن الزجاجى نشر علمه بالشام فمن المرجح أن الأنطاكى - وكان معاصرا للزجاجى - سمع منه الكتاب المذكور فى الشام (وربما فى بغداد)، ثم نشره فى قرطبة بعد مجيئه إليها.

ويذكر الرواة أن عالما جرجانيا دخل الأندلس سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، وأملى بها كتابا فى شرح " الجمل ". وهذا العالم هو ثابت بن محمد الجرجانى العدوى (المتوفى٤٣١هـ/ ١٠٣٩م)، كان إماما فى اللغة، متمكنا من العربية، متقدما فى علم المنطق. عاش فى بغداد، وتتلمذ على علمائها فى اللغة كابن جنى (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م) وأبى الحسن على بن عيسى الربعى (المتوفى ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)[٦].

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣١٣ - ٣١٤، وراجع ترجمة الرباحى فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ٢/٧٠.

٢) فهرسة ابن خير ص ٣٠٧، تاريخ علماء الأندلس ٢ / ٧١.

٣) راجع عن الزجاجى (ص ١٩٤) من القسم الأول.

٤) د. حسين مؤنس: المدارس النحوية ص ٢٥٤ (دار المعارف بالقاهرة).

٥) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى - السفرالرابع ص ٤٤، فهرسة ابن خير ص ٣٠٨.

٦) بغية الملتمس للضبى ص ٢٥٣، الصلة لابن بشكوال ص ١٣٣ (رقم ٢٨٩).

وقد خدم علماء قرطبة كتاب " الجمل "، فكتبوا عليه عدة شروح مفيدة، سيأتى ذكرها فيما بعد[١].

[٥] كتب أخرى فى النحو:

ووصل إلى قرطبة عدد آخر كبير من كتب النحو المشرقية، وجلها لعلماء عراقيين/بغداديين، منها: " البهى " للفراء (المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، و"الموجز" و"الأصول" لأبى بكر بن السراج (المتوفى ٣١٦هـ/٩٢٨م)، و"الإيضاح" للزجاجى (المتوفى٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) و"الإقناع" للسيرافى (المتوفى ٣٦٨هـ/٩٧٨م) و" اللمع" لابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ/١٠٠١م) و" الإيضاح " و" الدلائل " و" الفصول " ثلاثتهم لأبى على الفارسى (المتوفى ٣٧٧هـ/٩٨٧م). ومن كتب الصرف: كتاب "التصريف" المعروف "بالملوكى" لأبى العباس المبرد (المتوفى ٢٨٥هـ/٨٩٨م) وكتاب " التصريف " لابن جنى[٢]. ومن كتب نحاة مصر: كتابا " المقنع " و" الكافى" لابن النحاس (المتوفى٣٠٧هـ/٩١٩م) و"الانتصار" لابن ولاد (المتوفى ٣٣٢هـ/٩٤٣م)[٣].

ويطول بنا المقام لو تتبعنا أسماء علماء (قرطبة/الأندلس) الذين أدخلوا تلك الكتب إلى بلادهم. ومن الملاحظ أن كتب النحو التى وصلت إلى قرطبة عن طريق بغداد هى إما لعلماء بصريين كالأخفش والمبرد، أو لعلماء كوفيين كالكسائى والفراء وثعلب، أو لعلماء بغداديين فى الأصل. وهذا يدل على أن الأندلسيين تعرفوا على منهج المدرستين الكبيرتين اللتين تمثلان الدراسات النحوية فى بغداد، وتعرفوا أيضا على اتجاهات أخرى فى هذا الميدان ظهرت فى الحاضرة العباسية نتيجة مزج هذين المذهبين فى دراسات جديدة قام بها جيل من النحاة البغداديين فى القرن الرابع الهجرى، كالزجاجى وابن السراج والسيرافى وابن درستويه وابن جنى وغيرهم.

ثانيا: كتب اللغة:

وقد تعددت كتب اللغة التى أدخلها علماء (قرطبة/الأندلس) إلى بلادهم. والعدد الكبير الذى ذكره الرواة الأندلسيون من أسماء هذه الكتب بكل أنواعها يدل على أن هؤلاء القوم كانوا على صلة دائمة بكل ما يصدر بالمشرق من إنتاج فى هذا الميدان وفى غيره من ميادين

---

١) راجع (ص ٧٧٦) من الباب التالى.

٢) راجع فهرسة ابن خير ص ٣٠٧ – ص ٣١٩.

٣) فهرسة ابن خير ص ٣٠٩، ٣١١.

العلم، وتلك حقيقة سجلها ابن حزم القرطبى فى رسالته القيمة عن فضل الأندلس وأعلامها[١].

وقد تنوعت الكتب اللغوية المهاجرة إلى قرطبة بين كتب عبارة عن رسائل لغوية ذات موضوع واحد، وكتب فى النوادر، وكتب الفصيح من اللغة، وأخرى فى الملاحن (لحن العامة) وفى لغات القبائل، وكتب فى غريب اللغة، وكتب المعاجم اللغوية، وأنواع أخرى كثيرة. وهذا الترتيب هو الذى اتبعناه فى عرضنا لجهود العراقيين فى التأليف اللغوى[٢]. وفيما يلى نذكر أمثلة لبعض ما وصل إلى قرطبة من تلك الكتب:

(أ) **الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد:** منها: كتب الأصمعى عبد الملك بن قريب البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢١٦هـ/٨٣١م) مثل "الوحوش" و"الإبل" و"الشاه" و"خلق الإنسان" و" خلق الفرس" و"المصادر" و"الأضداد" و"الأبواب" و"الفرق" و"الألفاظ والأجناس" و" ما اتفق لفظه واختلف معناه " و" المقصور والممدود"[٣].

ومنها كتب أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى البصرى (المتوفى ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، مثل: " الحشرات " و" الطير " و" الوحوش " و" الفرق " و" فعلت وأفعلت"[٤].

ومنها: كتب يعقوب بن السكيت البغدادى (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م) مثل: "الأصوات" و"القلب والإبدال " و" النبات " و" خلق الإنسان " و" الفرق " و" الأضداد " و"الألفاظ"[٥].

ومنها كتب أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى البصرى (المتوفى ٢١٥هـ/٨٣٠م)، مثل: " الشجر والنبات " و" اللباء واللبن " و" الثمر " و" الهمز " و" المصادر " و" أسماء الأيام" و"الرحل والقتب"[٦].

ومنها: كتاب " الأنواء " لأبى حنيفة الدينورى البغدادى (المتوفى٢٨١هـ/٨٩٤م)[٧] و"الأنواء" لابن دريد[٨] (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م). و" الأنواء " لمحمد بن مسلم بن قتيبة

---

١) سيأتى كلامه (ص ٦٧١) فى ختام هذا الباب.
٢) راجع بدءا من (ص١٩٦-٢٠٠) من القسم الأول.
٣) فهرسة ابن خير ص ٣٧٤ - ٣٧٥، ص ٣٨٢.
٤) المصدر السابق ص ٣٦١.
٥) المصدر نفسه ص ٣٨١ - ٣٨٢، ٣٢٩.
٦) المصدر نفسه ص ٣٧١.
٧) المصدر نفسه ص ٣٧٦.
٨) المصدر نفسه ص ٣٦٦.

(المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م). والكتاب الأخير أدخله إلى قرطبة عالمها قاسم بن أصبغ البيانى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥٢م) سمعه ببغداد من ابن قتيبة[١].

(ب) ومن كتب الصفات: كتاب " الصفات " للأصمعى[٢].

(ج) ومن كتب اللغات: كتاب " اللغات " لأبى زيد الأنصارى البصرى (المتوفى٢١٥ هـ/٨٣٠م)[٣].

(د) ومن كتب النوادر: كتاب " النوادر " لمحمد بن زياد الأعرابى الكوفى (المتوفى٢٣١ هـ/٨٤٥م) و" النوادر " لأبى زيد الأنصارى البصرى. و" النوادر " لأبى زياد الكلابى. و"النوادر " لعلى بن حازم اللحيانى[٤].

(هـ) ومن كتب الملاحن: كتاب " لحن العامة " للأصمعى[٥]. ومثله لأبى حاتم السجستانى، بوبه ورتبه أبو على القالى البغدادى نزيل قرطبة[٦]. وكتاب " الملاحن " لابن دريد البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م)[٧]. وكتاب " إصلاح المنطق " ليعقوب ابن السكيت البغدادى (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م)[٨].

(و) ومن كتب الفصيح: كتاب " الفصيح " لثعلب الكوفى نزيل بغداد (المتوفى٢٩١ هـ/٩٠٣م) وشرحه لابن درستويه وابن خالويه البغداديين[٩].

(ز) وفى فقه اللغة: كتاب " فقه اللغة وسر العربية " لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى (المتوفى ٤٩هـ/١٠٣٧م)[١٠].

إن كل ما ذكرناه من كتب اللغة على اختلاف تنوعها - وما لم نذكره فى هذا المقام أكثر - نقلها إلى قرطبة (باستثناء ثلاثة أو أربعة كتب) العالم البغدادى الكبير أبو على القالى

---

١) المصدر نفسه ص ٣٧٧، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١ / ٤٠٦ - ٤٠٧.
٢) فهرسة ابن خير ص ٣٧٥.
٣) المصدر نفسه ص ٣٧٠ - ٣٧١.
٤) المصدر نفسه ص ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٩.
٥) فهرسة ابن خير ص ٣٧٥.
٦) ابن خير ص ٣٤٨، ٣٧٥.
٧) ابن خير ص ٣٦٦.
٨) ابن خير ص ٣٣٠.
٩) ابن خير ص ٣٣٨، ٣٤٢.
١٠) ابن خير ص ٣٦٩.

الذى رحل إلى الأندلس سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م، وبقى بها إلى أن مات (سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م). وقد أفردنا له من قبل حديثا خاصا لما له من أيادى بيضاء على الساحة العلمية الأندلسية[١]. وقد رواها عنه تلامذته، وتنوقلت جيلا بعد جيل حتى ذاعت فى ربوع الأندلس. وكان من أكثر تلامذته شهرة فى رواية تلك الكتب: العالم القرطبى صاحب الشرطة أحمد بن أبان بن سيد اللخمى (المتوفى٣٨٢هـ/٩٩٣م)[٢]، ويليه فى فضل روايتها: أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون (المتوفى ٤٠٨هـ/٩٩٢م)[٣]، وعبد الله بن حسين بن إبراهيم ابن عاصم القرطبى المعروف بالغربالى (الكوفى ٤٠٣هـ/١٠١٣م)[٤]. وهارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسى القرطبى (المتوفى ٤٠١هـ/١٠١١م)[٥]. وأحمد بن عبد العزيز بن أبى الحباب النحوى القرطبى (المتوفى٤٠٠هـ/١٠١٠م)[٦]. وعبيد الله بن فرج الطوطالقى القرطبى (المتوفى٣٨٦هـ/٩٩٦م)[٧]. وغيرهم كثير.

كتب الغريب

(أ) كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى[٨] (ت ٢٢٣هـ/٨٣٧م):

وقد لقيت كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م) - على كثرتها - قبولا كبيرا لدى الأندلسيين. وتذكر المصادر ثلاثة من علماء اللغة بقرطبة كان لهم الفضل فى إدخال هذه الكتب إلى الأندلس وروايتها وتدريسها للطلاب:

الأول: وهب بن نافع الأسدى القرطبى (المتوفى٢٧٣هـ/٨٨٦م). كان فقيها مشاورا أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)، ورحل إلى بغداد وسمع بها كتب أبى عبيد من تلميذيه: على بن ثابت ومحمد بن وهب المسعرى. ويعد وهب بن نافع

---

١) راجع ما ذكرناه عن القالى (ص٥٦٩-٥٧٢).
٢) ترجمته فى الصلة لابن بشكوال ص ٨.
٣) الصلة ص ١٩٧ - ١٩٨.
٤) التكملة لابن الأبار ص ٧٩١.
٥) الصلة ص ٦٥٦.
٦) الصلة ص ١٩.
٧) الصلة ص ٣٠٠، إنباه الرواة للقفطى ج ٢ ص ١٥٣.
٨) من كتب ابى عبيد التى وصلت قرطبة: "غريب القرآن — معانى القرآن - فضائل القرآن — القراءات — الأمثال السائرة — معانى الشعر — المقصود والمعدود - وغيرها (راجع ترجمته فى: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣، معجم الأدباء ٦/١٦٢ — ١٦٦، إنباء الرواة ٣/١٤-١٥).

أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس وأول من أخذت عنه[١]. ويليه فى ذلك:

الثانى: محمد بن عبد السلام بن ثعلبة أبو عبد الله الخشنى القرطبى (المتوفى٢٨٦هـ/ ٨٩٩م). كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، ودخل البصرة ولقى بها علماءها فى اللغة، وأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الأصمعى، ثم دخل بغداد، وكتب بها مؤلفات أبى عبيد القاسم بن سلام عن تلميذيه المسعرى وأبى عمران موسى بن خاقان[٢].

والثالث: طاهر بن عبد العزيز بن عبد الله الرعينى أبو الحسن القرطبى (المتوفى٣٠٥هـ/ ٩١٧م). رحل إلى المشرق ودخل مكة فسمع من على بن عبد العزيز (كاتب أبى عبيد وراويته) مؤلفات أبى عبيد، ورجع إلى قرطبة فقرأ عليه الطلاب هذه المؤلفات فى وجود الخشنى أحد من روى هذه الكتب[٣].

هذه أمثلة ثلاثة - لثلاثة من علماء قرطبة - لم تحدد أى كتب أبى عبيد دخلت قرطبة، وإنما جاء ذكر هذه الكتب بصيغة العموم. ونود أن نميز اثنين منها كانت محل اهتمام الأندلسيين فى ميدان غريب اللغة، ونصت عليها الروايات، وهما: كتاب "الغريب المصنف" وكتاب " غريب الحديث ".

(١) كتاب غريب الحديث:

ويسمى أيضا " شرح الحديث ". وموضوعه بيان ما يخفى معناه من لفظ الحديث الشريف كى يتم استنباط الحكم منه. وقد ألفه أبو عبيد على أساس كتاب شيخه البصرى أبى عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢٠٩هـ/٨٢٤م)[٤].

وقد دخل هذا الكتاب إلى قرطبة فى فترة مبكرة عن طريق أبى عمر أحمد بن خالد يزيد القرطبى المعروف بابن الجباب (المتوفى سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م)، ورواه فى رحلته إلى المشرق عن على بن عبد العزيز البغدادى تلميذ أبى عبيد وكاتبه[٥].

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٦٠، وانظر عن تلامذة أبى عبيد طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٠٥، ٢٠٦.

٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٦ (رقم ١١٣٤)، ص ١٦٠ (رقم ١٥١٥).

٣) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٣ (رقم ٦١٩)، الضبى: بغية الملتمس ص ٣٢٧ (رقم ٣٢٧)، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧٣، السيوطى: بغية الوعاة ج ٢ ص ١٩.

٤) السيوطى: المزهر ج ٢ ص ٢٥٧، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ١٥٦.

٥) فهرسة ابن خير ص ١٨٦، وانظر ترجمة ابن الجباب فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٤٢.

وأدخله إلى قرطبة أيضا وهب بن نافع الأسدى القرطبى (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، رواه فى بغداد عن المسعرى تلميذ أبى عبيد[١]. وحدث به عثمان بن المثنى أبو عبد الملك القرطبى (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦)، وهذا العالم كانت له رحلة إلى المشرق لقى فيها جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعانى، وكان مؤدبا لأولاد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)[٢].

وهذا الكتاب تداوله علماء قرطبة وأولوه عنايتهم قراءة ونسخا وسماعا وحفظا وتدريسا، ومن بين الذين نسخوه مفرج بن مالك أبو الحسن المعروف بالبغل، وهو من علماء النحو واللغة والشعر[٣]. وكان أحمد بن عبد الله بن محمد اللخمى الباجى (المتوفى ٣٩٦هـ/١٠٠٦م) يحفظ كتاب "غريب الحديث" حفظا حسنا، وهو إشبيلى استوطن قرطبة بالربض الغربى[٤].

(٢) كتاب الغريب المصنف:

وهو غير كتاب " غريب الحديث " المذكور قبله. ويعد " الغريب المصنف " من أهم كتب أبى عبيد[٥]، أدخله إلى قرطبة العالم اللغوى الكبير أبو على القالى البغدادى الذى هاجر إلى الأندلس سنة ٣٣٠هـ، وكان قدومه إليها يمثل نهضة كبيرة فى الدراسات اللغوية والأدبية فى الأندلس كما تبين لنا من قبل. وقد حدث بكتاب " الغريب المصنف " فى قرطبة سنة٣٤٣ هـ/٩٥٤م كما يقول ابن خير فى فهرسته[٦]، وكان قد سمعه فى " سر من رأى " بالعراق على مدار أربعة أعوام وأربعة أشهر وأيام على أبى بكر بن الأنبارى البغدادى (المتوفى٣٢٨ هـ/٩٣٩م)[٧].

ولدينا معلومات تشير إلى عناية الأندلسيين " بالغريب المصنف "، وممن كان يقتنى نسخة

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٦٠ (رقم ١٥١٥).

٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٦ (رقم ٨١١)، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦٦، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١١٢ - ١١٣، السيوطى: بغية الوعاة ج ٢ ص ١٣٦.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٤٠ (رقم ١٤٠) وانظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٧٣.

٤) ابن بشكوال: الصلة ص ١١ - ١٢ (رقم ١٥).

٥) راجع ما ذكرناه عن هذا الكتاب (ص ١٩٨) من القسم الأول.

٦) فهرسة ابن خير ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

٧) المصدر السابق.ونفس الصفحة.

منه العالم القرطبى أبو الوليد محمد بن يحيى الغافقى (المتوفى ٤٣٣هـ/١٠٤١م) وهذا العالم كان يمتلك مكتبة كبيرة جمعت عددا وفيرا من الكتب المشرقية[١]. وكان لإبراهيم بن محمد ابن زكريا القرشى الزهرى أبى القاسم الإفليلى القرطبى (المتوفى ٤٤١هـ/١٠٤٩م) عناية كبيرة بهذا الكتاب[٢]. كما كان لبعض علماء قرطبة شروح عليه، ووضع بعضهم كتبا فى غريب الحديث سلكوا فيها مسلك أبى عبيد فى هذا الكتاب[٣].

[ب] مؤلفات ابن قتيبة البغدادى (٢١٣ - ٢٧٦هـ/٨٢٨ - ٨٨٩م):

وكانت مؤلفات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) من الكتب التى اهتم بها علماء قرطبة اهتماما واضحا، وتلقوها عن مؤلفها مباشرة وأدخلوها بلادهم. وأهمها: غريب القرآن - غريب الحديث - مشكل القرآن - إعراب القرآن - المعارف - عيون الأخبار - أدب الكاتب - الميسر - المسائل - الإبل - الوحش - معانى الشعر - القراءات... وغيرها[٤]. ويذكر ابن الفرضى اثنين من أشهر علماء قرطبة كان لهم الفضل فى إدخال هذه الكتب إلى الأندلس:

الأول: محمد بن زكريا بن محمد بن جعفر اللخمى أبو عبد الله القرطبى (المتوفى٣٢٢ هـ/٩٣٣م). كانت له رحلة إلى بغداد سنة ٢٧٤هـ/١٠٠٧م، فسمع من ابن قتيبة مؤلفاته، ولما رجع إلى قرطبة سمع منه الطلاب بعضها[٥].

والثانى: قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البيانى القرطبى المحدث الفقيه المفسر اللغوى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م). رحل إلى المشرق، ونزل الكوفة، ولقى ابن قتيبة فى بغداد فتتلمذ عليه وسمع منه كثيرا من كتبه وعاد بها إلى قرطبة مع علم كثير[٦].

---

١) ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٣٨٧ (رقم ١٠٧٨).
٢) ابن بشكوال: الصلة ص ٩٣ (رقم ٢٠).
٣) انظر فهرسة ابن خير ص١٩٥، ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٢٠ (رقم ٤٢)، ص ٣١١-٣١٢ (رقم ٨٤٤).
٤) راجع عن ابن قتيبة: تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٠ ص ١٧٠ - ١٧١، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٨٣، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٤٢ - ٤٤، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٣ ص ٢٩٦ - ٣٠٢، طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٢٥١، بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ٦٣، إنباه الرواه للقفطى ج ٢ ص ١٤٣ - ٧.١٤
٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٣ - ٤٤ (رقم ١٢٠٩).
٦) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٨ (رقم ١٠٧٠)، الضبى: بغية الملتمس ص ٤٤٧ - ٤٤٨، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨، فهرسة ابن خير ص ١٨٧ - ١٨٨، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٣ ص ٣٠١.

ومن كتب ابن قتيبة فى غريب اللغة التى لاقت قبولا لدى علماء اللغة فى قرطبة ومدن الأندلس الأخرى: كتاب " غريب الحديث " وكتاب " إصلاح الغلط الواقع فى كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى ".

(١) كتاب غريب الحديث:

أما كتاب " غريب الحديث " فقد حدث به قاسم بن أصبغ المذكور، وسمعه منه عبد الوارث بن سفيان بن جبرون - كان حيا سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م - «وكان أشهر أهل قرطبة صحبة لقاسم بن أصبغ وألزم الناس له، وقلما فاته شئ مما قرئ على ابن أصبغ». وقد وضع ابن جبرون كتابا شرح فيه غريب الحديث لابن قتيبة[١]. ويذكر الرواة أن عالما إشبيليا استوطن قرطبة كان يحفظ " غريب الحديث " لابن قتيبة حفظا جيدا، وهو أحمد بن عبدالله بن محمد بن شريعة اللخمى أبو عمر المعروف بابن الباجى المتوفى بقرطبة سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م[٢].

وهناك عالم أندلسى آخر - واسمه إبراهيم بن محمد بن جميل (المتوفى٣٠٠هـ/٩١٢م) رحل إلى المشرق ودخل بغداد، وسمع بها من ابن قتيبة، إلا أنه استوطن مصر، وقرأ عليه أهلها كتاب " غريب الحديث " وتوفى بها[٣]. وممن تلقى عليه كتاب "غريب الحديث" فى مصر من أهل قرطبة: محمد بن موسى بن هاشم بن زيد المعروف بالأقشتين (المتوفى٣٠٧هـ/٩١٩م)[٤].

(٢) كتاب إصلاح الغلط:

وأما كتاب "إصلاح الغلط الواقع فى كتاب غريب الحديث لابن سلام الجمحى" فقد حدث به قاسم بن أصبغ أيضا عن ابن قتيبة، وأخذه عنه أهل قرطبة وغيرهم من أهل الأندلس[٥]. وممن كان يرويه من أهل طليطلة أحمد بن عمران الأنصارى[٦].

[ج] كتاب غريب الحديث للخطابى (٣١٩ - ٣٨٠هـ/٩٣١ - ٩٩٠م)

وللخطابى (حمد - وقيل أحمد - بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، أبى سليمان الخطابى

---

١) الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٤٦٧، الضبى: بغية الملتمس ص ٣٩٩.

٢) ابن بشكوال: الصلة ص ١١ - ١٢ (رقم ١٥).

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢١، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٢٤.

٤) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨١ - ٢٨٢، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٣١، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٢٥٢.

٥) فهرسة ابن خير ص ١٨٨ - ١٨٩.

٦)ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٢٨ (رقم ٧٣).

المتوفى ٣٨٠هـ/٩٩٠م)[١] كتاب فى " غريب الحديث ". وهذا الكتاب أول من أدخله إلى الأندلس عثمان بن أبى بكر بن حمود الصدفى أبو عمرو المعروف بالسفاقسى، أصله من سفاقس، قدم إلى قرطبة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، وكانت له رواية واسعة فى اللغة والحديث، ونقل كتبا كثيرة من روايته بالعراق والشام ومصر والحجاز، وتجول فى الأندلس نحو عامين ثم انصرف إلى القيروان، وتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٢].

المعاجم اللغوية:

١ - وكان **كتاب " العين "** للخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى (المتوفى ١٧٥هـ/ ٧٩١م) من بين الكتب التى حملها معه إلى الأندلس أبو على القالى: إسماعيل بن القاسم البغدادى الذى رحل إلى الأندلس (سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م) واستوطن قرطبة[٣]. ويذكر الزبيدى أن أول من أدخل كتاب " العين " إلى الأندلس ثابت بن عبد العزيز السرقسطى (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م)[٤] وابنه قاسم، ويسميه ابن الفرضى " ثابت بن حزم" [٥]. ودخل هذا الكتاب أيضا إلى قرطبة عن طريق القاضى منذر بن سعيد البلوطى القرطبى (المتوفى٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)، فقد رحل إلى مصر سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م وروى بها كتاب "العين" عن ابن ولاد[٦]. وأدخله إلى قرطبة، إلا أن هذه النسخة كانت كثيرة الخطأ والتصحيف، وكان قد كتبها بخطه[٧]. ثم دخلت نسخ عديدة من كتاب "العين" إلى قرطبة ضمن الكتب التى استجلبها الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) من بغداد. وقد أمر المستنصر نفسه بمقابلة نسخ هذا الكتاب مع أبى على القالى فى دار الملك بقصر قرطبة (وهى الدار التى تضم المكتبة العامة التى أنشأها المستنصر)، واختار لهذه المهمة مجموعة من علماء اللغة، على

---

١) كان الخطابى حجة صدوقا، يشبه بأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى فى زمنه وكانت له رحلة إلى العراق والحجاز وخراسان وبلاد ما وراء النهر. وله من التصانيف: " شرح صحيح البخارى " و"شرح سنن أبى داود " [راجع ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى ١ / ٥٤٦ - ٤٥٧].

٢) ابن بشكوال: الصلة ص ٤٠٨ - ٤١١ (رقم ٨٨١)، فهرسة ابن خير ص ١٩٠.

٣) د. إبراهيم على عبد الله: المعجم الجغرافى فى الأندلس، دراسة فى الهدف وترتيب المداخل - بحث قدمه للندوة التى عقدت فى الرياض فى الفترة ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ تحت عنوان "الأندلس قرون من التطلعات والعطاءات" - ص ٢ من البحث الثانى - الجلسة (١٦).

٤) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨٤.

٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص١٢٠.

٦) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ١٤٢.

٧) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٩٢.

رأسهم محمد بن أبي الحسين الفهرى وراق القالى، وذلك لاستخلاص نسخة دقيقة الضبط، فأحضروا منه نسخا كثيرة، ومن بينها نسخة القاضى منذر بن سعيد المذكور آنفا، إلا أنهم استبعدوها لما ظهر لهم فيها من كثرة الأخطاء، «فلما كمل الكتاب وارتفع إلى الحكم المستنصر أراد أن يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجتمع عليها فبلغ ذلك خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة »[١]. وهذا يدل على مبلغ عناية الأندلسيين بهذا الكتاب اللغوى.

ولأهمية كتاب "العين" لدى الأندلسيين فقد اختصره أحد أشهر أئمة اللغة والأدب فى الأندلس، وهو محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر المعروف بالزبيدى (المتوفى سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م). كان يسكن إشبيلية، وترامت شهرته إلى قرطبة فاستدعاه الحكم المستنصر، ونال عنده جاها واسعا، وولى قضاء قرطبة، وقيد اللغة والأشعار عن أبى على القالى البغدادى[٢]. وقد مثل " مختصر العين " للزبيدى أهمية كبيرة فى الوسط العلمى بالأندلس وستكون لنا عودة للحديث عنه فى الباب التالى إن شاء الله[٣].

٢ - وقد عرف علماء قرطبة من المعاجم المشرقية أيضا " جمهرة اللغة " لأبى بكر محمد ابن الحسن بن دريد البصرى نزيل بغداد والموصل (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م). وقد عرفنا أن ابن دريد أملى كتابه فى بغداد من حفظه[٤]. ونقله إلى قرطبة أبو عالى القالى البغدادى، وقرأه على القالى العالم اللغوى أحمد بن أبان بن سيد القرطبى (المتوفى٣٨٢هـ/٩٩٣م)[٥]. وأشار السيوطى فى " المزهر " أن طلاب العلم فى قرطبة كانوا يفضلون" مختصر العين " للزبيدى على " جمهرة اللغة " لابن دريد[٦]. مما يوحى أن كتاب " الجمهرة " كان مشهورا بين الأندلسيين.

٣ - وعرفوا أيضا من المعاجم التى ذاعت فى المشرق وتنتمى إلى مدرسة "ابن دريد": كتاب " المجمل " لأحمد بن فارس الرازى (المتوفى ٣٩٠هـ/٩٩٩م)[٧].

---

١) ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٣٧١ (رقم ١٠١٤).

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٩٢، الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٨٥-٨٨، الضبى: بغية الملتمس ص ٦٦-٦٧، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٨٤ - ٨٥.

٣) راجع (ص ٧٨٤) من الباب التالى.

٤) راجع ما ذكرناه عن جمهرة اللغة (ص ٢٠٢) من القسم الأول.

٥) فهرسة ابن خير ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

٦) السيوطى (المزهر ج ٢ ص ٤٤).

٧) فهرسة ابن خير ص ٣٧٣ - وراجع (ص ٢٠٢) من القسم الأول.

ثالثا كتب الأدب:

وقد حفلت المصادر الأندلسية بأسماء عدد كبير من كتب الأدب العراقية التى وصلت من بغداد إلى قرطبة، وحتى لانطيل يمكن أن نكتفى بذكر عدد منها:

[١] كتب الجاحظ (توفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م):

وأهمها كتاب " البيان والتبيين ". والذى أدخل كتب الجاحظ إلى قرطبة هو فرج بن سلام أبو بكر القرطبى. كان معتنيا بالأخبار والأشعار والآداب، ورحل إلى بغداد فلقى فيها عمرو بن بحر الجاحظ، فأخذ منه كتاب "البيان والتبيين" رواية عنه، وكتب كثيرا من مصنفاته وكتبه وأدخلها الأندلس[١]. وقام العالم اللغوى الأديب القرطبى عبد الله بن حسين بن إبراهيم ابن عاصم أبو بكر الغربالى (المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م) باختصار كتاب "البيان والتبيين" مبوبا، وهذا العالم كانت له رواية عن أبى القالى البغدادى[٢].

ويذكر السيوطى فى "بغية الوعاة" أن عبد الله بن حمود الزبيدى الأندلسى كانت له رحلة إلى العراق وتتلمذ على ابن السيرافى (توفى ٣٦٨هـ/٩٧٨م) وأبى على الفارسى (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) وصحبهما، وكان مغرى بكلام الجاحظ إلى درجة كبيرة، ومن قوله «رضيت فى الجنة بكتب الجاحظ عوضا عن نعيمها »،غير أنه مات فى طريق عودته إلى الأندلس، وضاع معه علم كثير كان قد جلبه من العراق[٣].

ويروى أن أحد طلاب العلم الأندلسيين - ويدعى سلام بن يزيد - وقع فى يديه وهو بالأندلس كتاب " التربيع والتدوير " وكتاب " البيان والتبيين " للجاحظ فأعجب بهما، وقرر على إثر ذلك الرحيل إلى الجاحظ للأخذ عنه، فرحل إلى بغداد فسأل عنه فقيل: هو بسر من رأى، فقصدها، فقيل له: انحدر إلى البصرة، فذهب إليه وقابله، وتعرف عليه، ثم لازمه عشرين سنة كاملة[٤]. وهذه الرواية فيها كثير من المبالغة، ونميل إلى ردها، لأن الجاحظ ألف كتابه " البيان والتبيين " فى أخريات حياته فكيف يتوافق ذلك مع قول الطالب الأندلسى المذكور - كما جاء فى الرواية - " فأقمت عليه عشرين سنة " ؟.

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ٣٥٣، ابن حيان: المقتبس (تحقيق د. محمود على مكى) ص ١٦٤.

٢) ابن عبد الواحد المراكشى: الذيل والتكملة السفر الرابع ص ٢١٩.

٣) السيوطى: بغية الوعاة ج ٢ ص ٤١، إنباه الرواة للقفطى ج ٢ ص ١١٨.

٤) التنوخى: نشوار المحاضرة ج ٨ ص ١١٩ - ١٢١ تحقيق عبود الشالجى طبعة لبنان ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م، ياقوت: معجم الأدباء ج ١٦ ص ١٠٤ - ١٠٥.

[٢] كتاب الكامل للمبرد (توفى ٢٨٠هـ/٨٩٣م):

أدخله إلى قرطبة العالم القرطبى محمد بن أبى علاقة البواب (المتوفى٣٢٥هـ/٩٣٦م). كانت له رحلة إلى المشرق، وتلقى علوم اللغة والأدب فى بغداد عن أبى إسحق الزجاج (توفى ٣١١هـ/٩٢٣م) وأبى بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، وسمع من الأخفش (ت ٢١٥هـ/٨٣٠م) كتاب " الكامل " للمبرد. وقد أثنى الحكم المستنصر أمير الأندلس على رواية ابن علاقة لهذا الكتاب واعتبرها أصح الروايات التى وصلت إلى الأندلس[١]. ويبدو أن ابن علاقة هو أول من روى كتاب " الكامل " بقرطبة.

ونقل هذا الكتاب أيضا إلى الأندلس عن طريق مصر، حيث رحل إليها عالم أندلسى آخر من إشبيلية يدعى سعيد بن جابر بن موسى الكلاعى (المتوفى ٣٢٥هـ/٩٣٦م) فسمع الكتاب ثم أدخله إشبيلية[٢]، وأخذه منه بعض علماء قرطبة منهم أحمد بن أبان بن سيد صاحب الشرطة (المتوفى سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م)[٣].

[٣] أدب الكاتب لابن قتيبة (توفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م):

وهذا الكتاب رواه أبو على القالى البغدادى المهاجر إلى الأندلس ضمن كتب اللغة والأدب التى رواها فى قرطبة، وسمعه منه أحمد بن عبد العزيز بن أبى الحباب النحوى الاديب القرطبى (المتوفى٤٠٠هـ/١٠١٠م)[٤]. كما قرأه عليه أحمد بن أبان بن سيد القرطبى (المتوفى ٣٨٢هـ/٩٩٢م)[٥]. وكان يوسف بن محمد بن يوسف أحد علماء اللغة بقرطبة يقرأ عليه هذا الكتاب[٦].

---

١) ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٣٦٢، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ١٥٠.

٢) ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٣٦٢. وانظر ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨.

٣) ابن بشكوال: الصلة ص٨ (رقم٦). وانظر رواية علماء آخرين لكتاب الكامل: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج١ ص٩٢، ج٢ ص٧٨-٧٩، التكملة لابن الأبار ج١ ص٦٥ (رقم١٧٥)، ص٣٩٣ (رقم ١١٠١).

٤) فهرسة ابن خير ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

٥) فهرسة ابن خير ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

٦) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٩٨. وانظر عن اهتمام الأندلسيين بكتاب أدب الكاتب: التكملة لابن الأبار ج ١ ص٢٠، ٩٢، ١٨٩، الصلة لابن بشكوال ص ١٣٨، نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٢٢١.

[٤] الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (توفى ٣٥٦هـ/٩٦٦م):

وهو من الكتب التى حرص الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) على الحصول عليها من العراق؛ فقد أرسل إلى أبى الفرج الأصفهانى مؤلف الكتاب ألف دينار من الذهب لكى يزوده بنسخة مكتوبة قبل أن تصدر فى بغداد[١].

وغنى عن البيان مالهذا الكتاب من قيمة أدبية ولغوية كبيرة، حيث تبدت أهميته فى سعى الأندلسيين إلى استنساخه ونشره فى بلاد الأندلس.

ويضاف إلى الكتب السابقة كتب أخرى نقلت إلى قرطبة / الأندلس مثل " عيون الأخبار " لابن قتيبة[٢]، و" يتيمة الدهر" للثعالبى[٣] ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) و" سقط الزند" للمعرى[٤] (ت ٤٤٦هـ/١٠٥٧م) و" لزوم ما لا يلزم" للمعرى[٥] أيضا. و" المقامات الحريرية " للقاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى (المتوفى٥١٥هـ/١١٢١م)، نقله عنه من بغداد أبو الحجاج يوسف بن على بن محمد القضاعى الأندلسى[٦]. وكتاب " الفرج بعد الشدة" للمحسن التنوخى البغدادى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م)[٧].

***

تعقيب: وفى نهاية هذا المبحث نقول:

(١) إننا لم نركز فى عرضنا السابق إلا على بعض الكتب اللغوية والنحوية والأدبية التى نقلها العلماء من العراق إلى قرطبة، وإذا أردنا أن نسترسل فى الحديث عما وقع بأيدينا من أسماء كتب اللغة والأدب العراقية التى تداولها الأندلسيون فإن ذلك أمر يطول، وحسبنا أن نؤكد على أن المصادر الأندلسية (ونخص بالذكر فهرسة ابن خير الإشبيلى) احتوت على عدد هائل من هذه الكتب التى دخلت قرطبة وقام علماؤها بدراستها وتدريسها بصورة واسعة.

وأننا نلاحظ أن الاهتمام الأكبر من عناية الأندلسيين بكتب المشارقة كان يتجه إلى كتب

---

١) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٣٨٦.
٢) فهرسة ابن خير ص ٣٧٨.
٣) المصدر السابق ص ٣٧٠.
٤) المصدر نفسه ص ٤١١.
٥) المصدر نفسه ص ٤١٢.
٦) المصدر نفسه ص ٣٨٧، ص ٤٥١.
٧) المصدر نفسه ص ٣٨٥.

اللغة والأدب بوجه خاص. ولعل السبب فى ذلك يعود إلى حرص الأندلسيين على تثبيت اللغة العربية فى هذا الإقليم، والعمل على نشرها بصورة أوسع، فضلا عن أنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامى الذى تقوم عليه الحياة فى بلاد الأندلس.

(٢) ونلاحظ أن علماء قرطبة فى اعتمادهم على المشرق فى هذا المجال كان تركيزهم على العراق بصورة واضحة، بخلاف العلوم الأخرى كالقراءات والتفسير والحديث والفقه فإنهم اعتمدوا إلى جانب العراق على مدن أخرى كالحجاز ومصر. ويرجع السبب فى اعتماد الأندلسيين على العراق فى ميدان اللغة أن العراق كان يضم أهم مراكز ازدهار الدراسات اللغوية والأدبية كالبصرة والكوفة - وهما منبع هذه الدراسات - ثم بغداد، وكان بين هذه المدن من التنافس العلمى - خصوصا بين البصرة والكوفة - ما جعل هذه العلوم تتسع دائرتها وتتنوع اتجاهاتها، ومن ثم كانت محط أنظار الطلاب من شتى بقاع البلاد الإسلامية شرقا وغربا. ويمكن القول: إن علماء الأندلس لم يكن بوسعهم أن ينشأوا نهضة لغوية وأدبية فى بلادهم إلا بالاعتماد على الإنتاج العراقى فى هذا الميدان العلمى.

(٣) ولقد ازدهرت علوم اللغة والأدب فى الأندلس وعاصمتها قرطبة بصورة ربما لم يصل إليها أى نوع آخر من العلوم النظرية (العلوم الأصيلة)، ويرجع الفضل فى هذا الازدهار - فى جانب كبير منه -إلى ما وصل إلى قرطبة من مؤلفات كثيرة وروايات واسعة فى هذا الفن، وكانت هذه المؤلفات من الكثرة بحيث فاقت بكثير المؤلفات المشرقية التى انتقلت إلى الأندلس فى مجالات علمية أخرى، كالقراءات أو التفسير أو الحديث أو الفقه.

(٤) وقد شهد القرن الرابع الهجرى بصفة خاصة دخول أكثر الأعمال العراقية، والسبب فى ذلك هو الانفتاح الحضارى على عاصمة الخلافة العباسية بغداد الذى أحدثه الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) وولده المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) ومن بعدهما الحاجب المنصور بن أبى عامر (٣٧١-٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠١م) حاجب الخليفة هشام المؤيد.

(٥) ومن الملاحظ أن علماء قرطبة هم الذين تولوا نقل الإنتاج العلمى اللغوى والأدبى بما قاموا به من رحلات كثيرة إلى العراق، كما كان لعلماء بغداد دور مباشر فى تدعيم الدراسات اللغوية والأدبية فى قرطبة.، ويأتى فى مقدمتهم أبو على القالى الذى ترك بصماته الواضحة على النشاط اللغوى والأدبى هناك.

***

الفصل الثالث
علم التاريخ والجغرافيا

* وفيه مبحثان:

المبحث الأول : التاريخ.

المبحث الثانى : الجغرافيا.

هجرة الكتب التاريخية من (بغداد/المشرق) إلى قرطبة وتأثر الأندلسيين بها:

عرفنا من قبل فى الفصل الخاص بالدراسات التاريخية من الباب الأول أن بغداد منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى كانت أكبر مركز للتدوين التاريخى فى المشرق الإسلامى، وأنها كانت تمثل المدرسة الأم لفكر وثقافة العالم الإسلامى فى هذا الميدان العلمى وفى غيره من ميادين الثقافة والفكر.

وكان طبيعيا أن تكون بغداد - بسبب من مكانتها السياسية والدينية والعلمية - محط أنظار الأندلسيين فى جميع المعارف والعلوم، ومنها علم التاريخ؛ فكما حظيت كتب علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه بقدر كبير من اهتمام الأندلسيين فى إطار اعتمادهم على (بغداد/المشرق) لتكوين نهضتهم الفكرية والحضارية فكذلك حظيت كتب التاريخ المشرقية بنفس القدر من عناية الأندلسيين؛ حيث أدخلوا إلى قرطبة العديد من الكتب التاريخية على اختلاف أنواعها، وكانت بغداد هى المورد الأول لها. وتتوزع هذه الكتب بين كتب فى التاريخ العام "الحوليات" وكتب السيرة النبوية، وأخرى فى الأنساب وكتب الطبقات والتراجم والسير الذاتية، إلى جانب كتب تواريخ المدن (التواريخ المحلية)، وكتب ذات موضوعات تاريخية محددة. وفيما يلى عرض موجز لأهم هذه المؤلفات التى شاركت فى تكوين الحضارة الأندلسية، وبيان مدى استفادة الأندلسيين منها فى بعض مؤلفاتهم التأريخية.

أولا: كتب التاريخ العام:

وهى الكتب التى تتميز بشمولها لأحداث الدولة الإسلامية كلها، مع مقدمة لتاريخ ما قبل الإسلام، وتسير فى معظمها على المنهج الحولى فى ترتيب الأحداث[1].وأهم ما ورد إلى قرطبة منها:

---

١) راجع التفاصيل (ص ٢٤٣) من القسم الأول.

(١) " تاريخ " خليفة بن خياط البصرى[١] (المتوفى ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):

وهذا التاريخ انفرد بنقله إلى قرطبة عالمها الشهير بقى بن مخلد (المتوفى ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، حدث به عن مؤلفه نفسه بالعراق ونشره فى الأندلس[٢]، وكان أحد الموارد التى رجع إليها المؤرخ القرطبى المعروف بابن الفرضى (المتوفى٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) فى كتابه "تاريخ علماء الأندلس" فيما يتعلق ببعض الأخبار عن الأندلس[٣]. كما استفاد منه ابن حزم القرطبى (المتوفى ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م) فى كتابه "جوامع السيرة"[٤]، وابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) فى كتابيه "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" و"الإنباه على قبائل الرواة "[٥].

(٢) تاريخ اليعقوبى البغدادى (المتوفى٢٨٤ هـ/٨٩٧م):

وهو كتاب يتناول التاريخ العالمى منذ الخلق حتى سنة ٢٥٩ هـ/ ٨٧٢ م[٦]. والذى يدلنا على أنه دخل الأندلس أنه كان أحد المصادر التى اعتمد عليها العالم الأندلسى المعروف بالزبيدى فى كتابه " طبقات النحويين واللغويين "[٧]. ويقال: إن اليعقوبى كانت له رحلة إلى الأندلس[٨]، ولعل المعلومات التى أوردها فى كتابه " البلدان " عن الأندلس تدل على ذلك.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبرى (المتوفى٣١٠ هـ/٩٢٢م):

وهو أهم الكتب التاريخية التى عنى بها الأندلسيون عناية خاصة، فقد نقله إلى قرطبة اثنان من العلماء، أحدهما مشرقى والآخر أندلسى:

أما الأول: فهو أحمد بن الفضل بن العباس أبو بكر الدينورى البغدادى تلميذ الطبرى وخادمه (المتوفى بقرطبة سنة٣٤٠هـ/٩٥١م)، وكانت له رحلة إلى الأندلس وحدث بكتب

---

١) سبق التعريف بهذا الكتاب وبمؤلفه (ص ٢٣٢).

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٠٩، فهرسة ابن خير ص ٢٣٠.

٣) ابن الفرضى: المصدر المذكور ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥.

٤) ابن حزم: جوامع السيرة - تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد - دار المعارف بمصر، سلسلة تراث الإسلام ص ٣٦، ٣٩، وانظر ص ٣١٥، ٣٣٥.

٥) ابن عبد البر: الاستيعاب ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥، ج ٢ص ٥٥٢، الإنباه على قبائل الرواة (ملحق مع كتاب القصد والأمم لابن عبد البر) ص ٥٠، وقارن تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٧٤ - ٧٥ (مطبعة الآداب بالنجف بالعراق ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧م).

٦) راجع عنه (ص ٢٣٥) من القسم الأول (الفصل الخاص بالدراسات التاريخية).

٧) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٩٣.

٨) د. خالص الأشعب: اليعقوبى ص ٩.

الطبرى، ومنها كتاب التاريخ[١]. وسمعه عنه عدد من أهل قرطبة، منهم أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد أبو عمر الأموى (مولى لبنى أمية) المعروف بابن الجسور (المتوفى ٤٠١هـ/ ١٠١٠م)[٢] وحدث به عن ابن الجسور: ابن حزم القرطبى (المتوفى٤٥٦ هـ/١٠٦٣م)[٣].

والثانى: هو يوسف بن محمد بن سليمان الهمدانى الأندلسى، من أهل شذونة (توفى٣٨٣ هـ/٩٩٣م)، رحل إلى المشرق وأقام فى رحلته عشرة أعوام، وعنى بكتب محمد بن جرير الطبرى وخاصة " التاريخ " و"التفسير"، فنسخها وعاد إلى الأندلس[٤]. وكان له أخ يسمى سليمان، رحل إلى المشرق سنة ٣٣٤ هـ، فسمع بمصر كتب الطبرى من أبى محمد الفريابى، وعاد إلى الأندلس سنة ٣٣٧ هـ/ ٩٤٨م، وكانت وفاته سنة ٣٧١هـ / ٩٨١ م[٥].

ومن مظاهر اهتمام الأندلسيين أيضا بتاريخ الطبرى أن عريب بن سعد القرطبى المتوفى حدود سنة٣٧٠هـ ٩٨٠م قام باختصاره، ثم ذيل عليه بدءا من سنة ٢٩١ هـ/ ٩٠٣م حتى سنة ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م[٦]، ثم أضاف إليه "أخبار أفريقية والأندلس"[٧]. وقد استفاد منه ابن حزم القرطبى فى كتابه "جمهرة أنساب العرب[٨]، وكذلك ابن عبد البر القرطبى فى "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب"[٩].

وترجع أهمية تاريخ الطبرى بالنسبة للأندلسيين إلى أمرين:

الأول: أنه يضم تاريخا كاملا ومفصلا إلى نهاية القرن الثالث الهجرى عن المشرق الإسلامى الذى يقصده الأندلسيون للاطلاع على كل جديد فى العلم والحضارة.

والثانى: أن هذا الكتاب يتميز بعدد من المميزات لا توجد فى كتاب تاريخى آخر وصل إلى

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٧٥ -٧٦، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ١٩٨.
٢) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١٧٢، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ١٥٤.
٣) الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ١٥٥.
٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص ٢٠٦.
٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١.
٦) وهذا التذييل طبع مع تاريخ الطبرى بعنوان " صلة تاريخ الطبرى " دار المعارف بالقاهرة - بعناية الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.
٧) ابن عبد الواحد المراكشى: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة - السفر الخامس - القسم الأول ص١٤١- ١٤٢ .
٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٦٢ (دار المعارف بالقاهرة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢م).
٩) ابن عبد البر: الاستيعاب ج١ ص ١٥٦، ج ٣ ص ١٣٦٢، ج ٤ ص ١٧٥٢(مكتبة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م).

الأندلس، وقد سبقت الإشارة إلى عدد من تلك المزايا[١]. يضاف إلى ذلك ما كان يتمتع به مؤلفه من مكانة علمية مرموقة فى أرجاء العالم الإسلامى فى عصره كفقيه ومفسر ومحدث ومؤرخ.

ثانيا: الكتب التاريخية ذات الموضوع الواحد:

وقد أشرنا من قبل إلى تلك الكتب التى عالج فيها الأخباريون العراقيون الأوائل (كالواقدى والمدائنى...) أحداثا تاريخية محددة، كل موضوع فى كتاب مستقل، مثل: الردة والفتوحات ومعركة الجمل وصفين وحروب الخوارج... الخ. وهذه الكتب كانت تمثل النواة الأولى والمادة التاريخية التى اعتمد عليها المؤرخون اللاحقون - كالطبرى والبلاذرى - فى تدوين تواريخهم العامة. وقد ورد من هذا النوع إلى قرطبة عدد غير قليل، منها:

١- كتاب " الردة " لمحمد بن عمر الواقدى[٢] (المتوفى ٢٠٧ هـ/ ٨٢٣م) الذى ذكر فيه أخبار المرتدين عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- كتاب "الردة والفتوح" لسيف بن عمر الأسدى الكوفى (المتوفى ١٨٠هـ/٧٩٦م)[٣].

٣- " حروب الأزارقة " لمحمد بن عباد بن حبيب بن المهلب البصرى، أدخله إلى قرطبة قاسم بن أصبغ البيانى (المتوفى ٣٤٠ هـ/ ٩٥١م)[٤].

٤-كتاب " مقتل الخليفة عثمان " لعمر بن شبة البصرى (المتوفى٢٦٣ هـ/٨٧٦م) ويقع فى سبعة أجزاء، حدث به أحمد بن فتح بن عبدالله التاجر الأندلسى عن أبى محمد عبد الله بن أحمد بن حامد البغدادى[٥]. وكان هذا الكتاب من مصادر بن عبد البر القرطبى فى "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب "[٦].

ويذكر أن وثيمة بن موسى بن الفرات الفسوى (من أهل فارس) رحل إلى الأندلس تاجرا، وصنف بها كتابا فى " أخبار الردة "، وكانت وفاته سنة ٢٣٧ هـ/ ٨٥١ م[٧].

---

١) راجع عن ذلك (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) من القسم الأول.

٢) فهرسة ابن خير ص ٢٣٧. وراجع تعريفا بالواقدى (ص ٢٣٠).

٣) فهرسة ابن خير ص ٢٣٧. وراجع عن سيف بن عمر (ص ٢٢٩).

٤) فهرسة ابن خير ص ٢٣٨. وانظر ترجمة قاسم بن أصبغ فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج١ ص٤٠٦.

٥) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص١٩٩- ٢٠٠.

٦) ابن عبد البر: الاستيعاب ج٢ ص ٦٤٦.

٧) الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ٤٨٢، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٦٥.

ثالثا: كتب فى تاريخ الخلفاء:

وترد إشارة فى كتاب " الذيل والتكملة " إلى أن الأندلسيين عرفوا للمسعودى (أبى الحسن على بن الحسين الهذلى البغدادى المتوفى٣٤٥هـ/٩٥٦م) كتابه " التعيين للخلفاء الماضيين "، يعنى خلفاء المشرق، وقد صنف أبو الوليد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومى القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م) كتابا نحى فيه منحى المسعودى فى كتابه المذكور وسماه " التبيين فى خلفاء بنى أمية بالأندلس "[١].

وأدخل الأندلسيون من هذه الكتب أيضا: كتاب " تاريخ الخلفاء الكبير " للمدائنى البغدادى (المتوفى٢٢٥ هـ/٨٤٠م)، ابتدأه بأخبار أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وختمه بأخبار الخليفة المعتصم العباسى (المتوفى٢٢٧ هـ/٨٤١م). وهذا الكتاب أدخله إلى قرطبة يحيى بن أصبغ بن خليل أبو بكر القرطبى (المتوفى٣٠٥ هـ/٩١٧م)، كانت رحلة له إلى العراق، وسمع بها الكتاب المذكور من أبى سعيد المسعرى البغدادى[٢].

رابعا: كتب السيرة المشرقية وروايتها فى الأندلس:

وكانت كتب السيرة النبوية أكثر حظا بعناية الأندلسيين فى اعتمادهم على النشاط الروائى لدراسة التاريخ، ويرجع ذلك إلى ارتباط السيرة بالمعارف الفقهية، ونحن نعرف أن الأندلسيين أعطوا للمذهب المالكى وكتابه الأول " الموطأ " اهتماما خاصا، «ولما كان كتاب الموطأ للإمام مالك يعد مجموعة من القواعد الفقهية المستنبطة من عمل فقهاء أهل المدينة والأجيال السابقة عليهم ممن تنتهى ممارستهم التشريعية إلى عصر الرسول وإلى أصحابه رضى الله عنهم فقد أدى ذلك بالأندلسيين إلى الرغبة فى تتبع حياة الرسول الكريم ومعرفة سيرته وسيرة من التف به من صحابته»[٣].

وابتداء من منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى سنرى فى الأندلس إقبالا على سماع ورواية كتب أوائل المؤلفين فى السيرة النبوية والمغازى. وقد أورد ابن خير الإشبيلى ثبتا بهذه الكتب، وأهمها:

---

١) ابن الواحد المراكشى: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة - السفر الأول - القسم الأول ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص ١٨٤، الضبى: بغية الملتمس ص ٤٩٨، وراجع عن المدائنى (ص ٢٣١)، (ص ٢٣٣) من القسم الأول.

٣) د. محمود مكى: السيرة النبوية فى التاريخ الأندلسى - بحث فى مجلة الهلال - عدد أغسطس ١٩٧٨ م - ص ١٠٢.

[١] مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم: تأليف موسى بن عقبة الأسدى المدنى (المتوفى ١٤١هـ/ ٧٥٨م). حدث بها مطرف بن عبد الرحمن بن إبراهيم أبو سعيد القرطبى (المتوفى ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، كانت له رحلة إلى المشرق، ودخل مكة فسمع بها هذه المغازى من ابن كاسب (يعقوب بن حميد بن كاسب)[١].

[٢] سيرة محمد بن إسحق المطلبى المدنى نزيل بغداد (المتوفى ١٥١هـ/ ٧٦٨م)[٢]. وهذه السير دخلت الأندلس برواية ثلاثة من تلاميذ ابن إسحق، وهم: زياد بن عبدالله البكائى (المتوفى١٨٣ هـ/٧٩٩م)، وهو كوفى دخل بغداد وروى بها سيرة ابن إسحق[٣]، وإبراهيم ابن سعد (المتوفى١٨٤ هـ/٨٠٠م)، ويونس بن بكير الشيبانى (المتوفى١٩٩هـ/٨١٥م)[٤].

[٣] كتاب السيرة لأبى إسحق الفزارى الشامى (إبراهيم بن محمد المتوفى١٨٥هـ/ ٨٠١م) وهذا الكتاب - الذى قال عنه الشافعى «لم يصنف أحد فى السير مثل كتاب أبى إسحق»- أدخله إلى قرطبة محمد بن وضاح القرطبى (المتوفى٢٨٧ هـ/٩٠٠م)، رواها عن عبد الملك ابن حبيب المصيصى عن أبى إسحق الفزارى[٥].

[٤] تهذيب سيرة ابن إسحق لعبد الملك بن هشام المعافرى البصرى (المتوفى٢١٨هـ/ ٨٣٣م). أدخلها إلى قرطبة العالم القرطبى عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى(المتوفى ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، سمعها بمصر من البرقى (محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم الزهرى) عن ابن هشام[٦].

وكانت سيرة ابن هشام أروج هذه السير فى الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكان الأندلسيون يطلقون عليها اسم " المشاهد "[٧]. ومن رواتها فى قرطبة: محمد ابن يزيد بن رفاعة الإلبيرى (المتوفى ٣٤٤ هـ/٩٥٥م)[٨]. وأبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثى القرطبى (المتوفى٣٦٧ هـ/٩٧٧م)[٩] ، وكان مجلسه حيثما يقرئ "مشاهد" ابن

---

١) فهرسة ابن خير ص ٢٣٠، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٣٤.
٢) راجع عن سيرة بن اسحق (ص ٢٤٢) من القسم الأول - الفصل الخاص بالدراسات التاريخية.
٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٧٦.
٤) فهرسة ابن خير ص ٢٣٢ - ٢٣٤.
٥) فهرسة ابن خير ص ٢٣٦، سير أعلام النبلاء للذهبى ٨ / ٥٤٠.
٦) فهرسة ابن خير ص ٢٣٣، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .
٧) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٩٣، ج ٢ ص ١٤٨ (ترجمة موسى ابن أزهر).
٨) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٦٥، السيوطى: بغية الوعاة ج ١ ص ٢٦٩.
٩) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠.

هشام من أكثر مجالس العلماء اكتظاظا بالطلبة، ورحل إليه الناس من كل كور الأندلس وأنحائها. ويذكر الرواة أنه كان من شهود مجلسه خليفة الأندلس نفسه المؤيد بالله ابن الحكم[١]. وربما كان إقبال الناس على هذه السيرة هو الذى حمل هذا العالم القرطبى على تأليف كتاب مختصر لها كما ذكر ابن خير فى فهرسته[٢].

هذه هى أمهات المصادر فى السيرة النبوية التى دخلت قرطبة وكانت مدار اعتماد العلماء الأندلسيين. وربما دلنا على مدى اهتمام العلماء الأندلسيين عامة بكتب السيرة أو "المشاهد" كما يسمونها ما يذكره بعض مؤرخى الأندلس من أن أمير هذه البلاد عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ/ ٨٢٢ - ٨٥٢م) قد حكى عنه أنه اختلف مع أحد جلسائه فى حديث عن بعض المشاهد (أى أحداث السيرة)، فلما تلاحيا فيه قيل عنه: «سمع كتب المشاهد حفظا فقرأها ظاهرا». فإذا كانت العناية بالسيرة قد بلغت إلى حد أن الأمير الأندلسى كان يحفظها ظاهرا فلنا أن نتصور مدى إقبال العلماء والمشتغلين بالحديث والتاريخ على دراستها والانقطاع لها[٣].

هذا، وهناك كتب مشرقية أخرى اعتمدها الأندلسيون فى هذا الجانب التاريخى تناولت السيرة النبوية والمغازى ضمنا مع التاريخ العام للدولة الإسلامية، مثل ما فعله خليفة بن خياط البصرى والطبرى فى تاريخيهما، وقد سبق الحديث عنهما، ومثل ابن سعد الذى أفرد فى طبقاته الجزئين الأول والثانى للسيرة، وسيأتى الحديث عنه بعد قليل.

ابن عبد البر وابن حزم وتأثرهما بكتب السيرة المشرقية:

خاض ابن عبد البر (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وابن حزم (المتوفى٤٥٦هـ/١٠٦٣م) - وهما من قرطبة ومتعاصران - غمار التأليف فى السيرة النبوية وما يتعلق بها.

أما ابن عبد البر فقدم لنا فى ذلك كتابه المسمى بـ "الدرر فى اختصار المغازى والسير"، كما أنه بدأ كتابه "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" الذى خصصه لتراجم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بفصول وافية عن حياة النبى وسيرته.

وقد حدد ابن عبد البر بوضوح المصادر الأساسية التى استقى منها مادته فى كتابه

---

١) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٠.

٢) فهرسة ابن خير ص ٢٣٢.

٣) د. محمود مكى: السيرة النبوية فى التراث الأندلسى- مقال فى مجلة الهلال- عدد أغسطس١٩٧٨م- ص١٠٤.

"الدرر"، وأشار فى مقدمة هذا الكتاب إلى أنه اختصر مادته من كتاب "المغازى" لموسى بن عقبة وكتاب ابن إسحق، وأنه تابع الأخير فى البناء العام لأحداث السيرة، ومن قوله فى ذلك: «... اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحق رواية ابن هشام وغيره... والنسق على ما رسمه ابن إسحق فذكرت مغازيه وسيره على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون دون الحشو والتخليط»[١].

وإذا قلبنا صفحات "الدرر" لوجدنا أن هناك مصادر أخرى فى السيرة اعتمدها ابن عبد البر ولم ينص عليها فى مقدمته، ومنها كتاب "السير" ليحيى بن سعيد الأموى[٢]، وكتاب المغازى لمحمد بن عمر الواقدى نزيل بغداد[٣]. وهما من المصادر التى دخلت الأندلس[٤]، «والذى يبدو من خلال مراجعة أسانيد ابن عبد البر فى "الدرر" أن جل اعتماده على كتب السيرة التى وصلت الأندلس من المشرق، وإذا فاته الحصول على الأصول التى نقل عنها أصحاب هذه السير اكتفى بما نقلوه عن تلك الأصول حتى يحصل على المصدر الأصلى بروايته هو عن شيوخه»[٥]. ومن ثقاة مؤلفى السير الذين نقل عنهم بواسطة: سعيد بن المسيب المخزومى (المتوفى٩٤ هـ/٧١٢م)[٦]، وعروة بن الزبير بن العوام (المتوفى ٩٤هـ/ ٧١٢م)[٧] ، وعبد الله بن أبى بكر بن حزم (المتوفى١٣٥هـ/٧٥٢م)[٨]، ومحمد بن مسلم ابن شهاب الزهرى (المتوفى١٢٤ هـ/٧٤١م)[٩] وغيرهم، وهؤلاء جميعا لهم مؤلفات فى المغازى والسير[١٠].

أما ابن حزم فهو الآخر تأثر بالكتب المشرقية فى كتابة السيرة النبوية، وله فى هذا المجال

---

١) ابن عبد البر: الدرر فى اختصار المغازى والسير ص ٢٧ - بتحقيق دكتور شوقى ضيف - دار المعارف بالقاهرة.

٢) ابن عبد البر: الدرر ص ١٩٨، ٢٢١.

٣) ابن عبد البر: المصدر السابق ص ١٧، ٢٦٠.

٤) فهرسة ابن خير ص ٢٣٧، ٢٣٦ على الترتيب.

٥) ليث سعيد جاسم: ابن عبد البر مؤرخا-رسالة ماجستير-كلية دار العلوم ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م - ص٣٠٧.

٦) ابن عبد البر: الدرر ص ١٣١، ٢٥١.

٧) ابن عبد البر: الدرر ص ٣١، ٤٢، ٤٨، ٦٣، ٢٦٣.

٨) ابن عبد البر: المصدر نفسه ص ١٤٢.

٩) ابن عبد البر: المصدر نفسه ص ٣١، ٣٥، ٣٦، ٤٨، ٥٧، ١٩٠، ٢٥١.

١٠) راجع د. شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧.

كتاب " جوامع السيرة "، رجع فيه إلى " مغازى " الواقدى[١]، كما أنه اعتمد على سيرة ابن إسحق فى كتابه " جمهرة أنساب العرب "[٢].

والخلاصة: أن كتب السيرة المشرقية كان لها انتشار واسع فى الأندلس واعتمدها الأندلسيون بصورة أساسية فى مؤلفاتهم التى تناولوا فيها هذا الجانب التاريخى. وهذه الكتب وصلت إلى الأندلس عن طريق العراق ومصر والحجاز.

خامسا: كتب الأنساب[٣]:

فى مقال للكاتب الإسبانى "خاشينتو بوسك فيلا" عن (ابن حزم الأندلسى وعالم الأنساب) أكد أن علم الأنساب من بين العلوم التى وردت من المشرق إلى قرطبة[٤]. وإذا رجعنا إلى المصادر الأندلسية للبرهنة على ذلك نجد أن بعض كتب الأنساب لعلماء مشرقيين وصلت إلى قرطبة خلال القرن الثالث الهجرى، وأهم هذه الكتب هى:

[١] كتاب الأنساب لابن الكلبى الكوفى (المتوفى ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م):

وهو هشام بن محمد بن السائب الكلبى. وله أكثر من كتاب فى النسب[٥]، وأغلب الظن أن كتاب "جمهرة النسب" هو الذى وصل إلى قرطبة، لأنه أضحى المرجع الأساسى للمؤلفين من بعد. والذى يدلنا على أن هذا الكتاب ورد إلى قرطبة أنه كان أحد المصادر التى رجع إليها العالم الأندلسى محمد بن الحسن الزبيدى (المتوفى ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩م) فى كتابه "طبقات النحويين واللغويين"[٦]، وكذلك ابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) فى كتابه "الاستيعاب" وكتابه "الإنباه على قبائل الرواة"[٧]. وعليه اعتمد ابن حزم القرطبى (المتوفى ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م) فى كتابه "جمهرة أنساب العرب" حيث نقل عنه فى مواضع كثيرة

---

١) ابن حزم: جوامع السيرة (مع خمس رسائل أخرى لابن حزم) ص ٣٥، ٣٦ - تحقيق د. إحسان عباس، د. ناصر الدين الأسد - دار المعارف بالقاهرة.

٢) ابن حزم: جمهـــرة أنساب العرب ص ٧٣، ٣٥٥ - تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف بالقاهرة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م الطبعة الأولى.

٣) راجع عن كتب الأنساب (ص٢٥٠-٢٥٢) من القسم الأول.

٤) خاشينتو بوسك فيلا: ابن حزم وعالم الأنساب - مقال فى مجلة الثقافة التى تصدرها الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة - العدد (٥٨) يوليو ١٩٧٨ م - ص ٧٩ (ترجمة د. عبد اللطيف عبد الحليم).

٥) الفهرست لابن النديم ص ١٤٣.

٦) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ١٦٥.

٧) ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (مكتبة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م) ج٣ ص٨٦٨، الإنباه على قبائل الرواة (مطبعة القدسى بالقاهرة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٠م) ص ٩٠٧.

ونقده وعلق فى بعض الأحيان على كتاباته؛ مثل «كتب هذا ابن الكلبى ولكن الصواب ما يلى...» أو «هذا خطأ لأنه يتناول فلانا، وإنما يتناول آخر لما عندى من نسب هذه القبيلة»[١].

ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن حزم فى كتابه المذكور عقد الصلة فى دقة بين القبائل العربية النازحة إلى الأندلس والمغرب وبين أجذامها وأصولها المشرقية التى انحدرت منها وانسابت متشعبة فى بلادها الجديدة[٢]. ويمكن أن يستخرج من "الجمهرة" معلومات تاريخية كاملة وجيدة خاصة بالمشرق كالسيرة النبوية وتاريخ العباسيين وبنى على وبنى أمية وفى تاريخ المرأة العربية، إلى جانب الحرص على الإشارة إلى الجوانب الحضارية المتصلة بأصحاب النسب كالمذاهب والفرق والولايات والقضاء والكتب المؤلفة... وغير ذلك مما يكون مادة حضارية خصبة عن المشرق الإسلامى[٣].

[٢] كتاب النسب لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى:

سمعه بمكة طاهر بن عبد العزيز بن عبد الله الرعينى أبو الحسن القرطبى (المتوفى ٣٠٥ هـ/ ٩١٧م) من على بن عبد العزيز البغدادى كاتب أبى عبيد[٤]. وكان هذا الكتاب أحد المصادر التى اعتمد عليها ابن عبد البر القرطبى فى كتابه "الاستيعاب"[٥].

[٣] نسب قريش لمصعب الزبيرى[٦] نزيل بغداد(المتوفى٢٣٦هـ/٨٥٠م):

وهذا الكتاب على شاكلة كتاب النسب لابن الكلبى، وأدخله إلى قرطبة أبو إسحق إبراهيم ابن موسى بن جميل الأندلسى (المتوفى ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م)، سمعه فى بغداد من أحمد بن زهير ابن حرب البغدادى المعروف بابن أبى خيثمة، ثم سمعه من ابن جميل العالم القرطبى أبو بكر محمد بن معاوية الأموى المعروف بابن الأحمر (المتوفى٣٥٨هـ/٩٦٨م)[٧]. وكان هذا الكتاب

١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة دار المعارف بالقاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ص ١٩٦، ٣١٨، ٣٣٥، ٣٥٩، ٣٧٣، ٣٨٢، ٤٤٠، ٤٨٦، ٤٨٧.

٢) د. عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارة - ص ٢٠٧ (مكتبة الزهراء للإعلام العربى - ط ٢ ١٩٨٨ م / ١٤٠٩ هـ).

٣) د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠.

٤) فهرسة ابن خير ص ٢٣٩، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٤٣.

٥) ابن عبد البر: الاستيعاب ج ١ ص ٥٨.

٦) راجع عنه (ص ٢٥٢) فى الفصل الخاص بالدراسات التاريخية من القسم الأول.

٧) انظر مطلع كتاب نسب قريش المطبوع فى دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثالثة بعناية المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال - ص ٣. وانظر ترجمة ابن جميل وابن الأحمر فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج١ ص ٢١، ج ٢ ص ٧٠.

من المصادر المشرقية التى اقتبس منها ابن عبد البر مادته فى كتابيه "الاستيعاب" و"الإنباه على قبائل الرواة "[١].

[٤] نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار نزيل بغداد[٢] (المتوفى ٢٥٦هـ/٨٧٠م):

أدخله إلى الأندلس زكريا بن خطاب بن إسماعيل الكلبى الأندلسى، كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٥ م، فسمع فى مكة الكتاب المذكور، ولما عاد إلى بلده استقدمه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م) إلى قرطبة فحدث بالكتاب[٣]. وكان كتاب النسب للزبير بن بكار أحد المرويات التى رواها أبو على القالى البغدادى فى بغداد وأتى بها إلى قرطبة[٤]. وقد اعتمد عليه ابن عبد البر القرطبى فى كتابه " الاستيعاب"[٥].

سادسا كتب التراجم والطبقات:

أعطى الأندلسيون اهتماما خاصا بكتب التراجم والطبقات المشرقية وخصوصا المتصل منها بعلم الجرح والتعديل الذى هو خادم لعلم الحديث. وقد عرفنا من قبل أنه بدءا من القرن الثالث الهجرى شهدت الأندلس حركة نشطة وتقدما ملحوظا فى مجال الحديث النبوى على أيدى مجموعة من علماء قرطبة رحلوا إلى العراق من أمثال بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهما، وذلك اعتمادا على ما جلبوه من مؤلفات فى هذا المجال، وخاصة المؤلفات العراقية، وبما قاموا به من بث الرواية المشرقية بين الطلاب فى الأندلس.

ونظرا إلى أن هذا العلم يعتمد على الأسانيد، وأن هذه الأسانيد ما هى إلا مجموعة من أسماء الرواة فإن الأندلسيين وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى التعرف على حياة هؤلاء الرواة وتاريخهم العلمى ومذاهبهم بالرجوع إلى ترجمة كل منهم لتمييز القوى من الضعيف والصادق من الكاذب، ليصلوا فى النهاية إلى الحكم على الحديث من حيث القبول أو الرد، ومن ثم اتجهوا إلى جمع الكتب الخاصة بتراجم الرجال وتاريخهم. ومن هنا يتبين أن غاية الأندلسيين الأولى من جلب هذه المؤلفات التاريخية هى خدمة السنة المطهرة.

---

١) ابن عبد البر: الاستيعاب ج٢ ص٨٣٣-٨٦٨، الإنباه على قبائل الرواة (طبعة القدسى ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٠م) ص ٩٤، ص ١٠٠.

٢) راجع عنه (ص٢٥١) من القسم الأول.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ٢٩٣، المقرى: نفخ الطيب ج ٢ ص ٦٣٢، وانظر الصلة لابن بشكوال ص ١٥٤.

٤) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٧.

٥) ابن عبد البر: الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٢، ج ٣ ص ٨٧٩، ج ٤ ص ١٥٣٦، ١٥٧٤.

ولم تكن عناية الأندلسيين بهذا النوع من فنون الكتابة التاريخية مقتصرة فيما بعد على جلب المؤلفات الخاصة بالمحدِّثين والرواة، وإنما اتجه اهتمامهم أيضاً - إلى جانب ذلك - بكتب طبقات الفقهاء والقراء والقُضاة والزهاد والكتَّاب والأدباء والشعراء والأمراء... الخ، وهذه الكتب جميعها على اختلاف تنوعها وتقسيماتها تحتوى على مادة ضخمة من الأخبار والوقائع التاريخية والملامح الحضارية استفاد منها الأندلسيون فى التعرف على تاريخ المشرق وحضارته، وتأثروا بمناهجها وسلكوا مسلكها فى تأليف مصنفاتهم الخاصة بتاريخ الرجال.

وإذا رجعنا إلى المصادر الأندلسية - ونخص بالذكر فهرسة ابن خير- للتعرف على أسماء كتب التراجم المشرقية التى وصلت إلى الأندلس فسنجد أنفسنا أمام قائمة طويلة من هذه المؤلفات[١] تتنوع فى تقسيماتها وتنظيماتها؛ فمنها مصنفات على نظام الطبقات أو الأنساب، وأخرى مرتبة على الحروف أو الوفيات، أو خاصة برجال بعض البلدان، ومنها ما يستوعب الثقات من المحدثين أو الضعفاء والمتروكين فقط، أو هما معاً، ومنها كتب فى معرفة الكُنى والألقاب، إلى غير ذلك من تنظيمات. وفيما يلى عرض لبعض هذه المؤلفات لنعرف كيف وصلت إلى قرطبة:

[١] كتاب الطبقات لمحمد بن سعد البصرى نزيل بغداد (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٥م):

وهو كتاب ضخم غزير المادة، جمع فيه مؤلفه تراجم الصحابة والتابعين فَمَن بعدهم إلى عصره الذى عاش فيه، وخصص الجزئين الأول والثانى للسيرة النبوية[٢]. وهذا الكتاب أدخله إلى قرطبة اثنان من العلماء، أحدهما: أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد القرطبى المعروف بابن الجبَّاب (المتوفى ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣م). والثانى أبو بكر محمد بن معاوية القرطبى المعروف بابن الأحمر (المتوفى ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨م)، وكلاهما رحل إلى المشرق ورويا "الطبقات" عن علماء مصر[٣].

[٢] كتاب الطبقات لخليفة بن خياط البصرى(المتوفى ٢٤٠هـ/٨٥٤م):

وهو أقدم كتاب كامل وصلنا فى علم الرجال، حيث إن كتاب " الطبقات " لابن سعد الذى يتقدم عليه ليس كاملاً. وقد رتبه مؤلفه على ثلاثة أسس، هى التنظيم على النسب

---

١) أحصينا ما ذكره ابن خير وحده من كتب التراجم المشرقية التى وردت إلى قرطبة فوجدناها تصل إلى الأربعين كتاباً تقريباً.

٢) انظر منهج ابن سعد فى كتاب الطبقات د. صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٣٤٤ وما بعدها.

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٢، ج ٢ ص ٧٠ - ٧١، فهرسة ابن خير ص ٢٢٤.

وعلى الطبقات وعلى المدن[١]. وقام بنقله إلى قرطبة بقى ابن مخلد القرطبى (المتوفى ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م) رواه مباشرة عن المؤلف[٢].

[٣] تاريخ ابن أبى خيثمة البغدادى (المتوفى٢٧٩هـ/٨٩٢م):

وهذا الكتاب كبير، ونقلت عنه كثير من كتب التراجم، وكان أحد مصادر الطبرى والخطيب البغدادى الذى أثنى عليه بقوله: «لا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذى صنفه ابن أبى خيثمة»[٣]. ولأهميته فقد اهتم به علماء قرطبة، حيث رحل فى وقت واحد (عام ٢٧٤ هـ/٨٨٧م) أربعة من علمائها إلى بغداد وتتلمذوا على ابن خيثمة، وسمعوا منه كتابه المذكور، وهم: محمد بن عبيد الله بن أيوب القرطبى المعروف بالدباج (المتوفى ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م)[٤] ومحمد بن زكريا بن محمد بن جعفر أبو عبدالله القرطبى اللخمى (المتوفى ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)[٥] ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى (الكوفى٣٣٠هـ/٩٤١م)[٦] وقاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى٣٤٠هـ/ ٩٥١م)[٧].

وكان تاريخ ابن أبى خيثمة أحد المصادر التى أفاد منها ابن حزم القرطبى (المتوفى ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م) فى كتابه " جوامع السيرة "[٨]، وابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣ هـ/١٠٧٠م) فى كتابيه "الاستيعاب" و"الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء"[٩].

[٤] ذيل المذيل لمحمد بن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى٣١٠ هـ/٩٢٢م):

يقع هذا الكتاب - فى صورته المخطوطة - فى عشرين جزءا، وأملاه الطبرى فى نحو ألف ورقة، ويتناول تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصر المؤلف، وقد ذكر فيه تاريخ

---

١) د. فاروق عمر فوزى: خليفة بن خياط ص ٢٠ - ٢٨.
٢) فهرسة ابن خير ص ٢٢٥، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٠٩.
٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٦٣.
٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٣٩.
٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥.
٦) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٢.
٧) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٤٠٦ -٤٠٧، فهرسة ابن خير ص ٢٠٦، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨.
٨) ابن حزم: جوامع السيرة (مطبوع مع خمس رسائل أخرى لابن حزم) - دار المعارف بالقاهرة - تحقيق إحسان عباس وآخرون - ص ٣٣، ٣٤.
٩) ابن عبد البر: الاستيعاب ج ١ ص ٢٤، ٢٢٣، ج ٢ ص ٤٧٦(مكتبة نهضة مصر١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م)، الانتقاء ص ٤٣ (مطبعة القدسى بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٠م).

النساء اللائى أسلمن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مات منهن قبل الهجرة وبعدها. وفى آخر الكتاب أبواب فيمن حدث عنه الإخوة، أو الرجل وابنه، ومن اشتهروا بكناهم دون أسمائهم، ومن اشتهروا بأسمائهم دون كناهم من رجال ونساء، وكثيرا ما تناول فى تاريخ الرجال طرائف من أخبارهم ومذاهبهم والدفاع عن ذوى الفضل منهم[١].

والفضل فى إدخال هذا الكتاب إلى قرطبة يرجع إلى عالمين، أحدهما بغدادى، والآخر أندلسى، كانت لهما عناية بجميع كتب الطبرى، وقد سبق ذكرهما عند حديثنا عن تاريخ الطبرى[٢].

تعليق:

هذا بعض ما ورد إلى قرطبة من كتب التراجم المشرقية[٣]. ولقد كانت هذه الكتب المذكورة وغيرها مرجع الكثيرين من مؤرخى الأندلس فى مؤلفاتهم التى تتناول هذا النوع من الكتابة التاريخية التى سلكوا فيها مسلك المشارقة فى التبويب والتنظيم. وإذا رجعنا إلى قائمة المصادر المشرقية التى استقى منها ابن عبد البر وحده مادته - والتى ذكرها أحد الباحثين فى أطروحة له عن " ابن عبد البر القرطبى مؤرخا " - فسنجد أنفسنا أمام عدد كبير من هذه المصادر قد تصل إلى خمسين كتابا على وجه التقريب، وهذا فيما يخص كتب التراجم والطبقات وحدها، عدا الأنواع الأخرى من كتب التاريخ كالحوليات والأنساب والسيرة وغيرها[٤]. وهذا يدل على العناية الكبيرة التى أولاها الأندلسيون لهذا النوع من الكتابات التاريخية، وأن هذه الكتب كانت معروفة ومتداولة على نطاق واسع بين طلاب العلم فى الأندلس وحاضرتها قرطبة.

---

١) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٨ ص ٧٠ - ٧١، فهرسة ابن خير ص ٢٢٧، د. أحمد الحوفى: الطبرى ص ٨٩ -٩٠ .

٢) راجع ص ٥٩٤ - ٥٩٥ من هذا المبحث.

٣) لمعرفة المزيد عن هذا النوع من المؤلفات التى وصلت إلى الأندلس انظر فهرسة ابن خير ص ٧٢، ٩٣، ١٨١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٨٤، ٣٥١، ٣٧٩، . الديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ٢٠٤، بغية الملتمس للضبى ج ١ ص ٢١٥، الصلة لابن بشكوال ص ١٠١، ٦٦٠، جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧، ٢٨٥، ج٢ ص ١٥٢، ١٩٣ - ١٩٤، ١١٢ - ١١٣.

٤) انظر ابن عبد البر القرطبى مؤرخا - رسالة ماجستير قدمها ليث سعود جاسم لكلية دار العلوم سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م - قسم الملاحق - الملحق الأول ص ٣ وما بعدها.

خامسا: التواريخ المحلية[١]:

وقد اتجهت عناية الأندلسيين أيضا إلى التعرف على نوع آخر من الكتابات التاريخية المشرقية وهو التواريخ المحلية الخاصة بتدوين تارخ بعض المدن. وأهم ما ورد إلى قرطبة من هذه الكتب:

١- " تاريخ بغداد " لأحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادى (المتوفى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). جاء ذكره فى إشارة لابن حزم القرطبى (المتوفى٤٥٦هـ/٩٥٥م) عند تعرضه لذكر مؤرخى الأندلس، فقد ذكر أن أحمد بن محمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) صنف كتابا فى" صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها " على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر طيفور فى أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور(العباسى) بها. هذا ما قاله ابن حزم[٢]. وفى ذلك دلالة على أن كتاب طيفور كان متداولا فى قرطبة، وأن أحمد الرازى قد يكون ممن تأثروا به فى تأليف كتابه المذكور.

٢- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، أدخله إلى الأندلس العالم البغدادى المبارك بن سعيد بن محمد بن الحسن الأسدى المعروف بابن الخشاب، قدم إلى قرطبة سنة ٤٨٣ هـ، وحدث بها بتاريخ بغداد، وكان قد سمعه على مؤلفه فى بغداد[٣]. ولقد كان بن حزم يتوق إلى أن يدخل قرطبة كتاب مثل هذا، ولكنه توفى- رحمه الله - قبل بلوغ أمنيته، وقد سجل ذلك فى رسالته عن " فضل الأندلس " قائلا: «وما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبي طاهر (طيفور) [المتوفى ٢٨٠ هـ]..... ولقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه علم، على أنهم العلية الرؤساء والأكابر العظماء، ولو كان فى شئ من ذلك تأليف لكان الحكم فى الغالب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم»[٤].

٣ - " أخبار مكة " لأبي عبد الله محمد بن إسحق بن العباس الفاكهى (كان حيا سنة ٢٧٢ هـ/ ٨٥٥م). اعتمد عليه ابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م) فى كتابه " الاستيعاب فى معرفة الأصحاب "[٥].

---

١) راجع عن التواريخ المحلية (ص ٢٤٧) من القسم الأول.
٢) رسالة ابن حزم التى رواها المقرى فى نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٣.
٣) ابن بشكوال: الصلة ص ٦٣٤ (ترجمة ١٣٩١).
٤) رسالة ابن حزم التى رواها المقرى فى نفح الطيب ج ٣ ص ١٦٥.
٥) فهرسة ابن خير ص ٢٨٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ج ٢ ص ٨٣٠.

ووصل إلى قرطبة أيضا كتاب " أخبار مكة وفضائلها " لأبى الوليد الأزرقى: أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق المكى (المتوفى ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) ويقع فى ثلاثة عشر جزءا[١].

ومن التواريخ البلدانية التى وصلت إلى قرطبة وكانت من الموارد المهمة لابن حزم فى دراساته: كتابا "أخبار البصرة" و"أخبار الكوفة" كلاهما لعمر بن شبة البصرى (المتوفى ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥م)، وكتاب "تاريخ البصرة" لأبى يحيى زكريا بن يحيى الساجى البصرى (المتوفى ٣٠٧ هـ/ ٩٢٠م)، وكتاب " خطط البصرة وقطائعها " لابن الربيع ابن زياد. وكتاب "أخبار أصبهان" لحمزة بن الحسين الأصبهانى (المتوفى حوالى ٣٦٠ هـ/٩٧٠م).

وإذا كان لابن حزم رسالة مستقلة فى "جمل فتوح الإسلام" فمن المرجح أنه لا يمكن أن يكون قد فاته الاطلاع على كتب الفتوح، مثل فتوح الشام للواقدى البغدادى (المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م) و"فتوح الشام" لأبى إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدى و"فتوح البلدان" للبلاذرى (المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م) و"فتوح مصر والمغرب" لابن عبد الحكم المؤرخ المصرى (المتوفى ٢٥٧هـ/٨٣٠م)، وقد وصلت هذه الكتب جميعها إلى قرطبة[٢].

تعقيب: وخلاصة ما سبق:

١ - أن الأندلسيين عنوا بدراسة التاريخ المشرقى وعملوا على جلب مؤلفاته بكل أنواعها، وأعطوا لكتب التراجم والطبقات أهمية خاصة لاتصالها بعلم الحديث الذى شهد نهضة كبيرة فى قرطبة منذ منتصف القرن الثالث الهجرى اعتمادا على (بغداد/المشرق). كما اهتموا بكتب السيرة النبوية اهتماما ملحوظا للوقوف على الممارسات التشريعية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.

٢ - وقد كان للأندلسيين النصيب الأوفر فى جلب المصادر التاريخية إلى بلادهم، بل وفى كل علم، وشاركهم فى ذلك (على قلة) عدد من البغداديين الذين هاجروا إلى الأندلس حاملين معهم دررا من التراث المشرقى.

٣ - ومن الملاحظ أن أكثر المؤلفات التأريخية التى وصلت إلى قرطبة كانت لمؤلفين عراقيين. وقد تأثر بها الأندلسيون، وانعكس هذا التأثير فى المنهج الذى اتبعوه فى تدوين التاريخ

---

١) فهرسة ابن خير ص ٢٣٨.

٢) فهرسة ابن خير ص ٢٣٨ - ٢٣٩. وقد أدرجنا كتب الفتوح ضمن كتب التواريخ المحلية - راجع (ص٢٤٩) من الباب الأول.

الأندلسى، وسوف تتأكد لنا هذه الحقيقة فى موضع آخر من هذه الدراسة[١].

٤ - لقد تعرف الأندلسيون على التاريخ المشرقى ومناهجه من خلال مصادره الأصلية التى وردت إلى قرطبة. وإلى جانب هذه المصادر الأصلية ورد إلى قرطبة عدة مؤلفات فى الأدب واللغة مليئة بالروايات التاريخية والحضارية عن المشرق. ومن أهم هذه المؤلفات: كتابا "البيان والتبيين" و"الحيوان" للجاحظ، و"عيون الأخبار" و"المعارف" لابن قتيبة، و"الكامل" للمبرد، و"الأغانى" لأبى الفرج الأصبهانى. وهذا الكتاب الأخير حافل بكثير من الروايات عن تاريخ الأمويين والعباسيين.

ومن الجدير بالذكر - فى هذا السياق - أنه يوجد مؤلفات أندلسية فى الأدب تضم فى طياتها مجموعة كبيرة من الأخبار والروايات عن التاريخ السياسى والحضارى المشرقى. وأوضح مثال على ذلك كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه القرطبى (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م). وهذا الكتاب اعتمد مؤلفه فيه على كثير من المصادر التاريخية والأدبية فى إيراد تلك الأخبار[٢].

* * * *

١) راجع التفاصيل الخاصة بالتراث الأندلسى فى علم التاريخ - بداية من (ص٨٢٥). إلى (ص ٨٦٥).

٢) سيأتى الحديث عن هذه الناحية من كتاب العقد الفريد - راجع (ص ٧٨٨-٧٨٩). وراجع مقالا للدكتور أحمد محمد النجار بعنوان "مصادر العقد الفريد وطريقة ابن عبد ربه فى الرواية والصياغة" - مجلة الأزهر - العدد السابع/السنة (٥٦) [١٤٠٤هـ/١٩٨٤م] - ص ١١٥٩ وما بعدها.

المبحث الثانى

الجغرافيا

أما عن تأثر الأندلسيين بالكتابات الجغرافية التى ظهرت فى (بغداد/المشرق) فليس لدينا ما يفيد أن شيئا مما كتبه أعلام المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى مجال الجغرافيا الإقليمية الوصفية[١] دخل الأندلس فى زمن مبكر. لكن «لا نستبعد أن يكون الأندلسيون قد عرفوا بعض الكتابات الجغرافية الأولى مثل "البلدان الكبير" و"البلدان الصغير" و"الأنهار" و"الأقاليم" وما إليها مما ألفه أصحاب البواكير فى التأليف الجغرافى فى المشرق»[٢].

وهناك نوعان من الكتب المشرقية ورد إلى الأندلس وتأثر بها الأندلسيون بطريق غير مباشر فى مجال الدراسات الجغرافية:

النوع الأول: كتب التاريخ التى وردت فى ثناياها شئ من المعلومات الجغرافية، وبخاصة تلك الكتب التى تهتم بتأريخ المدن. فهذه الكتب تبدأ عادة بمقدمة جغرافية فى وصف المدينة وخططها وطبائع سكانها. وقد وصل إلى قرطبة عدد من هذا النوع سبق ذكر بعضها قبل قليل[٣]. "كتاريخ بغداد" للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وكتاب "أخبار بغداد" لأحمد بن أبى طيفور البغدادى[٤] (المتوفى ٢٨٠هـ/٨٩٣م). وهذا الكتاب الأخير تأثر به الأندلسيون وسلكوا مسلكه فى الدراسات الجغرافية الخاصة بالمدن الأندلسية، ومن ذلك الدراسة التى كتبها مؤسس المدرسة الجغرافية والتاريخية فى الأندلس: أحمد بن محمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م)، صنف كتابا فى "صفة قرطبة وخططها ومنازل العلماء بها"، على نحو ما بدأ به أحمد بن أبى طيفور كتابه فى "أخبار بغداد وذكر منازل صحابة المنصور بها"[٥].

ويعد كتاب "مروج الذهب" للمسعودى (المتوفى ٣٤٥هـ/٩٥٦م) - وهو من كبار المؤرخين والجغرافيين المسلمين - من أهم كتب التاريخ المشرقية التى تحتوى على دراسات جغرافية متنوعة[٦]. وهذا الكتاب اعتمد عليه الأندلسيون فى اقتباس بعض النصوص المتعلقة

---

١) راجع المقصود بالجغرافيا الإقليمية الوصفية (ص٢٦٩) من القسم الأول.
٢) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٢٦.
٣) راجع (ص ٦٠٦ - ٦٠٧) من المبحث السابق.
٤) تحدثنا عن هذين الكتابين من قبل فى المبحث الخاص بعلم التاريخ - القسم الأول (ص٢٤٧-٢٤٨).
٥) جذوة المقتبس للحميدى ١٦٨/١١، بغية الملتمس للضبى ص ١٥١.
٦) راجع ما ذكرناه عن "مروج الذهب" من الناحية الجغرافية (ص ٢٧٦) من القسم الأول.

بجغرافية الأندلس[١]، ومن ثم تأثروا به فى طريقة تناول المعارف الجغرافية.

والنوع الثانى: كتب اللغة التى تهتم بتسجيل المفردات اللغوية الخاصة بالظواهر الطبيعية فى جزيرة العرب. وقد ورد منها إلى قرطبة العدد الكبير كما ذكرنا من قبل[٢]. وهى الكتب التى تحمل عناوين "الأنواء" و"النبات" و"الشجر" و"المياه" و"الجبال" و"الطير" و"الحشرات" و"النوادر"... الخ. إضافة إلى بعض كتب الأدب والأخبار، مثل "عيون الأخبار" و"المعارف" لابن قتيبة، و"القبلة" لأبى حنيفة الدينورى. فهذه كلها مراجع انتفع بها الأندلسيون فى بعض بحوثهم الجغرافية.

وأوضح مثال على تأثر الجغرافيين الأندلسيين بهذا النوع من الكتب كتاب "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" لأبى عبيد الله البكرى: عبد الله بن عبد العزيز بن أبى زيد البكرى الأندلسى (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وهو خاص بجزيرة العرب[٣]. وهذا الكتاب - وإن كان يحمل صفة الابتكار فى مجال المعجم الجغرافى العربى المتخصص - فإن مؤلفه اعتمد فى جمع مادته على عدد هائل من كتب اللغة والأدب والشعر والحديث والتاريخ. ويكفى أن نذكر أن البكرى فى الصفحتين الأوليين فحسب يرجع إلى هشام بن محمد بن السائب الكلبى وعبد الله بن وهب، والمغيرة بن عبد الرحمن، والأصمعى وعبد الله بن بشر السكونى والشعبى والخليل بن أحمد الفراهيدى وأبى إسحق الحربى. وجميعهم من أعلام المشرق فى اللغة والأدب والحديث[٤].

أما عن كتب الجغرافيا الوصفية والإقليمية (كتب البلدان/ أو المسالك والممالك) فلا نكاد نعثر على شئ يشير إلى أن هذا النوع من الكتب المشرقية قد عرفه الأندلسيون فى زمن مبكر، وكل ما ورد من إشارات قليلة فى بعض المصادر الأندلسية المتأخرة بشأن هذه الكتب تجعلنا نذهب إلى القول بأنها - أى كتب المشارقة فى المسالك والممالك - وصلت إلى الأندلس بعد القرن الرابع الهجرى على الأقل، وبدأ الأندلسيون يسيرون على طريقتها فى المؤلفات التى وضعوها فى وصف المعالم الجغرافية والطبيعية لإقليم الأندلس، بل واقتبس بعضهم من كتب

---

١) راجع نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ١٢٧، ١٤٣، ١٩٩.

٢) راجع المبحث الخاص بانتقال كتب اللغة إلى الأندلس بداية من (ص ٥٨٠-٥٨١).

٣) سيأتى الحديث عن هذا الكتاب فى الفصل الخاص بإنجازات الأندلسيين فى علم الجغرافيا - راجع بداية من (ص٨٧١).

٤) معجم ما استعجم ج ١ ص ٥ - ٦ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م بتحقيق مصطفى السقا.

المسالك المشرقية مادة جغرافية عن الأندلس كما فعل الحجارى (المتوفى حدود ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) فى كتابه "المسهب فى غرائب المغرب"، فقد نقل عن ابن حوقل (المتوفى فى حدود ٣٦٧هـ/٩٧٧م) شيئا مما ذكره فى كتابه "المسالك والممالك" عن بناء مدينة الزهراء فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢- ٩٦١م)[١].

ولعل المعلومات الوافية التى أوردها ابن حوقل فى كتابه "صورة الأرض /أو المسالك والممالك" عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنظام الإدارى والحربى بالأندلس جعلت منه مصدرا مهما للأندلسيين فى هذا الباب. والذى زاد من قيمته تلك أن ابن حوقل دخل الأندلس فى أول سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، أى فى زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م). وقد أشار إلى ذلك صراحة فى بداية وصفه لجغرافية الأندلس[٢]. وقد أشار (كراتشكوفسكى) إلى أن كتاب ابن حوقل عرف له الأندلسيون "مختصرا" يحوى إضافات كثيرة ترجع إلى عهد الشخص الذى اختصره، وذلك فى الفترة بين عامى (٥٣٤هـ) و(٥٨٠هـ)[٣].

ولا بد أن تكون كتب المشارقة فى "الجغرافيا" بكل أنواعها قد عرفت على نطاق واسع فى المغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجرى. وأوضح دليل على ما نقول تلك المجموعة الكبيرة من كتب الجغرافيا التى اعتمد عليها الجغرافى والرحالة الأندلسى الكبير الشريف محمد ابن محمد الإدريسى (المتوفى ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م). فهذا العالم أورد فى فاتحة كتابه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" - الذى يمثل قمة التأليف الجغرافى عند المسلمين - طائفة من الكتب الجغرافية اعتمد عليها، وعددها عشرة، منها: كتاب "العجائب" للمسعودى[٤] و"كتاب" أبى نصر سعيد الجيحانى[٥]، "وكتاب" أبى القاسم عبيد الله

---

١) ذكر ذلك ابن سعيد فى كتابه "المغرب فى حلى المغرب" ج ١ ص ١٧٩. ومن الجدير بالذكر أن ابن سعيد (المتوفى ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) نقل فقرات كثيرة من "مسهب" الحجارى فيما يتصل بنواحى الأندلس (راجع د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٥٦ وما بعدها).

٢) ابن حوقل: صورة الأرض - ص ١٠٤ (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٩٧٩م).

٣) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ١/٢٠٥.

٤) كتاب "العجائب" للمسعودى (المتوفى ٣٤٥هـ/٩٥٦م) هو"أخبار الزمان وعجائب البلدان"، ويسمى أيضا "الجمان فى مختصر أخبار الزمان"، وهو من كتب المسعودى فى الجغرافية التاريخية.

٥) أبو نصر سعيد الجيحانى الذى أشار إليه الإدريسى موضع تساؤل كبير، لأن المعروف لنا فى الدراسات الجغرافية هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيحانى (ويكتب الجيانى أيضا)، وكان وزيرا فى البلاط السامانى- فيما بين سنة (٢٧٩-٢٩٥هـ/٨٩٢-٩٠٧م)، وقد صنف كتابا احتذى فيه كتاب =

ابن خرداذبة[١]، وكتاب قدامة بن جعفر البصرى[٢] وكتاب أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبى[٣] و"كتاب" بطليموس فى الجغرافيا[٤]، وغيرها[٥].

والإدريسى – وإن نص فى مقدمة كتابه على بعض المراجع التى اقتبس منها – لم يقتصر على الرجوع إلى ما ذكره منها، وعالم مثله تدل كتاباته على اطلاع واسع وعلم متين فى ميدان تخصصه لا يقف عند حدود هذه المراجع، وإنما – وبالتأكيد – أغفل ذكر عدد آخر من كتب الجغرافيا. وإذا عرفنا أن ما أورده من مصادر جغرافية كتبت فى القرن الرابع الهجرى وأن الإدريسى ألف كتابه "نزهة المشتاق" فى القرن السادس فلنا أن نسأل: هل معنى ذلك أن اطلاع الإدريسى على المؤلفات المشرقية فى الجغرافيا وقف عند ذلك الحد و لم يمتد إلى ما ألف فى القرن الخامس كله والنصف الأول من القرن السادس؟. إن معلوماته الغزيرة فى الجغرافية الفلكية والطبيعية لتدل على أنه لا بد وأن يكون قد اطلع على مراجع أكثر من هذه الكتب القليلية التى أوردها فى مقدمة كتابه[٦].

والخلاصة: أن الأندلسيين استفادوا من المناهج والكتب المشرقية فى حقل الدراسات الجغرافية، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر. لكن تأثرهم بالمناهج والاتجاهات التأريخية كان أكثر وضوحا وشمولا كما رأينا. وسيرى القارئ فى موضع لاحق أنهم برعوا فى ميدان الجغرافيا، وقدموا أرقى الدراسات عن جغرافية الأندلس والمغرب بوجه خاص، وحققوا خصوصيتهم فى هذا الباب، وسبقوا المشارقة فى بعض الفنون الجغرافية[٧].

* * * *

= قدامة بن جعفر عن الخراج ذكره المقدسى فى فاتحة "أحسن التقاسيم" للمقدسى وكتابا آخر يسمى "المسالك والممالك". (راجع: د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٩٦، عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية الأولى ص ٢٣٠).

١) راجع عن كتاب ابن خرداذبة (ص ٢٧٠) من القسم الأول.

٢) صنف قدامة بن جعفر (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م) كتابا بعنوان "الخراج وصنعة الكتابه". تحدثنا عنه فى موضع سابق (ص ٢٥٨).

٣) كتاب اليعقوبى هو المعروف "بالبلدان" – راجع عنه (ص ٢٧١) من القسم الأول.

٤) راجع ما ذكرناه عن هذا الكتاب (ص ٢٧٨– ٢٧٩).

٥) راجع مقدمة نزهة المشتاق للإدريسى ج ١ص ٥ – ٦ (مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة – الطبعة الأولى/ بدون تاريخ).

٦) راجع تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس للدكتور حسين مؤنس ص ١٩٧ – ١٩٩.

٧) سيأتى الحديث عن إنجازات الأندلسيين فى مجال الجغرافيا بداية من (ص ٨٦٦).

الفصل الرابع
علم الكلام والفلسفة

تسرب مذهب المعتزلة من العراق إلى قرطبة (فترة ما قبل ابن مسرة):

منذ أن اهتمت الأندلس بالحضارة والثقافة المشرقية كان من الطبيعى أن يتسرب إليها بعض المذاهب الكلامية والعقلية التى ظهرت فى العراق. والرحلات الكثيرة التى قام بها الأندلسيون إلى العراق جعلت من غير الممكن تجنب هذا التسرب، وقد تسلل بالفعل مذهب المعتزلة إلى قرطبة. ويذهب ليفى بروفنسال إلى أنه «من الصعب أن نحدد الزمن الذى بدأ فيه المعتزلة يتسللون تدريجيا بين أكثر عناصر الشعب الأندلسى ثقافة، ونعتقد - والكلام لبروفنسال - أن ذلك لم يحدث على أية حال قبل حكم الأمير محمد الأول (٢٣٨-٢٧٣ هـ/٨٥٢-٨٨٦م)»[١].

وبالبحث فى كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضى يمكن لنا التعرف على عدد من هؤلاء الأندلسيين الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق وتأثروا خلالها بآراء المعتزلة. وربما كان أول أندلسى يشعر بالتعاطف تجاه مذهب المعتزلة هو الفقيه القرطبى عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (مولى قريش) (المتوفى ٢٦١هـ/٨٧٤م) درس فى المشرق، وكان من الفقهاء المشهورين، «طالع كتب المعتزلة ونظر فى كلام المتكلمين»، وكان من القائلين بالقدر[٢]، ويذهب إلى أن الأرواح تموت[٣]، أى القول بفناء الروح، والقول بالفناء خاصية من خواص مدرسة المعتزلة البصرية التى يترأسها أبو الهذيل العلاف (المتوفى حوالى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)[٤].

ومن المعروف أن الجاحظ (عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م) كان من رءوس المعتزلة فى العراق، وتنسب إليه فرقة تسمى "الجاحظية" [٥]، وله مؤلفات كثيرة فى الأدب والملل والفرق، وقد دخل كثير من كتبه إلى قرطبة على يد فرج بن سلام أبى بكر

---

١) ليفى بروفنسال: الحضارة العربية فى إسبانيا - ترجمة دكتور الطاهر أحمد مكى - ط دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٧٩م - ص ١٧٠.

٢) سبق التعريف بهذا المصطلح (ص١٦٦).

٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٢٣-٣٢٥.

٤) راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٢٢ - مكتبة دار التراث بالقاهرة.

٥) البغدادى: الفرق بين الفرق ص ١٧٥ وما بعدها.

القرطبى الذى كانت له رحلة إلى المشرق دخل فيها العراق قبل عام ٢٥٥هـ، والتقى خلالها بالجاحظ وأخذ عنه كثيرا من مؤلفاته[١].

وقد عد المستشرق الإسبانى (أسين بلاثيوس) فى دراسته عن (ابن مسرة ومدرسته) أن فرج بن سلام من أول من أدخلوا تعاليم المعتزلة إلى الأندلس بحكم جهوده فى إدخال كتب الجاحظ ونشرها فى هذه البلاد[٢]. مع العلم أن فرج بن سلام لم ينسب إليه انتماء إلى المعتزلة.

• خليل الغفلة وتأثره بمذهب المعتزلة أثناء وجوده بالعراق:

والذى تجرأ واستطاع أن يعلن صراحة أنه معتزلى هو القرطبى خليل بن عبد الملك ابن كليب المعروف بخليل الغفلة[٣] الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى). قال عنه ابن الفرضى: «كان يعلن بالاستطاعة»[٤]، وقال أيضا: «وكان خليل مشهورا "بالقول" بالقدر». وكان معاصرا للعالم القرطبى المشهور بقى بن مخلد (المتوفى٢٧٦ هـ/٨٨٩م) وصديقا للفقيه الكبير محمد بن وضاح (المتوفى ٢٨٧هـ/٩٠٠م)، لكن ابن وضاح هجره ورفض صداقته بعد أن صرح خليل بأنه من أنصار المعتزلة[٥].

ويروى ابن الفرضى أن خليل بن عبد الملك رحل إلى المشرق وعاد من هناك بكتاب "التفسير" المنسوب إلى الحسن البصرى، رواه من طريق عمرو بن فائد[٦]. وبالبحث عن عمرو ابن فائد تبين أنه بصرى ومن المعتزلة يقول بالقدر، وتتلمذ على يد عمرو بن عبيد بن باب البصرى المعتزلى، وهذا الأخير يعد من مؤسسى مذهب المعتزلة[٧]، ويدعونا هذا إلى القول بأن خليل بن عبد الملك تأثر بآراء المعتزلة أثناء وجوده بالعراق، ثم عاد إلى قرطبة وصرح بهذه الآراء.

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج١ ص٣٩٣، المقتبس لابن حيان (تحقيق د. محمود على مكى) ص ١٦٤.

٢) Asin Balacios: Ipn Masarra Y su escula, en Obras escogidas, (ed. Madrid, 1946) PP.27.

٣) عرفه ابن الفرضى فى تاريخ علماء الأندلس (ج ١ ص ١٦٥) بأنه خليل الفضله، وهذا اللقب خطأ، وإنما الصحيح هو "خليل الغفلة" كما قال الدكتور طاهر مكى فى تعليقه على ترجمته لكتاب "الحضارة العربية فى إسبانيا" تأليف ليفى بروفنسال ص ١٧١ (حاشية رقم ٢).

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٦٥. وقد سبق التعريف بمصطلح الاستطاعة (ص٤٩٩).

٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة.

٦) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٦٥.

٧) ابن حجر: لسان الميزان ج ٤ ص ٣٧٢. وراجع ما كتبناه عن تفسير الحسن البصرى (ص٥٠٠-٥٠٢).

ويحتفظ ابن الفرضى بنص له أهمية كبيرة من حيث أنه يلقى ضوءا على بعض العقائد الاعتزالية التى تسللت إلى قرطبة وموقف الفقهاء منها. والنص عبارة عن عدة استجوابات توجه بها العالم القرطبى الكبير بقى بن مخلد إلى خليل يسأله عن آرائه حول بعض المسائل الأعتقادية التى تتعلق بالقرآن والميزان والصراط والقدر، يقول ابن الفرضى: «أخبرنى أبو بكر عباس بن أصبغ قال: أخبرنى بعض أصحابنا عن أحمد بن بقى (بن مخلد) قال: سمعت أبا عبيدة يقول: حضرت الشيخ (يعنى بقيا) وقد أتاه خليل فقال له بقى: أسألك عن أربع. فقال: ما هى؟. قال ما تقول فى الميزان؟. قال: عدل الله، ونفى أن تكون له كفتان فقال له: ما تقول: فى الصراط؟. فقال: الطريق، يريد "الإسلام"، فمن استقام عليه نجا. فقال له: ما تقول فى القرآن؟. فلجلج و لم يقل شيئا، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق. فقال له: فما تقول فى القدر؟، فقال: أقول: إن الخير من عند الله، والشر من عند الرجل. فقال له بقى: والله لولا حالة(؟)[1] لأشرت بسفك دمك، ولكن قم فلا أراك فى مجلسى بعد هذا الوقت»[2].

ويظهر أن أحدا لم يتعرض لخليل الغفلة بأذى فى حياته رغم أنه كان مكروها بسبب آرائه التى خالف فيها جمهور العلماء فى الأندلس، ولكن بعد موته أخرج جماعة من الفقهاء المالكية كتبه وأحرقوها بالنار، إلا ما كان فيها من مسائل الفقه[3]، وذلك فى عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢).

ابن السمينة:

وكان لخليل الغفلة مؤيد قوى من قرطبة أيضا، وهو يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة (المتوفى ٣١٥هـ/٩٢٧م)، وكان - كما يقول ابن الفرضى - «متصرفا فى ضروب من العلم، متفننا فى الآداب ورواية الأخبار، مشاركا فى الفقه والرواية وعقد الشروط، بصيرا بالاحتجاج وعلم الكلام، نافذا فى معانى الشعر وعلم العروض والتنجيم والطب»[4]. رحل إلى المشرق ومال إلى كتب الحجة ومذاهب المتكلمين، وانصرف إلى الأندلس فكان مقصودا من ضروب الناس، و لم يكن يخفى ارتباطه بمبدأ "الاستطاعة" الذى يقول به المعتزلة. فقد امتدحه صاعد الأندلسى بسعة العلم واتساع الثقافة وتنوع المعلومات، ثم قال: «وكان معتزلى

---

١) كذا فى النسخة المطبوعة، و لم أصل إلى معناها، وهو تحريف.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٦٥.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة.

٤) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٥.

المذهب»[١]. ويبدو أنه لمستواه العلمى الرفيع استطاع أن يكون حوله مجموعة من الطلاب والأنصار.

عائلة بنى حدير:

ومن الأسر الأندلسية الشهيرة التى اعتنقت مذهب المعتزلة "بنو حدير" وهم عائلة قديمة تربطها مع بنى أمية روابط الولاء، وتولى أفرادها كثيرا من المناصب الكبرى طوال أيام الدولة الأموية فى الأندلس[٢]. وأبرز شخصيتين من هذه العائلة اعتنقتا ذلك المذهب هما: موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير الذى تولى منصب الحجابة فى أيام عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م، وكانت وفاته سنة ٣١٩هـ/٩٣٣م، وأخوه أحمد صاحب المظالم المتوفى ٣٢٧هـ، «وكان داعية إلى الأعتزال لا يستتر بذلك»كما يقول ابن حزم[٣]. وقد درس مع عبد الله بن مسرة المعتزلى[٤] والد محمد بن عبد الله بن مسرة الذى سيأتى الحديث عنه بالتفصيل.

المنذر بن سعيد البلوطى:

وكان المنذر بن سعيد البلوطى قاضى قرطبة ميالا إلى مذهب الاعتزال، ويقول عنه ابن الفرضى: «كان بصيرا بالجدل، منحرفا إلى مذهب أهل الكلام، لهجا بالاحتجاج، كان ينحل فى اعتقاده أشياء الله مجازيه بها ومحاسبه عليها»[٥]، وله آراء بخصوص الجنة والنار ذكرها ابن حزم فى كتابه " الفصل فى الملل والأهواء والنحل" [٦]. وكان لزياد بن عبد العزيز (كان حيا سنة ٤٣٠هـ/١٣٠٨م) أرجوزة فى الرد على مذهبه[٧].

---

١) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٦٥.

٢) كان حدير بوابا على باب السدة (وهو باب القصر الرئيسى فى قرطبة) فى أيام الحكم بن هشام الربضى حينما نشبت ثورة الربض سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م (انظر تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص ٥٥-٥٦). وولى موسى بن حدير الخزانة الكبرى فى أيام عبد الرحمن الأوسط بن الحكم (انظر قضاة قرطبة للخشنى ص ٨١-٨٢، ابن القوطية ص ٥٩، ٦٢، ٦٨).

٣) ابن حزم: رسالة فى فضل الأندلس (نفح الطيب للمقرى ج ٣ ص ١٧٦-١٧٧) وانظر ترجمة موسى ابن محمد بن سعيد فى الحلة السيراء لابن الأبار ج ١ ص ٢٣٢ وما بعدها. وترجمة أخيه أحمد فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٤٩.

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٩.

٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٣.

٦) ابن حزم: الفصل فى الأهواء والملل والنحل ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩/ طبعة مصر ١٣٤٨هـ.

٧) محمود مكى: التيارات الثقافية المشرقية وأثرها فى تكون ثقافة الأندلس - ص ٦٢/ رسالة دكتوراه منشورة بالإسبانية فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد فى عدديها (٩-١٠)، (١١-١٢).

• بعض أتباع المعتزلة البغداديين فى قرطبة:

وقد حاول بعض أتباع المعتزلة من البغداديين أن يستقروا فى قرطبة، ولدينا لذلك مثل، وهو حالة أبى الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبى بردة الشافعى البغدادى، وصل إلى الأندلس سنة ٣٦١هـ/١٩٧١م، وأحسن الحكم الثانى (المستنصر) استقباله كواحد من كبار علماء الشافعية على أيامه، ولكن ما إن علم أنه من المعتزلة حتى أصدر قرارا بإبعاده، وذلك فى رجب سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣هـ[١]. وليس لدينا معلومات توضح الإجابة عن سؤالنا: هل استطاع ابن أبى بردة البغدادى خلال الاثنى عشر سنة التى قضاها فى قرطبة أن يبث آراءه الاعتزالية أم لا؟.

تعقيب: وإلى هنا يمكن القول: إن مذهب المعتزلة الذى تسرب إلى قرطبة لم يأخذ طريقه مباشرة إلى عامة الناس، وإنما ظل تأثيره محدودا ومقصورا على عدد قليل من المثقفين، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن تعصب جمهور الأندلسيين للمذهب المالكى جعلهم ينظرون إلى غيره من المذاهب الفقهية والكلامية نظرة تشدد كما يستدل على ذلك من قول المقدسى عن أهل الأندلس: «وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على شافعى أو حنفى نفوه، وإن عثروا على معتزلى أو شيعى ربما قتلوه»[٢]. أى سعوا فى قتله، وهذه العبارة وإن كان فيها شئ من المبالغة إلا أنها تدل إلى حد كبير على واقع الحياة الفكرية فى قرطبة من هذه الزاوية، فقد كان الفقهاء المالكية الحريصون على الاتجاه السنى المحافظ يواجهون مذهب الاعتزال باستنكار شديد كما فعلوا مع خليل الغفلة، ومن كان يكشف أمره أنه يدعو إلى هذا المذهب يتم إبعاده من قبل أولى الأمر بواسطة تأثير الفقهاء وتدخلهم، كما حدث مع ابن أبى بردة البغدادى. وما من شك فى أن الأقوال المأثورة عن الإمام مالك - والتى يذم فيها النظر فى أصول الدين على طريقة المتكلمين - وهو الإمام المقتدى به فى الأندلس - كان لها الأثر الكبير فى وقوف الأندلسيين من هذا العلم موقف الحذر والرفض.

ابن مسرة القرطبى وتأثره بالتيارات الكلامية والفلسفية فى العراق:

• علمه ورحلته:

وأول معتزلى أندلسى دعا إلى مذهب الاعتزال بمعناه الكامل وعرف بالاشتغال بالفلسفة هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح، أبو عبد الله القرطبى. ولد سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢،

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١١٥-١١٦.

٢) المقدسى أحسن التقاسيم ص ٢٣٦/ مطبعة بريل ليدن ١٩٠٦م (الطبعة الثانية مكتبة المثنى ببغداد).

وتتلمذ على مشاهير العلماء فى قرطبة مثل الخشنى (المتوفى ٢٨٦هـ/٨٩٩م) ومحمد بن وضاح (المتوفى ٢٨٧هـ/٩٠٠م)، وسمع من أبيه عبد الله بن مسرة[١]، وكان واسع الثقافة والمعرفة، وصفه ابن الفرضى بقوله: «كان كثير العلم بالأخبار، واسع الرواية للآثار، مفننا فى المعرفة، فيلسوفا عليما وطبيبا ومنجما فلكيا وأديبا وشاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا، منسوبا إلى المعرفة بحذق اللسان والحذق للعربية والحفظ للغة»[٢].

وفى آخر أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) خرج فارا إلى المشرق بعد أن اتهم بالزندقة، وتردد هناك مدة اشتغل خلالها بملاقاة المتكلمين والمتصوفة وأصحاب المقالات الفلسفية وأهل الجدل من المعتزلة وغيرهم[٣]. ولا نعرف إن كان قد دخل العراق أم لا، لعدم الإشارة إلى ذلك فى المصادر، ولكن أغلب الظن أنه تلقى آراء المعتزلة وغيرها فى العراق، وهو الإقليم الذى شهد نشأة كثير من الفرق الكلامية وعلى رأسها المعتزلة كما عرفنا من قبل. وقد استطاع ابن مسرة أن يلم بكثير من الآراء الاعتزالية والفلسفية، بل «ويحذقها حذقا»على حد تعبير ابن الفرضى[٤].

وبعد أن عاد ابن مسرة إلى موطنه اعتزل فى ضيعة له بقرية من قرى قرطبة، وأظهر النسك والورع، واختلف الناس غليه وسمعوا منه، ثم انقسموا فى موقفهم منه إلى فريقين: فريق رآه إماما فى العلم والزهد، وآمن بما كان يردده من آراء تتصل بمذهب الاعتزال والتصوف والفلسفة. وفريق آخر طعن عليه ووصف مذهبه بالفساد وسوء المعتقد والابتداع والخروج عن العلوم المعلومة الجارية على مذهب التقليد والتسليم[٥].

- **آراؤه الكلامية والفلسفية التى تأثر بها عن طريق المعتزلة وغيرهم:**

ويمكن أن نذكر بإيجاز بعض آراء ابن مسرة التى نسبت إليه والتى تأثر بها عن طريق المعتزلة وغيرهم، وذلك فيما يلى:

[١] موافقة رأى المعتزلة فى القول بالاستطاعة والوعد والوعيد والقول بخلق القرآن[٦].

[٢] وينسب إليه القول «بأن علم الله هو غير الله تعالى هو محدث مخلوق»، وهذا القول

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٤١.
٢) ابن حيان: المقتبس - نشره شالميتا - ص ٣١.
٣) ابن حيان: المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣.
٤) ابن حيان: المصدر نفسه ص ٣٢.
٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٤١-٤٢، وانظر المقتبس لابن حيان (نشره شالميتا) ص ٢٠.
٦) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ٤١.

منسوب أيضا إلى جهم بن صفوان رأس الجهمية وهشام بن الحكم رأس الفرقة الهشامية (وهم من الرافضة)، وهاتان الفرقتان من الفرق الكلامية التى كانت معروفة فى العراق[١]. ومن أقوال ابن مسرة التى يذكرها ابن حزم الأندلسى: «إن علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان، وأن لله تعالى علمين: أحدهما أحدثه جملة، وهو علم الكتاب أوعلم الغيب. والثانى: علم الجزيئات، وهو علم الشهادة، فإنه لا يعلم منه شيئا حتى يكون»[٢].

[٣] وذكر ابن الفرضى أنه كان «يحرف التأويل فى كثير من آيات القرآن الكريم، وكان مع ذلك يدعى التكلم على تصحيح الأعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق فى نحو كلام المتصوف ذى النون الإخميمى المصرى[٣] وأبى يعقوب النهـــرجورى[٤]، وأنه كان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتمويه الألفاظ وإخفاء المعانى»[٥].

[٤] إمكان اكتساب النبوة حيث لا اختصاص فيها، وأنه قد يصل إليها من بلغ الغاية فى الصلاح وطهارة النفس[٦]. وقد نبه المستشرق الإسبانى آسين بلاثيوس إلى أن هذه المقولة مستوحاة من تعاليم الباطنية[٧]. ويعنى هذا أن ابن مسرة تأثر ببعض أفكار الباطنية، خصوصا إذا عرفنا أنه قضى فترة من حياته فى القيروان[٨] فى الفترة التى بلغ فيها نشاط الدولة الفاطمية الفتية أوجه من الناحية السياسية والدعائية، وكان الفكر الشيعى الباطنى موغلا فى الاعتماد على الفكر الفلسفى تحت رعاية الفاطميين[٩]، ولذا فإن بعض الباحثين يؤيد الفرض القائل بأن ابن مسرة كان مبعوثا خاصا ليؤسس نظاما باطنيا تحمل كلماته معانى غامضة، وليؤسس حزبا

---

١) ابن حزم: الفصل فى الأهواء والملل والنحل ج ٢ ص ٩٩(طبعة مصر سنة ١٣٤٨هـــ). وانظر عن جهم ابن صفوان، وهشام بن الحكم: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢١١، ص ٦٥ (على الترتيب)، والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٩٠.

٢) ابن حزم: الفصل فى الأهواء والملل والنحل ج ٤ ص ١٩٨ (طبعة مصر سنة ١٣١٧هـــ).

٣) هو ذو النون ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبى الإخميمى، نسبة إلى إخميم بلدة من مصر بالصعيد توفى سنة ٢٤٥هـــ، (له ترجمة فى سيرأعلام النبلاء للذهبى ج ١١ ص ٥٣٢).

٤) هو أبو يعقوب إسحق بن محمد الصوفى النهرجورى المتوفى ٣٣٠هـــ (له ترجمة فى سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٢٣٢-٢٣٣).

٥) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٤١/٢.

٦) ابن حزم: الفصل ج ٤ ص ١٩٩ (طبعة مصر سنة ١٣١٧هـــ).

٧) Asin Palacios: Ibn masarra, p.45, pp 159 Y sits

٨) الخشنى: علماء إفريقية ص ٢١١-٢١٢.

٩) محمود على مكى: التشيع فى الأندلس - بحث منشور فى مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (المجلد الثانى - ١٩٥٤) ص ١٠٨.

فاطمياً فى الأندلس[١]، وإن كنا نحن من جانبنا نستبعد ذلك.

[٥] القول بتدبير العرش للعالم، لأن الله أَجَلُّ من أن يُوصف بفعل شئ. وهذه الفكرة تتفق مع رأى أرسطو فى عدم مباشرة الإله لأى فعل أو تدبير[٢]. ويرى الدكتور محمود مكى أنَّ ردَّ ابن مسرة تدبير العالم إلى العرش لا يخلو من التأثر بعقيدة الإسماعيلية فى ذلك، حيث تذهب هذه الفرقة إلى أن العرش إنما هو العقل الأول والمبدع الذى صدرت عنه المخلوقات[٣].

[٦] وقد أخذ ابن مَسرَّة ببعض الآراء التى تُنسب إلى "بندقليس" كما يسميه صاعد الأندلسى[٤]، ويسميه الشهرستانى "انبذقليس" [٥]. وهو فيلسوف يونانى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد. وكان ابن مسرة «كلفاً بفلسفته دؤوباً على دراستها»[٦]، ومن ذلك ما ذهب إليه فى شأن الصفات الإلهية من حيث «الجمع بين صفات الله تعالى وأنها كلها تؤدى إلى شئ واحد، وأنه إن وُصِف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معانٍ متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة، بل هو الواحد بالحقيقة الذى لا يتكثر بوجه ما أصلاً، بخلاف سائر الموجودات فإن الوحدانيات العالمية معرضة للتكثير، إما بأجزائها وإما بمعانيها وإما بنظائرها، وذاتُ البارى تعالى متعالية عن هذا كله»[٧].

وإلى هذا المذهب فى الصفات ذهب أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصرى أستاذ الجاحظ، وهو على رأس فرقة من المعتزلة تسمى الهذلية[٨].

وقد أبرز مذهب ابن مسرة نظرية ثانوية كانت موجودة عند "أفْلُوطين"، وهى القول بوجود مادة روحانية تشترك فيها جميع الكائنات ما عدا الذات الإلهية، واعتبرت هذه

---

١) د. محمد كمال جعفر: فى الفلسفة دراسة ونصوص – ص ٢٣٢.

٢) د. محمد كمال جعفر: المرجع السابق ص ٢٥٠.

٣) د. محمود مكى: التشيع فى الأندلس – مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (المجلد الثانى ١٩٥٤م) ص ١٠٨-١٠٩.

٤) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٢١.

٥) الشهرستانى: الملل والنحل ج ٢ ص ١٣١.

٦) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٢١، طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٦١.

٧) صاعد الأندلسى: المصدر السابق ص ٢٠-٢١، ابن أبى أصيبعة: ص ٦١.

٨) صاعد: المصدر نفسه ص ٢٢، ابن أبى أصيبعة ص ٦١، وانظر عن أبى الهذيل العلاف: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٢١ وما بعدها، وراجع ما كتبناه عنه (ص ١٦٩) من القسم الأول.

المادة أول صورة برزت للعالم العقلى الذى يتألف من الجواهر الروحانية. ويذكر المستشرق الإسبانى بالنثيا أن ابن مسرة قد دافع عن هذا المذهب تحت ستار إسلامى من آراء المعتزلة والباطنية[١].

ويذكر ليفى بروفنسال أنه أراد بناء منهج فلسفى يقوم على مبدأ وحدة الوجود، وأن أصالة فلسفة ابن مسرة تكمن فى الاستفادة من هذه الفكرة[٢].

ويرى جولد زيهر أنه تأثر بنظرية الأفلاطونية الحديثة التى كانت منتشرة بالمشرق فى ذلك الوقت، وكون مدرسة تدعو إلى حرية الفكر[٣].

إن وقوف ابن مسرة على هذه الآراء الفلسفية أثار تساؤلا عرض له أحد الباحثين عند تناوله الحديث عن الحياة الفكرية فى الأندلس حيث يقول: «ولا يزال من المتعذر علينا أن نقرر كيف وصلت إلى علمه الميتافيزيقية المنسوبة إلى "آنبذقليس" والملحقة بالأفلاطونية الحديثة" [٤]. وهذا تساؤل وارد وبخاصة إذا حدث هذا فى مجتمع كالمجتمع الأندلسى الذى ما كان يسمح بتداول آراء أقل خطورة وإيغالا فى الفلسفة من هذه الآراء.

ويبدو لنا أن هذه الآراء إنما وصلت إلى ابن مسرة عن طريق اشتغاله بالمذهب المعتزلى الذى تعلم كثيرا من مبادئه فى المشرق، ذلك المذهب الذى كان معبرا هاما انتقلت عبره كثير من أعقد الآراء الفلسفية اليونانية إلى ساحة الفكر الإسلامى[٥].

هذا، وقد ذكر بعض الرواة أن ابن مسرة له كتابان، هم: "الحروف" والتبصرة" [٦]، واستطاع أحد الباحثين المعنيين بالدراسات الفلسفية أن يعثر عليهما[٧]، وأوضح هذا الباحث أن الكتاب الأول موضوعه دينى فلسفى ويعالج فيه مؤلفه أسرار الحروف التى تبتدئ بها بعض

---

١) آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسى (ترجمة د. حسين مؤنس ص ٣٢٩-٣٣٠).

٢) ليفى بروفنسال: الحضارة العربية فى إسبانيا (ترجمة د. الطاهر مكى) ص ١٨٠.

٣) ليفى بروفنسال: المرجع السابق ص ١٧٩.

٤) د. على حمودة: تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ٢٢١-الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٥) انظر عن انتقال الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامى: أحمد أمين: فجر الإسلام ص ١٢٨-١٣٠. وانظر مصطفى محمد إبراهيم: الحياة العلمية فى قرطبة على عهد الناصر والمستنصر - رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية — جامعة الأزهر - ص ٤٣٧.

٦) الضبى: بغية الملتمس ص ٧٨ (رقم ١٦٣)، ابن الأبار: التكملة ج ١ ص ٣٦٥.

٧) د. محمد كمال جعفر: فى الفلسفة دراسة ونصوص - ص ٢٢٧ وما بعدها.

سور القرآن الكريم، ويقتفى فى ذلك أثر الذين عالجوا هذه الحروف على نمط باطنى شيعى. وأما الكتاب الثانى فموضوعه فكرى فلسفى يحاول فيه أن يثبت عن طريق المثال المفصل أن العقل والوحى طريقان يؤديان إلى شئ واحد، وأن الدين والفلسفة نهجان مختلفان من حيث الوسيلة، ولكنهما متفقان من حيث الغاية...الخ[١].

تعقيب: هذه هى الملامح العامة لمذهب ابن مسرة القرطبى. وقد اختلفت فيه آراء الدارسين؛ فمنهم من يراه مذهباً زهدياً صوفياً، ومنهم من يراه مذهباً كلامياً اعتزالياً، ومنهم من يراه مذهباً من مذاهب التصوف الفلسفى[٢]. والحق أن هذا المذهب - كما يتضح من خلال عرضنا السابق لآراء ابن مسرة - انعكست فيه بعض جوانب الفلسفة اليونانية مع بعض العناصر الاعتزالية، إلى جانب بعض الآراء الصوفية والباطنية.

والذى نريد أن نؤكد عليه هو أن هذه الروافد التى تشكّل منها مذهب ابن مسرة كلُّها روافد مشرقية وفدت على قرطبة من إقليم العراق.

هذا، ونريد أن ننبه إلى أمر مهم، وهو أن ابن حزم الأندلسى (المتوفى ٣٥٦هـ/١٠٦٣م) فى معرض حديثه فى كتابه (الفصل فى الأهواء والملل والنحل) عن مقالات الفرق الإسلامية - كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والأشعرية والإمامية وغيرها - نقل عن أئمتها كثيراً من آرائهم ومقالاتهم فى أصول الدين، وتتردد فى هذا الكتاب بكثرة أسماء مثل الجهم بن صفوان والنظّام وأبى الهذيل العلاف (من المعتزلة) والباقلانى (من الأشعرية) وهشام بن الحكم (شيخ الإمامية) وغيرهم[٣]. ومع أن ابن حزم لم يشر فى الغالب إلى الكتب المشرقية التى نقل عنها آراء تلك الفرق، لكن كونه يخصص جانباً كبيراً من كتابه ذلك لمناقشة هذه المقالات الكلامية يُعتبر بمثابة البرهان على أن بعض كتب المعتزلة والأشعرية وصلت إلى الأندلس فى عصر ابن حزم على الأقل (٣٨٤-٤٥٦هـ)، أى فى القرن الخامس الهجرى، وكانت على درجة من الذيوع بحيث وجد ابن حزم من الأهمية أن يرد على قائليها، ويفنّد آراءهم التى تخالف مذهب أهل السنة فى أصول الدين.

---

١) د. محمد كمال جعفر: المرجع السابق ص ٢٢٩-٢٣٠، ص ٢٣٨ وما بعدها، ص ٢٤١ وما بعدها.

٢) د. محمد بركات البيلى: الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى ص ١٨٣-١٨٤ (دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٩٣) وانظر د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى، عصر سيادة قرطبة ص ٣٣.

٣) راجع الفصل فى الأهواء والملل والنحل لابن حزم ص ٣٥، ٣٩.

المجتمع القرطبى فى عصر الخلافة الأموية يتصدى للآراء الكلامية والفلسفية الوافدة عليه:

لقد نجح محمد بن عبد الله بن مسرة فى استمالة أعداد غفيرة من أهل الأندلس إلى مذهبه قبل أن توافيه منيته سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، ولم تَفُتّ وفاة ابن مسرة فى عضد هذه الدعوة، فلم «يلبث دعاته مع انتشارهم فى البلاد أن تلبثوا بعده بما أوعزهم من مكنون علمه وأخذ عليهم من بثّه... وضفت إليهم أفئدة جماعة من الناس من خاصة وعامة، أذاعوه سراً، وأفشوا مذهبه، وغبطوا من فاء إليه واعتقده، فانتشروا فى قرطبة وطرأ إلى بلادهم سواها»[١].

ولم تلق هذه الدعوة معارضة قوية، سواء فى حياة ابن مسرة أو بعد مماته إلى سنة ٣٤٠ هـ/٩٥١م. ومما ساعد على عدم ظهور معارضة قوية قبل هذا التاريخ الأخير أن ابن مسرة لم يفصح عن تعاليمه ولم يعلنها، وإنما كتم دعوته وجعلها سرية، وأظهر تعمقه فى الفقه المالكى وألف فيه المختصرات إمعاناً فى الكتمان وإخفاء مراميه، ولم يبث دعوته إلا فيمن وثق فيه من مريديه[٢]. يضاف إلى ذلك انشغال الخليفة عبد الرحمن الناصر فى إخماد الفتن والثورات التى اندلعت فى نواحى الأندلس، إلى جانب تقلص نفوذ الفقهاء المشاورين - أو «شيوخ العصر» كما يسميهم أحد الدارسين[٣] - ولذا لم تلق الدعوة المسرية معارضة قوية من فقهاء المالكية حتى إن المشارقة كانوا أنشط من علماء الأندلس فى معارضة أتباع ابن مسرة على نحو ما يفهم من ابن حيان إذ يقول: «وقد رد عليه - (على ابن مسرة) - جماعة من أهل المشرق منهم أحمد بن محمد بن زياد الأعرابى وأحمد بن سالم التسترى، ولأحمد بن خالد الأندلسى المحدِّث فى الرد عليه "صحيفة" أتى بها عنه أبو أحمد الباجى المحدث»[٤].

لكن انشغال الدولة عن الدعوة المسرّية لم يطل، خاصة بعد استعادة الأندلس لاستقراره وبسْط حكومة الخلافة هيمنتها على سائر أرجاء البلاد، فالتفت الخليفة الناصر إلى الفقهاء شيوخ العصر لينال بتأييدهم رضا العامة، فعاودوا نفوذهم فى وقت قد شاع فيه مذهب ابن مسرة، ففزع كبار الفقهاء إلى الخليفة «وصوروا له أن كلام ابن مسرة يمكن أن يؤدى إلى فتنة مذهبية سياسية»[٥] يجب التصدى لها والقضاء عليها.

---

١) ابن حيان: المقتبس (نشره شالميتا) ص ٢١.
٢) ابن حيان: المقتبس (نشره شالميتا) ص ٢٠- ٢١.
٣) إشارة إلى عنوانه كتاب للدكتور حسين مؤنس: شيوخ العصر فى الأندلس.
٤) ابن حيان: المقتبس (نشره شالميتا) ص ٣٣، وانظر ابن الفرضى ٢/٤١.
٥) حسين مؤنس: شيوخ العصر فى الأندلس ص ٦٧.

وقد استجاب الخليفة لتحريض الفقهاء، فبرز للتصدى لهذه الدعوة وتتبع دعاتها وأئمتها، وكتب كتابا طويلا قرئ على الناس بالمسجدين الجامعين بقرطبة والزهراء فى يوم الجمعة لتسع خلون من ذى الحجة سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م، وأنفذه إلى سائر قواده وجميع عماله، وأوكل هذه المهمة إلى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر، «وأمره بالتنقير عنهم والقصد لآثارهم وطلب الدلائل عليهم، والإيقاع بمن صح لديه أنه منهم أو متول لهم، فتجرد ابن بدر لهم، فشد تخويفهم، وأغلظ لمن عثر عليه منهم، فجرت لهم فى ذلك خطوب»[١].

وعلى الرغم من قيام رجال الخليفة الناصر بتتبع دعاة المسرية والتضييق عليهم فإن هذه الدعوة لم تنته تماما من الأندلس، وإنما ظلت موجودة على الساحة الأندلسية، ساعد على ذلك جو التسامح الذى أضفاه الحكم المستنصر على الحياة الفكرية فى الأندلس، وظل تلاميذ ابن مسرة يتمسكون بتعاليم أستاذهم ولا يكتمون مذهبهم، مثل محمد بن مفرج بن عبد الله المعافرى القرطبى المعروف بالفنى (المتوفى ٣٧١هـ/٩٨١م)[٢]، وابن أخت عبدون أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الأنصارى (المتوفى سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م)[٣]، وأبان بن عثمان بن سعيد بن المبشر أبو الوليد اللخمى (من أهل شذونة) (المتوفى ٣٧٧هـ/٩٨٧م)[٤]، ومحمد بن أحمد بن حمدون الخولانى القرطبى (المتوفى ٣٨٠هـ/٩٩٠م)[٥]، ومحمد بن عبد الله ابن خير القيسى القرطبى (المتوفى ٣٨٢هـ/٩٩٢م)[٦].

لكن الدعوة المسرية ما لبثت أن تعرضت لهجمة شديدة فى عهد المنصور بن أبى عامر، فقد تولى أحد الفقهاء المالكية منصب قاضى الجماعة بقرطبة، وهو محمد بن يبقى بن زرب (المتوفى ٣٨١هـ/٩٩١م)، وهذا القاضى اهتم بالكشف عن أتباع ابن مسرة، واستتاب من علم أنه يعتقد مذهبه، وأحرق ما وجده من كتب أستاذهم، وذلك سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، كما أنه ألف كتابا للرد على ابن مسرة، وقرئ عليه عدة مرات[٧]. وكان أحمد بن وليد بن

---

١) ابن حيان: المصدر السابق ص ٢٤.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص١٤.

٣) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص٦٦-٦٧.

٤) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ١ ص ٣١-٣٢.

٥) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ٩٥-٩٦.

٦) ابن الفرضى: المصدر نفسه ج ٢ ص ٩٨-٩٩.

٧) النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ص ٧٨,. ومن الجدير بالذكر أن النباهى ذكر أن ذلك حدث سنة ٣٥٠هـ، وهذا خطأ، لأن ابن يبقى تولى القضاء سنة ٣٦٧هـ كما يذكر ابن الفرضى فى تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧.

عوسجة الأنصارى المعروف بابن أخت عبدون (المتوفى سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م) أحد النفر الذين استتابهم محمد بن يبقى القاضى[١].

وقد تصدى للرد على ابن مسرة علماء أندلسيون آخرون، منهم محمد بن الحسن الزبيدى العالم اللغوى المشهور (المتوفى ٣٧٩هـ/٩٨٩م)[٢]، وأبو محمد عبد الله بن نصر بن أبيض المتوفى (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) ألف كتابا كبيرا أكثر فيه من الشواهد والأحاديث كما يقول ابن بشكوال[٣]. وتاريخ وفاة ابن أبيض يدل على أن الدعوةالمسرية ظلت قائمة إلى هذا التاريخ ولها أتباع، كان على رأسهم إسماعيل بن عبد الله الرعينى، أدركه ابن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ولكنه لم يلقه، وقال عنه: «كان من المجتهدين فى العبادة المنقطعين فى الزهد». وتنسب إليه آراء شديدة فى الغلو[٤].

وعلى الرغم من أن الدعوة المسرية لاقت معارضة شديدة كما رأينا فإن هذه المدرسة الفلسفية ستكون هى المنطلق المهم الذى مهد لدخول آراء الفارابى/البغدادى (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) والنخبة من آراء الفلاسفة الذين سبقوه كالكندى (المتوفى ٢٥٢هـ/٨٦٦م)، أو الذين جاءوا من بعده كابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٦م).

تعقيب ومقارنة:

وفى نهاية هذا المبحث يمكن أن نصل إلى النتيجة التالية:

إن العقل الأندلسى فى مراحله الإسلامية الأولى لم يكن معدا لأن يقبل الفكر الجديد المشوب بالفلسفات الطبيعية الجامحة على الرغم من اعتماد الأندلس فى هذه الفترة على المشرق فى ثقافته العلمية، وكان إصرار العقل الأندلسى فى مجمله على رفض هذه الفلسفات الغريبة واضحا وقويا، وخاصة ما يتصل منها بآراء ابن مسرة الفلسفية، ولذلك لم تعرف الأندلس الخلافات الكلامية الكثيرة التى عرفها العراق، ومن ثم لم تنشأ فيها فرق كالمرجئة والجبرية والقدرية والمعتزلة بالصورة التى كانت عليها تلك الفرق فى العراق، غير أن مذهب المعتزلة قد

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧. وانظر ج١ ص ٦٦ - ٦٧.

٢) إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس حتى نهاية عصر الطوائف ص ١٢٧، إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى - عصر سيادة قرطبة ص ٣٥.

٣) ابن بشكوال: الصلة ص ٢٤٩.

٤) ابن حزم: الفصل فى الأهواء والملل والنحل ج ٤ ص ١٩٩ - ٢٠٠/ وانظر إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى - عصر سيادة قرطبة ص ٣٧ - ٣٨.

حقق ازدهارا نسبيا فى الأندلس كما رأينا فى عرضنا السابق، إلا أنه لم يصل إلى الحد الذى يمكن معه أن يطلق على الأفراد القليلين الذين اعتنقوا هذا المذهب "معتزلة الأندلس" على غرار "معتزلة البصرة" أو" معتزلة بغداد". وكان فى تمسك الأندلسيين بسلفيتهم وبالمذهب السنى المحافظ أثره الواضح فى تجنب الأندلس لآثار التيارات الفكرية الحادة التى عرفت فى العراق.

والأندلس - كما يقول ابن حزم - «لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم فى هذا الباب»[١]. ولا أدل على صحة هذه المقولة من رواية يذكرها الحميدى فى "جذوة المقتبس"[٢]، فى شأن أحد الأندلسيين رحل إلى بغداد وشاهد فيها جانبا من المناظرات الكلامية؛ هذه الرواية تبين أن العقلية الأندلسية لم تستطع أن تشاكل تلك الاجتماعات التى كانت تعقد فى بغداد والتى فيها يناقش المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية المسائل الأصولية للدين بحرية مطلقة.

***

لكن - من ناحية أخرى - منذ أن اضمحلت الفلسفة فى (بغداد/المشرق) فى مطالع القرن السادس بسبب تأثير أبى حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ) والشهرستانى (ت ٥٤٨هـ) والرازى (ت ٦٠٦هـ) اللذين لم تمنعهم نزعتهم الفلسفية الواضحة وإحاطتهم بدقائق الفلسفة مهاجمة الفلاسفة القدامى (اليونانيين) والمحدثين (الإسلاميين) - منذ ذلك الحين أحست الفلسفة بحرج موقفها فى الشرق (إذا صح هذا التعبير)، فولت وجهها إلى أقصى الغرب فى الأندلس، رجاء أن تجد نصيرا. وبالفعل، فلم تكد تصل كتب الفارابى وابن سينا والغزالى إلى هناك حتى أحدثت حركة فكرية أساسها الانتصار للفلسفة.

ولقد كان للفارابى بصفة خاصة تأثير على الحركة الفلسفية فى الأندلس بانتقال مؤلفاته إليها. ومن الأمور التى ساعدت على دخول كتبه واشتغال الأندلسيين بها: تطور الحالة الاجتماعية فى المجتمع الأندلسى، وتدهور الحالة السياسية فى عصر الطوائف خاصة (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) وانتهاب مكاتب وخزائن الكتب بعد ثورة البربر فى قرطبة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، حيث ظهرت المؤلفات التى كانت مخفية إلى عامة الناس، وظهور ما لدى العامة من المثقفين من كتب فلسفية وإذاعتها بين الناس لدراستها

---

١) ابن حزم: رسالة فى فضل الأندلس (نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٦).

٢) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٧ (ترجمة أحمد بن محمد بن سعدى الذى كانت له رحلة إلى بغداد قبل سنة ٤٠٠هـ). ونفس الرواية فى بغية الملتمس للضبى ج ١ ص ١٥٦.

ونشرها[١].

وكان من المنتفعين بفلسفة الفارابى فى الأندلس طبقة من العلماء، أمثال ابن باجه (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م) وابن طفيل (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) وابن السيد البطليوسى (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) وابن رشد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) وغيرهم.

وسيأتى الحديث عن هؤلاء الرواد فى سياق عرضنا للتراث الأندلسى فى ميدان الفلسفة[٢].

***

١) د. محسن جمال الدين: الفارابى ملامح من شخصيته العلمية فى الأندلس - بحث منشور بمجلة المورد - المجلد الرابع - العدد الثالث ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م - ص ٧٢. وراجع طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٦٦ - ٦٧.

٢) راجع عن ذلك بداية من (ص ٨٨٢ - ٨٨٨).

الفصل الخامس
العلوم التجريبية

ويتضمن تمهيداً وأربعة مباحث:

المبحث الأول : علم الطب.

المبحث الثانى : علم الصيدلة والنبات.

المبحث الثالث : علوم الفلك والرياضيات.

المبحث الرابع : الموسيقى.

مدخل: قبل البدء فى الحديث عن تأثر الأندلس بالمدرسة (البغدادية/المشرقية) فى مجال العلوم التجريبية (الطب - الصيدلة - النبات - الفلك - الرياضيات.. ..الخ). يجدر بنا أن ننبه إلى أن التأثير المشرقى على الأندلس فيما يتعلق بهذه العلوم تأخر فترة من الزمن، ربما تزيد على القرن، بخلاف العلوم الدينية واللغوية؛ فإنها انتقلت إلى قرطبة منذ الأعوام القليلة الأولى من تاريخها الإسلامى.

وقد بدأت عناية علماء الأندلس بالعلوم التطبيقية تلك بصورة جادة وحقيقية فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، أى فى فترة حكم الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/٨٥٢ - ٨٨٦م). وهذه الفترة كانت مواكبة للنهضة العلمية التى شهدتها بغداد على مستوى العلوم العقلية والعملية. وتشير المصادر الأندلسية إلى أن هذا الأمير كان يطمح إلى أن تتقن قرطبة علوم الأوائل، أى علوم الطب والصيدلة والفلسفة والفلك والرياضيات...الخ، ولذا كانت له عناية بإرسال البعثات العلمية إلى بغداد ومصر وغيرهما للحصول على المؤلفات النادرة أو الشائعة هناك وإدخالها إلى قرطبة[١].

وقد ظل إقبال علماء الأندلس على هذه العلوم ومصادرها المشرقية ضعيفاً طيلة قرن تقريباً، أى إلى منتصف القرن الرابع الهجرى. وبعبارة صاعد الأندلسى: «لم يزالوا يظهرون - أى علماء الأندلس فى الرياضيات والفلك والفلسفة - ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة»[٢].

---

١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٤٥.

٢) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٦٤.

وهذه الفترة الزمنية التى يحددها صاعد الأندلسى هى التى شهدت بداية عصر الخلافة الأموية بالأندلس، ولعب كل من عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/٩١٢ - ٩٦١م) وولده الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/٩٦١ - ٩٧٦م) دورا بارزا فى تشجيع الأندلسيين على دراسة هذه العلوم، وعملا على تنشيط حركة الانفتاح الثقافى على حواضر المشرق الإسلامى، ولاسيما: بغداد ومصر والحجاز، فاستجلبوا عيون المؤلفات الجليلة والمصنفات الغريبة والموسوعات الشاملة فى العلوم القديمة والحديثة.

ولاغرو، فقد كان المستنصر بوجه خاص محبا للعلوم ومكرما لأهلها، «وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت إليها بضائعه من كل قطر» كما يقول المقرى[١]. ويقول ابن الأبار مبينا حب المستنصر للعلوم وشغفه بها والحرص على اقتناء وجمع مصنفاتها والسعى الحثيث لإدخالها قرطبة: «كان حسن السيرة فاضلا عادلا، مشغوفا بالعلوم، حريصا على اقتناء دواوينها، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان، ويبذل فى أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان، فحملت من كل جهة إليه.. .. حتى غصت بها بيوته، وضاقت عنها خزائنه». ويضيف ابن الأبار إلى ذلك قائلا: «ولم يسمع فى الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم (المستنصر) فى اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها، أفاء على العلم، ونوه بأهله، ورغب الناس فى طلبه»[٢].

ونتيجة لهذا الانفتاح العلمى على بغداد/المشرق - وبوصول كتب الطب والصيدلة والنبات والفلك والرياضيات والكيمياء إلى قرطبة - أن راجت بها سوق هذه العلوم، فأكب الناس عليها، وأخذوا يتمثلونها تعلما وتعليما، وبعبارة صاعد الأندلسى: «كثر تحرك الناس فى زمانه (يعنى المستنصر) إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم»[٣].

وقد أفرز ذلك ظهور عدد كبير من علماء الطب والصيدلة والفلك والرياضيات... الخ فى (قرطبة / الأندلس)، كونوا مدارس علمية رائجة فى كل هذه المجالات[٤].

والآن - وفى الصفحات التالية - نلقى الضوء على حجم التأثير البغدادى/المشرقى على الأندلس فى مجالات العلوم التطبيقية. ونبدأ - أولا - بعلم الطب.

***

١) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٣٨٦.

٢) ابن الأبار: الحلة السيراء ج١ ص ٢٠٠ - ٢٠١، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ص ١٨٦.

٣) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٦٦.

٤) سنخصص فصلا للحديث عن إنجازات علماء الأندلس فى العلوم التجريبية فى نهاية الباب التالى إن شاء الله. راجع عنه بداية من (ص ٨٧٩)

المبحث الأول
علم الطب

كان الطب فى قرطبة - وإلى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى - يعول فيه على مجموعة من الأطباء النصارى «الذين لم تكن لهم بصارة بصناعة الطب والفلسفة والهندسة» كما يقول ابن جلجل[١]. وكان جل اعتمادهم على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له "الإبريشم" أو " الإبريسم " (بالمهملة أو المعجمة)، ومعناه - كما يقول ابن جلجل أيضا - «المجموع أو الجامع»[٢].

وقد حاول أحد الباحثين أن يثبت أن " الإبريسم " هو كتاب " الفصول " لأبقراط الذى ترجمه حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م) فى بغداد[٣]. والحق أنه ليس بالضرورة أن يكون المقصود بالإبريسم هو كتاب أبقراط، وإنما سمى بهذا الاسم لما فيه من جموع الكلم فى علم الطب، لأن لفظ " أفوريسم " معناه: الحكمة التى تجرى مجرى القول الفصل الحاصل عن التجربة والخبرة، وكان هذا الاسم بهذا المعنى شائعا بين الأطباء فى الأندلس، ودليل ذلك أن ابن جلجل ذكر كتابا يحمل الاسم نفسه (الإبريشم) من مؤلفات يحيى ابن إسحق طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر ووزيره (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)»[٤].

وإذا كنا نؤكد على أن كتاب " الإبريسم " الذى كان عليه المعول فى الطب فى الفترة الأولى من تاريخ الأندلس ليس هو كتاب " الفصول" لأبقراط فإننا من ناحية أخرى نجزم بأن بعض كتب أبقراط فى الطب - وكذلك كتب جالينوس - كانت متداولة لدى بعض أطباء الأندلس فى مطلع القرن الرابع الهجرى، يؤيد ذلك ما ذكره صاعد الأندلسى فى ترجمة الطبيب سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه[وهو ابن أخى الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن عبد ربه (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م) صاحب كتاب "العقد الفريد"].

---

١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٩٢.

٢) ابن جلجل: المصدر السابق ص ٩٢، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٧٨.

٣) راجع تعليقات فؤاد سيد على كتاب ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٩٢ - الهامش رقم٢. وراجع التعريف بكتاب الفصول ومؤلفه أبقراط (ص ٣٧٦) و(ص٣٨٠).

٤) ابن جلجل: المصدر السابق ص ١٠٠. وراجع: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية، للدكتور محمد العربى الخطابى ج ١ ص ١٣.

نقول: ورد فى ترجمة هذا الطبيب ما يشير إلى أنه كان شغوفا بالاطلاع على كتب الطب القديمة لأبقراط وجالينوس، ومن المؤكد أنه استوحى مادتها فى تأليف قصيدة رجزية فى الطب قال عنها صاعد الأندلسى: «له فى الطب رجز جليل محتو على جملة حسنة منه، دل به على تمكنه فى العلم وتحققه مذاهب القدماء»[١].

هذا، ولدينا إشارة تنص صراحة على أن كتاب "الفصول فى الطب" لأبقراط قد انتقل إلى الأندلس، وتناوله بعض الأندلسيين بالشرح والتعليق[٢].

دخـــول بعـــض كتب الطب المشرقية إلى قرطبة فى فترة مبكرة من تاريخ الأندلس:

وقد روى ابن جلجل فى كتابه "طبقات الأطباء والحكماء" ما يدل على أن بعض كتب الطب المشرقية المترجمة ربما عرفت فى قرطبة فى وقت مبكر جدا من تاريخ الأندلس؛ فقد حدث بخبر تفرد به يتعلق بالكناش (كتاب فى الطب) الذى صنفه أهرون بن أعين القس، وترجمه إلى العربية ماسرجويه فى زمن الخليفة الأموى مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م). وهذه المعلومات نقلها ابن جلجل عن هذا الكناش، وقد سمعها من محمد بن عمر ابن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية (المتوفى ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م). وعيسى بن مزاحم (المذكور فى هذه السلسلة) كان مولى للخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز، وانتقل إلى الأندلس إبان حركة الفتح، وأنسل بها، ومنه عرف أبناؤه وأحفاده خبر الكناش المذكور، ولذلك فليس ببعيد أن يكون قد أدخله معه الأندلس، خصوصا -كما عرفنا من قبل- أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت له عناية بذلك الكناش[٣].

---

١) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٧٩، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٩٠. ويروى أن الطبيب سعيد بن عبد ربه هذا فصد يوما، فبعث إلى عمه أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد راغبا إليه أن يرسل له مؤنسا يؤنسه ويخدمه، فلم يجبه عمه إلى ذلك، فكتب إليه سعيد:

لما عدمـــــت مؤنســـا وجليســـا ... نادمت بقراطـــا وجالينوســـا

وجعلت كتبهما شـــــفاء تفردى ... وهما الشفاء لـــكل جرح يوسى

ووجـــــدت علمهما إذا حصلتـــه ... يذكى ويحيى للجســـوم نفوسا

٢) راجع عيون الأنباء ص ٤٩٩ - ٥٠٠.

٣) راجع طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ص ٦١)وراجع ما ذكرناه عن كناش أهرون بن أعين القس (ص٢٩٣) من القسم الأول.

دخول كتب الطب المشرقية إلى قرطبة فى فترة الخلافة:

ومن المرجح أن الفترة التى شهدت انتقال كتب المشارقة فى الطب إلى قرطبة بصورة أوسع هى الفترة التى واكبت الانفتاح الثقافى الكبير على حواضر المشرق الإسلامى - خصوصا بغداد - بفضل همة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) وجهود ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ).

وإذا تصفحنا كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل -وهو طبيب قرطبى كان حيا سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م - نجد أن هذا الكتاب - إلى جانب احتوائه على تراجم أطباء الأندلس إلى عصر المؤلف - يضم عددا كبيرا من ترجمات الأطباء الإغريق وأطباء عصر النهضة الإسلامية فى بغداد. والسؤال الآن: من أين استقى ابن جلجل مادة القسم الخاص بالأطباء المشارقة ولم يعرف عنه أنه رحل إلى المشرق؟. لابد أن يكون قد رجع إلى عدد من كتب الطب المشرقية التى وردت إلى قرطبة فى زمن الخليفتين الناصر والمستنصر أو قبلهما بقليل. وبالفعل - إذا رجعنا إلى كتاب ابن جلجل - نجد أنه استعان بعدد من تلك الكتب، وقد صرح بالنقل عن ثلاثة كتب فى الطب لجالينوس، هى: " كتاب الأمراض العسيرة "، وكتاب " ينبغى الطبيب أن يكون فيلسوفا"، و "كتاب قاطاجاس" - ومعناه: تركيب الأدوية بحسب الأجناس[١]. ونقل أيضا عن كتاب " عهد أبقراط "[٢]. وهذا، عدا ما لم يصرح به ابن جلجل من مصادر مشرقية اعتمد عليها فى تأليف كتابه، وقد نبه فى مطلعه إلى أنه لم يقيد مادته «إلا بعد النظر والبحث فى الكتب القديمة»[٣].

ومن أطباء الأندلس الذين كانت لهم عناية بكتب الطب الوافدة من المشرق: أبو بكر أحمد ابن جابر طبيب الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ)، قال عنه ابن أبى أصيبعة: «كان أولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه... وكتب بخطه كتبا كثيرة فى الطب»[٤]. ولا بد أن تكون هذه الكتب أو أكثرها كتبا مشرقية، إذ لم يكن للأطباء الأندلسيين حينئذ إلا إبداعات قليلة فى هذا المجال.

وأهم مصدر أندلسى فى الطب يمدنا بمعلومات مهمة عن عدد من الكتب الطبية التى وجدت سبيلها إلى الأندلس عبر بغداد هو كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف" للطبيب

---

١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء - على الترتيب - ص ٤٣، ص ١٧.
٢) المصدر السابق ص ١١، ١٢، ١٧.
٣) المصدر نفسه ص ١ - ٣.
٤) عيون الأنباء ص ٤٩٢.

القرطبى الشهير أبى القاسم خلف بن عباس الزهراوى (المتوفى٤٠٣هـ/١٠١٢م)، فقد رجع الزهراوى إلى عدد من المؤلفات اليونانية والعربية فى الطب والأدوية والنبات والأغذية وتدبير الصحة، علما بأنه قد يشير إلى اسم المصدر الذى رجع إليه، وقد يكتفى بذكر اسم المؤلف، ومن هذه الكتب[١]:

١ - كتاب " الأدوية المقابلة للدواء "، وكتاب " النجع "، وكتاب " تدبير الأصحاء" وكتاب " المزجات "، وكلها لجالينوس.

٢- " كناش " أهرون بن أعين القس السريانى، وهو الكتاب الذى ترجمه إلى العربية ماسرجيوس فى خلافة مروان بن الحكم كما أسلفنا[٢].

٣ - كتاب "البصيرة" لأبى زكريا يوحنا بن ماسويه.

٤ - كتاب " المنصورى "، وكتاب " الطب الملوكى " وكتاب " سر صناعة الطب " وكتاب " الحاوى " كلها لأبى بكر الرازى / البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م). والكتاب الأخير (الحاوى) قام باختصاره الفيلسوف الطبيب أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه (المتوفى ٥٣٣هـ/١١٣٨م»[٣]. ومن الجدير بالذكر أن كتب الرازى الطبية كانت متداولة بين أطباء الأندلس منذ النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، أى بعد وفاة الرازى بأعوام قليلة.

ومن الأطباء البغداديين المشارقة الذين نقل عنهم الزهراوى من غير أن يذكر مؤلفاتهم: حنين بن إسحق العبادى البغدادى، وجبرائيل بن بختيشوع ويوحنا بن ماسويه وعلى ابن عيسى الكحال (طبيب العيون»[٤]. وقد عرفنا من قبل أن هؤلاء الأطباء كانوا من أعلام الطب فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين[٥].

كتاب " القانون" لابن سينا:

وينبغى الإشارة إلى أن الزهراوى لم يعرف ابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، ولم

---

١) راجع الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية للدكتور محمد العربى الخطابى ج ١ ص ١٢١ - ١٢٣.

٢) راجع عنه (ص ٢٩٣)

٣) عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ٥٢.

٤) د. محمد العربى الخطابى الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١ / ١٢٣، د. كمال السامرائى: الطب وتاريخه عند العرب (مجلة المورد - المجلد ١٤ - العدد الرابع - ص ٣٦).

٥) راجع الفصل الخاص بعلم الطب فى (بغداد/المشرق) من القسم الأول، بداية من (ص ٣٩٣).

يطلع على كتابه " القانون "، فهو قد توفى قبل ابن سينا بنحو أربع وعشرين سنة، وكان الشيخ الرئيس فى ريعان شبابه، مشرفا على الثلاثين من عمره. ويؤكد ابن أبى أصيبعة فى كتابه " طبقات الأطباء " أن كتاب " القانون " لم يدخل إلى الأندلس إلا فى زمن الطبيب أبى العلاء ابن زهر (المتوفى ٥٢٥هـ/١١٣٤م) الذى كان أول من اقتنى نسخة منه حملها تاجر بغدادى معه إلى الأندلس. والعجيب أن أبا العلاء حينما اطلع على هذا الكتاب ذمه واطرحه، و لم يدخله خزانة كتبه «وجعل يقطع من طرره (حاشيته) ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى»[١]. وهذا يؤيد ما ذكرناه من قبل أن كتاب "القانون" لابن سينا لم يلق قبولا لدى أطباء الأندلس على الرغم من النجاح الكبير الذى حظى به فى بغداد/المشرق[٢].

أرجوزة ابن سينا فى الطب:

أما (أرجوزة) ابن سينا فى الطب فقد صادفت رواجا فى الأندلس، وربما يرجع ذلك إلى سهولة مأخذ الأرجوزة واحتوائها على زبدة "القانون". وممن شرحها من الأطباء الأندلسيين: ابن رشد (المتوفى٥٩٥هـ/١١٩٨م»[٣] وتلميذه أبو الحجاج يوسف بن طملوس (المتوفى ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م) وغيرهما[٤].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأرجوزة وضع فيها ابن سينا مجمل علومه الطبية بصورة مركزة، وخصوصا ما يتعلق بالحميات والأورام، وتقع فى مائتين وستة وأربعين بيتا، ومطلعها:

الطب حفظ صحة برء بدن ∴ من سبب فى بدن منذ عرض[٥].

كتب ابن الجزار الطبيب القيروانى:

وقد تعرف الأندلسيون على الطب (البغدادى/المشرقى) أيضا عن طريق كتب الطبيب القيروانى أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد المعروف بابن الجزار (المتوفى٣٦٩هـ/٩٧٩م). وهذا الطبيب تعلم الطب فى مصر، وكان غزير التأليف فى فروعه المختلفة. وقد وصف ياقوت

---

١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥١٨.

٢) راجع عن ذلك (ص ٣٩٩) من القسم الأول.

٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة: ص ٥٣٢. وراجع: " ابن رشد وآراؤه فى جهاز الدورة الدموية" للدكتور محمد العربى الخطابى، وهو بحث منشور بمجلة الأكاديمية المغربية – العدد الثالث – ص ١٤٦-١٤٧. وانظر: الذيل والتكملة للمراكشى – القسم الثانى، ص ١١٧.

٤) محمد العربى الخطابى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١/٣٢٧-٣٢٨.

٥) د. داود مرتان الثامرى: أرجوزة فى أسباب الحميات لابن سينا – تحقيق وتعليق (مجلة المورد – المجلد الرابع عشر – العدد الرابع – ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م – ص ٢٤٣-٢٦٦).

الحموى مؤلفاته بأنها كانت «جامعة لكتب الأوائل»[١] التى ترجم أكثرها فى بغداد، وكانت مكتبته تحتوى على خمسة وعشرين قنطارا من كتب الطب وحدها[٢].

ويروى عن ابن الجزار أنه هم بالرحلة إلى الأندلس ولم يتم له ذلك[٣]. غير أن جماعة من الأندلسيين تتلمذوا عليه فى القيروان، وأدخلوا كتبه الطبية إلى الأندلس، ومنهم: عمر بن جعفر ابن بريق القرطبى، لازمه ستة أشهر، وبعد عودته خدم بالطب عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ)، وأدخل معه إلى قرطبة أهم كتب ابن الجزار، ونعنى به "زاد المسافر وقوت الحاضر"[٤].

هذا، وقد اطلع الزهراوى (ت ٤٠٣هـ) على بعض كتب ابن الجزار، وذكرها بأسمائها فى كتابه " التصريف "، ومن بينها كتاب " زاد المسافر" المذكور، وكتاب آخر فى " المعدة وأمراضها ومداواتها"، وكتاب "الجذام" وكتب أخرى فى الأدوية والعقاقير[٥].

أطباء آخرون مشارقة راجت مؤلفاتهم فى قرطبة:

ونذكر من نبهاء أطباء مدرسة (بغداد/المشرق) الذين راجت مؤلفاتهم وآراؤهم الطبية فى قرطبة: أبا الحسن على بن العباس الأهوازى المعروف بابن المجوسى (المتوفى٣٨٤هـ/٩٩٤م) صاحب كتاب "الكامل فى الصناعة الطبية"[٦]، وإسحق بن عمران البغدادى (كان حيا ٢٩٠ هـ/٩٠٣م) الذى استقر به المقام فى إفريقية (تونس) باستدعاء من الأمير زيادة الله بن الأغلب التميمى (٢٠٢-٢٢٤هـ/٨١٧-٨٣٨م) وتتلمذ عليه الطبيب إسحق ابن سليمان الإسرائيلى شيخ ابن الجزار المذكور آنفا[٧].

---

١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ٢ ص ١٣٦.

٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨١. وراجع: مسالك الأبصار فى الممالك والأخبار، لفضل الله العمرى (مخطوط) ج ٥ - القسم الثالث - لوحة ٥٧٨-٥٧٩. البان المغرب لابن عذارى ج١ ص ٢٣٧.

٣) عيون الأنباء ص ٤٨١.

٤) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص١٠٧، صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٧٩، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٩٠ - ٤٩١.

٥) محمد العربى الخطابى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ج ١ ص ١٦، ص ١٢٢ - ١٢٣، د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٤٠.

٦) الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ج ١ ص ١٧. وراجع ما كتبناه عن ابن المجوسى وكتابه (ص ٣٩٨) من القسم الأول.

٧) راجع: عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٧٨، ٤٧٩.

استمرار مسيرة اعتماد الأندلسيين على كتب الطب المشرقية خلال القرن الخامس وما يليه:

وبالرغم من أن أكثر الكتب المشرقية فى مجال الطب وصلت إلى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى فإن مسيرة الأندلسيين فى الاعتماد عليها لم تتوقف خلال القرن الخامس والقرون التى تليه، حيث ظلت هذه الكتب تمثل المصادر الأساسية التى يعتمد عليها فى التدريس والتأليف. فالطبيب أبو سعيد بن محمد بن البغونش الطليطلى القرطبى (المتوفى ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) - على سبيل المثال- كان له - كما يقول صاعد الأندلسى - عناية فائقة بكتب جالينوس، جمع منها الكثير وهو فى قرطبة، وقام بتدريسها فى طليطلة وتناولها بالتصحيح والتعليق[١]. وكان للطبيب الفيلسوف ابن رشد الحفيد (المتوفى٥٩٥هـ/١١٩٨م) عناية خاصة بكتب جالينوس الطبية، وشرح منها ثمانية كتب[٢].

وجملة القول أن قرطبة اعتمدت فى نهضتها الطبية على كتب المشارقة، سواء منها المترجمة فى بغداد نقلا عن الإغريق اليونانيين، أو تلك التى صنفها علماء بغداد من العرب والمسلمين، كالرازى وابن المجوسى وابن سينا وغيرهم. وينبغى أن نذكر أن هذه المؤلفات المشرقية كانت - بمجرد صدورها فى بغداد/المشرق - سرعان ما تجد سبيلها إلى الأندلس، فتنسخ منها أعداد كبيرة وتتداول، وتدرس وتشرح ويعلق عليها، ويقتبس منها.

وبالإضافة إلى دخول كتب الطب من المشرق إلى الأندلس كان لرحلة الأطباء المشارقة إلى قرطبة، ورحلة الأندلسيين إلى مشرق العالم الإسلامى لدراسة الطب فى بغداد الأثر الكبير فى نمو الحركة العلمية بالأندلس، لافى مجال الطب وحده، وإنما فى جميع مجالات العلم والمعرفة.

رحلة الأطباء المشارقة إلى قرطبة:

وأول مشاركة حقيقية تذكرها المصادر فيما يتصل بتغذية قرطبة بأطباء المشرق الإسلامى كانت فى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م). فقد ذكر مصنفو طبقات الأطباء أن طبيبا يدعى " الحرانى " - ويقول صاعد: «رجل من أهل حران» - ورد إلى الأندلس، وسكن قرطبة، وبنى بها مسجدا عرف به

١) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٨٣، ص ٨٥ - ٨٦، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٩٥، ٤٩٧.

٢) عيون الأنباء ص ٥٣٢. وراجع جهود ابن رشد فى علم الطب بداية من (ص ٩٢١ - ٩٢٢).

بجوار مسجد القمرى[١].

وقد قام هذا الطبيب " الحرانى " بنشر علمه فى قرطبة، وتعلم منه بعض أطبائها تركيب عدد من الأدوية التى انفرد بمعرفتها، وكانت خاصة بأوجاع الجوف. كما كانوا يستشيرونه فى التعرف على أسماء بعض العقاقير الطبية التى يصعب عليهم معرفتها، وكان هو بدوره يحتفظ لديه بأصناف منها[٢]. و لم تذكر المصادر أنه ترك مؤلفا ينتفع به.

وهذا الطبيب - وإن كان من حران: المدينة التى تقع فى شمال العراق بين الرها ورأس العين -إلا أننا لانستبعد أن يكون سكن بغداد فترة من الزمن ونشر فيها علمه والذى يزيد من قوة هذا الاحتمال أمران:

أولهما: أن بغداد كانت محط أنظار الأطباء من مختلف أرجاء العالم فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، نظرا للنهضة العلمية الشاملة التى كانت تعيشها هذه المدينة خلال تلك الفترة.

وثانيهما: أن كثيرا من الأطباء الذين كانوا يمثلون مدرسة الطب فى حران نزلوا بغداد واتخذوها مسكنا مع مطلع خلافة المعتضد[٣] (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، وكان فى طليعة هؤلاء الأطباء الحرانيين: سنان بن ثابت بن قرة (المتوفى٣٣٦هـ/٩٤٧م) طبيب المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م). وقد بلغ من علو منزلته أن وكل إليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وإجازتهم، وهو الذى أشار بفتح البيمارستان المقتدرى[٤]، ثم تبوأ هذه المكانة ولده ثابت بن سنان (المتوفى ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، وكان مختصا بخدمة الراضى الخليفة العباسى فى بغداد (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م) ثم الخليفة المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٣م)، وكان بارعا فى الطب، عالما بأصوله، وتولى تدبير المارستان ببغداد فى زمنه[٥].وكان ثابت بن إبراهيم بن سنان كذلك طبيبا حاذقا ببغداد[٦].

---

١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٩٤، صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٧٨، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٨٦. ويقع مسجد القمرى فى الربض الغربى من قرطبة (راجع عنه كتاب: قرطبة فى القرن الخامس الهجرى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية. للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف - ص ٤٨).

٢) راجع الروايات الواردة فى ذلك: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ٩٤-٩٥، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٦-٤٨٧.

٣) راجع: السريان والحضارة الإسلامية، للشحات السيد زغلول ص ٥٥.

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٣، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٣٠٠ - ٣٠١.

٥) القفطى: المصدر السابق ص ٧٧، عيون الأنباء ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

٦) القفطى: المصدر نفسه ص ٧٨.

رحلة أهل قرطبة إلى بغداد فى القرن الرابع لتعلم الطب:

(١) رحلة الأخوين أحمد وعمر:

وهذه المدرسة الطبية ببغداد تتلمذ عليها اثنان من أهل قرطبة رحلا إلى المشرق سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١م فى دولة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، ودخلا بغداد، وتعلما الطب على أيدى كبار الأطباء الحرانيين، وهما الأخوان أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحرانى[١]. وقد تتلمذ هؤلاء الأخوان على طبيبين شهيرين فى بغداد:

الأول: ثابت بن سنان بن قرة المذكور آنفا.

والثانى: ابن وصيف الصابئ الحرانى أحد العلماء بطب العيون، «ولم يكن فى زمانه أعلم منه فى ذلك ولا أكثر مزاولة»[٢].

وقد وردت فى ثنايا الترجمة التى خصصها مصنفو طبقات الأطباء لهذين الأخوين (أحمد وعمر) بعض النقاط المهمة الجديرة بالوقوف عندها لأهميتها فى التأكيد على دور بغداد فى دعم قرطبة فى هذا الميدان:

[١] وأول هذه الملاحظات أن الأخوين المذكورين قضيا فى هذه الرحلة مدة عشرة أعوام[٣]. ومن المؤكد أن هذه المدة أعطتهما فرصة واسعة للاطلاع على كل ما جد فى علم الطب، والاطلاع على الكتب والمراجع الطبية المهمة الموجودة فى بغداد، وكذلك التعرف على كثير من التجارب فى طرق العلاج وتحضير الأدوية، ومن ثم الاستفادة من ذلك كله فى تدعيم مدرسة

---

١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ١١٢ - ١١٣، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٨٧-٤٨٨، صاعد: طبقات الأمم ص ٨٠ - ٨١، ابن الأبار: تكملة الصلة ص ١١٥(رقم ٢٢٢٠ - نشر جنثالث بالنثيا)، المراكشى: الذيل والتكملة، القسم الأول - الجزء الثانى ص ٤٧٤. ونسبة الأخوين أحمد وعمر ابنى يونس إلى " الحرانى " ترجع إلى أنهما رحلا إلى المشرق وأخذا عن الأطباء الحرانيين. وقد وهم القفطى فى كتابه " إخبار العلماء " (ص ٢٥٨) فذكرهما على أنهما ولدا يونس الحرانى الذى دخل قرطبة والذى تحدثنا عنه قبل أسطر قليلة، ويذكر المراكشى فى " الذيل والتكملة" ٤٧٤/٢/٥، نسب أحدهما، وهو عمر بن يونس بن عيشون الجذامى القرطبى ابن الحرانى.

٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٨١، القفطى: إخبار العلماء ص ٢٥٩، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٣١١، ويسميه: أحمد بن وصيف الصابئ.

٣) يذكر ابن جلجل - وعنه نقلت بقية المصادر -أن هذين الطبيبين رحلا إلى المشرق سنة ٣٣٠هـ، وأقاما هناك عشرة أعوام، ثم عادا إلى الأندلس سنة ٣٥١هـ، وهذه المدة التى بين هذين التاريخين واحد وعشرون عاما تقريبا، وليست عشرة، ولعل خطأ وقع هنا فى ذكر التواريخ.

الطب فى قرطبة وتطويرها. يقول ابن جلجل عن أحد الأخوين وهو أحمد بن يونس (وكان صديقا له): «وكان رجلا صحيح العقل، حليما، عالما بما شاهد علاجه ورآه عيانا بالمشرق»[١].

[٢] تلقى الأخوان عن الطبيب ثابت بن سنان بن قرة (المذكور آنفا) كتب جالينوس[٢]، قرءآها عليه عرضا[٣]. ومن المستحسن أن نذكر بعض كتب جالينوس التى من المرجح أن تكون دخلت قرطبة عن طريق هذين الطبيبين، فمنها كتاب فى الأدوية المفردة، وكتاب فى الأدوية المركبة، وكتاب فى العلل والأمراض، وكتاب فى الحميات، وكتابه فى أصناف الحميات، وكتابه فى النبض، وألف سبعة عشر مقالة فى علم التشريح (تشريح الموتى) وألف فى تشريح الأحياء كتابا[٤].

[٣] تعلم الأخوان الطبيبان طب العيون فى بغداد على يد ابن وصيف الحرانى الذى لم يكن فى زمانه أعلم منه بهذا التخصص، وقد شاهد أحمد بن يونس أستاذه وهو يقوم بعلاج أحد المرضى فى بغداد من ماء نزل بعينه. ومن المؤكد أن ابن يونس أدخل هذا العلم بقرطبة، وأصبح ماهرا فيه، يقول ابن جلجل: «فكان يداوى العين مداواة نفيسة، وله بقرطبة فى ذلك آثار»[٥]، ويقول صاعد الأندلسى: «كان يداوى العين مداواة فقيه»[٦].

[٤] وبمجرد أن عاد الأخوان من رحلتهما ودخلا الأندلس استخلصهما الحكم المستنصر لنفسه(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وألحقهما بخدمته بالطب دون غيرهما ممن كان فى ذلك الوقت من الأطباء، وكان أحمد بن يونس - بعد موت أخيه عمر - يشرف على طعام الخليفة. وبقى إلى خلافة هشام المؤيد بالله (٣٦٦-٤٠٦هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) فولاه خطة الشرطة وخطة السوق (الحسبة) فى قرطبة[٧] وهذه الوظيفة الأخيرة لاشك أنها أتاحت له الإشراف على الأغذية المصنعة المباعة فى الأسواق. كما أن هذه المكانة التى حظى بها الأخوان - وخصوصا أحمد بن يونس - لم يكن ليصلا إليها إلا عن مقدرة وتمكن من علم الطب، وهذا التأهل مرجعه إلى المدة الطويلة التى قضياها لدراسة علم الطب على أيدى كبار الأطباء فى بغداد.

---

١) ابن جلجل: المصدر السابق ص ١١٣، ابن أبى أصيبعة: المصدر السابق ص ٤٨٧.
٢) سبق التعريف بجالينوس (ص ٣٧٧).
٣) طبقات الأطباء لابن جلجل ص ١١٢.
٤) طبقات ابن جلجل ص ٤٢، وراجع عيون الأنباء ص ١٣٤ - ١٤٩.
٥) طبقات ابن جلجل ص ١١٣.
٦) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٨١.
٧) ابن جلجل: المصدر السابق ص ١١٣، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٧.

(٢) رحلة محمد بن عبدون الجبلى القرطبى:

ونترك الأخوين الطبيبين أحمد وعمر ونتحدث عن طبيب آخر من أهل قرطبة كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٣٤٧هـ(أو سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م) وهو محمد بن عبدون الجبلى ابو عبد الله العددى[١]. وهذا الطبيب دخل البصرة و لم يخل بغداد، وأتى مدينة الفسطاط بمصر ودبر مارستانها[٢] وقام على شئونه ثم رجع إلى قرطبة سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، وأصبح من خواص أطباء الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) ثم هشام المؤيد (٣٦٦-٤٠٦ هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)، ويقول عنه صاعد الأندلسى: «تمهر فى الطب ونبل فيه، وأحكم كثيرا من أصوله، و لم يكن فى قرطبة من يلحق به فى صناعة الطب ولايجاريه فى ضبطها وحسن دربته فيها وإحكامه لغوامضها»[٣].

و لم تصرح المصادر بأن ابن عبدون الجبلى قد تتلمذ على أحد من أطباء البصرة ومصر، ولكن من المرجح أنه التقى ببعض الأطباء فى هذين القطرين، وتبادل معهم الخبرات الطبية. وتشير المصادر إلى أنه تتلمذ فى علم المنطق على عالم بغدادى هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى البغدادى[٤]. ولعله أخذ عنه شيئا من الطب.

(٣) رحلة ابن ذنين الصدفى والكرمانى:

وممن كانت له رحلة إلى المشرق لدراسة الطب عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذنين ابن عاصم الصدفى، أبو المطرف، من أهل سرقسطة، رحل إلى المشرق سنة ٣٨١هـ/٩٩١م

---

١) ترجمته فى طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١١٥، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٩٢ - ٤٩٣، وسماه " محمد بن عبدون العذرى" وهو تصحيف. وفى نفح الطيب للمقرى (ج١ ص ١٥١ - ١٥٢، ج ص٢٤٤) سماه "محمد بن عبدون العذرى" وهو تصحيف أيضا، والصواب "العددى" كما جاء هنا، وكما فى التكملة لابن الأبار ج١ ص ١٠٢. ومعناها: المشتغل بعلم العدد (الحساب). وأورد له ابن الأبار فى التكملة (ج ٢ ص ٥٢٣) ترجمة أخرى باسم "أبو عبد الله الجبلى الطبيب، من أهل قرطبة". وانظر ترجمته أيضا فى طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨١، المقفى للمقريزى ٦ / ١٤.

٢) مارستان الفسطاط ويسمى بالبيمارستان الأعلى ويعرف بالبيمارستان العتيق، أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢م، وقيل: سنة ٢٦١ هـ/٨٧٤م، و لم يكن فى مصر قبل ذلك مارستان (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ص ٦٧ - ٧٣ للدكتور أحمد عيسى - طبع دمشق ١٩٣٩م).

٣) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٨١، ونقل عنه المقرى فى نفح الطيب ج ٢ ص ٢٤٤.

٤) صاعد الأندلسى: المصدر السابق ص ٨١، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٤٩٢، نفح الطيب للمقرى ج٢ ص٢٤٤، المقفى للمقريزى ١٤/٦ وراجع ما كتبناه عنه (ص ٣٢٢) فى الفصل الخاص بالفلسفة.

ودخل مصر والقيروان. وألف كتابا فى الأمراض، مولده سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م وتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[١].

ورحل أبو الحكم عمرو بن أحمد بن على الكرمانى إلى المشرق أيضا لدراسة هذا العلم، ودخل حران وحصل علم الهندسة مع الطب، ثم رحل إلى الأندلس وجلب معه الرسائل المعروفة " برسائل إخوان الصفا "، وهو أول من أدخلها، وكان على دراية كبيرة بالجراحة وغيرها من علوم الطب، وأحد الراسخين فى علم العدد والهندسة. توفى بسرقسطة سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م وقد بلغ تسعين سنة[٢].

استمرار ارتباط الأطباء الأندلسيين بالمشرق فى القرنين (٥، ٦هـ):

و لم تقف مظاهر التواصل العلمى فى ميدان الطب بين مغرب العالم الإسلامى ومشرقه من خلال تنقل الأطباء الأندلسيين وارتحالهم إلى العديد من حواضر المشرق لم تقف عند حدود القرن الرابع الهجرى، وذلك بالرغم من أن النهضة العلمية بالأندلس بدأت فى الظهور فى هذا المجال مع آخريات ذلك القرن، وإنما استمرت ظاهرة الرحلة إلى المشرق فى القرنين الخامس والسادس الهجريين لتحصيل علوم الطب والإتيان بمصادره وموسوعاته.

ففى القرن الخامس الهجرى رحل إلى بغداد عميد أسرة بنى زهر العريقة فى الطب: أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر (المتوفى٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، ودرس فيها الطب مدة، وأقام فى مصر والقيروان، ثم عاد إلى الأندلس، واشتهر بالتقدم فى هذا العلم حتى فاق أهل زمانه، وتوفى بدانية[٣].

وفى القرن السادس رحل إلى المشرق كل من:

١ - الطبيب اليهودى يوسف بن أحمد بن حسداى (المتوفى ٥٢٢هـ/١١٢٨م). أقام بمصر، واشتهر ذكره فيها أيام الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله أبى على المنصور (٤٦٥-٥٢٤ هـ/١١٠١-١١٣٠م) وخدم وزيره المأمون أبا عبد الله محمد بن نور الدولة أبى شجاع، وشرح بأمره بعض كتب جالينوس، وكانت لابن حسداى مراسلات علمية مع الفيلسوف

---

١) ابن بشكوال: الصلة ص ٣١٣ (ترجمة رقم ٦٨٣).

٢) صاعد الأندلسى: المصدر السابق ص ٧٠ - ٧١، ابن أصيبعة: المصدر السابق ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

٣) التكملة لابن الابار ص ٦٠٦، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥١٧، طبقات صاعد الأندلسى ص ٨٤- ٨٥، الحلل السندسية ج٣ ص ٣٣٣ - ٣٣٤، حضارة العراق - لطائفة من الباحثين العراقيين ج٨ص ٥٠٣.

الطبيب الأندلسى ابن باجه (المتوفى ٥٣٣هـ/١١٣٨م»[١].

٢ - أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الدانى (المتوفى٥٢٩هـ/١١٣٤م). وصل إلى مصر سنة ٥١٠هـ، وأقام بالقاهرة مدة، وخدم بعض كبرائها بالطب. وامتحن بالسجن، ثم عاد إلى الأندلس حاملا معه عددا من الكتب الطبية. وصنف عدة كتب فى الطب والصيدلة والفلك والرياضيات. ومن مؤلفاته الطبية: كتاب "الانتصار لحنين بن إسحق على بن رضوان فى تتبعه لمسائل حنين"[٢]. وصنف أيضا كتابا فى وصف مصر وأحوالها الجغرافية والبشرية والثقافية، وسماه " الرسالة المصرية "[٣].

٣ - أبو الحكم عبد الله بن مظفر بن عبد الله المرسى الأندلسى (المتوفى٥٤٩هـ/ ١١٥٤م). رحل إلى دمشق، ودخل العراق، وأصبح فى خدمة السلطان السلجوقى محمد ابن ملكشاه (٥٤٨-٥٥٤هـ/١١٥٣-١١٥٩م)، وأنشأ له بيمارستانا منقولا يحمل فى الأسفار على أربعين جملا. وقد عاش أبو الحكم مدة فى دمشق وكان له فيها دكان (عيادة) يستقبل فيه المرضى[٤].

٤ - أبو جعفر أحمد بن حسان طبيب الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب المنصور. وهو الذى رافق الرحالة الأندلسى ابن جبير (المتوفى٦١٤هـ/١٢١٧م) فى تطوافه عبر عدد من بلاد المشرق وذلك عام ٥٧٨هـ/١١٨٣م، وذكره ابن جبير فى " الرحلة ". وترك ابن حسان كتابا فى الطب بعنوان "تدبير الصحة" لابد وأن يكون قد تأثر فيه بالثقافة المشرقية فى هذا الفن[٥].

٥ - أبو زكريا يحيى بن إسماعل الأندلسى. رحل إلى مصر، وأقام بالقاهرة، ثم توجه إلى دمشق، فقطن بها، وقرأ الطب على مهذب الدين على بن عيسى النقاش البغدادى، ولازمه، وكتب بخطه كتبا كثيرة فى الطب وغيره من العلوم، وخدم السلطان صلاح الدين يوسف بن

---

١) عيون الأنباء ص ٤٩٩ - ٥٠٠، وراجع عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ٥٢.

٢) حنين بن إسحق العبادى البغدادى (المتوفى٢٦٠هـ) - راجع عنه (ص ٣٠٠، ٣٨٦) من القسم الأول. وأما ابن رضوان فهو أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر، وهو من أكابر الأطباء بمصر، وكان كثير الرد على من كان يعاصره من الأطباء وعلى كثير ممن تقدمه. وصنف عددا كبيرا من المؤلفات فى الطب، وتوفى عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م (راجع عنه عيون الأنباء ص ٥٦١ - ٥٦٧).

٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٠١ - ٥١٥.

٤) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٦٤ - ٢٦٥. وراجع: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ج ١ ص ٢٦.

٥) عيون الأنباء ص ٥٣٥.

أيوب المتوفى ٥٨٩هـ/١١٩٣م بصناعة الطب[١].

وفى عصر بنى نصر فى غرناطة لم يتوقف الاهتمام بالمعارف الجديدة فى مجال الطب، وتمثل ذلك فى مداومة الرحلة العلمية إلى المشرق للاستزادة من تقدم الطب هناك. وعلى سبيل المثال: سافر أبو تمام غالب الشقورى اللخمى إلى القاهرة، ودرس علم الطب بها، ومارسه فى بيمارستاناتها، ثم عاد إلى بلده[٢]. ومثله فعل أحمد بن المغربى الإشبيلى الأندلسى (المتوفى٧١٨ هـ/١٣١٨م)، انتقل إلى مصر حيث عين رئيسا للأطباء بها فى عهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م»[٣].

تعقيب: وبعد.. . فهذا ما أمكننا رصده فيما يتعلق بتأثير المشرق الإسلامى على (قرطبة / الأندلس) فى مجال الطب. ونخلص من ذلك إلى ما يلى:

(١) كان لبغداد دور بارز فى تكوين وبناء صرح المدرسة الطبية فى قرطبة، وخاصة فى القرن الرابع الهجرى الذى شهد تدفقا كبيرا وحركة نشطة لجلب كتب الطب من مدينة السلام. وإلى جانب بغداد كانت هناك مراكز مشرقية أخرى غذت قرطبة / الأندلس بزاد وفير من العلوم الطبية، مثل البصرة وحران (بالعراق) ودمشق (بالشام) والقاهرة (بمصر)، والقيروان فى إفريقية. وكان لمصر أهمية كبيرة كحلقة اتصال بين بغداد وقرطبة. ولانكون مغالين إذا قلنا: إن بغداد كان لها النصيب الأوفى فى توريث قرطبة نهضتها الطبية التى سنتابع معالمها فى موضع آخر من هذه الدراسة.

(٢) لقد جمعت قرطبة - فى إطار اعتمادها على بغداد/المشرق - بين القديم والجديد فى علم الطب، بمعنى أن الكتب القديمة التى ترجمت فى بغداد والتى استقى منها الأطباء العرب والمسلمون كثيرا من علومهم الطبية - إلى جانب ما اكتشفوه من نظريات واكتسبوه من خبرات طبية سجلوها فى موسوعات عديدة - أقول: إن هذه الخبرات المتراكمة قديمها وجديدها استفادت منه قرطبة، واستطاع أطباؤها أن يشيدوا نهضتهم فى هذا المجال، وأن يتميزوا عن المشارقة ببعض الخصائص. وهذا ما سنوضحه فى سياق حديثنا عن إنجازات الأندلسيين فى علم الطب إن شاء الله.

---

١) عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ٥٨.

٢) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ج ٣ ص ١٧٩ - ١٨٠ (تحقيق محمد عبد الله عنان - القاهرة).

٣) محمد الخطابى العربى: الطب والأطباء فى الأندلس ج ١ ص ٣٢.

المبحث الثانى
علوم الصيدلة والنبات والحيوان

عرفنا فى القسم الأول من الدراسة أن علوم الصيدلة والنبات والحيوان قد نالتا نصيبا كبيرا من التقدم والتطور على أيدى العلماء العرب والمسلمين فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية) حتى أصبحت علوما مستقلة، كل علم قائم بذاته.

وقد شهدت (قرطبة/الأندلس) نهضة واسعة فى هذه المجالات، لاسيما فى الأدوية والنبات. وهذه النهضة التى سنبين ملامحها فى موضع آخر إن شاء الله كانت فى جانب كبير منها نتيجة للتأثير البغدادى/المشرقى؛ حيث استمد علماء الأندلس قدرا كبيرا من معلوماتهم فى الصيدلة والنبات من الكتب التى أنجزت فى بغداد فى هذا المجال والتى سرعان ما وجدت سبيلها إلى الأندلس فى غطاء انفتاح الأندلسيين على الثقافة المشرقية فى جميع العلوم والمعارف.

انتقال كتب الصيدلة والنبات المشرقية إلى الأندلس:

ويمكن تقسيم كتب الأدوية والنبات التى دخلت الأندلس إلى نوعين:

النوع الأول: الكتب المترجمة عن الإغريق، وأهمها:

(١) **كتاب الأدوية المفردة، لجالينوس.** وهذا الكتاب كان أحد المراجع المهمة للأطباء والصيادلة الأندلسيين، كالزهراوى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م) فى كتابه "التصريف"[١] وقد صنف ابن باجه (المتوفى ٥٣٣هـ/١١٣٨م) تعليقات عليه[٢]. وجمع ابن وافد اللخمى (المتوفى٤٦٦هـ/١٠٧٣م) بين كتاب جالينوس هذا وكتاب الأعشاب - أو الحشائش - لديسقوريدس فى كتاب واحد، وبصورة مرتبة ومصححة[٣].

(٢) كتاب النبات، وكتاب الحيوان، لأرسطوطاليس. وهذان الكتابان وصلا إلى الأندلس، وقام أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه (المتوفى٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) بدراستهما والتعليق على بعض فصولهما[٤].

---

١) محمد العربى الخطابى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١ / ١٢١.
٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥١٦.
٣) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٨٤.
٤) عيون الأنباء ص ٥١٦.

(٣) كتاب الحشائش، لديسقوريدس. وهذا الكتاب - كما عرفنا من قبل - كان يمثل مصدرا مهما للصيدلة الإسلامية والمرجع الأول فى موضوعه عند المسلمين المشارقة وعرفنا أيضا أنه ترجم فى بغداد فى عصر الخليفة العباسى المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)، وكان المترجم له هو " اصطفن بن بسيل "، نقله من اليونانية إلى اللغة العربية[١]. ونضيف هنا إلى ما سبق ذكره عن ترجمة هذا الكتاب أن بعض الكلمات اليونانية فيه استعصت ترجمتها على اصطفن بن بسيل مترجمه، فلم يستوف الأسماء العربية كلها لعدم معرفته بما يقابلها من اليونانية، فكان - كما يقول ابن جلجل - «إذا ما علم من تلك الأسماء اليونانية فى وقته له اسما فى اللسان العربى فسره بالعربية، وما يعلم له فى اللسان العربى اسما تركه فى الكتاب على اسمه اليونانى، اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربى »[٢].

ظلت ترجمة الكتاب - إذن - ناقصة، ولم يترجم كله إلى العربية، وظل عدد من أسماء الأدوية والعقاقير على صورتها اليونانية وبحروف عربية، وقد أمل مترجمه أن يأتى من بعده من يتمم النقص الذى تركه. ويشاء الله أن يتم هذا العمل فى مغرب العالم الإسلامى، فى قرطبة، بعد أن انتقل إليها من بغداد بصورته تلك. ولايعرف بالضبط تاريخ دخوله إلى قرطبة، ولكن يوجد ما يشير إلى أنه انتقل إليها قبل عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦٣م)، وعن ذلك يقول ابن جلجل: «وورد هذا الكتاب إلى الأندلس وهو على ترجمة اصطفن، منه ما عرف له اسم بالعربية، ومنه ما لم يعرف له اسم، فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالأندلس إلى أيام عبد الرحمن بن محمد (الناصر) وهو يومئذ صاحب الأندلس...»[٣].

أما الترجمة الكاملة للكتاب من اليونانية إلى العربية فقد كانت فى العاصمة الأندلسية قرطبة، وجاء الحافز عليها من المخطوط الفخم الذى أرسله ملك القسطنطينية "أرمانيوس" - مع هدايا أخرى ثمينة - إلى عبد الرحمن الناصر، وذلك فى سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م، «وكان الكتاب - كما يقول ابن جلجل - مصورا بالحشائش بالتصوير الرومى العجيب، ومكتوبا بالإغريقى الذى هو اليونانى، وبعث معه كتاب هروسيس صاحب القصص، وهو تاريخ للروم عجيب، وفيه أخبار الدهور وقصص الملوك الأول، وفائدته عظيمة »[٤].

---

١) راجع ما ذكرناه عن كتاب ديسقوريدس (ص ٤٠٤) من القسم الأول.

٢) عيون الأنباء (نقلا عن ابن جلجل)ص ٤٩٣. ومن الجدير بالذكر أن هذا النص لايوجد فى (طبقات الأطباء والحكماء) لابن جلجل، وربما نقله ابن أبى أصيبعة من كتاب آخر لابن جلجل، أو من نسخة أخرى من الطبقات لم تصلنا.

٣) عيون الأنباء ص ٤٩٣ نقلا عن ابن جلجل.

٤) عيون الأنباء ص ٤٩٤.

وفى هذا الوقت الذى وصلت فيه هذه النسخة النادرة إلى قرطبة لم يكن بها أحد من نصارى الأندلس على علم باللغة اليونانية القديمة، فبقى الكتاب الذى أرسله الملك أرمانيوس فى المكتبة العامة بقرطبة على حاله، ولم يترجم إلى العربية، وبقيت فى أيدى الناس النسخة البغدادية التى ترجمها اصطفن بن بسيل حتى عكف عليها جماعة من الأطباء عرفوا بالتحرى والضبط، فعملوا على تفسير ما جهل بها من اسماء العقاقير. وكان أكثرهم حرصا وبحثا فى ذلك، وأقربهم إلى عبد الرحمن الناصر: حسداى بن بشرمط الإسرائيلى (وهو يهودى)، وكان معه من الأطباء الباحثين: محمد المعروف بالشجار، وأبو عثمان الجزار الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحق بن هيثم، وأبو عبد الله الصقلى، وغيرهم[١].

ثم حدث أن أرسل الملك إرمانيوس إلى قرطبة أحد علماء القسطنطينية الذين يجيدون الإغريقية (اليونانية القديمة) واللاطينية (العجمية الأندلسية)، ويدعى " نقولا الراهب "، فوصل إليها سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م، وقربه عبد الرحمن الناصر حتى أصبح أحظى الناس لديه وأخصهم به، وقام "نقولا" بترجمةالكتاب من جديد، وعاونه فريق الأطباء المذكورين، وعاش هذا الراهب إلى صدر دولة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، ولم يمت حتى أنهى - هو ومن معه - ترجمة الكتاب، فأزالوا ما كان فيه من إبهام، وصححوا النطق بأسمائها بلا تصحيف إلا القليل منها الذى لا أهمية له، وهذا القليل لم يتجاوز عشرة أدوية[٢].

وأغلب الظن أن هذا الفريق اعتمد فى هذه المحاولة الجديدة - إلى جانب النسخة المرسلة من القسطنطينية - على النسخة المترجمة التى وردت من بغداد قبل عصر الناصر بقليل. ويقول شاخت فى كتابه " تراث الإسلام ": «وقد أمكن بواسطة التصاوير الواردة فى المخطوط "نسخة الملك أرمانيوس" ترجمة المزيد من أسماء العقاقير التى تضمنها الكتاب إلى العربية »[٣].

إن هذا العمل بالطريقة التى أنجز بها فى بغداد وقرطبة معا كان له أثر بعيد فى تنشيط الدراسات المتعلقة بالنبات والأدوية المفردة فى الأندلس بداية من القرن الرابع الهجرى إلى القرن الثامن، وكان أحد المصادر المهمة للكتب التى وضعها الأطباء والصيادلة الأندلسيون فى علم الأدوية والأعشاب الطبية، وكتب بعضهم دراسات ثرية حوله، شرحا أو اختصارا أو استدراكا[٤].

---

١) عيون الأنباء ص ٤٩٤.

٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

٣) شاخت: تراث الإسلام ج ٢ ص ٢٥٣ (سلسلة عالم المعرفة - الطبعة الثانية ١٩٨٨ م).

٤) راجع الفصل الخاص بإنجازات الأندلسيين فى مجال الصيدلة والنبات (ص ٩٢٩-٩٣١).

والنوع الثانى من كتب الأدوية والنبات الوافدة إلى الأندلس: الكتب التى صنفها علماء (بغداد/المشرق) فى إطار حركة الإبداع والابتكار التى طورت تراث الأوائل. وأهم هذه الكتب:

١ - كتاب " الأقراباذين "[١] لأبى بكر الرازى البغدادى[٢] (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م).

٢ - كتاب " الأقراباذين " لسابور بن سهل البغدادى (المتوفى٢٢٥هـ/٨٣٩م). وهذا الكتاب - كما ذكرنا - كان له من الشهرة والذيوع فى بغداد بحيث ظل معترفا به فى جميع دكاكين الصيادلة والبيمارستانات على مدى ثلاثة قرون متتالية[٣].

٣ - كتاب الأدوية، لسرجيس بن إلياس الرومى.

وهذه الكتب الثلاثة اعتمد عليها الزهراوى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م) فى الأبواب الخاصة بالأدوية من كتابه " التصريف "[٤].

٤ - كتاب " تركيب الأدوية " للكندى الفيلسوف البغدادى (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م) وصل إلى الأندلس، وشرحه أبو العلاء بن زهر الأندلسى (المتوفى ٥٢٥هـ/١١٣٠م»[٥].

٥ - كتاب " الترياق " للكندى أيضا[٦].

٦ - كتاب " الأدوية المفردة " لابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، ألف أبو العلاء بن زهر مقالة فى الرد على بعض مواضع منه[٧].

٧ - وقد استفاد الإدريسى الأندلسى فى كتابه " الجامع لصفات أشتات النبات " من كتب المشارقة فى هذا الفن، ككتاب "المفردات" لاصطفن بن بسيل، و "الأدوية المفردة" لحنين ابن إسحق[٨].

٨ - ومن الكتب التى أدخلها الأندلسيون إلى قرطبة: كتاب "الاعتماد فى الأدوية المفردة " للطبيب القيروانى أحمد بن إبراهيم بن أبى خالدالمعروف بابن الجزار (المتوفى ٣٦٩هـ/

---

١) راجع معنى هذه الكلمة (ص ٤٠٢).

٢) ذكرنا هذا الكتاب للرازى فى المبحث الخاص بالصيدلة من القسم الأول (ص ٩٣٧).

٣) راجع عن ذلك (ص ٤٠٩- ٤١٠).

٤) محمد العربى الخطابى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١ / ١٢١ - ١٢٣.

٥) عيون الأنباء: لابن أبى أصيبعة ص ٥١٩.

٦) محمد الخطابى العربى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١ / ١٢٢.

٧) عيون الأنباء ص ٥١٩.

٨) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات ص ١٩٢ - ١٩٣.

٩٧٩م»[١]. وهذا الكتاب قام بدراسته وتصحيح بعض ما جاء فيه من أخطاء: الطبيب الأندلسى عبد الرحمن بن إسحق بن هيثم القرطبى، وصنف فى ذلك كتابا بعنوان "الاقتصاد والإيجاد فى خطأ ابن الجزار فى الاعتماد ".وقد عاش ابن الهيثم هذا فى عهد هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)، وكان عمدة فى معرفة الأدوية المفردة والمركبة[٢] وكان كتاب " الاعتماد" لابن الجزار أحد المصادر المهمة التى استفاد منها الزهراوى (المتوفى٤٠٣هـ/١٠١٢م) فى كتابه " التصريف "[٣].

اعتماد الأندلسيين على كتب اللغة المشرقية الخاصة بالنبات:

وفى إطار اعتماد الأندلسيين على كتب اللغة المشرقية وصل إلى الأندلس مجموعة من كتب اللغة الخاصة بالنبات والزرع والشجر والنخل والعشب[٤]، منها كتاب " الشجر والنبات " لأبى زيد الأنصارى (المتوفى ٢١٦هـ/٨٣١م»[٥]، وكتاب " النبات " ليعقوب بن السكيت (المتوفى ٢٤٦هـ/٨٦٠م»[٦]، وكتاب " النبات " لأبى حنيفة الدينورى (المتوفى٢٨٢هـ/٨٩٥م»[٧]. وهذا الكتاب الأخير - الذى تحدثنا عن أهميته فى موضع سابق[٨] - قرأه وأتقن معرفته أبو محمد عبد الله بن أبى بكر (الحفيد) بن أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء بن زهر (المتوفى٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م»[٩]، ورجع إليه ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقى المعروف بابن البيطار (المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) فى كتابه "الأدوية المفردة"[١٠].

إن وصول هذه الكتب إلى (قرطبة/الأندلس) يؤكد أهمية الدور المنوط ببغداد/المشرق فى تدعيم قرطبة بالعطاء الحضارى فى هذا المجال العلمى. وما من شك فى أن الأطباء والصيادلة الأندلسيين تأثروا بهذه الكتب إلى حد كبير، وأضاءت لهم جوانب كثيرة من هذا العلم، وبنوا عليها نهضتهم العلمية فى الصيدلة والنبات.

---

١) أورد ابن أبى أصيبعة ترجمة مفصلة لابن الجزار فى (عيون الأنباء ص ٤٨١-٤٨٢).
٢) عيون الأنباء ص ٤٩٣، محمد الخطابى العربى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١ / ٢٦.
٣) محمد الخطابى العربى: المرجع السابق ١ / ١٢٢ - ١٢٣.
٤) راجع (ص٤٢٣) من المبحث الخاص بعلم النبات من القسم الأول.
٥) فهرسة ابن خير ص ٣٧٤.
٦) فهرسة ابن خير ص ٣٨٢.
٧) فهرسة ابن خير ص ٣٧٦.
٨) راجع ما كتبناه عن أهمية هذا الكتاب (ص ٤٢٤) فى المبحث الخاص بعلم النبات من القسم الأول.
٩) عيون الأنباء ص ٥٢٩.
١٠) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ص ٢٣٦.

رحلة علماء قرطبة إلى بغداد لتعلم الصيدلة:

ولم يقتصر التأثير المشرقى الوافد من بغداد إلى قرطبة فى مجال الصيدلة والنبات على الكتب وحدها على الرغم مما كان لها أهمية خاصة، ولكن كانت هناك محاولات أخرى فى هذا الصدد قام بها أطباء من قرطبة تعلموا الطب والصيدلة فى بغداد، وأفادوا بها أهل قرطبة. ومن هؤلاء: عمر بن يونس بن أحمد الحرانى القرطبى الذى رحل إلى بغداد، وتعلم فيها - هو وأخوه - الطب وتركيب الأدوية مدة عشرة أعوام كما ذكرنا من قبل[١].

وقد كان عمر - كما يقول ابن جلجل فى طبقاته - «بصيرا بالأدوية المفردة، وصانعا للأشربة والمعجونات». ومن أعماله التى قام بها - والتى تدل على أنه دعم قرطبة بما تعلمه فى بغداد فى هذا المجال -أنه تولى إقامة خزانة للأدوية لم يوجد مثلها فى قرطبة، ورتب لها اثنى عشر من الصقالبة كانت مهنتهم تحضير الأشربة والمعجونات العلاجية التى يقوم هو بتركيبها، وكان يعطى منها من احتاج من الفقراء بلا مقابل[٢].

وممن أفاد من رحلته إلى المشرق فى مجال الأدوية والنبات: أبو العباس أحمد بن محمد ابن مفرج المعروف بابن الرومية (المتوفى٦٣٧هـ/١٢٣٩م). وقد عرف بالنباتى لإتقانه علم النبات ومعرفته الجيدة بخصائص الأدوية وأنواعها ومنافعها ومواطنها. ولاشك أنه اكتسب كثيرا من هذه المعرفة من رحلته إلى المشرق التى بدأها بمصر سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، وأقام بها وبالشام والعراق نحو سنتين، ودخل بغداد. وفى تلك الرحلة - وكما يقول ابن أبى أصيبعة - «عاين نباتا كثيرا فى هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب، وشاهد أشخاصها فى منابتها، ونظرها فى مواضعها»[٣]. وما من شك فى أن ابن الرومية انتفع بهذه المشاهدات والتجارب فى تأليف كتبه الخاصة بالأدوية والنبات[٤].

---

١) راجع عن ذلك (ص ٦٣٩-٦٤٠).

٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ١١٣، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٨٧.

٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥٣٨، المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ٥٩٦ - ٥٩٨.

٤) راجع جهود ابن الرومية فى الصيدلة والنبات (ص٩٣٨) من الفصل الخاص بإنجازات الأندلسيين فى هذا المجال.

قدوم بعض صيادلة بغداد إلى قرطبة:

وكما رحل بعض أطباء قرطبة إلى بغداد للتعلم على أساتذتها فى الطب والصيدلة فقد قدم بعض الأطباء من بغداد إلى قرطبة زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٧-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م). ومن هؤلاء: الطبيب العراقى المعروف بالحرانى الذى رجحنا من قبل أن يكون قد عاش فى بغداد فترة[١]. وهذا الطبيب كان على علم واسع بأسماء النباتات الطبية وتركيب الأدوية، وأدخل إلى قرطبة نوعا من المعجونات الطبية يعرف باسم " المغيث الأكبر"[٢]، وكان يبيع الشربة منه بخمسين دينارا. وقد حاول خمسة من الأطباء بقرطبة - منهم حمدين بن أبا، وجواد النصرانى -أن يصلوا إلى حقيقة تركيب هذا الدواء، فوصلوا - عن طريق إجراء بعض التجارب - إلى عناصر تكوينه، وكتبوا عليه نشرة علمية، إلا أنهم أخطأوا فى تحديد المقادير، فطلبوا من الطبيب الصيدلى "الحرانى البغدادى" الكشف لهم عن كيفية تحضير الدواء، فبين لهم خطأهم، وحدد لهم المقادير الصحيحة[٣].

ونظرا للعلم الواسع الذى تمتع به هذا الطبيب العراقى بأسماء النباتات والأعشاب فقد كان مرجع أطباء عصره فى ذلك، حيث كانوا يسألونه عن أسماء بعض الأعشاب التى تخفى عليهم. ويذكر ابن جلجل فى هذا الصدد أن بعض الأطباء أرادوا تحضير دواء يدخل فيه نبات " الثفاء"، ولم يكونوا على علم به، فسألوه عنه، ففسره لهم، وبين أنه نبات الحرف[٤].

ومن هنا ندرك أهمية دور هذا الطبيب العراقى فى خدمة هذا المجال العلمى ونشره فى قرطبة.

***

١) راجع عن ذلك (ص ٦٣٨).

٢) المغيث: عبارة عن لعوق كانوا يعتقدون أنه نافع لكل الأمراض، ذكره (دوزى) نقلا عن ابن وافد الأندلسى (طبيب وصيدلانى) فى تذكرته المحفوظة فى " خرونجن " بهولندا - برقم ٢٧٢٣ (انظر تعليقات فؤاد سيد على كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل ص ٩٥، هامش رقم ٧).

٣) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٩٤ - ٩٥، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٨٦ - ٤٨٧.

٤) ابن جلجل: المصدر السابق ص ٩٥. وقد فسر ابن البيطار المالقى (المتوفى ٦٤٦ هـ) فى كتابه "الأدوية المفردة " فسر (الثفاء) بأنه الحرف أو الخردل. واحدته (ثفاءة) وهو حب الرشاد (راجع تعليقات فؤاد سيد على طبقات ابن جلجل ص ٩٥).

المبحث الثالث
علم الفلك والرياضيات

إدخال بعض كتب الفلك والرياضيات المشرقية إلى قرطبة فى وقت مبكر:

وفى مجال الفلك والرياضيات كان تأثير المدرسة البغدادية على الأندلس قويا. وقد وجدت الكتب المشرقية فى هذا المجال سبيلها إلى قرطبة فى وقت مبكر نسبيا، حينما وجه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) عباس بن ناصح - وكان قاضيا- على رأس بعثة إلى بغداد لجلب كتب الفلك والرياضيات والطب والصيدلة وغيرها، «فأتاه بكتاب "السند هند" وغيره، وهو أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها بها» كما يقول ابن سعيد[١]. وقد عرفنا من قبل أن هذا الكتاب من أقدم الكتب التى ترجمت فى بغداد عن اللغة الهندية، ويشتمل على دراسات جيدة فى علمى الحساب والفلك[٢].

وعبارة ابن سعيد «فأتاه بالسند هند وغيره...» تشير إلى أمرين:

الأول: أن كتبا أخرى فى علوم الفلك والرياضيات - غير " السند والهند " انتقلت إلى الأندلس فى صحبة عباس بن ناصح ومجموعته.

الثانى: وصول هذه الكتب إلى قرطبة فى وقت مبكر نسبيا من تاريخ الأندلس، أى فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، وهذه الفترة كانت مواكبة لقمة النهضة العلمية التى شهدتها بغداد على مستوى العلوم التطبيقية.

وعلى الرغم من أن كتب الفلك والرياضيات - ويضاف إليها كتب الفلسفة - انتقلت إلى الأندلس فى فترة مبكرة كما ذكرنا فإن ذلك كان بصورة محدودة. والسبب فى ذلك ربما يرجع إلى التحفظ الذى أبداه علماء الشريعة تجاه هذه العلوم، وخصوصا كتب الفلسفة والمنطق، ولم يكن ليسمح منها إلا بما له ارتباط بالعلوم الدينية، مثل معرفة اتجاه القبلة، وتعيين مواقيت الليل والنهار على مدار العام لمعرفة أوقات الصلاة، والاستيثاق من مواعيد الأهلة، وكيفية تقسيم الأراضى وتوزيع المواريث، وضبط الدخل والإحصائيات

---

١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٤٥.

٢) راجع ما كتبناه عن كتاب السند هند (ص ٣٣٤ - ٣٣٥) من القسم الأول.

المختلفة؛ أى أن حاجتهم لعلوم الحساب والفلك كانت فى حدود الضرورة الشرعية والاجتماعية التى لايمكن الاستغناء عنها، ومن هنا - كما يقول المستشرق الإسبانى (خوان بيرنيت Juan Vernet) - «كان تطور هذه العلوم بطيئاً فى فترات الضغط الدينى والذى لم يسمح إلا بالشروح الضرورية لحل المشكلات المعقدة»[١].

أهم كتب الفلك والرياضيات المشرقية التى انتقلت إلى قرطبة فى (ق٤هـ):

وفى عصر الخلافة الأموية بالأندلس - وفى خِضمّ الانفتاح العلمى على المشرق الإسلامى تحت رعاية الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ثم ولده الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وإفساحهما المجال لجلب عيون المؤلفات والمصنفات من بغداد ومصر وغيرهما - استطاع الأندلسيون أن يحصلوا على مجموعة من كتب الفلك والرياضيات التى كان لها شأن كبير فى بناء النهضة العلمية التى شهدتها (بغداد/المشرق) فى هذا المجال. وقد أشارت المصادر الأندلسية إلى عدد من هذه المؤلفات التى دخلت قرطبة نذكر منها:

أولاً: فى علم الفلك:

١ - كتاب " المجسْطى " لبطليموس[٢]. وقد نص على دخوله الأندلس كل من صاعد الأندلسى وابن أَبى أُصَيبعة[٣]، وكتب الأندلسيون حوله دراسات عديدة[٤].

٢ - زِيج الشاه (زيج الشهريار»[٥]. وهذا الزيج يمثل النظريات الفلكية والجغرافية الهندية. وقد عرفه الأندلسيون، واستعان به إبراهيم بن يحيى الزرقالى الأندلسى (المتوفى ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م) فى استخراج أطوال الكواكب السيارة، وذلك فى كتابه عن "الإسطرلاب" المسمى "بالصفيحة الزرقالية "[٦].

---

١) د. محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم الأندلسى ص ٣٣٣، نقلاً عن: Juan Vernet: Los Musulmanes espanoles ، p.p. 97 - 98.

٢) راجع ما ذكرناه عن هذا الكتاب (ص ٣٣٧ - ٣٣٨) فى المبحث الخاص بعلم الفلك - القسم الأول.

٣) صاعد: طبقات الأمم ص ٦٩، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٨٣.

٤) سيأتى ذكرها فى الفصل الخاص بإنجازات الأندلسيين فى علم الفلك والرياضيات (راجع عن ذلك ٨٩١- ٨٩٢).

٥) سبق الحديث عن هذا الزيج (ص ٣٢٦). وراجع المقصود بكلمة (الزيج) [ص ٣٤٨].

٦) نلّينو: علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص ١٨٨، كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج ١ ص ٧٧.

٣ - زيج الخوارزمي: محمد بن موسى الخوارزمي/البغدادي (المتوفى٢٣٦هـ/٨٥١م) القائم على خزانة بيت الحكمة ببغداد فى عهد الخليفة المأمون[١]. وقد أشار صاعد الأندلسى إلى دخول هذا الزيج قرطبة، وأن أبا القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى (المتوفى ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) كتب حوله دراسة متميزة[٢].

٤ - زيج البتّانى: محمد بن جعفر بن سنان الحرانى البتانى البغدادى[٣] (المتوفى٣١٧ هـ/٩٢٩م). وكان لأبى القاسم المجريطى عناية به[٤].

٥ - رسالة فى الاسطرلاب، للفلكى المصرى " ماشاء الله ". وهذه الرسالة نص على دخولها الأندلس المستشرق الإسبانى (خوسيه مارياماياس بيدكروسا J.M.Vallicrosa) فى بحثه المكتوب باللغة الإسبانية عن " نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس "[٥].

ثانياً: كتب الرياضيات:

ومن كتب الرياضيات التى انتقلت من بغداد إلى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى:

١ - كتاب " الأصول الهندسية " لأوقليدس. وهو أهم الكتب المترجمة عن اليونان فى علم الرياضيات[٦]، وقد وصل إلى قرطبة فى القرن المذكور، وأعطاه الأندلسيون - كالمشارقة - اهتماماً كبيراً، وكتبوا حوله عدداً من الشروح الوافية والمختصرات[٧]، سيأتى ذكرها فى سياق حديثنا عن إنجازات علماء الأندلس فى مجال الفلك والرياضيات[٨].

٢ - رسالة فى أغراض كتاب أوقليدس، للكندى الفيلسوف والرياضى البغدادى

---

١) راجع عن زيج الخوارزمى (ص ٢٧٩) من القسم الأول.

٢) طبقات الأمم ص ٦٩، عيون الأنباء ص ٤٨٣.

٣) راجع عن زيج البتانى (ص ٣٥٠) من القسم الأول.

٤) طبقات الأمم ص ٦٩، عيون الأنباء ص ٤٨٣.

٥) J.M.Vallicrosa: El quebacer astronmico de la Espana Arabe،de Revista del instituto estudios islamicos Madrid ، 1957 ، pp. 53 - 54.

٦) سبق الحديث عن كتاب أوقليدس وعناية علماء بغداد به (ص ٣٥٢ - ٣٥٤) من القسم الأول.

٧) طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١١١، طبقات الأمم لصاعد ص ٦٨، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٤٨، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٣.

٨) راجع عن ذلك (ص ٨٩٢) من الباب التالى.

(المتوفى٢٥٢هـ/٨٦٧م). وهذه الرسالة اعتمد عليها ابن جلجل القرطبى (الذى كان حيا سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م) فى كتابه " طبقات الأطباء والحكماء "[١].

٣ - كتاب " الألوف" لأبى معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى نزيل بغداد (المتوفى ٢٧٢هـ/٨٨٥م)، وهو عالم كبير فى الفلك. وكتابه هذا عبارة عن أخبار اليونان والرومان وغيرهم، وتحدث فيه عن الهياكل والأبنية العظيمة التى يتم بناؤها فى العالم القديم فى كل ألف عام ويحتوى على كثير من المعلومات عن عدد من النظريات الفلكية والرياضية. وقد اعتمده ابن جلجل القرطبى كأحد مصادره فى " طبقات الأطباء والحكماء "[٢].

٤ - كتاب " فى الشكل الملقب بالقطاع "، لثابت بن قرة الحرانى البغدادى[٣] (المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠١م). وصل إلى قرطبة، وكتب أبو القاسم المجريطى القرطبى دراسة حوله كما يقول بروكلمان[٤].

رحلة بعض علماء قرطبة إلى المشرق لتحصيل علوم الفلك والرياضيات:

ولم يكن اعتماد علماء الفلك والرياضيات فى قرطبة على ما جلب إليهم من كتب هذا الفن فحسب، وإنما رحل بعضهم إلى المشرق لتحصيل هذه العلوم والتلمذة على أيدى علمائه ومتخصصيه. وأهم رحلة قاموا بها من أجل هذه المهمة هى رحلة أحد الراسخين فى علم العدد والهندسة أبى الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبى (المتوفى بسرقسطة سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م عن سن بلغ التسعين عاما)، وهو تلميذ رائد المدرسة الأندلسية فى الرياضيات: أبى القاسم المجريطى (المتوفى ٣٩٨هـ/١٠٠٧م). وقد كانت رحلة الكرمانى إلى حران، وتلقى علمى الهندسة والطب هناك، ثم رجع إلى الأندلس[٥].

لقد وصل هذا العالم فى نهاية رحلته إلى حران، وما من شك فى أنه دخل بغداد عاصمة الخلافة العباسية. والحق أن حران مدينة مهمة فى تاريخ الحضارة الإسلامية، فهى

---

١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٣٩، وتعليقات محققه الأستاذ فؤاد سيد ص ٤٠.

٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٢، ٥، ٦. وراجع مقدمة المحقق فؤاد سيد ص (كح). وراجع: مسالك الأبصار (مخطوط) لابن فضل الله العمرى ج ٥ قسم ٣ (لوحة ٤٣٧).

٣) ذكره القفطى فى قائمة الكتب التى صنفها ثابت بن قرة (راجع: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨٢).

٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج ٤ ص ٣٢٦ (دار المعارف بالقاهرة).

٥) طبقات الأمم ص ٧٠ - ٧١، عيون الأنباء ص ٤٨٥.

التى أنجبت المشاهير من علماء الرياضيات والفلك والطب، وتخرج منها بعض مشاهير النقلة الذين برعوا فى ميدان الترجمة ببغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين. ولو لم ينبغ منها غير ثابت بن قرة الحرانى وأولاده، وغير البتانى لكفاها فخرا. وإن معظم العلماء الذين تخرجوا فى حران استقروا فى بغداد ونقلوا إليها معارفهم وثقافتهم فى مجال العلوم التطبيقية.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأندلسيين البارزين فى علوم الفلك والرياضيات ممن عاشوا فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى كانت لهم رحلة إلى المشرق، ودخلوا خلالها العراق ومصر، غير أنهم لم يذكر عنهم أنهم حصلوا هذه العلوم هناك، ومنهم: أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبى عبيدة الليثى القرطبى (المعروف بصاحب القبلة (المتوفى٢٩٥ هـ/٩٠٧م). وهذا العالم «كان عالما بالحساب والعلوم، وحركات الكواكب وأحكامها»[١].. ومنهم يحيى بن يحيى أبو بكر المعروف بابن السمينة القرطبى (المتوفى٣١٥ هـ/٩٢٧م»[٢].

والخلاصة: أن علم الفلك والرياضيات انتقل من (بغداد/المشرق) إلى قرطبة، لاسيما فى عصر الخلافة الأموية بها على إثر الانفتاح الثقافى الذى قام به الناصر والمستنصر. وقد تنوعت مصادر هذه العلوم الوافدة إلى قرطبة بين كتب مترجمة عن الفرس والهنود واليونانيين، وكتب أخرى من إبداع علماء المدرسة البغدادية كالكندى والخوارزمى وثابت بن قرة والبتانى وغيرهم.

وقد استطاع علماء الأندلس أن يكونوا مدرسة علمية رائجة فى الفلك والرياضيات اعتمادا على الكتب المنقولة إليهم. وبالرغم من أن هذه المدرسة مدينة بالفضل للمدرسة البغدادية فى هذا الميدان فإن علماءها كان لهم جهود فى تطوير هذه الكتب أو التأليف على منوالها، وكان لهم إسهاماتهم المتميزة، وسيتضح ذلك فى موضع آخر من دراستنا هذه إن شاء الله[٣].

***

١) صاعد: طبقات الأمم ص ٦٤، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ١٢٥/٢ - ١٢٦، الضبى: بغية الملتمس ص ٤٧٠.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٨٥، صاعد: طبقات الأمم ص ٦٥، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٨٢.

٣) راجع المبحث الخاص بإنجازات علماء الأندلس فى مجال الفلك والرياضيات، بداية من (ص ٨٩٠).

المبحث الرابع
الموسيقى والغناء

مدخل كان الشرق الإسلامى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين قد قطع شوطا اتسع فيه العمران، وتعمقت خلاله جذور حضارته، وبلغت مدنيته الإسلامية الإنسانية قمة عالية، ومن ثم تعلق بعض ذوى الدعة واليسار بأسباب الترقى والكمال من شئون الحياة بعد أن استكملوا الضرورى منها، على حد تعبير ابن خلدون[١]، ورأوا فى الموسيقى ومنتديات الأنس والطرب غذاء لأذواقهم وطباعهم، فكان لصناعة الموسيقى والغناء شأن كبير.

وقد رأينا من قبل أن الموسيقى والغناء لم تبلغ شأوا كما بلغته فى أيام العباسيين الأوائل فى بغداد؛ فقد كملت فى ظلهم صناعة الغناء، ويقرر ابن خلدون هذه الحقيقة فيقول فى مقدمته: «مازالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت فى أيام بنى العباس»[٢]. واشتهر فى هذا العصر عدد من الموسيقيين والمغنين تعرضنا لذكرهم من قبل، وبينا هناك الأسباب والدوافع التى أدت إلى تطور هذه الصناعة تطورا بعيدا على أيدى هؤلاء المغنين والموسيقيين[٣].

ويعد إسحق بن إبراهيم الموصلى (١٥٥-٢٣٥هـ/٧٧٢-٨٥٠م) إمام الموسيقيين فى عصره. ولانريد أن نقف هنا عند مكانته العالية ومهارته ودوره المهم الذى أسداه للموسيقى العربية فى عصره، وليرجع القارئ إلى ما كتبناه عنه من قبل[٤].

زرياب تلميذ إسحق الموصلى:

والمقصود هنا أن هذا الموسيقار الكبير كان له تلميذ كانت تظهر عليه أمارات النبوغ، مع تعلق كبير وحب عميق لصنعة الموسيقى، واسمه أبو الحسن على بن نافع الملقب ب " زرياب". ولقب بذلك لسواد لونه وفصاحة لسانه وحلاوة شمائله، تشبيها له بطائر أسود غرد[٥]. وقيل:

---

١) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص ٩٨٣.
٢) ابن خلدون: المصدر السابق ج ٢ ص ٩٨٢.
٣) راجع عن ذلك (ص ٤٥٧ - ٤٦٥).
٤) راجع عنه (ص ٤٦٤).
٥) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٢.

"زِرْآب " بالفارسية معناه: ماء الذهب، وعربوه بكسر الزاى وإبدال الألف ياء[١]. مولده سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م، وتوفى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م.

وقد كان زرياب من موالى الخليفة المهدى العباسى (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م)، ثم تبع الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)»[٢]، وتتلمذ ودرس الفن على يد أستاذه إبراهيم الموصلى، ثم على ولده إسحق بن إبراهيم الموصلى، «فتلقف من أغانيه استراقاً، وهـدىَ من فهم الصناعة وصدق العقل، مع طيب الصوت وصورة الطبع إلى ما فاق به إسحق»[٣].وقد أفاد من الموسيقى الشهير فى عصره: "منصور زَلْزل " الذى يُنسب إليه " المقام المنصورى " فى العراق[٤].

وتذكر الروايات أن زرياب نال شهرة كبيرة حتى أدهشت شخصيته الخليفة هارون الرشيد، وسرعان ما فاز بحبه، وكانت النتيجة أن حسده أستاذه إسحق الموصلى بسبب هذه المكانة التى نالها وخاف أن يحل مكانه عند الخليفة، فأفهمه أنه لن يسمح له بمنافسته فى البلاط العباسى، وأرغمه على مفارقة بغداد، وكان من حديثه إياه: «إن الحسد أقدم الأدواء وأدواها، والدنيا فتانة، والشركة فى الصناعة عداوة، لاحيلة فى حسمها. وقد مكرتَ بى فيما انطويتَ عليه من إجادتك وعلو طبقتك، وقصدتَ منفعتَك، فإذا أنا قد أتيتُ نفسى من مأمنها بإدنائك، وعن قليل تسقط مترلتى، وترتقى أنت فوقى، وهذا ما لا أصاحبك عليه ولو أنك ولدى، ولولا رَعْيى لذمة تربيتك لَمَا قَدَّمتُ شيئاً على أن أُذْهب نفسك يكون فى ذلك ما كان، فتخير فى ثنتين لابد لك منهما: إما أن تذهب عنى فى الأرض العريضة لا أسمع لك خبراً بعد أن تعطينى على ذلك الأيمان الموثقة وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره. وإما أن تقيم على كرهى ورغمى مستهدفاً إلىّ، فخذ الآن حذرك منى، فلست والله أبقى عليك، ولا أدع اغتيالك باذلاً فى ذلك بدنى ومالى، فاقض قضاءك»[٥].

ولسنا هنا بصدد مناقشة مدى صحة هذه الرواية - وهى طويلة - وإن كان أحد الباحثين قد شكك فى صحتها، وذهب إلى القول بتلفيقها، مؤكداً أن زرياب هاجر من بغداد وإبراهيم الموصلى يومئذٍ هو مطرب الرشيد لا (ابنه) إسحق، و لم يكن إسحق من المغنين ولا الملحنين فى

---

١) د. محمود أحمد الحفنى: زرياب ص ١٠، الزركلى: الأعلام ج ٥ ص ١٨٠.

٢) د. محمود أحمد الحفنى: زرياب ص ١٨٠.

٣) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٢، وانظر د. محمود أحمد الحفنى: زرياب ص ٣٠.

٤) د. محمود الحفنى: زرياب ص ٣٨، ٣٩.

٥) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٣، د. محمود الحفنى: إسحق الموصلى ص ٢١٨، ٢٢٣.

القصر عند هجرة زرياب، كما أن هذه القصة لم تذكر فى كتاب مثل العقد الفريد لابن عبد ربه ولا فى غيره من كتب الأندلسيين المعتبرة، فضلا عن كتب المشرقيين وفى مقدمتها كتاب: الأغانى " لأبى الفرج الأصفهانى الذى عنى أيما اعتناء بذكر أخبار إسحق الموصلى. والمصدر الوحيد الذى ذكرها هو " نفح الطيب " للمقرى - وأنه - أى المقرى - نقل عن كتب أندلسية غير موثوقة لم تصل إلينا كلها على حد تعبير الباحث[١]. وهذا مجمل كلامه وطعنه فى الرواية المذكورة.

ونقول نحن: إن المقرى حينما ذكر القصة فقد أحال إلى كتاب " المقتبس " لابن حيان، وهو من أوثق المؤرخين الأندلسيين، ولكن ليس من الواضح أن المقرى نقل الرواية كلها عن المقتبس. وقد ذكر ابن خلدون سياق الرواية باختصار شديد فى "مقدمته" وأكد على أن زرياب أخذ الغناء عن الموصليين وأجاده، ثم قال: «فصرفوه إلى المغرب غيرة منه»[٢]. كما أن الحميدى صاحب " جذوة المقتبس " فى معرض ترجمته لابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه) مؤلف " العقد الفريد " أشار إلى صلة زرياب بإبراهيم الموصلى، وقال: «كان يجرى مجرى الموصلى من الغناء»[٣].

رحلة زرياب إلى الأندلس وإقامته فى قرطبة:

ومهما كان السبب فإن زرياب ترك بغداد ورحل إلى المغرب، ومنه كتب إلى الحكم (الأول) بن هشام أمير الأندلس (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) المعروف بشغفه بالموسيقى - يطلب السماح له بدخول الأندلس بعد أن شرح له أمره وإمكاناته فى صناعة الغناء، فسر الحكم (الأمير) بالكتاب، ودعاه للحضور[٤]. وما أن وصل زرياب إلى " الجزيرة الخضراء"حتى وصلته أنباء وفاة الحكم (٢٠٦هـ/٨٢٢م) فهم بالرجوع إلى المغرب، إلا أن رسول الحكم إليه (منصور المغنى اليهودى) ثناه عن ذلك ورغبه فى أن يقصد الأمير عبدالرحمن بن الحكم. وكتب الرسول إلى الأمير بخبر زرياب، فجاءه الرد الجديد يرحب به ويستقدمه ويعده بالحظوة لديه، وأنه يتطلع إليه بكل سرور، وكتب إلى عماله على البلاد أن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة، ثم

---

١) كمال النجمى: معركة الحياة والموت بين إسحق الموصلى وزرياب الأندلسى - مقال فى مجلة الدوحة - العدد ٧٧ / رجب ١٤٠٣ هـ - مايو ١٩٨٢ م / ص ٣٤ - ٣٧.

٢) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص ٩٨٣.

٣) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١٦٦.

٤) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٤. وانظر تاريخ الموسيقى الأندلسية للدكتور عبد الرحمن الحجى ص ٢٨.

ركب - الأمير- بنفسه لتلقيه. ولما وصل زرياب إلى قرطبة واستقر بها بالغ الأمير فى إكرامه، وخصص له دارا وحاشية وراتبا شهريا قدره مائتا دينار، ومنحة سنوية قدرها ثلاثة آلاف دينار، بالإضافة إلى منح الأعياد والمناسبات والمخصصات الأخرى له ولعائلته[١].

ومنذ دخول زرياب إلى قرطبة تدخل الموسيقى والغناء فى الأندلس طورا جديدا على يد إمامها ومخترع أو واضع كثير من أصولها، إذ كان مغنيا موهوبا، تمثل كل ما ارتقى إليه الغناء العربى فى بغداد على يد أساتذته الموصليين وغيرهم[٢]. ويسجل ابن خلدون هذه الحقيقة بقوله[٣] «فأورث - يعنى زرياب - بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى زمان الطوائف[٤]، وطما منها بإشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب».

أثر زرياب فى الموسيقى والغناء والأنماط الاجتماعية فى قرطبة:

وقد كتب عدد من الباحثين - اعتمادا على نفح الطيب للمقرى - عن أثر زرياب فى عالم الموسيقى والألحان والغناء، وكذلك أثره فى العادات والأنماط الاجتماعية التى أدخلها قرطبة. ونحن من جانبنا يمكن أن نذكر جهوده فى هذا المجال فى النقاط التالية:

أولا: أثره فى الغناء والموسيقى:

١ - كان للعود أربعة أوتار، وهى تمثل الطبائع البشرية حسب ما يراه فلاسفة الصين القدماء والعرب، فزاد زرياب الوتر الخامس، وجعله من اللون الأحمر، وهو يقوم مقام النفس من الجسد، والدم من القلب[٥].«ويذكر أن إجادة العرب لبحوث التموجات الكروية للصوت هى التى أوحت لزرياب أن يضيف الوتر الخامس للعود وصبغه باللون الأحمر، وجعله متوسطا فى موضعه بين الأوتار الأربعة»[٦].

٢ - استعمل مضربا للعود من قوادم النسر بدلا من أعواد الخشب، إذ تجمع إلى لطف خفتها ونقائها طول سلامة الوتر بملازمة الضرب عليه[٧].

---

١) المقرى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٤ - ١٢٥، ابن خلدون: المقدمة ج٢ص ٩٨٣.
٢) عبد الرحمن الحجى: تاريخ الموسيقى الأندلسية ص٢٩.
٣) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص ٩٨٣.
٤) أى عصر الطوائف الذى يبدأ من حوالى سنة ٤٠٠هـ، وينتهى سنة ٤٨٤هـ/١٠٠٩ - ١٠٩١ م.
٥) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٦.
٦) محمود الحفنى: زرياب ص ٤٦.
٧) المقرى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧.

٣ - أدخل إلى الأندلس مجموعة من آلات الطرب وطورها، ومنها ما كانت وترية مثل العود والطنبور والقيثارة. ومنها ما كانت تجرى أصواتها بالنفخ أمثال المزمار والناى والشبابة واليراع وغيرها. ومنها ما كانت نحاسية مثل البوق. ومنها ما كانت عن طريق النقر مثل الدف والغربال والنقارة وغيرها[١].

٤ - جعل زرياب للغناء تقاليد تميز بها، فكان المغنون يتقيدون بالمراسيم التى وضعها؛ إذ يبدأ المغنى بالنشيد بأى نقر كان، ويخرج منه إلى البسيط، ويختم بالمحركات والأهازيج، وهذا ما يسمى بالنوبة الغنائية، وهى تعتمد على التنويع فى الألحان[٢].

مدرسة زرياب الموسيقية:

وقد أسس زرياب ما يمكن أن يطلق عليه " المعهد الموسيقى " أو مدرسة للموسيقى والغناء، وكان يجعل لكل طالب يلتحق بمدرسته طريقة خاصة لامتحان القبول تتعلق بدرجات الصوت وصفائه وغنته وقوته؛ يقول المقرى فى نفح الطيب مبينا الطريقة التى كان يتبعها زرياب فى التدريب والتعليم واختبار القبول: «كان إذا تناول الإلقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة (متكأ كالمنبر)، وأن يشد صوته جدا إذا كان قوى الصوت، فإن كان لينه أمره أن يشد على بطنه عمامة، فإن ذلك مما يقوى الصوت، ولايجد متسعا فى الجوف عند الخروج، فإن كان ألص الأضراس (أى متقارب الأضراس) لايقدر على أن يفتح فاه، أو كانت عادته زم أسنانه عند النطق (أى شدها) راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه. وكان إذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره أن يصيح بأقوى صوته (يا حجام)، أو يصيح: (آه)، ويمد بها صوته، فإن سمع بهما صوتا صافيا نديا قويا مؤديا لايعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب، وأشار بتعليمه، وإن وجده خلاف ذلك أبعده»[٣].

ومن ثم لم يكن يقبل فى معهده إلا من كان ذات صوت مطبوع[٤].

وأول التلاميذ الذين تعلموا فى ذلك المعهد الموسيقى: أولاد زرياب، وكانوا ثمانية،

---

١) د. محسن جمال الدين: أثر زرياب وأسرته البغدادية فى الأندلس - مقال منشور فى مجلة التراث الشعبى. تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، العدد الأصلى الثانى ربيع ١٩٨٧ - ص ١١٢.

٢) المقرى نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٨، د. عبد الرحمن الحجى: تاريخ الموسيقى الأندلسية ص ٣٣، د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى - عصر سيادة قرطبة ص ٥٦.

٣) المقرى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٨ - ١٢٩

٤) د. عبد الرحمن الحجى: تاريخ الموسيقى الأندلسية ص ٣٠.

«وكلهم غنى ومارس الصناعة » كما يقول المقرى. وكان ابنه عبد الله أعذبهم صوتا، يليه عبد الرحمن، أما قاسم فأحذقهم غناء. كما كانت ابنته حمدونة محسنة فى هذه الصناعة متفوقة على أختها علية[١]. وتتلمذ عليه أيضا جارية تسمى "مصابيح" وصفت بأنها كانت غاية فى الإحسان والنبل وطيب الصوت[٢]. وكان لزرياب جارية اسمها "متعة" أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وأهداها إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م»[٣].

وفى هذا الصدد يسجل " فارمر " فى كتابه " تاريخ الموسيقى العربية " ملحوظة مهمة، وهى أننا لم نحصل على شئ من الأخبار يتعلق بمدرسة إبراهيم الموصلى وابنه إسحق فى بغداد بخصوص المناهج التعليمية، بينما نحصل فى قرطبة على بعض التفاصيل عن مدرسة زرياب الموسيقية، ولم يكن لدى أساتذة الموسيقى فى قرطبة قبل مجئ زرياب مناهج لتعليم تلاميذهم الغناء غير مجرد المثال العملى، فغير زرياب كل هذا، وقسم منهج تلاميذه إلى ثلاثة أقسام: يتعلمون الإيقاع والوزن وألفاظ أجدى الأغانى بمرافقة آلة موسيقية، ثم يتقنون اللحن فى حالته البسيطة، وأخيرا يعرفون الزائدة». ثم استشهد فارمر على ذلك بما نقلناه عن المقرى بخصوص طريقة التعليم والاختبار[٤].

هذا، وقد كان زرياب يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغانى بألحانها، ومن المؤكد أن الكتاب الذى ألفه " أسلم بن أحمد بن سعيد بن (القاضى) أسلم ابن عبد العزيز بن هاشم فى (أغانى زرياب) قد تضمن كثيرا من هذه الألحان والأغانى، ولو وصلنا هذا الكتاب أو بعض محتوياته لزادنا ذلك معلومات نافعة تكشف لنا عن جوانب من هذه الشخصية العالمية العراقية البغدادية.

ثانيا أثر زرياب فى الحياة العلمية والأنماط الاجتماعية:

كان لزرياب آثار أخرى فى غير مجال الموسيقى، منها ما تتعلق بالناحية العلمية، ومنها ما يتعلق بالحياة الاجتماعية.

أما ما يتعلق بالنواحى العلمية فقد كان طويل الباع فى علوم التاريخ والجغرافيا والطب والفلسفة، يقول المقرى: «كان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها

---

١) المقرى: المصدر نفسه ج٣ ص١٢٩، ١٣١، د. الحجى: المرجع السابق ص ٣٠، د. محمود أحمد الحفنى: زرياب ص١٣٢.

٢) المقرى: المصدر نفسه ج٣ ص١٣١، الحميدى: جذوة المقتبس ج١ ص١١٦.

٣) المقرى: المصدر نفسه ج ٣ ص ١٣١.

٤) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١٣١ - ١٣٢.

وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها، مع ما سنح لها من فك كتاب الموسيقى» أى كتاب الموسيقى لبطليموس[١]. كما كان يجالس الأمير عبد الرحمن ويذاكره فى أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء حتى حاز إعجاب الأمير وأشركه فى مائدته[٢].

وأما ما يتعلق بالأنماط الاجتماعية فقد كان له نصيب وافر من ضروب الظرف وفنون الأدب ولطف المعاشرة، وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوبا إليه معلوما به»[٣] وقد سماه الأندلسيون " معلم الناس المروءة "[٤] لما علمهم من اللطف والرقة وإرهاف الذوق.

لقد كان زرياب شخصا حضاريا، وجاء إلى قرطبة لايحمل إليها تلاحين الغناء من بغداد فحسب، بل أيضا يحمل إليها حضارتها المادية، وسرعان ما أخذ يفرض هذه الحضارة على المجتمع القرطبى فى المسكن والملبس والمأكل[٥]. ويمكن بيان أثره الاجتماعى فيما يلى:

١ - علم زرياب القرطبيين أن لكل فصل ملابسه الخاصة به، لونا وقماشا وصناعة، فعلمهم أن فصل الشتاء فصل الثياب الصوفية والفراء الغامقة، وأن الصيف والربيع جميعا موسم الثياب الحريرية والقطنية والكتانية من اللون الأبيض، ولا بأس من ارتداء الملابس المبطنة الملونة فى الخريف[٦].

٢ - أبدل طريقة قص الشعر القديمة فى قرطبة بطريقة جديدة، فقد كانوا يرسلونه إلى الجبين، فجعلهم يرسلونه إلى ما وراء آذانهم مع تقصيره، وفرقهم له فرقتين بحيث لاتتهدل خصلاته فوق جباههم[٧].

٣ - استعمل طيبا جديدا لإزالة رائحة العرق من الجسم اسمه " المرتك " بدلا من ذرور الورد وزهر الريحان الذى يترك أثرا فى الملابس[٨].

---

١) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٧.
٢) المقرى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٥.
٣) المقرى: المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٧.
٤) المقرى: نفس المصدر ج ٣ ص ١٣٠.
٥) د. شوقى ضيف: استكمال عبد الرحمن الأوسط لأسس الحضارة الأندلسية - بحث منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية - الجزء ٦٥/ ربيع الثانى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ٨١.
٦) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٨.
٧) نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٧.
٨) النفح ج ٣ ص ١٢٧.

٤ – حبب إليهم استعمال الفراش المصنوعة من الجلد اللين الناعم بدلا من الفراش المصنوعة ملاحفه من الكتان[١].

٥– وأن تكون مفارش المائدة من الجلد «إذ الوضر يزول عن الأدم بأقل مسحة »[٢].

٦ – ومما أخذه عنه القرطبيون تفضيله للشرب والأكل فى آنية الزجاج الرفيع بدلا من غيرها من الأوانى[٣].

٧ – وحبب إليهم أيضا أطعمة بغداد وعلمهم الطهى البغدادى[٤].

وكل هذه الجوانب من حضارة بغداد والمشرق المادية رسخت فى قرطبة وحاكتها فيها المدن والبلدان هناك، بحيث أصبحت سننا أندلسية عامة.

ولاريب فى أن عبد الرحمن الأوسط كان له الفضل الأول فى رسوخها، بتشجيعه لزرياب على أن يبلغ بها الغاية، ودفع الناس من حوله من حاشيته وغيرهم ليصدعوا لكل ما نصحهم به فى رياشهم وملابسهم وهيئاتهم ومطاعمهم ومشاربهم، وبذلك تغير المجتمع القرطبى تغيرا حضاريا مشرقيا واسعا[٥].

وخلاصة القول أن وصول زرياب إلى قرطبة كان بداية عهد جديد من التطور الاجتماعى، وخطوة حقيقية فى سبيل التقدم والازدهار، لافى مجال الطرب والغناء والموسيقى فحسب، بل فى مجالات النمو الاجتماعى والحس الذوقى والسمو بالآداب ومختلف مظاهر السلوك، حيث جلب زرياب إلى الأندلس آخر ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تطور فى المشرق، وقد عمل على النهوض بالمجتمع القرطبى (والأندلسى بوجه عام) لكى يصل به إلى مستوى المجتمع العباسى فى بغداد، مستفيدا من الحماية والتشجيع اللذين وفرهما له أمير الأندلس، حيث يذكر المقرى فى " نفح الطيب " أنه – أى الأمير – جعل بين داره ودار زرياب

---

١) النفح ج ٣ ص ١٢٨.

٢) النفح ج ٣ ص١٢٨.

٣) النفح ج ٣ ص١٢٨.

٤) يقول المقرى: " ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالتفايا، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة، محلى بالسبوسق والكباب، ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة إلى زرياب" (نفح الطيب ج٣ ص١٢٧–١٢٨).

٥) د. شوقى ضيف: استكمال عبد الرحمن الأوسط لأسس الحضارة الأندلسية (بحث منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية ج ٦٥/ص٨٢/١٤٠٩هـ–١٩٨٩م)

بابا خاصا يستدعيه منه كلما أحب سماع غنائه الرائع وصوته العذب[١].

وقد طغى زرياب على جميع الموسيقيين الذين كانوا فى الأندلس قبله، وكان قد وفد إليها قبله " علون " و " زرقون " أيام الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) وصارا من أبرز الموسيقيين، لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه[٢].

مؤثرات مشرقية أخرى فى مجال الموسيقى والغناء بالأندلس:

لقد كاد اعتماد الأندلس يكون كليا فى الموسيقى والغناء على التلاحين المشرقية، حيث كان أمراء الأندلس وأثرياؤها يؤمنون بتفوق الجوارى المشرقيات فى هذه الناحية ويبذلون فى استقدامهن الأموال الكثيرة؛ فالأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م) كانت له جارية تسمى " العجفاء "، كانت قبل مجيئها إلى قرطبة تغنى بالمدينة عند أحد موالى بنى زهرة[٣]. كما اشترى عبد الرحمن نفسه جاريتين مدنيتين أيضا هما " فضل " و " علم "، وكانت " فضل " فى أول أمرها لإحدى بنات هارون الرشيد، وقد نشأت وتعلمت فى بغداد، ثم ذهبت إلى المدينة، ومنها ارتحلت مع رفيقتها " علم " إلى قرطبة، وكانت حاذقة بالغناء[٤]. وتضاف إليهن جارية يقال لها " قلم " وهى ثالثة " فضل " و " علم " حظوة عند الأمير المذكور، وكانت أندلسيةالأصل رومية، وحملت صبية إلى المشرق، فوقعت بالمدينة النبوية وتعلمت هنالك الغناء فحذقته، وكانت أديبة راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب[٥].

ويروى الحميدى فى "جذوة المقتبس" أن أحد الأشراف فى قرطبة ابتيعت له جارية من بغداد كانت رائعة فائقة الغناء، فكانت تغنى له مع جلسائه[٦].

وفى دراسة قام بها الدكتور إحسان عباس عن أخبار الغناء والمغنين بالأندلس وجد أن بعض الأصوات التى كانت تغنى بالأندلس قد غنيت بالمشرق، غناها معبد أو مالك أو ابن سريح، وأن جهد المغنين والجوارى بالأندلس لم يتعد التقليد للصوت الأصلى، أو التحوير الجزئى فى بعض نغماته. وقد عد الباحث المذكور ما غناه جوارى الحكم بن هشام (١٨٠-

---

١) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٥. وراجع جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ٢٦٧.
٢) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٣٠، د. عبد الرحمن الحجى: تاريخ الموسيقى الأندلسية ص ٣٩.
٣) المقرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٤١.
٤) المقرى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٠.
٥) المقرى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٠، ابن حيان: المقتبس ص ١٨٥ - تحقيق محمود على مكى.
٦) الحميدى: جذوة المقتبس ج ١ ص ١٢١.

٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) والمغيرة ابنه فوجده يتضمن أربعة أصوات لابن الرومى، وصوتين لكل من جرير والقطامى وذى الرمة وعمر بن أبى ربيعة وأبى تمام، وصوتا فى شعر كل من عروة بن حزام ونصيب والبحترى والفرزدق ومسلم وابن الدمنة والحطيئة والمسيب والصمة القشيرى وأبى دهبل الجمحى. وكان الإقبال على تلحين الأشعار القديمة - أشعار العرب الأوائل - أكثر من الإقبال على تلحين الأشعار المحدثة[١].

ومن ناحية أخرى وجد فى قرطبة من كبار الشعراء من تأثر بالنماذج الغنائية فى بغداد، ولدينا مثالان على ذلك:

الأول: عقيل بن نصر أحد الشعراء الأدباء فى قرطبة، كانت له أغان يجرى فيها مجرى إبراهيم (أو ابنه إسحق) الموصلى البغدادى[٢].

الثانى: عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفى، من مشاهير الشعراء فى قرطبة، رحل إلى بغداد، ولقى فيها مخارقا المغنى وتأثر به[٣]. وهذا الشاعر له شعر غناه " يحيى " أحد أولاد زرياب[٤].

تعقيب: وفى نهاية هذا المبحث نقول: إن وجود زرياب ومدرسته الموسيقية كان يمثل المدرسة البغدادية (والمدرسة المشرقية بعامة) فى الغناء والألحان، ومن خلال هذه المدرسة فرضت الموسيقى العربية المشرقية نفسها شيئا فشيئا فى قرطبة تثبت أنماطها ومقاماتها وإيقاعاتها الغنية، واستمرت الصلة وثيقة بين المدرسة الموسيقية فى قرطبة والمدرسة المشرقية، وكان من ثمرات هذه الصلة أن نبغ من أهل الأندلس موسيقيون صنعوا ألحانا مبتكرة على الطريقة المشرقية. ويمكن القول: إن اعتماد قرطبة فى مجال الموسيقى والغناء على بغداد والمشرق الإسلامى كان قويا واستمر فترة طويلة امتدت إلى ما بعد عصر الطوائف.

---

١) د. إحسان عباس: أخبار الغناء والمغنين - مجلة الأبحاث - السنة ١٦، الجزء الأول.

٢) الحميدى: جذوة المقتبس ج ٢ ص ٥١٣.

٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢، ومخارق المذكور هو: مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار، مولى الرشيد، كان فى البدء مولى لإحدى المغنيات المحسنات، نشأ بالمدينة، وقيل: بالكوفة، ثم اشتراه إبراهيم الموصلى الموسيقى المغنى البغدادى، وأهداه للفضل بن يحيى البرمكى، فأخذه الرشيد منه وأعتقه.وكان مغنيا محسنا (راجع عنه كتاب " الأغانى " لأبى الفرج الأصبهانى ج ٢١ ص ١٤٣ - ١٤٨).

٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق محمود على السبكى) ص ١٨٦.

خاتمة الباب

(النتائج المستخلصة)

أولا: هكذا ظهر لنا من خلال عرضنا السابق أن المشرق الإسلامى - وبغداد فى القلب منه - كان كعبة القاصدين من الدارسين الأندلسيين ومأوى أفئدتهم، وفى مدارس العراق ومصر والحجاز تعلم الأندلسيون كل أنواع العلوم المتاحة فى ذلك الحين، وتخرجوا على أيدى كبار العلماء هناك.

وهذا الأمر - أعنى اعتماد الأندلس على المشرق فى بناء الفكر والحضارة الأندلسية- أمر يتمشى مع طبيعة الأشياء؛ أى لم يكن أمام الأندلسيين بحكم الوضع الطبيعى للفتح والاستيطان إلا أن يعتمدوا على الثقافة المشرقية اعتمادا كبيرا، وخصوصا فى فترة التكوين الحضارى، «وقبل أن ينبغ الأندلسيون أنفسهم، وقبل أن ينشؤوا مدارس ومراكز علمية زاهرة فى قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية، وقبل أن يؤسسوا جامعات يحج إليها طلاب العلم من كل أرجاء أوربا فيما تلا القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كان لابد أن يعجم عودهم، ويتربى منهم أساتذة على أيدى الأعلام المشارقة، ويقضوا فى المشرق سنوات وسنوات يسمعون ويحفظون ويجازون، ثم يعودون إلى بلادهم فيحولونها إلى خلايا علمية تعطى أكلها لأهلها والقاصدين إليها»[1].

* * * *

ثانيا: وكانت أهم وسيلة لنقل الفكر والحضارة المشرقية إلى الأندلس هى الرحلة ولقاء العلماء المشارقة. ولقد كان الحج - وهو فرض دينى - عاملا أساسيا فى تشجيع الرحلات من الأندلس إلى المشرق، ولكن لم يقتصر الأمر فقط على الرغبة فى الوفاء بالواجبات الدينية، إذ أنه فى مرحلة لاحقة أصبحت الرحلة بغرض العلم هدفا فى حد ذاتها. وبتعبير آخر: لما أصبح الأندلسى العائد إلى وطنه يشرف فى نظر قومه لأنه غدا يروى عن شيوخ بغداد ومصر وغيرهما من بلدان المشرق لم تعد الرحلة أمرا منوطا بنية الحج فقط، بل أصبحت هى نفسها ضرورة لازمة بغرض هـــضم التعليم المشرقى، وما إن حل القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون إليه كأنه فريضة ثقافية يؤدونها.

---

١) د. عبد الله جمال الدين: التاريخ الأندلسى: تدوينه ومروياته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ص ٨٠-٨١ مع تصوف يسير.

وفى حديثنا عن الرحلة يمكن الوقوف هنا لنسجل بعض الملاحظات المهمة التى تبين أهميتها فى تكوين وتطوير الحياة العلمية فى الأندلس:

(١) كان الطلاب الأندلسيون يرحلون إلى المشرق بأعداد كبيرة، وعلى مدى أجيال متعاقبة، **ولم تنقطع الرحلة فى أى وقت من الأوقات**، وليس بالإمكان حصر عدد الراحلين، ولكن يمكن القول: إن الرحلة من الأندلس إلى المشرق سعيا لتحصيل العلوم والمعارف كانت من الكثرة بحيث أصبحت تمثل ظاهرة من ظواهر الحياة العلمية فى الأندلس وحاضرتها قرطبة. وهذه الحقيقة يسجلها المقرى فى "نفح الطيب" بقوله: «اعلم أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا حال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام»[١].

والقارئ لكتب التراجم الأندلسية - ككتاب "تاريخ العلماء والرواة بالأندلس" لابن الفرضى، أو كتاب "الصلة" لابن بشكوال، أو كتاب "جذوة المقتبس" للحميدى وغير ذلك - لا يكاد يقلب صفحة من صفحاتها إلا ويجد عالما أو أكثر ذكرت له رحلة إلى المشرق لطلب العلم، ويستشف المرء من هذه التراجم التى يذكرها المقرى وغيره مدى الأثر الذى تركه المشرق فى الأندلس، ويتبين مدى الصلة التى كانت تربط بينهما، وإن كانا فى السياسة والإدارة فى بعد واختلاف.

(٢) لم تنقطع صلة الأندلسيين بحواضر المشرق الإسلامى - بغداد ودمشق والمدينة النبوية والقاهرة - لم تنقطع فى أى فترة من فترات التاريخ الأندلسى، فقد كانت الصلات العلمية والفكرية مستمرة بين الأندلس وهذه الحواضر. غير أننا لاحظنا أن إقبال الأندلسيين على المشرق فى القرون الثلاثة: الثالث والرابع والخامس للهجرة كان أكثر شمولا واتساعا من أى فترة أخرى تالية. ولعل ذلك يفسر لنا أن معظم ما وصل إلى الأندلس من كتب المشارقة إنما وصل إليها فى هذه القرون الثلاثة المذكورة.

(٣) كانت الرحلة إلى المشرق تطول أو تقصر حسب الفترة التى يراها الطالب كافية لتحصيله أو تسعفه عليها ظروفه وأوضاعه المادية، ولكن غالبا ما كانت تطول الرحلة حتى تصل أحيانا إلى عشر سنين وخمس عشرة سنة، وأكثر من ذلك؛ فالحجارى مثلا - محمد بن إبراهيم بن حيون (المتوفى ٣٠٥هـ/٩١٧م) - قضى فى رحلته خمس عشرة سنة، ودخل

---

١) المقرى: نفح الطيب ج٢ ص ٥ من الباب الخامس.

خلالها بغداد[١]. وتردد خلف بن قاسم القرطبى المعروف بابن الدباغ (المتوفى٣٩٣هـ/١٠٠١م) فى بلاد المشرق خمس عشرة سنة أيضا[٢]. بينما أقام الخشنى (محمد بن عبد السلام المتوفى ٢٨٦ هـ/٨٩٩م) فى رحلته خمسا وعشرين سنة قضاها فى بغداد والبصرة ومكة ومصر[٣]. كما قضى الاخوان الطبيبان القرطبيان أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحرانى فى رحلتيهما إلى بغداد لتعلم أصول الطب قضيا عشرة أعوام[٤].

وما من شك فى أن البقاء فى المشرق مدة طويلة يعطى فرصة واسعة للأندلسيين للإكثار من الأساتذة والشيوخ، والاطلاع على ما يجد من مؤلفات، والتعرف على ما يظهر هناك من نظريات علمية واتجاهات فكرية، والاستفادة من ذلك كله فى دعم الفكر الأندلسى وتطويره بحيث يكون مواكبا للحركة العلمية فى المشرق، وعلى صلة دائمة بها.

(٤) ومن الطبيعى أن تكون الرغبات العلمية لدى هؤلاء الراحلين الأندلسيين متنوعة متباينة، فمنهم من يؤثر رواية الحديث، أو يطلب الفقه، ومنهم من يحصل اللغة والأدب، وكثير منهم من يجمع عددا من هذه الفروع العلمية، ورأينا منهم من يرحل إلى بغداد لتعلم الطب والصيدلة والفلك. ويعنى هذا أن الأندلسيين كانوا حريصين على تعلم ونقل جميع العلوم والمعارف التى برع فيها المشارقة.

(٥) وظاهرة أخرى تلفت نظر الباحث يتكرر ذكرها كثيرا فى كتب التراجم الأندلسية؛ وهى أن العالم الأندلسى الذى حظى بالرحلة إلى المشرق لا يكاد يصل إلى موطنه حتى يتلقاه العلماء وطلاب العلم على السواء، فيقبلون عليه، ويسمعون منه ويروون عنه ما حمله من علوم المشرق، وكأنهم على موعد معه، بل ويرحلون إليه من المدن الأندلسية المختلفة وكلهم شغف وحرص على معرفة الجديد، وكان لهذه الظاهرة أثر بعيد فى نشر الثقافة المشرقية فى مدن الأندلس عامة، وفى مدينة قرطبة بوجه خاص. كما كان لها أثر فى تنشيط وتوسيع نطاق الرحلة إلى المراكز العلمية بالمشرق؛ إذ إن العائدين من رحلاتهم سرعان ما يتبوءون مكان الصدارة فى العلم والتعليم ويحظون برعاية الأمراء، وكان ذلك من الأسباب التى أدت إلى اهتمام الكثيرين من الطلبة بالرحلة إلى المشرق، ومن ثم تتسع دائرة الاعتماد على المشرق فى بناء الفكر والحضارة الأندلسية.

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٢٨، الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ٥٥.

٢) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ص ١٦٣.

٣) الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ١٠٣.

٤) ابن جلجل: طبقات الأطباء ص ١١٣، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٨٧.

(٦) وهؤلاء الراحلون من الأندلسيين هم الذين غذوا الأندلس لا بما جلبوه من علم مروى فحسب، وإنما بالكتب الكثيرة التى هاجرت معهم. وستظل هجرة الكتاب المشرقى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وما تلاهما من قرون ظاهرة هامة فى تحديد التيار العام الذى تسير فيه الحياة العلمية فى الأندلس؛ فهى التى تقرر نوع الكتب المتداولة لدى المدرسين الطلاب، وهى التى توجه أيضا حركة التأليف الأندلسى. وكثيرا ما نجد فى المصادر الأندلسية عبارات كثيرة من مثل: «وبالغ فى الجمع والرواية»[١]، و«احتفل فى الجمع والرواية»[٢]، و«كتب المصنفات الكبار والمنثور الكثير»[٣] و«جمع كتبا عظيمة»[٤] و«أدخل الأندلس علما كثيرا»[٥]، و«انصرف إلى الأندلس بعلم عظيم»[٦]، وغير ذلك من العبارات التى تؤكد حرص الطلاب الراحلين على تحصيل العلوم بدأب شديد وجمع المؤلفات المشرقية ونسخها والمبالغة فى ذلك[٧].

ومن الجدير بالذكر أن أهم الكتب التى أحدثت ثورات فكرية فى مختلف العلوم فى الأندلس كانت تدخل مع الطلاب العائدين من المشرق كما حدث مع بقى بن مخلد القرطبى وغيره.

(٧) كانت رحلات الأندلسيين تتجه دائما إلى عواصم الأمصار الإسلامية المشهورة، مثل القيروان فى إفريقية والفسطاط والإسكندرية فى مصر، وبغداد والكوفة والبصرة فى العراق، ومكة والمدينة فى الحجاز، ودمشق وحلب فى الشام. ولا يعنى ذلك اقتصار هذه الرحلات على هذه الأماكن، وإنما تجاوزتها إلى المناطق النائية من الشرق الإسلامى كبلاد خراسان وفارس، غير أن العراق ومصر والحجاز كانت هى أهم الأقاليم التى توجه إليها الأندلسيون بالرحلة، وكان ذلك واضحا خلال عرضنا السابق.

أما بغداد فلأنها كانت آنذاك - ومنذ أواخر القرن الثانى الهجرى - من أكبر المراكز الحضارية فى العالم كله، وما من أندلسى كان يرحل إلى المشرق إلا ولابد له من دخولها فى الأعم الأغلب. وقد أدرك الأندلسيون المكانة العلمية والحضارية التى تتمتع بها هذه المدينة، وفى

---

١) الضبى: بغية الملتمس ج ١ ص ٢٤٥.
٢) الضبى: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢٩.
٣) الضبى: المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٥.
٤) المقرى: نفح الطيب ج٢ ص ١٥١.
٥) المقرى: نفح الطيب ج٢ ص ٢٣٦.
٦) ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٨، ص ١٣٦.
٧) جاء فى ترجمة سلمة بن سعيد بن سلمة الأنصارى القرطبى (المتوفى ٤٤٢هـ/١٠٥٠م) أنه رحل إلى المشرق وأقام هناك ثلاثا وعشرين سنة، وجمع من الآفاق كتب العلم، «فكلما اجتمع له من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر، ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس، وكانت فى كل فن من فنون العلم، و لم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق» (الصلة لابن بشكوال ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

ذلك يقول ابن حزم القرطبى «وهذه بغداد حاضرة الدنيا، ومعدن كل فضيلة، والمحلة التى سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف والتدقيق فى تصريف العلوم ورِقّة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدَّة الأفكار ونفاذ الخواطر»[١]. ولما كان لبغداد هذه المكانة الكبيرة فى قلوب الأندلسيين فقد حرصوا على مواكبة كل ما يصدر فيها من مؤلفات فى شتى العلوم، والعمل على جلبها إلى قرطبة/الأندلس. وتلك حقيقة سجلها ابن حزم القرطبى أيضاً فى رسالته عن فضل الأندلس إذْ يقول: «ولقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه عُلم، على أنهم العلية الرؤساء والأكابر العلماء، ولو كان فى شئ من ذلك تأليف لكان الحكم فى الغالب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم»[٢].

وأما مصر فلأنها تُعدُّ معبراً هاماً من معابر الفكر المشرقى إلى الأندلس، حيث كان العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة (وبمثل البغاددة كثرةً فيهم) يفدون إليها لطلب العلم والاستزادة من المعرفة أو للإقامة بها، فيلتقى بهم نزلاء مصر من الأندلسيين فيسمعون منهم ويروون عنهم، وكثيراً ما كانت كتب البغداديين فى جميع العلوم النظرية والعملية تنتقل إلى مصر فيدرسها طلاب العلم الأندلسيون ويعودون بها إلى موطنهم، وهذه الظاهرة نلمسها بوضوح فى كتب التراجم الأندلسية، الأمر الذى حدا بأحد الباحثين إلى القول: «إن المتتبع للثقافة الأندلسية منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر الخلافة الأموية (وما تلا ذلك من فترات) يلاحظ أن كل ثقافة مشرقية جازت إلى الأندلس إنما مرت عبر مصر وتناولتها اليد المصرية بالتشكيل والتهذيب حتى انتهت إلى الأندلس، ومعنى ذلك أن مصر كانت أشبه بمصفاة كبيرة تمر خلالها ألوان الفكر المشرقية إلى الغرب الإسلامى كله»[٣]. ولعل من العوامل التى جعلت من مصر تتبوأ هذه المكانة لدى الأندلسيين أنها كانت منطلق الثقافة الإسلامية (ديناً وفقهاً ولغةً وفكراً وأدباً) إلى المغرب والأندلس، وأنها كانت مركزاً للعلاقات السياسية والعسكرية التى تربط بين مراكز الدولة الإسلامية فى المدينة النبوية أو دمشق أو بغداد وبين بلاد المغرب والأندلس، وكل ذلك نابع من الأهمية التى يتمتع بها هذا الإقليم بموقعه الجغرافى المتميز الممتد على أراضى قارتين كبيرتين هما آسيا وإفريقيا[٤].

وأما الحجاز فقد كان الدافع الذى حمل الأندلسيين على الرحلة إليه هو أداء فريضة الحج

---

١) المقّرى: نفح الطيب ج ٣ ص ١٦٥.

٢) نفح الطيب ٣/١٦٥.

٣) د. محمود مكى: مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى - مقال منشور بالإسبانية فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م - والنص المذكور من ملخص باللغة العربية بنفس المجلد المذكور - ص ٣٢٦.

٤) د..شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ٢/١٨٢ - ١٨٣.

ومناسكه وزيارة الأماكن المقدسة، بالإضافة إلى الدافع العلمى الذى كان واضح الأثر فى حملهم على شد الرحال إلى الحرمين للاتصال بكبار العلماء اللذين يستقطبهم هذان المكانان المقدسان من شتى بقاع العالم الإسلامى ولأخذ أنواع العلوم عنهم، وقد لمسنا خلال عرضنا السابق أنه كثيرا ما نقل الأندلسيون كتب العراقيين عن طريق مكة والمدينة.

هذه هى أهم الأقاليم التى وجه إليها الأندلسيون اهتمامهم. ولقد كان واضحا فى سياق عرضنا لقضية انتقال الفكر المشرقى إلى قرطبة أننا لم نركز على إقليم العراق وحده (و بغداد فى القلب منه)، وإنما اتسع نطاق البحث فى هذا الموضوع ليشمل أقاليم أخرى كان لها دور فى إمداد قرطبة بالفكر والثقافة، أهمها مصر والحجاز، غير أن دور العراق كان واضحا وجليا، وكان من الملاحظ أن الأندلسيين اعتمدوا كلية على مدينة بغداد فى مجال العلوم التجريبية كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات والموسيقى، وأما العلوم النظرية كالتفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ.. . الخ فقد شاركت فيها بغداد بنصيب كبير، وتصل هذه المشاركة إلى درجة الريادة فى بعض هذه العلوم كالتفسير والحديث واللغة والتاريخ.

وكان الهدف من عرضنا لدور كل من مصر والحجاز فى مجال العلوم النظرية – إلى جانب بغداد – هو أن نبرز الدور الحقيقى الذى قامت به بغداد دون مزايدة أو غلو، وهو دور جد كبير.

(٨) وفى مقابل رحلة الأندلسيين إلى المشرق رحل عدد من العلماء المشارقة إلى الأندلس، لا سيما من بغداد ومصر. وفى سياق عرضنا السابق مرت بنا أمثلة عديدة لهذه الظاهرة. وقد اتسع رحيل العلماء المشارقة إلى الأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) وولده الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) لما عرف عنهما من رعاية العلم والعلماء، وقد كان لهذين الخليفتين جهود بارزة فى استجلابهم، وإكرام مثواهم، ورفع منازلهم. ومن الصعب تحديد عدد العلماء الوافدين، ولكن من الواضح أن أكثرهم كانوا من عينات جيدة، وقد أمكن لهم أن يملأوا جوانب الأندلس عامة علما وتعليما، وأن يثبتوا المثل المشرقية فى الفكر والأدب وكثير من نواحى الحضارة، وأن يوجهوا الدراسات وجهة معينة، وقد تلقى على أيديهم مجموعة هائلة من الطلبة الأندلسيين، علاوة على المؤلفات العديدة والنفيسة التى جلبوها معهم إلى قرطبة. وكان من أبرز المشارقة الذين أدوا دورا بارزا على الأرض الأندلسية: أبو على القالى وصاعد البغدادى وزرياب وغيرهم.

***

ثالثا: إن دخول المؤلفات المشرقية إلى الأندلس لم يكن مقصورا على الأندلسيين من الطلبة الراحلين وحدهم، ولا على العلماء المشارقة الوافدين فقط، وإنما عمل أمراء الأندلس أيضا بدأب من أجل الحصول على هذه المؤلفات من كافة البلاد الإسلامية، وخاصة من بغداد،

«فأرسلوا رسلا أكفاء إلى دار السلام مزودين بمبالغ ضخمة من المال، وأوصوهم أن يسلكوا كل سبيل للحصول على أهم ما تتباهى به بغداد من دور العلم وجواهر المعرفة، فذهب أولئك الرسل واستعملوا الروية والأناة، وبذلوا المال بسخاء فنجحوا فى رسالتهم وقاموا بمهمتهم خير قيام، وعادوا من دار الحكمة وقد نقلوا أكثر ما ترجم من المؤلفات فى بغداد، وسلموها للخلفاء، فحفظوها بين سحورهم ونحورهم، ضنا بها وحرصا عليها، وأمروا بنسخ صور كثيرة منها، فذاعت فى ربوع الأندلس»[١].

ومن أمراء الأندلس الذين كانوا حريصين على استجلاب الكتب المشرقية الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) حيث كان هذا الأمير يطمح لأن تتقن قرطبة العلوم التجريبية كالطب والصيدلة والفلك.. . الخ، وكذلك الفلسفة والمنطق، فرأى أن يرسل عباس بن فرناس الجريرى (أحد قضاته) إلى بغداد لالتماس كتب هذه العلوم، فأتاه بكتاب "السند هند" وغيره، وأغلب الظن أنه أرسله على رأس بعثة كما سبق أن أشرنا[٢].

ومن الجدير بالذكر أن عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم - الذى امتد أكثر من ثلاثين عاما - شهد ما يمكن أن نطلق عليه انقلابا اجتماعيا كبيرا، حيث شهدت قرطبة سيلا من التأثيرات المشرقية عامة، والعراقية خاصة، ساهمت فى تطوير المستوى العلمى والاجتماعى والفنى، ساعد على ذلك كون الأمير عالما متبحرا فى علوم الشريعة والفلسفة، وعلاوة على كونه شاعرا مطبوعا ذا همة عالية، احتضن العلماء، ورفع قدر رجال العلم والأدب والفن ممن ضاق المشرق بمواهبهم، فأحسن استقبالهم، وأكرم وفادتهم.وفى ذلك يقول ابن سعيد نقلا عن الرازى المؤرخ الأندلسى الكبير: «إنه هو الذى أحدث بقرطبة دار السكة وضرب الدراهم باسمه، ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب. وفى أيامه أدخل للأندلس نفيس الجهاز من ضروب الجلائب، لكون ذلك نفق عليه، وأحسن لجالبيه، ووافق انتهاب الذخائر التى كانت فى قصور بغداد عند خلع الأمين، فجلبت إليه. وانتهت جبايته إلى ألف ألف دينار فى السنة... وكان مكرما لأصناف العلماء، محسنا لهم... وكملت لذته بقدوم زرياب غلام إسحق الموصلى»[٣].

وقد كان الحكم المستنصر - سواء فى عصر والده الناصر أو فى مدة حكمه هو (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) - أكثر الحكام الأمويين حرصا على جمع المؤلفات المشرقية فى

---

١) محمد غلاب: الفلسفة الإسلامية فى المغرب ص ١٣، ١٤ - ط القاهرة ١٩٤٨م.

٢) راجع عن ذلك (ص ٦٥٢).

٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ١/٤٦، ٤٧.

مختلف العلوم، باذلا فى سبيلها ما أمكن من الأموال، ولعل أجمل وصف له فى ذلك ما يقوله ابن الأبار من أنه «كان شغوفا بالعلوم، حريصا على اقتناء دواوينها، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان، ويبذل فى أعلاقها ودفاترها أحسن الأثمان، ونفق ذلك لديه، فحملت من كل جهة إليه... حتى غصت بها بيوته، وضاقت عنها خزائنه»[١]. ويقول صاعد الأندلسى: «لما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله - وذلك فى أيام أبيه - إلى العناية بالعلوم وإلى إيثار أهلها، واستجلب من بغداد ومن مصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التآليف الجليلة والمصنفات الغريبة فى العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها فى بقية أيام أبيه، ثم فى مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهى ما جمعته ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة»[٢].

ويشير ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦هـ) إلى العدد الهائل من الكتب المشرقية التى تزخر بها المكتبة الملكية فى زمن الحاكم المستنصر، ويقول: «ملأ الأندلس بجميع كتب العلم، وأخبر "تليد" الفتى - وكان على خزانة العلوم بقصر بنى مروان بالأندلس - أن عدد الفهارس التى كانت فيها **تسمية الكتب** أربع وأربعون فهرسة، فى كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط»[٣]. وهذا عدا ما جلبه كثير من الأندلسيين وأودعوه فى مكتباتهم الخاصة، وما أكثرها فى الأندلس!.

---

١) ابن الأبار: الحلة السيراء ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١.

٢) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٦٥ - ٦٦.

٣) ابن الأبار: الحلة السيراء ٢٣/١. وفى رواية أخرى عن ابن حيان: أن عدد الكتب التى كانت فهارس بأسماء الكتب التى اجتمعت فى خزائن المستنصر أربعة وأربعون. فى كل فهرست منها عشرون ورقة: (المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ١٨٦/١). ومعنى ذلك - كما يقول الدكتور محمد عبد الحميد عيسى - أن هناك (٤٤) مجلد × ٢٠ ورقة = (٨٨٠) ورقة × صفحتين لكل ورقة = (١٧٦٠) صفحة. فإذا افترضنا أن أقصى حمولة لعمود الصفحة الواحدة (٣٠) سطرا، فإن الإجمالى فى هذه الحالة سيكون (٥٢٨٠٠) عنوان. ومن الممكن أن يكون هناك من بعض العناوين عشرات النسخ، أو أن بعض الكتب تتكون من عشرات الأجزاء والمجلدات، ولكن مع ذلك يبدو الفارق واسعا والبون شاسعا، حتى إذا أخذنا بقول ابن حزم بأن كل مجلد من الفهرس يحتوى على خمسين ورقة وقمنا بالعملية الحسابية المذكورة فإن الرقم يصل إلى (١٣٢٠٠) عنوان فقط. وهذا الرقم الأخير قد يقترب من تصديق الرقم الكلى للمكتبة الذى أورده كثير من المؤرخين (وهو أربعمائة ألف مجلد) إذا علمنا أن القرطبيين جميعا كانوا فى هذه الفترة يعشقون الكتب وأنه فى الربض الغربى من قرطبة كان حوالى مائة وسبعون امرأة يكسبن رزقهن من نسخ الكتب (راجع: د. محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس ص ١٣٦-١٣٧).

ويعلق المستشرق الإسبانى الكبير "خوليان ريبيرا" على رواية ابن حزم قائلا: «...ولا مغالاة فى هذا التقدير، خصوصا إذا ما تذكرنا أن الحكم كان يرسل تجارا مزودين بأموال طائلة يجوبون الأقطار الشرقية لشراء الكتب، فضلا عن عملائه الدائمين فى القاهرة وبغداد ودمشق والإسكندرية وغيرها، والذين كانوا يخبرونه بكل ما يظهر فى العالم الإسلامى من مؤلفات جديدة، هذا علاوة على أنه كان على اتصال مباشر بالمؤلفين أنفسهم... وقد شاع بين رعاياه أن خير وسيلة للحصول على عمل أو نيل حظوة هى تقديم كتب لا توجد عنده، وهكذا كانوا يهدون إليه أعمالهم، أو يقدمون إليه نسخا من مؤلفات أخرى نادرة»[١].

وقد كان من مظاهر اهتمام الحكم المستنصر بالكتب المشرقية من أجل الحصول عليها أنه:

(أ) جعل فى بغداد وغيرها من بلاد المشرق مندوبين دائمين له لترقب ما يصدر من مؤلفات، للحصول منها على النفيس النادر، ويذكر لنا التاريخ أن من «وراقيه ببغداد محمد بن طرخان، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة»[٢]. وقال المقرى: «وكان يبعث فى الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه»[٣].

(ب) واستخدم عددا كبيرا من النساخ يتولون نسخ الكتب الوافدة، بل إنه أقام فى قصره من أجل هذه المهمة صناعة متكاملة تضم النساخين والمجلدين والضابطين، وبذل فى هذا السبيل من الجهود والأموال ما لم يسمع به، وفى ذلك يقول المقرى: «إن الحكم المستنصر جمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والإجادة فى التجليد، فأوعى من ذلك كله»[٤].

(ج) كان المستنصر يشجع العلماء من خارج الأندلس ويبعث لهم بالصلات الجزيلة للحصول على النسخ الأولى من مؤلفاتهم، يقول ابن الأبار نقلا عن ابن حيان (المؤرخ الأندلسى الكبير): «كان (الحكم) من أهل العلم والدين، راغبا فى جميع العلوم الشرعية، من

---

١) خوليان ريبيرا: المكتبات وهـــواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية - ترجمة د. جمال محمد محرز - بحث منشور بمجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الرابع، الجزء الأول (مايو ١٩٥٨م/شوال ١٣٧٧هـــ) - ص ٨٨.

٢) ابن الأبار: الحلة السيراء ج ١ ص ٢٠٢.

٣) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٣٨٦.

٤) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٣٨٦، وانظر ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٤٣ ترجمة عباس بن عمرو بن هارون الكنانى الصقلى الوراق المتوفى ٣٧٩هـــ.

الفقه والحديث وفنون العلم، باحثا عن الأنساب.. . مستجلبا للعلماء ورواة الحديث من جميع الآفاق، يشاهد مجالس العلماء ويسمع منهم ويروى عنهم.. . ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه»[١]. ومثال ذلك أنه وجه إلى الحافظ أبى الفرج الأصفهانى البغدادى (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٦م) بألف دينار من الذهب على أن يبعث إليه بنسخة من كتاب "الأغانى" قبل أن يصدره فى بغداد[٢]. وقد أرسل أبو الفرج أيضا (وهو ممن ينتمون إلى المروانية من بنى أمية) للحكم المستنصر كتابا ألفه فى أنساب قومه بنى أمية يشيد فيه بمجدهم وآثارهم، فجدد له الصلة الجزيلة[٣]. وفعل ذلك أيضا مع القاضى أبى بكر الأبهرى المالكى البغدادى (المتوفى ٣٧٥هـ/٩٨٥م) فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم فى الفقه المالكى[٤]، ومع محمد بن القاسم بن شعبان كبير فقهاء المالكية بمصر، ومحمد بن يوسف الوراق التاريخى الأندلسى (الأصل) القيروانى (المتوفى ٣٦٣هـ/٩٧٣م) الذى صنف له كتابا ضخما فى "مسالك إفريقية وممالكها"[٥]. ويذكر ابن الفرضى فى مقدمة كتابه أن الحكم أرسل إلى المؤرخ المصرى أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الشهير بابن يونس (المتوفى٣٣٦ هـ/٩٤٧م) - أرسل إليه رسالة يطلب فيها منه أن يبعث بمؤلفيه فى تراجم علماء مصر والوافدين إليها، فأرسل إليه ابن يونس بنسخة من الكتاب[٦].

* * * *

رابعا: وهناك ظاهرة أخرى جديرة بالتسجيل نلمسها من خلال عرضنا لمباحث هذا الباب، وهى أن علماء قرطبة - دون بقية علماء الأندلس - هم الذين قاموا بالدور الأكبر فى نقل الفكر المشرقى إلى الأندلس؛ وذلك أن قرطبة تعد قاعدة الأندلس وقطرها الأعظم، وأم مدائنها ومساكنها ومستقر الخلفاء، ولأن أكثر الراحلين إلى المشرق لطلب العلم كانوا من أهل قرطبة. أما علماء الأقاليم الأخرى - مثل طليطلة وإشبيلية والمرية ووادى الحجارة وغيرها - فإنهم وإن كانوا قد اهتموا بالرحلة فإن العلوم والمؤلفات التى حصلوها من المشرق كانت تصب فى النهاية فى العاصمة الأندلسية؛ حيث كان الولاة والأمراء يستجلبون البارزين منهم من كافة

١) ابن الأبار: الحلة السيراء ٢٠١/١

٢) ابن الأبار: الحلة السيراء ٢٠١/١، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ١٨٦/١، المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٣٨٦.

٣) ابن الأبار: الحلة السيراء ج ١ ص ٢٠١- ٢٠٢، وانظر تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٨.

٤) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٣٨٦.

٥) نفح الطيب للمقرى ١٦٣/٣، ابن الأبار: الحلة السيراء ٢٠١/١.

٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٩ - ١١.

نواحى الأندلس ويسمحون لهم بالتعليم والتدريس فى مساجد قرطبة، كما يسندون إليهم الوظائف الإدارية، ومن ثم تتاح الفرصة لطلاب العلم فى العاصمة أن يتعرفوا على مزيد من المؤلفات والاتجاهات العلمية الوافدة من المشرق.

ومن ناحية أخرى كان تحصيل العلوم فى قرطبة مطمح الطلبة من كافة نواحى الأندلس، فكانوا يرحلون إليها للدراسة على أيدى علمائها البارزين، وقد أتاح لهم ذلك الوقوف على الجديد من البرامج العلمية والثقافية الوافدة مع العلماء العائدين من المشرق أو العلماء المشارقة الوافدين إلى العاصمة، ثم يقوم هؤلاء الطلبة على نشرها فى بلادهم بعد العودة إليها. ومن هنا تظهر أهمية قرطبة وعظم دورها فى نشر الفكر والحضارة المشرقية فى ربوع الأندلس كلها.

***

خامسا: وأخيرا نقول: إن رحلة الأندلسيين - وأكثرهم من قرطبة - إلى المشرق، ووفود العلماء المشارقة إلى الأندلس، ثم هجرة الكتب المشرقية إليها هى الوسائل الكبرى التى عملت على انتقال الفكر المشرقى إلى قرطبة، ولا سيما من (العراق/بغداد). وكانت محصلة ذلك كله بروز مراكز علمية وحضارية كثيرة - فى قرطبة وطليطلة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة وغيرها - أخرجت علماء أجلاء فى شتى ميادين المعرفة، ذاع صيتهم فى الآفاق، وقدموا للحضارة هناك منجزات هامة أسهمت فى احتلال ذلك القطر مكانة عظيمة كمركز من مراكز الحضارة الإسلامية اعتمد عليه المجتمع الأوربى فى رحلته العلمية نحو النهوض والتقدم.

وسؤالنا الآن: ما هى تلك الإنجازات التى أسهم بها الأندلسيون جنبا إلى جنب مع المشارقة فى بناء صرح الحضارة الإسلامية فى مجال الثقافة والفكر؟. وهل تميزت هذه الإنجازات بقدر من الإبداع والخصوصية الأندلسية؟. وبلفظ آخر: هل استطاع الأندلسيون أن يضيفوا شيئا جديدا إلى الإنتاج العلمى الوافد عليهم من الحواضر المشرقية، أم أنهم ساروا فى ركاب الكتب المشرقية ومناهجها فى التصنيف والتدوين، واكتفوا بتقليدها؟.

هذا ما سنجيب عليه فى الباب التالى.

الباب الثانى
(التراث الأندلسى)

إنجازات الأندلسيين ودورهم فى دعم العلوم العربية والإسلامية الوافدة من (بغداد/المشرق)

* ويتضمن خمسة فصول؛ وخاتمة:

الفصل الأول (تمهيدى): الخصوصية الأندلسية فى الثقافة والفكر.

الفصل الثانى : إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم الدينية.

الفصل الثالث : إنجازات الأندلسيين فى مجال علوم اللغة العربية.

الفصل الرابع : إنجازات الأندلسيين فى مجال الدراسات التاريخية والجغرافية.

الفصل الخامس: إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم العقلية والتجريبية.

خاتمة الباب : (النتائج المستخلصة).

الفصل الأول
(تمهيدى)
الخصوصية الأندلسية في الثقافة والفكر

هل كان للأندلس شخصية متميزة أو (خصوصية) فى الثقافة والفكر؟

الميل إلى الشعور بالاستقلالية والتميز:

فى مطلع هذا الباب يمكن أن نطرح سؤالا مؤداه: هل كان للأندلس شخصية مستقلة أو "خصوصية" متميزة فى العلم والفكر؟. وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

لقد استمر الأندلسيون زمانا على الاكتفاء - فى الجملة - بما يرد إليهم من حواضر المشرق من ثمرة الفكر، وكان ولعهم بكل ما هو مشرقى عجيبا. فعلى الرغم من أن العرب استقروا فى الأندلس ووطنوا أنفسهم على اتخاذها دارا دائمة فإنهم ملتفين بأذهانهم ونفوسهم إلى المشرق يستطلعون أخباره، ويلحقون بركبه أينما اتجه.

وقد ظلت هذه الصلة وذلك الإعجاب إلى آخر عهد المسلمين بالأندلس. لكن هذا كله كان يطوى شعورا غامضا أحيانا، وبارزا أحيانا أخرى بتفوق الأندلسيين، فهم بدأوا أولا بالمجاراة للمشرق، ثم اتجهوا إلى محاولة تحقيق التفوق والتميز ببعض الخصائص، ومرت عليهم فترة - أو فترات - أحسوا فيها بأنهم (أندلسيون) أنجبت بلادهم علماء وأعلاما فى كل فن، فاتجهت إلى ذلك أنظارهم، ووجد منهم من يقدر علماءهم وأدباءهم حق قدرهم، وكانت تلك ظاهرة نمت مع الزمن، وهى ما يمكن أن يطلق عليها "بالأندلسية" أو "الشخصية الأندلسية".

ونسارع هنا إلى القول بأن نزوع الأندلسيين إلى تحقيق هذه الخصوصية. وإن ظهر ما يدل عليها فى القرن الرابع الهجرى - لكنها لم تبدأ فى البروز ووضوح المعالم إلا فى القرن الخامس الهجرى بعد نهاية الخلافة الأموية وأصبح «التعرض لكبار أساتذة المشرق أو من قدموا منه إلى الأندلس، ومحاولة إثبات أن الأندلسيين لا يقلون عنهم باعا سمة من سمات التأليف فى هذا القرن»[1].

ولم يكن العلماء والأدباء وحدهم هم الذين يسعون إلى رسم معالم هذه "الخصوصية" أو

---

١) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١١٧.

"الأندلسية" وإنما كان بعض الأمراء والخلفاء يسيرون فى نفس الاتجاه، ومثال ذلك أن الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) طلب من الأديب أبى محمد عبد الله بن محمد بن مغيث المعروف بابن الصفار (المتوفى ٣٥٢هـ/٩٦٣م) أن يجمع كتابا فى أشعار الخلفاء من بنى أمية فى أشعار خلفاء بنى العباس، فأجابه إلى ذلك[١].

ونستطيع أن نذكر بعض المظاهر والدلائل التى تصب فى محاولة استقلال الشخصية الأندلسية فى مختلف العلوم والآداب.

أولا: لدينا كتب وضعها الأندلسيون معارضة لبعض الكتب المشرقية،

١ - فأبو عمر أحمد بن فرج الجيانى (المتوفى ٣٥٩هـ/٣٦٩م) وضع كتابه "الحدائق" معارضا كتاب "الزهرة" لأبى بكر محمد بن داود بن على الأصبهانى البغدادى الظاهرى (المتوفى ٢٩٧هـ/٩٠٩م»[٢] [أبوه (داود) هو مؤسس المذهب الظاهرى ببغداد]. وتتضح الخصوصية الأندلسية فى كتاب "الحدائق" أن الجيانى لم يورد فيه لغير أندلسى شيئا، كما أن أبا بكر ذكر فى كتابه "الزهرة" مائة باب، فى كل باب مائة بيت من الشعر، بينما أورد الجيانى فى "الحدائق" مائتى باب، فى كل باب مائتى بيت من الشعر الأندلسى، وليس منها باب تكرر اسمه عند أبى بكر[٣].

٢ - ووضع أبو القاسم عامر بن هشام الأموى القرطبى مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد البغدادى (المتوفى ٣٢١هـ/٩٩٣م»[٤].

٣ - وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن فرج بن أبى الخصال الغافقى (شيخ ابن خير المتوفى ٥٧٥هـ/١١٧٩م)، له كتاب "المنهج"، عارض به كتاب "المبهج" لأبى منصور الثعالبى (المتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) صاحب كتاب "يتيمة الدهر"[٥].

٤ - وصنف المظفر بن الأفطس صاحب "بطليوس" - الذى ملك القسم الشمالى من بلاد الأندلس - كتاب "المظفرى" عارض به كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينورى البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م). ويقع فى نحو من عشرة أجزاء ضخام[٦].

٥ - وكان لكتاب "يتيمة الدهر" للثعالبى شهرة عظيمة فى الأندلس، لما فيه من نماذج

---

١) الحميدى: جذوة المقتبس ١/٣٩٣ - ٣٩٤.
٢) الصلة لابن بشكوال ص ٥، نفح الطيب ٣/١٧٣.
٣) راجع معلومات أخرى عن كتاب "الحدائق" للجيانى (ص ٧٨٩).
٤) برنامج شيوخ الرعينى ص ١٩٧.
٥) فهرسة ابن خير ص ٣٨٦.
٦) المراكشى: المعجب ص ٤٩.

مشرقية، وهذا ما دعا ابن بسام الشنترينى (المتوفى ٥٤٢هـ/١١٤٧م) لأن يؤلف كتابه "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" ليضمنه محاسن أدباء الأندلس وعلمائه وعلى الرغم من أنه عارض به كتاب الثعالبى أو حاول أن يحذو حذوه فإن غايته الأولى هى الانتصار للخصوصية الأندلسية فى ميادين الثقافة والفكر والأدب، وجذب الأندلسيين إلى تخليد تراثهم والاعتزاز به[١].

ومثله صنع أمية بن أبى الصلت (المتوفى ٥٤٦هـ/١١٥١م)، وكان معاصرا لابن بسام، ورحل إلى المشرق وألف كتبا، منها كتاب "الحدائق" على أسلوب كتاب اليتيمة[٢].

ثانيا: وعلى جانب آخر لدينا كتب وضعها الأندلسيون فى علوم مختلفة محاولة منهم مضاهاة المشارقة، وليس ذلك فحسب، بل وفضلوها على كتب المشارقة، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

١ - فى تدوين الحديث النبوى: وضع قاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/ ٩٥٢م) كتابا سماه "المجتبى" على نحو كتاب أبى محمد عبد الله بن الجارود النيسابورى (نزيل مكة) (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م) المسمى "المنتقى فى السنن المسندة". وقد فضل ابن حزم الأندلسى كتاب البيانى على كتاب ابن الجارود، وقال: «هو خير منه انتقاء، وأنقى حديثا، وأعلى سنة، وأكثر فائدة»[٣].

وصنف بقى بن مخلد القرطبى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م) مسندا فى الحديث، إلا أنه تميز عن المشارقة فى طريقة تأليفه، حيث مزج فى ترتيب الأحاديث بين أسلوب "المسند" وأسلوب "المصنف". أى أنه رتبه على أسماء الصحابة رضى الله عنهم، ثم رتب حديث كل صحابى على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، ولذلك فهو مصنف ومسند فى آن واحد[٤]. وهذه طريقة لم يسبق إليها أحد من المشارقة، وتضاف إلى رصيد الأندلسيين فى إطار السعى نحو تحقيق الخصوصية الأندلسية والتميز العلمى.

٢ - وفى غريب الحديث: صنف أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطى (المتوفى

---

١) راجع ما كتبناه عن "الذخيرة" بداية من (ص٧٩٠).

٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٢٥٦ (دار المعارف، تحقيق د. شوقى ضيف).

٣) بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٨، فهرسة ابن خير ص ١٢٥، الديباج المذهب لابن فرحون ١٤٦/٢. وراجع (ص ٧٣٢).

٤) جذوة المقتبس ٢٧٤/١، بغية الملتمس ٢٤٥/١، الصلة ص ١١٧، وراجع مزيدا من المعلومات عن مسند بقى بن مخلد (ص ٧٣٠ - ٧٣٢).

٣٠٢هـ/٩١٤م) كتاب "الدلائل"، ضاهى به كتب غريب الحديث التى صنفها أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى / البغدادى (ت ٢٢٣هـ/٨٣٧م) والخطابى (المتوفى ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، بل وفضله علماء الأندلس على كتب المشارقة فى هذا الباب، وقال ابن حزم: «إن أبا عبيدة إن كان له فضل فى تصنيف غريب الحديث فإنه يرجع إلى تقدمه، وإلا فكتاب الدلائل لقاسم بن ثابت يفوقه فى هذا الباب»[١]. وأكثر من ذلك قال ابن الفرضى: «ما وضع بالمشرق مثله»[٢].

٣- وفى الأدب: صنف الأديب القرطبى حسان بن مالك بن أبى عبدة (المتوفى ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) كتابا ضاهى به كتاب "ربيعة وعقيل" الذى ألفه سهل بن أبى غالب - فى بغداد - لهارون الرشيد، وقد أثنى ابن حزم على كتاب ابن أبى عبدة، وعده من مفاخر الأندلسيين، وذكر أن سبب تأليفه إياه أنه دخل على الحاجب المنصور بن أبى عامر حاكم الأندلس فى دولة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) وبين يديه كتاب سهل بن أبى غالب الذى ألفه للرشيد، وهو يعجب به، فخرج من عنده وعمل على تأليف الكتاب، وفرغ منه تأليفا ونسخا فى مدة أسبوع واحد، فسر ابن أبى عامر ووصله عليه[٣].

وقد وضع أدباء الأندلس أكثر من كتاب على نمط كتاب "الحماسة" للشاعر البغدادى أبى تمام (المتوفى ٢٢٨هـ/٨٤٢م)، ومنها كتاب "صفوة الأدب وديوان العرب" لأبى العباس أحمد ابن عبد السلام الجراوى الأندلسى، من شعراء المائة السادسة. وهذا الكتاب قال عنه ابن خلكان: «هو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق»[٤].

وذلك مظهر آخر من مظاهر تحقيق الشخصية الأندلسية ومحاولة الإبداع والتميز والاستقلالية الفكرية.

ثالثا: ولدينا كتب أخرى عدها الأندلسيون من الكتب التى لا مثيل لها فى المشرق فى طريقة تأليفها. وخير مثال على ذلك كتاب "تفسير القرآن" الذى ألفه العالم القرطبى المجدد: بقى ابن مخلد (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م). وهذا التفسير من مفاخر الأندلسيين، وكان له من القيمة العلمية والتميز بحيث جعل ابن حزم يقطع فى الحكم له بقوله «أقطع قطعا لا أستثنى فيه أنه لم

---

١) جذوة المقتبس ٥٢٨/٢.

٢) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٤٠٣/١، نفح الطيب للمقرى ٤٩/٢. وراجع مزيدا من المعلومات عن كتاب "الدلائل" (ص ٧٤٤).

٣) جذوة المقتبس: ٣٠٣/١، معجم الأدباء لياقوت الحموى ٢٢٢/٧.

٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٣٧.

يؤلف فى الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى/البغدادى (ت٣١٠هـ) ولا غيره»[١].

رابعا: وقد جنح بعض الأندلسيين فى سبيل تحقيق الخصوصية الأندلسية ومحاولة إبراز التفوق على المشارقة - إلى ازدراء - أو التقليل من شأن - الإنتاج المشرقى فى جانب منه. وهذه الصورة وإن كانت لا تصل إلى حد الظاهرة، إلا أنها تصب فى هذا السبيل. ومما يروى فى ذلك أن الطبيب الأندلسى أبا العلاء بن زهر (المتوفى ٥٢٥هـ/١١٣٠م) الذى وصل فى الطب إلى غاية بعيدة خلال عصر المرابطين (٤٨٤-٥٢٠هـ) حينما وقع فى يده كتاب "القانون" فى الطب لابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٩م) استصغره، وحط من شأنه، ولم ير فيه ما يستحق الاهتمام، وألف ردا على كتاب آخر لابن سينا فى الأدوية[٢].

والأمر قد يكون هينا إذا كان متعلقا بكتاب طبيب مغمور من أطباء المشرق، لكن حدث ذلك مع كتاب "القانون"، على الرغم من النجاح الذى حظى به هذا الكتاب فى (بغداد/المشرق).

خامسا: ومظهر آخر من المظاهر التى تجلت فيها "الخصوصية الأندلسية" فى ميدان الفكر والعلم وهو عقد المقارنات والمفاضلات بين (أعلام الأندلس وعلمائه وأدبائه) و(أعلام المشرق وعلمائه وأدبائه).

ويبدو هذا الاتجاه واضحا فى قول ابن بسام الشنترينى (المتوفى ٥٤٢هـ/١١٤٧م) فى أثناء كلامه عن اللغوى والجغرافى الكبير أبى عبيد البكرى (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، فقال: «ولولا تأخر ولادته لأنسى ذكر كنيته المتقدم الأوان»[٣]. وكنيته المراد هنا هو أبو عبيد القاسم ابن سلام الجمحى البغدادى (المتوفى ٢٢٣هـ/٨٣٧م) صاحب كتاب "الغريب المصنف" و"الأموال" و"طبقات فحول الشعراء" وغيرها.

وكان الخليفة الأموى الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) يفاخر بأحد أئمة الحديث فى الأندلس ويضعه فى مصاف كبار أهل الجرح والتعديل المشارقة - وهو خالد ابن سعد القرطبى (المتوفى ٣٥٢هـ/٩٦٣م) - ويقول: «إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن معين

---

١) نفح الطيب ١٦٨/٣، تاريخ ابن الفرضى ٢٤٥/١، الصلة ص ١١٧، الجذوة ٢٧٤/١، البغية ٢٤٥/١. وراجع (ص ٧٠٦).

٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٥١٧ - ٥١٨.

٣) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة (القسم الثانى / المجلد الأول - ص ٢٣٢).

(بغدادى/توفى ٢٣٣هـ/٨٤٧م) فاخرناهم بيحيى بن سعد»[١].

وقد دخل ابن حزم فى خاتمة الرسالة التى كتبها عن فضائل الأندلس فى موازنة بين أعلام الأندلس (فى الشعر والأدب والفقه والحديث والتفسير) وأعلام المشرق، مساويا أو مرجحا، وله فى ذلك نظرات صائبة، وكان مما قال: «نحن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابى فى الشعر[٢] لم نباه به إلا جريرا والفرزدق، لكونه فى عصرهما، ولو أنصف لاستشهد بشعره، فهو جار على مذهب الأوائل، لا على طريقة المحدثين. وإذا سمينا بقى بن مخلد[٣] (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ومسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) وسليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) وأحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)... » إلى آخر كلام ابن حزم فى رسالته المذكورة، وهى مدرجة بقسم الملاحق فى نهاية الدراسة[٤].

ويسير فى هذا الاتجاه نفسه أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندى الأندلسى (المتوفى ٦٢٩ هـ/١٢٣١م) - من شقندة: قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب[٥] - فى رسالته التى كتبها عن فضائل الأندلس، مفاخرا أبا يحيى بن المعلم الطنجى فى مجلس صاحب "سبتة" أبى يحيى بن أبى زكريا صهر محمد الناصر الموحدى (٥٩٥-٦١١هـ/١١٩٩-١٢١٤ م)، فقال يفتخر على أهل المغرب بأئمة الأندلس فى الفقه والحديث والقرآن والنحو واللغة والأدب والطب والفلسفة «وإنك إن تعرضت للمفاضلة بالعلماء فأخبرنى:

- هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م) الذى يعمل بأقواله إلى الآن. ومثل أبى الوليد الباجى (ت ٤٧٤هـ/١٠٨١م). ومثل أبى بكر بن العربى (ت٥٤٣ هـ/١١٤٨م). ومثل أبى الوليد بن رشد الأكبر (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م). ومثل أبى الوليد الأصغر (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وهو ابن ابن الأكبر، نجوم الإسلام ومصابيح شريعة محمد عليه السلام؟.

- وهل لكم فى الحفظ مثل أبى محمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذى زهد فى

---

١) ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١/١٥٥.

٢) تحدثنا عنه (ص ٨٠٥).

٣) تكرر ذكره فى مواضع كثيرة، منها (ص ٥١٧)، (ص ٧٠٦)، (ص ٧٣٠).

٤) راجع قسم الملاحق بداية من (ص ١٠٠٩). وراجع بقية سياق كلام ابن حزم فى الموازنة بين علماء الأندلس والمشرق (ص ١٠٢٥).

٥) نفح الطيب للمقرى ٣/٢٢٢-٢٢٣.

الوزارة والمال، ومال إلى رتبة العلم، ورآها فوق كل رتبة؟. ومثل أبى عمر بن عبد البر صاحب "الاستذكار" و"التمهيد"؟.

- وهل لكم فى النحو مثل أبى محمد بن السيد [البطليوسى] (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) وتصانيفه. ومثل ابن الطراوة (ت ٥٢٨هـ/١١٣٤م). ومثل أبى على الشلوبين الذى بين أظهرنا الآن (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، وقد سار فى المغارب والمشارق ذكره؟.

- وهل لكم فى علوم اللحون (الموسيقى) والفلسفة كابن باجه (ت ٥٣٣هـ/١١٣٨م).

- وهل لكم فى علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٨١م)، فإنه كان فى ذلك آية؟.

- وهل لكم فى الطب مثل ابن طفيل (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) صاحب رسالة "حى بن يقظان" المقدم فى علم الفلسفة. ومثل بنى زهر أبى العلاء (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م) وابنه عبد الملك (ت ٥٥٧هـ/١١٦٢م)، ثم ابنه أبى بكر ثلاثة على نسق؟.

- وهل لكم فى علم التاريخ كابن حيان (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) صاحب "المتين" و"المقتبس"؟.

- وهل عندكم فى رؤساء علم الأدب مثل أبى عمر بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) صاحب "العقد"؟.

- وهل لكم فى الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء إقليمه والاجتهاد فى حشد محاسنهم مثل ابن بسام (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) صاحب "الذخيرة" ؟.

- وهل لكم فى بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله بن خاقان (ت ٥٢٨هـ/١١٣٤م) الذى إن مدح رفع، وإن ذم وضع، وقد ظهر له من ذلك فى كتاب "القلائد" ما هو أعدل شاهد. ومثل ابن أبى الخصال (ت ٥٤٠هـ/١١٤٦م) فى ترسيله؟.

- وهل لكم ملك ألف فى فنون الآداب كتابا فى نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الأفطس ملك بطليوس، و لم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الأدب؟.

ثم أخذ الشقندى فى ذكر بعض كبار شعراء الأندلس وشئ من جيد أشعارهم، ووصف ما اختاره بالإبداع والحسن والاختراع. ثم عرج على ذكر نبذ من مآثر فرسان الأندلس، وتحدث عن بعض شمائل أهلها، ومر على بعض المدن الأندلسية، فعدد خصائصها ومحاسنها، مثل إشبيلية وقرطبة ومالقة والمرية، ومرسية وبلنسية وجزيرة ميورقة[1].

---

١) الرسالة بأكملها مذكورة فى نفح الطيب للمقرى ج ٣ ص ١٨٦ وما بعدها.

سادسا: وقد تجلت الخصوصية الثقافية والفكرية للأندلس كأقوى ما تكون فى مظهرين آخرين على درجة كبيرة من الأهمية:

الأول: التوحد المذهبى فى مجال الفقه والتشريع، حيث «ظهر ميل واضح لدى الدولة والشعب معا إلى التوحد فى مذهب دينى محدود، هو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢م). هذا التوحد كان قمينا بأن يجعل الأندلسيين متميزين إزاء إخوانهم المشارقة»[١].

والثانى: الاهتمام الشديد بتدوين التاريخ الأندلسى دون غيره وتقديم دراسات وصفية شاملة ودقيقة لجغرافية الأندلس، وإظهار ما لهذا الإقليم من خصائص تميزه عن سائر أقاليم الدولة الإسلامية[٢].

سابعا: وقد بدا لبعض صفوة العلماء الأندلسيين وكتابهم أن يسجلوا مفاخر وطنهم وتلمسوا لذلك الأسباب. واقتنصوا المناسبات التى اتخذوا منها ذريعة للإشادة بمحاسن بلدهم سحرا وموقعا وجمالا، وبمواطنيهم علما وأدبا وشعرا وفعالا.

وإن أشهر من كتبوا فى هذا الشأن ثلاثة:

الأول: أبو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبى (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، فى رسالة له عن "فضل الأندلس وذكر رجالها"، احتفظ بها المقرى فى كتابه "نفح الطيب"[٣]. وقد وضعها للرد على رسالة وقعت فى يده لأبى على الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمى القيروانى، بعث بها إلى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن حزم (وهو ابن عم أبى محمد ابن حزم) يذكر فيها: «أن علماء الأندلس - وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف - فإن هممهم قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم»[٤]. وليس ذلك فحسب، وإنما - كما يحكى عنه ابن حزم - «تعدى إلى أن أخلى

---

١) د. عبادة عبد الرحمن كحيلة: الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، بحث ألقى بندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) التى عقدت بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض فى المدة (١٥-١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ/ ٣٠/١٠-١١/٣ (١٩٩٣م) - (الجلسة١٦)، (البحث ٣) - [ص ٦].

٢) ستتضح هذه الخصوصية فى عرضنا للتراث الأندلسى فى حقل الدراسات التاريخية والجغرافية - راجع بداية من (ص ٨٢٥).

٣) نفح الطيب ١٥٦/٣ - ١٧٩. وهى موجودة بكاملها فى قسم الملاحق (ص ١٠٠٩ - ١٠٢٥).

٤) نفح الطيب ١٥٩/٣.

أرباب العلوم منا [من الأندلسيين] أن يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم، ويبقى علمهم، بل قطع (أى ابن الربيب) على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه». ثم استدل ابن الربيب على ذلك بأن كتبهم لم تصل إلى المغرب، رغم «قرب المزار، وكثرة السفار، وترددهم إليهم، وتكررهم علينا»[١].

وقد وجد ابن حزم الفرصة سانحة لكى يسجل أمجاد وطنه، وكأنه أحس بفطنته وعلو منزلته العلمية أن (رده) على ابن الربيب سوف يكون شاهدا على فضل الأندلس والأندلسيين على مدى التاريخ.

ورسالة ابن حزم كلها تصب فى رسم صورة مستقلة لشخصية الأندلس، وأن الأندلسيين لا يقلون عن المشارقة فهما وذكاء وإبداعا، وأن الأندلس «على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء (يقصد بغداد) فقد ذكرنا (والقائل هو ابن حزم) من تآليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس والأهواز وديار مصر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك، على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها»[٢].

والثانى: على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسى (المتوفى ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) صاحب كتاب "المغرب فى حلى المغرب". ذيل على رسالة ابن حزم برسالة أخرى نقلها عنه المقرى أيضا فى "نفح الطيب"[٣]، مفتتحا إياها بقوله: «رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الأندلس بما حضرنى، والله تعالى ولى الإعانة».

وقد ذكر ابن سعيد أهم ما فى التراث الأندلسى - بعد عصر ابن حزم - فى علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصوله، وأصول الدين، والتاريخ والجغرافيا والأدب واللغة، والفلسفة والطب والفلك والرياضيات، مما رأى فيه ابتكارا وافتخارا. وسلك الطريقة نفسها التى سلكها ابن حزم فى عرض الكتب حسب موضوعاتها ومنزلة الكتاب من فنه.

ومن الجدير بالذكر أن ابن سعيد عقد بابا - أو أكثر - فى كتابه "المغرب فى حلى المغرب" فى المناظرة بين المشرق والمغرب، وسماه " الشهب الثاقبة فى الإنصاف بين المشارقة والمغاربة"[٤]. وهذا الجزء من كتاب ابن سعيد لم يصلنا، ولكن العمرى أورد منه فقرات كثيرة فى كتابه

---

١) المصدر نفسه، ونفس الجزء والصفحة.
٢) المصدر نفسه ١٧٧/٣.
٣) نفح الطيب ١٧٩/٣ - ١٨٦. والرسالة مدرجة بقسم الملاحق (ص ١٠٢٦).
٤) المقرى: نفح الطيب ٢١٠/١.

"مسالك الأبصار"[١].

والثالث: أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندى (المتوفى ٦٢٩هـ/١٢٣١م) فى رده على أبى يحيى بن المعلم الطنجى السبتى بشأن النزاع الذى وقع بينهما فى التفضيل بين البرين: المغرب والأندلس. وهذه الرسالة احتفظ بها المقرى فى "نفح الطيب"[٢] وقد ذكرنا شيئا منها قبل قليل[٣].

وهكذا ظلت روح الشعور بالأندلسية ممتدة وتزداد نموا ورسوخا مع مرور الأيام والسنين، حيث كان الأندلسيون يتعصبون لبلدهم، ويفضلونه على غيره بخصائصه وتراثه وعلمائه.

***

وإذا كان علماء الأندلس ومفكروها وأمراؤها حاولوا أن يرسموا لوطنهم حدودا ثقافية وحضارية، وأن يقفوا به على مستوى المشرق فإننا نقرر - نحن - من جانبنا أن روح المنافسة بين المشرق والأندلس والشعور "بالأندلسية" أو "الخصوصية" (والتى بدأت تلوح فى الأفق بداية من القرن الخامس الهجرى؛ أى بعد أن قامت الحضارة الأندلسية فى الأندلس واستوت على سوقها خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة اعتمادا على الإنتاج [البغدادى/المشرقى]) - هذه الروح وإن كانت تنمو مع الزمن لكنها لم تستطع أن تكفل استقلال الأندلس عن المشرق تماما فى شئون العلم والأدب والحضارة فى أى فترة من فترات التاريخ الأندلسى.

نعم لقد كان الاعتماد على المشرق حادا وساطعا خلال القرون الثلاثة: الثالث والرابع والخامس للهجرة، ثم بدأ يقل شيئا فشيئا[٤]، لكن ظل الأندلسيون يعتمدون على التراث المشرقى فى عملية التعليم والتأليف، على الرغم من أنهم حاولوا من جانبهم صياغة المادة العلمية المشرقية فى قوالب جديدة، أو بمنهج عرض جديد، غير أن محاولة الإبداع كانت محدودة، ولم تكن شاملة. ويمكن القول: إن مادة الثقافة الأندلسية (أى العلوم والموضوعات والكتب التى كانت شائعة فى حلقات التدريس التى كانت لها أهمية كبرى فى تكوين عقلية المتعلم والدارس

---

١) العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوط) بمعهد المخطوطات العربية - الجزء الثالث / القسم الثانى - النوع الأول [فى الإنصاف بين المشرق والمغرب] / بداية من ص ١٠١.

٢) نفح الطيب ١٨٦/٣ - وما بعدها.

٣) راجع (ص ٦٨٦ - ٦٨٧).

٤) لعل اعتماد الأندلس على ما ظهر من كتب العلم فى المشرق بدأ يقل بعد ذلك التاريخ يعود إلى الظروف السياسية التى مرت بها الأندلس فى القرون الثلاثة الأخيرة من تاريخها، ونعنى بها موجة الحروب والصراع المرير بين المسلمين ونصارى الإسبان.

الأندلسى) كانت هذه المادة مستفادة فى أغلبها من الكتب والمصادر المشرقية، لا فى الفترات الأولى من تاريخ الأندلس فحسب، بل ظل ذلك معتمدا إلى زمن ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م). وأما الكتب التى ألفها الأندلسيون أنفسهم والتى اعتمدوا عليها فى عملية التعليم إلى جانب الكتب المشرقية - وإن كانت أندلسية فى مولدها - فإنها بضاعة مشرقية فى الأصل إلا ما كان خاصا بالإقليم الأندلسى، وكان المقرر منها فى حلقات التدريس والتعليم يقل عن كتب المشارقة، أو يتساوى معها أحيانا فى القرون الأخيرة من حياة الأندلس.

فابن عطية - مثلا - (عبد الحق بن عطية المحاربى الأندلسى المتوفى ٥٤١هـ/ ١١٤٦م) وهو من علماء القرن السادس الهجرى - يعتمد فى تفسيره للقرآن المسمى "المحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز" الذى يعد من أحسن التفاسير الأندلسية وأشهرها على مجموعة كبيرة من المصادر المشرقية فى التفسير والحديث والقراءات واللغة والنحو والفقه وأصول الدين فاقت بكثير ما اعتمد عليه من مصادر أندلسية فى هذه الفنون[1]. وهذا دليل واحد من عشرات الأدلة التى تؤيد ما نقول.

وإذا قمنا بفحص كتب التراجم التى أرخت للحركة العلمية فى الأندلس من خلال سير أعلامها فى القرن الخامس الهجرى وما يليه - "كالصلة" لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) و"جذوة المقتبس" للحميدى (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) و"بغية الملتمس" للضبى (ت ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م) و"الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشى و"التكملة" لابن الأبار (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) و"المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى" لابن الأبار أيضا، و"صلة الصلة" لابن الزبير (ت ٧٠٨هـ/١٢٠٨م)، و"المغرب فى حلى المغرب" لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦) و"نفح الطيب" للمقرى (ت ١٠٤١هـ/١٦٣٢م) وغيرها - أقول: إن الرجوع إلى مثل هذه الدواوين - إضافة إلى مصادر الأدب العامة - سوف يتيح لنا التعرف على الكتب التى كونت (أو شاركت لحد كبير فى تكوين) الفكر الأندلسى حتى فترات متأخرة من تاريخ الأندلس. وهذه الكتب مشرقية فى جملتها، عراقية فى أغلبها.

ويسعفنا فى ذلك - وبالدرجة الأولى - كتب "برامج العلماء"[2]، وهى كتب نعرف منها أى الكتب كان مفضلا لدى الدارسين الأندلسيين خلال العصور المختلفة وفى البيئات المتعددة من أرض الأندلس، وما مقدار الكتب المشرقية أو الأندلسية التى قرأها أو يدرسها العالم الواحد،

---

١) راجع الفصل الذى عقده الدكتور عبد الوهاب فايد فى كتابه "منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم" عن «مصادر ابن عطية فى تفسيره» ص ٩٥ - ١٢٧. وانظر ما ذكرناه عن هذا التفسير (ص ٧١١).

٢) سيأتى التعريف بهذا المصطلح (ص ٨٦٣).

وأى العلوم كانت لمشارقة، وأيها كان وقفا على مؤلفين أندلسيين أو مغاربة؟. فهى بذلك سجل حافل يكشف عن المناهج الثقافية التى ارتوى منها الأندلسيون، وكونوا منها ثقافتهم.

وإذا أخذنا برنامج أبى بكر محمد بن خير الإشبيلى (٥٠٢-٥٧٥هـ/١١٠٨-١١٧٩م)- والذى يعرف بفهرسة ابن خير - كمثال فسنجد أنه أوسع الفهارس التى وصلتنا عن الأندلسيين من حيث ضخامتها وكثرة ما ورد فيها من أسماء الكتب التى كانت تدرس والتى كانت شائعة إلى عصره، وهى تنوف عن ألف وخمسة وأربعين كتابا (١٠٤٥). بإحصاء "فرنسيشكه قدارة زيدين" فى مقدمته للكتاب[١]. وأكثر من نصف هذا العدد كتب (مشرقية/عراقية)، وتتوزع على علوم القراءات والوقف والابتداء، والناسخ والمنسوخ وأحكام القرآن والتفسير والفقه وعلوم الحديث (كتب الرجال والعلل والسنن والمسانيد والموطآت والمصنفات...)، ثم كتب السيرة والأنساب، وكتب النحو واللغة والآداب والدواوين الشعرية.

وكون ابن خير يذكر فى "فهرسته" الكتب المشرقية التى وردت إلى الأندلس بأسانيده إلى زمنه - سواء سمعها (من) أو درسها (على) شيوخه، أو أجيزت له - فيه دلالة على أن الحركة العلمية فى الأندلس ظلت إلى هذا التاريخ - تاريخ وفاة ابن خير فى أواخر القرن السادس الهجرى - تعتمد على هذه الكتب اعتمادا كبيرا، علما بأن أكثرها وصل إلى الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

و لم تقف مسيرة الاعتماد على الإنتاج (البغدادى/المشرقى) بصورة كبيرة فى الأندلس عند هذا التاريخ، وإنما ظلت عناية الأندلسيين بالكتاب المشرقى فى التدريس والتعليم والتأليف بارزة طوال القرنين السابع والثامن الهجريين، وإذا تتبعنا كتب "برامج" العلماء التى كتبت فى هذين القرنين أمكننا أن نلاحظ تلك الظاهرة بوضوح. ومن أهم هذه "البرامج": "برنامج" أبى الحسن على بن محمد الرعينى الإشبيلى (المتوفى ٦٦٦هـ/١٢٦٧م»[٢]، و"برنامج" عبيد الله بن أحمد بن أبى الربيع الذى دونه تلميذه قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصارى (المتوفى ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م»[٣]. و"برنامج" محمد بن جابر الوادى آشى (المتوفى ٧٤٩هـ/١٣٣٨م»[٤]، و"برنامج"

---

١) راجع فهرسة ابن خير - مقدمة المحقق ص (ك).

٢) حققه إبراهيم شبوح (مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦٢م).

٣) راجع: د. عبد العزيز الأهوانى: برامج العلماء فى الأندلس / مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول ١٩٥٥م، ١٣٧٤هـ (ص ١١٣ - ١١٤).

٤) حققه محمد محفوظ (دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

أبى عبد الله محمد المجارى الأندلسى (المتوفى ٨٦٢هـ/١٤٥٧م»[١].

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما قاله ابن خلدون فى "مقدمته": «وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن "علم الأدب" وأركانه أربعة دواوين: "أدب الكاتب" لابن قتيبة. وكتاب "الكامل للمبرد. وكتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، وكتاب "النوادر" لأبى على القالى البغدادى، وما سوى ذلك فتبع لها وفروع عنها»[٢].

والحاصل أن الكتب المشرقية كانت مرجع الأندلسيين فى التعليم والتدريس، وكانت فى معظمها لمؤلفين عراقيين، إلى جانب كتب أخرى قليلة للأندلسيين. وهذا يعنى أن المشرق الإسلامى - وبغداد فى القلب منه - كان مطلبا لهم ومحط رحلاتهم، لأنه كان أرقى حضارة وأوسع ثقافة، ومنبع العلم والدين. وعلى الرغم من أن بعض الأندلسيين حاولوا بإسهاماتهم العلمية أن يرسموا للأندلس حدودا ثقافية أو "شخصية علمية"، وأن يقفوا بها على مستوى المشرق فإن تقديس الثقافة والفكر المشرقى ظل بارزا إلى نهاية الحكم الإسلامى بالأندلس (٨٩٧هـ/١٤٩٢م).

إن النتيجة التى تترتب على ذلك (وهذا ما نعنيه بالدرجة الأولى فى هذا الفصل) أن التراث الأندلسى فى مختلف العلوم - والذى سنعرض له بالتفصيل فى الصفحات التالية - مدين فى جانب كبير منه إلى الثقافة المشرقية، وعلى الرغم من أن الأندلسيين كانت لهم مؤلفات وفيرة فى كل علم كما سيتضح فيما بعد فإنهم لم يخرجوا فى الأعم الأغلب عن المناهج التى سار عليها العلماء المشارقة فى التأليف والتبويب، وقليل منها جاء على سبيل التجديد والابتكار. ولا يعنى ذلك أن الأندلسيين لم يتميزوا عن المشارقة ببعض الخصوصيات العلمية، فلابد أن يكون هناك قدر من التميز، وقد أعطينا على ذلك بعض الدلائل والمظاهر وسيأتى منها الكثير.

وإذا أردنا أن نصنف التراث العلمى للأندلسيين فسنجد أنه لن يخرج عن المحاور التالية:

١ - شروح واختصارات للكتب المشرقية.

٢ - التأليف على وفق الاتجاهات والمناهج والفنون التى رسمها المشارقة وبثقافة مشرقية، والوقوف - فى أحايين كثيرة - أمام هذه الثقافة بالنقد والتقويم والتمحيص والإضافة، مع محاولة إخراجها فى أثواب جديدة، والاهتمام ببعض أنواع التصنيف مما لم يسبقوا إليه. وهذا القسم من المؤلفات يمثل معظم التراث العلمى الذى أنجزه الأندلسيون.

---

١) حققه محمد أبو الأجفان (دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٢م).

٢) مقدمة ابن خلدون ج ٣ص ١٢٧٧ (ط على عبد الواحد كافى).

٣ - مؤلفات خاصة بالأندلس: تاريخه ورجاله وأدبه وجغرافيته. وقد ظهرت الخصوصية الأندلسية كأقوى ما تكون فى مثل هذه المؤلفات.

والحق أن السبيل لأى نهضة ثقافية فى أى أمة أن تفتح عقلها وقلبها أمام الثقافة الوافدة، تفيد منها، وتتمثله دون أن تفقد معها شخصيتها، وأن تبدع لنفسها فلا تعيش على الدوام عالةً على غيرها. وهذا هو حال الأندلس، وهذه هى سمة التراث العلمى الذى أنجزه الأندلسيون وأضافوه لصرح الحضارة الإسلامية.

وفيما يلى عرض لهذا الإنجاز فى ميدان الثقافة والفكر، مركزين على أهم جوانبه، **مع عقد مقارنات عامة غير تفصيلية** بينه وبين الإنتاج المشرقى كلما حانت الفرصة إلى ذلك.

وقبل الدخول فى هذا الهدف يجب أن ننبه إلى أننا لن نقف فى عرض إنجازات الأندلس فى ميادين العلم المختلفة عند حدود القرنين الثالث والرابع للهجرة، وإنما سيكون تناولنا لهذه الإنجازات شاملاً كل فترات التاريخ الأندلسى، مع التركيز على القرنين المذكورين. والذى دعانا إلى أن نتخطى حدود هذين القرنين هو أن الأندلسيين - وإن كانوا قدموا إنجازات علمية رائعة فى ذانك القرنين - فإن الإنجازات الكبرى والحقيقية التى أسهموا بها فى ميدان الفكر والحضارة والتى تشهد ببراعتهم وتقدمهم لم تنشط بصورة أوسع إلا فى القرون الخامس والسادس والسابع للهجرة، ففى هذه القرون قدم الأندلسيون أروع ما جاءت به قريحتُهم، وبرزت فيها شخصيتهم العلمية وتميُّزُهم الفكرى.

والآن إلى عرض هذه الإنجازات.

الفصل الثانى
إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم الدينية

* ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : علوم القرآن الكريم.

المبحث الثانى : علوم الحديث النبوى.

المبحث الثالث : علم الفقه وأصوله.

المبحث الأول
علوم القرآن الكريم

أولا: القراءات وما تفرع عنها من علوم

توطئة: علمنا فى مبحث سابق أن علم القراءات دخل الأندلس فى وقت مبكر وأول قراءة أدخلها الأندلسيون بلادهم سماعا على مقرئها هى قراءة نافع بن أبى نعيم المدنى (المتوفى ١٦٩هـ/٧٨٥م) ثم تلميذه المصرى المعروف ب "ورش" (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٢م). وحينما نشطت حركة التأليف فى علم القراءات ببغداد عمل أهل الأندلس على جلب هذه المؤلفات على اختلاف اتجاهاتها، فبعضها فى القراءة المفردة، وبعضها جامعة للقراءات من غير إشارة إلى عدد معين، والبعض الآخر فى القراءات السبع أو الثمان أو العشر أو الإحدى عشرة أو فى القراءات العشرين. بالإضافة إلى كتب تعليل القراءات أو الاحتجاج لها ومعرفة شواذها. وكل هذه الأنواع وجدت طريقها إلى الأندلس، لا سيما فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى[1]، وكان لبغداد القدح المعلى فى إمداد الغرب الإسلامى بقدر كبير من مصادر هذا العلم.

---

١) راجع المبحث الخاص بانتقال علم القراءات من (بغداد/المشرق) إلى بلاد الأندلس بداية من(ص ٤٨٢) إلى (ص ٤٩٦).

تلقى الأندلسيون علم القراءات عن المشارقة واستوعبوا مصادره الواردة من بغداد ومصر، وأولوها عنايتهم واهتمامهم، وأدخلوها فى برامجهم التعليمية وانتقلوا إلى الجمع والتصنيف، وظهرت لهم مؤلفات مهمة ومتميزة، وأثمر ذلك كله بالأندلس حركة علمية نشطة فى هذا الفن.

التراث الأندلسى فى علم القراءات:

والناظر فى تراث المدرسة الأندلسية فى علم القراءات يرى اهتماما بالغا وتراثا خالدا وعلماء أفذاذا هم فى المقدمة أئمة القراءة، وتبوأت مصنفاتهم مكانة الصدارة حتى إن ابن الجزرى (المتوفى ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) عدد المصنفات التى اعتمد عليها فى كتابه "النشر فى القراءات العشر" فجعل فى مقدمتها نحو عشرة من كتب الأندلسيين[١].

والمتتبع لحركة التأليف الأندلسية فى علم القراءات يجد أنها بدأت فى وقت مبكر تزامنت مع حركة نقل هذا العلم من المشرق. فقد صنف عبد الرحمن بن موسى الهوارى الأستجى (المتوفى ٢٢٦هـ/٨٤٠م) كتابا فى "القراءات"، وهو من تلامذة الإمام مالك، رحل إليه فى إمارة عبد الرحمن (الداخل) (المتوفى١٧٢هـ/٧٨٨م) وكان كثيرا ما يترل قرطبة[٢].

وصنف أبو عبد الله محمد بن عمر بن خيرون المعافرى الأندلسى نزيل القيروان (المتوفى ٣٠٦هـ/٩١٨م) فى علم الوقف والابتداء كتابا بعنوان "الابتداء والتمام"، ولعله أول كتاب أندلسى يصنف فى هذا العلم. وصنف أيضا كتاب "الألفات" وكتاب "اللامات"[٣]. ويعد ابن خيرون أول من أدخل قراءة نافع إلى القيروان وكان الغالب على أهلها قراءة حمزة[٤].

تأسيس مدرسة القراءات الأندلسية فى القرن الخامس الهجرى:

وأما الإضافات الحقيقية التى تنسب إلى أهل الأندلس فى ميدان التأليف القرائى فقد بدأت مع أوائل القرن الخامس، وظهر فى هذا القرن مجموعة من القراء الكبار قادوا المسيرة فى هذا

---

١) راجع النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٥٨ وما بعدها (ط - دار الكتاب العربى).

٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٥٣-٢٥٤، طبقات المفسرين للداودى ٢٩٧/١، الديباج المذهب لابن فرحون ٤٧١/١، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٥٠٧/٢-٥٠٨ وراجع دوره فى نقل ثقافة المشرق فى علوم العربية إلى الأندلس (ص ٥٦٤).

٣) غاية النهاية لابن الجزرى ٢١٧/٢.

٤) غاية النهاية لابن الجزرى ٢١٧/١، تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١١٢/٢، وراجع ترجمة حمزة (ص ٤٨٧).

الاتجاه، ويأتى فى مقدمتهم الإمام المقرئ المحدث أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافرى الطلمنكى نزيل قرطبة (المتوفى ٤٣٠هـ/٩٥١م)، وهو حبر فى علوم القرآن، قراءاته وتفسيره وأحكامه وإعرابه وناسخه ومنسوخه، وتتلمذ فى المشرق على عدد من القراء البغداديين والمصريين، وصنف فى القراءات كتاب "الروضة"[١].

وقد عاصره عالم آخر من طرسوس أخذ القراءات أيضا عن جماعة من البغداديين والمصريين، وهو أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن عمر الطرسوسى المعروف بالطويل (المتوفى ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) وله فى هذا العلم كتاب كبير سماه "المجتبى الجامع لقراءات الأئمة"[٢].

وأبرز ثلاثة علماء أسس علم القراءات بالأندلس على أيديهم هم: مكى بن أبى طالب، وأبو عمرو الدانى، ومحمد بن شريح الرعينى. وفيما يلى نتكلم عن جهودهم فى بناء هذا العلم:

الأول: أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى: القيروانى (الأصل) نزيل قرطبة (المتوفى ٤٣٧هـ/١٠٤٥م). وصفه ابن الجزرى بأنه "إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء المجودين"[٣]، نزل قرطبة سنة ٣٩٣هـ، ومات بها. وكان متبحرا فى علوم القرآن، مكثرا من التأليف فيها، ومؤلفاته تنيف عن الثمانين، وأكثرها صنفه فى قرطبة سنة ٣٩٥هـ، وكثير منها فى علم القراءات، ففى هذا العلم صنف: "التبصرة" فى خمسة أجزاء، و" التذكرة فى القراءات السبع" و "الهداية فى القراءات" و "الإبانة عن معانى القراءات" فى جزء. وكتاب "الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها ومقاييس النحو فيها" فى عشرين جزءا، وكتاب "الموجز فى القراءات". وكتاب " مختصر كتاب الحجة فى علل القراءات" لأبى على الفارسى البغدادى (المتوفى ٣٧٧هـ/١٠٨٤م). وكتاب "الانتصاف فى الرد على أبى بكر الأدفوى فيما زعم من تغليطه فى كتاب الإبانة" فى ثلاثة أجزاء. وكتاب "التنبيه فى أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه" فى جزأين.

وفى علم الوقف والابتداء صنف كتاب "شرح التمام والوقف" فى أربعة أجزاء. وكتاب "الوقف والابتداء" وكتاب "الوقف على (كلا) و (بلى)" فى جزأين.

---

١) غاية النهاية لابن الجزرى ١/١٢٠، طبقات المفسرين للداودى ١/٧٩-٨٠، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٧/٥٦٦-٥٦٩، شذرات الذهب لابن العماد العكبرى ٣/٢٤٣، ٢٤٤، الصلة لابن بشكوال ص ٤٤-٤٥، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٤/٧٤٩-٧٥١).

٢) ابن الجزرى: غاية النهاية ١/٣٥٧ - ٣٥٨، فهرسة ابن خير ص ٢٥.

٣) غاية النهاية لابن الجزرى ٢/٣٠٩.

وفى علم التجويد صنف كتاب "الرعاية لتجويد القراءة وتصحيح لفظ التلاوة" فى أربعة أجزاء. وكتاب "الإدغام الكبير فى المخارج". وكتاب " الحروف المدغمة" فى جزأين. وكتاب "الرد على أصحاب الأنطاكى فى تصحيح المد لورش".

وألف فى علم رسم المصحف وهجائه وعدد آياته وحروفه.. . الخ كتاب "هجاء المصاحف" فى جزأين، وكتاب "الاختلاف فى عدد الأعشار"، وكتاب "تسمية الأحزاب"، وكتاب "الياءات المشددة فى القرآن". وله أيضا كتاب "تعديل التجزئة بين الأئمة فى رمضان فى قراءة القرآن فى الأشفاع"، وهذا الكتاب الأخير من الكتب النادرة فى موضوعه.

وأكثر هذه المؤلفات ذكرها ابن خلكان فى "وفيات الأعيان" وياقوت الحموى فى "معجم الأدباء"، وقال ابن خلكان معقبا: «وله فى القراءات واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة، ولولا خوف الإطالة لاستوعبت ذكرها»[١]. ويلاحظ على مؤلفاته تلك أنها متنوعة وشاملة لأكثر الاتجاهات التى ظهرت فى بغداد فى هذا الفن خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

والثانى: أبو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان الأموى القرطبى المعروف بابن الصيرفى (٣٧١-٤٤٤هـ/٩٨١-١٠٥٢م)، وهو - كما يقول ابن الجزرى - «أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين». وأضاف: «لم يكن فى عصره ولا بعد عصره بمدد أحد يضاهيه فى حفظه وتحقيقه.. .. ومن نظر فى كتبه علم مقدار الرجل وما وهبه الله تعالى»[٢]. وقال عنه ابن بشكوال وغيره: «كان أحد الأئمة فى علم القرآن وروياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وجمع فى ذلك تواليف حسانا يطول تعدادها، ويطول إيرادها»[٣]. وقد بلغت هذه المؤلفات كما يقول الذهبى مائة وعشرين كتابا[٤].

---

١) وفيات الأعيان ٥، ٢٧٦-٢٧٧، معجم الأدباء ١٩/١٦٧-١٦٩. وراجع عن مؤلفاته أيضا فهرسة ابن خير ص ٢٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٧٦، الصلة لابن بشكوال ص ٦٣١-٦٣٣، بغية الملتمس للضبى ص ٤٦٩، جذوة المقتبس للحميدى ص ٣٥١، معالم الإيمان للدباغ ٣/٢١٣، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٧/٥٩٢، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٢/٧٣٧، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٤٢، ٣٤٣ (ط بيروت)، إنباه الرواة للقفطى ٣/٣١٣، طبقات المفسرين للداودى ٢/٣٣٧-٣٣٩، كشف الظنون ١/٣٣، ١٢١، ١٧٤، إيضاح المكنون ١/٨٥، هدية العارفين ٢/٤٧٠، ٤٧١، شذرات الذهب لابن العماد ٣/٢٦٠ .

٢) غاية النهاية لابن الجزرى ١/٥٠٣، ٥٠٤.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٤٠٦، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٨٠ / ٨٤.

٤) سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٨ ص ٨١.

ومن كتبه فى علم القراءات: كتاب "جامع البيان فى القراءات السبع وطرقها المشهورة والغربية"، وهذا الكتاب هو أهم كتبه فى هذا العلم، ويقع فى ثلاثة أسفار، نسج فيه على منوال كتاب "القراءات" للدار قطنى البغدادى (المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م»[١]. وصنف أيضا كتاب "التيسير فى القراءات السبع" (مطبوع)، وهذا الكتاب كان عليه المعول فى دراسة القراءات بالأندلس ومصر والمغرب وغيرها، وأدخله الأندلسيون فى برامج التعليم حتى فترة متأخرة من تاريخ الأندلس. وقد صنف أيضا فى القراءات السبع كتاب "الاقتصاد" فى مجلد واحد.وكتاب "التهذيب لانفراد أئمة القراء السبعة". وفى القراءات الشواذ صنف كتاب "المحتوى"فى مجلد واحد.

وصنف فى القراءات المفردة كتاب "إيجاد البيان فى قراءة ورش" فى مجلد. وكتاب "التلخيص فى قراءة ورش"، وكتاب "التمهيد لاختلاف قراءة نافع" فى عشرين جزءا. وكتاب "التلخيص فى أصول قراءة نافع".

وله فى علم رسم المصحف ونقطه وعدد آياته.. . الخ: كتاب "المقنع فى معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار"[٢]. وكتاب "المحكم فى نقط المصحف". وكتاب "اختلاف القراء فى الياءات". وكتاب "العدد"، أى عدد آى القرآن وكلماته وحروفه.. . الخ.

وفى علم التجويد ألف مجموعة كتب، منها كتاب "التحديد فى الإتقان والتجويد". وكتاب "الإمالات". وكتاب "التنبيه على أبى عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ) فى الإمالة والفتح بالعلل".

وصنف كتابا فريدا فى علم الوقف والابتداء. كما أنه وضع أرجوزة فى أصول القراءات وأسماء القراء والرواة سماها: "الأرجوزة المنبهة عن القراء والأصول"، وهى أرجوزة كبيرة تقع فى مجلد، نظم فيها مؤلفاته، ولعله أول من صاغ القراءات فى منظومة من الأندلسيين. وقد شرح قصيدة فى وصف القراءات والقراء للمقرئ البغدادى أبى مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقانى (المتوفى ٣٢٥هـ/٩٣٦م)، وهذه القصيدة وصلت إلى الأندلس مع إنتاج المدرسة البغدادية فى علم القراءات[٣].

---

١) غاية النهاية ١/٥٥٩، ص ٥٠٥، سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٨٠.

٢) مطبوع بتحقيق محمد أحمد دهمان - مطبعة الترقى بدمشق ١٩٦٠ م.

٣) جمعت مؤلفات أبى عمرو الدانى فى علم القراءات وفروعه من الكتب التالية: غاية النهاية لابن الجزرى ١/ ٥٠٣-٥٠٥، فهرسة ابن خير ص ٢٨، ٢٩، ٤٠، ٤١، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨/٧٧-٨٣، الصلة لابن بشكوال ص ٤٠٥-٤٠٧، معرفة القراء الكبار للذهبى ١/٣٢٥-٣٢٨، نفح الطيب للمقرى ٢/١٣٥-١٣٦، بغية الملتمس للضبى ص ٤١١-٤١٢، جذوة المقتبس للحميدى ص ٣٠٥، =

وهكذا تعددت تآليف أبى عمرو الدانى وتنوعت، وقد بلغ فيها الغاية، وانتفع بها أهل الأندلس من بعده، وعولوا عليها فى مؤلفاتهم، وذاع صيتها فى المشرق. ويمكن القول: إن الدانى - ومن قبله مكى بن أبى طالب - أسس مدرسة للقراءات فى بلاد الأندلس تخرج منها عدد كبير جدا من القراء، ترجم لهم ابن الجزرى فى (طبقاته)، ومن أبرزهم أبو داود سليمان ابن نجاح الأموى الأندلسى (المتوفى ٤٩٦هـ/١١٠٢م) صاحب كتاب "التبيين لهجاء التنزيل" وكتاب آخر عارض فيه شيخه الدانى سماه "الاعتماد فى أصول القراءة"، وقد كان من أجل أصحاب الدانى، سمع منه غالب مصنفاته[١]. ومنهم: أبو الحكم العاص بن خلف بن محرز الإشبيلى (المتوفى ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) وهو أستاذ ماهر فى القراءات، جمع فيها كتابا سماه "التذكرة فى القراءات السبع" وكتابا آخر بعنوان "التهذيب فى القراءات السبع"[٢]. وذكر له ابن خير رسالة فى "ذكر ما أماله حمزة والكسائى"[٣].

وثالث الثلاثة الذين قامت مدرسة القراءات بالأندلس على أيديهم: هو أبو عبد الله الرعينى: محمد بن شريح بن أحمد الإشبيلى (٣٨٨-٤٧٦/٩٩٨-١٠٨٣م). كان رأسا فى القراءات، بصيرا بالنحو والصرف، فقيها حجة ثقة[٤]. ووصفه ابن بشكوال بأنه من جلة المقرئين وخيارهم[٥]. وقد صنف فى هذا العلم مجموعة من الكتب المعتمدة، منها فى القراءات السبع كتابان، هما: كتاب "الكافى" وكتاب "التذكير". وجمع اثنين وعشرين رواية فى القراءات عن بعض الأئمة القراء (فى مجلد). كما أنه صنف كتابا فى قراءة يعقوب بن إسحق الحضرمى، واختصر كتاب "الحجة فى علل القراءات" لأبى على الفارسى البغدادى (المتوفى٣٧٧هـ/٩٨٧م»[٦].

وأبرز تلاميذ الرعينى هو ولده "شريح بن محمد" (المتوفى ٥٣٧هـ/١١٤٢م). كان مثل أبيه إماما فى القراءات، وله فيها كتاب "نهاية الإتقان فى تجويد تلاوة القرآن"، وكتاب "الانتصاف

= معجم الأدباء لياقوت ١٢/١٢١-١٢٤، الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٨٤-٨٥، إنباه الرواة للقفطى ٢/٣٤١-٣٤٢، طبقات المفسرين للداودى ١/٣٧٩-٣٨٢.

١) غاية النهاية ١/٣١٧، نفح الطيب للمقرى ٢/١٣٥-١٣٦.

٢) الصلة لابن بشكوال ص ٤٥١.

٣) فهرسة ابن خير ص ٣٠.

٤) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨/٥٥٥.

٥) الصلة لابن بشكوال ص ٥٥٣.

٦) راجع عن مؤلفاته فهرسة ابن خير ص ٣١، ٣٢، ٣٥، ٤٢، غاية النهاية ٢/١٥٣، سير أعلام النبلاء ١٨/٥٥٤-٥٥٥، معرفة القراء الكبار للذهبى ١/٣٥١، كشف الظنون ١٣٧٩، هدية العارفين ٢/٧٤، إيضاح المكنون ١/٢٢١، شذرات الذهب ٣/٣٥٤.

من الحافظ أبي عمرو الداني". وكتاب في "توجيه حروف قرأ بها يعقوب الحضرمي لم يقرأ بها أحد من الأئمة السبعة". ورسالة في "الراء المشددة". وله كتاب فريد سماه "حصر جميع الآي المختلف في عددها بين أهل الأمصار على ترتيب سور القرآن وتوجيه الحجة لاختلافهم في ذلك وترجيحها"[١].

وشريح هذا (الابن) كون هو الآخر مدرسة من القراء، وأبرز من قرأ عليه وأخذ عنه: أبو جعفر أحمد بن علي بن خلف الباذش الأنصاري الغرناطي (المتوفى ٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وهو من المتبحرين في القراءات وأستاذ كبير وإمام محقق كما وصفه ابن الجزري. وصنف "الإقناع في القراءات السبع" و"الطرق المتداولة في القراءات" وغيرها[٢].

أبو القاسم الشاطبي (المتوفى ٥٩٠هـ/١١٩٤م) ومدرسته:

ويطول المقام إذا تتبعنا جهود القراء الأندلسيين في القرن السادس الهجري، وقد ذكر ابن الجزري عددا كبيرا منهم في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء، ير أنه وقف طويلا عند واحد من "الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار" وهو القاسم بن فيره[٣] بن خلف ابن أحمد، أبو القاسم - وأبو محمد - الشاطبي الرعيني الضرير (٥٣٨-٥٩٠هـ/١١٤٤-١١٩٤م)، وأجمع وصف له ما ذكره ابن الجزري عنه، بقوله:«كان إماما كبيرا، أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظا للحديث بصيرا بالعربية، إماما في اللغة، رأسا في الأدب مع الزهد والعبادة.. .»[٤].

وقد عمد الشاطبي إلى ما دونه أبو عمرو الداني في كتبه فلخصه ونظمه في ثلاث منظومات هي:

١ - "حرز الأماني" وهي المعروفة "بالشاطبية"، اختصر فيها كتاب "التيسير في القراءات

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٨، ٣٩، ٤٠، غاية النهاية لابن الجزري ٣٢٤/١.

٢) غاية النهاية ٨٣/١، الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ١٩٤/١، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٢ (ط بيروت). وراجع برنامج المجاري الأندلسي ص ٩٥ (ط دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٢م).

٣) فيره (Ferro): بكسر الفاء بعدها ياء ساكنة ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء، وهو لفظ لطيني من أعاجم الأندلس، ومعناه (الحديد) راجع غاية النهاية لابن الجزري ٢٠/٢.

٤) غاية النهاية لابن الجزري ٢١/٢، نفح الطيب للمقري ٢٤/٢ وراجع عنه الذيل والتكملة ٥٤٨/٥، معجم الأدباء لياقوت ٢٩٣/١٦، طبقات المفسرين للداودي ٤٣/٢ وما بعدها، البداية والنهاية ٦/ ٩٠٢ ط دار الغد العربي، شذرات الذهب ٣٠١/٤.

السبع" لأبى عمرو الدانى. وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا. وهذه المنظومة «لم يسبق إليها ولم يلحق فيها»[١]. وقال عنها ابن خلكان: (المتوفى ٦٨١هـ/١٢٨٢م) «ولقد أبدع فيها كل الإبداع»، وهى عمدة قراء الزمان فى نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها، وهى مشتملة على رموز عجيبة وإشارات لطيفة، وما أظنه سبق إلى أسلوبها»[٢]. وقال ابن الجزرى: «عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره فى هذا الفن، بل أكاد أن أقول: و لا فى غير هذا الفن، فإننى لا أحسب أن بلدا من بلاد الإسلام يخلو منه»[٣].

٢ - " عقيلة أتراب القصائد فى بيان رسم المصاحف العثمانية" اختصر فيها كتاب "المقنع" للدانى.

٣ - "ناظمة الزهر فى علم الفواصل"، اختصر فيها كتاب "البيان فى عد آى القرآن" للإمام أبى عمرو الدانى أيضا.

وقد أنجب من تلاميذه عدد لا يحصون من المشارقة الأندلسيين، وانتشرت قصائده فى جميع الآفاق لا سيما "الشاطبية" التى تلقاها الناس بالقبول، وكتبت عليها شروح كثيرة للأندلسيين، منها "شرح" لأبى العباس أحمد بن على بن محمد بن الأندلسى (المتوفى ٦٤٠هـ/ ١٢٤٧م)[٤]. و"شرح" آخر للعلامة المقرئ القاسم بن أحمد المرينى اللورقى الشافعى (المتوفى ٦٦١هـ/١٢٦٢م)[٥].

وفى القرن الثامن الهجرى كثرالتصنيف الأندلسى فى علم القراءات، ويتحدد هذا التصنيف بشكل خاص فى اتجاهين اثنين:

الاتجاه الأول: التأليف فى قراءة نافع، ويمثل هذا الاتجاه "منظومة الدرر اللوامع فى قراءة الإمام نافع" من روايتى ورش وقالون، لأبى الحسن على بن محمد التازى المعروف بابن برى (المتوفى حوالى ٧٣١هـ/١٣٢٠م). وهذا العالم - وإن كان مغربيا من الرباط - إلا أن

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ٩٠٢/٦ (ط دار الغد العربى بالقاهرة).
٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٣٤/٣.
٣) غاية النهاية لابن الجزرى ٢ / ٢٢.
٤) نفح الطيب للمقرى ١٣٧/٢، وغاية النهاية لابن الجزرى ٨٧/١.
٥) نفح الطيب للمقرى ١٣٧/٢، غاية النهاية١٥/٢-١٦.

منظومته تلك لاقت انتشارا فى الأندلس[١]. وتقع فى (٢٧٣) بيتا، وتشتمل على مقدمة وسبعة عشر فصلا. وسلك فيها مؤلفها طريق أبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ) دون غيره من الطرق، كما أورد فيها من حجج أحكام القراءة وعللها وتوجيهاتها ما أمكن[٢].

والاتجاه الثانى: التصنيف فى القراءات السبع. ويمثله كتاب "الدر النثير والعذب النمير فى شرح كتاب التيسير" لعبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السداد المالقى الأندلسى (المتوفى ٧٠٥هـ/١٣١٥م) قال عنه ابن الجزرى: «أستاذ كبير، شرح كتاب التيسير شرحا حسنا أفاد فيه وأجاد»[٣]. وقد ختمه بنظم "فى زوائد قالون" وآخر فى "زوائد ابن كثير"، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما فى بيان مواطن الموافقة والمخالفة بين ثلاثة من أئمة القراءات فى الأندلس، وهم أبو عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) فى كتابه "التيسير" ومكى ابن أبى طالب (المتوفى ٤٣٧ هـ/١٠٤٥م) فى كتابه "التبصرة" ومحمد بن شريح (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) فى كتابه "الكافى"، وذلك بعدما انتهى المؤلف من شرح كتاب الدانى شرحا وافيا. ولا شك فى أن ابن أبى السداد عند اختياره للدانى ومكى ومحمد بن شريح يكون قد اعتمد على أشهر الأساتذة القراء فى الأندلس، بل وفى العالم الإسلامى كله، حيث إن كتبهم قد ذاعت واشتهرت، كما أن أقوالهم واختياراتهم قد اعتبرت الأساس فى الخلاف العالى فى القراءات القرآنية[٤].

ومن المجالات التى انفرد الأندلسيون بالتصنيف فيها: كيفية جمع القراءات، وقد ألف فى ذلك أبو الحسن على بن سليمان بن أحمد بن سليمان أبو الحسن الأنصارى القرطبى المتوفى (٧٣٦هـ/١٣٣٥م). صنف كتاب "ترتيب الأداء وبيان الجمع فى الإقراء" وقد اعتمد عليه ابن الجزرى فى مصنفه "النشر فى القراءات العشر"[٥]، ونص على أنه لم يطلع على كتاب فى هذا الموضوع سوى هذا الكتاب[٦].

---

١) راجع برنامج أبى عبد الله محمد المجارى الأندلسى المتوفى ٨٦٢هـ/ ص ٩٦ (ط دار الغرب الإسلامى بيروت - لبنان ط (١٩٨٢) بتحقيق محمد أبو الأجفان).

٢) راجع بحثا عن: التأليف فى القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس فى القرن الثامن الهجرى للأستاذ حسن عزوزى - مجلة الحضارة الإسلامية التى تصدر عن المعهد الوطنى للتعليم العالى للحضارة الإسلامية بوهران بالمغرب - العدد الأول ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - ص ٢٤٩.

٣) ابن الجزرى ١/٤٧٧.

٤) راجع البحث بمجلة الحضارة الإسلامية ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

٥) ابن الجزرى: النشر فى القراءات العشر ٢ /٢٠٤.

٦) راجع غاية النهاية ١/٥٥٤.

تعقيب ومقارنة:

وبعد هذا الاستعراض السريع لإسهامات بعض علماء الأندلس فى علم القراءات يمكن أن نخرج بالاستنتاجات التالية:

أولا: إن حركة التأليف بالأندلس فى مجال القراءات بدأت فى وقت مبكر تزامن مع بداية التوجه العام للأندلس نحو الثقافة المشرقية، ثم نشطت هذه الحركة بعد انتهاء المائة الرابعة للهجرة، وظلت على هذا النشاط إلى ما بعد القرن الثامن، وما بين هذين القرنين، قدم الأندلسيون تراثا خالدا فى علم القراءات، وتبوأت بعض مؤلفاتهم الصدارة فى مغرب العالم الإسلامى ومشرقه كالتيسير للدانى، وحرز الأمانى للشاطبى.

ثانيا: تنوعت المؤلفات الأندلسية فى علم القراءات ويمكن توزيعها على نفس الاتجاهات التى ظهرت فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، فبعضها فى القراءات المفردة وخصوصا "قراءة نافع"، وكثير منها فى القراءات عامة، وخصوصا فى القراءات السبع، وبعضها فى تعليل القراءات والاحتجاج لها وتوجيهها والترجيح بينها. كما أن بعض هذه المؤلفات خصصت لدراسة العلوم المساعدة لفن القراءات، كعلم الوقف والابتداء، وعلم رسم المصحف وهجائه، وعلم التجويد وغيرها. بالإضافة إلى الاتجاه نحو وضع "المختصرات" لبعض الكتب الوافدة من المشرق لتبسيطها وتقريبها. ومن الجدير بالذكر أن العلماء الأندلسيين الذين درسوا كتب المشارقة فى علم "القراءات" هم الذين تولوا حركة التأليف ونسجوا مؤلفاتهم على مثال هذه الكتب ومناهجها.

ثالثا: ولعل ما يثير الانتباه عند النظر إلى إنتاج الأندلسيين فى هذا الميدان وفرة "المنظومات" التى وضعت فى هذا الفن، وكان الهدف منها تبسيط علم القراءات وتقريب أصوله وقواعده، وقد تطور الاهتمام بالنظم منذ القرن الخامس بالأندلس ليصبح فى القرن الثامن أمرا طبيعيا فى ميدان التصنيف تنساق إليه ملكات المؤلفين من القراء.

رابعا: إن ما ذكرناه من مؤلفات بعض الأندلسيين فى القراءات وما يتفرع عنه من فنون ليس هو كل ما أنتجته العقلية الأندلسية، فهذا قليل من كثير، وما من عالم فى العلوم الإسلامية بالأندلس - وخصوصا فى علوم القرآن - إلا وله مشاركة فى القراءات إما بالتعليم والإقراء أو بالتأليف والتصنيف.

خامسا: لقد انصرف الأندلسيون فى بداية نهضتهم العلمية فى مجال القراءات إلى دراسة المصادر المشرقية الوافدة إلى الأندلس، وقد كانت كثيرة، وكان لهذه المؤلفات الهيمنة على

الدراسات فى هذا المجال، واعتمدوا عليها فى وضع مصنفاتهم، وأدخلوها فى برامجهم التعليمية، ومع مرور الزمن قل الاعتماد عليها. وعمد المتأخرون منهم إلى الاعتماد على الإنتاج الأندلسى شرحا واختصارا ونظما، ولا سيما مؤلفات أبى عمرو الدانى ومحمد بن شريح الرعينى ومكى ابن أبى طالب والشاطبى. ولا يعنى ذلك أنهم انصرفوا عن دراسة أمهات كتب القراء المشارقة، فقد ظل التأثر بها قويا إلى جانب المؤلفات الأندلسية "كالتيسير" و"الكافى" و"جامع البيان" و"التبصرة" و"الشاطبية" وغيرها، وهذا يعنى أن الأندلسيين لم يكن فى وسعهم الاستغناء عن الإنتاج المشرقى رغم جنوحهم نحو التميز والخصوصية العلمية. وما يقال عن القراءات هنا فى هذه الجزئية الأخيرة ينطبق على علم التفسير وغيره من علوم القرآن.

***

ثانيا: التفسير وعلومه

توطئة: إن نشأة علم التفسير فى الأندلس تختلف عن نشأته فى المشرق؛ فنشأته فى المشرق نشأة ولادة وتكوين، وأما فى الأندلس فهى نشأة تلقى وإضافة. بمعنى أن الأندلسيين تلقوا علم التفسير ومادته ومناهجه عن المشارقة، وجلبوا مصادره على اختلاف اتجاهاتها إلى بلادهم[1]، وأدخلوها فى برامجهم التعليمية، وأضافوا إليها، ودونوا تفاسير رائدة للقرآن الكريم، كان لها مكانة كبيرة، وانكشف لهم فيها من المعانى والمعارف ما لم يظهر لغيرهم.

ولم يكن أعلام مدرسة الأندلس فى التفسير بالكثرة التى كانت عليها المدرسة البغدادية/المشرقية، وليسوا أيضا بالقلة: فقد وردت فى كتب التراجم والطبقات أسماء كثير من المفسرين الأندلسيين، إلا أن مؤلفاتهم ضاعت أو أحرقت كغيرها من العلوم عند سقوط الأندلس. وفيما يلى نعرض بحسب التسلسل التاريخى لإنجازات الأندلسيين فى هذا المجال.

إنجازات الأندلسيين فى علم التفسير:

النوع الأول: التفسير بالمأثور:

اعتمد رجال المدرسة الأندلسية التفسير بالمأثور، وأنزلوه منزلته، وعرفوا أهميته، إلا أن اعتمادهم هذا لم يكن عملا آليا يخلو من النظر والتفكر والموازنة والترجيح. وقد جعلوا القرآن نفسه العمدة فى تفسير آياته وتحديد مقاصده، وبيان أغراضه، ورجعوا إليه فى بيان الأحكام

---

١) راجع المبحث الخاص بانتقال كتب التفسير المشرقية إلى الأندلس (بداية من ص٤٩٧)، وراجع الملحق الخاص بهذه الكتب (ص ١٠٣٥).

الشرعية والقضايا العقدية. وأدركت هذه المدرسة مكانة الأحاديث النبوية التى تبين المحكم من القرآن وتشرح المبهم وتفسر المشكل وتحدد الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد وما شابه ذلك. وهذا هو أحد قواعد التفسير بالمأثور[١].

وأول إضافة تنسبها المصادر إليهم كتاب "التفسير" لعبد الرحمن بن موسى الهوارى الأستجى (المتوفى ٢٢٨هـ/٨٤٢م) من أهل أستجة، وكان يترل قرطبة كثيرا، وله رحلة إلى المشرق لقى فيها الإمام مالكا وسفيان بن عيينة. قال عنه ابن الفرضى: «له كتاب فى تفسير القرآن، رأيت بعضه، وكان يرويه عنه محمد بن أحمد العتبى»[٢]. صاحب "العتبية" المشهورة بالمستخرجة[٣]، ومسيب بن سليمان الأستجى[٤] وعن طريقهما انتشر هذا التفسير بالأندلس، فرواه عن العتبى: أبو عبد الله محمد بن لبابة القرطبى (المتوفى ٣١٤هـ/٩٢٦م»[٥]، ورواه عن المسيب: ميكائيل بن هارون الأستجى[٦].

ومن أوائل الذين صنفوا "تفسيرا" للقرآن قبل أن ينتهى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى: أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م)، ويقع تفسيره فى ستين جزءا كما يقول القاضى عياض فى ترتيب المدارك[٧]. وابن حبيب معدود فى كبار علماء الأندلس، وهو من المكثرين من التأليف فى فنون كثيرة، كالفقه والحديث والتاريخ وعلوم القرآن[٨].

وفى الفترة نفسها صنف أبو إسحق إبراهيم بن حسين بن خالد ابن مرتنيل القرطبى (المتوفى

---

١) د. فهد عبد الرحمن الرومى: منهج المدرسة الأندلسية فى التفسير: صفاته وخصائصه، وهو بحث مقدم إلى ندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م. الجلسة الثانية – البحث الثانى – ص ٨-٩.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ١ / ٣٠٠.

٣) راجع عن المستخرجة (ص ٧٥٤) من المبحث الخاص بالفقه.

٤) ترتيب المدارك لعياض ٥٠٨/١، الديباج المذهب لابن فرحون ٤٧١/١، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١٥٠/٢، طبقات المفسرين للداودى ٢٩٧/١.

٥) ابن الفرضى: المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة، المقريزى: المقفى الكبير ٧٨/٤، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٣، ٢٥٤، الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ٢٣٤.

٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ١٥٠/٢.

٧) ترتيب المدارك: للقاضى عياض ٣٦/٢.

٨) ذكرنا عنه بعض التفصيل فى المبحث الخاص بإنجازات الأندلسيين فى علم الحديث (ص ٧٤٤، ٧٤٦) والفقه (ص ٧٥٣)، والطب (ص ٩٠٧) والتاريخ (ص ٨٢٦).

٢٤٧هـ/٨٦١م) "تفسيراً" رواه عنه الأندلسيون. وقد كانت له رحلة إلى المشرق لقى فيها ابن هشام صاحب "السيرة"[١].

وأهم تفسير للقرآن ظهر فى الأندلس قبل انتهاء القرن الثالث والذى يعد مفخرة للأندلسيين هو "تفسير" بقى بن مخلد بن يزيد، أبى عبد الرحمن القرطبى (المتوفى٢٧٦هـ/٨٨٩م). وقد كان ابن حزم المؤرخ والفقيه القرطبى المشهور (المتوفى٤٥٦هـ/١٠٦٣م) يفضل هذا التفسير على "تفسير" محمد بن جرير الطبرى البغدادى (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)، فيقول فى معرض حديثه عن فضل علماء الأندلس فى مجالات العلوم المختلفة: «وفى تفسير القرآن: كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد، فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه أنه لم يولف فى الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره»[٢].

وليس لنا أن ننساق وراء تلك المفاضلة بين التفسيرين؛ لأننا لا نملك الدليل المادى الذى نسترشد به على مدى صحة هذا الحكم؛ لأن تفسير بقى بن مخلد فى عداد الكتب المفقودة، ولكن هذه المقارنة فى حقيقتها تعطينا شيئا من التصور لما كان عليه هذا التفسير الأندلسى باعتبار ما كان عليه مؤلفه من مكانة علمية كبيرة لا تقل عن المكانة التى عرفت عن ابن جرير الطبرى. ومن الجدير بالذكر أن بقى بن مخلد تلقى علما جما عن علماء بغداد، وبالغ فى الجمع والرواية وتحصيل المصنفات المشرقية الكبار[٣].

وقد لقى تفسير ابن مخلد قبولا واسعا بالأندلس[٤]، واستمر الاهتمام به فى أجيال متعاقبة، وكتبت له عدة مختصرات، منها مختصر لأبى محمد الكلاعى عبد الله بن محمد بن حسن القرطبى (المتوفى ٣١٨هـ/٩٣٠م»[٥].

---

١) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١٦/١، ترتيب المدارك للقاضى عياض ١٣٦/٢، طبقات المفسرين للداودى ٨/١-٩، المقفى للمقريزى ١٤١/١، وله ترجمة فى بغية الملتمس للضبى ص ٢٠١، جذوة المقتبس للحميدى ص ١٤٥، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٨٤ (ط بيروت/ مجلد واحد).

٢) رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس المذكورة فى نفح الطيب ١٦٨/٣، بغية الملتمس للضبى ٢٤٥/١، جذوة المقتبس للحميدى ٢٧٤/١، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١٠٧/١-١١٠، معجم الأدباء لياقوت ٧٧/٧، طبقات المفسرين للداودى ١١٨/١-١١٩، الصلة لابن بشكوال ١١٧، سير أعلام النبلاء للذهبى ٢٨٨/١٣.

٣) راجع دور بقى بن مخلد فى إدخال علم الحديث وكتبه إلى قرطبة (ص ٥١٧-٥٢٠).

٤) راجع تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ٣٤/٢، بغية الملتمس للضبى ص ٥١-٥٢ رقم (٢٦)، طبقات المفسرين للداودى ٣٣/١-٣٤ (رقم ٣٠).

٥) طبقات المفسرين للداودى ٢٥٣/١ (رقم ٢٣٦).

ويتميز القرن الرابع الهجرى فى الأندلس بمجهودات علمية فى تفسير القرآن بالمأثور استفادت من الحصيلة السابقة عنها، ومما أدخله الأندلسيون من مرويات عديدة ومصنفات جديدة فى هذا المجال. وإذا تركنا جانبا مجموعة المفسرين الذين وصفتهم كتب التراجم بإتقان التفسير والتمكن فيه ورواية كتبه دون أن تذكر لهم تواليف فى هذا العلم[١]. فإننا نلتقى بعدد من أعلام هذا القرن خلفوا آثارا علمية مكتوبة فى تفسير القرآن بالمأثور نذكر منهم:

١ - عبد الله بن حنين بن عبد الله بن عبد الملك الكلابى المالكى أبو محمد القرطبى المعروف بابن أخى ربيع الصباغ (المتوفى ٣١٨هـ/٩٣٠م) قال الداودى: «له كتاب التفسير.. .. وكان من أهل العلم واليقين والمروءة، وكتب الناس عنه بالمشرق».وقال أيضا: «كان معتنيا بالحديث إماما فيه بصيرا بعلله حسن التأليف فيه، وله تآليف فى معرفة الرجال وعلل الحديث»[٢].

٢ - عبد الله بن مطرف بن محمد المعروف بابن آمنة القرطبى (المتوفى٣٤٠هـ/٩٥١م)، ألف كتابا فى التفسير حذف منه الإسناد، ورآه ابن الفرضى صاحب "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس "[٣].

٣ - محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المرى، أبو عبد الله الإلبيرى نزيل قرطبة المعروف بابن أبى زمنين[٤] (المتوفى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م) كان من كبار المحدثين والفقهاء والراسخين فى العلم وأجل أهل وقته فى الرواية والحفظ والتمييز والمعرفة باختلاف العلماء. وصنف عدة كتب، منها كتاب فى "تفسير القرآن" وقد ظل هذا التفسير متداولا فى الأندلسى إلى عصر أبى عبد الله محمد المجارى الأندلسى (المتوفى ٨٦٢هـ/١٤٥٧م) سمعه على شيخه أبى عبد الله محمد بن على الأنصارى الغرناطى الشهير بالحفار[٥]. كما أنه اختصر "تفسير" يحيى بن سلام التميمى القيروانى (المتوفى ٢٠٠هـ/٨١٥م)[٦]، زاد فيه بعضا مما لم يذكره يحيى بن سلام

---

١) راجع على سبيل المثال تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١٤٦/٢، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٨٢، الصلة لابن بشكوال ٣٠٨/١، جذوة المقتبس للحميدى ٦١٥/٢، طبقات المفسرين للداودى ٧/٢، شجرة النور الزكية ٩٥/١.

٢) طبقات المفسرين للداودى ٢٣٤/١-٢٣٥، وله ترجمة فى بغية الملتمس للضبى ٣١٧، والجذوة للحميدى ٣٣٣، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٣٩.

٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ٢٦٩/١، إيضاح المكنون ٣٠٢/٣.

٤) زمنين: بفتح المعجمة وكسر النون ثم ياء ساكنة بعدها نون.

٥) برنامج المجارى ص ١١٢.

٦) راجع ما ذكرناه عن تفسير يحيى بن سلام ص ٥١٣.

من تفسير وإعراب وصرف، فضلا عن التأويلات الفقهية التى عضدها بالأدلة اللغوية وغيرها[١].

إن هذه التفاسير - وإن كانت قليلة من حيث الكم - إلا أنها متميزة بما تعكسه من اتباع وإبداع، وقد تجلى فيها أثر الاستفادة من عطاءات المرحلة السابقة عنها، إما بالنقل أو الاحتذاء أو الاستيعاب والاختصار، وإما بمحاولة تجاوز طابع كتابة التفسير بذكر الإسناد إلى مرحلة الاختصار وحذف الأسانيد. كما تميزت بظهور العديد من تفاسير (أحكام القرآن)، وهذا النوع الأخير سيأتى ذكره فى موضع لاحق من المبحث - إن شاء الله[٢].

فإذا انتقلنا إلى **القرن الخامس الهجرى** فسنجد أن هذا القرن عكس اتساع وتزايد اهتمام الأندلسيين بتفسير القرآن وفروعه، وظهر مفسرون كبار يمكن اعتبارهم من أعمدة مدرسة التفسير بالأندلس، وهؤلاء المفسرون وإن كانوا قد حاولوا الإبداع وتأصيل هذا العلم من جهتهم ظلوا أوفياء للصلات العلمية التى تربطهم بمدرسة التفسير البغدادية / المشرقية.

وإلى جانب جماعة المفسرين الذين وصفوا بتعاطى أو رواية كتبه دون أن يذكر لهم مؤلفات فيه[٣]، أقول: إلى جانب هؤلاء - وهم كثير - ألف عدد من أعلام هذا القرن مجموعة من كتب التفسير بالمأثور، نذكر منها اثنين:

١ - "تفسير القرآن" فى نحو مائة جزء، لأحمد بن محمد بن عبد الله بن قزلمان المعافرى الطلمنكى (المتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)[٤]. كان أحد الأئمة فى علوم القرآن: قراءاته وإعرابه، وأحكامه وناسخه ومنسوخه، ومعانيه، حافظا للسنن جامعا لها، إماما فقيها عارفا بأصول الديانات[٥]، وقد مر ذكره فى علم القراءات[٦].

٢ - "الهداية إلى بلوغ النهاية فى تفسير القرآن وأنواع علومه" لأبى محمد مكى بن أبى

---

١) طبقات المفسرين للداودى ٢/١٦٥-١٦٦، الصلة لابن بشكوال ص ٤٨٢-٤٨٣، شجرة النور الزكية ١/١٠١.

٢) راجع عنه ص ٧١٥-٧١٧ .

٣) راجع على سبيل المثال: الصلة لابن بشكوال ص ٦٠، ٦٥، ٦٦- ٦٨، ٧١، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٨٥، ٣٦٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٩، ٤١٤، ٤٧٠-٤٧٢، بغية الملتمس للضبى ص ٤٧٣ (رقم١٣٨١)، غاية النهاية لابن الجزرى ١/٤٢٠، طبقات المفسرين للداودى ١/٩٤، ٢/٢٣٥-٢٣٦، ٢/٤٢.

٤) الديباج لابن فرحون ص ٣٩ (ط بيروت)، طبقات المفسرين للداودى ١/٧٩-٨٠

٥) الصلة لابن بشكوال ص ٤٤ - ٤٥.

٦) راجع عنه (ص ٦٩٧).

طالب القيروانى (الأصل) القرطبى (المتوفى ٤٣٧هـ/١٠٤٥م). وهو من كبار علماء الأندلس، ومن أهل التبحر فى علوم القرآن، وكان من المكثرين من التأليف فى علم القراءات، وقد ذكرنا جهوده فى هذا العلم[١]، وأما تفسيره المذكور[٢] فهو كتاب كبير جدا، ويقع فى سبعين جزءا كما يقول ابن خير[٣]. وقد تناقله العلماء وأظهروا محاسنه، وكشفوا عن مزاياه، واعتمده كل من جاء بعده من علماء الأندلس كمصدر من أهم مصادر التفسير، وبلغ من شهرته عندهم أن صار مكى يعرف بصاحب "التفسير". ومن المفسرين الأندلسيين الذين اعتمدوا عليه: ابن عطية (المتوفى ٥٤١هـ/١١٤٦م) فى تفسيره "المحرر الوجيز"، وكان موقفه أنه يستشهد بكلام مكى ابن أبى طالب دون أن يعقب عليه، وأحيانا يردف كلامه بالتعقيب عليه[٤].

وقد جمع مكى بن أبى طالب كل ما قاله الإمام مالك فى التفسير فى كتاب خاص سماه كتاب "المأثور عن مالك فى أحكام القرآن وتفسيره"[٥]. ويقع فى عشرة أجزاء، وهذا الكتاب - وإن كان مفقودا - إلا أن مؤلفه ذكر جميع ما فيه فى تفسيره المذكور "الهداية"[٦]. وستكون لنا عودة إلى مؤلفاته فى علوم القرآن: إعرابه وناسخه ومنسوخه وغريبه ومتشابهه... الخ[٧].

وفى **القرن السادس الهجرى** استوى علم التفسير على سوقه، وظهر مفسرون كبار احتذى الناس حذوهم فى مناهج التفسير والتأليف، وكانت لمؤلفاتهم الزيادة فى هذا المجال بالأندلس، بل وأصبحت من أهم مصادر التفسير المعتمدة فى الحضارة الإسلامية.

وقد ترجمت المصادر لعدد كبير من المفسرين الأندلسيين الذين وصفوا بنبوغهم فى التفسير دون أن يعرف عنهم تأليف فى هذا العلم خلال القرن السادس الهجرى. ويطول المقام إذا تتبعنا

---

١) راجع عنه (ص٦٩٧) وراجع مصادر ترجمته بالحاشية رقم ٢ من نفس الصفحة.

٢) ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ١٦٩/١٩، ابن خلكان فى الوفيات ٢٧٥/٥، الداودى فى طبقات المفسرين ٣٣٢/٢-٣٣٨.

٣) فهرسة ابن خير ص ٤٤.

٤) د. عبد الوهاب فايد: منهج ابن عطية فى تفسير القرآن ص ١٠٦ - ١٠٨ (ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٥) معجم الأدباء لياقوت ١٧٠/١٩، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٢/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢٧٦.

٦) راجع بحثا بعنوان: مدرسة التفسير الأندلسية وجهودها فى جمع تفسير الإمام مالك - مجلة الحضارة الإسلامية - يصدرها المعهد الوطنى للتعليم العالى للحضارة الإسلامية - وهران، بالمغرب - العدد الأول - السنة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣ - ص ٢٨٢.

٧) راجع عن ذلك (ص٧١٨، ٧٢٦).

أسماءهم[١]. وأما الذين خلفوا أعمالا رائدة كانت بمثابة المرجعية الأساسية لمن جاء بعدهم من متعاطى التفسير فأبرزهم اثنان متعاصران:

الأول: أبو بكر بن العربى: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن العربى المعافرى الإشبيلى (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م) قال عنه تلميذه ابن بشكوال: «الإمام الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها» وقال أيضا: «كان من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدما فى المعارف كلها متكلما فى أنواعها نافذا فى جميعها حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن فى تمييز الصواب منها[٢]. وكانت له رحلة إلى المشرق، دخل الشام وبغداد ومصر «وعاد بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق»[٣]. وكتب مؤلفات عديدة فى علوم القرآن والفقه وأصوله والحديث وأصول الدين واللغة والنحو والتاريخ والرقائق[٤]. صنف فى التفسير كتاب "أحكام القرآن" ومختصرا له، وسنعود إليه. وكتاب "أنوار الفجر المنير فى التفسير"[٥]، وهو أعظم كتاب له، وكان كثيرا ما يفتخر به ويشيد بأهميته فى مختلف كتبه، ذكر أنه ألفه فى مدة عشرين عاما وأن به ثمانين ألف ورقة، ولم يصل إلينا شئ منه فيما نعلم[٦]، وقد أشار ابن فرحون إلى أنه يقع فى ثمانين مجلدا، وذكر له كتابا آخر فى التفسير بعنوان "القانون فى تفسير القرآن العزيز"[٧].

والثانى ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى الأندلسى (المتوفى٥٤١هـ/ ١١٤٦م). من أهل غرناطة؛ إمام مفسر فقيه محدث لغوى أديب. صنف فى التفسير كتاب

---

١) راجع على سبيل المثال: الصلة لابن بشكوال ص ٨٣، ٢١٣، ٢٩٤ - ٢٩٥، ٣٤٨ - ٣٤٩، بغية الملتمس للضبى ٩٠، ١٣٢، ٤٢٧، ٤٧٣، أزهار الرياض فى أخبار عياض للمقرى ٧٦/٣، نفح الطيب للمقرى ١٨٥/٢، طبقات المفسرين للداودى ٥٤/١- ٥٦، ص ٨٥ - ٨٦، ص ٨٧، ١٧٦/٢، ١٨٧، ٢٨١، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٠٢ (ط بيروت)، غاية النهاية لابن الجزرى ٨٣/١، ٣٩٢/٢.

٢) الصلة لابن بشكوال ص ٥٩٠-٥٩١.

٣) الصلة ص ٥٩١. ومن مصادر ترجمته أيضا: نفح الطيب للمقرى ٢٥/٢، بغية الملتمس للضبى ص ٨٢، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٨١/١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٢٤/٣، طبقات المفسرين للداودى ١٦٧/٢ - ١٦٨، أزهار الرياض للمقرى ٦٢/٣.

٤) سيكون لنا عودة إلى ابن العربى لبيان جهوده فى علم الفقه والحديث وغيرهما (راجع ص ٧٣٨، ٧٦٥، ٧٧٠).

٥) المقرى: نفح الطيب ٢٤٢/٢، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٨٣/١، هدية العارفين ٩٠/٢.

٦) د. عمار طالبى: آراء أبى بكر بن العربى الكلامية ٦٧/١ (ط الجزائر).

٧) الديباج المذهب ص ٢٨٣ (ط دار الكتب العلمية بدون تاريخ مجلد واحد).

"المحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز"، تلقاه الناس بالقبول والاهتمام، وظل عمدة فى التفسير لدى شيوخ العلم وطلبته، وراج رواجا عظيما. وأجمع العلماء الذين ترجموا لابن عطية وأرخوا لحياته على أن تفسيره كان له فى عالم الإسلام شأن عظيم، ومن ثم تناقله العلماء، وانتشر فى كل مكان فى الشرق والغرب. قال عنه النباهى: «جاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف»[١]. وقال ابن بشكوال: «لم يوضع مثله البتة»[٢]. وقال الضبى: «أربى فيه على كل متقدم»[٣]. ووصفه ابن الأبار بأنه كتاب جليل كتبه الناس كثيرا، وسمعوه منه وأخذوه عنه[٤]. ونجد السيوطى يثنى عليه وعلى مؤلفه فيقول: «هو أصدق شاهد له بإمامته فى العربيه وغيرها»[٥].

وقد أبرز لنا الإمام محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى (المتوفى٧٤١هـ/١٣٤٠م) القيمة العلمية لتفسير ابن عطية فى كلمات موجزة قائلا: «وأما ابن عطية فكتابه أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر، محافظ على السنة».

إن هذه الأقوال كلها إن دلت على شئ فإنما تدل على ما لاحظه هؤلاء العلماء فى تفسير ابن عطية من قيمة علمية ومكانة مرموقة، وقد أظهر العلماء عبر العصور التاريخية محاسنه وكشفوا مزاياه وسجل كل واحد منهم ما لاحظه فيه ورآه. والحق أن هذا التفسير «كان يمثل فى عصره مرحلة جديدة من المراحل التى مر بها علم التفسير فى تاريخه الطويل، وكان من أبرز الخصائص لهذه المرحلة التى يمثلها تفسير ابن عطية هو الجمع بين المأثور والرأى، والعناية التامة بجمع القراءات وتوجيهها والحيطة فى الأخذ بالإسرائيليات»[٦].

وقد كان التفسير فى **القرن السابع الهجرى** امتدادا لما كان عليه الأمر فى القرن السادس، وبعد أن كان اعتماد المفسرين الأندلسيين فى المقام الأول على كتب المشارقة ظهر الميل إلى الاعتماد على تفاسير الأندلسيين والمغاربة مثل مكى بن أبى طالب (ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) والمهدوى (توفى فى حدود ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) والزهراوى (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م)

---

١) المرقبة العليا للنباهى ص ١٠٨.

٢) بغية الملتمس للضبى ترجمة (رقم ١١٠٢).

٣) المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى ص ٢٦١.

٤) بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ص ٧٣.

٥) ابن جزى - التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٠ (ط مصطفى محمد الحلبى - الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ).

٦) د. عبد الوهاب فايد: منهج ابن عطية فى تفسير القرآن ص ٢٦٩ - (ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

وابن عطية (ت ٥٤١هـ/١١٤٦م) وابن العربى (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) وغيرهم، إلى جانب الرجوع إلى تفاسير مشرقية جديدة كتفسير الزمخشرى (المتوفى٥٣٨هـ/١١٤٣م) وتفسير الفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وتفسير الماوردى (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

وظاهرة أخرى تميز بها علم التفسير بالأندلس فى القرن السابع، وهى اتساع قاعدة التفسير الصوفى وظهور أسماء جديدة فى هذا المجال عرفت بشهرتها فى الشرق والغرب كابن عربى وغيره.

وإلى جانب الجم الغفير من متعاطى التفسير فى القرن المذكور ولم يعرف لهم كتاب فيه برز عدد من المفسرين أضافوا إلى هذا العلم تراثا متميزا، نذكر منهم: أبا محمد عبد الكبير بن محمد بن عيسى الغافقى المرسى نزيل إشبيلية (المتوفى ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، جمع بين تفسير ابن عطية (الأندلسى) وتفسير الزمخشرى (المشرقى»[١]. وأبا الحسن على بن أحمد الحرالى (باللام) الأندلسى (المتوفى بحماة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ذكر فى تفسيره قواعد هى بمنزلة أصول الفقه من الأحكام، وحاز إعجاب المشارقة[٢]. ومحيي الدين بن عربى: محمد بن على بن محمد الطائى المرسى الصوفى (المتوفى ٦٣٨هـ/١٢٤٠م»[٣].وشرف الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى الشافعى (المتوفى ٦٥٥هـ/١٢٥٧م»[٤]، وأبا سعيد الشلوبين: محمد بن يحيى بن أحمد بن خليل الإشبيلى (المتوفى ٦٤٠هـ/١٢٤٢م»[٥]، ابن أبى جمرة: عبد الله بن سعد الأزدى الأندلسى (المتوفى بمصر ٦٩٩هـ/١٢٩٩م»[٦].

ولعل أشهر مفسر أندلسى فى القرن السابع الهجرى هو محمد بن أحمد بن أبى بكر ابن فرج الأنصارى الخزرجى القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ/١٢٧٢م) صاحب كتاب "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان"[٧]. وهو تفسير مشهور ومتداول. وإذا اطلعنا

---

١) طبقات المفسرين للسيوطى ص ٥٩، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٧/١.

٢) نفح الطيب للمقرى ١٨٧/٢، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣١٧/٦، شذرات الذهب لابن العماد العكبرى ١٨٩/٥، البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ ص ٥-٦.

٣) غاية النهاية لابن الجزرى ٢٠٨/٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٣١/٧ (ط دار الغد العربى بالقاهرة)، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣٣٩/٦-٣٤٠.

٤) المقفى للمقريزى ١٢١/٦-١٢٢، معجم الأدباء لياقوت ٢٠٩/١٨، سير أعلام النبلاء للذهبى ج ٢٣ ص ٣١٢، الوافى بالوفيات للصفدى ٣٥٤/٣ (رقم ١٤٣٥).

٥) المقفى الكبير للمقريزى ٤٢٠/٧، طبقات المفسرين للداودى ٢٦٨/٢.

٦) كشف الظنون لحاجى خليفة ٤٣٧/١، هدية العارفين ٤٦٢/١.

٧) نفح الطيب ٢١٠/٢-٢١١.

على مقدمته يظهر لنا أنه ليس تفسيرا لآيات الأحكام فحسب، وإنما لجميع آيات القرآن، وإن كان مؤلفه أعطى آيات الأحكام تفصيلا كاد يغنى عن كتب الفقه المقارن لما فيه من عرض للآراء الفقهية وسوق للأدلة، إلا أنه التزم المذهب المالكى دون التعصب له[١].

وأهم كتابين فى علم التفسير خلال **القرن الثامن الهجرى** بالأندلس هما:

الأول: كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"[٢] لأبى القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى المالكى (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤٠م)، وهو عالم متفنن مفسر لغوى أصولى حافظ متقن[٣]. وهذ التفسير من التفاسير الوجيزة، وأشار مؤلفه إلى ذلك فى مقدمته[٤]. وبين مقاصده من تآليفه بأنها أربعة مقاصد تتضمن أربعة فوائد؛ الأولى جمع كثير من العلم فى كتاب صغير الحجم، تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين. والثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة. والثالثة: إيضاح المشكلات والرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح[٥].

الثانى: كتاب "البحر المحيط"[٦]، لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى الأندلسى نزيل مصر (٦٥٤-٧٤٥هـ/١٢٥٦-١٣٤٤م). قال عنه الداودى: «نحوى عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه»[٧]. وقال ابن الجزرى عن تفسيره (البحر): «لم يسبق إلى مثله، فى عشر مجلدات كبار، واختصره فى ثلاث مجلدات سماه "النهر الماد من البحر"، ونظم القراءات السبع فى قصيدة لامية سماه "عقد اللآلى" خالية من الرموز، وجعل عليها نكتا مفيدة»[٨].

---

١) راجع بحث: منهج المدرسة الأندلسية فى التفسير صفاته وخصائصه - ندوة الأندلس.. . ص ٥-٦.

٢) ذكره المجارى فى برنامجه ص ٨٧.

٣) له ترجمة فى أزهار الرياض للمقرى ١٨٤/٣، ١٨٥، نفح الطيب ٢٧٢/٣، ٣٥٦، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٩٥ (ط بيروت - مجلد واحد)، الدرر الكامنة لابن حجر ٣٥٦/٣ شجرة النور الزكية ٢١٣/١، الأعلام للزركلى ٢٢١/٦، معجم المؤلفين لرضا كحالة ٢٨٥/٨، ١١/٩.

٤) التسهيل لابن جزى ١ / ٤.

٥) التسهيل ج ١ ص ٤ - ٥٥ تحقيق اليونسى وإبراهيم عطوة (ط دار الكتب الحديثة - مصر).

٦) نفح الطيب للمقرى ٥٣٧/٢، أزهار الرياض للمقرى ٧٥/٥، غاية النهاية لابن الجزرى ٢٨٥/٢.

٧) طبقات المفسرين للداودى ٢٨٦/٢.

٨) غاية النهاية لابن الجزرى ٢٨٥/٢-٢٨٦، وراجع منهج أبى حيان فى تفسيره - المقدمة ج ١ ص ٤-٥ (دار الفكر ط ٢/ ١٤٠٣هـ).

النوع الثانى من التفسير: تفسير آيات الأحكام المعروف بالتفسير الفقهى[١]:

وفى موضع سابق - وفى إطار اعتماد الأندلسيين على المدرسة البغدادية فى مجال التفسير - عرفنا أسماء عدد من كتب التفسير الفقهى المعروفة بكتب "أحكام القرآن" دخلت الأندلس، ولا سيما كتب الأحكام المالكية[٢]، وقد انتهج جماعة من المفسرين الأندلسيين نهج هذه الكتب وصنفوا - عبر تاريخ الأندلس - مجموعة من كتب "أحكام القرآن"، وأغلبها - إن لم يكن كلها - على المذهب المالكى أى أن مؤلفيها التزموا هذا المذهب فى تفسير آيات الأحكام، وقرروا قواعده وبسطوا أصوله وفروعه.

ولم يقتصر أصحاب هذه الكتب على تقرير المذهب المالكى، بل كثيرا ما كانوا يعرضون آراء المذاهب الأخرى ويتوسعون فى ذلك، ويقارنون بين الأقوال والمذاهب، ثم يعمدون إلى الترجيح بينها، مما جعل تفاسير بعضهم أقرب ما تكون إلى موسوعات فقهية. ومن الجدير بالذكر أن أكثر المفسرين الأندلسيين الذين صنفوا أيضا فى "أحكام القرآن" واهتموا فيها بالجانب الفقهى أكثر من أى جانب آخر.

ويبدو أن أول كتاب للأندلسيين فى هذا الفن ظهر فى أوائل القرن الرابع الهجرى، وهو كتاب "أحكام القرآن" لأبى الأسود موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقطان (المتوفى٣٠٩هـ/ ٩٢١م)[٣] ويليه كتاب " أحكام القرآن" لأبى محمد قاسم بن أصبغ بن محمد البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠ هـ/٩٥١م) يقع فى اثنى عشر جزءا، صنفه على أبواب كتاب "أحكام القرآن" للقاضى إسماعيل بن إسحق البغدادى المالكى (المتوفى٢٨٢هـ/٨٩٥م)[٤]. وهذا الكتاب الأخير وصل إلى الأندلس كما ذكرنا من قبل[٥].

وفى سياق المفاخرة بعلماء الأندلس أثنى ابن حزم على كتابين فى "أحكام القرآن" لاثنين من علماء القرن الرابع الهجرى:

---

١) راجع المقصود بالتفسير الفقهى (ص ٨٣) من القسم الأول.

٢) راجع عن ذلك (ص ٥١٠).

٣) طبقات المفسرين للداودى ٣٤١/٢، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ٨١/١.

٤) نفح الطيب للمقرى ١٦٩/٣ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس)، بغية الملتمس للضبى ٤٤٨، جذوة المقتبس للحميدى ص ٣١١، طبقات المفسرين للداودى ٣٥/٢- ٣٦ معجم الأدباء لياقوت ١٦/ ٢٣٦-٢٣٧.

٥) راجع عن ذلك ص ٥١٠.

الأول: لابن آمنة الحجارى كتاب "أحكام القرآن"[١]. وكان ابن آمنة شافعى المذهب، ولعله بسط قواعده فى ذلك الكتاب.

والثانى: من تأليف قاضى الجماعة بقرطبة: منذر بن سعيد البلوطى (المتوفى٣٥٥هـ/ ٩٦٥م»[٢]. وكان ظاهرى المذهب قويا على الانتصار له، وأحد الذين أدخلوه قرطبة[٣].

وفى أواخر القرن الرابع الهجرى صنف أحمد بن على بن أحمد الباغانى المقرئ الأندلسى (المتوفى ٤٠١هـ/١٠١٠م) كتابا فى "أحكام القرآن" على مذهب مالك، وكان ابن عتاب يستحسنه، وكان الباغانى بحرا من بحور العلم لا نظير له فى علوم القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه[٤].

وأبرز علماء الأندلس الذين صنفوا فى أحكام القرآن خلال القرن الخامس

هو أبو محمد مكى بن أبى طالب القيروانى (الأصل) القرطبى (المتوفى ٤٣٧هـ/١٠٤٥م) صنف - إلى جانب تفسيره "الكامل" المسمى بالهداية[٥] - مختصرا لكتاب "أحكام القرآن" (فى أربعة أجزاء) للقاضى إسماعيل البغدادى المالكى. كما أنه جمع المأثور عن الإمام مالك فى أحكام القرآن وتفسيره[٦].

ومن مفاخر الأندلسيين فى هذا الفن كتاب "أحكام القرآن" لأبى بكر بن العربى محمد ابن عبد الله بن العربى المعافرى الإشبيلى (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م»[٧]، وهو كتاب حسن كما يقول ابن فرحون[٨]. وقد أفاض ابن العربى فى تفسير آيات الأحكام وتوسع فى ذلك، وكانت طريقته أن يذكر السورة وعدد آيات الأحكام فيها، ثم يأخذ فى شرحها آية آية، مبينا موضع نزولها وتاريخه وسببه إن وجد، مع الحديث عن لغتها ونحوها، والعناية بالقراءات الواردة فيها،

---

١) نفح الطيب للمقرى ١٦٩/٣، بغية الملتمس للضبى ص ٥٣٦ (ترجمة رقم ١٥٦١).

٢) نفح الطيب للمقرى ١٦٩/٣، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٦/٢، فهرسة ابن خير ص ٥٤، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٩٥.

٣) راجع عن ذلك ص ٥٥٨ - ٥٥٩.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٨ (ط بيروت / مجلد واحد)، الصلة لابن بشكوال ص ٨٥.

٥) راجع عنه (ص ٦٩٧) من هذا المبحث.

٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٦/٥، معجم الأدباء لياقوت ١٧٠/١٩، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٢/٢.

٧) فهرسة ابن خير ص ٥٤، طبقات المفسرين للداودى ١٦٧/٢-١٦٨. الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٨٢ (ط دار الكتب العلمية بيروت - مجلد واحد).

٨) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٨٢.

ثم يذكر عدد المسائل الفقهية الواردة فى كل آية، مفصلا لأحكام كل مسألة، مع عرض أقوال العلماء فيها وأدلتهم. والغالب عليه ترجيح مذهبه المالكى، إلا أنه أحيانا يميل إلى ترجيح غير مذهبه، ويصرح بذلك[١].

ومن علماء **القرن السادس الهجرى:** الذين صنفوا فى هذا النوع من كتب التفسير: أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصارى الخزرجى الغرناطى المعروف بابن الفرس (المتوفى ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وهو من كبار علماء الأندلس فى الفقه المالكى والحديث. صنف كتاب "أحكام القرآن" «جليل الفائدة، من أحسن ما وضع فى ذلك وآثر فى حسن ترتيبه وتهذيبه» كما يقول ابن فرحون. فرغ من تأليفه (عام ٥٥٣هـ ١١٥٨م»[٢].

وفى القرن السابع الهجرى صنف محمد بن أحمد بن أبى بكر الأنصارى الخزرجى القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ/١٢٧٢م) كتابه "الجامع لأحكام القرآن". وهذا التفسير - وإن كان شاملا للقرآن إلا أن مؤلفه - كما أوضحنا من قبل أعطى لآيات الأحكام تفصيلا أوسع[٣]. وهو من أفضل الكتب فى هذا الباب.

النوع الثالث: التفسير اللغوى والبلاغى[٤]:

وقد تميزت المدرسة الأندلسية فى التفسير بالاهتمام باللغة والعناية بها، فقد كانوا علماء فى اللغة، علماء فى التفسير. وإلى جانب عنايتهم بهذا الجانب فى الكتب الشاملة لتفسير القرآن - كتفسير ابن عطية وابن العربى والقرطبى وغيرهم - صنفوا كتبا خاصة فى "غريب القرآن" و"إعرابه" و"معانيه" و"إعجازه" على غرار ما جاءهم من كتب المشارقة.

وأول من صنف فى هذا الباب بحسب ما لدينا من معلومات هو العالم الموسوعى عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى (المتوفى ٢٣٩هـ/٨٥٣م) له كتاب "إعراب القرآن"[٥].

وقد ظهر الاتجاه إلى هذا النوع من التفسير بصورة أوسع خلال القرن الخامس الهجرى

---

١) منهج المدرسة الأندلسية فى التفسير: صفاته وخصائصه - بحث للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومى قدمه إلى ندوة: "الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات" - مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م - الجلسة الثانية- البحث الثانى ص ٣.

٢) الديباج المذهب ص ٢١٨ - ط بيروت / مجلد واحد. وراجع التكملة لابن الأبار ٦٥١/٢.

٣) راجع عن ذلك (ص ٧١٤) من هذا المبحث.

٤) راجع المقصود بهذا النوع من التفسير (ص ٧٧) من القسم الأول.

٥) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٦٠، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٥ (ط دار الكتب العلمية، بيروت / مجلد واحد).

وما تلاه من قرون. **فمن علماء القرن الخامس:**

١ - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح التجيبى السرقسطى (المتوفى٤١٩هـ/ ١٠٢٨م) صنف كتاب "غريب القرآن" استخرجه من تفسير ابن جرير الطبرى البغدادى (ت ٣١٠هـ»[١].

٢ - أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى عيسى، أبو عمر المعافرى المالكى الطلمنكى[٢] (المتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، له كتاب "البيان فى إعراب القرآن"[٣].

٣ - مكى ابن أبى طالب أبو محمد القيروانى (الأصل) القرطبى (المتوفى ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) صاحب المؤلفات الكثيرة فى علوم القرآن وتفسيره وقراءاته[٤]. وله فى التفسير اللغوى والبلاغى: كتاب "غريب القرآن" وكتاب "مشكل إعراب القرآن" وكتاب "بيان إعجاز القرآن" وكتاب "انتخاب كتاب الجرجانى (البغدادى) فى نظم القرآن وإصلاح غلطه"[٥].

وفى مطلع القرن السادس الهجرى صنف محمد بن خيرة بن أبى العافية المقرئ النحوى (المتوفى ٥٠٩هـ/١١١٥م) كتاب "استيعاب البيان فى معرفة مشكل إعراب القرآن" مات قبل أن يكمل تأليفه[٦]. وصنف - فى أخريات القرن نفسه - ابن الخراط: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدى الإشبيلى (المتوفى ببجاية ٥٨١هـ/١١٨٥م) كتاب "غريب القرآن والحديث"[٧]. وصنف ابن مضاء النحوى: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمى القرطبى الجيانى (المتوفى ٥٩٢هـ/١١٩٥م) كتابا فى الإعجاز تحت عنوان " تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان"[٨].

---

١) التكملة لابن الأبار ٣٨٢/١ (رقم ١٠٦١)، الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى السفر الخامس - القسم الثانى ص ٦٤٦.

٢) سبق ذكر جهوده فى علم القراءات والتفسير بالمأثور (ص ٦٩٦، ص ٧٠٩).

٣) الديباج المذهب ص ٣٩ (ط بيروت / مجلد واحد) طبقات المفسرين للداودى ٧١/١-٨٠، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ١١٣/١.

٤) راجع عنه (٦٩٧)، (ص ٧٠٩ - ٧١٠).

٥) راجع فهرسة ابن خير ص ٤١، ٦٧، ٦٨، طبقات المفسرين للداودى ٣٣١/٢-٣٣٢، وفيات الأعيان لابن خلكان٣٧٦/٥، معجم الأدباء لياقوت١٧٠/١٩، إنباه الرواة للقفطى٣١٨/٣-٣١٩، هدية العارفين ٤٧٠/٢.

٦) فهرسة ابن خير ص ٦٩، ص ٤٠.

٧) فوات الوفيات ٢٥٦/٢، شذرات الذهب ٢٧١/٤.

٨) غاية النهاية ٦٧/١، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٧-٤٨ (ط بيروت / مجلد واحد)، هدية العارفين ٨٨/١، شجرة النور ١٦٠/١.

وقد نشط الأندلسيون فى تأليف كتب إعراب القرآن وغريبه ومفرداته وإعجازه وبلاغته خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ومن الأمثلة على ذلك:

١ - كتاب "مفردات القرآن" لابن الدقاق الإشبيلى: على بن القاسم النحوى (المتوفى٦٠٥ هـ/١٢٠٨م)[١].

٢ - كتاب "المشرع الروى فى الزيادة على كتاب الهروى غريبى القرآن والحديث" لأبى عبد الله محمد بن على بن خضر بن هارون الغسانى المعروف بابن عسكر قاضى مالقة (المتوفى ٦٣٦هـ/١٢٣٨م)[٢].

٣ - كتاب "إعجاز القرآن" لابن سراقة الأنصارى: محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن الشاطبى الأندلسى (المتوفى بمصر سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م)[٣].

٤ - كتاب "تحفة الأريب مما فى القرآن من الغريب "، لأبى حيان محمد يوسف الغرناطى الأندلسى (المتوفى ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)[٤].

٥ - كتاب "إعراب القرآن" لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسى السفاقسى (من المغرب) (المتوفى ٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، وهذا الكتاب من أجل كتب إعراب القرآن وأكثرها فائدة، جرده من كتاب "البحر المحيط" لأبى حيان (الأندلسى)، ومن "إعراب القرآن" لأبى البقاء العكبرى (المشرقى) وغير ذلك من الكتب[٥].

اختصار كتب التفسير المشرقية:

وكان من مظاهر عناية الأندلسيين بكتب التفسير المشرقية إلى جانب الانكباب على دراستها وتدريسها والاستفادة منها فى التصنيف القيام باختصارها؛ إما لتسهيلها وتقريبها لطلبة العلم، أو لتنقيتها من الإسرائيليات أو الروايات الضعيفة أو الآراء الكلامية إن وجدت.

فمن ذلك تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ/٨١٥م)، اختصره كل من أبى عبد الله

---

١) هدية العارفين ١/٧٠٤.

٢) المرقبة العليا للنباهى ص ١٢٣، ص ١١٣.

٣) هدية العارفين ٢/١٢٧-١٢٨.

٤) كشف الظنون ١/٣٦٢.

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٩٢ (ط بيروت / مجلد واحد).

محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الإلبيرى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م)[١]. وأبي المطرف عبد الرحمن بن هارون الأنصارى القنازعى نزيل قرطبة (المتوفى ٤١٣هـ/١٠٢٢م)[٢]، واختصر "تفسير ابن جرير الطبرى" أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أيوب بن سليمان الذهبى الأموى القرطبى (المتوفى ٣٣٣هـ/٩٤٤م) وهو اختصار حسن[٣]، وأبو يحيى محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح التجيبى (المتوفى ٤١٩ هـ/١٠٢٨م)[٤] واقتصر فيه على استخراج غريب القرآن[٥]، واختصره أيضا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اللجالش النحوى - من أهل المرية - (المتوفى فى نحو سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م)[٦].

وبعد دخول تفسير أبي إسحق أحمد بن محمد الثعلبى (المتوفى ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) إلى الأندلس بما يقرب من قرن من الزمان اختصره أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى (المتوفى ٥٢٠هـ/١١٢٦م)[٧]. ومن العلماء الذين قاموا بتهذيب تفسير "الكشاف" للزمخشرى المعتزلى (المتوفى ٥٣٨هـ/١١٤٣م): محمد بن على الأنصارى الفاسى الغرناطى (المتوفى٦٦٢ هـ/١٢٦٣م) أزال عنه الآراء الاعتزالية[٨].

التأليف فى علم مشكل القرآن ومتشابهه[٩]:

تعرف الأندلسيون على منهج المدرسة البغدادية فى الوقوف على تأويل مشكل القرآن ومتشابهه، وعرفوا من كتبهم فى هذا الفن كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة البغدادى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م) وكتاب "مشكل القرآن" لابن فورك (المتوفى ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)[١٠].

---

١) طبقات المفسرين للداودى ١٦٥/٢-١٦٦، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٣٢/٢-٢٣٣، وله ترجمة فى الصلة لابن بشكوال ٤٨٢، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ١٠١/١.

٢) الصلة ٣٢٢-٣٢٤، الديباج المذهب ٤٨٥/١، طبقات المفسرين للسيوطى ص ١٨، وراجع ترجمته فى بغية الملتمس للضبى ص ٣٥٨، جذوة المقتبس للحميدى ص ٢٦٠.

٣) الصلة: ١٨

٤) الصلة لابن بشكوال ص ٥٦٣.

٥) تكملة الصلة لابن الأبار ٣٨٢/١ (ط مصر ١٩٧٠م).

٦) الصلة لابن بشكوال ص ٥٦٣.

٧) فهرسة ابن خير ص ٥٩، أزهار الرياض للمقرى ج ٢ ص ١٦٢.

٨) هدية العارفين ١٢٨/٢.

٩) راجع المقصود بمشكل القرآن ومتشابهه (ص ٨٤). من القسم الأول.

١٠) راجع الملحق فى نهاية الرسالة (ص ١٠٣٧).

ولم تبدأ عناية الأندلسيين بالتأليف فى هذا العلم إلا فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى، على يد مكى بن أبى طالب القيروانى (الأصل) القرطبى (المتوفى٤٣٧هـ/١٠٤٥م) الذى صنف كتاب "تفسير مشكل المعانى والتفسير" فى خمسة عشر جزءا، ويسمى أيضا "مشكل القرآن"[١].

وقد جمع محمد بن أحمد بن مطرف الكنانى (المتوفى ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) بين كتابى "مشكل القرآن" و"مشكل الحديث" لابن قتيبة كما ذكرنا من قبل. ثم جاء عبد الله بن يحيى التجيبى المعروف بابن الوحشى (المتوفى ٥٠٢هـ/١١٠٨م) فاختصر كتاب "مشكل القرآن" لابن فورك[٢]. وقد رجع ابن العربى المعافرى الغرناطى الأندلسى المفسر (المتوفى٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) فى مصنفه "قانون التأويل" إلى كتاب ابن فورك وذكر أنه لم يؤلف مثله[٣]. وهذا العالم - ابن العربى - صنف كتابا فى هذا الفن سماه "مشكل القرآن ومشكل الحديث". ذكره فى كتابه "أحكام القرآن" ونص عليه فى "عارضة الأحوذى" فى شرح سنن الترمذى[٤].

وفى القرن السابع الهجرى صنف أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأندلسى النحوى (المتوفى ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) كتاب "رى الظمآن فى متشابه القرآن"[٥]. وصنف أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى العاصمى الغرناطى (٦٢٧-٧٨٠هـ/١٢٢٩-١٣٧٨م) كتابا فى المتشابه بعنوان "ملاك التأويل فى المتشابه اللفظ من آى التنزيل". وابن الزبير هذا هو صاحب الذيل الذى ألفه على "الصلة" لابن بشكوال وسماه "صلة الصلة"[٦].

التأليف فى علوم تخدم علم التفسير:

وقد تميزت الساحة العلمية بالأندلس فى مجال علوم القرآن بظهور العديد من المؤلفات التى تخدم علم التفسير وتمثل امتدادا له، كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكى والمدنى،

---

١) إنباه الرواة للقفطى ٣١٨/٣، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٦/٥، معجم الأدباء لياقوت ج ١٩ ص ١٧٠، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٩/٢.

٢) الصلة لابن بشكوال ص ٢٩١.

٣) ابن العربى: قانون التأويل ص٢٠٦ ط دار الغرب الإسلامى ببيروت سنة١٩٩٠م دراسة وتحقيق د. محمد السليمانى.

٤) عارضة الأحوذى ج ١١ ص ٢٧٥، وراجع أزهار الرياض للمقرى ج ٣ ص ٩٤.

٥) إيضاح المكنون ٦٠٤/٣.

٦) الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب ج ١ ص ١٨٨-١٩٣، الدرر الكامنة لابن حجر ٨٤/١، الديباج المذهب ص ٤٢ (ط بيروت) برنامج المجارى ص ٨٨-٨٩، شذرات الذهب ١٦/٦.

وأصول التفسير... الخ، وعلى الرغم من أن العلماء الأندلسيين ساروا على طريقة المشارقة فى تأليف هذه المؤلفات فإنهم حازوا قصب السبق فى إبداع فروع جديدة.

علم الناسخ والمنسوخ:

وكان حظ علم "ناسخ القرآن ومنسوخه" من اهتمام الأندلسيين كبيرا، وكثرت فيه المؤلفات. وتشير المصادر إلى أن ثلاثة من علماء قرطبة صنف كل منهم كتابا يحمل عنوان "الناسخ والمنسوخ" وهم:

أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البيانى القرطبى (المتوفى٣٤٠هـ/٩٥١م)[١]. وقاضى الجماعة منذر بن سعيد البلوطى القرطبى (المتوفى٣٥٥هـ/٩٦٥م)[٢]. وأبو مطرف عبد الرحمن بن عيسى بن فطيس قاضى الجماعة (المتوفى ٤٠٢هـ/١٠١١م)، والكتاب الأخير فى ثلاثين جزءا[٣]. غير أن المصادر لا تحدد إن كانت تلك المؤلفات خاصة بالقرآن أو بعلم الحديث.

وأول تصنيف يحمل عنوانا صريحا فى "ناسخ القرآن ومنسوخه" هو كتاب مكى بن أبى طالب القيروانى (الأصل) القرطبى (المتوفى ٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، وعنوانه "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" ويقع فى ثلاثة أجزاء[٤]. وذكر له ياقوت الحموى كتابا آخر فى نفس العلم بعنوان "الإيجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه" ولعله مختصر للأول[٥].

وينسب لابن حزم الظاهرى على بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبى (المتوفى٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) كتاب فى هذا الفن باسم "الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم"[٦].

ومن علماء القرن السادس الهجرى الذين صنفوا فى هذا العلم:

١ - أحمد بن خلف بن عيسون (بالسين المهملة) بن خيار الجذامى الإشبيلى المعروف

---

١) جذوة المقتبس للحميدى ٥٢٧/٢، بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٨، معجم الأدباء لياقوت ٢٣٧/١٦، طبقات المفسرين للداودى ٣٥/٢-٣٦.

٢) معجم الأدباء لياقوت ١٧٦/١٩، طبقات المفسرين للداودى ٣٣٦/٢، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٩٥.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٣١١، طبقات المفسرين للداودى ٢٩١/١-٢٩٣.

٤) فهرسة ابن خير ص ٥١، وفيات الأعيان ٢٧٦/٥.

٥) معجم الأدباء ١٦٩/١٩. وراجع إنباه الرواة للقفطى ٣١٨/٣-٣١٩، هدية العارفين ٤٧٠/٢ وفهرسة ابن خير ص ٣٤٦.

٦) مطبوع بدار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

بابن النحاس (المتوفى ٥٣١هـ/١١٣٦م) له كتاب " الناسخ والمنسوخ"[١].

٢ - أبو بكر بن العربى المعافرى الإشبيلى (المتوفى٥٤٣هـ/١١٤٨م) صنف كتاب "ناسخ القرآن ومنسوخه" تحدث عنه فى عدة مواضع من كتابه "أحكام القرآن"، وذكره ابن خير فى "فهرسته" وابن فرحون فى "الديباج"[٢].

٣ - أبو جعفر أحمد بن أحمد بن عبد الصمد بن عبيد الأنصارى الخزرجى القرطبى (المتوفى بفاس سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م) له كتاب "نفس الصباح فى غريب القرآن وناسخه ومنسوخه"[٣].

ولم نعثر للأندلسيين على مؤلفات فى هذا العلم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين غير كتاب واحد لابن الحصار الإشبيلى: على بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجى الفقيه المالكى (المتوفى ٦١١هـ/١٢١٤م»[٤].

وأما علم "أسباب النزول" فالتأليف فيه نادر كما هو الحال فى بغداد/المشرق[٥]، ولا نكاد نعثر على كتاب من إنتاج الأندلسيين غير كتاب "القصص والأسباب التى نزل من أجلها القرآن"، وهو موسوعة كبيرة يزيد عن مائة جزء، ومؤلفه هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ابن فطيس قاضى الجماعة بقرطبة (المتوفى ٤٠٢هـ/١٠١١م). وهذا العالم من المتبحرين فى علوم القرآن. جمع فيها من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما، ورتب لهم راتبا معلوما، ولم يكن يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو أمر بنسخه[٦]. ومن العجيب أن هذا الكتاب ترجم إلى الفارسية كما يقول صاحب "كشف الظنون"، ترجمه سيف الدين أحمد الإسبرتكينى[٧].

---

١) غاية النهاية لابن الجزرى ٥٢/٢، البغية للضبى ص ١٦٤، التكملة لابن الأبار ٣٨/١، طبقات المفسرين للداودى ٤١/١.

٢) فهرسة ابن خير ص ٥١، الديباج المذهب ص ٢٨٢ -(ط بيروت). والكتاب مطبوع بدار الغرب الإسلامى/ بيروت ط ٢ - ١٩٩٠م - دراسة وتحقيق د. محمد السليمانى.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٥٠-٥١ (ط - دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان/ مجلد واحد).

٤) هدية العارفين ٧٠٥/١.

٥) راجع (ص٨٦) من القسم الأول.

٦) طبقات المفسرين للداودى ٢٩١/١-٢٩٣، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٠، (ط بيروت)، الصلة لابن بشكوال ص ٣١٣، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٣١/٤.

٧) كشف الظنون لحاجى خليفة ٧٦/١.

وفى "المكى والمدنى"[١] صنف أبو عبد الله محمد بن شريح بن أحمد الرعينى الإشبيلى (المتوفى ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) كتابين. الأول: "المكى والمدنى من القرآن" والثانى: "اختلاف المكى والمدنى فى آية"[٢].

وقد انفرد بعض المؤلفين فى علوم القرآن من الأندلسيين بالاهتمام ببعض أنواع التصنيف مما لم يسبقوا إليه. وهو أمر يدل على روح الإبداع والابتكار التى كانت تتميز بها المدرسة الأندلسية، فلم يكونوا يقتصرون على المألوف من طرق التصنيف ولا المعهود من فنون التفسير المصنف فيها، فمن ذلك:

١ - كتاب "ترتيب آى القرآن" وهو كتاب فى تناسب الآى وبيان الوحدة الموضوعية فيما بينها، صنفه القاضى أبو بكر بن العربى الإشبيلى (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م). ذكره فى كتابه "الناسخ والمنسوخ فى القرآن"[٣].

٢ - كتاب "البرهان فى ترتيب سور القرآن" لأبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى الجيانى نزيل غرناطة (المتوفى ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) وهو صاحب كتاب "صلة الصلة"[٤].

٣- كتاب "البرهان والدليل فى خواص سور التنزيل" للقاضى أبى بكر محمد بن عبيد الله ابن محمد بن يوسف بن منظور القيسى المالقى الإشبيلى (المتوفى ٧٥٠هـ/١٣٤٩م»[٥].

وفى "فضائل القرآن" صنف الأندلسيون كتبا كثيرة، منها - فى القرن الثالث الهجرى - كتاب "فضائل القرآن" ليحيى بن زكريا بن إبراهيم بن مزين القرطبى (المتوفى٢٥٩هـ/ ٨٧٢م»[٦]. وفى القرن الرابع صنف العباس بن أصبغ بن عبد العزيز الهمدانى القرطبى المعروف

---

١) عرف جمهور العلماء "المكى" بأنه ما نزل من القرآن قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، ويدخل فيه ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر الهجرة. وأما "المدنى" فهو ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بغير المدينة، ويدخل فيه ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى أسفاره بعد الهجرة كسورة الفتح التى نزلت على النبى منصرفه من الحديبية. (د. محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٩٩).

٢) فهرسة ابن خير ص ٣٩، وسبق الحديث عن ابن شريح فى علم القراءات (ص ٧٠٠).

٣) ابن العربى: الناسخ والمنسوخ فى القرآن ج٢ ص٢١٠ (ط وزارة الأوقاف بالمغرب)، بتحقيق د. عبد الكبير العلوى.

٤) الديباج المذهب ص ٤٢ (ط بيروت).

٥) تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا) للنباهى ص ١٥٤ - ١٥٥، الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب ٢ /١٧٠، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر ١٧٠/٢.

٦) فهرسة ابن خير ص ٧٠، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١٧٨/٢، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٣٦٨، الديباج المذهب لابن فرحون ٣٦١/٢.

بالحجارى (المتوفى ٣٨٦هـ/٩٩٦م) كتاب "فضائل القرآن"[١]. وفى القرن السادس صنف ابن الإقليشى: أحمد بن معد بن عيسى التجيبى (المتوفى ٥٥٠هـ/١١٥٥م) كتاب "شفاء الظمآن فى فضل القرآن"[٢]. وظهر فى أواخر القرن السابع الهجرى كتاب "البرق اللامع والغيث الهامع فى فضائل القرآن" لمحمد بن أحمد بن محمد الغسانى الأندلسى المعروف ب "الواد آشى". (المتوفى ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)»[٣].

وكما ظهر فى المشرق **مؤلفات تحمل عنوان "علوم القرآن"** - وكان المقصود منها كما قررنا من قبل أنها لا تخرج عن كونها كتبا فى التفسير تتعرض إلى جانب تفسير القرآن لذكر أسباب النزول والقراءات والناسخ والمنسوخ.. . الخ بحسب ترتيب السور، بمعنى أنها ليست مستقلة بحيث يجمع الواحد منها مباحث هذا العلم جنبا إلى جنب[٤] - ظهر أيضا فى الأندلس مؤلفات على شاكلتها، ككتاب "الهداية إلى بلوغ النهاية فى علم معانى القرآن وتفسيره وأنواعه وعلومه" فى سبعين جزءا لمكى بن أبى طالب القيروانى (الأصل) القرطبى (المتوفى ٤٣٧ هـ/١٠٤٥م). وقد سبق ذكره فى علم التفسير[٥]. وكتاب "البيان فى علوم القرآن" فى ثلاثمائة جزء لأبى داود سليمان بن نجاح (المتوفى ٤٩٦هـ/١١٠٢م)»[٦].

ولا بد من الإشارة إلى أن المفسرين الأندلسيين - كابن عطية والقرطبى وأبى حيان وغيرهم - تميزت تفاسيرهم بمقدمات عنوا فيها بالحديث عن علوم القرآن الكريم عناية فائقة. ولعل مقدمة تفسير القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ/١٢٧٢م) هى أوسع هذه المقدمات، حيث أفاض فيها عن هذه العلوم حتى قارب حديثه المائة صفحة. وكل (مقدمات) رجال المدرسة الأندلسية فى التفسير اعتنت بذلك، إلا ابن العربى (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م)، ولعله استغنى عن ذلك بكتابه "قانون التأويل" الذى صنفه سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م)»[٧].

---

١) فهرسة ابن خير ص ٧١، وراجع ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١/٣٤٢-٣٤٣.

٢) هدية العارفين ١/٨١.

٣) هدية العارفين ٢/١٣٧.

٤) راجع التفاصيل (ص ٥٢) من القسم الأول.

٥) راجع عنه (ص ٧٠٩).

٦) غاية النهاية لابن الجزرى ١/٣١٧، الصلة لابن بشكوال ص ٢٠٣- ٢٠٤.

٧) راجع عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى لابن العربى ج ١ ص ٧ (ط / دار الوحى المحمدى، القاهرة)، نفح الطيب للمقرى ٢/٢٤٢، وكتاب قانون التأويل مطبوع بدار الغرب الإسلامى - بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٩٠م/ دراسة وتحقيق د. محمد السليمانى، ويقع فى ٤٥٩ صفحة من الحجم المتوسط.

ولعل كتاب ابن العربى هذا "قانون التأويل" - وكتاب آخر ألّفه على بن محمد بن خلف القابسى المعافرى (المتوفى٤٠٣هـ/١٠١٢م) بعنوان "المنقذ من شبهة التأويل"[١] - جاء كردّ فعل لكتاب ظهر بالأندلس فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بعنوان "أساس التأويل" للنعمان بن حيُّون التميمى (المتوفى ٣٦٣هـ/٩٧٣م) [٢]، وهذا الكتاب يحتوى على تأويلات الإسماعيلية الباطنية.

ومن الجدير بالذكر - فى هذا السياق - أن رجال المدرسة الأندلسية فى التفسير كان لهم موقف متشدد من آراء المذاهب الكلامية والفرَق المختلفة كالمعتزلة والقدرية والرافضة، فقد ردوا آراءهم، ولم يعرضوا لتفسير آية فيها للمعتزلة أو غيرهم تأويل أو تحريف إلا بينوه وكشفوه وأبطلوا أدلتهم، ولم تمنعهم مكانة تفسير الزمخشرى (المتوفى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وعنايتهم وإعجابهم به - وهو معتزلى - من رد آرائه وإبطالها فى مسائل العقيدة وأصول الدين[٣]. ولذلك قام بعضهم باختصاره وتنقيته مما فيه من آراء اعتزالية والاستفادة فقط من مباحثه البلاغية واللغوية؛ ومثال ذلك كتاب"التمييز لما أودعه صاحب الكشاف من الاعتزال فى الكتاب العزيز" فى جزأين لأبى على بن محمد السَّكونى الإشبيلى (المتوفى ٧١٧هـ/١٣٠٧م»[٤].

تعقيب ومقارنة:

إلى هنا نكون قد أعطينا ملامح عامة عن اتجاهات التفسير وعلوم القرآن فى الأندلس. وبعد هذا العرض نتوصل إلى النتائج التالية تضاف إلى النتائج التى توصلنا إليها فى علوم القراءات:

١ - كان سَبْقُ المدرسة (البغدادية/المشرقية) لبلاد الأندلس فى العلوم الشرعية - ومنها التفسير - جعل مدارس التفسير وفروعه فى الأندلس مهيأة لتلقى نتائجه والأقوال الممحصة، والتفاسير المحققة بالقبول والعناية، والاستفادة من أسبقيتها والاعتراف بفضلها وكثيراً ما استفاد

---

١) شجرة النور الزكية ١/٩٧.

٢) وفيات الأعيان ٥/٤١٥. وقد طبع أساس التأويل بدار الثقافة ببيروت ١٩٦٠م. تقديم عارف تامر.

٣) راجع منهج المدرسة الأندلسية فى التفسير: صفاته وخصائصه - للدكتور فهد عبد الرحمن الرومى - بحث مقدم إلى ندوة الأندلس: (قرون من التقلبات والعطاءات) برعاية مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م - الجلسة الثانية - البحث الثانى - ص ١٣ - ١٤.

٤) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتى ص ١٩٥ (مطبوع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون - دار الكتب العلمية - بيروت).

اللاحق من السابق.

٢ - وكانت حركة التأليف فى مجال التفسير وعلوم القرآن بالأندلس تسير وفق الاتجاهات والمناهج التى رسمها علماء (بغداد/المشرق)، فوجدنا اتجاه التفسير بالمأثور - وهو الغالب - والتفسير الفقهى لآيات الأحكام، والتفسير اللغوى والبلاغى. أما التفسير بالرأى فلا نكاد نعثر على أكثر من كتاب فى التراث الأندلسى؛ لبعد الأندلسيين عن التيارات الكلامية الغالبة، وسلامتهم إلى حد كبير من آراء الفرق المختلفة فى العقيدة، ومحاربتهم آراء المعتزلة والرافضة، ونتيجة لذلك لم يظهر تفسير فى الأندلس للشيعة أو المعتزلة أو غيرهم من الفرق كما ظهر فى المشرق.

٣ - ومما تتميز به المدرسة الأندلسية فى التفسير أنها توسعت فى تأليف كتب "أحكام القرآن"، وأعطوها حقها من العناية والبحث. وربما تفوقت على المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى ذلك، وتعتبر تفاسير الأندلس بمجموعها موسوعة فى الفقه، وخاصة الفقه المالكى.

٤ - وشئ آخر تميزت به مدرسة التفسير بالأندلس، وهو أن كل مفسر كان يرسم منهجه فى مقدمة تفسيره، ويبين القواعد التى سيسلكها والأموال التى يقوم عليها تفسيره. وما سيعتنى به من المباحث، وما سيعرض عنه، وغرضه من التفسير، وتكاد تكون هذه الطريقة خاصة بمفسرى الأندلس، ولم يسلكها إلا القليل من المفسرين فى (بغداد/المشرق»[١].

وقد تنوعت كتب الأندلسيين فى الفروع التى تخدم علم التفسير، كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومشكل القرآن.. . الخ. وكانت لهم وفرة من المؤلفات فى بعض هذه الأنواع، ربما فاقت إنتاج المشارقة، كما كان لهم الريادة فى تأليف أنواع أخرى من علوم القرآن، أو كتب لها طابع الجدة، وليس لها نظير فى المشرق كما أوضحنا من قبل[٢].

٦ - لقد شيد الأندلسيون نهضة علمية فى علوم القرآن، اعتمادا على المدرسة (البغدادية/المشرقية) كما سبق القول. وعلى الرغم من أنهم أضافوا إلى الإنتاج الوافد إنجازات متميزة تعبر عن خصوصيتهم فى هذا المجال فإنهم - وعلى مدار قرون عديدة - لم يكونوا بمعزل عن الكتب المشرقية، سواء فى التعليم أو التأليف. وإذا رجعنا مثلا إلى "تفسير" ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) أو "تفسير" أبى عبد الله القرطبى (ت ٦٧١هـ) أو "البحر المحيط" لأبى حيان (ت

---

١) منهج المدرسة الأندلسية فى التفسير - للدكتور فهد عبد الرحمن الرومى - بحث مقدم إلى ندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) - مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣ - الجلسة الثانية - البحث الثانى - ص ٤٢.

٢) راجع عن ذلك (ص ٧٢٥) من هذا المبحث.

٧٤٥هـ) أو "أحكام القرآن" لابن العربى (ت ٥٤٣هـ)، وإذا رجعنا أيضا إلى كتب الأندلسيين فى الناسخ والمنسوخ ومشكل القرآن وأسباب نزوله وإعرابه.. . الخ فسنجد أن أصحاب هذه الكتب اعتمدوا فى تأليفها على عدد كبير من كتب (البغداديين/المشارقة). بل نستطيع القول: إن كتب التفاسير الأندلسية استفادت من معظم كتب التفسير التى ظهرت بالمشرق، وحفظت لنا تراثه.

وننتقل الآن إلى علم الحديث النبوى لنتعرف على تراث الأندلسيين فيه، ومدى استفادتهم من الإنتاج المشرقى الوافد عليهم.

***

المبحث الثانى
علوم الحديث النبوى

توطئة: عرفنا فى موضع سابق أن دراسة الحديث النبوى فى الأندلس بدأت منذ عهد مبكر على يد جماعة من الشاميين والكوفيين الذين أقاموا فى قرطبة، مثل معاوية بن صالح ابن حُدَيْر الحِمْصى (المتوفى١٧٢هـ/٧٨٨م)، وصَعْصعة بن سلام الشامى (المتوفى١٩٢هـ/ ٨٠٧م) وأحمد بن الحسن بن الحارث النخعى الكوفى، إضافة إلى عدد من الرواد الأندلسيين الذين رحلوا إلى (بغداد/المشرق) فى القرن الثالث الهجرى، وكانت لهم مشاركة جيدة فى نقل الحديث النبوى إلى قرطبة، مثل محمد بن عيسى المعافرى القرطبى (المتوفى٢٢١هـ/٨٣٥م) وغيره[١].

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى شهدت الأندلس حركة نشطة ونقلة كبيرة فى تقدم دراسة الحديث النبوى، اعتماداً على المدرسة (البغدادية/المشرقية)، وأبرز الشخصيات العلمية الذين كان لهم دور بارز فى خلال تلك الفترة هى بقىّ بن مَخْلَد القرطبى (ت٢٧٦ هـ/٨٨٩م) ومحمد بن وضّاح القرطبى (ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م) ومحمد بن عبد السلام الخُشَنى القرطبى (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م) ثم تلا هؤلاء طبقة أخرى ساهموا بجهود كبيرة ساعدت على تأسيس هذا العلم وتطوره بالأندلس، منهم: قاسم بن أصبغ البيَّانى القرطبى (ت٣٤٠هـ/ ٩٥٢م)، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى (ت٣٣٠هـ/٩٤١م) ومحمد بن قاسم بن محمد القرطبى (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) وغيرهم[٢]. وهؤلاء جميعاً - وأجيال جاءت بعدهم - كان لهم شرف الرحلة إلى المشرق الإسلامى لطلب الحديث النبوى من منابعه والاطلاع على مناهجه، والعودة بمروياته ودواوينه ومصادره.

وقد أقبل الأندلسيون إقبالاً لا نظير له على دراسة كتب الحديث المشرقية التى وصلت إليهم، وتوسّعت لديهم دائرة التأثر بمناهجها، وسلكوا مسلكها فى التصنيف والتبويب، وتناولوا عدداً منها بالشرح والتعليق. وهم - وإن كانوا لا يضاهون المشارقة فى كثرة التصنيف فى هذا العلم - لكنهم لم يتركوا نوعاً إلا وقد شاركوا فيه بكتاب أو عدد من الكتب، لا سيما علم

---

١) راجع عن ذلك (ص ٥١١-٥١٣)، من الباب السابق.

٢) راجع عن جهود هؤلاء العلماء فى إدخال علوم الحديث ومصادره المشرقية إلى قرطبة بداية من (ص٥١٦).

الجرح والتعديل وتاريخ رواة الحديث وعلم العلل، وربما فاقوا المشارقة فى بعض الجوانب، وكانت لهم الريادة فى جوانب أخرى.

ونؤكد هنا على حقيقة مهمة، هى أن المادة الحديثية التى شكل منها الأندلسيون كتبهم فى علم الحديث هى فى أغلبها مادة مشرقية أعادوا صياغتها وترتيبها، وأضافوا إليها الكثير من بنات أفكارهم، وليس ذلك خاصا بهذا العلم فقط، وإنما كان هذا هو الشأن مع بقية العلوم كالتفسير والفقه والنحو واللغة والأدب وعلوم الطب والصيدلة والنبات والفلك والرياضيات.

وقد اتجهت دراسة الحديث بالأندلس - كما فى (بغداد/المشرق) - اتجاهين أساسيين حسبما هو مصطلح عليه لدى المعنيين بهذا العلم، ويتناول الاتجاه الأول منهما سلسلة الرواة الذين حملوا نص الحديث عن رسول الله ﷺ والأخذ بمعايير الجرح والتعديل للتأكد من صحة الإسناد، وهو ما يعرف عند علماء الحديث بدراسة الحديث رواية. ولم يكن اهتمام الأندلسيين بدراسة الرجال (الرواة) بأقل منه بدراسة نص الحديث نفسه من عدة جوانب للتأكد من صحته بعد ثبوت سنده، وهو مايعرف بعلم الحديث دراية[١].

صور من التراث الأندلسى فى علم الحديث:

وإذا تتبعنا التراث الأندلسى فى علم الحديث نجده لا يخرج غالبا عن إطار الاتجاهات العامة التى سار عليها المشارقة فى التأليف والتبويب والجمع. وفيما يلى نحاول أن نتناول هذا التراث، مقتفين فى ذلك الطريقة التى عرضنا بها الإنتاج المشرقى فى هذا المجال.

أولا: تصنيف الحديث وجمعه:

(أ) التأليف على المسانيد:

وأهم كتاب صنفه الأندلسيون على طريقة المسند[٢] ولقى شهرة واسعة فى المشرق والأندلس هو "مسند" بقى بن مخلد القرطبى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م) الذى كان له دور كبير فى نشر علم الحديث بالأندلس، وتأثر بالإمام أحمد بن حنبل البغدادى صاحب "المسند" المشهور، وأبى بكر بن أبى شيبة البغدادى صاحب "المصنف". ويقع مسند بقى بن مخلد فى نحو مائتى جزء كما يقول ابن خير الإشبيلى[٣]. وكان أسلوبه فى تأليفه قائما على نوع من التجديد، حيث مزج فى ترتيب الأحاديث بين أسلوب "المسند" وأسلوب "المصنف"، أى أنه -

---

١) سبق التعريف بعلمى الحديث رواية ودراية - راجع (ص ٨٩).

٢) راجع المقصود بالمسند (ص ٩٤).

٣) فهرسة ابن خير ص ١٤٠.

وكما يقول ابن حزم الأندلسى - «رتبه على أسماء الصحابة رضى الله عنهم، فروى فيه غن ثلاثمائة وألف صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند»[١].

وهذه الطريقة فى التأليف الحديثى جديدة ومبتكرة وتضاف إلى رصيد الأندلسيين فى إطار السعى إلى الخصوصية والتميز العلمى، فقد جمع بين أسلوبين فى نسق واحد، وذكره ابن حزم ضمن المؤلفات التى أوردها فى (رسالته عن فضائل الأندلس)، والتى تعد من مفاخر الأندلسيين، وقال عنه: «وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله فيه بالحديث وجودة شيوخه»[٢].

وقد حاز هذا "المسند" إعجاب المشارقة أيضا وأثنوا عليه، فيروى ابن الفرضى أن طاهر بن عبد العزيز الرعينى القرطبى (المتوفى ٣٠٥هـ/٩١٧م) حمل معه فى رحلته إلى المشرق جزءا من الكتاب المذكور، وأراه محمد بن إسماعيل الصائغ البغدادى (المتوفى٢٧٦هـ/٨٨٩م) فقال هذا الأخير: «ما اغترف هذا إلا من بحر علم»[٣].

ونظرا للحجم الكبير الذى عليه "مسند" بقى - حيث يقع فى مائتى جزء كما ذكرنا - فقد اختصره أحد العلماء الأندلسيين المهرة بعلم الحديث، وهو أبو محمد عبد الله بن حنين الكلابى القرطبى (المتوفى ٣١٨هـ/٩٣٠م)[٤]. وليس لدينا معلومات عن الطريقة التى اتبعها فى هذا المختصر.

وقد صنف جماعة من علماء الحديث بالأندلس "مسانيد" ضمت المرويات التى رواها عدد من المحدثين الأندلسيين من شيوخهم المشارقة ممن كان لهم شرف الرحلة إلى المشرق لسماع الحديث النبوى وروايته. ومن ذلك: «مسند حديث قاسم بن أصبغ» الذى جمعه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبى (المتوفى ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، جمعه بأمر من الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)[٥]. و "مسند" آخر لأحاديث قاسم بن أصبغ، جمعه

---

١) بغية الملتمس للضبى ٢٤٥/١، جذوة المقتبس للحميدى ٢٧٤/١، الصلة لابن بشكوال ص ١١٧، سير أعلام النبلاء ٢٩١/١٣، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٧٤ - ٧٥.

٢) نفس المصادر فى الحاشية السابقة.

٣) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١٠٨/١. ولمحمد بن إسماعيل الصائغ البغدادى ترجمة مختصرة فى سير أعلام النبلاء ١٦١/١٣-١٦٢.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٣٩ (ط بيروت).

٥) بغية الملتمس ٤٩/١، جذوة المقتبس ٧٦/١.

أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد قاضى الجماعة بقرطبة المعروف بابن فطيس (المتوفى٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، ويقع فى ستين جزءا[١]. ومن ذلك أيضا "مسند حديث ابن الأحمر"[٢]. جمعه أبو عثمان بن سعيد بن محمد الوراق (المتوفى ٣٩٠هـ/٩٩٩م)[٣].

وفى إطار عناية الأندلسيين بعلم الإمام مالك جمعوا عدة مسانيد لأحاديثه ومروياته، منها "مسند حديث مالك" لأبى عمر أحمد بن خالد بن يزيد القرطبى المعروف بابن الجباب (المتوفى ٣١٨هـ/٩٣٠م) وهو من تلاميذ بقى بن مخلد[٤]. و"مسند حديث مالك" لقاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م)[٥]. و"مسند حديث مالك" لأبى القاسم خلف ابن قاسم بن سهل القرطبى المعروف بابن الدباغ (المتوفى ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)[٦]. وممن رتب أحاديث "المطأ" على المسانيد: أبو عمر يوسف بن أصبغ بن خضر الأنصارى الطليطلى (المتوفى ٤٣١هـ/١٠٣٩م)[٧].

(ب) التأليف على الأبواب[٨]:

(١) كتب السنن:

ومن الكتب التى تعتبر عنوانا على تأثر علماء الأندلس بمناهج العراقيين فى تصنيف الحديث النبوى: "كتب السنن". وأهم كتابين للأندلسيين فى "السنن" هما لقاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م) ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى (المتوفى٣٣٠هـ/٩٤١م)، وهما من كبار حفاظ الحديث بالأندلس. ويذكر الرواة أن سبب تأليف هذين الكتابين أن هذين الصاحبين لما دخلا بغداد سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م وجدا أبا داود السجستانى (صاحب

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ٣١٢.

٢) ابن الأحمر هو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن أبو بكر المعروف بابن الأحمر القرطبى (المتوفى ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م). كانت له رحلة إلى بغداد، وتتلمذ على الإمام النسائى صاحب "السنن" وكان أول من أدخل هذا الكتاب الأندلسى (راجع عنه تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى٢/٧٠-٧١، جذوة المقتبس للحميدى ١/١٤٥-١٤٦).

٣) بغية الملتمس للضبى ص ٥١٥.

٤) بغية الملتمس للضبى ص ٣٩٦، جذوة المقتبس ١/١٩٢-١٩٣.

٥) الديباج المذهب ٢/١٤٥-١٤٦، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٧٣، طبقات المفسرين للداودى ٢/٣٥-٣٦.

٦) بغية الملتمس للضبى ص ٢٨٨، سير أعلام النبلاء ١٧/١١٣، ٢٤١.

٧) الصلة لابن بشكوال ص ٦٧٦.

٨) راجع المقصود بالأبواب (ص ٩٦) من القسم الأول.

كتاب السنن»[١]، قد مات قبل وصولهما بوقت يسير، فلما فاتهما الرواية عنه عمل كل واحد منهما مصنفا فى "السنن" على أبواب كتاب أبى داود، وخرجا الأحاديث من روايتهما عن شيوخهما.قال ابن خير: «وهما مصنفان جليلان»[٢]. وقال ابن حزم عن كتاب عبد الملك بن أيمن: «مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات»[٣].

ووضع قاسم بن أصبغ كتابا آخر فى السنن، اقتفى فيه أثر كتاب "المنتقى فى السنن المسندة" لأبى محمد عبد الله بن الجارود النيسابورى نزيل مكة (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م).

وقد اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسمى المختصر باسم "المجتنى" فى سبعة أجزاء، وفيه من الأحاديث ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا[٤]. ويقال - فى رواية أخرى - إن كتاب "المجتنى" وضعه قاسم بن أصبغ واقتفى فيه أثر كتاب "المنتقى من السنن المسندة" فى مجلد واحد لأبى محمد عبد الله بن على بن الجارود النيسابورى نزيل مكة المكرمة (المتوفى٣٠٧هـ/٩١٩م)، وكان قد فاته السماع من ابن الجارود ووجده قد مات[٥]. وقد أثنى ابن حزم الأندلسى على "المجتنى" واعتبره أفضل من كتاب ابن الجارود نفسه وقال: «هو خير منه انتقاء، وأنقى حديثا وأعلى سنة، وأكثر فائدة»[٦]. وهذا على الرغم من جودة كتاب ابن الجارود وحكم الذهبى بصحة أحاديثه وأنه «لا يترل فيه عن رتبة الحديث الحسن أبدا إلا فى النادر، فى أحاديث يختلف فيها اجتهاد النقاد»[٧].

(٢) كتب الصحاح:

واقتفى علماء الأندلس طريقة المشارقة فى جمع الأحاديث الصحيحة دون غيرها فى كتب

---

١) راجع عنه (ص ٩٩) من القسم الأول.

٢) فهرسة ابن خير ص١٢٤، وراجع: نفح الطيب للمقرى٢/٤٨، الديباج المذهب لابن فرحون ٢/١٤٦ (ط مصر).

٣) نفح الطيب للمقرى ٢/٢٣٧، الديباج المذهب ٢/٣١٣، جذوة المقتبس للحميدى ١/١١٧، بغية الملتمس للضبى ص ١٠٢، تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٢/٥٢-٥٣.

٤) فهرسة ابن خير ص ١٢٥، نفح الطيب للمقرى ٢/٤٨.

٥) ابن فرحون: الديباج المذهب ٢/٤٦، معجم الأدباء لياقوت ١٦/٢٣٧، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٣٥-٣٦، وراجع ترجمة ابن الجارود من سير أعلام النبلاء للذهبى ١٤/٢٣٩.

٦) بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٨، طبقات المفسرين للداودى ٢/٣٦.

٧) سير أعلام النبلاء ١٤/٢٣٩.

يطلق عليها كتب "الصحاح"[١]، وممن صنف "صحيحا" من الأندلسيين: قاسم بن أصبغ البيانى القرطبى المذكور آنفا، جعله على هيئة "صحيح" مسلم بن الحجاج تلميذ الإمام البخارى[٢].

(٣) المصنفات[٣]:

وأهم "مصنف" فى التراث الأندلسى هو "مصنف" بقى بن مخلد القرطبى (المتوفى٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، خصصه لأقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم، وتفوق به على بعض "المصنفات" المشرقية على جلالتها، كمصنف أبى بكر بن أبى شيبة البغدادى (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م)، ومصنف سعيد بن منصور البلخى (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م)[٤]، وهذه المصنفات كلها شاركت فى تقدم علم الحديث وتطوره بالأندلس كما ذكرنا من قبل[٥].

وقد ألف أبو على بن النعمة الأندلسى كتاب فى شرح مصنف بقى بن مخلد، سماه "الإمعان فى شرح مصنف أبى عبد الرحمن"[٦]. ومن الجدير بالذكر أن هذا "المصنف" غير "المسند" الذى جمع فيه ابن مخلد بين طريقتى المسانيد والمصنفات كما ذكرنا قبل قليل.

(ج) طرق أخرى لجمع الحديث النبوى: وهى غير طريقتى المسانيد والأبواب، مثل:

١ – الأجزاء الحديثية[٧]: ونذكر منها "جزء" فيه من حديث أبى على الصدفى (المتوفى ٥١٤هـ/١١٢٠م) عن شيوخه البغداديين[٨]. ويدخل فى نطاق الأجزاء الحديثية كتب "الفوائد الحديثية" وكتب "المسلسلات"، وكتب "الثلاثيات" و"السباعيات" و"التساعيات" وكتب "الأربعين حديثا" وكتب "الأمالى" وغيرها.

فمثال كتب الفوائد: "فوائد" أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصارى القرطبى المعروف بابن بشكوال صاحب كتاب "الصلة" (المتوفى ٥٧٨هـ/١١٨٢م)[٩].

ومثال كتب "المسلسلات": كتاب لأبى بكر بن العربى الإشبيلى (المتوفى٥٤٣هـ/

---

١) راجع (ص٩٦) من القسم الأول.
٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ٤٧٣/١٥، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٢٧.
٣) راجع المعنى الاصطلاحى للمصنف (ص ١٠٠) من القسم الأول.
٤) جذوة المقتبس للحميدى ص ٢٧٥، الصلة لابن بشكوال ص ١١٧، نفح الطيب للمقرى ٥١٩/٢.
٥) راجع عن ذلك (ص ٥١٩، ٥٢٥).
٦) عبد الواحد المراكشى: الذيل والتكملة – السفر الخامس – الجزء الثانى، ص ٢٢٨.
٧) راجع المقصود بالجزء الحديثى (ص١٠٠).
٨) فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ١٧٨.
٩) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٩٥.

١١٤٨م)[١]، وكتاب "الجواهر المفضلات فى تصنيف الأحاديث المسلسلات" للقاسم بن محمد ابن أحمد الأوسى الأنصارى القرطبى المعروف بابن الطليسان (المتوفى٦٤٢هـ/١٢٤٤م)[٢].

ومثال كتب "الثلاثيات" و... الخ: كتاب "المخمس فى الحديث" للقاضى أبى بكر محمد ابن إسحق بن السليم القرطبى (المتوفى ٣٦٧هـ/٩٧٧م)[٣]. وكتاب "السباعيات" للقاضى ابن العربى (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م)[٤] وكتاب "السباعيات من حديث الصدفى" لسليمان بن موسى الحميرى القرطبى المعروف بابن سالم الكلاعى (المتوفى ٦٣٤هـ/١٢٣٦م). وله أيضا كتاب "الأربعون السباعية"[٥].

ومثال كتب "الأربعينات": كتاب "الأحاديث الأربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة" لابن سالم الكلاعى[٦]. وكتاب "الأحاديث الأربعون فيما ينتفع به القارئون والسامعون" لأبى بكر محمد بن على بن الفخار الجذامى المالقى (المتوفى ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)[٧].

(٢) كتب الأفراد[٨]: ومنها: كتاب "نظم الدرارى فيما تفرد به مسلم عن البخارى" لأبى العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموى الإشبيلى المعروف بابن الرومية[٩] (المتوفى٦٣٧هـ/١٢٣٩م).

(٣) كتب الأطراف[١٠]: ومنها كتاب "الإنباه على الموطأ" لأحمد بن طاهر بن عيسى ابن رصيص الدانى الأندلسى (المتوفى ٥٣٢هـ/١١٣٧م)، ضاهى به كتاب "أطراف الصحيحين" لأبى مسعود إبراهيم بن محمد بن عبد الله الدمشقى، وعرضه على شيخه أبى على

---

١) التكملة لابن الأبار ٥٦١/٢.

٢) الذيل والتكملة لعبد الواحد المراكشى السفر الخامس - الجزء الثانى، ص ٥٦٦، الرسالةالمستطرفة للكتانى ص ٨٣. وراجع كتبا أخرى فى هذا الفن: الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٢٢ (ط بيروت)، المرقبة العليا للنباهى ص ١١٩، مقدمة تحقيق برنامج أبى عبد الله المجارى الأندلسى ص ٢٣.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ٢١٥/٢.

٤) فهرسة ابن خير ص ١٧٥.

٥) الديباج المذهب ص ١٢٢ (ط بيروت)، التكملة لابن الأبار ٥٦٥/٢، وراجع كتبا أخرى فى هذا الفن للأندلسيين ص (١١٠) من الرسالة المستطرفة.

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٢٢ (ط بيروت).

٧) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٠٣ - ٣٠٤(ط بيروت).

٨) راجع المقصود بهذا المصطلح (ص ١٠١) من القسم الأول.

٩) الذيل والتكملة - السفر الأول / الجزء الثانى ص ٥١٣.

١٠) راجع المقصود بالأطراف (ص ١٠٣) من القسم الأول.

الصدفى، فاستحسنه[١].

(٤) كتب العوالى (عوالى المحدثين): وهى كثيرة، منها "العوالى" لابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)[٢]، و"العوالى" لأبى محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب الجزامى الأندلسى (المتوفى ٥٢٠هـ/١١٢٦م)[٣]، وكتاب "الأحاديث العوالى الموافقة للصحيحين البخارى ومسلم" خرجها عن شيوخه: أبو الفضل أحمد بن خيرون بن إبراهيم، وهو من شيوخ أبى على الصدفى السرقسطى (المتوفى ٥١٤هـ/١١٢٠م)[٤].

(٥) الكتب المفردة: فى أبواب مخصوصة، فى الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب والفضائل والأذكار والدعوات، والزهد والرقائق وغيرها. وللأندلسيين فى ذلك كله مؤلفات حديثية كثيرة، تناثرت أسماؤها فى بطون الكتب.

ثانيا: تأليف المجامع (الموسوعات) الحديثية:

وقد سلك بعض علماء الحديث بالأندلس مسلك المشارقة فى الجمع بين أمهات كتب الحديث، وظهر ذلك فى صورتين:

الصورة الأولى: الجمع بين "صحيحى البخارى ومسلم": وأبرز من صنف بهذه الطريقة من الأندلسيين: الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدى الحميدى القرطبى (المتوفى ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م) وهو صاحب كتاب "جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس". الذى صنفه فى بغداد[٥]. وجمع بينهما أيضاً مؤلف واحد: أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن المعروف بابن الخراط الإشبيلى (المتوفى ٥٨١هـ/١١٨٥م)[٦]، وأبو عبد الله محمد بن حسين ابن أحمد الأنصارى - من أهل المرية - (المتوفى ٥٨٢هـ/١١٨٦م)[٧].

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٥.

٢) الغنية فهرس القاضى عياض (مخطوط) بدار الكتب المصرية - برقم ١٢٨٤/ تاريخ تيمور.

٣) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٦٥.

٤) فهرسة ابن خير ص ١٦١.

٥) بغية الملتمس للضبى ص ١٢٣ - ١٢٤، فهرسة ابن خير ص ١٢٢ والصلة لابن بشكوال ص ٥٦٠، نفح الطيب للمقرى ١١٤/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٢/٤، معجم الأدباء لياقوت ٢٨٤/١٨ -٢٨٥.

٦) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٧٣.

٧) الصلة لابن بشكوال ص ٥٨٣، فهرسة ابن خير ص ١٢٢.

والصورة الثانية: الجمع بين الأصول الستة:، أى الصحاح الثلاثة التى هى للبخارى ومسلم وموطأ مالك، والسنن الثلاثة، وهى سنن أبى داود والترمذى والنسائى. وممن صنف على هذه الطريقة من الأندلسيين:

١ - أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدرى السرقسطى الأندلسى (المتوفى ٥٣٥ هـ/١١٤٠م) وكتابه يسمى "تجريد الصحاح والسنن"، وقد يسمى "تجريد صحاح أصول الدين مما اشتمل عليه الصحاح الستة الدواوين" وقد راعى فيه حذف الأسانيد[١].

٢ - أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلى المعروف بابن الخراط (المتوفى ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، له كتاب "الجمع بين المصنفات الستة". وصنف أيضا "الجامع الكبير" أضاف إلى الكتب الستة كثيرا من مسند البزار وغيره، وخلط فيه بين الصحيح وغيره، وتكلم فيه على علل الأحاديث[٢].

ثالثا: تصنيف الشروح للكتب الستة:

وفى إطار عناية الأندلسيين بكتب الحديث والسنة الواردة إليهم من (بغداد/المشرق) وضعوا لها عدة شروح بقصد الكشف عن معانيها واستنباط الأحكام منها. ويحفل التراث الأندلسى بالكثير من هذه الشروح التى تركزت حول الكتب الأمهات: صحيحى البخارى ومسلم والسنن الأربعة (النسائى - أبو داود - الترمذى - ابن ماجه) وموطأ مالك وغيرها، وما ذلك إلا لأنها طبقت شهرتها الآفاق، وكادت تشتمل على ما ثبت من الأحاديث ولا يغيب عنها إلا النذر اليسير، ويعتمد عليها الفقهاء والمجتهدون والمصلحون.

١ - شروح صحيحى البخارى ومسلم:

وقد استأثر كل من صحيحى البخارى ومسلم بعناية علماء الأندلس، فمنهم من جمعها فى شرح واحد، كابن العربى المالكى الإشبيلى (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م) وسماه كتاب "النيرين فى شرح الصحيحين"[٣]. ومنهم من شرحهما بعد اختصارهما، كأبى العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصارى القرطبى المعروف بابن المزين (المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م»[٤].

ومنهم من أفرد أحد الصحيحين بالشرح مع اختصار أصل الكتاب أو بدونه. وأشهر

---

١) نفح الطيب للمقرى ٣/١٨٠، فهرسة ابن خير ص ١٣، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٧٤.
٢) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٧٥ - ١٧٧ (ط بيروت/دار الكتب العلمية).
٣) ابن العربى: عارضة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى ١٠/٢٢.
٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٦٨ - ٦٩. (ط بيروت).

الأندلسيين الذين شرحوا صحيح البخارى: أبو الحسن على بن خلف بن بطال القرطبى (المتوفى ٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، شرحه فى عدة مجلدات ورواه الناس عنه[١]. وأبو عبد الله محمد بن على ابن على بن إبراهيم الطليطلى المعروف بابن قرديال (المتوفى٤٧٩هـ/١٠٨٦م»[٢]. وأبو عبد الله محمد بن خلف بن سعيد بن وهب (من أهل المرية) - المعروف بابن المرابط (المتوفى ٤٨٥ هـ/١٠٩٢م»[٣]. واختصره أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أبى صفرة الأسدى - من أهل المرية (المتوفى ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) وسماه "النصيح فى اختيار الصحيح" ثم علق عليه تعليقا حسنا[٤].

وأهم الشروح لصحيح مسلم: كتاب "المعلم فى شرح مسلم" وكتاب "اقتباس السراج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج" لأبى الحسن على بن أحمد بن محمد الغسانى الواد آشى (المتوفى ٦٠٩هـ/١٢١٢م»[٥]. و"المفهم فى شرح صحيح مسلم" لأبى العباس أحمد بن عمر ابن إبراهيم الأنصارى القرطبى (المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وهو شرح على مختصر له ذكر فيه أنه لخصه ورتبه وبوبه وشرح غريبه، ونبه على نكت من إعرابه وعلى وجوه الاستدلال بأحاديثه[٦].

٢ - شروح كتب السنن: وقد شرح أبو بكر بن العربى الإشبيلى (المتوفى٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) سنن الترمذى وسماه "عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى" فى ثلاثة عشر مجلد[٧] (مطبوع). ولأبى الحسن على بن عبد الله بن نعمة الأنصارى الأندلسى (المتوفى ٥٦٧هـ/ ١١٧١م) شرح لسنن ابن ماجه[٨].

٣ - شروح موطأ مالك: والكتاب الذى حظى بقدر كبير من دراسة الأندلسيين سواء من الناحية الحديثية أو الفقهية - هو كتاب "الموطأ" للإمام مالك لما كان يمثله من قيمة كبيرة بالنسبة لهم. وسيأتى الحديث عن الشروح الفقهية لهذا الديوان فى المبحث الخاص بعلم

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ٤١٤، الذيل والتكملة - السفر الأول - الجزء الثانى - ص ٢٦٧، الديباج المذهب ص ١٢٢ (ط بيروت).

٢) الصلة لابن بشكوال ص ٥٥٥.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٥٥٧.

٤) بغية الملتمس ص ٤٧١، جذوة المقتبس ص ٥٦٣، الديباج المذهب ٣٤٦/٢(ط مصر).

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢١١ (ط بيروت)، الذيل والتكملة ١٧٧/٢/٥.

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ٦٨ - ٦٩ (ط بيروت)، الذيل والتكملة ٣٤٨/٢/١، ٤٧٥.

٧) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٨٢ (ط بيروت). ونفح الطيب للمقرى ٢٤٢/٢.

٨) إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ٨٨/٢.

الفقه[١]، وسنذكر بعد قليل أهم الدراسات التى كتبت حوله من الناحية الحديثية[٢].

رابعا: التصنيف فى علم الجرح والتعديل وتاريخ الرواة[٣]:

وقد اهتم علماء الحديث بالأندلس بعلم الجرح والتعديل وقواعده ودراسة أحوال الأسانيد، ومكنتهم ثقافتهم الحديثية الواسعة من معرفة نقلة الحديث ومراتبهم وأحوالهم، وضبط أسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم، ومعرفة العدول منهم، وتمييز الأسماء المتفقة والمفترقة، والمؤتلفة والمختلفة.. . الخ. ولا شك فى أن الأندلسيين مدينون للمدرسة البغدادية بجانب كبير من هذا العلم، وأتاحت لهم رحلاتهم إلى (بغداد/المشرق) التتلمذ على أئمة الحديث فى الجرح والتعديل، كالإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) ويحيى بن معين (المتوفى ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، وعلى بن المدينى (المتوفى٢٣٤هـ/٨٤٨م) والدار قطنى (المتوفى٣٨٥هـ/٩٩٥م) وغيرهم.

وقد تنوعت مؤلفات الأندلسيين فى علم الجرح والتعديل وتاريخ رواة الحديث، وتعددت طرقهم فى ترتيب مادة هذا العلم وأساليب عرضها وتفريعها، وسلكوا فى ذلك مسلك المشارقة، وقل أن نجد عالما أندلسيا فى الحديث ليس له مصنف فى تاريخ الرجال "رواة الحديث". والتراث الأندلسى فى هذا الميدان - وإن كان لا يضاهى إنتاج المشارقة كثرة - فإنه يعد رصيدا علميا يشهد لهم بمهارتهم، ودليلا على ازدهار النشاط العلمى فى هذا المجال بالأندلس.

وأهم ما ينسب للأندلسيين فى الجرح والتعديل كتابان:

الأول: كتاب "تاريخ الرجال" لأبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى القرطبى (المتوفى ٣٥٠هـ/٩٦١م). وهو كتاب كبير جمع فيه مؤلفه جميع ما حصل عليه من أقوال العلماء فى جرح وتعديل الرواة «وبلغ فيه الغاية» كما يقول ابن الفرضى[٤]. ويقع فى خمسة وثمانين جزءا[٥]. وجعله ابن حزم الأندلسى من مفاخر الأندلسيين، وقال:«ما وضع فى الرجال أحد مثله إلا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلى البغدادى»[٦] (المتوفى٣٢٣هـ/٩٣٤م). وقد

---

١) راجع عن الشروح الفقهية مطلع البحث التالى (ص٧٤٨).
٢) راجع (ص٧٤٢).
٣) راجع المقصود بعلم الجرح والتعديل (ص١٠٤) من القسم الأول.
٤) تاريخ العلماء بالأندلس ٥٦/١. وراجع جذوة المقتبس للحميدى ١٩٨/١ - ١٩٩.
٥) فهرسة ابن خير ص ٢٢٧.
٦) نفح الطيب للمقرى ١٧٠/٣.

سمعه منه كثير من الطلبة ونشروه فى ربوع الأندلس. واختصره ابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)»[١].

والثانى: كتاب "التعديل والتجريح لمن روى عنه البخارى فى الصحيح: لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى (المتوفى ٤٧٤هـ/١٠٨١م)»[٢].

ومن أكمل الكتب المشرقية فى جرح الرواة التى اعتمد عليها الأندلسيون فى هذا الفن: كتاب "الكامل فى ضعفاء الرجال" لعبد الله بن عدى الجرجانى نزيل بغداد (المتوفى ٣٦٥هـ/ ١٩٧٥م)، وهذا الكتاب ذيل عليه العالم الأندلسى أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلى المعروف بابن الرومية (المتوفى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وسماه "الحافل فى تكملة الكامل"[٣].

وفى (تاريخ الرواة) صنف الأندلسيون كتبا فى الأنواع التالية : –

(١) معرفة الصحابة والتابعين: وأبرز كتاب فى هذا الفن هو كتاب " الاستيعاب فى معرفة الأصحاب " لابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٦٩م) رتبه على حروف المعجم المغربى، واعتمد فيه على مجموعة كبيرة من كتب المشارقة فى الطبقات والأنساب والجرح والتعديل والمغازى وكتب الصحاح والسنن. وضمنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة[٤]. وقد حظى هذا الكتاب باهتمام كثير من العلماء فى المشرق والمغرب، وكتبت له عدة مختصرات وذيول، منها "ذيل" لأبى بكر محمد بن خلف بن سليمان الأندلسى المعروف بابن فتحون (المتوفى٥١٩هـ/١١٢٥م) استدرك فيه على ابن عبد البر قريبا من عدد تراجم (الاستيعاب»[٥].

وصنف أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس القرطبى (المتوفى٤٠٢هـ/ ١٠١١م) كتاب "فضائل الصحابة" فى مائة جزء، وسماه "المصابيح فى فضائل الصحابة "[٦].

---

١) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣/٨١٠.

٢) نفح الطيب للمقرى ٢/٦٩، فهرسة ابن خير ص ٢١٢، الديباج المذهب ١/٣٨٥ (ط مصر)، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ٢٠٧.

٣) الرسالة المستطرفة ص ١٤٥.

٤) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٢٨.

٥) الرسالة المستطرفة ص ١٢٨، ص ٢٠٣، ٢٠٤، فهرس ابن خير ص ٢١٤، وراجع كتاب (ابن عبد البر الأندلسى وجهوده فى التاريخ) / ليث سعود جاسم/ص ٢٨٧ – ٣٠٠ (ط دار الوفاء بالقاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م).

٦) الصلة لابن بشكوال ص ٣١٢، الرسالة المستطرفة ص ٥٨، ١٠٥.

(٢) كتب الطبقات التى تخدم علم الحديث: وكل ما صنفه الأندلسيون فى هذا الباب خاص برجال الأندلس، وسيأتى الحديث عنه فى عرضنا للتراث الأندلسى فى علم التاريخ.

(٣) كتب الكنى والألقاب[١]: و منها كتاب "أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين " لأبى القاسم خلف بن قاسم بن سهل القرطبى المعروف بابن الدباغ (المتوفى٣٩٣هـ/١٠٠٢م) وهو من المكثرين من سماع المحدثين المشارقة[٢]. و كتاب "معجم الآداب فى معجم الأسماء و الألقاب" لأبى الوليد بن الفرضى محدث الأندلس (المتوفى٤٠٣هـ/ ١٠١٢»[٣].

وصنف ابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فى هذا الفن كتابا بعنوان "الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى" فى مجلد ضخم[٤]. وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا. وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام: يذكر فى القسم الأول من عرف من الصحابة بكنيته واشتهر بها و لم يوقف على اسمه، أو عرف اسمه على اختلاف فيه. ويذكر فى القسم الثانى التابعين ومن بعدهم ممن اشتهر بكنيته أو عرف بكنيته ممن وقف له على اسم ولكنه لم يعرف به. ووصف ابن عبد البر هذا النوع بقوله «وهو باب من السنة مستحسن، لم يزل أهل العلم بالسنن يعنون به ويرسمونه فى كتبهم ويتطارحونه، رغبة فى الوقوف عليه والمعرفة به، وينتقصون من جهله». وأما القسم الثالث فيذكر فيه المشهورين بالكنى ممن لم يذكر له اسم سوى كنيته[٥].

(٤) كتب فى المتشابه من أسماء الرواة: وأهمها كتاب "المتشابه فى أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم " وقد يسمى " مشتبه النسبة " – لأبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى المعروف بابن الفرضى (المتوفى٤٠٣هـ/١٠١٢م)»[٦]، وهو صاحب الكتاب المشهور "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس".

---

١) راجع المقصود بهذا النوع (ص١١٢) من القسم الأول.

٢) بغية الملتمس للضبى ص ٢٨٧ – ٢٨٨، تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١ / ١٦٣ – ١٦٤.

٣) الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٢٠.

٤) فهرس ابن خير ص ٢١٤، الرسالة المستطرفة ص ١٢١ – ١٢٢.

٥) ابن عبد البر القرطبى: الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى (مخطوط) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ١٥٥ / مغرب ثانية)، الورقة الأولى، ٤٦، ١٨٩.

٦) فهرس ابن خير ص ١١٨، نفح الطيب للمقرى ٢/ ١٢٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ١٠٥ – ١٠٦.

(٥) وأبرز كتاب للأندلسيين فى المؤتلف والمختلف: هو كتاب ابن الفرضى، وهو كتاب كبير[١]، يقع فى ثلاثين جزءا، وفاق به كتاب عبد الغنى بن سعيد الأزدى البصرى (المتوفى٤٠٥هـ/١٠١٨م)، وعده ابن حزم من مفاخر الأندلسيين وقال: «لا أعلم مثله فى فنه البتة»[٢].

وقد قام علماء الأندلس بدراسة كتاب "المؤتلف والمختلف" للدار قطنى على بن عمر البغدادى (المتوفى٣٨٥هـ/٩٩٥م) واستدركوا عليه، وكتبوا عنه دراسات، منها: كتاب "الإعلام بما فى المؤتلف والمختلف للدار قطنى من الأوهام "، لأبى محمد عبد الله بن على بن عبد الله اللخمى المرى (نسبة إلى المرية) الإلبيرى المعروف بالرشاطى (المتوفى٥٤٢هـ/١١٤٧م»[٣].

(٦) ومن الفنون التى صنف فيها الأندلسيون مما له صلة بتاريخ رجال الحديث:

"تقييد المهمل وتمييز المشكل من أسماء الرواه"[٤]، و"الغوامض والمبهمات"[٥] و"معاجم الشيوخ"[٦] و"الإخوة والأخوات"[٧] و... غير ذلك من الأنواع التى تدل على اهتمامهم البالغ بعلم الرواة.

(٧) وقد أعطى الأندلسيون عناية كبيرة لدراسة الرواة الذين وردت أسماؤهم فى كتب الصحاح و السنن. وحظى "الصحيحان" و"موطأ" مالك بالقدر الأكبر من هذه الدراسة. نذكر منها: "التعديل والتجريح لمن روى عنه البخارى فى الصحيح" لأبى الوليد الباجى (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م»[٨] ومنها: "تقييد المهمل وتمييز المشكل فى رجال الصحيحين" لأبى على

---

١) بغية الملتمس ص ٣٣٥، جذوة المقتبس ١ / ٣٩٦ – ٣٩٧، نفح الطيب ٢ / ١٢٩، الذيل و التكملة السفر الخامس / الجزء الثانى / ص ١٤٧.

٢) نفح الطيب ٣ / ١٧٠ (رسالة فضل الأندلس لابن حزم). وراجع ما ذكرناه من كتاب عبد الغنى بن سعيد (ص ١١٤).

٣) الرسالة المستطرفة ص ١١٥ – ١١٦.

٤) فهرسة ابن خير ص ٢٢٠، بغية الملتمس للضبى ص ٢٦٥، الصلة لابن بشكوال ص ١٤٣، الديباج المذهب لابن فرحون ١ / ٣٣٣ (ط مصر).

٥) الصلة لابن بشكوال ص ١٤٣، فهرسة ابن خير ص ٢١٩، الرسالة المستطرفة ص ١٢٢.

٦) الصلة ص ١٠٣، الذيل و التكملة ١/ ٢/٤٤، ٩٢، ٢١٢، ٢٤١، ٣٩١. الديباج المذهب ص ٦٩، ٢٩٢ (ط بيروت)، ١ / ١٩٣ (ط مصر)، برنامج أبى عبد الله المجارى الأندلسى ص ٦٧.

٧) الصلة لابن بشكوال ص ٣١١، الرسالة المستطرفة ص ١٠٥.

٨) فهرسة ابن خير ص ٢١٢.

حسين بن محمد بن أحمد الغسانى القرطبى (المتوفى ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م»[١]. و"المنهاج فى رجال مسلم بن حجاج" لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع الإشبيلى القرطبى (المتوفى ٥٢٢هـ/١١٢٨م»[٢].

وصنف فى أسانيد "الموطأ" كل من ابن مزين (المتوفى٢٥٩هـ/٨٧٢م»[٣] وأبى عبد الله بن الحذاء (المتوفى٤١٠هـ/١٠١٩م»[٤]، وابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م»[٥]، وابن يربوع الإشبيلى القرطبى (المتوفى٥٢٢هـ/١١٢٨م) وعنوان كتابه " تاج الحلية و سراج البغية فى معرفة أسانيد الموطأ "[٦]. وغيرهم كثيرون من الفقهاء المالكية.

وهكذا قدم لنا الأندلسيون مجموعة كبيرة من كتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة استمدوها من المصادر المشرقية التى وقعت تحت أيديهم، إضافة إلى المعلومات التى جمعوها من أساتذة هذا الفن فى (بغداد/المشرق). ولاشك أن بعضهم وضع معالم منهج فى دراسة الأسانيد والحكم على رواتها، وإن كان هذا المنهج لا يخرج فى إطاره العام عن مناهج المشارقة.

خامسا: التصنيف فى علل الحديث[٧]:

وقد برز علماء الحديث بالأندلس فى ميدان البحث عن 'علل الأحاديث' و معرفة الأسباب الخفية التى تقدح فى صحتها، وهذا العلم هو رأس علم الدراية، ونوع من النقد الموضوعى العميق للأحاديث النبوية. وممن كان له باع طويل فيه: أبو محمد الأصيلى (المتوفى٣٩٢هـ/١٠٠١م) قال عنه ابن فرحون: «هو من أعلم الناس بالحديث وأبصرهم بعلله ورجاله»[٨]، وأبو محمد عبد الله بن حنين بن عبد الملك الكلابى القرطبى (المتوفى٣١٨هـ/ ٩٣٠م)، وله تأليف فى معرفة الرجال (الرواة) وعلل الحديث[٩]. وابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م»[١٠].

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ١٤٣.
٢) الصلة ص ٢٩٤، الديباج المذهب ص ١٤١ (ط بيروت).
٣) تاريخ ابن الفرضى ٢ / ١٧٨، فهرسة ابن خير ص ٩٢.
٤) الصلة لابن بشكوال ص ٥٠٦ - ٥٠٧، الديباج المذهب ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ (ط مصر)، الرسالة المستطرفة ص ٢٠٩، فهرسة ابن خير ص ٩٣.
٥) الرسالة المستطرفة ص ١١٣.
٦) الصلة لابن بشكوال ص ٢٩٤، الديباج المذهب ص ١٤١ (ط بيروت).
٧) راجع المقصود بمصطلح (العلل) وطريقة التأليف فيه وأهميته (ص ١١٦) من القسم الأول.
٨) الديباج المذهب لابن فرحون ٤٣٤/١ (ط مصر).
٩) الديباج المذهب ص ١٣٩ (ط بيروت/ دار الكتب العلمية).
١٠) بغية الملتمس ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

وأبو الوليد الباجى (المتوفى٤٧٤هـ/١٠٨١م»[١]. وأبو عبد الله الحميدى (المتوفى٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وأبو على الصدفى (المتوفى٥١٤هـ/١١٢٠م) الذى قال عنه المقرى: «كان عالما بالحديث وطرقه، عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته.... حافظا لمصنفات الحديث قائما عليها، ذاكرا لمتونها وأسانيدها ورواتها»[٢]. وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلى المعروف بابن الخراط (المتوفى٥٨١هـ/١١٨٥م)، له كتاب فى هذا العلم بعنوان "المعتل من الحديث"[٣]. وأبو عبد العزيز بن محمد الأنصارى المعروف بالدورقى الأطروش القرطبى (المتوفى٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) جمع كتبا فى علل الحديث وطرقه وصحيحه وسقيمه وأسماء رجاله ونقلته[٤]. وهناك الكثيرون ممن برعوا فى هذا العلم وامتلأت كتب التراجم والطبقات الأندلسية بأسمائهم. ولكن على الرغم من وجود هذه الوفرة من الأندلسيين الذين برعوا فى معرفة "العلل" فإن التأليف فيه كان قليلا[٥]، وأكثر كلامهم عنه مبثوث فى كتب الجرح والتعديل وكتب تاريخ الرواة.

سادسا: علم غريب الحديث:

ومن أكثر الفروع التى عنى بها الأندلسيون فى مجال علوم الحديث هو: علم "غريب الحديث"[٦]. وقد عرفنا من قبل أنهم أدخلوا إلى قرطبة عددا من المصادر البغدادية فى هذا العلم، مثل كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى و ابن قتيبة و الخطابى[٧].

وأول كتاب أندلسى فى "غريب الحديث" تطالعنا به المصادر هو لعبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمى الإلبيرى القرطبى (المتوفى٢٣٨هـ/٨٥٢م) وهو أحد العلماء الذين عملوا على ترسيخ الفقه المالكى فى الأندلس[٨]. وتلاه فى تصنيف "غريب الحديث" محمد بن عبد السلام الخشنى القرطبى (المتوفى٢٨٦هـ/٨٩٩م)، كتابه يزيد على عشرين جزءا، منها أحد عشر جزءا

---

١) نفح الطيب للمقرى ٢/٧١.
٢) المصدر نفسه ٢/٩١.
٣) الديباج المذهب ص ١٧٦، الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٨٠.
٤) الصلة لابن بشكوال ص ٣٧٣.
٥) انظر أسماء مؤلفات أخرى للأندلسيين فى "العلل": فهرسة ابن خير ص ٢٠٤، ٢١١، تاريخ ابن الفرضى ٢/١٧٨.
٦) راجع المقصود بهذا المصطلح (ص ١١٨) من القسم الأول.
٧) راجع عن ذلك (ص ٥٨٢ - ٥٨٦)
٨) ابن الفرضى: تاريخ العلماء بالأندلس ١/٣١٢ - ٣١٣، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٦٠، وقد سبق الحديث عن عبد الملك بن حبيب (ص٧٠٦، ٧١٨) و سيأتى الحديث عنه فى مبحث الفقه (٧٥٣).

فى غريب حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ستة أجزاء فى غريب أقوال الصحابة، وخمسة أجزاء فى غريب أقوال التابعين. ومن الجدير بالذكر أن محمد بن عبد السلام الخشنى هو الذى أدخل إلى الأندلس كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى فى غريب الحديث، كتبها ببغداد أثناء مقامه بها[١].

أما الكتاب الذى احتفى به الأندلسيون و عدوه من مفاخرهم فى هذا الباب فهو كتاب "الدلائل" فى غريب الحديث، لأبى محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفى السرقسطى (المتوفى٣٠٢ هـ/٩١٤م). و قد ينسب إلى ولده (ثابت بن قاسم) (المتوفى٣٥٢هـ/٩٦٣م)، ولعل ذلك من أجل روايته إياه عن أبيه وزيادته فيه[٢]. و يقال: إنهما اشتركا فى تأليفه فيروى أن قاسم بن ثابت بن حزم وضع الكتاب ومات قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بن حزم (المتوفى٣١٣هـ/ ٩٢٥م»[٣].

وقد أثنى على هذا الكتاب جماعة من علماء المشرق والأندلس، وفضلوه على كتاب ابن سلام الجمحى والخطابى، فقال الضبى فى "البغية": «ذكر فيه ما لم يذكر أبو عبيد ولا الخطابى، وأورد فيه من اللغة ما لم يورده أحد من أهل الأغربة»[٤]. وذهب ابن حزم إلى أن أبا عبيد القاسم بن سلام الجمحى إن كان له فضل فى تصنيف "غريب الحديث " فإنه يرجع إلى تقدمه، و إلا فكتاب "الدلائل" لقاسم بن ثابت يفوقه فى هذا الباب[٥]. و قال ابن فرحون: "كتاب الدلائل شرح فيه ما أغفله أبو عبيد و ابن قتيبة من غريب الحديث، و ناهيك به إتقانا"[٦]..

ويكفى دليلا على قيمة هذا الكتاب و تفضيله على كتب المشارقة فى هذا الباب ما ذكره عنه الأديب الناقد والعالم اللغوى الكبير أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى المعروف بالقالى نزيل قرطبة (المتوفى٣٥٦هـ/٩٦٦م)، فقد نسخ كتاب الدلائل فأعجب به، وقال: «ما أعلم

---

١) راجع طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٦٨، فهرسة ابن خير ص ١٩٥، تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٢ /١٦ - ١٧، أخبار الفقهاء و المحدثين لمحمد بن حارث الخشنى ص ١٣٢ (ط مدريد ١٩٩١م).

٢) بغية الملتمس للضبى ص ٢٥٤، ص ٤٤٨، جذوة المقتبس للحميدى ١ / ٢٨٦، ٢ / ٥٢٨، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٤ / ٥٦٣، فهرسة ابن خير ص ١٩١ .

٣) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٤٠٣/١، الديباج المذهب لابن فرحون ٣١٩/١.

٤) بغية الملتمس للضبى ص ٢٥٤.

٥) جذوة المقتبس للحميدى ٥٢٨/٢.

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ٣١٩/١ (ط مصر).

وضعا بالأندلس مثله» ذكر ذلك ابن الفرضى فى "تاريخه" و عقب على كلام القالى فقال: «ولو قال أبو على: ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد»[١].

ويروى الزبيدى فى "طبقاته" أن أبا على القالى طالع كتابى الخشنى وعبد الملك بن حبيب (المذكورين من قبل) ففضل عليهما كتاب "الدلائل" لقاسم بن ثابت، وقال: «يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت (الأب) فى شرح الحديث، وقد طالعت كتبا ألفت فيما لديكم ورأيت كتاب الخشنى فى شرح الحديث وطالعته، فما رأيته صنع شيئا، و كذلك كتاب عبد الملك بن حبيب»[٢].

ومن تراث الأندلس فى غريب الحديث " المشرع الروى فى الزيادة على كتاب الهروى فى غريب القرآن و الحديث " للقاضى أبى عبد الله محمد بن على بن خضر الغسانى المعروف بابن عسكر (المتوفى٦٣٦هـ/١٢٣٨م»[٣]. و صنف أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلى المعروف بابن الخراط (المتوفى٥٨١هـ/١١٨٥م) كتابا ضاهى به "الغريبين" للهروى[٤]. وصنف أبو الحسن على بن القطان القرطبى كتابا فى "غريب الحديث ورجاله "، وهذا الكتاب يعد من مفاخر الأندلسيين، وذكره ابن سعيد فى تذييله على رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلس[٥]..

ومن مظاهر عناية الأندلسيين بعلم غريب الحديث أنهم وضعوا عدة كتب فى شرح غريب كتب السنة والصحاح، فمن ذلك كتاب " شرح غريب الموطأ " لعبد الملك بن حبيب السلمى (المتوفى٢٣٨هـ/٨٥٢م»[٦]. وقد يكون هو كتابه المذكور قبل قليل. ومنها: كتاب فى تفسير غريب صحيح البخارى مرتب على حروف المعجم لأبى الوليد هشام بن عبد الرحمن القرطبى المعروف بابن الصابونى (المتوفى٤٢٣هـ/١٠٣١م»[٧].

---

١) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ٤٠٣/١، الديباج المذهب لابن فرحون ٣١٩/١ - ٣٢٠، نفح الطيب للمقرى ٤٩/٢، الرسالة المستطرفة ص ١٥٥.

٢) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨٥.

٣) المرقبة العليا للنباهى ص ١٢٣، ص ١١٣.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٧٦ (ط بيروت).

٥) نفح الطيب للمقرى ١٨٠/٣.

٦) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١٤٨/٢.

٧) الصلة لابن بشكوال ص ٦٥٠.

تعقيب ومقارنة:

هذه هى الخطوط العامة التى أمكن لنا على ضوئها توزيع و تنظيم التراث الأندلسى فى علم الحديث. ولا ينحصر هذا التراث – دون شك – فى الفنون التى ذكرناها فقط، وإنما طرق الأندلسيون ميادين أخرى لها صلة بهذا العلم. وإننا نلاحظ – وفى حدود رؤيتنا – أن علماء المدرسة (البغدادية/المشرقية) تطرقوا إلى فنون فى الحديث لم يتطرق إليها علماء الأندلس، لاسيما فى دراسة تاريخ الرواة، ولاشك فى أن الإنتاج الأندلسى لا يقاس بالإنتاج المشرقى الهائل، وإن علم الحديث فى بلاد الأندلس ما كان لينهض و يستوى على سوقه دون الاستعانة الكاملة – وعلى الأقل فى بادئ الأمر – بمعارف (البغداديين/المشارقة)، شأنه فى ذلك شأن بقية العلوم الإسلامية.

وجملة القول: إن المدرسة الأندلسية فى علم الحديث ترسمت خطى مدرسة (بغداد/المشرق) فى حفظ الحديث النبوى ونشره وتدوينه وتوسيع رقعة التصنيف فى فنونه، والمشاركة فى تأصيل قواعده، وتعميق مناهجه.

ونتقل الآن إلى مجال علمى آخر لنرى إلى أى مدى حقق أهل الأندلس خصوصيتهم، ولنقف على أهم إسهاماتهم فيه، وهذا المجال هو علوم اللغة والأدب.

* * * *

المبحث الثالث
الفقه وأصوله

توطئة: كان المذهب المالكى من بين المذاهب الفقهية الأخرى هو المذهب المهيمن على بلاد الأندلس، وهو أساس الفكر التشريعى فى الحياة العامة، التعليمية والاجتماعية والسياسية... الخ و لم يكن لغيره من المذاهب كبير حظ من الذيوع والانتشار. هذا ملخص ما ذكرناه من قبل فى سياق حديثنا عن انتقال المذاهب الفقهية من (بغداد/المشرق) إلى قرطبة و سائر بلاد الأندلس.

إن ذلك يعنى أن جهود العلماء الأندلسيين فى مجال التشريع (الفقه) اتجهت كلها أو جلها إلى دراسة المذهب المالكى و مصادره الكبرى و خاصة "موطأ" الإمام مالك و"المدونة" وغيرهما.

وقد استمرت خدمتهم لهذا المذهب حتى نهاية الدولة الإسلامية بالأندلس بحيث يمكن القول: إنهم كانوا أحرص عليه من علماء أى إقليم آخر، وبرز منهم عدد جم من الفقهاء ألفوا كتبا كثيرة جدا فى الفقه المالكى تأصيلا وتفريعا.

التراث الأندلسى فى الفقه المالكى:

أولا: الكتب الأمهات والدراسات التى كتبت حولها:

ومن المتعذر حصر المؤلفات الأندلسية فى هذا المجال أو حصر أشهر علماء الأندلس المالكيين، لأن ذلك يطول. وفى السطور التالية نقتصر على ذكر المصادر الرئيسية التى تعد بمثابة الأصول للمذهب المالكى، وأهم ما كتب حولها من دراسات، ونبدأ بالموطأ.

(١) شروح الموطأ:

حظى الموطأ باهتمام واسع من عناية الأندلسيين، وكتبوا عليه شروحا كثيرة ما بين مختصرة ومطولة، بحيث يمكن القول: إنهم لم يعتنوا بكتاب من كتب الحديث عنايتهم بالموطأ، سواء من الناحية الفقهية أو الحديثية.

وأهم هذه الشروح من الناحية الفقهية[١] فى القرن الثالث الهجرى: كتاب " تفسير الموطأ " لأبى زكريا يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبى (المتوفى٢٥٩هـ/٨٧٢م). وهذا الشرح كان له شهرة فى الأندلس وتدارسه عدد من الفقهاء المالكية، لما كان يتمتع به مؤلفه من مكانة علمية مرموقة وإحاطة بفقه أهل المدينة من أصحاب الإمام مالك[٢]. وله عدة دراسات حول الموطأ من الناحية الحديثية. وفى القرن الرابع صنف أبو محمد الأصيلى عبد الله بن إبراهيم (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م) كتاب " الدلائل " شرح به الموطأ، وذكر فيه خلاف مالك والشافعى وأبى حنيفة. وإلى هذا العالم انتهت الرئاسة بالأندلس فى الفقه المالكى، ووصفه عالمها الدارقطنى البغدادى بقوله: «لم أر مثله»، وكان قد دخل بغداد وتفقه بها[٣].

وهذا الشرح اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبى زمنين (بفتح الزاى والميم ثم كسر النون) الإلبيرى شيخ قرطبة (المتوفى٣٩٩هـ/١٠٠٨م) وكان من كبار الفقهاء و المحدثين والراسخين فى العلم[٤].

وأهم شروح الموطأ فى القرن الخامس الهجرى: " الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار" لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م) «إمام عصره وواحد دهره» كما يقول ابن بشكوال[٥]. وهذا الكتاب كبير " شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه " كما يقول ابن فرحون[٦]. وله كتاب آخر بعنوان " التمهيد لما فى الموطأ من المعانى و الأسانيد " لم يتقدمه أحد إلى مثله، ويقع فى سبعين جزءا ضخاما، و كان مفخرة الأندلسيين فى فقه الحديث، وقال عنه ابن حزم: «لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ؟ ».

---

١) لم نذكر هـنا كل شروح الموطأ. ويمكن الوقوف عليها بالرجوع إلى الديباج المذهب لابن فرحون، وراجع (أوجز المسالك إلى موطأ مالك) لمحمد زكريا الكاندهلوى (ط٣ ٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) مطبعة السعادة بمصر ص ٤٥ – ٥٤.

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ١٧٨، ٢ / ٣٦١، جذوة المقتبس للحميدى ٢ / ٥٩٥، بغية الملتمس للضبى ص ٤٩٧.

٣) راجع الديباج المذهب لابن فرحون ١ / ٤٣٣ – ٤٣٤، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٦ / ٥٦٠ – ٥٦١، المقفى ٤ / ٤٣٩ – ٤٤٠، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١ / ٢٩٠، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٤ / ٦٤٢ – ٦٤٤، طبقات الشيرازى ١٦٤، جذوة المقتبس للحميدى ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ٢٣٢ – ٢٣٣، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٧ / ١٨٨، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٤ / ٦٧٢ – ٦٧٤، بغية الملتمس للضبى ص ٨٧ – ٨٨، طبقات المفسرين للداودى ٢ / ١٦١.

٥) الصلة لابن بشكوال ص ٦٧٧، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨/١٥٧.

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٣٦٧.

وصنف أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجى القرطبى (المتوفى٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) سلسلة من الكتب فى شرح الموطأ، تبدأ بكتاب "الاستيفاء" وهو كتاب جامع وكبير بلغ فيه الغاية واختصره فى كتاب "المنتقى"، ثم اختصر المنتقى فى كتاب سماه "الإيماء" فى خمس مجلدات. وصنف أيضا " المعانى فى شرح الموطأ " جاء فى عشرين مجلدا، وعدم النظير كما يقول الذهبى[١].

ويعد أبو الوليد الباجى من كبار علماء الأندلس فى الفقه وأصوله وعلوم القرآن والحديث، وكانت له رحلة إلى المشرق، وأقام هناك ثلاثة عشر عاما، قضى منها ثلاثة أعوام فى بغداد يدرس الفقه ويسمع الحديث، وهو من شيوخ الخطيب البغدادى مؤلف "تاريخ بغداد". ولم يكن فى الأندلس من يضارعه فى الفقه المالكى، وكان بينه وبين ابن حزم الأندلسى الظاهرى (المتوفى٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) مناظرات ومجادلات مشهورة، ومع ذلك أثنى عليه ابن حزم ورفع من مكانته، وقال عنه لم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد القاضى عبد الوهاب البغدادى (المتوفى٤٢٢هـ/١٠٣٠م) مثل أبى الوليد الباجى[٢].

وقد تتابعت شروح الموطأ وكثرت فى القرون التالية، فشرحه كل من ابن العربى المالكى الإشبيلى (المتوفى٥٤٣هـ/١١٤٨م»[٣] وابن السيد البطليوسى النحوى (المتوفى٥٢١هـ/ ١١٢٧م»[٤] وعلى بن أحمد بن محمد الغسانى (المتوفى٦٠٩هـ/١٢١٢م»[٥] وغيرهم[٦].

(٢) شروح المدونة[٧]:

وتعد " المدونة الكبرى" التى تنسب إلى سحنون بن سعيد التنوخى (المتوفى ٢٤٠هـ)

---

١) سير أعلام النبلاء للذهبى ٥٣٨/١٨، الديباج المذهب لابن فرحون ٣٨٤/١.

٢) الذخيرة لابن بسام ٢ / م١ / ٩٤ – ١٠٥، الديباج المذهب لابن فرحون ١ / ٣٨٠، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨ / ٥٣٨، وراجع ترجمة الباجى فى الصلة ص ٢٠٢ – ٢٠٣، بغية الملتمس للضبى ص ٣٠٢ – ٣٠٣، معجم الأدباء الياقوت ١١ / ٥٤٦ – ٢٥١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ /٤٠٨ –٤٠٩، فوات الوفيات ٢ / ٦٤ – ٦٥، ترتيب المدارك ٤ / ٨٠٢ – ٨٠٨، طبقات المفسرين للداودى ١ / ٢٠٢ – ٢٠٧.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٨١ – ٢٨٢ (ط) المقفى ٦ / ١١٠.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ١ / ٤٤١ (ط /مصر)، الصلة لابن بشكوال ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢١١ – ٢١٢ (ط بيروت).

٦) راجع الديباج ص ٤٥، ٥٦، ٢١٩، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣١٣ (ط بيروت)، المرقبة العليا للنباهى ص ١٠٠، الجذوة ٥٦٣/٢، البغية ص ٤٦١، ٤٧١.

٧) راجع ما ذكرناه من قبل عن المدونة (ص٥٤٣).

الأصل الذى جمع فقه الإمام مالك، بعد "الموطأ" بواسطة تلميذه ابن القاسم، وتلتها كتب أخرى للفقهاء الأندلسيين مثل " العتبية " المسماه "بالمستخرجة " و " الواضحة " لكن لم تكن فى درجتها. ويكفى فى معرفة مكانتها عند الفقهاء المالكية ما قاله ابن رشد الأندلسى المالكى (المتوفى٥٢٠هـ/١١٢٦م): «ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك، ولا بعد الموطأ ديوان فى الفقه من المدونة. والمدونة عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب أوقليدس[١] عند أهل الحساب، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة تجزىء عن غيرها ولا يجزى عنها غيرها "[٢].

وقول ابن رشد هذا مراده بيان القيمة الفقهية للموطأ والمدونة عند علماء المذهب المالكى، وهو حق من هذا الوجه، لأن المدونة أكبر ديوان احتوى على مسائل الإمام مالك وآرائه وآراء أصحابه وتخريج ابن القاسم على أصول مالك. أما إن أراد بقوله هذا بيان قيمتها على سائر المؤلفات الفقهية فى جميع المذاهب فتلك مبالغة لا سبيل إلى قبولها.

ونظرا للأهمية الكبرى التى تتمتع بها " المدونة " بين كتب الفقه المالكى وما تحتوى عليه من أصول المذهب وفروعه فقد تبارى ثلة من العلماء فى شرحها واختصارها وتهذيبها والتعليق عليها والجمع بينها وبين بعض دواوين الفقه المالكى الأخرى كالمستخرجة، فضلا عن حفظها و تدريسها ونشرها فى ربوع الأندلس كلها.

وممن شرحها أو علق عليها أو احتذى حذوها فى التأليف من علماء الأندلس: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبى زمنين (المتوفى٣٩٩هـ/١٠٠٨م) اختصرها وشرح غريبها ومشكلها وعلق على بعض مسائلها[٣]. وصنف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن لبابة الملقب بالبرجون (المتوفى٣٣٦هـ/٩٤٧م) كتاب المنتخب فى الفقه، قال ابن فرحون: «هو على مقاصد الشرح لمسائل المدونة»[٤] وللفقيه البلنسى المعروف بخلف البربلى (المتوفى٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) كتاب فى شرح المدونة واختصارها سماه "التقريب" وصفه ابن بشكوال بأنه " كتاب حسن كثير الفائدة جمع فيه أقوال أصحاب مالك "، وقد عول فيه على ابن أبى زمنين وأخذ

---

١) كتاب أوقليدس فى الهندسة – راجع ما ذكرناه عنه (ص٣٥٢)

٢) ابن رشد: المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام وحل المشكلات ص ٢٨، ولسحنون ابن سعيد كلام شبيه بكلام ابن رشد عن المدونة (راجع الديباج المذهب لابن فرحون ٣٠٦/١).

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٣٢/٢ – ٣٣٣، سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٧ – ١٨٩.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٠٠/٢ (ط مصر) ص ٢٥١ – ٢٥٢ (ط بيروت).

عليه فيه أوهاما فى النقل، واستحسنه علماء عصره، وأقبل الطلبة على دراسته[١]. وصنف أبو الوليد الباجى (المتوفى٤٧٤هـ/١٠٨١م) شرحا كبيرا على المدونة، ثم اختصره فى كتاب سماه "المهذب"، ثم صنف " مختصر المختصر فى مسائل المدونة "[٢].

ومن أهم شروح المدونة الشرح الذى ألفه القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكى القرطبى (المتوفى٥٢٠هـ/١١٢٦م) وسماه " المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام وحل المشكلات ". (مطبوع)[٣] وشرحها أيضا تلميذه: عامر بن محمد ابن عامر ابن خلف الأنصارى من أهل مرسية (المتوفى٥٦٩هـ/١١٧٣م) تحت عنوان "الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط". حشد فيها أقوال الفقهاء ورجح بعضها على بعض واحتج لها، وتوفى قبل إكماله[٤].

أما مختصراتها فهى كثيرة جدا، وأول من اختصرها محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى (المتوفى ٢٦٨هـ/٨٨١م)، ثم توالت الاختصارات فاختصرها من علماء الأندلس كل من: إبراهيم بن أسباط الكلاعى الزيادى الأندلسى (المتوفى٢٩٥هـ/٩٠٧م»[٥]. وأبو سلمة فضل بن سلمة بن جرير البجانى الإلبيرى (المتوفى٣١٩هـ/٩٣١م)، وهو من أعلم الناس بمذهب مالك[٦]. وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلى (المتوفى٣٤١هـ/ ٩٥٢م»[٧]. و أبو عبد الله بن أبى محمد بن أبى زمنين (المتوفى٣٩٩هـ/١٠٠٨م) وسماه "المغرب فى اختصار المدونة". قال عنه ابن فرحون: "ليس فى مختصراتها مثله باتفاق"[٨]. واختصرها أيضا كل من: أبو مروان عبد الله بن مالك القرطبى (المتوفى٤٦٠هـ/١٠٦٧م»[٩]، وإبراهيم بن محمد بن شنظير الأموى الطليطلى[١٠]. وأبو القاسم البربلى الإشبيلى (المتوفى٤٤٣هـ/

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٥٢/١، الصلة لابن بشكوال ص ١٦٩.
٢) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٨٤/١، سير أعلام النبلاء للذهبى ٥٣٨/١٨.
٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ط بيروت، المرقبة العليا للنباهى ص ٩٩.
٤) بغية الملتمس للضبى ص ٤٣٨ (رقم ١٢٧٠)، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢١٦ - ٢١٧ ط بيروت.
٥) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٩١.
٦) الديباج ١٣٧/٢ (ط - مصر).
٧) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٠٤/٢ (ط مصر)، ص ٢٥٤ (ط بيروت).
٨) الصلة لابن بشكوال ص ٤٨٢، فهرسة ابن خير ص ٢٥١، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٣٢/٢-٢٣٣ (ط مصر)، ص ٢٦٩-٢٧٠ (ط بيروت).
٩) الديباج المذهب لابن فرحون ٤٣٩/١.
١٠) الصلة لابن بشكوال ص ٩١-٩٢.

١٠٥١م»[١]، وأبو الوليد الباجى المتقدم ذكره (المتوفى٤٧٤هـ/١٠٨١م»[٢].

هذا، وقد كان لعلماء إفريقية والقيروان عناية عظيمة بالمدونة وربما فاقوا الفقهاء الأندلسيين فى شرحها واختصارها وتهذيبها، ومن أبرزهم: الفقيه المالكى الكبير أبو محمد ابن أبى زيد (المتوفى٣٨٦هـ/٩٩٦م) كان إمام المالكية فى وقته وجامع مذهب مالك وشارح أقواله، وكان يقال له " مالك الصغير " ألف فى الفقه المالكى كتبا كثيرة أشهرها كتاب (النوادر والزيادات على المدونة) فى مائة جزء، وكتاب "مختصر المدونة". وعلى كتابيه هذين المعول فى التفقه[٣]. ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد اللبيدى (المتوفى٤٤٠هـ/١٠٤٨م) له كتاب كبير فى مسائل المدونة و التفريع عليها يزيد على مائتى جزء[٤]. وكان أبو سعيد خلف بن أبى القاسم البراذعى شيخ المالكية (المتوفى بعد٤٣٠هـ/١٠٣٨م) من كبار أصحاب ابن أبى زيد، صنف "التهذيب فى اختصار المدونة " وكان على هذا الكتاب المعول فى المغرب والأندلس، وتبع فيه طريقة اختصار شيخه ابن أبى زيد. ومن تآليفه أيضا: كتاب " الشرح والتمامات لمسائل المدونة " أدخل فيه كلام شيوخه المتأخرين[٥].

وهذه المؤلفات - التى كتبها علماء القيروان حول المدونة - انتقلت إلى قرطبة وعكف عليها الأندلسيون بالدراسة والبحث والاختصار والشرح وهكذا توالت الاختصارات والتعليقات والشروح للمدونة بالأندلس والمغرب وفى مختلف الأزمنة.

ومن أمهات الكتب التى صنفها الأندلسيون فى الفقه المالكى وعكفوا على دراستها:

(٣) الواضحة: كتاب كبير فى الفقه و السنن جمعه عالم الأندلس: عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى الإلبيرى (المتوفى٢٣٨هـ/٨٥٢م) وقد حاز هذا الكتاب إعجاب علماء الأندلس، للمكانة العلمية التى عرفت عن مؤلفه فوصفه ابن الفرضى بأنه كتاب لم يؤلف مثله[٦].

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ١٦٩، الديباج المذهب لابن فرحون ٣٥٢/١.

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٨٤/١.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٣٦-١٣٧، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٠/١٧-١٣، ترتيب المدارك ٤٩٢/٤-٤٩٧.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٢ (ط بيروت).

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ١ / ٣٤٩ - ٣٥١، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٧ / ٥٢٣، هدية العارفين ١ / ٣٤٧، ٣٤٨، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٤ / ٧٠٨، ٧٠٩.

٦) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ٣١٢/١-٣١٣، ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣٥/٢، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٥ (ط بيروت).

ثم نقل عن العتبى (المتوفى ٢٤٥هـ /٨٥٩ م) قوله: " رحم الله عبد الملك، ما أعلم أحدا ألف على مذهب أهل المدينة تأليفه، ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره"[١].

وقد أقبل علماء الأندلس على "الواضحة" بالتدريس، وتناقلوها بالرواية[٢]، واختصرها فضل بن سلمة بن جرير الجهنى الإلبيرى (المتوفى٣١٩هـ/٩٣١م»[٣]. وكتب عبد الملك بن سيانح البجانى دراسة جمع فيها المسائل التى ذكرها ابن حبيب فى "الواضحة" ولا توجد فى المدونة ولا فى المستخرجة[٤].

(٤) **المستخرجة "العتبية"**: مؤلفها: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبى عتبة القرطبى (المتوفى٢٤٥هـ/٨٥٩م). وهو من تلاميذ عبد الملك بن حبيب صاحب "الواضحة" وسحنون بن سعيد صاحب "المدونة". وقد أكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة، وكان يؤتى بالمسالة الغريبة، فإذا سمعها قال: أدخلوها فى المستخرجة[٥]. ولذا كان الفقيه محمد بن وضاح القرطبى (المتوفى٢٨٧هـ/٩٠٠م) يقول: «المستخرجة فيها خطأ كثير"[٦]. وعلى الرغم من هذه المطاعن التى وجهت إلى المستخرجة فإنها كما يقول المقرى: «وقع عليها الاعتماد من أعلام المالكية»[٧]. وكان لها فى إفريقية والقيروان «القدر العالى والطيران الحثيث». كما يقول ابن حزم[٨]. وأبرز من كتب عليها شرحا من فقهاء الأندلس هو العلامة أبو الوليد

---

١) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٣٤/٢، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٥ (ط بيروت)، وراجع ترجمة عبد الملك بن حبيب فى نفح الطيب للمقرى ٥/٢-٨، جذوة المقتبس للحميدى ص ٤٤٨، بغية الملتمس للضبى ص ٣٧٧.

٢) راجع تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ح١ ص ٦٠، ١٤٠، ١٧٧، ٢٠١، ٢ / ١٤٨، جذوة المقتبس للحميدى ١ / ٣٠٢، ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ١٣٧/٢، بغية الملتمس للضبى ص ٤٤٣.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٠/٢.

٥) تاريخ علماء الأندلس ٨/٢، المقفى للمقريزى ٢٠٦/٥، ترتيب المدارك للقاضى عياض ١٤٥/٢، الديباج المذهب لابن فرحون ١٧٧/٢.

٦) ترتيب المدارك ١٤٥/٢، الديباج المذهب ١٧٧/٢، نفح الطيب للمقرى ٢١٦/٢.

٧) نفح الطيب للمقرى ٢١٦/٢.

٨) ترتيب المدارك ١٤٦/٢، الديباج المذهب ١٧٧/٢. وراجع مناقشة لرأى ابن خلدون القائل بأن أهل إفريقية كان اعتمادهم الأول على المدونة، بينما اعتمد أهل الأندلس على (المستخرجة/العتبية)، ومن ثم جعل ابن خلدون العتبية فى مرتبة المدونة من حيث الثقة والاطمئنان إلى ما اشتملت عليه - راجع مناقشة هذا الرأى: د. السيد محمد أبو العزم داود: الأثر السياسى والحضارى للمالكية فى شمال إفريقية حتى قيام دولة المرابطين (ص ٣٩٧-٣٩٨). .

ابن رشد [الجد] (المتوفى٥٢٠هـ/١١٢٦م) سماه "البيان والتحصيل لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل"، ويقع فى ما يزيد عن عشرين مجلدا[١]. واختصرها يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسى – من أهل جيان – (المتوفى٢٨٩هـ/٩٠١م»[٢] وعبد الله بن فتوح الفهرى (المتوفى ٤٦٢هـ/١٠٦٩م»[٣]. وأعاد ترتيبها وبوبها كل من محمد بن عبد الله بن سيد البجانى (المتوفى ٣٦٣هـ/٩٨٣م). وعبد الله ابن محمد بن أبى الوليد الأعرج القرطبى (المتوفى٣١٠هـ/ ٩٢٢م). وهذا الأخير بوبها على تبويب " المدونة ".

(٥) المبسوطة: وهى عبارة عن مجموعة كتب فى اختلاف أصحاب مالك وأقواله. صنفها يحيى بن اسحق بن يحيى الليثى القرطبى (المتوفى٣٠٣هـ/٩١٥م»[٤]. وقد اختصرها الأخوان (محمد) و (عبد الله) ابنى عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار، بأمر من الخليفة الحكم المستنصر (المتوفى ٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م »[٥]. ثم جاء الفقيه أبو الوليد ابن رشد قاضى الجماعة بقرطبة (المتوفى٥٢٠هـ/١١٢٦م) فاختصر "المختصر"[٦].

(٦) الموازية: كتاب كبير فى الفقه، صنفه محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندرى المعروف بابن المواز(المتوفى٢٦٩هـ/٨٨٢م) قال ابن فرحون: «هو أجل كتاب ألفه المالكيون، وأصحه مسائل وأبسطه كلاما، وأوعبه» وقد رجحه أبوالحسن القابسى(المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م) على سائر الأمهات وقال: «إن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم فى تصنيفه، وغيره إنما قصد جمع الروايات». وأضاف ابن فرحون قوله: «وقد تضمن جزءا تكلم فيه على فقه الشافعى وفقه أهل العراق (مذهب الرأى) بمسائل من أحسن كلام وأنبله»[٧].

وهذا الكتاب نقله الأندلسيون بالرواية، وعكفوا على دراسته واختصره أبوسلمة الجهنى البجانى الأندلسى(المتوفى٣١٩هـ/٩٣١م)، وكان من أعلم الناس بالمذهب المالكى

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٧٨ – ٢٧٩ (ط بيروت)، فهرسة ابن خير ص ٢٤٣.
٢) الديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ٣٥٥.
٣) الصلة لابن بشكوال ص ٢٨٠ – ٢٨١.
٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٣٥٧.
٥) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٢١٩.
٦) الصلة لابن بشكوال ص ٥٧٦-٥٧٧، الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٢١٩ (ط مصر)، ص ٢٧٨-٢٧٩ (ط بيروت)، المرقبة العليا للنباهى ص ٩٩، فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ٢٤٣.
٧) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/١٦٦(ط مصر).

فى الأندلس[١].

(٧) (الرسالة) لابن أبى زيد المالكى: المتوفى٣٨٦هـ/٩٩٦م)، وهو من علماء القيروان، ذكرناه فى سياق حديثنا عن شروح المدونة[٢]. وهذا الكتاب فى فروع الفقه المالكى، كان له قيمة كبيرة، ووقع التنافس فى اقتنائها حتى كتبت بماء الذهب[٣]. وقد رواها أهل الأندلس وعكفوا على دراستها[٤]. فشرحها تلميذه أبوبكر الحصار القبرى القرطبى (المتوفى ٤٠٦هـ/١٠١٥م»[٥]. محمد بن يوسف المعروف بابن الفحار (بالحاء المهمله) القرطبى (المتوفى ٤١٩هـ/١٠٢٨م) فى كتاب سماه "التبصرة"، وتعسف فى الرد على ابن أبى زيد[٦]. وشرحها أيضا أبوبكر محمد بن محمد بن الفخار(بالخاء المعجمه) الجذامى المالقى (المتوفى ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م). وسماه "نصح المقالة فى شرح الرسالة"[٧].

ثانيا: صور أخرى من الدراسات الأندلسية فى الفقه المالكى:

تلك هى أهم المصادر الرئيسية للفقه المالكى وأهم الدراسات التى كتبت حولها. ولم تقتصر مؤلفات الأندلسيين فى الفقه المالكى على شرح الكتب الأمهات أو اختصارها، وإنما عددت كتاباتهم الفقهية وتنوعت أهدافها وأحجامها وتناولت أصول المذهب وفروعه، ويمكن حصر صور التأليف الأندلسى فى فقه الإمام مالك-غير ما ذكرنا-فيما يلى:

(أ) المجاميع الفقهية: مثل كتاب أبى سلمة فضل بن سلمة الجهنى البجائى الإلبيرى (المتوفى٣١٩هـ/٩٣١م). جمع فيه مسائل (المدونة) أو (المستخرجة) و(المجموعة»[٨].

(ب) المختصرات الفقهية: مثل "مختصر" أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلى(المتوفى٣٤١هـ/٩٥٢م»[٩]. و"مختصر" أبى الحسن على بن عبيد التجيبى الطليطلى، وهذا المختصر تلقاه الناس بالقبول واعتمدوا عليه فى تدريس الفقه المالكى، وقال عنه بعض

---

١) الديباج المذهب٢/١٣٧-١٣٨(ط مصر)وراجع ج٢ ص٣١٥.
٢) راجع (ص٧٥٢) قبل أسطر قليلة.
٣) سير أعلام النبلاء للذهبى١٧/١١(الحاشية رقم"٧").
٤) راجع فهرسة ابن خير ص٢٤٤، المقفى الكبير للمقريزى٦/٥١٥.
٥) الديباج المذهب لابن فرحون٢/٢٣٤(ط مصر).
٦) الديباج المذهب ص٢٧١-٢٧٢(ط بيروت).
٧) الديباج المذهب ص٣٠٣(ط بيروت).
٨) الديباج المذهب لابن فرحون٢/١٣٧-١٣٨(ط مصر).
٩) جذوة المقتبس للحميدى٢/٥٨٩، الديباج المذهب لابن فرحون٢/٢٠٤(ط مصر).

الفقهاء:«من حفظه فهو فقيه قرية»[١]. و"مختصر" أبي مروان عبيد الله بن محمد بن مالك القرطبى (المتوفى ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) حكم له فيه بالبراعة[٢].

(ج) الأجزاء الفقهية ذات الموضوع الواحد، وهى كثيرة جدا ويطول ذكرها ونسبة كل منها إلى مؤلفها، فقد صنفوا كتبا مفردة فى موضوعات، منها "أحكام الصلاة"[٣] و"الصيام"[٤] والطهارة"[٥] و"الجبائر"[٦] و"مناسك الحج"[٧] و"الزكاة"[٨] و"الربا"[٩] و"النكاح"[١٠] و"أحكام النساء"[١١] و"البيوع"[١٢] و "الأضاحى"[١٣] و"الأيمان"[١٤] و"الحدود"[١٥] و"العقود"[١٦] و"الأوقاف"[١٧] و"المزارعة"[١٨] و"الحضانات والنفقات"[١٩] وغير ذلك من الموضوعات الفقهية.

(د) كتب الرد على المذاهب الفقهية الأخرى: ولم تقتصر كتابات الفقهاء المالكية

---

١) الديباج المذهب٢/٩٦-٩٧(ط مصر)، وراجع تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى١/٢٣٦، ٣٥٧، الصلة لابن بشكوال ص ٤٧٣.

٢) الصلة لابن بشكوال ص٣٠٣(رقم٦٧٢).

٣) الديباج المذهب لابن فرحون١/٢٢٤، ٢٩٦، ٣٥٥(ط مصر)، ص٣٧(ط بيروت)، الصلة لابن بشكوال ص٣٠٢.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون١/٣٠٠.

٥) الديباج المذهب لابن فرحون١/٢٩٦(ط مصر)، ص٢٤٩-٢٥٠(ط بيروت)، فهرسة ابن خير ص ٢٥٢-٢٥٣.

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٨-٣٩(ط بيروت).

٧) الديباج المذهب لابن فرحون ص١٩٩-٢٠١(ط بيروت)، الصلة لابن بشكوال ص٣١٣، فهرسة ابن خير ص٢٤٧.

٨) فهرسة ابن خير ص٢٤٧.

٩) الديباج المذهب لابن فرحون ١٩٢/٢.

١٠) فهرسة ابن خير ص٢٤٧.

١١) الديباج لابن فرحون ٣٥٥/٢، الصلة لابن بشكوال ص٣١٣.

١٢) تاريخ ابن الفرضى ٢٧٤/١، الديباج المذهب لابن فرحون ص٤١، ٨١-٨٢ (ط بيروت).

١٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص٤٢(ط بيروت).

١٤) فهرسة ابن خير ص٢٥٣.

١٥) فهرسة ابن خير ص٢٥٦.

١٦) فهرسة ابن خير ص٢٥٠.

١٧) الديباج المذهب لابن فرحون ١٦٧/٢(ط مصر).

١٨) الديباج المذهب ٣٠٣/١(ط مصر).

١٩) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٠٣/١.

الأندلسيين على عرض فروع المذهب المالكى وبيان أصوله، بل تناولت الرد على أصحاب المذاهب الأخرى لدحض أرائهم، وآلفوا فى ذلك كتبا خاصة، منها: كتاب "الرد على الشافعى" ليحيى بن عمر بن يوسف البلوى الجيانى الأندلسى(المتوفى٢٨٩هـ/٩٠١م)[١]. وكتاب (الرد على الشافعى) فى عشرة أجزاء لأبى عمر يوسف بن يحيى المغامى القرطبى(المتوفى٢٨٨هـ/ ٩٠٠م) وكان شديدا على الشافعى وله كتاب فى فضائل مالك[٢]. وصنف القاضى أبوبكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبى(المتوفى٣٣١هـ/٩٤٢م)كتاب "الخصال فى الفقه" على مذهب مالك، عارض به كتاب "الخصال" لابن كابس الحنفى «فجاء غاية فى الإتقان» كما يقول ابن فرحون[٣].

(هـ) كتب الاختيارات فى الفقه المالكى: ومن الثابت أن أئمة المذهب المالكى من الأندلسيين خالفوا الإمام مالك فى بعض آرائه، ومن الأمثلة على ذلك من التراث الفقهى الأندلسى: كتاب "رأى مالك الذى خالفه فيه أصحابه" لمحمد بن الحارث الخشنى القيروانى القرطبى(المتوفى٣٦١هـ/٩٧١م)[٤]. وكتاب "اختلاف أصحاب مالك بن أنس، واختلاف رواياتهم عنه" فى أربعة وعشرين جزءا، لابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/١٠٧٠م)[٥]. وصنف قاسم بن خلف الجبيرى الطرطوشى (المتوفى٣٧٨هـ/٩٨٨م) كتابا فى "التوسط بين مالك وابن القاسم فيما خالف فيه ابن القاسم مالكا" وهو كتاب حسن مفيد كما يقول ابن فرحون[٦].

(و) كتب فقه الحديث: وفى موضع سابق عرفنا أن نفرا من العلماء الأندلسيين فى القرن الثالث الهجرى حاولوا أن يسيروا على خطى مدرسة الحديث والأثر فى الاستنباط الفقهى دون التقيد بمذهب فقهى محدد، وكان أساتذة هذه المدرسة بالأندلس هم: بقى بن مخلد القرطبى(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)ومحمد بن وضاح القرطبى(المتوفى٢٨٧هـ/٩٠٠م) وقاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى٣٤٠هـ/٩٥٢م) ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى (المتوفى

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٥٥/٢(ط مصر).

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٦٦/٢(ط مصر)، سير أعلام النبلاء للذهبى ٣٣٦/١٣-٣٣٧، وراجع عنه: تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٢٠٠/٢-٢٠١، بغية الملتمس للضبى ص ٤٩٦-٤٩٧.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص٢٦٨-٢٦٩ (ط بيروت).

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢١٣/٢ (ط مصر)، وراجع ترتيب المدارك للقاضى عياض ٥٣١/١-٥٣٢ معجم الأدباء لياقوت ١١١/٨.

٥) جذوة المقتبس للحميدى ٥٨٨/٢.

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ١٥١/٢ (ط مصر).

٣٣٠هـ/٩٤١م) وغيرهم[١].

ويعد بقى بن مخلد إمام هذه المدرسة الأكبر، تتلمذ فى بغداد على الإمام أحمد بن حنبل، وألف كتاب "المصنف فى فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم" أربى فيه على "مصنف" أبى بكر بن أبى شيبة البغدادى وغيره[٢].

وقد صنف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبى (المتوفى٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) كتبا فى فقه الحديث وفقه التابعين، منها: كتاب "فقه الحسن البصرى" فى سبع مجلدات، وكتاب "فقه الزهرى" فى أجزاء كثيرة. وهو محدود من تلاميذ قاسم بن أصبغ البيانى أحد أقطاب مدرسة الحديث بالأندلس[٣]. وألف ابن حزم الظاهرى الأندلسى(المتوفى٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) كتابا فى فقه الحديث سماه "الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع" أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين فى مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، والأحاديث الواردة فى ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وتحقيق القول فى ذلك كله[٤].

(ز) كتب نوازل الأحكام والفتاوى والأقضية:

ويقصد بالنوازل «القضايا والوقائع التى يفصل فيها القضاة والمفتون طبقا للفقه الإسلامى»[٥]. ويعرفها البعض على أنها «ليست فقها يذكر القواعد الشرعية المجردة فى صورتها المثالية بقدر ما هى وصف للوقائع كما وقعت فعلا، ووصف لتطبيق القانون

---

١) راجع المبحث الخاص بانتقال علم الحديث من بغداد إلى قرطبة بداية من (ص٥١٦-٥٣١).

٢) جذوة المقتبس للحميدى ١/٢٧٤-٢٧٥، بغيـــة الملتمس للضبى ص٢٤٥-٢٤٦، نفح الطيب للمقرى ٢/٥١٨-٥١٩، والصلة لابن بشكوال ص١١٦-١١٧، معجم الأدباء لياقوت ٧/٧٩، طبقات المفسرين للداودى١/١١٨-١١٩.

٣) بغية الملتمس للضبى ص٤٩، جذوة المقتبس للحميدى١/٧٦، الديباج المذهب لابن فرحون ص٣١٦-٣١٧ (ط بيروت).

٤) جذوة المقتبس للحميدى٢/٤٩٠.

٥) عبد العزيز بن عبد الله:(القضاء المغربى وخواصه: الفتاوى والنوازل والوثائق)بحث نشر ضمن ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة، فاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م - المجلد ٣٢ص٢٣٩.

الإسلامى عليها فى صوره المختلفة المستندة إلى النص أو إلى الإجتهاد»[١]، وتسمى أحيانا "بالفتاوى" أو"النوازل" أو"الأحكام" أو"مسائل الأحكام" أو"الأجوبة" أو"الأقضية". وتكمن أهمية كتب الأحكام أو النوازل فى أنها تعرف بالأحكام الشرعية للوقائع الطارئة وتلقى بعض الأضواء على شخصية صاحبها واتجاهه ومنهجه.

«ولا تحتوى هذه الكتب على نصوص الفقه النظرية فحسب، بل إن قيمتها التاريخية الأساسية تكمن فى أنها تقدم حصيلة خبرة المفتى أو القاضى النظرية منقوله إلى مواقع العمل فى المجتمع تطبيقا وتنفيذا فى البيوت والأسواق والطرقات وبيوت المال وقضايا التجارة والصناعة والزراعة والملاحة وميادين القتال والجهاد إلى غير ذلك من مناحى الحياة اليومية»[٢].

وقد أقبل علماء الأندلس-المالكية بوجه خاص-على التصنيف فى هذا العلم وجمع شتات ما صدر عن الفقهاء من فتاوى وأحكام. ومن المؤلفين من دونوا فتاويهم التى صدرت عن طائفة من الفقهاء.

ومن أقدم الكتب التى صنفها الأندلسيون فى هذا الباب كتاب "الدلائل والإعلام على أصول الأحكام" لأبى مروان عبد الملك بن محمد بن بكر السعدى القرطبى (المتوفى٣٠٣هـ/ ٩١٥م»[٣].

ويعتبر كتاب (الإعلام بنوازل الأحكام) من أبرز الكتب الفقهية التى تنسب للأندلسيين فى هذا الباب. ومؤلفه هو الشيخ أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدى البيانى القرطبى(المتوفى٤٨٦هـ/١٠٩٣م). كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء بالنوازل، بصير بالأحكام، ومتقدما فى معرفتها. وعلى كتابه تعويل الحكام (القضاة) والفقهاء بالأندلس[٤].

وصنف القاضى أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبى المالقى (المتوفى٤٩٧هـ/١١٠٣م)

---

١) د. أحمد اليوسفى شعيب:أهمية الفتاوى الفقهية فى كشف وقائع التجربة الأندلسية: نوازل ابن الحاج القرطبى نموذجا -بحث مقدم إلى ندوة (الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات)تحت رعاية مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) -الجلسة السادسة - البحث الأول - ص٦.

٢) د. عبد الواحد ذنون طه: كتب الفتاوى مصدرا للتاريخ الأندلسى - بحث منشور بمجلة: المجلة العربية للثقافة، التى تصدر عن جامعة الدول العربية -المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون - العدد(٢٧) ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)-ص٩٥.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/١٥-١٦.

٤) الصلة لابن بشكوال ص٤٣٨، الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٧٠-٧٢، المرقبة العليا للنباهى ص٩٦-٩٧.

كتاب "نوازل الأحكام" وصفه النباهى بأنه «مجموع نبيل»[١].

وصنف القاضى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التجيبى القرطبى المعروف بابن الحاج(المتوفى٥٢٩هـ/١١٣٤م)كتابا فى "نوازل الأحكام"، كان متداولا بين الناس ويدل على براعته فى الفقه[٢]. واقتبس منه النباهى فى (المرقبة العليا»[٣]. وفى القرن الثامن الهجرى صنف أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصارى الغرناطى المعروف ب (بحنكالش) كتابا فى النوازل سماه "أجوبة الحكام فيما يقع للعوام من نوازل الحكام"[٤].

ويطول المقام بذكر مؤلفات الأندلسيين فى "الأحكام" و"الأقضية" و"الفتاوى" و"الأجوبة"[٥]. وأكثر كتب النوازل شمولا وإحاطة هو كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية المغرب" لأحمد بن يحيى الونشريسى التلمسانى الفاسى (المتوفى ٩١٤هـ/١٥٠٨م). وهذا العالم وإن لم يكن أندلسيا فإن كتابه من أعظم الكتب التى كادت تحيط بالمذهب المالكى الإسلامى هناك منذ الفتح إلى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٢٢م[٦].

ومما سبق يظهر لنا أن ظاهرة الاهتمام بالنوازل الفقهية وجمع الفتاوى والأقضية وتدوينها قديمة لدى الأندلسيين، وتواصلت هذه الظاهرة إلى نهاية القرن الأخير من حياة الأندلسيين.

(ح) التأليف فى علم الفرائض (المواريث):

واهتم الأندلسيون بالتأليف فى علم "الفرائض"[٧] أو" المواريث". وهو قسم كبير من الفقه

---

١) النباهى: المرقبة العليا ص ١٠٧-١٠٨.

٢) النباهى: المرقبة العليا ص ١٠٢.

٣) النباهى: المرجع السابق ص١٩١، ١٩٩.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٨٩ (ط بيروت).

٥) راجع الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٣، ٤٥، ٨٩، ١٧٥ (ط بيروت)، ج٢ ص ٢١٣ (ط مصر)، فهرسة ابن خير ص ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ج ٢ ص ٣٥، الصلة لابن بشكوال ص ١٩٧ (رقم ٤٤٥)، المرقبة العليا للنباهى ص ١١٠، ١٣٠.

٦) راجع: كتب الفتاوى مصدرا للتاريخ الأندلسى - د. عبد الواحد ذنون طه - بحث بالمجلة العربية للثقافة - تصدر عن الجامعة العربية - المجلد (٢٧) ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م - ص ٩٦ - ٩٨.

٧) الفرائض جمع فريضة بمعنى مفروضة، أى مقدرة، والفرض فى عرف الشرع الإسلامى: نصيب مقدر شرعا للوارث والعالم بهذا الفن يقال له فارض، وفرضى. والمراد بالفرائض: مسائل قسمة المواريث، وهى التركات، سواء بالفرض. أى بالنصيب المقدر، أو بالتعصيب، أى بغير النصيب المقدر. وعبر عنها بالفرائض للتغليب (راجع: تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الخامس الهجرى للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف - المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م - ص ٥٦٤.

الإسلامى، وقد كان لهذا الفن أصحابه من الأندلسيين العارفين بأحكامه، المتميزين به عن غيره، وشغل كثير منهم "خطة المواريث" وهى من الوظائف الدينية التابعة للقضاء. وتمتلئ المصادر بأسمائهم، ولدينا تراجم كثيرة لهؤلاء ابتداء من القرن الثالث الهجرى وأكثرهم من المصنفين فى هذا العلم، منهم: عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م) له كتاب فى الفرائض[١]، وابن الطنيزى أحمد بن محمد بن أحمد الفرضى القرطبى (المتوفى ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) وله تأليف حسن فى الفرائض والحجب على قول زيد بن ثابت (الصحابى) ومالك ابن أنس[٢]. وصنف ابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) كتاب "الإشراف على ما فى أصول فرائض المواريث من الإجماع والاختلاف"[٣].

وقد كثر التأليف فى هذا العلم خلال القرن الثامن الهجرى، ونذكر من فقهاء هذا القرن قاضى إشبيلية: أبا عمرو عثمان بن محمد بن يحيى القيسى المعروف بابن منظور (المتوفى٧٣٥ هـ/١٣٣٤م)، قال عنه ابن فرحون: «له تقييد حسن فى الفرائض سماه: "بغية المباحث فى معرفة مقدمات المواريث"[٤].

(ط) التأليف فى علم الوثائق والشروط:

ومن المصادر الفقهية للفقه المالكى فى الأندلس كتب "الوثائق والشروط"، وهى شبيهة بكتب النوازل والأحكام فى التعريف بكثير من دقائق التقاليد والسنن التى جرى عليها القضاء الأندلسى وتوضيح السياسة القضائية فى هذا الصقع من العالم الإسلامى خير إيضاح. كما أن لهذه الوثائق قيمة تاريخية عظيمة فى دراسة المجتمع الأندلسى والتعرف على أدق تفاصيله.

وقد كان علماء الأندلس يرون أن طالب العلم لا يسمى فقهيا إلا إذا برع فى عقد الوثائق ومعرفة عللها، إلى جانب الإلمام بعلم الحديث والتميز فيه ومعرفة طبقات رجاله، والاطلاع على مذاهب العلماء والتفسير وعلومه، فحينئذ يستحق أن يسمى فقيها، وإلا فاسم الطالب أليق به إلى أن يلحق بهذه الدرجة[٥].

وقد عنى كثير من فقهاء الأندلس بوضع كتب فى "الوثائق والشروط" والتراث العلمى

---

١) فهرسة ابن خير ص ٢٦٥.
٢) الصلة لابن بشكوال ص ٣٤.
٣) فهرسة ابن خير ص ٢٥١.
٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٩٢ (ط بيروت)، وراجع أيضا ص ٤١، ٤٣، ٥٣، ٥٤، ٩٠، ١٢٤، ٢٣٩، فهرسة ابن خير ص ٢٦٥، الصلة لابن بشكوال ص ٢٦.
٥) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٢٠٣.

الأندلسى حافل بهذا النوع من التأليف. ولا يكاد ابن الفرضى أو ابن بشكوال أو ابن فرحون يترجم لفقيه إلا ويذكر عنه أنه مهر فى هذا الفن أو له تأليف فيه.

وأفضل من صنف فيه هو أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمدانى القرطبى المعروف بابن هندى (المتوفى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م) وصفه ابن بشكوال بأنه كان حافظا للفقه بصيرا بعقد الشروط، وله فيها "ديوان" كبير، واخترع فى علم الوثائق فنونا وألفاظا وفصولا وأصولا عجيبة. وقد ألفه أولا فى ستة أجزاء، ثم ضاعفه وزاد فيه فصولا وتنبيهات، ثم زاده فشحنه بالأخبار والحكم والأمثال والنوادر والشعر والفوائد[١]. واختصره الفقيه القرطبى عبد الرحمن القنازعى (المتوفى ٤١٣هـ/١٠٢٢م»[٢].

ومن بين من اشتهر بتحرير الشروط والوثائق والسجلات وله فيها تصنيف: محمد بن يحيى ابن لبابة القرطبى الملقب بالبرجون (المتوفى ٣٣٦هـ/٩٤٧م) وكان متوليا خطة الوثائق[٣]، وأبو سعيد فرج بن سلمة البلوى القرطبى (المتوفى ٣٤٥هـ/٩٥٦م»[٤]، وأبو عبد الله محمد ابن أبى زمنين (المتوفى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م) وكتابه مشتمل على أصول الوثائق[٥]، وأبو عبد الله محمد ابن العطار القرطبى (المتوفى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م»[٦]، وموسى بن محمد بن أحمد القرطبى المعروف بالوتد (المتوفى٣٧٧هـ/٩٨٧م) وأبو عمر أحمد بن عفيف القرطبى[٧] (المتوفى ٤١٠هـ/١٠١٩م)، لم يكن بالأندلس أعلم منه بهذا العلم فى عصره[٨]. ثم كثر التأليف فى هذا العلم وتتابع إلى نهاية القرن الثامن الهجرى[٩].

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ١٤ - ١٥، وراجع: فهرسة ابن خير ص ٢٥٢، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٨ (ط بيروت)، الرقبة العليا للنباهى ص ٢٠٧.

٢) جذوة المقتبس للحميدى ٤٤١/٢، الديباج المذهب ٤٨٥/١ (ط مصر).

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٠٠/٢.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ١٣٩/٢.

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٣٢/٢ - ٢٣٣، فهرسة ابن خير ص ٢٥١.

٦) جذوة المقتبس للحميدى ١٣٣/١، فهرسة ابن خير ص ٢٥٢، وراجع الصلة لابن بشكوال ص ١٦٨، المرقبة العليا للنباهى ص ١٩٤.

٧) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٣٨/٢.

٨) الديباج المذهب ص ٣٨-٣٩ (ط بيروت).

٩) راجع: الصلة لابن بشكوال ص ٤٠، ص ٤١، فهرسة ابن خير ص ٢٤٦، ص ٢٥٢، الديباج المذهب (ط بيروت) ص ٥٤، ١٢٦، ٢٦٤، ٢٧١ - ٢٧٢، ص ٢٧٥. المرقبة العليا للنباهى ص ١١٦، المقفى للمقريزى ١٨٨/٥ - ١٨٩.

(ى) التأليف فى علم أصول الفقه:

لم يصل إلى الأندلس من كتب "أصول الفقه" المشرقية سوى عدد قليل، ففى أصول المذهب الشافعى. اطلع الأندلسيون على كتاب "الرسالة" للشافعى[١] (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م) وكتاب "المستصفى" لأبى حامد الغزالى الشافعى[٢] (المتوفى٥٠٥هـ/١١١١م) وكتاب "البرهان" فى أصول الفقه لأبى المعالى الجوينى الشافعى (المتوفى٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وكتاب "المعالم فى أصول الفقه" لفخر الدين الرازى الشافعى (المتوفى ٦٠٦هـ/١٢٠٩م»[٣]. وفى أصول الفقه المالكى وصل إلى الأندلس كتابا "الأصول" و"الملخص" للقاضى عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى المالكى (المتوفى ٤٢٢هـ/١٠٣٠م»[٤].

ولم نعثر للأندلسيين على دراسات حول هذه المؤلفات، سوى اسم كتاب لابن رشد الحفيد: محمد بن أحمد بن محمد القرطبى (المتوفى٥٩٥هـ/١١٩٨م)، اختصر به كتاب "المستصفى" للغزالى[٥]، إضافة إلى دراسة لأحمد بن عبد الله بن عميرة الأندلسى (المتوفى٦٥٨ هـ/١٢٥٩م) رد فيها على كتاب "المعالم فى أصول الفقه" لفخر الدين الرازى[٦].

وأول كتاب للأندلسيين يمس جانبا من علم أصول الفقه هو كتاب "الرد على المقلدين" لقاسم بن محمد بن سيار القرطبى (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٩٠م»[٧]، أنكر فيه على الفقهاء تقليدهم لما كان عليه شيوخهم وقد أثنى ابن الفرضى على هذا الكتاب فقال: «كتاب نبيل يدل على علم»[٨]. ويعد قاسم بن محمد أحد العلماء الذين عنوا بنشر المذهب الشافعى بالأندلس كما أوضحنا من قبل[٩].

وأكثر الذين صنفوا فى أصول الفقه بالأندلس هم من الفقهاء المالكية، وذلك لسيادة

---

١) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١٨٢/٢، جذوة المقتبس للحميدى ١٦٠/١ - ١٦١، ص ٢٦٩، نفح الطيب للمقرى ٦٢٧/٢.

٢) الذيل والتكملة القسم الخامس - الجزء الثانى ص ٥٩٧.

٣) الذيل والتكملة - السفر الخامس - الجزء الثانى، ص ١٧٦، والديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٧ (ط بيروت).

٤) المرقبة العليا للنباهى ص ٤١، فهرسة ابن خير ص ٢٥٦.

٥) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٨٤ - ٢٨٥ (ط بيروت/مجلد واحد).

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٦ - ٤٧/ ط بيروت.

٧) جذوة المقتبس للحميدى ١٧٠/١.

٨) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٣٩٩/١.

٩) راجع عن ذلك (ص ٥٥٤) من الباب السابق.

المذهب المالكى على غيره من المذاهب، وقد تفوقوا فى هذا الفن على الفقهاء المالكيين المشارقة من حيث كثرة الإنتاج وجودته. ويبدو أن التصنيف فى أصول المذهب المالكى بالأندلس تأخر قليلا عما كان عليه فى المشرق، وأول كتاب يذكر للفقهاء المالكية بالأندلس كتاب "الأصول إلى معرفة الأصول" لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى القرطبى (المتوفى ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)»[١]، وهو من كبار العلماء، وغلب عليه علم القراءات والتفسير[٢].

وأبرز عالم أندلسى مالكى فى القرن الخامس الهجرى صنف فى أصول الفقه هو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى (المتوفى ٤٧٤هـ/١٠٨١م)، كان من المكثرين فى التصنيف فى هذا العلم، فألف كتاب "إحكام الفصول فى أحكام الفصول"، وكتاب "الحدود فى أصول الفقه"، وموضوعه التعريف بالمصطلحات التى يستخدمها علماء أصول الفقه، وكتاب "رفع الالتباس فى صحة التعبد" وكتاب "الإشارة فى أصول الفقه"[٣]. وهذا الكتاب الأخير شرحه أحد علماء القرن الثامن الهجرى، وهو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى الجيانى الأندلسى (المتوفى ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) صاحب كتاب " صلة الصلة"[٤].

وقد تفقه على أبى الوليد الباجى ولده (أحمد)، وخلفه فى حلقته، وتتبع كتبه فى الأصول، (وتوفى سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م)، وصنف فى هذا العلم كتاب "معيار النظر" وكتاب "سر النظر" وكانت له رحلة إلى بغداد، أقام بها سنتين[٥].

وقد نشط التأليف فى علم أصول الفقه بالأندلس فى القرن السادس الهجرى، فمن ذلك: كتاب"العمدة فى أصول الفقه" لأبى بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهرى المعروف بالطرطوشى (المتوفى ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، وكان تلميذا لأبى الوليد الباجى، ويكاد يكون شافعيا[٦]. وكتاب "التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة" لابن السيد البطليوسى (المتوفى ٥٢١هـ/١١٢٧م)»[٧]. وكتابا "المحصول فى علم الأصول" و"الإنصاف فى مسائل الخلاف" لأبى

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٩ (ط بيروت)، فهرسة ابن خير ص ٢٥٩.
٢) راجع مصنفاته فى القراءات والتفسير (ص ٦٩٦)، (ص ٧٠٩، ٧١٦).
٣) الديباج المذهب لابن فرحون ٣٨٤/١، فهرسة ابن خير الإشبيلى ص ٢٥٥، ٢٥٦.
٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٢ (ط بيروت - دار الكتب العلمية).
٥) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٠ (ط بيروت - دار الكتب العلمية).
٦) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٧٦ - ٢٧٧ (ط بيروت)، المقفى الكبير للمقريزى ٤١٦/٧.
٧) الصلة لابن بشكوال ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

بكر بن العربى (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م)»[١]. وكتاب "مدارك الحقائق فى أصول الفقه" فى خمسة عشر جزءا، لأبى الحسن على بن محمد بن إبراهيم الفزارى - من أهل غرناطة - (المتوفى ٥٥٣هـ/١١٥٨م)»[٢].

ومن الكتب التى تدخل فى هذا الباب وتكاد تكون نادرة فى التراث الأندلسى كتاب "محرر الائتلاف بين الإجماع والخلاف"، لمحمد بن يوسف بن موسى المهلبى الغرناطى (المتوفى ٦٦٣ هـ/١٢٦٤م). ذكر فيه المذاهب الأربعة وغيرها، وخلاف بعض الفرق كالزيدية والإمامية[٣]. وصنف أبو إسحق إبراهيم بن يوسف الأوسى المعروف بابن المرأة (المتوفى ٦١٠هـ/١٢١٣م) جزءا فى "إجماع الفقهاء"[٤].

وهكذا تتبع الفقهاء المالكية الأندلسيون أصول الإمام مالك التى قام عليها الاستنباط فى ذلك المذهب العظيم.

أما المذهب الظاهرى فعلى الرغم من وجود مناصرين له فى الأندلس حتى فترة متأخرة ولو بصورة محدودة فلا نكاد نعثر لأصحابه على كتب فى أصول الفقه بعد ابن حزم الظاهرى القرطبى (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، وسيأتى الحديث عنه بعد قليل. وقد كان هذا الفقيه الكبير مكثرا من التأليف فى علم الأصول، ولم يرتبط فيه بالمذهب الظاهرى كما يقرر الذهبى[٥]. ومؤلفاته فى هذا العلم من أحسن ما أنتجته العقلية الأندلسية، ونذكر منها[٦]: كتاب "الإحكام لأصول الأحكام"، وهو من أفضل الكتب فى أصول الفقه وكتاب "الإجماع" ويسمى أيضا "منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف". وكتاب "مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات والاعتقادات" وكتاب "الصادع فى الرد على من قال بالتقليد" وكتاب "الإملاء فى قواعد الفقه".

---

١) المقفى الكبير للمقريزى ج ٦ ص ١١٠. وراجع جهـــوده فى علم التفسير (ص ٧١٠، ٧١٧، ٧٢٣، ٧٢٦).

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢١٠ (ط بيروت).

٣) الديباج ص ٣٤٠ - ٣٤١ ط بيروت.

٤) الديباج ص ٩٠ (ط بيروت).

٥) سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٦.

٦) راجع عن هذه المؤلفات: بغية الملتمس ص ٤١٥، جذوة المقتبس ٤٨٩ - ٤٩١، سير أعلام النبلاء ١٨ /١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، معجم الأدباء ١٢/٢٥٢، نفح الطيب ٢/٧٧ - ٧٩، تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا ص ٢١٨ (ترجمة د. حسين مؤنس)، ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى للدكتور عبد الحليم عويس ص ١١١ - ١١٢.

التراث الأندلسى فى الفقه الظاهرى:

وقد عرفنا فى موضع سابق أن المذهب الظاهرى انتقل من بغداد إلى قرطبة على يد عبد الله ابن محمد بن قاسم بن هلال القرطبى (المتوفى ٢٧٢هـ/٨٨٥م) الذى تتلمذ فى بغداد على يد مؤسس المذهب داود بن على الأصفهانى ونسخ كتبه بخطه وأقبل بها إلى قرطبة. ثم جاء من بعده القاضى منذر بن سعيد البلوطى (المتوفى ٣٥٥هـ/٩٦٦م) وعمل على نشر الظاهرية، غير أن دعوته كانت محدودة[١]. وقد صنف كتابا بعنوان "الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله"[٢]. ولم يصرح الرواة هل أودع فيه آراءه الفقهية تبعا للمذهب الظاهرى أم لا؟. وإن كنا نميل إلى أنه ضمنه شيئا من هذه الآراء بناء على ما عرف عنه أنه كان مناصرا لهذا المذهب ومؤثرا له على غيره. وإذا صح ما نقول فإن الكتاب يعد أول الكتب الأندلسية التى تأثرت بالظاهرية الوافدة من بغداد.

ابن حزم وجهوده فى إحياء المذهب الظاهرى:

وأول عالم أندلسى جادل عن المذهب الظاهرى بقوة وبقى عليه حتى آخر أيامه واستخدم كل ما يملك من علم ومنطق وموهبة وحوار جاد وتأليف المصنفات ليدفع عنه تهجم الفقهاء المالكية فى عصره هو الإمام أبو محمد على بن سعيد بن حزم القرطبى الأندلسى (المتوفى ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م).

ويطول المقام إذا تحدثنا عن مكانته العلمية وثناء العلماء عليه وتبحره فى العلوم وكثرة مؤلفاته وتنوعها حتى بلغت «أربعمائة مجلد» كما يقول ابن الفضل[٣]، وهذه المؤلفات «تعد أكبر وثيقة مفصلة للحياة الثقافية والفكرية والعقائدية التى انتظمت العالم الإسلامى - والأندلس بخاصة - خلال القرون الثلاثة: الرابع والخامس والسادس للهجرة»[٤].

وقد كتبت حوله دراسات كثيرة، تناولت آراءه الفقهية والأصولية والفلسفية والكلامية والأدبية واللغوية، وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى[٥]. وفيما يتعلق بعلم الفقه وأصوله

---

١) راجع عن ذلك (ص ٥٥٩ - ٥٦٠) من الباب السابق.

٢) بغية الملتمس للضبى ص ٤٦٦، معجم الأدباء لياقوت ١٧٦/١٩.

٣) نفح الطيب للمقرى ٧٨/٢، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨٧/١٨.

٤) د. عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ١١٨.

٥) من هذه الدراسات: كتاب "ابن حزم حياته وعصره، آراؤه وفقهه" لمحمد أبو زهرة. وكتاب دكتور عبد الحليم عويس المذكور فى الحاشية السابقة. وكتاب "ابن حزم الأندلسى حياته وأدبه" للدكتور عبد الكريم خليفة. و"ابن حزم الأصولى" رسالة دكتوراه لعبد الله بن عبد الله الزايد/كلية الشريعة =

كان له فيه الباع الطويل، «وقد تدرج فى دراسة هذا العلم من المذهب المالكى السائد فى الأندلس إلى دراسة المذهب الشافعى، ثم انتهى به الأمر إلى المذهب الظاهرى، لكنه لم يكن فيه كشأن تابعى المذاهب، وإنما خالف فيه داود الظاهرى فى كثير من المسائل الأساسية، بحيث يمكن القول بأن ظاهريته منهجية لا مذهبية، وكان له نظراته الخاصة التى جعلت كثيرين يسمون اجتهاده الفقهى بالمذهب (الحزمى) أو (الحزمية»[١].

وأهم كتاب طبق فيه ابن حزم ظاهريته تطبيقا كاملا وأبان فيه معالم منهجه هو "المحلى"، وهو موسوعة فقهية شرح به كتابا مختصرا له بعنوان "المجلى"، وفيه يقول العز بن عبد السلام «ما رأيت فى كتب الإسلام فى العلم مثل "المحلى" لابن حزم، وكتاب "المغنى" للشيخ موفق الدين ابن قدامة»[٢]. وأضاف الذهبى كتابين آخرين هما: "التمهيد" لابن عبد البر القرطبى - وهو من أصدقاء ابن حزم - و"السنن الكبرى" للبيهقى، وقال: «فمن حصل هذه الدواوين وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقا». وقد حمل كتاب "المحلى" مذهب ابن حزم بين دفتيه، مقارنا إياه بالمذاهب الأخرى، واستغرق سائر أبواب الفقه وأصوله بدءا من باب "التوحيد" والإيمان، إلى أن يفرغ من سائر أبواب العبادات والمعاملات وغيرها[٣]. وإنه لمما يجعلنا ندرك مدى جهود ابن حزم فى ميدان الفقه أن "المحلى" الذى تبلغ صفحاته نحو (٧٠٥٠) صفحة من القطع المتوسط ويقع فى ثلاثة عشر جزءا[٤] إنما كتبه ابن حزم «شرحا مختصرا للمسائل التى جمعناهـــا فى كتابنا الموسوم بالمجلى نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار ليكون مأخذه سهلا على الطالب والمبتدئ»[٥].

ولابن حزم مصنفات أخرى جليلة فى الفقه، نذكر منها: "الإيصال إلى فهم كتاب الخصال" خمسة عشر ألف ورقة قال عنه الذهبى: «أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم، والحجة على كل قول». وهذا الكتاب هو شرح لكتابه "الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع"، يقع فى أربعين مجلدا. وكتاب "التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لا نص عليها فى الكتاب ولا الحديث". وكتاب "ما انفرد به مالك

= والقانون جامعة الأزهر ١٩٧٤م. وهناك دراسات كثيرة غير ما ذكرنا، إضافة إلى عشرات البحوث المنشورة فى الدوريات العلمية المتخصصة.

١) د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص ٨٩.

٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨/١٩٣.

٣) راجع د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص ٩٤.

٤) حسب طبعة مكتبة الجمهورية بمصر بتصحيح زيدان أبو المكارم حسن، وحسن زيدان طبعة ١٩٧٢م.

٥) د. عبد الحليم عويس: المرجع نفسه ص ٩٥.

وأبو حنيفة والشافعى". وكتاب "اختلاف الفقهاء الخمسة: مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وداود". وكتاب "التصفح فى الفقه". وكتاب "الإملاء فى شرح الموطأ" ألف ورقة. وكتاب "در القواعد فى فقه الظاهرية" فى ألف ورقة. وله رد على القاضى إسماعيل بن إسحق البغدادى (المتوفى ٢٨٢هـ/٨٩٥م) فى قسمة الخمس. وكتاب "ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس"[١].

التصدى للمذهب الظاهرى بالأندلس وتأليف الكتب للرد عليه:

وقد عارض الفقهاء المالكية بالأندلس المذهب الظاهرى فى شخص "ابن حزم"، لما فيه من «فرط ظاهريته» كما يقول الذهبى[٢]. وأنه شديدا فى ردوده على مخالفيه، وبسط فى ذلك لسانه وقلمه «ولم يتأدب مع الأئمة فى الخطاب، بل فجج العبارة وسب وجدع»[٣]. وبعبارة ابن حيان الأندلسى «فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصك به من عارضه صك الجندل[٤]، وينشقه إنشقاق الخردل» ونتيجة لذلك نفرت عنه القلوب وتمالأ عليه علماء وقته وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم منه ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، فتعرض بذلك لسخط الولاة، فعملوا على إيذائه وإبعاده ونفيه ومحاربة كتبه وتمزيقها وأحرقوها علانية[٥].

وقد برز للرد على ابن حزم وإبطال مذهبه اثنان من كبار علماء المالكية: **أولهما:** أبو الوليد الباجى (المتوفى ٤٧٤هـ/١٠٨١م) كانت بينهما مناظرات ومجادلات، قال ابن فرحون: «إن أبا الوليد لما ورد إلى الأندلس ووجد بها ابن حزم الظاهرى ولم يكن فى الأندلس من يشتغل بعلمه، فقصرت ألسنة فقهائها عن مجادلته واتبعه جماعة على رأيه، واحتل بجزيرة ميورقة، فرأس بها واتبعه أهلها، فلما وصل أبو الوليد تكلم فى ذلك، فرحل إليه وناظره، وأبطل كلامه، وله

---

١) سير أعلام النبلاء ١٨/١٩٣-١٩٥، بغية الملتمس للضبى ص ٤١٥، جذوة المقتبس للحميدى ٢/٤٨٩ - ٤٩٠، الصلة لابن بشكوال ص ٤١٥، نفح الطيب للمقرى ٢/٧٧-٧٩، تذكرة الحفاظ للذهبى ٣/ ١١٤٦-١١٥٥، معجم الأدباء لياقوت ١٢/٢٣٥.

٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨/١٨٦.

٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٦، ومعنى (فجج): ساق العبارة فجة قاسية. ومعنى (جدع): الجدع هو القطع، وهو هنا كناية عن الذم والشتم.

٤) الجندل: ما يقله الرجل من الحجارة.

٥) راجع: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ١/١/١٦٨-١٦٩، معجم الأدباء لياقوت ١٢/٢٤٧ -٢٤٩، سير أعلام النبلاء للذهبى.١٨/٢٠٠-٢٠١.

معه مجالس كثيرة قيدت بأيدى الناس»[١]. **وأما الفقيه الثانى:** فهو أبو بكر العربى (المتوفى ٤٥٣هـ/١١٤٨م) رد على ابن حزم ونقد الفقهاء الظاهرية الذين عاصرهم وبالغ فى ذلك فى كتابه "العواصم من القواصم" حتى قال:«هى أمة سخيفة تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم نفهمه»[٢] وأردف قائلا: «وقد جاءنى رجل بجزء لابن حزم سماه (نكت الإسلام) فيه دواهى، فجردت عليه (نواهى) وجاءنى آخر برسالة فى الاعتقاد، فنقضتها برسالة "الغرة "... »[٣].

وكان لابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) رد على ابن حزم فى الكتاب المسمى "بالاستذكار". ومع ذلك فقد أثنى عليه ابن حزم فى رسالته عن فضل الأندلس واعتبره من مظاهرها العالية[٤]. وصنف أحد أسباط ابن حزم - وهو أحمد بن محمد بن حزم - فى الرد عليه كتابا سماه "الزوائغ والدوامغ" تابع فيه أبا بكر العربى فى كتابه الآخر "الدواهى والنواهى"[٥].

وقد توالت الردود على ابن حزم ومذهبه الفقهى إلى القرن الثامن الهجرى؛ ففى أوائل هذا القرن صنف أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زرقون الأنصارى (المتوفى٧٢١هـ/١٣٢١م) كتاب "المعلى فى الرد على المحلى لابن حزم" وكان شيخ المالكية فى عصره، ومن كبار المتعصبين للمذهب المالكى[٦]. وقد ناله الأذى من بنى عبد المؤمن سلاطين "الموحدين" إذ حملوا الفقهاء وعامة الناس على الأخذ بالمذهب الظاهرى، وتبنوا المشروع الحزمى بكامل أبعاده، وأمروا بإحراق كتب المذهب المالكى كالمدونة والواضحة وغيرهما[٧]، ومن هنا يمكن القول: إن عصر الدولة الموحدية هو عصر ازدهار المذهب الظاهرى (٥٤٢هـ/١١٤٧م - ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) وبعد هذه الفترة اضمحل هذا المذهب حتى انقرض تماما فى القرن الثامن و لم يعد يوجد من ينصره.

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ١/٣٨٠.

٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٨.

٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨/١٨٩.

٤) نفح الطيب للمقرى "رسالة فى فضل الأندلس لابن حزم" ج ٣ص١٦٩-١٧٠، وراجع د. عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ٧٨.

٥) السيوطى: بغية الوعاة (ج ١ ص ٣٦٥).

٦) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٨٦ (ط بيروت).

٧) راجع التفاصيل فى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى ص ٢٧٨ - ٢٧٩، ابن حزم حياته وعصره.. . لمحمد أبو زهرة ص ٥٧٤ - ٥٨٠.

وأول من نشر مؤلفات ابن حزم فى بغداد وبلاد المشرق تلميذه أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الحميدى (المتوفى ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) وهو مؤلف "جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس" اعتمدنا عليه كثيرا فى دراستنا هذه. وقد كان الحميدى مختصا بابن حزم مشهورا بصحبته، وتخرج عليه فى أكثر علومه، وتلقى عليه كتبه، ثم رحل إلى المشرق سنة ٤٤٨هـ/١٠٩٥م، فاستوطن بغداد، وهناك نشر هذه الكتب وتلقاها الناس عنه[١].

والخلاصة أن ابن حزم دون المذهب الظاهرى، وقارنه بغيره، ورتب أصوله، ودافع عنه أقوى دفاع، وأحياه فى الأندلس بعد ضعفه فى بغداد. وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها ابن حزم وفقهاء عصره فإن المذهب لم ينته بموته، وإنما نشره تلاميذه من بعده أو حاولوا ذلك، و لم تخل الأندلس من فقيه ظاهرى فى كل عصر من تاريخها، لكن - وفى حدود علمنا - لم يعرف لفقيه ظاهرى أندلسى تصنيف فى المذهب سوى ابن حزم.

التراث الأندلسى فى الفقه الشافعى والفقه المقارن:

أما المذهب الشافعى فعلى الرغم من دخوله الأندلس مبكرا ووجود محاولات لنشره بها خلال القرون: الثالث والرابع والخامس للهجرة فإننا لا نكاد نعثر على كتاب ينسب للأندلسيين فى فروع هذا المذهب غير كتابين:

الأول: "تعليق" فى مذهب الشافعى، لأبى الحسن على بن سعيد العبدرى (المتوفى٤٩١ هـ/١٠٩٧)، كانت له رحلة إلى بغداد، وتفقه بها على أبى بكر الشاشى الشافعى[٢].

والكتاب الثانى: هو أيضا عبارة عن "تعليقة" كبرى لأبى على الصدفى: الحسين بن محمد المعروف بابن سكرة السرقسطى (المتوفى ٥١٤هـ/١١٢٠م) كتبه فى فترة وجوده ببغداد فى حلقة الفقيه الشافعى أبى بكر الشاشى[٣].

ويذكر الحميدى فى "جذوة المقتبس" أن قاسم بن محمد بن قاسم البيانى القرطبى (المتوفى ٢٧٨هـ/٨٩١م) كان متحققا بمذهب الشافعى، وله فيه مؤلفات يرد فيها على مخالفيه[٤].

---

١) راجع الصلة لابن بشكوال ص ٥٦٠، البداية والنهاية لابن كثير ٦٤٤/٦ (ط دار الغد العربى بالقاهرة).
٢) الصلة لابن بشكوال ص ٤٢٢.
٣) الديباج المذهب ٣٣٠/١ - ٣٣١ (ط مصر).
٤) جذوة المقتبس للحميدى ٥٢٤/٢، الديباج ١٤٣/٢ - ١٤٤ (ط مصر).

وفيما عدا ذلك فكل ما كتبه الأندلسيون حول المذهب الشافعى (وكذلك الحنفى والحنبلى) لا يخرج عن إطار مقارنته بالمذاهب الأخرى فى كتب الفقه المقارن، مثل بعض كتب ابن حزم المذكورة من قبل، ومثل كتاب "الدلائل على أمهات المسائل" فى اختلاف مالك والشافعى وأبى حنيفة، لأبى محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وهو شافعى المذهب[١]. وكتاب "الاقتصار على مذاهب الأئمة الأخيار" لأبى عبد الله محمد بن خلف الإلبيرى (المتوفى ٥٣٧هـ/١١٤٢م»[٢]. وكتاب "التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية" لأبى القاسم محمد بن أحمد الكلبى المعروف بابن جزى - من أهل غرناطة - (المتوفى ٧٤١هـ/١٣٤٠م»[٣].

تعقيب ومقارنة:

وفى ختام هذا العرض للتراث العلمى الأندلسى فى مجال الفقه نود أن نشير إلى عدد من النتائج المقارنة، وهى:

١ - امتلأت كتب التراجم الأندلسية بعناوين هائلة لمؤلفات عدد كبير من الفقهاء الأندلسيين. وهذا التراث الفقهى أكثره من إنتاج الفقهاء المالكية، والقليل منه من تصنيف الظاهرية والشافعية وفقهاء الحديث، والسبب فى ذلك واضح وهو أن الأندلس تميزت عبر تاريخها الطويل فى مجال الحياة الدينية بانتمائها إلى مذهب فقهى واحد هو مذهب مالك الذى رسخ رسوخا لا مثيل له فى بلاد الإسلام، ولذا لم يكتب للمذاهب الأخرى التى ظهرت بها إلا فترات عابرة من الانتشار، ومن ثم قل الإنتاج العلمى الخاص بها. ومن أجل هذا السبب أيضا فاق الإنتاج الأندلسى فى الفقه المالكى من حيث الكثرة والتنوع إنتاج المشارقة من الحجازيين والبغداديين والمصريين وغيرهم. وقد تنوع هذا الإنتاج الفقهى المالكى بين مؤلفات تقرر مسائل المذهب وفروعه، وثانية فى تأصيل قواعده وأصوله، وثالثة فى الرد على مخالفيه ومقارنته بالمذاهب الأخرى. ومن هنا كان لأهل الأندلس الفضل الكبير فى إرساء دعائم هذا المذهب وترسيخه واستمراريته بعد أن ضعفت ببغداد مع مطالع القرن الخامس الهجرى[٤].

---

١) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١/٢٩٠، جذوة المقتبس للحميدى ١/٤٠٠، الديباج المذهب ١/ ٤٣٣ - ٤٣٤، المقفى الكبير للمقريزى ٤/٤٣٩ - ٤٤٠.

٢) الديباج ص ٣١٣ (ط بيروت/ دار الكتب العلمية).

٣) الديباج ص ٢٩٥.

٤) تكلمنا من قبل عن ضعف المذهب المالكى ببغداد بعد القرن الرابع الهجرى - راجع (ص ١٤٣).

٢ - لم يتسامح الفقهاء المالكية مع المذاهب الفقهية الأخرى، مع أن هذه المذاهب انتشرت فى بغداد/المشرق وكان لكل منها حظوة وأتباع. ومهما كانت الأسباب التى جعلت أهل الأندلس يتمسكون بمذهب مالك ولا يتسامحون مع غيره[١]، فإن مظاهر النزاع الفقهى وقعت بين الفقهاء المالكية ومنتحلى المذاهب والمناهج الأخرى، وخصوصا الظاهرية، ونتج عن ذلك ظهور مؤلفات وردود غنية بالآراء والمقارنات والتحليلات الفقهية ساهمت فى تعميق التراث الفقهى للحضارة الإسلامية.

٣ - ومن مظاهر الخصوصية الأندلسية فى مجال الفقه أن الفقهاء الأندلسيين تطرقوا إلى التصنيف فى فنون من الفقه ربما لم يتطرق إليها المشارقة، بل وتوسعوا فى ذلك، وكانت لهم الريادة، كالتصنيف فى "النوازل" وفى الوثائق والشروط. وهذه الكتب أتاحت لنا التعرف على المجتمع الأندلسى وخصوصياته ودقائقه.

***

١) راجع عن هذه الأسباب بحثا للدكتور فرحات الدشراوى بعنوان "مظاهر من الصراع المذهبى بالأندلس فى عهد الإمارة والخلافة" - المجلة العربية للثقافة، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بجامعة الدول العربية - السنة الرابعة عشرة - العدد (٢٧) (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) - ص ١٤ - ١٦. وراجع بحثا للدكتور حسين مؤنس بعنوان: "صورة الأرض"، منشور بمجلة الآداب جامعة الإسكندرية - المجلد (١٤) [١٩٦٠م] - ص ٤٢ - ٤٣.

الفصل الثالث

إنجازات الأندلسيين فى مجال علوم اللغة العربية

* ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول : الدراسات النحوية واللغوية.

المبحث الثانى : مصادر الأدب فى التراث الأندلسى.

المبحث الثالث : البلاغة والنقد الأدبى.

المبحث الرابع : الشعر والنثر الفنى.

المبحث الأول

الدراسات النحوية واللغوية

أولا: النحو

توطئة: لقد سبق أن قررنا أن أمهات الكتب المشرقية فى علم النحو امتدت إلى الأندلس منذ أواخر القرن الثانى الهجرى، وأن أول مدرسة نحوية تعرف عليها الأندلسيون هى المدرسة الكوفية ممثلة بكتاب الكسائى المؤسس الأول لهذه المدرسة. وهذا الكتاب أدخله قرطبة (رواية عن مؤلفه): جودى بن عثمان المورورى القرطبى (المتوفى١٩٨هـ/٨١٣ م). وبعد مدة يسيرة من دخول النحو الكوفى إلى الأندلس دخلها النحو البصرى عن طريق محمد بن موسى القرطبى المعروف بالأقشتين (المتوفى٣٠٩ هـ/٩٢١م) وغيره ممن أدخلوا "كتاب" سيبويه، وكتاب "الأوسط" للأخفش تلميذ سيبويه. ثم نقلت كتب النحو البغدادى إلى قرطبة ممثلة فى كتاب "الجمل" للزجاجى وكتب أبى على الفارس وتلميذه ابن جنى، ووصل إلى قرطبة عدد آخر كبير من كتب الكوفيين والبصريين والبغداديين، كالفراء والمبرد وابن السراج وابن درستويه والسيرافى وغيرهم[1].

وقد أولى الأندلسيون هذه الكتب الوافدة اهتماما واسعا، وعكفوا على دراستها وحفظها وشرحها، ونشروها فى ربوع الأندلس.وإذا تتبعنا التراث الأندلسى فى علم النحو نجد أن أكثر

---

١) راجع المبحث الخاص بكتب النحو التى انتقلت إلى الأندلس بداية من (ص ٥٧٦ - ٥٧٩).

المؤلفات التى وضعها الأندلسيون ليست إلا شروحا لكتب المشارقة، ويمكن القول: لايكاد يمر عصر من عصور الأندلس أو فترة دون أن يكون لعالم من علماء النحو شرح لكتاب نحوى أو أكثر من كتب المشارقة. أما الإنتاج الأندلسى الخالص فى هذا المجال فهو قليل إذا قورن بكتب الشروح، ويدور فى فلك المنهاج التى أرسى دعائمها علماء المدارس النحوية فى المشرق. وقد كانت المدرسة الأندلسية فى النحو عبارة عن خليط من آراء البصريين والكوفيين والبغداديين، مع الميل فى اتجاه المدرسة البغدادية وكثرة التعليلات والنفوذ إلى بعض الآراء الجديدة التى تقوم على الاختيار والترجيح.

الشروح الأندلسية لكتب النحو المشرقية.

وأبرز الكتب النحوية التى حظيت بعناية الأندلسيين وكتبوا عليها مجموعة من الشروح والتعليقات هى "كتاب" الكسائى و"كتاب" سيبويه وكتاب "الجمل" للزجاجى.إضافة إلى عدد آخر من كتب النحو للأخفش والمبرد وأبى على الفارسى وابن جنى وابن النحاس.

(١) أما (كتاب) الكسائى: وهو من أوائل كتب النحو التى وصلت الأندلس فقد شرحه كثيرون، منهم: أبو الحسن مفرج بن مالك النحوى القرطبى المعروف بالبغل. كان نحويا لغويا، وتعلم على يديه أكثر أهل زمانه، وعداده فى الطبقة الرابعة من نحاة الأندلس ولغوييها[١].

وذكر ابن الأبار فى "التكملة" أن محمد بن أصبغ النحوى القرطبى ــ يعرف بدريود شرح كتاب الكسائى فى ستة أجزاء[٢]. وشرحه أيضا (الجرفى) أحد النحاة الأندلسيين المشهورين، وهذا الشرح عده ابن حزم من المفاخر الأندلسية[٣].

(٢) وأما كتاب سيبويه: فقد كانت عناية الأندلسيين به أوسع، وشروحهم ودراستهم عليه أكثر، نذكر منها على سبيل المثال: "شرح كتاب سيبويه" لأبى محمد عبد الله ابن حمود الزبيدى الإشبيلى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٧٢هـ/٩٨٢م) كانت له رحلة إلى بغداد[٤]

---

١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٧٣، وراجع تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١٤٠/٢، بغية الوعاة للسيوطى ٢٩٦/٢.

٢) التكملة لابن الأبار ٣٦٦/١ (رقم ٩٩٥).

٣) بغية الملتمس للضبى ص٥٤٠، جذوة المقتبس للحميدى ٦٤٥/٢، نفح الطيب للمقرى ١٧٢/٣ (رسالة فضل الأندلس لابن حزم)، وراجع إنباه الرواة للقفطى ١٧٧/٢، تاريخ الفكر الأندلسى لآنخل جنثالث بالنثيا ص ١٨٥/ترجمة دكتور حسين مؤنس.

٤) التكملة لابن الأبار ٧٨٣-٧٨٤، الذيل والتكملة للمراكشى السفر الرابع ص٢٢٠-٢٢١، نفح الطيب للمقرى ٦٤٧/٢.

وهو ابن عم أبى بكر الزبيدى الإشبيلى القرطبى (المتوفى ٣٧٩هـ/٩٨٩م). وهذا الأخير من كبار علماء اللغة والنحو والأدب فى الأندلس، وله دراسة فى "أبنية كتاب سيبويه"[١].

ولأبى الحسن على بن أحمد بن خلف الأنصارى الغرناطى المعروف بالباذش (المتوفى ٥٢٥ هـ/١١٣٠م) شرح على كتاب سيبويه. وهذا العالم كان ذا معرفة واسعة بعلم العربية، وصنف عددا من الشروح على كتب مختلفة فى النحو للبصريين والبغداديين[٢].

ويكثر فى عصر الموحدين (٥٤٢-٦٧٤هـ/١١٣٠-١٢٧٥م) النحاة الذين عنوا بشرح كتاب سيبويه وإقرائه للطلاب وفك معمياته، مثل ابن الرماك (المتوفى٥٤١هـ/١١٤٦م) وتلميذه ابن طاهر (المتوفى ٥٨٠هـ/١١٨٤م) والأقليشى (المتوفى ٥٥٠هـ/١١٥٥م) وابن خروف على ابن يوسف القرطبى (المتوفى ٦٠٩هـ/١٢١٣م) وتلميذه ابن هشام محمد بن يحيى الخزرجى الأندلسى (المتوفى ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م) وأبو على الشلوبين (المتوفى ٦٤٥هـ/١٢٤٧م) وغيرهم[٣].

وقد ألف أبو الحسن سهل بن محمد الأندلسى (المتوفى ٦٣٩هـ/١٢٤١م) كتابا فى العربية حاكى فيه كتاب سيبويه ورتبه على أبوابه[٤].

وهناك من علماء الأندلس من جمع بين أكثر من شرح لسيبويه كما فعل ابن الضائع (المتوفى ٦٨٠هـ/ م) فى جمعه بين شرحى ابن خروف الأندلسى (المتوفى ٦٠٩هـ/١٢١٢م) والسيرافى البغدادى (المتوفى ٣٦٨هـ/٩٧٨»[٥].

(٣) ولأهل الأندلس من الشروح على كتاب "الجمل" للزجاجى ما يطول ذكره كما يقول ابن سعيد فى "تذييله" على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس، وعدد منهم: ابن خروف (المتوفى ٦٠٩هـ/١٢١٢م) وابن عصفور (المتوفى ٦٦٣هـ/١٢٦٤م»[٦]. وهذا

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٤٥.

٢) الديباج المذهب ص ٢٠٥-٢٠٦ (ط بيروت)، إنباه الرواه للقفطى ٢٢٧/٢.

٣) راجع التكملة لابن الأبار ص ٢٢٠، ص ٦٧٥، الذيل والتكملة للمراكشى السفر الرابع ص٣٥، السفر الخامس / الجزء الثانى ص ٣٢٠، ٣٢١، ٦٢٤، نفح الطيب للمقرى ١٨٤/٣، إنباه الرواة للقفطى ٢/ ٣٣٢، معجم الأدباء ٧٥/١٥.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص١٢٥ (ط بيروت).

٥) الذيل والتكملة ٣٧٣/٢/٥.

٦) نفح الطيب ١٨٤/٣. وراجع أيضا الذيل و التكملة للمراكشى ٢/٥ ص٣٢٠، ص ٤٥٣.

الأخير هو حامل لواء العربية فى زمانه، وله ثلاثة شروح على "الجمل". وشرحه أيضا كل من ابن سيده صاحب المعجم المسمى "المحكم" (المتوفى ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)[١] وابن الباذش الغرناطى (المتوفى ٥٢٨هـ/١١٣٣م)[٢]، وابن السيد البطليوسى (المتوفى ٥٢١هـ/١١٢٧م) الذى سمى كتابه "إصلاح الخلل الواقع فى كتاب الجمل"[٣]. وتوجد شروح أخرى كثيرة[٤].

ولعل اهتمام الأندلسيين بهذا الكتاب يعود- كما ذكرنا من قبل - إلى دقته ووضوح عبارته واستيعابه لدقائق النحو البصرى التى يحتاج إليها الناشئة[٥].

(٤) ومن الشروح التى كتبها علماء الأندلس على كتب النحو المشرقية:

"شرح المقتضب للمبرد " من تأليف أبى الحسن على بن أحمد بن الباذش الغرناطى (المتوفى٥٣٨ هـ/١١٣٣م)[٦]. و " المقنع فى شرح كتاب ابن جنى " فى النحو لأبى بكر الحسن بن على بن محمد الطائر المرسى (المتوفى ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م »[٧].

وممن شرح "الإيضاح" فى النحو لأبى على الفارسى البغدادى: ابن الباذش الغرناطى (المتوفى ٥٢٨هـ/١١٣٣م)[٨] ومحمد بن حكيم بن برباق الجذامى السرقسطى (المتوفى ٥٣٨ هـ/١١٤٣م)[٩]. وأبو العباس أحمد بن عبد المؤمن المعروف بالشريشى (المتوفى٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)[١٠].

وكتب أبو القاسم زيد بن الربيع الحجرى القرطبى المعروف بزيد البارد (المتوفى ٣٠٠ هـ/٩١٢م) دراسة على "كتاب الأخفش"، جمع فيه بين أبوابه ورتبها، وكانت مفرقة، واقتدى الطلبة به فى هذا العمل[١١]. وشرحه أيضا أحمد بن أبان بن سيد اللغوى القرطبى

---

١) فهرس ابن خير ص ٣٥٦-٣٥٧.
٢) الديباج المذهب ص٢٠٥-٢٠٦ (ط بيروت).
٣) فهرس ابن خير ص ٣٤٥.
٤) راجع التكملة لابن الأبار ص ٦٥، ١١١، ١٩٢، ٢٩٦، ٥١١، ٦٧٥، الذيل والتكملة للمراكشى ١٨٨/٢/٥، ص ٥٢٤، ص ٥٨٧.
٥) راجع (ص ٥٧٨) من الباب السابق.
٦) الصلة لابن بشكوال ص ١٣٨ - ١٣٩.
٧) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٠٥ - ٢٠٦ (ط بيروت)'
٨) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٠٠ - ٣٠١ (ط بيروت).
٩) التكملة لابن الأبار ١١١/١ (رقم ٢٨١).
١٠) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٨٤، التكملة لابن الأبار ص ٣٣١ (رقم ٨٩٦).
١١) بغية الملتمس ص ٥٣٨، جذوة المقتبس ٦٤١/٢، نفح الطيب ١٧٣/٣، بغية الوعاة للسيوطى ٢٩١/١، إنباه الرواة للقفطى ١ /٣٠ - ٣١.

(المتوفى ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م)[١]، وهذا الشرح الأخيرعده ابن حزم من مفاخر الأندلسيين.

المؤلفات النحوية المستقلة عن كتب المشارقة:

وأول نحاة الأندلس الذين صنفوا فى النحو كتبا مستقلة عن المصادر المشرقية هو جودى بن عثمان المورورى نزيل قرطبة (المتوفى ١٩٨هـ / ٨١٣ م)[٦] وهو الذى أدخل كتاب الكسائى كما ذكرنا. ثم وضع أبو بكر بن خطاب (أو/خاطب) المكفوف القرطبى تأليفا فى النحو كانت له شهرة فى موطنه[٢]. وصنف أبو بكر الزبيدى الإشبيلى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م) كتاب " الواضح فى النحو "[٣]. وهو الذى اختصر كتاب " العين " للخليل بن أحمد كما سيأتى قريبا.

وفى القرن السادس صنف أبوبكر محمد بن عبد الملك النحوى الأندلسى (كان حيا٥٣١ هـ/١١٣٦م) كتاب " تنبيه الألباب على فضائل الإعراب " فى جزء واحد[٤]. وصنف ابن السيد البطليوسى (المتوفى ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) كتاب " المسائل والأجوبة "[٥].

أما الكتب التى تبرز جانبا من الخصوصية الأندلسية فى هذا العلم، و التى تعد بمثابة الثورة على النحو و النحاة فهى لأبى العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى القرطبى (المتوفى ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م). كان حجة فى الفقه الظاهرى والحديث النبوى وفى التفسير. وكان له موقف قوى فى نصرة المذهب الظاهرى و الحمل على أتباع المذاهب الفقهية الأخرى، وخصوصا المالكية. وقد استلهم منهجه الفقهى فى حمله على النحاة، «إذ وجد مادة العربية تتضخم بتقديرات وتأويلات و تعليلات وأقيسة وشعب وفروع وآراء لا حصر لها ولا غناء حقيقى فى تتبعها أو على الأقل فى تتبع الكثير منها، فمضى يهاجمها فى ثلاثة كتب، هى "المشرق فى النحو"، و "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان" و "كتاب الرد على النحاه". والكتاب الأخير هو - وحده - الذى بقى من آثاره[٦]. وفيه يهاجم نظرية (العامل) التى عقدت النحو وأكثرت فيه من التقديرات و المباحث التى لا طائل وراءها فى رأيه»[٧].

---

١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى،ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
٢) طبقات الزبيدى ص ٢٧٣، تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١١٢/١.
٣) الديباج المذهب ٢ / ٢٢٠ (ط مصرّ) (ص ٢٦٣ / ط بيروت).
٤) فهرس ابن خير ص ٣٢٠.
٥) حسين مؤنس: المدارس النحوية ص ٢٩٤.
٦) مطبوع بتحقيق حسين مؤنس (دار الفكر العربى بالقاهرة).
٧) حسين مؤنس: المدارس النحوية ص ٣٠٥..

وقد صنف أبو على عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (المتوفى ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م) كتابا فى النحو سماه "التوطئة"، وكتابا آخر بعنوان "القوانين". وهذا العالم كان إمام عصره فى العربية غير مدافع[١]، وترك تلميذا نجيبا حمل من بعده لواء العربية بالأندلس، وصنف فى النحو والصرف مصنفات مختلفة منها "المقرب" فى النحو، و "الممتع" فى التصريف، وهذا العالم هو **أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن عصفور الحضرمى الإشبيلى (المتوفى٦٦٣هـ / ١٢٦٤م)**[٢].

وأهم المؤلفات الأندلسية فى علم النحو هى مؤلفات ابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى (المتوفى بدمشق ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م). وهوإمام النحاة واللغويين لعصره، وأشهر مؤلفاته منظومته "الألفية" و "الكافية الشافية" فى ثلاثة آلاف بيت و"التسهيل" و"شرحه" و"الفوائد" وغيرها[٣].

ثانيا: اللغـــة

وفى سياق حديثنا عن تأثر الأندلسيين بالثقافة اللغوية والأدبية الوافدة عليهم من المشرق عرفنا أن عددا هائلا من الكتب اللغوية دخلت الأندلس عن طريق العلماء الذين رحلوا إلى بغداد وغيرها من المراكز المشرقية. وعرفنا أن الكتب اللغوية المهاجرة إلى قرطبة تنوعت بين كتب عبارة عن رسائل لغوية ذات موضوع واحد، وكتب فى " النوادر "، وكتب الفصيح، وأخرى فى الملاحن وغريب اللغة وغير ذلك من الأبواب، إضافة إلى المعاجم اللغوية الموسعة[٤].

التراث الأندلسى فى ميدان اللغة:

وإذا تتبعنا التراث الأندلسى فى ميدان اللغة فسنجد أنه لن يخرج - فى أغلبه - عن هذه الصور المشرقية. بمعنى أن الأندلسيين ساروا فى تأليف اللغة وترتيبها ومعالجتها على وفق ما عرفوه من مناهج المشارقة فى التصنيف والجمع والتبويب والترتيب، مع بروز قدر من الخصوصية الأندلسية فى بعض الجوانب.ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن المادة اللغوية التى صنفها الأندلسيون هى مادة مشرقية أعادوا ترتيبها من جديد، وأضافوا إليها من بنات أفكارهم. وفيما

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٨٥ - ١٨٦ (ط بيروت).

٢) الذيل و التكملة للمراكشى ٥ / ٢ / ٤١٤.

٣) راجع عنه: طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ٢٨، ٢٥٧، طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ١٨٠، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ / ٢٤٣، شذرات الذهب ٥ / ٣٣٩.

٤) راجع عن ذلك (ص ٥٨٠.- ٥٨٦) من الباب السابق

يلى نذكر أمثلة من التراث الأندلسى فى اللغة:

(١) فمن الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد: كتاب "النبات" لأبى عبيد البكرى (المتوفى٤٨٧هـ/١٠٩٤م)[١]، وله أيضا كتاب فى "الأمثال"[٢]. وصنف ابن السيد البطليوسى (المتوفى٥٢١هـ/١١٢٧م) كتابا فى " الفرق بين الحروف الخمسة: الظاء و الضاد والذال والصاد والسين "[٣].

وفى "الأنواء" صنف كل من: عبد الله بن حسين بن إبراهيم القرطبى المعروف بابن القربالى (المتوفى ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)[٤]، تلميذ أبى على القالى. وعريب بن سعد القرطبى (المتوفى ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)[٥].

(٢) وأهم كتاب فى (النوادر) محسوب من التراث الأندلسى هو كتاب أبى على القالى البغدادى نزيل قرطبة (المتوفى٣٥٦هـ/٩٦٧م)[٦]. وهذا العالم وإن كان بغدادى البلد والثقافة إلا أنه ألف أغلب كتبه فى قرطبة إن لم يكن كلها[٧].

وكتاب " النوادر " هذا أضافه الأندلسيون إلى مفاخرهم وذكره ابن حزم فى عداد الكتب التى سردها فى رسالته "فضل الأندلس"، وفاضل بينه و بين كتاب "الكامل" لأبى العباس المبرد البغدادى (المتوفى٢٨٥هـ/٨٩٨م)، وقال: «هو مبار لكتاب "الكامل"، ولئن كان كتاب أبى العباس أكثر نحوا وخبرا، فإن كتاب أبى على أكثر لغة وشعرا »[٨]. وقد عد ابن خير فى "فهرسته" تسعة عشر عالما أندلسيا رووا كتاب "النوادر" وحده عن أبى على القالى[٩]، وذكر أن أبا عبيد البكرى (المتوفى٤٨٧هـ/١٠٩٤م) كتب دراسة عليه نبه فيها على أوهام مؤلفه[١٠].

---

١) فهرس ابن خير ص ٣٧٧

٢) فهرس ابن خير ص ١٧.

٣) المصدر نفسه ص ٣٦٢.

٤) التكملة لابن الأبار ٢ / ٧٩١ (رقم ١٩٤٠)، الذيل و التكملة للمراكشى، السفر الرابع ص ٢١٩

٥) الذيل و التكملة ٥ / ٢ / ١٤٢.

٦) بغية الملتمس للضبى ص ٢٣٢، جذوة المقتبس للحميدى ١ / ٢٥٤، نفح الطيب للمقرى ٣ / ١٧٢.

٧) راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧.

٨) جذوة المقتبس ١ / ٢٥٤، نفح الطيب ٣ / ١٧٢ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس)، معجم الأدباء لياقوت ٧ / ٢٩.

٩) فهرس ابن خير ص ٣٢٣ - ٤٢٥.

١٠) فهرس ابن خير ص ٣٢٥.

(٣) وفى صيغ الأبنية (أبنية الأفعال والأسماء) صنف عدد من الأندلسيين:

[أ] ويعد كتاب " فعلت وأفعلت " لأبى على القالى أقدم كتاب فى أبنية الأفعال، وهو يعنى خاصة بصيغتين من صيغ الأفعال وهما: (فعل) و(أفعل) اللتان تردان بمعنى مختلف أو متفق. ومن المحتمل أن يكون محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبى المعروف بابن القوطية (المتوفى٣٦٧هـ/٩٧٧م) تلميذ القالى ومعاصره قد استفاد منه فى كتابه الذى سماه (الأفعال »[١].

وهذا الكتاب الأخير مخالف لكتاب القالى فى كونه يعتنى بسائر الصيغ المعروفة للأفعال، «وهو أول مصنف فى ذلك» كما يقول ياقوت[٢]. وعده ابن حزم من مفاخر الأندلسيين[٣].

وبعد ابن القوطية ألف فى (الأفعال) كل من أبى عثمان سعيد بن محمد السرقسطى القرطبى المعروف بابن الحداد (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ومعاصره أبى مروان عبد الملك بن طريف القرطبى (المتوفى نحو٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، وكلاهما من تلاميذ ابن القوطية، وقد عمدا فى كتابيهما إلى تهذيب وإكمال ما صنعه أستاذهما[٤].

(ب) وأما أبنية الأسماء فقد عرف منها بالأندلس نوعان:

النوع الأول: يهتم بجمع الأسماء والصفات التى تشترك فى طريقة رسمها، وهى كتب المقصور والممدود والمهموز. وأبرز من صنف فيها من الأندلسيين: ابن القوطية، له كتاب "المقصور والممدود" «جمع فيه فأوعى، فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله، وفاق به من تقدمه»[٥].

النوع الثانى: يهتم بجمع طائفة خاصة من الأسماء و الصفات التى تشترك فى أنها مؤلفة من ثلاثة أحرف، وأن عين الكلمة فيها ثلاثى النطق يفتح ويضم ويكسر مع اختلاف فى المعنى أو اتفاقه، وتسمى هذه الأسماء **باسم " مثلثات "**[٦]. ومن أحسن كتب الأندلسيين فى هذا

---

١) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٢ / ٧٨ - ٧٩، جذوة المقتبس .
٢) معجم الأدباء ١٨ / ٢٧٥.
٣) نفح الطيب ٣ / ١٧١.
٤) راجع: جذوة المقتبس ٢ / ٦٤٢، الصلة لابن بشكوال ص ٢١٣، ٣٥٧، نفح الطيب للمقرى ٣ / ١٧١، فهرس ابن خير ص ٣٥٥.
٥) معجم الأدباء لياقوت ١٨ / ٢٧٥.
٦) مثل البر - البر - البر. راجع: المعجم العربى فى الأندلس لعبد الوالى الودغيرى - مجلة عالم الفكر - المجلد ١٢ العدد الأول ص ١٢.

النوع: كتاب "المثلثات" لأبى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى (المتوفى٥٢١هـ/١١٢٧م)، رتبه على حروف المعجم، وهو أشبه ما يكون بالمعجم المنظم لكثير من مفردات اللغة[١].

(٤) وقد اهتم علماء اللغة بالأندلس جريا على طريقة المشارقة بتأليف كتب فى " لحن العامة ". وأقدم من صنف فى هذا الفن من الأندلسيين: أبو بكر الزبيدى الإشبيلى نزيل قرطبة (المتوفى٣٧٩هـ/٩٨٩م). وقد يسمى كتابه "لحن عوام الأندلس" أو "ما تلحن فيه عوام الأندلس". ألفه على مرتين. وقد استمد فكرته من الكتب المشرقية التى كتبت فى هذا الموضوع، مثل كتاب " لحن العامة " لأبى حاتم السجستانى البصرى (المتوفى٢٥٠هـ/٨٦٤م). وهذا الكتاب اطلع عليه الزبيدى فحاول أن يستدرك عليه وعلى غيره.

وقد تميز كتاب الزبيدى بخصوصية أندلسية، إذ يُذكر فيه ما يلحن فيه عوام الأندلس، وأبان عن هدفه فى المقدمة فقال: «ورأيت كثيرا من اللحن الذى نسبه (أبو حاتم) إلى أهل المشرق قد سلمت عامتنا من موافقته ونطقت بوجه الصواب فيه.. .. ثم نظرت فى المستعمل فى الكلام من زماننا وبأفقنا فألفيت جملا لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا إليه ودلوا عليه، مما أفسدته العامة عندنا، فأحالوا لفظه، أو وضعوه غير موضعه»[٢].

وفى هذا الفن أيضا صنف أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى (المتوفى ٧٤١هـ) كتاب " الفوائد العامة فى لحن العامة "[٣]. وقد سبق بيان جهوده فى علم التفسير[٤].

وفى مقابل كتب الملاحن صنف علماء اللغة بالأندلس كتبا فى الفصيح من الألفاظ. وجل مؤلفاتهم التى نعرفها لهم فى هذا الباب عبارة عن شروح لكتابين من كتب المشارقة هما "الفصيح" لأبى العباس ثعلب الكوفى البغدادى (المتوفى٢٩١هـ/٩٠٣م) وكتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت (المتوفى٢٤٦هـ/٨٦٠م). فأما كتاب "الفصيح" فقد شرحه كل من أبى العباس أحمد بن عبد الجليل التدميرى (المتوفى٥٥٥هـ/١١٦٠م»[٥]، وأبى جعفر أحمد

---

١) راجع فهرسة ابن خير ص ٣٦٢، المعجم العربى فى الأندلس - البحث المذكور - ص ١٢٣ - ١٢٤.

٢) الزبيدى: لحن العوام - ص ٦ - ٧ - طبعة القاهرة ١٩٦٤ م، بتحقيق د. رمضان عبد التواب. وراجع: إلبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية فى الأندلس حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ص ١٤٦ - ١٥٠ وانظر جذوة المقتبس ١ / ٨٦، الديباج المذهب ٢ /٢٢٠ (ط مصر)، فهرس ابن خير ص ٣٤٥، وفيات الأعيان ٤ / ٣٧٢، معجم الأدباء لياقوت ١٨ / ١٨١.

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٩٥ (ط بيروت)

٤) راجع عنه (ص ٧١٤).

٥) التكملة لابن الأبار ١ / ٦٥ (رقم ١٧٥).

بن يوسف بن على الفهرى اللبلى المعروف بالشلوبين (المتوفى٦٤١هـ) وسمى كتابه بعنوان "تحفة المجد الصريح فى شرح كتاب الفصيح"[١]، وأبى عمر أحمد بن مضاء بن عبد الجبار القرطبى المعروف بابن الحصار[٢]. وأما كتاب "إصلاح المنطق" فقد شرحه أبو الحسن على بن إسماعيل المرسى المعروف بابن سيده (بكسر السين) (المتوفى ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م »[٣].

(٥) وقد بدأ الأندلسيون التأليف فى الغريبين: " غريب القرآن " و" غريب الحديث " منذ القرن الثالث الهجرى. وقد تقدم ذكر مؤلفاتهم فى هذا الباب فى سياق عرضنا للتراث الأندلسى لعلوم القرآن و الحديث[٤].

وأهم كتاب أقبل الأندلسيون على دراسته فى هذا الفن اللغوى كتاب "الغريب المصنف" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى (توفى٢٢٣هـ/٨٣٧) (وهو غير كتابه فى غريب الحديث الذى عرفه الأندلسيون أيضا»[٥]، فقاموا بشرحه والتأليف على طريقته، فممن شرحه: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المرسى المعروف بابن بلال (المتوفى٤٦٠هـ/١٠٦٧م»[٦]. وصنف على طريقته العالم الأندلسى خصيب الكلبى النحوى المورورى[٧].

تصنيف المعاجم اللغوية:

كان كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى (المتوفى١٧٠هـ/٧٨٦م) من بين تلك الكتب اللغوية التى ساعدت على تنشيط الحركة اللغوية عامة، والمعجمية خاصة فى البيئة الأندلسية[٨]. فقد قام علماء اللغة بالأندلس بدراسة هذا المعجم اللغوى، بحيث يمكن القول: إن البوادر الأولى لحركة المعجم الأندلسى كانت تدور كلها فى فلك هذا المعجم العربى الأول، وكان لهذه البوادر الأولية تأثير واضح على نشاط الأندلسيين فى هذا الميدان، إذ صار اتجاه العين هو الاتجاه البارز من بين تلك الاتجاهات.

---

١) الديباج المذهب ص ٨١ (ط بيروت)

٢) الذيل و التكملة للمراكشى - القسم الأول - الجزء الثانى ص ٤٥٨، ٥٤٣.

٣) فهرس ابن خير ص ٣٥٦.

٤) راجع عن ذلك (ص ٧١٧ - ٧١٨)، (ص ٧٤٤).

٥) راجع عن دخول كتب أبى عبيد فى "الغريب" إلى الأندلس (ص٥٨٢ - ٥٨٣).

٦) التكملة لابن الأبار ٢٠/١ (ترجمة رقم ٤٢).

٧) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٥٩، التكملة لابن الأبار ٣١١/١-٣١٢/ترجمة رقم ٨٤٤.

٨) راجع حديثنا عن انتقال كتاب "العين" من بغداد إلى قرطبة فى سياق الحديث عن هجرة الكتب اللغوية من المشرق إلى الأندلس (ص ٥٨٥ - ٥٨٦).

مؤلفات الأندلسيين حول كتاب العين للخليل: (مختصر كتاب العين) لأبى بكر الزبيدى

وأهم الدراسات التى كتبها الأندلسيون على " العين ": كتاب " مختصر العين " لأبى بكر محمد بن حسين عبد الله بن عبد الرحمن الزبيدى الإشبيلى نزيل قرطبة (المتوفى٣٧٩هـ/ ٩٨٩م). وهو ممن قرأ على (أبى على القالى) البغدادى كثيرا من كتب اللغة والأدب التى جلبها معه إلى الأندلس. وقد ألف الزبيدى كتابه " مختصر العين " تلبية للحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ/٩٦١-٩٧٦م)، إلا أن رغبة المستنصر لم تكن هى الدافع الوحيد للقيام بهذا العمل، بل كان ما رأى الزبيدى فى " العين " من الخلل و الاضطراب هو الذى جعله فى المقام الأول يقوم بهذا العمل. و لم يكن المؤلف يقصد إلى الاختصار وحده، لكنه - وكما يقول هو -«مذهبنا أن نصلح ما ألفيناه مختلا فى الكتاب، وأن نوقع كل شيء منه مواقعه، ونضعه فى بابه إن شاء الله تعالى». أى أن الزبيدى أعاد ترتيب و تصحيح مادة كتاب العين بمنهج جديد، مع الاختصار.

وهذا الكتاب أكسب صاحبه الشهرة وذيوع الصيت فى الوسط العلمى بالأندلس وخارجها، واعتبره الأندلسيون من مفاخرهم ورووه ونقلوا منه وفضلوه على الأصل. وفى ذلك يقول ياقوت الحموى: «وبلغنى أن أهل المغرب يتنافسون فى كتبه - أى الزبيدى - خصوصا كتابه الذى اختصره من كتاب العين، لأنه أتمه باختصاره، وأوضح مشكله، وزاد منه ما عساه كان مفتقرا إليه "[1].

وقد صنف الزبيدى عددا آخر من الدراسات حول كتاب العين، مثل كتاب "استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين" ألفه فى بيان أغلاط "العين" ردا على بعض من نقدوه وعابوا عليه اختصاره واعتراضه على الخليل، وقد احتفظ السيوطى فى "المزهر" بقطعة منه[2]. وذكر القفطى فى "إنباه الرواة" كتابا آخر للزبيدى بعنوان "رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه فى العين "[3] غير أنه من المستبعد نسبته إليه لمناقضة عنوانه لرأى الزبيدى المشهور حول "العين".

---

١) ياقوت: معجم الأدباء ١٨/١٨١. وراجع ترجمة الزبيدى فى: تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ٢ / ٩٢، جذوة المقتبس للحميدى ١ / ٨٥ - ٨٨، بغية الملتمس للضبى ص ٦٦ - ٦٧، فهرسة ابن خير ص ٣٥٠، الديباج المذهب ٢ / ٢١٩ - ٢٢٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٣٧٢ - ٣٧٤، بغية الوعاة للسيوطى ١ / ٨٤ - ٨٥. وراجع دراسة لمختصر كتاب العين للدكتور حسين نصار فى كتابه " المعجم العربى نشأته وتطوره " ١ / ٢٤٠ - ٢٤٤.

٢) المزهر ١ / ٤٠، ٢ / ١٩٢ - ١٩٣. وراجع تحليلا لمادة هذا الكتاب التى ذكرها السيوطى.

٣) إنباه الرواه للقفطى ح ٣ ص ١٠٩ (مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). د. حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ١ / ٢٣٧ - ٢٣٩.

معاجم أندلسية على طريقة الخليل:

(١) كتاب البارع ودراسات الأندلسيين حوله:

ومن الكتب التى تدخل فى عداد التراث الأندلسى فى مجال الدراسات المعجمية والتى سارت على طريقة الخليل فى "العين" وكان لها صدى كبير فى البيئة الثقافية بالأندلس: كتاب "البارع" لأبى على القالى (المتوفى٣٥٦هـ / ٩٦٦م). صنفه فى قرطبة، ويستوعب اللغات كلها. قال عنه ابن خير: «زاد على كتاب الخليل نيفا وأربعمائة ورقة مما وقع فى "العين" مهملا، فأملاه مستعملا ومما قلل فيه الخليل، فأملى فيه زيادة كثيرة،. . . وكان ابتدأه من سنة ٣٩٩هـ، وكماله فى شوال من سنة ٣٥٥ هـ،.. . وخرج بخط فصيح فى مائة وأربعة وستين جزءا، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمائة ورقة وست وأربعون ورقة "[١].

وهكذا استوعب القالى ما جاء به الخليل، ثم أضاف إليه من المواد و الشواهد شيئا كثيرا، فتلقاه الناس بالإعجاب و الإكبار حتى قال الزبيدى: «ولا نعلم أحدا من المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره فى الإحاطة والاستيعاب" وقال أيضا: «جمع فيه كتب اللغة، وعزا كل كلمة إلى ناقلها من العلماء، واختصر الإسناد عنهم"[٢]. ويعد هذا من خصائص "البارع"، فلا تكاد توجد فيه لفظة من اللغة غير منسوبة لواحد من أئمة اللغة فى بغداد / المشرق[٣].

وبالإضافة إلى الدراسة التى كتبها أبو بكر الزبيدى الإشبيلى - تلميذ القالى - حول المقارنة بين كتاب البارع وكتاب "العين" والتى سماها "المستدرك من الزيادة فى كتاب البارع على كتاب "العين"[٤] - هناك دراسة أخرى عبارة عن "استدراك على كتاب البارع " تنسب للوزير أبى مروان عبد الملك بن سراج (المتوفى٤٨٩هـ/١٠٩٥م)، وهو «إمام اللغة بالأندلس غير مدافع» كما يقول ابن بشكوال[٥].

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

٢) طبقات النحويين و اللغويين للزبيدى ص ١٨٦.

٣) راجع تحليلا مطولا لكتاب البارع فى بحث عبد العلى الودغيرى: (المعجم العربى فى الأندلس) - مجلة عالم الفكر /مجلد ١٢/العدد الأول / ص ٨٣-٩٩.

٤) فهرسة ابن خير ص ٣٥٠

٥) الصلة لابن بشكوال ص ٣٦٣. وراجع ترجمة ابن سراج فى الديباج المذهب ص ١٥٧ (ط بيروت) والذخيرة لابن بسام - القسم الأول - المجلد الثانى ص ٣٠٧.

(٢) كتاب "الموعب" فى اللغة:

ومن علماء اللغة الأندلسيين الذين ساروا على نسق كتاب "العين": أبو غالب تمام بن غالب المعروف بالتيانى (المتوفى ٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، وهو من رجال الطبقة الثانية فى الرواة عن القالى. صنف كتاب "الموعب" - بفتح العين - قال عنه الرواة: «كتاب جامع فى اللغة، لم يؤلف مثله اختصارا وإكثارا وثقة نقل»[١]. وقد يسمى "تلقيح العين" نحا فيه نحوه، بل هذبه ونقحه دون إخلال بشئ من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب، وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة والألفاظ المصحفة والأبنية المختلة، واستعان فى ذلك بمختصر العين" للزبيدى و"جمهرة اللغة" لابن دريد البغدادى (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣م) ثم رتبه على الحروف[٢].

(٣) كتاب "المحكم" لابن سيده:

وصنف أبو الحسن على بن إسماعيل المرسى الأندلسى المعروف بابن سيده (بكسر السين) (المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) كتاب "المحكم والمحيط الأعظم"[٣]، رتبه على حروف المعجم، متبعا الطريقة المعقدة التى سار عليها الخليل فى "العين"، وقصد فيه إلى جمع المشتت من المواد اللغوية فى الكتب والرسائل فى كتاب واحد يغنى عنها جميعها، مع دقة التعبير عن معانيها، وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة. وقد استعان فى ذلك بمنهج الخليل بعدما أدخله أبو بكر الزبيدى الإشبيلى عليه من إصلاح فى "مختصره"[٤].

وقد لقى كتاب "المحكم" عناية فائقة فى الأندلس وخارجها، وكثرت حوله الدراسات، اختصارا واستدراكا؛ فمن ذلك "تلخيص المحكم" لأبى بكر محمد بن إبراهيم الرعينى الأندلسى (المتوفى ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)»[٥]. وصنف أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان (المتوفى ٦٢٧هـ/١٢٢٩م) ردا على "المحكم" بين فيه أغلاطه[٦].

---

١) ذكره كل من: الحميدى فى جذوة المقتبس ٢٨٣/١، الضبى فى بغية الملتمس ص ٢٥٢، ابن بشكوال فى الصلة ص ١٢٠-١٢١، المقرى فى نفح الطيب ١٧٢/٣، ابن خير فى فهرسة ص ٣٥٩-٣٦٠.

٢) راجع المزهر للسيوطى ٨٨/١-٨٩.

٣) بغية الملتمس للضبى ص ٤١٨، الصلة لابن بشكوال ص ٤١٧-٤١٨، نفح الطيب للمقرى ٢٥/٤-٢٧، فهرس ابن خير ص ٣٥٦، الديباج المذهب لابن فرحون ١٠٦/٢ (ط مصر).

٤) راجع عرضا موسعا لكتاب المحكم فى "المعجم العربى نشأته وتطوره" للدكتور حسين نصار ٣٤٤/١-٣٠٢.

٥) الذيل والتكملة للمراكشى ٩٦/٦.

٦) التكملة لابن الأبار ص ٥٨٥، ٦٤٦ (ط كوديرا).

(٤) كتاب "المبرز" فى اللغة:

وينتمى إلى مدرسة "العين" المعجمية كتاب "المبرز" فى اللغة لأبى عبد الله محمد بن يونس الحجارى (المتوفى ٤٦٢هـ/١٠٦٩م). قال عنه ابن خير: «وهو كتاب كبير مثل "المحكم" لابن سيده»[١].

تلك هى المعاجم اللغوية التى سارت فى اتجاه مدرسة الخليل التى أعاد أبو على القالى البغدادى وتلاميذه الأندلسيين إحياءها بالأندلس، واستقطبت اهتمام اللغويين.

وإلى جانب هذه المدرسة الغالبة على الحركة المعجمية بالأندلس ظهر اتجاه آخر يسير فى ترتيب المفردات اللغوية وفق الطريقة " الألفبائية ". وقد كانت المؤلفات الأندلسية التى تسير فى هذا الاتجاه نادرة وتعود إلى القرن السابع الهجرى على الرغم من شيوع هذه الطريقة فى المشرق قبل انصرام القرن الرابع الهجرى ويمثلها - كما رأينا من قبل - ابن دريد فى "جمهرة اللغة" وابن فارس فى " المجمل" و "مقاييس اللغة"[٢]. والسبب فى ندرة الأندلسية الألفبائية هو - كما يقول الاستاذ عبد العلى الودغيرى - «طغيان اتجاه مدرسة العين، وشدة تأثير المدرسة القالية التى سعت إلى ترسيخ منهجها فى التأليف المعجمى وتغليبه على ما سواه، حتى صار ذلك من التقاليد العلمية التى يأخذ بها اللغويون والدارسون»[٣]. ومن هذه الدراسات كتاب فى الجمع بين كتابين من كتب المدرسة البغدادية، هما: "الصحاح" للجوهرى، و"الغريب المصنف" لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى، من تأليف أبى إسحق إبراهيم بن قاسم البطليوسى (المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٨م»[٤].

تعقيب ومقارنة: وبعد هذا العرض لأهم صور واتجاهات التأليف الأندلسى فى ميادين النحو واللغة نود أن نخلص إلى الحقائق التالية:

إن هذه الصور تشهد على اتساع حركة التأليف وتنوعها واشتمالها على منجزات كبيرة ظلت دائما صورة من صور الإسهام القيم الذى يحتل مكانته، لا فى الأندلس وحدها، وإنما فى تاريخ اللغة العربية عامة. وبالرغم من تعدد صور التأليف الأندلسى فى تلك المجالات فإنها فى النهاية تتوزع إلى نوعين من التأليف:

---

١) فهرس ابن خير ص ٣٠٧، وراجع ترجمة الحجارى فى الصلة لابن بشكوال ص ٥٤٧.

٢) راجع عن ذلك (ص ٢٠٢) من القسم الأول.

٣) عبد العلى الودغيرى: المعجم العربى فى الأندلس - بحث بمجلة عالم الفكر - مجلد ١٢ / العدد الأول - ص ١١٤.

٤) كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٠٠.

النوع الأول: مؤلفات أندلسية تدور فى فلك المؤلفات المشرقية شرحا أو اختصارا، أو استكمالا.

والنوع الثانى: مؤلفات أندلسية مستقلة لها طابع المحاكاة للكتب المشرقية. لكن هذه المحاكاة لا تبطل طابع الأصالة ولا تنفيها عن الأندلسيين، ولا تجعلنا نقلل من قيمة اسهاماتهم بأى حال، وكثيرا ما كان الأندلسيون يسعون نحو تحقيق الخصوصية و التفرد فى كثير من الجوانب العلمية، وإنهم لم يقفوا من الإنتاج المشرقى الوافد موقف المتلقى فحسب، وإنما كانت لهم ملاحظاتهم وتقييمهم لهذا التراث، وحاولوا أن يضيفوا إليه الكثير من إبداعاتهم.

* * * *

المبحث الثانى
مصادر الأدب فى التراث الأندلسى

توطئة: و لم يكن حظ الأندلسيين من التأليف فى (الأدب) بأقل من حظهم فى علوم النحو و اللغة. ويقصد بمصادر الأدب هنا تلك الكتب التى تجمع المتفرقات و الأشتات من الأشعار وشروحها والنوادر اللغوية والأدبية وفقه اللغة العربية، وتاريخ العرب وأيامهم. وقد وصل إلى الأندلس عدد من المصادر الأدبية المشرقية أمدت الأندلسيين بمادة ثرية فى ميدان الدراسات الأدبية والبلاغية. وساعدتهم على استكشاف طرق ومناهج جديدة فى التصنيف والتبويب.

ويمكن تقسيم الإنتاج الأندلسى فى تدوين (الأدب)إلى نوعين:

الأول: كتب من تأليف الأندلسيين. **و الثانى:** الشروح لكتب المشارقة.

أولا: تدوين الأندلسيين للأدب الأندلسى والمشرقى:

وتتوزع المصادر التى وضعها الأندلسيون فى "الأدب" بين مصادر تناولت أدب المشارقة دون التعرض للأدب الأندلسى إلا فى حدود ضيقة، ويعتبر كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه ممثلا لهذا النوع من التأليف. ومصادر أخرى تخصصت فى عرض الأدب الأندلسى وحده وأخبار شعرائه وأدبائه مثل كتاب " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام.

وفيما يلى تعريف بأهم الكتب التى تعد من أركان الأدب وأصوله، ومرآة لثقافة الأندلسيين فى هذا الفن وما يتعلق به من أخبار، ونبدأ بكتاب " العقد الفريد ":

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه:

ومؤلف هذا الكتاب هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبى (المتوفى٣٢٨هـ/

٩٣٩م) «شيخ الأدب بالأندلس» كما يقول ابن خير[١]. ويمثل كتابه فى الحياة الأدبية المرتبة التى تلى كتاب "الأغانى" لأبى الفرج الأصبهانى البغدادى[٢]. وهو بجملته لاحق بكتب المختارات و المحاضرات على شاكلة ما كان شائعا فى المشرق، مثل بعض كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وغيرهم. وأكثر ما فيه مختارات من الأدب المشرقى شعرا ونثرا منقول عنهم أو متصل بهم بسبب، ويتعرض للبلاغة والنقد والعروض والموسيقى الشعرية و العادات والتقاليد، ولا نعدم فيه آثارا قليلة أندلسية[٣]، لكنها لا تقوى على صبغ الكتاب بصبغة أندلسية. **وهذا ما حدا بالوزير الصاحب ابن عباد البغدادى (المتوفى٣٨٥هـ/٩٩٥م) إلى القول عن هذا الكتاب " هذه بضاعتنا ردت إلينا "**[٤]. ويبدو أن مؤلفه كان يهدف إلى وضع دائرة معارف صغيرة تفى بمطالب الأديب على النحو الذى كان يطلب منه فى ذلك العصر، من الإلمام بطرف من كل علم. كما أنه أراد أن ينقل إلى مواطنيه ثقافة عامة عن المشرق تغنيهم عن الرجوع إلى كثير من الكتب وعديد من المراجع. ويبدو أنه أراد أيضا أن يبين تفوق الأندلسيين حتى فى الثقافة المشرقية نفسها.

أما مصادره فهى بالطبع مصادر مشرقية كثيرة و متنوعة، ويأتى فى مقدمتها "عيون الأخبار " لأبى قتيبة البغدادى، و" البيان و التبيين " و "الحيوان" للجاحظ، و "الكامل" للمبرد، و"طبقات الشعراء" لابن سلام الجمحى، و"السيرة" لابن هشام، و"كليلة ودمنة " لابن المقفع، إضافة إلى كثير من دواوين الشعراء الجاهليين و الإسلاميين[٥].

ومن الجدير بالذكر أن العالم الأندلسى أبا إسحق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادآشى الغرناطى (المتوفى ٥٧٠هـ/١١٧٤م) اختصر كتاب "العقد".

(٢) كتاب الحدائق لابن فرج الجيانى:

ومن مصادر الأدب التى عدها الأندلسيون من مفاخرهم كتاب "الحدائق"، من تأليف

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣١٦. وراجع جذوة المقتبس للحميدى ١ / ١٦٤.

٢) د. طاهر مكى: دراسة فى مصادر الأدب ص ٢٨٤ (دار المعارف بالقاهرة - الطبعة السابقة ١٩٩٣ م)

٣) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٢٨٠ (مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) وراجع د. أحمد هيكل: تاريخ الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٢٥٦ — ٢٥٨.

٤) معجم الأدباء لياقوت الحموى ٤ / ٢١٤، ٢١٥.

٥) د. أحمد هيكل: المرجع السابق ص ٢٥٨، د. الطاهر مكى: المرجع السابق ص ٢٨٦، وراجع تحليلا وافيا لمواد (العقد) فى كتاب (ابن عبد ربه وعقده) للأستاذ جبرائيل جبور (ط بيروت / ١٩٣٣ م).

الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن فرج الجيانى نزيل قرطبة (المتوفى٣٥٩هـ/٩٦٩م). ألفه للحكم المستنصر، وعارض فيه كتاب "الزهرة" لأبي بكر محمد بن داود بن على الأصبهانى البغدادى الظاهرى (المتوفى٢٩٧هـ/٩٠٩م»[١] (أبوه داود مؤسس المذهب الظاهرى ببغداد)، والفرق بينهما أن أبا بكر ذكر فى "الزهرة" مائة باب، فى كل باب مائة بيت من الشعر. وأورد الجيانى فى "الحدائق" مائتى باب، فى كل باب مائتى بيت، ليس منها باب تكرر اسمه عند أبي بكر.

ومن الصفات التى تجعل كتاب "الحدائق" يصب فى الخصوصية الأندلسية أن مؤلفه لم يورد فيه لغير أندلسى شيئا، ولذا قال ابن حزم فى معرض الثناء عليه: «أحسن الاختيار ما شاء، وأجاد فبلغ الغاية، وأتى الكتاب فردا فى معناه "[٢]. والكتاب يضم تراجم لمعاصريه من الشعراء حتى منتصف القرن الرابع الهجرى؛ وقد اتخذه كثير من علماء الأندلس ومؤرخيها مصدرا مهما لمؤلفاتهم الأدبية والتاريخية، كابن الأبار فى "التكملة" و"الحلة السيراء"، وابن سعيد فى "المغرب فى حلى المغرب".

ويعد الجيانى قد سبق ابن بسام صاحب "الذخيرة" فى هذا الفن. وهذا الكتاب الأخير هو أهم مصدرأندلسى فى التراث الأدبى كله الخاص بالأندلس، وهو ما سنعرض له فيما يلى:

(٣) الذخيرة لابن بسام:

وابن بسام هو: أبو الحسن على بن بسام الشنتريني (المتوفى٥٤٢هـ/١١٤٧م)، ينسب إلى "شنترين" من الكور الغربية من أعمال بطليوس، وتنقل فى البلاد واستوطن إشبيلية ولازمها طويلا. وهو واحد من كبار علماء الأدب الأندلسيين[٣].

وقد قصر ابن بسام كتابه على أهل زمانه، من منتصف القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) إلى منتصف القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)، فلم يعرض لشئ من أشعار الدولة الأموية، إمارة كانت أو خلافة، ولا لعصر الحجابة على أيام المنصور وابنيه؛ لأن أولئكم ترجم لهم الجيانى فى كتابه "الحدائق" فأغنى عن الإعادة[٤].

---

١) سبق التعريف بأبي بكر محمد بن داود الظاهرى (ص ١٥٦) من القسم الاول.

٢) الحميدى: جذوة المقتبس ١ / ١٦٩، الضبى: بغية الملتمس ١ / ١٥١ - ١٥٢، نفح الطيب ٣ / ١٧٣ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس)، الحلة السيراء لابن الأبار ١ / ٣٩.

٣) ترجمة ابن بسام فى نفح الطيب ٩/٥، معجم الأدباء لياقوت ٢٧٥/١٢، المغرب لابن سعيد ١/ ٤١٧ .

٤) ابن بسام: الذخيرة ١/١/ صفحة ٢.

ويقع كتاب "الذخيرة" فى أربعة أقسام: **الأول**: لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من بلاد متوسطة الأندلس. وترجم فيه لأربعة وثلاثين شاعرا وأديبا وسياسيا ومؤرخا. **والثانى**: لأهل الجانب الغربى من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومى، ذكر فيه ستة وأربعين من الرؤساء والأعيان. **والقسم الثالث**: ذكر فيه أهل الجانب الشرقى من الأندلس وأفرد **القسم الرابع** لمن طرأ على الجزيرة الأندلسية من أديب شاعر وكاتب ماهر، ووصل بهم طائفة من مشهورى تلك الفترة ممن كان بإفريقية والشام والعراق. وقد صرح بأن الفصل الأخير الطارئ على كتابه إنما استدعاه تقليد الثعالبى فى كتابه (يتيمة الدهر »[١] حين خصص بابا للمغاربة والأندلسيين[٢].

وعلى الرغم من تقدير ابن بسام للثعالبى وإعجابه بمنهجه فى "اليتيمة" واحتذائه به، فلم يكن دافعه إلى تأليف "الذخيرة" متابعة الثعالبى أو مزاحمة معاصره "الفتح بن خاقان" صاحب "قلائد العقيان" و"مطمع الأنفس" (المتوفى ٥٤٠هـ/١١٤٦م)، إنما كانت حوافزه تكمن وراء أسباب تتصل بوطنه الأندلس والدفاع عنه، وتقرير أمجاده وإشاعتها. إنه ينعى على مواطنيه «متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب: لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتابا محكما. وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية[٣]، لايعمر بها جنان ولا خلد، ولا يصرف فيها لسان ولا يد، فغاظنى منهم ذلك، وأنفت مما هنالك، وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى، وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى، غيرة لهذا الأفق الغريب، أن تعود بدره أهـــلة، وتصبح بحاره ثمادا مضمحلة، مع كثرة أدبائه ووفور علمائه. وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان، وخص أهل المشرق بالإحسان ؟ »[٤].

فابن بسام – إذن – بكتابه هذا يمثل وجها أندلسيا بارزا ممن انتصروا للخصوصية الأندلسية فى ميادين الثقافة والفكر والأدب[٥]، وكانت غايته الأولى من تأليفه هى جذب الأندلسيين إلى تخليد تراثهم والاعتزاز به.

---

١) راجع عن الثعالبى (ص ٢١٨) من القسم الأول.

٢) الذخيرة: المقدمة. وصفحة (٢٠) منها، ٤ / ١ / ٢. وراجع: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس للدكتور محمد رضوان الداية ص ٣٧٢، دراسات فى مصادر الأدب للدكتور الطاهر مكى ص ٣٣٨ – ٣٣٩.

٣) الرذية: الناقة الهزيلة التى لا تقدر أن تلحق بالركاب يعنى أن أشعارهم وأخبارهم مطروحة منبوذة.

٤) الذخيرة لابن بسام – المقدمة – (ص ١٢)

٥) راجع الفصل الأول من هذا الباب (ص ٦٨٥).

ثانيا: شروح الكتب المشرقية:

وقد نشطت فى الأندلس حركة علمية عنيت بشرح الكتب المشرقية الوافدة فى فنون متنوعة، وتمثل هذه الشروح جانبا واضحا من الفكر الأندلسى والفكر الإسلامى بعامة. وقد مر بنا الكثير من الشروح الأندلسية لكتب المشارقة فى علوم القرآن والحديث النبوى والنحو واللغة. وفى هذا الإطار كتب علماء الأندلس عددا من الشروح والتعقيبات على بعض كتب الأدب الجامعة والدواوين والمختارات الشعرية وكتب المقامات. ولسنا نذهب بعيدا إذا قلنا: إن الشروح الأندلسية لهذه الكتب المشرقية إنما هى جماع مما سجله العلماء المشارقة أنفسهم ممن يعتد برأيهم فى اللغة والنحو والأدب والأخبار؛ كالأصمعى وابن قتيبة وابن جنى وغيرهم، إضافة إلى ما سجلوه من ملاحظاتهم وبنات أفكارهم. ولا شك فى أن عملية عرض كافة الشروح الأدبية الأندلسية عمل طويل، وسنقتصر على ذكر عدد منها، مع بيان أهمية بعضها، وذلك على النحو التالى:

[أ] شروح كتب الأدب الجامعة:

(١) وأهم كتب الأدب المشرقية الجامعة التى شرحها الأندلسيون: "أدب الكاتب" لابن قتيبة الدينورى والبغدادى (المتوفى٢٧٦هـ/٨٨٩م) شرحه أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسى (المتوفى٥٢١هـ/١١٢٧م) وسمى كتابه "الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب"[١] (مطبوع). وشرحه أيضا كل من أبى جعفر أحمد بن داود ابن يوسف الجذامى الغرناطى (المتوفى٥٩٨هـ/١٢٠١م»[٢]. وأبى الحزم الحسن بن محمد بن يحيى بن عليم الأنصارى البطليوسى (من علماء القرن الخامس الهجرى»[٣].

(٢) شروح "المقامات": ومن الفنون الأدبية التى تلقاها الأندلسيون عن المشارقة (فن المقامات)، فقد دخلت " مقامات " بديع الزمان الهمذانى مع أواخر القرن الرابع الهجرى، «وكان أول المتذوقين لها الناسجين على منوالها هو الأديب الشاعر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعى القرطبى (المتوفى٤٢٦هـ/١٠٣٤م»[٤]. وألف ابن شرف القيروانى نزيل الأندلس (مقامات) «عارض بها البديع فى بابه وصب فيها على قالبه» كما يقول ابن بسام[٥].

وتعتبر "مقامات" أبى على محمد بن قاسم الحريرى البصرى (المتوفى٥١٥هـ/١١٢١م)

---

١) فهرسة ابن خير ص ٣٤٤.
٢) التكملة لابن الأبار ١ / ٩٢.
٣) الصلة لابن بشكوال ص ١٣٨، فهرس ابن خير ص ٣٤٤.
٤) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر الطوائف و المرابطين) ص ٣٠٣.
٥) الذخيرة لابن بسام ٤ / ١ / ص ١٥٤.

من أوسع كتب الأدب العربى ذيوعا فى عصره وبعده. وقد وصلت إلى الأندلس، وأخذها عدد من الأندلسيين رواية عن الحريرى ببغداد، فانتشرت فى الأندلس وذاعت وكان لها بين أدبائه صدى بعيد[١]، وأقبلوا عليها بالدراسة والشرح والمعارضة.

وأهم شرح أندلسى لمقامات الحريرى[٢] هو شرح لأبى العباس أحمد بن عبد المؤمن ابن موسى الشريشى الأندلسى (المتوفى٦١٩هـ/١٢٢٢م)، شرحها كما يقول ابن الأبار فى ثلاث نسخ، كبراها الأدبية ووسطاها اللغوية، وصغراها المختصرة "[٣]. ويعد هذا الشرح كتابا جامعا، بالإضافة إلى كونه كتابا أدبيا يعنى مباشرة بشرح المقامات شرحا لغويا أدبيا، حشد فيه مؤلفه معلومات ضخمة من التاريخ والبلدان والأعلام و الأيام[٤]، وقد اعتمد فيه على مجموعة كبيرة من كتب مشرقية وأندلسية وشروح أخرى مختلفة للمقامات، فمنها - فى اللغة - كتاب "تهذيب اللغة" للأزهرى، و"النوادر" لأبى زيد، وكتب ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ) وابن السكيت (المتوفى٢٤٦هـ) والزجاج (المتوفى٣١١هـ) وقطرب (المتوفى ٢٠٦هـ). ومن كتب الأدب العام: كتب الجاحظ، وبخاصة "البيان والتبين" و"الحيوان" وكتاب "الكامل" للمبرد، و"الأغانى" لأبى الفرج الأصبهانى و "يتيمة الدهر" للثعالبى، و"اللزوميات" للمعرى، ودواوين كثيرة للشعراء، وكتب التواريخ، مثل تاريخ الطبرى والمسعودى واليعقوبى وغير ذلك من المصادر المشرقية فى شتى العلوم والمعارف الإسلامية[٥].

أما المقامات التى عارض بها أصحابها "مقامات" الحريرى فأهمها " المقامات اللزومية" لأبى الطاهر محمد بن يوسف المازنى السرقسطى القرطبى (المتوفى٥٣٨هـ/١١٤٣م)»[٦].

---

١) راجع فهرس ابن خير ص ٣٨٧، ٤٥١، التكملة لابن الأبار ص ٢٦، ٩٢، الصلة لابن بشكوال ص ٤٤٠، وراجع ما ذكرناه عنها (ص ٥٨٨) من الباب السابق.

٢) راجع شروحا أخرى لمقامات الحريرى فى التكملة لابن الأبار ج ١ ص ٩٢، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٢١٩ (ط بيروت)، راجع شروح أخرى لمقامات الحريرى فى التكملة لابن الأبار.

٣) التكملة لابن الأبار ١ / ١١١.

٤) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٢٣٠. وراجع (تاريخ الفكر الأندلسى) للآنخل جنثالث بالنثيا ص ١٨١ - ١٨٢، كشف الظنون لحاجى خليفة ح ٢ ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

٥) راجع: د. محمد رضوان الداية: المرجع السابق ص ٢٣٠.

٦) الحلة السيراء لابن الأبار ١ / ٢٠٥، الذيل والتكملة للمراكشى ٥ / ٢ / ١٦٦، فهرس ابن خير ص ٣٨٧.

ومقاماته - كمقامات الحريرى فى العدد - خمسون، التزم فيها ما لا يلزم تأثرا بأبى العلاء المعرى[١].

[ب] شروح الدواوين و المختارات الشعرية:

ومن الكتب الأندلسية التى تكشف عن اهتمامات الأندلسيين فى دراسة الأدب العربى وتدوينه: كتب شروح الأشعار المشرقية. «وقد عرفت مجموعة من الشراح الأندلسيين بالضبط فى النقل و الدقة فى الجمع و التثبت فى الرواية و العناية فى الشرح، وحفظوا مجموعة شعرية ودواوين مفردة. ومن هنا جاءت أهمية الشارح الأندلسى فى تاريخ الأدب العربى»[٢].

وباستطلاع كتب التراجم الأندلسية نلاحظ كثرة واضحة فى كتب الشروح هذه، نذكر من أبرزها (شرح شعر المتنبى) لأبى القاسم إبراهيم بن محمد القرطبى المعروف بالإفليلى (المتوفى ٤٤١ هـ / ١٠٤٩م) وهذا الشرح عده ابن حزم من مفاخر الأندلسيين وقال عنه: «وهو حسن جدا»[٣]. وبالرغم من ثناء ابن حزم عليه فقد ألف هو كتابا فى (التعقيب على ابن الإقليلى فى شرحه لديوان المتنبى) استدرك عليه بعض الأمور وتعقبه فى بعض الآراء. وقد انتقل كتاب الإفليلى إلى المشرق وأفاد منه العكبرى فى شرحه على المتنبى إفادة كبيرة[٤]. وممن شرح ديوان (الحماسة) ابن سيده (المتوفى٤٥٨هـ/١٠٦٥م)[٥]. وشرحها أيضا أبو الحجاج يوسف ابن سليمان بن عيسى النحوى الشاعر المعروف بالأعلم الشنتمرى الأندلسى (من شنتمرية المغرب) نزيل قرطبة (المتوفى٤٧٦هـ/١٠٨٣م) شرحها شرحا مطولا ورتبها على حروف المعجم[٦].

ومن الأدباء اللغويين الذين اهتموا بشرح شعر الشعراء الستة[٧] الجاهليين: الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البلوى البطليوسى (المتوفى٤٩٤هـ/١١٠٠م). قال عنه صاحب الصلة: «كان من أهل المعرفة بالآداب واللغات، ضابطا لهما، مع خير وفضل وثقة فيما

---

١) راجع دراسة مفصلة لمقامات أبى الطاهر فى كتاب (تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس للدكتور محمد رضوان الداية ص ٣٥٢ – ٣٦٣).

٢) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٧١.

٣) نفح الطيب للمقرى ٣ / ١٧٣ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس)الذخيرة ١ / ١ / ٢٤١، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٧٣/١، بغية الوعاة للسيوطى ١ / ٤٢٦، المرقبة العليا للنباهى ص ٢٠.

٤) راجع د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ١٠٠.

٥) الصلة لابن بشكوال ٤١٧-٤١٨، فهرس ابن خير ص ٣٥٦-٣٥٧.

٦) فهرس ابن خير ص ٣٨٨، وفيات الأعيان ٨١/٧ - ٨٢، معجم الأدباء لياقوت ٦٠/٢٠-٦١.

٧) الشعراء الستة هم: امرؤ القيس والنابغة وعلقمة وزهير بن أبى سلمى وطرفة العبد وعنترة.

رواه»[١]. ويعد كتابه "شرح الأشعار الستة" ذا قيمة فى التراث الأندلسى؛ لأنه يصور جانبا من الحياة الأدبية فى فترات معينة، وهو إضافة إلى ذلك من شروح الأشعار المشهورة، فى المشرق والمغرب على حد سواء[٢]. وقد صنف البلوى كتابين آخرين، أحدهما "شرح المعلقات" والآخر "شرح ديوان الحماسة"[٣].

ومن أهم كتب الشروح للأشعار المشرقية شرح أبى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (المتوفى٥٢١هـ/١١٢٧م) على "سقط الزند" لأبى العلاء المعرى. وهذا الشرح له أهمية كبيرة فى ميدان الدراسات الأدبية بالأندلس، وفضله العلماء والأدباء على جميع شروح "السقط"، وقال فيه ابن خلكان: «استوفى فيه المقاصد، وهو أجود من شرح أبى العلاء نفسه صاحب الديوان الذى سماه "ضوء السقط"[٤]. وقد ذكره ابن سعيد الأندلسى فى استدراكه على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس فقال: «وأما شرح "سقط الزند" له (أى لابن السيد) فهو الغاية، ويكفى ذكره عند أرباب هذا الشأن وثناؤهم عليه»[٥]. وهو شرح يمثل ذروة نضج الفكر الأندلسى فى ميدان دراسة اللغة العربية[٦].

* * * *

١) الصلة لابن بشكوال ص ٤٥١، فهرس ابن خير ص ٣٨٩.
٢) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ١٣٦.
٣) بغية الوعاء للسيوطى ٢/٢٤، فهرس ابن خير الإشبيلى ص ٣٨٨.
٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٨٢
٥) نفح الطيب للمقرى ٣ / ١٨٤.
٦) راجع دراسة موسعة لهذا الكتاب للدكتور محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ١٨٦ - ٢٠٩.

المبحث الثالث

البلاغة والنقد الأدبى

مدخل: لم يستطع البحث البلاغى، والنقد الأدبى فى الأندلس قبل القرن الخامس الهجرى أن يرتفع إلى مستوى الموضوعات الكبرى التى دارت فى (بغداد/المشرق) من حديث عن الطبع والصنعة، واللفظ والمعنى، والصدق والكذب وما أشبه ذلك، بل ظل جزئيا وبسيطا فى مجالى المستوى والتطبيق[١]. كما كانت معرفة الأندلسيين بالمباحث البلاغية لا تتعد ما كان مبثوثا فى الكتب اللغوية والأدبية والقرآنية الوافدة من المشرق، مثل "البيان والتبيين" للجاحظ، و"الكامل" للمبرد، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، و"مجاز القرآن" لأبى عبيدة معمر بن المثنى، وغير ذلك من الكتب التى يختلط فيها البحث البلاغى بالبحث الأدبى واللغوى[٢].

وقبل أن نصل إلى الفترة التى شهدت فيها الأندلس ازدهارا فى الحركة البلاغية والنقدية – والتى تبدأ فى رأينا مع عصر الطوائف والمرابطين – لابد من الإشارة إلى ثلاثة أعلام كان لهم أثر فيما نحن بصدده، هم: ابن عبد ربه وابن شهيد وابن حزم.

(١) فأما ابن عبد ربه (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م): فقد كان له فى كتابه "العقد الفريد" الذى تحدثنا عنه من قبل وقفات نقدية وبلاغية، «لكنها جميعا مقرونة بما عرفه عند المشارقة»[٣]، وكان له ملاحظات متناثرة بث فيها شيئا من رأيه فى الشعر والنثر واستحسان واستهجان مما يلحق بالذوق والنقد الأدبى، وذكر فى ذلك مجموعة من النقول والآراء جمعها تحت فصل طويل جعله فى فضائل الشعر ومخارجه. كما أنه تحدث عن البلاغة وصفتها ووجوهها، وعالج قضية اللفظ والمعنى، وتحدث أيضا عما يسمى "بالسرقات" والتحسين والتقبيح وغير ذلك من المباحث النقدية والبلاغية[٤].

---

١) د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٤٧١ (ط دار الثقافة/ بيروت، لبنان/ الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٢) تحدثنا من قبل عن ارتباط البلاغة العربية – فى مراحل نشأتها – بكتب اللغة والأدب وكتب الإعجاز – راجع عن ذلك بداية من (ص ٢٠٦ – ٢٠٩).

٣) د. إحسان عباس: المصدر السابق ص ٤٧١.

٤) راجع العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٢، ١٢٣، ٢٦٠، ٢٦٤، ج ٥ /٢٧٠، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٦. وراجع تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس للدكتور محمد رضوان الداية ص ٢٨٠– ٢٨٧.

(٢) ويعد أبا عامر بن شهيد القرطبى (المتوفى ٤٢٦هـ/١٠٣٤م): من الشخصيات الأندلسية البارزة فى تاريخ الدراسات البلاغية والنقدية بالأندلس «وربما لم يبلغ أندلسى آخر مبلغه فى إرهاف الذوق والإحساس بالجمال الفنى» كما يقول الدكتور إحسان عباس[١]. وقد عده صديقه ابن حزم الأندلسى من مفاخر الأندلس فى ميدان البلاغة وقال: «ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل»[٢]، (يعنى عمرو بن بحر الجاحظ وسهل بن هارون الكاتب البغداديين)، وآراؤه فى هذا الميدان صدرت معظمها - إن لم تكن كلها - عن وعى ورأى تجريبى، لا رأى نظرى[٣]. وقد أودعها فى رسالته "التوابع والزوابع"[٤]، وفى كتابه "حانوت عطار" وفصول متفرقة نقلها ابن بسام فى كتابه "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة".

ومن القضايا التى تعرض لها ابن شهيد: موضوع "البيان" وكيف يتأتى للإنسان؟، وما هى أدواته وآلاته؟، وما هى عناصر تكوينه من حيث الطبع والصنعة؟، وهل هو واحد فى كل العصور أم تتغير مقاييسه بتغير الزمان؟، وقد أدلى برأيه فى قضية اللفظ والمعنى، وموقف الأدباء من هذه القضية من الناحية التطبيقية، وتحدث عن مبدأ المعارضة الشعرية، وجعله معيارا للتفوق[٥].

(٣) أما ابن حزم العالم الموسوعى الكبير (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)[٦] - وإن كان لم يشغل نفسه بوضع نظرية نقدية أو بلاغية شاملة - لكنه تعرض لكثير من الموضوعات النقدية والبلاغية فى عدة مواضع من كتبه ورسائله، بل إنه صنف كتابا فى "الفصاحة والبلاغة" وكتابا آخر فى "تسمية الشعراء الوافدين على المنصور ابن أبى عامر" ورسالة فى "التعقب على ابن الإفليلى الأندلسى (المتوفى ٤٤١هـ/١٠٤٩م) فى شرحه ديوان المتنبى"[٧].

وقد عالج ابن حزم موضوع الشعر والبلاغة فى الفصلين الأخيرين من كتابه "التقريب لحد

---

١) د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٨٤.

٢) بغية الملتمس للضبى ٢٠٩/١ جذوة المقتبس للحميدى ص ١٩١.

٣) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٢٩٦.

٤) سيأتى الحديث عن ابن شهيد ورسالته (التوابع والزوابع) فى المبحث القادم (راجع بداية من ص ٨٢٠).

٥) راجع الذخيرة لابن بسام ١٩٧/١/١ - ١٩٩، ص ٢٠١ - ٢٠٩، ص ٢٤١، وراجع تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس للدكتور الداية ص ٢٩٦ - ٣٠٥، تاريخ النقد الأدبى عند العرب للدكتور إحسان عباس ص ٤٧٧، ٤٧٩- ٤٨٠، النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى لزكى مبارك ٤٨/٢ - ٥٨.

٦) راجع عن ابن حزم (ص ٧٦٦ — ٧٦٨) فى المبحث الخاص بالفقه فى الفصل السابق.

٧) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٧/١٨.

المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية"[١]. وأشار فى هذا الكتاب إلى أنه حاول تأليف كتاب فى البلاغة، لكنه ترك ذلك حين علم بأن صاحبه ابن شهيد وضع فى ذلك كتبا، لأنه من المتمكنين من علم البلاغة، الأقوياء فيه جدا[٢]. وأشار أيضا إلى كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر البغدادى (المتوفى ٣٣٧هـ/٩٤٨م)[٣]، وأحال إليه لمن يريد التوسع فى فن الشعر ومعرفة أقسامه ومختاره وأفانين التصرف فى محاسنه[٤].

ويطول المقام إذا تتبعنا آراء ابن حزم فى تعريف البلاغة وبيان مراتبها وفى الشعر وأقسامه، وعن الأساليب وأنواعها[٥]. لكن من الموضوعات المهمة التى كتب فيها ابن حزم ولها صلة بعلم البلاغة **موضوع إعجاز القرآن**، فقد تناول هذا الموضوع بتفصيل فى كتابه "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" وكان له فيه آراء فريدة[٦]، ومن المؤكد أنه اطلع على كتب "الإعجاز" التى صنفها علماء (بغداد/المشرق) كالرمانى والجرجانى والباقلانى.

تطور الدراسات البلاغية والنقدية فى الأندلس بعد ابن شهيد وابن حزم:

لقد فتح ابن شهيد وابن حزم الباب أمام الدراسات البلاغية والنقدية للدخول إلى مرحلة جديدة مبنية على معالم واضحة وأسس موضوعية، وظهور كتب مستقلة دفعت هذا الفن نحو التبلور والتحدد، وبدأت الملاحظات البلاغية العابرة والأفكار النقدية المتناثرة فى المؤلفات الأدبية المختلفة تنمو وتنضج لتصبح فصولا وأبوابا متكاملة تتجاوز مع الفصول والأبواب المخصصة لقضايا أدبية أخرى. والنماذج التى تعبر عن هذه المرحلة الجديدة من تاريخ البلاغة والنقد الأدبى فى الأندلس كثيرة نختار منها أربعة:

[١] كتاب "تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل"[٧] لأبى عبد الله محمد بن فتوح الأزدى الحميدى الأندلسى (المتوفى ٤٨٨هـ/١٠٥٩م). وهو صاحب "الجمع بين الصحيحين و"جذوة

---

١) التقريب لحد المنطق – حققه الدكتور إحسان عباس – منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٩م.

٢) التقريب لحد المنطق لابن حزم ص ٢٠٤.

٣) راجع باهتمام ما ذكرناه عن هذا الكتاب (ص ٢٠٨) فى المبحث الخاص بعلم البلاغة فى بغداد.

٤) التقريب لحد المنطق/لابن حزم ص ٢٠٤.

٥) راجع: التقريب لحد المنطق ص ٢٠٤-٢٠٧. وراجع أيضا: تاريخ النقد الأدبى عند العرب لإحسان عباس ص ٤٨٤ – ٤٨٩، تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس لمحمد رضوان الداية ص ٣١٠ – ٣٢٠.

٦) راجع الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٣/١٠-١٤ (ط مكتبة السلام العالمية بالقاهرة ١٣٤٨هـ)، وبهامشه "الملل والنحل" للشهرستانى. وراجع د. محمد رضوان الداية: المرجع السابق ص ٣٢٣ – ٣٢٨).

٧) المقرى: نفح الطيب ٢/١١٣. .

المقتبس"، وكان تلميذا لابن حزم[١].

وهذا الكتاب ليس كله خاصا بعلم البلاغة، وإنما ألفه الحميدى ليضع بين أيدى المتعلمين أمثلة يحتذونها إن أرادوا إحكام فن الخطابة أو الكتابة، وجعله فى مقدمة وثمانية أبواب، وقصد من هذه الأبواب إلى أن تكون «قوانين لمن أراد تحسين لفظه وتقويم لسانه ومداراة أهل زمانه بحسن التلقى لهم وجميل التحفى بهم، فيقوى بذلك لسانه إن خاطب، ويتسع فكره إن كاتب....»[٢]. وقد لخص الحميدى المقصود من مقدمة كتابه بثلاثة أمور: **الأول**: الكلام فى حد البلاغة والبيان والفصاحة والكتابة والظرف والأدب. **والثانى**: "فى ذكر آلات الامتثال، وما يحتاج إليه صناعة البيان" ويعنى بها الأمور التى ينبغى للكاتب أن يتقنها ليكون كلامه على شئ من البلاغة وقدر من الفصاحة. **والثالث**: فى الوصية بالمداد والقلم والورق «إذ هو كمال هذا الباب جمال الكتاب»[٣].

(٢) ولعل ابن بسام الشنترينى (المتوفى ٥٤٢هـ/١١٤٧م): صاحب "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة"[٤] هو أكثر النقاد بالأندلس - فى القرن السادس الهجرى - احتفالا بقواعد النقد وتطبيقها، «ويمكن أن نقول: إن مذهب ابن بسام يقوم على ركيزتين إحداهما: ركيزة الدفاع عن تراث الأندلس الأدبى عامة. والثانية: النظرة الأخلاقية فى الحكم على بعض الفنون الشعرية، وقد شفع هذه الفلسفة بمواقف تطبيقية تناول فيها بعض الشئون الأدبية، وخاصة قضية السرقات»[٥].

وقد أدخل ابن بسام كتابه فى حيز الدراسات البلاغية والنقدية من وجهين، الأول: ما نقله عن النقاد والأدباء من أحكام وآراء، وما صدر عنه شخصيا من ملاحظات وموازنات وإشارات. والثانى: متابعة بعض وجوه البديع الذى أعلى من شأنه وجعله مدار محاسن الشعر، وقال: «هو قيم الأشعار وقوامها، وبه يعرف تفاضلها وتباينها»[٦].

والكتاب ملئ بالمصطلحات البلاغية والبديعية التى ناقشها ابن بسام مستعينا فى ذلك

---

١) سبق الحديث عن الحميدى (ص٧٣٦).

٢) الحميدى: تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٠/أدب) ص ٢.

٣) الحميدى: المصدر نفسه ص ٢.

٤) سبق الحديث عن هذا الكتاب (ص ٧٩٠).

٥) د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٥٠١.

٦) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٦/١/١. وراجع د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى بالأندلس ص ٣٧٧-٣٧٨.

بكتب المشارقة "كالبيان والتبيين" للجاحظ و"البديع" لابن المعتز و"نقد الشعر" للآمدى، و"الصناعتين" لأبى هلال العسكرى، وبعض كتب الأندلسيين مثل كتاب "العمدة" لابن رشيق. فمن هذه المصطلحات: "الاستطراد" و"الخروج" و"الإدماج" و"الكناية" و"المماثلة" و"السجع" و"الالتفات" و"الاعتراض" و"الاستدراك" و"التتميم" و"التشبيه" و"الاستعارة"[١].

إن ظهور هذه المصطلحات البلاغية والنقدية فى كتب الأندلسيين فى القرن السادس الهجرى دليل ما وصل إليه هذا العلم من نضج ورقى، ودليل على مواكبة الأدب الأندلسى باستمرار للحركة الأدبية فى (بغداد/المشرق).

(٣) ومن أهم الكتب الأندلسية التى أعطت عناية أكثر للبلاغة ودارت حول مجموعة من الآراء النقدية مما له صلة بالشعر والنثر من حيث أسرار البيان وجودة الصنعة ودراسة المعانى والألفاظ، وساعدت أيضا على دفع البلاغة نحو الاستقلال: **كتاب «إحكام صنعة الكلام»**[٢] لذى الوزارتين أبى القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعى الإشبيلى الأندلسى (المتوفى فى منتصف القرن السادس/ بعد سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م)، وكان من الشعراء ومن الأدباء الكتاب، وخدم فى دولة أمير المرابطين على بن يوسف بن تاشفين[٣].

وهذا الكتاب قصره مؤلفه على فن النثر، ويقع فى مقدمة وبابين، أما المقدمة فتحدث فيها عن البيان ومعناه ومدلوله، وجعل الباب الأول لأدب الكاتب. والباب الثانى خص بضروب الكلام وأنواع الأساليب وأقسام السجع مما يدخل فى النقد والبلاغة مباشرة. وقد أودع فى كل ذلك عدة آراء دقيقة ومبتكرة أعطت كتابه أهمية خاصة، وميزته بشئ جديد يضاف إلى تاريخ النقد والبلاغة فى الأندلس، واعتمد على عدد من مؤلفات البغداديين مثل إبراهيم بن هلال الصابى (المتوفى ٣٨٤هـ) وابن العميد (المتوفى ٣٦٠هـ) والثعالبى (المتوفى٤٢٩هـ»[٤]. والكتاب فى النهاية يعد مصدرا مهما فى تاريخ النثر العربى أقسامه وقواعده[٥].

---

١) راجع الذخيرة ٣٢٠/١/١، ٣٨٨/٢/١-٣٨٩، وراجع: محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى بالأندلس ص ٣٧٨-٣٨١.

٢) الكتاب مطبوع بتحقيق د. محمد رضوان الداية - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٦م

٣) ترجمة ابن عبد الغفور الكلاعى فى مطمح الأنفس لابن خاقان ص ٢٩-٣٠، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٢٣٧/١-٢٣٨، التكملة لابن الأبار ٤٦٨/٢ (ط العطار).

٤) راجع تحليلا لمادة كتاب "إحكام صنعة الكلام" فى (تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس) للدكتور محمد رضوان الداية ص ٤٠٤ - ٤٣١.

٥).د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٥١١.

(٤) وممن يمكن التوقف عند بعض محاولاتهم من رجال الأندلس فى ميدان البلاغة والنقد: أبو البقاء صالح بن زيد بن صالح بن موسى النفرى الرندى (المتوفى٦٨٤هـ/١٢٨٥م) فى كتابه "الوافى فى نظم القوافى"[١].

وهذا الكتاب (الذى لا يزال مخطوطا) من أهم الكتب الأندلسية فيما نحن بسبيله. قسمه مؤلفه على أربعة أجزاء. ويقع الجزء الأول منها فى أربعة أبواب، وتحدث فى أولها (ص٣-١٦)عن فضل الشعر ومن تكلم به وأثاب عليه. وفى الثانى: (ص١٦-١٨) عن الشعراء وطبقاتهم. والباب الثالث (ص١٨-٢٣): فى عمل الشعر وآدابه. وفى الباب الرابع: عن أغراض الشعر وأبوابه. وجعل الجزء الثانى (ص٩٢-١٤٠) فى محاسن الشعر وبديعه ومعانيه، فجاء فى أربعين بابا ذكر فيها طائفة من الفنون البديعية والبلاغية، كالمطابقة والمقابلة والتشبيه والاستعارة والتصدير والالتفات والتسجيع وغير ذلك. وقد درس فى الجزء الثالث (ص١٤٠-١٦٤) عيوب الشعر، وهى الإخلال والسرقة والضرورة، وجعل الإخلال تسعة أضرب، وعقد للسرقة ثلاثة فصول فى ضروبها ومراتبها. أما الجزء الرابع والأخير فقد أوقفه على حد الشعر والعروض والقافية[٢].

ويضاف إلى التراث الأندلسى عدد من المؤلفات المهمة يطول الحديث عن مكانتها وبيان أهميتها فى ميدان البحث البلاغى والنقد الأدبى، نذكر منها:

١ - كتاب "البديع" لحامد بن سمجون، وهو من العلماء الذين أثنى عليهم الأديب أبو عامر بن شهيد القرطبى (المتوفى ٤٢٦هـ/١٠٣٤م»[٣].

٢ - "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لأبى الحسن حازم بن محمد بن الحسن الأوسى القرطاجنى - قرطاجنة الأندلس - (المتوفى ٦٨٤هـ»[٤]. وهو كتاب ذو أهمية بالغة فى تاريخ البلاغة والنقد الأدبى بالأندلس.

---

١) ترجمة أبى البقاء الرندى فى الذيل والتكملة للمراكشى (بقية السفر الرابع) ص ١٣٦ - ١٣٩، أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض للمقرى ٤٧/١، ومسالك الأبصار لأبى فضل الله العمرى (مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة) ٤٨٠/١١ القسم الثانى من الجزء الحادى عشر - ص ٤٨٠.

٢) اعتمدنا على مخطوطة للكتاب محفوظة بدار الكتب المصرية فى المكتبة التيمورية تحت رقم (٦٠٣ /أدب تيمور) وتقع فى (٩٤) ورقة بخط أندلسى، ويرجع تاريخها إلى عام ٧٣٨هـ.

٣) جذوة المقتبس للحميدى ٣٠٧/١.

٤) له ترجمة فى التكملة لابن الأبار ٦٣٣/٢ (ط مصر) وكتاب "منهاج البلغاء" مطبوع بتحقيق الحبيب بن الخوجة، تونس - دار الكتب الشرقية ١٩٦٦م.

٣ - كتاب "رفع التلبيس عن حقيقة التجنيس" لأبى جعفر أحمد بن يوسف بن على الفهرى اللبلى (المتوفى ٧٤١هـ»[١].

تعقيب ومقارنة:

وخلاصة القول فى عرضنا للتراث الأندلسى فى البلاغة والنقد الأدبى أن السمات الأولى المميزة لهذا الفن لم تظهر فى الأندلس إلا على يد ابن شهيد (المتوفى ٤٢٦هـ/١٠٣٤م) وابن حزم (٤٥٦هـ/١٠٦٣م). وقد بنى الأندلسيون معظم آرائهم فى البلاغة والنقد على ما وصلهم من المصادر المشرقية، وعلى الرغم من أنهم لم يقبلوا كل ما وصلهم فإنهم بنوا استحسانهم واستهجانهم على كتب مشرقية بعينها "كالبيان والتبيين" للجاحظ، و"نقد الشعر"لقدامة ابن جعفر (المتوفى ٣٣٧هـ) و"الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى" للحسن بن بشر الآمدى (المتوفى ٣٧١هـ/٩٨١م) و"البديع" لابن المعتز (المتوفى ٢٩٦هـ) و"عيار الشعر" لابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) و"الأوراق" للصولى (المتوفى ٣٣٥هـ) و"أدب الكاتب"، و"معانى الشعر" لابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ)، و"الترسيل" و"سقط الزند" لأبى العلاء المعرى (المتوفى ٤٤٦ هـ) وغير ذلك. ويمكن القول: إن النهضة الأندلسية فى ميدان البلاغة والنقد الأدبى - والتى بدأت مع مطالع القرن الخامس الهجرى - جاءت بعد أن شهدت مدرسة (بغداد/المشرق) نهضة كبيرة فى هذا الميدان على يد من ذكرنا من المشارقة. فلما تنبهت الأندلس إلى شخصيتها فى المجال العلمى والأدبى كان النقد الأدبى والبحث البلاغى دفاعا عن هذه الشخصية ضد التجاهل، أو الاتهام بأن الأندلس ليس فيها أدباء وشعراء ونقاد وبلاغيون.

ولابد أن نقرر هنا أن الحركة النقدية والبلاغية فى الأندلس لم تكن - من وجهة نظرنا - بمثل ما كانت عليه فى المشرق من حيث وضوح الاتجاهات وغزارة الإنتاج وكثرة الأدباء والنقاد والبلاغيين.

****

١) الديباج المذهب لابن فرحون ص ٨١ (ط بيروت).

المبحث الرابع
الشعر والنثر الفنى

أولا: الشعر

تأثر قرطبة بالاتجاهات الشعرية فى بغداد:

مدخل: عندما أخذ الشعر الأندلسى فى التكون كانت هناك أسباب كثيرة عملت على رسم حدوده، ولعل أكثرها تأثيرا الثقافة الأدبية الوافدة من المشرق الإسلامى، فقد أخذت طبقة من المؤدبين ترتحل إلى المشرق وتغترف مما فيه من لغة وأدب، سواء بطريق السماع والرواية أو النسخ والكتابة، ثم تعود إلى الأندلس لتنشر ما حصلت عليه، وذكرنا على ذلك أمثلة كثيرة فى ثنايا حديثنا عن الأدب واللغة.

وما من شك فى أن المصادر الأدبية واللغوية التى جلبها الأندلسية من المشرق - من أمثال كتب الأصمعى وابن الأعرابى والخليل وأبى حاتم السجستانى وأبى عبيد والجاحظ والمبرد وغيرهم - كانت تحتوى على كم وفير من الشعر العربى لشعراء جاهليين ومحدثين. وكانت الدواوين الشعرية ضمن المؤلفات الأدبية التى دخلت قرطبة عن طريق الأندلسيين والمشارقة، ومن الأمثلة على ذلك: الاختيارات الشعرية التى جمعها المفضل الضبى المسماه "بالمفضليات"، وأخرى للأصمعى المسماه "بالأصمعيات"، و"نقائض" جرير والفرزدق، وأراجيز العجاج ورؤبة ابن العجاج، وشعر ذى الرمة والحطيئة وعمرو بن قميئة والنابغة والشماخ وأوس بن حجر والأخطل وامرئ القيس وزهير بن أبى سلمى، وغير ذلك من دواوين الشعر الجاهلى والإسلامى، وهى مما جلبه أبو على القالى البغدادى معه إلى قرطبة[١].

وقبل دخول القالى إلى الأندلس بالدواوين الشعرية كان محمد بن عبد الله الغازى القرطبى (المتوفى ٢٦٩هـ/٨٨٢م) قد رحل فى القرن الثالث الهجرى إلى المشرق ودخل البصرة وسمع بها جماعة من رواة الأخبار والشعر وأصحاب اللغة والمعانى «وأدخل الأندلس الأشعار المشروحة كلها» كما يقول ابن الفرضى[٢]. وكان سعيد بن الفرج أبو عثمان الرشاشى مولى بنى أمية (المتوفى ٢٧٢هـ/٨٨٥م) يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب. وقد دخل بغداد ومصر، وأقام فيهما مدة حصل خلالها على قدر كبير من الأشعار واللغة[٣].

---

١) راجع فهرسة ابن خير ص ٣٩٠ - ٣٩٧.

٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٢٤١، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦٧.

٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ١١ص ٢١٩.

(١) تأثر شعراء الأندلس بالاتجاه المحافظ فى بغداد:

وقد تأثر شعراء الأندلس- وخاصة فى الفترة الأولى من تاريخها، فترة تأسيس الإمارة - بطريقة شعراء العرب الأوائل، فقد كان الشعر الأندلسى فى تلك الفترة يسير فى اتجاه المدرسة المحافظة المشرقية فى العراق. وتتمثل مظاهر هذا الاتجاه المحافظ فى أن «الشعر الأندلسى كان يهتم أكثر ما يهتم بالموضوعات التقليدية، من فخر ومدح وحماسة وما إلى ذلك، وأنه كان يسير على منهج الأقدمين فى بناء القصيدة، وفى تجمع صورها غالبا من عالم البادية وتأليف أسلوبها فى الأعم من لغة تستوحى الذاكرة والتراث أكثر مما تستوحى العصر والواقع»[١].

ومن الذين يمثلون هذا الاتجاه من شعراء الأندلس: أبو المخشى عاصم بن زيد العبادى، يتصل نسبه بالعباد نصارى الحيرة[٢]، وكان والده ممن وفدوا على الأندلس فى فترة الولاة، ونزل منطقة إلبيرة، ونشأ أبو المخشى فى هذه المنطقة، وقرض الشعر حتى أصبح من ألمع شعراء عصره، بل وصل إلى كونه شاعر الدولة المروانية فى الأندلس: «ويرى مؤرخو الأدب أن أبا المخشى يمثل الشعر الأندلسى فى فترة التأسيس أصدق تمثيل، فهو يمثله فى ظهور بعض السمات الأندلسية الخاصة من تجديد الموضوعات ومحاولة التجويد، كما أنه يمثله فى مسيرته البدوية المحافظة المقلدة لأشعار عرب ما قبل الإسلام»[٣]، وله أبيات ذكرها وحللها الدكتور أحمد هيكل فى كتابه عن الأدب الأندلسى[٤]، وأورد له الدكتور محمود مكى ترجمة كاملة ومعظم ما حفظ من أشعاره فى رسالته القيمة عن "المؤثرات المشرقية فى الثقافة الأندلسية"[٥].

ولا شك فى أنه قد ورد إلى الأندلس بعد الفتح واستقرار الأمر بعض الشعراء المشارقة ممن كانوا يقرضون الشعر على مذهب أوائل العرب فى الطريقة التقليدية، ومن هؤلاء الشاعر أبو الخطار حسام بن ضرار، جاء إلى الأندلس واليا عليها سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) فى عهد الخليفة

---

١) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٨١، وراجع ما ذكرناه عن هذا الاتجاه (ص٢١٣) من القسم الأول.

٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس (ط الإبيارى) ص ٤٢-٤٣، الحميدى: جذوة المقتبس ج٢ ص٦٣٥.

٣) من مقال للدكتور محمد عبد الحميد عيسى بعنوان: الحضارة الأندلسية - مرحلة التكوين، منشور فى مجلة (ندوةالتاريخ الإسلامى والوسيط) المجلد الثانى ١٩٨٣م - طبع دار المعارف ص ٢٨٤. وانظر د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى ص ١٠٢.

٤) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٨٢، ١٠١ - ١٠٢.

٥) Mahmud Makky: Euzayos sobre las aportaciones orientales en la Espania musulmana. رسالة دكتوراة منشورة باللغة الإسبانية بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد فى عدديها (٩، ١٠) و(١١، ١٢) ص ٩٨ - ١٠٢ من العدد التاسع والعاشر.

هشام بن عبد الملك[١]. والشاعر أبو الأجرب جعونة بن الصّمة الذى عدَّه ابن حزم من مفاخر الأندلس وقال عنه: «وإذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة لم نبار به إلا جريراً والفرزدق، لكونه فى عصرهما. ولو أنصف لاستُشهد بشعره، فهو جارٍ على أوائل مذاهب العرب، لا على طريق المحدثين»[٢]. وكان لهذا الشاعر شهرة فى بلاد المشرق حتى ليقال إن أبا نواس الشاعر البغدادى سأل عنه الشاعر الأندلسى عباس بن ناصح - أثناء وجوده ببغداد - وطلب منه أن يسمع شيئاً من شعر جعونة[٣].

ومن شعراء الأندلس الذين ساروا فى هذا الاتجاه: ابن عثمان الأصم (المتوفى٣٣٥ هـ/٩٤٦م) اشتهر بالأراجيز على طريقة رؤبة والعجاج، وكان لغوياً فصيح اللسان، شاعراً مجوداً «وأكثر أشعاره عن مذاهب العرب» كما يقول الزبيدى[٤]. ومنهم أبوالمطرف عبد الرحمن ابن أبى الفهد من شعراء الدولة العامرية، «وكان من أشعر من أنبتته الأندلس بعد أبى المَخْشِى (المذكور قبل قليل) ولم يكن يبقى شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً إلا عارضه وناقضه»[٥].

والمتأمل لمثل شعر هؤلاء يجد أن شعرهم يسير على خطى المدرسة المشرقية المحافظة من حيث بناء القصيدة وانتزاع الصور والمعانى من البيئة البدوية القديمة ثم من حيث التعبير بالأسلوب البدوى القديم، وأخيراً من حيث الميل إلى الأبحر الشعرية الطويلة ذات التفاعيل الكثيرة والقوافى الرنانة[٦].

ويذهب الدكتور أحمد هيكل إلى أن سَيْر الشعراء الأندلسيين على نهج المدرسة المحافظة التى وفدت من المشرق لم يكن دائماً بدافع التقليد، وإنما كان هناك ما يبرزه من واقع الأندلسيين وظروفهم، ثم من مُثُلهم وقيمهم، وتستوى فى ذلك تلك الفترة المبكرة مع غيرها من الفترات التاليات[٧]. ويرى أيضاً أن الشعر الأندلسى الذى يسير فى هذا الاتجاه برغم كون ملامحه العامة هى ملامح الشعر المشرقى المحافظ قد كانت له سمات خاصة صنعت الملامح

---

١) وردت أخبار أبى الخطار حسام بن ضرار فى المغرب لابن سعيد ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤، جذوة المقتبس للحميدى ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٥، تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص ٣٥ - ٣٦.

٢) رسالة ابن حزم عن فضل الأندلس (رواها المقرى فى نفح الطيب ١٧٧/٣، جذوة المقتبس للحميدى ٢٩٣/١).

٣) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٣٠٦.

٥) جذوة المقتبس للحميدى ٤٣٩/٢.

٦) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٨٣ - ٨٤ بتصرف.

٧) د. أحمد هيكل: المرجع السابق ص ٨٤.

الأولى للشعر الأندلسى المتميز، من مثل طرق موضوعات جديدة وميل إلى التجويد وغلبة الجانب العاطفى[١].

(٢) تأثر شعراء قرطبة بالاتجاه الشعرى المحدث عن طريق بغداد:

لقد كان تتبع أخبار شعراء المشرق وما ظهر من أشعارهم دالا على أن الأدباء والشعراء الأندلسيين كانوا يواكبون تطور الاتجاهات الشعرية فى المشرق، ويسعون للاتصال بشعرائه، ومن ثم لم يعد الشعر الأندلسى فى فترة لاحقة لفترة التأسيس - وهى فترة الإمارة - مقصورا على ذلك الاتجاه المحافظ المذكور، وإنما اتسع لبعض الاتجاهات الجديدة، ولما كانت الأندلس دائمة الصلة بالمشرق ودائمة الأخذ عنه فقد أخذت اتجاها جديدا فى الشعر يعرف بالاتجاه المحدث، ونعنى به الاتجاه الذى سار فيه بالعاصمة بغداد أبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو العتاهية وأمثالهم من المجددين، والذى تزعمه أبو نواس حين ثار على الاتجاه التقليدى وندد بطريقته، وراح يطرق أغراضا جديدة بمنهج جديد وأسلوب محدث. وقد تكلمنا عن أهم الخصائص التى تميز هذا الاتجاه فى إطار حديثنا من قبل عن الاتجاهات الشعرية الكبرى التى ظهرت فى بغداد[٢].

رحلة الشاعر عباس بن ناصح القرطبى إلى بغداد وتأثره بالاتجاه المحدث:

وناقل هذا الاتجاه الشعرى إلى قرطبة هو الشاعر عباس بن ناصح الثقفى[٣]، من أهل الجزيرة الخضراء القريبة من قرطبة، وقد عرف فى أيام الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦ هـ/٧٩٦-٨٢٢م)، وامتد به الأجل إلى عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م). وكانت له رحلة إلى المشرق مرتين: **الأولى**: كانت مع أبيه صغيرا، فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالبا للغة العربية، ثم دخل به أبوه العراق، فلقى الأصمعى وغيره من العلماء البصريين والكوفيين، وانصرف إلى الأندلس، فكان على حظ كبير من العلم بالفقه واللغة والرواية للشعر. ويقال: إنه التقى بالشاعر البغدادى أبى نواس وسمع شعره وأشاعه بين الأندلسيين[٤].

وأما عن رحلته **الثانية**: فقد التقى خلالها فى بغداد بالشاعر أبى نواس الحسن بن هانئ. وعن هذه الرحلة يذكر ابن الفرضى أن عباس بن ناصح بعد عودته من رحلته الأولى: «كان لا يزال يستفهم عن نجم بالمشرق من الشعراء بعد إبراهيم بن هرمة، فأخبر عن الحسن بن هانئ

---

١) د. أحمد هيكل: المرجع نفسه ص ٨٦ - ٩١.

٢) سبق الحديث عن ذلك (ص ٢١٢- ٢١٣) من القسم الأول.

٣) انظر بعض أخباره فى بغية الملتمس للضبى ص ٢٧٦، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٣٢٤/١ - ٣٢٥، بغية الوعاة للسيوطى ٢٨/٢.

٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ٢٤٠/٢ - ٢٤١، السيوطى: بغية الوعاة ٢٨/٢.

(أبي نواس) وأنشد بعض شعره فقال: لأجهدن في أن ألقى هذا الرجل. ثم رحل إلى العراق فلقيه واستنشده. ويقال إن الحسن قضى لعباس بالفضل على نفسه»[١].

وهذه الرواية جاءت أكثر تفصيلا عند الزبيدي في كتابه "طبقات النحويين واللغويين" في ترجمة عباس بن ناصح عن ابنه عبد الوهاب (وكان شاعرا) قال: «كان أبي لا يقدم من المشرق قادم إلا كشفه عمن نجم في الشعر بعد ابن هرمة حتى أتاه رجل من التجار فأعلمه بظهور حسن بن هانئ لأبي نواس، وارتحاله من البصرة إلى بغداد، والمحل الذي حله من الرشيد والأمين، فأتاه من شعره بقصيدتين أحدهما:

♦ جريت مع الصبا طلق الجموح[٢] ♦

والثانية:

♦ أما ترى الشمس حلت الحملا[٣] ♦

فقال أبي: هذا أشعر الجن والإنس، والله لاحبسني عنه حابس. فتجهز إلى المشرق فرحل إليه، وكان له في رحلته إليه قصة طويلة حتى بلغه ونزل عليه في بغداد وكان ضيفه نحو العام، وأجازه بقوله «هذا شاعر الغرب»[٤].

إن مغزى هذه القصة يظهر في أن عباس بن ناصح كان شاعرا، ومذهبه في شعره مذهب العرب الأول في أشعارهم (الاتجاه المحافظ)، وإن تقصيه عن شعراء (بغداد/المشرق) يوضح صورة من صور الاهتمام بكل ما هو مشرقي.

وبعد عودة ابن ناصح من بغداد كانت هذه الشهادة القيمة التي حصل عليها من أبي نواس تكفيه لأن يجلس في جامع قرطبة (وهو بمثابة الجامعة حينذاك) لتدريس الأدب، وحوله يجتمع طلابه يستمعون إلى محاضراته. ومما يذكر أنه خلف ديوان شعر كان موضع عناية الأندلسيين ودراستهم، وقد اعتنى عفير بن مسعود[٥] بجمع شعره من ولده عبد الوهاب بن عباس بن

---

١) ابن الفرضي: المصدر السابق ١/٣٤٠ - ٣٤١.

٢) ديوان أبي نواس (المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨) ص ٣٥٧، وتمام البيت:

"وهـــان على مأثـــور القبيـــح"

٣) ديوان أبي نواس ص ٣١٣. وتمام البيت:

"وقـــام وجـــه الزمـــان واعتـــدلا"

٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٦٢ - ٢٦٣، الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ٢٨٤ - ٢٨٥ (ط مدريد ١٩٩١م)، التكملة لابن الأبار ١/٢١٦.

٥) هو عفير بن مسعود بن عفير بن بشر بن فضالة بن عبد الله الغساني، أبو الخزم، من أهل مورور، وسكن قرطبة، كان حافظا للغة وأخبار العـــرب، ووقائعها وأيامها ومشاهد النبي صلى الله عليـــه =

ناصح. وكان الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) يحفظه ويعرف ما قيل منه بالمشرق وما قيل بالأندلس، ويحكى - أى الأمير - عبد الله - من أخبار عباس ما لا يحكيه أهله ولا رواته. إلا أن هذا الديوان قد ضاع ولم يبق لنا من شعره إلا القليل النادر فى بطون كتب الأدب[١].

وقد أتاحت الفترة التى قضاها عباس بن ناصح فى بغداد فرصة الاختلاط بأدباء بغداد وشعرائها والتعرف على الاتجاه الجديد فى الشعر الذى ظهر آنذاك وتزعمه أبو نواس، ثم أشاعه ابن ناصح فى الأندلس، «وما لبث بعض شعراء الأندلس أن تمثلوه وأنتجوا ما يشبهه، بل يفوقه فى بعض الأحايين، وبهذا ظهرت تلك الأشعار المحدثة التى أخذت اتجاها جديدا بجانب الاتجاه القديم»[٢].

رحلة الشاعر المعروف بالغزال إلى بغداد:

لم تنقطع رحلة شعراء الأندلس إلى بغداد، فقد كانت فكرة الرحيل إلى المشرق والالتقاء بشعرائه حلما يراود بعض الطلبة الذين تأثروا بأساتذتهم الشعراء فتملكتهم الرغبة بتقليدهم والسير على منوالهم، وهذا ما حصل للشاعر يحيى بن الحكم الجيانى المعروف بالغزال[٣] (١٥٦-٢٥٥هـ/٧٧٢-٨٦٨م) حين تأثر بأستاذه عباس بن ناصح الجزيرى فى تعلقه بشعر أبى نواس، وكانت تكتنفه رغبة شديدة فى رؤيته، فلما قرر الرحيل إلى العراق «دخل بغداد بعد موت أبى نواس بمدة يسيرة، ووجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون شعر أحد بشعره»[٤]، ولم تتح له فرصة لرؤيته، ولكنه التقى ببعض تلاميذه فى بغداد فكان يتناشد معهم الأشعار فى المجالس، وتناشدوا مرة حتى وصلوا إلى شعراء الأندلس فاستهجنوا شعرهم، فراعه ما رأى من تهوين تلاميذ أبى نواس من شأن شعراء الأندلس، وسبب ذلك فيما يبدو أن ما وصلهم من شعر الأندلسيين كان يمثل طريقة العرب الأوائل، أى الطريقة التقليدية، بينما أخذت بغداد فى ذلك

= وسلم ورواية للشعر وكان مؤدبا، وعاش إلى أن بلغ المائة. وتوفى سنة ٣١٧ هـ. ومولده سنة ٢٢٠هـ (ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ١/٣٨٥).

١) أصول عراقية فى الأدب الأندلسى - مقال كتبه أحمد حاجم الربيعى فى مجلة آفاق عربية - بغداد، العدد الثانى - السنة الثانية عشرة ١٩٨٧م - ص ٦٧.

٢) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٨، وذكر مقطوعات شعرية تمثل هذا الاتجاه.

٣) له ترجمة فى المطرب لابن دحية ص ١٣٣-١٥٦، المقتبس لابن حيان (تحقيق محمود مكى) ص ١٣٤، نفح الطيب للمقرى ٢/٢٥٤-٢٦٣، جذوة المقتبس للحميدى ٢/٥٩٧-٥٩٨، بغية الملتمس ١/٥٠٠-٥٠١ (رقم ١٤٦٨)، المغرب لابن سعيد ٢/٥٧ - ٥٨.

٤) المقرى: نفح الطيب ٢/٢٦٠ - ٢٦١. وانظر آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٥٦.

الوقت بالتحول نحو الشعر المحدث الذى تزعمه أبو نواس.

ولما أخذ الحضور فى الحديث عن أبى نواس قال لهم يحيى الغزال: من يحفظ منكم قوله:

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤهم[١] تأبطـــت زقى واحتسبت عنائى

وذكر لهم تلك المقطوعة الخمرية الرائعة، فاستحسنوها وأعجبوا بها كثيرا، وذهبوا فى مدحه كل مذهب، متوهمين أنه من شعر أبى نواس، فلما أفرطوا فى مدحهم قال لهم: خفضوا عليكم فإنه لى، فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدته التى مطلعها:

تداركت فى شرب النبيذ خطائى وفارقـــت فيـــه شيمتى وحيائى

فلما أتم القصيدة خجلوا وافترقوا عنه[٢]. والقصيدة فيها محاكاة لأبى نواس وأثره فى الشعر.

ويذهب البعض إلى القول بأن شعر الغزال يسير فى الاتجاه المحدث الذى نقله عباس ابن ناصح إلى قرطبة، وأورد الدكتور أحمد هيكل له نماذج تنبئ عن تأثره بهذا الاتجاه الذى ذكرنا ملامحه من قبل[٣]. ولعل السبب فى ذلك - فى رأينا بناء على ما تذكره المصادر - أن الغزال كان فى نشأته الأدبية من المترددين على مجالس ابن ناصح التى كانت تعقد فى قرطبة ويتناشد فيها الشعراء ويتناقدون، وكان الغزال فى تلك النشأة الأدبية يقول الشعر، حتى لقد انتقد ما كان يقوله ابن ناصح نفسه. هذا بالإضافة إلى تأثره بشعر أبى نواس ومحاكاته له كما أسلفنا.

إننا إذا نظرنا فى شعر الأندلسيين الذين تأثروا بالاتجاه المحدث الذى نقله إليهم عباس ابن ناصح من بغداد نجد صدى هذا التأثر واضحا من حيث «الاهتمام بأغراض شعرية لم تكن من قبل كالخمريات والغزل والطبيعيات والزهديات، ثم فى الأسلوب الذى تعالج به هذه الأغراض، وهو أسلوب يميل إلى شئ من التفصيل ويتجه أحيانا إلى القص، وتشيع فيه روح الدعابة والسخرية والتحرر إذا كان الموضوع لاهيا، كما تشيع فيه روح الكآبة والمرارة إذا كان الموضوع جادا، ثم هو أسلوب ترسم صوره من عناصر حضرية وتبتعد عن آفاق البادية، وتتآلف لغته من ألفاظ بسيطة واضحة حسنة الإيقاع»[٤].

وعلى الرغم من دخول الاتجاه المحدث إلى الأندلس وانتشاره بين الأندلسيين فقد ظل

---

١) أى توقفت عن المطر.

٢) المقرى: نفح الطيب ٢/٢٦٠-٢٦١، ابن دحية الكلبى: المطرب من أشعار أهل المغرب ص ١٢٨. وانظر أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٥٩ - ١٦٠.

٣) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى ص ١٦٠ - ١٦٥.

٤) د. أحمد هيكل: المرجع السابق ص ١٢٨ - ١٣٠.

الاتجاه المحافظ قويا ناميا، وظل عدد من الشعراء متمسكين به سائرين على تقاليده إلى فترة عصر الطوائف، ولكن كان ذلك محصورا فى فئة قليلة من الشعراء، بل إن بعض الشعراء الذين أجادوا النظم على طريقة المحدثين كانوا أحيانا يفضلون النظم على طريقة المحافظين[١].

ومن الشعراء الذين ظلوا متمسكين بالمنهج القديم رغم شيوع مذهب المحدثين: الشاعر أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الضبى (المتوفى ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فهو ممن نهج على طريقة العرب الأوائل، وقد عاش إلى فترة حكم الطوائف، وأنشد له الحميدى فى "جذوة المقتبس" قطعة من شعره، مطلعها:

وضاعف ما فى القلب يوم رحيلهم على ما بـــه منهم حنين الأباعر[٢]

وممن سار فى هذا الاتجاه القديم أيضا من متأخرى الشعراء بالأندلس: أبو الحكم عبد الرحمن بن برجان، وهو من شيوخ الرعينى (المتوفى ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) ذكره فى برنامجه فقال: «أنشد شيئا من شعره، وهو فيه على طريقة العرب، وكان يستضعف الشعر المحدث وكتابة المتأخرين، ولا يرى ذلك شيئا»[٣].

وجملة القول: إنه على الرغم من وجود أنصار مذهب العرب (الاتجاه المحافظ) بشكل واضح فى الفترة الأولى من تاريخ الأندلس - والتى يمكن أن تمتد إلى أوائل عصر الطوائف، وبشكل أقل وضوحا فيما بعد - فإن أنصار المحدثين هم الفئة الغالبة.

(٣) تأثر شعراء قرطبة بأصحاب الاتجاه المحافظ الجديد فى بغداد:

وهذا الاتجاه الشعرى هو الذى ظهر فى بغداد كرد فعل للاتجاه المحدث الذى تزعمه أبو نواس، والذى خرج بالشعر العربى عن كثير من تقاليده، فجاء هذا الاتجاه "المحافظ الجديد" ليعيد الشعر العربى إلى طبيعته العربية، وذلك بالاقتراب من التقاليد الشعرية المأثورة والتخفيف من تلك الثورة المتمردة التى لجأ إليها المحدثون. وقد عرفنا من قبل الملامح الفنية لهذا الاتجاه الشعرى، وذكرنا أن أبا تمام الشاعر البغدادى الكبير كان من أوائل الذين ساروا فى هذا المنحى وتبعه البحترى (المتوفى ٢٨٤هـ/٨٩٧م) وآخرون ممن عاصروهما أو جاءوا بعدهما حتى وصل هذا الاتجاه إلى غايته بعد ذلك مع أبى الطيب المتنبى (المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٤م) الذى يمكن أن يعتبر قمة فى هذا الاتجاه المحافظ الجديد[٤].

---

١) راجع: د. هيكل: المرجع نفسه ص ١٣٣.
٢) جذوة المقتبس للحميدى ص ٢٦٥.
٣) برنامج الرعينى ص ٩٨.
٤) راجع عن هذا الاتجاه الشعرى (ص ٢١٥) من القسم الأول.

وقد دخلت أصول هذا الاتجاه إلى قرطبة فى فترة الإمارة، حيث اتصل نفر من شعراء الأندلس بأبى تمام، وقرأوا عليه شعره، ثم عادوا إلى قرطبة، فأدخلوا هذا الشعر. ومن هؤلاء: عثمان بن المثنى أبو عبد الملك القيسى القرطبى (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، قال عنه ابن الفرضى: «قرأ على حبيب بن أوس الطائى (أبى تمام) ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه»[١]. وقال ابن سعيد نقلا عن ابن حيان: «رحل ولقى أبا تمام الطائى، وأخذ عنه شعره»[٢]. ومنهم أيضا مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس القرطبى (المتوفى٢٦٧هـ/٨٨٠م)، قال عنه ابن سعيد فى "المغرب فى حلى المغرب": «فحل شعراء قرطبة، كان يهاجى ثمانية عشر شاعرا فيعلوهم، ورحل إلى المشرق فلقى أبا تمام وروى عنه شعره، وكان يقرأ عليه بالأندلس، وقرأ عليه يوما أحد المتعلمين قول أبى تمام:

أرض خلعـــت خلعى خاتمى فيهـــا وطلقت الســـرور ثلاثا

فقال له: من سرور هذه أصلحك الله؟، فقال: هى امرأة حبيب (أبى تمام)، وقد رأيتها ببغداد»[٣].

ومن مظاهر الاهتمام بشعر أبى تمام فى قرطبة ما ذكره بعض الرواة من عناية الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) به وتكليفه جماعة من العلماء والأدباء بانتساخه[٤]. وقام الشاعر وليد بن عيسى بن حارث أبو العباس المعروف بالطينجى (المتوفى ٣٥٢هـ/٩٦٣م) بشرح شعر أبى تمام وشعر مسلم بن الوليد، فأخذ الناس عنه هذه الشروح[٥].

ولعل من مظاهر الاتجاه المحافظ الجديد فى الأندلس ما نراه من إقبال بعض مؤلفى فترة الخلافة بقرطبة على أشعار هذا الاتجاه المشرقى كما فعل ابن عبد ربه. أحمد بن محمد بن عبد ربه (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م) فى كتابه "العقد الفريد"، حيث أورد شواهد عديدة من أشعار أبى تمام والبحترى وابن المعتز[٦]. وإن القارئ لكتاب "العقد" والمتأمل فى أشعاره يدرك

---

١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٤٦.
٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١١٢.
٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١٣٢.
٤) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨٢.
٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ١٥٩/٢، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٣٠٤.
٦) راجع على سبيل المثال (ج١ص ٧٣، ١٨٣، ٢٣٧، ٢٤٨، ج٤ ص ١٩٥، ج٥ ص ١٢٧، ج٦ ص ١٣٨، ١٧٣، ٣٧٧).

اطلاع مؤلفه على بعض كتب الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وأشعار الجاهليين والإسلاميين.

وليس من شك فى أن **دخول "ديوان المتنبى" إلى الأندلس** فى فترة الخلافة كان من أهم العوامل التى زادت من اهتمام الشعراء الأندلسيين بهذا الاتجاه المحافظ الجديد، فالمتنبى كان من أشعر شعراء العربية فى عصره، وكان اسمه يجلجل فى المغرب، كما كان يملأ الأسماع والقلوب فى المشرق، ودخول شعره إلى الأندلس قد أثار اهتمام الأندلسيين بالاتجاه الشعرى الذى يسير فيه، وبالمذهب الفنى الذى يأخذ به. وكان دخول ديوانه إلى الأندلس عن طريق أهل المغرب الإسلامى ممن اتصلوا بأبى الطيب فى المشرق ورووا شعره هناك ثم دخلوا به الأندلس، وفى مقدمة هؤلاء زكريا بن بكر بن أحمد الغسانى المعروف بالأشج، من أهل تيهرت (تاهرت)، دخل قرطبة سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م، ثم رحل إلى المشرق ودخل مصر، فلقى بها المتنبى، وأخذ عنه ديوان شعره رواية، ثم انصرف إلى الأندلس، وأذاع بها هذا الديوان، ولم يزل مقيما بقرطبة إلى أن توفى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م[١]. ومنهم أيضا الوزير أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج القرشى القرطبى المعروف بابن الإفليلى (٣٥٢-٤٤١هـ/٩٦٣-١٠٤٩م) قال عنه ابن بشكوال فى "الصلة": «كان حافظا للأشعار واللغة، قائما عليهما، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائى (أبى تمام) وأبى الطيب المتنبى، كثير العناية بهما خاصة»[٢]، ويروى شعرهما من طريق أبى على القالى البغدادى نزيل قرطبة[٣]. وللإفليلى "شرح" على ديوان المتنبى وصفه ابن حزم بأنه «حسن جدا»[٤]، وقد سبق ذكره فى هذا الفصل.

أما عن تأثر الشعراء الأندلسيين بهذا الاتجاه الشعرى بالفعل فقد ذهب الدكتور هيكل إلى القول بأنه قد «ظهرت فى فترة الخلافة أشعار أندلسية تسير فى هذا الاتجاه المحافظ الجديد، وتبدو فيه خصائصه فى المنهج والروح واللغة والموسيقى والأفكار والصور والصياغة والأسلوب، بل إن بعض أشعار الأندلسيين قد تأثرت بأشعار أعلام هذا الاتجاه من المشارقة، فجاءت حينا وفيها نبضات من ذكاء أبى تمام فى تقطير المعانى والاهتمام بالبديع، وحينا نفحات من روح البحترى فى تأليف الصور والعناية بالبيان، ثم فيها مرة وثبات من ذهنية ابن الرومى (المتوفى ٢٨٣هـ/٨٩٦م) فى تحليله وتفصيله واستقصائه واحتجاجه، ومرة لمسات من أناقة ابن المعتز (المتوفى ٢٩٦هـ/٩٠٨م) فى تشبيهاته المترفة، وأخيرا فيها قبسات من عبقرية أبى الطيب

---

١) ابن الفرضى ١/ ١٧٩ - ١٨٠.
٢) الصلة لابن بشكوال ص ٩٣.
٣) فهرسة ابن خير ص ٤٠٢ - ٤٠٣.
٤) المقرى: نفح الطيب ٣/١٧٣.

فى سبرة للنفوس وتحليله للمشاعر وبلورته للتجارب»[١].

هذا، وقد عرض الباحث المذكور بعض النماذج التى تؤيد ظهور الاتجاه المحافظ الجديد فى الشعر الأندلسى خلال فترة الخلافة، كما تؤيد معرفة الشعراء الأندلسيين بآثار إخوانهم البغداديين من أعلام هذا الاتجاه وتأثرهم بهم تأثرا لم تلغ معه شخصيتهم الأندلسية[٢]. وفى هذا الصدد يقول المستشرق الإسبانى الكبير (إميليو غرسيه غومث): «وعندما يحين الأوان لوضع دراسة منهجية وعلمية عن تاريخ الأدب فى الغرب الإسلامى فمن الضرورى أن نأخذ بعين الاعتبار احتكاكه بشعر المتنبى، وأن نحدد فى دقة تأثيره على بعض شعراء هذا الجانب من العالم الإسلامى»[٣].

وأبرز الشعراء الأندلسيين الذين تأثروا بالمتنبى وطريقته: أحمد بن محمد بن دراج، أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلى (المتوفى قريبا من ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، كان يسمى "متنبى الغرب"، وعده ابن حزم الأندلسى من مفاخر الأندلس وقال عنه: «لو قلت: لو لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد»، وقال أيضا: «لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد ابن دراج لما تأخر عن شأو حبيب (أبى تمام) والمتنبى»[٤]. وعنه يقول الدكتور إحسان عباس: «إليه انتهت الطريقة التى اختارها الأندلسيون وارتضوها بعد (الحكم الغزال)، وعنده بلغت آخر الشوط فى تطورها وتعقدها والتوائها، لأنه جمع بين أبى تمام والمتنبى»[٥].

وقد قام الدكتور أحمد هيكل بدراسة شعر ابن دراج، وخلص إلى أن شعره - من الناحية الفنية - يبلغ الذروة من الاتجاه المحافظ الجديد، وتتضح فيه معالم هذا الاتجاه بأكمل ما يكون الاتضاح، حتى ليمكن أن يعتبر ابن دراج قمة هذا الاتجاه فى الأندلس فى أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل الخامس وعلى الرغم من أنه كان يسير فى ذلك الاتجاه فقد كانت له مميزات خاصة تجعل لشعره شخصية ذات سمات واضحة بين أشعار الآخرين من أصحاب الاتجاه المحافظ الجديد من الأندلسيين والمشرقيين[٦].

---

١) أحمد هيكل: الأدب الأندلسى ص ١٩٩.
٢) أحمد هيكل: المرجع السابق ص ٢٠٠ - ٢٠١.
٣) إميليو غرسيه غومث: مع شعراء الأندلس والمتنبى - ص ٤٨ (ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى - دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٤) جذوة المقتبس للحميدى ص ١٨٢، بغية الملتمس للضبى ص ١٦١.
٥) د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى - عصر سيادة قرطبة ص ٢٠٦ - ٢٠٧.
٦) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ٣٢١ - ٣٢٢.

ولم يلبث أن ظهر بالمشرق أبو العلاء المعرى (المتوفى ٤٤٦هـ/١٠٥٧م)، وانتقل كثير من شعره وكتبه إلى الأندلس، وبان أثره على الشعراء والكتاب الأندلسيين، وإن كان تأثيره فى الكتاب أظهر. وقد كان أثر المتنبى والمعرى فى الشعر الأندلسى واضحا من وجهتين: **الأولى**: ما كان فى شعرهما من جزالة وفخامة. **والثانية**: ما ظهر فيه من آثار التفلسف. وإذا كان الأثر الأول واضحا لدى كل مقلديهما ومن اقتص أثرهما فإن الجانب الآخر كان وقفا على فئة محدودة من الأندلسيين، مثل ابن وهبون وأبى عامر الشنتريني وغيرهما[١].

شعراء بغداديون فى قرطبة:

لقد وقف الأندلسيون على حركة التجديد التى شهدتها بغداد فى الشعر العربى ووصلت إليهم عن طريقين:

الطريق الأول: هو رحلة بعض الأندلسيين - وخاصة من قرطبة - إلى بغداد، والاتصال بعدد من الشعراء من أمثال أبى نواس وأبى تمام والمتنبى والعودة بالدواوين الشعرية المختلفة كما مر آنفا.

والطريق الثانى: قدوم بعض العراقيين إلى قرطبة حاملين معهم هذه الاتجاهات الشعرية فساعدوا على ترسيخها فى البيئة الأندلسية.

ومن هؤلاء الوافدين: الشاعر إبراهيم بن سليمان الذى دخل الأندلس فى أواخر أيام الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)، وكان قد أدرك بالمشرق كبار الشعراء كأبى نواس وأبى العتاهية[٢]. ومن الوافدين أيضا من بغداد على الأندلس فى عهد إمارة محمد ابن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م): أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيبانى، المعروف بالرياضى كان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين، لقى من الأدباء واللغويين الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة، ولقى من الشعراء أبا تمام والبحترى ودعبلا الخزاعى وغيرهم. وكان أديبا شاعرا، وعنه رواية لشعر أبى تمام فى الأندلس[٣].

ووفد على المنصور محمد بن أبى عامر وحظى بالأدب عنده: الشاعر البغدادى طاهر ابن محمد المعروف بابن المهند، يقال: إنه من سلالة أحمد بن أبى طاهر طيفور صاحب "تاريخ بغداد" وقد أورد له الحميدى فى "جذوة المقتبس" مقطوعة شعرية تدل على براعته[٤].

---

١) تاريخ الأدب الأندلسى (عصر الطوائف والمرابطين) للدكتور إحسان عباس ص ١٢٧ - ١٢٨.
٢) المقرى: نفح الطيب ٣/١٢١.
٣) ابن الأبار: التكملة ١/١٧٣-١٧٤، المقرى: نفح الطيب ٣/١٣٤-١٣٥.
٤) جذوة المقتبس ١/٣٨٣-٣٨٤.

وفى عصر الفتنة التى وقعت بين الأمراء ورجال الدولة والبربر والتى أصابت قرطبة بالدمار والتخريب وهزت جميع قواعد النهضة العلمية التى ازدهرت على عهد الناصر والمستنصر والحاجب المنصور بن أبى عامر، واضطربت موازين الأمور - أقول: فى مثل هذه الظروف الحرجة والصراع المستمر وفد على الأندلس سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م الشاعر الكاتب ابن زريق البغدادى، أى فى السنة التى كان فيها الخليفة الأموى هشام المعتمد بالله (٤١٨-٤٢٢هـ/١٠٢٧-١٠٣٠م) متوليا، وهو آخر خليفة أموى. وكان هو ووزيره الحكم بن سعيد القزار منشغلين عن الشعر والشعراء بفرض الضرائب وإساءة معاملة الرعية[١]. ولم ينل هذا الشاعر ما يستحق الذكر، فما كان إلا الانزواء.

ويبدو أن الوزير المذكور أراد أن يراه مرة أخرى، فسأل عنه فتفقدوه فى الخان الذى يترل فيه فوجدوه ميتا وعند رأسه رقعة كتب فيها قصيدة يتشوق فيها إلى بغداد قائلا:

أستودع الله فى بغداد لى قمرا ... بالكرخ[٢] من تلك الأزرار مطلعه

ودعتـــــه وبودى لم يودعنى ... صفـــــو الحياة وأنى لا أودعه[٣]

وقد حظيت هذه القصيدة بالقبول والرضا بين الأندلسيين، فعارضها ابن حزم الأندلسى القرطبى بقصيدة من وزنها ورويها[٤].

تعقيب ومقارنة: وفى ختام هذا المبحث يتضح لنا ما يلى:

(١) إننا لا نغالى إذا قلنا: إن الأدب الأندلسى مدين فى نهضته إلى حد كبير للأدب العربى المشرقى، وقد اتجهت قرطبة إلى بغداد - شأنها فى ذلك شأن الأقاليم الأخرى - لتغترف مما يصدر عنها من اتجاهات شعرية ونتاجات أدبية، ومحاولة نقلها أو استنساخها، واستدعاء أدباء المشرق من أجل تنشيط الحركة الأدبية فى الأندلس.

(٢) وعلى الرغم من أن المدارس (أو الاتجاهات) الفنية المشرقية انتقلت إلى الأندلس وعرفت فى حينها، وتأثر بها الشعراء والأدباء الأندلسيون وانقسموا إزاءها بين أنصار لهذا المذهب أو لذاك، فإن هذا التأثر «لم يكن بالضرورة ليظهر مع ظهوره فى المشرق ويخفت مع

---

١) راجع المقصود عن ذلك: أعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب ص ١٣٨-١٣٩، (ط بيروت - دار المكشوب - ط٢/١٩٥٦م بتحقيق ليفى بروفنسال).

٢) الكرخ: محلة فى بغداد.

٣) د. محسن جمال الدين:أدباء بغداديون فى الأندلس (ط بغداد ١٩٦٢م) ص ٢٦.

٤) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى ص ٣٢٠.

خفوته، بل إن الأندلسيين تفاعلوا بهذه العوارض حسب ظروفهم الخاصة، ولم يتخذ التحزُّب لفريق دون آخر صورة ما حدث فى المشرق، فى حين نلاحظ فى المشرق اتضاح المذاهب الفنية وتسلسلها التاريخى الواضح»[١].

(٣) وثمة ملاحظة مهمة تتعلق بخاصية من خصائص الشعر الأندلسى بوجه عام؛ وهى أن أغراض هذا الشعر وفنونه قد غطّت لكل مرافق الحياة، ونظم شعر الأندلس فى كل ما نظم فيه شعراء المشرق من مدح وهجاء وفخر وحماسة وتهنئة ورثاء ووصف وغزل وخمر وندمان ونساء وعبث وزهد وتصوف، غير أن الأندلسيين فاقوا المشارقة فى بعض الأغراض الشعرية، ونقصوا عنهم فى أغراض أخرى وذلك لأسباب اقتضتها طبيعة إقليمهم ونظام معيشتهم وطريقة تثقيفهم. ومن الأغراض الجديدة التى برعوا فيها: رثاء الممالك الزائلة، ونظم العلوم والفنون. ومن الأغراض التى قصر فيها الأندلسيون المشارقة ولم يجاروهم فيها: الشعر المشتمل على الحِكَم، وفى ذلك يقول "إميليو غرسيه غُومِس": «إن الشعر الأندلسى عامة - فيما خلا بضع شواذ - فقير جداً من الناحية الذهنية التفكيرية، ومن دلائل ذلك أن الناحية التى تأثروا بها من المتنبى كانت ناحية البراعة، لا ناحية التفكير...»[٢].

(٤) وإذا كانت الأكثرية من الشعراء الأندلسيين قد نسجوا على غرار شعراء المشرق - على اختلاف اتجاهاتهم - فإن قلّة من شعراء الأندلس تأثروا بطبيعة بلادهم فاختلف شعرهم عن شعراء المشرق من حيث الإلهام والصور. ومن ناحية أخرى كان عدد شعراء الأندلس كثيراً، وكان شعرهم ناضجاً فى عمومه يعبر عن الإسلام فى ذلك العهد، ولكنهم على كثرة عددهم لم ينبغ فيهم شاعر عبقرى يعادل أبا الطيب المتنبى أوأبا العلاء المعرى[٣].

(٥) وإذا كانت قرطبة قد أخذت من بغداد حركة التجديد فى الأدب العربى فإنها أعطت المشرق كله شعراً جميلاً يسمى "الموشحات" وآخر شعبياً يسمى "الأزجال" لتردّ - ولو من باب الوفاء - ما عليها من دَيْن.

***

١) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٢٧٠.

٢) إميليو غرسيه غومس: الشعر الأندلسى بحث فى تطوره وخصائصه ص ٢٥، (ترجمة حسين مؤنس/عن الإسبانية)، وراجع قصة الأدب الأندلسى ص ٦٧-٦٨.

٣) راجع قصة الأدب الأندلسى ص ٦٢.

ثانيا: النثر الفنى فى الأندلس ومحاكاته للنثر المشرقى[١]:

بدايات النثر الفنى فى الأندلس:

كان حظ النثر الفنى فى **عصر الولاة بالأندلس (٩٣-١٣٨هـ/٧١٢-٧٥٥م)** ضئيلا، بل ربما كان هذا الحظ - على ضآلته - أوفر من حظ الشعر. وقد حفظت لنا المراجع قليلا جدا من كتابات تلك الفترة، كما حفظت لنا أيضا بعض أسماء الكتاب القليلين مثل خالد ابن يزيد (كاتب يوسف الفهرى آخر الولاة) وأمية بن زيد الذى دخل الأندلس مع جنود بلج ابن بشر. وإذا جاز لنا أن نتصور النثر الفنى فى فترة الولاة فإننا نتصوره نثرا يتناول - فى خطبه - مسائل الدين وشئون السياسة وأمور القبائل، ويعالج - فى كتابته - العهود والرسائل والتوقيعات وكل ذلك مما تقتضيه طبيعة تلك الفترة وتتطلبه ظروفها.

أما عن خصائصه الفنية فهى خصائص النثر المشرقى الذى كان معروفا فى عصر بنى أمية بميله إلى الإيجاز والعناية بقوة العبارة أكثر من العناية بتجميلها، والبعد عن المقدمات الطويلة والرسوم المرعية التى عرفت فيما بعد مع العصر العباسى، والسبب فى ذلك أن الناثرين الأندلسيين - كالشعراء فى فترة الولاة - كانوا جميعا مشارقة الأصل والثقافة، ومن شأنهم أن يسيروا على ما عرفوا فى المشرق من أساليب[٢].

وفى فترة تأسيس الإمارة الأموية (١٣٨-٢٠٦هـ/٧٥٥-٨٢٢م) لم يختلف النثر كثيرا - من حيث نوعه وفروعه، وهى فروع تلائم حياة الأندلسيين وتتناسب مع ظروفهم السياسية والاجتماعية والثقافية. كما أنه من المتعذر التفريق بين خصائص هذا النثر الأندلسى فى فترة الإمارة والنثر المشرقى الذى كان معروفا فى أيام الدولة الأموية، ولو لبعض التفريق، و لم تكن الأندلس إلى هذا الحين تعرف النثر التأليفى الذى تصاغ به المعارف الإنسانية المؤلفة فى أسلوب أدبى، لأنه يحتاج إلى مستوى ثقافى لم يكن الأندلسيون قد وصلوا إليه بعد[٣].

أما فترة صراع الإمارة وهى الفترة التى سبقت إعلان الخلافة وشهدت صراعا فى سبيل المحافظة على تلك الإمارة الأموية الناشئة (٢٠٦-٣٠٠هـ/٨٢٢-٩١٢م»[٤] - فى تلك الفترة

---

١) سبق تعريف النثر فى القسم الأول (ص ٢١٩).

٢) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٦٤-٦٧ (بتصرف واختصار).

٣) د. أحمد هيكل: المرجع السابق ص ١١٠-١١١ (بتصرف).

٤) حكم فى هذه الفترة من تاريخ الأندلس أربعة من أمراء بنى أمية الأندلسيين وهم: عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) ثم ابنه محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ) ثم حفيداه المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ) وعبد الله ابنا محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ).

نال النثر تقدما وأصاب تطورا ظهر فى كثرة الأدباء الناثرين الذين ازدحمت بهم تلك الفترة، إضافة إلى تأثر هذا النثر بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذى لمع فى أواخر العصر الأموى وهو أول من أطال الرسائل وأكثر من التحميدات[١]. ثم تأثره ثانيا بأسلوب الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ/٨٦٨م) الذى تألق فى العصر العباسى وكان صاحب مدرسة أسلوبية متميزة كما ذكرنا من قبل[٢].وقد كان الجاحظ بخاصة ذا شهرة لدى الأندلسيين، وكان لكتبه - وخاصة البيان والتبيين - حضور كبير فى المجتمع الأندلسى[٣]. ومن هنا لم يعد النثر الأندلسى فى تلك الفترة - كما كان قبل ذلك - نثرا بسيطا، إنما أصبح نثرا فنيا تتضح فيه تلك المؤثرات التى أصابت مصدره الأصلى فى (بغداد/المشرق) حين اتصل النثر هناك بتقاليد فنية أجنبية، أهمها التقاليد الفارسية[٤].

وعلى الرغم من أن النثر الأندلسى قد أصاب تقدما وتطورا فى الفترة المذكورة فإنه قد ظل مقصورا على هذا النوع الخالص، ولم يتعد ذلك إلى النوع التأليفى الذى سيظهر فى الفترة التالية، وهى فترة الخلافة الأموية[٥].

ظهور النثر التأليفى فى عصر الخلافة الأموية:

ففى فترة الخلافة (٣٠٠-٤٢٢هـ/٩١٢-١٠٣٠م) - والتى تبدأ بعهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) وابن الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) - ظهر نوع من النثر لم تعرفه الأندلس من قبل، وهو النثر التأليفى، سار جنبا إلى جنب مع النوع الذى عرفته من قبل وهو النثر الخالص.

وأهم ما يميز النثر الخالص أنه ظل متأثرا بالمذهب الجاحظى، بل زاد التأثر به عما كان عليه فى الفترة السابقة. كما أنه أخذ فى الاتجاه نحو المنهجية وانعكست فيه عظمة الأندلس فى فترة الخلافة. وكان من بين الأسماء التى لمعت فى هذا الميدان من الأدباء المقتدرين الذين وصل بعضهم إلى مرتبة الوزارة أو الحجابة: محمد بن عبد السلام بن بسيل[٦]، وعبد الله بن محمد بن

---

١) راجع ما ذكرناه عنه (ص ٢١٩).

٢) راجع بداية من (ص ٢٢١) من القسم الأول.

٣) تحدثنا من قبل عن وصول كتب الجاحظ إلى الأندلس - راجع (ص ٥٨٦).

٤) راجع د. هيكل: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٧٠ - ١٧٣ (باختصار).

٥) د. هيكل المرجع المذكور من قبل ص ١٧٣.

٦) الحلة السيراء ٢/٣٧١-٣٧٢.

أمية المعروف بابن أبى حوثـرة، وابنه عبـد الملك[١]، والوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفى (المتوفى ٣٧٢هـ/٩٨٢م)[٢]، وأبو حفص أحمد بن برد (المتوفى ٤١٨هـ/١٠٢٧م) كان ذا حظ وافر من البلاغة والأدب والشعر، رئيسا مقدما فى الدولة العامرية وبعدها[٣].

أما النثر التأليفى فقد ظهر فى صورتين أو فرعين[٤]:

الفرع الأول: التأريخ الأدبى: حيث ظهرت فى عصر الخلافة مجموعة من كتب طبقات الشعراء الأندلسيين المليئة بمزيج من التراجم والأخبار والمختارات النثرية والحديث عن الشعر والشعراء، ومن أمثلتها: "طبقات شعراء الأندلس" لعثمان بن ربيعة (المتوفى٣١٠هـ/ ٩٢٢م)[٥]، وكتاب "شعر الخلفاء من بنى أمية بالأندلس" لأبى محمد عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصارى القرطبى (المتوفى ٣٥٢هـ/٩٦٣م)، صنفه محاكاة لكتاب الصولى/البغدادى (المتوفى ٣٣٥هـ/٩٤٦م) الذى صنف كتاب "الأوراق" فى شعر خلفاء بنى العباس[٦].

والفرع الثانى: من فروع النثر التأليفى هو فرع التأليف الأدبى، ونعنى به تأليف كتب الأدب بمفهوم القرن الثالث والرابع لكلمة أدب[٧].

وأهم عملين أسهم بهما الأندلسيون فى هذا الفرع (فى فترة الخلافة) هما:

الأول: كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م). وقد تحدثنا عنه من قبل. وفى هذا الكتاب ملاحظات متناثرة للمؤلف بث فيها شيئا من آرائه فى الشعر والنثر، وتحدث عن "الخطبة" التى تفاخر بها العرب وشهرت بها مواسمهم وأعيادهم، وعقد فصلا عن التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب، وقد أسهب فى هذا الفصل فيما كان معروفا من اهتمام الكتاب بتلقين قاصدى فن الكتابة مبادئ وأصولا لا غنى لهم عنها. وكل ذلك يدخل فى صميم النثر الفنى[٨].

---

١) الحلة السيراء ٣٧٣/٢.

٢) المصدر نفسه ٢٥٧/١-٢٥٩.

٣) الحلة السيراء ٢٠٤/١-٢٠٥، الصلة لابن بشكوال ص ٣٨، الذخيرة لابن بسام القسم الأول / المجلد الأول/ ص٨٤.

٤) راجع د. أحمد هيكل: المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

٥) جذوة المقتبس للحميدى ٣٨٣/٢، الذيل والتكملة للمراكشى ١٣٣/١/٥.

٦) بغية الملتمس للضبى ٣٣٢، ٣٣٣، الصلة لابن بشكوال ص ٦٧، وراجع ما ذكرناه (ص٢٤٦، ٢٤٧) عن كتاب "الأوراق" للصولى.

٧) راجع ما ذكرناه من مؤلفات الأندلسيين فى الأدب بداية من (ص ٧٨٨) من هذا الفصل.

٨) د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٢٨٢ - ٢٨٣. وراجع العقد الفريد ٤/ص ٥٥-٥٦، ص ١٥٥، ١٨٦.

والكتاب الثانى: رسالة "التوابع والزوابع" لأبى عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبى (٣٨٢هـ-٤٢٦هـ/٩٩٢-١٠٣٤م) وهو من كبار الأدباء والنقاد والشعراء الأندلسيين. ومن أعلام الأندلس المشهورين، برع فى الكتابة النثرية، واتفق من ترجموا له على وصفه بالبراعة فى البلاغة والإنشاء، وشبهوه بعبد الحميد الكاتب فى أوانه، وبالجاحظ فى زمانه. وقال عنه الثعالبى فى "يتيمة الدهر": "نثره فى غاية الملاحة وشعره فى غاية الفصاحة"(١).

وقد كان لابن شهيد ملاحظات حول تطور النثر الفنى من عصوره الأولى إلى عصره، فهو يرى أن الكتابة النثرية الأولى تحولت إلى طريقة عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسهل بن هارون، «فالصنعة معهم أفسح باعا وأشد ذراعا وأنور شعاعا، لرجحان تلك العقول واتساع تلك القرائح فى العلوم»(٢). وبعد هذه الطريقة جاءت طريقة أخرى قام بها إبراهيم بن العباس الصولى البغدادى (المتوفى ٣٣٥هـ/٩٤٦م) ومحمد بن الزيات وغيرهما، «فرقت الطباع وخف ثقل الكلام»(٣)، ثم دخل التعقيد واعترى الكتابة شئ من التكلف(٤).

أما عن رسالته "التوابع والزوابع"(٥) - والتى سماها ابن شهيد "شجرة الفكاهة" وتناولها عدد من الباحثين بالنقد والتحليل - فهى مليئة بالنصوص النثرية التى تدل على براعته فى هذا الميدان. وناقش فيها بطريقة قصصية خيالية أدبية وبيانية عدة قضايا: مثل مترلته - هو - من شعراء قومه وكتابهم، ومترلة شعره ونثره فى الأدب العربى بعامة، وما هو الموقف من طغيان السجع على كتابة الكتاب؟، وعرج فى مواضع مختلفة لينال من خصومه من المعلمين والأدباء ورجال الدولة بلسان لاذع يتراوح بين التصريح والتلويح، كما أنه أظهر غرامه بمعارضته الكتاب والشعراء المشارقة والحرص على التفوق عليهم(٦).

---

١) يتيمة الدهر ١/٣٩٤.

٢) الذخيرة لابن بسام ١/١/٢٠٢.

٣) الذخيرة لابن بسام ١/١/٢٠٣.

٤) راجع د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٢٩٨.

٥) التوابع: جمع (تابع) و(تابعة)، وهو الجنى والجنية يكونان مع الإنسان يتبعانه حيث ذهب. والزوابع: جمع (زوبعة) وهو اسم شيطان أو رئيس للجن، ومنه سمى الإعصار زوبعة، إذ يقال فيه: شيطان مارد، وهذه الرسالة لم يبق منها إلا شذرات فى كتاب "الذخيرة" لابن بسام، راجع: زكى مبارك: النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ١/٢٥٨.

٦) راجع: د. محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ص ٣٠١، وراجع تحليلا مفصلا للتوابع والزوابع فى كتاب النثر الفنى فى القرن الرابع لزكى مبارك ١/٢٥٨ وما بعدها، وكتاب "تاريخ الأدب الأندلسى للدكتور أحمد هيكل ص ٣٧٧ - ٣٨٥.

وفى دراسة للدكتور شوقى ضيف عن الأسلوب الفنى لنثر ابن شهيد فى رسالة "التوابع والزوابع" خلص إلى أن «ابن شهيد - وإن كان أكبر أديب فى عصره - إلا أنه لم يستطع المخالفة على مذاهب المشرق ومناهجه، بل ذهب يقلد هذه المذاهب فى غير نظام ولا نسق معين»[١]. ويقول د. هيكل: «إن أسلوب ابن شهيد فيه تأثيرات لطريقة الجاحظ، ثم تأثيرات لطريقة ابن العميد، وأخيرا تأثيرات لطريقة بديع الدين الهمذانى... وقد كانت آثار بديع الزمان وطريقته معروفة لدى الأدباء الأندلسيين فى تلك الفترة، بل إن بعض كبار الكتاب الأندلسيين كابن شهيد - فى بعض رسائله المشهورة - كان مولعا بمعارضته (مقامات) بديع الزمان»[٢].

وفى عصر ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) نهضت الأندلس نهضة واسعة فى أدبها من شعر ونثر، وكأن انقسامها إلى دويلات صغيرة أهلها لنشاط أدبى واسع، إذ أصبح لكل مدينة حاكم مستقل، وسعى كل واحد - بسبب التنافس - إلى تشجيع الحركة العلمية والأدبية فى وطنه، فأضفى ذلك على العلم والأدب تقدما ورقيا كبيرا. وقد عنى كل حاكم أو أمير بأن يكون فى بلاطه أهم كاتب فى إقليمه، ومن ثم أصبحت كل مدينة تشتهر بكاتب مهم أو بطائفة من الكتاب، عرض لهم ابن بسام فى "الذخيرة" عرضا مفصلا، وذكر لهم الكثير من منثورهم.

وأهم ملاحظة على أسلوب هؤلاء الكتاب هى أنهم جميعا يلتزمون السجع التزاما، مع الاعتناء بذكر الغريب والأمثال والاقتباس من القرآن، والنزوع إلى طول الكلام والإطناب فيه، والافتنان فى التصوير والخيال[٣].

وأهم كاتب ظهر فى عصر الطوائف هو: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومى القرطبى (٣٩٤-٤٦٣هـ/١٠٠٣-١٠٧٠م)، كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة. أفاض ابن بسام فى الثناء على شعره ونثره، ووصف نثره بأنه «غريب المبانى، شعرى الألفاظ والمعانى».

والحق أن ابن زيدون كان فى شعره فريد عصره، وفى نثره فى الذروة بين أقرانه من كتاب

---

١) د. شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر الأدبى ص ٣٢٤. (دار المعارف بالقاهرة - الطبعة العاشرة).
٢) د. أحمد هيكل: المرجع السابق ص ٣٨٧. وراجع ما ذكرناه عن (فن المقامات) ص ٧٩٢.
٣) راجع د. شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٣٢٧ (ط دار المعارف بالقاهرة)، د. أحمد ضيف: بلاغة العرب فى الأندلس ١٥٠ - ١٥١.

الأندلس، ولعل ملكة الشعر والنثر لم تجتمعا معا لفرد واحد كما اجتمعتا لقلة من الأندلسيين أمثال ابن زيدون وابن شهيد (المذكور من قبل) ولسان الدين بن الخطيب (المتوفى ٧٧٦هـ) ولكن ابن زيدون يفضلهم جميعا «فقد كانت رسائله النثرية تكاد تكون شعرا؛ فيها انفعال الشاعر واهتياجه وغنائيته، وفيها عمق الكاتب وثباته وتفكره، وفيها أيضا روح العالم ورحابة أفقه وفيض معرفته»[١].

وأقرب الأدباء المشارقة شبها بابن زيدون هو أبو إسحق إبراهيم الصابى/البغدادى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م) صاحب الكتاب المشهور "بالتاجى" الذى صنفه لبنى بويه[٢]، وكلاهما يثرى الخواطر والنفوس بأسلوبه وطريقته، سواء فى الرسائل الديوانية أو المقطوعات الإخوانية أو الموضوعات الفكاهية، وكلاهما أيضا من أصحاب المشاركة فى التأليف، غير أن للصابى فضل السبق الزمنى وميزة الإبداع المبكر[٣].

وأبرع كاتب أخرجته الأندلس فى العهود التى أعقبت عصر الطوائف – حتى قيل: إنه كاتب الأرض إلى يوم العرض – هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى المعروف بلسان الدين بن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ) خصص له المقرى فى "نفح الطيب" مساحة واسعة عرض فيها عرضا واسعا لأساتذته وحياته السياسية والأدبية.

ولسان الدين بن الخطيب غزير التأليف، كتب فى كثير من الفنون العلمية والأدبية، واطلع على أكثر ما كتب فى العلوم والفنون، ولا سيما كتب التاريخ، وكان عالما وفقيها وشاعرا وكاتبا، ولكنه لم يختص بفن ولم يتفوق فى شئ تفوقه فى الأدب، حتى كان من أئمته. وله فيه رسائل كثيرة ذكرها المقرى فى "نفح الطيب"، وقد كتب فى كل نوع من انواع الكتابة رسائل أدبية وسياسية وغيرها. وأهم ما يميز كتابته: الإطناب والإطالة، والسجع، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد ضيف: «كان قدر الكتابة عنده فى الإكثار لا فى الإجادة، أو أن الإجادة كانت لا تفارق الإطالة لديه، وهذا كان أسلوب الكتاب فى تلك الأيام، وكان يختار بجانب الإطالة: السجع». وقال أيضا: «وربما كان أعظم عيب فى أسلوب ابن الخطيب تلك الإطالة المملة والسجع المتكلف. وهذه الطريقة دليل على انحطاط أسلوب النثر... لكن ذلك لا يدفعنا إلى جحود ما فى رسائله من المعانى والأفكار الصحيحة أو من الشعور بأن الكاتب يميل إلى

---

١) د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ص ٦٠٨.
٢) راجع عنه (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) من القسم الأول.
٣) د. مصطفى الشكعة: المرجع السابق ص ٦٠٩.

موضوعات كثيرة اجتماعية لم يطرقها كثير من الكتاب الأندلسيين قبله»[١].

تعقيب ومقارنة: وجملة القول عن النثر الأندلسى:

١ - كان النثر فى الأندلس يقتفى أثر قرينه فى المشرق وينسج على منواله ويسير على نهجه ويجرى فى مضماره، سواء فى تنسيق الموضوع، أوفى العناصر التى يؤلفون منها نماذجهم، وكان فى الأندلس - كما كان فى المشرق - عدد كبير من الكتاب المجيدين الذين رق أسلوبهم وراق نهجهم وأمسكوا من الكتابة بخير زمام وملكوا منها ناحية الإتقان وضروب البيان، وكان كبار كتاب الأندلس هم أنفسهم كبار شعرائها المرموقين من أمثال ابن زيدون (المتوفى ٤٦٣ هـ) وابن شهيد (المتوفى ٤٢٦هـ) وابن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ) وابن دراج القسطلى (المتوفى ٤٢١هـ) ولسان الدين بن الخطيب (المتوفى ٧٧٦هـ»[٢].

٢ - وسع النثر الأندلسى كل أساليب العرب فى المشرق من كلام مرسل سهل وعبارات يتخللها سجع غير متكلف أو كلام مسجوع متعمل. وكانت هذه الأساليب كلها ظاهرة فى جميع العصور الأندلسية، وعلى ألسنة الكتاب وأقلامهم، ما عدا العصر الأول إلى أواسط دولة بنى أمية حيث كانت الكتابة سهلة قليلة السجع[٣].

٣ - ألف علماء الأندلس فى جميع ميادين العلوم والفنون فكان اشتغالهم بالتأليف والكتابة والعلم من الأسباب التى جعلتهم يطرقون هذه الموضوعات فى كتاباتهم النثرية، فلم تقتصر الكتابة النثرية على الدواوين والرسائل قصيرة كانت أو طويلة، وإنما شملت كل شئ فى الاجتماع هناك، وكانت مظهرا لتلك المدنية والحالة العقلية والسياسية والعلمية التى شهدتها الأندلس عبر عصورها[٤].

٤ - وهناك ظاهرة مهمة تتصل بالنثر الأندلسى، وهى أن هذا النثر لا يظهر فيه كاتب كبير قبل القرن الرابع الهجرى، وذلك لأن الشخصية الأدبية للأندلس - بل وشخصيتها العلمية عامة - لم تبدأ فى البروز والنمو إلى درجة تجعله يقف فى صفوف أدباء بغداد الممتازين.

والحق أن الأندلس تبدأ نهضتها الأدبية منذ القرن الرابع الهجرى وعهد عبد الرحمن الناصر

---

١) د. أحمد ضيف: بلاغة العرب فى الأندلس ص ٢١٨. وراجع د. شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر الفنى ص ٣٣٣ وما بعدها.

٢) د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ص ٥٦٩.

٣) د. أحمد ضيف: بلاغة العرب فى الأندلس ص ٢٨.

٤) د. أحمد ضيف: المرجع نفسه ص ٢٨ - ٢٩.

وابنه الحكم المستنصر، ذلك العهد الذى ألف فيه كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وأملى فيه كتاب "الأمالى" لأبى على القالى البغدادى نزيل قرطبة. ومنذ ذلك العهد المزدهر أخذت الأندلس تشعر بشخصيتها، وتحاول أن تصور هذه الشخصية فى آثارها ونماذجها الأدبية والعلمية.

***

ننتقل الآن إلى التعرف على التراث الأندلسى فى مجال الدراسات التاريخية والجغرافية، واستكشاف ما فيه من خصوصية أندلسية.

الفصل الرابع

إنجازات الأندلسيين فى مجال الدراسات التاريخية والجغرافية

* ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول : الدراسات التاريخية.

المبحث الثانى : الدراسات الجغرافية.

المبحث الأول

الدراسات التاريخية

نبذة مختصرة عن نشأة المدرسة التاريخية فى الأندلس ودور مصر فى تأسيسها:

لم يكن ظهور علم التاريخ فى الأندلس منفصلا عن جذوره التى نشأ فيها وتطور عنها فى المشرق العربى، «ونتيجة لتوسع الدولة الإسلامية واحتوائها على ولايات وأقاليم متباعدة فقد ظهرت الحاجة فى هذه الأماكن الجديدة إلى كتابة تاريخ خاص بها، ولكن الحركة التاريخية فى هذه الأماكن النائية - وإن تميزت بميزاتها الخاصة المتأثرة بالبيئة الجديدة والأحوال الاقتصادية والاجتماعية و السياسية التى سادت فيها - لن تخرج فى أول أمرها عن الخط العام لسير الحركة التاريخية التى ابتدأت فى صدر الإسلام وانطلقت من المدارس الكبرى كالمدينة النبوية والعراق وغيرهما»[١].

وقد كانت الأندلس بعد افتتاحها تمثل إحدى هذه الولايات الكبيرة التى تأثرت بالمؤثرات المشرقية فى تدوين التاريخ، وحينما تم افتتاحها سنة ٩٢هـ/٧١١م كانت الدراسات التاريخية فى المشرق ماتزال فى بدايتها، ثم بدأت فى الانتعاش والازدهار بعد منتصف القرن الثانى الهجرى كما سبق أن قررنا فى القسم الأول من الدراسة، وحينئذ بدأت المصادر التاريخية على اختلاف تنوعها وأنماطها تتوافد على الأندلس، لاسيما فى القرن الرابع الهجرى.

وقد تحدثنا من قبل عن مجموعة من المؤلفات البغدادية (فى التاريخ العام والسيرة النبوية والأنساب والتراجم والطبقات) وصلت إلى قرطبة، وكان لهذه المؤلفات تأثير كبير فى توجيه الحركة التأريخية فى الأندلس والسير بها نحو تقليد الأنماط التاريخية التى وضعها المشارقة[٢].

---

١) د. عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس ص٧ (ط بغداد ١٩٨٨)

٢) تحدثنا فى مبحث خاص عن تأثر الأندلسيين بالحركة التاريخية فى المشرق - بداية من (ص ٥٩٢).

ولكن - وقبل أن يكون للمدرسة البغدادية القدح المعلى فى التأثير على الدراسات الأندلسية فى مجال البحث التاريخى لاسيما فى القرن الرابع الهجرى - كان لمدرسة مصر التاريخية دون باقى المدارس الإقليمية الأخرى امتداد مبكر إلى أرض الأندلس، وهذه القضية عالجها باستفاضة عدد من الباحثين المعاصرين، وانتهوا جميعا إلى نتيجة مؤداها: أن الخطوات الأولى للمدرسة التاريخية فى الأندلس وللتدوين التاريخى الأندلسى إنما استمدت معارفها ورواياتها وأخبارها الأولى نقلا عن الرواة والكتاب الأولين للتاريخ فى مصر[١]، مثل موسى بن على بن رباح (المتوفى ١٦٣هـ/٧٧٩م) عن أبيه الذى صحب موسى بن نصير فى حملته إلى الأندلس. ومثل الليث بن سعد (المتوفى ١٧٥هـ/٧٩١م) وعبد الله بن وهب (المتوفى١٩٧ هـ/٨١٢م)، ومثل سعيد بن عفير (المتوفى ٢٢٦هـ/٨٤١م) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى٢٥٧هـ/٨٧٠م).

ويعد عبد الملك بن حبيب السلمى الإلبيرى القرطبى (المتوفى٢٣٨هـ/٨٥٢م) من أوضح الأمثلة على هذا التأثير المصرى المبكر، وهو صاحب أول كتاب تاريخى يؤلفه أندلسى يتناول تاريخ بلاده، وسنعرض له بعد قليل، ثم تلته خلال القرن الثالث الهجرى محاولات رائدة أخرى فى تدوين التاريخ فى الأندلس اعتمدت على جهود المشارقة فى مصر، خاصة فيما يتعلق بأحداث الفتح الإسلامى للأندلس. وقد تقلص اعتماد الأندلسيين على المدرسة المصرية وتناقص أيضا الدور المصرى فى كتابة التاريخ الأندلسى بحلول القرن الرابع الهجرى وهو قرن شهد نموا وازدهارا فى مجال التدوين التاريخى على أرض الأندلس، «وظهر فيه مؤرخون أندلسيون حاولوا التجديد والتركيز على موضوعات خاصة بواقع الحياة فى الأندلس»[٢]، مثل أحمد بن محمد بن موسى الرازى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) والخشنى (المتوفى ٣٦١هـ/٩٧١م) وابن القوطية (المتوفى٣٦٧هـ/٩٧٧م) وغيرهم ممن سيأتى ذكرهم وذكر مؤلفاتهم فى سياق حديثنا عن اتجاهات البحث التاريخى فى التراث الأندلسى». وهذا هو موضع اهتمامنا الآن.

---

١) من الباحثين الذين عالجوا هذه الجزئية: الدكتور محمود على مكى فى دراسة قيمة تحت عنوان "مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى" منشور بالأسبانية فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد - المجلد الخامس ١٩٥٧م (ص١٥٧-٢٢٠). والدكتور عبد الواحد ذنون طه فى كتابه "نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس" (ط بغداد ١٩٨٨م) والدكتور عبد الله جمال الدين فى كتابه "التاريخ الأندلسى ومروياته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى" والدكتور محمد عبد الحميد عيسى صقر فى بحثه عن "نشأة المدرسة التاريخية فى الأندلس" - مجلة الجامعة الإسلامية - العدد الرابع والعشرون (ص٣٦١-٤٠٠).

٢) د. عبد الواحد ذنون:.المرجع السابق ص١٢.

اتجاهات البحث التاريخى فى التراث الأندلسى:

توطئة: وقد تعددت اتجاهات البحث التاريخى فى الأندلس بحيث يمكن القول: إن كل النشاط الإنسانى المؤثر فى حركة التاريخ الأندلسى كان مناط بحث دائم لدى الأندلسيين وبأشكال مختلفة. وإذا أردنا أن نصنف التراث الأندلسى فى مجال الدراسات التاريخية فسنجد أن هذا التراث لا يكاد يخرج عن أنماط أو أشكال الكتابات التأريخية التى انتهجهـــا المشارقة، الأمر الذى يدفعنا إلى الحكم على التراث الأندلسى فى هذا المجال بالتنوع والثراء.

وكما أمكن دمج كثير من الأنماط التأريخية التى كتب حولها المشارقة فى ست مجموعات بحسب المنهج الذى سلكه المؤرخون[1]، فكذلك يمكن أن نحصر الدراسات الأندلسية فى هذا المجال فى تلك المجموعات الست إضافة إلى نمطين آخرين من أنماط الحركة التأريخية فى الأندلس هما: التأريخ للدول الأندلسية التى قامت بعد انفراط عقد الخلافة الأموية بالأندلس، والتأريخ للمشرق، ومجموع هذه الاتجاهات ثمان، هى:

١ - السيرة النبوية.
٢ - التأريخ العام للأندلس.
٣ - التأريخ للدول والأسر الحاكمة بالأندلس.
٤ - التأريخ للمشرق الإسلامى. والمشرق.
٥ - التأريخ للمدن الأندلسية.
٦ - الأنساب العربية.
٧ - التراجم والطبقات لرجال الأندلس
٨ - التأريخ الحضارى (الإدارة والاقتصاد - الفكر السياسى...).

والدراسات الأندلسية التى تنتظمها هذه الأنماط التأريخية الثمان يمكن توزيعها فى النهاية على قسمين رئيسيين:

القسم الأول: تدوين التاريخ الأندلسى بأشكال وصور مختلفة. ومعظم التراث الأندلسى فى مجال البحث التاريخى يدخل فى هذا القسم، ويمكن أن نطلق عليه اسم "التأريخ المحلى" للأندلس.

والقسم الثانى: تدوين التاريخ المشرقى، ويتمثل هذا القسم بصورة خاصة فى دراسة السيرة النبوية وتاريخ رواة الحديث النبوى والأنساب العربية. وفيما يلى عرض مختصر لاتجاهات البحث التاريخى فى التراث الأندلسى، متبعين المنهج نفسه الذى سرنا عليه فى رصد

---

١) راجع ما كتبناه عن الأنماط التأريخية التى سلكها المؤرخون المشارقة (ص ٢٣٩ - ٢٤٠).

الحركة التأريخية فى مدرسة (بغداد / المشرق).

أولا: التأليف فى السيرة النبوية:

عرفنا فى موضع سابق أن الإنتاج المشرقى فى السيرة النبوية والمغازى كان أكثر حظا بعناية الأندلسيين فى النشاط الروائى لدراسة التاريخ وقد اعتمدوا بصورة أساسية على هذا الإنتاج فى مؤلفاتهم التى تناولوا فيها هذا الجانب التاريخى[١].

وقد شارك الأندلسيون فى كتابة السيرة النبوية منذ وقت مبكر، وأول نموذج تقدمه الثقافة الأندلسية فى هـذا الباب هـو الفقيه **عبد الملك بن حبيب الإلبيرى (المتوفى ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)**، فقد أفرد كتابا فى "مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢] كما أنه كتب فصولا فى السيرة فى ثنايا "تاريخه" الذى تحدثنا عنه من قبل[٣]. ويرى الدكتور محمود مكى أن القيمة العظمى لهذا الكتاب تكمن فى توجيه أنظار مواطنيه الأندلسيين إلى الاهتمام بالسيرة النبوية وتتبع أخبارها عن المحدثين والمؤرخين الثقات فى المشرق «والإنصاف يقتضينا أن نعترف لابن حبيب بأنه صاحب هذه البذرة الأولى فى عناية الأندلسيين العلمية بهذا الموضوع حتى قدرت لهم فيه بعد ذلك درجة عالية من التميز والإجادة»[٤]. والبداية الحقيقية التى تتسم بكثير من الدقة والمنهجية العلمية فى دراسة السيرة وتصنيفها بالأندلس كانت بعد مرور القرن الرابع الهجرى، وكان ذلك مرتبطا بحركة التجديد التى قام بها عدد من الفقهاء والمحدثين الأندلسيين فى مجال الفقه والحديث النبوى، وفى مقدمتهم بقى بن مخلد (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩ م) ومحمد ابن وضاح (المتوفى ٢٨٧هـ/٩٠٠م»[٥]. وما أن أظل القرن الخامس الهجرى - عصر الازدهار العلمى فى الأندلس - حتى نشطت ظاهرة التأليف وغزر الإنتاج العلمى فى جوانب المعرفة، وقد ازدان هذا القرن بجهود رائعة فى كتابة السيرة لاثنين من كبار علماء الأندلس متعاصرين ومتقاربين فى الاتجاه العلمى وهما ابن حزم وابن عبد البر.

١ - أما الإمام أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى (المتوفى ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) فقد صنف كتاب (جوامع السيرة)، ويسميه الذهبى "السيرة النبوية" وهو

---

١) راجع ما كتبناه عن انتقال كتب السيرة النبوية إلى الأندلس (ص ٥٩٦ - ٦٠١).

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ١٣/٢، فهرس ابن خير ص ٢٣١.

٣) راجع عنه (ص ٨٢٦) من هذا الفصل.

٤) د. محمود مكى: السيرة النبوية فى التراث الأندلسى-مقال بمجلة الهلال المصرية-عدد أغسطس ١٩٧٨م- ص١٠٣.

٥) سبق الحديث عن هذه الحركة التجديدية فى موضع سابق.

كتاب كبير يضم كل ما يتصل بتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم - وقد خص ابن حزم "حجة الوداع" بكتاب كبير[١] جمع فيه بين الحديث والتاريخ فى تناسق وانسجام، وضم سردا وتمحيصا لكل القضايا المتصلة بهذا الحدث[٢]. ويرى الدكتور محمود مكى أن السيرة التى كتبها ابن حزم كانت خاضعة لمنهجه النقدى، فجاءت مجردة من الأشعار والقصص، محررة فى ضوء المذهب الظاهرى الذى يدين به وينتصر له[٣].

٢ - وأما أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الذى كان مثل صديقه ابن حزم تجردا للعلم واتساعا فى وجوه المعارف ومعرفة بالحديث وأسانيده وعلله ورجاله، فقد اختص السيرة النبوية بكتابه "**الدرر فى اختصار المغازى والسير**"[٤]، اعتمد فيه على كتب من سبقوه من المشارقة كما ذكرنا من قبل[٥]. وبدأه بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وفاته ولم يتحدث عن مولده ونشأته وغير ذلك من أخباره وذلك لأنه أحال فى هذا الموضوع إلى كتابه الآخر الكبير "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب". والكتابان معا يقدمان سيرة متكاملة للرسول صلى الله عليه وسلم. وإذا عرفنا أن ابن عبد البر كان من كبار الحفاظ للحديث النبوى الذين اشتهروا بالدقة والتثبت" وأنه كان حاذقا بعلم الأنساب ومعرفة الأصحاب وضبط أسمائهم على وجهها الصحيح اتضحت لنا قيمة كتابيه (الدرر) و(الاستيعاب)»[٦].

وفى القرن السادس الهجرى يطالعنا الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمى السهيلى (المتوفى ٥٨١هـ/١١٨٥م)، وهو من أعظم أعلام الأندلس فى ميدان الكتابة حول السيرة النبوية، له فيها الكتاب المشهور بـ"**الروض الأنف والمشرع الروى فى تفسير ما اشتمل عليه كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتوى**" فى شرح سيرة ابن إسحق بتهذيب ابن هشام، وهو أشبه بموسوعة ضخمة فيها من كل علم نصيب ويدل على رسوخ

---

١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٨/١٨. والكتاب مطبوع بدار المعارف بالقاهرة بتحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأسد ومراجعة أحمد محمد شاكر وبذيله خمس رسائل أخرى لابن حزم.

٢) راجع د. عبد الحليم عويس: ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص٢٢١، ص٢٢٢.

٣) د. محمود مكى: السيرة النبوية فى التراث الأندلسى - مجلة الهلال المصرية - عدد أغسطس ١٩٧٨م- ص١٠٥.

٤) ذكره الضبى فى بغية الملتمس ص ٤٩٠، الحميدى فى جذوة المقتبس ٥٨٧/٢. والكتاب مطبوع بدار المعارف - القاهرة بتحقيق الدكتور شوقى ضيف.

٥) راجع عن ذلك (ص ٥٩٨).

٦) راجع مقدمة الدكتور شوقى ضيف لكتاب الدرر -ص١٢، ١٣.

قدم السهيلى فى كل ما عالجه من مباحث[١].

ومن أفضل كتب السيرة التى تمثل درجة عالية من النضج فى التآليف الأندلسية حول هذا الموضوع كتاب "الاكتفاء بما تضمنه من مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء" (فى أربع مجلدات) للعالم المجاهد الشهيد أبى الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى البلنسى المعروف **بالكلاعى (المتوفى ٦٣٤هـ/١٢٣٦م)**[٢]، ويبدو من عنوان الكتاب التركيز على جانب الجهاد فى سبيل الله فى سيرة الرسول الكريم وخلفائه واستخلاص العبرة من قدوتهم الحسنة، وجاء تأليفه لتأصيل هذه المعانى فى فترة اشتدت فيها وطأة الصراع بين الإسلام والمسيحية على أرض الأندلس[٣].

ويضاف إلى التراث الأندلسى مجموعة من المصادر المهمة فى السيرة النبوية منها:

- "بغية النفس الآمل فى اختصار السيرة النبوية" لأبى جعفر أحمد بن الحسين بن على الزيات الكلاعى المالقى المعروف بابن الزيات الخطيب (المتوفى ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)[٤]

- "عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير" لأبى الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الإشبيلى نزيل مصر (المتوفى ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، وهو من أجل الكتب الأندلسية فى السيرة، اعتمد فيه على كثير من الكتب الأندلسية، كالدرر لابن عبد البر. وقد اختصرها فى "نور العيون فى تلخيص سيرة الأمين المأمون"[٥].

وإلى جانب هذه المؤلفات الشاملة لحياه النبى صلى الله عليه وسلم صنف الأندلسيون بكثرة فى موضوعات وجوانب مخصوصة من السيرة النبوية الزكية، كالخصائص والشمائل والمعجزات والمولد وغير ذلك. ومن أمثلة هذه الكتب كتاب "أعلام

---

١) الرسالة المستطرفة ص١٠٧-١٠٨، وراجع د. محمود مكى: السيرة النبوية فى التراث الأندلسى - مجلة الهلال عدد أغسطس ١٩٧٨م - ص١٠٦. والكتاب مطبوع بتحقيق عبد الرحمن الوكيل نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٧م فى سبعة مجلدات.

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ص١٢٢ (ط بيروت - مجلد واحد)، المرقبة العليا للنباهى ص١١٩، الرسالة المستطرفة للكتانى ص١٩٨، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى مطبوع مع (علم التاريخ عند المسلمين) لروزنثال - ص٥٢٩.

٣) راجع د. محمود مكى: المقال المذكور ص ١٠٦، ١٠٧.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص٤٤ (ط بيروت - مجلد واحد).

٥) الرسالة المستطرفة ص١٠٩، ص١٩٧.

النبوة ودلالات الرسالة " لعبد الرحمن بن فطيس الأندلسى (المتوفى٤٠٢هـ/ ١٠١٢م) - فى عشرة أسفار، وهو من كبار علماء الأندلس ومن شيوخ ابن عبد البر القرطبى[١]. وكتاب "أعلام النبوة" لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى القرطبى (صاحب كتاب "معجم ما استعجم") (المتوفى ٤٨٧هـ/ ١٠٨٥م) وهو من تلاميذ ابن عبد البر[٢]. وكتاب (الشمائل بالنور الساطع الكامل) - فى أربعة أسفار - لأبى الحسن على بن محمد بن إبراهيم الفزارى الغرناطى المعروف بابن المعرى (المتوفى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م»[٣]، وكتاب "معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم" لأبى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدى الإشبيلى المعروف بابن الخراط (المتوفى ٥٨١هـ/١١٨٦م»[٤].

وأشهر الكتب الأندلسية فى هذا الميدان هو كتاب "**الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى**" لأبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى الأندلسى (المتوفى٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) ومن العلماء الذين يمثلون وحدة الثقافة المغربية الأندلسية. وكتابه هذا وصفه حاجى خليفة - وهو محق فى وصفه - بأنه كتاب "جليل عظيم النفع كثير البركة لم يؤلف فى الإسلام مثله"[٥].

ثانيا: التاريخ العام للأندلس:

أول محاولة أندلسية لتدوين التاريخ الأندلسى العام (عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى):

عنى الأندلسيون عناية فائقة بتدوين أحداث التاريخ الأندلسى فى كتب شاملة، تميزت فى أغلبها باتباع المنهج الحولى مع مقدمة عن تاريخ افتتاح الأندلس. وقد يتناول بعضهم فى هذه المقدمة التاريخ العالمى بدءا بتاريخ الأنبياء والرسل وسيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كما فعل عبد الملك بن حبيب السلمى الإلبيرى القرطبى (المتوفى ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) فى كتابه المسمى "بالتاريخ"[٦]، وهو أول (أو أقدم) كتاب تاريخى يؤلفه عالم أندلسى

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ٣١١-٣١٢. والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (مطبوع مع: علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال ص ٥٣٦).

٢) الصلة لابن بشكوال ص ٢٨٧، والرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٠٥.

٣) كشف الظنون لحاجى خليفة ١٠٥٩/٢.

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٧٧ (ط بيروت - مجلد واحد).

٥) كشف الظنون لحاجى خليفة ح ٢ ص ١٠٥٢ - ١٠٥٣، وراجع الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٠٦.

٦) هذا الكتاب ذكره بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ٨٦/٣. وراجع ترجمة ابن حبيب فى تاريخ ابن =

يتعرض لتاريخ بلاده، لكنه لم يزد فى القسم الأندلسى عن ذكر الفتح العربى للأندلس ومن دخلها من التابعين، «وكنا ننتظر - والقائل هو الدكتور محمود على مكى - من أول مؤرخ تنجبه أرض الأندلس أن يفيض فى الحديث عن أخبار الفتح العربى لبلده وفى تاريخها بعد الفتح، ولكن ابن حبيب مضى يفتح على نفسه باب الحديث الواسع عن قصة العالم وتاريخ الأنبياء والرسل وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وغير ذلك مما لم يكن بوسعه أن يجيده أو يقدم فيه شيئا له قيمته، فلما وصل إلى الفصول التى اختص بها الأندلس إذا به يملأ كتابه بمجموعة من الأحاديث الخرافية مما نقله عن شيوخه المدنيين والمصريين»[١]. وعلى الرغم من أن محاولة ابن حبيب هذه كانت متواضعة فإنها كانت فى الوقت نفسه طموحه وتدعو إلى الإعجاب بهذا العالم الذى أراد أن يؤكد قوميته الأندلسية منذ وقت مبكر فى ميدان العمل الثقافى والفكرى[٢].

ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):

وقد برز فى القرن الرابع الهجرى أحد علماء النحو واللغة صنف فى تاريخ الأندلس، وهو: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى القرطبى المعروف بابن القوطية (المتوفى ٣٦٧هـ/٩٧٧م) كان حافظا لأخبار الأندلس وسير أمرائها وأحوال رجالها. وله - إلى جانب مؤلفاته فى اللغة - كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"[٣]. وهذا الكتاب - وإن كان جمعه أحد تلاميذ ابن القوطية كما يدل عليه سياق الأحداث - فإنه يعد من أهم الكتب الأندلسية التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى، «ومن المحاولات الرائدة الأولى فى التدوين التاريخى فى

= الفرضى ١/٣١٢-٣١٥، طبقات الزبيدى ٢٦٠-٢٦١، ترتيب المدارك ٢/٣٠-٤٨، جذوة المقتبس ٢/٤٤٧، الديباج المذهب ٢/٥-٨، سير أعلام النبلاء ١٢/١٠٢-١٠٧، تهذيب التهذيب ٦/٣٩٠، طبقات المفسرين للداودى ١/١٤٣ وغيرها.

١) د. محمود على مكى: مقدمة تحقيقه لقطعة من كتاب (المقتبس من أنباء أهل الأندلس) لابن حيان القرطبى - دار الكتاب العربى، بيروت ص١٠٥. وقد نشر الدكتور مكى دراسة مفصلة عن تاريخ ابن حبيب مع نشر الفصول الخاصة منه بالأندلس فى بحث بعنوان: "مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى" فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس (ص١٥٧-٢٤٣). وللدكتور عبد الله جمال الدين دراسة أخرى لكتاب ابن حبيب فى (التاريخ الأندلسى تدوينه ومروياته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى" (ص٤١ وما بعدها). وراجع (نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس) للدكتور عبد الواحد ذنون -ص٧-١٠، (تاريخ الفكر الأندلسى) لجنثالث بالنثيا ص١٩٣-١٩٦.

٢) د. محمود مكى: المرجع نفسه ص١٠٤.

٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ٢/٧٨-٧٩، ترتيب المدارك ٤/٥٥٣-٥٠٤، الديباج المذهب ٢/ ٢١٧-٢١٨.

الأندلس لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسى ومحاولة مؤلفه رسم صورة واقعية للأحداث التى مرت على بلده»[١]. وقد يتناول الأحداث التاريخية التى مر بها الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد، أى إلى سنه ٢٩٩هـ/ ٩١٢ م).

دور أسرة الرازى فى تأسيس علم التاريخ بالأندلس:

(١) أحمد بن موسى الرازى (مؤرخ الأندلس الأول بلا منازع) [٢٧٤ - ٣٤٤هـ/ ٨٨٧ - ٩٥٥م].

وأما الإجادة الحقيقية فى حركة التدوين التاريخى بالأندلس فهى تتمثل فى (بنى الرازى) الذين توارثوا الاهتمام بتسجيل التاريخ الأندلسى منذ جدهم محمد بن موسى الرازى (المتوفى ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م).

ويعد أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط الرازى الكنانى أبو بكر القرطبى (المتوفى ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) «أبا التاريخ والجغرافيا فى الأندلس فى آن واحد» كما يقول الدكتور حسين مؤنس الذى يضيف إلى ذلك قائلا: «.... ولا تقتصر أهمية عمله فى هذا الباب على ما كتبه بنفسه - وهو كثير - بل تشمل الحركة التى قادها والأسس التى وضعها وسار عليها من أتى بعده، وستكون كتبه المعين الذى سيستقى منه كل مؤرخى الأندلس وجغرافييه فيما بعد، والمدرسة التى سيمضى التأليف (التأريخى) فى الأندلس على أصولها إلى آخر أيام الأندلس الإسلامى»[٢].

وبعيدا عن إنتاجه الجغرافى - والذى سنتناوله فى المبحث التالى - فقد صنف الرازى فى التاريخ العام للأندلس كتابا سماه ابن حزم "أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم"[٣] وذكره الزبيدى باسم "أخبار أهل الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها"، ثم وصفه بقوله "بلغ فيه الغاية من الإيعاب والتقصى"[٤]. وهذه العبارة الأخيرة توحى بأن كتاب الرازى

---

١) د. عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس ص ١٧ - ١٨. وراجع بحثا للدكتور أحمد مختار العبادى: من التراث العربى الإسبانى، نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإسبانية التى تأثرت بها - مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن (١٩٧٧م) - ص ٤٢، جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٢٠٢ - ٢٠٦.

٢) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٥٦.

٣) المقرى: نفح الطيب ١٧٣/٣ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس).

٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٣٠٢. وراجع تاريخ ابن الفرضى ٥٤/١، ٨٧/٢.

كبير، ومن المؤكد أنه اختصره فى الكتاب الذى ذكره ابن بشكوال له بعنوان "التاريخ الأوسط فى أخبار الأندلس"[١]، وقد أشار ابن الفرضى بما يفيد أن الرازى له عدة كتب فى تاريخ الأندلس[٢]، ولذلك لقب (بالتاريخى) لكثرة مؤلفاته فى هذا الميدان.

وقد غطت مؤلفاته التاريخ الأندلسى كله إلى العصر الذى عاش فيه، لكن ذهبت هذه المؤلفات جميعها مع الكثير من كتب الأندلس، نتيجة لما تعرضت له البلاد من أحداث. إلا أن العديد من المؤرخين الأندلسيين - وبعض المؤرخين المشارقة - اقتبسوا فى مؤلفاتهم الكثير من رواياته ونصوصه، كابن حيان (ت ٤٦٩هـ) وابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) وابن عذارى (توفى فى نهاية القرن السابع الهجرى) والمقرى (ت ١٠٤١ هـ) وغيرهم.

ويمكن أن نسجل هنا شيئا من المميزات التى تمتاز بها كتابات الرازى عن تاريخ الأندلس، وذلك من وحى النصوص التى نقلها عنه ابن حيان فى "المقتبس"[٣]. فمن ذلك[٤]: أن معلوماته لا تقتصر على السرد التاريخى المجرد، بل إنه يحلل الوقائع أحيانا ويبين رأيه فى أسباب الأحداث ونتائجها، وهو دقيق فى ذكر تواريخ الأحداث المهمة التى يرويها باليوم والشهر والسنة. كما أنه لا يكتفى بذكر الأخبار التاريخية الصرفة، وإنما يكثر من إيراد المعلومات الخاصة بالعمران. وتمتد غزارة معلوماته لتشمل معظم مظاهر الحياة للعصور التى يؤرخ لها، فهو - وإن كان على عادة مؤرخى العصور يكثر من الحديث عن الأمراء والملوك - لكنه فى الوقت نفسه يورد معلومات قيمة عن عهودهم، فيذكر حجاب الأمير الذى يؤرخ له، ووزراءه وأصحاب شرطته وقضاته، والعلماء فى عهده وموقفه منهم، واهتمامه بهم وتكريمه لهم، ويتكلم أيضا عن غزوات الأمير وصوائفه وكيفية استنفاره للمتطوعة من أهل قرطبة. وعن مواقفه من حركات التمرد المختلفة، وعلاقاته مع الدول الخارجية.

(٢) عيسى بن أحمد بن موسى الرازى القرطبى (ت ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ م):

وعمدة من جاء بعد أحمد بن موسى الرازى من المؤرخين الأندلسيين هو ابنه عيسى ابن

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ٤٦٨.

٢) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١ / ٥٤.

٣) راجع بعض نصوص الرازى التى اقتبسها ابن حيان فى (المقتبس) - تحقيق محمود مكى - ص ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٣٨، ٣٩، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ١٠٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٦٢-١٦٤، ١٦٦، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥-٢٧٨، ٣٠٤، ص٣٠٧، والقطعة التى نشرها د. عبد الرحمن الحجى من (المقتبس) ص ٢٤٣، ص ٢٤٦. والقطعة التى نشرها شالميتا (مدريد ١٩٧٩ م) ص ١٦، ٢٤، ص١٥٦، ص٢٠٧، ٢٢١، ٢٣١ ومواضع أخرى كثيرة.

٤) وراجع د. عبد الواحد ذنون: نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس ص ٣٠ - ٣٢.

أحمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ م)، فقد تولى تدوين تاريخ الأندلس إلى عصره، وأكمل ما بدأه والده، وألف كتابا فى التاريخ العام للأندلس وصفه ابن عبد الملك المراكشى بأنه «تاريخ ممتع» وقد أهداه للخليفة المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ)[١]. وهذا الكتاب مفقود، لكن اعتمد عليه المؤرخون الذين جاءوا بعده أمثال ابن حيان الذى نقل عنه فى (المقتبس) بإعجاب كبير أحداث الأندلس فى مراحل مختلفة وفترات متواصلة[٢]. ونقل عنه أيضا كل من ابن عذارى فى "البيان المغرب"، وابن الأبار فى "الحلة السيراء" وغيرهم.

ومن المؤكد أن عيسى الرازى لم يكتف بتكملة كتاب والده أحمد، بل ابتدأ مؤلفه الجديد منذ الأحداث الأولى التى مرت على الوجود العربى فى الأندلس. ويتبين من النصوص المتبقية من تاريخه أنه اتبع طريقة الحوليات فى تأليف الكتاب، فقد رتب الأحداث حسب السنوات الهجرية[٣]. لكن هذه الطريقة لم تمنعه من الاسترسال فى سرد أخبار عامة تتعلق بمختلف نواحى الحياة فى المجتمع الأندلسى[٤].

عريب بن سعد القرطبى (المتوفى فى حدود سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠ م):

ومن المحاولات الرائدة التى جمعت بين التاريخ المشرقى والأندلسى كتاب "التاريخ" الذى وضعه العالم القرطبى عريب بن سعد (المتوفى فى حدود سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م). وهذا العالم - إلى جانب اشتغاله بالتاريخ - كان طبيبا وأديبا شاعرا، وله فى الطب مؤلفات يفخر بها الأندلسيون[٥]، وقد دخل فى خدمة الدولة، واتخذه الحكم المستنصر كاتبا[٦].

---

١) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى السفر الخامس /القسم الثانى ص٤٩١. وقد صنف عيسى الرازى كتابين للحاجب المنصور بن أبى عامر، أحدهما فى (الوزراء) والآخر فى (الحجاب)، وسيأتى ذكرهما فى موضع آخر - راجع (ص ٨٥٨).

٢) راجع المقتبس (محمود على مكى) ص ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١٧٦، ٢٦٥، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٩٣، وراجع القطعة التى نشرها المستشرق الأسبانى (شالميتا) [مدريد ١٩٧٩] ص ١٨٠، ٢٠٥، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٦٦، ٢٨١، ٢٩٥، ٣٠١، والقطعة التى نشرها د. إسماعيل العربى (دار الآفاق الجديدة، المغرب ١٩٩٠م) ص ١٥، ٢٠، ٥٤، ٧٢، ٧٨، ٨٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٠.

٣) انظر المقتبس (تحقيق محمود مكى) ص ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٦٠، ٣٧٩، ٣٩٣، المقتبس (تحقيق شالميتا) ص ٣٥٧ - ٣٦٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٣٦

٤) راجع المقتبس (تحقيق د. عبد الرحمن الحجى) ص٦٢-٦٣. وراجع د. عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس ص ٤٢.

٥) سيأتى ذكره فى المبحث الخاص بالتراث الأندلسى فى علم الطب والصيدلة - راجع (ص ٩١٠)، (ص ٩٣٢).

٦) راجع ترجمة عريب بن سعد فى الذيل والتكملة السفر الخامس، القسم الأول ص ٤٤٣ - ١٤٥، تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

وكتابه "التاريخ" عبارة عن اختصار لتاريخ الطبرى، ثم ذيل عليه إلى سنة ٣١٩هـ/ ٩٣٢م، وأضاف إليه أخبار المغرب والأندلس[١]. ويبدو أن اهتمام "عريب بن سعد" بهذه الإضافة يرجع إلى أن الطبرى لم يهتم إلا بتاريخ المشرق بصفة خاصة. وهذا الجزء الأندلسى لا نعرف عنه شيئاً سوى ما نقله عنه بعض المؤرخين الأندلسيين والمغاربة كابن حيان فى "المقتبس"، وابن حزم فى "جمهرة أنساب العرب" وابن عبد البر فى "الاستيعاب" وابن عذارى فى "البيان المغرب" ولسان الدين بن الخطيب فى "أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" وتدل هذه النقول على أن عريب بن سَعْد انفرد بروايات تاريخية هامة، وأنه تتبع تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى للعدوتين ورتبه على السنين[٢]. ولعل مما يميز هذا الكتاب عن غيره من كتب الأندلسيين أنه جمع بين تاريخ الإقليمين: المغرب والأندلس، فى حين اقتصر غيره على تدوين التاريخ الأندلسى فحسب، كابن القوطية وأحمد الرازى وولده عيسى الرازى.

ابن حيان أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦م):

وعلى الرغم من ظهور بعض المؤرخين الأندلسيين الذين صنّفوا كتباً فى التاريخ العام للأندلس بعد أحمد بن محمد بن موسى الرازى وولده عيسى (اللذيْن يمثلان قمة ما وصل إليه التدوين التاريخى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى) فإنهم لم يستطيعوا أن يحدثوا نقلة نوعية جديدة فى مسار هذا الاتجاه التأريخى واستمروا فى السير على طريقة من سبقوهم من المؤرخين فى مجال التأليف. "وهكذا ظلت مؤلفات أحمد وعيسى الرازى هى الأساس الذى تستند إليه

---

١) الذيل والتكملة ١٤٢/١/٥، نفح الطيب للمقرى ٣ / ١٨٢.

٢) راجع نصوصاً من تاريخ عريب بن سعد نقلها كل من ابن حيان فى (المقتبس) [تحقيق شالميتا] ص٦٥ -٦٨، ص١٦١-١٦٩ - (البيان المغرب) ح١ ص٢، ص ٧٧، ح٢ ص٤، ولسان الدين بن الخطيب فى أعمال الأعلام ص٢٠ (أحداث سنة ٢٠٨) وابن حزم فى (الجمهرة) ص٦٢، وابن عبد البر فى (الاستيعاب) ١٥٦/١، ١٣٦٢/٣ (ط نهضة مصر ١٣٨٠ هـ). ومن الجدير بالذكر أن المستشرق الألمانى (دوزى) اطلع على نسخة مخطوطة بمكتبة (غوطا) بألمانيا (تحت رقم ١٥٥٤) بعنوان (صلة تاريخ الطبرى) لعريب بن سعد تبدأ بحوادث سنة ٢٩١ هـ، وتنتهى بحوادث سنة ٣٢٠ هـ، ونقل منها ما يختص بأخبار إفريقية والأندلس، وألحقه بكتاب (البيان المغرب) لابن عذارى الذى قام بتحقيقه ونشره [راجع: ذيول تاريخ الطبرى - مقدمة المحقق (محمد أبو الفضل إبراهيم) ص٥ (دار المعارف)].

كل المحاولات التالية"[١]، إلى أن ظهر أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس (بل ويعد بحق من أعظم مؤرخى الإسلام وهو بمنزلة ابن جرير الطبرى المؤرخ والمفسر البغدادى العظيم) ألا وهو: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبى (٣٧٧-٤٦٩هـ/٩٨٧-١٠٧٦م)"[٢]، وصفه معاصروه ولاحقوه بأنه "صاحب لواء التاريخ بالأندلس وأفصح الناس فيه، وأحسنهم نظما له،. . .. بليغا فيما يكتبه بيده، وكان لا يتعمد كذبا فيما يحكيه فى تاريخه من القصص والأخبار"[٣].

* مؤلفاته فى التاريخ العام للأندلس:

وقد صنف ابن حيان فى تاريخ الأندلس العام كتابين كبيرين:

الكتاب الأول: "المقتبس فى تاريخ الأندلس"[٤] أو "المقتبس فى أبناء أهل الأندلس" الذى لم يصلنا كله[٥]. ذكره ابن حزم من بين الكتب التى افتخر بها فى رسالته عن فضل الأندلس، وذكر أنه يقع فى عشرة أسفار وقال عنه إنه: "من أجل كتاب ألف فى هذا المعنى"- أى فى التاريخ الأندلسى[٦] -. وقد انتهى الدكتور محمود مكى إلى أن كتاب (المقتبس) يتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح العربى (سنه ٩١ هـ/٧١١م) إلى نهاية خلافة الحكم المستنصر (٥٠-٣٦٦هـ) على وجه التقريب[٧].

وفيما يتعلق بمنهجه فى "المقتبس" كان ابن حيان يستعين بكل المناهج التى استخدمها المؤرخون من قبله، المشارقة منهم والأندلسيون، ففيه النظرة الشاملة إلى كل أمير، وفيه التاريخ الداخلى الذى لا يقتصر على كبريات الأحداث السياسية والعسكرية المرتبطة بالحكم، وإنما

---

١) د. عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس ص ٦٣.

٢) له ترجمة فى الذخيرة لابن بسام ٥٧٣/٢/١ - ٦٠٢، جذوة المقتبس ٣١٢/١، الصلة لابن بشكوال ص ١٥٣-١٥٤، بغية الملتمس ص ٢٧٥، وفيات الأعيان ٢١٨/٢-٢١٩، البداية والنهاية لابن كثير ح ص (ط دار الغد العربى)، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨ / ٣٧٠ - ٣٧٢، شذرات الذهب ٣٣٣/٣.

٣) الصلة لابن بشكوال ص١٥٣، سير أعلام النبلاء ٣٧١/١٨-٣٧٢.

٤) تنطق بفتح الباء الموحدة أو بكسرها - راجع الخلاف الوارد فى ذلك [د. محمود على مكى: مقدمة تحقيق المقتبس ص٦٧ - دار الكتاب العربى، بيروت - لبنان ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٢ م].

٥) كشفت البحوث الحديثة عن عدة قطع من هذا المؤلف الضخم، وسيأتى ذكرها وتوثيق طبعاتها فى قائمة المصادر.

٦) نفح الطيب ١٧٤/٣ (رسالة فضل الأندلس لابن حزم)، سير أعلام النبلاء للذهبى ٣٧١/١٨. وراجع بغية الملتمس ٢٧٥، الجذوة للحميدى ٣١٢/١.

٧) د. محمود على مكى:مقدمة تحقيق (المقتبس)-ص ٦٨.

يلقى ضوءا على حياه الشعوب العامة والخاصة، وعلى أحواله الاجتماعية والاقتصادية، وفيه التاريخ الثقافى والفكرى وفيه سرد الأحداث بترتيب السنين، وفيه التراجم المفصلة لرجالات الدولة وطبقاتها من حجاب ووزراء وكتاب وقضاة، فضلا عن أن فيه فصولا لتراجم العلماء من كل صنف وكان من المرونة بحيث يستخدم كل حقبة ما يلائمها[١]. وجماع القول أن طريقة ابن حيان فى تأليف "المقتبس" عبارة عن مزيج من طريقة الفصول وطريقة الحوليات، ويتخلل ذلك فى أحيان كثيرة الحديث عن الشخصيات الهامة، وتتعلق طريقة الحوليات بالأخص بالغزوات والحوادث العسكرية، وإبراز فضائلها أو خصائصها[٢].

والكتاب الثانى: "المتين". وهو الذى وصفه ابن سعيد فى تذييله على رسالة "فضل الأندلس" لابن حزم - الواردة فى "نفح الطيب" بأنه الكتاب الذى يذكر ابن حيان فيه أخبار - عصر الطوائف ويمعن فيه مما شاهده، كان يتألف من ستين مجلدة[٣]. وقد ضاع هذا الكتاب، ولكن وردت فى كتب المؤلفين (التالين لعصر ابن حيان نقول كثيرة منه، أهمها وأوفرها ما فى كتاب "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنترينى (المتوفى٥٤٢هـ/١١٤٧م»[٤]. حتى أنه لو استخرجت تلك النقول من مختلف أقسام "الذخيرة" ومن بعض المراجع الأندلسية الأخرى-لأمكن إعادة بناء قطعة جيدة من كتاب "المتين"[٥]. وقد رجح الباحثون أن هذا الكتاب يبدأ بأحداث الفتنة البربرية التى بدأت فى قرطبة سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) وينتهى فى حدود سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م) لأن هذا هو التاريخ الذى تنقطع عنده الأحداث تبعا لإشارة وردت لابن بسام فى كتاب "الذخيرة". ومن ثم فإن ابن حيان يؤرخ فى هذا الكتاب أربعة وستين عاما عاصر أحداثها بنفسه، ومعظمها يندرج فيما يسمى بعصر ملوك الطوائف[٦].

---

١) راجع د. محمود على مكى: المرجع نفسه ص٨٧-٨٨.

٢) د. محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ص٢٨١.

٣) نفح الطيب للمقرى ٣/١٨١.

٤) تحدثنا عن أهمية هذا الكتاب فى التراث الأدبى الأندلسى-(راجع ص٧٩٠).

٥) قام أستاذنا الدكتور عبد الله جمال الدين بجمع ما ورد من نصوص كتاب المتين، وقام بدراسة هذه النصوص وحققها وقارنها بنصوص المصادر الأخرى العربى منها والأوربى، وذلك فى أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من إسبانيا /مدريد١٩٧٧م باللغة الإسبانية، وقد ترجمها الدكتور عبد الله إلى العربية وطبعت بمطابع الهيئة العامة للكتاب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م فى طبعة أنيقة، فجزاه الله خيرا. وراجع د. محمود على مكى: مقدمة تحقيق كتاب (المقتبس) ص٦٨-٦٩

٦) راجع د. محمود على مكى: مقدمة تحقيق (المقتبس) ص٦٩، د. عبد الله جمال الدين من نصوص كتاب المتين ص ٩.

أما عن المنهج الذى سار عليه ابن حيان فى "المتين". حيث التأريخ لدول الطوائف المتنازعة المتفرقة فقد أفرد لكل دولة منها فصلا خاصا بها، يتحدث فيه عن نشأتها وعن أحداثها مرتبة زمنيا، مع التعرض لشرح أوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بغيرها من الدول، مع الترجمة لعلمائها وفقهائها وقضائها وكتابها وشعرائها[١].

*كتب أخرى لابن حيان فى تاريخ الأندلس:

ومجموع الكتابين-"المقتبس" و"المتين" إلى جانب كتابين أخرين لابن حيان هما:"أخبار الدولة العامرية" و"البطشة الكبرى"-أربعتهم تشكل ما يسمى بـــ (التاريخ الكبير) لابن حيان[٢]. ويشهد يوجود كتاب أخبار الدولة العامرية، بين مؤلفات ابن حيان معظم من كتب عنه كابن الأبار وعبد الواحد المراكشى وابن سعيد ولسان الدين بن الخطيب[٣].

وهذا الأخير أعطانا نبذة مختصرة عن موضوع الكتاب وحجمه فيقول: "... ذكر أبو مروان حيان بن خلف - رحمه الله - فى كتابه الذى أنافت على المائة أسفاره المسمى بـــ (أخبار الدولة العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة) فقال..."[٤] والفترة التى يعالجها هذا الكتاب - على ما رجحه الدكتور مكى - تنحصر بين ولاية الخليفة هشام المؤيد سنه ٣٦٦هـــ/٩٧٦م وثورة (محمد بن هشام المهدى) على العامريين فى سنة ٣٩٩هـــ/ ١٠٠٨م) وإطاحته بهذه الأسرة التى ظلت تسيطر على السلطة خلال الثلث الأخير من القرن الرابع الهجرى[٥].

أما كتاب (البطشة الكبرى) فموضوعه هو نكبة بنى جهور. أمراء قرطبة على يد

---

١) د. عبد الله جمال الدين: المرجع السابق ص١٣.

٢) دكتور محمود مكى: مقدمة تحقيق(المقتبس)ص٨٢، ل. عبد الله جمال الدين: المرجع السابق ص١٢. ومن الجدير بالذكر أن عددا من كتاب التراجم الأندلسيين أشاروا إلى هذا العنوان (التاريخ الكبير) فى سياق الترجمة لابن حيان — راجع - جذوة المقتبس للحميدى٣١٢/١، بغية الملتمس للضبى ٢٧٥، نفح الطيب للمقرى ٣ /١٧٤).

٣) راجع: الحلة السيراء لابن الأبار ٢٢٧/١، ٢٦٩، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب لابن عبد الواحد المراكشى ص ٣٨ (بتحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى - القاهرة ١٩٤٩م، والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ١٩٩/١، أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ص ٤٨).

٤) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام ص٩٨.

٥) د. محمود على مكى: المقتبس (مقدمة التحقيق) ص٧٩.

المعتمد بن عباد ملك إشبيلية سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م. ويقول لسان الدين بن الخطيب فى وصف هـذا الكتاب خلال عرضه لهذه النكبة "وقد أفرد أبو مروان بن حيان لهذه النكبة الجهورية كتابا سماه (البطشة الكبرى)، وكلامه فيه من لباب بلاغته".[١]

هذا، وقد تناول الباحثون المنهج الذى سار عليه ابن حيان والمصادر التى رجع إليهـا وخصائص أسلوبه فى كتابه التاريخ العام للأندلس، وجماع ما انتهوا إليه[٢] هو أن هذا المؤرخ فاق كل من مضوا قبله من المؤرخين الأندلسيين من حيث صدق الرواية وبلاغة الأسلوب وشدة التحرى وبراعة النقد، والاستبلاغ فى الدقة والضبط، واستقراء الأحداث، والإحاطة الشاملة بالتاريخ الإسلامى فى المشرق والمغرب. ومن هنا استطاع أن يخرج بالحركة التأريخية فى الأندلس من طور النشأة والتكوين إلى طور القمة والنضوج.

ثالثا: التأريخ للدول والأسر الحاكمة بالأندلس:

وبعد انفراط عقد الخلافة الأموية بالأندلس وقيام دول الطوائف ظهر اتجاه آخر من الاتجاهات التأريخية، وهو التأريخ للأسر الحاكمة والدول المستقلة. وقد حظى هذا النوع من التأليف بعناية بعض المؤرخين الأندلسيين. وإذا كان كتاب "أخبار الدولة العامرية" لأبى مروان ابن حيان الذى تكلمنا عنه قبل قليل من أفضل الكتب الأندلسية التى تندرج تحت هذا الاتجاه، فإن البعض سبق إلى ذلك، فقد صنف محمد بن عبد الرحمن اللغوى (المتوفى ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م)، كتابا فى **تاريخ الدولة العامرية**[٣]، وصنف فى الموضوع نفسه الحسين بن عاصم (المتوفى ٤٤٩هـ/١٠٥٨م)، له كتاب "المآثر العامرية" فى سيرة المنصور ابن أبى عامر وغزواته وأوقاتها، وكان هذا الكتاب محل افتخار الأندلسيين[٤].

وفى تاريخ بنى عباد أصحاب إشبيلية ألف محمد بن يوسف الشلبى (عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين[٥]، وعندما خلع المرابطون عبد الله بن بلكين (حفيد باديس ابن زيرى) عن السلطة فى غرناطة ونفوه إلى المغرب عكف على تدوين هذه النكبة فى كتاب

---

١) أعمال الأعلام ص١٥١، وراجع د. محمود على مكى: مقدمة تحقيق (المقتبس) لابن حيان — ص٨١.
٢) راجع د. محمود على مكى: المرجع نفسه ص٨٥-١١١، د. عبد الله جمال الدين من نصوص كتاب المتين — المقدمة ص١٢-١٥، محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ص٢٧١-٢٨١، كتاب (أندلسيات)- له (ص٦٣-٧٣)، آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص٢١١.
٣) التكملة لابن الأبار ٣٨٤/١.
٤) الصلة لابن بشكوال ص١٤١، بغية الملتمس للضبى ٣٠٠/١، نفح الطيب للمقرى ١٧٤/٣.
٥) تاريخ الفكر الأندلسى — ص ٢٤٠..

بعنوان "التبيان عن الحادثة الكائنة فى غرناطة"، سجل فيه تاريخ بنى زيرى فى الأندلس تسجيلا فريدا صادرا عن رجل منهم، وأورد فيه من الملاحظات الدقيقة ما يندر وجوده عن بنى زيرى فى أثر آخر من آثار التاريخ الإسلامى[١].

وفى تاريخ المرابطين صنف يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى الغرناطى المعروف بابن الصيرفى (المتوفى ٥٥٧هـ/ ١١٦١م) كتاب "الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية"[٢] وأخيرا صنف لسان الدين بن الخطيب - صاحب كتاب (الإحاطة) -المتوفى (٧٧٦ هـ/١٣٧٤م) كتابا فى **تاريخ بنى نصر** آخر ملوك الأندلس فى غرناطة، وسماه "اللمحة البدرية فى الدولة النصرية"[٣]، وله أيضا كتاب "طرف العصر فى دولة بنى نصر" فى ثلاث مجلدات[٤]. وصنف (أرجوزة) فى تاريخ الدولة الإسلامية عامة بعنوان "رقم الحلل فى نظم الدول" وأهداها إلى سلطان المغرب أبى سليم إبراهيم المرينى[٥] (٧٦٠-٧٦٢ هـ/١٣٥٩-١٣٦١م).

رابعا: التأريخ للمشرق

تعرض الأندلسيون لكتابة التاريخ المشرقى؛ فبعضهم تناول فرعا من فروع التاريخ المشرقى وأفردوا له كتبا على حده، كالسيرة النبوية أو الأنساب أو تراجم رواة الحديث، وقد ذكرنا من قبل أمثلة على ذلك من كتابات الأندلسيين فى السيرة، وسيأتى مزيد منها عند حديثنا عن الأنساب والتراجم.

وبعضهم تناول التاريخ العام للمشرق جنبا إلى جنب مع التاريخ الأندلسى العام، كما فعل عبد الملك بن حبيب الإلبيرى القرطبى (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م)[٦] وعريب بن سعيد القرطبى (المتوفى حوالى ٣٧٠ هـ/٩٨٠م) الذى اختصر تاريخ الطبرى، وأضاف إليه أخبار المغرب

---

١) تاريخ الفكر الأندلسى ص٢٤٠ – ٢٤١. ومن الجدير بالذكر أن حكم بنى زيرى فى الأندلس بدأ بـ"زاوى بن زيرى" (٤٠٣هـ – ٤١٠هـ/ ١٠١٢-١٠١٩م) وينتهى بـ"تميم بن بلكين" (المتوفى ٤٨٣هـ/١٠٩٠م) – راجع كتاب العالم الإسلامى لعمر رضا كحالة – الجزء الثانى (مختصر تاريخ الدولة الإسلامية ص٧٩).

٢) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص١٣٩.

٣) الكتاب مطبوع فى جزء واحد (القاهرة ١٣٧٤ هـ).

٤) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص١٤٢.

٥) محمد مختار العبادى: من التراث العربى الإسبانى ... بحث منشور بمجلة عالم الفكر – المجلد الثامن (١٩٧٧م) – ص٦٨.

٦) راجع ما كتبناه عنه (ص ٨٢٦) من هذا الفصل.

والأندلس إلى عصره[١]. وهناك مجموعة من كتب التاريخ التى صنفها الأندلسيون لايعرف على وجه الدقة أنها ضمت إلى جانب التاريخ الأندلسى أحداث التاريخ المشرقى، لكن أليس بعيدا أن يصنف مؤرخ أو عالم أندلسى تاريخا عاما للإسلام ويترك تدوين تاريخ بلده الأندلس؟. ونذكر من هذه المؤلفات على سبيل التمثيل:

١ - "**التاريخ الكبير**" لمسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبى (المتوفى ٣٥٣هـ/٩٦٤م). كان عالما مشاركا فى بعض العلوم، رحل إلى مصر والحجاز والعراق، ثم رجع إلى بلده وتوفى بها[٢].

٢ - "**التاريخ الكبير**" لعبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبى (المتوفى ٣٩٣ هـ/١٠٠٢م »[٣].

٣ - "**تاريخ الإسلام**" لأبى عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى (المتوفى ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، استوطن بغداد، وتوفى بها، وهو صاحب "جذوة المقتبس فى أخبار علماء الأندلس"[٤].

٤ - "**جامع أخبار الأمم**" للقاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى (المتوفى ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م»[٥].

أما تدوين التاريخ العام للجناح المشرقى من العالم الإسلامى فى كتب منفردة ومنفصل عن التاريخ المشرقى فلا نعثر على ما يشير صراحة إلى وجود مثل هذه المؤلفات فى التراث الأندلسى غير ما ذكره ابن الأبار فى (الحلة السيراء) أن عبد الله بن الخليفة عبد الرحمن الناصر - الذى قتله أبوه سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م) لمنافسته أخاه الحكم (المستنصر) ولى عهده - صنف كتابا فى تاريخ العباسيين سماه "العليل والقتيل فى أخبار ولد العباس"، انتهى به إلى خلافة الراضى ابن المقتدر (٣٢٣-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠»[٦]. ولعله اعتمد طريقة الحوليات فى سرد الأحداث التاريخية. ومن المؤكد أنه رجع إلى عدد من المصادر المشرقية لتأليف هذا الكتاب.

وقد عنى الأندلسيون بدراسة موضوعات محددة كتلك الموضوعات التى كان

---

١) راجع ما ذكرناه عنه (ص ٨٣٦) من هذا الفصل.

٢) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص٩٦.

٣) عمر رضا كحالة: المرجع السابق ص ٩٨.

٤) نفح الطيب ١١٣/٢.

٥) نفح الطيب للمقرى ١٨٢/٣.

٦) الحلة السيراء لابن الأبار ٢٠٦/١.

المؤرخون المشارقة يفردونها على حده بدراسات مخصوصة[١]. ومن الأمثلة على ذلك فى التراث الأندلسى: كتاب (حروب الإسلام) لعالم الأندلس فى وقته عبد الملك بن حبيب الإلبيرى الفرضى (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م)»[٢]. وكتاب "مقتل الشهيد عثمان" لأبى عبد الله محمد بن يحيى بن أبى بكر الأشعرى الغرناطى (المتوفى ٧٤١هـ/١٣٤٠م) اعتمد فيه على ما كتبه المشارقة، مثل "مقتل عثمان" لعمر بن شبة البصرى (المتوفى ٢٦٢ هـ/٩٧٢م) و"فتوح البلدان" للبلاذرى (المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م) و"الفتوح" لسيف بن عمر (ت١٨٠ هـ/٧٩٦م) و"الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م) و"تاريخ الطبرى"، إضافة إلى عدد آخر من المصادر المتنوعة[٣].

وينسب للمؤرخ والأديب الأندلسى أبى الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصارى البياسى (المتوفى ٦٥٣هـ/١٢٥٥م) كتاب "الإعلام بالحروب الواقعة فى صدر الإسلام" صنفه لأبى زكريا يحيى الحفصى صاحب تونس، وكان البياسى قد هاجر إليها سنة ٦٣٦هـ/١١٣٨م).

وهذا الكتاب يقع فى جزئين، ورتبه مؤلفه على السنين، وركز فيه على الحوادث السياسية والنزاعات والحروب، وأغفل النواحى الاجتماعية والاقتصادية، وكان المصدر الرئيسى له هو تاريخ الطبرى، إلا فى حالات قليلة يرجع فيها للمسعودى أو البلاذرى أو اليعقوبى أو ابن الأثير، ولم يعتمد على الإسناد فى روايته للأخبار أو الأحاديث، وكان يكتفى بالنقل الحرفى عن المصادر من غير تعليق بنفى أو إيجاب، الأمر الذى يمكن أن يقال معه: إن شخصية البياسى كانت منعدمة تماما فى كتابه المذكور[٤].

وقد ذكر ابن خلكان أنه اطلع على هذا الكتاب وأنه كان يشمل الحوادث من مقتل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حتى خروج الوليد بن طريف الشارى على الخليفة العباسى هارون الرشيدى[٥].

---

١) راجع ما كتبناه عن هذا الاتجاه فى مدرسة (بغداد/المشرق) (ص ٢٢٨- ٢٣١).

٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٠٣/١٢.

٣) مقتل الشهيد عثمان – مخطوط بدار الكتب المصرية (رقم ٢٣ تاريخ) يقع فى (١٢٤ لوحة) – راجع منه الصفحة الأولى، ص ٤، ٥، ٧، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٦، ٣٥، ٤٣، .. وهذه كلها صفحات نص فيها المؤلف على بعض المصادر التاريخية المشرقية التى اقتبس منها مادة كتابه. وراجع ترجمة ابن أبى بكر الأشعرى فى (المرقبة العليا) للنباهى ص ١٤١ – ١٤٧.

٤) د. أحمد محمود: أبو الحجاج البياسى مؤرخ وأديب من الأندلس – بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد الخامس عشر، المجلد الرابع ١٩٨٤ ص ٨٩ – ٩١.

٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥٤٨/٦ - ٥٥١.

خامسا: التأريخ للمدن الأندلسية:

وفى مقابل هذا النمط الذى يعنى بالتدوين العام الشامل للتاريخ الأندلسى لجأ الأندلسيون إلى نمط آخر من التصنيف التأريخى، وهو التأريخ لمدينة أندلسية بعينها أو إقليم بعينه، وقد برز فى الأندلس صنفان من هذا النوع من الكتابة التاريخية محاكاة للمدرسة البغدادية[١].

النوع الأول: كتب تهتم بتدوين تاريخ المدينة (مدينة أندلسية معينة) فتتناول خططها وأخبارها العامة دون الاهتمام برجالها من الحكام والعلماء والمفكرين. ومثال هذا النوع كتاب "صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء به" للمؤرخ الأندلسى الكبير أحمد بن محمد بن موسى الرازى (المتوفى ٣٤٢هـ/٩٥٣م)، ألفه على نحو المقدمة التى بدأ بها أحمد ابن أبى طاهر طيفور البغدادى (المتوفى ٢٨٠هـ/٨٩٣م) كتابه "أخبار بغداد"[٢]. وهناك كتاب آخر من هذا النوع بعنوان "مغناطيس الأفكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والآثار" لأبى بكر محمد ابن عيسى بن مزين القرطبى ومدينة الفرج هى وادى الحجارة.

والنوع الثانى: كتب تبدأ بفصول عن جغرافية المدينة قبل التأريخ لأعلامها. وهذا النوع من الكتب هو الأكثر شيوعا فى الأندلس كما فى المشرق. وقد غطت شتى نواحى الأندلس وبلادها. وفيما يلى نذكر بعض أسامى هذه الكتب على سبيل المثال:

(١) "**المعارف فى أخبار كورة إلبيرة وأهلها وفوائدها وأقاليمها**" لأبى عبد الرحمن مطرف بن عيسى الغسانى الغرناطى (المتوفى ٣٧٧هـ/٩٨٧م). ألفه للحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ)، ووصفه ابن بشكوال بأنه "كتاب حسن ممتع جدا"[٣].

(٢) **أخبار ريه وحصونها وولاتها** وحروبها وفقهائها وشعرائها لإسحق بن سلمة بن إسحق القيني (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م) وهذا الكتاب يقع فى أجزاء كثيرة وعده ابن حزم من مفاخر الأندلسيين[٤].

(٣) **تاريخ مالقة** المسمى "الإكمال والإتمام فى صلة الأعلام من أهل مالقة الكرام" لأبى عبد الله محمد بن على بن خضر بن عسكر الغسانى المالكى (المتوفى٦٣٦هـ/١٢٣٨م) لم

---

١) راجع ما كتبناه عن التواريخ المحلية فى بغداد / المشرق (ص ٢٤٧).

٢) بغية الملتمس للضبى ص ١٥١، جذوة المقتبس للحميدى ١٦٨/١، نفح الطيب للمقرى ١٧٣/٣ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس).

٣) راجع تعليقات الدكتور حسين مؤنس على كتاب "الحلة السيراء" لابن الأبار ١٧/٢.

٤) الصلة لابن بشكوال ص ٦٢٢.

يكمله، فأكمله ابن أخته أبو بكر محمد بن محمد بن على بن خميس، وسماه "مطالع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار، وتقييد مالهم من المناقب والآثار". انتهى من تأليفه سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م)، ويقع فى مجلد واحد، ورتبه على حروف المعجم، واستمد مادته من "تاريخ" ابن الفرضى، و"صلة" ابن بشكوال، و"الجذوة" للحميدى ومن كتب الرازى وابن حيان، وجميعهم من المؤرخين الأندلسيين[١].

(٤) **'الإحاطة فى أخبار غرناطة'** - لسان الدين بن الخطيب (المتوفى ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) وهو من أهم الكتب الأندلسية فى حقل الدراسات التاريخية، وقد حرص مؤلفه - على عادة الأندلسيين فى التقديم للتاريخ بالجغرافيا - أن يورد فى مقدمته وصفا مطولا للمنطقة التى شملها سلطان مملكة غرناطة[٢]. وقد سبق ابن الخطيب إلى صفة غرناطة والتأريخ لها ابن المواعينى: محمد بن إبراهيم بن خيره (المتوفى ٥٦٤هـ/١١٦٨م)[٣] وأبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقى المعروف بالملاحى - نسبة إلى الملاحة: قرية جنوبى غرب غرناطة - (المتوفى ٦١٩هـ/١٢٢٢م) فى مقدمة كتابه "تاريخ علماء إلبيرة". وإلبيرة كانت العاصمة القديمة للكورة التى سميت بعد بغرناطة. وهذا الكتاب الأخير كان اعتماد ابن الخطيب عليه كبيرا[٤].

سادسا: التأليف فى الأنساب:

ومن فروع التاريخ الإسلامى التى شارك فيها الأندلسيون بعدد من الدراسات الجيدة: علم الأنساب. وقد أكدنا من قبل على أن هذا العلم كان من بين العلوم التى وردت مصادرها من بغداد إلى قرطبة[٥]. وتختلف كتب الأندلسيين فى هذا الميدان عن كتب المدرسة المشرقية فى أن الأولى تعنى بتحديد أنساب القبائل العربية التى استقرت بالأندلس وذكر مآثرهم.

ويبدو أن التأليف فى الأنساب كان فى حاجة ملحة وضرورية فى الأندلس، نظرا لدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذه البلاد، واختلاطها واحتمال ضياع أنسابها. ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن السبب فى عناية الأندلسيين (والمغاربة أيضا) بهذا الفن يرجع

---

١) السخاوى: المرجع السابق ص ٦٤٠ - ٦٤١.

٢) راجع الدراسة التى كتبها الدكتور حسين مؤنس عن المقدمة الجغرافية لكتاب الإحاطة - راجع تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس (ص ٥٥٥) وما بعدها - طبعة مدبولى - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٢٤.

٤) د. حسين مؤنس: المرجع نفسه ص ٥٥٥ - ٥٥٦.

٥) راجع عن ذلك بداية من (ص ٦٠١).

إلى قلة عدد العرب الصريحى النسب فى الأندلس بعد أن تعقد المجتمع الأندلسى وأصبح يتكون من أخلاط بشرية غير منتظمة، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقوم على العنصرية الجنسية أو العصبية، كالعرب والبربر والمولدين. وقد أوجد ذلك مادة خصبة لعلم الأنساب[١].

ولعل أول من ألف كتابا فى (الأنساب) بالأندلس هو عالمها الشهير عبد الملك بن حبيب الإلبيرى القرطبى (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٢م)[٢]، ثم اتسع التأليف فى هذا الفن، فصنف قاسم بن أصبغ البيانى القرطبى (المتوفى ٣٤٠هـ/٩٥١م) كتاب (الأنساب) "فى غاية الحسن والإيعاب" كما يقول ابن حزم[٣]. وصنف المؤرخ الأندلسى الكبير أحمد بن محمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) كتابا فى الأنساب يسمى "الاستيعاب". وكان هذا الكتاب أحد مصادر ابن الأبار فى "الحلة السيراء"[٤] وهو من مفاخر الأندلسيين، ويختص بأنساب مشاهير أهل الأندلس كما يقول ابن حزم، ويقع فى خمس مجلدات ضخمة، وهو من أحسن كتب الأنساب وأوسعها[٥].

وقد صنف أبو محمد عبد الله بن عبيد الله الأزدى الملقب بالحكيم (بضم الحاء مع تشديد الياء) (المتوفى ٣٤١هـ/٩٥٢م) كتابا ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس وقريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق فى غير قريش ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا الأندلس. أهداه إلى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦٢م) وكان انتهاؤه من تأليفه سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م. وقد انفرد ابن عبد الملك المراكشى بالنقل عنه فى كتابه الذيل والتكملة، ولم يذكره أحد غيره[٦]. وللمؤرخ الأندلسى المشهور بابن الفرضى (المتوفى ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) كتاب فى "مشتبه

---

١) د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب — ص٦٩ (دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧م).

٢) الديباج المذهب لابن فرحون ١٢/٢(ط مصر-فى مجلدين)، ابن عبد البر:الإنباه على قبائل الرواة ص٤٦، ٥٦٣.

٣) نفح الطيب للمقرى ١٧٤/٣(رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس)، الضبى: بغية الملتمس ص٤٨٨، الحميدى: جذوة المقتبس ٥٢٧/٢.

٤) الحلة السيراء لابن الأبار ٢٤٥/١.

٥) نفح الطيب ١٧٤/٣ (رسالة فضل الأندلس لابن حزم)، ١٢٩/٢، جذوة المقتبس للحميدى ١٦٨/١. الصلة لابن بشكوال ص ٢٥١ — ٢٥٢.

٦) راجع الذيل والتكملة / السفر الأول — القسم الأول ص ٢١٣، السفر الثانى / القسم الأول ص٢٥٠.

النسبة". وهو خاص بأنساب رواة الحديث النبوى[١].

وأبرز عالمين أندلسيين متعاصرين صنفا فى علم الأنساب خلال القرن الخامس الهجرى هما ابن حزم وابن عبد البر القرطبين، وكلاهما إمام فى هذا الفن.

١ – أما ابن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) فله كتاب "جمهرة أنساب العرب"[٢]، وهو كتاب حظى بشهرة واسعة فى الفكر التاريخى الإسلامى، «وتغلب فيه النزعة التاريخية وتمتزج امتزاجا كاملا بالأنساب، بحيث يبدو لنا النسب علما غير جاف، وأننا أمام عمل تاريخى يتكئ على النسب فى تقديم مادته.. . ونستطيع أن نستخرج من "الجمهرة" فصولا تاريخية كاملة»[٣]، وكان هذا الكتاب مرجعا مهما لبعض المؤرخين الأندلسيين كابن الأبار فى (الحلة السيراء)[٤].

٢ – وأما ابن عبد البر (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فله فى ذلك كتاب "الإنباه على قبائل الرواه"[٥] جعله مدخلا لكتابه "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، إيثارا للاختصار وعدم التطويل فى (الاستيعاب) وقال عنه: «وجعلته دليلا على أصول الأنساب، ومدخلا إلى كتابى فى الصحابة ليكون عونا للناظرين فيه"[٦]. وصنف أيضا كتابا آخر فى الأنساب سماه "القصد والأمم فى نسب العرب والعجم»[٧].

ومن الكتب التى عدها ابن حزم الأندلسى من مفاخر الأندلسيين فى هذا الفن كتاب "الطوالع فى أنساب أهل الأندلس" ويبدو أنه للمؤرخ الأندلسى الشهير ابن حيان صاحب "المقتبس"[٨].

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ٢٥١ – ٢٥٢، نفح الطيب للمقرى ١٢٩/٢.

٢) نشرته دار المعارف بالقاهرة بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

٣) راجع د. عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص٢٠٧ – ٢١٤. وراجع ما ذكرناه عن كتاب جمهرة الأنساب لابن حزم (ص ٦٠١).

٤) الحلة السيراء لابن الأبار ح١ ص١٢٨.

٥) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨ / ١٥٩.

٦) راجع مقدمة الإنباه (مطبعة القدس، القاهرة ١٩٥٠م).

٧) سير أعلام النبلاء ١٩٥/١٨. والكتاب نشره حسام الدين القدسى وألحق به كتاب الإنباه سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة.

٨) نفح الطيب للمقرى (رسالة فضل الأندلس لابن حزم) ح ٣ ص١٧٤.

سابعا: التأليف فى التراجم والطبقات:

والفن الذى حظى بعناية أوسع من اهتمام الأندلسيين فى مجال البحث التاريخى هو فن "التراجم والطبقات". وقد ذكرنا فى موضع سابق أن علماء الأندلس جلبوا من (بغداد/المشرق) عددا هائلا من كتب السير والتراجم، على اختلاف أنواعها ومناهجها، وخاصة كتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة، وكانت غايتهم الأولى فى ذلك هى خدمة الحديث النبوى وعلوم السنة المطهرة[١]. وإذا تتبعنا التراث الأندلسى فى هذا الفرع التأريخى فسنجد أن الأندلسيين سلكوا مسلك المشارقة فى التأليف والتبويب، وتميزوا فى بعض الخصائص فى الأسلوب والمنهج. ويمكن تقسيم المؤلفات الأندلسية فى هذا المجال إلى قسمين:

القسم الأول: كتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة. وهذه الكتب الأندلسية تناولت سيرة رواة الحديث النبوى، وجميعهم من المشارقة، فهم الذين تضلعوا بحفظ السنة النبوية وحمايتها من التحريف. ولا شك فى أن الأندلسيين اعتمدوا اعتمادا كليا فى هذا النوع من الكتب على الإنتاج المشرقى، لكن ثقافة بعضهم الواسعة فى علوم الحديث - كابن عبد البر وابن حزم وغيرهما - مكنتهم من الانفراد بقدر من التميز فى طريقة عرض المادة العلمية وتصنيفها والتعليق عليها ومناقشة بعض آراء المشرقيين ونقدها. وقد تحدثنا من قبل عن جهود الأندلسيين فى تصنيف كتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة على اختلاف تنوعها، وذلك فى المبحث الخاص بعلوم الحديث النبوى، فأغنى ذلك عن إعادته هنا[٢].

والقسم الثانى: المؤلفات الأندلسية الخاصة برجال الأندلس وأعلامها. ويمكن أن نطلق عليها اسم "التراجم المحلية". وهذا القسم من المؤلفات ينقسم بدوره إلى نوعين:

النوع الأول: مؤلفات عامة شاملة لفقهاء الأندلس ومحدثيها وقرائها وأدبائها وشعرائها ورجال الحكم والإدارة. ومن أمثلة هذه الكتب:

١ - كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لأبى عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى القرطبى (المتوفى ٣٦١هـ/٩٧١م)[٣].

٢ - كتاب "الاحتفال فى تاريخ أعلام الرجال فى أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء" لأبى بكر الحسن بن بكر بن عريب القرطبى (المتوفى ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م). اعتمد عليه ابن بشكوال

---

١) راجع ما كتبناه عن ذلك (ص ٦٠٣)

٢) راجع عن ذلك بداية من (ص ٧٣٨ - ٧٤٣).

٣) تاريخ ابن الفرضى ١١٥/٢، الديباج المذهب لابن فرحون ٢١٣/٢. (ط مصر).

فى كتابه "الصلة"[١].

٣ - كتاب "جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس" لأبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن حميد الأزدى القرطبى (المتوفى ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وقد وقف بتراجمه عند من توفوا عام (٤٤٩هـ/١٠٥٨م)، فذيل عليه أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى الأندلسى (المتوفى ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) بكتابه "بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس" وقال عن كتاب الحميدى: «عليه اعتمدت ومنه نقلت»[٢]، ووصل بوفياته إلى عام (٥٩١هـ/١١٩٥م) مع مقدمة موجزة فى مطلع الكتاب عن تاريخ الأندلس.

ومن الجدير بالذكر أن ابن بشكوال (المتوفى ٥٧٨هـ/١١٨٢م) اعتمد فى كتابه "الصلة" اعتمادا كبيرا على الحميدى إلى الدرجة التى قال عنها ابن سعيد بأن كتاب "الجذوة" مذكور فى "صلة" ابن بشكوال[٣].

٤ - كتاب "مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس" للوزير الكاتب أبى نصر الفتح بن محمد بن خاقان بن محمد بن عبيد الله القيسى (المتوفى٥٢٨هـ/١١٣٤م). وهذا الكتاب جعله مؤلفه فى ثلاثة أقسام: يشتمل القسم الأول على سرد غرر الوزراء والكتاب والبلغاء. ويشتمل القسم الثانى على محاسن أعلام العلماء وأعيان القضاة. والقسم الثالث فى محاسن الأدباء[٤].

السلسلة الأندلسية فى تراجم الأندلسيين:

وقد صنف عدد من علماء الأندلس متعاقبين سلسلة أندلسية متصلة وشاملة لسيرة علماء الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب والشعر ورجال الإدارة والسياسة. وتبدأ هذه السلسلة **بكتاب (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)** للحافظ أبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى القرطبى المعروف بابن الفرضى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م»[٥]، جمع فيه ابن

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ١٣٦ - ١٣٧.

٢) الضبى: بغية الملتمس ص ١٢٤.

٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ٤٦٧/٢. وراجع الصلة لابن بشكوال (ترجمة الحميدى) ص ٥٦٠-٥٦١.

٤) مقدمة الفتح بن خاقان لكتابه "المطمح" - ص ٢ (مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٥هـ).

٥) الكتاب ذكره له الحميدى (جذوة المقتبس ٣٩٦/١-٣٩٧)، والضبى (بغية الملتمس) ص ٣٣٥. وكتاب ابن الفرضى طبع عدة طبعات، منها الطبعة التى نعتمد عليها فى دراستنا هذه، وهى طبعة مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

الفرضى – على حد تعبيره – «ما لم يقيد فى كتاب ألف فى معناه فى الأندلس قبله»[١].

وقد كان فى عزم ابن الفرضى أن يؤلف كتابا موعبا يرتبه على المدن الأندلسية، ويشتمل على كثير من الأخبار، غير أن العوائق عاقته عن بلوغ هذه الغاية، فألف كتابه المذكور، وتحرى فيه الاختصار، واعتمد فيه على عدد من مؤرخى الأندلس ممن صنف فى تراجم الأندلسيين، كأبى القاسم خالد بن سعد القرطبى (المتوفى ٣٥٢هـ/٩٦٣م) فى كتاب له عن (رجال الأندلس»[٢] وابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) وأحمد بن محمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) وغيرهم، إضافة إلى مشاهداته ورواياته التى استقاها من شيوخه، ومصادره الشفوية[٣] وكانت خطته "ذكر أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأى منهم، ومن كان الحديث والرواية أملك به وأغلب عليه، ومن كانت له إلى المشرق رحلة، وعمن روى ؟، ومن لقى ؟، ومن بلغ منهم مبلغ الأخذ عنه، ومن كان يشاور فى الأحكام، ومن ولى منهم خطة القضاء "[٤].

والكتاب الثانى فى هذه السلسلة هو كتاب "الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم" لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصارى القرطبى (المتوفى ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وهو ذيل على كتاب ابن الفرضى ابتدأه من حيث انتهى، ويسير فيه على خطته ومنهجه. ويعد من أفضل كتبه الخمسين التى ألفها فى علوم مختلفة، بل هو أفضلها، وكما يقول ابن الأبار: " لا يستغنى أهل الفقه عن النظر فيه والاحتجاج منه". ويقول أيضا: " سلم له أكفاؤه كفايته فيه، ولم ينازعه أهل صناعته الانفراد به، .. . وهو كتاب فى فنه خطير القيمة ضرورى الاستعمال"[٥].

وقد ذيل على (الصلة) أكثر من عالم أندلسى، أبرزهم ثلاثة:

الأول: ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن الأبار القضاعى البلنسى الأندلسى (المتوفى ٦٨٥ هـ/ ١٢٥٦م)، ذيل على "الصلة" البشكوالية بكتاب "التكملة" فى ثلاثة

---

١) تاريخ ابن الفرضى – المقدمة ١/٩.

٢) تاريخ ابن الفرضى – المقدمة ح١ ص ٩-١٠، ص١٥٥ – ١٥٦.

٣) ابن الفرضى المصدر نفسه ح١ ص ٩.

٤) راجع مقدمة ابن بشكوال لكتاب الصلة – الصفحة الأولى والثانية، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١١٤ (ط بيروت – مجلد واحد).

٥) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج ١ ص ٣٠٦.

أسفار[١]. سار فيه على نهج ابن بشكوال وقال بصدد كلامه عن الصلة: " وأغلاطه الواقعة له فيه قليلة وقد نبهت على أكثرها، واستدركت ما أغفل، وتممت ما نقص، وجودت ما اقتضب"[٢].

والثانى: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى (المتوفى ٧٠٨ هـ/١٣٠٨م)، ألف كتاب "صلة الصلة" فى عدة مجلدات[٣]، رتبه على حروف المعجم عند المغاربة، وهو المنهج الذى سلكه كبار المؤرخين والأئمة المحدثين فى الغرب الإسلامى، وسار فيه على خطة ابن الفرضى وابن بشكوال والحميدى فى ترتيب المترجمين وتناول سيرهم. وأكبر قيمة لهذا الكتاب تظهر فى أنه يصور لنا الحركة الفكرية والاجتماعية بالغرب الإسلامى فى القرنين السادس والسابع للهجرة فى أجلى مظاهرها وأكمل صورها[٤].

والثالث: القاضى أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى المعروف بابن عبد الملك (المتوفى ٧٠٣هـ/١٣٠٣ م). واسم كتابه - كما ذكره النباهى - "الذيل والتكملة لكتاب الصلة"[٥]، بينما ذكره السخاوى باسم "الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة"[٦]، وهو مطبوع بهذا العنوان الأخير.

ويعتبر هذا الكتاب قاموسا عاما لرجال الأندلس ومن رحل إليها من المغاربة والمشارقة حتى آخر القرن السابع الهجرى. وهو مرتب أيضا على حروف المعجم بطريقة المغاربة. ويقع - فى الأصل المخطوط - فى تسعة أجزاء، سبعة منها لأهل الأندلس، واثنان للغرباء. وينتهى بتراجم النساء الأندلسيات ثم المغربيات اللاتى دخلن الأندلس.

النوع الثانى من المؤلفات الأندلسية الخاصة برجال الأندلس وأعلامها: المؤلفات المتخصصة فى التأريخ صنف واحد من الأعلام الأندلسيين، كالفقهاء وحدهم، أو المحدثين

---

١) راجع عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص ١٨٠.

٢) ابن الأبار: للتكملة ج ١ ص ٣٠٦.

٣) الديباج المذهب ص ٤٢ (ط بيروت)، المرقبة العليا للنباهى ص ١٠٦، ١١٨، برنامج أبى عبد الله المجارى ص ٨٨ - ٨٩، الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب ١/١٨٨-١٩٣، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر ١/٨٤ (ط دار الكتب الحديثة بمصر مطبعة المدنى ١٩٦٦م).

٤) راجع ما كتبه الدكتور عبد السلام الهراس فى مقدمة تحقيقه للقسم الثالث من كتاب صلة الصلة (ص ١١-١٥) [ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٤١٣هـ/١٩٩٣م].

٥) المرقبة العليا للنباهى ص ١٣٠.

٦) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (مطبوع مع كتاب: علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال) - ص ٦١٩.

وحدهم، أو القراء، أو الزهاد والصلحاء، أو الشعراء والأدباء، أو النحويين واللغويين، أو القضاة، أو الخلفاء، أو الوزراء، أو الكتاب والحجاب. وفيما يلى أمثلة على هذا النوع من التراجم المتخصصة:

(١) تراجم الفقهاء: وأكثر كتب الأندلسيين فى تراجم الفقهاء تدور حول الفقهاء المالكية، على اعتبار أن الأندلس مالكية. وقد تنوعت طرق عرض المادة التاريخية فى هذا الصنف من التأليف:

[أ] فمنها ما يتناول سيرة فقهاء الأندلس بعامة على اختلاف بلدانهم. ومن أمثلة هذه الكتب: كتاب "أخبار الفقهاء بالأندلس" لمحمد بن حارث الخشنى القرطبى (المتوفى ٣٦١هـ/٩٧١م»[١] ويسمى أيضا " أخبار الفقهاء والمحدثين" أو "تاريخ علماء الأندلس". ولعل التسمية الأولى هى الأوفق لمضمون الكتاب؛ "فالنظرة الفاحصة المتأملة فى تراجم هذا الكتاب ككل تشير بوضوح إلى غلبة الاهتمام بالفقهاء وكثرة تراجمهم بالنسبة إلى المحدثين[٢].

ويعد كتاب الخشنى نموذجا طيبا لكتب التراجم فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى، سواء فى موضوعه أم فى محتوياته وموارده، أم فى منهجه. وقد حوى مع ثناياه معلومات جديدة ودقيقة تتصل بما رواه علماء الأندلس أثناء رحلاتهم إلى المشرق، كما أن هذا الكتاب كان له تأثير بعيد الأثر فى كثير من المؤرخين الأندلسيين التالين ممن نقلوا عنه كثيرا من النصوص، كابن الفرضى وابن حيان والحميدى والضبى وابن الأبار. ومن المشارقة: ابن ماكولا وابن خلكان.

هذا، وقد بلغت أعداد المترجم لهم فى كتاب الخشنى (٥٢٧ ترجمة)، وهم موزعون على (٢٨) مدينة أندلسية، رتبهم على حروف الهجاء، وجلهم من علماء القرنين الثالث والرابع للهجرة، ويحظى فقهاء قرطبة بالعدد الأكبر من هذه التراجم[٣].

[ب] ومنها ما يتخصص فى فقهاء مدينة أندلسية معينة، مثل كتاب "فقهاء قرطبة" لأبى عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر (المتوفى ٣٣٨هـ/٩٤٩م»[٤]، وكتاب "أخبار

---

١) تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضى ١٦/٢، جذوة المقتبس للحميدى ص٥٣، بغية الملتمس للضبى ص٧١.

٢) عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح: الكتابات التاريخية فى مصر والأندلس فى القرن الرابع الهجرى — دراسة مقارنة (رسالة دكتوراة /كلية دار العلوم، جامعة القاهرة / ١٩٩٧ م ح١ ص ٤٣١).

٣) عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح: المرجع نفسه ح١ ص ٤٥٩. وقد قام هذا الباحث بدراسة مستفيضة وقيمه عن كتاب الخشنى استغرقت الصفحات من (٤٣٦) إلى (٤٦٦) من الجزء الأول.

٤) تاريخ ابن الفرضى ٥١/١، الصلة لابن بشكوال ص ٣٩٦. وليس هو ابن عبد البر القرطبى (المتوفى٤٦٣ هـ) صاحب كتاب (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب).

الفقهاء المتأخرين من أهل قرطبة" لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الإشبيلى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٧٩ هـ/٩٨٩م)»[١]. وكتاب "فقهاء إلبيرة" لأبى القاسم مطرف بن عيسى بن لبيب الغسانى الغرناطى (المتوفى ٣٥٦ هـ/٩٦٦م)»[٢]. وكتاب "تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها" لأبى جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصارى الطليطلى (المتوفى ٤٨٩هـ/١٠٩٥م)»[٣].

[ج] ومنها ما تتناول فقهاء مذهب معين فتعرض لطبقات فقهاء المذهب أو مشاهيرهم من الأندلسيين والمشارقة، أو تقتصر على الفقهاء المؤسسين للمذاهب ومن ذلك: كتاب "طبقات فقهاء المالكية" لأبى عبد الله محمد بن حارث الخشنى القرطبى (المتوفى ٣٦١ هـ/ ٩٧١ م)[٤]. وكتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، للقاضى عياض بن موسى بن موسى اليحصبى السبتى الأندلسى (المتوفى ٥٤٤هـ/١١٤٩م) وهو أوسع كتاب فى طبقات المالكية[٥]، وقد اختصره وذيل عليه جماعة من علماء المالكية فى المغرب والمشرق، ذكرهم السخاوى فى (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»[٦].

وقد صنف جماعة من الأندلسيين كتبا فى سيرة الإمام مالك[٧]. وجمع ابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) كتابا فى سيرة أبى حنيفة ومالك والشافعى سماه "الانتفاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء"[٨]، قسمه ابن عبد البر إلى ثلاثة أجزاء، خصص كل جزء منها لإمام من الأئمة، ثم قسم كل جزء إلى قسمين متميزين بمقدمة وخاتمة، ويتضمن القسم الأول الأخبار المتعلقة بالإمام، ويتضمن القسم الثانى الأخبار المتعلقة بتلاميذ الإمام المختصين به وأشهر رجال مذهبه من بعده.

(٢) تراجم المحدثين: صنف أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفى القرطبى (المتوفى ٣٥٠ هـ/٩٦١م) كتابا «بلغ فيه الغاية» كما يقول ابن الفرضى، وقرأه

---

١) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص ١٥١.

٢) تاريخ ابن الفرضى ١٣٦/٢.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٧٠، ص٣٤٧، الإعلان بالتوبيخ للسخاوى (انظر علم التاريخ عند المسلمين – لروزنثال ص٦٣٥).

٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢١٣/٢ (ط / مصر)

٥) راجع الصلة لابن بشكوال ص ٤٥٣.

٦) راجع روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٦٥٠ – ٦٥٣.

٧) راجع الديباج المذهب لابن فرحون ٣٢٦/١ (ط مصر)، الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى – السفر الرابع ص ١٩١، وسير أعلام النبلاء للذهبى ١٨ /١٩٧.

٨) سير أعلام النبلاء ١٥٩/١٨.

الطلبة عليه[١]. وفى القرن الثامن الهجرى صنف أبو محمد قاسم بن محمد بن يوسف البرزالى الإشبيلى (المتوفى ٧٣٨هـ/١٣٣٧م) كتابا فى "طبقات المحدثين". وهذا العالم هو الذى ذيل على كتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر (المتوفى ٥٧١هـ/١١٧٥م) بلغ به إلى حوادث سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م»[٢].

(٣) وأشهر كتاب أندلسى فى تراجم القراء هو كتاب "طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين" لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (المتوفى ٤٤٤هـ/١٠٥٢م). وهذا الكتاب يقع فى أربعة أسفار. وقد أدخله ابن الجزرى فى كتابه "غاية النهاية فى طبقات القراء"[٣]، وقال عنه «هو عظيم فى بابه»[٤]، واعتمد عليه ابن الأبار فى كتابه "التكملة"[٥].

(٤) وفى طبقات النحويين واللغويين شارك الأندلسيون بعدد من الكتب، أهمها "طبقات النحويين واللغويين" لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الإشبيلى نزيل قرطبة (المتوفى ٣٨٠ هـ/٩٩٠م»[٦]. وهذا الكتاب - كما يقول ناشره ومحققه محمد أبو الفضل إبراهيم - "مرجع أصيل لتراجم النحويين واللغويين، من عهد أبى الأسود الدؤلى فى صدر الإسلام إلى عهد أبى عبد الله الرباحى (المتوفى ٣٥٨هـ/٩٦٩م) - شيخ الزبيدى - وإمام اللغة والنحو بالأندلس فى القرن الرابع الهجرى.. . وقد سار فيه على نهج فريد لم يسلكه أحد قبله، ولا نهج نهجه ممن جاء بعده، أقامه على الطبقات والمدارس، وفصل بين النحويين واللغويين"[٧]، وترجم لهم حسب التسلسل الزمنى، ذاكرا مولد المترجم وتاريخ وفاته، ونتفا من أخباره ومروياته، وأحيانا يذكر شيئا من مصنفاته. وقد جعل النحويين البصريين فى عشر طبقات، ثم أورد بعدهم النحويين الكوفيين فى ست طبقات، ثم عاد فأفرد للغويين البصريين سبع طبقات، وجعل

---

١) تاريخ ابن الفرضى ١/٥٥-٥٦.

٢) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص٢٨٤ - ٢٨٥.

٣) مقدمة غاية النهاية لابن الجزرى ج ١ ص ٣.

٤) غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٠٥.

٥) التكملة لابن الأبار ص ٧٠٥، ٧٠٧.

٦) جذوة المقتبس ١/٨٥-٨٦، ص٢٥٤، فهرسة ابن خير ص٣٥٣.

٧) راجع (ص١-٢) من مقدمة تحقيق (طبقات النحويين واللغويين) -ص١-٢ (دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثانية). وقد قام زميلنا الباحث المدقق عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح بدراسة كتاب الزبيدى دراسة مستوعبة ومفصلة فى أطروحته للدكتوراه بعنوان "الكتابات التاريخية فى مصر والأندلس فى القرن الرابع الهجرى - دراسة مقارنة" الجزء الأول - الصفحات ٤٩١ - ٥١٠) .

اللغويين الكوفيين فى خمس طبقات، ومزج بين النحويين واللغويين القرويين فى أربع طبقات، وختم الكتاب بالجمع بين النحويين واللغويين الأندلسيين فى ست طبقات. وكانت أكثر مصادره فى مادة الكتاب: مروياته الشفوية عن شيوخه بالأندلس، وبخاصة عن أبى على القالى البغدادى نزيل قرطبة الذى أخذ عنه الزبيدى معظم معارفه فى اللغة والنحو والأدب.

(٥) وقد كثر التصنيف فى طبقات الشعراء الأندلسيين عامة أو شعراء مدينة أندلسية معينة، أو الشعراء من الخلفاء أو الأمراء أو الفقهاء. ومن أوائل المصنفين فى هذا الباب: عثمان بن ربيعة الأندلسى (المتوفى ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م»[١]. وعثمان بن سعيد الكنانى القرطبى - من أهل جيان - (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢م»[٢]. وأبو عبد الله محمد بن عبد الرءوف بن عبد الحميد الأزدى المعروف بابن خنيس (المتوفى ٣٤٣ هـ/٩٥٤م»[٣]. وأبو محمد قاسم بن نصير بن رقاص بن عيشون المعروف بابن أبى الفتح من أهل شذونة - المتوفى (٣٣٨هـ/٩٤٩م) له كتاب "الشعراء من الفقهاء بالأندلس"[٤] وعبد الله بن محمد بن مغيث الأنصارى القرطبى (المتوفى ٣٥٢هـ/٩٦٣م)، له كتاب فى "شعر الخلفاء من بنى أمية"[٥]. وأبو القاسم مطرف بن عيسى بن لبيب الغسانى الإلبيرى (المتوفى ٣٥٦ هـ/٩٦٦م)، ألف كتابا فى "شعراء إلبيرة"[٦]. وغير هؤلاء كثيرون[٧] ممن صنفوا فى طبقات شعراء الأندلس. ويضاف إلى هذا التراث الأندلسى فى هذا الباب كتب المصادر الكبرى للأدب الأندلسى، (كالعقد الفريد) لابن عبد ربه، (الذخيرة) لابن بسام، و(الحدائق) للجيانى وغيرها. وهذه المصادر تحدثنا عنها فى سياق عرضنا للتراث الأندلسى فى "الأدب"[٨].

(٦) ويحظى التراث الأندلسى فى تراجم الأطباء والفلكيين والرياضيين والفلاسفة بكتابين على غاية من الأهمية فى دراسة الحركة العلمية فى مجال العلوم التجريبية والعقلية فى المشرق والأندلس على مدى خمسة قرون متتالية، وهما فى عداد الكتب التى يفتخر بها أهل

---

١) جذوة المقتبس ٤٨٣/٢، بغية الملتمس ص٤١١، الذيل والتكملة، السفر الخامس، الجزء الأول ص ١٣٣.
٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٨٨، تاريخ ابن الفرضى ٣٤٦/١.
٣) طبقات الزبيدى ص ٣٠٩، تاريخ ابن الفرضى ٦٢/٢.
٤) تاريخ ابن الفرضى ٤٠٥/١-٤٠٦، كشف الظنون لحاجى خليفة ٣٦٤/١.
٥) الصلة لابن بشكوال ص ٢٤٢.
٦) تاريخ ابن الفرضى ١٣٦/٢.
٧) راجع الصلة لابن بشكوال ص ٢٥٢، الجذوة ١٥٦/١، ٤٦٣/٢، نفح الطيب ١٢٩/٢، المغرب فى حلى المغرب ج١ (هامش ص ١٣٢).
٨) راجع عن ذلك بداية من (ص ٧٨٨ - ٧٩١).

الأندلس، وهما:

أولهما: "طبقات الأطباء والحكماء". لأبى داود سليمان بن حيان القرطبى المعروف بابن جلجل (كان حيا وقت تأليف كتابه (٣٧٧هـ/٩٨٧م). وهذا الكتاب يعد وثيقة هامة نقل عنه كل من صنف كتابا فى هذا الفن من المشارقة والمغاربة كابن أبى أصيبعة (المتوفى ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) والقفطى (المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وقد قدم الأستاذ فؤاد سيد بمقدمة وافية لكتاب ابن جلجل وعلق عليه تعليقات علمية دقيقة تتناسب مع أهمية الكتاب وقيمته[١].

وهذا الكتاب رغم وجازته يعطينا صورة سريعة لتطور الفلسفة والطب عبر العصور، وذكر فيه مؤلفه الأطباء والحكماء من لدن آدم - عليه السلام - إلى الزمان الذى هو فيه (زمن الخليفة الأندلسى هشام المؤيد)، وذكر منهم من كان بالمشرق والمغرب، وعرف بحوالى ثلاثة وعشرين من أطباء وفلاسفة الأندلس مذ ظهر أطباء بارعون فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ) إلى أول دولة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ)[٢].

والثانى: "طبقات الأمم" لأبى القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن التغلبى الطليطلى قاضى طليطلة (المتوفى ٤٦٢ هـ/١٠٧٠م)[٣]، وهو أحد الكتب النادرة التى تعرض لوصف العلوم بين الأمم التى سبقت عهد الإسلام، وقد نقله الأندلسيون إلى الإسكندرية[٤]، فعرفه المشارقة وقدروه واعتمدوا عليه، كابن العبرى فى كتابه "تاريخ مختصر الدول"[٥]. ويعد كتاب "طبقات الأمم" مكملا لكتاب ابن جلجل المذكور قبله. ومن الجدير بالذكر أن صاعد الطليطلى صنف كتابا آخر فى تراجم الأطباء والفلاسفة بعنوان "صوان الحكم فى طبقات الحكماء" ذكره صاحب (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون)[٦].

---

١) طبقات الأطباء والحكماء لابن حلجل - تحقيق فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية - مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م. وستأتى نبذة عن هذا الكتاب فى المبحث الخاص بإنجازات الأندلسيين فى علم الطب - راجع (ص ٩١٠).

٢) راجع دراسة مفصلة لكتاب ابن جلجل فى بحث لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (الكتابات التاريخية فى مصر والأندلس فى القرن الرابع الهجرى - دراسة مقارنة) للباحث المدقق عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح - دار العلوم ١٩٩٧م - ح١ ص ٤٦٦ - ٤٨٢.

٣) نفح الطيب ١٨٢/٣ (تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس)، وراجع الصلة لابن بشكوال ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

٤) التكملة لابن الأبار ٢/ ٤٦٣ (ط / مدريد).

٥) تاريخ ابن العبرى ص ١٥٨، ٢٣٥ (ط بيروت).

٦) كشف الظنون ح ٢ ص ١٠٨٢.

(٧) تراجم رجال الإدارة والحكم: وقد أفرد الأندلسيون لسيرة رجال الإدارة والحكم كتبا مخصوصة، فأرخوا للخلفاء والأمراء والوزراء والقضاة والكتاب والحجاب. ومن الأمثلة على ذلك:

أ – فى تراجم الخلفاء والأمراء: صنف أبو الوليد أحمد بن محمد بن أحمد ... بن زيدون القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م) كتابا بعنوان "التبيين فى خلفاء بنى أمية بالأندلس"، وهو من الكتب التى يفتخر بها الأندلسيون فى مجال الدراسات التاريخية، وقد حاكى فيه مؤلفه كتابا للمؤرخ البغدادى على بن الحسين المسعودى (المتوفى ٣٤٥هـ/٩٥٦م) المسمى "التعيين للخلفاء الماضيين" يعنى خلفاء المشرق[١].

وقد صنف ابن حزم الأندلسى (المتوفى ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) كتابا "ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس" لخصه لنا تلميذه الحميدى فيما أورده فى صدر كتابه (جذوة المقتبس) عن تاريخ الأندلس منذ افتتاحها إلى عصره، وهى الفترة نفسها التى كانت موضوع كتاب ابن حزم المقصود[٢].

ولابن حزم كتاب آخر نفيس ضم تاريخا للخلفاء من النواحى العامة والسياسية حتى عصره (منتصف القرن الخامس الهجرى)، وهو كتاب "نقط العروس فى تواريخ الخلفاء"[٣] ويسميه ابن حيان فى (المقتبس) باسم "نقط العروس فى نوادر الأخبار"[٤]، يذكر فيه معلومات مقتضبة عن خلفاء المشرق والأندلس وحكامهما، مرتبة فصولا بحسب جوامع مختلفة تربط بينهم، مثل (أول الأسماء التى وقعت على الخلفاء) و(تسمية من ولى الخلافة فى حياة أبيه) و(من ولى منهم صبيا) و(أكثر الخلفاء عمرا) وما إلى ذلك، وربما كانت مادة هذا الكتاب نقطا كان قد وضعها ابن حزم لينشئ حولها كتابا مطولا[٥]، "وأهمية هذه الرسالة ترجع إلى أنها خير

---

١) الذيل والتكملة / السفر الأول – القسم الأول ص ٣٦٨ – ٣٦٩، نفح الطيب ٣ / ١٨٢ (ذيل ابن سعيد على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس).

٢) راجع جذوة المقتبس ص ٣٦، د. عبد الحليم عويس: ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ٢٣٩ – ٢٤٠.

٣) وقد نشر هذا الكتاب دكتور شوقى ضيف فى مجلة كلية الأداب المجلد (١١٣) – الجزء الثانى / ديسمبر ١٩٥١م. نفح الطيب للمقرى ٣٨٢/٣، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٤٤/١، وسير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٥/١٨.

٤) المقتبس (تحقيق شالميتا) ص ٣٧.

٥) تاريخ الفكر الأندلسى – ص ٢٢٠

معين لمن يريد أن يدرس نظام الخلافة الإسلامية ويطلع على حسناته وعيوبه "[١].

والكتاب الجامع لكل أمراء الأندلس وخلفائها فى كل العصور الأندلسية هو كتاب "أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" - القسم الأندلسى - للأديب المؤرخ الغرناطى الشهير لسان الدين بن الخطيب. وهذا الكتاب - وإن كان يظهر من عنوانه أنه خاص بصنف محدد من الأمراء والخلفاء - إلا أن مؤلفه تجاوز من أول وهلة ذلك الإطار التاريخى الضيق وجعله شاملا لكل حكام الأندلس[٢].

ب - وفى تراجم الوزراء: ألف عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٧٩هـ/٩٨٩م) كتاب "الوزراء والوزارة"، وأهداه للمنصور بن أبى عامر. وهذا المؤرخ كان حجة فى التاريخ الأندلسى، ونقل عنه من المؤرخين الأندلسيين: ابن حيان فى (المقتبس) وابن الأبار فى "الحلة السيراء" وابن عذارى فى "البيان المغرب"[٣].

ج - وفى تراجم (الحجاب): صنف عيسى الرازى نفسه (كتابا)، وأهداه للمنصور ابن أبى عامر أيضا[٤].

د - وفى طبقات الكتاب بالأندلس: صنف اثنان من الأندلسيين: الأول: أبو عبد الله محمد بن موسى بن هاشم النحوى القرطبى المعروف بالأقشتين (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م)»[٥]. والثانى: سكن بن سعيد (أو سكن بن إبراهيم) القرطبى[٦]. وكلا الكتابين من مفاخر الأندلسيين وذكرهما ابن حزم فى رسالته عن فضائل الأندلس[٧].

هـ - وأهم مصدر فى تراجم القضاة الأندلسيين وتأريخ الحياة القضائية بالأندلس إلى القرن الرابع الهجرى هو كتاب "قضاة قرطبة" لأبى عبد الله محمد بن حارث

---

١) د. شوقى ضيف: (مقدمة تحقيق نقط العروس) ص ٤٥. وراجع د. عبد الحليم عويس: ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

٢) الكتاب مطبوع بتحقيق وتعليق ليفى بروفنسال - دار المكشوف / بيروت، لبنان ١٩٥٦م.

٣) الذيل والتكملة / السفر الخامس / القسم الثانى - ص ٤٩١. وراجع المقتبس لابن حيان (الجزء الذى حققه د. محمود مكى) ص١٠٤، ١٧٦، ١٩٥، ٣٢٠، ٣٢٩ وغيرها.

٤) الذيل والتكملة - ونفس الموضع.

٥) تاريخ ابن الفرضى ٣١/٢، طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٨٢، جذوة المقتبس للحميدى ١/ ٤٥.

٦) جذوة المقتبس ٣٦٨/١، بغية الملتمس ص ٣١٥، الذيل والتكملة / السفر الرابع ص ٤٨.

٧) نفح الطيب للمقرى ح٣ ص ١٧٤ - ١٧٥ (رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس).

الخشنى بن أسد القيروانى القرطبى (المتوفى ٣٦١هـ/٩٧١م»[١]. وهو من الكتب الممتازة التى تعطى لنا صورا حية ودقيقة عن جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية والعلمية والنظم القضائية فى المجتمع الأندلسى، وأرخ فيه لأربعة وأربعين قاضيا أندلسيا، كان آخرهم القاضى محمد بن إسحق بن السليم (المتوفى٣٦٧هـ/٩٧٧م»[٢]. وقد نقل عنه أبو الحسن على بن عبد الله بن محمد المالقى النباهى (المتوفى بعد ٧٩٣ هـ/١٣٩٠م) فى كتابه "المرقبة العليا فيمن ولى القضاء والفتيا"[٣]، وهذا الكتاب الأخير يعد تتمة لكتاب الخشنى فى التأريخ لقضاة الأندلس.

وقد صنف عبد الملك بن حبيب الإلبيرى القرطبى (المتوفى ٢٣٨ هـ/٨٥٢م) كتابا بعنوان "منهاج القضاة". ويبدو من عنوان هذا الكتاب - ومن القطعة الصغيرة التى نقلها عنه النباهى فى "المرقبة العليا"[٤] - أنه ليس تأريخا للقضاة، وإنما هو فيما يتعلق باختصاصات القاضى والآداب التى يجب أن يتحلى بها، والأصول والقواعد التى ينبغى أن يراعيها فى القضاء بين الخصوم.

تعقيب: وبعد هذا العرض لصور من التأليف الأندلسى فى فن التراجم والطبقات يتبين لنا أن الأندلسيين اهتموا بهذا الفرع اهتماما كبيرا، وتنوعت مؤلفاتهم بحسب الموضوع الذى يعالجه كل مصنف، واختلفت أساليبهم فى التنظيم والتبويب. وكانت أغلب مؤلفاتهم فى هذا الباب تدور حول رجال الأندلس وأعلامها. وما من شك فى أن كتب التراجم الأندلسية لها أهمية كبيرة وشاملة فى دراسة التاريخ الأندلسى لما تلقيه من أضواء على جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن أنها تعكس لنا تطورات الحركة الفكرية من حيث تياراتها العلمية وإنتاجها الثقافى، وبالتالى الكشف عن كل من أسهم فى صنع الحضارة الإسلامية على أرض الأندلس.

ثامنا: التأريخ فى الفكر الحضارى:

وقد انعكست كثير من جوانب الحياة الحضارية بالأندلس فى كتابات الأندلسيين التى

---

١) بغية الملتمس ص ٧١، الديباج ٢/٢١٣ (ط / مصر). وراجع أسماء مؤلفات أخرى عن تاريخ قضاة الأندلس (الصلة لابن بشكوال) ص٣٨-٣٩، ص ٧٠، ص ٣٤٧.

٢) قام زميلنا الباحث الدكتور عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح بدراسة مفصلة عن كتاب القضاة للخشنى فى رسالته التى أعدها لنيل درجة الدكتوراه بعنوان "الكتابة التاريخية فى مصر والأندلس فى القرن الرابع الهجرى — دراسة مقارنة"- دار العلوم ١٩٩٧ م - الجزء الأول (ص ٦٥٦ — ٦٧١) وقد أبان الباحث فى دراسته الكتاب المذكور عن محتواه ومضمونه منهج الخشنى فى الكتاب وموارده المختلفة.

٣) المرقبة العليا للنباهى ص ١٢، ١٤، ٢١، ٤٢، ٤٨، ٥٥، ٦٤، ٧٨، ١٩٤، ٢٠٤.

٤) المرقبة العليا للنباهى ص ١٨٨.

يمكن أن تدور فى نطاق ما يسمى "بالتأريخ الحضارى"، وقد كانت دائرة الاهتمام الحضارية واسعة للدرجة التى أوجدت فى الأندلس مجموعة من المؤلفات تناولت النظم الإدارية والمالية والفكر السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى. لكن لم يكن التراث الأندلسى فى هذا الاتجاه على المستوى الشامل الذى كان عليه التراث (البغدادى / المشرقى)[١].

ففى التاريخ الإدارى عالج الأندلسيون - مثلهم فى ذلك مثل المشارقة - مواضيع متنوعة من خلال الكتب التى صنفوها عن أمراء الأندلس وخلفائها ووزرائها وقضاتها وكتابها وحجابها. وقد مر بنا أمثلة عديدة من الكتب التى تؤرخ لهذه الفئات، وهى تتضمن معلومات وفيرة ومهمة عن المؤسسات والنظم الإدارية التى تقوم عليها الدولة فى المجتمع الأندلسى كنظام القضاء والحسبة والشورى والوزارة والحجابة وغيرها، إضافة إلى ما ورد فى كتب التاريخ العام للأندلس من إشارات كثيرة حول هذه النظم والمراتب الادارية[٢].

ويعتبر كتاب (سراج الملوك) لأبى بكر محمد بن الوليد الطرطوشى الملقب بابن أبى رندقة - بضم الراء المهملة ونون ساكنة ودال مهملة وقاف مفتوحتين - (المتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م)[٣] من أهم كتب الأندلسيين فى الفكر السياسى والعسكرى. وهذا الكتاب فى الآداب السلطانية، يتناول فيه الطرطوشى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الملوك والأعمال التى ينبغى أن يقوموا بها فى أوقات السلم والحرب، ويتعرض إلى أهمية الإقطاع العسكرى فى العصر الأموى بالأندلس، كما يصف النظم الحربية والخطط العسكرية التى اتبعتها الجيوش الأندلسية فى الحرب على عهد الأمويين، ويحسن أن نسجل هنا نصا من "سراج الملوك" على غاية من الأهمية فى إبراز جانب من الحياة الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية فى المجتمع الأندلسى، يقول الطرطوشى: "وسمعت بعض شيوخ الأندلس من الأجناد يقولون: ما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم، وأمر العدو فى ضعف وانتقاص لما

---

١) راجع ما كتبناه عن اتجاه (التأريخ الحضارى) فى بغداد بداية من (ص ٢٥٥).

٢) للدكتور التهامى الراجى الهاشمى دراسة حول (نظم وإدارة بنى أمية بالأندلس خلال "المقتبس" لابن حيان) منشور بمجلة المناهل، العدد (٢٩) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م. ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن أبا بكر محمد بن عيسى بن مزين الأندلسى نشر له المستشرق (دوزى) قطعة قيمة عن افتتاح الأندلس وما اتبعه العرب الفاتحين من نظم فى توزيع أراضيها — راجع تعليقات د. حسين مؤنس على (الحلة السيراء) لابن الأبار٢/١٧ .

٣) له ترجمة فى الديباج المذهب لابن فرحون ص٢٧٦-٢٧٨(ط-بيروت/مجلد واحد)، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥/٢٣١-٢٣٢. وقد ألف الدكتور جمال الدين الشيال كتابا بعنوان (أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى) تحدث فيه عن حياة الطرطوشى (ط - دار المعارف ١٩٦٥).

كانت الأرض مقطعة فى أيدى الأجناد، فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربى التاجر تجارته، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة، والأجناد متوافرين إلى أن كان الأمر فى آخر أيام المنصور بن أبى عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال، وقدم على الأرض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم، فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة، فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان، وضعفت الأجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها... إلى أن دخلها المتلثمون (الدولة المرابطية) فردوا الاقطاعات كما كانت إلى الزمان القديم، ولا أدرى ما يكون وراء ذلك"[١].

ويعد ابن حزم الأندلسى من المفكرين الأندلسيين القلائل الذين أفردوا كتبا مستقلة فى كثير من جوانب الفكر الحضارى (السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى).

ففى الفكر السياسى صنف كتاب الإمامة والخلافة فى سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها" [٢] و "الرسالة اللازمة لأولى الأمر" و"مراقبة أحوال الإمام"[٣] ويتناول فى كتابه "الفصل فى الملل والأهواء والنحل"[٤] دراسة الأديان والمذاهب والفرق الدينية المختلفة. **وفى الفكر الاقتصادى الإسلامى** صنف "قسمة الخمس"، **وأما الفكر الاجتماعى** فقد قدم لنا ابن حزم تحليلا صافيا للمجتمع الأندلسى فى عصره وخلف نظرية اجتماعية أخلاقية متكاملة شأنه فى ذلك - فى الفكر الاجتماعى - شأن كثير من مفكرى الإسلام قبل ابن خلدون (المتوفى ٨٨٠هـ)، فإنهم لم تتوافر لديهم النظرة الشاملة لتقديم فلسفة اجتماعية تصلح أن تكون علما قائما بذاته لها منهجها ولها موضوعات بحثها المستقل ومع ذلك فقد كان من هؤلاء الرواد - كابن حزم وتلميذه الطرطوشى - بمثابة الذين عبدوا الطريق لابن خلدون كى يصل إلى وضع أساس علم الاجتماع "[٥]

ومن كتب ابن حزم التى بسط فيها بعض آرائه فى مجال الفكر الاجتماعى: كتاب (السير والأخلاق) فى مجلدين، ورسالة فى "مداواة النفوس" وكتاب "طوق الحمامة فى الألفة والألاف". وهذا الكتاب الأخير يكشف لنا عن كثير من أبعاد الحياة الاجتماعية الأندلسية فى

---

١) سراج الملوك ص ٢٢٩ (المطبعة التجارية، القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٤ م).
٢) نفح الطيب للمقرى ٧٩/٢ .
٣) سير أعلام النبلاء ح١٨ ص ١٩٥، ١٩٦.
٤) ذكره الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ح١٨ ص ٩٥.
٥) عبد الحليم عويس: ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ٢٨٥.

القرن الخامس الهجرى، ولا سيما ما يتعلق بأوضاع المرأة[١]؛ وفى هذا الصدد يرى الدكتور عبد الحليم عويس أن ابن حزم اهتم بالمرأة فى كل دراساته، وأعطاها حقها فى الهيئة الاجتماعية وساواها بالرجل مساواة تامة فى الحقوق الإنسانية فى حدود تخصصها.

وفى الفكر الثقافى والتربوى صنف ابن حزم رسالتين على غاية من الأهمية: الأولى: " مراتب العلوم"[٢]. قدم فيه نظرية تربوية متكاملة بناها على أسس واضحة، ورتب على أساسها لكل مرحلة من مراحل النمو الجسمى والعقلى قدرا ملائما من المعرفة. وكان من آرائه التى سجلها فى هذه الرسالة أن العلم لابد أن يوجه فى خدمة المجتمع، وأنه من الصعب التوصل إلى كل العلوم، فمع ضرورة الأخذ من كل فن بطرف (الأرضية الثقافية الواسعة) لابد من التخصص الدقيق فى علم من العلوم. وفى ذلك يقول: " ومن اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره أوشك أن يكون ضحكة وكان ما خفى عليه من علمه الذى اقتصر عليه أكثر مما أدرك منه، لتعلق العلوم بعضها ببعض ٠٠٠ومن طلب الاحتواء على كل علم أوشك أن ينقطع ولا ينحسر ولا يحصل على شىء"[٣]

والثانية: رسالة فى (فضل الأندلس) ذكرها المقرى بأكملها فى (نفح الطيب»[٤]. وسيجدها القارىء فى القسم الخاص بالملاحق[٥]، وهى تدخل فى عداد التاريخ الثقافى الأندلسى وقد صنفها ابن حزم ردا على رسالة ابن الربيب التميمى القيروانى التى يذكر فيها تقصير أهل الأندلس فى تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضلهم وسير ملوكهم، فرد عليه ابن حزم بالرسالة المذكورة، وذكر فيها - بشىء من التفصيل - ثبتا بأهم المؤلفات والعلماء المعتد بهم فى تاريخ الحضارة الأندلسية إلى عصره، مع إجراء نوع من المقارنة بين أعلام علماء الأندلس وقرنائهم من العلماء المشارقة، كل فى ميدانه. ولا ينسى أن يخص وطنه الصغير (قرطبة) ببعض المزايا التى تجعلها تفخر على غيرها من سائر المدن.

وبعد مضى أكثر من قرنين من الزمان استبد الحماس بعالم أندلسى آخر فى نطاق إظهار

---

١) للدكتور الطاهر أحمد مكى كتاب بعنوان "دراسات عن ابن حزم وكتابه "طوق الحمامة". خصص فيه فصلا عن (المرأة فى قرطبة من خلال طوق الحمامة) – دار المعارف بالقاهرة – الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م.

٢) سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٩٦.

٣) راجع تحليلا لكتاب (مراتب العلوم) – للدكتور عبد الحليم عويس فى كتابه ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ٣٠٠-٣٠٨

٤) نفح الطيب للمقرى ج٣ ص ١٥٦ – ١٧٩.

٥) راجع قسم الملاحق (ص ١٠٠٩) إلى (ص ١٠٢٥).

الوجه الفكرى والعلمى للأندلس فقام بإكمال رسالة ابن حزم وذيل عليها. وهذا العالم هو على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسى (المتوفى ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، استدرك على ابن حزم ما فاته فى عصره، وأضاف ما استجد بعد ذلك من علماء ومؤلفين، مع ذكر الكثير من مؤلفاتهم وموضوعات بحوثهم التى حوت دون شك عددا من مستحدثات العلوم لم تكن نشأت أو ازدهرت على عهد ابن حزم[١].

ويمكن القول: إن هذين العملين - رسالة ابن حزم وتذييل ابن سعيد عليه - يعدان إحصاء دقيقا لأهم ما فى تاريخ الفكر الأندلسى من علماء ومؤلفات حتى الثلث الثانى من القرن السابع الهجرى أو ما بعد تلك الفترة بقليل.

وفى نفس الغرض الذى استهدف إظهار فضل الأندلس وإشهار محاسن أهله - كتب إسماعيل بن محمد الشقندى الأندلسى (المتوفى ٦٢٩ هـ/١٢٣١م) رسالة انتصف فيها لأهل الأندلس ودافع عنهم حين قصرت هممهم عن الدفاع عن بلدهم وأصبحوا فى أكثر شؤونهم عيالا على البر الإفريقى[٢].

وأوسع الكتب تأريخا للحركة الثقافية فى الأندلس هى (كتب برامج العلماء)، و(البرنامج) [٣] عبارة عن «كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات فى مختلف العلوم ذاكرا عنوان الكتاب واسم مؤلفه والشيخ الذى قرأه عليه أو تحمله عنه، وسنده إلى المؤلف، وربما ذكر خلال ذلك المكان الذى كان موضعا للدرس والتاريخ الذى بدأ فيه الدراسة أو ختمها[٤]».

وقد شغف العلماء الأندلسيون شغفا كبيرا بهذا النوع من الكتب وشارك المتقدمون منهم والمتأخرون فى إنتاجه مشاركة قوية[٥]. وقد كان لهذه الكتب أهمية بالغة، فهى تمدنا بصورة

---

١) تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم ذكره المقرى فى نفح الطيب ح٣ ص١٧٩-١٨٦. وسيجدها القارىء فى قسم الملاحق (ص ١٠٢٦) إلى (ص ١٠٣١).

٢) أورد المقرى رسالة الشقندى فى (نفح الطيب) ح٣ ص ١٨٦ - ٢٢٢.

٣) البرنامج (بفتح الباء الموحدة والميم وقيل: بكسر الميم. وقيل: بكسرهما): كلمة معربة عن كلمة (برنامة) الفارسية وهى فى الأصل تدل على الورقة الجامعة للحساب أو الزمام الذى يرسم فيه متاع التجار وسلعهم - راجع تاج العروس - فصل الباء من باب الجيم .

٤) د. عبد العزيز الأهوانى: كتب برامج العلماء فى الأندلس - بحث منشور بمجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - الجزء الأول (مايو ١٩٥٥ م - رمضان ١٣٧٤ هـ) - ص ٩١.

٥) ذكر ابن خير الإشبيلى (المتوفى ٥٧٥هـ/١١٧٩م) فى آخر كتابه (فهرسة ما رواه عن شيوخه) ذكر كتب البرامج والفهارس الجامعة لروايات الشيوخ وتواليفهم، وكان عدد الكتب التى تحمل اسم = .

صادقة عن الحركة العلمية والحياة الثقافية فى العصر الذى دونت فيه، وترسم لنا ملامح عن النشاط الذى يقوم به الطلبة وطرق تلقيهم العلم وتساعدنا على معرفة الكتب المتداولة وإحصائها فى مختلف الفنون، وترينا مكانة أهل العلم بالأندلس، ووظائفهم التى تولوها والرحلات التى كانوا يقومون بها. "وأمر آخر تكشف عنه هذه البرامج فيما يتصل بحياة الكتب فى الأندلس وصلتها بما كان يؤلف فى المشرق. أى هذه الكتب المشرقية دخل الأندلس ؟، وعلى يد من انتقل من المشرق إلى المغرب ؟ ثم ما مقدار الكتب المشرقية أو الأندلسية فيما قرأه العالم الواحد ؟، وأى أنواع العلوم كان محتكرا أو شبه محتكر للمشارقة، وأيها كان وقفا على مؤلفين مغاربة وأندلسيين ؟، وإلى أى مدى كانت كتب المحدثين من المؤلفين تنافس السابقين من القدماء ؟ "[1]. وكل هذه القضايا وغيرها تتصل بتاريخ العلوم وبحياة الكتاب فى الأندلس وتعين على الوصول فيها إلى نتائج واضحة.

تعقيب ومقارنة:

تلك هى أهم الاتجاهات التأريخية التى كتب حولها الأندلسيون تاريخ بلادهم أو تعرضوا من خلالها لبعض الجوانب من تاريخ المشرق، وبعد هذا العرض للتراث الأندلسى فى مجال البحث التاريخى يمكن أن نسجل فى السطور التالية بعض الاستنتاجات المهمة:

أولا: أدرك الأندلسيون أهمية التاريخ فضربوا فيه بسهم وافر، وعكفوا على مجاله يسجلون فيه روائع خالدة من المؤلفات حتى أصبحت المدرسة التاريخية فى الأندلس عميقة الجذور، شامخة الفروع. تقف جنبا إلى جنب مع المدرسة (البغدادية / المشرقية) فى بناء صرح الحضارة الإسلامية فى مجال البحث التاريخى والحضارى .

ثانيا: ولقد كان واضحا فى عرضنا السابق أن الأندلسيين سلكوا مسلك (المدرسة البغدادية / المشرقية) ليس فقط فى اتباع الاتجاهات التأريخية التى درجوا عليها فى التدوين التاريخى على اختلاف صورها كالكتابة فى السيرة وحدها أو فى التاريخ العام أو فى تاريخ المدن المحلية.. . الخ، بل - وإضافة إلى ذلك - اتبعوا فى معالجة تاريخهم تلك المناهج التى اتبعها إخوانهم المشارقة والتى تقوم على النقل والاقتباس أو المشاهدة العينية وتحرى الحقائق فى جمع المعلومات والاستعانة بالوثائق والمراسلات والآثار المادية.

= "فهرسة" (٧٤) فهرسة. وعدد الكتب التى تحمل اسم "برنامج"(٧) برنامج (راجع فهرسة ابن خير ص ٢٣٥، ٢٥٣، ٣٣٥، ٣٦٣، ٤٠٠، ص ٤٢٥-٤٣٨).

١) د. عبد العزيز الأهوانى: البحث المذكور ص.٩٢ - ٩٣.

ثالثا: كان التراث الأندلسى الضخم فى مجال الدراسات التاريخية تراثا محليا فى معظمه أى أنه خاص بتدوين تاريخ الأندلس وسيرة رجاله، ولم يسجل الأندلسيون تاريخا عالميا إلا فى القليل النادر. لكن - وفى إطار عنايتهم بالتاريخ المشرقى - كان لهم اهتمام أوسع بدراسة السيرة النبوية وتراجم رواة الحديث النبوى بوجه خاص.

وهذا الاهتمام الأكبر الذى أعطاه الأندلسيون لتدوين أحداث التاريخ الأندلسى يعود بالدرجة الأولى إلى ميلهم نحو تأصيل الخصوصية الأندلسية التى تشارك فى تفسير تميز الأندلس أو تمايزها فى كثير من مجالات الفكر والحضارة.

وبهذه الملاحظات نكون قد انتهينا من الحديث عن التراث الأندلسى فى علم التاريخ. وننتقل الآن إلى علم آخر مرتبط بالدراسات التاريخية أشد ارتباط، وهو علم "الجغرافيا"، لنتعرف على إنجازات الأندلسيين وما قدموه من إضافات فى هذا الميدان.

* * * *

المبحث الثانى

الدراسات الجغرافية

مدخل: ظهر علم "الجغرافية" فى الأندلس مع علم التاريخ فى آن واحد كما هو الحال فى المشرق، فكما كان هشام بن محمد بن السائب الكلبى (المتوفى ٢٠٤هـ/٨١٩م) وأبو حنيفة الدينورى (المتوفى ٢٨٢هـ/٨٩٥) واليعقوبى (المتوفى ٢٨٤هـ/٨٩٧م) من رواد علم التاريخ فى (بغداد/المشرق) وفى نفس الوقت كانوا روادا لعلم الجغرافيا، وأثرت عنهم وعن معاصريهم المؤلفات الصغيرة والكبيرة فى هذا الميدان[١]، فكذلك كان أول مؤرخ أندلسى كبير وهو احمد بن محمد بن موسى الرازى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م) مؤرخا وجغرافيا، بل هو الذى وضع أساس هذين العلمين فى الغرب الإسلامى[٢]. ويعد - وهو المشرقى الأصل - أول من أدخل الجغرافيا الإقليمية إلى الأندلس فى عهد عبد الرحمن

---

١) تحدثنا من قبل عن جهود علماء بغداد/المشرق فى مجال الدراسات الجغرافية - راجع المبحث الخاص بذلك بداية من (ص٢٦٧).

٢) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس - الصفحة الأولى (بتصرف). وراجع ما كتبناه عن جهود أحمد بن محمد الرازى فى مجال الدراسات التاريخية ص٨٣٣ — ٨٣٥).

الناصر[١] (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م).

وقد تناول معظم الجغرافيين المشرقيين - مثل الاصطخرى وابن خرداذبة والمسعودى وابن حوقل وغيرهم - جغرافية الأندلس فى إشارات ونبذ قصيرة عند أحاديثهم عن الأقاليم السبعة، ولعل ذلك يرجع إلى ندرة المعلومات التى تحت أيديهم. فى حين أن الجغرافيين الأندلسيين تناولوا جغرافية هذا الإقليم باستفاضة، ولا غرو فى ذلك، فهم أهل البلاد، وأعلم بمسالكها ودروبها. لكن ضاع كثير من أصولهم المدونة. ولم يبق منها إلا القليل، وأكثره مبثوث فى بطون الكتب الأندلسية التاريخية والأدبية. ويرجع الفضل فى الاحتفاظ بنبذ قيمة منها إلى المقرى (المتوفى ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، فقد نقل إلينا فى كتابه "نفح الطيب" نصوصا عديدة فى وصف جزيرة الأندلس وما اشتملت عليه من الخواص والفضائل وفى وصف قواعده الكبرى، مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها. وكان من بين الذين نقل عنهم الرازى والحجارى وابن سعيد وابن غالب وابن النظام وغيرهم[٢] ممن سيأتى ذكرهم فى سياق الحديث عن إنجازات الأندلسيين فى الجغرافيا.

وقبل أن ننتقل إلى عرض هذه الإنجازات نذكر القارئ بما قررناه من قبل عن مدى تأثر الأندلسيين بالثقافة المشرقية فى مجال الدراسات الجغرافية، فقد ذهبنا هناك إلى أن الجغرافيين الأندلسيين - وهم فى نفس الوقت مؤرخون - انتفعوا فى وقت مبكر بنوعين من كتب المشارقة، الأول: كتب التاريخ، وخاصة كتب تاريخ المدن التى تبدأ بمقدمة طبوغرافية عن خطط المدينة ووصفها. والثانى: كتب اللغة التى أشبه بالمعاجم اللغوية الصغيرة، ويهتم أصحابها بتدوين المفردات اللغوية الخاصة بالنبات والجبال والمياه والحشرات والأنواء وغير ذلك من المعالم والظواهر الطبيعية فى جزيرة العرب. فهذه الأنواع كلها جمع منها الأندلسيون مادة ثرية انتفعوا بها فى تأليف بعض البحوث فى الجغرافية العامة والخاصة. أما الكتب التى تمثل صلب الكتابات الجغرافية ويظهر فيها الاهتمام بالمدن ومواقعها وطرقها وآثارها ومسافاتها... الخ - وهى التى يطلق عليها (كتب المسالك والممالك) - فقد رجحنا أنها لم تصل إلى الأندلس إلا بعد القرن الرابع على

---

١) د. عبد الرحمن حميدة: إنجازات علماء الأندلس فى ميدان الجغرافيا - (ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة-الرياض١٤١٣هـ/١٩٩٣م الجلسة (١٦)- البحث الأول (ص٣).

٢) راجع نفح الطيب للمقرى ج ١ - الباب الأول (مزايا الأندلس).

الأقل، واستفاد الأندلسيون بمناهجها فى إبراز الخصوصية الأندلسية للبيئة الجغرافية فى الأندلس. وقد بلغ تأثرهم بكتب المسالك والممالك مداه عند الإدريسى (المتوفى ٥٦هـ/ ١١٦٤م) الذى اعتمد على عدد كبير من هذه الكتب فى تأليف كتابه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق"[١].

ونتحدث الآن عن **أهم ما فى التراث الأندلسى فى هذا المجال**، ونبدأ بالمؤسس الأول للجغرافية الأندلسية:

(١) أحمد بن محمد بن موسى الرازى القرطبى (المتوفى ٣٤٤هـ/٩٥٥م):

صنف أبو بكر الرازى[٢] فى جغرافية الأندلس كتابين عدهما ابن حزم من مفاخر الأندلسيين:

الأول: فى "صفة قرطبة وخططها ومنازل العلماء (والأعيان) بها". تأثر فيه بالمقدمة الجغرافية التى كتبها ابن أبى طاهر طيفور البغدادى لكتابه "أخبار بغداد" وذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها[٣].

والكتاب الثانى: يصفه ابن حزم بأنه «كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس فى غيره، وهو كتاب مريح مليح»[٤]. ويعتقد البعض أن هذا الكتاب ما هو إلا مقدمة جغرافية لكتابه الكبير "أخبار ملوك الأندلس"[٥].

وهذه المؤلفات ضاعت ولم يبق منها إلا ما ذكره المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون الذين جاءوا من بعده، وفى مقدمتهم المقرى فى "نفح الطيب"[٦]، إضافة إلى قطعة فى صفة الأندلس وصلت إلينا مترجمة إلى اللغتين الإسبانية والبرتغالية القديمتين[٧]. وقد قام الدكتور

---

١) راجع المبحث الخاص بتأثر الأندلسيين بالمدرسة البغدادية/المشرقية فى مجال الجغرافيا - بداية من (ص ٦١٠).

٢) سبق التعريف بالرازى وبمؤلفاته التاريخية فى المبحث السابق (ص ٨٣٣-٨٣٥).

٣) جذوة المقتبس ١٦٨/١، بغية الملتمس ص ١٥١، نفح الطيب ١٧٣/٣ "رسالة فضل الأندلس" لابن حزم.

٤) جذوة المقتبس ١٦٨/١، بغية الملتمس ص ١٥١، نفح الطيب ١٦٠/٣ "فضل الأندلس لابن حزم".

٥) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٥٨ - ٥٩.

٦) راجع نفح الطيب - الجزء الأول ، الصفحات - على سبيل المثال (١٤٠-٤٦٠، ٤٨١) وغيرها.

٧) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٥٩، تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا - ترجمة. د: حسين مؤنس ص ١٩٧.

حسين مؤنس بتحليل هذه القطعة تحليلا جيدا، وخلاصة ما وصل إليه:

١ - تناول أحمد بن محمد الرازى الجغرافية على أنها علم متمم للتاريخ.

٢ - سلك فى جغرافية الأندلس طريقا لا نجد له شبها فيما لا يعرف من كتب الجغرافية السابقة عليه فى المشرق.

٣ - تمتاز جغرافية الرازى بالتدقيق فى الوصف والتحديد والاعتماد على المشاهدة والمعلومات المأخوذة من وثائق الدولة، كما تمتاز بالفهم العميق لطبيعة البلد الذى انتمى إليه وعاش فيه وتصدى للكتابة فى جغرافيته وتاريخه.

٤ - تناول الرازى جغرافية الأندلس من جميع نواحيها: الطبيعية والبشرية والسياسية والإدارية، وأعطى تقارير شاملة فى وصف المدن والمواضع والأنهار والجبال والسهول والوديان والحصون والثغور والزروع والثمار والمعادن وما إلى ذلك[١].

(٢) أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق (المتوفى ٣٦٣هـ/٩٧٣م):

وأول جغرافى أندلسى كتب فى المغرب الإسلامى كتابا بعنوان "مسالك إفريقية وممالكها" هو أبو عبد الله محمد بن يوسف التاريخى الوراق (المتوفى ٣٦٣هـ/٩٧٣م»[٢]، صنفه للخليفة الأندلسى الحكم المستنصر، وصنف له أيضا كتبا فى أخبار ملوك إفريقية وحروبهم والغالبين عليهم، وكذلك ألف أيضا فى أخبار تيهرت ووهران وتنيس وسجلماسة ونكور وبصرة المغرب وغيرها تواليف حسانا[٣].

وكتاب الوراق عن مسالك إفريقية استصفاه أبو عبيد البكرى الأندلسى (المتوفى٤٨٧ هـ/١٠٩٤م) فى كتابه "المسالك والممالك"[٤]، فقد اعتمد عليه اعتمادا تاما فى الجزء الذى

---

١) راجع د. حسين مؤنس: المرجع السابق ص ٥٩ - ٧٢.

٢) محمد بن يوسف الوراق أبو عبد الله: أندلسى الأصل والفرع، وآباؤه من وادى الحجارة، نشأبالقيروان وبها تعلم، وهاجر إلى قرطبة، واتصل بالحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/م) فقربه إليه وحثه على التأليف فى جغرافية المغرب وتاريخه، ويلقب "بالتاريخى" لكثرة اشتغاله بالتأليف فى هذا الفن. وكانت وفاته بقرطبة (له ترجمة فى "جذوة المقتبس" ١٥٨/١، بغية الملتمس ص ١٤١، نفح الطيب للمقرى ١٦٣/٣).

٣) المصادر نفسها المذكورة في الحاشية السابقة.

٤) سيأتى الحديث عن هذا الكتاب ومؤلفه بعد قليل (ص٨٧٦-٨٧٧).

كتبه عن إفريقية والمغرب[١] «ويسند إليه ما يقتبسه منه أحيانا، ولكنه لا يسند أحيانا أخرى، ولهذا لا نستطيع أن نتبين على وجه التحديد نصيب الوراق من كتاب البكرى خاصة وأن هذا الأخير لم يكن مجرد ناقل، بل كان جغرافيا متصرفا يعدل فيما ينقله ويزيد عليه وينقص منه»[٢].

(٣) إبراهيم بن يعقوب الطرطوشى اليهودى (من أهل القرن الرابع الهجرى):

ويوجد فى التراث الأندلسى أثر جغرافى ممتاز لأحد الرحالة اليهود الأندلسيين يدعى "إبراهيم بن يعقوب الطرطوشى"، عاش فى القرن الرابع الهجرى، وكان يشتغل بتجارة الرقيق، ولهذا كان يقوم برحلات إلى ألمانيا وبلاد الصقالبة وشمالى أوربا، ويقال: «إنه كتب رسالة للحكم المستنصر عن رحلة قام بها إلى ألمانيا أيام الإمبراطور (أوتو Otto) وذلك فى حدود عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، واحتفظ لنا البكرى بجانب كبير من هذه الرسالة فيما يبقى لنا من أجزاء جغرافية[٣]. وقد سجل إبراهيم بن يعقوب فى رسالته معلومات واسعة عن إمارات الصقالبة فى أوربا الوسطى فى ذلك العصر، وحدثنا عن أربعة منها هى: بلغاريا وبولندا والتشيك وإمارة ناكون الأبدريتى (Nakon of Abdorites)، وأورد تفاصيل وافية عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا[٤]، وطريقته أن يذكر البلدان ويصفها ويعدد حاصلاتها وما يتاجر فيه أهلها، ثم يذكر الطرق ومسافاتها بالأميال. وكل ذلك بتفصيل واسع تتخلله معلومات هامة عن الأحوال الاجتماعية والسياسية. وبهذا يكون كتابه أقرب إلى كتب البلدانيين والمسالكين.

وقد اعتمد أبو عبيد البكرى على ما كتبه إبراهيم بن يعقوب الطرطوشى اعتمادا يكاد يكون تاما فيما كتب عن وسط أوربا وشرقها والقطع التى أدرجها فى "مسالكه" هى أطول ما بقى من كتابه وأدلة على طبيعة ماداته الجغرافية[٥].

---

١) راجع على سبيل المثال (ص ٤-٥) من كتاب المسالك والممالك للبكرى (القطعة الخاصة بذكر بلاد إفريقية والمغرب - ط باريس ١٩١١م).

٢) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٧٥، وراجع: كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى ١/١٦٩.

٣) د. حسين مؤنس: المرجع نفسه ص ٧٦، كراتشكوفسكى: المرجع نفسه ١/١٩٠.

٤) كراتشكوفسكى: المرجع نفسه ١/١٩٠.

٥) د. حسين مؤنس: المرجع السابق ص ٧٩ (بتصرف).

(٤) العذرى (المتوفى ٤٧٦هـ/١٠٨٣م):

وأبرز من كتب فى "المسالك والممالك" من علماء الأندلس خلال القرن الخامس الهجرى هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس الدلائى - نسبة إلى دلاية إحدى قرية المرية - (المتوفى ٤٧٨هـ/١٠٨٥م). وهذا العالم - وإن كان فى الأصل محدثا وشيخا من شيوخ عصره فى علم الحديث كما جاء فى سيرته[١] - فإنه شارك ببعض المصنفات فى التاريخ والجغرافيا، وذكر له ياقوت الحموى فى كلامه عن المرية من "معجم البلدان" كتابا بعنوان "نظام المرجان فى المسالك والممالك"[٢]. وهذا الكتاب لم يبق منه إلا قطعة[٣] تدل على أنه كتاب جغرافية وتاريخ، فإلى جانب المعلومات الجغرافية يورد العذرى تفاصيل تاريخية خاصة بالمواضع التى يصفها لا تخلو من فائدة لدارس الجغرافيا البشرية والاقتصادية والسياسية.

وفى كلمة موجزة عن جهود العذرى فى حقل الدراسات الجغرافية بالأندلس يقول الدكتور حسين مؤنس بعد تحليل دقيق للقطعة المذكورة: «... لقد سار العذرى بعلم الجغرافيا فى الأندلس خطوة واسعة إلى الأمام فإذا كان الرازى قد وضع الأساس السليم الذى حدد مفهوم الجغرافية الطبيعية والبشرية فى أذهان الناس فقد بدأ العذرى من حيث انتهى الرازى؛ فحاول أن يضيف تفاصيل جديدة إلى وصف هيئة شبه الجزيرة (الإيبيرية) وتقسيمها الجغرافى العام، وتوسع فى الجغرافية البشرية، فأطال الكلام عن كل كورة أو قسم إدارى، ولم يكتف بوصفه العام ومدنه الرئيسية ومنابع الثروة فيه، بل فصل الوصف تفصيلا علميا حافلا بالمعلومات.. . وإذا كان الوصف الدقيق لجغرافية الرازى هو أنها من طراز البلدان فقط، فإن جغرافية العذرى ضمت البلدان والمسالك، فهى تصف الطرق، وتقدر المسافات وتعين المراحل والمحلات فى دقة علمية جديرة بالتنويه... ثم إن كلامه الدقيق عن مجارى المياه وعيونها وذكره الأنهار وفروعها والترع وما تسقيه يكشف لنا عن ناحية كبرى من نواحى الحضارة العربية فى الأندلس: ناحية الرى والسقيا والقنوات. والمعلومات التى يقدمها العذرى فى هذه الناحية تزيد فى الدقة على ما يقدمه المقريزى (المتوفى ٨٤٥هـ) فى "خططه" عن مصر، وذلك فضل ينبغى أن نذكره لذلك الجغرافى الأندلسى الفريد»[٤].

---

١) راجع ترجمته فى: الصلة لابن بشكوال ص ٦٦- ٦٧.

٢) معجم البلدان لياقوت ج٥ ص ١١٩.

٣) هذه القطعة نشرها الدكتور عبد العزيز الأهوانى فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الثالث عشر ١٩٦٥م/١٩٦٦م بعنوان: "نصوص عن الأندلس".

٤) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٩٣ - ٩٥.

(٥) أبو عبيد البكرى (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

ويعتبر الوزير أبو عبيد: عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى نزيل قرطبة (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) أكبر جغرافى أندلسى ظهر فى القرن الخامس الهجرى بل هو «أكبر جغرافى أنجبه الأندلس» كما يقول "دوزى"[١]. وقد اكتسب هذا اللقب نتيجة دراساته العميقة وخبرته الواسعة فى هذا المجال. وهو واحد من فحول العلماء الذين أطلعهم الأندلس خلال ذلك القرن كالعذرى (ت ٤٧٦هـ) وابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ) وابن حيان صاحب "المقتبس" (ت ٤٦٩هـ) وابن بسام صاحب "الذخيرة" (ت ٥٤٢هـ) وغيرهم من الموسوعيين.

كان البكرى[٢] من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بالأنساب والأخبار، وتعكس كتبه ثقافته الموسوعية التى تجاوزت العلوم الأدبية واللغوية إلى الطب والصيدلة والنبات والجغرافيا. ومن آثاره فى هذا المجال الأخير كتابان:

الكتاب الأول: "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع": وهو معجم لغوى جغرافى يصف جزيرة العرب ومرتب على حروف الهجاء حسب ترتيبها عند الأندلسيين فى عصره[٣]، يذكر فيه البكرى - كما يقول فى مقدمته - «جملة ما ورد فى الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والدارات والحرار»[٤]. ويتألف الكتاب من سبعمائة وأربعة وثمانين بابا، تضم خمسة آلاف ومائتى موضع[٥]. ويعتبره البعض معجما لغويا أكثر من كونه معجما

---

١) تاريخ الفكر الأندلسى - لجنثالث بالنثيا ص ٣١٠.

٢) من مصادر ترجمة أبى عبيد البكرى: الصلة لابن بشكوال ص ٢٨٧-٢٨٨، قلائد العقيان فى محاسن الأعيان للفتح بن خاقان - ص ١٩١ (تحقيق عبده سليمان الحرايرى، القاهرة، بولاق ١٢٧٧م، بغية الملتمس للضبى ص ٣٤٦ (ط القاهرة ١٩٦٧م) وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٠٠، كشف الظنون لحاجى خليفة ٥٣/٤، ٦٢١/٥ (ط طهران). وله ترجمة حافلة فى تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس للدكتور حسين مؤنس ص ١٠٨-١٢٣).

٣) الترتيب الهجائى عند الأندلسيين هو: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى.

٤) معجم ما استعجم الجزء الأول والصفحة الأولى ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ضبط وتحقيق مصطفى السقا.

٥) معجم ما استعجم ٤/١.

جغرافيا حيث إن الذى دفعه إلى تصنيفه شيوع التصحيف فى أسماء المواضع بين الناس[١]، ولا نكاد نجد لهذا المعجم نظيرا فى معاجم البلدان من حيث غزارة المادة وكثرة التفاصيل واكتمال العناصر ودقة المنهج وتمام الضبط وجمال الأسلوب وتحرير العبارة»[٢]. والذى يزيد من قيمة هذا الكتاب - إلى جانب الدقة العالية فى الضبط والتحرى - تلك المقدمة الطويلة التى يعين فيها البكرى حدود جزيرة العرب وأقسامها (الحجاز وتهامة واليمن) ويتحدث فيها عن القبائل العربية التى نزلت هذه النواحى وما أصاب هذه المنازل من تغيير[٣].

وإذا كانت مدرسة (بغداد/المشرق) قد شهدت تجربة نظيرة لتجربة معجم البكرى فإن التجربة الأندلسية فى مجال المعجم الجغرافى سبقت التجربة المشرقية فى هذا المجال، حيث يعد (معجم ما استعجم) رائد الحركة اللغوية الجغرافية فى شكلها الناضج، وأعلن بظهور ميلاد نوع جديد من المعاجم العربية المتخصصة»[٤].

والكتاب الثانى: "المسالك والممالك"[٥]: وهذا الكتاب يبدؤه البكرى بمقدمة طويلة تتناول فى معظمها موضوعات لا تدخل فى صلب الجغرافيا غير أن بعض المباحث التى ترد فى هذه المقدمة ذات قيمة جغرافية كحديثه عن جزيرة العرب وعرضه لصورة الكون

---

١) عبد الله يوسف الغنيم: مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ص ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩ (ط الكويت، ذات السلاسل ١٩٧٤م)، وراجع مقدمة البكرى لكتابه معجم ما استعجم ١ / ١ - ٤.

٢) مصطفى السقا: مقدمة تحقيق معجم ما استعجم ص (ج).

٣) راجع معجم ما استعجم ١/ ص ٥، ص ٩٠.

٤) د. مصطفى إبراهيم عبد الله: المعجم الجغرافى فى الأندلس - دراسة فى الهدف وترتيب المداخل / من بحوث ندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات - مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - الجلسة رقم (١٦) - البحث رقم (٢) ص ٣٧).

٥) لم يطبع هذا الكتاب كاملا لتفرق أجزائه واختلاف نسخ محفوظاته، وقد طبع منه "المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب" وهو القسم الخاص بشمال إفريقية، نشره البارون (دى سلان) فى الجزائر ١٨٥٧م، وأعيد طبعه فى باريس ١٩١١م. وقطعة أخرى بعنوان "أخبار البكرى عن الروس والصقالبة" بتحقيق كونيك والبارون [فون روزن] فى بطرسبرج ١٨٧٧م، ونشر كرفانسكى قطعة تتناول بلاد الصقالبة - فى بولونيا ١٩٤٦م. ونشر عبد الرحمن الحجى قطعة منه بعنوان "جغرافية الأندلس وأوربا" من كتاب المسالك والممالك فى بيروت ١٩٦٨م وحقق عبد الله يوسف الغنيم قطعة بعنوان "جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك" لأبى عبيد البكرى، ضمن رسالته للماجيستير بجامعة القاهرة ١٩٧٣م ثم نشرت ١٩٧٥م.

والأرض فى سهولة وتبسيط، معتمدا على طائفة من الفلكيين والرياضيين المشارقة كالخوارزمى والبتانى والرازى وغيرهم. وبعد هذه المقدمة يبدأ كلامه عن الممالك والمسالك، فيتحدث عن كل مملكة (مدينة - قطر - إقليم) بتفصيل فيصفها ويذكر حدودها وطرقها ومسافاتها، ويأتى بشئ من تاريخها وعادات أهلها وخصائصهم[١].

ويعد كتاب البكرى أوسع ما ألف العرب فى هذا الباب وأشمله على الإطلاق، إذ يتناول (فى نسخته الكاملة) جغرافية الدنيا كلها على طريقة المسالك والممالك، وقد بدأ بالهند ثم الصين ثم فارس والروم، ثم ينتقل إلى بلاد الصقالبة والروس، ويختم كلامه عن أوربا بالكلام على مملكة الجلالقة الذين كان لهم وقائع مع عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م). ويلى ذلك حديث عن جغرافية كمصر وبلاد إفريقية والمغرب «والأجزاء الخاصة ببلاد العرب ومصر والمغرب تنفرد بميزة كبرى، وهى أن البكرى يقف عند كل موضع وقعت فيه حادثة تاريخية ويتحدث عنها بتفصيل... ومن الطبيعى أن يكون الجزء الخاص ببلده الأندلس أحفل أجزاء الكتاب بالقيمة والفائدة، وهو دون شك معتمد كل من كتب بعده فى جغرافية المغرب والأندلس وخاصة الإدريسى (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) وابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م»[٢].

إن خلاصة ما انتهى إليه الدكتور مؤنس فى دراسته لكتاب مسالك البكرى أن هذا الكتاب يعتبر قمة من قمم التأليف الجغرافى فى هذا النوع عند المسلمين، وأن البكرى وصل بهذا الفن إلى درجة من الشمول والاتساع والدقة لم يصل إليها أحد قبله فى الشرق أو الغرب، واتصل على يده التأليف الجغرافى فى الأندلس خطا متكاملا يخطو كل جيل من الجغرافيين به خطوة، وسيستمر ذلك بعد البكرى على أيدى من جاء بعده[٣]. كالحجارى (نسبة إلى وادى الحجارة) عبد الله بن إبراهيم (المتوفى حدود ٥٥٠هـ/١١٥٥م) فى كتابه "المسهب فى فضائل [أو غرائب] المغرب"[٤]. الذى أضاف فيه تفصيلات كثيرة عن

---

١) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٣٢ - ١٣٤، ص ١٣٥-١٣٦.

٢) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٣٧.

٣) د. حسين مؤنس: المرجع السابق ص ١٤٨.

٤) نقل المقرى فى "نفح الطيب" فى الفصل الخاص بجغرافية الأندلس - ما يزيد على (٢٠) قطعة كبيرة. (راجع على سبيل المثال ج١ ص ١٢٧، ١٨٤، ٢٢٩، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٧١-٤٧٣) =

جغرافية الأندلس لا توجد عند سابقيه. وكالشريف الإدريسى أبى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس (المتوفى فى حدود ٥٦٠هـ/١١٦٤م) فى كتابه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق".

(٦) الشريف الإدريسى (٥٦٠هـ/١١٦٥م)[١]:

ويطول المقام إذا تحدثنا عن منهج الإدريسى وطريقة عمله فى كتابه "نزهة المشتاق"؛ إذ ليس بين الجغرافيين العرب والمسلمين سواء من المشارقة أم الأندلسيين - من طارت شهرته مثله، ولم يظفر واحد منهم بجزء مما ظفر به من دراسات[٢]. وجملة ما انتهى إليه الباحثون عرب ومستشرقون أن هذا العالم يعتبر - بحق - أول جغرافى متخصص فى هذا العلم فى التاريخ وأخرج فيه ما لم يخرجه عالم قبله، ورفعه إلى مصاف العلوم الميدانية منهجا وموضوعا وتناولا واستيعابا، وأصبح يمثل القمة التى وصل إليها علم الجغرافيا العربية من ميلادها إلى أوائل القرن (السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى)، ومن ناحية أخرى يعد نقطة البداية للعلم الجغرافى الحديث»[٣].

ومن أهم ما أنجزه الإدريسى ويذكر له بالإعجاب فى مجال الجغرافيا: الإصلاح الذى

= ونسب إليه بنو سعيد فى كتابهم الكبير "المغرب فى حلى المغرب" ما يزيد على (٢٥٠) نقلا ويندر أن يوجد مؤلف أندلسى كتب بعد الحجارى دون أن يشير إليه، مما يدل على أن كتابه كان مرجعا وحجة وأنه أضاف إلى المكتبة الأندلسية شيئا فريدا تميز به عمن سواه (راجع: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس للدكتور حسين مؤنس ص ١٤٩).

١) يدخل الإدريسى فى زمرة الجغرافيين الأندلسيين لأنه ينحدر من شجرة الحموديين الأدارسة المالقين الأندلسيين الذين حكموا فى الفترة (٤٠٧-٤٤٩هـ/١٠١٦-١٠٥٧م) [راجع عنهم كتاب "العالم الأندلسى" لعمر رضا كحالة وراجع ما كتبناه عن تأثر الإدريسى بالجغرافيين الذين يمثلون مدرسة (بغداد/المشرق)] - ص٦١٢ ومن الجدير بالذكر أن الإدريسى عاش فترة فى الأندلس وتلقى تعليمه فى قرطبة.

٢) من أهم هذه الدراسات الجامعة كتاب "الشريف الإدريسى فى الجغرافية العربية" للعلامة العراقى الدكتور أحمد سوسة - نشره فى مجلدين، الأول: مدخل إلى عصر الإدريسى، ويتناول فيه دراسة لتاريخ العلم الجغرافى عند العرب. والثانى عن الإدريسى نفسه (ط بغداد - جمعية المهندسين العراقيين ١٩٧٤). وقد خصص الدكتور حسين مؤنس فى كتابه الكبير "تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس" مائة وخمس عشرة صفحة (ص ١٦٥-٢٨٠) لدراسة الإدريسى وتحليل كتابه "نزهة المشتاق".

٣) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٢٧٩.

صورة الأرض للإدريسى، نقلاً عن رسم لها نشره المجمع العلمى العراقى

أدخله على خريطة العالم فجعلها تقترب من وضعها العلمى، إضافة إلى إعداده سبعين خريطة للمناطق الداخلة فى تقسيمه للأقاليم السبعة[١]، وأدخلها فى كتابه "نزهة المشتاق". وهذه الخرائط تفوق فى دقتها خرائط العالم اليونانى بطليموس. ومنها استخرج العلامة الألمانى "ميللر" خريطة الإدريسى الجامعة[٢].

وقد جاء ارتباط كتاب الجغرافيا الذى وضعه الإدريسى بالخرائط تطورا هاما فى علم الجغرافيا، وبيان الصلة الوثيقة بين الجانب النظرى والعملى. ذلك أن نص المتن لا تتضح معالمه إلا بالرجوع إلى الخرائط التى وضعها الإدريسى. وهذه الخرائط تمثل - إذا وضعت بعضها إلى جانب البعض - الدور النهائى لعلم رسم الخرائط عند العرب والشكل الأخير لما يمكن أن يسمى أطلس الإسلام[٣].

***

خلاصة القول مما سبق عرضه أن الحصاد الجغرافى فى الأندلس كان وافرا غنيا، وتطور هذا العلم بدرجة كبيرة على يد الأندلسيين، ربما بسبب الموقع الجغرافى، وربما بسبب المستوى الثقافى المرتفع الذى عاشته الأندلس، وخصوصا فى القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين. ولابد أن نقرر هنا أن ما عرضناه من تاريخ هذا العلم فى ذلك القطر إنما يمثل جانبا صغيرا مما أنتجه الأندلسيون، وإن ما تركناه -أو ندعنا- أكثر مما أثبتناه ويمكن أن نخرج مما ذكرناه ببعض الملاحظات والمقارنات، نعرضها فيما يلى:

---

١) قسم الإدريسى الأرض إلى أقاليم سبعة، وقسم كلا من هذه الأقاليم إلى عشرة أقسام متساوية من جهة الغرب إلى جهة الشرق، ووضع لكل من الأقسام السبعين خريطة خاصة.

٢) قام "ميللر" بطبع هذه الخريطة لأول مرة فى طبعة ملونة غاية فى الإتقان سنة ١٩٣١م. وقد انتدب لها المجمع العلمى العراقى كلا من الأستاذين محمد بهجة الأثرى وجواد على بعد أن رجعا فى تحقيقها وتصحيحها إلى خمس نسخ مصورة من كتاب "نزهة المشتاق" وطائفة من كتب العرب الجغرافية، واستدراكا على ميللر ما استدركاه وبينا اختلاف النسخ، ونشرهـــا المجمع (المذكور) سنة ١٩٥١م (راجع: عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية ص ٢٣٧، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ص ١٢٠، نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص ١٤٣. ويذكر الأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز فى بحث له عن (المسلمون والعلوم الجغرافية) المنشور بمجلة الوعى الإسلامى/العدد ٢٥٩ (١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م) يذكر (ص ٨٧) أن المجمع العلمى العراقى نشر خريطة الإدريسى وبلغ طولها مترين وعرضها مترا واحدا.

٣) راجع د. أحمد العدوى: جغرافيو المغرب فى العصور الوسطى - بحث منشور بحولية كلية دار العلوم - جامعة القاهرة (١٩٦٩م / ١٩٧٠م) - ص ٩٥ - ٩٦.

تعقيب ومقارنة:

(١) لقد كان التاريخ والجغرافية فى الأندلس متلازمين، بحيث يصعب الفصل بينهما، فما من مؤرخ أندلسى إلا ويمكن اعتباره جغرافيا، وما من جغرافى إلا وهو مؤرخ فى نفس الوقت، وتلك خصائص الجغرافيا والتاريخ عند الأندلسيين، وهذه الظاهرة وإن كانت ممثلة فى نفر من الجغرافيين أو المؤرخين فى (بغداد/المشرق) كاليعقوبى والمسعودى وغيرهما - لكن ذلك كان قليلا، والأغلب أن يكون المؤرخ فى المشرق محدثا أو مفسرا.

(٢) وإذا أردنا أن نقسم التراث الأندلسى فى علم الجغرافيا فسنجد أنه لا يخرج عن قسمين:

القسم الأول: دراسات فى جغرافية الأندلس أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم "الجغرافية المحلية" وغالبا ما تأتى هذه الدراسات كمقدمات للكتب التى صنفها الأندلسيون لتدوين التاريخ الأندلسى عامة، أو تاريخ مدينة أو ناحية معينة. فعل ذلك الرازى (ت ٣٤٤هـ/٩٥٥م) فى "تاريخه الكبير"، ومطرف بن عيسى الغسانى (المتوفى ٣٧٧هـ/٩٨٧م) فى كتابه "المعارف فى أخبار كورة إلبيرة وأهلها وفوائدها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها"[١]، ولسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) فى كتابه "الإحاطة فى أخبار غرناطة" الذى أورد فى مقدمته وصفا كاملا ومطولا للمنطقة التى شغلها سكان مملكة غرناطة.

وقد تأتى المادة الجغرافية عن أرض الأندلس فى ثنايا - أو كمقدمات - للكتب التى تخلط بين التاريخ والجغرافيا والأدب كما فعل الحجارى (المتوفى ٥٥٠هـ/١١٥٥م) فى المسهب فى فضائل المغرب" وابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) فى كتابه "المغرب فى حلى المغرب" وابن الأبار (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) فى "الحلة السيراء".

لقد كان وصف الجغرافيين الأندلسيين لوطنهم يحتل بطبيعة الحال مكانا بارزا فى مؤلفاتهم، فتحدثوا بالتفصيل عن خططها ومسالكها ومدنها وكورها وأنهارها وجبالها، والتوزيع الإدارى لأقاليمها، ونسبة كل إقليم إلى الآخر من الوجهة الجغرافية).

والقسم الثانى: فى الجغرافية العامة أو ما يطلق عليه اسم "المسالك والممالك" وهذا النوع من الدراسات يخرج عن إطار المحلية إلى دراسة جغرافية العالم المعروف آنذاك. وقد ظهر هذا الاتجاه بالأندلس كأقوى ما يكون فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ووصل إلى قمته على يد الشريف الإدريسى (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٤م) فى كتابه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق".

---

١) الصلة لابن بشكوال ص ٦٢٢.

(٣) إن علماء الجغرافيا بالأندلس وإن كانوا تأثروا بالمناهج وطرق البحث المشرقية فى هذا الفن وتطرقوا فى كتاباتهم إلى مختلف الجوانب الجغرافية وتعددت لديهم مجالات التأليف الجغرافى وفروعه واتجاهاته لكن حاولوا أن تكون لهم خصوصية فى هذا المجال، لعل من مظاهرها الوصف الشامل والدقيق لجغرافية الأندلس وإظهار ما لهذا الإقليم من خصائص طبيعية تميزه عن سائر أقاليم الدولة الإسلامية كما أن من مظاهر هذه الخصوصية الجغرافية أيضا الريادة والسبق إلى إبداع أشكال جديدة من التأليف الجغرافى، كتلك الدراسة الرائدة والذقيقة التى أخرجها أبو عبيد ابكرى (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) عن جزيرة العرب فى كتابه "معجم ما استعجم"، مع أنه لم يكن من الجغرافيين الرحالة الذين يكتبون عن مشاهدة، بل كان يكتب فى الجغرافية معتمدا على القراءة والتصنيف والتصور، وفاق فيما وصل إليه من نتائج أهل الرحلة والمشاهدة.

وننتقل الآن إلى مجال آخر من مجالات العلم والفكر، لنتعرف على ملامح العطاء الأندلسى فيه. وهذا المجال هو: علوم الفلسفة والفلك والرياضيات والطب والصيدلة والنبات والزراعة.

***

الفصل الخامس

إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم العقلية والتجريبية

*يتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول : الفلسفة.

المبحث الثانى : الفلك والرياضيات والموسيقى.

المبحث الثالث : الكيمياء.

المبحث الرابع : الصيدلة والنبات والزراعة.

المبحث الخامس : الطب.

المبحث الأول

الفلسفة

مدخل: عرفنا فى موضع سابق أن الأندلس لم يكن لها حظ كبير من علم الكلام والفلسفة خلال العصر الأموى، وكان جل اهتمام الأندلسيين منصرفا إلى العلوم الدينية واللغوية وعلى الرغم من أن علماء هذا الدور رحلوا إلى المشرق وطلبوا العلوم المختلفة فى مدارسها وعادوا بها إلى الأندلس فإنهم لم يعرفوا تلك المذاهب الكلامية والفلسفية الكثيرة التى عرفها المشارقة. وكل ما تسرب إلى الأندلس من آراء كلامية وفلسفية مع بعض الأندلسيين المبتعثين إلى بغداد والبصرة لا يرقى إلى الدرجة التى يمكن معها أن ينشأ كيان مستقل عن المذهب السنى المحافظ. وكان للفقهاء المالكية دور كبير فى تحريض الأمراء والخلفاء على مطاردة الآراء الكلامية الوافدة والقضاء على كل حركة فلسفية كما حدث مع ابن مسرة وغيره[1]. ووصل الحال بالعلوم الفلسفية القديمة – على نحو عام – أنها صارت ممقوتة، وكان بعض الحكام كثيرا ما يلجئون إلى حرق كتبها، ومن هؤلاء المنصور بن أبى عامر (٣٦٨هـ-٣٩٢هـ/٩٧٨م-١٠٠٢م) الذى أخرج ما كان منها فى خزانة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧١م) وأحرقها – أو

---

١) راجع الفصل الخاص بانتقال بعض الآراء الكلامية والفلسفية من بغداد إلى الأندلس (بداية من ص ٦١٤ إلى ص٦٢٨).

طرحها - فى آبار القصر، وهيل عليها التراب والحجارة[١].

ومع أن الأندلس أنجبت عددا من الفلاسفة ذاع صيتهم فى المشرق والمغرب معا - ويأتى فى مقدمتهم ابن رشد الحفيد (المتوفى فى ٥٩٥هـ) - إلا أنه يلاحظ أن الفلسفة نشأت متأخرة فى الأندلس عنها فى المشرق، ولم تستطع أن تطل برأسها إلا بعد أن تفرق أمر البلاد، بل إن أهلها تعرضوا - مع ذلك - للمطاردة، وفى ذلك يقول ابن سعيد (المتوفى ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) عن الفلسفة: «وهو علم ممقوت بالأندلس لايستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تخفى تصانيفه»[٢].

وأوضح دليل على أن محاربة الاشتغال بعلم الكلام والفلسفة ظل كما هو فى العصور التالية من تاريخ الأندلس:

(١) ما نقلـــه ابن أبى أصيبعة عن القاضى أبى مروان الباجى قوله: «كان المنصور الموحدى (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) قد قصد أن لايترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا فى بلاده، وأباد كثيرا منها بإحراقها بالنار، وشدد فى أن لا يبقى أحد يشتغل بشئ منها، وأنه متى وجد أحد ينظر فى هذا العلم، أو وجد عنده شئ من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحقه ضرر عظيم»[٣].

(٢) وما ذكره المراكشى فى "الذيل والتكملة" أنه حينما دخل "تفسير القرآن" المعروف "بالكشاف" للزمخشرى المعتزلى (المتوفى ٥٣٨هـ/١١٤٣م) انبرى علماء الأندلس للرد عليه أو اختصاره وتصفيته من الآراء الاعتزالية، حتى إن الفقيه أبا الحسن محمد بن محمد بن زرقون كان ينعى على من أدخل هذا الكتاب الأندلس لما تضمنه من المذهب الاعتزالى ويقول: «قد كانت الأندلس مترهة عن هذا وأشباهه (يعنى بوجه عام)، ولم يزل أهلها على مرور الأيام أغنياء عن النظر فى مثله، وأن غيره من تصانيف أهل السنة فى التفسير غنية عنه[٤]». وقد ذكرنا من قبل أمثلة من ردود الأندلسيين على "الكشاف" فى المبحث الخاص بعلم التفسير[٥].

عصر نشأة الفلسفة بالأندلس:

وقد كانت عناية الأندلسيين فى أول الأمر بالرياضيات والفلك والطب أسبق من العناية

---

١) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٦٦.
٢) المقرى: نفح الطيب ٣ /١٨٦.
٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٢٣.
٤) الذيل والتكملة - السفر الأول - القسم الخاص ص ٣٠-٣١.
٥) راجع عن ذلك (ص٧٢٦-٧٢٧).

بالفلسفة، مع أننا نقرأ لبعض الأندلسيين فى القرن الرابع الهجرى أنهم اشتغلوا بالمنطق والفلسفة فى بعض الأحيان كأبى القاسم مسلمة بن محمد المجريطى (المتوفى٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وتلامذته الذين اهتموا بالعلوم الرياضية والفلكية، فقويت على أيديهم علوم الحساب والهندسة والفلك[١]، وكان من أثر ذلك أن اتصلت دراساتهم بالفلسفة أيضاً، وبخاصة عندما أدخل أبو الحكم عمرو بن أحمد الكرمانى القرطبى (المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) "رسائل إخوان الصفا" إلى الأندلس بعد عودته من رحلته المشرقية[٢]. وهذه الرسائل - كما عرفنا من قبل - تعد دائرة معارف فلسفية[٣].

ويُوخذ من هذا أن الحركة الفلسفية نشأت فى أحضان الطب والفلك والرياضيات، وأنها لم تدخل الأندلس صريحة بوجه مُسْفر، وإنما وفدت عليه فى صحبة هذه العلوم التطبيقية، أو تسربت إليه فى ثنايا بدع الاعتزال وبعض مذاهب الباطنية. ويؤيد هذا القول الأستاذ أحمد أمين بقوله: «إن منشأ الفلسفة فى الأندلس كمنشئها فى المشرق، فقد نشأت فى المشرق من الطب والتنجيم لعناية الخلفاء بهما، وهما عند اليونان من فروع الفلسفة كالطبيعيات والإلهيات، وكذلك كان الشأن فى الأندلس»[٤].

وملمح آخر عن نشأة الحركة الفلسفية فى الأندلس، وهو أنها نشأت ضعيفة جداً فى أواخر القرن الثالث الهجرى، ثم قويت فى منتصف القرن الرابع فى زمان الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ-٩٦١-٩٧٦م) الذى كان جمَّاعاً للكتب المشرقية ومشجعاً للعلم والعلماء، وأدخل من كتب الفلسفة الشئ الكثير، وفى ذلك يقول ابن أبى أصيبعة فى ترجمة (ابن باجه): «إن هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس من زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صنف بالمشرق»[٥]. وهذا يجعلنا نميل إلى القول بأن الحركة الفلسفية بالأندلس بدأت فى الظهور منذ أن تولى الحكم المستنصر حكم هذه البلاد. لكن لم يكن لعلماء هذا الدور شهرة و لم يؤلفوا كتباً فى الفلسفة إلا فى القليل النادر[٦].

---

١) سيأتى الحديث عن جهود المجريطى وتلامذته فى علم الفلك والرياضيات (ص ٨٩١).

٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٧٠-٧١، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٤-٤٨٥.

٣) راجع ما ذكرناه عن رسائل إخوان الصفا بداية من (ص ٣٢٦).

٤) أحمد أمين ظهر الإسلام ٢٣٢/٣ (ط ٢ / ١٩٥٩م).

٥) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥١٥.

٦) راجع د. أحمد فؤاد الأهوانى: الفلسفة فى الأندلس - الدور الأول: دور النشأة - بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة - المجلد (١٥) - الجزء الأول (١٩٥٣) ص ٩٤، ٨٩، ١٠١.

أثر الحياة السياسية فى تنشيط الحركة الفلسفية بالأندلس بعد عصر الخلافة الأموية

وكان من نتيجة الظروف التى خلقها المنصور بن أبى عامر بإقدامه عليه من إخراج كتب الفلسفة وعلوم اليونان من مكتبة الحكم المستنصر وإحراقها أن توقف تطور الدراسات الفلسفية فى الأندلس قليلا، ولكن سقوط الخلافة وانتشار أمر الجماعة وقيام ممالك الطوائف فى النواحى أتاح للفلسفة فرصة السير فى الطريق الذى بدأته ويعزو صاعد الأندلسى فى كتابه "طبقات الأمم" تلك الحياة التى تجددت فى ميدان الدراسات الفلسفية إلى أسباب ترجع كلها إلى الحالة السياسية التى سادت الأندلس أيام الطوائف، فيقول - بعد ذكره لحادثة حرق الكتب الفلسفية فى زمن ابن أبى عامر - «...فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة (الفلسفة) عند ذلك، وخملت نفوسهم، وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم. ولم يزل أولو النباهة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه منها ويظهرون ما تجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك، إلى أن انقرضت دولة بنى أمية من الأندلس وافترق الملك بين المتنزين عليهم فى صدر المائة الخامسة من الهجرة، وصاروا طوائف واقتعد كل ملك منهم قاعدة من أمهات البلاد، فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة من امتحان الناس وتعقبهم، واضطرت الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع، فبيع ذلك بأوكس ثمن وأتفه قيمة، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس، ووجد فى خلالها أعلاق من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدى الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبى عامر، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعية شئ منها ما كان لديه منها، فلم تزل الرغبة ترتفع من حين فى طلب العلم القديم شيئا فشيئا، وقواعد الطوائف تتمصر قليلا قليلا إلى وقتنا هذا، فالحال أفضل مما كانت بالأندلس فى إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها، إلى أن زهد الملوك فى هذه العلوم وغيرها. لكن اشتغال الخواطر بما دهم الثغور من طلب المشركين عاما فعاما (وانتقاصهم) أطرافها، وضعف أهلها عن مدافعتهم عنها قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالأندلس»[1].

أشهر الفلاسفة الأندلسيين:

(١) ابن باجه (٥٣٣/١١٣٨م)

وقد كان ابن باجه - أبو بكر محمد بن يحيى الملقب بابن الصائغ (المتوفى٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) - أول الفلاسفة الأندلسيين الملمين بعلوم اليونان، «وأقدم مؤلف أندلسى نعرف عن يقين أنه درس فلسفة المشائين، ورجع إلى كتب الفارابى (المتوفى ٣٣٩هـ) وابن سينا (المتوفى

١) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى (ص ٦٦ - ٦٧).

٤٢٨هـ) والغزالى (المتوفى ٥٠٥هـ»[١]، ونال إعجاب ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) وابن طفيل (ت ٥٨١هـ)، وهما من الفلاسفة الأندلسيين. ويشبه الفارابى فى تفوقه فى الموسيقى وله فيها كتاب[٢]. وقد اشتهر أيضا بالطب والرياضيات والفلك[٣]، وكان محل تقدير الفلاسفة والعلماء والمؤرخين، فقد أقر بفضله ابن أبى أصيبعة والقفطى وابن خلدون والمقرى ولسان الدين بن الخطيب، ومما قاله عنه ابن أبى أصيبعة: «كان فى العلوم الحكمية (الفلسفية) علامة وقته وأوحد زمانه، متميزا فى العربية والأدب، ومن الأفاضل فى صناعة الطب»[٤].

وقد ذكر أحد علماء الأندلس من تلاميذ ابن باجه - ويدعى أبا الحسن على بن عبد العزيز بن الإمام الغرناطى - فى صدر (المجموع) الذى جمعه من أقوال ابن باجه الفلسفية أنه «لم يكن بعد أبى نصر الفارابى مثل ابن باجه فى الفنون التى تكلم عليها من تلك العلوم، فإنه إذا قارنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالى - وهما اللذان فتح عليهما بعد أبى نصر بالمشرق فى فهم تلك العلوم ودونا فيها - بان (ظهر) لك الرجحان فى أقاويله، وفى حسن فهمه لأقاويل أرسطو. والثلاثة أئمة دون ريب، وأتوا بما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين تمتاز به أقاويلهم»[٥].

وهذا النص - الذى لم نأت على ذكره كله - يفيد أن ابن باجه يقف مع الفارابى وابن سينا فى صف واحد من حيث سعة الإدراك للفنون الفلسفية التى تكلموا عليها، بل وربما فاق فلاسفة المشرق فى فهم بعض تلك الفنون فى الطبيعيات والمعقولات، وله فيهما «ما يدل على حصول هاتين الصناعتين فى نفسه صورة ينطق عنها ويفصل ويركب فيها، فعل المستولى على أمدها»[٦].

ويرى الأستاذ "قدرى حافظ طوقان" أن ابن باجه بنى فلسفته العقلية على الرياضيات والطبيعيات، وهذا ما أراد (كانت Kant) أن يسير عليه فى فلسفته، ومن هنا يرى بعض الباحثين أنه خلع عن مجموع الفلسفة الإسلامية سيطرة الجدل ثم خلع عليها لباس العلم

١) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٣٣٦.
٢) راجع عن دور ابن باجه فى علم الموسيقى (ص ٩٠٢).
٣) سيأتى ذكره فى سياق الحديث عن جهود الأندلسيين فى علم الفلك والرياضيات والطب.. . راجع (ص) ٨٩٥)، (ص ٩٢١ - ٩٢٢).
٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥١٥. وراجع عنه: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٦٥.
٥) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥١٦.
٦) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥١٥.

الصحيح وسيرها فى طريق جديد[١].

وقد وضع كثيرا من المؤلفات فى الفلسفة والمنطق والطب والهندسة والفلك والنبات والحيوان والأدوية. فأما مؤلفاته الفلسفية فهى - كما ذكرها ابن أبى أصيبعة[٢]:

(أ) الشروح:

١ - شرح كتاب "السمع الطبيعى" لأرسطو.

٢ - شرح لجزء من كتاب "الآثار العلوية" لأرسطو.

٣ - شرح لجزء من كتاب "الكون والفساد" لأرسطو.

٤ - تعاليق على كتاب أبى نصر الفارابى فى الصناعة الذهنية.

٥ - تعاليق على كتاب "إيساغوجى" فى المنطق للفارابى.

٦ - تعاليق على كتاب "المقولات" للفارابى.

(ب) ولم يكتف ابن باجه بالشرح والتعليق، بل ألف كتبا أودعها علمه الخاص، ويذكر المؤرخون منها:

١- كتاب "النفس".

٢- مقالة فى القوة التروعية.

٣- كتاب "اتصال العقل بالإنسان".

٤- فصول فى السياسة المدنية.

٥- رسالة فى البرهان وحقيقته.

٦- رسالة فى الأمور التى بها يمكن الوقوف على العقل الفعال.

٧- رسالة فى الغاية الإنسانية.

٨- رسالة فى الفحص عن النفس التروعية وكيف هى؟.

٩- رسالة فى التشوق الطبيعى وماهيته.

١٠- كتاب "تدبير المتوحد (بين أهل المدينة)".

١١-رسالة الوداع (ترجمت إلى العبرية).

وله غير ذلك من الكتب والرسائل والمقالات الفلسفية التى ضاع أكثرها مع عوادى الزمن، إضافة إلى كتبه فى الطب والنبات والحيوان والأدوية، وسيأتى ذكر بعضها فى مواضعها.

---

١) قدرى حافظ طوقان العلوم عند العرب ص ١٨٣.

٢) عيون الأنباء ص ٥١٦، وراجع: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب للدكتور محمد لطفى جمعة ص ٩٥-٩٦.

وتعد رسالته فى "تدبير المتوحد" أهم وأنفع كتبه وهى تشبه - إلى حد ما - كتاب "المدينة الفاضلة" للفارابى، و"جمهورية" أفلاطون، وقد ذكرها تلميذه ابن رشد (المتوفى ٥٩٥هـ) فى آخر كتابه عن (العقل الهيولانى) وقال: «أراد أبو بكر بن الصائغ (ابن باجه) أن يختط خطة لتدبير المتوحد فى هذه الأمة... وهو أول من سار فى هذا المضمار، و لم يسبقه فيه أحد»[١].

ابن طفيل (٥٨١هـ/١١٨٥م):

ومن أبرز فلاسفة الإسلام فى الأندلس الذين كان أثر ابن باجه فيهم واضحا: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسى (المتوفى ٥٨١هـ/١١٨٥م). يذهب البعض إلى أنه كان تلميذا لابن باجه، ولكنه هو نفسه يذكر أنه لم يتصل به اتصالا شخصيا[٢]. وقد لمع نجمه وزيرا وطبيبا فى بلاط الموحدين، وكانت له حظوة عند الأمير أبى يعقوب يوسف المنصور ابن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٧٩هـ/١١٦٣-١١٨٤م)، وإلى هذا الأمير يرجع الفضل الأكبر فى بروز مزايا ابن طفيل العقلية، إذ أحاطه برعايته، وسهل له استغلال مواهبه التى جعلت منه عالما فلكيا رياضيا وطبيبا وفيلسوفا وأديبا من الطراز الأول[٣].

وقد انتهز ابن طفيل فرصة تقربه من الأمير فقرب إليه مشاهير حكماء عصره، وقدم إليه حكيم الأندلس ابن رشد الحفيد (المتوفى ٥٩٥هـ/١١٩٨)، وكان الأمير قد طلب منه يوما أن يرشده إلى عالم خبير بمؤلفات أرسطو ليطلب إليه تفسيرها وتحليلها جليا، فطلب ابن طفيل إلى ابن رشد أن يقوم بهذا العمل، فلبى له طلبه وقام بشرح كتب أرسطو[٤].

وأهم عمل علمى صنفه ابن طفيل وإليه يرجع الفضل فى شهرته كتابه "أسرار الحكمة المشرقية" وهونفسه القصة الفلسفية التى تحمل عنوان " **حى بن يقظان** " وهذه القصة تشتمل على آرائه ونظرياته وفلسفته الخاصة به، وهى من أحسن ما تفخر به الفلسفة العربية، «ومن

---

١) راجع: محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب ص ٨١. وراجع عرضا لرسالة (تدبير المتوحد) وفصولها الثمانية فى نفس المرجع ص ٨٢-٩٢. وراجع أيضا تاريخ الفكر الأندلسى ص ٣٤١ وما بعدها، دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ٢٤٤-٢٤٧، هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية (ترجمه نصير مروة، وحسن قبيسى) ص ٣٤٤ - ٣٤٧.

٢) تاريخ الفكر الأندلسى ص ٣٤٨، محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب ص ١٠١.

٣) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ١٩٠.

٤) محمد لطفى جمعه: تاريخ فلاسفة الإسلام فى الشرق والغرب ص ٩٧، هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٣٥٢.

أجل الكتب المبتكرة فى موضوعها»[١]، كما أنها امتازت على غيرها من القصص الفلسفية المشرقية بالقرب من الحقيقة الواقعة، وبالوصف الطبيعى وبالتفصيلات الدقيقة عن الحياة العلمية، إلى جانب رشاقة الأسلوب وسهولة العبارة وحسن الترتيب[٢].

ويظن البعض أن قصة " **حى بن يقظان** " استخلصها ابن طفيل من فلسفة ابن سينا. «وهذا - كما يقول الأستاذ محمد لطفى جمعه - خطأ، لأنها فلسفة قائمة بذاتها»[٣]. ويقول (هنرى كوربان) فى كتابه "تاريخ الفلسفة الإسلامية": «إن قصة ابن طفيل عمل شخصى أصيل، وليس توسيعا بسيطا على الإطلاق لقصة ابن سينا»[٤].

وقد اطلع ابن طفيل على آراء سابقيه كالفارابى وابن سينا والغزالى (من المشارقة) وابن باجه (من الأندلسيين) ولا شك فى أنه تأثر بهم وخاصة الفارابى، إلا أنه عارض بعض آرائهم الفلسفية ومذاهبهم الخاصة، واختط لنفسه خطة مستقلة عن الجميع واستخلص مذهبا فلسفيا صاغه، فى قالب قصصى، وهو أول من فعل ذلك من الفلاسفة»[٥].

(٣) ابن رشد الحفيد (٥٢٦-٥٩٥هـ/١١٣١-١١٩٨م):

وأكثر شخصية أندلسية برعت فى الفلسفة هى شخصية الطبيب والفيلسوف العالم أبى الوليد محمد بن رشد القرطبى المشهور بابن رشد الحفيد (المتوفى ٥٩٥هـ/١١٩٨م)»[٦].

وهذا العالم الكبير كادت شهرته فى علم الفلسفة أن تحجب منجزاته فى علوم الشريعة والطب رغم أنه كان من أكبر الفقهاء والأطباء فى عصره، وألف فى الطب وحده نحو عشرين كتابا، أشهرها (كتاب الكليات»[٧].

وقد حصر ابن رشد معظم جهده فى شرح مذهب أرسطو، فعلق على الكتب الأرسطية التى وصلت إلى العالم العربى فى شروح لم يسبق إليها صغيرة ومتوسطة وكبيرة، ولهذا أطلق عليه

---

١) قدرى طوقان: العلوم عند العرب ص ١٩٠.

٢) مقدمة كتاب حى بن يقظان الذى نشره الدكتوران جميل صليبا وكامل عياد. (الطبعة الخامسة ١٩٦٢م).

٣) محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب.

٤) هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٣٥٣.

٥) راجع محمد لطفى جمعة: المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠٥.

٦) راجع ترجمته فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٣٠-٥٣٣.

٧) سيأتى الحديث عن جهود ابن رشد الحفيد فى مجال الطب - راجع (ص ٩٢١-٩٢٢)، وقد سبق الحديث عن منجزاته فى علم الفقه وأصوله (راجع ص ٧٦٣).

(دانتى) اسم "الشارح الكبير"[١]. ويعتقد البعض أن الشروح التى كتبها ابن رشد على مؤلفات أرسطو استعان فيها بمنهج الفلاسفة المشارقة وعلى رأسهم أبو نصر الفارابى (المتوفى ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) الذى أشاد به ابن رشد فى كتابه "تهافت التهافت"[٢]. ويقول (دى بور) بهذا الصدد: «وكثيرا ما نقل ابن رشد من كتب الفارابى وابن سينا، فخالفهم وكان فهمه خيرا من فهمهم» ويقول أيضا: «وهو لايدع فرصة تفوت دون أن يهاجم فيها ابن سينا ويرد على الفارابى وابن باجه رغم استفادته منهما، ونجده فى نقده لأسلافه أقسى من أرسطو فى نقده لأفلاطون»[٣].

ونستطيع أن نقسم التراث الأندلسى لابن رشد إلى قسمين أساسيين:

قسم ناقش فيه العلاقة بين الحكمة والشريعة، وأن الدين لا يناقض الفلسفة الحقة فى شئ. وأهم كتابين تناول فيهما هذه القضية هما: كتاب "فصل المقال فى ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، عالج فيه هذه القضية من وجهة النظر البحتة. والكتاب الثانى هو "الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة" بحث فيه الناحية التطبيقية. ويضاف إلى هذا القسم بقية مؤلفاته الفلسفية الأصيلة التى وصفها بنفسه.

والقسم الثانى: شروحه لكتب أرسطو وغيره من الفلاسفة، وهى أوسع مؤلفاته انتشارا[٤].

وقد نصب ابن رشد نفسه مدافعا عن الفلاسفة الذين هاجمهم أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ) فى كتابه "تهافت الفلاسفة" فنقده بكتاب "تهافت التهافت". وهو كتاب ضخم، ومن أهم كتب ابن رشد، «وله قيمة خاصة، لأنه عبارة عن دفاع فيلسوف عن الفلسفة، وهو أعظم دفاع لأعظم فيلسوف عربى مسلم ضد أعظم مفكر شرعى مسلم»[٥]. كما أن هذا الكتاب كاف بذاته للتدليل على رسوخ قدم ابن رشد فى الفلسفة بأصولها وفروعها

---

١) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٥٦، هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٣٦، قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ١٩٥.

٢) د. محسن جمال الدين: الفارابى ملامح من شخصيته العلمية فى الأندلس - بحث منشور بمجلة المورد - المجلد الرابع - العدد الثالث (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) - ص ٧٦.

٣) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٥٦-٢٥٧.

٤) راجع شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو: عيون الأنباء ص ٥٣٢-٥٣٣.

٥) محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب ص ٢٠٠. وفى هذا الكتاب تحليل وعرض جيد لكتاب تهافت التهافت.

والإلمام بتاريخ مذاهب الفلاسفة القدماء منهم والمحدثين[١].

تعقيب ومقارنة:

١ - إن هؤلاء الثلاثة - ابن باجه وابن طفيل وابن رشد - هم زعماء الحركة الفلسفية فى الأندلس والمناصرين لها بعد أن دخلت فى دور الاضمحلال منها مدرسة (بغداد/المشرق) بظهور أبى حامد الغزالى وكتابه "تهافت الفلاسفة" وما من شك فى أن فلاسفة الأندلس المشار إليهم قد تأثروا بفلاسفة المشرق فى المنهج العلمى وطريقة التأليف، وكان لكتب الفارابى وابن سينا وغيرهما الأثر الكبير فى تنشيط الحركة الفلسفية فى الأندلس بعد عصر الطوائف، «وعلى الجملة - كما يقول الأستاذ أحمد أمين - كان اشتغال العرب بالفلسفة فى بغداد وما حولها سببا فى اشتغال الأندلسيين بها كابن رشد وابن طفيل»[٢].

٢- وإذا جاز لنا القول بأن آراء كل من ابن باجه وابن طفيل لم تكن فى أغلب الأحايين إلا محاكاة لأفكار المشارقة[٣]، فإن فيلسوف الأندلس الكبير ابن رشد الحفيد هو الذى استطاع أن ينفرد بشخصية علمية فذة ومتميزة وأن يكون صاحب مذهب فلسفى متفرد، عرف فى مجال الدراسات الفلسفية «بالرشدية». وهذا المذهب كان له تأثير كبير فى تاريخ الفكر الأوربى الوسيط والحديث.

٣ - إن كل ما قدر للفلسفة من حياة فى الأندلس لا يتجاوز قرنين من الزمان، فقد مهد لها فى القرن الخامس الهجرى، وأزهرت فى القرنين السادس، ثم تلاشت بالتصدى لأعلامها من جهة الفقهاء والأمراء فى عصر الموحدين، وكأن ابن رشد - وقد نكل به - أغلق باب التفكير الفلسفى الإسلامى معه، فلم يظهر بعد فلاسفة مسلمون يعتد بهم، لا فى الشرق ولا فى الغرب، باستثناء عدد من الأفراد كان لهم تفكيرا فلسفيا ممن ينتمون إلى طوائف أخرى كالصوفية والمتكلمين، مثل أبى محمد عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلى المعروف بابن سبعين (المتوفى ٦٦٨ هـ/١٢٦٩م).

وقد انتقلت الحركة الفلسفية - بعد ابن رشد - إلى جماعة من اليهود الذين أختلطوا بالعرب والمسلمين اختلاطا كبيرا وشاركوهم فى نهضتهم وتتلمذوا لهم - وكل ما أنتجه هؤلاء اليهود من أفكار إنما هو فى قدر كبير منه وليد الفلسفة والدراسات الإسلامية. وقد بدأت

---

١) محمد لطفى جمعة: المرجع السابق ص ٢٠٩

٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام ٢٦٣/٣ (الطبعة الثانية ١٩٥٩م).

٣) راجع: د. إبراهيم بيومى مدكور: دروس فى تاريخ الفلسفة ص ١٠٢.

مشاركتهم فى النهضة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجرى، وكانت الأندلس بوجه خاص موطنا لكثير منهم وظهر من بينهم أطباء ومفكرون كثيرون، وعلى رأسهم موسى بن ميمون (المتوفى ٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، وهو أكثر آرائه، وأفاد من مؤلفات المشارقة التى نقلت إلى الأندلس، واستطاع أن يضع منهجا علميا اقتفى به آثار العلماء المسلمين فى شروحه وكتاباته العبرية، وخاصة فى كتابه "دلالة الحائرين". وقد بين ذلك الدكتور عمر فروخ فى كتابه "تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون"[١].

* * * *

المبحث الثانى
الفلك والرياضيات والموسيقى

توطئة: بدأت عناية علماء الأندلس بعلوم الرياضيات والفلك فى منتصف القرن الثالث الهجرى، أى فى فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣ هـ/٨٥٢-٨٨٦م) غير أن هذا الإقبال كان ضعيفا، واستمر هذا الحال إلى منتصف القرن الرابع الهجرى، وكما يقول صاعد: «لم يزالوا يظهرون - أى علماء الرياضيات والفلك والفلسفة - ظهورا غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة»[٢].

وكان نتيجة للانفتاح العلمى على إنتاج المشرق الإسلامى فى زمن الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وبوصول كتب الفلك والرياضيات من بغداد إلى قرطبة - على الصور التى أوضحناها من قبل - راجت سوق هذه العلوم فأكب الناس عليها وأخذوا يتمثلونها تعلما وتعليما، وكما يقول صاعد: «كثر تحرك الناس فى زمانه (يعنى الحكم المستنصر) إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم»[٣]. وقد أفرز ذلك ظهور عدد من علماء الرياضيات والفلك في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية كونوا مدرسة

---

١) د. عمر فروخ: تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون، ص ٥٧٢ وما بعدها (بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٢م)، وراجع ترجمة موسى بن ميمون فى كتاب "إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٠٩-٢١٠.

٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ٦٤.

٣) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ٦٦.

علمية رائجة أسهمت في بناء الصرح العلمي للحضارة الإسلامية في هذا المجال.

وقد برز في عهد الحكم المستنصر من علماء الرياضيات والفلك: أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (المشهور بابن أبي عيسى). وصفه صاعد الأندلسي بأنه: «كان مقدما في علم العدد (الحساب) والهندسة والنجوم، وكان يجلس لتعليم ذلك في أيام الحكم» وأقر له أبو القاسم المجريطي (مؤسس المدرسة الأندلسية في الرياضيات) أقر له بالسبق في الهندسة وسائر العلوم الرياضية[١].

ومن علماء هذا الفن الذين كان الحكم المستنصر يعظمهم ويضمهم إلى حضرته ويحيط نفسه بهم: عبد الله بن محمد المعروف بالسري كان ماهرا في علم العدد والهندسة وألف فيه كتابا[٢]، ومنهم أيضا: أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد العدوي المعروف بالطنبري الذي ألف كتابا في الحساب سماه "المعاملات" وهو في الحساب التجاري[٣]. وأبو عبد الملك الثقفي الذي خدم المستنصر بالطب، وكان عالما بهندسة المساحة وبكتاب أوقليدس في الأصول الهندسية[٤].

وفي معرض افتخار ابن حزم الأندلسي (المتوفي ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) بما أنجزه علماء الأندلس في مجال الهندسة ذكر من بينهم: أحمد بن نصر (المتوفي ٣٣٢هـ/٩٤٤م) ونسب إليه كتاب "المساحة المجهولة" ووصفه بقوله: «ما تقدم إلى مثله في معناه»[٥].

أبو القاسم المجريطي القرطبي (المتوفي ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وتأسيس المدرسة الأندلسية في الفلك والرياضيات:

أما إمام الرياضيين في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الفلك في الأندلس والمؤسس الحقيقي للمدرسة الأندلسية في هذا المجال فهو: أبو القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمجريطي (٣٣٨-٣٩٨هـ/٩٥٠-١٠٠٧م). ولد في مجريط (مدريد عاصمة إسبانيا اليوم) وانتقل إلى قرطبة وأقام بها مدرسة علمية كان لها الفضل فى ظهور النهضة

---

١) المرجع السابق ص ٦٨.
٢) المرجع نفسه ص ٦٧-٦٨.
٣) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم ص ٦٨.
٤) طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١١١.
٥) رسالة ابن حزم في فضل الأندلس المذكورة في نفح الطيب للمقري ١٧٦/٣.

الأندلسية فى فروع الرياضيات والفلك وفى الكيمياء وعلوم الحياة أيضا.

وقد ترك المجريطى مجموعة من المؤلفات التى تبرز الخصوصية الأندلسية فى هذا المجال[١].

(أ) ففى الفلك، صنف من الكتب:

١- كتاب شرح فيه كتاب "المجسطى" لبطليموس.

٢- كتاب "اختصار تعديل الكواكب من "زيج" البتانى البغدادى (المتوفى٣١٧هـ/٩٢٩م).

٣ - دراسة عنى فيها (بزيج) محمد بن موسى الخوارزمى / البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/ ٨٥١م) حيث قام بتحريره، وأضاف إليه إضافات بناءة، وحول تاريخه الفارسى إلى التاريخ الهجرى، وزاد فيه جداول جديدة، إلا أنه كما يقول صاعد الأندلسى: «لم ينتبه إلى مواضع الغلط منه»[٢].

٤ - رسالة فى العمل بالاسطرلاب[٣] (الآلة الفلكية المشهورة).

(ب) وفى الرياضيات: درس المجريطى إنتاج اليونان الذى وصل إلى قرطبة فى هذا الحقل، وعلق على بعضها، وكان من علاء العرب والمسلمين الذين طوروا نظريات الأعداد وهندسة أوقليدس، وكتب كتابا فى الحساب التجارى باسم "المعاملات". وصنف كتابا آخر فى علم "العدد"[٤].

أما عن إسهاماته فى علم الكيمياء فقد صنف كتابين فى هذا الميدان هما "رتبة الحكيم"، و"غاية الحكيم". وستكون لنا وقفة عند جهوده فى موضع لاحق إن شاء الله[٥].

---

١) راجع مؤلفات المجريطى فى طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٦٩، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ٤٨٢ -٤٨٣، العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية للدكتور على عبد الله الدفاع ص ٣٩٣-٣٩٤، اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم الفلك للدفاع ص ٨٦-٨٧.

٢) صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٦٩ وراجع عيون الأنباء ص٤٨٣.

٣) راجع المقصود بالاسطرلاب (ص ٣٤٥) من القسم الأول.

٤) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ٦٩، الدفاع: العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية ص ٣٩٠.

٥) راجع بداية من (ص ٩٠٥ - ٩٠٦).

تلاميذ المجريطى:

وقد أنجب المجريطى تلامذة كثيرين «لم ينجب عالم بالأندلس مثلهم» كما يقول صاعد الأندلسى[١]، من أشهرهم: ابن السمح (المتوفى ٤٢٦هـ/١٠٣٤م)، وابن الصفار، والكرمانى (المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) وابن خلدون (المتوفى ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) والزهراوى وابن البغونشن (المتوفى ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) وغيرهم ممن أضافوا إلى التراث الأندلسى مجموعة كبيرة من الكتب فى الفلك والرياضيات.

وعندما مزقت الحروب الأهلية الأندلس فى بداية القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى رحل هؤلاء العلماء عن قرطبة ولجأوا إلى عدة مدن فى شرق الأندلس وطليطلة وغرناطة، فنشروا بها معارفهم، وكونوا طبقة جديدة من الرياضيين والفلكيين.

(١) أما ابن السمح: أصبغ بن محمد بن السمح المهدى (المتوفى ٤٢٦هـ/١٠٣٤م) فقد نزل غرناطة، «وكان محققا لعلم العدد والهندسة، متقدما فى علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، مع الإلمام بالطب». وترك مجموعة من المؤلفات فى الفلك والرياضيات.

فمن مؤلفاته فى الرياضيات: كتاب "المدخل إلى الهندسة" وهو شرح لكتاب أوقليدس. وكتاب "ثمار العدد" المعروف (بالمعاملات). وكتاب "طبيعة العدد". وله كتاب آخر فى الهندسة تقصى فيه أجزاء من الخط المستقيم والمقوس والمنحنى.

أما مؤلفاته فى علم الفلك، فله كتابان فى آلة "الاسطرلاب". أحدهما: فى التعريف بكيفية صناعتها، ويقع فى مقالين. والآخر: فى العمل بها. ويقع فى مائة وثلاثين بابا. وصنف أيضا "زيجا" ألفه على طريقة السند هند، وهو كتاب كبير مقسم على جزأين، الأول: فى الجداول. والثانى: فى رسائل الجداول[٢].

(٢) وأما ابن الصفار - أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبى - فقد أقام فى (دانية) قاعدة الأمير مجاهد العامرى. وصنف فى الفلك "زيجا" على مذهب السند هند وكتابا فى "العمل بالإسطرلاب"[٣]. وهذا الكتاب نشره الباحث الإسبانى (مياس

---

١) طبقات الأمم ص ٦٩، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٣.
٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٦٩-٧٠، عيون الأنباء ٤٨٣.
٣) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٧٠، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٤.

فاليكروسا) فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، ويحتوى على وصف لجميع الآلات الفلكية المعروفة آنذاك، مثل "ذات الحلق" و"ذات الشعبتين" و"ذات الجيب" و"ذات السمت والارتفاع" وغيرها[١].

وقد كون ابن الصفار مجموعة من الطلاب المهرة فى علوم الفلك والرياضيات، من أبرزهم: ابن برغوث (المتوفى ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) وأبو الأصبع الواسطى القرطبى وابن شهر الرعينى القرطبى (المتوفى ٤٣٥هـ/١٠٤٣م) ومحمد بن خيرة بن العطار القرطبى[٢].

وكان لابن الصفار أخ يدعى "محمدا" اشتهر بصناعة آلة الاسطرلاب، ونعته صاعد الأندلسى بأنه «لم يكن بالأندلس قبله أجمل صنعا لها منه»[٣].

(٣) وأما الكرمانى: أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن على الكرمانى القرطبى (المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) - فقد استوطن مدينة سرقسطة. ويعد من الراسخين فى علم العدد والهندسة، غير أنه لم يكن بصيرا بعلم المشرق لتحصيل علوم الهندسة والطب[٤].

(٤) وأما الزهراوى – أبو الحسن على بن سليمان الزهراوى - فمن مآثره فى الرياضيات: كتاب فى "المعاملات عن طريق البرهان"، وهو المسمى بكتاب "الأركان"[٥].

ومن مشاهير علماء الأندلس فى الفلك والرياضيات (خلال القرن الخامس الهجرى): عبد الله بن أحمد السرقسطى (المتوفى ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ألف رسالة فى الفلك يذكر فيها فساد مذهب السند هند فى حركات الكواكب وتعديلها. وقد رد عليه صاعد الأندلسى (صاحب طبقات الأمم) فى كتاب له بعنوان "إصلاح حركات الكواكب والتنبيه على خطأ المنجمين"[٦]. واشتهر أيضا الحسين بن محمد بن الحسين بن حى التجيبى القرطبى (المتوفى٤٥٦هـ/١٠٦٣م) كانت له رحلة إلى مصر وبغداد واتصل

---

١) صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – المجلد الثالث ص ٤٦ وما بعدها.
٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٧١-٧٢.
٣) طبقات الأمم ص ٧٠، عيون الأنباء ص ٤٨٤.
٤) طبقات الأمم ص ٧٠-٧١، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٤-٤٨٥.
٥) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٧٠، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٤.
٦) المقرى: نفح الطيب ٢/٥١٠-٥١١، ياقوت الحموى: معجم الأدباء ١٠/١٥٨-١٥٩.

بالخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٥٥م)، وصنف "زيجا" مختصرا على طريقة السند هند[١].

أبو إسحق الزرقالى أبرز عالم فلكى بالأندلس بعد المجريطى:

وأبرز عالم احتل مكانة رفيعة بين الفلكيين والرياضيين بالأندلس - بل وفى العالم الإسلامى كله - أبو إسحق يحيى النقاش القرطبى الطليطلى المشهور بالزرقالى - ويعرف أيضا بالزرقيل - (المتوفى حدود ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، يقول عنه جنثالث بالنثيا: «إنه يعتبر أعظم أهل الفلك من العرب، وهو من طبقة أكابر علماء هذا الفن فى العصور القديمة، بسبب طول ممارسته له واستقامة منهجه فيما يبديه عن ملاحظات استخرجها من تجاربه المباشرة»[٢].

والزرقالى باحث مفكر وفلكى رياضى أقام فى مملكة طليطلة فى ظل بنى ذى النون، واخترع آلات فلكية جديدة مثل نوع "الاسطرلاب" المعروف باسم "الصحيفة الزرقالية" وهى صحيفة من معدن، رسمت عليها كرة الأرض بخطوط الطول والعرض تتخذ لقياس الأبعاد والأطوال[٣]. ويرى العالم الفلكى (نلينو) فى كتابه "علم الفلك تاريخه عند العرب فى العصور الوسطى" أن الزرقالى تأثر فى كتابه هذا بالمذاهب المشرقية فى علم الفلك، كمذهب "السندهند" والمذهب الفارسى[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الزرقالى كان قد صمم آلة فلكية كانت تعرف باسم "نموذج العبادى" نسبة إلى المعتمد بن عباد ملك إشبيلية الذى كان قد لجأ إليه الزرقالى بعد سقوط طليطلة. وكان قد صنع نموذجا آخر يعرف باسم "المأمونى" نسبة إلى المأمون بن ذى النون

---

١) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص٧٢-٧٣.

٢) تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٥١.

٣) خوسيه مارياس بيكروسا: نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس (بحث بالإسبانية) منشور بصحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م(ص ٥-٤، ٦). وقد اعتمدنا على الملخص المنشور بالعربية فى نفس العدد ص ٣١٤. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور حسين مؤنس ذكر فى تعليقاته على كتاب "تاريخ الفكر الأندلسى - ص ٤٥٣" أن نص رسالة "الصحيفة الزرقالية" نشر بمجلة الأندلس الإسبانية المجلد الأول - العدد الأول (١٩٣٣م).

٤) نلينو: علم الفلك: تاريخه عند العرب ص ١٧٠، ص ١٧٦، ص ١٨٨، وراجع تاريخ الأدب الجغرافى العربى لكراتشكوفسكى ١/٧٧.

الطليطلى (٤٢٩-٤٦٧هـ/١٠٣٧-١٠٧٤م).

ومن مصنفات الزرقالى: "الزيج" الطليطلى الذى نقل إلى اللاتينية فى القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى، واتخذ منه علماء أوربا أساسا لإعداد تقاويمهم وكتبهم السنوية حتى فى زمن "كوبر نيكوس" (٨٧٨-٩٥٠هـ/١٤٧٣-١٥٤٣م»[١]. ويذكر المستشرق الإسبانى "خوسيه ماريا مياس بيكروسا" فى كتابه "نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس" أن هذا الزيج وضعه الزرقالى بالاشتراك مع مجموعة من الفلكيين الذين عاشوا فى قرطبة وقال: «إن الزرقالى لم يكن يعمل وحده، بل كان معه طائفة من جلة العلماء، منهم صاعد الطليطلى صاحب: "طبقات الأمم" وعلى بن خلف، وهذه الطائفة هى التى وضعت الأزياج الطليطلية ذات الشهرة البعيدة والتى تضارع "الزيج المأمونى"[٢] و"الزيج الحاكمى"[٣]»[٤].

وقد وضع الزرقالى "تقويما" عظيما اعتمد فيه على تقويم يونانى من وضع أمونيوس (Ammonius). وهذا التقويم هو أساس كل التقاويم التى وضعت فى العصور الوسطى، وكان عليه اعتماد الملاحين فى عصر الاستكشاف[٥].

وفى القرن السادس الهجرى/الثالث الميلادى ظهر فى الأندلس عدد من الرياضيين والفلكيين، كابن مسعود الإشبيلى (المتوفى ٥٢٦هـ/١١٣٢م) صاحب كتاب فى "حساب المثلثات"، وابن سهل الضرير - من أهل غرناطة - (المتوفى ٥٧٠هـ/١١٧٥م) كانت له عناية بالرياضيات والكيمياء واختصاص بعلم الحيل (الميكانيك»[٦]. وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى (المتوفى ٥٣٨هـ/١١٤٣م) صاحب كتاب "الوجيز فى علم الهيئة" برهن فيه على مهارته وبراعته فى هذا العلم، وله كتاب "العمل بالاسطرلاب" وكتاب آخر فى "الهندسة"[٧] يذكره ابن خلدون تحت اسم "كتاب الاقتصار" ويقدمه على أساس أنه مختصر لكتاب "الأصول"

---

١) ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٣٥٩-٣٦٢، هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٣٨، ١٩٤ (هامش رقم ٥٢)، وراجع أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك للدكتور علي عبد الله الدفاع ص٣٤.

٢) نسبة إلى الخليفة المأمون العباسي. راجع (ص٣٤١) من القسم الأول.

٣) نسبة إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي.

٤) صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد/ المجلد الخامس (ملخص البحث بالعربية ص٣١٤).

٥) المرجع نفسه (الملخص العربي/ص ٣١٤).

٦) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٥٦.

٧) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢ ٥١٤، ٥١٥، المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ١/٢٥٦-٢٥٧ (ط دار المعارف ١٩٥٣م).

لأوقليدس[١]. وأبو الحسن أحمد بن إبراهيم الأشعرى القرطبى (المتوفى حدود ٥٥٠هـ/ ١١١٥م) صاحب كتاب "التفاحة فىعلم المساحة" رتبه على فصول وأبواب، وضمنه أشكالا وتخطيطات هندسية رسمت بالمداد الأحمر[٢].

وقد كان للفيلسوف أبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الأندلسى المعروف بابن باجه (المتوفى ٥٣٣هـ/١١٣٨م) «تعاليق فى الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعة فى هذا الفن» كما يقول ابن أبى أصيبعة[٣].

وكان له ملاحظات قيمة على نظام بطليموس فى الفلك، وأثر فيمن بعده فى هذا المجال مثل جابر بن أفلح الإشبيلى (ت ٥٤٠هـ) وأبى إسحق البطروجى (ت ٦٠١هـ»[٤]، وسيأتى ذكرهما بعد قليل.

ومن الفلاسفة الأندلسيين الذين كانت لهم مشاركة فى علوم الفلك والرياضيات: الفيلسوف القرطبى الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى ٥٩٠هـ/١١٩٣م). ألف كتابا فى "حركة الفلك" ومختصرا لكتاب "المجسطى" لبطليموس[٥]. ويذكر الدكتور أحمد فؤاد باشا أن ابن رشد درس ظاهرة " كلف الشمس" الذى تطور فيما بعد إلى علم البقع الشمسية، وأنه أول من رأى هذه الظاهرة عمليا عندما عرف بالحساب الفلكى وتمت عبور كوكب عطارد على قرص الشمس، فرصده ورآه بقعة سوداء على قرصها فى الوقت الذى حدده[٦].

وأبرز عالم فلكى رياضى فى القرن السادس الهجرى هو: جابر بن أفلح الإشبيلى القرطبى (المتوفى ٥٤٠هـ/١١٤٥م) قام بتجارب ودراسات خرج منها بملاحظات وآراء شخصية سجلها فى كتابه "الهيئة" أو "إصلاح المجسطى" أى فى نظريات بطليموس التى تتعلق بالكواكب ويسمى أيضا بكتاب "الاستكمال" وهذا الكتاب هذبه وأصلح ما فيه من تخليط

---

١) مقدمة ابن خلدون ص٩٠٢.

٢) أسامة ناصر النقشبندى: من نوادر المخطوطات العلمية فى العراق - بحث منشور بمجلة المورد - المجلد الرابع عشر - العدد الرابع (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ص ٣٦٧. وراجع معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥٩/٢، كشف الظنون لحاجى خليفة ٤٢٦/١.

٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥١٥ - ٥١٦. وراجع ما ذكرناه عن ابن باجه فى مبحث الفلسفة (ص ٨٨٢).

٤) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ١٨٤.

٥) نفيس أحمد: جهود المسلمين فى الجغرافيا ص ١٦٧. وراجع عيون الأنباء ص ٥٣١-٥٣٣.

٦) د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ص ١٠٢-١٠٣.

العالم اليهودى الأندلسى موسى بن ميمون (المتوفى ٦٥٠هـ/١٢٥٢م)[١]. ووضع ابن أفلح أيضا رسالة فى "حساب المثلثات" عرض فيها قوانينه بطريقة مبتكرة، كما أنه ينسب إليه اختراع بعض الآلات الفلكية[٢].

ويعد أبو إسحق نور الدين البطروجى (المتوفى ٦٠١هـ/١٢٠٤م) - أصله من "بطروج": مدينة قريبة من قرطبة - صاحب "كتاب الهيئة" - فى طليعة علماء الفلك الأندلسيين المجددين؛ فقد نقد نظرية بطليموس بصدد انحراف الكواكب ودورانها الدائرى[٣].

وفى عصر بنى نصر فى مملكة غرناطة برزت بعض أسماء علماء أندلسيين فى الفلك والرياضيات، مثل أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسى الغرناطى الشهير بابن الرقام (المتوفى ٧١٥هـ/١٣١٥م)، وهو صاحب كتاب "الزيج المستوفى"[٤]. وابن رضوان الواد آشى (المتوفى ٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، صنف "أرجوزة" فى الفلك، ورسالة عن "الاسطرلاب". وأبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن بدر الإشبيلى - عاش فى أواخر القرن السابع الهجرى، وله كتاب "اختصار الجبر والمقابلة" يدل على قوة فكره ورسوخه التام فى هذا العلم[٥]. و أبو محمد بن أحمد الرقوطى - من أهل رقوطة من أعمال مرسية - (المتوفى ٧٤٤هـ/١٣٤٤م) وغيرهم[٦].

القلصادى (٨٩١هـ/١٤٨٦م):

ونختم هذا العرض الوجيز بأحد أهم العلماء الأندلسيين الذين برعوا فى علم الجبر وهو: أبو

---

١) القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢١٠.

٢) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٥٦، ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٣٨٣، نلينو: علم الفلك: تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص ١٩١، ص ٢٤٩، فيليب حتى: تاريخ العرب ص ٧٤٢-٧٤٣ (ط بيروت ١٩٨٦م).

٣) فيليب حتى: تاريخ العرب ص ٦٥٦، قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٣٥٣ (ط القاهرة ١٩٥٤م)، ألدوميلى المرجع السابق ص ٣٨٤.

٤) محمد العربى الخطابى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ٢٩/١، تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا ص ٤٥٧.

٥) د. أحمد عبد الرحمن: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٥٨، قدرى حافظ طوقان: مراجعة كتاب الجبر والمقابلة (مجلة المجمع العلمى العربى دمشق- ١٩٥٧م - ج١ ص ٢٨٢-٢٨٨).

٦) راجع تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٥٧، أضواء على النشاط العلمى فى الأندلس - بحث للدكتور محمد أحمد أبو الفضل- منشور ضمن بحوث ندوة "الأندلس - الدرس والتاريخ" - ص ٤٣٦-٤٣٧ (دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

الحسن على بن محمد بن على القرشى القلصادى البسطى الأندلسى (المتوفى ٨٩١هـ/١٤٨٦م) وهذا العالم يرجع إليه الفضل فى استخدام بعض الرموز الجبرية حتى صارت أقرب إلى الرموز الحديثة. ويكفى علماء "الجبر" فخرا من المسلمين أن العالم الفرنسى فرانسيس فيت (Francis Viete) الذى عاش فيما بين (٩٤٦-١٠١١هـ/١٥٤٠-١٦٠٣م) - والذى يعد فى نظر الكثيرين واضع مبدأ استعمال الرموز فى الجبر - قد اطلع على كتاب "كشف الأسرار عن علم الغبار" للقلصاوى بعد ترجمته إلى اللاتينية، ونقل عنه فكرة استعمال الرموز، ثم ارتقى بها إلى أن أخذت شكلها الحالى[١].

وقد امتاز القلصادى بغزارة إنتاجه الرياضى، حيث صنف أكثر من إحدى عشرة كتابا ساهم بها فى إعطاء لمحة كاملة عن المعارف الرياضية المتداولة فى عصره، منها: كتاب "شرح الأرجوزة الياسمينية فى الجبر والمقابلة" وكتاب "قانون الحساب"، و" تبصرة المبتدى بالقلم الهندسى" و" التبصرة الواضحة فى مسائل الأعداد الواضحة" وغيرها[٢].

وقد اعتمد القلصادى على إنتاج أساتذته فى علم الجبر، ومن بينهم أسلافه البغداديين المشارقة كالخوارزمى وثابت بن قرة وغيرهما ممن كان لهم اليد الطولى فى تطوير هذا الحقل العلمى.

صناعة الآلات الفلكية فى الأندلس:

ومن مآثر الأندلسيين للنهوض بعلم الفلك والتقدم به خطوات كبيرة نجاحهم فى صناعة الآلات الفلكية المختلفة، وأهمها آلة الاسطرلاب، وقد سبق ذكر عدد من الكتب الأندلسية وضعت لبيان كيفية صناعة هذه الآلة وكيفية العمل بها. وما من شك فى أن فكرة صناعة الاسطرلاب - وغيره من الآلات الفلكية - انتقلت من (بغداد/المشرق) إلى الأندلس، إلا أن الأندلسيين ابتكروا أشكالا جديدة، وأدخلوا عليها تعديلات كثيرة، وبرعوا فى تطويرها، وحققوا من خلالها إنجازات علمية كبيرة.

وقد ساعد على صناعة الاسطرلابات الأندلسية وجود علماء متخصصين فى علوم الفلك

---

١) راجع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية - لعلى عبد الله الدفاع ص ١٢٥، العلوم عند العرب - لقدرى حافظ طوقان ص ٥٢، Cajori: A History of Elementary Mathematic، New York, 1919, p.p. 10-111.

٢) الأعلام للزركلى ج٥ ص١٦٣ (الطبعة الثانية). وراجع: حميدة هادفى: مساهمة رياضى الأندلس فى الحياة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى - بحث منشور ضمن أعمال ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات - الرياض ١٤١٤هـ الجلسة رقم (٤) البحث الأول (ص ١٥).

والرياضيات ازدانت بهم مدن الأندلس، وخاصة قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة. كما أن المصادر التاريخية حافلة بأسماء العديد من الصناع الذين ساهموا فى تصميم العديد من الآلات الفلكية بالأندلس.

وكان من أعظم ما حققه علماء الأندلس عن طريق الآلات الفلكية هو محاولاتهم قياس محيط الأرض ووضع جداول فلكية "أزياج" لحركات الكواكب وتحديد شكل مساراتها. واستخدموا الاسطرلاب بشكل واسع من أجل تحديد مواقيت الصلاة والتنبؤ بالفصول، حيث قد رسموا الكرة السماوية على الاسطرلاب سطحا مستويا، وذلك بواسطةعملية رياضية تعرف بالإسقاط المجسم[١].

ومن أسماء الصناع الأندلسيين الذين مهروا فى صناعة آلة الاسطرلاب: "إبراهيم بن سعيد الموازينى السهلى" الطليطلى، قام بصنع اسطرلابين، أحدهما سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، والآخر أواخر عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. وينسب إليه أيضا عمل كرة سماوية من النحاس لها قاعدة ترتكز عليها، وانتهى من صنعها فى عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م. وقد كان إبراهيم بن سعيد السهلى من المتخصصين فى صناعة آلات المواقيت. وكانت له شهرة وسعة فى عصره جعلته يتنقل بين المدن الأندلسية فيضع مرة اسطرلابا باسم طليطلة، ويصنع مرة أخرى كرة سماوية محدد عليها بالرسم أسماء الكواكب لمدينة بلنسية[٢].

وقد استفاد الصانع الإشبيلى محمد بن فتوح الجمهيرى بمؤلفات "الزرقالى" الخاصة بتصميم الآلات الفلكية وصنع أسطرلابين. وصنع محمد بن محمد بن هذيل عمودا لاسطرلاب الزرقالى ووقع عليه اسمه عام ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[٣].

ويعد الاسطرلاب الذى صنعه أحمد بن حسين بن باسو الأندلسى للجامع الكبير بغرناطة تحفة فنية رائعة تعبر عن مدى ما وصلت إليه تلك الصناعة فى الأندلس من رقى ودقة وتطور فريد، إلى جانب ما يلقيه هذا الاسطرلاب من ضوء على براعة صناع الأندلس فى هذا الفن، ويوضح إمكاناتهم الكبيرة فى الإلمام بعلوم الفلك والهندسة والرياضيات[٤].

---

١) د. محمد محمد كحيلة: دراسة للحياة الفنية فى الأندلس من واقع توقيعات الصناع والفنانين الأندلسيين على أعمالهم الفنية – من بحوث ندوة (الأندلس: الدرس والتاريخ) – كلية الآداب جامعة الإسكندرية (ذو القعدة ١٤١٤هـ/إبريل ١٩٩٤م) (دار المعرفة الجامعية) – ص ٥٥٠.

٢) محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس – ص ١٧٤ (دار الثقافية، بيروت، بدون تاريخ).

٣) د. محمد محمد كحيلة: المرجع السابق ص ٥٥١، ٥٥٢.

٤) د. محمد محمد كحيلة: المرجع نفسه ص ٥٥٢.

أداة الاصطرلاب صنعها إبراهيم سيد السُّهيلى أحد مسلمى الأندلس

فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى

علم الموسيقى:

أما عن فن الموسيقى والغناء فقد ازدهر فى الأندلس منذ عصر الدولة الأموية، وساعد على ذلك تشجيع بعض أمراء بنى أمية وخلفائهم لذوى المواهب الفنية واستقدام العديد من الموسيقيين والمغنيين والمغنيات من المشرق الإسلامى، وخصوصا من بغداد والمدينة. وكان وصول "زرياب" من بغداد إلى قرطبة البداية الحقيقية لتأسيس "مدرسة للموسيقى والغناء" فى الأندلس، لها أنماطها وتقاليدها ومراسمها المتميزة، ويقرر ابن خلدون أن هذه التقاليد امتد تأثيرها إلى عصر الطوائف، واشتهرت بها مدينة قرطبة وإشبيلية وطليطلة وبلنسية وغرناطة وتعدى هذا التأثير إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب[١].

وقد استطاع الأندلسيون أن يدونوا من مآثر زرياب فى صنعة الموسيقى والغناء، وصنفوا بعض الكتب فى ذلك[٢] منها: كتاب فى "أغانى زرياب" لأسلم بن أحمد بن سعيد بن القاضى أسلم بن عبد العزيز[٣]، وهذا الكتاب وصفه ابن حزم الأندلسى بأنه: «أول تأليف فى طرائق غناء زرياب وأخباره، وهو ديوان عجيب جدا»[٤]. وقد كان "أسلم" من أهل الأدب البارع والتفنن مع حظ من الفقه وافر، وذا بصارة فى الشعر، وله معرفة بالأغانى والألحان[٥].

وأهم كتاب مشرقى فى الموسيقى وصل إلى الأندلس هو كتاب "الموسيقى الكبير" للفارابى[٦] (المتوفى ٣٣٩هـ/٩٥٠م). وهذا الكتاب اختصره أحمد بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعى المرسى الأندلسى (المتوفى ٥٩٨هـ/١٢٠١م).

وقد وضع فلاسفة الأندلس عدة كتب فى الموسيقى على طريقة الكتب المشرقية فى هذا الفن. فمن ذلك كتاب "الموسيقى" لأبى القاسم سعيد بن فتحون بن مكرم السرقسطى المعروف بالحمار، عاش فى أيام المنصور محمد بن أبى عامر[٧]. و"رسالة فى الموسيقى" لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الدانى الأندلسى (المتوفى ٥٢٩هـ/١١٣٤م)، «وقد كان متقنا لعلم الموسيقى وعمله» كما يقول ابن أبى أصيبعة[٨].

---

١) مقدمة ابن خلدون ٩٨٣/٢. وراجع ما كتبناه عن جهود زرياب ومدرسته الموسيقية فى فرض أنماط الموسيقى العربية المشرقية بالأندلس - راجع عن ذلك بداية من (ص ٦٥٧) من الباب السابق.

٢) راجع معجم الأدباء لياقوت الحموى ٢١٧/٤.

٣) جذوة المقتبس للحميدى ٢٦٧/١، ٢٢٦، معجم الأدباء لياقوت الحموى ١١٥/٤.

٤) ابن حزم: طوق الحمامة ص ١١٦ (تحقيق حسن كامل الصيرفى - القاهرة ١٩٥٩م).

٥) جذوة المقتبس للحميدى ٢٦٧/١.

٦) تكلمنا عن هذا الكتاب فى موضع سابق من القسم الأول: راجع (ص٤٦٠).

٧) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٦٨.

٨) عيون الأنباء ص ٥٠١، ٥١٥.

ويعد ابن باجه (المتوفى ٥٢٢هـ/١١٢٨م) من مفاخر الأندلسيين فى هذا الفن، وقد ذكره ابن سعيد فى تذييله على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس، وقال: «وأما الموسيقى فكتاب أبى بكر بن باجه فى ذلك فيه كفاية، وهو فى المغرب بمنزلة أبى نصر الفارابى بالمشرق، وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التى عليها الاعتماد»[١]. وقد وصفه ابن خلدون بأنه «صاحب التلاحين المعروفة»[٢]، ووصفه ابن أبى أصيبعة أيضا بأنه «كان متقنا لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود»[٣]. ويقول أحد الباحثين بهذا الشأن: «لقد ارتقى على يده علم الموسيقى وأتم نهضة زرياب الغنائية»[٤]. وقد ذهب البعض إلى أن ابن باجه هو أكثر العلماء الأندلسيين الذين أفادوا من "الفارابى" فى موضوع دراسة الموسيقى[٥].

ومن الذين اشتغلوا بهذا العلم من الأندلسيين أيضا عباس بن فرناس صاحب قصة الطيران المشهورة (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٧م) له فضل كبير فى رقى الموسيقى وصياغة الألحان[٦]، والمجريطى (المتوفى ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وهو مؤسس المدرسة الأندلسية فى الفلك والرياضيات والكيمياء[٧]. وأبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبى (المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، وابن رشد الحفيد (المتوفى ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)[٨]، وإسحق بن شمعون اليهودى القرطبى. وهذا الأخير قال عنه ابن سعيد: «أحد عجائب الزمان فى الاقتدار على الألحان، وكان قد لازم ابن باجه وأحسن الغناء بلسانه ويده»[٩].

ومن مظاهر السعى لتحقيق الخصوصية (أو الشخصية) الأندلسية فى هذا المجال صنف الفيلسوف الأندلسى أبو زكريا يحيى بن إبراهيم (الأصبحى) المرسى (من علماء المائة السابعة)

---

١) نفح الطيب للمقرى ٣/١٨٥.
٢) مقدمة ابن خلدون ج٣ ص١٣٤٠.
٣) عيون الأنباء ص ٥١٥
٤) د. جودت الركابى: فى الأدب الأندلسى ص ٨٦ (ط القاهرة ١٩٦٠م).
٥) د. محسن جمال الدين: الفارابى ملامح من شخصيته العلمية فى الأندلس - مجلة المورد، المجلد الرابع /العدد الثالث (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). - ص ٧٤.
٦) د. عبد الرحمن الحجى: تاريخ الموسيقى الأندلسية ص ٣٦ - ٣٧.
٧) تحدثنا عن جهوده فى هذه العلوم من قبل - راجع بداية من (ص ٨٩١-٨٩٢)، وسيأتى الحديث عن جهوده فى علم الكيمياء بعد قليل..
٨) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٤١.
٩) المغرب فى حلى المغرب ١/١٢٧.

كتاب "الأغانى الأندلسية" نزع فيه مترع كتاب "الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى البغدادى[١]. وكتاب أبى الفرج وصل إلى الأندلس كما عرفنا من قبل.

هذا، وقد ساعد على ازدهار فن الموسيقى فى الأندلس ظهور "الموشحات" التى نظمت لتلائم الغناء والموسيقى دون التقيد بعلم العروض والقافية[٢].

تعقيب ومقارنة:

وخلاصة ما ذكرناه عن النشاط العلمى فى الأندلس فى ميدان الفلك والرياضيات والموسيقى:أن الأندلسيين أقبلوا على دراسة ما وصل إليهم من مصادر هذه العلوم إلى أن تكونت مجموعة من العلماء فى هذه المجالات العلمية انتشروا فى كافة أنحاء الأندلس وساهموا بمجموعة من المؤلفات، تناولت الإنتاج المشرقى بالشرح والتعقيب، أو عرض المادة العلمية الوافدة بصورة جديدة أو مختصرة. لكن - ومن المؤكد - كان للأندلسيين إضافات حميدة فى الفلك والرياضيات ذكرنا شيئا منها فى سياق عرضنا السابق، إلا أن هذه الإضافات والإسهامات تبقى ضئيلة إذا ما قورنت بحجم إنجازاتهم وإبداعاتهم فى علوم أخرى، ونعنى بها: علوم الطب والصيدلة والنبات والزراعة.

ولقد كانت البحوث والدراسات الفلكية والرياضية فى بغداد أكثر تقدما عما كانت عليه فى الأندلس، سواء فى الكم أو فى النوع، وإذا رجعنا إلى ما كتبناه عن علم الفلك - بوجه خاص - فى بغداد فسنجد أن من أهم ما قدمته المدرسة البغدادية من إنجازات فى هذا الميدان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين فقط هو تشييد المراصد الفلكية لرصد الظواهر الطبيعية. أما فى الأندلس فلا نستطيع الجزم بوجود مثل هذه المراصد، لأننا لم نعثر على ما يشير إلى عناية الأندلسيين بتشييدها. وقد أشار بعض الباحثين إلى وجودها بالأندلس دون الاستناد إلى دليل[٣].

وعلى الرغم من أن الدراسات الفلكية والرياضية والموسيقية بالأندلس لم تبلغ المستوى الذى بلغته فى (بغداد / المشرق) فإن التراث الأندلسى يمثل إضافة هامة فى بناء صرح الحضارة الإسلامية فى هذه المجالات العلمية.

---

١) نفح الطيب ١٨٥/٣: برنامج الرعينى ص ١٦٤.

٢) راجع تيمور أحمد: أثر الموسيقى العربية فى الموسيقى الأندلسية - بحث ألقى فى مؤتمر الحضارة الأندلسية بجامعة القاهرة (٢٠مارس ١٩٨٥م) - ص ٨، وراجع التفاصيل فى كتاب "تاريخ الموسيقى الأندلسية للدكتور عبد الرحمن الحجى.

٣) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٦٤.

المبحث الثالث

علم الكيمياء

كان حظ الأندلس من كتب الكيمياء المشرقية ضئيلا للغاية، فلا نكاد نعثر على اسم كتاب بغدادى/مشرقى وصل إلى الأندلس. لكن - ومن المؤكد - أن الأندلسيين استفادوا من المعلومات الخاصة بهذا العلم والتى وردت فى ثنايا كتب الصيدلة والطب الوافدة إليهم من المشرق. ولا نستبعد أن يكون كتاب أو عدة كتب فى الكيمياء اعتمد عليها الأندلسيون فى التعرف على هذا الفن، وخاصة كتب جابر بن حيان والرازى، وهما من أعلام المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى علم الكيمياء[١].

والحق أن إقبال الأندلسيين على الكيمياء كان محدودا جدا، وقليل هم الذين عنوا بطلبها، مثل أبى محمد عبد الله بن محمد الأزدى المعروف بابن الذهبى (المتوفى ببلنسية ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) كان أحد المعنيين بالطب ومطالعة كتب الفلاسفة، وكان كلفا بصناعة الكيمياء ومجتهدا فى طلبها، وله كتاب صغير (فى أن الماء لا يغذى»[٢].

وأبرز العلماء الأندلسيين الذين أسهموا بالتأليف فى هذا الميدان العلمى، وأحدثت مؤلفاتهما صدى كبيرا فى المغرب والمشرق اثنان هما:

الأول: أبو الحسن على بن موسى بن على الأنصارى السالمى الأندلسى الجيانى المعروف بابن النقرات (المتوفى ٥٩٣هـ/١١٩٧م). صنف كتابا بعنوان "شذور الذهب فى الكيمياء"[٣]. وهذا الكتاب انتقل إلى المشرق، وتناوله بالشرح العالم الكيميائى الكبير (أيد مر بن على بن أيد مر الجلدكى - المتوفى ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) وسماه "الدر المنثور فى شرح الشذور"، ويقع فى أربعة أجزاء، ويحتوى على كثير مما جاء فى كتب جابر بن حيان شيخ الكيميائيين[٤].

---

١) راجع ما ذكرناه عن جابر بن حيان والرازى فى المبحث الخاص بعلم الكيمياء من القسم الأول (ص ٤١٥)، (ص٤١٨).

٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٩٧.

٣) الحلل السندسية ٨٨/٢.

٤) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٤٩/٧ - ٢٥٠، أعلام العرب فى الكيمياء للدكتور فاضل أحمد الطائى ص ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢، بحث (من نوادر المخطوطات العلمية فى العراق) لأسامة ناصر النقشبندى - مجلة المورد/المجلد (١٠٤) العدد الرابع ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

والثانى: أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى القرطبى (المتوفى ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وهو إمام الرياضيين والفلكيين الأندلسيين فى وقته، والمؤسس الحقيقى للمدرسة الأندلسية فى الفلك والرياضيات، وقد أسلفنا القول عن جهوده فى هذا الميدان[١]. وقد اشتغل بالكيمياء وله فيها أعمال تدل على مبلغ عنايته بالأمور العلمية «ومن الآراء التى تؤثر عنه أنه يرى وجوبا على يد من يريد الاشتغال بالكيمياء أن يلم أولا بالرياضيات والعلوم، لأن الرياضيات بطبيعتها تعتمد على التفكير المنطقى والاستنتاجات الدقيقة»[٢].

وقد كتب المجريطى كتابين فى هذا الحقل صارا مرجعين لعلماء الشرق والغرب وهم: "رتبة الحكيم" و"غاية الحكيم"[٣]. والكتاب الأول يدل على أن واضعه كان كيميائيا ممتازا يعتمد على التجارب العلمية والملاحظة الدقيقة والاستنباط الصحيح. ومما ذكره فى مقدمته أن لكل غرض سببا. وأن السبب الذى دعاه لوضع هذا الكتاب اعتقاده أن معاصريه يهيمون فى الجهالة، يقرؤون ما لايفهمون، وينشدون ما لا يفقهون، وقد بلغ بهم الغرور حدا توهموا معه أنهم أدركوا نهاية العلم، وأصبحوا فى غنى عن قراءة كتب المتقدمين من الحكماء. كما أنه بين أن طالب الكيمياء يجب أن تتوفر فيه شروط معينة لا ينجح بدونها، إذ يلزمه أن يتثقف أولا فى الرياضة بقراءة كتاب أوقليدس فى "أصول الهندسة"، وفى الفلك بقراءة "المجسطى" لبطليموس، وفى العلوم الطبيعية بقراءة كتب "أرسطو" و"ديموقريطس" و"أبولونيوس"، وفى المنطق بقراءة ترجمة الكندى (الفيلسوف البغدادى - المتوفى ٢٥٢هـ/٨٦٦م) لكتاب أرسطو، ثم ينتقل إلى كتب جابر بن حيان والرازى ليتفهمها. وبعد أن يكون قد اكتسب المبادئ الأساسية للعلوم الطبيعية يجب عليه أن يدرب يديه على إجراء التجارب، وعينيه على ملاحظة المواد الكيميائية وتفاعلاتها، وعقله على التفكير فيها[٤].

وكتاب "رتبة الحكيم" لا يختلف فى نظرياته ومبادئه عن كتب جابر بن حيان والرازى، وهما من أعلام المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى علم الكيمياء. والمجريطى يقدر هذين العالمين تقديرا عظيما، ويحيط جابر بن حيان - على الأخص - بهالة من المدح والإعجاب. كما أنه

---

١) راجع عن ذلك بداية من (ص٨٩١).

٢) د. على عبد الله الدفاع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص ٨١، العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية (لنفس المؤلف)ص ٣٩٠، د. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى فى الحضارة الإسلامية ص ١٥٨.

٣) الزركلى: الأعلام ج ٧ ص ١٢١ (الطبعة الثانية).

٤) محمد محمد فياض: جابر بن حيان وخلفاؤه ص ٨١ - ٨٢ (ط دار المعارف ١٩٥٠م).

اعتمد على (رسائل إخوان الصفا) وخاصة الجزء الكيميائى منها، وهو يصرح بهذا فى (رتبة الحكيم) ويشير فيه إلى فقرات كثيرة منها[١].

وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أنه يظهر تطور الكيمياء فى المائة والخمسين سنة التى مضت بعد جابر بن حيان (المتوفى ١٩٨هـ/٨١٣م)، وعلى الأخص فى الناحية العملية وفيما جمعه الكيمياويون من معلومات، ويبرز فيه المجريطى تجربته المشهورة على الزئبق، حيث أخذ ربع رطل من الزئبق ووضعه فى زجاجة داخل إناء آخر، ووضع الكل فوق نار هادئة مدة أربعين يوما، وكان يلاحظ من وقت لآخر ما يطرأ على الزئبق من تغير، فوجده يتحول فى النهاية إلى مسحوق أحمر. وهذه التجربة أخذها "بريستلى" (Priestley) "ولا فوازييه" (Lavoisier) أساسا للبحث بعد قرون عدة من إجرائها[٢].

ومن الجدير بالذكر أن كتاب "رتبة الحكيم" لا يحتوى تاريخ الكيمياء فقط، بل يضم كثيرا من الاستنتاجات العلمية التى توصلت إليها الأمم السابقة للأمة العربية الإسلامية، فى كل من الكيمياء والفلك والرياضيات وعلم الحيل (الميكانيك) والتاريخ الطبيعى وتأثير الطبيعى وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات، وعقد فيه عدة فصول للبحث فى مملكة المواليد الثلاثة: من نبات وحيوان ومعادن. وقد قدم عمر رضا كحالة فى كتابه (العلوم البحتة فى العصور الإسلامية) موجزا عن إنجازات المجريطى فى علم الحيوان[٣].

وفى الختام يجب أن نعرف أن مؤرخى العلوم يعتبرون أبا القاسم المجريطى من ألمع علماء الأندلس فى الفلك والرياضيات والكيمياء والحيوان، ولقب بإمام الرياضيين فى الأندلس؛ لأنه أول من بدأ النهضة الرياضية والفلكية هناك، ونجح فى تطوير هذه العلوم نجاحا باهرا، وقضى حياته فى البحث والتدريس، وتخرج على يديه علماء أكفاء صار لهم شأن فى تطوير العلوم العملية والتطبيقية، وكانت مدرسته عبارة عن مركز للبحوث إذ أصبح معظم طلابه من البارزين فى تلك العلوم.

***

١) محمد محمد فياض: المرجع السابق ص ٨٣، ٨٥.

٢) راجع العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية للدفاع ص ٣٩٠ - ٣٩١، (جابر بن حيان وخلفاؤه) لمحمد محمد فياض ص ٨٣ - ٨٤، جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث ص ٧٦.

٣) د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية ص ٣٩٢ - ٣٩٣، أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص ٨٣ - ٨٥.

المبحث الرابع
علم الطب

توطئة: عرفنا فى فصل سابق أن قرطبة، لا سيما فى القرن الرابع الهجرى (وهو قرن الانفتاح على علوم المشرق) اعتمدت فى نهضتها الطبية على كتب الطب المشرقية الواردة إليها من بغداد ومصر والقيروان، كما كان لرحلة الأندلسيين إلى بغداد لدراسة الطب والصيدلة، ورحلة الأطباء والصيادلة البغداديين إلى قرطبة لنشر معارفهم الطبية الأثر الكبير فى ظهور تلك النهضة ونمو حركة التأليف الأندلسية فى هذا المجال.

ويمكن تقسيم مجموعة الأطباء البارزين فى الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى مجموعتين:

الأولى: أطباء مارسوا مهنة الطب بصورة محدودة، وكان جل اعتمادهم على الكتب المشرقية الواردة إليهم من بغداد، ولم يتركوا مؤلفات تذكر فى هذا العلم.

والمجموعة الثانية: دونوا أفكارهم وتجاربهم فى صورة مؤلفات. وهؤلاء اعتمدوا أيضا فى التصنيف على كتب المشارقة، بالإضافة إلى معارفهم الخاصة التى اكتسبوها من التجربة والممارسة. وكان لبعضهم فضل السبق - أو إسهام أوسع - فى بعض التخصصات والعناصر التى من شأنها أن تسهم فى بيان مكانة الطب الأندلسى فى سياق تاريخ العلم العربى الإسلامى، وهؤلاء هم موضع بحثنا الآن.

بداية التأليف الأندلسى فى علم الطب: (عبد الملك بن حبيب القرطبى):

بدأ التأليف فى الطب بالأندلس فى فترة مبكرة، ربما قبل أن تصل إليها كتب الطب المشرقية المتخصصة، وهذا أمر يثير الانتباه، فقد صنف الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمى الإلبيرى نزيل قرطبة (المتوفى ٢٣٨هـ/٨٥٣م) كتابا جمع فيه أخبارا عن الطب العربى القديم. ويفهم من سياق الترجمة المذكورة فى "الديباج المذهب" أن ابن حبيب له أكثر من مؤلف فى الطب[١]. وذكر له الداودى فى "طبقات المفسرين" كتابا عنوانه:"الحسبة فى الأمراض"[٢]، وضع

---

١) الديباج المذهب لابن فرحون ١٣/٢. ومن الجدير بالذكر أن عبد الملك بن حبيب صنف كتبا كثيرة، قيل إنها تجاوزت الألف، وتناولت علوما مختلفة كالفقه والحديث والتاريخ وقد سبق الحديث عنه فى مواضع كثيرة من البحث.

٢) طبقات المفسرين للداودى ٣٥٥/١.

لإرشاد مزاولى الحسبة بخصوص الأحكام الشرعية المتعلقة بمهنة الطب.

ويعتقد دكتور "فرانشيسكو فرانكو شانثيث" فى مبحثه "تطور الطب فى الأندلس" أن كتاب ابن حبيب المسمى "مختصر فى الطب" هو عبارة عن تلخيص لعمل أكبر وأشمل بعنوان "كتاب طب العرب"، ثم يضيف قائلاً «وهذا العمل هو عينة واضحة لبداية الطب فى الأندلس فى القرن التاسع (الثالث الهجرى)»[١].

وينقسم "مختصر" ابن حبيب فى الطب إلى قسمين[٢]:

القسم الأول: يعرض فيه المؤلف جملة من الأخبار الواردة فى مسائل الطب والأدوية وفيه طائفة من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وتقريراتهم مع اجتهادات أئمة الفقه. ويستخلص من هذا القسم جملة من الممارسات الطبية العربية فى الجاهلية والإسلام كالبطّ وعلاج الجراحات وبتر الأعضاء المصابة واستعمال المُرْقِد (أى البنج ونحوه) فى العمليات الجراحية الصعبة، وفيه ذكرٌ لأنواع الأدوية المستعملة وبعض طرق العلاج التى كانت متداولة عند العرب. ويكثر فى هذا القسم ورود اسم الطبيب العربى الحارث بن كَلَدة الثقفى الذى أدرك الإسلام. ومن الأبواب الفقهية الهامة فى هذا القسم الأول ما جاء فى ضمان من يتطبب بعلم أو بغير علم، وفيما يحل التداوى به من الأدوية أو يحرَّم أو يكره. فضلاً عما فيه من الطب النبوى الذى يجعل من هذا الكتاب أول كتاب صُنف فى العربية فى هذا الموضوع.

وفى القسم الثانى: يبسط المؤلف وصفاً للأدوية البسيطة ومزاياها، كما أنه يعكس قيمة كبيرة من المعلومات النباتية والطبية التى أخذها شفاهاً خلال سفره إلى المشرق بين سنوات (٢٠٧-٢١٠هـ/٨٢٢-٨٢٥م).

ونخلص من ذلك إلى أن كتاب "طب العرب" أو "مختصر فى الطب" لعبد الملك بن حبيب ذو أهمية مؤكدة فى دراسة تاريخ الطب عند العرب والكشف عن بداياته، كما تتجلى أهميته أيضاً فى كونه أول تأليف أنجزه علماء الأندلس فى هذا العلم.

---

١) دكتور فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس - المجلة العربية للثقافة التى تصدر عن المنظمة العربية للتربية والعلوم - السنة الرابعة عشر / العدد (٢٧) / ١٩٩٤م - ص ١٨٦. وقد ذكر أن كتاب "مختصر" ابن حبيب فى الطب قد طبع.

٢) رجعنا فى أخذ معلوماتنا عن محتويات كتاب "مختصر فى الطب" لابن حبيب إلى الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية" للدكتور محمد العربى الخطابى ١/٨٧-٨٨، ومقال: تطور الطب فى الأندلس لفرانشيسكو فرانكو ص ١٨٦.

يحيى بن إسحق القرطبى وكتابه "الأبريشم":

ومن أوائل الأطباء الأندلسيين الذين نهضوا بحركة التأليف فى الأندلس فى مجال الطب: يحيى بن إسحق القرطبى. كان حيا فى صدر دولة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) وأحد وزرائه، وكان ذا حظوة عنده. وقد صنف كتابا من خمسة أجزاء يسمى "الأبريشم" ذهب فيه مذهب اليونان فى العلاج[١]. وسمى بهذا الاسم لما يضمه من جوامع الكلم فى الطب[٢]. وينسب إلى هذا الطبيب عدة طرق فى علاج بعض الأورام وأوجاع الأذن وغيرها «يدل على حدس صحيح وقريحة صافية حسنة» كما يقول ابن جلجل[٣].

الطبيب سعيد بن إبراهيم بن عبد ربه (ت ٣٤٢هـ/٩٥٣م):

ومن مهرة الطب الذين أضافوا إلى التراث الطبى الأندلسى بعض المؤلفات المهمة: أبو عثمان بن سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد ربه بن حبيب بن حدير القرطبى (المتوفى ٣٤٢هـ//٩٥٣م) ابن أخى الأديب الشهير بابن عبد ربه صاحب "العقد الفريد". وقد كان شاعرا وأديبا ماهرا بالطب، وله فيه كتاب عبارة عن "تعاليق ومجربات فى الطب"، و"أرجوزة" مزدوجة دلت على تقدمه وتمكنه من هذا العلم وتحققه بآراء القدماء كما يقول الرواة. ولا بد أن يكون قد ضمن أرجوزته معارف طبية كثيرة حصلها من كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما[٤]، وستكون لنا إليه عودة فى سياق حديثنا عن إنجازات علماء الأندلس فى علم الصيدلة[٥].

ابن جلجل وجهوده فى علم الطب والتأريخ لأعلامه:

ونذكر أيضا من أطباء قرطبة الذين لم يقتصروا على الاستفادة من المؤلفات اليونانية الوافدة إلى الأندلس، بل إنهم درسوها بعين ناقدة وفسروا غوامض بعضها وأكملوا نقصها (كما فعل

---

١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ١٠١، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٨٨، صاعد الأندلس: طبقات الأمم ص ٧٨، جذوة المقتبس للحميدى ٥٩٦/٢، بغية الملتمس للضبى ص ٤٩٨.

٢) الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ١٣/١.

٣) طبقات الأطباء والحكماء ص ١٠١، عيون الأنباء ص ٤٨٨، إخبار العلماء للقفطى ص ٢٣٥ - ٢٣٦

٤) راجع ترجمته فى: طبقات ابن جلجل ص ١٠٤-١٠٥، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٨٩ - ٤٩٠، الذيل والتكملة للمراكشى السفر الأول ص ٢٥ - ٢٦، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٧٨ - ٧٩، بغية الملتمس للضبى ص ٥١٢.

٥) راجع عنه (ص٥٢٢) من المبحث التالى.

المشارقة) وكان لهم مؤلفاتهم وآراؤهم الطبية الخاصة - نقول: من هؤلاء: أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (كان حيا سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م. ومولده سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م). «عنى بالطب أتم عناية وهو ابن أربعة عشرة سنة، وأفتى فيه وهو ابن أربع وعشرين، وصنف فيه كتبا جليلة النفع»[١]. وكان له باع طويل فى علم الأدوية والنبات، ومن مؤلفاته فى الطب التى سجل فيها آراءه الخاصة: "التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين". وصنف كتابا فى "طبقات الأطباء والحكماء"، وهو من أهم مراجع تاريخ العلم، ويتضمن معلومات مهمة ونادرة عن أطباء الأندلس وحكمائها، مع تراجم عدد من الأطباء الإغريق والسريان والروم والعرب غير الأندلسيين وفرغ منه سنة ٣٧٧هـ، وتأليف هذا الكتاب يدل على أن الطب - وغيره من العلوم العملية - قد بلغ درجة كبيرة من التقدم فى الأندلس خلال القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى بحيث أصبح من الضرورى أن يؤرخ لأعلامه ومشاهيره، كما أن الكتاب "يعتبر وثيقة هامة فى تاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجمة فى القرن الرابع الهجرى الذى يعد بحق العصر الذى ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية وتمت وبلغت غايتها من الإنتاج الواسع فى شتى ميادين العلوم والآداب»[٢].

وابن جلجل - وإن كان أول أندلسى ألف فى طبقات الأطباء والحكماء - إلا أننا نجد غيره من العلماء فى المشرق قد سبقوه إلى هذا النوع من التأليف، حيث أفرد إسحق بن حنين ابن إسحق (المتوفى ٢٩٨هـ/٩١٠م) كتابا خاصا لتراجم الأطباء والحكماء من بدء ظهور الطب إلى سنة ٢٩٠هـ[٣]. وستكون لنا عودة للحديث عن جهود ابن جلجل فى علم الأدوية والنبات[٤].

ومن الكتب التى يفخر بها الأندلسيون فى مجال الطب كتاب: "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين"، ويسمى أيضا "خلق الإنسان وتدبير الأطفال" - لعريب بن سعد القرطبى كاتب الخليفتين الأندلسيين: عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، والحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٠هـ/٩٦١-٩٧٠م)، صنفه بأمر من الخليفة المستنصر[٥]. وهذا

---

١) الذيل والتكملة للمراكشى السفر الرابع ص ٦٢.

٢) فؤاد سيد: مقدمة تحقيقه لكتاب طبقات ابن جلجل صفحة (ز). وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب فى المبحث الخاص بإنجازات الأندلسيين فى علم التاريخ راجع (٨٥٦).

٣) فؤاد سيد: مقدمة تحقيق طبقات ابن جلجل صفحة (z).

٤) راجع عن ذلك (ص٩٢٩-٩٣٠) من المبحث التالى.

٥) راجع الذيل والتكملة للمراكشى السفر الخامس / القسم الثانى ص ١٤٢، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ٤/٢٨٨(ط دار المعارف) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٦٥.

الكتاب يتناول بطريقة علمية شاملة تطور الجنين وأحوال الولادة والعناية بالحبالى والمرضعات وتدبير الأطفال، والعناية بطعامهم وشرابهم وشؤون صحتهم العامة ونموهم الجسمى والعقلى حتى الصبا[١].

ومن أعلام الطب فى فترة الخلافة الأموية بالأندلس: محمد بن تمليخ التميمى أبو عبد الله القرطبى (المتوفى ٣٦١هـ/٩٧١م) صنف كتاب "الأشكال فى علامات الأمراض وأعراضها". وكان ابن تمليخ - إلى جانب مهارته فى الطب - عالما بالفقه واللغة والشعر، وخدم بالطب عبد الرحمن الناصر، وأدرك صدرا من دولة المستنصر، وولاه الإشراف على بنيان الزيادة فى المسجد الجامع بقرطبة سنة ٣٥٨هـ. وكان اسمه مرسوما فى المثقال (الدينار)؛ إذ كان له النظر على دار السكة والأمانات[٢].

الزهراوى وكتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف":

وقد ختم القرن الرابع الهجرى (فى قرطبة/الأندلس) بظهور موسوعة طبية أندلسية ضخمة هى كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبى القاسم خلف بن عباس الزهراوى - نسبة إلى مدينة الزهراء، وهى من ضواحى قرطبة - (مولده ٣٢٤ - ٩٣٦) (المتوفى٤٠٤هـ/ ١٠١٣م). ويعرف هذا الكتاب أيضا باسم "الزهراوى"[٣] وهو - بحق مفخرة للأندلسيين - ولا سيما القسم الخاص بعلم الجراحة، وقد عده ابن حزم - وكان معاصرا للزهراوى والتقى به - عده من مفاخر العلم فى الأندلس، فقال: «ولئن قلنا إنه لم يؤلف فى الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن»[٤]. وقال عنه الميدى (تلميذ ابن حزم): «كتاب كبير مشهور، كثير الفائدة محذوف الفضول»[٥].

وهذا الكتاب الذى فرغ الزهراوى من تأليفه حينما مضى على مزاولته الطب والجراحة خمسون سنة من حياته المهنية ينبئ عن معارف طبية واسعة بمقاييس العصر الذى عاش فيه مؤلفه

---

١) على عبد الله: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٣٣.

٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٩١، ابن الفرضى: تاريخ العلماء بالأندلس ٧٤/٢، ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ١٠٨-١٠٩، صاعد الأندلسى: طبقات الأمم ص ٨٠.

٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٠١.

٤) رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس (راجع نفح الطيب للمقرى ١٧٥/٣). وهذا النص نقله الحميدى - تلميذ ابن حزم - فى جذوة المقتبس ٣٢٥/١ - ٣٢٦، الضبى فى بغية الملتمس ص ٢٨٦، الصلة لابن بشكوال = نقلا عن الحميدى - ص ١٦٥ - ١٦٦.

٥) جذوة المقتبس ٣٢٥/١ - ٣٢٦، والصلة لابن بشكوال ص ١٦٥ - ١٦٦.

بالأندلس، ويكشف عن جوانب هامة من ممارسته لفن الجراحة وخبرته بالأمراض وطرقه فى العلاج ومنهجه فى التأليف الذى يعد فى عصره منهجا فريدا بما اتسم به من حسن التنظيم والتبويب والميل إلى القصد فى الكلام والوضوح فى العبارة وابتكار وسائل الإيضاح بالأشكال والصور[١]. وقد وصفه الدكتور "فرانشيسكو فرانكو" بأنه يمثل «قمة المعرفة الجراحية الإسلامية نظرا لكونه يلخص كل المعلومات حول الجراحة فى ذلك العصر»[٢].

وقد قسم الزهراوى الكتاب إلى ثلاثين مقالة[٣] تتفاوت فى الطول والقصر، فأطولها المقالة الأولى، وهى تبحث فى كليات الطب، ويليها فى الطول المقالة الثلاثون فى العمل باليد (أى الجراحة العامة وجبر العظام والكى). وفى المقالة الأولى عرض المؤلف فصولا مقتضبة تكلم فيها عن العناصر والأمزجة والأخلاط وعن الأعضاء الرئيسية والأعضاء الخادمة والبسيطة والمركبة كما تكلم عن القوى والأرواح، ثم تطرق باختصار إلى علم تشريح الأعضاء ومنافعها.

وتبحث المقالة الثانية فى أصناف الأمراض والعلل والآفات التى تعرض لبدن الإنسان من الرأس إلى القدم.

وأما الذى رفع من قدر هذا الطبيب وخلد ذكره هو ذلك القسم الأخير من كتابه (المقالة الثلاثون) وهى المقالة التى أفردها للجراحة، وتمثل القسم العملى من الكتاب، وتعتبر أول ما كتب فى علم الجراحة مقرونا برسوم إيضاحية كثيرة للأدوات والآلات الجراحية التى تصل إلى أكثر من مائتى شكل، ومعظمها من ابتكاره.

وهذه المقالة مقسمة إلى ثلاثة أبواب رئيسية؛ **الأول**: فى الكى بالنار والكى بالدواء الحاد مع صور آلات (حدائد) الكى، ووصف ما يحتاج إليه فى إجراء العمليات الجراحية. **والباب الثانى**: فى الشق والبط والفصد والجراحات. **والباب الثالث**: فى جبر كسر العظام والفك مع رسم الآلات المستعملة فيه، ووصف الأضمدة النافعة[٤].

---

١) الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ج ١ ص ١١٣، ١١٦، - ١١٧.

٢) فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس / بحث منشور بالمجلة العربية للثقافة / تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ السنة الرابعة عشرة / العدد (٢٧)/١٩٩٤م/ ص ١٩٥.

٣) لمعرفة ما تتضمنه هذه المقالات انظر: العلوم العملية فى العصور الإسلامية لعمر رضا كحالة ص ٣١ - ٣٦، الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ص ١٢٩ - ١٣١، أعلام العرب والمسلمين فى الطب لعلى عبد الله الدفاع ص ١٣٢ - ١٣٣.

٤) عمر رضا كحالة: العلوم العملية فى العصور الإسلامية ص ٣٥ - ٣٦.

لوحة من المقالة الثلاثين من كتاب (التصريف) للزهراوى

وقد انصرفت عناية عدد من الباحثين والأطباء العرب والأجانب فى العصر الحديث إلى دراسة كتاب "التصريف" للزهراوى، والكشف عما فيه من نظريات علمية رائدة - خصوصا فى قسم الجراحة - ساهمت فى تطور علم الطب بفروعه المختلفة[١].ومن أحسن ما كتب فى ذلك: البحث القيم الذى كتبه الدكتور أحمد مختار منصور، وتناول فيه المقالة الثلاثين من كتاب الزهراوى وهى المتعلقة بفن الجراحة، وقد أبرز الباحث سبق هذا الطبيب القرطبى فى ميدان الجراحة العامة وبعض الجراحات الخاصة، وعدد اكتشافاته فى هذا الميدان، وأكد على أنه وضع كثيرا من الأسس والمبادئ التى تقوم عليها الجراحة الحديثة، واخترع كثيرا من الآلات الجراحية التى لا يمكن تصور ممارسة الجراحة بدونها[٢].

وصفوة القول: كما يقول أحمد شوكت الشطى فى كتابه تاريخ الطب وآدابه وأعلامه - لم يكن الزهراوى نابغة زمانه فحسب، بل رائد فكر جديد وموجد آلات حديثة، وصاحب نظريات عظيمة فى الطب، ومبتكر عمليات لم يسبق إليها[٣]. ويقول (لوكليرك): «لقد استحق الزهراوى أن يبقى فى تاريخ الطب الرمز الأول المعبر عن الجراحة بوصفها علما متميزا وقائما على معرفة التشريح. وأما آلات الجراحة التى رسم صورها فى كتابه فهى تجديد حميد يجعل ذكراه باقية لا تفنى، وهو تجديد ما لبث أن ظهرت ثمراته فى مؤلفات من جاء بعده»[٤].

---

١) من هذه الدراسات: بحث للدكتور أحمد أمين الصيبى بعنوان: الجراح العربى الأندلسى أبو القاسم الزهراوى وكتابه فى الجراحة - مجلة الدوحة - العدد ٩٣ ذو القعدة ١٤٠٣هـ/سبتمبر ١٩٨٣م ص ١١٦ - ١١٧، محمد العربى الخطابى الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١/١١٣، فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس - المجلة العربية للثقافة / العدد (٢٧) - ص ١٩٥ - ١٩٦.

٢) مجلة معهد المخطوطات، المجلد السادس والعشرون، الجزء الثانى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م (ص ٤٧٥-٥٣٩). وللوقوف على بعض جهود الزهراوى فى علم الجراحة يمكن الرجوع إلى المراجع التالية: الطب والأطباء فى الأندلس لمحمد العربى الخطابى ج ١ ص ١١٣ - ١١٤. د: أحمد عبد الرازق: الحارة الإسلامية فى العصور الوسطى ١٥٤- ١٥٦، محمود دياب: الطب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية ص ٢٤٦ - ٢٥٢، محمد كامل حسين: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة ١٠٧ - ١٠٩ (القاهرة ١٩٣١م). الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ١١٩ - ١٣٧، ٥٥ - ٥٧، أحمد شوكت الشطى: الطب عند العرب ص ٩٩، فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس / المجلة العربية للثقافة / السنة الرابعة عشرة / العدد (٢٧) ص ١٩٧.

٣) الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ١٣٦.

٤) لوكليرك: تاريخ الطب العربى ١/٤٥٦، الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ١/ص١٢٥.

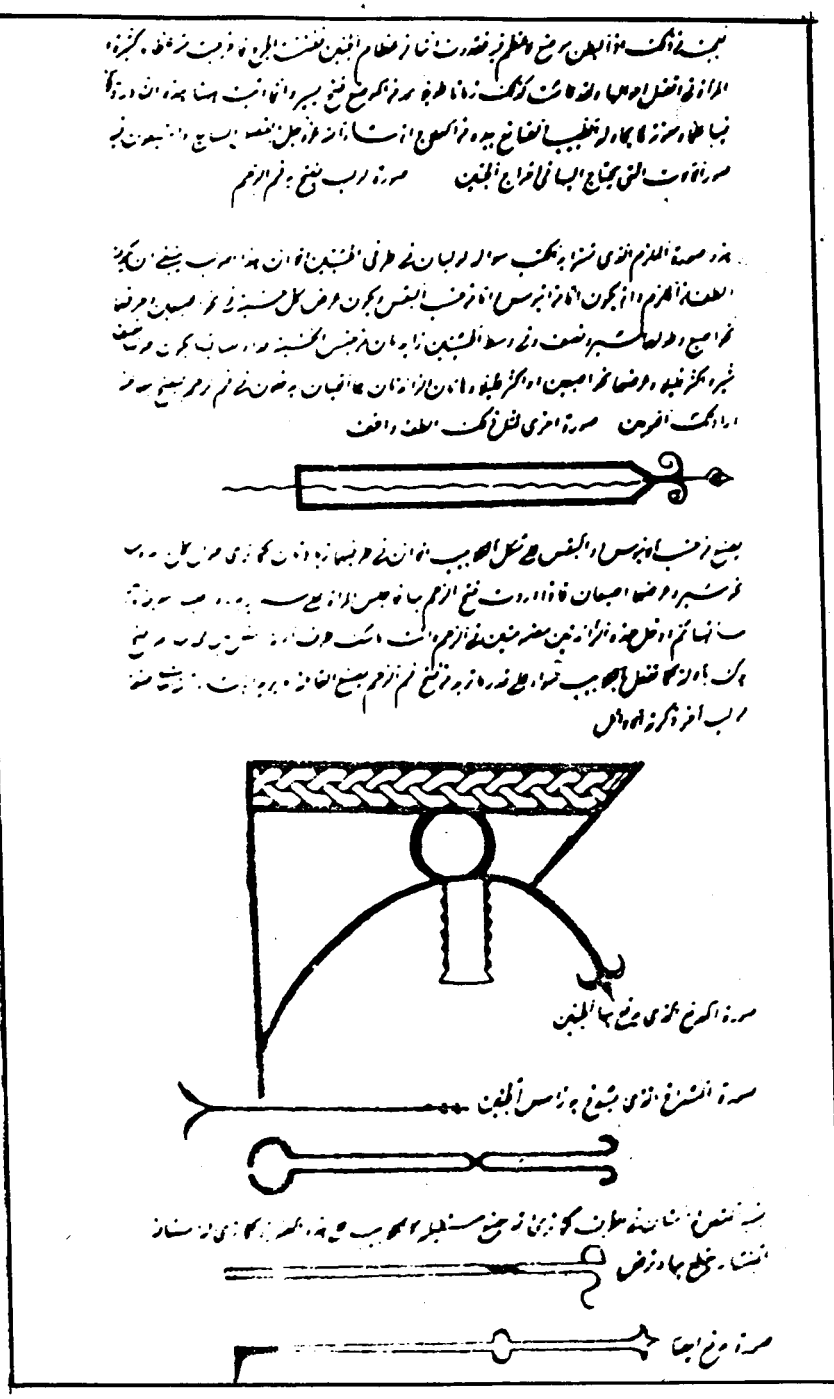

لوحة من المقالة الثلاثين من كتاب (التصريف) للزهراوى وتبدو فيها صورة لولب لفتح فم الرحم وآلة لدفع الجنين وقت الوضع

ومن الجدير بالذكر أن الزهراوى لم يقتصر على فن الجراحة فقط بل إنه ألم بمعظم فروع المعرفة الطبية، وبالأخص علم العقاقير. ويتضح ذلك جليا إذا علمنا أن عددا كبيرا من مقالات كتابه "التصريف" تدور حول الأدوية والعقاقير وأنواعها وصفاتها وطبائعها وصناعتها (تركيبها). وسيأتى الحديث عن ذلك فى سياق إسهام الأندلسيين فى علم الصيدلة والنبات[١].

أبرز الأطباء الذين كان لهم الأثر الكبير فى تقدم علم الطب بالأندلس خلال القرن الخامس الهجرى:

وقد لمعت أسماء عدد كبير من الأطباء فى القرن الخامس الهجرى بالأندلس كان لهم الأثر البالغ فى تقدم هذا العلم وتطوره بالأندلس ومختلف أقطار الإسلام. ذكر صاعد الأندلسى وابن أبى أصيبعة عددا منهم[٢]، ويأتى فى مقدمتهم اثنان متعاصران من عظماء الأطباء فى ذلك القرن:

(١) أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادى الإشبيلى (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، وهو واحد من أسرة بنى زهر التى أنجبت سلسلة كاملة من مشاهير الطب فى الأندلس على مدى قرنين ونصف من الزمان (من القرن الخامس الهجرى حتى منتصف القرن السابع) وكان ممن أسهموا فى ربط الصلات العلمية بين مشرق العالم الإسلامى ومغربه، ذلك أنه تعلم الطب فى مصر والقيروان وأقام فيهما مدة حتى برع فيه، ولا يبعد أن يكون قد زار العراق فى رحلته المشرقية ثم حمل علمه إلى الأندلس.، وقد استوطن مدينة دانية[٣] فى كنف الرئيس مجاهد (٤٠٨-٤٣٦هـ). واشتهر بها بالتقدم فى صناعة الطب وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس»، وهو - وإن لم يذكر له مؤلفات طبية - إلا أنه كان خبيرا بالطب مشهورا بالحذق فيه». كما يقول ابن أبى أصيبعة[٤].

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد اللخمى (٣٨٧-٤٦٧هـ/

---

١) راجع عن ذلك (ص٩٣٣) من المبحث التالى.

٢) راجع: طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٢ - ٨٤، جذوة المقتبس للحميدى ٤٥ - ٤٦، بغية الملتمس للضبى ص ٥٧، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٩١، الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب ٤٢٨/١، وراجع الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ٤٨/١ - ٥٥.

٣) مدينة فى ولاية بلنسية اليوم واسمها بالأسبانى Denia (الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ١٨٦).

٤) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ٥١٧، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٤ - ٨٥، التكملة لابن الأبار ص ٦٠٦ (رقم ١٧١٧)، الطب والأطباء فى الأندلس ٥٢/١، المقرى: نفح الطيب ٢٤٤/٢.

٩٩٧-١٠٧٤م). وهو أحد أشراف أهل الأندلس، عنى عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس فى الطب، قال عنه ابن أبى أصيبعة: «له فى الطب مترع لطيف ومذهب نبيل، وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة فى الإبراء من العلل الصعبة والأمراض المخفوفة بأيسر العلاج وأقربه». وألف فى الطب - إلى جانب كتبه فى الأدوية كتاب "الوساد فى الطب" وله كتاب فى طب العيون بعنوان "تدقيق النظر فى علل حاسة البصر"[١].

النهضة الطبية فى الأندلسى تبلغ مداها فى القرن السادس الهجرى:

إن النهضة العلمية الموفقة التى بدأت فى قرطبة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى ونشطت فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) بلغت مداها وأتت أكلها فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)، لا فى مجال الطب وحده، وإنما فى سائر العلوم الأخرى؛ الرياضية والطبيعية. وقد ازدان هذا القرن الأخير بعدد من كبار أطباء الأندلس تجاوزت شهرتهم العلمية آفاق العالم الإسلامى إلى أوربا، نذكر منهم:

(١) الفيلسوف أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة (المتوفى ٥٣٣ هـ/١١٣٨م)، قال عنه ابن أبى أصيبعة: «ويعد من الأفاضل فى صناعة الطب». وكانت له عناية بكتاب "الحاوى" للرازى، وعمل "مختصرا" له، وصنف كتابا فى "المزاج بين ما هو طبى"، إلى جانب كتبه فى الأدوية والعقاقير[٢].

(٢) وفى هذا القرن برز من أطباء أسرة بنى زهر أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد ابن مروان بن زهـــر القرطبى (المتوفى ٥٢٥هـ/١١٣٠م) الذى حظى فى دولة المرابطـــين (٤٨٤-٥٢٠) بمكانة كبيرة ومنزلة رفيعة، ووصل فى الطب إلى غاية بعيدة، وله علاجات ونوادر تدل على تمكنه فى هذه الصناعة واطلاعه على دقائقها. وألف فيها كتبا نادرة تعد مفخرة للأندلسيين، وتمثل إضافة جديدة إلى هذا العلم، منها: كتاب "الخواص" وكتاب "حل شكوك الرازى على كتب جالينوس"، وكتاب "النكت الطبية" وكتاب "الإيضاح بشواهد الافتضاح فى الرد على ابن رضوان (الطبيب البغدادى) فيما رده على حنين بن إسحق البغدادى فى كتابه المدخل إلى الطب". وجمعت له "مجربات فى الطب" بعد موته بسنة واحدة[٣].

ومما يذكر أن أبا العلاء حينما وقع فى يده كتاب "القانون فى الطب" لابن سينا استصغره،

---

١) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٤٩٦، طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٣ - ٨٤.

٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة، ص ٥١٥، ٥١٧، ، وراجع: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٦٥.

٣) عيون الأنباء ص ٥١٧، ٥١٩، وراجع نفح الطيب ٢/٢٤٥.

وحط من شأنه، ولم ير فيه ما يستحق الاهتمام، وألف ردا على كتاب فى الأدوية لابن سينا[١].

أبو مروان (عبد الملك بن زهر الحفيد [٤٨٦-٥٥٧هـ/١٠٩٣-١١٦٢م]) أشهر أطباء بنى زهر: وقد خلف أبو العلاء تلاميذ نجباء، أبرزهم: ابنه أبو مروان عبد الملك (٤٨٦-٥٥٧هـ/١٠٩٣-١١٦٢)، وهو الشخصية الثالثة من هذه الأسرة العريقة[٢]، «بل هو ألمع أفرادها، وواسطة العقد منها وزبدتها، وخلاصتها ومثلها حينما يذكر اسم ابن زهر»[٣].

ويعد ابن زهر (أبو مروان) أشهر أطباء الأندلس فى الطب الباطنى، وهو يقابل ابن سينا فى الطب والفلسفة، وندا ناقدا لأفكاره، ويمثل أطباء الأندلس الذين يتسمون فى حياتهم الخاصة بالتقوى واتباع السنة، وفى الطب بالتجربة، وباستعمال الأدوية المفردة، والجدية فى تسجيل الحالات المرضية، وتفسير أعراضها بأسلوب طبى، لا منطقى أو فلسفى. وقد وصفه ابن أبى أصيبعة بقوله: «لم يكن فى زمانه من يماثله فى مزاولة أعمال صناعة الطب وله حكايات كثيرة فى معرفة الأمراض ومداواتها، مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك.. . واشتغل الأطباء بمصنفاته»[٤]. وقال المراكشى فى الذيل والتكملة: «كان أبو الوليد بن رشد يقول بتفضيله فى صناعته على غيره من أهل عصره، ويرفع به ويشهد بمهارته»[٥].

وقد ألف عددا من الكتب والرسائل أودعها خلاصة تجاربه الطبية وأهمها (إذا استثنينا كتبه فى علم الصيدلة):

١ - كتاب "الاقتصاد فى صلاح النفس والأجساد" ألفه فى شبيبته عام (٥١٥هـ)، ويبسط فى أربعة أخماس هذا الكتاب العلاج الصيدلى والتجميلى[٦].

---

١) عيون الأنباء ص ٥١٧ - ٥١٨.

٢) خدم أبو مروان عبد الملك بن زهر دولة المرابطين، وحظى لديهم بمكانة مرموقة، كما خدم بعد ذلك دولة الموحدين على عهد عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م) الذى قرب إليه أهل العلم وأكرمهم، وتمتع أبو مروان عنده بمنزلة خاصة (راجع سيرته فى عيون الأنباء ص ٥٢٠، الطب والأطباء فى الأندلس لمحمد العربى الخطابى ١/٢٧٨ - ٢٨١)

٣) الطب والأطباء فى الأندلس لمحمد العربى الخطابى ١/٢٨٥.

٤) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥١٩.

٥) الذيل والتكملة السفر الخامس/ القسم الأول / ص ١٠٨ - ١٠٩.

٦) فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس / المجلة العربية للثقافة/ العدد (٢٧)/ السنة الرابعة عشرة/ ١٩٩٤م/ ص ١٨٧.

الصفحة الثانية من مخطوط "التيسير فى المداواة والتدبير" لأبى مروان عبد الملك بن زهر (المتوفى ٥٥٧هـ) — مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٤٢٦/طب)

٢ - كتاب "التيسير فى المداواة والتدبير" وهو أشهر كتبه[١]، بل ومن أشهر كتب الطب الإسلامى فى الأندلس، قال عنه المراكشى فى "الذيل والتكملة": «شهر فى الناس، وتداولوه، وانتفعوا به، واعتمدوه، وكان الوليد بن رشد يثنى على هذا الكتاب ويقول بفضله»[٢]. وقد عنى فيه بتشخيص وعلاج الأمراض، أمراض فروة الرأس فى الأطفال والبالغين، وأمراض العينين والأنف والفم، وأمراض أجزاء الدماغ والرقبة، وأمراض الرئة والقلب والكبد، وأمراض الصدر ومحتويات البطن، وأمراض الأنثيين، وأمراض الرحم، وأمراض العظام والمفاصل والحميات والأمراض الوبائية، وفى التغذية وأمراضها. وكل هذه المواضع منسقة بدقة ومعروضة بوضوح وتبسيط[٣].

ومن كتبه أيضا: مقالة فى "علل الكلى"، و"رسالة فى علتى البرص والبهق"، ورسالة "القانون" تناول فيها ما يعرض من الأمراض بكثرة كالسدد والإسهال وعلل الجهاز الهضمى والعظمى، ألفها للخليفة عبد المؤمن بن على[٤].

أبرز تلاميذ أبى مروان عبد الملك بن زاهر:

وقد ترك أبو مروان عبد الملك بن زهر تلاميذ مهرة فى علم الطب أبرزهم ابنه: أبو بكر محمد (المتوفى ٥٩٦هـ/١١٩٩م) كان يدرس الطب فى حلقة له بإشبيلية، وصنف فيه كتاب "الترياق الخمسينى"، ورسالة فى "طب العيون"[٥]. ومنهم: أبو الحكم عبيد الله بن غلندة

---

١) تم طبعه بتحقيق د. ميشيل الخورى وأشرف على نشره المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

٢) الذيل والتكملة السفر الخامس /القسم الأول/ ص ١٨ - ١٩.

٣) د. كمال السامرائى: الطب وتاريخه عند العرب - بحث منشور بمجلة المورد - المجلد الرابع عشر/العدد الرابع (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ص ٣٤.

٤) راجع مؤلفاته فى: عيون الأنباء ص ٥٢١، التكملة لابن الأبار ص ٦١٦، الذيل والتكملة للمراكشى السفر الخامس/القسم الأول/ ص ١٨-١٩، أعلام العرب والمسلمين فى الطب للدفاع ص ١٨٥، العلوم البحتة فى العصور الإسلامية لرضا كحالة ص ٥٥. وللوقوف على مآثر عبد الملك بن زهر (أبى مروان) وتجاربه ونظرياته فى علم الطب راجع: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ١/٢٨٥، أعلام العرب والمسلمين فى الطب للدفاع ص ١٧٩- ١٨٢.

٥) عيون الأنباء ص ٥٢١ وما بعدها، أضواء على النشاط العلمى فى الأندلس - بحث للدكتور محمد أحمد أبو الفضل (ندوة/الأندلس الدرس والتاريخ) كلية الآداب - جامعة الإسكندرية (ذو القعدة ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م) - دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ص ٤٢٩.

(أو غلندو)[١]، له فى الطب مؤلفات كثيرة (كان حيا سنة ٥٨٠هـ)[٢]. وأبو محمد الشذونى الإشبيلى الذى خدم بالطب الخليفة الموحدى محمد الناصر (٥٩٥-٦١١هـ»[٣].

ابن رشد الحفيد أشهر أعلام القرن السادس الهجرى فى ميدان الطب والفلسفة بالأندلس:

ويعد الفيلسوف الكبير محمد بن أحمد بن رشد (الحفيد) القرطبى مولده (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) (المتوفى ٥٩٥هـ/١١٩٨م) أشهر أعلام القرن السادس الهجرى فى ميدان الطب والحكمة بالأندلس[٤]. وهو - وإن كان على علم واسع بعلوم الشريعة والفلسفة - فإنه «كان أيضا متميزا فى علم الطب»[٥]، وبعبارة ابن الأبار القضاعى: «وكان يفزع إلى فتواه فى الطب كما يفزع إلى فتواه فى الفقه»[٦].

ويعد كتابه "الكليات" أبرز مؤلفاته فى الطب[٧]، وهذا الكتاب كما يذهب بعض الباحثين الغربيين - تتجلى فيه خصائص عصر النهضة من حيث إن مؤلفه تعمد فيه التخلى عن رسوم الماضى، وصار على نهج جديد، وبين خطأ جالينوس فى بعض نظرياته فى علم التشريح ووظائف الأعضاء، وخالفه فى كثير من آرائه»[٨].

وقد تناول ابن رشد فى ذلك الكتاب أصول علم الطب، وجعله كما قال: «كالمدخل لمن أحب أن يتقصى أجزاء الصناعة» وقسمه إلى سبعة أقسام بحسب المواضيع التى تناولها فيه المؤلف، وسمى كل قسم منها كتابا، وهى: تشريح الأعضاء - الصحة (منافع الأعضاء وهيآتها)- المرض - العلامات - الأدوية والأغذية - حفظ الصحة - شفاء الأمراض[٩].

---

١) الذيل والتكملة السفر الخامس/رقم ١ ص ١٨.

٢) عيون الأنباء ص ٥٣٤.

٣) عيون الأنباء ص ٥٣٥.

٤) راجع ترجمة مفصلة لابن رشد فى كتاب عيون الأنباء ص ٥٣٠ - ٥٣٣، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى، تحقيق أحمد سعيد العريان ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ٣٠٥-٣٠٧، تاريخ قضاة الأندلس للنباهى ص ١١١ (ط بيروت / مصورة عن الأصل المطبوع بتحقيق بروفنسال)، الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية، لمحمد العربى الخطابى ج ١ ص ٣٢١ - ٣٣٢.

٥) عيون الأنباء ص ٥٣٠.

٦) التكملة لابن الأبار ٥٥٣/٢ - ٥٥٥ (طبعة القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، الطب والأطباء فى الأندلس ٣٢١/١.

٧) ذكره ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء ص ٥٣٢ - ٥٣٣ والنباهى فى المرقبة العليا ص ١١١.

٨) الطب والأطباء فى الأندلس ٣٢٤/١.

٩) الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ٣٢٥/١، جونثالث: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٦٩. وراجع =

وتجدر الإشارة إلى أن ابن رشد أراد من تأليف كتابه "الكليات" أن يكون متمما لكتاب "التيسير فى المداواة والتدبير" الذى ألفه أبو مروان بن زهر المذكور قبله، فالأول - "الكليات" عنى بكليات الطب كالتشريح ووظائف الأعضاء والصحة، وما إلى ذلك. والثانى: "التيسير" عنى بالتشخيص وعلاج الأمراض[١].

وقد ساهم ابن رشد فى علم الطب بتأليف عدد آخر من الكتب، تكلم فيها عن عدد من النظريات التى تناولها فى "الكليات" ولكن بشئ من الاختصار أو التطويل أو زيادة بيان. ومن هذه المؤلفات[٢]:

١ - شرح "أرجوزة ابن سينا فى الطب". «أكد فيه على أهمية القلب فى جهاز الدورة الدموية».

٢ - رسالة فى نوائب الحمى (مقالة واحدة).

٣ - رسالة فى حميات العفن (مقالة واحدة).

٤ - رسالة فى المزاج المعتدل.

٥ - كلام على مسألة فى العلل والأعراض.

يضاف إلى ذلك مجموعة ملخصات لثمانية كتب طبية من تأليف جالينوس ذكرها ابن أبى أصيبعة وهى: "تلخيص كتاب الاسطقسات - "تلخيص كتاب المزاج الطبيعى " - "تلخيص كتاب القوى الطبيعية" - "تلخيص كتاب العلل والأعراض" - "تلخيص كتاب التعرف" - "تلخيص كتاب الحميات" - " تلخيص كتاب الأدوية المفردة" (لخص الخمس مقالات الأولى منه) - "تلخيص كتاب "حيلة البرء (لخص النصف الثانى منه»[٣]، ويضاف إليها تلخيص رسالة الأعضاء الآلية لجالينوس أيضا[٤].

وهكذا كان لابن رشد تأثير واضح فى تطور علم الطب من الجانب النظرى، ومهد السبيل لفهم نظريات أطباء الإغريق، بتلخيصاته النقدية لمؤلفات جالينوس، وألقى نظرة فاحصة

= (تطور الطب فى الأندلس) لفراشيسكو فرانكو/ المجلة العربية للتربية والثقافة / العدد (٢٠٧)/ السنة الرابعة عشرة/ ١٩٩٤م/ ص ١٨٧.

١) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٣٠ - ٥٣١.

٢) المصدر نفسه ص ٥٣٢ - ٥٣٣.

٣) المصدر نفسه ص ٥٣٢.

٤) الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١/٣٢٦.

على أقاويل الإغريق فى كثير من المسائل الطبية أبدى فيها رأيا مخالفا أو رسم لبعضها منهجا جديدا كما هو الشأن فى كتابه "الكليات"[١]. وقد امتاز ابن رشد عن هؤلاء «بتنوع معارفه العلمية واتساع أفقه الفكرى»[٢].

ابن قسوم وكتابه "المرشد فى الكحل":

وقبل الانتهاء من الحديث عن جهود الأندلسيين فى مجال الطب فى القرن السادس الهجرى لابد من الإشارة إلى علم آخر من أعلام الطب فى هذا القرن، وهو محمد بن قسوم بن أسلم الغافقى الذى اختص بطب العيون، وألف فيه كتاب "المرشد فى الكحل" نشره المستشرق الألمانى الدكتور ماكس مايرهوف (Niax Meyerhof) وترجم منه القسم الخاص بالرمد[٣].

فإذا انتقلنا إلى القرن السابع الهجرى وهو القرن الذى بدأ فيه الضعف يدب فى الدولة الموحدية فأخذت تتقلص بسقوط عدد من المدن والثغور الأندلسية فى أيدى النصارى[٤]، وظهرت من جهة أخرى فى حدود (سنة ٦٣٥/١٢٣٧م) أسرة أندلسية ما لبثت أن استقلت بالحكم وأنشأت مملكة غرناطة وهى أسرة بنى الأحمر النصريين، ثم ما أدى ذلك إلى زوال عدد من المعاهد العلمية التى كانت منتشرة فى المدن الضائعة، وهجرة العلماء إلى المناطق الآمنة فى المغرب أو فى ما تبقى من جهات الأندلس فى يد المسلمين - أقول: فى هذا القرن وفى هذه الظروف التاريخية ظهر فى الأندلس عدد من الأطباء واصلوا العطاء العلمى فى مجال الطب وأضافوا إلى التراث الطبى الأندلسى معارف وإنجازات مهمة ساهمت فى تقدم الحضارة الإسلامية فى هذا المجال، نذكر منهم:

(١) أبو إسحق يوسف بن محمد بن طملوس المولود فى جزيرة شقر. تعلم الطب على يد الطبيب أبى محمد عبد الله بن أبى الوليد بن رشد، ورحل إلى مراكش فالتحق بخدمة الخليفة الموحدى محمد الناصر، ثم عاد إلى الأندلس (وتوفى عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م). وكتب "تعليقا

---

١) راجع الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ٣٢٩/١.
٢) الطب والأطباء فى الأندلس ٢٥/١.
٣) الطب والأطباء فى الأندلس ٢٥/١.
٤) منها ميورقة (عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، قرطبة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) وبلنسية (عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م) وجزيرة شقر (عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م) ثم إشبيلية (عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

على أرجوزة" ابن سينا فى الطب[١].

(٢) محمد بن خلف الأنصارى الأوسى وكان حياً (سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م). برز فى طب العيون وألف فيه كتابا[٢].

وحينما حل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) نشطت حركة التعليم فى غرناطة حاضرة المملكة، وفى مدن أخرى مثل مالقة والمرية ووادى آش. وكان الطب والرياضيات والفلك من العلوم الأساسية التى تدرس بالجامع الأعظم فى غرناطة وفى مدارس المدن الأخرى.

وكان عبد الله بن محمد اللخمى الشقورى ممن اشتهروا بالطب فى ذلك القرن. ولد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، ومارس الطب فى غرناطة على عهد كل من يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥ هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) ومحمد الخامس الغنى بالله (٧٥٥-٧٦٠هـ/١٣٥٤-١٣٥٩م)، وهاجر إلى المغرب، فأقام فى تلمسان (عام ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، وكتب عدة رسائل فى الطب، منها "رسالة" فى الطب الشعبى[٣]، وفى هذه الرسالة - أو فى رسالة أخرى له بعنوان "تحقيق النبأ من أمر الوبا" - تكلم عن الوباء الكبير الذى عصف بالأندلس ودخل من المرية (عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وأوضح أن تلوث الهواء بوباء الطاعون هو الذى يحمل هذا المرض من مكان إلى مكان، وأن تنقية البيوت ببخور الصندل أو البلسم وكشفه لأشعة الشمس وحركة الهواء يفيد للوقاية من هذا الوباء[٤].

تصنيف الكتب فى وصف مرض الطاعون وعلاجه:

وعن ذلك الطاعون الأسود الذى اجتاح الأندلس كتب اثنان آخران من علماء الطب

---

١) عيون الأنباء ص ٥٣٧، أضواء على النشاط العلمى فى الأندلس (بحث منشور بندوة/الأندلس: الدرس والتاريخ - ص ٤٣٠) والطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١/٢٨.

٢) ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ٣/١٧٩ - ١٨٠ (ط القاهرة بتحقيق محمد عبد الله عنان).

٣) أضواء على النشاط العلمى فى الأندلس - بحث للدكتور محمد أحمد أبو الفضل - منشور بندوة (الأندلس والتاريخ) [ط دار المعرفة بالعبادى بالإسكندرية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م - ص ٤٣١. وراجع د. أحمد مختار العبادى: لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية - مجلة عالم الفكر، المجلد السادس عشر - العدد (الثانى)ص ٢٥٤].

٤) د. كمال السامرائى: الطب وتاريخه عند العرب - بحث منشور بمجلة المورد - المجلد الرابع عشر/العدد الرابع ص ٣٩. د. فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس. بحث بالمجلة العربية للتربية والثقافة، السنة الرابعة عشرة، العدد (٢٧) - ص ١٨٩. وراجع:

Rachel Arie, L'Espagne Musulmane aux temps des Nasrides، Paris 1973، p.421.

بالأندلس:

أحدهما: أبو جعفر أحمد بن على بن خاتمة الأنصارى. كتب رسالة بعنوان: "تحصيل غر القاصد فى تفصيل المرض الوافد".

والثانى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بلسان الدين بن الخطيب، القرطبى الأصل، الغرناطى (المتوفى ٧٧٦هـ)، له رسالة بعنوان "مقنعة السائل فى المرض الوافد".

وكلتا الرسالتين قدمتا وصفا رائعا لتحرك وباء الطاعون، ولنوعية الرئوى والدملى، وعلامات وأعراض كل منهما، وسبيل التوقى منهما[١].

ومن كبار الأطباء الأندلسيين الذين أضافوا إضافة هامة إلى الطب الإسلامى. الطبيب والجراح محمد بن على بن فرج القربليانى الشهير بالشفرة المتوفى ٧٦١هـ/١٣٢٢م[٢]، وهو صاحب كتاب "الاستقصاء والإبرام فى علاج الجراحة والأورام" فى ثلاثة أجزاء وهو كتاب فى الجراحة، تأثر فيه بكتاب "التصريف" للزهراوى (المتوفى ٤٠٤هـ/١٠١٣م) وقد أثنى (د. فرانشيسكو فرانكو) على هذا الكتاب بقوله: «وهو مؤلف هام ذو طابع جراحى، وفيه مجموعة من الأدوية والعلاجات الصيدلية فى الجزء الثالث والأخير منه. وهو فى حد ذاته دراسة ذات أهمة فريدة بالرغم من طابعها المتأخر»[٣].

تعقيب ومقارنة:

١ - هذه بعض الجوانب التى تبرز قدرا من إسهامات علماء (قرطبة/الأندلس) فى علم الطب والتى تبين مكانة الطب الأندلسى فى مسار تاريخ العلم العربى الإسلامى والعالمى. ولم يكن هدفنا هو التعريف بجملة الأطباء الأندلسيين الذين وصلتنا أخبارهم من طريق مؤرخى العلوم ومؤلفى كتب التراجم والطبقات بقدر ما كان الغرض هو التركيز على الإنتاج (أو التراث) الأندلسى الذى أسهم به هؤلاء الأطباء فى تقدم المعارف الطبية.

٢ - وإذا كان الطب فى الأندلس قد تأثر فى بدايته بالتراث العلمى الإغريقى والهندى من خلال الترجمات التى أنجزت فى بغداد ووفدت إلى قرطبة، ومن خلال الابتكارات التى طورت

---

١) نفس المراجع المذكورة فى الحاشية السابقة، د. محمد أحمد أبو الفضل: أضواء على النشاط العلمى فى الأندلس (البحث المذكور) — ص٤٣١.

٢) له ترجمة فى الإحاطة ٣/١٧٩- ١٨٠ (ط القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) بتحقيق محمد عبد الله عنان.

٣) تطور الطب فى الأندلس (بحث للدكتور فرانشيسكو فرانكو منشور بالمجلة العربية للتربية والثقافة/السنة الرابعة عشرة/العدد (٢٧) - ص ١٨٩).

تراث الأوائل وأخضعته لمنهج علمى جديد يقوم على الاستقراء والتجربة والملاحظة (على غرار ما فعله أبو بكر الرازى وابن المجوسى وابن سينا وغيرهم) فإنه - أى الطب الأندلسى - ما لبث أن انفرد بميزات طبعت جهود الأطباء الأندلسيين العلمية وممارستهم المهنية بطابع خاص دون أن تتفكك صلاتهم العلمية بالإنتاج المشرقى. ويأتى كل من الزهراوى (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) وابن رشد (الحفيد) (٥٩٥هـ/١١٩٨م) وأبى مروان عبد الملك بن زهر (ت ٥٥٧ هـ/١١٦٢م) والشقورى (٧٤١هـ/١٣٤٠م) ومحمد بن الفرج القربليانى (ت ٧٦١هـ/ ١٣٢٢م) ولسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) على قائمة الأطباء الأندلسيين الذين كان لهم الفضل فى إعطاء الطب الأندلسى بعض المميزات الخاصة.

ومن ناحية أخرى لم يقف كبار الأطباء الأندلسيين أمام التراث الطبى الوافد عليهم من (بغداد/المشرق) موقف المتلقى دون مناقشة أو تمحيص، وإنما أعملوا عقولهم وتعقبوا بالنقد كثيرا من آراء الأطباء المشارقة القدامى (مثل جالينوس الذى خالفه ابن رشد - مثلا - فى كثير من الأمور المتصلة بجهاز الدورة الدموية والجهاز التنفسى»[١]، وكذلك الإسلاميين كالرازى وابن سينا. وقد وصل الأمر ببعض الأطباء الأندلسيين فى التمكن من العلوم الطبية أن استهان بكتاب "القانون" لابن سينا[٢]، على الرغم من المكانة العلمية السامية التى حظى بها مثل هذا الكتاب فى العالم الإسلامى آنذاك. وإن دلنا ذلك على شئ فإنما يدل - من أحد الوجوه - على ما أكدنا عليه سابقا من الجنوح نحو تحقيق "الخصوصية" العلمية الأندلسية المتميزة.

٣ - وإذا تتبعنا التراث الأندلسى فى علم الطب نجد أن الأندلسيين لم يتركوا فرعامن فروع هذا العلم إلا وقد كتبوا فيه على حدة، تماما كما فعل أطباء (بغداد/المشرق). فصنفوا كتبا فى الجراحة وجبر العظام، وطب العيون وطب النساء والولادة وغيرها. ومنهم من كتب فى ذلك كله موسوعات شاملة كالزهراوى فى "التصريف" وأبى مروان بن زهر فى "التيسير" وابن رشد فى "الكليات"، تماما كما فعل الرازى فى "الحاوى" "والمنصورى" "والجامع"، وابن سينا فى كتابه "القانون" وابن المجوسى فى "كامل الصناعة الطبية" وابن ربن فى "فردوس الحكمة".

٤ - وعلى الرغم من أن علماء (بغداد/المشرق) تقدموا فى علم الجراحة تقدما كبيرا فإن الأندلسيين سبقواغيرهم إلى العناية بهذا الفرع من حيث أنهم جعلوا منه علما قائما بذاته. وربما

---

١) راجع بحثا بعنوان: ابن رشد وآراؤه فى جهاز الدورة الدموية/مجلة الأكاديمية المغربية، العدد الثالث ص ١٥٤.

٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥١٧-٥١٨ (ترجمة أبى مروان عبد الملك بن زهر).

يكون الزهراوى (المتوفى ٤٠٤هـ/١٠١٣م) هو أول طبيب خص الجراحة والجبر بمقالة مفصلة تؤلف جزءا كاملا من موسوعته الطبية الكبرى "التصريف" كما أنه يعد أول من عنى برسم وتصوير آلات الجراحة والكى والتوليد، وكان سباقا إلى العديد من النظريات والابتكارات العملية فى هذا الفن كما ذكرنا من قبل[١]. وقد اشتغل بالجراحة قبل الزهراوى وبعده أطباء أندلسيون آخرون، إلا أنهم - وفى حدود ما وصلنا من معلومات - لم يؤلفوا فى هذه الصناعة كتابا خاصا باستثناء محمد بن فرج القربليانى (المتوفى ٧٦١هـ/١٣٢٢م) الذى خلف كتابا عظيم الأهمية فى الجراحة الصغرى وجبر العظام تحت عنوان "الاستقصاء والإبرام فى علاج الجراحة والأورام"، وقد أشرنا إليه قبل قليل[٢].

٥ - وقد انفرد الأندلسيون بتأليف كتب فى الوباء (الطاعون) وأسبابه وأصنافه وعدواه، كابن خاتمة الأنصارى ولسان الدين بن الخطيب ومحمد الشقورى[٣]. كما عنى علماء الأندلس عناية خاصة بالوقاية وحفظ الصحة، وصنفوافى ذلك كتباكاملة، وأعطوا للتجارب أهمية كبيرة بالاعتماد على المشاهدات والملاحظات، مع العناية بالجانب النظرى العام، وأكدوا على أنه لابد لمن مارس الطب من الإلمام بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، وهذا هو المنهج الذى اتبعه كثيرون من أطباء الأندلس، كابن رشد فى كتابه "الكليات"[٤].

٦ - وإذا كانت (بغداد/المشرق) تميزت فى مجال الطب - وغيره من العلوم - بظهور أسر علمية كأسرة بختيشوع التى تعاقب منها على مدى ثلاثة قرون متصلة ستةأو سبعة أجيال من الأطباء، وكان آخرهم أبا سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م»[٥] - فقد برز فى الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجرى أسرة من كبار الأطباء الأندلسيين هى أسرة بنى زهر، التى أنجبت سلسلة كاملة من مشاهير الطب، كان آخرهم شهرة (وهو رابعهم) أبو بكر محمد بن أبى مروان بن أبى العلاء بن زهر (المتوفى ٥٩٦هـ/١١٩٩م)،

---

١) راجع عن ذلك (ص٩١٤)، وراجع الطب والأطباء فى الأندلس ١/٣٤ - ٣٥.

٢) راجع عن ذلك (ص٩٢٦).

٣) سبق ذكر مؤلفاتهم عن الوباء والطاعون (ص٩٢٥)وقد قام الدكتور محمد العربى الخطابى فى كتابه "تاريخ الطب والأطباء فى الأندلس". بدراسة الجزء الأكبر من كتاب ابن خاتمة وخرج منها بنتائج دالة على عظمة هؤلاء الأطباء وسبقهم العلمى.

٤) راجع بحثا بعنوان: ابن رشد وآراؤه فى جهاز الدورة الدموية - لمحمد العربى الخطابى - مجلة الأكاديمية المغربية العدد الثالث ص ١٥٠، ١٥٢ وما بعدها.

٥) راجع الفصل الخاص بعلم الطب فى المشرق (ص٣٧٨) من القسم الأول.

وهو صاحب "رسالة" ألفها فى طب العيون[١].

٧ - وإذا كنا - فى سياق عرضنا لعلم الطب فى مدرسة (بغداد/المشرق) - لم نعثر على أسماء طبيبات مَارَسْنَ هذه المهنة (وليس ذلك دليلاً على عدم وجودهن) فإن الأندلس عرفت عدداً من النساء تخصصن فى الطب عامة، وفى طب النساء خاصة، ومن هؤلاء أخت الحفيد أبى بكر بن زهر (المتوفى ٥٩٦هـ) وابنة أخته، كانتا -كما يقول ابن أبى أصيبعة «عاملتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور الموحدى»[٢]. وفى ذلك دلالة على مدى ما وصل إليه الطب فى الأندلس من رقى وتقدم ومواكبة لحركة المجتمع الإسلامى هناك. ولم تكن ظاهرة بروز النساء الأندلسيات فى مجال العلم مقصورة على الطب فحسب، وإنما برز عدد كبير منهن فى الأدب والشعر بوجه خاص.

* * * *

المبحث الخامس
علوم الصيدلة والنبات والزراعة
أولاً: الصيدلة والنبات

مدخل: ومن أعظم ما قدمته الأندلس للحضارة الإسلامية والعالمية تلك المؤلفات التى تركها الأندلسيون فى علم الصيدلة والنبات والزراعة، وهى مؤلفات تنطق ببراعتهم وحذقهم فى هذا المجال، ولا تقلُّ فى أهميتها عن مؤلفات المشارقة بل ربما تفوقت عليها أحياناً، وخصوصاً فى دراسة النبات وفنون الفلاحة.

وهذه النهضة الواسعة التى شهدتها (قرطبة/الأندلس) فى علم الأدوية والنباتات وإن كانت ترجع فى جانب كبير منها إلى الاعتماد على إنتاج المدرسة (البغدادية/المشرقية) وعلى رحلة بعض الأندلسيين إلى المشرق لتعلُّم مهنة الصيدلة والطب وتحصيل مراجعها - كما ذكرنا من قبل - فإنها ترتكز أيضاً على نبوغ أهل الأندلس وانفراد علمائها بميزاتٍ

١) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٣٠.
٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٢٤.

طبعت جهودهم وممارستهم المهنية بطابع خاص، فضلا عن تنوع طبيعة البلاد التى عاشوا فيها وثراء بيئتها، الأمر الذى حدا بهم إلى التوسع فى مجال البحث فى الأدوية، ولا سيما النباتية منها. ولا عجب إذا قلنا: «إن معظم علماء النبات والزراعة المسلمين قد نبغوا فى الأندلس، وإن الزراعة (الفلاحة) لم تصل فى أى بلد آخر فى العالم الإسلامى - بل فى سائر العالم المعروف يومئذ - إلى ما وصلت إليه فى الأندلس من التقدم والازدهار»[١].

أبرز علماء الصيدلة والنبات فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى:

(١) ابن جلجل أعظم صيدلانى ونباتى فى الأندلس فى القرن الرابع

*عناية الأندلسيين بكتاب الحشائش لديسقوريس وترجمته مرة أخرى بالأندلس:

وقد تجلت إسهامات الأندلسيين وعنايتهم بالأدوية والنباتات حينما أكبت طائفة من علمائهم على ترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدس فى أيام عبد الرحمن الناصر كما تقدم القول[٢]. ومن أشهر الذين عنوا بهذا الكتاب الطبيب القرطبى صاحب الخبرة الواسعة بالأدوية: أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل مؤلف كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" ألفه سنة ٣٣٧هـ/٩٨٧م، وهو أعظم نباتى ظهر فى عصر الخلافة فى الأندلس. كان طبيبا للخليفة هشام المؤيد (المتوفى ٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)، وعاصر التجربة التى قام بها فريق من الأطباء القرطبيين بشأن إعادة ترجمة كتاب "ديسقوريدس"، بالاشتراك مع "نقولا الراهب" الذى أرسله الملك إرمانيوس من القسطنطينية إلى قرطبة للقيام بهذا العمل العلمى الفذ؛ ويقول ابن جلجل: «وكان هؤلاء النفر - أى الذين قاموا بالترجمة فى قرطبة - كلهم فى زمان واحد مع نقولا الراهب، أدركته وأدركت نقولا الراهب فى أيام المستنصر، وصحبتهم فى أيام الحكم المستنصر»[٣].

وقد ظهرت عناية ابن جلجل بهذا الكتاب واهتمامه به فى أنه قام بتفسير أسماء الأدوية المفـــردة فيه، وأودع ذلك فى كتاب له سماه "كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب

---

١) محمد عبد الله عنان: أندلسيات - سلسلة كتاب العربى (الكويت) - الكتاب العشرون ١٩٨٨م ص ١٨٧ - ١٨٨.

٢) راجع تفاصيل ذلك (ص٦٤٥-٦٤٦).

٣) ذكر فؤاد سيد فى مقدمة تحقيقه لكتاب "طبقات الأطباء والحكماء ص ١٢" أن هذا الكتاب الذى ألفه ابن جلجل ضاع و لم يصل إلينا منه إلا قطعة صغيرة محفوظة فى مكتبة مدريد برقم ٢٣٣.

ديسقوريدس"، ألفه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م بمدينة قرطبة فى دولة هشام بن الحكم (٣٦٦-٣٩٩هـ/٧٩٦-١٠٠٩م)، كما أنه صنف كتابا آخر فى "ذكر الأدوية التى لم يذكرها ديسقوريدس فى كتابه مما يستعمل فى صناعة الطب وينتفع به وما لا ينتفع لكيلا يغفل ذكره". وقال معلقا على هذا الكتاب: «إن ديسقوريدس أغفل ذلك و لم يذكره؛ إما لأنه لم يره و لم يشاهده عيانا، وإما لأن ذلك غير مستعمل فى دهره وأبناء جنسه»[١].

وهذه العبارة الأخيرة تشير إلى حرص ابن جلجل - وكذلك أطباء الأندلس ونباتييها عامة - على البحث عن الجديد وعدم الجمود أو الوقوف عند تراث القدامى، أو ما يفد إليهم من مؤلفات المشارقة. يؤيد ذلك أيضا مقولة له فريدة تؤكد على المحاولة الدائمة للاستفادة من مقومات البيئة فى تطوير علم الأدوية والعلاجات، يقول: «وكان لى فى معرفة تصحيح هيولى الطب (الذى هو أصل الأدوية المركبة) حرص شديد وبحث عظيم، حتى وهبنى الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتى فى إحياء ما خفت يدرس وتذهب منفعته لأبدان الناس، فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما أنبتته الأرض واستقر عليها من الحيوان المشاء، والسابح فى الماء والمنساب، وما يكون تحت الأرض فى جوفها من المعدنية، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق».

وينسب لابن جلجل كتاب آخر فى "الأدوية المخزونة" اقتبس منه أبو القاسم الزهراوى القرطبى (ت ٤٠٣هـ) فى كتابه "التصريف"[٢]. وله أيضا مقالة فى "أدوية الترياق" يصف فيها الترياق الفاروق وغيرها من المعاجين لإبطال فعل السموم ومقاومة الأدوية القتالة[٣].

وقد ظلت عناية الأندلسيين بكتاب ديسقوريدس مستمرة حتى القرن السابع الهجرى على الأقل، ومن أهم الدراسات الجادة التى أسهموا بها لخدمة هذا الكتاب:

١ - "تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس"، لأبى العباس أحمد بن محمد ابن مفرج المعروف بابن الرومية (المتوفى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)»[٤]. وقد كانت له رحلة إلى

---

١) عيون الأنباء ٤٩٥.

٢) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٤٠.

٣) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٣٤-٣٥.

٤) عيون الأنباء ٥٣٨، نفح الطيب ٢/٥٩٦-٥٩٨.

العراق ودمشق ومصر كما سبق القول[١].

٢ - "شرح كتاب ديسقوريدس"، لأبى الحسن على بن عبد الله الإشبيلى المعروف بغلام الحرة (من علماء القرن السادس الهجرى) وقد ضبط فيه كثيرا من أسماء الأدوية، وكانت له معرفة واسعة بأعيان الكثير من النبات، حصلها من خلال زيارته لعدد من البلدان شرقا وغربا[٢].

٣ - "تفسير أدوية كتاب ديسقوريدس" - لأبى محمد عبد الله بن أحمد المالقى المعروف بابن البيطار (المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٨م). وهذا العالم من أعظم علماء المسلمين فى علم الصيدلة والنبات، وستكون لنا عودة للحديث عن جهوده فى هذا المجال[٣].

(٢) ابن عبد ربه الطبيب (المتوفى ٣٤٢هـ/٩٥٣م):

ونعود مرة أخرى إلى عصر الخلافة الأموية فى (قرطبة/الأندلس) لنلتقى مع عالم آخر ممن نهضوا بحركة التأليف فى علم الأدوية والنبات، وهو الطبيب: أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد ربه القرطبى (المتوفى ٣٤٢هـ/٩٥٣م) ابن أخى الأديب الشهير بابن عبد ربه صاحب "العقد الفريد" (المتوفى ٣٣٧هـ). وقد ذكرنا جهوده فى علم الطب. وأنما إسهاماته فى مجال الصيدلة فقد كان له مذهب جميل فى المعالجة من مبتكراته لا سيما الحميات، وفى ذلك يقول ابن فرحون: «كان مذهبه فى مداواة الحميات بالبوارد أن يخلط معها شيئا من الأشياء الحارة لتغوصها فى الأعضاء الباطنة وتبعه على ذلك حذاق الأطباء»[٤]. ويذكر له ابن أبى أصيبعة علاجه لأحد المرضى من الحمى بأن أعطاه ثمانى عشرة حبة من حبوب مدورة وأوصاه أن يتناول منها كل يوم حبة، فبرء برءا تاما[٥].

ومن كتبه التى تركها فى الصيدلة كتاب "الأقراباذين"، وهذا الكتاب الذى سماه

---

١) راجع (ص ٦٥٠).
٢) ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة - السفر الخامس - القسم الأول ص ٢٣٩.
٣) راجع (ص ٩٣٩).
٤) الديباج المذهب لابن فرحون ٢٩٢/١.
٥) عيون الأنباء ص ٤٩٠.

أيضا باسم "الدكان" أول كتاب ألف من نوعه فى الأندلس، وقد سبقه (فى بغداد) كتاب الأقراباذين الكبير لسابور بن سهل (البغدادى - المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م»[١].. وكما كان لكتاب سابور تأثير كبير فى تطوير الصيدلة وعلم العقاقير فى ظل الخلافة العباسية كذلك كان لكتاب الأقراباذين لسعيد بن عبد ربه مثل هذا النصيب من الشهرة فى المغرب والأندلس، وهو يبحث فى عمل الأدوية والتراكيب والتحاضير الصيدلانية وأصولها وأشكالها وطرق استعمالها وغير ذلك ويقع فى سبعة عشر بابا[٢].

(٣) **ومن الأطباء المهرة الذين برزوا فى مجال تحضير الأدوية والعقاقير فى عصر الخلافة الأموية بقرطبة: عريب بن سعيد القرطبى**[٣]. ترك إلى جانب كتبه فى الطب والتاريخ - كتابا فى الصيدلة بعنوان "عيون الأدوية"[٤]. **وعبد الرحمن بن إسحق بن الهيثم الطبيب** صاحب كتاب "الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء" وكتاب "الاقتصار والإيجاد فى خطأ ابن الجزار (القيروانى) فى كتاب الاعتماد فى الأدوية المفردة"[٥]، وكتاب آخر فى "الخواص والسموم والعقاقير" قال عنه ابن حزم: «إنه من أجل الكتب وأنفعها»[٦]. وكان ابن هيثم أحد أعضاء الفريق الذين شاركوا فى ترجمة نسخة من كتاب ديسقوريدس بعث بها أرمانيوس ملك القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر كما قدمنا[٧].

وحظى هذا العلم أيضا بقدر من الاهتمام على يد عالم آخر «متميز فى قوى الأدوية المفردة وأفعالها ومتقن لما يجب من معرفتها» وهو **أبو بكر حامد بن سمجون** ألف كتابين بعنوان "الأقراباذين" و"الأدوية المفردة". والكتاب الأخير يقول عنه ابن أبى أصيبعة: «كتاب مشهور بالجودة، وقد بالغ فيه وأجهد نفسه فى تأليفه، واستوفى فيه كثيرا من آراء المتقدمين فى الأدوية المفردة»، وألفه فى أيام المنصور محمد بن أبى عامر (المتوفى ٣٩٢هـ/١٠٠١م»[٨].

---

١) راجع عنه ما كتبناه فى علم الصيدلة من القسم الأول (ص ٤٠٩).

٢) عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٢٩. وقد عرض محتويات الأبواب السبعة عشر فى الصفحات ٢٩ - ٣٢.

٣) راجع ما كتبناه عنه (ص ٨٣٦) فى المبحث الخاص بجهود الأندلسيين فى علم التاريخ.

٤) الذيل والتكملة السفر الخامس - القسم الأول ص ١٤٢.

٥) عيون الأنباء ص ٤٩٣، وراجع(ص ٦٤٨) من الباب السابق.

٦) جذوة المقتبس للحميدى ٦٤٤/٢، نفح الطيب للمقرى ١٧٥/٣.

٧) راجع عن ذلك (ص ٦٤٧).

٨) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٠٠.

(٤) الزهراوى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م):

ومن أعظم من أسهم فى تطور علم الأدوية والعقاقير فى الأندلس هو الطبيب أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م). وقد عرفنا فى موضع سابق أنه كان طبيبا حاذقا وجراحا ماهرا، وهو أيضا صيدلانى مدقق حسن المشاهدة والتجربة، ويبدو ذلك فى كتابه المشهور (التصريف لمن عجز عن التأليف). وهذا الكتاب - كما ذكرنا من قبل - يشتمل على ثلاثين مقالة جامعة للعلوم الطبية المعروفة آنذاك. وتدور كلها - باستثناء ثلاثة منها - حول الأدوية وأنواعها ومركباتها وخواصها وأفعالها ومقاديرها واستعمالاتها، وطرق تحضيرها وتخزينها[١]. وتعتبر المقالتان الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون من أهم ما كتبه الزهراوى فى هذا العلم[٢].

---

١) المقالات الثلاثون - باستثناء (الأولى) و(الثانية) و(الثلاثون) - هى (الثالثة) فى صفات المعاجن القديمة التى تخزن وتدخر. و(الرابعة) فى صناعة الترياق والأدوية المفردة النافعة من جميع السموم. و(الخامسة) فى صفات الإبارجات القديمة والحديثة وادخارها. و(السادسة) فى صفات الأدوية المسهلة. و(السابعة) فى الأدوية المقيئة وفى الحقن والفرزجات. و(الثامنة) فى الأدوية المسهلة اللذيذة المأمونة. و(التاسعة) فى أدوية القلب و(العاشرة) فى المسهلات. و(الحادية عشرة) فى الجوارشات والكمونيات. و(الثانية عشرة) فى أدوية الباءة والأدوية المسمنة والمدرة للبول. و(الثالثة عشرة) فى الأشربة والسكنجبينات والربوب. و(الرابعة عشرة) فى البخاتج والمطبوخات والمنقوعات المسهلة وغير المسهلة. و(الخامسة عشرة) فى المربيات ومنافعها وحكمة ترتيبها وادخارها. و(السادسة عشرة) فى السفوفات. و(السابعة عشرة) فى الأقراص .و(الثامنة عشرة) فى السعوطات والبخورات والقطورات والذرورات والغراغر. و(التاسعة عشرة) فى الطيب والزينة وصناعة الغوالى. و(العشرون) فى الأكحال والشيافات واللطوخات. و(الحادية والعشرون) فى السنونات وأدوية الفم والحلق. و(الثانية والعشرون) فى أدوية الصدر. و(الثالثة والعشرون) فى الضمادات وأصنافها. و(الرابعة والعشرون) فى صناعة المراهم. و(الخامسة والعشرون) فى الأدهان وصناعتها. و(السادسة والعشرون) فى أطعمة المرضى والأصحاء. و(السابعة والعشرون) فى طبائع الأدوية والأغذية وإصلاحها وذكر قواها وخواصها. و(الثامنة والعشرون) فى إصلاح الأدوية وحرق الأحجار المعدنية. و(التاسعة والعشرون) فى تسمية العقاقير باختلاف اللغات وذكر بدلها وأعمارها (أى مدة صلاحها للاستعمال) مع تفسير الأسماء الواقعة فى كتب الطب وذكر الأكيال والأوزان [راجع: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية - لمحمد العربى الخطابى ج١ص ١٢٩-١٣٠، على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٣٨-٤٤].

٢) للمقالة التاسعة والعشرين أهمية خاصة من حيث إن المؤلف اهتم فى آخرها بتفسير العديد من المصطلحات الطبية الشائعة فى عصره، ورتبها على حروف المعجم، وأعقبها بذكر الأكيال والأوزان المستعملة فى الصيدلة، وكثير منها معرب (محمد العربى الخطابى: المرجع السابق ١/١٣١، وراجع محتويات المقالتين [٢٨، ٢٩] فى كتاب على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٤٣ - ٤٤، عمر رضا كحالة: العلوم العملية فى العصور الإسلامية ص ٣٥.

ولعل عدم تقدير الزهراوى كعالم فى الصيدلة يرجع إلى أن المؤلفين العرب وغيرهم لم يهتموا إلا بالجزء الخاص بالجراحة والطب من كتاب التصريف.

أهم ما قدمه الأندلسيون فى علم الصيدلة والنبات خلال القرن الخامس الهجرى:

- **ابن وافد (المولود ٣٨٧هـ - والمتوفى ٤٦٧هـ):**

وفى عصر ملوك الطوائف برز بعض علماء الصيدلة ممن ذاعت شهرتهم فى الغرب الأوربى، نذكر منهم الوزير أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمى (المولود ٣٨٧هـ، (والمتوفى سنة ٤٦٧هـ) اشتهر - إلى جانب علمه بالطب[١] - بمعرفة العقاقير، وفى ذلك يقول معاصره وزميله صاعد الأندلسى: «تمهر بعلم الأدوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد فى عصره، وألف فيها كتابا جليلا لا نظير له، جمع فيه ما تضمنه كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس فى الأدوية المفردة، ورتبه أحسن ترتيب، وهو مشتمل على قريب من خمسمائة ورقة، وأخبرنى أنه عانى جمعه، وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها، وما أودعه إياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحو امن عشرين سنة حتى كمل موافقا لغرضه، وتم مطابقا لبغيته»[٢].

وفى كتاب "الوساد" الذى صنفه فى الطب[٣] خصص قسما كبيرا لفن الصيدلة أبان فيه عن إلمام واسع بالمعارف المشرقية فى الأدوية والعقاقير، واعتمد خاصة على حنين بن إسحق والرازى، إلى جانب تجاربه الكثيرة فى استعمال بعض الأدوية المركبة من نباتات شبه الجزيرة الأيبيرية.

ومن الكتب التى تبرز الخصوصية الأندلسية فى دراسة الأدوية والنباتات كتاب "أعيان النبات والشجريات الأندلسية" لأبى عبيد بن عبد العزيز بن أبى زيد البكرى القرطبى (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) صاحب الكتاب الشهير "معجم ما استعجم". وكان - إلى جانب علمه باللغة والتاريخ والجغرافيا - «عالما بالنباتات وبالأدوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وما يتعلق بها»[٤].

---

١) راجع ما كتبناه عن إنجازاته فى علم الطب (ص ٩١٧).
٢) صاعد: طبقات الأمم ص ٨٤، عيون الأنباء ص ٤٩٦.
٣) عيون الأنباء ص ٤٩٦.
٤) عيون الأنباء ص ٥٠٠، الصلة لابن بشكوال ص ٢٨٧، بغية الملتمس للضبى ص ٣٤٦.

ومن أعلام علم النبات فى القرن الخامس الهجرى اثنان:

(١) يونس بن إسحق بن بكلارش الطبيب اليهودى مؤلف كتاب "المستعينى فى الأدوية المفردة وأفعالها وأصنافها" ألفه على صورة جداول، وكان ابن بكلارش خادما لبلاط المستعين بالله أبى جعفر أحمد بن هود (٤٤٨-٥٠٣هـ/١٠٨٥-١١٠٩م)، وألف له الكتاب المذكور[١].

(٢) أبو الخير الإشبيلى تلميذ أبى الحسن على بن عبد الرحمن الساعدى الأنصارى الشهير بابن اللونقة (المتوفى ٤٩٨هـ/١١٠٤م):

كان أبو الخير من ذوى الشهرة والمكانة فى علم الفلاحة ومعرفة الأعشاب الغذائية والدوائية وترك فيها كتابا جامعا سماه "عمدة الطبيب فى معرفة النبات" وهذا الكتاب «أوفى وأدق كتاب عربى ألف فى التعريف بأنواع النبات والشجر وبيئتها الطبيعية وجغرافيتها (فيما يخص أماكن وجودها بمختلف جهات الأندلس والمغرب»، كما أنه معجم متعدد اللغات، يفسر أسماء الأعشاب باليونانية واللاتينية والفارسية والعجمية الإسبانية، فضلا عن أن مؤلفه ابتكر فيه طريقة لتصنيف أنواع الأعشاب وأجناسها، وهو أول عالم نباتى فعل ذلك[٢]. ويقول "جنثالث بالنثيا" عن هذا الكتاب: «وهذا المعجم يمدنا بمعلومات ذات أهمية كبرى عن نبات الأندلس وجغرافيته وما كان لأهله من تقاليد شعبية. هذا إلى ما فيه من الفائدة لدراسة عجمية أهل الأندلس فى أدوارها الأولى»[٣].

ومن الجدير بالذكر أن كتاب "العمدة" هذا شاع ذكره فى المشرق الإسلامى، واعتمد عليه

---

١) عيون الأنباء ص ٥٠١، الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية، لمحمد العربى الخطابى ص ٢٢.

٢) محمد العربى الخطابى: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١/٢٤-٢٥.

٣) تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٦٩. ومن الجدير بالذكر أن جنثالث بالنثيا لم يشر إلى اسم مؤلف كتاب "عمدة الطبيب" اعتمادا على أنه مجهول. وقد استطاع د. محمد العربى الخطابى الوصول إلى المؤلف أبى الخير الإشبيلى وإثبات نسبة الكتاب إليه. وذلك فى بحث له بعنوان "أبو الخير الإشبيلى وكتاب عمدة الطبيب فى معرفة النبات"/ مجلة الجامعة الأكاديمية بالمغرب - العدد السادس (١٤١٠هـ/١٩٨٩م) (ص ٣٣-٣٩).

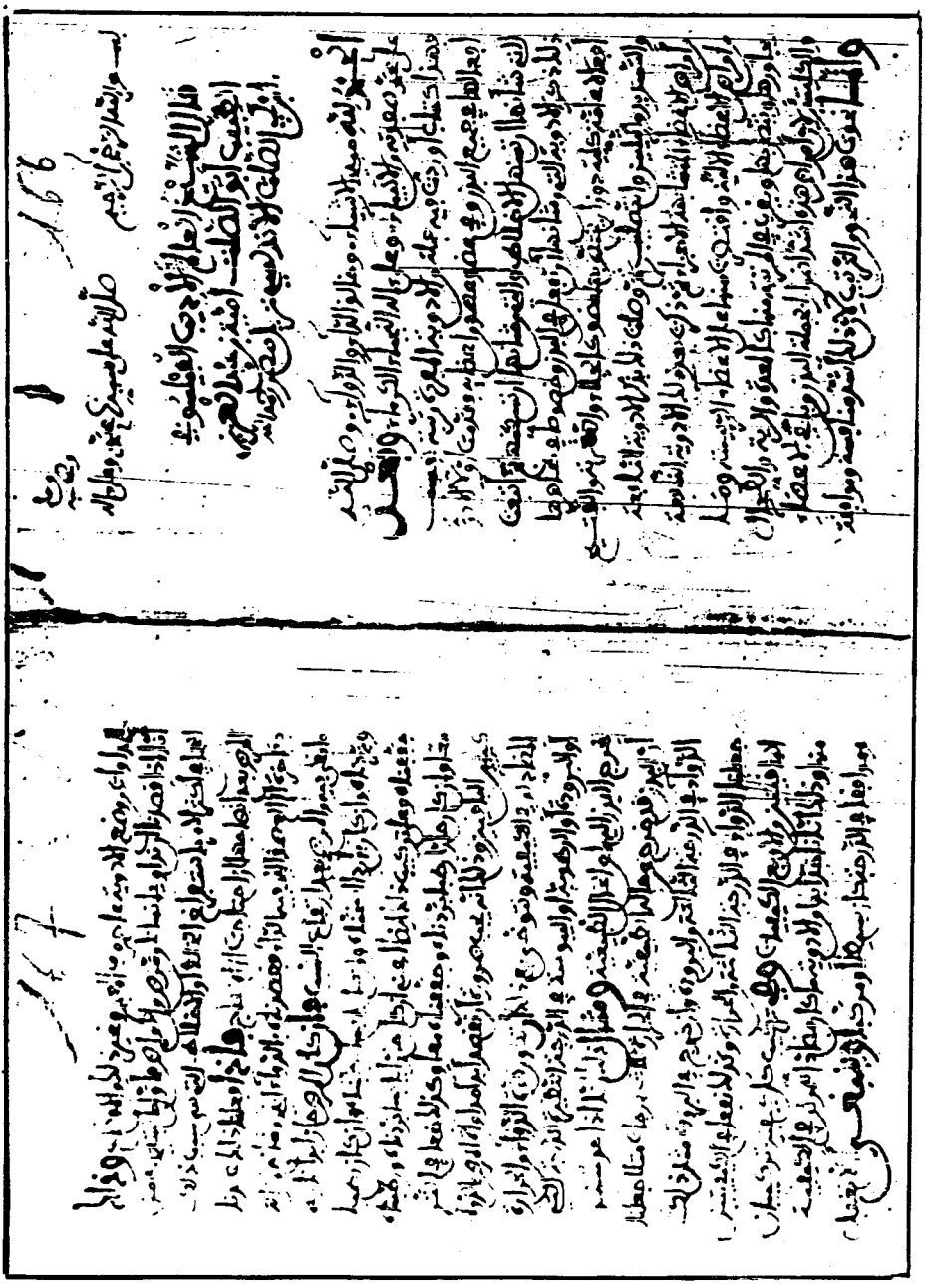

الصفحتان الثانية والثالثة من مخطوط "الأدوية المفردة" – لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى الأندلسى (ت٥٢٩هـ) – مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٢٩٠/طب)–

أحد النباتيين الشاميين من أهل القرن الثامن الهجرى فى كتاب له بعنوان "مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"[١].

ازدهار علم الصيدلة والنبات فى الأندلس خلال القرن السادس الهجرى:

وفى القرن السادس الهجرى بلغت دراسة مفردات الأدوية والنباتات حدا عاليا، حيث أضاف الصيادلة الأندلسيون موادا وعلاجات جديدة لم تكن معروفة من قبل وأشاروا إلى أفعالها وتأثيرها فى الجسم البشرى وذكروا أوصافها وخصائصها. ويزدان هذا القرن بأسماء عدد من الأعلام الذين تجاوزت شهرتهم العلمية آفاق الأندلس والعالم الإسلامى كله إلى أوربا ونذكر منهم على سبيل المثال:

- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت (المتوفى ٥٢٩هـ/١١٣٤م)

من أهل دانية بالأندلس، ومن أفاضل العلماء فى صناعة الطب والصيدلة، ومن آثاره كتاب: «مختصر فى الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية وقد كانت له رحلة إلى مصر سنة ٥١٠هـ، وأقام بالقاهرة مدة ثم عاد إلى الأندلس»[٢].

- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف السبتى المعروف بالإدريسى (المتوفى ٤٩٣ هـ/١١٠٠م) الجغرافى العالمى الذى كان له اهتمام كبير بالبيئة النباتية وألف فى ذلك كتاب "الجامع لصفات أشتات النبات"[٣].وقد عالج الإدريسى فى هذا الكتاب ما أهمله ديسقوريدس فى مادته الطبية وأورد أسماء النباتات بالسريانية واليونانية والفارسية والهندية والكردية واللاتينية والبربرية، ويبلغ عدد النباتات التى أوردها الكتاب حوالى (٦٦٠) نباتا[٤].

- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) الذى تكلمنا من قبل عن جهوده فى علم الفلسفة والطب. وكان له مشاركة فى علم الأدوية، وصنف عددا من الكتب منها: "مقالة فى الترياق" وتلخيص الخمس مقالات الأولى من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

---

١) د. محمد العربى الخطابى: البحث المذكور ص ٣٦.

٢) عيون الأنباء ص ٥٠١، ٥١٤.

٣) ألدوميلى: العلم عند العرب ص ٥٤٨.

٤) د. عبد السلام محمد النويهى: علم النبات عند العرب ص ٢٥، وراجع ترجمة مفصلة عن الإدريسى وجهوده فى علم الصيدلة والنبات (الدفاع: إسهام العلماء العرب والمسلمين فى علم النبات) ص ١٨٣ - ١٩٩.

كما أنه خصص قسما خاصا من كتاب "الكليات" للأدوية والأغذية[١].

أما أعظم الصيدليين الأندلسيين فى القرن السادس فهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقى (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٥م)، وهو من مدينة غافقة القريبة من قرطبة.وصنف بأنه: «إمام فاضل وحكيم عالم، ويعد من الأكابر فى الأندلس، وكان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة أسمائها».

ويضيف ابن أبى أصيبعة قائلا: «وكتابه فى الأدوية المفردة لا نظير له فى الجودة ولا شبيه له فى معناه، قد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس بأوجز لفظ وأتم معنى، ثم ذكر بعد قوليهما ما تجدد للمتأخرين من الكلام فى الأدوية المفردة، أو ما ألم به واحد منهم وعرفه فيما بعد، فجاء كتابه جامعا لما قاله الأفاضل فى الأدوية المفردة، ودستورا يرجع إليه فيما يحتاج إلى تصحيحه منها[٢]. وقد جمع الغافقى فى كتابه هذا ما يقارب ألف صنف من الأدوية البسيطة ووصفها وصفا بالغ الدقة. وذكر أسماءها بالعربية واللاتينية والبربرية»[٣].

ومن الجدير بالذكر فى بيان أهمية هذا الكتاب بالنسبة للصيادلة والعشابين أن ابن البيطار المالقى (المتوفى ٦٤٦هـ) - وهو عالم كبير فى الأدوية والنبات وسيأتى ذكره قريبا - كان يفضل الغافقى على غيره ويحمله معه فى أسفاره، ولقد ذهب البعض إلى أن كتاب ابن البيطار الذى صنفه فى هذا العلم ما هو إلا صورة موسعة من كتاب الغافقى مضافا إليه من كتاب الإدريسى السابق الذكر المعنون ب "الجامع لصفات النبات"[٤]. وهكذا عرف القرنان الخامس والسادس الهجريين (١١، ١٢م) ازدهارا لا مثيل له فى الصيدلة - وفى الطب أيضا - إلى درجة أن سماه مايرهوف (العصر الذهبى للصيدلة فى إسبانيا»[٥].

وإذا انتقلنا إلى القرن السابع فسنجده حافلا بعدد من الأعلام الأندلسيين الذين تميزوا بما

---

١) راجع الطب والأطباء فى الأندلس لمحمد العربى الخطابى ج ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٧، عيون الأنباء ص ٥٣٢، ٥٣٣.

٢) عيون الأنباء ص ٥٠٠ - ٥٠١.

٣) العلم عند العرب للدوميلى (ص٤٠١)، الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٣٦٦. ومن الجدير بالذكر أن كتاب الغافقى توجد منه نسخة خطية بالمكتبة العامة بالرباط تشتمل على القسم الأول من الكتاب، كما توجد منه نسخة مزدانة بالصور تشتمل أيضا على القسم الأول منه محفوظة فى مكتبة أوسلر Osler - راجع: الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ١/٢٥.

٤) علم النبات عند العرب للدكتور عبد السلام محمد النويهى ص ٢٥.

٥) د. فرانشيسكو فرانكو: تطور الطب فى الأندلس - مقال ترجمه د. جمعة شيخة - منشور بالمجلة العربية للثقافة - السنة الرابعة عشرة - العدد (٢٧) ص ١٩٣.

خلفوه من آثار علمية فذة فى الصيدلة والنبات، ونذكر منهم اثنين:

الأول: أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموى الإشبيلى المعروف بابن الرومية (المتوفى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وصف بأنه «أتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الأدوية وقواها ومنافعها واختلاف أوصافها وتباين مواطنها»[١]، وقد عرفنا من قبل أنه رحل إلى بلاد المشرق وأقام فى مصر والعراق والشام نحو سنتين، وعاين هناك أنواعا كثيرة من النباتات والأعشاب مما لم يجده فى بلاده، وأكسبه ذلك علما واسعا فى هذا المجال[٢].

وقد سجل مشاهداته فى كتابه "الرحلة المشرقية" الذى ألفه بعد عودته من المشرق وذكر فيه كثيرا من الأسماء البربرية، وقد نقل عنه ابن البيطار - الآتى ذكره - (المتوفى٦٤٦هـ/١٢٤٨ م) وصنف أيضا "مقالة فى الترياق" و"مقالة فى تركيب الأدوية"[٣]. ويقول المقرى: «إنه كان عارفا بالعشب والنبات، وصنف كتابا حسنا فى الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم»[٤]. وذكر له ابن أبى أصيبعة كتابا آخر بعنوان "تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس"[٥].

الثانى: ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقى (المتوفى٦٤٦هـ) وهو تلميذ ابن الرومية، ويعد من أبرز علماء عصره وأكثرهم شهرة وتعمقا فى علم النبات والأدوية. زار مدن المغرب ومصر والشام وبلاد الروم (آسيا الصغرى)، ثم استقر بمصر فى أيام الملك الكامل ناصر الدين محمد الأيوبى (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م) وأصبح رئيسا لصيادلة مصر، وكانت وفاته بدمشق[٦].

ويصفه تلميذه الدمشقى المشهور بابن أبى أصيبعة صاحب كتاب "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء" فيقول: «هو أوحد زمانه وعلامة وقته فى معرفة النبات وتحقيقه واختياره، ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها سافر إلى بلاد الأغارقة (اليونان) وأقصى بلاد الروم، ولقى

---

١) عيون الأنباء ص ٥٣٨.

٢) راجع ما ذكرناه عن رحلته (ص ٦٥٠).

٣) الطب والأطباء فى الأندلس ٢٨/١، د. عبد السلام محمد النويهى: علم النبات عند العرب ص ٢٦. وراجع عيون الأنباء ص ٥٣٨.

٤) نفح الطيب للمقرى ٥٩٦/٢.

٥) عيون الأنباء ص ٥٣٨،

٦) وراجع مزيدا من المعلومات عن ابن الرومية فى كتاب الدفاع "إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات" ص ٢٢٦-٢٣١.

جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير، وعاينه فى مواضعه، واجتمع أيضا فى المغرب وغيره بكثير من الفضلاء فى علم النبات، ... وأتقن دراسة كتاب ديسقوريدس إتقانا بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه...»[١]. ثم يضيف قائلا: «ولقد شاهدت معه فى ظاهر دمشق كثيرا من النبات فى مواضعه، وقرأت عليه أيضا تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئا كثيرا جدا[٢].

ومن كتبه الجليلة الأخرى كتاب "المغنى فى الأدوية المفردة"، مرتب بحسب مداواة الأعضاء الآلمة كما يقول ابن أبى أصيبعة[٣]. ويتحدث فيه عن الأعشاب من وجهة النظر العلاجية فحسب لا من ناحية التاريخ الطبيعى[٤]. وكتاب "الأقراباذين" الذى يحتوى على مجموعة من الأدوية ويشتمل على وصف جميع النباتات والأحجار والمعادن والحيوانات التى لها خواص طبية[٥].

وأهم آثار ابن البيطار فى علم الأدوية كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"[٦]، يقع فى أربعة أجزاء، استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه، و لم يوجد فى الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه[٧].

وأهم ما يميزه أن مؤلفه اعتمد فى كثير من الأحيان على المشاهدة والتجربة، وتحرى الصدق والدقة فى النقل والضبط والحرص على تسمية الأدوية بسائر اللغات كالبربرية واللاصينية (أعجمية الأندلس) واللاتينية والفارسية، وكان مصدره فى تحرير هذا الكتاب يزيد على مائة وخمسين كتابا عربيا ويونانيا لم يأخذ عنها إلا ما وثق منه خبرة وعيانا[٨]. وهذا الكتاب يضم حوالى ألفا وأربعمائة صنف، منها ثلاثمائة صنف لم يتناول بحثها كتاب فى

---

١) عيون الأنباء ص ٦٠١.

٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.

٣) عيون الأنباء ص ٦٠٢.

٤) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٧٩.

٥) الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٤٠٦.

٦) طبع فى بولاق فى أربعة مجلدات ١٢٩١هـ/١٨٧٤م وترجمه إلى الفرنسية ليكليرك (راجع تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٧٩)

٧) عيون الأنباء ص ٦٠٢.

٨) علم النبات عند العرب ص ٢٣، وراجع: الشروط التى وضعها ابن البيطار فى مقدمة كتابه والتزم بها - راجع عنها: تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا ص ٤٨٠ - ٤٨١، وكتاب العلوم العملية فى العصور الإسلامية لعمر رضا كحالة ص ١٥٠ - ١٥١.

الصيدلة من قبل[١].

وفى ختام حديثنا عن ابن البيطار نذكر مقولة المستشرق (رام لاندو) فى كتابه "الإسلام والعرب": «لقد صنف ابن البيطار أوسع كتاب فى علم النبات، بل أهم كتاب فى هذا العلم طول الحقبة الممتدة من ديسقوريدس إلى القرن السادس عشر الميلادى. لقد كان ذلك الكتاب "الجامع فى الأدوية المفردة" دائرة معارف حقيقية فى هذا الموضوع ضمت بين دفاتها كامل الخبرات الإغريقية والعربية، لذا يجب القول: «إن ابن البيطار أعظم عالم نباتى وصيدلانى فى القرون الوسطى، ولو أخذت الأمور على حقيقتها فهو أعظم عالم نباتى وصيدلانى فى جميع العصور»[٢].

ثانيا: نبوغ الأندلسيين فى علم الفلاحة (الزراعة):

وقد ألف الأندلسيون كتبا عديدة فى علم الفلاحة، وكانوا أعظم من نبغ فى هذا المجال دون غيرهم من المشارقة، وهذه الكتب لها صلة وثيقة بعلم النبات والأدوية لما تحتويه من معلومات وفيرة وغنية عن صفات كثير من النباتات وخواصها وأماكن وأوقات زراعتها وتوليدها ومعالجة آفاتها.. . الخ، إلى جانب عنايتها عامة بالفنون الزراعية والتربة والرى وما يتعلق بتربية الماشية وعلاج أمراضها (البيطرة) ودراسة صفاتها التشريحية، كل ذلك بأسلوب علمى يقوم على الملاحظة والتجارب العملية.

وقد حظيت كتب الفلاحة التى صنفها الأندلسيون بالعديد من الدراسات الحديثة[٣].

---

١) العلم عند العرب للدوميلى (ص٤١٤)، وراجع تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا ص ٤٧٩، وإسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة للدفاع ص ٣٩٩، الطب وتاريخه عند العرب للدكتور كامل السامرائى (وهو بحث بمجلة المورد - المجلد الرابع عشر - العمود الرابع (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) - ص ٣٩).

٢) د. على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٤٠٠.

٣) من هذه الدراسات: علماء الزراعة الأندلسيون لمحمد بن عبد الله عنان (ضمن كتابه: "أندلسيات ص ١٨٧-١٩٣ - سلسلة كتاب العربى - الكويت - الكتاب العشرون ١٩٨٨ م يولية عادل محمد على: علم الزراعة من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال - مجلة المورد - المجلد السادس العدد الرابع ١٩٧٧م) تاريخ الزراعة القديمة - لعادل أبو النصر (بيروت ١٩٦٠م م الطعة الأولى). من آثار العرب الزراعية فى الأندلس - لعادل أبو النصر (بحث منشور بمجلة المجمع العربى بدمشق - المجلد (٢٨) الجزء الرابع (١٣٧٢هـ/١٩٥١م) ص ٥٥٢-٥٧٨.جواد على: كتاب الفلاحة لابن بصال - مجلة المعهد العلمى العراق - مج ٦ ص ٥٦٥ - ٥٦٩ (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) مؤلفات العرب القديمة فى الزراعة والأحياء - لعادل محمد على الشيخ حسين مجلة العلوم - العدد الثامن (١٩٦٧م)، بحث (أبو الخير الإشبيلى) =

وتتحدث المصادر عن فريق من علماء الأندلس الذين برزوا فى هذا المجال، من أشهرهم:

(١) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البصال الذى عاش فى طليطلة فى النصف الثانى من القرن الخامس للهجرة، إلى أن اشتد عليها ضغط ألفونسو السادس سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، فانتقل منها إلى إشبيلية، ودخل فى خدمة حاكمها المعتمد بن عباد (٤٦١-٤٨٤هـ) وأشرف على غرس حدائقه. وقد كتب ابن بصال كتابا بعنوان "الفلاحة"[١]. صار فيما بعد موضوع إعجاب ومديح من العلماء الذين خلفوه، كالمقرى الذى اعتبره عملا علميا ممتازا[٢].

كما اختصره البعض فى ستة عشر فصلا وصار متداولا بين العلماء، بل وقام أحد علماء مدينة المرية ويدعى أبا عثمان بن جعفر بن ليون التجيبى (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) بصياغة تعاليم ابن بصال الفلاحية فى أرجوزة شعرية عنوانها" إبداء الملاحة وإنهاء الرجاحة فى أصول صناعة الفلاحة"[٣]. وتضمن ما يزيد على الستمائة بيت من الرجز فى المواضيع الزراعية التى كانت معروفة فى أيامه جميعها.

وقد تناول المستشرق الأسبانى (خوسيه ماريامليلياس فاليكروسا) - وهو الذى قام بنشر هذا الكتاب وترجمه إلى الأسبانية - تناوله فى بحث له بعنوان "علماء الفلاحة الأندلسيون"، ومن بين ما قال ملخصا: «إن هذا الكتاب يمتاز بأن مؤلفه يتحدث فيه عن تجاربه الخاصة لا فى أسبانيا وحدها، بل كذلك فى بلاد المشرق حيث قام برحلات كثيرة»[٤].

وقال جعفر الخياط فى بحثه عن "ابن البصال رائد الفن الزراعى الحديث": «إن هذا الكتاب يمتاز عن سائر المؤلفات الأندلسية فى الزراعة بكونه كتابا مبنيا على التجربة والمشاهدة العيانية

= لمحمد العربى الخطابى - مجلة الجامعة الأكاديمية بالمغرب - العدد السادس (١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ص ٣٣ - ٣٩، الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات ص ٢٤٢ - ٢٥٢، جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٧٥ - ٤٧٨.

١) هذا الكتاب نشره وترجمه وعلق عليه "خوسيه ماريامليلياس فاليكروسا" الاستاذ بجامعة برشلونة، والأستاذ محمد عزيمان السكرتير العام لوزارة التربية والثقافة بالمغرب - منشورات معهد مولاى الحسن - تطوان - ١٩٥٥م.

٢) نفح الطيب للمقرى ٢/١٠٤.

٣) مانفرد فلايخهامر: كتب فى الزراعة (أبحاث الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب - الكويت - ديسمبر ١٩٨٣م - ص ١٠١٠)، جعفر الخياط: ابن البصال رائد الفن الزراعى الحديث - مجلة المعهد العلمى العراقى - المجلد (١٥) - ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م (ص ٢١٦).

٤) مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الرابع (١٩٥٦م):

Jose M. Millas Vallicrosa: Los Geoponos Hispanoaraes، Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos، 1956 ،p.126-127.

إلى أقصى حد ممكن، وخاليا من النقل عن الأقدمين من يونان ورومان وبابليين كما هى الحال فى الكتب الأخرى»[١].

وممن اعتمد بصورة كبيرة على كتاب "الفلاحة" لابن البصال الإشبيلى:

(٢) أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوام الذى عاش إبان القرن السادس الهجرى (١٢م)، وصنف كتابه الشهير "الفلاحة فى الأرضين" وهذا الكتاب الذى يقع فى قسمين كبيرين يشتملان على خمسة وثلاثين بابا يعد بحق من أحسن ما كتب عن الزراعة وكيفية الاهتمام بها، وقد تحدث مؤلفه عن التربة وأنواعها وكيفية حرثها وإصلاح الفاسد منها، وتكلم عن السماد وأنواعه ومنافعه، وعن المياه وأنواعها وكيفية تخطيط مجاريها، كما أنه تناول طرق غرس النبات والأشجار المثمرة وغير المثمرة، وتعرض لما يقرب من ستمائة نبات، من بينها خمس وخمسون شجرة مثمرة. وتحدث أيضا عن عمليات التطعيم والتشذيب أو التقليم ومكافحة الآفات والحشرات والأمراض التى تصيب الأشجار، وطرق حفظ البذور والحبوب والتين والزبيب بالإضافة إلى العديد من المعلومات عن تربية المواشى والدواجن وكيفية تغذيتها وعلاج أمراضها[٢].

ولذلك اعتبر المستشرق الأسبانى "خوسيه ماريامليلس فاليكروسا" كتاب "الفلاحة" لابن العوام قمة التأليف الأندلسى فى هذا الموضوع، وقال ما ملخصه: «إنه مؤلف ضخم جمع فيه كل المعارف الزراعية فى العصور الوسطى، وكان له أعظم الأثر فى هذه العلوم فى القارة الأوربية»[٣].

---

١) جعفر الخياط: ابن البصال رائد الفن الزراعى الحديث - المبحث المذكور (ص ٢٢١). وراجع بحثا بعنوان "كتاب الفلاحة لابن البصال" للأستاذ جواد على/مجلة المعهد العلمى العراقى - المجلد السادس (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) - ص ٥٦٥ - ٥٦٩.

٢) راجع: على عبد القادر الباسل: تطور الزراعة عند العرب فى العصور المختلفة - الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم - الكويت - ديسمبر ١٩٨٣ - ص ١٦، الدفاع: إسهام العلماء العرب والمسلمين فى علم النبات ص ٢٤٦ - ٢٥٠.

٣) علماء الفلاحة الأندلسيون - مجلة صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية المجلد الرابع (١٩٥٦م) (العدد ١ - ٢) ص ١٢٩ (النص الإسبانى):

Jose M'Millas Vallicrosa: Los Geoponos Hispanoaraes، p. 129.

ولمعرفة المزيد من المعلومات عن ابن العوام وكتابه راجع الدراسات المستفيضة التى ذكرها له الدفاع فى كتابه "إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات" ص ٢٤٢ - ٢٥٢، وراجع تقييما للكتاب عند الدكتور أحمد فؤاد باشا فى كتابه "التراث العلمى للحضارة الإسلامية" ص ١٤٤ - ١٤٥، مصطفى الشهابى: نظرة فى كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام -- مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق المجلد السابع ص ٩٧ - ١١٣.

ويضاف إلى التراث العلمى الأندلسى فى علم الفلاحة: كتاب الأسس الزراعية فى مدينة إشبيلية لابن عبدون، عاش فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، وخلاصة بحثه أنه يجب على الأمير الأندلسى تشجيع الزراعة وإعطاء المثل الصالح فى استغلال الأراضى، ويقول: «إن الزراعة هى ركن مالية الدولة ومنها تدفع معظم الضرائب»، ويجب تدوين تقديرات الإنتاج باسم كل مزارع وحفظها بسجلات خاصة. ويجب أن تكون الزراعة متقنة وفاقا للأسس المدونة، ويجب أن يعامل المزارعون برفق ولين، والمحافظة عليهم أثناء أعمالهم الزراعية، فتتكاثر ثرواتهم ويستفيد الشعب بتموينه ومعيشته فتصبح المملكة أكثر اطمئنانا، وأقوى شكيمة، وأرفع مكانة بين سائر البلدان، لأن الزراعة هى أساس المدنية والحياة»[1].

تعقيب ومقارنة:

والخلاصة أن أهل الأندلس عنوا بالأدوية والنبات وفنون الزراعة عناية عظيمة، ودرسوا النظريات التى أخذوها عن غيرهم من القدماء والعرب المشارقة، وطبقوها خير تطبيق، ودرسوا أنواع النباتات الطبية وخواصها وكيفية تحضيرها وأنشأوا لها الحدائق والبساتين وكانت دراستهم مبنية على أساس علمى وتجريبى، لا على الوهم والظنون، وصنفوا فى ذلك مؤلفات عديدة أفادت العالم وساعدت كثيرا على تطور العلم وإدخاله إلى أوربا.

ومن الحقائق التى يمكن الخروج بها من دراسة إنجازات علماء الأندلس فى علمى الصيدلة والنبات:

(١) أن جميع الأطباء الأندلسيين الذين برعوا فى الطب كانوا أيضا صيادلة كتبوا فى الأعشاب والأدوية، ولهذا تلازم الطب والصيدلة وتواكبا فى تلك الحضارة وقدما مظهرا من أعظم مظاهر الازدهار العلمى فى تلك البلاد.

(٢) والحقيقة الثانية أن علماء الأندلس - وإن كانوا قد اعتمدوا فى بداية نهضتهم العلمية فى مجال الأدوية والنبات على إنتاج المدرسة البغدادية/المشرقية - فإنهم أضافوا إليه من إبداعاتهم واختراعاتهم الشئ الكثير، وربما فاقوا المشارقة كما أكدنا من قبل - فى هذا المجال، وتركوا بدون أدنى شك أحسن المؤلفات فى علم النبات والأدوية المفردة، ترجم معظمها إلى اللغات الأجنبية.

***

١) راجع: عمر رضا كحالة: العلوم البحتة فى العصور الإسلامية ص ١٨٨، وبحث: من آثار العرب الزراعية فى الأندلس - مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ص ٥٥٨.

خاتمة الباب

النتائج المستخلصة

أولا: تلك نظرة موجزة وملامح عامة لمعطيات الأندلسيين وإسهاماتهم فى ميادين العلم والفكر، ترسم لنا الإطار الزمنى الذى تفجرت خلاله عبقريات رجالات أفذاذ، مثل عبد الملك ابن حبيب (ت٢٣٨هـ/٨٥٣م)، وبقى بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، ومحمد بن وضاح (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م).

وفى القرن الرابع: ابن عبد ربه (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م) والرازى (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م)، والخشنى (ت٣٦١هـ/٩٧١م) وأبو بكر الزبيدى (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) وابن الفرضى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وابن جلجل (ت حوالى ٣٧٧/٩٨٧م)، والمجريطى (ت٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) والزهراوى (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م).

وفى القرن الخامس: أبو عمرو الدانى (ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م) ومكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م) وابن حزم (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وابن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وأبو الوليد الباجى (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) وأبو عبيد البكرى (ت٤٨٧هـ/١٠٨٥م) والعذرى (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م) وابن حيان (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) والحميدى (ت٤٨٨ هـ/١٠٩٥م)، والزرقالى (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وابن وافد (ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م).

وفى القرن السادس: ابن عطية (ت٥٤١هـ/١١٤٦م)، وابن العربى (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) وابن بشكوال (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م) وابن رشد الحفيد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) وابن باجه (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م) وابن طفيل (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) وعائلة بنى زهر الأطباء، وغيرهم من الأعلام فى كل علم وفن، ممن ملأت شهرتهم الخافقين.

وليس من المبالغة فى شئ إذا قلنا: إن ما ذكرناه من نتاج الفكر الأندلسى فى سائر مجالات فروع المعرفة هو غيض من فيض، أوهو النزر اليسير من تركة علمية جليلة أتى على معظمها التعصب الأعمى والكراهية لكل ما حققه المسلمون فى شبه الجزيرة الإيبيرية من عطاءات فكرية خلال فترة مكثهم فيها بين (عام ٩٢هـ/٧١٠م) و(عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)، أى مدة (٨٠٥) سنين هجرية، أو (٧٨٢) سنين ميلادية.

ثانيا: والحق أن الحركة العلمية فى (قرطبة/ الأندلس) كانت مزدهرة، ووصلت إلى مستوى مرموق. وكما أن النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق) لم تنشأ من فراغ، ولم تكن وليدة

يومها، وإنما جاءت نتيجة عدة عوامل تضافرت على تهيئة المناخ المناسب لها، ومن ثم النهوض بها فكذلك فى الأندلس، غير أن الحركة الثقافية فى بغداد كانت أكثر شمولا وأغزر إنتاجا، وأوسع تراثا.

وإذا أردنا أن نلخص - فى سطور قليلة - أبرز العوامل التى تمخضت عن ظهور نهضة علمية فى (قرطبة/الأندلس) عبر عصورها المختلفة، وخاصة فى القرون الثلاثة: الثالث والرابع والخامس، فيمكن أن تكون:

١ - كثرة الرحلات إلى مراكز العلم بالمشرق، وخاصة بغداد ومصر والحجاز.

٢ - عناية الأمراء والخلفاء بالعلم والعلماء.

٣ - الاهتمام بأماكن التعليم، حيث لم تكن قاصرة على التعليم بالمساجد فقط بل تعدتها إلى أماكن أخرى كثيرة كالمنازل والمكاتب، وقد انتشرت المكاتب فى الأندلس انتشارا واسعا، قام الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) ببناء سبعة وعشرين مكتبا لتعليم الأطفال فى قرطبة وحدها[١]. ولا يسعنا أن نذكر هنا أسماء المعلمين الواردة فى كتب التراجم الأندلسية لكثرتها، وتكفى الإشارة إلى أنه فى موقعة قنتشد سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م أصيب من المؤدبين خاصة ما نيف على ستين، عريت سقائفهم فى غداة واحدة منهم وتعطل صبيانهم لعدمهم[٢].

٤ - انتشار المكتبات العامة والخاصة فى القصور والبيوت، حيث أظهر الناس حكاما ومحكومين، رجالا ونساء ولعا شديدا بجمع الكتب[٣]، والتنقيب عن نفائسها ونوادرها، حتى قيل إنهم كانوا أشد الناس اعتناء بذلك. وهذه الحقيقة يسجلها المؤرخ الأندلسى ابن سعيد، فيذكر أن أهل قرطبة كانوا يتفاخرون بثلاث «بأصالة البيت، وبالجندية، وبالعلم، وهى أكثر بلاد الأندلس كتبا، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك من آلات التعين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذى تكون له معرفة يحتفل فى أن يكون فى بيته خزانة كتب، وينتخب فيها، ليس إلا أن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره،

---

١) ابن عذرى: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١.

٢) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ج ١ ص ٢٤ (تحقيق إحسان عباس) وراجع: د. محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

٣) للأستاذ خوليان ريبيرا بحث بعنوان: المكتبات وهوات جمع الكتب فى اسبانيا الإسلامية — ترجمة د. جمال محمد محرز — مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الرابع، الجزء الأول (مايو ١٩٨٥م/ شوال ١٩٧٧م (ص٧٧-٩٦).

والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به...»[١].

ولعل خير ما يعطى لنا صورة صادقة عن عناية الأندلسيين بالعلوم والآداب ومكانة العلم والعلماء فى المجتمع الأندلسى ما جاء فى "نفح الطيب" للمقرى حيث قال فى معرض حديثه عن خصائص الأندلس: «وأما حال أهل الأندلس فى فنون العلوم فتحقيق الإنصاف فى شأنهم فى هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذى لم يوفقه الله للعلم يجهد فى أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس، لأن هذا عندهم فى نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم فى جوار، أو ابتياع حاجة، وما أشبه ذلك، ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم فى المساجد بأجرة، فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا، فالعالم منهم بارع، لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذى يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم...»[٢].

ثالثا: كانت الفترة الممتدة من منتصف القرن الخامس الهجرى إلى نهاية القرن السادس حقبة متميزة بالفتوح الفكرية للأندلسيين، فخلال هذه الفترة وصل التأليف فى شتى ضروب العلوم إلى ذروته. وإذا حكمنا على ما ظهر من أعمال قبل هذه الفترة أمكن أن نقول: إنها تمهيد أو خطوات نحو النضوج، وبعبارة أخرى: «إن الازدهار (العلمى) فى أندلس القرن الخامس الهجرى وما تلاه كان ثمرة غراس عصرى الإمارة والخلافة، وخلال القرن الرابع الهجرى على وجه الخصوص عندما استقرت أمور الأندلس استقرارا كاملا، وسادها الأمن والنظام والعدالة قرابة قرن متصل، فنشطت النفوس خلاله، وتفتحت الآمال وانصرف الراغبون فى العلم إلى الدرس والتحصيل، واستقرت أصول العلم ومراكز الدراسة، وانتشرت حلقات الشيوخ وكثرت الكتب فى أيدى الناس»[٣].

ومع أننا لا نوافق دائما على مقولة أن العطاء الحضارى يتلازم طرديا مع الفرقة السياسية إلا أننا نلاحظ أن هذا العطاء بدأ على نحو أساسى وفعال مع بداية عصر الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) وما تلاه، فكان الملوك يبنون العمائر الفخمة والمساجد والقصور والمدارس، ويستقدمون العلماء والشعراء والأدباء، وصارت لبعضهم خزائن كتب عامرة،

١) المقرى: نفح الطيب ١/٤٦٢-٤٦٣.
٢) نفح الطيب للمقرى ١/٢٢٠-٢٢٢.
٣) د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٦٦.

وشارك بعضهم فى إثراء الحركة العلمية، كمجاهد العامرى صاحب دانية (المتوفى ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) الذى يقول عنه ابن حيان المؤرخ الأندلسى الكبير: «كان مجاهد فتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره، لمشاركته فى علم اللسان، ونفوذه فى علم القرآن، عنى بذلك منذ صباه وابتداء حاله إلى حين اكتهاله، ولم يشغله عن ذلك عظيم ما مارسه من الحروب برا وبحرا، حتى صار فى المعرفة نسيج وحده، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة، فكانت دولته أكثر الدول خاصة، وأسراها صحابة، لانتحاله العلم والفهم، فأمه جلة العلماء وأنسوا بمكانته. وخيموا فى ظل سلطانه، واجتمع عدد من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة وحلبة ظاهرة»[١]. وأضاف ابن عذارى: «زاد على نظرائه من ملوك طوائف الأندلس بالأنباء البديعة، منها العلم والمعرفة والأدب.. . فقصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب وألفوا له تواليف مفيدة فى سائر العلوم، فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير، ومضى على ذلك طول عمره»[٢].

وعلى الرغم من أن فترة الطوائف كان لها سيئاتها فى بروز التعددية السياسية[٣] التى أسفرت فى النهاية عن نتائج فادحة على مسار الحكم الإسلامى فى الأندلس فإن هذه التعددية كان لها حسناتها فى المنافسة بين التكتلات السياسية فى مجالات شتى من الفكر والحضارة وبروز مراكز علمية متعددة فى "قرطبة" و"مالقة" و"دانية" و"سرقسطة" و"بلنسية" و"إشبيلية" و"طليطلة" و"غرناطة" وغيرها. وهذه المراكز هى التى انطلقت منها العلوم والمعارف العربية والإسلامية إلى أوربا.

رابعا: وإذا أردنا أن نحكم على التراث العلمى الأندلسى فى مجمله أمكن القول: إن أهم ما يميز هذا التراث التجويد والإحكام فى التأليف، ووفرة الإنتاج المنسوب إلى كل علم من

---

١) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، المجلد الأول ص ٢٣.

٢) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٥ - ١٥٦.

٣) نقصد بالتعددية السياسية تلك الدول التى قامت على إثر سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس، فقامت دولة بنى حمود فى مالقة (٤٠٧هـ - ٤٤٩هـ/ ١٠١٦-١٠٥٧م) والدولة الزيرية فى غرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م) وملوك دانية (٤٠٨-٤٦٨هـ/١٠١٧-١٠٧٥م) والدولة التجيبية واليهودية فى سرقسطة (٤١٠-٥٣٦هـ/١٠١٩-١١٤١م) والدولة العامرية فى بلنسية (٤١٢-٤٧٨هـ/١٠٢١-١٠٨٥م) ودولة بنى عباد فى إشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م) والدولة الجهورية فى قرطبة (٤٢٢-٤٦١هـ/١٠٣١-١٠٦٨م) ودولة بنى ذو النون فى طليطلة (٤٢٧-٤٧٨هـ/١٠٣٥-١٠٨٥م) ودولة بنى حمود فى الجزيرة الخضراء (٤٣١-٤٥٠هـ/١٠٣٩-١٠٥٨م). وغير ذلك من الدول والممالك التى قد تصل إلى أكثر من عشرين دولة. انظر محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص ١٦).

الأعلام، وتكامل الجهود فى شتى ضروب العلم، حتى لا يكاد فن يخلو من مؤلفات مجيدة تعتبر معالم واضحة فى تاريخ العلم العالمى عبر مسيرته الزمنية الطويلة.

خامسا: ونعيد هنا ما أكدنا عليه فى موضع سابق من أن الثقافة (البغدادية/المشرقية) انتقلت إلى (قرطبة/الأندلس) بمناهجها ومدارسها، وكانت هى الأساس الذى بنى عليه الأندلسيون ثقافتهم وحضارتهم التى هى فى النهاية جزء من الحضارة الإسلامية العظيمة. وإذا كانت الأندلس قد ورثت الثقافة (البغدادية/المشرقية) فإن هذه الثقافة نمت وتطورت هناك، ووجدت العوامل الخصبة التى ساعدت على اتساع رقعتها، حيث إن الأندلسيين لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام الثقافة الوافدة، وإنما تلقفوها بالدراسة والتمحيص، وحاولوا أن يبدعوا من خلالها الكثير والكثير، وتميزوا عن المشارقة ببعض الخصائص أو الخصوصيات العلمية. وإذا تصورنا أن الثقافة العربية والإسلامية لها شقان أو جناحان، فإن المشرق (وبغداد فى القلب منه) يمثل الشق الأول، وتمثل الأندلس الشق الآخر.

وإذا كان للمشرق الإسلامى فضل فى إمداد الأندلس بالزاد العلمى الذى أسس الأندلسيون عليه حضارتهم فى ميادين الفكر والعلم فإن الأندلس لها فضل تعريف أوربا بجانب كبير من التراث العلمى المشرقى فى الفلسفة والطب والصيدلة والكيمياء والفلك والرياضيات وغيرها، إضافة إلى التراث الأندلسى فى هذه العلوم نفسها، حيث كانت الأندلس أهم المعابر التى تدفقت منها علوم المسلمين نحو أوربا، وشكلت المركز المتقدم للحضارة الإسلامية على الأرض الأوربية. وهذا هو موضوع حديثنا فى الباب التالى.

* * * *

الباب الثالث

دور الأندلس فى نقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوربا

* ويتضمن تمهيدا وفصلين:

التمهيد : معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا.

الفصل الأول : وسائل وقنوات انتقال العلوم العربية والإسلامية من الأندلس إلى أوربا.

الفصل الثانى : أثر الترجمة فى تعريف أوربا بالتراث العربى والإسلامى عن طريق الأندلس (الإسلامية) وإسبانيا (النصرانية).

تمهيد

معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا

اتفق الباحثون على أن الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ فى الحضارة الأوربية، «ففى الوقت الذى كانت فيه أوربا لا تزال تضطرب فى ظلام العصور الوسطى كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم وورثوا مع فتوحاتهم علم اليونان، وأفادوا من ثقافة الفرس والهند والحضارة المصرية القديمة إلى جانب الثقافة العربية الأصيلة، وأفسحوا صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة، وأقبلوا عليها وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهذيب حتى بلغت غاية نضجها وإكمالها وتميزت عما عداها من الحضارات السابقة»[1].

وقد كان الالتحام بين الأمة الأوربية والأمة العربية الإسلامية فيما يسمى بحركة الاسترداد الإسبانية، أو فى بلاط النورمان بعد استعادتهم لجزيرة صقلية، أو فى ميادين القتال الصليبية على سواحل الشام ومصر دافعا للطرفين إلى محاولة كل منهما التعرف على أحوال خصمه وعقائده ونظمه وتاريخه، وكانت أمة الإسلام هى الأرجح كفة فى ميادين الفكر والحضارة، لأن الشعوب الأوربية كانت لا تزال فى هذا الوقت تحاول محاولتها الأولى للخروج من العصور التى أسمتها هى نفسها بالعصور المظلمة، ولهذا تسابقت منذ ذلك الوقت للأخذ عن علوم العرب والمسلمين وترجمتهاودراستها والإفادة منها. ومن هنا يمكن القول إن الأمم الأوربية اتصلت بالحضارة العربية الإسلامية عن طريق معابر ثلاثة :

(١) الأندلس.

(٢) صقلية وجنوب إيطاليا.

(٣) الشرق الأدنى إبان الحروب الصليبية.

وقد تم هذا الاتصال فى عصور مختلفة، لا سيما فى القرون الثلاثة: الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر للميلاد (السادس والسابع والثامن للهجرة).

---

١) د. أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ص ٣٧٣.

الأندلس أهم المعابر:

وإذا أضحى من البديهيات الشائعة بيان الأثر الحضارى العام للعرب والمسلمين فى أوربا فقد يكون من الصعب فصل تأثير الأندلس وحدها، فالوشائج أكثر تعقيدا واتصالا من أن تفصل، لكن تبقى الأندلس أهم المعابر التى تدفقت منها علوم المسلمين نحو أوربا؛ ذلك لأنها بمثابة البنت الكبرى للحضارة الإسلامية، وقد شكلت المركز المتقدم لها على الأرض الأوربية ذاتها، وحينما أفل نجم المسلمين بالأندلس - بعدما قادوا مسيرة هذه البلاد حوالى ثمانية قرون بلغت فيها الحضارة الإسلامية أوجها وظهرت الحركة المعروفة فى التاريخ الأندلسى بحروب الاسترداد المسيحية - لم يستطع الملوك الأسبان المسيحيون الوقوف أمام تلك الحضارة، فأخذوا يغترفون منها ويأخذون بمظاهرها. ولذلك سيكون تركيزنا فى هذا الباب على دور الأندلس فى نقل الحضارة الإسلامية إلى أوربا، وبوجه خاص ما يتعلق بالعلوم العقلية والتطبيقية كالفلسفة والطب والفلك والرياضيات ... الخ.

وقبل الدخول إلى هذا الغرض - وحتى تكتمل الصورة - نشير سريعا إلى مدى تأثر أوربا بالحضارة الإسلامية عن طريق المعبرين الآخرين: معبر الشرق أثناء الحروب الصليبية، ومعبر صقلية وجنوب إيطاليا.

أما الحروب الصليبية: فيذهب عدد من الباحثين إلى أنها كانت ضعيفة الأثر فى الاتصال الفكرى بين العالمين الشرقى العربى والغربى الأوربى، وأن الأوربيين لم يفيدوا كثيرا من التقائهم بالعرب أثناء هذه الحروب[1] .ولعل ذلك «يرجع إلى أن نقل العلوم من أمة إلى أخرى لا يتم إلا أن يكون بين الأمم تقارب فى مستوى الثقافة ونوعها، ولم يكن عند الصليبيين قدر كاف من الحضارة تسمح لهم باستيعاب العلوم العربية»[2]. ويضاف إلى ذلك عامل آخر، وهو أن الصليبيين «قصدوا الأراضى المقدسة للحرب لا لطلب العلم، وامتازت حياتهم فى سوريا بما تتصف به حياة الجنود عادة من خشونة فلا هـــم لهم إلا تحصين مواقعهم والدفاع عن كيانهم والإبقاء على معاقلهم التى أقاموها فى الشام وسط محيط إسلامى واسع،

---

١) راجع بحثا للدكتور محمد كامل حسين عن الطب العربى وأثره فى الغرب - وهو ضمن كتاب "أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية" (ص ٢٥٩) بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية، بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م. وراجع د. سعيد عبد الفتاح عاشور: فضل العرب على الحضارة الأوربية - ص ٣ (مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م).

٢) د. محمد كامل حسين: المرجع نفسه ص ٢٦١.

و لم تخف وطأة الحرب بينهم وبين المسلمين إلا بجلائهم نهائيا عن سوريا سنة ١٢٩١م، وإذا حدث أن توقفت الحرب بين الفريقين فترات قليلة من الزمن فإنها كانت تتوقف لتستأنف بعد قليل. وهكذا لم تتح للصليبيين فى الشرق حياة الاستقرار الضرورية لمباشرة النشاط الفكرى والحضارى، و لم تتح لهم فرصة الاتصال السلمى بالعرب كما أتيحت لإخوانهم الأوربيين فى صقلية والأندلس»[١].

لكن ينبغى أن نشير إلى أن الصليبيين - وإن كانت استفادتهم من علوم العرب والمسلمين أقل مما يجب، لأن الجيوش الصليبية جاهلة و لم تكن تبالى بالمعارف، كما يقول غوستاف لوبون فإنهم اقتبسوا من الحضارة الإسلامية فى ميدان العمران والصناعة والنظم الاجتماعية والسياسية أكثر منها فى ميدان الفكر والفن. **وهذا هو ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور أحمد شلبى فى كتابه "صراع الحضارات"** إذ يقول - بعد تأكيده على أن العلوم التجريبية كالطب والفلك والرياضيات ... انتقلت إلى أوربا عن طريق الأندلس وصقلية : «أما الحضارة الإسلامية الأصيلة المرتبطة بالشورى وتحرير العبيد وحقوق المرأة والعلاقات الدولية وأمثالها فقد اقتبسها الأوربيون من المسلمين بمصر وفلسطين خلال الاحتكاك بهم فى الحروب الصليبية، وخاصة فى فترات الهدنة»[٢].

وإذا كان المفكرون يتحدثون عن أثر الأندلس والحروب الصليبية فى خلق جو فكرى لدى الغرب فينبغى ألا ننسى **جزيرة صقلية** التى مثلت معبرا مهما للحضارة الإسلامية إلى الغرب لارتباطها بتونس الإسلامية من جهة، وبإيطاليا من جهة أخرى، ولأن النفوذ الإسلامى عن طريقها وصل إلى إيطاليا[٣]. ومع أن صقلية لم تكن مهمة نسبيا كمعبر للاتصال الفكرى إذا ما قورنت بدور الأندلس «فإنه - لم تقم فى أى مكان آخر غير صقلية الحضارات اللاتينية واليونانية والعربية جنبا إلى جنب فى جو يسوده السلم والتسامح، و لم يعبر فى أى مكان آخر عن النهضة بوضوح أكثر مما عبرت عنه سياسة الحكام»[٤].

---

١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ص ٤.

٢) د. أحمد شلبى: صراع الحضارات ص ٤٤ (مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٦)، وراجع الجزء الأول من موسوعة "النظم والحضارة الإسلامية" - تاريخ المناهج الإسلامية ص ٥٦ - ٥٨ (الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة).

٣) د. أحمد شلبى: صراع الحضارات ص ٤٢.

٤) د. عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية (ص ١٠١) - نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. أمين توفيق الطيبى (الدار العربية للكتاب ، طرابلس، ليبيا ١٩٨٠م).

ومهما كان من أمر الدور الذى أسهمت به كل من (بلاد الشام ومصر) وصقلية فى تغذية أوربا بأصول الحضارات العربية الإسلامية فإن الفضل الأكبر يرجع بلاشك إلى الأندلس فى تقديم خلاصة هذه الحضارة فى العلوم والآداب إلى أوربا، فضلا عن تعريف الغربيين بكثير من تراث الإغريق القديم الذى لم يبق منه إلا ما ترجم إلى العربية.

وتنبغى الإشارة إلى أن المعابر الثلاثة السابقة كانت أهم طرق الانتقال، لا كلها، ذلك أنه لم تكن هناك خطة منظمة لترجمة ونقل معارف العرب إلى اللاتينية، وإنما استيقظ الأوربيون من غفلتهم فى العصور الوسطى ليجدوا أمامهم معينا لا ينضب من المؤلفات العربية فى شتى العلوم والفنون، فأقبلوا يرتشفون من ذلك المعين بأية طريقة، ومن أى مكان يعثرون فيه على ضالتهم[1].

***

١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: فضل العرب على الحضارة الأوربية ص ١٣.

الفصل الأول

وسائل وقنوات انتقال العلوم العربية والإسلامية من الأندلس إلى أوربا

وقد تعددت الوسائط والقنوات التى تم من خلالها نقل الثقافة العربية والإسلامية من الأندلس إلى أوربا. وكان من أهمها : المستعربون واليهود والمدجنون، إضافة إلى الوفود والبعثات، وحركة الترجمة، وفيما يلى عرض موجز لهذه الوسائل والقنوات:

أولا : المستعربون: «وهم نصارى الإسبان الذين كانوا يعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية مع احتفاظهم بدينهم. وكان العرب يسمونهم بعجم الذمة. أما من كان لهم عهد منهم فقد سموا بالمعاهدين»[١] .

وقد كان هؤلاء المستعربون يمارسون فى الأندلس أشغالا علمية وعملية مختلفة، ربما أهلت بعضهم إلى أن يصبحوا من ذوى النفوذ وكان السواد الأعظم منهم يقيم فى قرطبة وإشبيلية، وأكثرهم فى طليطلة، إذ كانت عاصمة القوط القديمة والحاضرة الدينية لشبه الجزيرة الإيبيرية، كما أنهم درجوا على أن يعيشوا فى أحياء خاصة بهم فى المدن، وإن كان ذلك لم يمنعهم من مخالطة السكان[٢].

---

١) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة الأموية ص ١٣٠، ومن الجدير بالذكر أن المجتمع الأندلسى شهد تنوعا فى عناصر السكان بحكم التنوع فى الأصول البشرية والعقائد والثقافة، فكان يضم إلى جانب العرب الفاتحين (البلديين) العرب الوافدين (الداخلين) وجماعة من الإسبان المسالمة، أى الذين دخلوا الإسلام، والعجم الذميين أو المستعربين، وهم الذين بقوا على دينهم فى ظل الحكم الإسلامى، ثم طائفة المولدين، وهم نتاج التزاوج بين رجال العرب ونساء الإسبان. ثم البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد، أو الذين هاجروا من بلاد المغرب إلى الأندلس – إما بحثا وراء المغانم أو سعيا للاستقرار. ثم أخيرا طائفة اليهود. وكان لكل من هذه العناصر دور كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وكان من الطبيعى أن تتصل هذه العناصر بعضها ببعض سواء بالمصاهرة أو بالعشرة أو بالمجاورة، وأن يأخذ كل منها عن الآخر ويعطيه، مما كان له أثره فى طبيعة الحضارة الأندلسية.

٢) راجع: د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا ص ٢٧ – ٢٨، وراجع: عباس الجرارى : أثر الأندلس على أوربا فى مجال النغم والإيقاع – بحث منشور بمجلة عالم الفكر – المجلد الثانى عشر – العدد الأول (عدد خاص عن حضارة الأندلس) – ص ١٧.

والاستعراب يمثل تأثير الثقافة العربية والإسلامية فى غير المسلمين من الأسبان، حيث كان المستعربون يستعملون اللغة العربية فى مخاطباتهم ومعاملاتهم ويتعلمون آدابها وعلومها، ويأخذون بأساليب الحياة الإسلامية. «وقد بلغ الأمر بهم أن صاروا مولعين بالتراث العربى من أدب وشعر حتى جأر المطران (آلبرو القرطبى) بشكواه من انتشار الثقافة العربية بين شبيبة النصارى بحيث لا يروقهم إلا الشعر والقصص العربى، ولم يعودوا يقرءون إلا كتب المسلمين»[١]. وكان مما قال «إن إخوانى فى الدين يجدون لذة كبرى فى قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكى يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا، وأين تجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح "التعليقات" اللاتينية على الأناجيل المقدسة؟، ومن سوى رجال الدين... إن الموهوبين من شباب النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها فى نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة فى جمع كتبها، ويصرحون فى كل مكان بأن هذه الآداب جديرة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك فى ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم... لقد نسى النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما من الخطأ. فأما عن الكتابة فى لغة العرب فإنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها فى أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربى ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا»[٢].

ولعل مما يؤيد حديث (آلبرو) ما وقف عليه الباحثون فى الوثائق المستعربية بطليطلة، فهذه المدينة خرجت عن سلطة المسلمين فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، أى أنها عادت إلى دائرة النصرانية من جديد، ومع هذا ظل أهلها من المستعربين يتحدثون بالعربية ويكتبون بها وثائق (أغلبها يتصل بالمعاملات) نحوا من قرنين[٣].

والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية كانوا أداة اتصال بين شطرى إسبانيا. وهم منذ الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الإيبيرية لم ينقطعوا عن الهجرة إلى الأراضى المسيحية، وقد كثر ذلك فى عهد المرابطين (٤٨٤-٥٢٠هـ/١٠٩١-١١٣٤م) والموحدين (٥٢٠-

---

١) د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا ص ٢٨.

٢) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى (ترجمة د. حسين مؤنس) - ص ٤٨٥ - ٤٨٦. وقد أورد دكتور عبادة كحيلة نبذا من هذه الوثيقة نقلا عن مراجع إسبانية أخرى فى كتابه "تاريخ النصارى فى الأندلس" - ص ١١٥ - ١١٦. وراجع: روبرت بريفالت: أثر الثقافة الإسلامية فى تكوين الإنسانية ص ١٤٥ (ترجمة وتعليق أحمد الحسينى - دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٥٧م).

٣) د. عبادة كحيلة : تاريخ النصارى فى الأندلس ص ١١٦.

٦٢٠هـ/١١٣٤-١٢٢٣م) فهاجر سكان بلنسية منها إلى قشتالة سنة ١١٠٢م (الموافق ٤٩٦هـ) وخرجت طائفة كبيرة منهم من غرناطة تبلغ عشرة آلاف مع جيس ألفونس الأول ملك أرغون إبان حملته سنة ١١٢٥م (الموافق ٥١٩هـ) التى اجتاح فيها بلاد الإسلام حتى أدرك قرطبة وإشبيلية. وخرجت طائفة أخرى من إشبيلية إلى قشتالة سنة ١١٤٦م (الموافق ٥٤١هـ). وكان من شأن هذه الهجرات وأمثالها انتشار الثقافة الإسلامية والعربية بين أهل الشمال من المسيحيين[١].

وقد أهلت معرفة المستعربين باللغتين العربية واللاتينية أن يقوموا بدور المترجمين والسفراء بين حكام الأندلس وبين نصارى الشمال. ويذكر "جنثالث بالنثيا" فى هذا الصدد أن الأسقف "**ريكيموندو**" "أو/ **رسيسموند** Recismundo" الذى يسميه العرب "**ربيع بن زيد الأسقف**" كان سفيرا لعبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) لدى "هوتو - Otto" إمبراطور ألمانيا[٢]. ولا شك فى أن هذه السفارات كانت إحدى القنوات التى عبرت من خلالها الثقافة العربية والإسلامية إلى إسبانيا النصرانية.

وهذا الأسقف **ربيع بن زيد القرطبى** - صنف كتابا فى الفلك بعنوان "**تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان**" قال عنه ابن سعيد الأندلسى: «ذكر فيه من منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه»[٣]، ويبدو لنا أن هذا الكتاب كتب باللغة العربية، لأن ابن سعيد ذكره فى سياق سرده للكتب التى صنفها أهل الأندلس فى شتى العلوم. ويعتقد جنثالث بالنثيا أنه ترجم إلى اللاتينية، ويظن الذى ترجمه هوجيرادو الكريمونى[٤] الذى كان له دور كبير فى ترجمة كثير من الكتب العربية (فى الطب والفلسفة ... الخ) إلى اللغة اللاتينية. وسيأتى الحديث عنه فى موضع لاحق إن شاء الله[٥].

إن هذا الكتاب يعد واحدا من الأدلة التى تؤكد على الدور الذى قام به المستعربون فى نقل الثقافة العربية والإسلامية إلى الثقافة الأوربية، وفى وقت مبكر.

---

١) د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا ص ٣٠ - ٣١. وراجع د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ١٣٢.

٢) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٤٨٧. ويذكر ابن سعيد فى تذييله على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس أن الأسقف المذكور كان مختصا بالخليفة المستنصر ابن الناصر، بخلاف ما يذهب إليه آنخل جنثالث بالنثيا من أنه كان فى خدمة الناصر (راجع نفح الطيب للمقرى ١٨٦/٣).

٣) نفح الطيب للمقرى ١٨٦/٣.

٤) تاريخ الفكر الأندلسى ص ٨٧.

٥) راجع عنه (ص ٩٧٦).

ويوجد كتاب هام لأحد المستعربين يدل على وجود هذا التأثير وهو كتاب **"ملحمة السيد** (La Poema del cid) الملقب بالقنبيطور (أو/ قميطور) (أو الكنبيطور) ومعناه يساوى كلمة "المبارز" العربية. واسمه الحقيقى "رودريجو دياث دى بيبار – Rodrigo Duiz de vivar". ويذهب الدكتور الطاهر مكى فى دراسته لهذه الملحمة إلى أنها تأثرت بالثقافة العربية لا فى حدود الألفاظ والتعابير اللغوية وحدها وإنما أيضا فى النظم والتقاليد الإسلامية كتقسيم الغنائم وفقا للشريعة الإسلامية وطريقة القتال ودفع الدية فى حالات القتل الخطأ وغير ذلك من مظاهر الحضارة الإسلامية، إضافة إلى ما فى بعض قصص هذه الملحمة مما هو من أصل عربى أكيد، كما فى قصص "ألف ليلة وليلة" وغيرها من الحكايات الشعبية[١].

والسيد نفسه – صاحب هذه الملحمة أفرد له ابن بسام فى "الذخيرة" صفحات، ومما ذكره عنه أنه كانت «تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب (ابن أبى صفرة) استخفه الطرب وطفق يعجب منها ويتعجب»[٢].

وقد كان للمستعربين إسهام فى نقل علوم الرياضيات إلى إسبانيا النصرانية، فالأعداد الهندية التى وضع قواعدها محمد بن موسى الخوارزمى البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)[٣]، وصلت إلى الأندلس فى القرن الثالث الهجرى وعرفها القديس "إيولوخيو القرطبى Euloguis" (المتوفى ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، كما تبين من مخطوطات مختلفة وجدت فى أوبيط (Oviedo) عام ٢٧١هـ/ ٨٨٤م،وهى محفوظة اليوم فى مكتبة الأوسكوريال كما يقول جوان فيرنيه (Juan Vernet)[٤]. وهذا الباحث يرى أن إسهام المسلمين العلمى انتقل إلى الغرب خلال فترتين محددتين، الأولى منهما فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى، وترجع إلى الترجمات التى اضطلع بها المستعربون فى الأديرة، مثل دير ريبول (Ripoll) فى قطالونية، وفى مدينة برشلونة[٥].

هذا وقد اهتم الباحث الإسبانى "خوسيه ماريا مياس بييكروسا José Marias Vallicrosa"

---

١) راجع د. الطاهر أحمد مكى: ملحمة السيد (تقديم ودراسة وترجمة) ص ١٨٣ – ١٩٤ (دار المعارف – الطبعة الثالثة ١٩٨٣م).

٢) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ص ١٠٠ (تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ١٩٧٩م).

٣) راجع عن دور الخوارزمى فى هذا (ص ٣٧١) من القسم الأول.

٤) جوان فيرنيه: الرياضيات والفلك والبصريات (بحث بكتاب : "تراث الإسلام") الجزء الثانى ص ٣٠٢ (سلسلة عالم المعرفة – الكويت – رقم (١٢) ١٩٨٨م).

٥) جوان فيرنيه: المرجع السابق ص ٣٤٦.

بدراسة اهتمام المستعربين فى الأندلس بالعلم، وأوضح أن الثقافة اللاتينية كانت حتى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى بعيدة عن النشاط العلمى فى الأندلس، ولم يكن لأصحابها علم واسع بالحساب أو الرياضة كالعرب، وما كانوا يعرفونه فى هذا المجال لا يعدو إلا أن يكون جهودا أولية بجانب ما ظهرعند مسلمى الأندلس فى ذلك الوقت، ولذلك فليس من الغريب أن يحمل مستعربو الأندلس هذا العلم إلى ممالك أرغونة وليون وكونتية برشلونة[١].

ثانيا: اليهود:

أما اليهود فقد كان نشاطهم مؤثرا وكبيرا فى نقل التأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى جميع مجالات الحياة، سواء كانت اجتماعية أم اقتصادية أم ثقافية، وذلك لأنهم كانوا يجيدون - بالإضافة إلى اللغة العبرية - اللغتين العربية واللاتينية. وكان منهم التجار والحرفيون والمترجمون وشاركوا فى مناصب الدولة فكان منهم الوزراء والكتاب والسفراء، ونبغ عدد كبير منهم فى الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والموسيقى[٢].

كان اليهود يؤثرون الإقامة فى المدن الأندلسية وفى أحياء مستقلة، مثل غرناطة التى دعيت بغرناطة اليهود، لأنهم نزلوا بها بأعداد وفيرة[٣]، وفى الثغر الأعلى كانت روطة (Rueda) تدعى بروطة اليهود. وفى إشبيلية أيضا كان عددهم وافرا[٤]. أما أكبر مراكز الانتشار اليهودى فى الأندلس، فقد كان فى مدينة اليسانة (Lucena) قرب حصن قبرة فى الجنوب، اختصت بهم وحدهم لا يخالطهم المسلمون[٥].

---

١) Jose Millas Vallicrosa: El quebacer astronomico de la Espana Arabe, en Revistadel Instituo Egipcio de Madrid, V., S. 1957, PP. 312. نشاط الدراسات الفلكية فى (إسبانيا العربية) - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس (١٩٥٧م/١٣٧٧هـ) ص ٣١٢.

٢) راجع: طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٧ - ٩٠، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٢/٤٤١-٤٤٤، (باب: العلوم فى بنى إسرائيل).

٣) الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٣ (تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م).

٤) راجع العذرى: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك - ص ١٠٢، تحقيق عبد العزيز الأهوانى - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (١٩٦٥م) - ص ١٠٢.

٥) راجع : د. عبادة كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس ص ٤٦.

وقد دفع الصراع العسكرى بين الأسبان والمسلمين فى عصر المرابطين (٤٨٤-٥٢٠هـ) والموحدين (٥٢٠-٦٢٠هـ) وما سلكه كثير من اليهود من مسلك ينافى ما لاقوه من حسن المعاملة من قبل المسلمين واشتراك بعضهم فى التجسس على المسلمين لصالح الدولة النصرانية - دفع الموحدين إلى التشدد فى معاملتهم ومراقبة سلوكهم، وقامت بعض الانتفاضات ضدهم فى إشبيلية وغرناطة[١] ، مما أجبر هؤلاء على الخروج من الأندلس إلى المشرق أو فرنسا وغيرها من الدول الأوربية. وعندما سقطت قرطبة وإشبيلية فى أيدى النصارى؛ اتجه بعض اليهود - وكثير منهم أطباء ورياضيون — إلى إيطاليا وجنوب فرنسا، حيث أسهموا بجهود كبيرة فى تقدم الدراسات الطبية بالجامعات الأوربية التى كانت فى طور النشأة[٢].

وقد نزل جماعة من اليهود ببلاط وليم النورماندى فى إنجلترا (عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م) فاحتفى بوجودهم، وكان لهم إسهام بارز فى إنشاء مدرسة اكسفورد، حيث سخروا علومهم ومعارفهم التى اقتبسوها من مسلمى الأندلس فى تنظيم المناهج والدروس العلمية فى تلك المدرسة. وفى هذه المدرسة تلقى "روجر بيكون" الثقافة العربية ونهل من علوم العرب التى أهدته إلى أهمية المنهج التجريبى فى العلوم[٣].

أما عن أبرز مترجمى اليهود فى إسبانيا فيأتى فى مقدمتهم - فى القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى - أبراهام برحيا هانسى" الذى ظهر فى برشلونة، وأسهمت ترجماته وتآليفه فى نقل التراث العلمى العربى إلى أوربا[٤]. ونبغ منهم أيضا فى ميدان الترجمة "إبراهيم ابن عزرا" الذى ولد فى طليطلة (٤٩١هـ/١٩٧م) ترجم شرح أحمد بن المثنى بن عبد الكريم

---

١) راجع تفاصيل هذه الحوادث فى الذخيرة لابن بسام القسم الأول، الجزء الأول ص ٣٦٣ - ٣٦٤ (نقلا عن ابن حيان) ، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ١١٥/٢، وراجع ما كتبه "إميليو غرسيه غومث" عن قصيدة أبى إسحق الإلبيرى فى مناهضة اليهود، وتوجه بها إلى بربر صنهاجة يحرضهم على اليهودى يوسف ابن التعرلة وزير الملك ابن باديس - راجع كتابه "مع شعراء الأندلس والمتنبى - سير ودراسات" - ترجمة د. الطاهر مكى - ص ٩٧ (دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣م).

٢) د. سعد عبد الله البشرى: ترجمة الكتب العربية فى إسبانيا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين - بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى - السنة الأولى العدد الثانى ١٤٠٩هـ / ص ١١٤. وراجع : بريفالت: أثر الثقافة الإسلامية فى تكوين الإنسانية ص ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ (ترجمة وتعليق أحمد الحسينى).

٣) روبرت بريفالت: المرجع السابق ص ١٥٢ - ١٥٣، وراجع عن وليم النورماندى كتاب "تاريخ أوربا فى العصور الوسطى" لسعيد عاشور ص ١٩٢ (مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٠م).

٤) راجع: مونتجمرى وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٥٢ - ٥٣.

على "زيج" محمد بن موسى الخوارزمى/البغدادى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥١م). وألف رسالة فى الحساب يعرض فيها كيفية العمل بالأرقام العربية والصفر[١].

وبرز منهم فى القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى: "يعقوب بن أبا مارى" وكان أول من ترجم كتب ابن رشد (المتوفى ٥٩٥هـ/١١٩٨م) إلى العبرية[٢]. و"موسى بن طبون" الذى ترجم (٣٠) كتابا من العربية إلى العبرية فى مرسيليا (٦٣٨-٦٨٢هـ/ ١٢٤٠ -١٢٨٣م) من أهمها: كتاب "الأصول" - فى الهندسة - لأوقليدس و"القانون" و"أرجوزة فى الحميات" لابن سينا (ت ٤٢٨هـ) و"الترياق" للرازى (بغدادى/ت ٣٢٠هـ)، وثلاثة مؤلفات لابن ميمون (أندلسى/ ت ٦٠٠هـ)، الشروح الصغرى على كتب أرسطو، لابن رشد (أندلسى/ ت٥٩٥هـ) و"زاد المسافر" لابن الجزار (قيروانى/ت٣٦٩هـ)، و"العمل بالكرة ذات الكرسى" لقسطا بن لوقا (بغدادى/ت ق٤هـ)، وكتاب الزرقالى (أندلسى/ ت ٤٨٠هـ) فى العمل بالصفيحة، وكتاب ابن الهيثم (بصرى/ت٤٣٠هـ) فى هيئة العالم، وكتاب ابن الصفار (أندلسى/ت ق٥هـ) فى العمل بالاسطرلاب، وغير ذلك من الكتب[٣].

ومن مشاهير المترجمين اليهود: "موسى الأربوبى"، و"ليفى بن جرسون" (٦٨٦-٧٤٤ هـ/١٢٨٨-١٣٤٤م)[٤]. **و"يهوذا بن سلمان الحريزى".** وهذا الأخير ولد بالأندلس، ثم ارتحل إلى شمالها، حيث توفر على دراسة الثقافة العربية، ثم نبغ فى ميدان الترجمة، ونشط فى ترجمة كثير من الكتب العربية إلى العبرية، فكان يتجول فى شمال إسبانيا وجنوب فرنسا، فترجم "مقامات" الحريرى (بصرى/ت٥١٥هـ) من العربية إلى العبرية، و"أدب الفلاسفة" لإسحق بن حنين (بغدادى/ ت ٢٩٨هـ) و"دلالةالحائرين" لموسى بن ميمون (أندلسى ت ٦٠٠هـ)[٥].

---

١) ألدوميلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٣٨٤ - ٣٨٦، محمد سويسى: انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ص ٢٨.

٢) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٥٠٣.

٣) العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى - تأليف ألدوميلى ص ٤٦٦ - ٤٦٧، نجيب العقيقى : المستشرقون ج ١ ص ٩٥، د. سعد عبد الله البشرى : ترجمة الكتب العربية فى إسبانيا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/مجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى، العدد الثانى (١٤٠٩هـ)-ص ١٢١ - ١٢٢.

٤) جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٥٠٣.

٥) محمد بحر عبد الحميد: اليهود فى الأندلس ص ٩٢-٩٣ (الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٠م).

ويجب أن نذكر هنا ملاحظتين على درجة كبيرة من الأهمية:

الأولى: أن اليهود ترجموا كثيرا من الكتب العربية إلى لغتهم العبرية التى كان الغربيون أعرف بها، ثم نقلت بعض أعمالهم إلى اللاتينية نظرا لصلاتهم القوية بالعلماء المسيحيين فى أوربا[١].

والثانية: لم يكن لليهود حضارة خاصة بهم، فهم حين نبغوا إنما نبغوا فى ظل الإسلام وبدفع من حيويته. وتراثهم العلمى إنما هو ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية التى تغذوا بها ونهلوا من معينها. ولما توارى هذا النبع من الأندلس نضبت معه العقليات العبرية و لم تظهر إلا فى ظل حركات أخرى[٢].

والمقصود أن اليهود أدوا دورهم فى نقل التأثيرات الحضارية بين مسلمى الأندلس ونصارى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا، وكانوا حلقة من حلقات الاتصال بين الجانبين.

ثالثا: المدجنون (Mudejanes):

ولا يمكن تصور التأثير الإسلامى فى إسبانيا النصرانية إلا بمعرفة الدور الذى قامت به الجماعات الإسلامية فى البيئة المسيحية، فقد مثلت صورة حية للإسلام بنظمه وتقاليده وثقافته.

وقد أطلق على تلك الجماعات التى كانت تعيش فى حماية الدولة المسيحية نتيجة لحروب الاسترداد المستمرة اسم "المدجنين" وهم المسلمون الذين أقاموا فى الأراضى المستردة[٣]. «وقد عومل هؤلاء فى البداية معاملة جيدة بصفة عامة حسب معاهدات السلام مراعاة للظروف السياسية والاقتصادية التى جعلت من الأفضل عمل حساب لهؤلاء المسلمين المدجنين بسبب الحاجة إلى السكان وإلى العمال الزراعيين، و لم يبدأ التضييق عليهم بشكل واضح إلا عقب موقعة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م فى نهاية عصر الطوائف[٤]، وبعد أن أصبح الصراع بين الأندلس الإسلامية وبين نصارى إسبانيا الشمالية صراع حياة أو موت وأصبحت الحرب

---

١) مونتجمرى وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٧.

٢) د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا ص ٣٤.

٣) لفظ "الدجن" أخذ من قولهم دجن بالمكان يدجن دجونا، يعنى أقام فيه وألفه "لسان العرب" دجن.

٤) الزلاقة من إقليم بطليوس إحدى المعارك الكبرى التى انتصر فيها المسلمون (بقيادة المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، مستعينا بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين بالمغرب) على نصارى الإسبان بقيادة ألفونسو السادس (راجع بيان المغرب لابن عذارى المراكشى ٤/١٣٠ - ١٤٠، المسلمون فى الأندلس - تأليف رينهرت دوزى، ترجمة د. حسن حبشى ج ٣ ص ١٢٥ وما بعدها).

بينهما حرب إفناء»[١]. ولا يعنينا التاريخ السياسى لهؤلاء المدجنين الذين بقوا نحوا من ثلاثمائة عام فى المجتمع المسيحى وإنما الذى يعنينا أنهم - سواء طالت إقامتهم فى المدن المستردة أم قصرت - «كانوا من قنوات الاتصال بين الحضارة الإسلامية الزاهرة فى الأندلس وبين إسبانيا النصرانية المتخلفة، وكان لهم تأثير كبير فى الحياة هناك منذ نهاية القرن الثالث الهجرى عندما استولى ألفونس الثالث على المدن الإسلامية التى تقع شمال وادى دويرة، وكانوا يؤلفون اليد العاملة فيها، وازداد نشاطهم وضوحا فى القرن الخامس الهجرى، ووفد على علمائهم - وخاصة فى طليطلة - طلاب العلم من أنحاء إسبانيا وأوربا لينهلوا من الثقافة الإسلامية التى ترجمت إلى اللاتينية وما تفرع عنها من اللهجات الإسبانية»[٢].

وإذا تركنا جانبا الآثار الفنية التى تركها المدجنون فى الأعمال المعمارية التى عهدت إليهم فى الممالك النصرانية التى استقروا بها، وإذا تركنا أيضا الحياة العامة التى ضربوا فيها بسهم وافر فى أوجه النشاط المختلفة من تجارة أو زراعة أو صناعة فإن الأثر الثقافى الذى خلفوه ترك بصمات لا تمحى فى التراث المسيحى، «وكان القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) من القرون الخصبة فى حياة المدجنين الثقافية والأدبية، وتحتفظ مكتبة دير الأوسكوريال بعدد من المخطوطات التى كتبت فى طليطلة وإشبيلية ووادى الحجارة وقرطبة وغيرها يرجع أقدمها عهدا إلى سنة ١٢٩٤م (الموافق ٦٩٤هـ) وأحدثها إلى سنة ١٤٦٥م (الموافق ٨٧٠هـ)، ومعظم هذه الكتب فى الطب والعلوم، ومن أهمها كتاب لأبى عبد الله محمد الرياضى، خالف فيه بطليموس فى بعض ما ذهب إليه.

وفى هذه الحقبة بالذات نقل "دون خوان مانويل" فى كتبه كثيرا من الاثار والأخبار الواردة فى الكتب العربية التى كانت وقتئذ فى مرسية وإشبيلية ككتاب "المسهب" للحجارى، وكتاب "المغرب" لابن سعيد»[٣].

ومن المظاهر الثقافية التى تشير إلى دور المسلمين الذين استقروا فى مدينة مرسية بعد استيلاء النصارى عليها - كحلقة من حلقات الاتصال بين الحضارة الإسلامية المزدهرة فى الأندلس وإسبانيا النصرانية - ما ذكره الونشريشى فى كتابه "المعيار المعرب" استنادا إلى كتاب

---

١) د. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ص ٤١٦.

٢) د. رجب محمد عبد الحليم: المرجع نفسه ص ٤١٧ - ٤١٨. وراجع د. السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ص ١٧٥ (تحت عنوان: مسجد المدجنين فى طليطلة).

٣) د. لطفى عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا ص ١٧١.

"الرسائل والوسائل" لأبى على الحسن بن رشيق المرسى الأندلسى (كان حيا فى عام ٦٧٤ هـ/١٢٧٥م) عن مناظرة بين هذا الأخير وقسيس ورد على مدينة مرسية حول معجزة القرآن الكريم، ويشير هذا النص بالذات إلى أن هذا القسيس جاء إلى المدينة ضمن وفد من الرهبان والقسس، أرسلوا من قبل ملك النصارى للانقطاع للعبادة والاطلاع على علوم المسلمين وترجمتها والحرص على مناظرة المسلمين[١]. وكان هذا شأن النصارى مع المسلمين فى بقية المناطق التى سيطروا عليها من بلاد الأندلس، مثل قرطبة وغيرها.

وإذا كان المستعربون واليهود أداة الاتصال بين الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية الإسبانية - أو بتعبير آخر كانوا هم الذين دفعوا حركة الاستعراب دفعا إلى الشمال الإسبانى - فإن المدن التى سقطت فى يد نصارى الإسبان، مثل طلمنكة وطليطلة وبرشلونة وغيرها بقيت مدنا تعيش فيها اللغة العربية التى كان يتكلمها المدجنون لعدة قرون بعد سقوط تلك المدن، وكان هناك من علمائها وأدبائها من فضلوا البقاء فيها ربما للحفاظ على أملاكهم وعقاراتهم وعدم التخلى عنها.

وقد التزمت كتب الطبقات الصمت عن ذكر هؤلاء العلماء إلا فى القليل النادر جدا، لأن تلك المدن لم تعد ديار إسلام. ولم نعثر فى طليطلة مثلا إلا على ترجمة اثنين من علمائها أقاموا بها بعد سقوطها فى يد ألفونسو السادس عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.

أولهما: أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصارى. له كتاب فى تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها، نقل عنه ابن بشكوال فى "الصلة"، وقال عنه ابن مطاهر: «توفى بطليطلة أيام النصارى سنة ٤٨٩هـ»[٢]. أى بعد سقوطها فى يد النصارى بإحدى عشرة سنة.

والثانى: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جماهر الحجرى، من أهل طليطلة، وكانت له رحلة إلى الحج سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، وسمع العلم بمكة ومصر، ثم عاد إلى وطنه، وبقى فى طليطلة إلى أن توفى بها (عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) أيام حكم النصارى لها[٣].

ومن هذا نفهم أنه لم يكن هناك مانع من عودة المسلمين إلى البلاد التى استردها نصارى الشمال إذا ما خرجوا منها للحج أو لسبب آخر، وظل هؤلاء يعيشون بين ظهرانى

---

١) الونشريشى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ج ١١ ص ١٥٥ - ١٥٨ (أخرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد الحجى، بيروت، دار الغرب الإسلامى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.)

٢) الصلة لابن بشكوال ص ٧٠.

٣) الصلة لابن بشكوال ص ٥١٦.

النصارى، وسموا بالمدجنين كما قلنا، وكانوا عاملا ورافدا أو قناة من قنوات الاتصال بين الثقافة الإسلامية المتفوقة والثقافة المسيحية الإسبانية الناشئة.

وإذا كانت هناك مدينة من مدن إسبانيا النصرانية تنافس طليطلة فى الأثر الثقافى الذى خلفه المدجنون فهى مدينة مرسية، فقد أذكى فيها ألفونسو العاشر الذى تولى العرش سنة ١٢٥٣م (الموافق ٦٥١هـ) الحركة الثقافية، وجمع حوله طائفة من علماء المسلمين والمسيحيين واليهود ليترجموا الكتب العربية إلى الإسبانية أو ينقلوا عنها، وفى السنة الثالثة من اعتلائه العرش، وهى سنة ١٢٥٥م أمر بإنشاء حلقة للدراسات العربية واللاتينية يقوم بالبحث فيها أساتذة فى المنطق والرياضيات وغيرها من فنون المعرفة، وأنشأ فى مرسية مدرسة عهد فيها إلى محمد بن أحمد بن أبى بكر الرقوطى المرسى بتدريس العلوم المختلفة للمسلمين واليهود والنصارى[١] .

وقد قام "ألفونسو الحكيم" - المشار إليه - بدور هام فى تنشيط حركة الترجمة التى كان لها أثر كبير فى تعريف أوربا بإنتاج العرب والمسلمين. وسنقف عند جهوده فى هذا المجال فى سياق الحديث عن أثر حركة الترجمة فى تعريف أوربا بالتراث العلمى للحضارة الإسلامية[٢].

رابعا : الوفود والسفارات:

ومن المجمع عليه فى حقل الدراسات الأندلسية أن الأندلس فى عهد الخلافة فى القرن الرابع الهجرى [عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠) وولده المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) والحاجب المنصور بن أبى عامر] بلغت من القوة السياسية والرقى الحضارى فى كل ميدان شأوا بعيدا وقمة عالية، وأصبحت الأمم والدول الأوربية تخطب ودها وتسعى لصداقتها.

وقد كان هذا العصر من أحفل العصور بالعلاقات بين المسلمين فى الأندلس وبين الممالك والدول الأوربية، فكان ثمة معاهدات سياسية وسفارات ووفود بين قرطبة ومعظم هذه الدول التى توالت وفودها إليها، ينشدون الصداقة والمودة والحلف، ويلتمسون المفاوضة فى شتى الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية. وفى هذا يقول المقرى: «ذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك الناصر بالأندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنتها ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة، راغبة، وانصرفت عنه

---

١) د. لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ص ١٧١.

٢) راجع عن ذلك ما يأتى (ص ٩٨١).

راضية، ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى، فإنه هاداه ورغب فى موادعته»[١]. ويقول المقرى أيضا: «ومدت إليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان، وأوفدوا إليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن من مرضاته، ووصل إلى سدته ملوك الجلالقة من أهل جزيرة الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما إليها من الثغور الجوفية، فقبلوا يده، والتمسوا رضاه، واحتقبوا جوائزه، وامتطوا مركبه»[٢].

وقد تمثلت عظمة قرطبة كحاضرة للخلافة الأموية فى الأندلس فى تلك الاحتفالات العظيمة التى كانت تقام لاستقبال السفراء الأجانب، وتتجلى فيها مظاهر الأبهة والترف والعظمة التى تبهر هؤلاء السفراء فيتحدثون بذلك، ويظهرون إعجابهم ودهشتهم، وينقلونه إلى ملوكهم[٣].

ولم تكن قرطبة ملاذا لملوك أوربا وأمرائها ونبلائها لغرض عقد المعاهدات السياسية والمفاوضات الدبلوماسية فقط، وإنما كانت ملجأ لهم إذا ما عن لهم الاستشفاء من مرض خطير أو أرادوا إجراء عمليات جراحية صعبة. وقد وفد إليها "شانجه" ملك ليون لمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطبائها، وذلك عام ٣٤٧هـ/٩٥٩م[٤]. كما وفد إليها الراهب "جلبرت" الذى أصبح فيما بعد "البابا سلفستر الثانى" بطلب تعلم العلوم الطبيعية والرياضة. وأمضى فى ذلك ثلاث سنوات (٣٥٦-٣٥٩هـ/٩٦٧-٩٧٠م)، ثم عاد إلى بلده روما، وتولى كرسى البابوية فى حدود عام (٣٩٠هـ/٩٩٩م) ودعى بالبابا الفيلسوف، وأصبح مصدر إعجاب لثقافته وإسهامه فى تعريف أوربا بعلوم الرياضيات

---

١) نفح الطيب للمقرى ٣٦٦/١، أزهار الرياض ٢٥٨/٢.

٢) نفح الطيب ٣٥٤/١. وراجع ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢٩٩/٤ (ط بولاق ١٢٨٤هـ).

٣) عن الوفود والسفارات التى كانت تصل إلى الأندلس ممثلة للممالك والدول الأوربية راجع: نفح الطيب ٣٤٦/١، ٣٥٤، ٣٦٤-٣٧١، ص ٣٨٢ - ٣٨٥. ومن أحسن ما كتب حديثا فى هذا الموضوع: (السفارات بين الأندلس والدول الأجنبية فى العصر الأموى) للدكتور حسين يوسف دويدار (مطبعة الحسين الإسلامية،/ القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع - للدكتور عبد الرحمن الحجى - مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد (٢٢) - ١٩٨٣م/١٩٨٤م) (ص ٥٣-٩١).

٤) تركى هزاع البركاتى: علاقات الأندلس الخارجية إبان خلافتى الناصر والمستنصر رسالة ماجيستير ص ٢٢٠، كلية الآداب ، جامعة عين شمس (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)..

والحساب والفلك[١]. ووجه شانجه "شانشو" الثالث ملك (نبرة) (٣٩١-٤٢٦هـ/ ١٠٠٠-١٠٣٥م) رسالة إلى قرطبة لجلب بعض علماء المسلمين لتعليم ابنه وولى عهده، فأرسلت له قرطبة اثنين من علمائها قاما على تربيته وتهذيبه[٢]. **ويذكر أستاذنا الدكتور أحمد شلبى فى كتابه " العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى"** أن ملك إنجلترا جورج الثانى أرسل إلى الخليفة هشام يستأذنه فى قبول مجموعة مختارة من رعاياه لتحصيل العلوم بقرطبة[٣] .

وعلى الجملة فقد كانت الوفود التى تصل إلى قرطبة من قنوات التأثير فى ثقافة أوربا خلال القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى، ذلك التأثير الذى اتسعت دائرته منذ أن بدأت بعض المدن الأندلسية فى الدخول تحت حكم النصارى الإسبان خلال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وما بعده.

تعقيب: تلك هى أهم القنوات التى نفذت من خلالها العلوم والثقافة العربية والإسلامية إلى أوربا عن طريق الأندلس الإسلامية (وإسبانيا النصرانية). ولا شك فى أن هناك قنوات أخرى متعددة ومؤثرة، كالتجارة والحروب ذاتها وما ينتج عنها من الرهائن والسبى، وكذلك الزواج المختلط والمحالفات السياسية والعسكرية. ولابد أن يكون لهذه القنوات من دور فعال فى نقل الكثير من المؤثرات الحضارية، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نظم عسكرية وإدارية.

لكن الترجمة كانت هى السبيل الطبيعى والمعبر الرئيسى الذى تحقق من خلاله نقل العلوم العربية والإسلامية إلى الأوربيين على أرض الأندلس. ولذا سنفردها بالحديث فى الصفحات التالية.

***

---

١) Ramon Menendez Pidad: Espana Y La introducion de la ciencia arabe, en Reviota del Instatuto Egipcio de madrid, V 3., 1955, p. 13 .وراجع : تاريخ النصارى فى الأندلس للدكتور عبادة كحيلة ص ١١٩، الحضارة الإسلامية فى الأندلس، للدكتور عبد الرحمن الحجى ص ٣٥.

٢) د. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ص ٤٠٨.

٣) د. أحمد شلبى:العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى ص ٨٥-٨٦ (الجزء التاسع موسوعة الحضارة الإسلامية . وراجع له كتاب : صراع الحضارات ص ٤٣).

الفصل الثانى

أثر الترجمة فى تعريف أوربا بالتراث العلمى العربى والإسلامى عن طريق الأندلس الإسلامية/وإسبانيا النصرانية

مدخل: ولا يمكن تحديد الاستفادة التى جناها الغرب الأوربى من اطلاعه على التراث الإسلامى إلا بإلقاء الضوء على حركة الترجمة التى ازدهرت فى الأندلس ما بين القرن الحادى عشر الميلادى والرابع عشر، وتتبع أعمال الناقلين للمعارف الإسلامية.

وقد كان للترجمة أثر كبير فى تعريف أوربا بإنتاج المسلمين، فهى السبيل الطبيعى للأوربيين لتحقيق نقل العلوم العربية والإسلامية إليهم، وكان نجاحهم فيها يتميز بالشمولية، ولا نحسب كتابا عربيا ذا قيمة لم يترجمه المترجمون الأوربيون، ولا سيما فى القرن الثالث عشر الميلادى. «ولم تخل حركة الترجمة هذه من عيوب لكثرة ما فيها من التراجم المزدوجة، حيث كانت الكتب تنقل إلى لغة قشتالة (الإسبانية القديمة) ، ومنها إلى اللاتينية، وكان بعض المترجمين قليلى العلم بموضوع الكتب التى ينقلونها... ومن العجيب أننا لا نرى خلطا كهذا فى ترجمات حنين بن إسحق العبادى وغيره فى بغداد، وإن كان قد وقع بعض الخلط والغموض فى الترجمة من اليونانية إلى السريانية، ثم منها إلى العربية. وقد نغفر للغربيين مثل هذه الأخطاء، فإن عملهم كان كبيرا ،والعلوم التى نقلوها كانت متنوعة جدا»[1].

وإذا كانت حركة الترجمة هى السبيل الوحيد الذى تمكن العرب والمسلمون بواسطته من الاطلاع على علوم ومعارف الأقوام الأخرى - كاليونان والفرس والهنود - فإنها أيضا كانت السبيل ذاته الذى عرف الأوربيون من خلاله مدى ما حققه العرب والمسلمون فى نهضتهم العلمية.

---

١) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية - ص ٢٦٥ (إشراف مركز تبادل القيم الثقافية، بالتعاون مع منظمة (يونسكو) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

المبادرات الأولى:

وقد استهلت حركة الترجمة منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ببعض المبادرات، كان من أبرزها أعمال "جربرت أورلياك" (Gerbert) (٣٢٧-٣٩٤/٩٣٨-١٠٠٣م) **بابا روما، الذى عرف بـ "البابا سلفستر الثانى"**. كانت له رحلة إلى الأندلس، حيث قصدها فى شبابه فنهل من علوم المسلمين وثقافتهم فى قرطبة وإشبيلية، وكان التأثير الذى تلقاه من العلم العربى عميقا، وعلى الأخص فيما يتعلق بالرياضيات. وقد عاد إلى روما كأول سفير للعلم العربى فيها، فأدهش الناس بما حمله إليهم من علوم الفلك والرياضيات، ثم علت مكانته بين رجال الدين المسيحى، فانتخبوه لمنصب البابوية، وأمر بإنشاء مدرستين عربيتين فى روما مقر إقامته، وفى "رايمس Reims" بفرنسا، ثم أمر بإنشاء مدرسة "شارتر". وقد عزى إليه نشر الأرقام العربية فى أوربا، كما نسب إليه ترجمة بعض الكتب الرياضية والفلكية "كالزيج المنصورى"، كما أن له دراسة باللغة العربية على كتاب أوقليدس فى الهندسة[1].

طلائع المترجمين الذين سبقوا مدرسة طليطلة فى ميدان الترجمة:

وفيما يتصل بطلائع المترجمين الذين ظهروا قبل تألق مدرسة المترجمين فى طليطلة فقد كان نشاطهم متركزا فى المنطقة الشمالية الشرقية من إسبانيا، التى تضم سرقسطة وما حولها من المناطق الشرقية الشمالية، فقد ظهر فيها عدد من المترجمين، نذكر منهم "اوغودى سانتالا" الذى نزل سرقسطة بين عامى (٥٠١-٥١٣هـ/١١٠٧-١١١٩م)، حيث عكف على ترجمة عدد من الكتب العربية فى الطب والفلك والكيمياء، وذلك بتشجيع من القس "ميخائيل الطرازونى، وكان هذا الأخير مولعا بالتراث العلمى لعلماء المسلمين، وقد أهداه

---

١) نجيب العقيقى: المستشرقون ج ص ١٠٩ - ١١٠ (دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٩٦٤م، ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٤٥٤ - ٤٥٥، جلال مظهر: مآثر العرب على الحضارة الأوربية ص ٧٢ - ٧٤ (مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٠م، روبرت بريفالت: أثر الثقافة الإسلامية فى تكوين الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٤٦، خوسيه ماريا مياس : نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس - بحث منشور بالإسبانية فى مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) ص ٣١٣ من الملخص العربى.

Ramon Menendez Pidal: Espana Y La introducion de la ciencia arabe, en Revista del Instituto Egipcio de madrid, V 3., 1955, p. 13 .

"أوغودى" ما ترجمه من الكتب العربية، ومنها كتاب "الأحوال الجوية" لأبى معشر (المتوفى ٢٧٢هـ/٨٨٥م) - وهو من علماء بغداد فى الفلسفة والفلك[١]. وترجم أيضاً كتاب "المواليد الكبير" لما شاء الله، وكتاب (شرح ابن المثنى على زيج الخوارزمى/البغدادى/المتوفى ٢٣٩هـ/٨٥١)[٢].

وفى المنطقة المذكورة برز **"أفلاطون التيفولى"** الذى ذاع صيته فى ميدان الترجمة بين سنتى (٥٢٩-٥٤٩هـ/١١٣٤-١١٥٤م)، وهو من أوائل المترجمين الذين أسهموا فى تعريف الغرب بجهود المسلمين العلمية، وقد ترجم رسالة ابن الصفار (أندلسى/ توفى ق٥ هـ) فى "الاسطرلاب" و"علم النجوم" للبتانى (بغدادى/ ت ٣١٧هـ)، والنسخة العربية من كتاب الحساب لبطليموس، وغير ذلك من الكتب فى الفلك والرياضيات[٣].

وظهر فى نفس المنطقة - منطقة الشمال الشرقى من إسبانيا - مترجمون آخرون اشتهروا بترجمة الكتب العربية فى مختلف العلوم التطبيقية، مثل **هرمان الدلماطى (المتوفى٥٦٨هـ/١١٧٢م)**، الذى ينسب إليه ترجمة عدد من الكتب الطبية والفلكية العربية إلى اللاتينية. وتلميذه **"رودولف أوف برجس"** الذى ترجم شروح مسلمة المجريطى (أندلسى/ت ٣٩٨هـ) على النظام الرياضى لبطليموس، و**"روبرت أوف تشستر"** الذى ذاعت شهرته بين سنتى (٥٣٦-٥٤٣هـ/١١٤١-١١٤٨م) ونجح فى إدخال علم حساب المثلثات إلى إنجلترا عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م، ونقل معلومات هامة عن نظريات البتانى (بغدادى/ت٣١٧هـ) والزَّرقالى (أندلسى/ت ٤٨٠هـ) فى الرياضيات، وعدَّل أزياج الخوارزمى (بغدادى/ت٢٣٦هـ) لتنطبق على خط الزوال فى لندن عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م[٤].

---

١) راجع ما كتبناه عن أبى معشر (ص ٣١٧، ٣٤٩).

٢) د. محمد سويسى: انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب (بحث نشرته المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) تونس ص ٢٥، نجيب العقيقى: المستشرقون ١/١٢١، مونتجمرى وت: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٤ (دار الشروق ، بيروت ١٩٨٣م - ترجمة حسين أحمد أمين).

٣) نجيب العقيقى: المستشرقون ١/١١٤، مونتجمرى وت: المرجع السابق ص ٨٥، محمد سويسى: المرجع السابق ص ٣٠-٣١.

٤) راجع نجيب العقيقى: المستشرقون ج ١ ص ١١٣. وراجع د. سعد عبد الله البشرى: ترجمة الكتب العربية فى الطب والرياضيات والفلك إلى اللاتينية فى إسبانيا خلال القرنين (٦ ، ٧ هـ) بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى - العدد الثانى (١٤٠٩هـ) - ص ١٠٥ - ١٠٦.

سقوط طليطلة فى أيدى النصارى الإسبان وتأثير ذلك على حركة ترجمة العلوم العربية:

أما حركة الترجمة الواضحة فقد كانت فى مدينة طليطلة بعد سقوطها فى يد ألفونسو السادس - ملك قشتالة - فى نهاية القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى، وبالتحديد سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. وبسقوط هذه المدينة بدأ فى أوربا عصر جديد فى ميدان النقل والترجمة عن علوم المسلمين، «وفتحت الأبواب على مصاريعها لدخول الفكر العربى والأندلسى بخاصة إلى الفكر الأوربى عن طريق الترجمة - فى المراحل الأولى - إلى اللاتينية، لغة العلم والتفاهم المشترك فى أوربا»[١].

ونستطيع أن نتبين الدور الكبير الذى لعبته مدينة طليطلة فى نقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوربا إذا عرفنا أنها قد بلغت فى عهد المسلمين درجة رفيعة من الحضارة والمدنية، وكانت إحدى القمم فى العلم والمعرفة. يدلنا على ذلك ما تحفل به كتب التاريخ والتراجم الأندلسية من الأسماء اللامعة التى تنتسب إلى طليطلة فى شتى حقول العلم، وخصوصا فى العلوم التجريبية. وقد وافانا المؤرخ صاعد الطليطلى (المتوفى٤٦٢هـ/١٠٧٠م) فى كتابه "طبقات الأمم" بعدد وفير من هذه الأسماء[٢]. وكان العلامة الكبير المعروف بالزرقالى (المتوفى ٤٨٠ هـ/١٠٨٧م) أحد العلماء الذين عاشوا فى كنفها ونشروا فيها علومهم فى الرياضيات والفلك، وكان من مصنفاته "الزيج الطليطلى" الذى نقل إلى اللاتينية فى القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى، واتخذ منه علماء أوربا أساسا لإعداد تقاويمهم وكتبهم السنوية حتى فى زمن "كوبر نيكوس" (٨٧٨-٩٥٠هـ/١٤٧٣-١٥٤٣م)[٣].

وابن وافد أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمى (المتوفى٤٦٧ هـ/١٠٧٦م) عاش فى مدينة طليطلة، وبرع فى الطب والصيدلة والنبات، وترجمت كتاباته فى الزراعة إلى اللغة القشتالية كما يذكر شاخت وبوزوروث فى كتابهما "تراث الإسلام"[٤].

---

١) د. شاكر مصطفى: الأندلس فى التاريخ ص ١٦٢-١٦٣ (منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، سوريا ١٩٩٠).

٢) راجع طبقات الأمم لصاعد الأندلسى القسم الأندلسى - بداية من ص ٦٢ - ٩٠.

٣) ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٣٥٩ - ٣٦١، وراجع ما ذكرناه عن الزرقالى (ص ٨٩٣، ص ٨٩٥).

٤) على عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات ص ١٧٩-١٨٠، وراجع ما ذكرناه عن ابن وافد (ص ٩١٧)، (ص٩٣٤).

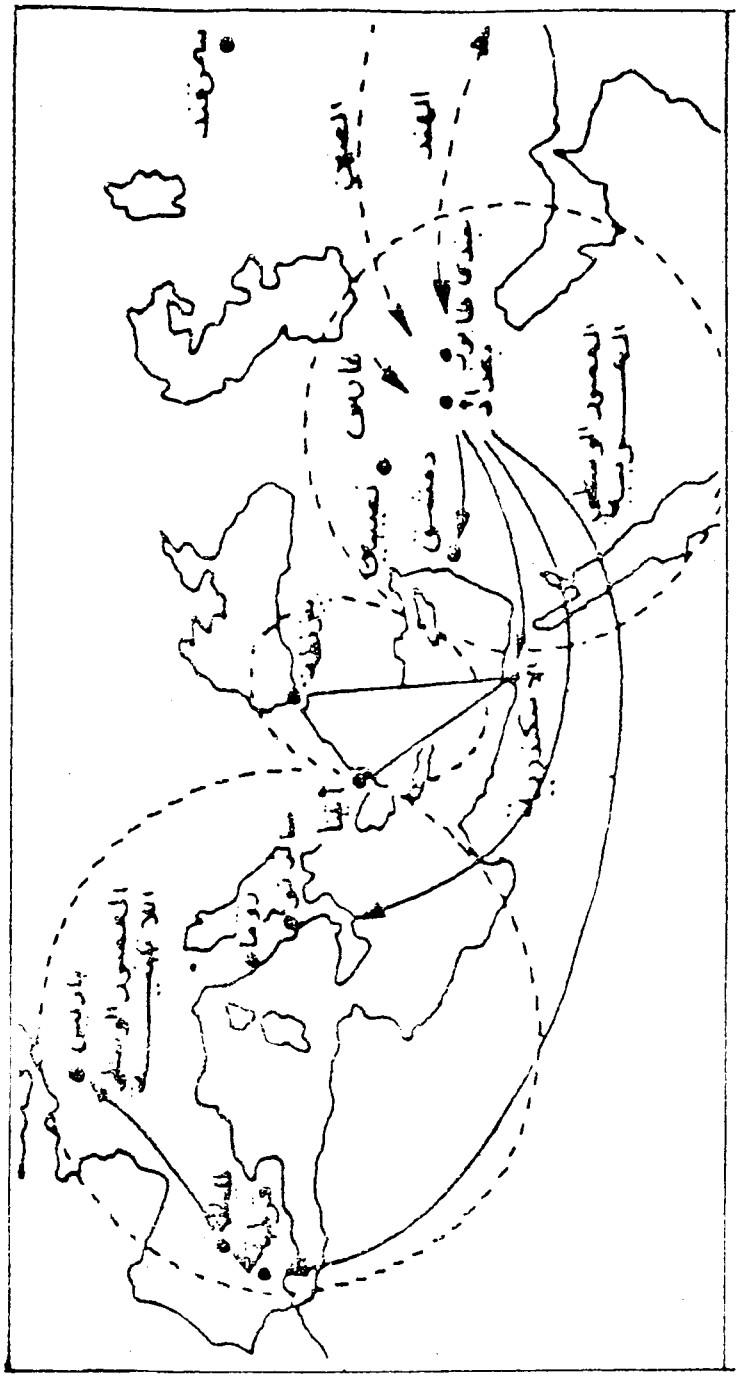

صورة توضح انتقال العلوم العربية والإسلامية من بغداد إلى قرطبة وطليطلة، ثم إلى الممالك الأوروبية

وبوجه عام ليس هناك علم من العلوم التى برع فيها الأندلسيون إلا ولأهل طليطلة نصيب فيه.

وقد أبقى الحكم الجديد على كثير من ألوان النشاط العلمى الذى مارسه العلماء المسلمون فى طليطلة، بل إن عددا كبيرا من المسلمين قاموا بدور مهم فى تعريف الإسبان المسيحيين والأوربيين الذين توافدوا على البلاط الإسبانى فى طليطلة بوجوه الحضارة الإسلامية وما أحرزه المسلمون من تفوق فى ميادين المعرفة المختلفة. ويشير "فرناندیث جونثالث" فى "مذكراته" أنه كان يعيش فى طليطلة تحت الحكم المسيحى طائفة كبيرة من العلماء المسلمين الذين حظوا بالرعاية والتقدير[١]. وهؤلاء هم الذين سموا بالمدجنين كما ذكرنا من قبل.

نشاط حركة الترجمة فى طليطلة فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين):

شهدت مدينة طليطلة بالذات المبادرات القوية الأولى فى ميدان الترجمة برعاية من **رئيس الأساقفة (ريموندو مارتينى R. Martini)** الذى كان كبير مستشارى ملوك قشتالة فيما بين سنتى (٥٢٠-٥٤٦هـ/١١٢٦-١١٥١م)، وقد أنشأ مكتبا للمترجمين ضم علماء (ريموند) عرفت فى التاريخ باسم (مدرسة المترجمين الطليطليين) الذين ترجموا ما بين أواسط القرن (الثانى عشر الميلادى) والقرن (الثالث عشر الميلادى) الكثير من كتب الطب والحساب والفلك والرياضيات والكيمياء والتاريخ الطبيعى، بالإضافة إلى كتب الفلسفة وما وراء الطبيعة والمنطق والسياسة، ومنها كتب أرسطو وأفلاطون، وشروح المسلمين عليها، ومؤلفات أوقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط، عدا كتب الخوارزمى (ت ٢٣٦هـ) والبتانى (ت ٣١٧هـ) والفرغانى (ت ٢٤٧هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وابن رشد (ت٥٩٥هـ) والبطروجى (ت ٦٠١هـ) والزهراوى (ت ٤٠٣هـ) والغزالى (ت ٥٠٥هـ)[٢]، إضافة إلى ابن وافد (ت ٤٦٧هـ) وابن البيطار، وابن الرومية (ت ٦٣٧هـ) وابن البصال (ت ق ٥ هـ) وغيرهم من مشاهير علماء العرب والمسلمين.

وخلف "رايموند" على أسقفية طليطلة شخصية هامة أسهمت فى إثراء حركة الترجمة

---

١) فون شاك: الفن العربى فى إسبانيا وصقلية - ص ٢٢١ (ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى، دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).

٢) د. شاكر مصطفى: الأندلس فى التاريخ ص ١٦٣.

وتوسيع آفاقها، وهو **يوحنا بن داود الإسبانى**، كان بارعا فى الترجمة، وترجم عددا من الكتب فى الطبيعة والمنطق والفلسفة والفلك والجبر، مثل كتاب "فلسفة" ابن رشد، وكتاب "السياسة" لأرسطو (عن الترجمة العربية لابن البطريق البغدادى) وكتاب "الجبر" للخوارزمى وغيرها من كتب الفلك والرياضيات[١]. ويبدو أنه كان يترجم من العربية إلى القشتالية، على حين أن شريكه "دومنجو جنديزالفو" كان يترجم من القشتالية إلى اللاتينية[٢]، ومن خلال الجهد المشترك ترجم الاثنان عددا من الكتب أهمها: أجزاء من كتاب "الشفا" لابن سينا (ت٤٢٨هـ) و"إحصاء العلوم" للفارابى (ت ٣٣٩هـ)، و"مقاصد الفلاسفة" للغزالى (ت ٥٠٥هـ) و"رسائل" للكندى (ت ٢٥٢هـ)، وبعض المصنفات الفلكية والرياضية للبتانى (ت ٣١٧هـ) وثابت بن قرة (ت ٢٨٨هـ) - وهما بغداديان - ومسلمة المجريطى الأندلسى (ت ٣٩٨هـ)، وغيرهم[٣].

جيراردو دى كريمونا (Gherardo de Cremona):

ويأتى فى مقدمة المجموعة النشطة من المترجمين الذين ذاع صيتهم فى القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) بما كانوا ينجزونه من ترجمات هامة لمختلف الآثار العلمية لعلماء العرب والمسلمين: "جيرارد دى كريمونا" (المولود فى إيطاليا حوالى سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م) والمتوفى فى طليطلة حوالى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. «كان أكثر خصبا وأوسع إنتاجا، ويعد بحق أشهر المترجمين إلى العربية، وإذا كانت ترجمته لكتاب (المجسطى) - عن أصل عربى - إحدى آيات فخاره فإنها لا تمثل إلا جانبا صغيرا من عمله العظيم بحق والذى يتصل بجميع العلوم ... وإن اتساع دائرة عمله إلى هذا المدى الشاسع ليجعلنا نعتقد - مع كثير من الرجحان - انه كان رئيسا معترفا به لمدرسة من الترجمين كانت تعمل فى طليطلة تحت حماية الحكومة وتعضيدها»[٤].

ويبدو أن "جيرارد دى كريمونا" كان مأسورا بعظمة الحضارة الإسلامية، فتوجه إلى طليطلة حيث عكف على دراسة اللغة العربية، فلما اجادها طالع مآثر المسلمين العلمية، وأخذ فى ترجمة نفائس الكتب العربية فى الفلسفة والطب والرياضيات والفلك، وقد

---

١) نجيب العقيقى: المستشرقون ١/١١٩، ومحمد سويسى: انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ص ٢١ - ٢٢.

٢) ألدوميلى: العلم عند العرب واثره فى تطور العلم العالمى ص ٤٥٧.

٣) راجع: نجيب العقيقى : المستشرقون ج ١ ص ١١٢ - ١١٣.

٤) ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٤٥٨.

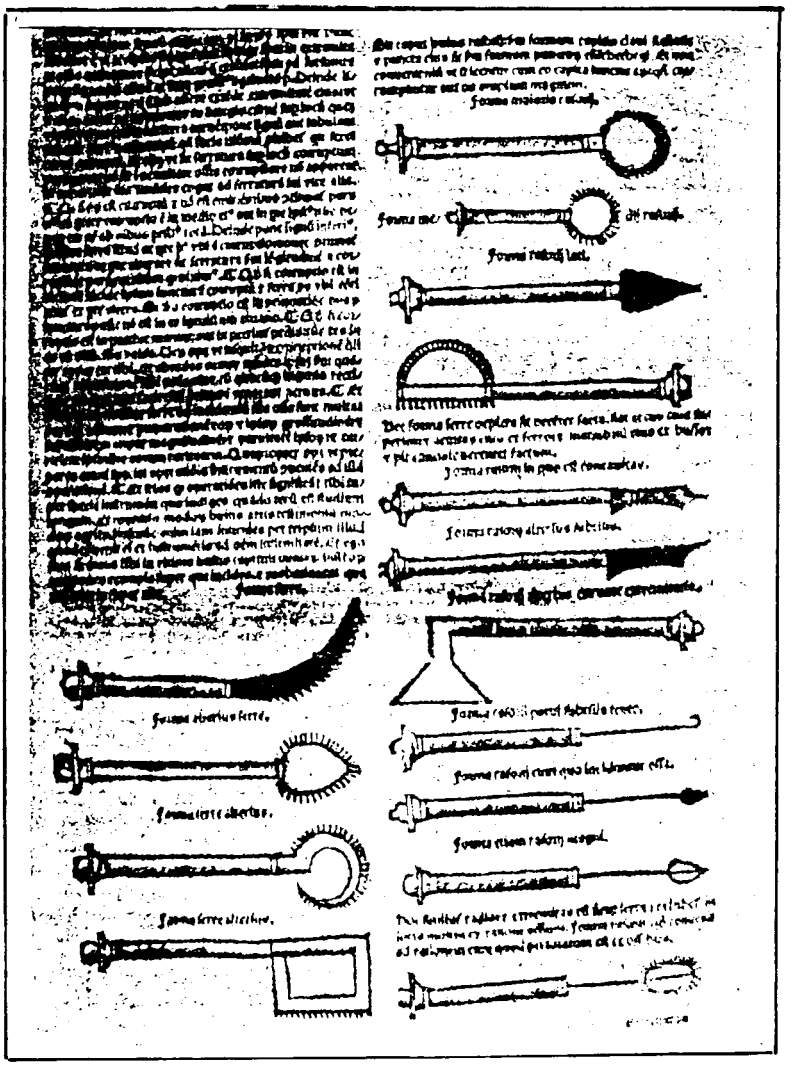

صورة عن نسخة مترجمة من كتاب (التصريف) للزهراوى
تمثل مجموعة من أدوات الجراحة التي ابتكرها

فقدت معظم الأصول العربية لهذه الكتب وبقيت ترجماتها اللاتينية. وذكر "ألدوميلى" أنه ترجم عن العربية ما لا يقل عن (٨٧) كتابا (ويقال: مائة كتاب) منها: ثلاث رسائل فى علم المناظر للكندى (بغدادى/ ت٢٥٢هـ) ورسالة فى "الفرسطون = ميزان الذهب" لثابت بن قرة الحرانى (بغدادى/ت ٢٨٨هـ) ورسالة فى "تنقيح المناظر" لابن الهيثم (بصرى/ت٤٣٠هـ). وكتاب (المنصورى) - فى الطب، للرازى (بغدادى/ت ٣٢٠هـ) والقسم الخاص بالجراحة من كتاب "التصريف" للزهراوى (أندلسى/ت٤٠٤هـ)، وكتاب "القانون" لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، وكتاب (الأدوية المفردة) لابن وافد (أندلسى/ ت ٤٦٧هـ) وكتاب (الجبر والمقابلة) للخوارزمى (بغدادى/ت ٢٣٦هـ). وترجم أيضا كتبا لجابر بن أفلح (ت ٥٤٠هـ) والزرقالى (ت ٤٨٠هـ) وعريب بن سعد (ت ٣٧٠هـ). وثلاثتهم أندلسيون. إضافة إلى علماء اليونان فى أصولها العربية، ككتب أوقليدس وأرشميدس وأبقراط وأبولونيوس وأرسطوطاليس وغيرهم ممن يطول ذكرهم[١].

ونسجل هنا ما ذكره أحمد شوكت الشطى فى كتابه "تاريخ الطب وآدابه وأعلامه" نقلا عن جيرارد الكريمونى ما نصه: «لقد قضيت نحوا من نصف قرن فى تعلم اللغة العربية والتوفر على ترجمة نفائس المكتبة العربية، وكان (قانون) الشيخ الرئيس (ابن سينا) أعظم كتاب، وأعظم كتاب لاقيت فى نقله مشقة وعناء وبذلت فى ذلك جهدا جبارا»[٢].

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن "جيرارد" لم يتمكن من ترجمة هذا العدد الكبير من المصنفات العلمية للمسلمين إلا بمساعدة فريق من المترجمين يعملون معه، وكان من بين هؤلاء مسيحى مستعرب يدعى "غالب"، وقد عرف باسم Galippus[٣]. ويذكرنا هذا الفريق من المترجمين بذلك الفريق الذى قام فى بغداد بترجمة كتب اليونان إلى العربية، بإشراف من الطبيب وكبير المترجمين: إسحق بن حنين العبادى (المتوفى ٢٩٨هـ/٩١٠م)[٤].

---

١) راجع: ألدوميلى: المرجع نفسه ص ٤٦٢- ٤٦٤، نجيب العقيقى : المستشرقون ١/١١٥، مونتجمرى وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٤، كرلونلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص ٢٣.

٢) د. على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ١٥٩.

٣) مونتجمرى وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٤.

٤) راجع الفصل الخاص بالترجمة (ص ٣٠٠).

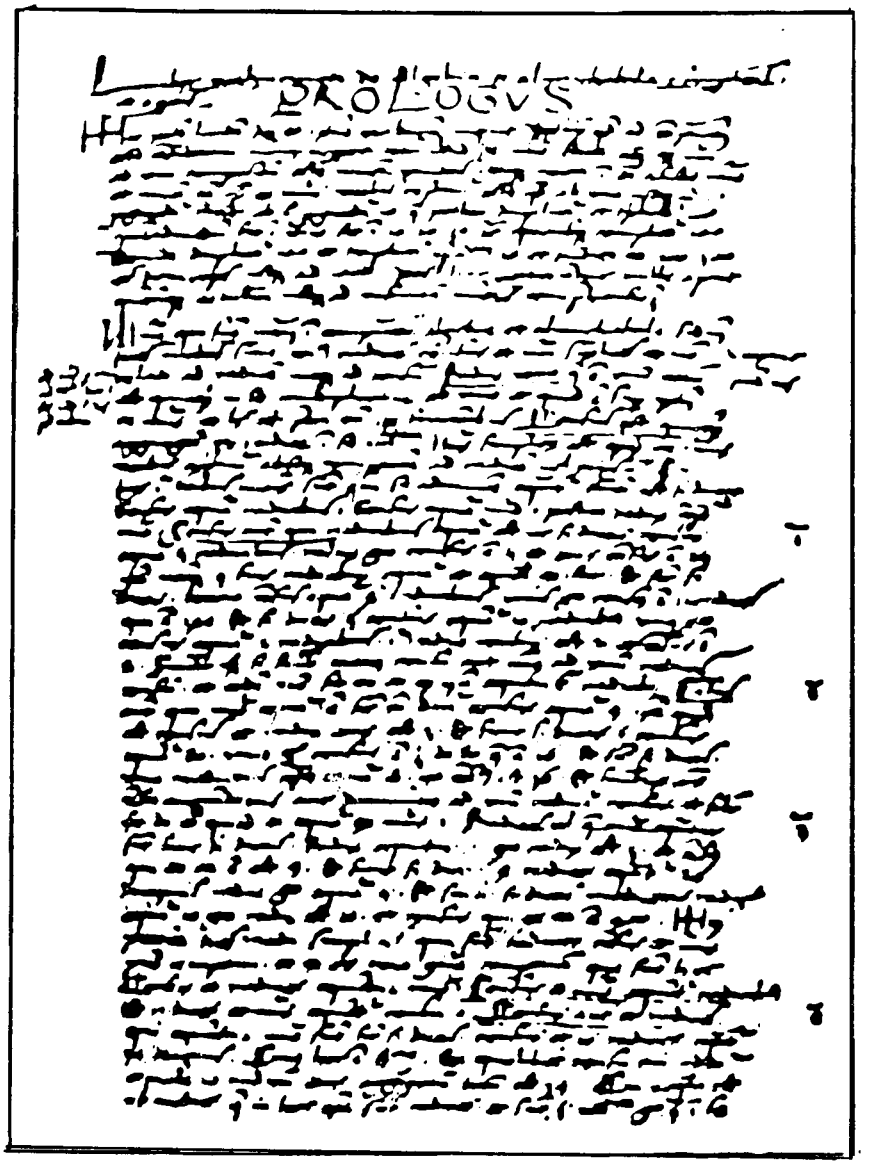

صفحة من الترجمة اللاتينية لكتاب "الجبر والمقابلة" لمحمد بن موسى الخوارزمى الذى تُرجم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية بواسطة العالم الرياضى جيرارد دى كريمونا (Gerard of Cremona) فى القرن الثانى عشر الميلادى

ومن بين مساعدى "جيرارد" فى الترجمة : صديقه "يوحنا الإشبيلى"، كان يهوديا ثم تنصر، وانصبت اهتماماته على علوم الفلك والرياضيات، وترجم بمفرده رسالة فى (الإسطرلاب) للمجريطى (أندلسى/ت٣٩٨هـ)، وكتابا آخر فى "الساعات" لثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٨٨هـ)، كما ترجم بمعاونة "أديلارد دى باث" - الآتى ذكره - إلى اللاتينية أربعة كتب لأبى معشر (بغدادى/ ت ٢٧٢هـ)[١].

أديلارد دى باث (Adelard de Bath):

وممن أسهم فى التعريف بالإنتاج العلمى العربى وأشاد بجهود العرب ودقة مناهجهم: "أديلارد دى باث" (٤٦٣-٥٣٠هـ/١٠٧٠-١١٣٥م) وهو من إنجلترا، وطوف بإيطاليا وصقلية واليونان ومصر وآسيا الصغرى، وزار بعض الممالك الإسبانية مثل سرقسطة وأهدى أسقف هذه المدينة كتابا من تأليفه. وقد توفر على دراسةالعلوم والمعارف حتى تضلع فى عدد منها، ومن بينها الفلك والرياضيات، وعاد بعد رحلاته العلمية التى استغرقت حوالى سبع سنين (فى المدة ٥٠٥-٥١٠هـ/١١١١-١١١٦م) إلى بلاده إنجلترا فى عهد الملك هنرى الأول، ومارس نشاطه العلمى، واكتسب شهرة واسعة حتى لقب بفيلسوف انجلترا[٢].

وقد صنف أديلارد عددا من الكتب فى الفلك والعلم الطبيعى، تأثر فيها بالثقافة العربية. لكن أهمية أديلارد إنما ترجع إلى ترجماته عن العربية، وعلى وجه الخصوص ترجمته للزيجات الفلكية للخوارزمى (بغدادى/ ت٢٣٦هـ) بتصحيحات مسلمة المجريطى (أندلسى/ ت٣٩٨هـ) المؤرخة سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م). وله ترجمة - أو شرح - لخمسة كتب من "أصول الهندسة" لأوقليدس[٣]، ترجمها من العربية إلى اللاتينية، ونشرت هذه الترجمة فى البندقية عام ٨٧١هـ/١٤٨٢م. كما أنه ترجم كتاب الحساب للخوارزمى[٤].

---

١) العقيقى : المستشرقون ١/١١٢.

٢) محمد سويسى: انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ص ١٧، ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٤٣٨ - ٤٣٩، عبد الرحمن بدوى: دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى ص ٨، العقيقى: المستشرقون ١/١١١.

٣) ألدوميلى: المرجع السابق ص ٤٣٩.

٤) نجيب العقيقى: المرجع السابق ١/١١١.

ويشير "مونتجمرى وات" إلى أن راهبا يدعى "والشر Walcher" وفد من "اللورين" إلى إنجلترا، وأسهم مع "أديلارد دى باث" فى إرساء دعائم مدرسة علمية نشطت فى نشر العلوم العربية فى إنجلترا. وهذه المدرسة اتسع دورها، وبلغت أوجها على يد "**روبرت جروستيت** Grosseteste" (**المتوفى ٦٥١هـ/١٢٥٣م**)، والذى شغل منصب مدير جامعة أكسفورد، وقام بدور هام فى تطوير العلوم الرياضية والفلكية بناء على ما تم إحرازه من نتائج انبثقت عن دراسة العلوم العربية[١].

ألفونسو الحكيم ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى أوربا:

ولعل أهم ما يتصل بميدان الترجمة فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ما قام به ملك قشتالة "ألفونسو العاشر المشهور بالحكيم Alfonso el sabio" (٦٥٠-٦٨٣ هـ/ ١٢٥٢-١٢٨٤م) من جهود عظيمة فى نقل التراث العلمى العربى إلى اللاتينية. ويتفق الباحثون على أن هذا الملك الذى قضى فى ملكه اثنتين وثلاثين سنة لعب دورا كبيرا فى هذه الناحية وأن طليطلة بلغت فى عهده الذروة، باعتبارها مدينة العلم والنور.

إن العمل الذى قام به هو السعى المتواصل لتجميع الثقافة الإسلامية من المصادر كلها وترجماتها، ليس فقط إلى اللاتينية، بل ترجمتها إلى القشتالية مستعينا بالعبرية وبكل ما وصل إليه العلماء المحيطون به فى حاشيته من عرب ويهود.

وقد كانت طليطلة تعج بطوائف مختلفة وأجناس متباينة من مسلمين ومسيحيين ويهود، وكان لكثير منهم اطلاع واسع على الثقافة العربية، فاحتفى بهم الملك ألفونسو وشجعهم على ترجمة المصنفات العربية، وخاصة ما يتعلق منها بالفلك والرياضيات والطب والفلسفة، وكان يشرف بنفسه على أعمال الترجمة والتحرير والتلخيص التى ينجزها المترجمون[٢].

وبالرغم من الجو السياسى المضطرب الذى عاش فيه ألفونسو و لم يتح له الاستقرار، لا بالنسبة لجيرانه المسيحيين، ولا بالنسبة لجيرانه المسلمين، وبعد أن كان يحارب الملك يعقوب المرينى (٦٥٧-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٥م) ويصول ويجول فى مواجهته أول الأمر، بل ويتعدى على المغرب فى "سلا" و"العرائش" - هذا الشخص الذى كان منغمرا فى ذلك هو نفسه الذى يتحدث عنه التاريخ بأنه بلغ درجة كبيرة من الذكاء والتعلق

١) مونتجمرى وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٩ - ٩٠ (ترجمة حسين أحمد أمين).
٢) راجع جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٥٧٣.

بالعلم والغرام بالثقافة الإسلامية، والسعى الحثيث لترجمة هذه الثقافة ونقلها وإيصالها إلى الغرب المسيحى، بل وكان يفكر فى جعل اللغة القشتالية - وهى وقتئذ لا تزال ضعيفة هزيلة - لغة تستفيد من اللغة العربية ونظامها، مستعيرة منها كل ما يلقح به اللسان الإسبانى، وهذا هو ما يفسر كون اللغة الإسبانية الحالية تشتمل على حوالى (٤٠ فى المائة) من الكلمات العربية[١].

ويشير المؤرخون الإسبان إلى أن ألفونسو وجماعته رأوا أن اللغة العربية فى المدن التى احتلوها لغة حية (مكتوبة ومقروءة)، ولغة علم، وليست عندهم أية لغة حية من هذا النوع، فأخذوا فى تطعيم اللغة القشتالية عن طريق الترجمة ونقل المعارف الإسلامية إلى لسان الإسبان، ليكون لهم لسان وطنى مشترك قابل لاستيعاب الثقافة والعلوم[٢].

وكان لاهتمام الفونسو العاشر (الحكيم) بعلوم العرب ورغبته فى سلوك مناهجهم أن أمر بتكوين مدرسة للدراسات الرياضية والفلكية فى مرسية، وعهد بالتدريس إلى أحد العلماء العرب، وهو أبو بكر محمد بن أحمد الرقوطى - من أهل رقوطة من أعمال مرسية. غير أن هذا ما لبث أن رحل عن مرسية إلى غرناطة، ودخل فى خدمة السلطان النصرى محمد بن يوسف (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) الذى أنشأ له مدرسة درس بها الرياضيات والفلك وغيرها من العلوم. وكان "الرقوطى" - كما يقول لسان الدين بن الخطيب - «طرفا فى المعرفة بالفنون القديمة؛ المنطق والهندسة والعدد والموسيقا والطب، فيلسوفا طبيبا ماهرا، آية فى المعرفة بالألسن، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فى تعلمها»[٣].

وقد كان لهذه المدرسة تأثيرها العلمى الواسع، فاجتذبت إليها أفواجا من المسلمين والنصارى واليهود، ليتلقوا علومهم فى الرياضيات والفلك على يد العالم العربى. لكن لم تستمر طويلا بعد رحيل الرقوطى «فنقلها إلى إشبيلية وأنشأ فيها مدرسا (مكان الدرس والبحث) ومدرسة عامة للاتينية والعربية، وجعل فيها أساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم، وظلت طليطلة كذلك مركز الثقافة الإسبانية»[٤].

---

١) محمد المكى الناصرى: ألفونصو الحكيم ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية - مجلة أكاديمية المملكة المغربية، العدد التاسع (١٩٩٢م) - ص ١٩ - ٢٠.

٢) محمد المكى الناصرى: ألفونصو الحكيم ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية ص ٢٠.

٣) الإحاطة فى أخبار غرناطة ٣/٦٧ - ٦٨، تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث بالنثيا ص ٤٥٧.

٤) جنثالث بالنثيا: المرجع السابق ص ٥٧٣ - ٥٧٤.

وإذا نحن تركنا جانبا النتائج التى أحرزها ألفونسو الحكيم فى النهوض بترجمة الدراسات الفلكية العربية وصناعة آلات علم الفلك وأدواته وطرق استعمالها، إضافة إلى الكتب التى تنسب إليه وعرفت بالكتب الألفنسية - والتى كانت فى جملتها نقولا واقتباسات عن العلماء العرب والمسلمين كالزرقالى (أندلسى/ت٤٨٠هـ) ومسلمة المجريطى (أندلسى/ت٣٩٨هـ) وقسطا بن لوقا (بغدادى/ت ق ٤هـ) وعلى بن خلف فلكى المأمون صاحب طليطلة وغيرهم[١] - فإن من أهم أعماله ما يسمى **بالمعلمة المتوسطية** أو "معلمة القرن الوسيط" أو "الكتب السبعة" وهى عبارة عن مدونة قانونية بدأ العمل فيها بإشبيلية سنة ١٢٥١م (الموافق ٦٤٩هـ)، وأعانته لجنة من القانونيين. وقد أعطانا الباحث المغربى "محمد المكى الناصرى" تعريفا بهذه المعلمة الكبرى، وذكر أن كل مجلد منها يقع فى (٦٠٠) ستمائة صفحة على الأقل، أى أن عدد صفحاتها يقدر بالآلاف، ولما شرع ألفونسو فى إعدادها صرح بأن الغرض من هذا الإنجاز هو تحقيق أكبر جمع وإصلاح قانونى لمساعدة رجال القانون والملوك الذين سيأتون من بعده، وتوجيههم فى صياغة القوانين فيما يستقبل من الأيام، إضافة إلى تمكين الرعايا من الوسائل التى يعرفون عن طريقها ما هو حق كما يقول الباحثون الإسبان.

ومن القضايا التى عولجت فى هذه المعلمة - فى الجزء الثالث منها، وبالتحديد الصفحات (٦٦٩) إلى (٦٨١) - كيف يعامل المسلمون واليهود فيما يتصل بممارسة شعائر دينهم، وفى ممارسة أى نوع من أنواع النشاط الاجتماعى والتجارى تحت الحكم المسيحى. وقد قام الباحث المذكور باستخراج هذه الصفحات - رغما عن كونها مكتوبة باللغة القشتالية القديمة - وسعى إلى ترجمتها إلى القشتالية الجديدة (أى اللغة الإسبانية)، وبعد الدراسة والمراجعة توصل إلى أن هذه القوانين تتضمن النظام الإسلامى الذى كان معمولا به فى معادلة أهل الذمة من اليهود والنصارى، أى أن النظام الذى عقده الإسلام لأهل الذمة أخذه ألفونسو وطبقه على المسلمين وعلى اليهود بحيث إن تفاصيله كلها تتمشى مع ما قرره الفقهاء المسلمون.

وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن أوربا لم تتأثر بالحضارة العربية والإسلامية فى مجالات الطب والصيدلة والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم والفنون فحسب، وإنما كان التأثر شاملا كل جوانب هذه الحضارة.

---

١) محمد المكى الناصرى : ألفونصو الحكيم ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية - مجلة أكاديمية المملكة المغربية - العدد التاسع (١٩٩٢م) - ص ٢١ - ٢٢.

ومن جملة الموضوعات التى اهتم بها ألفونسو موضوع التاريخ، فقد تم تحت إشرافه تأليف كتاب عام عن تاريخ إسبانيا، شرح فيه تاريخ بلاده، ومن جملة ما ضمنه: حياة النبى صلى الله عليه وسلم، ودخول العرب والمسلمين إلى الأندلس، واستمر يذكر الدول التى مرت بإسبانيا. ثم كتب كتابا آخر أهم، هو عبارة عن تاريخ عالمى عام تكلم فيه من بداية الخليقة إلى عصره على الطريقة التى عالج بها الطبرى التاريخ العام. ومصادر هذا الكتاب متنوعة، ومن بينها عدة مؤلفات عربية. ومما يذكر الإسبان أنه اعتمد عليه شخص عربى هو "ابن علقمة" الذى كان مؤرخا مشهورا[١].

ومن الأدلة الناصعة على أن الكتب العربية فى شتى العلوم والفنون كانت متوفرة فى أيدى النصارى الأسبان منذ استيلائهم على مدن الإسلام إلى عهد ألفونسو الحكيم ما ذكره **ابن أبى زرع** فى كتابه "**الأنيس المطرب**" من أن السلطان يعقوب المرينى سلطان المغرب (٦٥٧-٦٨٥هـ/ ١٢٥٩-١٢٨٥م) اشترط فى بنود المعاهدة السلمية التى أبرمها مع "سانسو" نجل الملك ألفونسو الحكيم (وذلك يوم الأحد الموافق ٢٠ من شهر شعبان سنة ٦٨٤هـ) - بعد حروب طويلة بينهما على إثر موت ألفونسو - اشترط أن يبعث إليه ما يجده فى بلاده بأيدى النصارى واليهود من كتب المسلمين، فبعث إليه منها ثلاثة عشرة حملا، فيها جملة من المصاحف وتفاسير القرآن، كتفسير ابن عطية (أندلسى/ ت ٥٤١هـ) وتفسير الثعالبى (مشرقى/ ت٤٢٩هـ)، ومن كتب الحديث وشروحها "كالتهذيب والاستذكار" (لابن عبد البر القرطبى/ت٤٦٣هـ)، ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والآداب وغير ذلك، فأمر السلطان بحملها إلى فاس، وتحبيسها على المدرسة التى أسسها لطلبة العلم[٢].

وجدير بالذكر أن هذا النشاط العلمى الذى رعاه الملك ألفونسو العاشر قد امتد فى أنحاء الأندلس، فأقبل النصارى على إنشاء مدارس لدراسة العلوم العربية فى إشبيلية (سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وميورقة (سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م) وبرشلونة (سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) وبلنسية (سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م) وقد تطورت بعض هذه المدارس إلى جامعات وامتد تأثيرها إلى خارج إسبانيا. حتى كان من بين اهتمامات المؤتمر الذى انعقد فى فيينا (سنة ٧١١هـ/١٣١١م) الاهتمام بترسيخ الدراسات العربية فى أوربا، فأنشئت كراس للغة

---

١) محمد المكى الناصرى: البحث المذكور ص ٢٢-٢٣. وراجع فى ذلك أيضا: ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى العلم العالمى ص ٤٧١، جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص ٥٧٤.

٢) ابن أبى زرع الفاسى: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - ص ٣٦٣ (دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط ١٩٧٢م).

العربية فى جامعات روما وباريس وسلمنكا وبولونيا ومونبيليه وغيرها من المدن التى تألقت فى احتضان العلوم العربية والتوفر على دراستها[١].

وقبل أن نختم هذا العرض لأهم المترجمين الذين أسهموا فى نقل العلم العربى إلى اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات من الأهمية – وقد أعرضنا عن ذكر الكثيرين – أن نشير إلى اثنين من العلماء المترجمين كان لهما شأن كبير فى هذا الميدان:

أولهما: أرنالدوس فيلافانوس (Arnaldus Villanovanus):

الذى ولد بين سنتى ١٢٣٤ و ١٢٥٠م على مقربة من بلنسية وتوفى غريقا عام ١٣١١م (الموافق ٧١١هـ)، وكان بحق مترجما من العربية ،ترجم منها ثلاثة كتب لجالينوس ورسائل الكندى (بغدادى/ت ٢٥٢هـ) وقسطا بن لوقا (بغدادى/ ت ق ٤هـ)، وابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، وأبى العلاء بن زهر (الطبيب الأندلسى/ت ٥٢٥هـ)، وكتاب "الصيدلة" لابن أبى الصلت (أندلسى/ ت ٥٣٨هـ)، وكتاب "الأسرار" فى الكيمياء للرازى (بغدادى / ت ٣٢٠هـ)، وأجزاء من كتاب التصريف – فى الطب – للزهراوى (أندلسى/ ت٤٠٣هـ). ولكنه مع ذلك لم يكن مترجما فحسب، فإن إنتاجه الضخم يشتمل على كتب أصيلة فى الطب وعلم النفس والتنجيم والصنعة "الكيمياء" واللاهوت، غير أنه مع أصالته هذه، فقد بدا عليه التأثير العربى العميق، وأسهم فى الدعوة له بالغرب[٢].

والثانى: رامون "ريموند" لول "Ramon Lull" (٦٣٣-٧١٤هـ/١٢٣٥-١٣١٤م). ولد فى مدينة بالمة (Palma) من جزيرة ميورقة، وقام برحلات طويلة فى أوربا. وكان متشبعا بالعلوم العربية، وصنف جانبا من كتبه بالعربية. وله ترجمة لكتاب "الأدوية الكبرى" للكندى (بغدادى/ ت٢٥٢هـ) .وقد قام المستشرق الإسبانى "ريبيرا" بدراسة عن أصول فلسفة "ريموند لول" نشرها عام ١٨٩٩م، أثبت فيها أن ثقافة "لول" لم تكن متشبعة بالأصول العربية تماما فحسب، بل بين أيضا بصورة لا تقبل الشك كيف أن كتبه تشتمل على اقتباسات ومعلومات كثيرة مأخوذة عن العلماء العرب[٣].

إن أولئك العلماء والمترجمين – وكثير غيرهم ممن أعرضنا عن ذكرهم – هم الذين قادوا حركة نقل العلوم العربية والإسلامية إلى الشعوب اللاتينية ومنها إلى الشعوب

---

١) راجع نجيب العقيقى: المستشرقون ١/٩٠.

٢) ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٤٨١، نجيب العقيقى : المستشرقون ١/١٢١.

٣) ألدوميلى: العلم عند العرب ص ٤٨١ – ٤٨٣.

الأوربية الأخرى، وبلغوا بهذه الحركة منتهاها وبالتالى أناروا لأوربا سبيل النهضة، وأعانوها على الاهتداء إلى مدارج الصعود فى سلم الحضارة.

وإذا أردنا أن ندرك مدى التأثير العربى الإسلامى على أوربا فى مجال النشاط الفكرى والثقافى فيجب أن نتناول ميادين هذا النشاط كلا على حدة (الأدب والفلسفة وعلوم الطبيعة والطب والصيدلة والفلك والرياضيات وغيرها) مبينين بصدد كل منها كيف تمثل الأوربيون هذه العلوم، ثم كيف تقدموا إلى مراحل أبعد. غير أن هذا أمر يطول[١]، ولا يدخل فى دائرة بحثنا، وقد كتبت حوله بحوث كثيرة، لعل من أفضلها تلك الدراسة التى قام بها المستشرق الإسبانى خوان بيرنيت "Juan Vernet" حول الدور الذى لعبته إسبانيا فى نقل الثقافة العربية إلى أوربا عن طريق الترجمة والاتصال المباشر[٢].

وجملة القول فيما ذكرنا فى هذا الباب أن الأندلس كانت تمثل الطريق الرئيسى الذى تسربت منه العلوم إلى أوربا، لا بالترجمة فحسب، بل بالاحتكاك والتعايش بين المسلمين والنصارى واليهود مما يسر للأوربيين سبل الأخذ عن الأندلسيين، والاستفادة من الثقافة العربية المتفاعلة مع غيرها، هذه الثقافة التى كانت من أبرز العناصر التى مهدت لبزوغ عصر النهضة فى أوربا.

اعترافات الغربيين بفضل الأندلس فى نقل الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية إلى أوربا:

ويحسن بنا فى نهاية هذا الباب أن نقتبس شيئا مما قاله الأوربيون أنفسهم فى بيان المساهمة العربية والإسلامية فى بناء الحضارة الأوربية واستجابة الأوربيين لها، ولا سيما فى

---

١) أدرجنا فى قسم (الملاحق) جدولا يضم عددا من كتب الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والفلسفة التى ترجمت إلى اللاتينية والقشتالية (الإسبانية القديمة) خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين اعتمادا على كتاب المستشرق الإيطالى ألدوميلى: "العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى" - راجع الملاحق (ص ١٠٧٧- ١٠٨١) .

٢) Juan Vernete: La cultura hispa - arabe en ohente yoccidente, Barcclana, 1978.
ومن الدراسات المهمة فى هذا الباب : فضل الإسلام على الحضارة الغربية - تأليف (و. مونتجمرى وات (W.Montyomery Watt) . ترجمه حسين أحمد أمين (دار الشروق - بيروت القاهرة، الطبعة الأولى) ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. وكتاب "أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية" كتبه فريق من الباحثين المتخصصين، بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية، بالتعاون مع منظمة اليونسكو، ١٩٨٧م. وغير ذلك من الدراسات العديدة، إضافة إلى ما كتب حول هذا الموضوع فى جـل الكتب التى تتعرض لدراسة الحضارة الإسلامية.

ميادين العلوم والفنون والآداب، فمن ذلك:

١ – ما قاله المستشرق الإيطالى "ألدوميلى": تحت عنوان "حركة النقل العلمى فى شبه جزيرة الأندلس" : «أما فى شبه جزيرة الأندلس فقد كانت حركة نقل العلم العربى إلى العالم المسيحى أعمق تغلغلا وأشد قوة، ودامت مدة أطول عهدا من كل مكان آخر، كما تحقق هناك التطور الحاسم الذى كان لابد أن يعتمد عليه تجديد العلم الأوربى، وبالإضافة إلى الرحلات البحرية العظيمة التى أدت إلى الكشف عن القارتين العظيمتين فى العالم الجديد يعد ازدهار العلم العربى ونقله إلى العالم المسيحى أسمى آيات المجد والفخار لإسبانيا وقصلونيا والبرتغال»[١].

٢ – ويقول الأستاذ "رامون مننديث بيدال" – وهو باحث إسبانى – فى بحث له بعنوان "إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام": «وبحكم التفوق العظيم للحضارة الأوربية ظهرت تأثيراتها فى شمال إسبانيا منذ القرن الثامن (الميلادى) – الثالث الهجرى – ولكن هذه التأثيرات لم تتضاعف إلا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر (للميلاد) حين أخذت تنتقل من إسبانيا إلى الشعوب الأوربية الأخرى ذات الثقافة اللاتينية البحتة، وعندئذ تكررت ظاهرة تاريخية مستمرة». ثم نقل عن "هوارسيو" فى رسالته إلى "أغسطس" قوله: «... ولما هزم اللاتينيون فى إسبانيا وصقلية المسلمين فى القرن الحادى عشر الميلادى (السادس الهجرى) استسلموا بدورهم حيال التفوق الثقافى للمغلوبين، وأسرهم ما أعجبهم من علوم وفنون فى الأراضى التى لم يكن قد بعد العهد بغزوها»[٢].

٣ – ويقول "ستانلى لين بول" فى كتابه "المغاربة فى إسبانيا" – وينقل عنه "فارمر" فى "تاريخ الموسيقى العربية" – «إن هذه البلاد – الأندلس – ستصبح أعجوبة العصور الوسطى، فالأندلس حملت مشعل العلم والحضارة مضيئا وهاجا قبل العالم الغربى، وأوربا جميعها غارقة فى الجهل والمنازعات الهمجية»[٣].

٤ – ويقول الباحث الإسبانى "خوان فيرنيت Juan Vernet" «... وفى القرن السادس الهجرى/الثامن عشر الميلادى اكتسبت حركة الترجمة قوة غير عادية؛ إذ أصبح عدد

---

١) ألدوميلى: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٤٥٣.

٢) رامون مننديث بيدال: إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام – بحث ترجمه لطفى عبد البديع، ومنشور بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد. السنة الأولى، العدد الأول (١٣٧٢هـ–١٩٥٣م) – ص ١–٢.

٣) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١١٦.

الكتب المترجمة فى صقلية وبخاصة فى إسبانيا، يثير الإعجاب، وأدمجت الكشوف التى توصل إليها العرب ضمن رصيد الثقافة الغربية. وقد أطلقت أسماء العديد من المدن الإسبانية على مجموعة المخطوطات الرياضية والفلكية التى ترجع إلى ذلك العصر، ومن بين تلك المدن التى كان أساقفتها توّاقين إلى المعرفة، طرسونة (Tarazona) وبنبلونـــة (Panplona) وبرشلونة (Barcelona) وسرقسطة (Saragossa) وطرطوسة (Tartusa). وتتفوق طليطلة (Toledo) فى هذا الميدان على جميع هذه المدن، حيث توافد عليها عدد كبير من العلماء الأوربيين المتلهفين إلى الحصول على المعارف العلمية الشرقية»[١].

وأخيراً يقول الأمير تشارلز – ولىّ عهد بريطانيا – فى كتابه "الإسلام والغرب": «إن هناك قدراً من الجهل بالفضل الذى تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامى، فالعالم الإسلامى – فى العصور الوسطى – كان عالماً ازدهر فيه الباحثون المختصون ورجال العلم، ولكننا جنحنا إلى تجاهل ذلك، وقللنا من أهمية ثمانمائة سنة كانت أوربا خلالها عالة على إسبانيا الإسلامية التى حافظت على العلوم والمعارف، فوضعت الثقافة الإسلامية بالأندلس أساس اللبنات الأولى للنهضة الأوربية».

ويواصل الأمير تشارلز قوله: «كانت إسبانيا فى عهد المسلمين أكثر من مجرد مخزن للاحتفاظ بالعلوم والمعارف الشرقية، بل فسَّرت تلك الحضارة، وتوسعت بها، وقدمت مساهمة هامة من جانبها فى كثير من مجالات البحث الإنسانى، فى العلوم والفلك والرياضيات والجبر، والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية وعلم الدين والموسيقى. وقد ساهم ابن رشد وابن زهر (وهما أندلسيان) على غرار نظيريْهما الرازى وابن سينا فى الشرق فى دراسة الطب وممارسته بطرق استفادت منها أوربا لقرونٍ عديدة»[٢].

ونحن، لابد لنا من كلمة:

« لقد كانت الأندلس حلماً، حلمت به الأرض الإسبانية فترة طويلة، ثم غاب الحلم بمأساة مفجعة، ما كان أحلى ذلك الحلم لولا هذه المأساة ».

---

١) تراث الإسلام – تصنيف شاخت، وبوزورث (الجزء الثانى ص ٣٤٧). سلسلة عالم المعرفة، الكويت (رقم ١٢) – الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢) نقلاً عن كتاب: "صراع الحضارات فى القرن الحادى والعشرين، لأستاذنا الدكتور أحمد شلبى ص ٣٧ – ٣٨. وقد ذكر أستاذنا أقوالاً أخرى كثيرة من اعترافات الغربيين بفضل الحضارة العربية والإسلامية على مسيرتهم الحضارية، وأهمية الأندلس كمعبر نفذت من خلاله تلك الحضارة إلى أوربا (راجع ص ٣٢-٤٢).

خاتمة الدراسة

* وتتضمن:

١- أهم النتائج المستخلصة من الدراسة.

٢- التوصيات.

خاتمة الدراسة

وبعد هذا العرض الطويل لأبواب البحث وفصوله يمكننى أن أسجل فى خاتمته أهم النتائج العامة التى توصلت إليها[١] ،وألخصها فيما يلى:

أولا: كانت مدينة بغداد تمثل أهم مركز لجميع أنواع النشاط الفكرى فى العالم الإسلامى خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين على وجه الخصوص. وكان مقدرا لهذه المدينة - بفعل توفر عوامل عديدة - أن تكون أكبر مدن الإسلام فى هذه الفترة، وأن تحتل المقام الأول كمركز عام لكافة العلوم والمعارف، وأن تصبح موئلا - أو مجمعا - لكثير من الاتجاهات العلمية الناضجة التى أسهمت فى تكوينها الثقافى، وهيأت لها المكانة الحضارية المرموقة.

ثانيا: ولعل أهم عامل جعل من بغداد مركزا عالميا هو نزوح العلماء إليها - بعد تأسيسها - من كل صقع، ومن كل اختصاص، ودعمها بما يظهر فى الأمصار والحواضر الإسلامية الأخرى من علم وفكر حتى أصبحت مصبا لكل ما يظهر فى هذه الحواضر من تجديد وابتكار، ومقرا لفحول العلماء من المقيمين فيها والوافدين عليها، ومن ثم أمكن الحكم لها بأنها تمثل المدينة الأم التى تلخص الفكر الإسلامى كله، وأنها صارت - بالنسبة لبقية البلاد - المركز الرئيسى للإشعاع الحضارى والفكرى؛ أى أنها أشبه ما تكون بالقلب الذى منه تصدر أمارات الحياة، ومنه تتوزع مادتها إلى سائر أنحاء الجسم.

ثالثا: كانت النهضة العلمية التى عاشتها بغداد خلال الفترة المذكورة على درجة عالية من النمو والازدهار والتميز. وقد ظهر لنا ذلك جليا من خلال عرضنا الشامل لكافة العلوم: الدينية وفروع اللغة العربية والدراسات التاريخية والجغرافية والعلوم العقلية والتجريبية. وهذه العلوم جميعها وصلت فى بغداد إلى أقوى ما تكون سعة وشمولا، وتوغل العلماء فى ميادينها المختلفة، ولم يتركوا ميدانا منها إلا وعنوا بدارسته دراسة فاحصة ومستوعبة، وكان إنتاجهم العلمى فى كل فرع من فروع المعرفة غزيرا وشاملا.

---

١) لن أذكر هنا النتائج الفرعية المبثوثة فى ثنايا البحث، وهى كثيرة، وسأكتفى فقط بذكر النتائج الكبرى التى تحدد معالم الدراسة. ويمكن الرجوع بصفة خاصة إلى التعقيبات المثبتة فى ذيل كل فصل أو مبحث، إضافة خاتمة القسم الأول (ص٤٦٨)، ومطلع الباب الأول من القسم الثانى (ص٤٧٥-٤٧٨) وخاتمته (ص٦٦٧-٦٧٧)، والفصل التمهيدى من الباب الثانى (٦٨١ - ٦٩٤)، وذلك درءا للتكرار.

وليس من قبيل المبالغة إذا قلنا: إن المؤلفات التى وضعها علماء المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى ميادين العلوم البحتة كالطب والصيدلة والكيمياء والنبات والفلك والرياضيات لا تقل أهمية وكثرة عن غيرها من المؤلفات التى صنفوها فى ميادين العلوم الإنسانية، كالحديث والفقه والقراءات والتفسير واللغة والأدب والتاريخ.

رابعا: إن الإنتاج العلمى الضخم الذى أثمرته النهضة العلمية فى بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين شارك بقوة فى تكوين وتطوير الحركة العلمية فى الأقطار الإسلامية المختلفة على تفاوت بينها.

وقد كانت الأندلس أحد الأقطار الكبرى التى اعتمدت فى تأسيس حركتها الثقافية على النهضة العلمية الشاملة التى شهدتها (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وإذا كانت (قرطبة/الأندلس) الواقعة فى أقصى الغرب الإسلامى قد طمحت إلى الاستقلال السياسى عن المشرق الإسلامى - وبغداد فى القلب منه - فإنها لم تستطع أن تفلت من الخضوع له - إلى حد كبير - فى المجال الحضارى، ولم يمنعها بعدها عن قلب العالم الإسلامى من أن يتدفق عليها التراث العربى من (بغداد/المشرق)، ليلقى هذا التراث (البغدادى/المشرقى) بظلاله على الحياة الثقافية فى هذه المنطقة، ويشارك بقوة فى التكوين الحضارى لها.

ولم يكن التأثير (البغدادى/المشرقى) فى تأسيس وتكوين الفكر الأندلسى مقصورا على الفترة الأولى من تاريخ الأندلس فحسب، وإنما امتد أيضا مع امتداد الثقافة العربية الإسلامية فى هذا الإقليم زمانا ومكانا، ولم ينقطع الاتصال الحضارى بين المراكز العلمية فى المشرق (وبغداد فى المقدمة)والمراكز العلمية فى الأندلس (وقرطبة فى المقدمة) طيلة ثمان قرون هى عمر التاريخ الأندلسى.

وهذا التأثير العلمى الوافد على الأندلس لم يكن على درجة واحدة دائما، بل تفاوت من عصر إلى عصر، وكان أكثر قوة وفاعلية فى القرون الثلاثة الهجرية (الثالث والرابع والخامس) من تاريخ الأندلس؛ إذ إن الإنتاج العلمى الذى أفرزته الحركة العلمية فى (بغداد/المشرق) خلال هذه القرون الثلاثة دخل أكثره إلى الأندلس فى تلك الفترة ذاتها، ثم أخذ هذا التأثر يتضاءل بعد أن استوى الفكر الإسلامى فى الأندلس على سوقه، ووصل إلى درجة عالية من النضج.

خامسا: وإذا كانت (قرطبة/الأندلس) قد خضعت لمؤثرات مغربية بحكم ارتباط الأندلس ببلاد المغرب المصاقبة لها من الجنوب، إضافة إلى مؤثرات أخرى محلية (إسبانية) بحكم

البيئة التى نشأ فيها الحكم الإسلامى لهذه البلاد، فإن هذه المؤثرات كانت ضئيلة إذا قورنت بالتأثير الواسع الذى أحدثته التيارات الثقافية الوافدة من(بغداد/المشرق). وإذا كان لبلاد المغرب - القيروان خاصة - من دور فى هذا السبيل فإن هذا الدور يتحدد بصورة أكبر فى أنها كانت أحد المعابر - أو القنوات - التى نفذ من خلالها جانب كبير من الإنتاج العلمى المشرقى إلى الأندلس.

سادسا: وإذا أردنا أن نقيم حجم الدور الذى قامت به بعض المراكز العلمية التى أمدت الأندلس بزاد وفير من الثقافة والفكر، والتى وجه إليها الأندلسيون اهتمامهم الأكبر - ونعنى بها بغداد والحجاز ومصر على وجه الخصوص - فإن بغداد (المدينة الأم) كان لها القدح المعلى فى القيام بهذا الدور، وخاصة فى مجال العلوم التجريبية، فقد اعتمد الأندلسيون كلية على مدينة بغداد فى إدخال كتب الطب والصيدلة والنبات والفلك والرياضيات والفلسفة . أما علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ فقد شاركت بغداد بإمداد الأندلس بنصيب وفير منها، وتصل هذه المشاركة إلى درجة الريادة فى بعض هذه العلوم، كالتفسير والحديث واللغة والتاريخ.

أما الحجاز فقد كان جل اعتماد الأندلسيين عليه فى مجال الفقه المالكى، وأسسوا مدرستهم الفقهية بالأخذ عن إمام المذهب مباشرة، وتلامذته المباشرين. وإذا كان للمدرسة المالكية فى بغداد من تأثير على حركة الفقه المالكى فى (قرطبة/الأندلس) فإن هذا التأثير يعد ضئيلا - أو لم يكن أساسيا - إذا ما قورن بتأثير المدينة النبوية ومصر، حيث إن التأثير البغدادى على قرطبة فى دراسة الفقه المالكى جاء متأخرا؛ أى بعد أن اشتد عود المذهب فى قرطبة اعتمادا على الحجاز ومصر؛ ذلك لأن المذهب المالكى لم ينتقل من المدينة إلى العراق (البصرة - بغداد) إلا فى خلال النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، فى حين أن هذا المذهب قد استقر العمل به فى قرطبة فى النصف الأول من ذلك القرن، ومن ثم فإن الفضل الأول فى إمداد الأندلس بالمذهب المالكى وتثبيته هناك يرجع إلى الحجاز ثم مصر ثم بغداد.

وقد كان الحجاز معبرا هاما عبرت من خلاله الثقافة (البغدادية/المشرقية) إلى الأندلس، على اعتبار أن مكة والمدينة كانتا مجمعا تشد إليه الرحال لأداء فريضة الحج، فيلتقى فيه العلماء من شتى بقاع الأرض. وقد أتاح ذلك للأندلسيين فرصة التلقى عن عدد كبير من شيوخ العلم بالمشرق، والعودة بزاد وفير من الكتب والروايات الشفهية فى كثير من ميادين العلم.

ومصر هى الأخرى كانت معبرا هاما من معابر الفكر المشرقى إلى الأندلس. ونظرا للأهمية التى يتمتع بها هذا الإقليم بموقعه الجغرافى المتميز فقد وفد إليه عدد كبير من علماء

الأقطار الإسلامية المختلفة، لطلب العلم والاستزادة من المعرفة، وكثير منهم بغداديون. وقد أتيح للأندلسيين الراحلين إليها أن يلتقوا بعدد هائل من هؤلاء الأساتذة ، يسمعون منهم ويروون عنهم، وكثيرا ما كانت كتب البغداديين فى جميع العلوم النظرية والعملية تنتقل إلى مصر، فيدرسها طلاب العلم الأندلسيون، ويعودون بها إلى موطنهم.

سابعا: لقد كانت (قرطبة/الأندلس) على صلة دائمة ببغداد ومراكز العلم الأخرى بالمشرق، وكانت كل التيارات العلمية والظواهر الحضارية التى تظهر فى (بغداد/المشرق) سرعان ما تلقى بظلالها أولا بأول على الحياة العلمية فى شبه الجزير الإيبيرية، فيتعرف عليها الأندلسيون ويتدارسونها، ثم ينسجون على منوالها، أو يضيفون إليها، أو يبدعون من خلالها. ويمكن القول: إن التراث الأندلسى فى مختلف العلوم مدين - فى جانب كبير منه - إلى تأثير الثقافة (البغدادية/المشرقية). وعلى الرغم من أن الأندلسيين كانت لهم مؤلفات وفيرة فى كل علم، ولا يكاد يخلو علم من العلوم التى ألفوا فيها من مؤلفات جليلة تعد معالم واضحة فى تاريخ العلم كله فإنهم لم يخرجوا فى الأعم الأغلب عن المناهج التى سار عليها علماء المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى التأليف والتبويب، إضافة إلى ما جاء فى تراثهم العلمى على سبيل التجديد والابتكار والتميز عن المشارقة ببعض الخصوصيات العلمية.

وإذا أردنا أن نصنف التراث العلمى للأندلسيين فسنجد أنه لن يخرج عن محاور ثلاثة كما ذكرنا من قبل:

الأول: شرح واختصارات للكتب المشرقية.

الثانى : التأليف وفق المناهج والاتجاهات والفنون العلمية التى رسمها المشارقة، وبثقافة مشرقية، والوقوف فى أحايين كثيرة أمام هذه الثقافة بالنقد والتقويم والتمحيص والإضافة، مع محالة إخراجها فى أثواب جديدة، والاهتمام ببعض أنواع التصنيف مما لم يسبقوا إليه. وهذا القسم من المؤلفات يمثل معظم التراث العلمى الذى أنجزه الأندلسيون.

الثالث: مؤلفات خاصة بالأندلس: تاريخه ورجاله وأدبه وجغرافيته وخصوصياته. وقد ظهرت الخصوصية الأندلسية كأقوى ما تكون فى مثل هذه المؤلفات.

ثامنا وأخيرا: وإذا كان للمشرق الإسلامى - وبغداد فى القلب منه - فضل كبير فى إمداد الأندلس بالزاد العلمى الذى أسس عليه الأندلسيون حضارتهم فى ميادين العلم والفكر، وبنوا عليه تراثهم العلمى المتميز فإن الأندلس لها فضل تعريف أوربا بجانب كبير من التراث العلمى الذى أفرزته النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق) فى ميادين الطب والصيدلة والنبات

والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة، إضافة إلى الإنتاج الأندلسى فى هذه العلوم نفسها، حيث كانت الأندلس تمثل أهم المعابر التى تدفقت منها علوم العرب والمسلمين نحو أوربا، وشكلت المركز المتقدم للحضارة الإسلامية على الأرض الأوربية، وهذا هو عين ما اعترف به المنصفون من علماء الغرب الأوربى.

****

توصيات:

وبعد أن سجلت فى هذه الخاتمة أهم النتائج العامة التى تحدد المعالم الكبرى للدراسة أود أن أنبه إلى ما يلى:

(١) لا تزال قضية تأثير (بغداد/المشرق) فى البيئة الأندلسية فى حاجة إلى مزيد من الدراسات فى ميادين أخرى غير الميادين العلمية، وأعنى بها مجالات السياسة والنظم والاجتماع والعمارة.

وإذا كنا نؤكد فى دراستنا هذه على أن حجم التأثير (البغدادى/المشرقى) فى الحياة الثقافية بالأندلس كان كبيرا، فهل كان للفكر الأندلسى من تأثير على المشرق فى مجالات العلم والفكر؟. والإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى دراسة علمية على حده.

(٢) لا يزال التراث الأندلسى فى حاجة إلى مزيد من الدراسات المستوعبة للكشف عن جهود العلماء فى هذه المنطقة فى المجالات العلمية المختلفة، ولمعرفة حجم الإضافات التى قدمتها التجربة الأندلسية للتراث العربى الإسلامى من جانب، وللتراث الإنسانى كله من جانب آخر. وهذا يتطلب عمل دراسة شاملة لحصر الإنتاج العلمى الأندلسى بدقة، المطبوع منه والمخطوط، ثم القيام بدراسات فاحصة لهذا التراث، واستخراج ما فيه من خصوصيات أندلسية فى مجالات العلم والسياسة والنظم والاقتصاد والاجتماع.

(٣) إن موقع الأندلس التاريخى الفريد فى الحضارة الإسلامية وموقعها الجغرافى المتميز على الأرض الأوربية خولا لها دورا فريدا فى انتقال العلوم العربية الإسلامية من بغداد إلى أوربا. وهذا الدور يستحق أن نكرس له بحوثا دؤوبة تغوص فى تفصيلات الوقائع والأحداث التاريخية، شريطة أن نستفيد قبلا من تطورات العلم المعاصر، ومن ثم فإن تأثير الثقافة العربية الإسلامية فى أوربا عبر الأندلس فى حاجة إلى مزيد من الدراسات المستوعبة. وإذا كانت هناك بحوث نشرت حول هذا الموضوع فى مجالات الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة والجغرافيا والتاريخ والعمارة والموسيقى فإن هناك ميادين أخرى تنتظر من يكشف عنها اللثام، كالفكر الاجتماعى والسياسى وفلسفة التشريع وعلم الدين المقارن.

(٤) لا تزال مكتبات العالم تزخر بألوف المخطوطات العربية، شرقية كانت أو أندلسية تنتظر مزيدا من العناية، لإزاحة الركام عن كنوزها الدفينة والعمل على نشرها، والاستفادة منها فى كافة البحوث التى تعنى بدراسة الحضارة الإسلامية فى عصورها المختلفة وتأثيرها على النهضة العالمية الحديثة.

***

وفى الختام أرجو أن أكون قد وفقت فى محاولتى هذه وأن أكون قد أضفت (بجهد المقل) جديدا فى ميدان الحضارة الإسلامية عامة، وحقل الدراسات الأندلسية خاصة، وفى قضية التواصل بين المشرق والمغرب على وجه الخصوص. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل، والحمد لله أولا وآخرا.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

***

قسم الملاحق

* ويتضمن الملاحق التالية:

- الملحـــق الأول: الصـــور والأشكال والخرائط الملحقة بفصول البحث.
- الملحـــق الثانى: أسماء الخلفاء العباسيين.

- الملحـــق الثالث: قائمـــة تتضـــمن أسماء الخلفاء والأمراء الذين حكموا بلاد الأندلس عبر عصورها المختلفة.
- الملحـــق الرابع: نصوص تراثية

١- رسالة ابن حزم الأندلسى فى فضل الأندلس
٢- تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم.

- الملحق الخامس: قـــوائم بأسمـــاء الكتب البغدادية المشرقية التى وصلت إلى الأندلس.
- الملحق السادس: قـــوائم ببعض أسماء الكتب العربية التى ترجمت إلى اللاتينية والإسبانية القديمة عبر بلاد الأندلس.

(الملحق الأول)

الصور والأشكال الملحقة بفصول البحث

١ - العالم طبقا لخريطة المسعودى (عن بحث للدكتور عبد الله على الصنيع بعنوان "نظرات فى فضل المسلمين الأوائل على الجغرافيا". مجلة كلية التربية، جامعة أم القرى، رجب ١٤٠٢هـ/ مايو ١٩٨٢م [انظر صفحة (٢٧٧) من الدراسة].

٢- اسطرلاب من النحاس الأصفر ينسب إلى العراق، منقوش عليه اسم صانعه "بسطوس" ، وسنة الصنع ٣١٥هـ/٩٢٨م محفوظ فى دار الآثار الإسلامية - متحف الكويت الوطنى تحت رقم (LNS 36 M) - عن كتاب "الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد - ص ٧٦ [انظر ص (٣٤٦) من الدراسة].

٣- الصفحة الأولى من مخطوط أصول الهندسة المعروف بالمجسطى ل (أوقليدس) - معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ١٧ / حساب). وهى النسخة المترجمة فى زمن الخليفة المأمون المعروفة بالنقل المأمونى. ترجمها الحجاج بن يوسف بن مطر الوراق (كان حيا سنة ٢٢٠هـ)- [انظر ص (٣٥٣) من الدراسة].

٤- صورة من مخطوطة ثابت بن قرة الحرانى البغدادى (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م) توضح برهان نظرية فيثاغورث بعد التعديلات التى أدخلها ثابت عليها، (عن كتاب د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة الإسلامية ص ١٨١) - [انظر ص (٣٥٩) من الدراسة].

٥- الصفحة الأولى من مخطوط "الجبر والمقابلة" لمحمد بن موسى الخوارزمى (المتوفى ٢٣٦ هـ/٨٥١م) - (عن كتاب : د. على عبد الله الدفاع: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية - ص ١٥٣) - [انظر (ص ٣٦٥) من الدراسة].

٦- نموذج مخطوط لعضلات العين من كتاب (العشر مقالات فى العين) لحنين بن إسحق العبادى البغدادى (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) - (عن كتاب د. على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ٧٧) - [انظر (ص ٣٨٥) من الدراسة].

٧- رسمان توضيحيان يمثلان تشريح العين، عن نسخة من كتاب (تذكرة الكحالين) لعلى بن

عيسى (المتوفى ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) - عن كتاب: "الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى" - للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد ص ١٥٨ [انظر ص (٣٨٧) من الدراسة].

٨- صورة من مخطوطة كتاب (الحاوى فى علم التداوى) للرازى - عن كتاب "أعلام العرب والمسلمين فى الطب" - للدكتور على عبد الله الدفاع ص ٨٧. [انظر ص (٣٩٨) من الدراسة].

٩- صورة من نسخة مترجمة من كتاب الحشائش لديسقوريدس - عن كتاب "الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى" للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد ص ٢٤١ [راجع (ص ٤٠٥) من الدراسة].

١٠- الصفحة الأولى من مخطوط "منافع أعضاء الحيوان"، لعلى بن عيسى الطبيب الكحال (المتوفى ٤٠٠هـ) - معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٧٥٥/طب) - [انظر (ص ٤٣٣) من الدراسة].

١١- رسم توضيحى لقنديل من القناديل التى ترتفع فيها الفتائل تلقائيا لأحمد بن موسى بن شاكر المنجم البغدادى - (عن كتاب: العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية، للدكتور على عبد الله الدفاع ص ٣٠٩) [انظر ص ٤٣٩ من الدراسة].

١٢- صورتان من كتاب "سر الأسرار" فى الكيمياء للرازى/البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) عن كتاب : أعلام العرب فى الكيمياء، للدكتور فاضل أحمد الطائى) - [انظر الدراسة (ص ٤٢٠)] .

١٣- رسم تخطيطى للجهاز الذى استعمله الخازنى لتعيين الثقل النوعى - (عن كتاب : العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور على عبد الله الدفاع - ص ٣٣٢) - [انظر (ص ٤٤٧) من الدراسة].

١٤- الصفحتان الأولى والثانية من رسالة ابن سينا فى الموسيقى - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٢٥/موسيقى) - [انظر (ص ٤٦١) من الدراسة].

١٥- صورة الأرض للإدريسى، نقلا عن رسم لها نشره المجمع العلمى العراقى (عن كتاب د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس) [انظر (ص ٨٧٥) من الدراسة].

١٦- آلة الاصطرلاب صنعها أحد مسلمى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى - (عن بحث بعنوان "دراسة للحياة الفنية فى الأندلس من واقع توقيعات الصناع والفنانين الأندلسيين على أعمالهم الفنية" - للدكتور محمد محمد كحيلة - [ندوة "الأندلس: الدرس والتاريخ"] كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م - طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية) - [انظر (ص ٩٠٠) من الدراسة].

١٧- لوحة من المقالة الثلاثين من كتاب (التصريف) للزهراوى (عن كتاب: تاريخ الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية - للدكتور محمد العربى الخطابى - ص ٢١٠) - [انظر (ص ٩١٣) من الدراسة].

١٨- لوحة أخرى من كتاب (التصريف) للزهراوى - نقلا عن الكتاب نفسه [انظر (ص ٩١٥) من الدراسة].

١٩- صفحة من مخطوط "التيسير فى المداواة والتدبير" لأبى مروان عبد الملك بن زهر (المتوفى ٥٥٧هـ) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٤٢٦/طب) - [انظر (ص ٩١٩) من الدراسة].

٢٠- صفحة من مخطوط "الأدوية المفردة" -لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى الأندلسى (ت ٥٢٩هـ) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٢٩٠/طب) - [انظر (ص ٩٣٦) من الدراسة].

٢١- صورة توضح انتقال العلوم العربية والإسلامية من بغداد إلى قرطبة وطليطلة، ثم إلى الممالك الأوربية (نقلا عن كتاب: تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية - للدكتور فرج محمد الهونى) - [انظر (ص ٩٧٤) من الدراسة].

٢٢- تصويرة عن نسخة مترجمة من كتاب التصريف لأبى القاسم الزهراوى (المتوفى سنة ٤٠٤هـ) ، تمثل مجموعة من أدوات الجراحة التى ابتكرها عن كتاب: "الحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى - للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد - ص ١٥٦) [انظر (ص ٩٧٧) من الدراسة].

٢٣- صفحة من الترجمة اللاتينية لكتاب (الجبر والمقابلة) لمحمد بن موسى الخوارزمى ترجمه العالم الرياضى "جيرارد دى كريمونا فى (ق ١٢م) - (نقلا عن كتاب : العلوم البحتة فى الحضارة العربية الإسلامية للدكتور على عبد الله الدفاع ص ١٥٤) - [انظر (ص ٩٧٩) من الدراسة].

(الملحق الثانى)

الخلفاء العباسيون

الاسم	مدة خلافته	الاسم	مدة خلافته
١ - أبو العباس السفاح	(١٣٢-١٣٦هـ / ٧٤٩-٧٥٤م)	٢٠ - الراضى	(٣٢٢-٣٢٩هـ / ٩٣٤-٩٤٠م)
٢ - أبو جعفر المنصور	(١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤- ٧٧٥م)	٢١ - المتقى	(٣٢٩-٣٣٣هـ / ٩٤٠-٩٤٤م)
٣ - المهدى	(١٥٩-١٦٩هـ / ٧٧٥- ٧٨٥م)	٢٢ - المستكفى	(٣٣٣-٣٣٤هـ / ٩٤٤- ٩٤٦م)
٤ - الهادى	(١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥- ٧٨٦م)	٢٣ - المطيع	(٣٣٤- ٣٦٣هـ / ٩٤٦- ٩٧٤م)
٥ - هارون الرشيد	(١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦- ٨٠٩م)	٢٤ - الطائع	(٣٦٣-٣٨١هـ / ٩٧٤-٩٩٢م)
٦ - الأمين	(١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٩ - ٨١٣م)	٢٥ - القادر	(٣٨١-٤٢٢هـ / ٩٩٢-١٠٣١م)
٧ - المأمون	(١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م)	٢٦ - القائم	(٤٢٢-٤٦٧ / ١٠٣١-١٠٧٥م)
٨ - المعتصم	(٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣ -٨٤٢م)	٢٧ - المقتدى	(٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٥- ١٠٩٤م)
٩ - الواثق	(٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤٢- ٨٤٧م)	٢٨ - المستظهر	(٤٨٧-٥١٢م / ١٠٩٤-١١١٨م)
١٠ - المتوكل	(٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧- ٨٦١م)	٢٩ - المسترشد	(٥١٢-٥٢٩هـ / ١١١٨-١١٣٥م)
١١ - المنتصر	(٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١ - ٨٦٢م)	٣٠ - الراشد	(٥٢٩-٥٣٠هـ / ١١٣٥-١١٣٦م)
١٢ - المستعين	(٢٤٨-٢٥١هـ / ٨٦٢ -٨٦٦م)	٣١ - المقتفى	(٥٣٠-٥٥٥هـ / ١١٣٦-١١٦م)
١٣ - المعتز	(٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦ - ٨٦٩م)	٣٢ -المستنجد	(٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م)
١٤ - المهتدى	(٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩ - ٨٧٠م)	٣٣ - المستضئ	(٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م)
١٥ - المعتمد	(٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠ - ٨٩٢م)	٣٤ - الناصر لدين الله	(٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م)
١٦ - المعتضد	(٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢ - ٩٠٢م)	٣٥ - الظاهر	(٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م)
١٧ - المكتفى	(٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢ - ٩٠٨م)	٣٦ - المستنصر	(٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)
١٨ - المقتدر	(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨- ٩٣٢م)	٣٧ - المستعصم	(٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م)
١٩ - القاهر	(٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م)		

(الملحق الثالث)

قائمة بأسماء الخلفاء والأمراء الذين حكموا بلاد الأندلس عبر عصورها المختلفة[1]

((أمراء بنى أمية فى الأندلس))

عبد الرحمن الأول	١٣٨هـ - ٧٥٦ م
هشام الأول	١٧٢هـ - ٧٨٨م
الحكم الأول	١٨٠هـ - ٧٩٦م
عبد الرحمن الثانى	٢٠٦هـ - ٨٢٢م
محمد الأول	٢٣٨هـ - ٨٥٢م
المقتدر	٢٧٣هـ - ٨٨٦م
عبد الله بن محمد	٢٧٥هـ - ٨٨٨م

« خلفاء بنى أمية فى الأندلس »

عبد الرحمن الثالث	٣٠٠هـ - ٩١٢م
الحكم الثانى المستنصر	٣٥٠هـ - ٩٦١م
هشام الثانى المؤيد	٣٦٦هـ - ٩٧٦م
محمد الثانى المهدى	٣٩٩هـ - ١٠٠٩م
سليمان المستعين	٤٠٠هـ - ١٠٠٩م
محمد الثانى (مرة ثانية)	٤٠٠هـ - ١٠١٠م
هشام الثانى (مرة ثانية)	٤٠٣-٤٠٧هـ - ١٠١٣ - ١٠١٦م
سليمان المستعين (مرة ثانية)	٤٠٣-٤٠٧هـ - ١٠١٣ - ١٠١٦م

---

١ من كتاب العالم الإسلامى - لعمر رضا كحالة - الجزء الثانى ص ٧٨ - ٨٢ (المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).

عبد الرحمن الرابع المرتضى	٤٠٩هـ - ١٠١٨م
عبد الرحمن الخامس المستظهر	٤١٤هـ - ١٠٢٣م
محمد الثالث المستكفى	٤١٤هـ - ١٠٢٤م
هشام الثالث المعتمد	٤١٨ - ٤٢٢هـ - ١٠٢٧-١٠٣١م

« الدولة الزيرية فى غرناطة »

زاوى بن زيرى	٤٠٣هـ - ١٠١٢م
حسون	٤١٠هـ - ١٠١٩م
باديس بن حسون المظفر	٤٣٠هـ - ١٠٣٨م
عبد الله بن سيف بلكين	٤٦٦هـ - ١٠٧٣م
تميم بن بلكين	٤٨٣ هـ - ١٠٩٠م

« دولة بنى حمود فى مالقة »

على الناصر	٤٠٧هـ - ١٠١٦م
القاسم المأمون	٤٠٨هـ - ١٠١٨م
يحيى المعتلى	٤١٢هـ - ١٠٢١م
القاسم (مرة ثانية)	٤١٣هـ - ١٠٢٢م
يحيى (مرة ثانية)	٤١٦هـ - ١٠٢٥م
إدريس المتأيد	٤٢٧هـ - ١٠٣٥م
حسان المستنصر	٤٣١هـ - ١٠٣٩م
إدريس الثانى العلى	٤٣٤هـ - ١٠٤٢م
محمد الأول المهدى	٤٣٨هـ - ١٠٤٦م
إدريس الثالث الموفق	٤٤٤هـ - ١٠٥٢م
إدريس الثانى (مرة ثانية)	٤٤٥هـ - ١٠٥٣م
محمد الثانى المستعلى	٤٤٦-٤٤٩هـ - ١٠٥٤ - ١٠٥٧م

« ملوك دانية »

مجاهد بن يوسف ٤٠٨هـ - ١٠١٧م

على إقبال الدولة بن مجاهد ٤٣٦- ٤٦٨هـ - ١٠٤٤- ١٠٧٥م

« الدولة التجيبية والهودية فى سرقسطة »

منذر بن المنصور بن مطرف بن يحيى التجيبى ٤١٠هـ - ١٠١٩م

يحيى بن المظفر بن منذر ٤١٤هـ - ١٠٢٣م

المنذر بن يحيى ٤٢٠هـ - ١٠٢٩م

سليمان المستعين بن هود ٤٣١هـ - ١٠٣٩م

أحمد سيف المقتدر ٤٣٨هـ - ١٠٤٦م

يوسف المؤتمن بن أحمد ٤٧٤هـ - ١٠٨١م

أحمد المستعين بن يوسف ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م

عبد الملك بن أحمد ٥٠٣هـ - ١١٠٩م

أحمد بن يوسف بن عبد الملك ٥١٣- ٥٣٦هـ - ١١١٩ - ١١٤١م

« الدولة العامرية فى بلنسية »

عبد العزيز المنصور ٤١٢هـ - ١٠٢١م

عبد الملك المظفر ٤٥٣ - ٤٥٧هـ - ١٠٦١- ١٠٦٥م

أبو بكر بن عبد الملك ٤٦٨هـ - ١٠٧٥م

عثمان بن أبى بكر ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م

« دولة بنى عباد فى إشبيلية »

أبو القاسم محمد الأول بن إسماعيل ٤١٤هـ - ١٠٢٣م

أبو عمر عباد المعتضد ٤٣٤هـ - ١٠٤٢م

أبو القاسم محمد الثانى المعتمد ٤٦١-٤٨٤هـ - ١٠٨٨-١٠٩١م

« الدولة الجهورية فى قرطبة »

أبو الحزم جهور	٤٢٢هـ - ١٠٣١م
أبو الوليد محمد بن جهور	٤٣٥هـ - ١٠٤٣م
عبد الملك بن محمد	٤٥٠-٤٦١هـ ١٠٥٨-١٠٦٨م

« دولة بنى ذى النون فى طليطلة »

إسماعيل الظافر	٤٢٧هـ - ١٠٣٥م
يحيى المأمون بن إسماعيل	٤٢٩هـ - ١٠٣٧م
يحيى القادر بن إسماعيل بن مأمون	٤٦٧-٤٧٨هـ - ١٠٧٤- ١٠٨٥م

« دولة بنى حمود فى الجزيرة الخضراء »

محمد المهدى	٤٣١هـ - ١٠٣٩م
القاسم الواثق	٤٤٠-٤٥٠هـ - ١٠٤٨-١٠٥٨م

« الدولة النصرية »

محمد الأول الغالب	٦٢٩هـ - ١٢٣٢م
محمد الثانى	٦٧١هـ - ١٢٧٣م
محمد الثالث	٧٠١هـ - ١٣٠٢م
ناصر أبو الجيوش	٧٠٨هـ - ١٣٠٩م
إسماعيل الأول أبو الوليد	٧١٣هـ - ١٣١٤م
محمد الرابع	٧٢٥هـ - ١٣٢٥م
يوسف أبو الحجاج الأول	٧٣٣هـ - ١٣٣٣م
محمد الخامس	٧٥٥هـ - ١٣٥٤م
إسماعيل الثانى	٧٦٠هـ - ١٣٥٩م
محمد السادس أبو سعيد	٧٦١هـ - ١٣٦٠م

محمد الخامس (مرة ثانية)	٧٦٣هـ - ١٣٦٢م
يوسف الثانى	٧٩٣هـ - ١٣٩١م
محمد السابع	٧٩٤هـ - ١٣٩٢م
يوسف الثالث	
أبو الحجاج الناصر	٨١٠هـ - ١٤٠٧م
محمد الثامن	٨٢٠هـ - ١٤١٧م
محمد التاسع	٨٣١هـ - ١٤٢٧م
محمد الثامن (مرة ثانية)	٨٣٣هـ - ١٤٢٩م
يوسف الرابع	٨٣٥هـ - ١٤٣٢م
محمد الثامن (مرة ثالثة)	٨٣٥هـ - ١٤٣٢م
محمد العاشر	٨٤٨هـ - ١٤٤٤م
المستعين	٨٤٩هـ - ١٤٤٥م
محمد العاشر (مرة ثانية)	٨٥٠هـ - ١٤٤٦م
المستعين (مرة ثانية)	٧٥٨هـ - ١٤٥٣م
على أبو الحسن	٨٦٦هـ - ١٤٦١م
محمد الحادى عشر	٨٨٧هـ - ١٤٨٢م
على أبو الحسن (مرة ثانية)	٨٨٨هـ - ١٤٨٣م
محمد الثانى عشر	٨٩٠هـ - ١٤٨٥م
محمد الحادى عشر (مرة ثانية)	٨٩٢-٨٩٧هـ - ١٤٨٦-١٤٩٢م

***

الملحق الرابع
نصوص تراثية

يتضمن هذا الملحق نصا منتزعا من كتاب "نفح الطيب" للمقرى (المتوفى ١٠٤١ هـ/١٦٣٢م) [بتحقيق إحسان عباس - دار صادر، بيروت ، لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م]. وهذا النص عبارة عن :

١ - رسالة (ابن حزم الأندلسى - المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) فى فضل الأندلس (ج ٣، ص ١٥٦ - ١٧٩) من "نفح الطيب".

٢ - تذييل ابن سعيد الأندلسى (المتوفى ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) على رسالة ابن حزم (ج٣، ص ١٧٩ - ١٨٦) من "نفح الطيب".

تنبيهات:

١- اعتمدت الدراسة كثيرا على هاتين الرسالتين، وأحلنا عليهما فى سياق حديثنا عن الخصوصية الأندلسية فى ميادين العلم والفكر، وفى سياق الحديث عن أحد اتجاهات علم التاريخ فى التراث الأندلسى، وهو التأريخ الثقافى[1].

٢ - التعليقات الموجودة فى هوامش هذا النص هى للدكتور إحسان عباس، وقد حذفنا منها ما لا فائدة من ذكره هنا.

٣ - العناوين المذكورة بين معكوفتين - هكذا [ ] - هى من وضعنا نحن.

---

١) راجع (ص ٦٨٨-٦٨٩)، (ص ٨٦٢)، (ص ٨٦٣).

رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس

قلت: وقد رأيت أن أذكر رسالة أبى محمد ابن حزم الحافظ التى ذكر فيها بعض فضائل الأندلس، لاشتمالها على ما نحن بصدده. وذلك أنه كتب أبو على الحسن بن محمد بن أحمد ابن الربيب التميمى القيروانى[١] . إلى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس فى تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم، ما صورته:

«كتبت يا سيدى، وأجل عددى، كتب الله تعالى لك السعادة، وأدام لك العز والسيادة، سائلا مسترشدا، وباحثا مستخبرا، وذلك أنى فكرت فى بلادكم إذ كانت قرارة كل فضل، ومنهل كل خير، ومقصد كل طرفة، ومورد كل تحفة، وغاية آمال الراغبين، ونهاية أمانى الطالبين، إن بارت تجارة فإليها تجلب، وإن كسدت بضاعة ففيها تنفق، مع كثرة علمائها، ووفور أدبائها، وجلالة ملوكها، ومحبتهم فى العلم وأهله، يعظمون من عظمه، ويرفعون من رفعه أدبه، وكذلك سيرتهم فى رجال الحرب: يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت فى الحروب نكايته، فشجع الجبان، وأقدم الهيبان، ونبه الخامل، وعلم الجاهل، ونطق العيى، وشعر البكى، واستنسر البغاث، وتثعبن الحفاث[٢]، فتنافس الناس فى العلوم، وكثر الحذاق فى جميع الفنون، ثم هم مع ذلك على غاية التقصير ونهاية التفريط، من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أمصارهم، وخلدوا فى الكتب مآثر بلدانهم، وأخبار الملوك والأمراء، والكتاب والوزراء، والقضاة والعلماء، فأبقوا لهم ذكرا فى الغابرين يتجدد على مر الليالى والأيام، ولسان صدق فى الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام. وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم فى ظله لا يبرح، وراتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف إن صنف، أن يعنف، وإن ألف أن يخالف، ولا يؤالف، أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق، لم يتعب أحد منهم نفسا فى جمع فضائل أهل بلده، ولم يستعمل خاطره فى مفاخر ملوكه، ولا

---

١) ترجم العمرى فى المسالك ١١ : ٣١٩ نقلا عن أنموذج ابن رشيق لمن اسمه ابن الربيب القاضى الحسين ابن محمد التميمى، وقال إن أصله من تاهرت، وكان عارفا بالأدب وعلم النسب قوى الكلام يتكلفه بعض تكلف، وكان عبد الكريم النهشلى أستاذ ابن رشيق يعده شاعرا مقدما.

٢) تثعبن الحفاث: أخذ هيئة الثعبان؛ والحفاث: حيوان كالثعبان يفح فحيحه ويثب مثل وثبه ولكنه غير مؤذ.

بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه، ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه، على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال عليه المسالك، ولم تخرج به المذاهب، ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد، ولكن هم أحدهم أن يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق، ويفوز بقدح ابن مقبل، ويأخذ بكظم دغفل، ويصير شجا فى حلق أبى العميثل، فإذا أدرك بغيته، واخترمته منيته، دفن معه أدبه وعلمه، فمات ذكره، وانقطع خبره، ومن قدمنا ذكره من علماء الأمصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الأكياس، فألفوا دواوين بقى لهم بها كره مجدد طول الأبد.

فإن قلت: إنه كان مثل ذلك من علمائنا، وألفوا كتبا لكنها لن تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق، لأنه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب، أو رحلة قارب، لو نفث من بلدكم مصدور، لأسمع من ببلدنا فى القبور، فضلا عمن فى الدور والقصور، وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذى سماه "بالعقد"، على أنه يلحقه فيه بعض اللوم، لا سيما إذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه، أكثر الحز وأخطأ المفصل، وأطال الهز لسيف غير مقصل، وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم، وإغفال ما يهمهم. فأرشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله إن كانت عندك فى ذلك الجلية، وبيدك فصل القضية. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

[رد ابن حزم على ابن الربيب]

فكتب الوزير الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، عند وقوفه على هذه الرسالة، ما نصه:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله، وعلى أصحابه الأكرمين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته الفاضلين الطيبين.

[١] أما بعد يا أخى يا أبا بكر[١] ، سلام عليك سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ. وكثرت الأيام والليالى، ثم لقيك فى حال سفر ونقله، ووادك فى خلال جولة ورحلة، فلم يقض من مجاورتك أربا، ولا بلغ فى محاورتك مطلبا، وإنى لما احتللت بك، وجالت يدى فى مكنون كتبك، ومضمون دواوينك، لمحت عينى فى تضاعيفها درجا، فتأملته، فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبينا فى الدار أهل إفريقية، ثم ممن ضمته حاضرة

---

١) هو أبو بكر محمد بن إسحق المهلبى الإسحاقى الوزير، من أهل الأدب والفضل (الجذوة: ٤٢) وقد كان صديقا لابن حزم يتنقلان معا فى أرجاء الأندلس، واعتقلهما خيران معا كذلك.

قيروانهم، إلى رجل لم يعينه باسمه[١]، ولا ذكره بنسبه، يذكر له فيها أن علماء بلدنا بالأندلس - وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف - فإن همهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم، ثم تعدى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم، ويبقى علمهم. بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه، وحقق ظنه فى ذلك، واستدل على صحته عند نفسه بأن شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان إليهم منقولا، وعندهم ظاهرا، لقرب المزار، وكثرة السفار، وترددهم إليهم، وتكررهم علينا.

ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الآهل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل، والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى، قرارة المجد ومحل السؤدد. ومحط رحال الخائفين، وملقى عصا التسيار عند الرئيس الأجل الشريف قديمه وحسبه، الرفيع حديثه ومكتسبه، الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته، وينال حضره هويناه، وأربأ به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو إلى المكارم سموه، ولا يدنو من المعالى دنوه، ولا يعلو فى حميد الخلال علوه، بل أكتفى من مدحه باسمه المشهور، وأجتزى من الإطالة فى تقريظه بمنتماه المذكور، فحسبى بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور، وفضله المشهور، أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت[٢]، أطال الله بقاءه، وأدام اعتلاءه، ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه، ولا أخلى الأيام من تزينها بعلاه، فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب، وراغبا فى أن يبين له ما لعله قد رآه فنسى أو بعد عنه فخفى، فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى أن ذلك المخاطب قد مات، رحمنا الله تعالى وإياه، فلم يكن لقصده بالجواب معنى، وقد صارت المقابر له مغنى، فلسنا بمسمعين من فى القبور، فصرفت عنان الخطاب إليك، إذ من قبلك صرت إلى الكتاب المجاوب عنه، ومن لدنك وصلت إلى الرسالة المعارضة، وفى وصول كتابى على هذه

---

١) لعل ابن حزم يعنى أنه لم يجد فى الرسالة التى بعثها ابن الربيب اسم المرسل إليه ونسبته، وقد صرح ابن بسام- كما ذكر المقرى فى النفح - أن ابن الربيب خاطب أبا المغيرة ابن حزم، وأن أبا المغيرة رد عليه برسالة أطال فيها القول وختم بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس (الذخيرة ١/١: ١١١-١١٦).

٢) ذكر ابن الأبار فى التكملة: ٣٨٨ أن ابن حزم كتب هذه الرسالة بطلب من أبى عبد الله محمد بن عبد الله الفهرى صاحب البونت ويلقب: "يمن الدولة" (والبونت Alpuente) من أعمال بلنسية استقل فيها بنو قاسم الفهريون بعد الفتنة، وأولهم عبد الله بن قاسم (- ٤٢١) وخلفه يمن الدولة وبقى حاكما حتى سنة ٤٣٤ (أعمال الأعلام : ٣٠٨).

الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تآليف أهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الأول، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإن كنت فى إخبارى إياك بما أرسمه فى كتابى هذا كمهد إلى البركان نار الحباحب، وبانى صوى فى مهيع القصد اللاحب، فإنك وإن كنت المقصود والمواجه، فإنما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضى، وما توفيقى إلا بالله سبحانه.

(٣) فأما مآثر بلدنا فقد ألف فى ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى[١] كتبا جمة: منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها، وأمهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس فى غيره، وهو كتاب مريح مليح.

وأنا أقول: لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة فى الحديث الذى رويناه من طريق أبى حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته به عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك[٢]، لكفى شرفا بذلك يسر عاجله، ويغبط آجله.

فإن قال قائل: «فلعله صلوات الله تعالى عليه إنما عنى بذلك الحديث أهل صقلية وإقريطش، وما الدليل على ما ادعيته من أنه صلى الله عليه وسلم عنى الأندلس حتما؟ ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح، وبيان لائح، لا يحتمل التوجيه، ولا يقبل التجريح»: فالجواب - وبالله التوفيق - أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأمر بالبيان لما أوحى إليه، وقد أخبر فى ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج هذا البحر غزاة واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها صلى الله عليه وسلم، وهو إخباره بالشئ قبل كونه، وصح البرهان على رسالته بذلك، وكانت من الغزاة إلى قبرس، وخرت عن بغلتها هناك، فتوفيت، رحمها الله تعالى، وهى أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقينا أن الغزاة إلى قبرس هم الأولون الذين بشر بهم النبى صلى الله عليه وسلم، وكانت أم

---

١) ترجمة الرازى فى الجذوة : ٩٦ وطبقات الزبيدى: ٣٢٧.

٢) صحيح مسلم ٢: ١٠٤، وفيه أن رسول الله (ﷺ) نام ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت له أم ملحان : ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ... إلخ، وأنه نام مرة أخرى، وفعل كفعله الأول، فلما قالت له أم ملحان: ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: انت من الأولين.

حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا سبيل أن يظن به وقد أوتى ما أوتى من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى إحداهما أولى إلا والتالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة وتركيب العدد، وهذا يقتضى طبيعة صناعة المنطق، إذ لا تكون الأولى أولى إلا لثانية، ولا الثانية ثانية إلا لأولى، فلا سبيل إلى ذكر ثالث إلا بعد ثان ضرورة، وهو صلى الله عليه وسلم إنما ذكر طائفتين، وبشر بفئتين، وسمى إحداهما الأولين، فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين، والآخر من الأول هو الثانى الذى أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خير القرون بعد قرنه. وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خير من كل قرن بعده، ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية، وكان الأمير بها فى تلك السفن هبيرة الفزارى، **وأما صقلية** فإنها فتحت صدر أيام الأغالبة سنة ٢١٢، أيام قاد إليها السفن غازيا أسد بن الفرات القاضى صاحب أبى يوسف رحمه الله تعالى. وبها مات، **وأما إقريطش** فإنها فتحت بعد الثلاث والمائتين[١]، افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ[٢]، من أهل قرية "بطروج" من عمل "فحص البلوط" المجاور لقرطبة من بلاد الأندلس، وكان من فل الربضيين، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذى غنمها فى أيامه أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠هـ[٣]، وكان أكثر المفتتحين لها أهل الأندلس.

[٤] وأما فى قسم الأقاليم فإن قرطبة مسقط رؤوسنا، ومعق[٤] تمائمنا، مع "سر من رأى" فى إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كانت الأنوار لا تأتينا إلا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور، ذلك عند المحسنين للأحكام التى تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها، فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد، بارتفاع أحد النيرين بها تسعين درجة، وذلك من أدلة التمكن فى العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا،

---

١) فى الجذوة: بعد الثلاثين والمائتين، وفى ياقوت "إقريطش" : بعد سنة ٢٥٠، وذكر أبو سعيد بن يونس أن شعيب بن عمر بن عيسى أبا عمر، تولى فتح جزيرة إقريطش بعد سنة عشرين ومائتين، وقال البلاذرى (فتوح: ٢٧٩) إن أبا حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالإقريطشى غزاها فى خلافة المأمون وافتتح حصنا واحدا ونزله ثم لم يزل يفتح منها شيئا بعد شئ؛ ولعل هذا هو سبب الاختلاف فى تاريخ فتحها.

٢) ترجمة عمر بن شعيب فى الجذوة: ٢٨٢ نقلا عن ابن حزم.

٣) افتتحها أرمانوس فى منتصف المحرم ٣٥٠ فقتل ونهب وأخذ صاحبها عبد العزيز بن شعيب وبنى عمه وأموالهم إلى القسطنطينية (ياقوت: إقريطش).

٤) أى موضع قطعها دلالة على تجاوز سن الطفولة.

وقد صدق ذلك الخبر، وأبانته التجربة، **فكان أهلها من التمكن فى علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائى الأقطارفسيح المجال.**

[٥] والذى نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكنا فيه شركاء لأكثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الأعمال، فهذه القيروان بلد المخاطب لنا، ما أذكر أنى رأيت فى أخبارها تأليفا غير "المعرب عن أخبار المغرب" وحاشا تواليف محمد بن يوسف الوراق[١]، فإنه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى فى مسالك إفريقية وممالكها ديوانا ضخما، وفى أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة، وكذلك ألف أيضا فى أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة[٢] وغيرها تواليف حسانا، ومحمد هذا أندلسى الأصل والفرع، آباؤه من وادى الحجارة، ومدفنه بقرطبة، وهجرته إليها، وإن كانت نشأته بالقيروان.

[٦] ولابد من إقامة الدليل على ما أشرت إليه ها هنا إذ مرادنا أن نأتى منه بالمطلب، فيما يستأنف إن شاء الله تعالى، وذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين، دون محاشاة أحد، بل قد تيقنا إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التى استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات، فإن ذكروا الكوفيين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم صدروا بعلى وابن مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهم، وإنما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا، وقد بقى (٥٨) عاما وأشهرا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى، وكذلك أيضا أكثر أعمار من ذكرنا. وإن ذكروا البصريين بدأوا بعمران ابن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وأبى بكرة، وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف، وجمهرة أعمارهم خلت هنالك. وإن ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية، والأمر فى هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم، وكذلك فى المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوى، وفى المكيين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، والحكم فى هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا، فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحق به، وهو منا بحكم جميع أولى الأمر منا الذين إجماعهم فرض اتباعه، وخلافه محرم اقترافه، **ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظ لنا فيه،**

---

١) محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخى الوراق (الجذوة: ٩ وبغية الملتمس رقم: ٣٠٤ وفيهما ما قاله ابن حزم).

٢) يعنى بصرة المغرب، وكانت قريبا من مدينة أصيلا.

والمكان الذى اختاره أسعد به، فكما لا ندع إسماعيل بن القاسم[١] فكذلك لا ننازع فى محمد بن هانئ سوانا. والعدل أولى ما حرص عليه، والنصف أفضل ما دعى إليه، بعد التفصيل الذى ليس هذا موضعه، وعلى ما ذكرنا من الإنصاف تراضى الكل.

[٧] **وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة، والمحلة التى سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق فى تصريف العلوم، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر، وهذه البصرة وهى عين المعمور فى كل ما ذكرنا**، وما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبى طاهر[٢]، وأما سائر التواريخ التى ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد.

ولا أعلم فى أخبار **البصرة** غير كتاب عمر بن شبة[٣]، وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبى سفيان فى خطط البصرة وقطائعها، وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزى النسب [فى] صفاتها وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها،

ولا أعلم فى أخبار **الكوفة** غير كتاب عمر بن شبة.

وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والرى والسند وأرمينية وأذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم فى شئ منها تأليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحى، وعلمائها وشعرائها وأطبائها[٤].

ولقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه علم، على أنهم العلية الرؤساء، والأكابر العظماء، ولو كان فى شئ من ذلك تأليف لكان الحكم فى الأغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم[٥]، وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهانى فى أخبار أصبهان[٦]، وكتاب الموصلى وغيره فى أخبار مصر، وكما بلغنا سائر تواليفهم فى أنحاء العلوم.

---

١) يريد أبا على القالى، أى أنه يعده أندلسيا - حسب مقياسه - لأنه هاجر إلى الأندلس وأقام فيها حتى توفى.

٢) أبو الفضل أحمد بن طاهر طيفور (- ٢٨٠) وكتابه المشار إليه "بغداد" بقيت منه قطعة نشرها هنسى كلر بالزنكوغراف (١٩٠٨) وأعيد طبعها بمصر (١٣٦٨هـ) : انظر ترجمته فى معجم الأدباء ١: ١٥٢.

٣) هو كتاب "أخبار أهل البصرة" ولمؤلفه ترجمة فى معجم الأدباء ٦ :٤٨١ والتهذيب ٧: ٤٦٠ وبغية الوعاة: ٣٦١ ونور القبس: ٢٣١.

٤) كثرت المؤلفات فى البلدان بعد ابن حزم؛ انظر الإحاطة ١ : ٩٠ والإعلان : ١٢١ - ١٣٥.

٥) توفى ابن حزم (سنة ٤٥٦هـ) قبل أن يصل تاريخ بغداد للخطيب إلى قرطبة.

٦) انظر ترجمة حمزة الأصبهانى فى تاريخ أصبهان ١:٣٠٠ وقد وصلنا من كتبه تواريخ سير ملوك الأرض والأنبياء، والدرة الفاخرة (مخطوط) وشرح ديوان أبى نواس، أما كتابه فى تاريخ بلده فلم يصلنا.

وقد بلغنا تأليف القاضى أبى العباس محمد بن عبدون القيروانى فى الشروط[١]، واعتراضه على الشافعى رحمه الله تعالى، وكذلك بلغنا رد القاضى أحمد بن طالب التميمى على أبى حنيفة[٢] وتشيعه على الشافعى، وكتب ابن عبدوس[٣] ومحمد بن سحنون[٤] وغير ذلك من خوامل تآليفهم دون مشهورها.

[٨] وأما جهتنا فالحكم فى ذلك ما جرى به المثل السائر "أزهد الناس فى عالم أهله"، وقرأت فى الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال: «لا يفقد النبى حرمته إلا فى بلده». وقد تيقنا ذلك بما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من قريش - وهم أوفر الناس أحلاما وأصحهم عقولا وأشدهم تثبتا، مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع، وتغذيتهم بأكرم المياه - حتى خص الله تعالى الأوس والخزرج بالفضيلة التى أبانهم بها عن جميع الناس، **والله يؤتى فضله من يشاء؛ ولا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتى به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما فى سائر البلاد، إن أجاد قالوا: سارق مغير ومنتحل مدع، وإن توسط قالوا: غث بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا : متى كان هذا؟ ومتى تعلم؟ وفى أى زمان قرأ؟ ولأمه الهـــبل! وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين: إما شفوفا بائنا يعليه على نظرائه، أو سلوكا فى غير السبيل التى عهدوها فهنالك حمى الوطيس على البائس، وصار غرضا للأقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب إليه ونهبا للألسنة وعرضة للتطرق إلى عرضه،** وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه، وبالحرى وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحظ أن يسلم من المتالف وينجو من المخالف، فإن تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه، وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه، وذهبت محاسنه، وسترت فضائله، وهتف ونودى بما أغفل، فتنكس لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته، وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا، أو يعمل رسالة، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، ولا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائت والمطفف المستولى على الأمد.

---

١) أبو العباس محمد بن عبدون بن أبى ثور، كان قاضيا على القيروان نحو ثلاثين شهرا، وعزله عنها إبراهيم ابن الأغلب، وكان حافظا لمذهب أبى حنيفة موثقا كاتبا للشروط والوثائق (علماء إفريقية: ٢٤١ ، ٣٠٧).

٢) صوابه: عبد الله بن أحمد بن طالب، قال فيه الخشنى: وكان له نظر ومناظرة وكتب يرد فيها على الشافعى لا بأس بها (علماء إفريقية: ٢٥٧ ، ٢٩٧).

٣) هنالك اثنان هما محمد وإسحق ابنا إبراهيم بن عبدوس والأول منهما كان حافظا لمذهب مالك، وله على مذهبه كتاب اسمه "المجموعة" (توفى سنة ٢٥٨) . انظر علماء إفريقية: ١٨٢.

٤) انظر علماء إفريقية: ٢٥٦، ٢٩٦.

[٥- ذكر مؤلفات الأندلسيين]:

وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع، وألفت عندنا تآليف فى غاية الحسن، لنا خطر السبق فى بعضها: فمنها كتاب "الهداية" لعيسى بن دينار[١] ، وهى أرفع كتب جمعت فى معناها على مذهب مالك وابن القاسم، وأجمعها للمعانى الفقهية على المذهب، فمنها كتاب "الصلاة" وكتاب "البيوع" وكتاب "الجدار" فى الأقضية وكتاب "النكاح والطلاق".

ومن الكتب المالكية التى ألفت بالأندلس كتاب القطنى مالك بن على[٢] ، وهو رجل قرشى من بنى فهر لقى أصحاب مالك وأصحاب أصحابه، وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات، ومنها كتاب أبى إسحق يحيى بن إبراهيم بن مزين فى "تفسير الموطأ" والكتب[٣] (المستقصية لمعانى الموطأ وتوصيل مقطوعاته) من تآليف ابن مزين أيضا، وكتابه فى "رجال الموطأ وما لمالك عن كل واحد منهم من الآثار فى موطأه".

وفى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد، فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف فى الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره[٤].

ومنها فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله فى الحديث وجودة شيوخه، فإنه روى عن مائتى رجل وأربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير. ومنها مصنفه فى فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع فى شئ من هذه، فصارت

---

١) عيسى بن دينار بن واقد الغافقى "الجذوة: ٢٧٩ وبغية الملتمس رقم: ١١٤٤ وابن الفرضى ١:٣٧٣ صحب عبد الرحمن العتقى صاحب مالك وتفقه عليه وأصبح إماما فى الفقه على مذهب مالك (توفى سنة ٢١٢).

٢) هـــو مالك بن على بن مالك بن عبد الملك بن قطن الفهرى (ولذلك يقال له القطنى، وفى دوزى والأصول القصى) أبو خالد الزاهد له مختصر فى الفقه على مذهب مالك، وتوفى سنة ٢٦٨؛ انظر الجذوة: ٣٢٤ وبغية الملتمس رقم :١٣٥٠ وابن الفرضى ٢ : ٣.

٣) كذا بصيغة الجمع ولعله يعنى الأجزاء؛ وذكر ابن الفرضى أن له كتابا استقصى فيه علل الموطأ سماه "المستقصية".

٤) انظر "الجذوة" : ١٦٧ (وهو ينقل كلام ابن حزم) والصلة : ١١٨.

تآليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام، لا نظير لها، وكان متخيرا لا يقلد أحدا، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه.

ومنها فى أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجارى[١]، وكان شافعى المذهب بصيرا بالكلام على اختياره، وكتاب القاضى أبى الحكم منذر بن سعيد وكان داودى المذهب قويا على الانتصار له، وكلاهما فى أحكام القرآن غاية، ولمنذر مصنفات منها كتاب "الإبانة عن حقائق أصول الديانة".

ومنها فى الحديث مصنف أبى محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح، ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن[٢] ، وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات، ولقاسم بن أصبغ هذا تآليف حسان جدا، منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل[٣] وكلامه.

ومنها كتاب "المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى" وهو خير منه وأنقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة.

ومنها كتاب فى فضائل قريش وكنانة[٤]، وكتابه فى الناسخ والمنسوخ، وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس فى الموطأ.

ومنها كتاب "التمهيد" لصاحبنا أبى عمر يوسف بن عبد البر، وهو الآن بعد فى الحياة[٥] لم يبلغ سن الشيخوخة، وهو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه.

ومنها كتاب "الاستذكار" وهو اختصار التمهيد[٦] المذكور ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها: منها كتابه المسمى بالكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتى الحاجة إليه وبوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال فى معناه. ومنها كتابه فى الصحابة ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا فى

---

١) الجذوة: ابن آمنة (ص : ٣٨٠).

٢) انظر الجذوة : ٦٣.

٣) يعنى إسماعيل بن إسحق القاضى البغدادى (الجذوة : ٣١١) وبقية النص عن قاسم بن أصبغ مثبت فى الجذوة.

٤) وكنانة: لم تذكر فى الجذوة.

٥) م: بقية الحياة، وقد توفى ابن عبد البر سنة ٤٦٣ (راجع الصلة : ٦٤٠ والجذوة : ٣٤٤).

٦) م: التهذيب.

ذلك[١]. ومنها كتاب "الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء، والحجة لكل واحد منهما". ومنها كتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس، مما يجرى فى المذاكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات". ومنها كتاب "جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغى فى روايته"[٢].

ومنها كتاب شيخنا القاضى أبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضى فى المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال، ولم يبلغ عبد الغنى الحافظ البصرى فى ذلك إلا كتابين، وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله فى فنه البتة.

ومنها تاريخ أحمد بن سعيد[٣]، ما وضع فى الرجال أحد مثله إلا ما بلغنا من تاريخ محمد ابن موسى العقيلى البغدادى، ولم أره، وأحمد بن سعيد هو المتقدم إلى التأليف القائم فى ذلك.

ومنها كتب محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القاضى، وهى كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى، وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى.

ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطى، فما شآه أبو عبيد إلا بتقدم العصر.

ومنها فى الفقه "الواضحة" والمالكيون لا تمانع بينهم فى فضلها واستحسانهم إياها، ومنها "المستخرجة من الأسمعة" وهى المعروفة بـ"العتبية"، ولها عند أهل إفريقية القدر العالى والطيران الحثيث، والكتاب الذى جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الإشبيلى المعروف بابن المكوى[٤] (ت ٤٠١هـ)، والقرشى أبو مروان المعيطى[٥] فى جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب "الباهر" الذى جمع فيه القاضى أبو بكر محمد بن أحمد الحداد البصرى أقاويل الشافعى كلها.

ومنها كتاب "المنتخب" الذى ألفه القاضى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة، وما رأيت لمالكى قط كتابا أنبل منه فى جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها، وتآليف

---

١) يعنى كتاب "الاستيعاب".

٢) من كتب ابن عبد البر أيضا الدرر فى اختصار المغازى والسير، والشواهد فى إثبات خبر الواحد، والبيان عن تلاوة القرآن، والعقل والعقلاء، وأخبار أئمة الأنصار، والقصد والأمم، وغيرها.

٣) أحمد بن سعيد الصدفى ألف فى تاريخ الرجال كتابا كبيرا جمع فيه جميع ما حصل عليه من أقوال فى التعديل والتجريح، توفى سنة ٣٥٠ (الجذوة: ١١٧ وابن الفرضى ١ : ٥٥).

٤) الواضحة لعبد الملك بن حبيب والعتبية لتلميذه العتبى (الجذوة: ٢٦٤ ، ٣٧).

٥) المعيطى هو محمد بن عبيد الله القرشى، وقد قال ابن بشكوال إنهما جمعا الكتاب للمستنصر أما الحميدى فذكر أنهما جمعاه بأمر المنصور بن أبى عامر، واسم الكتاب "الاستيعاب".

قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق، وكلها حسن فى معناه، وكان شافعى المذهب نظارا جاريا فى ميدان البغداديين[١].

ومنها فى اللغة الكتاب "البارع" الذى ألفه إسماعيل بن القاسم يحتوى على لغة العرب، وكتابه فى "المقصور والممدود والمهموز" لم يؤلف مثله فى بابه، وكتاب "الأفعال" لمحمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبديين[٢]، فلم يوضع فى فنه مثله. وكتاب جمعه أبو غالب بن تمام بن غالب المعروف بابن التيانى[٣] فى اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وإكثارا وثقة نقل، وهو أظن فى الحياة بعد. وههنا قصة لا ينبغى أن تخلو رسالتنا منها، وهى أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى، حدثنى أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه إلى أبى غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور «مما ألفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهد» فرد الدنانير وأبى من ذلك، ولم يفتح فى هذا بابا البتة، وقال: والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب، لأنى لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب، فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها.

ومنها كتاب أحمد أبان بن سيد[٤] فى اللغة المعروف بكتاب "العالم" نحو مائة سفر على الأجناس فى غاية الإيعاب، بدأ بالفلك وختم بالذرة. وكتاب "النوادر"[٥]، لأبى على إسماعيل ابن القاسم، وهو مبار لكتاب "الكامل" لأبى العباس المبرد، ولعمرى لئن كان كتاب أبى العباس أكثر نحوا وخبرا فإن كتاب أبى على أكثر لغة وشعرا، وكتاب "الفصوص" لصاعد بن الحسن الربعى، وهو جار فى مضمار الكتابين المذكورين.

ومن الأنحاء تفسير الجرفى لكتاب الكسائى، حسن فى معناه، وكتاب ابن سيده فى ذلك المنبوز بـــ"العالم والمتعلم" وشرح له لكتاب الأخفش[٦].

---

١) قاسم بن محمد (توفى سنة ٢٧٨) وله كتاب "الإيضاح فى الرد على المقلدين" - الجذوة : ٣١٠.

٢) ترجمة ابن طريف فى الجذوة : ٣٨١.

٣) ترجم له الحميدى مرتين: ١٧٢ ، ٣٨٠ وأورد فى الأولى قصته مع أبى الجيش مجاهد كتابه فى اللغة واسمه "تلقيح العين".

٤) وترجمة ابن سيد فى الجذوة: ١١٠ والصلة: ١٤ وكان صاحب الشرطة بقرطبة وتتلمذ للقالى، توفى سنة ٣٨٢، وترجم له الحميدى مرة أخرى تحت "ابن سيد" (ص : ٣٨١).

٥) هو المعروف بكتاب أمالى القالى.

٦) ذكر الحميدى كتابى "العالم والمتعلم" و"شرح كتاب الأخفش" لأبان بن سيد المتقدم الذكر ، لا لابن سيده صاحب المخصص والمحكم.

ومما ألف فى الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء فى "أخبار شعراء الأندلس" كتاب حسن[١]، وكتاب "الحدائق" لأبى عمر أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لأبى محمد بن داود رحمه الله تعالى، إلا أن أبا بكر إنما أدخل مائة باب فى كل باب مائة بيت، وأبو عمر أورد مائتى باب فى كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لأبى بكر، ولم يورد فيه لغير أندلسى شيئا، وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد، فبلغ الغاية، وأتى الكتاب فردا فى معناه[٢]. ومنها كتاب "التشبيهات من أشعار أهل الأندلس" جمعه أبو الحسن على بن محمد بن أبى الحسن الكاتب، وهو حى بعد[٣]، ومما يتعلق بذلك شرح أبى القاسم إبراهيم بن محمد بن الإفليلى لشعر المتنبى، وهو حسن جدا.

ومن الأخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى فى أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، وذلك كثير جدا، وكتاب له فى صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها، على نحو ما بدأ به ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها، وتواريخ متفرقة رأيت منها: أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه، وتاريخ آخر فى أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقى القائم بالجوف، وفى أخبار بنى قسى والتجيبيين وبنى الطويل بالثغر[٤]، فقد رأيت من ذلك كتبا مصنفة فى غاية الحسن، وكتاب مجزأ فى أجزاء كثيرة فى أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تأليف إسحاق بن سلمة بن إسحق القينى. وكتاب محمد بن الحارث الخشنى فى "أخبار القضاة بقرطبة[٥] وسائر الأندلس. وكتاب "فى أخبار الفقهاء" بها، وكتاب لأحمد بن محمد بن موسى فى "أنساب مشاهير أهل الأندلس" فى خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب فى الأنساب وأوسعها، وكتاب قاسم بن أصبغ فى "الأنساب" فى غاية الحسن والإيعاب والإيجاز، وكتابه فى "فضل بنى أمية"، وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره، ومنها كتب مؤلفة فى أصحاب المعاقل والأجناد الستة بالأندلس.

---

١) لم يصلنا هذا الكتاب ، ولكن ابن سعيد ينقل عنه فى المغرب.

٢) أورد الحميدى (ص : ٩٧) نص كلام ابن حزم هذا فى الحدائق، وأكثر الحميدى وابن الأبار فى الحلية وابن سعيد فى المغرب ، النقل عن هذا الكتاب .

٣) ترجمة ابن أبى الحسن فى الجذوة: ٢٩٠، قال الحميدى: وعاش إلى أيام الفتنة.

٤) ورد طرف من أخبار هؤلاء الثائرين فى المقتبس وابن عذارى، وانظر فى أنسابهم كتاب الجمهرة: ٤٦٤.

٥) كتاب "قضاة قرطبة" للخشنى مطبوع مع "علماء إفريقية" له بمصر سنة ١٣٧٢هـ عن نشرة ريبيرا (١٩١٤).

ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر رحمه الله تعالى، رأيت منها "أخبار شعراء إلبيرة" فى نحو عشرة أجزاء. ومنها كتاب "الطوالع" فى أنساب أهل الأندلس. ومنها كتاب "التاريخ الكبير فى أخبار أهل الأندلس" تأليف أبى مروان بن حيان نحو عشرة أسفار من أجل كتاب ألف فى هذا المعنى[١]، وهو فى الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال. وكتاب "المآثر العامرية" لحسين بن عاصم فى سير ابن أبى عامر وأخباره[٢]. وكتاب الأقشتين[٣] محمد بن عاصم النحوى فى "طبقات الكتاب بالأندلس"، وكتاب سكن بن سعيد فى ذلك[٤] ، وكتاب أحمد بن فرج فى "المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم"، وكتاب "أخبار أطباء الأندلس " لسليمان بن جلجل[٥].

وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحق[٦] وهى كتب رفيعة حسان، وكتب محمد بن الحسن المذحجى أستاذنا رحمه الله تعالى، وهو المعروف بابن الكتانى[٧]، وهى كتب رفيعة حسان، وكتب التصريف لأبى القاسم خلف بن عباش[٨] الزهراوى، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف فى الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن، وكتب ابن الهيثم[٩] فى الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها.

وأما الفلسفة فإنى رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة[١٠]، وأما رسائل أستاذنا أبى عبد الله محمد

---

١) أبو مروان ابن حيان كبير مؤرخى الأندلس وصاحب المقتبس والمتين وغيرهما (الصلة: ١٥٠، والذخيرة ٢/١: ٨٤ - ١١٤) وقد نشر من مقتبسه ثلاث قطع، ويعتمد ابن بسام عليه فى الأجزاء التاريخية من كتاب الذخيرة.

٢) انظر الجذوة: ١٠-١٨.

٣) الأقشتين (Augustine) له ترجمة فى الجذوة مرتين ٧٤ ، ٨٢ مرة باسم محمد بن عاصم ومرة باسم محمد بن موسى بن هاشم (وبغية الملتمس رقم: ٢٤٣ ، ٢٦٨) وطبقات الزبيدى: ٣٠٥ (وكتب خطأ: الأفشنيق) وابن الفرضى ٢: ٣١ والقفطى ٣ : ٢١٦، وأكبر الظن أن هناك خطأ وقع بين "عاصم" و"هاشم" . ولم يذكر الزبيدى "محمد بن عاصم" فى النحويين، وهو أعرف بهم.

٤) انظر ترجمة سكن بن سعيد فى الجذوة: ٣١٩ والبغية رقم : ٨٣٤.

٥) نشره الأستاذ فؤاد السيد (القاهرة: ١٩٥٥) مع مقدمة إضافية فى التعريف بالكتاب ومؤلفه.

٦) ترجمته فى ابن جلجل : ١٠٠ وابن أبى أصيبعة ٢: ٤٣ والجذوة: ٣٥١ والبغية رقم : ١٤٦٠.

٧) ترجمته فى ابن أبى أصيبعة ٢ : ٤٥ والجذوة: ٤٥ والبغية رقم: ٨١ وهو أيضا صاحب كتاب "التشبيهات" ، وانظر هنالك تحقيقنا لاسمه ومواضع ترجمته.

٨) فى "النفح" عياش؛ وفى المصادر التى ترجمت له (ابن أبى أصيبعة ٢ : ٥٢ والجذوة : ١٩٥ والبغية رقم: ٧١٥)

٩) هو عبد الرحمن بن إسحاق (ابن أبى أصيبعة ٢ : ٤٦).

١٠) سعيد بن فتحون السرقسطى ترجمته فى طبقات صاعد: ٦٨ والجذوة: ٢١٦ وبغية المتمس رقم : ٨١٣ وبغية الوعاة : ٢٥٦ والذيل والتكملة ٤.: ٤٠ وانظر فهرست كتاب التشبيهات لابن الكتانى.

ابن الحسن المذحجى فى ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة.

وأما العدد والهندسة فلم يقسم لنا فى هذا العلم نفاذ، ولا تحققنا به، فلسنا نثق بأنفسنا فى تمييز المحسن من المقصر فى المؤلفين فيه من أهل بلدنا إلا أنى سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول: إنه لم يؤلف فى الأزياج مثل زيج مسلمة[١] وزيج ابن السمح[٢]، وهما من أهل بلدنا، وكذلك كتاب المساحة المجهولة لأحمد بن نصر فيما تقدم إلى مثله فى معناه.

وإنما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر، والتى تدخل تحت الأقسام السبعة[٣] التى لا يؤلف عاقل عالم إلا فى أحدها، وهى إما شئ لم يسبق إليه يخترعه، أو شئ ناقص يتمه، أو شئ مستغلق يشرحه، أو شئ طويل يختصره دون أن يخل بشئ من معانيه، أو شئ متفرق يجمعه، أو شئ مختلط يرتبه، أو شئ أخطأ فيه مؤلفه يصلحه. وأما التواليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها، وهى عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها.

وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم فى هذا الباب، فهى على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، ولهم فيه تواليف: منهم خليل بن إسحق[٤]، ويحيى بن السمينة[٥]، والحاجب موسى بن حدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد[٦]، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك.

[المقارنة بين المشرق والأندلس]:

ولنا على مذهبنا الذى تخيرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب فى هذا المعنى[٧]، وهو

---

١) يعنى أبا القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى (توفى ٣٩٨)، وله تعديل زيج البتانى. انظر ابن أبى أصيبعة ٢ : ٣٩ وطبقات صاعد : ٧٨ وتاريخ الحكماء : ٣٢٦ وملحق بروكلمان.

٢) هو أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطى، ألف زيجا على أحد مذاهب الهند (وتوفى سنة ٤٢٦)، انظر ابن أبى أصيبعة ٢ : ٣٩ وطبقات صاعد : ٧٩ وملحق بروكلمان.

٣) قارن هذا بما ذكره ابن حزم فى كتاب "التقريب لحد المنطق" ص: ١٠.

٤) لعل صوابه "خليل بن عبد الملك" وهو من أصحاب ابن مسرة، وعليه درس ابن السمينة (ابن الفرضى ١: ١٦٥ والتكملة : ٣٠٩).

٥) يحيى بن السمينة توفى سنة ٣١٥ (انظر الجذوة : ٣١٦ والبغية رقم : ١٣٢٠).

٦) راجع ترجمة موسى بن حدير فى الجذوة: ٣١٦ والبغية رقم : ١٣٢٠، وكان أخوه أحمد بن محمد صاحب الوزارة أيام عبد الرحمن الناصر.

٧) أغلب الظن أنه يعنى كتاب "المجلى" وهو متن شرحه بالمحل.

وإن كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لأنا أسقطنا فيه المشاغب كلها، وأضربنا عن التطويل جملة، واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحس وبديهة العقل لها بالصحة. ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة، منها ما قد تم، ومنها ما شارف التمام، ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه، لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها، ولا أردنا السمعة فنسميها، والمراد بها ربنا جل وجهه، وهو ولى العون فيها، والملى بالمجازاة عليها، وما كان لله تعالى فسيبدو، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وبلدنا هذا - على بعده من ينبوع العلم، ونأيه من محلة العلماء - فقد ذكرنا من تآليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس والأهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك، على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها.

ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابى[1] فى الشعر لم نباه به إلا جريرا والفرزدق، لكونه فى عصرهما، ولو أنصف لاستشهد بشعره، فهو جار على مذهب الأوائل، لا على طريقة المحدثين، وإذا سمينا بقى بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان بن الأشعث السجستانى وأحمد بن شعيب النسائى. وإذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به إلا القفال ومحمد بن عقيل الفريابى، وهو شريكهما فى صحبة المزنى أبى إبراهيم والتلمذة له، وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن ابن المفلس والخلال والديباجى ورويم بن أحمد. وقد شاركهم عبد الله فى أبى سليمان وصحبته، وإذا أشرنا إلى محمد بن عمر بن لبابة وعمه محمد بن فضل بن سلمة لم نناطح بهم إلا محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس، وإذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرباحى[2]، وأبى عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد.

ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بد دراج القسطلى لما تأخر عن شأو بشار بن برد وحبيب والمتنبى، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب، وأحمد بن عبد الملك

---

١) ترجمة أبى الأجرب فى الجذوة: ١٧٧ وبغية الملتمس رقم : ٦٢٦ والمغرب ١ : ١٣١.

٢) الرباحى (نسبة إلى قلعة رباح) من كبار نحويى الأندلس قبل دخول القالى إليها؛ انظر طبقات الزبيدى: ٣٣٥ وابن الفرضى ٢ : ٧١ والجذوة : ٩١ وبغية الملتمس رقم : ٣١٢ والقفطى ٣ : ٢٢٩ والوافى ٢: ٣٧٢.وبغية الوعاة: ١١٣.

ابن مروان، وأغلب بن شعيب ، ومحمد بن شخيص؛ وأحمد بن فرج، وعبد الملك بن سعيد المرادى[١]، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه، وحصان ممسوح الغرة.

ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا، وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال، وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل[٢]، ومحمد بن عبد الله بن مسرة[٣]، فى طريقه التى سلك فيها، وإن كنا لا نرضى مذهبه؛ فى جماعة يكثر تعدادهم.

[قال المقرى]:

وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان، ولم نتزيد فيما رغب فيه إلا ما دعت إليه الضرورة إلى ذكره لتعلقه بجوابه، والحمد لله الموفق بعلمه، والهادى إلى الشريعة المزلفة منه والموصلة، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم، وشرف وكرم. انتهت الرسالة.

وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها، «وإنما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا» ما نصه: صوابه أربعة أعوام، (انتهى).

* * * *

١) أحمد بن عبد الملك بن مروان (الجذوة : ١٢٣) وأغلب بن شعيب الجيانى من شعراء عبد الرحمن الناصر ص : ١٦٥(ومحمد بن شخيص: الجذوة : ٨٤ واليتيمة ٢ : ٢٣ والمغرب ١: ٢٠٣ وصفحات متفرقة من المقتبس تحقيق حجى)، وعبد الملك بن سعيد المرادى الخازن (الجذوة ٢٦٦).

٢) يريد: عمرو بن بحر الجاحظ وسهل بن هارون.

٣) فى ابن مسرة ومذهبه كتاب مستوفى للمستشرق آثين بلاسيوس وخلاصة عنه فى تاريخ الفكر الأندلسى لبالنثيا، وانظر تاريخ الأدب الأندلسى – عصر سيادة قرطبة : ٥٢ وما بعدها.

تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم

وقال ابن سعيد، بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته: «رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الأندلس بما حضرنى والله تعالى ولى الإعانة».

أما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب "الهداية إلى بلوغ النهاية" فى نحو عشرة أسفار، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى[١] . وله كتاب "تفسير إعراب القرآن " وعد ابن غالب فى كتاب "فرحة الأنفس" تآليف مكى المذكور، فبلغ بها (٧٧) تأليفا، وكانت وفاته سنة ٤٣٧. ولأبى محمد بن عطية الغرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر وطار فى الغرب والشرق، وصاحبه من فضلاء المائة السادسة[٢].

وأما القراءات فلمكى المذكور فيها كتاب "التبصرة"؛ وكتاب "التيسير" لأبى عمرو الدانى[٣] مشهور فى أيدى الناس.

وأما الحديث فكان بعصرنا فى المائة السابعة الإمام أبو الحسن على بن القطان القرطبى الساكن بحضرة مراكش[٤]، وله فى تفسير غرائبه وفى رجاله مصنفات، وإليه كانت النهاية والإشارة فى عصرنا، وسمعت أنه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة، وحذف المكرر، وكتاب رزين بن عمار الأندلسى[٥]. فى جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطأ والسنن والنسائى والترمذى كتاب جليل مشهور فى أيدى الناس بالمشرق والمغرب،

---

١) ترجمته فى الصلة: ٥٩٧ وغاية النهاية ٢: ٣٠٧؛ أقرأ فى جامع الزاهرة: حتى انقضت دولة العامريين فنقله المهدى إلى المسجد الجامع بقرطبة وأقرأ مدة الفتنة إلى أن قلده أبو الحزم ابن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع؛ ومن الغريب أن ابن حزم أغفل ذكره مع أنه عاصره.

٢) توفى أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى سنة ٥٤٢ (انظر الصلة: ٣٦٧ والقلائد ، والمرقبة العليا: ١٠٩ والديباج : ١٧٤ والمغرب ٢: ١١٧؛ والنفح ٢: ٥٢٦).

٣) أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى من شيوخ القراء وأبعدهم شهرة؛ انظر فى أخباره وكتبه مقدمة المحكم تحقيق الدكتور عزة حسن (دمشق ١٩٦٠). والنفح ٢: ١٣٥ (رقم: ٧٦).

٤) ترجمة ابن القطان فى التكملة رقم : ١٩٢٠ وصلة الصلة: ١٣١ (توفى سنة ٦٢٨) وقد استدرك على كتاب الأحكام الآتى ذكره لابن عبد الحق بكتاب سماه "الوهم والإيهام الواقعين على كتاب الأحكام".

٥) هو رزين بن معاوية بن عمار العبدرى سرقسطى يكنى أبا الحسن، توفى سنة ٥٢٤ وكان من علماء الحديث (الصلة: ١٨٤).

وكتاب "الأحكام" لأبى محمد عبد الحق الإشبيلى مشهور متداول القراءة، وهى أحكام كبرى، وأحكام صغرى، قيل: ووسطى، وكتاب "الجمع بين الصحيحين" للحميدى مشهور.

وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذى ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالإسكندرية فكتاب "التهذيب" للبراذعى السرقسطى[١]، وكتاب "النهاية"[٢] لأبى الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية ، وكذلك كتاب "المنتقى" للباجى.

وأما أصول الدين وأصول الفقه فللإمام أبى بكر ابن العربى الإشبيلى من ذلك ما منه كتاب "العواصم والقواصم" المشهور بأيدى الناس، وله تآليف فى غير هذا، ولأبى الوليد بن رشد فى أصول الفقه ما منه "مختصر المستصفى".

وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف "بالمتين" فى نحو ستين مجلدة وإنما ذكر ابن حزم كتاب "المقتبس" وهو فى عشر مجلدات، والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويمعن فيها مما شاهده، ومنه ينقل صاحب الذخيرة، وقد ذيل عليه أبوالحجاج البياسى أحد معاصرينا، وهو الآن بإفريقية فى حضرتها تونس عند سلطانها تحت إحسانه الغمر. وكتاب المظفر بن الأفطس ملك بطليوس المعروف "بالمظفرى" نحو كتاب "المتين" فى الكبر، وفيه تاريخ على السنين، وفنون آداب كثيرة. **وتاريخ** ابن صاحب الصلاة فى الدولة اللمتونية[٣]. وذكر ابن غالب أن ابن الصيرفى الغرناطى له كتاب "فى أخبار دولة لمتونة[٤] وأن أبا الحسن السالمى له كتاب "فى أخبار الفتنة الثانية بالأندلس"[٥] بدأ من سنة ٥٣٩هـ.

---

١) البراذعى واسمه خلف بن أبى القاسم الأزدى، قيروانى ارتحل إلى صقلية وألف فيها كتابه تهذيب المدونة (الديباج: ١١٢) وفرغ منه سنة ٣٧٢هـ وليس البراذعى سرقسطيا، ويبدو أنه نسب إلى سرقوسة بصقلية واضطرب الأمر فى ذلك على ابن سعيد؛ ومن التهذيب نسخة خطية بدار الكتب رقم: ٤٠٥ فقه مالكى؛ وانظر كتابنا العرب فى صقلية : ٩٧ - ٩٨.

٢) هو كتاب "نهاية المجتهد" (ابن أبى أصيبعة ٢ : ٧٧).

٣) لابن صاحب الصلاة عبد الملك بن محمد الباجى كتاب فى ثورة المريدين، ولا أعرف له كتابا فى تاريخ اللمتونيين؛ وهوأيضا صاحب كتاب "المن بالإمامة على المستضعفين.

٤) يعد ابن الصيرفى حجة فى تاريخ المرابطين؛ وينقل عنه لسان الدين فى أعمال الأعلام أخبارا عن دول الطوائف ليس فيهـا تحامل امرئ كان وثيق الصلة بالمرابطين؛ انظر ترجمته فى المغرب٢: ١١٨ والتكملة: ٧٢٣.

٥) سماه ابن عبد الملك "الذيل ٦/: الورقة ٣ من نسخة المتحف البريطانى" "فى الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس سنة أربعين وما يليهـا"؛ وله مختصر سماه "عبرة العبر وعجائب القدر فى ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية".

ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧هـ. وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب فى "تاريخ أصحاب الأندلس" من فتحها إلى زمانه. وأضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء فى خاطره. وله كتاب "الصلة" فى تاريخ العلماء. وللحميدى قبله "جذوة المقتبس". وقد ذيل كتاب الصلة فى عصرنا هذا أبوعبد الله بن الأبار البلنسى كاتب سلطان إفريقية. وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجى القرطبى له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة إلى أن انتهى فى أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن، قال: وفارقته سنة ٥٦٥. وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة فى التواريخ، مثل كتاب "نقط العروس فى تواريخ الخلفاء". وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب "التبيين فى خلفاء بنى أمية بالأندلس" على مترع كتاب "التعيين فى خلفاء المشرق" للمسعودى.

وللقاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى كتاب "التعريف بأخبار علماء الأمم من العرب والعجم". وكتاب "جامع أخبار الأمم". وأبو عمر بن عبد البر له كتاب "القصد والأمم فى معرفة أخبار العرب والعجم". وعريب بن سعد القرطبى له كتاب "اختصار تاريخ الطبرى" قد سعد باغتباط الناس به، وأضاف إليه تاريخ إفريقية والأندلس.

ولأحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن [أبى] الفياض كتاب "العبر"[١] . وكتاب أبى بكر الحسن بن محمد الزبيدى فى "أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس"[٢]. وكتاب القاضى أبى الوليد بن الفرضى فى "أخبار العلماء والشعراء" وما يتعلق بذلك. وليحيى بن حكم الغزال تاريخ ألفه كله منظوما[٣]، كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبى من جزيرة شقر فى التاريخ الذى أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد[٤].

وكتاب "الذخيرة" لابن بسام فى جزيرة الأندلس ليس هذا مكان الإطناب فى تفصيلها وهى كالذيل على حدائق ابن فرج.

وفى عصرها صنف الفتح كتاب "القلائد" وهو مملوء بلاغة، والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر.

---

١) ابن أبى الفياض أصله من إستجة وسكن المرية، قال ابن بشكوال (الصلة:٦٣) له تأليف فى الخبر والتاريخ، ولكنه لم يسمه؛ توفى سنة ٤٥٩.

٢) هو الذى نشير إليه فى هذه التعليقات باسم "طبقات الزبيدى".

٣) انظر ترجمة الغزالى فى النفح ٢ : ٢٥٤ (رقم : ١٦٥).

٤) راجع الذخيرة ٢/١ : ٤٠٥ حيث تجد أرجوزة ابن عبد الجبار المتنبى.

ولصاحب القلائد كتاب "المطمح" وهو ثلاث نسخ: كبرى، ووسطى، وصغرى، يذكر فيها من الذين ذكرهم فى القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم.

وكتاب "سمط الجمان وسقط المرجان" لأبى عمرو ابن الإمام بعد الكتابين المذكورين، ذكر من أخل بتوفيته حقه من الفضلاء، واستدرك من أدركه بعصره فى بقية المائة السادسة. وذيل عليه - وإن كان ذيلا قصيرا - أبو بحر صفوان بن إدريس المرسى بكتاب "زاد المسافر" ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة.

وكتاب أبى محمد عبد الله بن إبراهيم الحجارى المسمى بـــ "المسهب فى فضائل المغرب" صنفه بعد "الذخيرة" و"القلائد" من أول ما عمرت الأندلس إلى عصره، وخرج فيه عن مقصد الكتابين إلى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا، وخلطه بالتاريخ وتفنن الأدب على ما هو مذكور فى غير هذا المكان، ولم يصنف فى الأندلس مثل كتابه. ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد، وذيل عليه.

ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم على بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب "فلك الأدب المحيط بحلى لسان العرب" المحتوى على كتابى "المشرق فى حلى المشرق" و"المغرب فى حلى المغرب"، فيكفى الأندلس فى هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص فى ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥هـــ ، وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بجلاه من فنون الأدب المختارة على جهـــد الطاقة فى شرق وغرب على النوع الذى هو مذكور فى غير هذا الموضع، ومن أغفلت التنبيه على عصره، وغير ذلك من المصنفين المتقدمى الذكر، فيطلب الملتمس منهم فى مكانه المنسوب إليه كابن بسام فى شنترين، والفتح فى إشبيلية، وابن الإمام فى إستجة، والحجارى فى وادى الحجارة.

وأما ما جاء منثورا من فنون الأدب فكتاب "سراج الأدب" لأبى عبد الله بن أبى الخصال الشقورى رئيس كتاب الأندلس[1]، صنفه على مترع كتاب "النوادر" لأبى على و"زهر الآداب" للحصرى. وكتاب "واجب الأدب" لوالدى موسى بن محمد بن سعيد، واسمه يغنى عن المراد به. وكتاب "اللآلئ" لأبى عبيد البكرى على كتاب "الأمالى" لأبى على البغدادى مفيد فى الأدب. وكذلك كتاب "الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب" لأبى محمد بن السيد البطليوسى . وأما شرح "سقط الزند" له فهو الغاية، ويكفى ذكره عند أرباب هذا

---

١) راجع ترجمة أبى عبد الله بن أبى الخصال فى المطرب: ١٨٧ وبغية الملتمس رقم: ٢٨٢ وقلائد العقيان: ١٧٥ والصلة : ٥٥٧ وبغية الوعاة : ١٠٤ ورايات المبرزين : ٧٤، وله ذكر فى المعجب والمغرب ومعجم شيوخ الصدفى وجذوة الاقتباس.

الشأن وثناؤهم عليه. وشروح أبى الحجاج الأعلم لشعر المتنبى والحماسة وغير ذلك مشهورة.

وأما النحو فلأهل الأندلس من الشروح على "الجمل"[١] ما يطول ذكره، فمنها شرح ابن خروف، ومنها شرح الرندى، ومنها شرح شيخنا أبى الحسن بن عصفور الإشبيلى، وإليه انتهت علوم النحو. وعليه الإحالة الآن من المشرق والمغرب، وقد أتيت له من إفريقية بكتاب "المقرب" فى النحو فتلقى باليمين من كل جهة، وطار بجناح الاغتباط. ولشيخنا أبى على الشلوبين كتاب "التوطئة" على الجزولية وهو مشهور. ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلى من التقييدات فى النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشأن معتمد عليه، ولأبى الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه.

وأما علم الجغرافيا فيكفى فى ذلك كتاب المسالك والممالك لأبى عبيد البكرى الأونبى وكتاب "معجم ما استعجم من البقاع والأماكن"، وفى كتاب "المسهب" للحجارى فى هذا الشأن وتذييلنا عليه فى هذا الكتاب الجامع ما جمع زبد الأولين والآخرين فى ذلك.

وأما الموسيقى فكتاب أبى بكر بن باجة الغرناطى فى ذلك فيه كفاية وهو فى المغرب بمنزلة أبى نصر الفارابى بالمشرق، وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التى عليها الاعتماد، وليحيى الخذوج[٢] المرسى كتاب "الأغانى الأندلسية" على مترع الأغانى لأبى الفرج، وهو ممن أدرك المائة السابعة.

وأما الطب فالمشهور بأيدى الناس الآن فى المغرب، وقد سار أيضا فى المشرق لنبله، كتاب "التيسير"[٣] لعبد الملك بن أبى العلاء بن زهر، وله كتاب "الأغذية"[٤] أيضا مشهور مغتبط به فى المغرب والمشرق، ولأبى العباس بن الرومية الإشبيلى[٥] من علماء عصرنا بهذا الشأن كتاب فى الأدوية المفردة. وقد جمع أبو محمد المالقى[٦] الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشأن حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب

---

١) انظر كشف الظنون: ٦٠٣ - ٦٠٤ ففيه ذكر لبعض شروح الجمل من تأليف الأندلسيين وغيرهم.

٢) وهو أبو زكريا يحيى بن إبراهيم الأصبحى الحكيم؛ قال الرعينى فى برنامجه (ص ١٦٤) عرض على كتابه الكبير الذى سماه الأغانى الأندلسية وقرأت عليه خطبته ومواضع منه وناولنى جميع اسفاره.

٣) هو كتاب التيسير فى المداواة والتدبير (ابن أبى أصيبعة ٢: ٦٧).

٤) ألف ابن زهر كتاب الأغذية للخليفة عبد المؤمن بن على (المصدر السابق).

٥) انظر ترجمة ابن الرومية فى ابن أبى أصيبعة ٢: ٨٧ والإحاطة ١ : ٨٨ (ط السلفية) والنفح ٢ : ٥٩٦ (رقم :٢٢١) ومزيدا من المصادر فى الحاشية.

٦) يريد ابن البيطار صاحب كتاب المفردات، وقد مرت ترجمته فى المجلد ٦٩١/٢ (رقم: ٣٠٤).

الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الإدريسى الصقلى وغيرها وضبطه على حروف المعجم، وهو النهاية فى مقصده.

وأما الفلسفة فإمامها فى عصرنا أبوالوليد ابن رشد القرطبى، وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بنى عبد المؤمن عن هذا العلم، وسجنه بسببها، وكذلك ابن حبيب الذى قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشبيلية، وهو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تخفى تصانيفه.

وأما التنجيم فلابن زيد الأسقف القرطبى فيه تصانيف، وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المروانى، وله ألف كتاب "تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان" وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه، وكان مطرف الإشبيلى فى عصرنا قد اشتغل بالتصنيف فى هذا الشأن، إلا أن أهل بلده كانوا ينسبونه للزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئا مما يصنف.

***

الملحق الخامس

قوائم بأسماء الكتب المشرقية التى انتقلت إلى الأندلس

تنبيهات:

١ – المصادر التى اعتمدنا عليها فى هذه الجداول مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع المذكورة بعد قسم الملاحق.

٢ – عدد المصادر والمراجع المعتمد عليها فى هذه الجداول (٤٥) مصدرا.

٣ – أهم مصدر اعتمدنا عليه فى عمل هذه الجداول هو "فهرسة ابن خير"، فقد احتوى على عدد كبير من الكتب المشرقية التى انتقلت إلى الأندلس فى ميادين الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، وأصول الدين والقراءات والحديث واللغة والأدب والشعر. ولذا فقد خصصنا له فى هذه الجداول عمودا بمفرده، وأما بقية المصادر فهى مثبتة فى عمود آخر.

٤ – الكتب المذكورة فى هذه القوائم موزعة بحسب العلم الذى تنتمى إليه، ثم مرتبة ترتيبا أبجديا تحت موضوعاتها. وقد توزع الكتب ذات الموضوع الواحد تحت فنون مختلفة، ومثال ذلك: كتب علوم القرآن موزعة على النحو التالى: كتب القراءات وآداب حملة القرآن – كتب التفسير – كتب معانى القرآن وإعرابه – كتب غريب القرآن – كتب مشكل القرآن – كتب أحكام القرآن – كتب أخرى فى علوم القرآن. ومثال آخر : كتب التاريخ موزعة على النحو التالى: كتب التاريخ العام – الكتب التاريخية ذات الموضوع الواحد – كتب تاريخ الخلفاء والأمراء والوزراء – كتب الفتوح – كتب تاريخ المدن – كتب الأنساب – كتب السيرة والمغازى – كتب الطبقات والتراجم والجرح والتعديل والسيرة الذاتية.

٥ – أدرجنا كتب الرجال الخاصة برواة الحديث النبوى مع كتب التاريخ، باعتبارها من كتب التراجم التى هى فرع من فروع علم التاريخ.

٦ – أدخلنا فى هذه القوائم بعض كتب المغاربة التى وصلت إلى الأندلس.

٧ – الكتب المذكورة فى هذه القوائم – وإن كان معظمها وصل إلى الأندلس خلال القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة – لكنها تشمل أيضا ما وصل منها إلى الأندلس بعد ذلك التاريخ.

٨- لا نستطيع الجزم بأننا أثبتنا فى هذه القوائم كلَّ ما وصل إلى الأندلس من كتب المشارقة، لكن كنا حريصين على الاستيعاب بقدر المستطاع، وبحسب ما وقع فى أيدينا من مصادر مطبوعة. ولا شك فى أن هذا العدد المذكور ليس هو كل ما وصل إلى الأندلس، وإنما هناك الكثير والكثير مما لم يذكر[١] .

٩ - جاء ترتيب العلوم التى تنتمى إليها الكتب المذكورة على النحو التالى:

أولاً : كتب علوم القرآن (ص ١٠٣٤-١٠٣٨).

ثانيـاً : كتب الفقه وأصوله (ص ١٠٣٨-١٠٤١).

ثالثـاً : كتب أصول الدين (العقيدة وعلم الكلام) - (ص ١٠٤٢).

رابعـاً : كتب الحديث النبوى (ص ١٠٤٣- ١٠٥٠).

خامساً : كتب التاريخ والسيرة والأنساب والتراجم والطبقات (ص ١٠٥٠-١٠٥٨).

سادساً : كتب علوم اللغة والأدب (ص ١٠٥٨-١٠٦٨).

سـابعاً : كتب الرقائق والآداب والأخلاق والفضائل (ص ١٠٦٨- ١٠٧٣).

ثامنـاً : كتب الفلسفة والفلك والرياضيات والطب والأدوية والنبات (ص ١٠٧٣-١٠٧٦).

* * * *

١) راجع ما كتبناه عن ذلك فى مقدمة الرسالة - (ص ١٨).

أولاً : كتب علوم القرآن

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	أولاً : كتب علوم القرآن		
	*** كتب القراءات وآداب حملة القرآن:**		
١	الاختصار فى القراءات - لأبى الحسن أحمد بن محمد القنطرى نزيل الأندلس سنة ٤٣٣ هـ	٢٦	
٢	اختلاف قراء الأمصار فى عدد آى القرآن لأبى عبد الله بن محمد ابن سفيان المقرئ القيروانى (ت ٤١٥هـ)	٣٨-٣٩	
٣	اختلاف القراءات وتصريف وجوهها - لأبى بكر محمد بن مجاهد البغدادى (ت ٣٢٤هـ)	٢٣	
٤	أخلاق حملة القرآن - لأبى بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٧٢، ٢٨٥	
٥	أدب القارئ والمقرئ - لأبى بكر محمد بن على بن أحمد الإدفوى	٧٤	
٦	الإدغام الكبير - لأبى عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ)	٣٥	
٧	الإقناع فى القراءات العشرين - لأبى على الحسن بن محمد البغدادى	-	بغية الملتمس ٣٠٢/١ - ٣٠٣
٨	إكمال الفائدة فى القراءات السبع - لأبى الطيب عبد المنعم بن عبيد بن غلبون الحلبى (ت ٣٨٩)	٢٧	
٩	الإمالة فى مذاهب القراء السبعة - استكمال الفائدة - لابن غلبون (ت ٣٨٩هـ)	٢٧	
١٠	البيان فى القراءات السبع - لأبى طاهر عبد الواحد بن عمر البغدادى (ت ٣٤٩هـ)	٣٢	
١١	التذكرة فى القراءات - لأبى الحسن طاهر بن غلبون (ت ٣٨٩هـ)	٢٦ - ٢٧	
١٢	التلخيص فى القراءات - لأبى على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى	٢٦	
١٣	التلخيص فى القراءات الثمان - لأبى معشر عبد الكريم بن عبد الرحمن الطبرى	٢٩	
١٤	الجامع فى القراءات - لأبى معشر الطبرى	٣٠	الذيل والتكملة ١٠٦/٢/١
١٥	الحجة لاختلاف القراء - لأبى على الفارسى النحوى اللغوى (ت ٣٧٧هـ)	٤١، ٤٢	المقفى ٩٧/٢، الذخيرة ٣٧٢/١/٣، ٣٧٩
١٦	الروضة فى القراءات الإحدى عشر- لأبى على الحسن بن محمد ابن إبراهيم البغدادى	٢٦	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
١٧	علم المصاحف - لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشته الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ)	-	التكملة لابن الأبار ١/١٥
١٨	الفصل في القراءات - لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر البغدادي (ت ٣٤٩هـ)	٣٣	
١٩	قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وما حفظ من ألفاظه واستعادته وافتتاحه - لأبي بكر محمد بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)	٢٣	راجع ابن الفرضي ١/٨٣-٨٤
٢٠	القراءات- لأبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٣هـ)	٢٣	
٢١	القراءات السبع - لأبي بكر محمد بن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ)	-	ابن الفرضي ١/٢٤١
٢٢	القراءات السبع عن الأئمة السبعة - لأبي أحمد عبد الله بن الحسين ابن حسنون المقرئ السامري البغدادي (ت٣٨٦هـ)	٢٧	
٢٣	قصيدة في وصف القراءات والقراء - لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي (ت٣٢٥هـ)	٧٢	
٢٤	المحتسب لتبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)	٤٣، ٣١٨	
٢٥	المخبر في القراءات - لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشته الأصبهاني (ت ٣٦٠هـ)	٢٤	الجذوة ١/٣٢٧، ٣٩١
٢٦	الهاءات - لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر البغدادي (ت ٣٤٩هـ)	٣٣	
٢٧	الهاءات - لأبي عبد الله محمد بن سفيان المقرئ القيرواني (ت ٤١٥هـ)	-	الصلة ص ١٥٧
٢٨	الوقف والابتداء - لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)	٤٤	الصلة ٢٢٠، التكملة ١/٣٨٢ غاية النهاية ١/٣٠٤
٢٩	الوقف والابتداء - لأبي جعفر بن النحاس (٣٠٧هـ)	٤٥	
٣٠	الوقف والابتداء - رواية أبي عبد الله محمد بن جعفر الأنماطي	-	الذيل والتكملة ٥/١/١٣.
٣١	الهادي في القراءات - لأبي عبد الله محمد بن سفيان القيرواني (ت ٤١٥هـ)	٢٤	
	* كتب تفسير القرآن:		
٣٢	تفسير القرآن - لأبي عبد الرحمن النسائي (ت ٣٣٠هـ)	٥٨، ١١٥	
٣٣	تفسير القرآن - لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)	٥٤	ابن الفرضي ١/١١٥-١١٦.
٣٤	تفسير القرآن - لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني (ت ١٨٢هـ)	-	ابن الفرضي ٢/١٩٠
٣٥	تفسير القرآن - لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)	٣٦٩	
٣٦	تفسير القرآن - ليحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ)	٥٦	الصلة ٣٢٣، ابن الفرضي ١/٣٥٧، ٢/٣٢، ١٨٩-١٩٠، جذوة ٢/ ٣٢٣، ٦١٥ الديباج ١/٤٨٥، بغية٣٥٨، الحلة ١/١٠٥.

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٣٧	تفسير القرآن - لابن جرير الطبرى (٣١٠هـ)	٥٨	الصلة ١٨، ٥٦٣، ابن الفرضى ١/ ٧٥-٧٦، ٢٢١، ٢٠٦/٢، جذوة (٢٧٤/١) المقفى للمقريزى ١/ ٥٦٧، التكملة ٣٨٢/١، نفح الطيب ١٦٨/٣.
٣٨	تفسير القرآن - المنسوب إلى عبد الله بن عباس (برواية أبي صالح المصرى)	-	ابن الفرضى ٢١٤/١-٢١٥، ٣٠٢-١٠٧/٢، ١٨٦
٣٩	تفسير القرآن - المنسوب إلى الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)	-	ابن الفرضى ١٦٥/١
٤٠	التفسير الكبير - أبو بكر محمد بن على الإدفوى المصرى (ت ٣٨٨هـ)	-	الصلة ٢٢٠، غاية النهاية ١٩٨/٢ -١٩٩.
٤١	شفاء الصدور فى تفسير القرآن - لأبى بكر محمد بن الحسن النقاش البغدادى (ت ٣٥١هـ)	٥٧	الصلة ٤٢٧ - ٤٢٨.
٤٢	ضياء القلوب فى تفسير القرآن - لأبى طالب المفضل بن سلمة.	٥٧	
٤٣	الكشاف عن حقائق التنزيل - للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)		الذيل والتكملة ٢٩/٢/١، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٢٨٨/٢/٥، ٥٧٩
٤٤	الكشف والبيان عن تفسير القرآن - لأبى إسحق أحمد بن محمد الثعلبى (ت ٤٢٧هـ)	٥٩٢	أزهار الرياض ١٦٢/٢
٤٥	مختصر تفسير الطبرى (البيان فى تفسير القرآن) - لأبى عبد الله محمد بن عبد الله النحوى المكى	-	فهرس ابن عطية ص ٥٩ - ٦٠ ، بغية ٤٢٧.
٤٦	النكت فى تفسير القرآن - لأبى الحسن على بن محمد الماوردى (ت ٤٥٠هـ)	٥٩	الصلة ٤١٩.
	*** كتب معانى القرآن وإعرابه:**		
٤٧	إعراب القرآن - لأبى جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧هـ)	٦٥	ابن الفرضى ٨٤/٢ الجذوة ٢٠/٢، نفح الطيب ٢٠/٢
٤٨	الإغفال فى الرد على معانى القرآن للزجاج - لأبى على الفارسى (٣٧٧هـ)	٣١٠	
٤٩	العالم والمتعلم فى معانى القرآن - لأبى جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧ هـ)	٦٥	
٥٠	مجاز القرآن - لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)	٥٩، ١٣٤	
٥١	معانى القرآن - لأبى إسحق إبراهيم بن السرى الزجاج (٣١١هـ)	٦٤، ٣١٠	الجذوة ٢٠/٢
٥٢	معانى القرآن - لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)	-	الذيل والتكملة ٦٤٩/٢/٥
٥٣	معانى القرآن - لابن قتيبة الدينورى (٢٧٦هـ)	-	ابن الفرضى ٤٠٦/١-٤٠٨، ٢/ ٧٨-٩٠، جذوة ١٢٩/١
٥٤	معانى القرآن - لأبى جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧هـ)	-	ابن الفرضى ٢٨٥/١، ٨٤/٢،

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
			الصلة ٣٠٣، الديباج ١/٤٢٩.
	* كتب غريب القرآن:		
٥٥	غريب القرآن - لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ)	٦٦	
٥٦	غريب القرآن - لأبى محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدى (ت ٢٠٢هـ)	٦٧	
٥٧	(كتاب) الغريبين : غريب القرآن وغريب الحديث - لأبى عبيد أحمد بن محمد الهروى (ت ٤٠١هـ)	٦٩	المرقبة العليا ص ١١٣
٥٨	نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن على حروف المعجم - لأبى بكر محمد بن عزيز السجستانى (ت ٣٣٠هـ)	٦١	الذيل والتكملة ١/٢/٢٣٦، ٢٣٧
٥٩	ياقوتة الصراط فى غريب القرآن - لأبى عمر الزاهد غلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)	٦٠	
	* كتب فى مشكل القرآن:	-	
٦٠	تأويل مشكل القرآن - لابن قتيبة الدينورى (٢٧٦هـ)	٦٧	سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٥
٦١	مشكل القرآن - لابن فُورك (ت ٤٠٦هـ)	٦٩	الصلة ٢٩١.
	* كتب أحكام القرآن:		
٦٢	أحكام القرآن - لأحمد بن على بن أحمد الباغانى الربعى المصرى المالكى (ت ٤٠١هـ)	-	الصلة ٨٥
٦٣	أحكام القرآن - للقاضى إسماعيل بن إسحق البغدادى (ت ٢٨٢هـ)	٥١-٥٢	ابن الفرضى ١/٤٧، بغية ص ٤٤٨ ، جذوة ٢/٥٢٧، الصلة ٣٩٤، نفح ٣/١٦٩
٦٤	أحكام القرآن - لبكر بن العلاء القشيرى البصرى (ت ٣٤٤ هـ)	٥٢	المقفى ٥/٧٧
٦٥	أحكام القرآن - للقاضى محمد بن أحمد بن بكير البصرى البغدادى (ت ٣٠٥هـ)	٥٣، ١٢١	بغية ١/٣٣٤.
	* كتب فى ناسخ القرآن ومنسوخه:		
٦٦	ناسخ القرآن ومنسوخه - لأبى جعفر بن النحاس (٣٠٧هـ)	٤٩، ٣٦٩	ابن الفرضى ٢/٨٤
٦٧	ناسخ القرآن ومنسوخه - لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ)	٤٧	
٦٨	ناسخ القرآن ومنسوخه - لأبى داود السجستانى (٢٧٥هـ)	٤٧	
٦٩	ناسخ القرآن ومنسوخه - لهبة الله بن سلامة بن نصر البغدادى الضرير	٤٦	
	* كتب أخرى فى علوم القرآن :		
٧٠	الأمثال الكامنة فى القرآن - للحسن بن المفضل	٧٥	
٧١	البرهان فى علوم القرآن - لأبى الحسن على بن إبراهيم الحوفى المصرى (ت ٤٣٠هـ)	٧١	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٧٢	التبيان فى آداب حملة القرآن - لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى	-	الديباج ص ٣١٧ (ط بيروت)
٧٣	شرح بسم الله الرحمن الرحيم - لأبى إسحق الزجاج (ت ٣١١هـ)	٣١٤	
٧٤	شواهد القرآن - لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣هـ)	٧١	
٧٥	فضائل القرآن - لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣هـ)	٦٩	
٧٦	فضائل القرآن - لأبى بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ)	١٣٢	ابن الفرضى ٢٦٥/١
٧٧	فضائل القرآن - لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٧٠	
٧٨	نظم القرآن - للجرجانى	٤١	

ثانياً كتب الفقه وأصوله:

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	* ثانياً كتب الفقه وأصوله		
٧٩	(أحكام النساء) - لأبى إسحق بن شعبان القيروانى	-	الجذوة ٢٥٢/١، البغية ٢٣١/١
٨٠	أحكام القضاة - لمحمد بن عبد الله بن الحكم	-	المرقبة العليا للنباهى ص ١٨٩
٨١	الأسدية - لأسد بن الفرات الحرانى المغربى (المتوفى ٢١٣هـ)	-	ابن الفرضى ٢٢٩/١، الحلة ٣٨١/٢
٨٢	الإشراف (فى الفقه) لعبد الوهاب بن على بن نصر المالكى البغدادى (ت٤٢٢هـ)	٢٤٥	المرقبى العليا ص ٤١
٨٣	الإشراف (فى اختلاف العلماء) - لمحمد بن المنذر النيسابورى (ت ٣١٨هـ)	-	طبقات الزبيدى ص ٢٩٥، بغية ٤٦٦/٢، نفح ٢١/٢، المرقبة العليا ص ٧٤، أعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٥١.
٨٤	الأشربة - لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ)	٢٥١	
٨٥	الأشربة - لبكر بن العلاء القشيرى البصرى (ت ٣٤٤هـ)	٢٦٣	
٨٦	الأشربة - لأبى جعفر الطحاوى المصرى	٢٦٢	
٨٧	الأشربة - لأبى إسحق بن شعبان القيروانى	-	البغية ٢٣١/١، الجذوة ٢٥٢/١
٨٨	الأشربة - لعلى بن المدينى البغدادى (٢٣٤هـ)	٢٦١	
٨٩	الأشربة - لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)	٢٦١	
٩٠	الأشربة وتحريم المسكر - لأبى بكر محمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ)	٢٦٢	
٩١	أصول السنة - لعلى بن المدينى (ت ٢٣٤هـ)	-	ابن الفرضى ٢١/١.
٩٢	الإفادة - لعبد الوهاب بن على بن نصر المالكى البغدادى (ت ٤٢٢هـ)	-	المرقبة العليا ص ٤١

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٩٣	الأمر بالاقتداء - لابن أبي زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٦	
٩٤	الأموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام الجمحى (ت ٢٢٣هـ)	٢٤٨	الديباج ١٦/٢، سير أعلام النبلاء ١٠٢/١٣، التكملة ص ٦١٦.
٩٥	الأموال - للقاضى إسماعيل بن إسحق البغدادى (٢٨٢هـ)	٢٤٧	
٩٦	أوائل الأدلة فى مسائل الخلاف بين فقهاء الملة - لعبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى المالكى (ت ٤٢٢هـ)		المرقبة العليا ص ٤١
٩٧	إيجاب الائتمام بأهل المدينة - لابن أبي زيد القيروانى —	٢٤٦	
٩٨	الباهر (فقه شافعى) لأبي بكر محمد بن أحمد بن الحداد المصرى		الجذوة ٢٠٨/١
٩٩	البرهان فى أصول الفقه - لأبي المعالى الجوينى الشافعى (ت ٤٧٨هـ)	٢٥٨	الذيل والتكملة ٣٢٠/٢/٥
١٠٠	التأمين خلف الإمام - لأبي بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)		الجذوة ٣٦٨/١
١٠١	التفريع (فى الفقه المالكى) - لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاب البصرى (المتوفى ٣٧٨هـ)	٢٤٣	الذيل والتكملة ١٢/٢/٥، ١٧٧، ٢١٤، ٦٣٥
١٠٢	تفسير مسئلة الأعيان فى الخمس - لابن أبي زيد القيروانى (٣٨٦هـ)	٢٤٧	
١٠٣	التلخيص فى أصول الفقه - لعبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى المالكى (ت ٤٢٢هـ)		المرقبة العليا ص ٤١
١٠٤	التلقين - لأبي محمد عبد الله بن موسى بن مسعود الأنصارى الشارقى	٢٥٠	
١٠٥	تلقين المبتدئ - لعبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى المالكى (ت ٤٢٢هـ)	٢٤٣-٢٤٤	الصلة ٥٤١، ٦٧٠، المرقبة العليا ص ٤١، المقفى ٥٢١/٥، الديباج ص ٤١، ٤٥ (ط بيروت)، نفح ٥١٢/٢، ٤٢٤/٥ ، صلة الصلة ص٢٢.
١٠٦	(شرح) تلقين المبتدئ - لأبي عبد الله محمد بن على المازرى الحافظ	٣٤٤	
١٠٧	الجامع (فى الفقه المالكى) - لعبد الله بن وهب تلميذ مالك (ت ١٩٧هـ)	-	الديباج المذهب ٣٥٢/٢
١٠٨	جواب الليث بن سعد على رسالة مالك بن أنس	٢٩٨	
١٠٩	رد الأبهرى (المالكى) على المزنى (الشافعى) فى المسائل الثلاثين التى رد فيها على مالك	-	التكملة ٥٦٤/٢
١١٠	الذب عن مذهب مالك - لابن أبي زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٧	
١١١	رجوع ابن عباس عن الصرف - لأبي بكر الآجرى (٣٦٠هـ)	٢٨٥	
١١٢	الرسالة - للإمام الشافعى (٢٠٤هـ)	-	ابن الفرضى ١٨٢/٢، نفح ٦٢٧/٢، جذوة ١٦٠/١-١٦١، ٢٦٩
١١٣	الرسالة (فى الفقه) - لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٤	الذيل والتكملة ٢٦/٢/٥، ٦٣٥، ٦٨٢ المرقبة العليا ص ١٣٦
١١٤	(شرح) رسالة ابن أبي زيد - لعبد الوهاب بن على بن نصر المالكى البغدادى (ت ٤٢٢هـ)	٢٤٥	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
١١٥	رسالة مالك بن أنس إلى هارون الرشيد	٢٩٧	
١١٦	رسالة عمر بن عبد العزيز فى الزكاة	-	الديباج ١٦/٢
١١٧	رسالة مالك إلى هارون الرشيد	٢٩٧	الجذوة ٦٣٣/٢
١١٨	الزاهى - لأبى إسحق بن شعبان القيروانى المصرى	-	الجذوة ٦٣٣/٢
١١٩	سماعات (فى عشرين كتاباً فى الفقه المالكى) لعيسى بن دينار القرطبى من عبد الرحمن بن القاسم تلميذ مالك (ت ١٩٢هـ)	-	ترتيب المدارك ١٩/٢، الديباج ٦٦/٢
١٢٠	فتيا فقيه العرب - لأبى الحسين أحمد بن فارس الرازى (٣٩٠ هـ)	٣٧٤	
١٢١	الفرائض - مروية عن زيد بن ثابت ، (الصحابى)	٢٦٣	
١٢٢	الفرائض (مختصرة على مذهب زيد بن ثابت، وهو مذهب مالك والشافعى) لابن جرير الطبرى (٣١٠هـ)	٢٦٣-٢٦٤	
١٢٣	الفرائض - مروية عن يزيد بن هارون	٢٦٤	
١٢٤	الفرائض - مروية عن أيوب بن سليمان	٢٦٤	
١٢٥	الفرائض (جزآن) - لحمزة الزيات (ت ١٥٦هـ)	٢٦٥	
١٢٦	الفرائض - لأبى على شقران بن على الهمدانى (من القيروان)	٢٦٥	
١٢٧	الفرائض - لأبى الحسن بن النمر الأطرابلسى	-	الصلة ٦٨٠
١٢٨	(كتاب فى) الفقه - لمحمد بن إبراهيم بن زياد بن المواز (ت ٢٦٩هـ)	-	الجذوة ٣٠٠/١
١٢٩	الفقه الكبير (الأم) - للشافعى (ت ٢٠٤هـ)	-	ابن الفرضى ١٠٨/١-١٠٩
١٣٠	اللمع فى أصول الفقه . لأبى عبد الله بن الحسين بن حاتم الأزدى	-	الصلة ص ٤٣٢
١٣١	مجالس (فى الفقه المالكى) - لعبد الرحمن بن القاسم تلميذ مالك (ت ١٩٢هـ)	٢٥٤	
١٣٢	المختصر (فى الفقه الشافعى) - للمزنى تلميذ الشافعى (ت ٢٦٤هـ)		ابن الفرضى ١٨٢/٢، النفح ٢/ ٦٦٧.
١٣٣	المختصر (فى الفقه المالكى) - لابن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)	١٢١	البغية ٢٣١/١، الصلة ٤٨٢
١٣٤	المختصر (الأوسط) - لابن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)	-	الجذوة ٣٩٠/١
١٣٥	(شرح) المختصر (كبير وصغير) -لابن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)	-	الصلة ٥١٩
١٣٦	(شرح)مختصر ابن عبد الحكم - لأبى بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	-	ابن الفرضى ٢٨/١-٢٩، ٣٧٩، الذيل والتكملة ٤٩٤/٢/٥
١٣٧	المختصر (فى الفقه المالكى) - لأبى القاسم عبيد الله بن الحسن بن جلاب البصرى المالكى (ت ٣٧٨هـ)	-	الصلة
١٣٨	مختصر رسالة ابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	-	الجذوة ٢٦٩/١
١٣٩	مختصر ما ليس فى المختصر - لأبى إسحق بن شعبان القيروانى	-	الجذوة ٢٥٢/١.

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
١٤٠	المدونة (فى الفقه المالكى) - لسحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ)	٢٤٠، ٣٦٧	الصلة ٢٥٩، ٥٥٦، الديباج١/٣٤٩، ٤٢٩-٢/٢٠٤، المعجم لابن الأبار ص ٢٦، الذيل والتكملة ١/٢/٢٦٧، ٥/٢/٥٨، نفح ٢/٦١، التكملة (أرقام ٦٩٠، ٧٥١، ٨٢١، ٨٢٦، ١١٨١، ١٢٢٦، وغيرها كثير.)
١٤١	المدونة (مختصر) - لابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٥، ٢٤٦	
١٤٢	مذهب الأوزاعى (ت ١٥٧هـ) [كتاب]	-	الجذوة ١/٣٧٩
١٤٣	مسائل ابن جماعة فى البيوع	-	الديباج ٤١ (ط بيروت)
١٤٤	مسائل يحيى بن يحيى الليثى القرطبى (فى عشرة أجزاء) التى سمعها من عبد الرحمن بن القاسم تلميذ مالك (ت ١٩٢هـ)	-	الديباج ٢/٣٥٢
١٤٥	مسئلة النكاح بغير بينة - لابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٧	
١٤٦	المستصفى (فى أصول الفقه - لأبى حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ)	-	الذيل والتكملة٥/٢/٥٨٨، الديباج ص ٤١، ١٢٥، صلة الصلة ص ١٣٦، ١٥١
١٤٧	المعالم (فى أصول الفقه) ، لفخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ)	-	الذيل والتكملة ١/٢/١٧٦
١٤٨	المعونة (فى الفقه المالكى) - لعبد الوهاب بن على البغدادى (ت ٤٢٢هـ)	٢٤٥	المرقبة العليا ص ٤١
١٤٩	المقنع فى الفرائض - لأبى النجاء الفارض / رواه عنه أبو القاسم البزار المصرى	٢٦٤	
١٥٠	المقصد الأسنى - لأبى حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ)	-	الذيل والتكملة ٥/٢/١٧٨
١٥١	الملخص (فى أصول الفقه) - لعبد الوهاب بن على بن نصر المالكى البغدادى	٢٥٦	
١٥٢	مناسك الحج - لابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٧	
١٥٣	مناسك الحج - لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٥٠، ٢٨٦	
١٥٤	مناسك الحج - لأبى الحسن على بن محمد القابسى القيروانى (ت ٤٠٣هـ)	٢٥٠	
١٥٥	الموضح فى الفقه الظاهرى - لأبى الحسن بن المغلس الظاهرى البغدادى	-	سير أعلام النبلاء ١٨/١٩٤
١٥٦	النصرة وشرحه - لعبد الوهاب بن نصير البغدادى المالكى (ت ٤٢٢هـ)	-	نفح ٢/٥٢١، المرقبة العليا ص ٤١
١٥٧	النهى عن الشذوذ عن العلماء - لابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٦	

ثالثا كتب أصول الدين (العقيدة وعلم الكلام)

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	ثالثا : كتب أصول الدين:		
١٥٨	أسرار الإيمان – لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى البغدادى (ت ٥٤٦هـ)	–	الذيل والتكملة ٥٨٣/٢/٥
١٥٩	الإرشاد فى أصول الدين – لأبى المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى (ت ٤٧٨هـ)	٢٥٨	الذيل والتكملة ٢٨٤/٢/٥، ٣٢٠، ٦٥١ التكملة ٥٦٠/٢، الديباج ص ٩٠ (ط بيروت)، الإحاطة ١٢١، نفح الطيب ٣٤٢/٥، ٥٣٤.
١٦٠	الاستبصار فى العقيدة (خمس أجزاء) لنافع بن عبد الله بن جبير الجوهرى التنيسى نزل الأندلس سنة٤٩٩ هـ	–	الصلة ٦٤٠
١٦١	اعتقاد الموحدين – لأبى بكر محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ)	٢٥٩	
١٦٢	تأويل الأخبار المتشابهة والرد على الملحدة – لابن فورك (ت ٤٠٦هـ)	١٩٩	
١٦٣	التلخيص – لأبى المعالى الجوينى (ت ٤٧٨هـ)	٢٥٨	
١٦٤	تهافت الفلاسفة – لأبى حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ)	–	عيون الأنباء ص ٥٣٢، الإحاطة ٤٠٥.
١٦٥	رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب فى شرح أصول مذاهب المتبعين للكتاب والسنة – لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائى البصرى	٢٥٧	
١٦٦	رسالة الحجة المعروفة بالإنصاف (فى الاعتقاد) – لأبى بكر محمد ابن الطيب الباقلانى البغدادى (المتوفى ٤٠٣هـ)	٢٥٧	مقدمة كتاب إعجاز القرآن للباقلانى ٤٥-٤٧
١٦٧	زبور داود – ترجمة وهب بن منبه (ت ١١٤هـ)	٢٩٤	
١٦٨	السنة – لأبى ذر الهروى (٤٣٤هـ)	٢٦٠	
١٦٩	الشامل فى أصول الدين – لأبى المعالى الجوينى (ت ٤٧٨هـ)	٢٥٨	
١٧٠	صريح السنة – لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)	–	بغية ١٩٨/١، الجذوة ٢١٨/١
١٧١	الفريد فى الاعتراض على النبوات – لابن الراوندى	–	سير أعلام النبلاء ١٩٥/١٨.
١٧٢	الفصول الجامعة فيما يجب على أهل الذمة من أحكام الملة – لأبى بكر أحمد بن على بن بدران الحلوانى المعاصر للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله (٤٧٦-٤٨٧هـ)	٢٥٩	

رابعاً : كتب الحديث النبوى

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	* رابعاً: كتب الحديث النبوى		
١٧٣	الإحازة للمعلوم والمجهول - للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)	٢٢٦، ٤٥٥	
١٧٤	الآحاد - لابن الجارود (ت ٣٠٧هـ) .	-	الجذوة ٢٠٤/١
١٧٥	أحاديث سباعية - لأبى غالب محمد بن الحسن الماوردى	١٧٤	
١٧٦	الأحاديث السداسيات لأبى طاهر أحمد بن محمد السلفى (ت ٤٨٢هـ)	١١٨	
١٧٧	الأحاديث العوالى من أصول سماع أبى الفوارس طراد بن محمد الزينبى	١٦٠	
١٧٨	الأحاديث الغيلانيات - لأبى بكر البزار (ت ٢٩٢هـ)	١٧٣	
١٧٩	الأحاديث التى خولف فيها الإمام مالك للدار قطنى (ت ٢٨٥هـ)	١٨٠	
١٨٠	الأربعين - لأبى طاهر السلفى (ت ٤٨٢هـ)		الذيل والتكملة ٤٣/٢/١.
١٨١	الأربعين حديثاً - لأبى العباس الحسن بن سفيان بن عامر الشيبانى النسوى (ت ٣٠٣هـ)	١٥٧	
١٨٢	الأربعين حديثاً - لأبى الفتوح الطائى البغدادى		الحلة ١٩/١
١٨٣	الأربعين حديثاً - لأبى القاسم عبد الله بن عمر بن شاهين (ت ٣٨٥هـ)	٢٥٨	
١٨٤	الأربعين حديثاً - لمحمد بن أسلم الطوسى الكندى (ت ٢٤٢هـ)	١٥٧	
١٨٥	الأربعين حديثاً - لأبى بكر محمد بن الحسين الأُجرّى (ت ٣٦٠هـ)	١٥٤، ٢٨٦	
١٨٦	الأربعين حديثاً للقاضى أبى نصر محمد بن على بن ودعان الموصلى نزيل بغداد	١٥٧	
١٨٧	الأربعين حديثاً على مذهب أهل السنة - لأبى نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ)	١٥٨	
١٨٨	الأربعين حديثاً على مذاهب الصوفية - لأبى نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ)	١٥٨	
١٨٩	الإستدراكات - للدار قطنى (٣٨٥هـ)	٢٠٤	
١٩٠	أصول السُّنة - لعلى بن المدينى البغدادى (ت ٢٣٤هـ)	-	ابن الفرضى ٢١/١
١٩١	أعلام النبوة - لأبى جعفر أحمد بن قتيبة	١٥١	
١٩٢	أعلام النبوة - لأبى داود السجستانى (ت ٢٧٥هـ)	١١٠	
١٩٣	الإعلام فى شرح كتاب صحيح البخارى - لأبى سليمان الخطابى (ت ٣٨٠هـ)	٢٠١	
١٩٤	الأغراب - لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٣٠هـ)	١٤٦	
١٩٥	الأفراد والغرائب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - للدار قطنى (ت ٣٨٥هـ)	٢٢٧	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
١٩٦	الإلزامات - للدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)	٢٠٣	
١٩٧	(تخريج) الإلزامات - لأبى ذر عبد الرحمن بن أحمد الهروى (٤٣٤ هـ)	٢٠٣	
١٩٨	أمثال الحديث المروية عن رسول الله - لأبى محمد الرامهرمزى (ت ٣٦٠هـ)	١٨٠	
١٩٩	الأمثال السائرة التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم - لأبى عروبة الحسين بن محمد الحرانى (ت ٣١٨هـ)	١٧٦	
٢٠٠	إيضاح الإشكال (فى الحديث) - لعبد الغنى بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩ هـ)	٢١٩	
٢٠١	بيان مشكل حديث رسول الله - للطحاوى	٢٠٠	
٢٠٢	تأويل مشكل الحديث - لأبى بكر بن فُورك (ت ٤٠٦هـ)	١٩٩	
٢٠٣	تصحيح الأوهام التى فى كتاب المدخل لأبى عبد الله الحاكم - تأليف محمد بن عبد الغنى بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩هـ)	٢٢٤	
٢٠٤	تصحيف المحدّثين لألفاظ من الحديث - لأبى سليمان الخطابى (٣٨٠هـ)	١٩٠	
٢٠٥	تصحيف المحدّثين - للدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)	١٧، ٢٠٤	الديباج ص ٢٩٣، ص ٣١٧ (ط بيروت)
٢٠٦	التفرد (ما تفرد به أهل الأمصار من الأحاديث) - لأبى داود السجستانى (ت ٢٧٥هـ)	١٠٩	
٢٠٧	تهذيب الآثار وتفصيل معانى الأخبار - لابن جرير الطبرى (٣١٠هـ)	٢٠٠، ٢٠١	ابن الفرضى ٢٠٦/٢
٢٠٨	(مختصر) تهذيب الآثار - لأبى جعفر النحاس النحوى (ت ٣٠٧هـ)	٢٠١	
٢٠٩	الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع - للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)	١٨٢، ٢٦٠	
٢١٠	الجامع - لسفيان الثورى (١٦١هـ) من رواية محمد بن فطيس	١٣٦، ١٣٧	
٢١١	الجامع المختصر من السنن - للترمذى (ت ٢٧٩هـ)	١١٧، ١٢١	الذيل والتكملة ١٦٩/٢/١، المعجم لابن الأبار ص ٦، ١١، الجذوة ١/ ٩١، الذخيرة ٨٢/١/٢
٢١٢	الجمع بين الصحيحين - لأبى عبد الله محمد بن حسين الأنصارى	١٢٢	
	*أجزاء حديثية:		
٢١٣	(حديث) أبى إسحق إبراهيم بن محمد بن يحى المزكى النيسابورى عن شيوخه - من تخريج الدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)	١٧٣	
٢١٤	(حديث) أبى على الحسن بن محمد الصباح الزعفرانى (ت ٢٦٠هـ)	١٥٩	
٢١٥	(حديث) سفيان الثورى (ت ١٦١هـ)	١٥٣	ابن الفرضى ٥٨/٢
٢١٦	(حديث) سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)	-	ابن الفرضى ٣٧٧/١، ٥٨/٢

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٢١٧	(حديث) أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل (ت ٢١٢هـ)	١٦٠	
٢١٨	(حديث) أبي على بن سكرة عن شيوخه البغداديين	١٧٨	
٢١٩	(حديث) أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى الحافظ	١٧٨	
٢٢٠	(حديث) أبي بكر محمد بن عبد الله البزار (ت ٢٩٢هـ)	١٧٣	
٢٢١	(حديث) الزهرى عن الإمام مالك بن أنس	١٧٤	
٢٢٢	(حديث) العباس بن الوليد القاضى (بالرملة) عن شيوخه	١٧٦-١٧٧	
٢٢٣	(حديث) الحسن بن عرفة العبدى عن شيوخه (ت ٢٥٧هـ)	١٧٧	المعجم لابن الأبار ص ١٠
٢٢٤	(حديث) - مجالس - لأبي الطاهر السِّلفى (ت ٤٨٢هـ)	١٧٨، ١٧٩	
٢٢٥	(حديث) المحاملى أحمد بن محمد البغدادى (ت ٤١٥هـ) فى (١٥) جزءاً	-	المعجم لابن الأبار ص ١٤
٢٢٦	(حديث) مسدد بن مسرهد البصرى (ت ٢٢٨هـ)	-	الجذوة ٤٨/٢
٢٢٧	الدعاء المروى عن رسول الله (جزء أحاديث) - لأبي على إسماعيل ابن محمد الصفار (ت ٣٤١هـ)	١٦٣-١٦٤	
٢٢٨	الرباعى فى الحديث - لعبد الغنى بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩هـ)	٢١٩	
٢٢٩	الرواة عن مالك - للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ)	-	التكملة لابن الأبار ٧٧٥/٢
٢٣٠	السنن - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٣٠هـ)	١٠٧، ١١٠، ١١٦، ١١٨	ابن الفرضى ١١٠/٢، بغية ص ١٢٧-١٢٨، الجذوة ١٤٦/١، ٢٢١، الذيل والتكملة ١٦٩/٢/١، نفح ٥٣٦/٢
٢٣١	السنن - لأبي داود السجستانى (ت ٢٧٥هـ)	١٠٦، ١٠٧، ١٢٤، ١٢٦، ٢٧٤	ابن الفرضى ٣٦٩/١، الجذوة ٢/ ٤٨، الذيل والتكملة ١٦٩/٢/١، ٤٢٢/٢/٥، التكملة ٤٧٧، ٦٨٧
٢٣٢	السنن - للدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)	١٢١	نفح الطيب ٥٥٠/٢
٢٣٣	السنن - لأبي على سعيد بن عثمان بن السكن (ت ٣٥٣هـ)	-	ابن الفرضى ١٠٧/٢
٢٣٤	السنن - للشافعى (ت ٢٠٤هـ)	-	الديباج ٢٣٥/١
٢٣٥	سؤالات عثمان الدارمى ليحيى بن معين (فى الجرح والتعديل)	-	سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٨
٢٣٦	شرح السنة - للبغوى	-	الذيل والتكملة ٢٩/١/١
٢٣٧	شرف أصحاب الحديث = شرف المحدثين - للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)	١٨١، ٢٦١	بغية ص ٤٦٧
٢٣٨	شمائل النبى صلى الله عليه وسلم - لأبي عيسى الترمذى (ت ٢٧٩هـ)	٢٠٤	معجم أبي على الصدفى لابن الأبار ص ٨، نفح الطيب ٦٦٥/٢.
٢٣٩	الصحيح المسند للإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ)	٦٥، ٩٧، ١٦١، ١٧٧، ١٩٨، ٢٢٠، ٢٦١	ابن الفرضى ٦٤/١، ٩٦، ١٢٢، ١٥٢، ١٨٠، ٢٩٠، ٣٨٣-٦٧/٢، ١٠٩، ١١٠، الصلة ص٦١، ٦٤، ٦٧، ٢٧٤، ٢٩٣، ٢٩٦،

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
			٣١٨، ٤٤٨، ٤٥٨، ٥٥٢، ٥٥٣، بغية الملتمس ١٦٣، ٤٧١، الذيل والتكملة ٣٣/٢/١، ١٦٩، ٢٦٧، ٤٧٥ ومواضع أخرى كثيرة
٢٤٠	صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ)	١٠٢، ١٦١، ١٧٧	ابن الفرضى ١٩٤/٢. الصلة ص ٢٦، ٦٨، ١٥٧، ٢٧٢، ٢٩٥، ٣٧٤، ٤٥٨، ٥٠٦، ٥٣٩، ٦٣٨. بغية ص ٢٢٢، ٤٧٦، الذيل والتكملة ١٣١/٢/١، ١٦٩، ٣٠٣، ٤٧٥، ٤٨٥
٢٤١	صحيح الحديث - لأبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى (ت ٣٢٢هـ)	١٣٠	
٢٤٢	الصحيحين (البخارى ومسلم)	-	الصلة ص ١٤٥، ٢٢٦، الذيل والتكملة ١٣١/٢/١، التكملة ص ٧، الجذوة ٢٢١/١، ٥٠٩
٢٤٣	علل حديث الزهرى - لمحمد بن يحيى الذهلى النيسابورى (ت ٢٥٨هـ)	٢٠٣	
٢٤٤	علل الحديث - للدار قطنى (ت ٣٨٥هـ)	٢٠٣	الصلة ص ٥٦١
٢٤٥	العلل - للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)	-	ابن الفرضى ٢٨٥/١، المقفى ٤/ ١٢٠
٢٤٦	علوم الحديث - لابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)	-	الذيل والتكملة ٦٨٨/٢/٥، برنامج المجارى ص١١١، صلة الصلة-ص ٤٣
٢٤٧	علوم الحديث - لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)	١٧١، ٢٢٣	صلة الصلة - ص ٢١
٢٤٨	الغرائب - للدارقطنى (المتوفى ٣٨٥هـ)	-	الذيل والتكملة ١٤٥/٤-١٤٦
٢٤٩	غريب الحديث (شرح) - لأبى إسحق إبراهيم الحربى (ت ٢٨٥هـ)	١٩٤	
٢٥٠	غريب الحديث (شرح) - لأبى سليمان الخطابى (ت ٣٨٠هـ)	١٩٠	الصلة ص٤١١، التكملة (رقم ١١٥٦)، بغية ص٢٥٤، نفح ٢٤١/٢.
٢٥١	غريب الحديث - لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى (ت ٢٢٣هـ)	١٨٦، ١٨٨، ٣٣٦، ٣٢٧	الجذوة ٢٠٣/١، الصلة ١٢، التكملة ٣٧٢/١، نفح ٣٨٠/٣، ٢ /٦٣٥، الديباج ٢٣٥/١
٢٥٢	غريب الحديث - لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ)	١٨٧	الصلة ١٢، بغية ٤٠٠، الديباج ١/ ٢٣٥ ، جذوة ٢٠٣/١، ٤٦٧/٢.
٢٥٣	غريب الحديث - لابن عزيز	-	الذيل والتكملة ٨/١/١
٢٥٤	غريب الحديث - لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)	١٨٥	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٢٥٥	غريب حديث أم زرع (شرح) - لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)	١٩٧	
٢٥٦	غريب حديث مالك - للدار قطني (المتوفى ٣٨٥هـ)	-	نفح ٢/٥٩٨
٢٥٧	غريب حديث عائشة في أبيها أبي بكر رضي الله عنهما - لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)	١٦٦، ١٩٧	
٢٥٨	غريب الحديث لابن سلام الجمحي (شرح أبياته) لابن السيرافي	٣٤٣	
٢٥٩	غريب صحيح البخاري (شرح) - لأبي الوليد هشام بن عبد الرحمن الصابوني	١٩٨	
٢٦٠	غريب الموطأ (شرح) لأحمد بن عمران الأخفش (لعله أندلسي)	٩١	
٢٦١	الغريبين (القرآن والحديث) - لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ)	-	الذيل والتكملة ١/١/ص ٨، نفح ٣/٢٢١، ٢٣٣
٢٦٢	الغوامض والمبهمات - لعبد الغني بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩هـ)	٢١٩	الصلة ص ٣٤٣
٢٦٣	الفَصْل للوصل المدْرَج في النقل - للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)	١٨٢	
٢٦٤	الفوائد (من عوالي الحديث)- لزيد بن حبيب القضاعي الإسكندراني	-	الصلة ص ١٩٢
٢٦٥	الغيلانيات - لأبي بكر الشافعي		نفح الطيب ٢/٥٦١، ٦٢٨.
٢٦٦	القطيعيات (أجزاء حديثية).		نفح الطيب ٢/٥٦١.
٢٦٧	الكتب الخمسة		صلة الصلة ص١٣٥، ١٣٦، ١٤٧
٢٦٨	الكتب الستة		صلة الصلة ص ٣٩.
٢٦٩	المجتبى في السنن المسندة - للنسائي (ت ٣٣٠هـ)	١١٦، ١١٧، ١٢٦	بغية الملتمس ص ٤٧٦
٢٧٠	مجلس من أوهام البخاري في تاريخه الكبير - لعبد الغني بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩هـ)	٢٢٤	
٢٧١	المحدث الفاصل بين الراوي والواعي - للرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ)	١٨٠	
٢٧٢	مختلف الحديث - لمحمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)	١٩٦	
٢٧٣	مختلف الحديث المدَّعَى عليه التناقض - لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)	١٩٩	
٢٧٤	المدبَّج - للدار قطني (ت ٣٨٥هـ)	١١٨	
٢٧٥	المدخل إلى معرفة الإكليل - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)	٢٢٤	
٢٧٦	المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم - لأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥)	٢٢٣	
٢٧٧	المراسيل - لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)	١٠٨	
٢٧٨	مسانيد الموطأ - لأبي ذر عبد بن أحمد الهروي (ت ٤٣٤هـ)	٨٩	
٢٧٩	مسند أسد بن موسى (ت ٢١٣هـ)	-	الجذوة ٢/٦٣٣

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٢٨٠	مسند أبي بكر البزار (ت ٢٩٢هـ)	١٣٨	المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأبار ص ٦، ١٢، التكملة رقم ٢٣٦، صلة الصلة ص ٣٦.
٢٨١	مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)	١٣٩	ابن الفرضي ١/٢٨٥
٢٨٢	مسند أبي بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)	١٣٧	ابن الفرضي ١/٩٤، ٢/١٦٢، الصلة ص ٢٤٨
٢٨٣	مسند الحارث بن أبي أسامة البغدادي (ت ٢٨٢هـ)	١٤٠، ١٤١	
٢٨٤	مسند حديث الأوزاعي - تأليف دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم (ت ٢٤٥هـ)	١٤٨	
٢٨٥	مسند حديث الأوزاعي - تأليف أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)	١٤٩	
٢٨٦	مسند حديث حماد بن سلمة	-	الجذوة ١/٣٩٣
٢٨٧	مسند حديث ابن جريج - للنسائي (ت ٣٣٠هـ)	١٤٧	
٢٨٨	مسند حديث ابن جريج - رواية أبي عبد الله الجيزي	١٤٧	
٢٨٩	مسند حديث الزهري بعلله - للنسائي (ت ٣٣٠هـ)	١٤٥	
٢٩٠	مسند حديث سفيان الثوري - للنسائي (ت ٣٣٠هـ)	١٤٦	
٢٩١	مسند حديث سفيان الثوري - لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠هـ)	١٤٧	
٢٩٢	مسند حديث سفيان بن عيينة - للدولابي (ت ٣٢٠هـ)	١٤٧	
٢٩٣	مسند حديث شعبة - للدولابي (ت ٣٢٠هـ)	١٤٦	الجذوة ١/٣٢٨، الصلة ص ٥٠٢
٢٩٤	مسند حديث شعبة - للنسائي (ت ٣٣٠هـ)	١٤٦	
٢٩٥	مسند حديث عقيل بن خالد الأيلي	١٤٩	
٢٩٦	مسند حديث فضيل بن عياض وداود الطائي ومفضل بن مهلهل السعدي - تأليف أبي عبد الرحمن النسائي)	١٤٨	
٢٩٧	مسند حديث مالك بن أنس - لأبي عبد الرحمن النسائي (ت ٣٣٠هـ)	١٤٥	الجذوة ١/٣٢٨
٢٩٨	مسند حديث يحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب السختياني - لإسماعيل القاضي (ت ٢٨٢هـ)	١٤٨	
٢٩٩	المسند - لمسدد بن مسرهد البصري (المتوفى ٢٢٨هـ)	-	بغية ٤٤٨، نفح ٢/٤٨
٣٠٠	مسند الحميدي عن سفيان بن عيينة (١٩٨هـ)	١٤٤	
٣٠١	مسند أبي داود الطيالسي : سليمان بن داود (ت ٢٧٥هـ)	١٤١	
٣٠٢	مسند أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني نزيل مصر	-	بغية ص ١٩٧، ٤٠٠، الجذوة ١/ ٢١٧، ٢/٤٦٨
٣٠٣	المسند المؤلف على الصحيحين - لأبي ذر الهروي	٢٨٦	
٣٠٤	المسند المطأ = راجع : الموطأ	-	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٣٠٥	مسند أبي الوليد هشام بن عمار عن مالك بن أنس	١٥٢	
٣٠٦	مشكل الآثار - لأبي جعفر الطحاوى الحنفى(ت ٣٢١هـ)	-	المرقبة العليا ص ٩٩
	* المصنفات:		
٣٠٧	مصنف أبي عبد الرحمن النسائى (ت ٣٣٠هـ)	١١٠، ١١٧، ١٢٦	ابن الفرضى ١/٤٩٤، الجذوة ٢/ ٤٥٦-٤٥٧
٣٠٨	مصنف حماد بن سلمة	١٣٤	
٣٠٩	مصنف سعيد بن منصور البلخى (ت ٢٢٧هـ)	١٣٥	الجذوة ١/٢٧٥، ٢/٥١٩
٣١٠	مصنف سفيان بن عيينة (ت ١٩٧هـ)	١٣٤	ابن الفرضى ٢/١٦، المقتبس ٢٥٨
٣١١	مصنف أبي داود السجستانى صاحب السنن (ت ٢٧٥هـ)	١٠٢، ١٠٦	ابن الفرضى ١/٤٠١، ٢/٨٤، ١٥٨، المعجم لابن الأبار ص ٢٢
٣١٢	مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)	١٣١، ١٣٣	ابن الفرضى ٢/٣٤، الجذوة ١/ ٢٧٥، الحلة ١/٢٠، ٢/٥١٩، صلة الصلة ١٤٧-١٤٨.
٣١٣	مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١هـ)	١٢٧، ١٢٩، ١٣٠	بغية ص ٣٩٦، الجذوة ١/٢٧٥، ٢/٥١٩
٣١٤	مصنف أبي عبد الرحمن النسائى (ت ٣٣٠هـ)	-	بغية ١٣٠، ٣٨٥
٣١٥	مصنف فى السنن لأبي على السكن (ت ٣٥٣هـ)	١٢٥	ابن الفرضى ١/٩٧
٣١٦	مصنف أبي عبد الله البخارى = انظر صحيح البخارى	٩٤	ابن الفرضى ٢/٨١
٣١٧	مصنف مسلم بن الحجاج = انظر صحيح مسلم	٩٨	
٣١٨	مصنف وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ)	١٢٦-١٢٧	جذوة ١/١٥٤
٣١٩	معالم السنن - لأبي سليمان الخطابى (المتوفى ٣٨٠هـ)	٢٠١	
٣٢٠	معانى الآثار - للطحاوى / المصرى	٢٠٠	
٣٢١	معرفة المتصل من الحديث والمرسل والمقطوع وبيان الطرق الصحيحة - لأبي بكر أحمد بن هارون البرديجى (ت ٣٠١هـ)	٢٠٧	
٣٢٢	المكمل فى بيان المهمل - للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)	١٨٢	
٣٢٣	المنتقى من السنن المسندة - لأبي محمد بن الجارود (ت ٣٠٧هـ)	٢٨٢	الجذوة ١/٢٠٤، ٢/٥٢٧
٣٢٤	الموضح لأوهام أبي عبد الله البخارى فى التاريخ الكبير - للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)	٢٢٤	
٣٢٥	الموطأ - للإمام مالك (ت ١٧٩هـ)	١٣، ٧٧، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١٣٤	ابن الفرضى : ١/٨٥٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ٢٦٧، ١٨٩، ٣٨٧، ٣٨٩- ٢/٤٧، ٩٢، ١٧٦، ١٧٨، ١٩٠، الجذوة ١/٢٢١، ٢/٦٣٢، الصلة ص ٣١، ص ١٠٧، ٥٥٢، بغية ص ٢٩٣، الذيل والتكملة ١/٢/٢٥،

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
			٦٧، ٨٠، ١٢٥، ومواضع أخرى كثيرة فى مراجع أخرى
٣٢٦	الموطأ لابن بكير - يحيى بن عبد الله بن بكير المصرى	-	الصلة ص ٢٥٨
٣٢٧	الموطأ لمحمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبى ذئب المدنى (ت ١٥٩هـ)	-	الجذوة ٥٨٥/١
٣٢٨	الناسخ والمنسوخ فى الحديث - لعمر بن أحمد بن شاهين البغدادى (ت ٣٨٥هـ)	-	الإحاطة ٥٤٣/٣
٣٢٩	نسخة خراش بن عبد الله (خادم أنس بن مالك) [أربعة عشر حديثاً] عن أنس بن مالك	١٦٢	الجذوة ٢١٩/١
٣٣٠	نسخة دينار بن عبد الله الأهوازى عن أنس بن مالك	١٦١	
٣٣١	نسخة هشام بن منبه عن أبى هريرة (يبدو أنها صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة)	١٦١-١٦٢	
٣٣٢	النصيحة لأهل الحديث - للخطيب البغدادى (٤٦٣هـ)	٢٢٦	

خامساً : كتب التاريخ والسيرة والأنساب والتراجم

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	خامساً: كتب التاريخ والسيرة والأنساب والتراجم:		
	*** كتب التاريخ العام**		
٣٣٣	البرق الشامى - للعماد الأصفهانى		الذيل والتكملة ٣١٦/٢/٥
٣٣٤	التاريخ - خليفة بن خياط البصرى (ت ٢٤٠هـ)	٢٣٠	ابن الفرضى ١٠٩/١
٣٣٥	التاريخ - لليعقوبى (ت ٢٨٤هـ)	-	طبقات الزبيدى ٩٣، الذخيرة ٢/٢ /٨١٢
٣٣٦	تاريخ الإسلام - للذهبى		نفح الطيب
٣٣٧	تاريخ الرسل والملوك - لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)	-	ابن الفرضى ٧٥/١-٧٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٩٨-٢٠٦/٢. الجذوة ١/ ١٧٢، ٢٢١، ٣٢٧. الذيل والتكملة ١٤٢/٢/٥، التكملة ١/ ٣٨٧، ٧٤٣/٢، نفح ٣٠٢/٢
٣٣٨	التاريخ - لعيسى بن إبراهيم بن عيسى (من ذرية ابن قتيبة الدينورى)	-	الصلة لابن بشكوال ٤٤١
٣٣٩	صلة تاريخ الطبرى - للفرغانى (ت ٣٦٢هـ)	-	التكملة ٣٨٧/١
٣٤٠	المعارف - لابن قتيبة الدينورى (٢٧٦هـ)	٣٧٧	الجذوة ٤٦٧/٢، ابن الفرضى ٢٢/١

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	* كتب تاريخية ذات موضوع واحد:		
٣٤١	أخبار الردة - لوثيمة بن موسى بن الفرات االفارسى النسوى (ت ٣٦٧هـ)	-	ابن الفرضى ١٦٥/٢، بغية ٤٨٢.
٣٤٢	أيام العرب - لأبى الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٧هـ)	-	تاريخ بغداد ٣٩٨/١١
٣٤٣	التعديل والانتصاف فى مآثر العرب ومثالبها - لأبى الفرج (ت ٣٥٧هـ)	-	تاريخ بغداد ٣٩٨/١١
٣٤٤	حروب الأزارقة - لمحمد بن عباد بن حبيب بن المهلب البصرى	٢٣٨	
٣٤٥	الدار ومقتل الخليفة عثمان - لعمر بن شبة البصرى (ت ٢٦٣هـ)	-	جذوة ٢٢٠/١، البغية ١٩٩/١-٢٠٠
٣٤٦	الدار ومقتل عثمان - لسيف بن عمر الأسدى الكوفى (ت ١٨٠هـ)	٢٣٧	
٣٤٧	الردة - لمحمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧هـ)	٢٣٧	
٣٤٨	الردة والفتوح - لسيف بن عمر الأسدى الكوفى (١٨٠هـ)	٢٣٧	الاستيعاب ٦٤٦/٢
٣٤٩	قصة الحجر الأسود وزمزم وبدء شأنها - لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٨٦	
٣٥٠	الميسر والقداح - لابن قتيبة (٢٧٦هـ)	٣٧٨	
	* كتب فى تاريخ الخلفاء والأمراء والوزراء		
٣٥١	الأوراق - لأبى بكر الصولى (ت ٣٣٥هـ)	-	الحلة السيراء ٤١/١
٣٥٢	أخبار الخلفاء العباسيين - للحارث بن أبى أسامة البغدادى (٢٨٢هـ)	-	بهجة المجالس لابن عبد البر ج ١ ص ٣٥٨.
٣٥٣	تاريخ الخلفاء الكبير - للمدائنى (ت ٢٢٥هـ)	-	ابن الفرضى ١٨٤/٢، بغية ٤٩٨
٣٥٤	التعيين للخلفاء الماضين - للمسعودى (ت ٣٤٥هـ)	-	الذيل والتكملة / السفر الأول/القسم الأول ٣٦٨-٣٦٩، نفح الطيب ١٨٢/٣
٣٥٥	الوزراء - لأبى بكر الصولى (ت ٣٣٥هـ)	-	الحلة السيراء ١٧٨/١
	* كتب الفتوح:		
٣٥٦	فتوح الشام - لأبى إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدى	٢٣٨	
٣٥٧	فتوح مصر وإفريقية - لابن عبد الحكم المصرى (ت ٢٥٧هـ)	٢٣٨	الحلة السيراء ١٤/١، ١٨-٣٢٢/٢
٣٥٨	الفتح القيسى فى الفتح القدسى للعماد الأصبهانى	-	الذيل والتكملة ١٧٦/٢/١، ٢/٥/ ٣١٦
	* كتب تاريخ المدن:		
٣٥٩	أخبار أصبهان - لحمزة بن الحسين الأصبهانى (ت ٣٦٠هـ)	-	عبد الحليم عويس : ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى ص ١٥٣-١٥٤

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٣٦٠	أخبار البصرة - عمر بن شبة البصرى (٢٦٢هـ)	-	نفح ٣/١٦٥-١٦٦
٣٦١	أخبار بيت المقدس - لأبى العباس أحمد بن خلف بن محمد السبحى	٢٧٩	
٣٦٢	أخبار الكوفة - عمر بن شبة البصرى (٢٦٢هـ)	-	نفح ٣/١٦٥-١٦٦
٣٦٣	أخبار المدينة - عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ)	-	الاستيعاب ٢/٨٣٠
٣٦٤	أخبار المدينة - لمحمد بن الحسن بن زبالة المخزومى	٢٨٠	
٣٦٥	أخبار مكة - لأبى عبد الله محمد بن إسحق الفاكهى (ت ٢٧٢هـ)	٢٧٩	الاستيعاب ٢/٨٣٠
٣٦٦	أخبار مكة - لأبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى (ت ٢٢٣هـ)	٢٧٨	
٣٦٧	تاريخ إربل لابن المستوفى		نفح الطيب ٢/٣٨١، ٦٠٦-٦٠٧
٣٦٨	تاريخ البصرة - لأبى يحيى زكريا بن يحيى الساجى (ت ٣٠٧هـ)	-	نفح ٣/١٦٥-١٦٦
٣٦٩	تاريخ بغداد - للخطيب البغدادى (٤٦٣هـ)	-	بغية ١/١٢٤، الجذوة ١/٣٢٨، الصلة ٦٣٤، الذيل والتكملة ١/١/ ٧، ١٨
٣٧٠	تاريخ بغداد - لأحمد بن أبى طاهر طيفور (ت ٢٨٠هـ)	-	نفح الطيب ٣/١٧٣، الحلة ١/ ١٩٠، الذخيرة ١/١/٣٦٦
٣٧١	تاريخ جرجان لأبى القاسم حمزة بن يوسف السهمى	-	نفح الطيب ٢/٤٧٦
٣٧٢	تاريخ حلب لابن العديم		نفح الطيب ٢/٣٢٤، ٤/٢٨٩
٣٧٣	تاريخ دمشق - لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)	-	نفح الطيب ٢/٩٢، ١٥٧٢، ٣/٧ ، ٦٣الذيل والتكملة /١/ص٧، ص ١٨
٣٧٤	تاريخ نيسابور - لعبد الغافر	-	نفح الطيب ٢/٧٠
٣٧٥	خطط البصرة وقطائعها - لابن الربيع بن زياد	-	عبد الحليم عويس : ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى ص ١٥٣-١٥٤
٣٧٦	ذيل تاريخ دمشق لابن عساكر - تأليف أبى شامة		نفح الطيب ٢/٢٩٩، صلة الصلة ص ٢٤
٣٧٧	فضائل البيت الحرام ودخوله - لإسحق بن محمد الخزاعى	٢٧٩	
٣٧٨	فضائل الكعبة - لمحمد بن نافع الخزاعى المكى	-	الصلة ٢١١، الجذوة ١/٩٦
٣٧٩	فضائل مكة - لأبى بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	-	بغية الملتمس ١/٧٤
٣٨٠	المعرب عن أخبار المغرب - لأبى على الحسين القيروانى المعروف بالوكيل	-	الحلة السيراء ١/٥٠، ٦٦، ٩١، ١٨١، ١٨٨-٢/٣٣٧، ٣٣٨،

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
			٣٥٧، ٣٦٢،
	*** كتب الأنساب:**		
٣٨١	الأنساب - لأبي اليقظان النسَّابة	-	الاستيعاب ١/١٢١
٣٨٢	الأنساب - لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ)	-	طبقات الزبيدى ١٦٥، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٩٦، ٣١٨، ٣٣٥، ٣٥٩، ٣٧٣، وغيرها.
٣٨٣	الأنساب - للسمعاني	-	الذيل والتكملة ١/٢/٢٧٤، نفح ٤/٤٦٢.
٣٨٤	أنساب العرب - لابن كيسان الكوفي	-	الاستيعاب ١/٣٧١
٣٨٥	أنساب الأشراف - لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩هـ)	-	الحلة السيراء ١/١٣
٣٨٦	جمهرة النسب - لأبي الفرج الأصبهاني البغدادى (ت ٣٥٧هـ)	-	تاريخ بغداد ١١/٣٩٨
٣٨٧	النسب - لأبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٣هـ)	٢٣٩	ابن الفرضي ١/٢٤٣، الاستيعاب ١/٥٨
٣٨٨	النسب - للشرقي القطامي	-	الإنباه على قبائل الرواة ص ٦٠، ١١٢
٣٨٩	نسب بني تغلب نسب بني شيبان نسب بني كلاب نسب بني كلاب **أبو الفرج الأصبهاني البغدادى (ت ٣٥٧هـ)**		تاريخ بغداد /١١
٣٩٠	نسب قريش وأخبارها - للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)	٢٣٩	ابن الفرضي ١/١٧٧، بغية ١/٢٩٣، طبقات الزبيدى ١٨٧، الصلة ١٥٤، نفح ٢/٦٣٢، الحلة ١/٢٥
٣٩١	نسب قريش - لمصعب الزبيرى (ت ٢٣٦هـ)	-	ابن الفرضي ١/٢١، ٢/٧٠، الحلة ١/٢٤
٣٩٢	نسب قريش - لأحمد بن محمد بن محمد بن عبيد العدوى	-	الاستيعاب ٢/٨٣٣، الإنباه ص ٩٧
٣٩٣	نسب المهالبة - لأحمد بن محمد بن محمد بن عبيد العدوى	-	الاستيعاب ٢/٨٣٣، الإنباه ص ٩٧
٣٩٤	نسبة النسبة - لعبد الغني بن سعيد الحافظ	-	الصلة ٤٦٨
٣٩٥	مختلف القبائل ومؤتلفها - لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)	-	الاستيعاب ٢/٨٣٩
٣٩٦	المؤتلف والمختلف في أسماء القبائل - للدارقطني (ت ٣٨٥هـ)	٢١٩	
	كتب السيرة		
٣٩٧	أعلام النبوة - لأبي داود صاحب السنن (ت ٢٧٥هـ)	١١٠	ابن الفرضي ١/٢٨٨-٢٨٩
٣٩٨	أعلام النبوة - لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)	١٠١	
٣٩٩	بيعة العقبة - لأبي ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٨٦	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٤٠٠	دلائل النبوة - لأبي ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	-	الديباج ٣٢/٢
٤٠١	سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن إسحق المطلبى (ت ١٥١هـ)	٢٣٣، ٣٣٦	جمهرة أنساب العرب ٧٣، ٣٥٥، التكملة ٥٦٦، الذيل والتكملة ١/ ٣٥٦/٢، الحلة ١٧/١
٤٠٢	سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لأبي إسحق إبراهيم بن محمد الفزارى (ت ١٨٥هـ)	٢٣٦	سير أعلام النبلاء ٥٤٠/٨
٤٠٣	سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لسليمان بن طرخان التيمى	٢٣١	الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر ٢٧
٤٠٤	سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه - لمحمد بن عمر الواقدى (٢٠٧هـ)	٢٣١	الدرر لابن عبد البر ١٧، ٢٦٠، الاستيعاب ٣٢٤/١
٤٠٥	السيرة - لسعيد بن أسد بن موسى	-	الاستيعاب ١٦٢٠/٤
٤٠٦	السير - لسعيد بن يحيى الأموى	٢٣٧	الدرر لابن عبد البر ١٩٨، ٢٢١، الاستيعاب ٥٩٨/٢، ٧٥٩
٤٠٧	السير - للوليد بن مسلم عن الأوزاعى (ت ١٥٧هـ)	٢٣٦	الاستيعاب ٥١٠/٢
٤٠٨	مختصر سيرة ابن إسحق - لعبد الملك بن هشام المصرى (ت ٢١٨هـ)	٢٣٣	ابن الفرضى ٢٩٢/١-٢٩٣، سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١٠، الذيل والتكملة ٦١/٢/٥، ٢٧٩
٤٠٩	المشاهد = سيرة ابن هشام	-	ابن الفرضى ٢٩٣/١، ٦٥/٢، ١٤٨، ١٨٩-١٩٠. بغية الوعاة للسيوطى ٢٦٩/١.، صلة الصلة ص ٣٩، ٢١٢.
٤١٠	المغازى - عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١هـ)	٢٣٦	الدرر ٣٣، ٣٧، ٥٠
٤١١	المغازى والسير - لمحمد بن إسحق المطلبى (١٥١)	٢٣٢	
٤١٢	مغازى رسول الله ﷺ- لموسى بن عقبة (١٤١هـ)	٢٣٠	الدرر ٣٩، ٥٦، ٢٠٩، الاستيعاب ١٤٣٠/٤، ١٤٣٣
	*** كتب الطبقات والتراجم والجرح والتعديل والسيرة الذاتية:**		
٤١٣	الآحاد فى الصحابة - لأبي محمد عبد الله بن الجارود (ت ٣٢٠)	-	الاستيعاب ٣١٠/١
٤١٤	أبو حنيفة - لابن الجارود (ت ٣٢٠هـ)	-	الجذوة ٢٠٤/١
٤١٥	أخبار أبي تمام - للصولى		الذخيرة ٢٧٩/١/١
٤١٦	الأسماء والكنى - لأبي بشر الدولابى (ت ٣١٠هـ)	٢١٣	
٤١٧	الأسماء والكنى - لأبي محمد بن الجارود (ت ٣٠٧هـ)	٢١٣	الذيل والتكملة ١/١/ص٧
٤١٨	الأسماء والكنى - لأبي عبد الرحمن النسائى (ت ٣٣٠هـ)	٢١٤	الصلة ص ٦٦٠
٤١٩	الأسماء والكنى - لمسلم بن الحجاج صاحب الصحيح (ت٢٦١هـ)	٢١٢	الذيل والتكملة ١/١/ص٧
٤٢٠	الأسماء والكنى المجردة- لأبي أحمد محمد بن أحمد الحاكم	٢١٤	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٤٢١	أسماء من روى عنه البخارى فى الصحيح - لأبى أحمد بن عدى (ت ٣٦٥هـ)	٢٢١	
٤٢٢	الأفراد فى ذكر جماعة من الصحابة والتابعين ليس لهم إلا راوٍ واحد من الثقات - لمسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٥٦هـ)	٢١٢	
٤٢٣	الإكمال - لابن ماكولا (ت ٤٨٦هـ)	٢١٩	الذيل والتكملة ١/١/ص٨، ٢/١/ ٢٠٤، ٥١٠، ٤/١/٤٥-١٤٦، ٥/٢/١٣٤، ١٩١، نفح ٥/٢٣٧، ٥٣٥.
٤٢٤	أعيان العصر وأعوان النصر - للصفدى		نفح الطيب ٢/٥٣٧
٤٢٥	إنباه الغُمر بأبناء العمر - لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)		نفح ٥/١١٢، ٥٣٤
٤٢٦	التاريخ - لأبى بكر أحمد بن خيثمة (ت ٢٧٩هـ)	٢٠٦	ابن الفرضى ١/٢٢، ٤٠٧-٢/٤٥ ، ٤٨، ٣٩، نفح ٢/٤٧-٤٨
٤٢٦ م	التاريخ - لسليمان بن داود الشاذكونى	٢١٠	
٤٢٧	التاريخ - لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)	-	ابن الفرضى ١/٢٨٥
٤٢٨	التاريخ - لأبى إسحق السراج (ت ٣١٣هـ)	-	الاستيعاب ١/١٣٢، ٢/٤٥٦، ٥١١
٤٢٩	التاريخ - لأبى زرعة عبد الرحمن الدمشقى (ت ٢٨٠هـ)	٢٢٩	ابن الفرضى ١/٢٩٦، الاستيعاب ٢/٥٥٠
٤٣٠	التاريخ - لمحمد بن موسى العقيلى البغدادى		نفح الطيب ٣/١٧
٤٣١	التاريخ لأبى حفص عمرو بن على الفلاس (ت ٢٤٩هـ)	٢١٢	الاستيعاب ٢/٦١٠
٤٣٢	التاريخ - لأبى بكر محمد بن على بن مروان البغدادى	٢٢٩	
٤٣٣	التاريخ - لأبى سعيد عبد الرحمن بن يونس المصرى (ت ٣٤٧هـ) = تاريخ أهل مصر وإفريقية والأندلس	-	ابن الفرضى ١/٢١، ١٥١، الجذوة ١/٢٧٥، الذيل والتكملة ٥/٢/١٤٦، ٥٦٣، نفح ٢/٢١٨، ٣/٧، ٨، ٩ الحلة ١/٢٠
٤٣٤	التاريخ - لابن البرقى	-	ابن الفرضى ١/٦٦
٤٣٥	التاريخ - ليحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)	٢٢٨	الديباج المذهب ٢/٢٠٤، الاستيعاب ١/١١٩، ١٩٤، ٢٧٠
٤٣٦	التاريخ الأوسط - لأبى عبد الله البخارى (ت ٢٥٦هـ)	٢٠٥	
٤٣٧	التاريخ الكبير - لأبى عبد الله البخارى (ت ٢٥٦هـ)	٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٤	الذيل والتكملة ١/١/٦، ١٨، نفح ٣/٩، ١٠
٤٣٨	التجريح والتعديل لأصحاب الحديث - لابن الجارود (٣٠٧)	٢١١	
٤٣٩	تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة - لمسلم بن الحجاج (٢٦١هـ)	٢١٣	
٤٤٠	تضعيف الرجال - لعمرو بن على الفلاس (ت ٣٤٩هـ)	٢١٢	
٤٤١	التمييز (بين الرواة) - لمسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ)	٢١٢	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٤٤٢	الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم الرازى (ت ٣٢٧هـ)	٢٠٧	الذيل والتكملة ١/١/ ص ٧، ص ١٨
٤٤٣	الحروف فى الصحابة - لأبى على سعيد بن عثمان بن السكن (٣٥٣ هـ)	-	الاستيعاب ١/٢٤، ١٤٦، ٢/٦٩٥
٤٤٤	حلية الأولياء - لأبى نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ)	-	الذيل والتكملة ٥/٢/١١٨، نفح الطيب ٥/٣٤٦، ٤٢٩
٤٤٥	حلية الفقهاء - لأبى الحسين أحمد بن فارس الرازى (ت ٣٩٠هـ)	٢٧٣	
٤٤٦	ذيل المذيل - لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)	٢٢٧	بغية ١٥٤، ١٩٨، الجذوة ١/٢١٨، الاستيعاب ٣/١٣٦٢
٤٤٧	كتاب (الرجال) - لأبى جعفر محمد بن الحسين البغدادى	-	ابن الفرضى ٢/١١٣
٤٤٨	الرواة عن مالك - للدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)	-	ابن الفرضى ١/٣٢، ٢/١٧٣، التكملة ٢/٧٧٥
٤٤٩	سيرة عمر بن عبد العزيز - للدورقى (ت ٢٤٦هـ)	-	ابن الفرضى ١/١٠٩، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨٧
٤٥٠	الضعفاء والمتروكون - لأبى عبد الرحمن النسائى (ت ٣٣٠هـ)	٢٠٩	
٤٥١	الضعفاء والمتروكون - لابن الجارود (ت ٣٠٧هـ)	-	الجذوة ١/٢٠٤
٤٥٢	الضعفاء والمتروكون - للإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ)	٢٠٦	
٤٥٣	الضعفاء والمتروكون - من المحدثين - للدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)	٢٠٩، ٢١٠	
٤٥٤	الضعفاء والمتروكون - لأبى على سعيد بن عثمان بن السكن (ت ٣٥٣هـ)	٢١١	
٤٥٥	الضعفاء والمتروكون - لأبى الفتح محمد بن الحسين الأزدى الموصلى (ت ٣٦٧هـ)	٢١١	الصلة ص ١٠١، بغية ص ٢١٥، الجذوة ١/٢٣٧
٤٥٦	الضعفاء والمتروكون - لأبى جعفر محمد بن عمرو العقيلى (ت ٣٢٢هـ)	٢١٠	ابن الفرضى ١/١٩٤
٤٥٧	الضعفاء والمنسوبون إلى البدعة - لأبى يحيى زكريا الساجى (ت ٣٠٧هـ)	٢١٠	
٤٥٨	الطبقات - للواقدى (ت ٢٠٧هـ)	-	الاستيعاب ١/٢٤، ٢/٨٣٩
٤٥٩	الطبقات - لخليفة بن خياط العصفرى (ت ٢٤٠هـ)	٢٢٥	ابن الفرضى ١/١٠٩، الاستيعاب ١/٢٦
٤٦٠	الطبقات - لعلى بن المدينى (ت ٢٣٤هـ)	٢٥٥	
٤٦١	الطبقات - لمحمد بن سعد كاتب الواقدى (ت ٢٣٠هـ)	٢٢٤	ابن الفرضى ١/٤٢، ٢/٧٠-٧١، الاستيعاب ٢/٤٢٤
٤٦٢	الطبقات - لمسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ)	٢٢٥	
٤٦٣	طبقات إفريقية - لأبى العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ)		الحلة السيراء ١/٨٩
٤٦٤	طبقات أهل العلم ومن نسب منهم إلى مذهب - سليمان بن داود الشاذكونى	٢١١	
٤٦٥	طبقات الشعراء - لأبى جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧هـ)	٣٧٩	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٤٦٦	طبقات الشعراء - لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)	٣٧٨	
٤٦٧	طبقات الصوفية - لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)	٢٩٥	
٤٦٨	طبقات النحويين واللغويين - لأبي سعيد السيرافي (٣٦٨هـ)	٣٥١	
٤٦٩	طبقات النساك - لأبي سعيد بن الأعرابي (ت ٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٤٧٠	فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة - لسعيد بن محمد بن حرب	٢٩١	
٤٧١	فضائل أبي حنيفة - لأبي محمد بن الجارود (ت ٣٢٠هـ)	-	جذوة المقتبس ص ١٢٩
٤٧٢	فضائل الصحابة - لأبي القاسم عبد العزيز البغوى (ت ٣١٣ هـ)	-	الاستيعاب ٢٤/١، ٤٢٢، ٣/ ٩٣٢
٤٧٣	فضائل الصحابة - لأبي جعفر محمد العقيلى (ت ٣٢٢هـ)	-	الاستيعاب ٢٤/١، ١٩٩، ٦٣٢/٢، ١٦١٦/٤
٤٧٤	فضائل الصحابة - لأبي نعيم الأصبهانى (ت ٤٠٣هـ)	-	الاستيعاب ٤١٠/١-٤١١، ٦٧٩/٢
٤٧٥	فضائل مالك - للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)	-	الجذوة ٦٠٧/٢، الانتقاء لابن عبد البر ص ١٢، ٤٦
٤٧٦	فضائل مالك لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠هـ)	-	الانتقاء لابن عبد البر ص ١٦، ١٨، ١٩، ٤٢
٤٧٧	فضائل أبي حنيفة - للصيدلانى	-	الانتقاء لابن عبد البر ص ١٢٢، ١٣٧
٤٧٨	(كتاب) العلماء والمحاضر والسجلات - لابن جرير الطبرى (٣١١هـ)	-	ابن الفرضى ٢٠٦/٢
٤٧٩	الكامل فى معرفة الرجال - لابن عدى (ت ٣٦٥هـ)	٢٠٨	الذيل والتكملة ٥١٣/٢/١، نفح الطيب ٥٩٧/٢
٤٨٠	الكُنى - لأبي أحمد الحاكم (ت ٣٧٨هـ)	-	الاستيعاب ٣٧٥/٢
٤٨١	محنة أحمد بن حنبل	٣٠١	
٤٨٢	محنة الشافعى	٣٠١	
٤٨٣	مشتبه النسبة - لعبد الغنى بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩هـ)	٢١٧	معجم أبي على الصدفى لابن الأبار ص ١٠
٤٨٤	معجم الصحابة - لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوى (ت ٣١٧هـ)	٢١٥	
٤٨٥	معجم الصحابة - للحسين بن عبد الله القرشى المصرى (ت ٤٠٠هـ)	-	الصلة لابن بشكوال ص ٤٨٦
٤٨٦	معجم الصحابة - لعبد الباقى بن قانع (ت ٣٥١هـ)	٢١٥	
٤٨٧	المعجم - لأبي ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	١٥٤	الجذوة ٧٠/٢
٤٨٨	معرفة الرجال وعلل الحديث - لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ)	٢٢٨	
٤٨٩	مناقب الشافعى - لأبي يحيى الساجى (ت ٣٠٧هـ)	-	الانتقاء لابن عبد البر ص ٦٧، ٨٩
٤٩٠	مناقب الشافعى - لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)	-	الانتقاء ص ٢٢

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٤٩١	من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة - لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن حَيَّوَيْه النيسابوري (ت ٣٦٦هـ)	١٦٨	
٤٩٢	المؤتَلف والمختَلف - لأبي الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)	٢١٦	معجم أبي علي الصدفي لابن الأبار ٩، ١٠، الجذوة ٢٧٥/١، صلة الصلة ص ١٠١
٤٩٣	الموتلف والمختلف - لعبد الغني بن سعيد الحافظ (ت ٤٠٩هـ)	٢١٦-٢١٧	الجذوة ٢٠٤/١، الذيل والتكملة ١/١/ص٧
٤٩٤	الموتلف والمختلف (ذيل على الإكمال لابن ماكولا) لابن نقطة (ت ٦٢٩هـ)	-	الذيل والتكملة ٨/١/١، ٥١٠/٢/١
٤٩٥	المولد والوفاة - لأبي بشر الدولابي (ت ٣١٠هـ)	٢٠٨	الاستيعاب ٢٣/١، ٦٣، ١٥٦
٤٩٦	الوحدان (في أسماء الرواة) - لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)	-	الاستيعاب ٣٣٦/١
٤٩٧	الوحدان (في أسماء الرواة) للحسين بن محمد بن زياد القباني	-	الاستيعاب ٧٠٥/٢

سادساً : كتب علوم اللغة والأدب

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	سادساً : كتب اللغة والأدب		
٤٩٨	الإبل - للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٧٤	
٤٩٩	الإبل والخيل للقالي (ت ٣٥٦هـ)		نفح الطيب ٧٤/٣
٥٠٠	الأبواب - للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٥٠١	أبيات سيبويه - لابن النحاس (مصري) [ت ٣٠٧هـ]	-	ابن الفرضي ٣٣٣/١
٥٠٢	الأجناس - لأبي نصر أحمد بن حاتم غلام الأصمعي	٣٨١	
٥٠٣	أجناس التجنيس - لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)	٣٦٩	
٥٠٤	اختيار فصيح الكلام - لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)	٣٣٦	
٥٠٥	اختيارات المفضل والأصمعي - جمعها علي بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ)	٣٩٠	
٥٠٦	أدب الكتّاب - لابن قتيبة الدينوري البغدادي (ت ٢٧٦هـ)	٣٣٣، ٣٣٦، ٣٤٤	الصلة ص ١٣٨، الذيل والتكملة ٢/١/ ١١٥، ٣٩٢، ٤٥٨/٢/٥، التكملة ١/ ٩٢، ٣٧٢، ٦١٦/٢، ٧٣٥، نفح ١/ ٦٤٣، ٢٢١/٢ ، ٧٧/٤ وغيرها.
٥٠٧	أراجيز العجاج وابنه رؤبة	٣٩١	
٥٠٨	أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)		٥٣٤/٥ نفح الطيب

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٥٠٩	أسماء الأيام - لأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٥١٠	أسماء القداح - للأصمعى (ت٢١٦هـ)	٣٧٥	
٥١١	اشتقاق الأسماء - للأصمعى (٢١٦هـ)	٣٧٥	
٥١٢	الاشتقاق - لأبى جعفر النحاس - مصرى (ت ٣٠٧هـ)	٣٨٦	
٥١٣	أشعار خلفاء بنى العباس لأبى بكر الصولى (ت ٣٣٥هـ)	-	الجذوة ٣٩٤/١
٥١٤	إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٣٠، ٣٥٦	طبقات الزبيدى ص ٢٩٨، التكملة ١/ ٢٠، ٣٧٢، ٣٨٧، الذيل والتكملة ٢/١ / ٣٩٢، ٤٨١، الذخيرة ٣/١/ ٣٨٧، ٤٧٦/٢/٤، نفح الطيب ٢٧٤/٥
٥١٥	(شرح أبيات) إصلاح المنطق - للسيرافى (ت ٣٦٨)	٣٤٣	
٥١٦	الأصمعيات	٣٩١	
٥١٧	الأصوات - ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٨٢	
٥١٨	الأصول فى النحو - لأبى بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)	٣٠٧	التكملة ٥٣٢/٢، الذخيرة ٢/١/ ٧٩٣
٥١٩	(شرح) الأصول - لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى (ت٣٨٤هـ)	٣١٦	
٥٢٠	الأضداد - لأبى العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)	٣٨١	
٥٢١	الأضداد - لأبى محمد عبد الله بن محمد التُّوَزى	٣٨٤	
٥٢٢	الأضداد - ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٨٢	
٥٢٣	إعراب القرآن - لأبى جعفر بن النحاس المصرى (ت ٣٠٧هـ)	٦٥	
٥٢٤	أغانى زرياب (بغدادى عاش فى قرطبة)	-	الجذوة ٢٢٦/١
٥٢٥	الأغانى - لأبى الفرج الأصبهانى (ت ٣٥٦هـ)	-	نفح ٣٨٦/١، الذيل والتكملة ٢/٥/ ٤١٤، الحلة ٢١/١، ٢٠١، نفح الطيب ٣٨٦/١، ١٠٨/٣، ص ١٨٥ ، ١٤٥/٤
٥٢٦	الإقناع فى النحو - لأبى سعيد السيرافى (ت ٣٦٨هـ)	٣١٢	
٥٢٧	الإكليل - للمازنى (ت ٢٤٩هـ)	٣٩٨	
٥٢٨	ألف ليلة وليلة		نفح الطيب ٢٩٠/٢
٥٢٩	الألف واللام - للمازنى (ت ٢٤٩هـ)	٣٩٨	
٥٣٠	الألفاظ - ليعقوب بن السكّيت (ت٢٤٦هـ)	٣٢٩، ٣٣٦	التكملة ٣٧٢/١، الجذوة ٨٨/١
٥٣١	(شرح) الألفاظ - للسيرافى (ت ٣٦٨هـ)	٣٤٣	
٥٣٢	الألفاظ والأجناس - للأصمعى (٢١٦هـ)	٣٧٥	
٥٣٣	الأمالى - لأبى الحسن على بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥هـ)	٣٧٦	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٥٣٤	الأمالى – لأبى عبد الله نفطويه (ت ٣٢٣هـ)	٤٠٧	
٥٣٥	الأمالى – لأبى على القالى البغدادى (٣٥٦هـ)	٣٢٦	ابن الفرضى ١/٢٨، الذيل والتكملة ١/ ٢/٢٧٠، ٣٢٧، ٥/ ١٠٧/٢، نفح ١ /٣٦٨، ٣/٧٠
٥٣٦	الأمثال – لأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٢١	
٥٣٧	الأمثال – للأصمعى (ت ٢١٦هـ)	٣٤٠	
٥٣٨	الأمثال – لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى (ت ٢٢٣هـ)	٢٣٩، ٣٤٤	التكملة ٨٥٦،
٥٣٩	الأمثال لحمزة الأصفهانى	–	الذخيرة ١/٢/٨١١
٥٤٠	الأمثال للمفضل بن محمد الضبى (ت ١٦٨هـ)	٣٨٤	
٥٤١	الأنواء – لأبى حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ)	٣٧٦	
٥٤٢	الأنواء – لأبى بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)	٣٦٦	
٥٤٣	الأنواء – لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ)	٣٧٧	
٥٤٤	الانتصار (فى اللغة) – لأبى العباس أحمد بن محمد بن ولاد (٣٣٢ هـ)	٣١١	
٥٤٥	الإيضاح فى النحو – لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣٠٩	الذيل والتكملة ٥/٢/٦٤٥، ٦٤٩، نفح ٢/١١٥، ٤/٧٤، ٥/٤٢٤، التكملة ١/١١١، ٥١١، الإحاطة ص ١٠١، ١٢٠، ١٢١
٥٤٦	الإيضاح فى النحو – لأبى القاسم الزجاجى (ت ٣٣٩هـ)	٣١٤	الذيل والتكملة ١/٢/٢٧٠، ٢٤٦ ، الديباج ص ٣٠١ (ط بيروت)
٥٤٧	إيضاح المعانى للقزوينى		نفح الطيب ٥/٤٢٢
٥٤٨	إيمان عيمان – لأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٥٤٩	البارع فى اللغة – لأبى على القالى (ت ٣٥٦هـ)	٣٥٤، ٤٥٠	بغية ص ٢٣٣، الجذوة ١/٢٥٤، الذخيرة ١/٢/٨١١، نفح ٣/٧٢، ٤/٧٧
٥٥٠	الباهر – لابن الحداد البصرى		نفح الطيب ٣/١٧١
٥٥١	البردة للقوصيرى		نفح الطيب ٢/٦٩٣، ٥/٤٢٩
٥٥٢	البرى والخزائم – لأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧٠	
٥٥٣	البهى – للفراء (ت ٢٠٧هـ)	٣١١، ٣١٢، ٣٩٨	
٥٥٤	البخلاء للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)	–	الذخيرة ١/١/٥٣٧، ١/٢/٦٤٣
٥٥٥	البخلاء – حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمى	–	بغية الملتمس ص ٤٧٦
٥٥٦	البيان والتبيين – للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)	٣٢٦	ابن الفرضى ١/٣٦٣، المقتبس لابن

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
			حيان ص ١٦٤، التكملة ١/٥٥١، الذخيرة ١/١/٢٣٣، ٣/١/٣٦٨، ٣٨٢، ٥٠٥، الذيل والتكملة ٤/٢١٩
٥٥٧	بيوت الشعر - لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٥٥٨	التاج - لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٠هـ)	٣٧٤	
٥٥٩	تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري إسماعيل بن حماد	-	الذيل والتكملة ١/١/ص٨، ١/٢/٢٩
٥٦٠	التذكير والتأنيث - لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)	٣٤٨	
٥٦١	التذكير والتأنيث - لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ)	٣٤٨	الذخيرة ٣/١/٣٨٦
٥٦٢	التذكرة في العربية - لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)	٣١٨	المرقبة العليا ص ٣٣
٥٦٣	الترسيل - لأبي العلاء المعري (٤٤٩هـ)	٤١٢	
٥٦٤	التصاريف - لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)	٣١٢	
٥٦٥	التصاريف - لأبي عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ)	٣١٣، ٣١٧	
٥٦٦	التصبية في شرح الحماسة - لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	
٥٦٧	التصريف - لأبي عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ)	٣٩٨	
٥٦٨	التعاقب - لابن جني (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	
٥٦٩	تفسير غريب الموطأ - للأخفش (ت ٢١٥هـ)	-	الذيل والتكملة ١/٢/٤٤٣
٥٧٠	تقريب الغريبين لأبي عبيد وابن قتيبة - جمعه واختصره أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي	١٩٥	
٥٧١	التمر - لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٥٧٢	التوشيح - لأبي بكر خطاب بن يوسف الماوردي	٣١٩	
٥٧٣	التيجان - لابن دريد (ت ٣٢١هـ)	-	الذيل والتكملة ١/١/٤٦٠، الذخيرة ١/١/٤٦٠،
٥٧٤	الجُمل - لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٩هـ)	٣٠٨، ٣٤٥	الصلة ص ١٢٣، ٢٨٩، بغية ص ٢٥٣، ، الجذوة ١/٢٨٤، الذيل والتكملة ١/٢/٢٧٠، ٥/٢/٥٢٤، التكملة ١/٦٥، ١٩٢، ٢٩٦، ٥١١، الديباج ص ٢٩٢
٥٧٥	الجمهرة في اللغة - لأبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)	٣٤٨	الذيل والتكملة ١/٢/٥٠
٥٧٦	(كتاب) الجواس - لصاعد البغدادي نزيل الأندلس	-	الجذوة ١/٣٧٤
٥٧٧	حب الوطن - للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)	٣٨٥	
٥٧٨	الحروف في النحو - لأبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز (٤١٢ هـ)	٣٦٣	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٥٧٩	الحشرات - لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ)	٣٦١	
٥٨٠	حُلَى الإنسان والخيل وشياتها - لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)	٣٥٥	
٥٨١	الحماسة - اختيار أبي تمام الطائي	٣٨٧	الديباج ١٠٦/٢، الذيل والتكملة ٢/١/ ٣٧، ٢٣٢/٢/٥، الذخيرة ٣٨٧/١/٣
٥٨٢	حيلة ومحالة - لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٥٨٣	الحيوان - للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)	-	الذخيرة ٤٧٨/١/٣
٥٨٤	الخريدة - للعماد الأصفهاني		نفح الطيب ٧٠/١، ٩٠/٢، ١٠٦، ١١٠، ٢٤١/٤، ٣٢/٥، ٥٣٤
٥٨٥	الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	
٥٨٦	الخط - لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)	٣٧٨	
٥٨٧	خلق الإنسان - لأبي إسحق الزجاج (ت ٣١١هـ)	٣٦٥	
٥٨٩	خلق الإنسان - للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٥٩٠	خلق الإنسان - لأبي محمد ثابت بن عبد العزيز	٣٦٣-٣٦٥	
٥٩١	خلق الإنسان - ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٨٢	
٥٩٢	خلق الفرس - للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٨٢، ٣٨٣	
٥٩٣	الخيل - لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)	٣٨٢، ٣٨٣	
٥٩٤	الديباج - لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)	٣٦١	
٥٩٥	ديوان أبي تمام الطائي		ابن الفرضي ٣٤٦/١، الصلة ٩٣
٥٩٦	ديوان أبي تمام - جمع أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ)		الذيل والتكملة ٦٨/٢/٥
٥٩٧	ديوان المتنبي - لأبي الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ)	٣١٨	
٥٩٨	ديوان يحيى بن هذيل بن نويرة		ابن الفرضي ١٩٣/٢
٥٩٩	المذكر والمؤنث - للرماني		الذخيرة ٣٨٥/١/٣
٦٠٠	ربيعة وعقيل (رسالة في الأدب) - السري سهل بن أبي غالب	٣٤١، ٣٤٢	
٦٠١	الزاهر - لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)	٣٤١، ٣٤٢	
٦٠٢	زهر الآداب - لأبي إسحق المصري القيرواني	-	الحلة السيراء ٢٨٨/١، ٢٩٢، الذخيرة ٥٨٤/٢/٤، ٥٩٧
٦٠٣	(اختصار) الزاهر - لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٩هـ)	٣٤١	
٦٠٤	سَقْط الزَّنْد وضوءه - لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)	٤١١	الذيل والتكملة ٣٨٥/٢/١، نفح ٣/ ١٨٤
٦٠٥	سر صناعة الإعراب - لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	نفح الطيب ٣٨٠/٥
٦٠٦	الشاء - للأصمعي (٢١٦هـ)	٣٧٤	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٦٠٧	الشجر والنبات - لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٦٠٨	شرح أدب الكاتب لابن قتيبة - للزجاجي (ت ٣٣٩هـ)	٣٤٤	
٦٠٩	شرح السبع الطوال - لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)		نفح الطيب ١٨٢/٣
٦١٠	شرح مقامات الحريري - للعكبري		صلة الصلة ص ٣٥
٦١١	شعر المتنبي (ديوانه)	-	المرقبة العليا ص ٢٠
٦١٢	شرح الفصيح لثعلب - شرحه ابن درستويه	-	الذخيرة لابن بسام ٣٨٧/١/٣
٦١٣	الصحاح - للجوهري		نفح الطيب ٣٧٥/٢، ٢٥٠/٥، ٦/ ٢٤٥، صلة الصلة ص ١٥٢
٦١٤	الصفات - للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٦١٥	صنعة الكتّاب - لأبي جعفر النحاس المصري (ت ٣٠٧هـ)	٣٨٦	
٦١٦	الطير - لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ)	٣٦١	
٦١٧	العروض للتبريزي	-	الديباج ص ٢٩٢ (ط بيروت)
٦١٨	العروض لأبي إسحق الزجاج (ت ٣١١هـ)	٣٥٦	
٦١٩	العروض - لابن درستويه (ت ٣٦٨هـ)	٣٩٩	
٦٢٠	العروض - لابن جني (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	
٦٢١	العين - للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)	٣٤٩، ٣٥٠	ابن الفرضي ١٤٢/١، ١٥٢، ٣٥٤، نفح الطيب ٢٠/٢، ٤٩، ٤٧٦/٣، ٤٦٤/٦ الصلة ص ١٠٥، ٣٦٢، ٤٦٤، ٥٣٩، طبقات الزبيدي ص ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٩٥، بغية الملتمس ص ٧١، ٤٦٦، الجذوة ٨٥/١، ٩٢، ٢٥٤، التكملة ٣١/١/١، ٥٦٦، ٢/ ٧٠٠
٦٢٢	عيون الأخبار - لابن قتيبة (ت ١٧٦هـ)	٣٧٨	نفح الطيب ١٣٤/٣، ٥٣٥/٥
٦٢٣	الغريب المصنف - لأبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٣هـ)	-	طبقات الزبيدي ص ٢٥٩، ٢٧٥، الديباج ١٠٦/٢، بغية الملتمس ٣٢٧، الذيل والتكملة ٣٠/٢/١، ٣٩٢، التكملة ٣١١/١، ٣٧٢، ٣٨٧، الذخيرة ٤٨٩/٢/٤
٦٢٤	الغلمان والمغنين - لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٧هـ)	-	تاريخ بغداد ٣٩٨/١١
٦٢٥	الفرج بعد الشدة - للتنوخي	-	الذخيرة ٥٦١/٢/٤
٦٢٦	الفرق - للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٦٢٧	الفرق - لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ)	٣٦١	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٦٢٨	الفرق - لثابت بن أبي ثابت	٣٨٢	
٦٢٩	الفرق - ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٨٢	
٦٣٠	الفرق بين الراء والعين - لأبي الفضل أحمد بن على بن الفرات الدمشقى	٣٨٥	
٦٣١	الفصيح - لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)	٣٣٨	الذيل والتكملة ١٧١/٢/٥، ٢٣٢، ٤٠٤، ٤٥٨، ٦٨٢، الجذوة ٢٢٧/١، نفح ٢٢١/٢، الديباج ص ٨١، ٢٩٢، ٣٠٢ (ط بيروت) صلة الصلة ص ١٩١
٦٣٢	(شرح) الفصيح - لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)	٣٤٢	
٦٣٣	(شرح) الفصيح - لابن درستويه (ت ٣٦٨هـ)	٣٤٢	
٦٣٤	الفصوص فى النوادر والغريب - لأبي العلاء صاعد الربعى	١٥٣، ٢١٠، ٣٤٨	المعجم لابن الأبار ص ١٦، الجذوة ١/ ٣٧٤
٦٣٥	الفصول - لابن المعتز	٤٠٤	
٦٣٦	فعلت وأفعلت - لأبي على القالى (ت ٣٥٦هـ)	٣٥٢	
٦٣٧	فعلتُ وأفعلت - لأبي حاتم السجستانى (ت ٢٥٠هـ)	٣٦١	
٦٣٨	فقه اللغة وسر العربية - لأبي منصور الثعالبى (ت ٤٢٩هـ)	٣٦٩	الصلة ص ٦٠٥
٦٣٩	القلب والإبدال - ليعقوب بن السكيت (ت ٣٤٦هـ)	٣٨١	
٦٤٠	القوافى - لأبي عمر الجرمى (ت ٢٢٥هـ)	٣٤٢	بغية ٢٢٤، جذوة ٢٤٣/١
٦٤١	القيان - لأبي الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٧هـ)	-	تاريخ بغداد ٣٩٨/١١
٦٤٢	الكافى فى أسماء القوافى - لأبي إسحق الزجاج (ت ٣١١هـ)	٣٥٦	
٦٤٣	الكافى فى النحو - لأبي جعفر النحاس (ت ٣٠٧هـ)	٣٠٩	ابن الفرضى ٣٣٣/١، البغية ٢٦٧، الإحاطة ١٠١
٦٤٤	الكامل - لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)	٣٢٠	ابن الفرضى ٦٨/١، ٧٩، ٩٢، الجذوة ٢٥٤/١، الصلة ص ٨، التكملة ٦٥/١، ٣٦٢، ٧٢١/٢، ٧٥٤، الذيل والتكملة ١٨٨/٢/٥، الذخيرة ٣٦٨/١/٣
٦٤٥	(كتاب) فى الشبان للصولى	-	الذخيرة ٣٨٦/١/٣
٦٤٦	(كتاب) فى النحو - لأبي الحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ)	٣١٣	طبقات الزبيدى ٢٨٤، بغية ص ٥٣٨، التكملة ٣٣١/١
٦٤٧	كتاب شوال - أبو بكر الصولى (ت ٣٣٥هـ)	٤٠٧	
٦٤٨	الكتاب - لسيبويه (ت ١٨٠هـ)	٢٠٥، ٣١٤، ٣٠٥	ابن الفرضى ٣١/٢، ٧٢، الصلة ص ٢٢١، ٢٦٠، ٥٨٥، طبقات الزبيدى ص ٢٨٢، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١١، الذيل والتكملة ٢١٥/٢/١، ٣٨٨، ٤٤٦، ٦٢٤/٥، ٦٤٩، التكملة ١/

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
			٥٣٢ ومواضع أخرى كثيرة فى مراجع أخرى
٦٤٩	(شرح) كتاب سيبويه -لأبى سعيد السيرافى (ت ٣٦٨هـ)	٣١٢	الذيل والتكملة ٣٧٣/٢/٥
٦٥٠	(شرح) كتاب سيبويه - لابن النحاس (ت ٣٠٧هـ)	٣١٢	نفح الطيب ٢٠/٢
٦٥١	(شرح أبيات) كتاب سيبويه - لابن النحاس (٣٠٧هـ)	٣١٢	
٦٥٢	(شرح أغراض) كتاب سيبويه - لأبى الحسن الرمانى (ت ٣٨٤هـ)	٣١٧	
٦٥٣	كتاب النحو - للكسائى (ت ١٨٢هـ)	-	طبقات الزبيدى ٢٥٦، ٢٧٣، بغية ص ٥٤٠، التكملة ٣٦٦/١، نفح ٤١٤/٢
٦٥٤	اللباء واللبن - لأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧٠	
٦٥٥	لحن العامة - لأبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٠هـ)	٣٤٨	
٦٥٦	لزوم ما يلزم - لأبى العلاء المعرى (ت ٤٤٩هـ)	٤١٢	
٦٥٧	لسان الصاهل والشاحج - لأبى العلاء المعرى (ت ٤٤٩هـ)	٣١٢، ٤١٢	
٦٥٨	اللغات - لأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧٠، ٣٧١	
٦٥٩	اللمع فى النحو (التلقين) - لابن جنى (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	الصلة ص ١٣٩
٦٦٠	ما اتفق لفظه واختلف معناه - للأصمعى (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٦٦١	المبهج - لأبى منصور الثعالبى (ت ٤٢٩هـ)	٣٨٦	
٦٦٢	المثال فى العروض - للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)	-	طبقات الزبيدى ص ٢٦٨
٦٦٣	المثلث - لقطرب النحوى (ت ٢٠٦هـ)	٣٦١	
٦٦٤	المجالس - لأبى العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)	٣٢٧ ، ٣٧٣	
٦٦٥	المجلة فى الأمثال - لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)	٣٤١	
٦٦٦	مجمل اللغة - لأبى الحسين أحمد بن فارس الرازى (ت ٣٩٠هـ)	٣٧٣	الذيل والتكملة ٣٥٩/٢/١
٦٦٧	المداخل فى اللغة - لأبى عمر الزاهد غلام ثعلب (ت ٢٩١هـ)	٣٥٨	
٦٦٨	المجموع فى معرفة أنواع الشعر وقوافيه - للزجاجى (٣٣٩هـ)	٣١٤	
٦٦٩	المربعة - لابن دريد (ت ٣٢١هـ)	٤٠٠	
٦٧٠	المسائل البصريات - لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣١٨	
٦٧١	المسائل البغداديات - لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣١٨	
٦٧٢	المسائل فى معانى غريب القرآن والحديث - لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)	١٩٥	
٦٧٣	المسائل - لابن قتيبة (٢٧٦هـ)	٣١٨	
٦٧٤	المسائل الحلبيات - لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣١٨	
٦٧٥	المسائل الخاطرات - لابن جنى (ت ٣٩٢هـ)	٣١٨	
٦٧٦	المسائل الشيرازيات - لأبى على الحسن بن أحمد بن الغفار	٣١٨	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٦٧٧	مسائل من العربية - لأبي عبد الله بن أبي العافية النحوى	٣١٦	
٦٧٨	المسائل العسكريات - لأبي على الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣١٨	
٦٧٩	المسائل الميافارقينيات - لأبي على الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣١٨	
٦٨٠	مسئلة "سبحان الله " - لأبي عبد الله نفطويه (ت ٣٢٣هـ)	٣٧٦	
٦٨١	المصادر - للأصمعي (ت ٢١٩هـ)	٣٧٤	
٦٨٢	المصادر - لأبي زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٦٨٣	المصون - لأبي إسحق الحصرى القيروانى	-	الذخيرة ٥٨٤/٢/٤
٦٨٤	معانى الأبيات - ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٨٢	
٦٨٥	معانى الحروف - للزجاجى (ت ٣٣٩هـ)	٣١٩	
٦٨٦	معانى الشعر - لابن دريد (ت ٣٢١هـ)	٣٦٦	
٦٨٧	معانى الشعر - لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)	٣٧٨	
٦٨٨	المعز والإبل والشاء - لأبي زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٦٨٩	المعرب فى شرح القوافى - لابن جنى (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	
٦٩٠	المعلقات التسع (شرح) - لأبي جعفر النحاس (٣٠٧هـ)	٣٦٦	الذخيرة ٢٠٠/١/٤
٦٩١	المغرب - لابن جنى (ت ٣٩٢هـ)	-	الذيل والتكملة ٢٥١/٢/١
٦٩٢	مفاخرة القلم والسيف والدينار - لابن ماكولا (ت ٤٨٦هـ)	٤١٦	
٦٩٣	المفصّل فى صنعة الإعراب - للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)	-	الذيل والتكملة ٣٠٨/٢/١
٦٩٤	المفضليات - للمفضل الضبى (ت ٢٨٢هـ)	٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٥	
٦٩٥	مقاتل الفرسان - لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٨هـ)	٣٨٣	
٦٩٦	مقاتل الفرسان - لأبي على القالى (ت ٣٥٦هـ)	٣٥٥	
٦٩٧	مقامات الحريرى (المتوفى ٥١٦هـ)	٣٨٧، ٤٥١	الصلة ص ٤٤٠، الذيل والتكملة ١١٥/٢/١، ٢٧٠، ٤١٦، ٢/٥ /١٧٠، ٣٩٦، التكملة ١١١/١، ١١٨- ١١٩، نفح ٥٠٩/٢، الديباج ص ٢٩١، ٣٠٢ (ط بيروت)، الإحاطة ٢٣١
٦٩٨	المقتضب - لأبي زيد النصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٦٩٩	المقتضب - لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)	٣٠٧	
٧٠٠	المقدمة فى النحو وشرحها - لابن بشار المصرى (ت ٤٦٩هـ)	٣١٥	
٧٠١	مقصورة أبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)	٤٠٠	التكملة ٧٠٦، الذيل والتكملة ٥ /١٠٧/٢، ٢٧٦، ٥٧٩، الديباج ص ٢٩٠، صلة الصلة ص ٣٠

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٧٠٢	المقصور والممدود - لأحمد بن محمد بن ولاد (ت ٣٣٢هـ)	٣٥٤	
٧٠٣	المقصور والممدود - لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)	٣٥٤	
٧٠٤	المقصور والممدود - لأبي علي القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ)	٣٥٣	بغية ص ٢٣٣، الجذوة ٢٥٤/١، الذيل والتكملة ٤٦٦/٢/٥
٧٠٥	المقنع في النحو - لأبي جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧هـ)	٣٠٩	
٧٠٦	المكتفى في النحو - لابن درستويه (ت ٣٦٨هـ)	٣١٣	
٧٠٧	الملاحن - لأبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)	٣٦٦	الديباج ص ٣٠٢ (ط بيروت)
٧٠٨	ملقى السبيل - للمعرى (ت ٤٤٩هـ)	-	الذيل والتكملة ٥٤٥/٢/١
٧٠٩	الملوكى (ويسمى التصريف) - لابن جنى (ت ٣٩٢هـ)	٣١٧	
٧١٠	الممدود والمقصور - للأصمعى (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٧١١	المهذب - للدينورى	٣٩٨	
٧١٢	الموجز في النحو - لابن السراج (ت ٣١٦هـ)	٣١٠	
٧١٣	الموفقيات في الأخبار والأشعار - للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)	٣٧٦	
٧١٤	النبات - لأبي حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ)	٣٧٦	عيون الأنباء
٧١٥	النبات - ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)	٣٨٢	
٧١٦	نقائض جرير والفرزدق	٣٩٥	
٧١٦ م	النقائض بين جرير والفرزدق	٣٨٣، ٣٨٤	
٧١٧	النقائض - لأبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد الوصرى (٣٣٢ هـ)	٣٨٥	
٧١٨	نقض الهاذور - لأبي علي الفارسى (ت ٣٧٧هـ)	٣١٠	
٧١٩	النوادر - لأبي علي القالي البغدادي نزيل قرطبة (٣٥٦هـ)	٣٢٣، ٣٢٦	الصلة ص ٨، ١٩٨، ٦٥٦، ٦٧٤، بغية ص ٢١٣، ٢٣٢، الجذوة ٢١/ ٢٥٣، التكملة ٦٥/١، ١١١، ٣٧٤، ٣٨٧، ٧٥٤/٢، ، الذخيرة ١٥/١/٤
٧٢٠	(ذيل) النوادر - لأبي علي القالي البغدادي نزيل قرطبة (٣٥٦ هـ)	٣٢٥	
٧٢١	النوادر - لابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)	٣٧٢	الصلة ص ٥١٠
٧٢٢	النوادر - لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٧٢٣	النوادر – لأبي زيد الكلابي	٣٧٩	
٧٢٤	النوادر – للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	–	الذيل والتكملة ٤/٢٢٠-٢٢١
٧٢٥	النوادر – لأبي الحسن على بن حازم اللحيانى	٣٧٩	
٧٢٦	النوادر – لابن أبي زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)	٢٤٥، ٣٦٨	نفح الطيب ٢/٦١
٧٢٧	نور الطرف ونور الظرف – لأبي إسحق الحصرى القيروانى	–	الحلة السيراء ١/٢٩٢
٧٢٨	هشاشة بشاشة – لأبي زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٧٢٩	الهمز – لأبي زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ)	٣٧١	
٧٣٠	الهمزتان – للأصمعي (ت ٢١٦هـ)	٣٧٥	
٧٣١	الوحوش – لأبي حاتم السجستانى (ت ٢٥٠هـ)	٣٦١	
٧٣٢	يتيمة الدهر – لأبي منصور الثعالبى (ت ٤٢٩هـ)	٣٧٠	الحلة السيراء ١/٢٠٩، ٢٦٣، المغرب لابن سعيد ١/١٩٨، الذخيرة ٢/٢/٨٣٦، ٤/٢/٥٦٦، ٥٨٦، ٤/١/٨، ٨٩
٧٣٣	اليواقيت فى اللغة – لأبي عمر المطرز (غلام ثعلب)	٣٥٧	

سابعاً : كتب الرقائق والآداب والأخلاق والفضائل

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
	سابعاً: كتب الرقائق والآداب والأخلاق والفضائل		
٧٣٤	الآداب – لسفيان الثورى (ت ١٦١هـ)	٢٧٥	
٧٣٥	آداب الصحبة – لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابورى	١٥٢	
٧٣٦	آداب النفوس – لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)	٢٨٨	
٧٣٧	إحياء علوم الدين – لأبي حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ)	–	البيان المغرب ٤/٥٩-٦٠ صلة الصلة ص ٢٢
٧٣٨	اختصار الطريق – لأبي سعيد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٧٣٩	الاختصاص فى ذكر الفقر والغنى – لأبي سعيد بن الأعرابى	٢٨٤	
٧٤٠	أخلاق أهل البر والتقى – لأبي بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٧٤١	أخلاق العلماء – لأبي بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٧٤٢	الإخلاص ومعانى علم الباطن – لأبي سعيد بن الأعرابى (٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٧٤٣	أدب الدنيا والدين – لأبي الحسن على بن محمد الماوردى (ت ٤٥٠هـ)	٢٩٦	نفح الطيب ٥/٥٣٤

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٧٤٤	اعتلال القلوب - للخرائطى (٣٢٧هـ)	٣٠٢	
٧٤٥	أعمال الجوارح - لابن جرير الطبرى (٣١٠هـ)	٢٨٨	
٧٤٦	البر والصلة - للحسين بن الحسن المروزى	٣٠٠	
٧٤٧	بر الوالدين - لأبى بكر الخلال (ت ٣١١هـ)	٣٧٨	
٧٤٨	البكاء - لأبى بكر بن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٧٤٩	التبصير (رسالة إلى أهل طبرستان) - لابن جرير الطبرى (٣١١هـ)	-	بغية ١٩٨/١، الجذوة ٢١٨/١، ٢٢١
٧٥٠	التحبير فى علم التذكير - لأبى القاسم القشيرى (٤٦٥هـ)	٢٩٦	
٧٥١	التفرد والعزلة - لأبى بكر بن الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٧٥٢	تفسير الأدعية الواردة عن الرسول - لأبى سليمان الخطابى (٣٨٠هـ)	٢٠١	
٧٥٣	التقوى - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	
٧٥٤	تقييد العلم - للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)	١٨١، ٢٦٠	
٧٥٥	التهجد - لإبراهيم بن الجنيد	٢٨٧	
٧٥٦	التهجد - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨١	
٧٥٧	التهجد - لأبى بكر محمد بن الحسين الآجرى (٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٧٥٨	التوبة - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	١٥٦، ٢٨٥، ٢٨٦	
٧٥٩	التوكل - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	
٧٦٠	التوهم والأهوال - لأبى القاسم القشيرى (ت ٤٥٦هـ)	٢٧٢	
٧٦١	ثواب البكاء من خشية الله - لأبى عبد الله بن عثمان بن بياضة	٢٧٥	
٧٦٢	الحب لله تعالى ومراتب أهله - للقشيرى (ت ٤٥٦هـ)	٢٨٢	
٧٦٣	الحذر والشفقة - لابن أبى الدنيا (ت٢٨١هـ)	٢٨٣	
٧٦٤	حسن الخلق - لأبى بكر بن الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٧٦٥	حسن الظن - لابن أبى الدنيا	٢٨٢	
٧٦٦	الحكم والأمثال المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لأبى أحمد العسكرى	٢٠٢	
٧٦٧	حكمة لقمان	٢٩٢	
٧٦٨	حكمة وهب بن منبه	٢٩١	
٧٦٩	حلم معاوية - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	-	بغية الملتمس ٣٢٤/١
٧٧٠	الخائفين - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٦	
٧٧١	الخُطَب لابن الجوزى		صلة الصلة ص ٣٥
٧٧٢	الدعوات - لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٨٦	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٧٧٣	الذكر ذكر الموت ذم الغضب ذم الفحش ذم المسكر — لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١)	٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٢	
٧٧٤	الرحلة فى طلب العلم – للخطيب البغدادى (٤٦٣هـ)	١٨١	
٧٧٥	رسالة إلى أهل بغداد – لأبى بكر بن الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٧٧٦	رسالة إلى الصوفية بآفاق الإسلام – لأبى القاسم القشيرى (٤٥٦هـ)	٢٩٦	الذيل والتكملة ٣١٠/٢/١، المقفى ١٨٥/١
٧٧٧	رسالة مالك بن أنس إلى الليث بن سعد	٢٩٨	
٧٧٨	رسالة مالك بن أنس إلى هارون الرشيد	٢٩٧	
٧٧٩	الرعاية لحقوق الله تعالى – للحارث المحاسبى	٢٧٢	
٧٨٠	الرقائق – لعبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ)	٢٦٨	
٧٨١	الرقائق – للفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ)	٢٦٨	
٧٨٢	روضة الحقائق – لأبى بكر الخلال (ت ٣١١هـ)	٢٩٤	
٧٨٣	الرؤيا والمنامات – لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٦٧، ٢٨٦	
٧٨٤	رياضة المتعلمين – لأبى نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ)	١٥٣	المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى لابن الأبار ص ٨، ٩، ١٢، ٢٠
٧٨٥	زبور داود – ترجمة وهب بن منبه	٢٩٤	
٧٨٦	الزنا واليمين الفاجرة وشهادة الزور – لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٨٦	
٧٨٧	زهد إبراهيم بن أدهم – لمحمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى	٢٩٩	ابن الفرضى ٤٠/١
٧٨٨	زهد ابن سيرين وأيوب السختيانى وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص – تأليف أحمد بن إبراهيم الدورقى	٢٧٤	
٧٨٩	الزهد – لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)	٢٦٩	
٧٩٠	الزهد –لأبى بكر عز بن رزق (؟)	٢٧٦	
٧٩١	الزهد –للحارث بن أسد المحاسبى	٢٧١	
٧٩٢	الزهد – لابن أبى الحوارى (؟)	٢٧٧	
٧٩٣	الزهد – لأبى داود السجستانى (ت ٢٧٥هـ)	١٠٩، ٢٧٤	
٧٩٤	الزهد – لسعيد بن منصور	٢٧١	
٧٩٥	الزهد – لهناد بن السرى	٢٧٥	
٧٩٦	الزهد والعبادة والورع – لأسد بن الفرات	٢٧٠	
٧٩٧	الزهد – وما يجب على المتناظرين من حسن الأدب – لمحمد بن سحنون (مغربى) .	٣٠١	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٧٩٨	السحاب والرعد والبرق - لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٧٩٩	سبل الخيرات	-	الصلة ٢٧٢، ٣٩٩
٨٠٠	سؤال إلى الفيض ذى النون المصرى بعض الزهاد عن صفة المؤمن	٢٧٤	
٨٠١	الشبهات - لأبي بكر بن الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٨٠٢	شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم	-	الصلة ٤٧، ٢٤٢
٨٠٣	الشريعة - لأبي بكر بن الآجرى (ت ٣٦٢هـ)	١٥٥، ٢٨٥، ٢٨٦	بغية ١٢٢/١، الشريعة ١٤٢/١، الصلة ٥٣٩، ٦٥٩
٨٠٤	الشكر - لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	
٨٠٥	الشهاب فى الآداب والأمثال والمواعظ والحكم المروية - لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى	١٨٢، ١٨٥	الصلة ٧٤، ٤٢٣، ٤٢٧، ٦٣٤، بغية ص ٤٦٨، الذيل والتكملة ١٣٥/٢/١، ٢٣٠، ٤٤٣، ٥٤٥، ٣١٨/٢/٥، ٤٦٥، ٦٨٢
٨٠٦	الصبر والتصبر - لأبي سعيد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٨٠٧	صفة الغرباء من المؤمنين - لأبي بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٨٠٨	الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم - لإسماعيل القاضى البغدادى (٢٨٢هـ)	٣٠٤	
٨٠٩	عبارة الرؤيا - لمحمد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)	٢٦٦	
٨١٠	العبارة - للكرمانى	٢٦٦	
٨١١	العبارة (ثلاثة أجزاء) - لنعيم بن حماد	٢٦٧	
٨١٢	العروس فى الزهد - لأبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل الأهوازى	٢٩٦	
٨١٣	العزلة - لأبي سليمان الخطابى (ت ٣٨٠هـ)	٢٨٧	الصلة ٦٨٦
٨١٤	العقل وفضله - لأبي الوليد إسماعيل بن محمد الخراسانى	٢٩٠	
٨١٥	عقلاء المجانين - لأبي بشر الدولابى (ت ٣١٠هـ)	٤٠٨	
٨١٦	العقوبات - لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨١٧	العمر والشيب - لأبي سعيد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٨١٨	العوابد - لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨١٩	العيدان - أبو ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٨٦	
٨٢٠	الغرائز - أبو زيد الأنصارى اللغوى (ت ٢١٥هـ)	٢٧١	
٨٢١	الغيبة - للحارث المحاسبى	٢٧٢	
٨٢٢	الفرج بعد الشدة - لأبي بكر بن أبي الدنيا (ت ٢٨١، ـ)	٢٨٢	
٨٢٣	الفرج بعد الشدة - لأبي على المحسن بن على التنوخى	٣٨٥، ٤١٥	الديباج ٣٨٥، ٤١٥
٨٢٤	فرض طلب العلم - لأبي بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٦٠	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٨٢٥	فضائل الجهاد - لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)	-	بغية ١/١٩٨، الجذوة ١/٢١٨، ٢٢١
٨٢٦	فضائل القرآن - لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى (ت ٢٢٣هـ)	٦٩	
٨٢٧	فضائل القرآن - لأبى ذر عبد بن أحمد الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٧٠	
٨٢٩	فضائل الجهاد - عبد الله بن المبارك	٢٣٨	
٨٣٠	فضائل عاشوراء - لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٣٠٣	
٨٣١	فضل العلم - لأبى بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٨٣٢	فضل الوضوء والصلاة على النبى - لابن شاهين (ت ٣٨٥هـ)	٢٧١	
٨٣٣	فضل لا إله إلا الله - لابن شاهين (ت ٣٨٥هـ)	٢٧٨	
٨٣٤	القبور - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٣٥	قرى الضيف - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	
٨٣٦	قصر الأمل - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢، ٢٨٣	
٨٣٧	القناعة والتعفف - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	بغية ١/٣٢٤، الجذوة ١/٢٤٣
٨٣٨	قيام الليل وفضل قيام رمضان - لأبى بكر الآجرى (ت ٣٦٠هـ)	٢٨٥	
٨٣٩	كلام هند بن أبى هالة التميمى فى صفة رسول الله وشرح غريبه لابن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ)	١٩٧	
٨٤٠	كلام يحيى بن معاذ الرازى فى الزهد	٣٠٤	
٨٤١	ما روى فى فضل العقل - لأبى قتيبة سلم بن الفضل البغدادى	٢٩٠	
٨٤٢	مجابى الدعوة - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٤٣	محاسبة النفس - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٤٤	المحبة - لأبى سعيد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٨٤٥	مداراة الناس - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	
٨٤٦	المدهش - لابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ)	-	الذيل والتكملة ١/٢/٢٤٨
٨٤٧	معانى الزهد والمقالات فيه - لأبى سعيد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ)	٢٨٤	
٨٤٨	معيشة النبى وأصحابه وتخليهم عن الدنيا - لأبى ذر عبد بن أحمد الهروى (ت ٤٣٤هـ)	٢٧٦	
٨٤٩	المقامات الوعظية - للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)	-	الذيل والتكملة ١/١/٢٩، ١/٢/٣١٥
٨٥٠	الملاهى - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٥١	مواعظ الأنبياء - لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ)	٢٩١	
٨٥٢	مواعظ الخلفا - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٤	بغية الملتمس ١/٣٢٤
٨٥٣	موعظة - لداود بن جهور الفارسى	٢٩٢	
٨٥٤	موعظة أخرى	٢٩٣	

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر	
		فهرسة ابن خير	مصادر أخرى
٨٥٥	موعظة - لوهب بن منبه اليمانى	٢٩٣	
٨٥٦	النجاة إلى الطريق - لمحمد بن المبارك الصورى	-	الصلة ٣٧٥
٨٥٧	النصيحة الكبير - لأبى بكرالآجرى (ت ٣٦٠هـ)	١٥٥، ١٥٦، ٢٨٥	
٨٥٨	النفخ فى الصور وذكر الحساب وصفة الجنة - لزهير بن عباد	٢٩٠	
٨٥٩	الهواتف - لأبى بكر بن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٦٠	الوجل - لأبى بكر بن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٣	
٨٦١	الورع - لأبى بكر بن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٦٢	وصية النبى لعلى بن أبى طالب	٢٧٧	
٨٦٣	وصية النبى لأبى هريرة	٢٧٧	
٨٦٤	وصية المعافى بن عمران المعروف بالياقوتة	٢٧٨	
٨٦٥	اليقين - لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)	٢٨٢	
٨٦٦	اليقين - لزهير بن عباد	٢٧٣	

ثامنا: كتب الفلسفة والفلك والرياضيات والطب والصيدلة والنبات

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر
٨٦٧	الأخلاق - لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٨٦٨	الأدوية المفردة - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٤٩٦، ٥٠٠، ٥١٦، ٥٣٢، طبقات الأمم لصاعد ص ٨٤.
٨٦٩	الأدوية المفردة - لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)	عيون الأنباء ص ٥١٩.
٨٧٠	الأدوية المقابلة للأدواء - لجالينوس	الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١ - ١٢٣.
٨٧١	الأدوية - لسرجيس بن إلياس الرومى	الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١ - ١٢٢.
٨٧٢	أرجوزة (فى الطب) - لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)	الذيل والتكملة ١١٧/٢/٥، عيون الأنباء ٥٣٢، المرقبة العليا للنباهى ص ١١١.
٨٧٣	الأركان - لأوقليدس	الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى ١ / ٢ / ٥٩.
٨٧٤	الإسطقسات (فى الأدوية) - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٨٧٥	الأصول الهندسية - لأوقليدس	طبقات ابن جلجل ص ١١١، طبقات الأمم لصاعد ص ٦٩، عيون الأنباء ص ٤٨٣، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٤٨.
٨٧٦	الاعتماد فى الأدوية المفردة - لابن الجزار القيروانى (ت ٣٦٩هـ)	عيون الأنباء ص ٤٩٣.

م	أسم الكتاب ومؤلفه	المصادر
٨٧٧	أقاويل جالينوس فى الشراب	عيون الأنباء ص ٤٧٩.
٨٧٨	الأقــراباذين (الأدوية المركبة) - لمحمد بن موسى الرازى (ت ٣٢٠هـ)	الطــب والأطــباء فى الأندلس الإسلامية - لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١-١٢٣.
٨٧٩	الأقراباذين - لسابور بن سهل	الطــب والأطــباء فى الأندلس الإسلامية - لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١-١٢٣.
٨٨٠	الألوف (كتاب فى التاريخ القديم - والفلك) - لأبى معشر البلخى (ت ٢٧٢هـ)	طبقات ابن جلجل ص ٢، ٥، ٦.
٨٨١	الإلهيات - لنيقولاس	عيون النباء ص ٥٣٢.
٨٨٢	(رسالة فى) أغراض كتاب أوقليدس - للكندى (ت ٢٨٢هـ)	طبقات ابن جلجل ص ٣٩.
٨٨٣	الأمراض الحادة - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٤٧٩، سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٨.
٨٨٤	إيساغوجى (فى الحساب)	نفح الطيب ٦٩٣/٢.
٨٨٥	الأيمان (لأبقراط) - وهو عهده إلى الأطباء	عيون الأنباء ص ٤٩٩، ٥٠٠.
٨٨٦	بــارى أرمينــياس (ومعــناه: العــبارة) - فى المنطق - لأرسطوطاليس	الذخيرة لابن بسام ٣٦٨/١/٣.
٨٨٧	البرهان (أنولوطيقا) - لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥٣٣.
٨٨٨	البول (رسالة) - تأليف نسطاس بن جريج المصرى	طبقات ابن جلجل ص ٩٦.
٨٨٩	البصيرة (فى الأدوية) - ليوحنا بن ماسويه	الطــب والأطــباء فى الأنــدلس الإسلامية ، لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١ - ١٢٢.
٨٩٠	تدبير الأصحاء - لجالينوس	الطــب والأطــباء فى الأنــدلس الإسلامية ، لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١ - ١٢٢.
٨٩١	تركيب الأدوية - للكندى (ت ٢٥٢هـ)	عيون الأنباء ص ٥١٩.
٨٩٢	التعرف (كتاب فى الطب) - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٨٩٣	تهافت الفلاسفة - للغزالى (ت ٥٠٥هـ)	الإحاطة فى أخبار غرناطة ٤٠٥/١، عيون الأنباء ٥٣٢.
٨٩٤	الجذام - لابن الجزار القيروانى (ت ٣٦٩هـ)	الطــب والأطــباء فى الأنــدلس الإسلامية ، لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١ - ١٢٢.
٨٩٥	جوامع كتب أرسطوطاليس فى الطبيعيات والإلهيات	عيون الأنباء ص ٥٣٢، ٥٣٣.
٨٩٦	الحاوى (فى الطب) - لمحمد بن موسى الرازى (ت ٣٢٠هـ)	عيون الأنباء ص ٥١٧.
٨٩٧	الحشائش (الأدوية المفردة) - لديسقوريدس (الترجمة العربية)	الذيل والتكملة ٢٣٩/٢/٥، عيون الأنباء ص ٤٩٣.
٨٩٨	الحشائش (الأدوية المفردة) - لديسقوريدس (النسخة اللاتينية)	عيون الأنباء ص ٤٩٣ - ٤٩٤.
٨٩٩	الحميات - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩٠٠	حيلة البــرء - لجالينوس	نفح الطيب ٢٤٨/٢، ٥٣٥/٥، عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩٠١	الحيوان - لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥١٦.
٩٠٢	الرد على حنين بن إسحق فى كتابه "المدخل إلى الطب" - لابن رضوان (مصرى)	عيون الأنباء ص ٥١٤، ٥١٩.

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر
٩٠٣	رسائل إخوان الصفا	نفح الطيب ٣٧٦/٣، أعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٣٤٩، عيون الأنباء ص ٤٨٤ - ٤٨٥.
٩٠٤	زاد المسافر (فى الطب)- لابن الجزار القيروانى (ت ٣٦٩هـ)	عيون الأنباء ص ٤٩٠، طبقات ابن جلجل ص ١٠٧، طبقات الأمم ص ٧٩، عيون الأنباء ص ٤٩٠ - ٤٩١.
٩٠٥	زيج البتانى	عيون الأنباء ص ٤٨٣، طبقات الأمم ص ٦٩.
٩٠٦	زيج الخوارزمى	طبقات الأمم ص ٦٩، عيون ص ٤٨٣.
٩٠٧	زيج السند هند	عيون ص ٤٨٣، ٤٨٤.
٩٠٨	زيج الشهريار = زيج الشاه	علم الفلك وتاريخه فى العصور الوسطى - تأليف نلينو ص ١٨٨.
٩٠٩	السماء والعالم - لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩١٠	السماع الطبيعى - لأرسطوطاليس	عيون ألنباء ص ٥١٦، ٥٣٢.
٩١١	سر صناعة الطب - لمحمد بن موسى الرازى (ت ٣٢٠هـ)	الطب والأطباء فى الأندلس - لمحمد العربى الخطابى ١٢١/١- ١٢٢.
٩١٢	السياسة والآداب الفاضلة - لابن النقيب البغدادى	نفح الطيب ٣٣٣/٦.
٩١٣	الشفا (فى الطب) - لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)	عيون الأنباء ص ٥٣٣.
٩١٤	الشكل القطاع (كتاب فى الهندسة) - لثابت بن قرة الحرانى/ البغدادى (ت ٢٨٨هـ)	تاريخ الأدب العربى - لبروكلمان ٤٢٦/٤.
٩١٥	الصناعة الذهنية - للفارابى (ت ٣٣٩هـ)	عيون الأنباء ص ٥١٦.
٩١٦	صورة الأرض = المسالك والممالك - لابن حوقل (ت ق ٤هـ)	نفح الطيب ٣٣٨/٢.
٩١٧	العلل والأعراض - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩١٨	العلم الإلهى - للرازى (ت ٣٢٠هـ)	د. عبد الحليم عويس : ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ١١٢.
٩١٩	الفصول (فى الطب) - لأبقراط	عيون الأنباء ص ٤٩٩، سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٨.
٩٢٠	قاطيغورياس (ومعناه: المقولات) - لأرسطوطاليس	الذخيرة لابن بسام ٣٦٨/١/٣.
٩٢١	القانون (فى الطب) - لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)	عيون الأنباء ص ٥١٨.
٩٢٢	القوى الطبيعية - لجالينوس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩٢٣	القياس (أنولوطيقا) - لأرسطو	عيون الأنباء ص ٥٣٣.
٩٢٤	كتاب جالينوس إلى اغلوقن	عيون ص ٥٠٠.
٩٢٥	كتب أبقراط (فى الطب)	عيون ص ٤٩٩
٩٢٦	كتب الأوائل التى جلبها الحكم المستنصر إلى الأندلس	عيون ص ٥١٥، ٥١٨..
٩٢٧	كتب ابن سينا	عيون ص ٥١٦.
٩٢٨	كتب أرسطو	عيون ص ٥١٦، ٥٣٢..
٩٢٩	كتب جالينوس فى الطب والأدوية	عيون ص ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٣٠، طبقات ابن جلجل ص ١١٢.

م	اسم الكتاب ومؤلفه	المصادر
٩٣٠	كتب حنين بن إسحق كتب جبرائيل بن بختيشوع كتب يوحنا بن ماسويه كتب على بن عيسى الكحال — اعتمد عليها الزهراوى فى كتابه "التصريف"	الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية لمحمد العربى الخطابى ١/١٢٣.
٩٣١	كتب الفارابى (فى الفلسفة والطبيعيات)	عيون ص ٥١٦.
٩٣٢	كلام لأبقراط وجالينوس فى البول	عيون الأنباء ص ٤٧٩.
٩٣٣	كـــناش أهرون بن أعين القس السريانى	الطب والأطباء فى الأندلس – لمحمد العربى الخطابى ١/١٢١-١٢٢.
٩٣٤	ما بعد الطبيعة – لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩٣٥	المجسطى (فى الفلك والجغرافيا) – لبطليموس	عيون الأنباء ص ٤٨٣، طبقات الأمم لصاعد ص ٦٩.
٩٣٦	المدخل فى الطب – لحنين بن إسحق العبادى البغدادى	عيون الأنباء ص ٥١٤، ٥١٩.
٩٣٧	المزاج (المزاجات) – لجالينوس	عيون الأنباء ص ٥٣٢.
٩٣٨	المعدة وأمراضها ومداواتها – لابن الجزار القيروانى (ت ٣٦٩هـ)	الطب والأطباء فى الأندلس – لمحمد العربى الخطابى ١/١٢١ – ١٢٢.
٩٣٩	المغيث الكبير (معجون لعلاج الجوف)	عيون الأنباء ص ٤٨٦.
٩٤٠	المنصورى (فى الطب) – لمحمد بن موسى الرازى (ت ٣٢٠هـ)	الطب والأطباء فى الأندلس ١/١٢١-١٢٢.
٩٤١	المنطق – للفارابى (ت ٣٣٩هـ)	عيون الأنباء ص ٥٣٣.
٩٤٢	الموسيقى – للفارابى (ت ٣٣٩هـ)	الذيل والتكملة ١/٢/٩٠.
٩٤٣	النبات – لأبى حنيفة الدينورى/البغدادى (ت ٢٨١هـ)	نفح الطيب ٣/٣٩٧، الذيل والتكملة ١/٢/٥١٦، الذخيرة ١/١/٨١١.
٩٤٤	النبات – لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥١٦.
٩٤٥	النجح – لجالينوس	الطب والأطباء فى الأندلس ١/١٢١- ١٢٢.
٩٤٦	النفس (كتاب) – لأرسطوطاليس	عيون الأنباء ص ٥٣٢، ٥٣٣.

الملحق السادس

قائمة تضم بعض الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية فى مجالات الطب والصيدلة والنبات والرياضيات والفلك والفلسفة

* المراجع:

١- كتاب "العلم عند العرب وأثره على العلم العالمى" تأليف ألدوميلى.

٢- كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقى.

٣- بحث: "ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين - للدكتور سعد عبد الله البشرى(*).

● تنبيه : لم نراع هنا الترتيب الأبجدى، لا فى ترتيب المؤلفين، ولا فى أسماء الكتب.

(*) هذه المراجع موثقة فى قائمة المصادر والمراجع فى نهاية الدراسة.

أولاً: فى الطب والصيدلة والنبات والحيوان

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المترجم
١	ابن سينا	القانون (فى الطب)	جيرارد الكريمونى، وموسى بن طبون
٢	ابن سينا	أجزاء من كتاب "الشفاء"	يوحنا الإسبانى ودومنجو جونثالث
٣	ابن سينا	القانون الصغير	موسى بن طبون
٤	ابن سينا	الأرجوزة فى الطب	أرمنجو (يهوذا بن موسى)، وموسى بن طبون (مع شرحها لابن رشد)
٥	ابن سينا	الأدوية القلبية	أرنولد الفيلانوفى
٦	الرازى	المنصورى (فى الطب)	جيرارد الكريمونى، وشمطوب
٧	الرازى	المدخل إلى الطب	جيرارد الكريمونى
٨	الرازى	كتاب الأسرار	جيرارد الكريمونى وكذلك ترجمة أرنولد الفيلانوفى
٩	الرازى	التقسيم والتشجير	جيرارد الكريمونى
١٠	الرازى	مقالة فى الجدرى والحصبة	جيرارد الكريمونى
١١	الرازى	الترياق	موسى بن طبون
١٢	الزهراوى	التصريف لمن عجز عن التأليف (القسم الجراحى)	جيرارد الكريمونى
١٣	الزهراوى	أجزاء من التصريف	أرنولد الفيلانوفى ، وشمطوب (١٢٥٤-١٢٥٨م)
١٤	الزهراوى	القسم الطبى من التصريف	إبراهيم الطرطوشى وسمعان الجنوى
١٥	ابن زهر	رسائل طبية	أرنولد الفيلانوفى
١٦	ابن زهر	التيسير	جيوفانى دى كابوا، وبارافيسينوس
١٧	ابن رشد	الكليات	أرمنجو (يهوذا بن موسى)، وبوناكوزا اليهودى
١٨	ابن رشد	الترياق	أبو داود (أندرياس)
١٩	ابن رشد	تفسير كتاب الحيوان لأرسطو	بروفاسيوس
٢٠	ابن سرابيون	الأدوية المفردة	إبراهام الطرطوشى
٢١	ابن سرابيون	الأقراباذين (الأدوية المركبة)	سيمون دى جنوفا
٢٢	ابن سرابيون	العقاقير = الكُنَّاش	جيرارد الكريمونى
٢٣	قسطا بن لوقا	الفرق بين الروح والنفس	يوحنا الإسبانى ودومنجو
٢٤	قسطا بن لوقا	رسائل طبية	أرنولد الفيلانوفى
٢٥	الكندى	الأدوية المركبة	جيرارد الكريمونى، ريموندلُول
٢٦	الكندى	خمسة كتب	أرنولد الفيلانوفى
٢٧	إسحق بن سليمان	الأسطقسات	جيرارد الكريمونى

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المترجم
٢٨	إسحق بن سليمان	الأغذية والأدوية المفردة	حيرارد الكريمونى
٢٩	إسحق بن سليمان	الحدود والرسوم	حيرارد الكريمونى
٣٠	ابن رضوان	شرح الصناعة الصغيرة لجالينوس	حيرارد
٣١	ابن رضوان	شرح المقالة الأولى فى خمس مقالات	ألفونسو القشتالى
٣٢	ابن الجزار القيروانى	زاد المسافر	موسى بن طبون
٣٣	ابن الجزار القيروانى	الأقراباذين (الأدوية المركبة)	ترجمة اصطفان
٣٤	حنين بن إسحق	رسالة فى البول	إبراهيم الطرطوشى
٣٥	أمية بن أبى الصلت الدانى	كتاب الأدوية المفردة	أرنولد الفيلانوفى
٣٦	ابن ميمون	الرسالة الأفضلية	أرمنجو (يهوذا بن موسى)
٣٧	ابن ميمون	الأغذية	جيوفانى دى كابوا
٣٨	ابن وافد	الأدوية المفردة	حيرارد الكريمونى
٣٩	ابن وافد	الوساد فى الطب	يهوذا بن سليمان إلى العبرية
٤٠	ابن البطريق	سر الأسرار	يوحنا الطليطلى
٤١	نيقولاوس (يونانى)	كتاب النبات (النسخة العربية)	رساراشل

ثانياً: في الفلك والرياضيات وعلم الطبيعة (الفيزياء)

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المترجم
٤٢	الخوارزمى	الجبر	يوحنا بن داود الإسبانى
٤٣	الخوارزمى	الاسطرلاب	إبراهيم بن عزرا
٤٤	الخوارزمى	رسالة فى حساب الجبر والمقابلة	حيرارد وترجمها أيضاً روبرت أوف تشستر
٤٥	الخوارزمى	كتاب الحساب	أدلارد الباثى
٤٦	الخوارزمى	الأزياج	أدلارد
٤٧	البتانى	بعض مصنفاته فى الفلك	يوحنا بن داود الإسبانى ودومنجو حونثالث
٤٨	البتانى	علم النجوم	أفلاطون التيفولى
٤٩	ثابت بن قرة	بعض مصنفاته (فى الفلك والرياضيات)	يوحنا الإسبانى ودومنجو
٥٠	ثابت بن قرة	ميزان الذهب	حيرارد الكريمونى
٥١	ثابت بن قرة	كتاب فى عمل آلات الساعة	يوحنا الإشبيلى
٥٢	الفرغانى	المدخل إلى علم هيئة الأفلاك	حيرارد بمساعدة يوحنا الإشبيلى
٥٣	الفرغانى	الموجز فى الفلك	يوحنا الإشبيلى
٥٤	ابن الهيثم	مقالة فى هيئة العالم	إبراهيم الحكيم الطليطلى بمعاونة يعقوب بن ماهر، وترجمه أيضاً: بروفاسيوس بأمر من ألفونسو الحكيم

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المترجم
٥٥	ابن الهيثم	المناظر	جيرارد الكريمونى
٥٦	ابن الهيثم	أسباب الخسوف	جيرارد الكريمونى
٥٧	ابن الهيثم	فى صورة الكسوف	جيرارد الكريمونى
٥٨	مسلمة المجريطى	بعض كتبه فى الفلك والرياضيات	يوحنا الإشبيلى ودومنجو
٥٩	مسلمة المجريطى	رسالة فى الاسطرلاب	يوحنا الإشبيلى
٦٠	مسلمة المجريطى	إصلاح المجسطى	هرمان الدلماطى
٦١	مسلمة المجريطى	زيج الخوارزمى بتنقيح المجريطى	أدلارد الباثى
٦٢	جابر بن أفلح	الهيئة فى إصلاح المجسطى	جيرارد وإلى العبرية ترجمه موسى بن طبون
٦٣	نور الدين البطروجى	الهيئة	مايكل سكوت وترجمه أيضاً إلى العبرية موسى بن طبون
٦٤	عبد الرحمن القابسى	صور الكواكب	يهودا الكاهن
٦٥	عبد العزيز القابسى	النجوم وأبعاد الكواكب	يوحنا الإسبانى
٦٦	الكندى	ثلاث رسائل فى المناظر	جيرارد ودى كريمونا
٦٧	محمد الحصَّـار	كتاب الحساب والجبر	ترجمة موسى بن طبُّـون
٦٨	ابن موسى (ولعله الخوارزمى)	قسمة الزاوية	جيرارد
٦٩	ابن معاذ الجيانى	مطلع الفجر	جيرارد
٧٠	ابن أبى رجال	البارع	يهوذا بن موسى
٧١	ابن أبى الرجال	الكامل فى النجوم	يهوذا الكاهن
٧٢	أبو معشر البلخى	أربعة كتب	يوحنا الإسبيلى وأدلار الباثى
٧٣	أبو معشر البلخى	كتاب فى الأحوال الجوية	أوغودى سانتالا
٧٤	ابن المثنى	شرح ابن المثنى على زيج الخوارزمى	أوغودى سانتالا وترجمه أيضاً إبراهيم ين عَـزْرا
٧٥	قسطا بن لوقا	العمل بالكرة ذات الكراسى	موسى بن طبُّـون، يهودا الكاهن
٧٦	إبراهيم برحيا	الجبر والهندسة العملية	أفلاطون التيفولى
٧٧	أوقليدس	أصول الهندسة لأوقليدس (النسخة العربية)	أدلارد الباثى وترجمه أيضاً موسى بن طبون
٨٧	أوقليدس	علم الفلك وأصول الهندسة (النسخة العربية)	جيرارد الكريمونى
٧٩	بطليموس	المجسطى (النسخة العربية)	دانييل أوف مورلى بمساعدة غالب وترجمة جيرارد أيضاً
٨٠	بطليموس	كتاب الحساب (النسخة العربية)	أفلاطون التيفولى
٨١	أحمد بن يوسف	رسائل متفرقة	جيرارد
٨٢	النيريزى	رسائل	جيرارد
٨٣	ابن رشد	مختصر المجسطى	يعقوب بن مارى بن سمسون بن أناطول اليهودى
٨٤	ابن الصفار	رسالة فى الاسطرلاب	أفلاطون التيفولى، بروفاسيوس

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المترجم
٨٥	ابن الزَّرْقالى	الصفيحة (عبارة عن زيج)	أمر بنقلها ألفونسو العاشر الإسبانى إلى اللغة الإسبانية وترجمه أيضاً: بروفاسيوس
٨٦	ما شاء الله (اليهودى)	كُـتُـب فى الفلك	جيرارد دى كريمونا، ودى تيفولى
٨٧	ما شاء الله	المواليد	أوغودى سانتالا
٨٨	ربيع بن زيد	الأنواء	جيرارد
٨٩	ربيع بن زيد	تفصيل الأزمان	جيرارد
٩٠	ابن رشد	شرح إيساغوجى (لفرفريوس)	ترجمة يعقوب الأناطولى اليهودى

ثالثاً : فى الفلسفة

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المترجم
٩١	ابن سينا	كتاب النفس	يوحنا الإشبيلى، دومنجو جونثالث
٩٢	ابن سينا	الطبيعيات	يوحنا الإشبيلى ، دومنجو جونثالث
٩٣	ابن سينا	ما وراء الطبيعة	دومنجو جنثالث
٩٤	ابن سينا	كتب فى الفلسفة	جيرارد دى كريمونا، أفلاطون تيفولى
٩٥	الكندى	كتب فى الفلسفة	جيرارد دى كريمونا، أفلاطون دى تيفولى
٩٦	قسطا بن لوقا	كتب فى الفلسفة	جيرارد دى كريمونا، أفلاطون دى تيفولى
٩٧	الفارابى	كتب فى الفلسفة	جيرارد دى كريمونا، أفلاطون دى تيفولى
٩٨	ابن جبريول	كتب فى الفلسفة	جيرارد دى كريمونا، أفلاطون دى تيفولى
٩٩	الغزالى	كتب فى الفلسفة	جيرارد دى كريمونا، أفلاطون دى تيفولى
١٠٠	ابن رشد	ثلاثة كتب فى الفلسفة	ترجمها يوسف بن إسحق القمحى (يهودى أندلسى)
١٠١	ابن رشد	شروحه الصغيرة على كتب أرسطو مثل: السماء والعالم - الكون والفساد - الآثار العلوية - النفس - الطبيعيات - ميتا فيزيقا	ترجمة موسى بن طبون اليهودى، يعقوب الأناطولى (يهودى)
١٠٢	ابن رشد	الشرح الأوسط لكتاب النفس لأرسطو	موسى بن طبُّون اليهودى
١٠٣	ابن رشد	تفسير كتاب الحيوان لأرسطو	
١٠٤	ابن رشد	تفسير كتاب الأورجانون لأرسطو	ترجمة : بروفاسيوس
١٠٥	ابن رشد	الشرح الأوسط لكتاب (المقولات لأرسطو)	يعقوب الأناطولى اليهودى

قوائم المصادر والمراجع

(تنبيهات حول قائمة المصادر والمراجع)

١ – رتبت هذه القائمة ترتيباً أبجدياً بحسب عنوان الكتاب أو البحث.

٢ – أسقطت فى هذا الترتيب الألفاظ (ابن)، (أبو)، و(ال)، إذا وردت فى عنوان الكتاب.

٣ – اقتضت طبيعة البحث وظروفه الرجوع إلى أكثر من طبعة للكتاب الواحد، وهذا قليل. وقد أثبتُّ هذه الطبعات عند ورود مثل هذه الكتب فى مواضعها من القائمة، إلى جانب العناية بذكرها فى هوامش البحث.

٤ – إحصائية: اعتمدت فى هذه الدراسة على عدد من المصادر (المخطوطة والمطبوعة) والمراجع (العربية والأجنبية) والرسائل الأجنبية والبحوث المنشورة فى الدوريات. ومجموعها يصل إلى (٥٠٦) كتاباً وبحثاً ورسالة، وهى موزعة على النحو التالى:

- المخطوطات : ١٧
- المصادر المطبوعة : ١٦٤
- المراجع : ٢١٧. منها (١٦) مراجع معرَّبة.
- البحوث : ٨٥

الرسائل الجامعية : ٧

- المراجع الأجنبية : ١٦

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المخطوطات[١]:

١ - **الأدوية المفردة** - تأليف أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي (المتوفى ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (٢٩٠/طب)، ومصور من نسخة محفوظة بمكتبة الرباط بالمغرب (٢٥٥ك).

٢-**أسباب حدوث الحروف**- تأليف الشيخ الرئيس أبي على الحسين بن عبد الله بن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٩م) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، (رقم ١٢٣/فلسفة)، ويقع فى تسع ورقات.

٣- **الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكُنى**- تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمرى القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت (رقم ١٥٥/ مغرب ثانية)، ومصور من نسخة أصلية محفوظة بالخزانة العامة بالرباط، وتقع فى (١٤٣) ورقة.

٤- **الأصول الهندسية (المجَسْطى)**- تأليف أُوقليدس - وترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب الوراق (كان حياً سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م) - وهى النسخة المأمونية (المترجمة فى بغداد فى زمن الخليفة المأمون العباسى) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ١٧/ رياضيات، مكتوبة سنة ٥٨٦هـ، ويقع فى (٦٥) ورقة.

٥- **إعراب القرآن**- تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادى المصرى المعروف بابن النحاس (المتوفى ٣٣٧هـ/٩٤٨م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٩٦٦٧ / ب)، وهو مصور عن المكتبة العمومية بالأستانة (برقم ٢٤٥).. ويقع فى (٣٤٦) لوحة. ورقم الميكروفيلم ٣٧٣٨٩.

٦- **تاريخ حكماء الإسلام**- تأليف ظهر الدين البيهقى (المتوفى ٥٦٥هـ/١١٦٩م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٦٦٦/تاريخ). ومصور عن نسخة محفوظة بمكتبة برلين (رقم ٧٣٧). ورقم الميكروفيلم (٣٥٩١٨).

---

١) **تنبيه:** أسماء المخطوطات التى تحمل رقم مسلسل (١، ٤، ٩، ١٠، ١٥) اعتمدنا عليها - فقط - فى تصوير بعض الأوراق، وألحقناها فى مواضعها من الدراسة - راجع الملحق رقم (١) من قسم الملاحق (ص ٩٩٩).

٧-**تسهيل السبيل إلى تعلُّم الترسيل**- تأليف أبى عبد الله محمد بن فتوح الأزدى الحميدى الأندلسى (المتوفى ٤٨٨هـ/١٠٥٦م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٥٠/أدب). ومصور على ميكروفيلم رقم (٤١٥٠٦)، ويقع فى (٥٤١) صفحة من القطع الصغير.

٨-**التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان**- تأليف محمد بن يحيى بن أبى بكر الأشعرى الأندلسى (المتوفى ٧٤١هـ/١٣٤٠م) - مخطوط مصور بدار الكتب المصرية (برقم ٢٣ تاريخ). ورقم الميكروفيلم (١٥٧٨). ويقع فى (١٢٤) لوحة.

٩- **التيسير فى المداواة والتدبير**- تأليف أبى مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك (المتوفى ٥٥٧هـ/١١٦١م) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٦/طب).

١٠- **رسالة فى الموسيقى**- تأليف ابن سينا (المتوفى ٤٢٨هـ/١٠٣٦م). مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، تحت رقم (٢٥/موسيقى)، ومصورة من نسخة محفوظة بمكتبة آيا صوفيا (٣١/٤١ مجاميع).

١١- **عيون التواريخ**- محمد بن شاكر بن أحمد الكُتبى (المتوفى ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٤٩٧/تاريخ.

١٢- **فهرس القاضى عياض (المسمى بالغُنية)**- تأليف أبى الفضل القاضى عياض بن موسى اليحصبى السَّبْتى الأندلسى (المتوفى ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٢٨٤/تاريخ تيمور) - ومصور على ميكروفيلم رقم (٢٣٠١٣)، ورقم (٢٠٩٤١).

١٣- **مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار**- تأليف أبى العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى المتوفى (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة - (الأجزاء ٣ - ١٢) تحت رقم ١٥ - ٢٤، ٢٦ معارف عامة) ومصور على ميكروفيلم من نسخة محفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول. والجزء الذى رجعنا إليه من هذا الكتاب هو الجزء الثالث.

- ورجعنا إلى الجزء (١١)/ القسم الثانى - مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥٩/معارف عامة)، ويقع فى ٢٦٠ صفحة.

١٤-**المقصد الأرشد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل**- تأليف: إبراهيم بن عبد الله ابن مفلح المقدسى الراميني الدمشقى (المتوفى ٨٨٤هـ/١٤٧٩م).، نسخة بخط الباحث منقولة عن نسخة خطية ملك مكتبة السنة بالقاهرة[1].

١٥- **منافع أعضاء الحيوان**- تأليف على بن عيسى البغدادى الكحال (المتوفى ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) - مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٧٧٥/حلب، ويقع فى (١٢٠) ورقة.

١٦- **ناسخ الحديث ومنسوخه**- تأليف أبى بكر أحمد بن محمد الأثرم البغدادى (المتوفى ٢٦١ هـ/٨٧٤م). الجزء الثالث (مخطوط) مصور بدار الكتب المصرية (رقم ١٥٨٧/حديث). ورقم الميكروفيلم (٣٧٣٨٩)، ويقع فى اثنى عشر ورقة.

١٧- **الوافى فى نَظْم القوافى**- تأليف أبى البقاء صالح بن زيد بن صالح بن موسى النَّفْرى الرُّندى (المتوفى ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٠٣ أدب / تيمور)، ومصور على ميكروفيلم رقم (٢٥٥١)، ويقع فى (٩٤ ورقة).

***

ثالثاً: المصادر القديمة

(حرف الهمزة)

١٨- **أبجد العلوم- للقنّوجى (ت ١٣٠٧هـ)**: أبو الطيب صدّيق بن حسن بن على بن الحسين / طبعة الهند / ١٣٩٥ هـ.

١٩- **الإتقان فى علوم القرآن - للسيوطى (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م)**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر / الطبعة الرابعة / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٢٠- **الإحاطة فى أخبار غرناطة - لابن الخطيب (المتوفى ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانى المعروف بلسان الدين بن الخطيب / الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، الشركة المصرية للطباعة والنشر، الخانجى، القاهرة، بتحقيق محمد عبد الله عنان.

---

١) وتوجد نسخة من هذا الكتاب محفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٨١/ تاريخ، وميكروفيلم ١٠٩٢٧.

٢١- **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم – للمقدسى (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م)**: شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسى/ مطبعة بريل – ليدن، ١٩٠٦ م / الطبعة الثانية، مكتبة المثنى ببغداد .

٢٢- **إخبار العلماء بأخبار الحكماء – للقفطى (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م)**: أبو الحسن على بن يوسف القفطى / مكتبة المتنبى بالقاهرة / بدون تاريخ.

٢٣- **أخبار الفقهاء والمحدّثين – للخُشنى (المتوفى ٣٦١ هـ / ٩٧١ م)**: محمد بن حارث الخشنى الأندلسى / المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – معهد التعاون مع العالم العربى / مدريد ١٩٩١ م / دراسة وتحقيق (ماريا لويسا آبيلا)، و (لويس مولينا).

٢٤- **أخبار القضاة – لوكيع (المتوفى ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م)**: محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع / عالم الكتب، بيروت / بدون تاريخ.

٢٥- **أزهار الرياض فى أخبار عياض – للمقّرىّ (المتوفى ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م)**: أحمد بن محمد بن أحمد المقرى القرشى التلمسانى / ط الرياض ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م / بتحقيق سعيد أمد أعراب ومحمد تاوت وعبد السلام الحمراس.

٢٦- **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب – لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)**: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى/مكتبة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م.

٢٧- **الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار – للحازمى (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م)**: أبو بكر محمد بن موسى الحازمى الهمدانى / حققه وخرج حديثه وعلق عليه د. عبد المعطى أمين قلعجى / دار الواعى – حلب / الطبعة الأولى بالقاهرة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م.

٢٨- **أعمال الأعلام فى من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** – لسان الدين بن الخطيب السلمانى الغرناطى (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م)/ تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال / دار الكشوف، بيروت، لبنان / الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

٢٩- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ – للسخاوى (المتوفى ٩٠٣ هـ/١٤٩٦م)**: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى / حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنثال – وترجم التعليقات والمقدمة وأشرف على نشره دكتور: صالح أحمد العَلىّ / دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان / بدون تاريخ.

طبعة أخرى: منشور مع كتاب (علم التاريخ عند المسلمين) لروزنثال، ترجمة د. صالح أحمد العلى – مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

٣٠- الأغانى – لأبى فرج الأصفهانى (المتوفى ٣٥٦ هـ / ٩٦٦م): على بن الحسين بن محمد بن الهيثم / ط دار الكتب المصرية، القاهرة (١٩٢٧-١٩٣٥م).

٣١- إنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطى (المتوفى ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م): جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف القفطى / مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م، الطبعة الأولى / بدون تاريخ .

٣٢- الإنباه على قبائل الرواة (ملحق على كتاب القصد والأمم) – لابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م): أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى / مطبعة القدسى بالقاهرة / ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ م .

٣٣- الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد – لأبى الحسين الخياط (المتوفى نحو ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م): عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلى / مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م بتحقيق د. نِيبَرْج .

٣٤- الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء – لابن عبد القرطبى (المتوفى٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى / مطبعة القدسى بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ .

٣٥- الأنساب – للسمعانى (المتوفى ٥٦٢ هـ /١١٦٦م): أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمى السمعانى / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند / الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م

٣٦- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس – لعلى ابن أبى زَرْع الفاسى (المتوفى فى نهاية القرن الثامن الهجرى) / دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط ١٩٧٢ م.

٣٧- الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح/للخطيب القزوينى (المتوفى ٧٣٩هـ/١٣٤١م): مطبعة محمد على صبيح – القاهرة.

٣٨- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون – لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم/ ط طهران، الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ.

(حرف الباء)

٣٩- البداية و النهاية – لابن كثير (المتوفى ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م): عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى / دار الغد العربى بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

٤٠- البرهان فى علوم القرآن – للزركشى (المتوفى٧٩٤هـ/١٣٤٨م) / ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٧م، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٤١- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس – للضبى (المتوفى٥٩٩هـ/١٢٠٢ م): أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى الأندلسى / سلسلة تراث المكتبة الأندلسية (رقم ٦) – مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م – نشر دار الكاتب العربى، لبنان .

٤٢- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة – للسيوطى (المتوفى٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م): جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / حققه محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية، صيدا، بيروت / بدون تاريخ .

٤٣- البلدان – لليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧م): أحمد بن يعقوب البغدادى / طبعة م. ج. دى غويه. ليدن ١٨٩٢م، وترجمة جاستون فييت، القاهرة ١٩٣٧م

٤٤- برنامج المَجَارى – لأبى عبد الله محمد المَجَارى الأندلسى (المتوفى ٨٦٢ هـ / ١٤٥٧م) / دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان / الطبعة الأولى ١٩٨٢م / بتحقيق محمد أبو الأجفان.

٤٥- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب – لابن عذارى المراكشى (المتوفى فى حدود نهاية القرن السابع الهجرى): أبو عبد الله محمد المشهور بابن عذارى / حققه ليفى بروفنسال و (ج.س.كولان) / الدار العربية للكتاب، طبع ونشر دار الثقافة، بيروت، لبنان – الطبعة الثالثة / ١٩٨٣ م .

٤٦- البيان والتبين – للجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م): عمرو بن بحر الجاحظ / حققه وشرحه حسن السندوبى / المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة / الطبعة الثانية / ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م.

(حرف التاء)

٤٧- التاريخ – لخليفة بن خياط العصفرى البصرى (المتوفى ٢٤٠ هـ / ٨٥٤م) / مطبعة الآداب بالنجف – العراق / ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .

٤٨- **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام – للذهبى (المتوفى ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقى / دار الغد العربى بالقاهرة / ١٩٩٧ م.

٤٩- **تاريخ افتتاح الأندلس – لابن القوطية (المتوفى ٣٦١ هـ/ ٩٧١م)**: أبو بكر عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسى / دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٨٢م / بتحقيق إبراهيم الإبيارى.

٥٠- **تاريخ بغداد – للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م)**: أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى / دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – بدون تاريخ.

٥١- **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس – لابن الفرضى (المتوفى ٤٠٣ هـ/١٠١٢م)**: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى الأندلسى المعروف بابن الفرضى / مكتبة الخانجى للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة / الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

* **تاريخ قضاة الأندلس = انظر المرقبة العليا .**

٥٢- **تاريخ مختصر الدول – لابن العبرى (المتوفى ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م)**: غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطى / المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٠م / بعناية الأب أنطون اليسوعى.

٥٣- **تأويل مختلف الحديث –** لابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى/ مكتبة المتنبى، القاهرة.

٥٤- **التبصر بالتجارة – للجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م)**: عمرو بن عثمان بن بحر البصرى/ عنى بنشره وتصحيحه حسن حسنى عبد الوهاب التونسى / ط دمشق ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

٥٥- **التبصير فى الدين / للإسفراييني (المتوفى ٤٧١هـ/١٠٧٨م)**: أبى المظفر عماد الدين شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني الشافعى / بتحقيق زاهد الكوثرى / مكتبة الخانجى للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة / ١٩٥٥ م.

٥٦- **تبيين كذب المفترى على الإمام أبى الحسن الأشعرى – لابن عساكر (المتوفى ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م)**: على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، أبى القاسم الشافعى / مطبعة القدسى ١٣٤٧ هـ.

٥٧- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى - للسيوطى (المتوفى ٩١١هـ/ ١٥٠٥ م): جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى / حققه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف / دار الفكر - بيروت.

٥٨- تذكرة الحفاظ - للذهبى (المتوفى ٧٤٨ هـ/ ١٣٧٤م): شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى / دار الفكر العربى، ١٣٧٤هـ (٢ مج).

٥٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - للقاضى عياض (المتوفى ٥٤٤هـ/١١٤٩م): أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى / دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٥م - بتحقيق الدكتور أحمد بكير.

٦٠- التسهيل لعلوم التنزيل - لابن جُزَىّ (المتوفى ٧٤١هـ/١٣٤٠م): محمد بن أحمد بن جُزَىّ الكلبى الغرناطى / مكتبة مصطفى محمد الحلبى، القاهرة / الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ - وطبعة أخرى بتحقيق اليونسى وإبراهيم عطوة، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٦١- التعريفات - للجرجانى (المتوفى٨٦١هـ/١٤٥٦م) وعلى بن محمد بن على أبو الحسن الجرجانى الحنفى / دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٨٣م.

٦٢- التقريب لحد المنطق - لابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م): أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى / منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٩م بتحقيق د. إحسان عباس.

٦٣- تقييد العلم - للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى / دار إحياء السنة، الطبعة الثانية ١٩٧٤م/ وطبعة أخرى: بتحقيق يوسف العش، دمشق ١٩٤٩ م.

٦٤- التكملة لكتاب الصلة - لابن الأبار (المتوفى ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى / مطبعة السعادة، القاهرة، ونَشْر مكتبة الخانجى بالقاهرة، والمُثنّى ببغداد ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م، عنى بنشره وتصحيحه السيد عزت العطار الحسينى .

*** وقطعة أخرى نشرها ألاركون (M. Alarcon) وجونثاليث بالنثيا (Gonzalez Palencia) - مدريد ١٩١٥م.**

٦٥- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – للملطى (المتوفى ٣٧٧ هـ/٩٨٧م)**: أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى / نشره وعلق عليه محمد زاهد الكوثرى / مكتبة الخانجى بالقاهرة / ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩ م.

٦٦- **تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م)**: أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى / مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند – حيدر آباد الدكن / ١٣٢٥ هـ .

٦٧- **توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس – لابن حجر (المتوفى ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م)**: أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى / مطبوع مع كتاب، (الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية) والكتابان تحت عنوان (سيرة الإمامين: الليثى والشافعى) – مكتبة الآداب بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

(حرف الثاء)

٦٨- **الثمرة المرضية فى بعض الرسالات الفارابية – الفارابى (المتوفى ٣٣٩هـ/٩٥٠م)**: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى/ نشره (ديتريصى) Dietrici، ليدن، بريل ١٨٩٠م.

(حرف الجيم)

٦٩- **جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ /١٠٧٠م)**: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى / طبعة مصر .

٧٠- **الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع – للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م)**: أبو بكر أحمد بن على الخطيب / بتحقيق محمود الطحان / مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .

٧١- **جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس – للحميدى (المتوفى ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)**: أبو عبد الله محمد بن أبى نصر بن حميد الأزدى الأندلسى / سلسلة المكتبة الأندلسية رقم (٥) – مطبعة نهضة مصر بالفجالة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م، بتحقيق إبراهيم الإبيارى.

٧٢- **الجرح والتعديل – لابن أبى حاتم (المتوفى ٣٢٧ هـ / ٩٣٨م)**: محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الرازى / ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٧١ هـ ١٩٥٢م.

٧٣- جمهرة أنساب العرب – لابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م): أبو محمد على ابن أحمد بن سعيد الأندلسى / دار المعارف بالقاهرة / ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢م/ بتحقيق عبد السلام هارون.

٧٤- جوامع السيرة (مع خمس رسائل أخرى) – لابن حزم الأندلسى (المتوفى ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م): أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموى الأندلسى / تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد / دار المعارف بالقاهرة / سلسلة تراث الإسلام.

(حرف الحاء)

٧٥- الحلة السيراء – لابن الأبار (المتوفى ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى / دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٥م / بتحقيق د. حسين مؤنس.

٧٦- الحوادث والبدع – لأبى بكر الطرطوشى (المتوفى ٥٢٠هـ/١١٢٦م): محمد بن الوليد الطرطوشى الملقب بابن أبى رُنْدقة – نزيل الإسكندرية / ط تونس ١٩٥٥ م بعناية محمد الطالبى.

٧٧- الحيدة فى الرد على بشر بن غياث المريسى (المعتزلى) ببغداد – لعبد العزيز بن يحيى الكنانى المكى (المتوفى فى القرن الثانى الهجرى) – المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٩هـ .

٧٨- الحيوان – للجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م): عمرو بن عثمان بن بحر الجاحظ البصرى / تحقيق وشرح عبد السلام هارون/ مكتبة مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الثانية.

(حرف الدال)

٧٩- – الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة – لابن حجر (المتوفى٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م): أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى / ط حيدر آباد الدكن – الهند ١٩٢٩ م.

٨٠- الدرر فى اختصار المغازى والسير – لابن عبد البر القرطبى (المتوفى ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م): أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى / بتحقيق د. شوقى حنيف / دار المعارف بالقاهرة

٨١- **الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب – لابن فرحون (المتوفى ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)**: برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المدنى المالكى / دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (فى مجلد)

* وطبعة أخرى فى مجلدين – مطبعة دار النصر، دار التراث للطبع والنشر ١٩٧٢ م، بتحقيق دكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(حرف الذال)

٨٢- **الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة – لابن بسَّام الشنترينى (المتوفى ٥٤٢هـ/١١٤٧م)**: أبو الحسن على بن بسام الشنترينى الأندلسى / دار الثقافة، بيروت، لبنان / الطبعة الثانية ١٣٣٩ هـ / ١٩٧٩م – بتحقيق د. إحسان عباس.

٨٣- **ذكر المعتزلة – للبلخى (المتوفى ٣١٩ هـ / ٩٣١م)**: أبو القاسم عبد الله بن أحمد ابن محمود البلخى الكعبى / قطعة من (كتاب مقالات الإسلاميين) للبلخى، حققها فؤاد سيد ونشرها مع كتاب (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) للقاضى عبد الجبار / الدار التونسية للنشر، تونس / ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٤م).

٨٤- **الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة – للمراكشى (المتوفى٧٠٣هـ/١٣٠٣م) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى الأوسى /** دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٩٦٥م، (٥ أجزاء) بتحقيق د. إحسان عباس ود. محمد بن شريفة.

٨٥- **ذيول تاريخ الطبرى** – نشره محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف، القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٨٢ م.

(حرف الراء)

٨٦- **رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفا – (أربعة أجزاء فى مجلدين)** عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى، وقدم له د. طه حسين / المكتبة التجارية الكبرى، المطبعة العربية بمصر ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨م.

٨٧- **رسائل الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م)** / مكتبة الخانجى بالقاهرة، بعناية عبد السلام هارون.

٨٨- **الرسالة – للأمام الشافعى (المتوفى ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م)**: محمد بن إدريس الشافعى / بتحقيق الشيخ أحمد شاكر / دار التراث بالقاهرة / ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

٨٩- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة – للكتانى (المتوفى١٣٤٥هـ)**: الشريف محمد بن جعفر الكتانى / دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان / الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م / بعناية محمد بن محمد جعفر الكتانى.

٩٠- **الروض المعطار فى خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميرى (المتوفىحوالى٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦م)**: محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى/ تحقيق ليفى بروفنسال، لجنة التأليف والترجمة و النشر، القاهرة ١٩٣٧م.

* وطبعة أخرى بتحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

٩١- **رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم للمالكى (المتوفى بعد ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م)**: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكى / مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥١ م، بتحقيق د. حسين مؤنس.

* **وطبعة أخرى** فى مجلدين بتحقيق بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامى ١٩١٣ م.

(حرف السين)

٩٢- **السبعة فى القراءات – لابن مجاهد (المتوفى ٣٢٤ هـ/ ٩٥٣م)**: أحمد بن موسى بن العباس التميمى / حققه وقدم له د. شوقى ضيف / دار المعارف بالقاهرة / ١٩٨٠ م.

٩٣- **سراج الملوك – لأبى بكر الطُّرطُوشى (المتوفى ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م)**: محمد بن الوليد الطرطوشى الملقب بابن أبى رَنْدُقة / المطبعة التجارية بالقاهرة ١٣٥٤هـ.

٩٤- **سير أعلام النبلاء – للذهبى (المتوفى ٧٤٨ هـ/ ١٣٧٤م)**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى / مؤسسة الرسالة– بيروت، لبنان / الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م / بإشراف شعيب الأرنؤوط.

(حرف الشين)

٩٥- **شذرات الذهب فى أخبار مَن ذهب – لابن العماد الحنبلى العكبرى (المتوفى ١٠٨٩هـ)**: أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى العكبرى / دار الفكر، بيروت (أربع مجلدات).

٩٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة -لأبي القاسم اللالكائى (المتوفى ٤١٨ هـ/ ١٠٢٧م): هبة الله بن الحسن بن منصور اللالْكائى البغدادى / دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٢ هـ/ تحقيق دكتور أحمد سعد حمدان.

٩٧- شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفى الدمشقى المصرى (المتوفى٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م): على بن محمد بن أبى العز الحنفى / (تهذيب) الدكتور صلاح الصاوى/ دار الفرقان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٩٨- شرح نهج البلاغة - لابن أبى الحديد (المتوفى ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م): أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائنى / دار الكتب العربية الكبرى بالقاهرة، مصطفى البابى الحلبى وأخويه.

(حرف الصاد)

٩٩- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - للقلقشندى (المتوفى ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م): أبو العباس أحمد بن على القلقشندى / صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة / نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، ١٩٦٤ م.

١٠٠- صحيح البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى (المتوفى٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) = فتح البارى / دار الريان للتراث بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م / بعناية محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقى.

١٠١- صحيح مسلم (المتن) - لمسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (المتوفى ٢٦١ هـ/ ٨٧٤م) / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى / طبع دار أحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٥ م.

١٠٢- صحيح مسلم بشرح النووى (المتوفى ٦٧٦ هـ/١٢٧٧م): أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الحورانى / المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة/ بدون تاريخ.

١٠٣- الصلة - لابن بشكوال (المتوفى ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م): أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسى / الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م / سلسلة المكتبة الأندلسية (رقم٤).

١٠٤- صلة الصلة - لابن الزبير (المتوفى ٧٠٨هـ/ ١٢٠٨م): أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى العاصمى الغرناطى / القسم الثالث - تحقيق دكتور عبد السلام الهراس، وسعيد أعراب / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

١٠٥- صورة الأرض (المالك والممالك) – لابن حوقل (المتوفى حدود ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): أبو القاسم محمد حوقل النَّصِيبِينى البغدادى / منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان / ١٩٧٩ م.

١٠٦- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام – للسيوطى (المتوفى ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م): جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / طبعة القاهرة ١٩٦٢ م.

(حرف الطاء)

١٠٧- طبقات الأطباء والحكماء –لابن جُلْجل (المتوفى بعد ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م): أبو داود سليمان بن حيان الأندلسى المعروف بابن جلجل / حققه فؤاد سيد / مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م.

١٠٨- طبقات الأمم – لصاعد الأندلسى (المتوفى ٤٦٢ هـ/ ١٠٧٠ م): أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسى / نشره وذيله بالحواشى وأردفه بالفهارس الأب لويس شيخو اليسوعى/المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين/بيروت ١٩١٢م.

١٠٩ طبقات الحنابلة –لابن أبى يعلى: أبو الحسين محمد بن أبى يعلى / وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقى / مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢م.

١١٠- طبقات الشافعية – لابن هداية الله (المتوفى ١٠١٤هـ): أبو بكر بن هداية الله الحسينى / دار الآفاق الجديدة، بيروت / الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م/ تحقيق وتعليق عادل نويهض.

١١١- طبقات الشافعية الكبرى –للسبكى (المتوفى ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م): تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى / الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م، بتحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو.

١١٢- طبقات علماء إفريقية –لأبى العرب (المتوفى ٣٣٣هـ/٩٤٤م): محمد بن أحمد بن تميم القيروانى / دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

١١٣- طبقات فحول الشعراء –لابن سلام الجمحى (المتوفى ٢٣١هـ/ ٨٤٥م): محمد ابن سلام الجمحى/حققه الشيخ محمود شاكر / مطبعة المدنى بالقاهرة / ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

١١٤- **طبقات الفقهاء - للشيرازى (المتوفى٤٧٦ هـ/١٠٨٣م)**: أبو إسحق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى / دار الرائد العربى، بيروت ١٩٧٠ م، بتحقيق وتقديم د. إحسان عباس.

١١٥- **الطبقات الكبرى -لابن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م)**: محمد بن سعد بن منيع البصرى أبى عبد الله / ط دار صادر، بيروت ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م.

١١٦- **طبقات المفسرين - للداودى (المتوفى ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م)**: شمس الدين محمد على بن أحمد الداودى / مطبعة الاستقلال الكبرى، الناشر: مكتبة وهبة ١٩٧٢ م بتحقيق على محمد عمر.

١١٧- **طبقات النحويين واللغويين -للزبيدى (المتوفى ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩م)**: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى / بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثانية ١٩٨٤ م.

(حرف العين)

١١٨- **عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى - لابن العربى المالكى (المتوفى٥٤٣هـ / ١١٤٨م)**: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الإشبيلى / دار الوحى المحمدى، القاهرة، بدون تاريخ.

١١٩- **العقد الفريد - لابن عبد ربه (المتوفى ٣٢٨ هـ/٩٣٩م)** : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى / لجنة التأليف والترجمة و النشر بالقاهرة / ١٩٤٢.

١٢٠- **علوم الحديث - لابن الصلاح (المتوفى ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م)**: أبو عمرو عثمان ابن عبد الرحمن الشهرزورى/ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: نور الدين عتْر/ المكتبة العلمية، بيروت، لبنان / ١٤٠١ - ١٩٨١ م.

١٢١- **عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - لابن أبى أصيبعة (المتوفى ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩م)**: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الدمشقى / دار مكتبة الحياة، بيروت / شرح وتحقيق نزار رضا.

(حرف الغين)

١٢٢- **غاية النهاية فى طبقات القراء - لابن الجزرى**: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزرى / دار الكتب العلمية، بيروت / الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م.

(حرف الفاء)

١٢٣- فتح المغيث شرح ألفية الحديث (ألفية العراقى) - للسخاوى (المتوفى ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م): شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوى/ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة العاصمة بالقاهرة ١٩٦٨م.

١٢٤- الفرق بين الفرق - للبغدادى الإسفراييني (المتوفى ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م): عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الإسفراييني / حققه محمد محى الدين عبد الحميد / مكتبة دار التراث بالقاهرة / بدون تاريخ.

١٢٥- الفِصَل فى الأهواء والملل - لابن حزم الأندلسى (المتوفى ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م): أبو محمد على بن أحمدبن سعيد بن حزم الأموى الأندلسى / طبعة مصر / مكتبة السلام العالمية، ١٣٤٨ هـ.

١٢٦- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - للقاضى عبد الجبار (المتوفى٤١٥هـ/١٠٢٤م): عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذانى الاسداباذى / منشور مع كتاب (ذكر المعتزلة) للبلخى / الدار التونسية، تونس / ١٣٩٣ هـ/١٩٧٤م) بتحقيق فؤاد سيد

١٢٧- الفهرست - لابن النديم (المتوفى ٣٨٥ هـ/٩٩٥م): أبو الفرح محمد بن أبى يعقوب إسحق النديم البغدادى / دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان / ١٩٧٨ م.

١٢٨- فهرسة ابن خير الإشبيلى (المتوفى ٥٧٥هـ/١١٧٩م): أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموى الإشبيلى / منشورات المكتب التجارى (بيروت) ومكتبة المثنى ببغداد، مؤسسة الخانجى بالقاهرة، عن الأصل المطبوع فى مطبعة قومش بسرقسطة - إسبانيا سنة ١٨٩٣م / بعناية (فرنسشكه قداره زيدين).

(حرف القاف)

١٢٩- قانون التأويل - لابن العربى المالكى الأندلسى (المتوفى ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م): أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الإشبيلى الأندلسى / دار الغرب الإسلامى بيروت/ الطبعة الثانية ١٩٩٠م / دراسة وتحقيق د. محمد السليمانى.

١٣٠- قضاة قرطبة - للخشنى (المتوفى ٣٦١هـ/٩٧١م): أبو عبد الله محمد بن حارث ابن أسد القيروانى القرطبى المعروف بالخشنى/الدار المصرية للتأليف والترجمة / سلسلة تراثنا / المكتبة الأندلسية.

١٣١- قلائد العقيان فى محاسن الأعيان - للفتح بن خاقان (المتوفى٥٢٩هـ/١١٣٤م) - ط بولاق القاهرة ١٢٧٧ هـ.

(حرف الكاف)

١٣٢ - الكامل لابن الأثير (المتوفى ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م): على بن محمد بن أبى الكرم، عز الدين بن الأثير الجزرى / دار الكتب العلمية، بيروت / ١٩٨٧ م.

١٣٣- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى الحنفى المعروف - الحاج خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ): دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان - وهى طبعة بالأوفست عن طبعة حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية.

١٣٤- الكفاية فى علم الرواية - للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م): أبو بكر أحمد بن على البغدادى / مطبعة السعادة بمصر / ١٩٧٢ م.

(حرف اللام)

١٣٥- لحن العامة - لأبى بكر الزبيدى (المتوفى ٣٧٩هـ/٩٨٩م): محمد بن الحسن الزبيدى الإشبيلى الأندلسى/ القاهرة ١٩٦٤م. بتحقيق د. رمضان عبد التواب.

١٣٦- لسان الميزان - لابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢هـ/١٤٤٨) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى/منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان/الطبعة الثالثة / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣٧- المجروحين المحدثين - لابن حبان (المتوفى٣٥٤هـ/٩٦٥م): محمد بن حبان بن أحمد ابن أبى حاتم البستى/ دار الوعى، حلب/الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/ بتحقيق محمود إبراهيم زايد.

(حرف الميم)

١٣٨- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس - للنُّباهى (المتوفى حوالى ٧٩٣هـ/١٣٩٠م): أبو الحسن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى الأندلسى / المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان/ بدون تاريخ.

١٣٩- مروج الذهب - للمسعودى (المتوفى٣٤٦هـ/٩٥٧م): أبو الحسن على بن الحسين المسعودى/ دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م، بتحقيق مفيد محمد قميحة.

١٤٠- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها - للسيوطى (المتوفى ٩١١هـ/١٥٠٥م).جلال الدين عبد الرحمن السيوطى /حققه محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى البجاوى/دار التراث، القاهرة - الطبعة الثالثة - بدون تاريخ.

١٤١- المسالك والممالك - لأبى عبيد البكرى (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى / القطعة الخاصة بإفريقية والمغرب/ ط باريس ١٩١١.

١٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى (المتوفى٢٤٠هـ/٨٥٤م) دار صادر، بيروت ١٩٦٩م.

١٤٣- المعارف - لابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م): أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى / دار المعارف بالقاهرة- بدون تاريخ.

١٤٤- معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان - للدباغ (المتوفى ٦٩٦هـ/ ١٣٩٦م): أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأسيدى الدباغ/ الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، مكتبة الخانجى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٤٥- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - لعبد الواحد المراكشى (المتوفى ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م): محيى الدين أبو محمد عبد الواحد على التميمى المراكشى/ مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩.

١٤٦- المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى - لابن الأبار (المتوفى ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى.

١٤٧- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - لأبى عبيد البكرى الأندلسى (المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): عبد الله بن عبد العزيز البكرى/ لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م بتحقيق مصطفى السقا.

١٤٨- معجم الأدباء - لياقوت الحموى (المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموى الرومى البغدادى / دار المأمون بمصر، الطبعة الأخيرة ١٩٣٦م.

١٤٩- معجم البلدان - لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)/ ط دار صادر بيروت/ بدون تاريخ.

١٥٠- **معرفة علوم الحديث - للحاكم النيسابورى (المتوفى٤٠٥هـ/١٠١٤م)** : أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحاكم/ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٧م.

١٥١- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - للذهبى (المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى الدمشقى/ دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٩م/ بتحقيق محمد سيد جاد الحق.

١٥٢- **المِعيار المُعْرِب والجامع المُغْرِب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب** - للونشريشى (المتوفى٩١٤هـ/١٥٠٨م): دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م أخرجه جماعة من الباحثين إشراف محمد الحجى.

١٥٣- **المُغْرِب فى حُلَى المغْرِب - لابن سعيد الأندلسى (المتوفى ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)**: على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسى/ دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م، بتحقيق الدكتور شوقى ضيف.

١٥٤- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم - طاش كبرى زادة (المتوفى ٩٦٨هـ/١٥٦١م)**: أحمد بن مصطفى بن خليل / ط الهند، حيدر آباد الدكن ١٣٢٩هـ/وطبعة أخرى: دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٨م، مراجعة وتحقيق كامل البكرى وعبد الوهاب أبو الأنور.

١٥٥- **مقالات الإسلاميين - لأبى الحسن الأشعرى (المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤١م)**: على بن إسماعيل الأشعرى البصرى / مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٠م، مطبعة السعادة (الجزء الثانى) ١٩٥٤م، بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

١٥٦- **المقتبس من أنباء أهل الأندلس - لابن حيان الأندلسى (المتوفى ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)**: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبى:

- **قطعة تبدأ بأحداث (سنة ٢٣٢-٢٦٧هـ)** - دار الكتاب العربى، بيروت (لبنان) ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمود على مكى.
- **قطعة ثانية تضم أحداث (٢٧٥-٣٠٠هـ)** - منشورات دار الآفاق الجديدة بالمغرب، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م - تحقيق وشرح وتعليق دكتور إسماعيل العربى.
- **قطعة ثالثة تشمل أحداث (٣٠٠-٣٣٠هـ)** - نشر المعهد الإسبانى العربى للثقافة، كلية الآداب بالرباط - مدريد ١٩٧٩م- اعتنى بنشره بدرو شالميتا وحققه وضبطه ف. كورنيطى، وم. صبح وغيرهما.

• **القطعة الرابعة (أحداث ٣٦٠-٣٦٤هـ)**، طبع دار الثقافة، بيروت (لبنان) ١٩٨٣م، بتحقيق د. عبد الرحمن على الحُجّى.

١٥٧- مقدمة ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): عبد الرحمن بن محمد بن خلدون/بتحقيق وشرح د. على عبد الواحد وافى/ لجنة البيان العربى، الطبعة الثانية / ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

١٥٨- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام وحل المشكلات - لابن رشد (المتوفى ٥٢٠هـ/١١٢٦م): أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (الجد) ط القاهرة، مطبعة السعادة، الأولى ١٣٢٥هـ.

١٥٩- المُقفّى الكبير - للمقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): تقى الدين أبو العباس أحمد ابن على المقريزى/ دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م / بتحقيق محمد اليعلاوى.

١٦٠- الملل والنحل - للشهرستانى (المتوفى ٥٤٨هـ/١١٥٣م): محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى/ مطبوع على هامش (الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل) لابن حزم/ مكتبة السلام العالمية: القاهرة ١٣٤٨هـ.

١٦١- مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة - للموفق بن أحمد المكى الخوارزمى (المتوفى ٥٦٨ هـ/١٧٢٢م) مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن الهند/ ١٣٢١هـ.

١٦٢- (من نصوص) "كتاب المتين" لابن حيان الأندلسى (المتوفى ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) جمعها وترجمها عن اللغة الإسبانية وعلق عليها وقدم لها الدكتور عبد الله محمد جمال الدين - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٦٣- المنية والأمل فى شرح الملل والنحل - لابن المرتضى اليمانى (المتوفى ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م): المهدى لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى اليمانى/ دار الفكر، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٧٩م/ بتحقيق محمد جواد مشكور.

١٦٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - للمقريزى (المتوفى ٨٤٥هـ/١٤٤١م): تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى/ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة / الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

(حرف النون)

١٦٥- الناسخ والمنسوخ فى القرآن - لابن العربى المالكى الأندلسى (المتوفى ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م): أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المُعافرى الإشبيلى الأندلسى / وزارة الأوقاف بالمغرب، بتحقيق د. عبد الكبير العلوى.

١٦٦- النبات - للأصمعى (المتوفى ٢١٧هـ/٨٣٢م): عبد الملك بن قريب الأصمعى البصرى/ حققه ونشره عبد الله يوسف الغنيم، القاهرة ١٩٧٢م.

١٦٧- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - لابن تَغْرِى بَرْدى (المتوفى ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى/ وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٦٨- نزهة الألبَّاء فى طبقات الأدباء - لابن الأنبارى (المتوفى ٣٢٨هـ/٩٣٩م): أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد النحوى/ مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٩م.

١٦٩- نزهة النظر شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر - لابن حجر (المتوفى ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م): أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى/ مكتبة منارة العلماء لإحياء التراث الإسلامى، مصر، الإسماعيلية/ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٧٠- نسب قريش - لمصعب الزبيرى (المتوفى ٢٣٦هـ/٨٥٠م) / دار المعارف بالقاهرة/ الطبعة الثالثة بعناية ليفى بروفنسال.

١٧١- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - لأبى على التنوخى (المتوفى ٣٨٤هـ/٩٩٤م): المحسّن بن على التنوخى/ بيروت١٣٩١هـ-١٩٧١م بتحقيق عبود الشالجى.

١٧٢- نَفْح الطيب من غُصْن الأندلس الرَّطيب - للمقرى (المتوفى١٠٤١هـ/١٦٣٢م): أحمد بن محمد بن أحمد المقرى القرشى التلمسانى / دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - بتحقيق د. إحسان عباس.

١٧٣- نَقْط العروس فى تواريخ الخلفاء - لابن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): منشور بتحقيق الدكتور شوقى ضيف بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة/ المجلد (١٣) - الجزء الثانى ١٩٥١م.

١٧٤- النُّكَت فى إعجاز القرآن - للرَّمانى (المتوفى٣٨٤هـ/٩٩٤م): على بن عيسى بن على بن عبد الله البغدادى/ تحقيق دكتور زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد/ دار المعارف بالقاهرة، مع رسائل أخرى فى إعجاز القرآن للخطَّابى والجرجانى.

١٧٥- النهاية فى غريب الحديث - لابن الأثير (المتوفى٦٠٦هـ/١٢٠٩م): مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى بن الأثير/ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه / الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م/ بتحقيق محمود محمد الطناحى، طاهر أحمد الزاوى.

١٧٦- نيل الابتهاج بتطريز الديباج - للتُّنبكتى أبى العباس أحمد بن أحمد بن عمر المعروف بـ (بابا التنبكتى) - مطبوع على هامش (الديباج المذهب) لابن فرحون المالكى/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/ بدون تاريخ.

(حرف الواو)

١٧٧- الوافى بالوفيات - للصَّفَدى (المتوفى ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى/ دار نشر فرانز شتايز، فيسباون/ ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م/ بعناية هلموت ريتر.

١٧٨- الوزراء والكتاب - للجهشيارى (المتوفى ٣٣١هـ/٩٤٢م): أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى / شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة / الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م/ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(حرف الهاء)

١٧٩- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادى / ط استنبول ١٩٥٥م.

١٨٠- وفيات الأعيان - لابن خلكان (المتوفى ٦٨١هـ/١٢٨٧ م): أبو العباس شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن خلكان/ دار صادر، بيروت ١٩٦٨م - بتحقيق د. إحسان عباس.

(حرف الياء)

١٨١- يتيمة الدهر - للثعالبى (المتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى/ دار الكتب العلمية، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٨٣م/ بتحقيق محمد مفيد قميحة.

***

رابعاً: المراجع الحديثة:

(حرف الألف)

١٨٢- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - للدكتور عمار الطالبي / طبعة الجزائر.

١٨٣- **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**- للدكتور السيد محمد أبو العزم داود/ ط المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، المعابدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٨٤- **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية** - دراسة من إعداد نخبة من الباحثين المصريين، بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية، بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم (اليونسكو) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٧م.

١٨٥- **أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك** - للدكتور على عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٨٦- **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري** - للدكتور محمد مصطفى هدارة/ دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثانية / ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٨٧- **الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية** - محمد حسن هيتو / مؤسسة الرسالة، بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٨٨- **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة** - للدكتور أحمد هيكل / دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثامنة ١٩٨٢م.

١٨٩- **الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه**- للدكتور مصطفى الشكعة/ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان/ الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.

١٩٠- **أدباء بغداديون في الأندلس** - للدكتور محمد جمال الدين / ط بغداد ١٩٦٢م.

١٩١- **أدب الرحلات**- للدكتور حسين محمد فهيم/ سلسلة عالم المعرفة (رقم ١٣٨)/ المجلس الأعلى للثقافة بالكويت.

١٩٢- **أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري** - للدكتور عبد الحكيم بلبع/ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة / الطبعة الثالثة/ بدون تاريخ.

١٩٣- **إسحق الموصلي الموسيقار النديم** - للدكتور محمود أحمد حفني/ مكتبة مصر ١٩٦٤ م - سلسلة أعلام العرب.

١٩٤- **الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير** - للدكتور محمد محمد أبو شهبة/ سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الرابعة عشرة - الكتاب الرابع ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٩٥- **الإسلام فى إسبانيا**- للدكتور لطفى عبد البديع/ مكتبة النهضة المصرية/ الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

١٩٦- **إسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة** - للدكتور على عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٧- **إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات**- للدكتور على عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان/ الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٩٨- **أشهر المغنّين عند العرب**- شيخان / ط بيروت ١٩٦٢م.

١٩٩- **أصول التخريج ودراسة الأسانيد** - للدكتور محمود الطحان / دار الكتب السلفية بالقاهرة/ بدون تاريخ.

٢٠٠- **أصول العقيدة الإسلامية** - للدكتور عبد المقصود عبد المغنى/ مكتبة الزهراء بالقاهرة/ ١٤٠٦هـ.

٢٠١- **الأعلام (قاموس تراجم)** - لخير الدين الزركلى - الطبعة الثانية [بدون تاريخ] - والطبعة السادسة ١٩٨٤م (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان).

٢٠٢- **أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى** - للدكتور جمال الدين الشيال - دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م.

٢٠٣- **أعلام الجغرافيين العرب**- عبد الرحمن حميدة / دمشق ١٩٨٠م.

٢٠٤- **أعلام العرب فى الكيمياء**- للدكتور فاضل أحمد الطائى/ دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق/ ١٩٨١م.

٢٠٥- **أعلام العرب والمسلمين فى الطب**- للدكتور على عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان/ الطبعة الرابعة/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٠٦- **الإمام مالك: حياته وآراؤه وفقهه**- للدكتور محمود عبد المتجلى خليفة/ سلسلة هدية مجلة الأزهر - عدد شهر ذى القعدة ١٤١٣هـ.

٢٠٧- **الإمام مسلم بن الحجاج حياته وصحيحه**- محمود فاخورى/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٠٨- **انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى المغرب** - للدكتور محمد سويسى/المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات "بيت الحكمة" - تونس.

٢٠٩- **الأندلس فى التاريخ** - للدكتور شاكر مصطفى/ منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٠م.

٢١٠- **الأندلس والناصر**- على محمد راضى/ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة/ مايو ١٩٦٧م.

٢١١- **أندلسيات**- للدكتور محمد عبد الله عنان/ سلسلة كتاب العربى - الكويت/ الكتاب العشرون ١٩٨٨م.

٢١٢- **أوضح المسالك إلى موطأ مالك** - محمد زكريا الكاندهلوى/ مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(حرف الباء)

٢١٣- **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير** - الشيخ أحمد محمد شاكر/ دار التراث بالقاهرة/ الطبعة الثالثة / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١٤- **بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب**- للدكتور عبد العزيز الدورى/ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠.

٢١٥- **بغداد فى عهد الخلافة العباسية** - تاليف غى لسترانج، ترجمه عن الإنجليزية وعلق عليه بشير يوسف فرنسيس / المطبعة العربية ببغداد، الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م.

٢١٦- (أبو) **بكر الصولى العالم الأديب النديم** - للأستاذ أحمد جمال العمرى/ سلسلة أعلام العرب (رقم ١٠١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

٢١٧- **بلاغة العرب فى الأندلس**- أحمد ضيف/ مطبعة مصر/ الطبعة الأولى / ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

٢١٨- **البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها، مناهجها** - للدكتور على عشرى زايد/ مكتبة الشباب بالقاهرة/ ١٩٨٢م.

٢١٩- **البلاغة العربية: تطور وتاريخ** - للدكتور شوقى ضيف / دار المعارف بالقاهرة - الطبعة السادسة.

٢٢٠- **بيت الحكمة فى عصر العباسيين** - للدكتور خضر أحمد عطا الله/ دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٢٢١- **البيان العربى**- للدكتور بدوى طبانة/ مكتبة الأنجلو المصرية/ الطبعة الرابعة ١٩٦٨م.

(حرف التاء)

٢٢٢- **تاريخ آداب اللغة العربية**- جورج زيدان/ مطبعة الهلال بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٩٣٦م.

٢٢٣- **تاريخ الأدب الأندلسى "عصر سيادة قرطبة"** - للدكتور إحسان عباس/ دار الثقافة، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٢٤- **تاريخ الأدب الجغرافى العربى**- كراتشكوفسكى/ ونقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم/ طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م.

٢٢٥ -**تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان**- ط دار المعارف بالقاهرة (فى ستة أجزاء).

٢٢٦- **التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة** - للدكتور عبد الرحمن الحجى - دار الاعتصام،القاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٢٧- **تاريخ البيمارستانات فى الإسلام** - للدكتور أحمد عيسى / طبع دمشق ١٩٣٩م.

٢٢٨- **تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى**- للدكتور على حمودة / الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، مطابع دار الكتاب العربى، القاهرة.

٢٢٩- **التاريخ الأندلسى: تدوينه ومروياته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى** - للدكتور عبد الله جمال الدين/ مطبعة الصحابة، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٣٠- **تاريخ التراث العربى**- فؤاد سزكين/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة / نشر على فترات مختلفة.

٢٣١- **تاريخ التشريع الإسلامى**- محمد الخضرى/ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه/ ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م.

٢٣٢- **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى** - للدكتور منير الدين أحمد، قام بالترجمة والتلخيص والتعليق د. سامى الصقار/ دار المريخ، الرياض، ١٩٨١م/١٤٠١هـ.

٢٣٣- **تاريخ التعليم فى الأندلس**- للدكتور محمد عبد الحميد عيسى/ دار الفكر العربى، القاهرة/ الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٢٣٤- **تاريخ التمدن الإسلامى (الجزء الثالث)**- جورجى زيدان/ دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٨م.

٢٣٥- **تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس "بحث فى الملكة العلمية العربية عن طريق تاريخ علم واحد فى بلد عربي واحد"** للدكتور حسين مؤنس/ مكتبة مدبولى بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

٢٣٦- **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى** - للدكتور أبو زيد شلبى/ مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٩٨٨م.

٢٣٧- **التاريخ السياسى للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى**- للدكتور عبد الرحمن سالم/دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

٢٣٨- **تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الهجرى** - نجيب محمد البهبيتى/ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

٢٣٩- **تاريخ الشعر فى العصر العباسى**- للدكتور يوسف خليف / مطبعة دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨١م.

٢٤٠- **تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط** - جورج قنواتى / دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩م.

٢٤١- **تاريخ صقلية الإسلامية** - للدكتور عزيز أحمد نقله إلى العربية وقدم له مع إضافة حواشٍ وتعليقات مناسبة: للدكتور أمين توفيق الطيبى/ الدار العربية للكتاب ١٩٨٠م.

٢٤٢ - **تاريخ الطب فى الإسلام** - للدكتور - أحمد شلبى / سلسلة (المكتبة الإسلامية لكل الأعمار) (رقم ٥٣) - مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٧م.

٢٤٣- **تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية** - للدكتور فرج الهونى/ دار الكتب الوطنية - بنغازى/ الطبعة الأولى / ١٣٩٥هـ - ١٩٨٦م.

٢٤٤- **التاريخ العربى والمؤرخون** - للدكتور شاكر مصطفى / دار العلم للملايين، بيروت/ الطبعة الولى ١٩٧٨م.

٢٤٥- **التاريخ والمؤرخون العرب** - للدكتور السيد عبد العزيز سالم/ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧م.

٢٤٦- **تاريخ علماء المستنصرية** للدكتور ناجى معروف/ دار الشعب بالقاهرة/ الطبعة الثالثة / ساعد على طبعه جامعة بغداد.

٢٤٧- **تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه**- عبد الحليم منتصر / ط القاهرة ١٩٨٠ م.

٢٤٨- **تاريخ الفقه الإسلامى (دعوة قوية لتجديده بالرجوع لمصادره الأولى)** - للدكتور محمد يوسف موسى/ دار الكتب الحديثة بالقاهرة/ ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

٢٤٩- **تاريخ الفكر الأندلسى**- آنخل جنثالث بالنثيا/ نقله عن الإسبانية الدكتور حسين مؤنس / مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة /١٩٥٥م.

٢٥٠- **تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون** - عمر فروخ/ بيروت، الطبعة الولى ١٩٦٢ م.

٢٥١- **تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب** - محمد لطفى جمعة / مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م.

٢٥٢-**تاريخ الفلسفة الإسلامية** - هنرى كوربان / منشورات عويدات، بيروت، باريس/ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م/ ترجمة نصير مرّوة، وحسن قبيسى.

٢٥٣- **تاريخ الفلسفة فى الإسلام** - ت. ج. دى بور De Boer / نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

٢٥٤ - **تاريخ فنون الحديث النبوى**- محمد عبد العزيز الخولى/ حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط ومحمد بدر الدين القهوجى - وقدم له: عبد القادر الأرناؤوط/ دار ابن كثير، دمشق / الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥٥- **تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الخامس الهجرى** - للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف/ توزيع المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٥٦- **تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** - الشيخ محمد أبو زهرة / دار الفكر العربى، القاهرة/ بدون تاريخ.

٢٥٧- **تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة)**- للدكتور السيد عبد العزيز سالم / مؤسسة شباب الجامعة - للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٦١م.

٢٥٨- **تاريخ المناهج الإسلامية (الجزء الأول من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية / عشرة أجزاء)**- للدكتور أحمد شلبى / دار النهضة المصرية/ الطبعة الثالثة ١٩٨٤م..

٢٥٩- **تاريخ الموسيقى الأندلسية: أصولها، تطورها، أثرها على الموسيقى الأوربية** - للدكتور عبد الرحمن الحجى / دار الإرشاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان/ الطبعة الأولى / ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٢٦٠- **تاريخ الموسيقى العربية**- فارمر / ترجمة حسين نصار، ومراجعة عبد العزيز الأهوانى.

٢٦١ - **تاريخ النصارى فى الأندلس** - للدكتور عبادة كُحيلة/ المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢٦٢- **تاريخ النقد الأدبى عند العرب**- للدكتور إحسان عباس/ دار الثقافة، بيروت/ الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٦٣- **تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس**- للدكتور محمد رضوان الداية/ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٦٤- **تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى**- للدكتور محمد زغلول سلام.

٢٦٥- **التاريخ والجغرافيا فى العصور الإسلامية** - عمر رضا كحالة/ المطبعة التعاونية بدمشق/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٢٦٦- **تراث الإسلام** - تأليف شاخت، وبوزورث، ترجمة د. حسين مؤنس، وإحسان صدقى العمد، ومراجعة د. فؤاد زكريا/ سلسلة عالم المعرفة - الكويت / رقم (١٢) - الجزء الثانى، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٦٧- **تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك**- قدرى حافظ طوقان / ط القاهرة ١٩٥٤م.

٢٦٧- **التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة- للدكتور أحمد فؤاد باشا/ دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.**

٢٦٨- **التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية** - دراسة لكبار المستشرقين / ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية: الدكتور عبد الرحمن بدوى / دار القلم، بيروت، لبنان/ الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.

٢٦٩- **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية** - محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠.

٢٧٠- **التربية الإسلامية فى الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** - خوليان ريبيرا/ ترجمه إلى العربية نقلاً عن الإسبانية الدكتور الطاهر أحمد مكى/ دار المعارف بالقاهرة.

٢٧١- **التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى** - حسن عبد العال/ دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٧٢- **التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى (الجزء الخامس) من موسوعة الحضارة الإسلامية** - للدكتور أحمد شلبى/ مكتبة النهضة المصرية/ الطبعة العاشرة ١٩٩٤م.

٢٧٣- **التفسير ورجاله** - محمد الفاضل عاشور/ سلسلة البحوث الإسلامية التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر/ السنة الثانية - الكتاب رقم (١٣)/ ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

٢٧٤- **التفسير والمفسرون** - للدكتور محمد حسين الذهبى/دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦١-١٩٦٢م (٣ أجزاء).

٢٧٥- **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**- مصطفى عبد الرازق/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة/ ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م.

٢٧٦- **تهذيب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى**- هذبه الدكتور محمد صلاح الصاوى / دار الفرقان بالقاهرة/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٧٧- **تيسير مصطلح الحديث**- للدكتور محمود الطحان/ مكتبة المعارف بالرياض/ الطبعة السابعة / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(حرف الجيم)

٢٧٨- **جابر بن حيان وخلفاؤه**- محمد محمد فياض/ القاهرة، دار المعارف ١٩٥٠م.

٢٧٩- **جهود المسلمين فى الجغرافيا**- نفيس أحمد/ ترجمة فتحى عثمان / دار القلم - دمشق/ بدون تاريخ.

٢٨٠- **الجيولوجيا عند العرب** - عدنان النقاش/ سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد (٢٤٧)/ دار الشئون الثقافية العامة ببغداد.

(حرف الحاء)

٢٨١- **حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة** - رشيد حميد حسن الجميلى/ ط الجماهيرية العربية الليبية - طرابلس/ الطبعة الأولى/ ١٣٩١هـ - ١٩٨٢م.

٢٨٢- **الحركة اللغوية فى الأندلس منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر ملوك الطوائف** - إلبير حبيب مطلق/ المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - ١٩٦٧م.

٢٨٣- (ابن) **حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى** -للدكتور عبد الحليم عويس/ مكتبة الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٢٨٤- (أبو) **الحسن الأشعرى** - للدكتور حمودة غراب/ مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

٢٨٥- **الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث** - جلال مظهر/ مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٨٦- **الحضارة الإسلامية فى الأندلس: أسسها، ميادينها، تأثيرها على الحضارة الأوربية** - للدكتور عبد الرحمن الحجى/ دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ الطبعة الأولى/ ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٢٨٧- **الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)** - للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد/ دار الفكر العربى بالقاهرة / الطبعة الأولى / ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٨٨- **الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى** - آدم متز/ ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبى ريدة/ مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٦٧م، الطبعة الثانية.

٢٨٩- **حضارة العراق** - موسوعة من تأليف نخبة من الباحثين العراقيين/ الجزء السابع، والجزء الثامن/ بغداد ١٩٨٥م.

٢٩٠- **الحضارة العربية فى إسبانيا** - ليفى بروفنسال / ترجمه عن الإسبانية إلى العربية: الدكتور الطاهر أحمد مكى/ دار المعارف بالقاهرة/ الطبعة الأولى / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- واعتمدنا على ترجمة أخرى لـ (ذوقان قرقوط) بعنوان: " حضارة العرب فى الأندلس" / طبعة بيروت.

٢٩١- **الحياة الثقافية فى العالم العربى فى القرنين الأول والثانى للهجرة** - عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح (الجزء الأول)/ دار رياض الصالحين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/ الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

(حرف الخاء)

٢٩٢- **خطط بغداد فى العهود العباسية الأولى** - للدكتور يعقوب ليسنر/ ترجمة دكتور صالح أحمد العلى/ مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٤م.

٢٩٣- **خطوات التفسير البيانى للقرآن الكريم** - للدكتور محمد رجب البيومى/ سلسلة البحوث الإسلامية التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - السنة الثالثة - الكتاب رقم (٤٢) / ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٩٤- **الخطيب البغدادى مؤرخ العراق ومحدثها**- للدكتور يوسف العش/ طبعة دمشق ١٣٦٤هـ.

٢٩٥- **خليفة بن خياط** - للدكتور فاروق عمر فوزى/ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد/ الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(حرف الدال)

٢٩٦- **دراسات تاريخية** - للدكتور أكرم ضياء العمرى / ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ الطبعة الأولى / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩٧- **دراسات من المؤرخين العرب** - مرجليوث - / ترجمة حسين نصار/ دار الثقافة، بيروت / ١٩٢٩م.

٢٩٨- **دراسات فى التراث الجغرافى العربى** - للدكتور صباح محمود محمد /منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، سلسلة دراسات (رقم ٢٥٢) - ١٩٨١م.

٢٩٩ - **دراسات فى الحديث النبوى** -للدكتور محمد مصطفى الأعظمى/ شركة الطباعة السعودية / الطبعة الثالثة ١٩٨١م.

٣٠٠- **دراسة فى مصادر الأدب** - للدكتور الطاهر أحمد مكى / دار المعارف بالقاهرة / الطبعة السابعة ١٩٩٣م.

٣٠١- **دروس فى تاريخ الفلسفة** - للدكتور إبراهيم مدكور، والأستاذ يوسف كرم / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٤م.

٣٠٢- **الدور العربى فى التراث العالمى** - محمد شاكر مشعل/ القاهرة ١٩٨٣م.

(حرف الزاى)

٣٠٣- **زرياب** – للدكتور محمود أحمد الحفنى/

٣٠٤- **الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى** – للدكتور محمد بركات البيلى / دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٩٣م.

(حرف الشين)

٣٠٥- **شجرة النور الزكية** – لمحمد مخلوف/

٣٠٦- **الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف** – هنرى بيريس/ ترجمه عن الإسبانية الدكتور الطاهر أحمد مكى/ دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٠٧- **الشعر العباسى: تطوره وقيمه الفنية** – للدكتور محمد أبو الأنوار/ مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٣م.

٣٠٨- **الشعر العربى فى الأندلس** – المستشرق الروسى: كراتشكوفسكى – ترجمة: محمد منير مرسى، تقديم د. أحمد هيكل/ مكتبة عالم الكتب، القاهرة ١٩٧١م.

٣٠٩- **الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى** – أحمد عبد الستار الجوارى / وزارة المعارف العراقية، بغداد ١٩٥٦م.

٣١٠- **شمس العرب تسطع على الغرب** – زيغريد هونكه/ نقله إلى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقى، بيروت ١٩٨١م.

٣١١- **شيوخ العصر فى الأندلس** – للدكتور حسين مؤنس/ الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٥م (سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٤٦).

(حرف الصاد والضاد)

٣١٢- **صراع الحضارات فى القرن الحادى والعشرين، ودور الحضارة الإسلامية فى هذا الصراع** – للدكتور أحمد شلبى/مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣١٣- **ضحى الإسلام** – أحمد أمين / مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة/الطبعة العاشرة.

٣١٤-**الطبرى السيرة والتاريخ** – للدكتور عبد الرحمن حسين العزاوى/دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام – بغداد/ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

(حرف الطاء)

٣١٥- **الطبرى مفسراً وفقيهاً ومؤرخاً** - للدكتور أحمد محمد الحوفى/سلسلة أعلام العرب (رقم١٣)/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر / ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٣١٦- **الطب عند العرب** - للدكتور أحمد شوكت الشطى/مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة / بدون تاريخ.

٣١٧- **الطب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية** - للدكتور محمود دياب / مكتبة الأنجلو المصرية / بدون تاريخ.

٣١٨- **الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية** - للدكتور محمد العربى الخطابى/دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان/الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(حرف العين)

٣١٩- **العالم الإسلامى** - لعمر رضا كحالة/جزآن - المطبعة الهاشمية بدمشق الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

٣٢٠- **(ابن) عبد ربه وعقْده** - للأستاذ جبرائيل جبور/ ط بيروت ١٩٣٣م.

٣٢١- **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف** - للدكتور رجب محمد عبد الحليم / دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصرى (بالقاهرة)، ودار الكتاب اللبنانى (بيروت) - ١٩٨٥م.

٣٢٢- **العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى (عرضٌ للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين فى مجالات السلم والحرب)** - للدكتور أحمد شلبى - الجزء التاسع من موسوعته "الحضارة الإسلامية" - مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٨٧م.

٣٢٣- **علم التاريخ عند المسلمين** - فرانز روزنثال / بعناية الدكتور أحمد صالح العلى/ مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين، بغداد / ١٩٦٣م.

٣٢٤- **علم الطبيعة: نشوؤه ورُقيُّه وتقدُّمه الحديث** - مصطفى نظيف / طبعة القاهرة ١٩٢٧م.

٣٢٥- **العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى** - ألدوميلى Aldo Miili/ نقله إلى العربية دكتور عبد الحليم النجار، دكتور محمد يوسف موسى/دار القلم/الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

٣٢٦- **علم الفلك: تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى**/ كرلونلّينو/مكتبة المثنى ببغداد ١٩١١م.

٣٢٧- **علم الفيزياء عند العرب** - للدكتور أحمد سعيد الدمرداش/دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة، تونس ١٩٩٤م.

٣٢٨- **علم الكيمياء والصيدلة عند العرب** - للدكتور فاضل أحمد الطائى/ دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة، تونس ١٩٩٤م.

٣٢٩- **علم النبات عند العرب** - للدكتور عبد السلام محمد النويهى / دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة، تونس ١٩٩٤م.

٣٣٠- **العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية** - للدكتور على عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة، بيروت/، لبنان/الطبعة الثانية / ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٣١- **علوم الحديث ومصطلحه: عرض ودراسة** - للدكتور صبحى صالح / دار العلم للملايين، بيروت، لبنان/الطبعة الثانية عشر ١٩٨١م.

٣٣٢- **العلوم العلمية فى العصور الإسلامية**/ عمر رضا كحالة/ المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٣٣٣- **العلوم عند العرب** - قدرى حافظ طوقان / مكتبة مصر، ١٩٧٩م.

٣٣٤- **علوم القرآن** - للدكتور أحمد السيد الكومى، الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم/ مطبعة السعادة بمصر / الطبعة الثالثة / ١٣٩٢هـ - ١٩٧٦م.

(حرف الفاء)

٣٣٥- **فجر الإسلام** - أحمد أمين / مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الرابعة عشر.

٣٣٦- **فضل الإسلام على الحضارة الغربية** - تأليف مونتجمرى وات/ترجمة حسين أحمد أمين - دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٣٧- **فضل العرب على الحضارة الأوربية** - الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور /مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة ١٩٥٧م.

٣٣٨- **الفقه الإسلامى: نشأته وتطوره** - الشيخ جاد الحق على جاد الحق/ ط معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٣٩- **الفكر الإسلامى منابعه وآثاره** - شريف. م. / ترجمه وعلق عليه دكتور أحمد شلبى / مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢م.

٣٤٠- **الفكر الفلسفى فى الإسلام** - لدكتور عبد اللطيف محمد العبد/ دار الثقافة العربية بالقاهرة/الطبعة الأولى/ ١٤٠٦خ - ١٩٨٦م.

٣٤١- **الفكر المنهجى عند المحدثين** - للدكتور همام عبد الرحيم سعيد/ سلسلة كتاب "الأمة" (رقم ١٦)/ رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٤٢- **الفلسفة الإسلامية فى المغرب** - للدكتور محمد غلاب / القاهرة ١٩٤٨م.

٣٤٣- **الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا** - للدكتور حامد طاهر/ دار الثقافة العربية، القاهرة / ١٩٩١م.

٣٤٤- **الفن العربى فى إسبانيا وصقلية** - تأليف فون شاك/ ترجمه الدكتور الطاهر أحمد مكى/ دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٣٤٥- **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى** - للدكتور شوقى ضيف / دار المعارف، القاهرة / الطبعة العاشرة.

٣٤٦- **الفن ومذاهبه فى النثر العربى** - للدكتور شوقى ضيف / دار المعارف، القاهرة / الطبعة العاشرة.

٣٤٧- **الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس** - للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق/ دار الثقافة، بيروت - بدون تاريخ.

٣٤٨- **فى رحاب السنة: الكتب الصحاح الستة** - للدكتور محمد محمد أبو شهبة / سلسلة البحوث الإسلامية التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - السنة السادسة والعشرون / الكتاب الثالث ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٤٩- **فى الرياضيات وفلسفتها عند العرب** - للدكتور رشدى راشد ترجمة وتقديم ودراسة دكتوره يمنى طريف الخولى/ دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩٤م.

٣٥٠- **فى علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين (الجزء الأول: المعتزلة)** - للدكتور أحمد محمود صبحى/ مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية/ الطبعة الرابعة ١٩٨٢م.

٣٥١- **فى الفلسفة: دراسة ونصوص** - للدكتور كمال جعفر/ مكتبة دار العلوم، القاهرة ١٩٧٦م.

٣٥٢- **فى الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق** - للدكتور إبراهيم مدكور.

(حرف القاف)

٣٥٣- القرآن وعلومه فى مصر (٢٠-٣٥٨هـ) - للدكتور عبد الله خورشيد البرى/ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٥٤- قرطبة الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) - للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف/ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

٣٥٥- قصة الحضارة - ول ديورانت/ المجلد الرابع - الجزء الثانى/ الكتاب رقم (١٣)- ترجمة محمد بدران/ ط الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية / الطبعة الثالثة ١٩٧٤م.

٣٥٦- قضايا ومواقف فى التراث البلاغى - للدكتور عبد الواحد علام/ مكتبة الشباب بالقاهرة / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٥٧- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - جمال الدين القاسمى /مطبعة ابن زيدون - دمشق / ١٣٥٣هـ - ١٩٢٥م.

(حرف الكاف)

٣٥٨- الكافى من تاريخ العلوم عند العرب - بهزاد جابر / دار مصباح الفكر، بيروت/ ١٩٨٦م.

(حرف الميم)

٣٦٠- مباحث فى علوم التفسير - للدكتور صبحى الصالح / مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٥٨

٣٦١- المختصر الوجيز فى علوم الحديث - للدكتور محمد عجاج الخطيب / مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٦٢- المدارس النحوية - للدكتور شوقى ضيف/ دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الخامسة.

٣٦٣- المدخل إلى التفسير الموضوعى - للدكتور عبد الفتاح فتح الله سعيد/ دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٦٤- المدخل إلى دراسة علم الكلام - للدكتور حسن محمود الشافعى/ مكتبة وهبة القاهرة / الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٦٥- المدخل إلى التعريف بالفقه الإسلامى وتاريخه وأسسه وخصائصه ومصادره للدكتور عبد المجيد محمود مطلوب/ دار النهضة العربية بالقاهرة / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٦٦- **المدخل لدراسة القرآن الكريم** - للدكتور محمد محمد أبو شهبة/ مكتبة السنة بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٦٧- **المدخل للفقه الإسلامى (تاريخ التشريع الإسلامى)** - للدكتور حسن محمد سفر/ دار النوابغ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية/ الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٣٦٨- **المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابى** - للدكتور حامد طاهر/ القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٦٩- **مراقى الإيمان فى علوم القرآن** - للدكتور على محمد نصر / مطبعة الأمانة بالقاهرة/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٧٠- **مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب** - أوليرى/نقله إلى العربية دكتور تمام حسان/ مكتبة الإنجلو المصرية - ١٩٥٧م.

٣٧١- **مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى** - لعبد الله يوسف الغنيم/ مكتبة ذات السلاسل، الكويت ١٩٧٤م.

٣٧٢- **مصطلحات بلاغية** - للدكتور أحمد مطلوب / مطبعة العانى - بغداد /١٩٧٢م.

٣٧٣- **المعتزلة** - زهدى حسن جار الله/مطبعة مصر ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

٣٧٤- **المستشرقون (الجزء الأول)** - نجيب العقيقى/ دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.

٣٧٥- **المسعودى** - للدكتور على حسنى الخربوطلى/ دار المعارف، القاهرة / الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٣٧٦- **مع شعراء الأندلس والمتنبى** - إميليوغرسيه غومث/ ترجمة د. الطاهر أحمد مكى/ دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٧٧- **المعجم العربى نشأته وتطوره** - للدكتور حسين نصار/ مكتبة مصر بالقاهرة/ الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٧٨- **معجم المؤلفين** - عمر رضا كحالة / مكتبة المثنى، بيروت - دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٣٧٩- **(مقدمة تحقيق) كتاب إعجاز القرآن** للباقلانى (المتوفى ٤٠٣هـ/١٠١٢م) للأستاذ أحمد صقر/ دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الخامسة.

٣٨٠- **ملحمة السِّيد** / تقديم ودراسة وترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى/ دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٣٨١- **مناهج التشريع الإسلامى فى القرن الثانى الهجرى** - للدكتور محمد بلتاجى/ لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود/ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٣٨٢- **منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم** - للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد/ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة / ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٨٣- **منهج علماء الحديث والسنة فى أصول الدين (علم الكلام)** - للدكتور مصطفى حلمى، دارالدعوة للطباعة والنشر بالقاهرة / الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٨٤- **الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب** - محمد كامل حسين/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ليبيا / بدون تاريخ.

٣٨٥- **الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب** - محمد عبد الرحمن مرحبا/ بيروت، لبنان ١٩٧٩م، ١٩٨١م.

٣٨٦- **المنهل فى علوم الحديث** - محمد عبد العظيم الزرقانى/ ط القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

٣٨٧- **موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد** - للدكتور أكرم ضياء العمرى / دار القلم (دمشق، بيروت) / الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٨٨- **الموجز فى التراث العلمى العربى الإسلامى** - للدكتور على عبد الله الدفاع/ الناشر: جون وايلى وأولاده - نيويورك، شيشستر ١٩٧٩م.

٣٨٩- **الموسيقى الكبير للفارابى** - للدكتور محمود أحمد حفنى/ بحث منشور ضمن سلسلة تراث الإنسانية التى تصدر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

(حرف النون)

٣٩٠- **النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى** - زكى مبارك/ مطبعة دار الكتب المصرية / الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.

٣٩١- **النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه** - للدكتور عبد الحكيم بلبع/لجنة البيان العربى، مؤسسة عربية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة / ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٣٩٢- **نشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس**/ للدكتور عبد الواحد ذنون طه / وزارة الثقافة والإعلام - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد/ الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٣٩٣- نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره - للدكتور محمد على السايس / سلسلة البحوث الإسلامية التى تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر/ الكتاب التاسع - شوال ١٣٨٩هـ، يناير ١٩٧٠م.

٣٩٤- نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - للدكتور على سامى النشار/دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثامنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(حرف الواو)

٣٩٥- الوجيز فى أصول الفقه - للدكتور عبد الكريم زيدان/ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان/ الطبعة السادسة ١٩٨٧م.

(حرف الياء)

٣٩٦- اليعقوبى - للدكتور خالص الأشعب / دار الشؤون الثقافية العامة، التابعة لوزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٨م.

٣٩٧- اليعقوبى المؤرخ والجغرافى - ياسين إبراهيم الجعفرى/ ط بغداد ١٩٨٠م.

٣٩٨- اليهود فى الأندلس - محمد بحر عبد الحميد / الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٠م.

***

خامسا البحوث المنشورة فى الدوريات العلمية المتخصصة:

(حرف الألف)

٣٩٩- أثر الأندلس على أوربا فى مجال النغم والإيقاع - للدكتور عباس الجرارى - مجلة عالم الفكر، المجلد الثانى عشر، العدد الأول (عدد خاص عن حضارة الأندلس) - ١٩٨١م.

٤٠٠- أثر زرياب وأسرته البغدادية فى الأندلس - للدكتور محسن جمال الدين/ مجلة التراث الشعبى - وزارة الثقافة والإعلام بالعراق - العدد الفصلى الثالث - ربيع ١٩٨٧ (ص١٠٤ - ١١٨).

٤٠١- أرجوزة فى أسباب الحميات لابن سينا - تحقيق الدكتور داود مزبان الثامرى/مجلة المورد - المجلد الرابع عشر - العدد الرابع ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م - (ص ٢٤٣ - ٢٦٦).

٤٠٢- **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام** - للأستاذ رامون منندث بيدال/ ترجمة الأستاذ لطفى عبد البديع/ مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - السنة الأولى، العدد الأول ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م. (ص ١ - ٢٤).

٤٠٣- **استكمال عبد الرحمن الأوسط لأسس الحضارة الأندلسية** - للدكتور شوقى ضيف/ مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة - الجزء الخامس والستون - ربيع ١٤٠٩ هـ/ نوفمبر ١٩٨٩م (ص ٧٨- ٨٨).

٤٠٤- **الإسلام فى أرض الأندلس** - للدكتور أحمد مختار العبادى/ مجلة (المختار من عالم الفكر) التى تصدر عن مجلة (عالم الفكر) - عدد خاص - العدد الأول ١٩٨٤م.

٤٠٥- **الاصطرلاب طرق وأساليب رسمه وصنعته** - للدكتور إبراهيم شوكة/ مجلة المجمع العلمى العراقى - المجلد التاسع عشر - ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م (ص ٣ - ٣٧).

٤٠٦- **أصول عراقية فى الأدب الأندلسى** - للأستاذ أحمد حاجم الربيعى/مجلة آفاق عربية - بغداد - العدد الثانى - السنة الثانية عشرة ١٩٨٧) (ص ٦٤ - ٧٥).

٤٠٧- **أضواء على النشاط العلمى فى الأندلس** - للدكتور محمد أحمد أبو الفضل / من بحوث ندوة (الأندلس: الدرس والتاريخ) - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية ورابطة الجامعات الإسلامية (٢ - ٤ ذو القعدة ١٤١٤هـ/ ١٣ - ١٥ إبريل ١٩٩٤م) دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ص ٤٢١ - وما بعدها.

٤٠٨- **أقدم مخطوط وصل إلينا عن بلاد العرب** - محمد رضا الشبيبى / مجلة المجمع العلمى العراقى -المجلد الأول - السنة الأولى ١٩٥٠م - ١٣٦٩هـ (ص ٣٩-٤٥).

٤٠٩- **ألفونصو (ألفونسو) الحكيم ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية** - للأستاذ محمد المكى الناصرى - مجلة أكاديمية المملكة المغربية - العدد التاسع (١٩٩٢م) - (ص ١٥-٢٤).

٤١٠- **الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ومسنده** - أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الصوبان/ مجلة البحوث الإسلامية التى تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض - العدد الخامس والعشرون (رجب، شعبان، رمضان، شوال ١٤٠٩هـ).

٤١١- **الإمام أحمد والمسند** - للدكتور على محمد حجّار/ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر - العدد الأول ١٩٨٠م (ص ٢٧٣- ٢٩٣).

٤١٢- **إنجازات علماء الأندلس فى مجال الجغرافيا** - للدكتور عبد الرحمن حميدة/ ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) المنعقدة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز العامة بالرياض بتاريخ ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ/٣٠/١٠ - ١٩٩٣/١١/٣م - الجلسة رقم (١٦) البحث الأول.

٤١٣- **أهمية الفتاوى الفقهية فى كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحجاج القرطبى نموذجاً)** - للدكتور أحمد اليوسف شعيب/ ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) المنعقدة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز العامة بالرياض بتاريخ ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ/٣٠/١٠ - ٣/١١/ ١٩٩٣م - الجلسة رقم (٦) البحث الأول.

(حرف الباء)

٤١٤- (ابن) **البصال رائد الفن الزراعى الحديث فى الأندلس** - جعفر الخياط/مجلة المعهد العلمى العراقى - المجلد الخامس عشر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م (ص ٢١٤- ٢٢٧).

٤١٥- (أبو) **بكر الرازى وبحوثه فى العلم الطبيعى** - للدكتور جلال شوقى/مجلة عالم الفكر - المجلد الرابع عشر - العدد الثانى (يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٨٣م) - ص ٢١١ - ٢٢١.

٤١٥م- **أبو الحجاج البيّاسى مؤرخ وأديب من الأندلس** - للدكتور جاسر أحمد محمود/ المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت/ المجلد الرابع، العدد (١٥) ١٩٨٤م (ص ٧٧ - ٩٤).

(حرف التاء)

٤١٦- **تأثر الفكر الأندلسى بالحركة العلمية بالمشرق الإسلامى** - للدكتور سوادى عبد محمد/ مجلة عالم الفكر - المجلد الثالث عشر - العدد الثانى - (يوليو/أغسطس/سبتمبر ١٩٨٢م) - ص ٢٨٧ - ٣١٤.

٤١٧- **التأليف فى القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس فى القرن الثامن الهجرى** - للأستاذ حسين عزوزى/مجلة الحضارة الإسلامية (عدد خاص) يصدرها المعهد الوطنى للتعليم العالى للحضارة الإسلامية - وهران - السنة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (ص ٢٣٩-٢٧٤).

٤١٨- **التراث الجغرافى اللغوى عند العرب** - للدكتور حسين نصار/ مجلة المجمع العلمى العراقى - المجلد الربع عشر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧) (ص ١٩٠ - ٢٢٣).

٤١٩- **ترجمة الكتب العربية فى الطب والرياضيات والفلك إلى اللاتينية فى إسبانيا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين)** - للدكتور سعد عبد الله البشرى/ مجلة جامعةأم القرى، السنة الأولى، العدد الثانى ١٤٠٩هـ (ص ٩٣-١٢٩).

٤٢٠- **التشيع فى الأندلس**- للدكتور محمود على مكى/ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الثانى ١٩٥٤م (ص ٩٣ - ١٤٤).

٤٢١- **تطور الزراعة عند العرب فى العصور المختلفة** - للأستاذ على عبد القادر الباسل/ الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم - الكويت، ديسمبر ١٩٨٣م.

٤٢٢- **تطور الطب فى الأندلس** - للدكتور فرانشيسكو فرانكو سانشيت، ترجمة الأستاذ الشاذلى النفطى/ المجلة العربية للثقافة - تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية - عدد خاص عن التاريخ العربى فى الأندلس - السنة الرابعة عشرة - العدد السابع والعشرون - ربيع الأول ١٤١٥هـ/ سبتمبر ١٩٩٤م (ص ١٨١ - ٢٠٦).

٤٢٣- **تطور مناهج البحث فى الدراسات التاريخية** - للدكتور قاسم عبده قاسم/ مجلة عالم الفكر، الكويت - المجلد العشرون، العدد الأول ١٩٨٩م.

٤٢٤- **التفسير بالأثر والرأى وأشهر كتب التفسير فيهما** - للدكتور عبد الله إبراهيم الوهبى/ مجلة البحوث الإسلامية - الرياض، العدد السابع ١٤٠٣هـ (ص ٢٠٠ وما بعدها).

(حرف الجيم)

٤٢٥- **الجرّاح العربى الأندلسى أبو القاسم الزهراوى وكتابه فى الجراحة** - للدكتور أمين الصبيـــى/ مجلة الدوحة، العدد الثالث والتسعون، ذو القعدة ١٤٠٣هـ/ سبتمبر ١٩٨٣م (ص ١١٦ وما بعدها).

٤٢٦- **جغرافية الحضر - دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين فى تطويرها** - للدكتور وليد عبد الله عبد العزيز / حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت - الحولية الحادية عشرة، الرسالة الخامسة والستون ١٤١٠/١٤١١هـ - ١٩٨٩/ ١٩٩٠م.

٤٢٧- **جغرافيو المغرب العربى فى العصور الوسطى** - للدكتور أحمد العدوى/حولية كلية دار العلوم جامعة القاهرة / ١٩٦٩م - ١٩٧٠م.

(حرف الحاء)

٤٢٨- (ابن) **الحاج التجيبى القرطبى ومسائل بيوعه فى معيار الونشريشى** - للدكتور مصطفى بنسباع/ ندوة (الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات) المنعقدة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض بتاريخ ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ/١٠/٣٠ - ١٩٩٣/١١/٣م - الجلسة رقم (٦) البحث الثانى.

٤٢٩- (ابن) **حزم عالم الأنساب** - للكاتب الإسبانى خاشينتو بوسك فيلا - ترجمة عبد اللطيف عبد الحليم - مجلة الثقافة تصدرها الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة - العدد الثامن والخمسون - يوليو ١٩٧٨م (ص ٧٨ - ٨٢، ص ١١٠).

٤٣٠- **الحضارة الأندلسية مرحلة التكوين** - للدكتور محمد عبد الحميد عيسى صقر/ مجلة ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط - المجلد الثانى ١٩٨٣م، دار المعارف بالقاهرة.

٤٣١- **حول حركة التعريب عن ثقافات الأوائل فى القرون الثلاثة الأولى للإسلام** - للدكتور شاكر مصطفى - مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد السادس، ديسمبر ١٩٧٤م، ذو القعدة ١٣٩٤ (ص ٣١- ٥٩).

(حرف الخاء)

٤٣٢- **الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية** - للدكتور عبادة عبد الرحمن كحيلة/ ندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات)، مكتبةالملك عبد العزيز العامة بالرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - الجلسة (١٦)، البحث الثالث.

٤٣٣- (أبو) **الخير الإشبيلى وكتاب "عمدة الطبيب فى معرفة النبات"** - للدكتور محمد العربى الخطابى - مجلة الجامعة الأكاديمية بالمغرب، العدد السادس ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م (ص ٣٣-٣٩).

(حرف الدال)

٤٣٤- **دخول المذهب المالكى إلى بلاد الغرب الإسلامى، أسباب ذيوعه وانتشاره** - للأستاذ عبدالهادى الحسيس / مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب، العدد الثالث ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (ص ٥١٥-٥٣٦).

٤٣٥ – دراسة للحياة الفنية فى الأندلس من واقع توقيعات الصناع والفنانين الأندلسيين على أعمالهم الفنية – للدكتور محمد محمد كحيلة/ ندوة (الأندلس: الدرس والتاريخ) – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية (ذو القعدة ١٤١٤هـ/ إبريل ١٩٩٤م) – طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

(حرف الراء)

٤٣٦– رسائل فى الموسيقى – للأستاذ جواد على / مجلةالمجمع العلمى العراقى – المجلد الأول ١٩٥٠م/١٣٦٩هـ السنة الأولى (ص ١٠٤-١١٢).

٤٣٧– (ابن) رشد وآراؤه الرائدة فى جهاز الدورة الدموية – للدكتور محمد العربى الخطابى/ مجلة الأكاديمية المغربية / العدد الثالث (ص ١٤٧-١٧٤).

(حرف الزاى)

٤٣٨– الزّجاج وكتابه معانى القرآن وإعرابه – للدكتور عبد الجليل شلبى / مجلة الأمة، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر – العدد الثالث والثلاثون، السنة الثالثة – رمضان ١٤٠٣هـ/ يونية ١٩٨٣ (ص ٦٨-٧١).

(حرف السين والصاد)

٤٣٩– السيرة النبوية فى التراث الأندلسى – للدكتور محمود على مكى/ مجلة الهلال المصرية، عدد أغسطس ١٩٧٨م (ص ١٠٢-١٠٩).

٤٤٠– صورة الأندلس – للدكتور حسين مؤنس / مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد (١٤) ١٩٦٠م (ص ٣٣ – ٦٠).

(حرف الطاء)

٤٤١– الطب وتاريخه عند العرب – للدكتور كمال السامرائى / مجلة المورد – المجلد الرابع عشر، العدد الرابع ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م (ص ١٧ – ٤٤).

(حرف العين)

٤٤٢– العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى – للدكتور عبد الرحمن الحجى/ مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – المجلد (٢٢). ١٩٨٣م/١٩٨٤م (ص ٥٣ – ٩١).

٤٤٣- **علم الجرح والتعديل: أهميته وتاريخه وقواعده** - للدكتور عاطف أحمد أمان / مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، العدد الثانى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (ص ٤١٧-٤٥٤).

٤٤٤- **علم الحيوان عند العرب** - للدكتور جليل أبو الحب/ مجلة المورد - المجلد الرابع عشر - العدد الرابع ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م (ص ٩٣-١١٢).

٤٤٥- **علم الفلك فى الحضارة الإسلامية** - للأستاذ عبد الأمير المؤمن / مجلة الجامعة الإسلامية - العدد الرابع - السنة الأولى (جمادى الأولى/ رجب ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) - ص ٢٠٩ - ٢٣٠.

٤٤٦- **العلوم والفلسفة فى حضارة بغداد أيام العباسيين الأولى** - روجيه أرنالديز - مجلة المورد، العدد الرابع ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م (ص ٤٩٥ - ٥٠٤).

(حرف الفاء)

٤٤٧- **الفارابى: ملامح شخصيته العلمية فى الأندلس** - للدكتور محسن جمال الدين/مجلة المورد - العدد الثالث ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٤٤٨- **الفلسفة فى الأندلس: الدور الأول، دور النشأة** - للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى/ مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة - المجلد الخامس عشر - الجزء الأول، مايو ١٩٥٣م (ص ٨٩ - ١٠٢).

٤٤٩- **الفهرست لابن النديم: دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية** - للدكتور شعبان عبد العزيز خليفة/ مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر - السنة الثالثة - العدد الثالث ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م (ص ١٤٣ - ١٧٥).

٤٥٠- **فهرس الأدوية المفردة النباتية والمعدنية الواردة فى كتاب المنصورى للرازى** - للدكتور حازم البكر / مجلة المورد، المجلد الرابع عشر - العدد الرابع ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م (ص ٢٨٧ - ٣٢٨).

٤٥١- **الفيزياء والحيل عند العرب** - للدكتور محمد عيسى صالحية / مجلة عالم الفكر - المجلد الرابع عشر - العدد الثانى (يوليو/ أغسطس/ سبتمبر ١٩٨٣م).

(حرف القاف)

٤٥٢- (ابن) قتيبة وكتابه تأويل مختلف الأحاديث - للدكتور محمد الدسوقى/ مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر - العدد الرابع ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م - (ص ١٧٣ - ٢١٩).

٤٥٣- القضاء المغربى وخواصه: الفتاوى والنوازل والوثائق - لعبد العزيز بن عبد الله/ ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة - فاس - إدارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المجلد (٣٢)/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(حرف الكاف)

٤٥٤- كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسى - بحث للدكتور محمود على مكى/ مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الرابع ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

٤٥٥- كتاب الفلاحة لابن بصال - للأستاذ جواد على / مجلة المجمع العلمى العراقى - المجلد السادس ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م (ص ٥٦٥ - ٥٦٩).

٤٥٦- كُتُب برامج العلماء فى الأندلس - للدكتور عبد العزيز الأهوانى / مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - الجزء الأول مايو ١٩٥٥م، رمضان ١٣٧٤ هـ (ص ٩١- ١٢٠).

٤٥٧- كُتُب الفتاوى مصدر للتاريخ الإسلامى - للدكتور عبد الواحد ذنون طه/ المجلة العربية للثقافة، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية (عدد خاص عن التاريخ العربى فى الأندلس) - السنة الرابعة عشرة - العدد السابع والعشرون، ربيع الأول ١٤١٤هـ/سبتمبر ١٩٩٤ (ص ٩٤- ١١٦).

٤٥٨- كيف نشأ المعجم العربى وتطور - للدكتور إبراهيم محمد بن عبد الحميد أبو سكين/ مجلة كلية اللغةالعربية بجامعة الأزهر، فرع الزقازيق - العدد الثالث ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م (ص ٨٠-١٠٤)

(حرف اللام)

٤٥٩- لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية - للدكتور أحمد مختار العبادى/ مجلة عالم الفكر - المجلد السادس عشر / العدد الثانى.

(حرف الميم)

٤٦٠- (ابن) مجاهد وكتابه السبعة فى القراءات - /مجلة الأمة - دولة قطر - العدد (٦٩) السنة السادسة.

٤٦١- **محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس (٢٠٠-٢٨٧هـ)** - للدكتور نورى معمر/ مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب، العدد الثانى ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.

٤٦٢- **مدرسة التفسير الأندلسية وجهودها فى جمع تفسير الإمام مالك** - للاستاذ حميد محمد / مجلة الحضارة الإسلامية، يصدرها المعهد الوطنى للتعليم العالى للحضارة الإسلامية - وهران (عدد خاص) - السنة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م (ص ٢٧٦-٢٨٨).

٤٦٣ - **المذهب عند الشافعية** - للدكتور محمد إبراهيم أحمد على/ مجلة جامعة الملك عبد العزيز - العدد الثانى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ص ٢٥-٤٨).

٤٦٤- **مساهمة رياضى الأندلس فى الحياة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى** - للأستاذ حميدة هادفى/ ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) - مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٤هـ- الجلسة رقم (٤)، البحث الأول.

٤٦٥- **المسلمون والعلوم الجغرافية** - للأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز / مجلة الوعى الإسلامى - العدد (٢٥٩) ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٦٦- **مصادر العقد الفريد وطريقة ابن عبد ربه فى الرواية والصياغة** - للدكتور أحمد محمد مختار / مجلة الأزهر - العدد السابع (السنة ٥٦) - ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م. ص ١١٥٩ وما بعدها.

٤٦٧- **مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى** - للدكتور محمود على مكى/ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م (ص ١٥٧ - ٢٤٨) - النص الإسبانى والملخص العربى.

٤٦٨- **مظاهر من الصراع المذهبى بالأندلس** - للدكتور فرحات الدشراوى / المجلة العربية للثقافة - تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعةالدول العربية - عدد خاص عن (التاريخ العربى فى الأندلس) - العدد السابع والعشرون - السنة الرابعة عشرة، ربيع الأول ١٤١٥هـ، سبتمبر ١٩٩٤م (ص ٩- ٣٤).

٤٦٩- **المعجم الجغرافى فى الأندلس دراسة فى الهدف وترتيب المداخل** - للدكتور مصطفى إبراهيم عبد الله - بحث منشور بندوة (الأندلس: قرون من التقلبات

والعطاءات) المنعقدة بمكتبة الملك عبد العزيزالعامة بالرياض فى الفترة (١٥-١٩ جمادى الأولى / أكتوبر ١٩٩٣م) الجلسة رقم (١٦) البحث الثانى.

٤٧٠ - **المعجم العربى فى الأندلس** - للدكتور عبد العلى الودغيرى/ مجلة عالم الفكر - المجلد الثانى عشر - العدد الأول (عدد خاص عن حضارة الأندلس) - إبريل، مايو، يونيو ١٩٨١م (ص ٧٥ - ١٣٠).

٤٧١- **معركة الحياة والموت بين إسحق الموصلى (المغنى) وزرياب** - للأستاذ كمال النجمى/ مجلة الدوحة/ العدد السابع والسبعون، رجب ١٤٠٣هـ/ مايو ١٩٨٢م (ص ٣٤ - ٣٧).

٤٧٢- **ملاحظات على مخطوطات الفلاحة** - لمحمد عيسى صالحية/ مجلة مجمع اللغةالعربية بدمشق، المجلد (٥٩) - ج ٣ (١٩٨٤م).

٤٧٣- **ملامح من الثقافة الأندلسية** - للدكتور هاشم باغى/ مجلة كلية الآداب بالجامعة الأردنية - المجلد الثانى.

٤٧٤- **من التراث العربى الإسبانى: نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإسبانية التى تأثرت بها** - للدكتور أحمد مختار العبادى/ مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن (إبريل، مايو، يونيو ١٩٩٧م) - (ص ٣٩- ٨٨)

٤٧٥- **من نوادر المخطوطات العلمية فى العراق** - للأستاذ أسامة النقشبندى/ مجلة المورد - المجلد الرابع عشر، العدد الرابع ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م (ص ٣٥٥-٣٧٨).

٤٧٦- **منهج المدرسة الأندلسية فى التفسير: صفاته وخصائصه** - للدكتور مهند عبد الرحمن الرومى/ بحوث ندوة (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات) المنعقدة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض (فى الفترة ١٥ - ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ/أكتوبر ١٩٩٣- الجلسة الثانية - البحث الثانى.

٤٧٧- **موارد تاريخ الطبرى** - للأستاذ جواد على/ مجلة المعهد العلمى العراقى - المجلد الأول، السنة الأولى ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) بداية من ص ١٤٣.

(حرف النون)

٤٧٨- **نشأة المدرسة التاريخية فى الأندلس** - للدكتور محمد عبد الحميد عيسى صقر/ مجلة الجامعة الإسلامية بالرباط، المغرب - العدد الرابع والعشرون ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م (ص ٣٦٠-٤٠٠).

٤٧٩- نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس - للأستاذ خوسيه ماريا مياس بيكروسا/ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الخامس ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م - (الملخص العربى للنص الإسبانى ص ٣٠٩ - ٣١٤).

٤٨٠- نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) للعُذْرى / تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - ١٩٦٥م.

٤٨١- نظرات فى فضل المسلمين الأوائل على الجغرافيا: دراسة فى الفكر الجغرافى - للدكتور عبد الله على الصنيع/ مجلة كلية التربية بجامعة أم القرى، مركز البحوث التربوية والنفسية (عدد خاص عن الجغرافيا) رجب ١٤٠٢هـ، مايو ١٩٨٢م (ص ١٢١-١٤٤).

٤٨٢- نظم وإدارة بنى أمية بالأندلس من خلال المقتبس لابن حيان - للدكتور التهامى الراجى الهاشمى - مجلة المناهل المغربية، العدد (٢٩) - ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(حرف الواو)

٤٨٣- وقفة مع الطبرى وتفسيره - للدكتور مساعد مسلم عبد الله آل جعفر/ مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - العدد الرابع ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

* * * *

- سادساً: الرسائل الجامعية:

(أ) رسائل الماجستير:

٤٨٤- (ابن عبد البر) الأندلسى مؤرخاً - رسالة ماجستير مقدمة من الباحث: ليث سعيد جاسم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٤٤هـ/١٩٨٤م، بإشراف الدكتور أحمد شلبى.

٤٨٥- علاقات الأندلس الخارجية إبان خلافتى الناصر والمستنصر - رسالة ماجستير مقدمة من الباحث تركى هزاع البركاتى، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م - بإشراف الدكتور عبد المنعم ماجد.

٤٨٦- المنهج التاريخى عند المؤرخين العراقيين فى العصر البويهى (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) - رسالة ماجستير إعداد الباحث: عبد الرحمن العزاوى، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(ب) رسائل الدكتوراه:

٤٨٧- الحياة الاجتماعية والفكرية فى العراق منذ سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى - رسالة دكتوراة من إعداد: هاشم عبد الراضى محمد عيسى، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، بإشراف الدكتور على حسن على.

٤٨٨- الحياة العلمية فى قرطبة على عهد الناصر والمستنصر - رسالة دكتوراه من إعداد: مصطفى محمد إبراهيم، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٩٨١م.

٤٨٩- الكتابات التاريخية فى مصر والأندلس فى القرن الرابع الهجرى (دراسة مقارنة) - رسالة دكتوراة من إعداد: عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح على، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، بإشراف الدكتور حسن على حسن.

٤٩٠- نشأة علوم الحديث ومصطلحه - رسالة دكتوراه من إعداد: محمد عجاج الخطيب، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

* * * *

سابعاً: المراجع الأجنبية[1]

(أ) باللغة الإنجليزية:

٤٩١- Cajori,: A History of Mathematices Notations, (New York, 1926).
تاريخ الرياضيات.

٤٩٢- Cajori,: A History of Elementary Mathematic (New York, 1919).
تاريخ الرياضيات الأولية (الأولى).

٤٩٣- George H.T. Kimble: Geography in the Midale Ages (New York, Russell, 1968).
الجغرافيا فى العصور الوسطى.

٤٩٤- Beuzley , C. Raymond: The Dawn of Modern Geography (New York, Prager 1964).
فجر الجغرافيا الحديثة.

٤٩٥- O;leary: Arabic thought and its place in history (London 1958).
الفكر العربى ومكانته فى التاريخ.

٤٩٦- Saunders: A history of Medival Islam (London 1921).
تاريخ الإسلام فى العصور الوسطى.

٤٩٧- T. Arnold and H. Guillaume: The legacy of Islam (Oxford, 1931).
تراث الإسلام.

* * *

(ب) باللغة الفرنسية:

٤٩٨- Rachel Arie: L' Espagne Musulmane aux temps des Nasri (Paris 1973).
إسبانيا الإسلامية فى زمن الناصر.

* * *

(ج) باللغة الإسبانية:

٤٩٩- Asin Palacios: Ibn Masarra Y su escuela, (V) en obras escogidas (Madrid, 1946).
ابن مسرَّة ومدرسته من خلال نصوص مختارة.

---

(١) هذه المراجع مرتبة حسب أسماء مؤلفيها، لا بحسب موضوعاتها.

٥٠٠- Gorcia Gomez: Bagdad Y Los reimos taifas (Revistade Occidente 1934 Tomo XL 111 P.2-22).

بغداد وملوك الطوائف - مجلة الغرب / العدد ١١٣ (ص ٢ - ٢٢).

٥٠١- Jose Marias Millas Vallicrosa: EL quebacer astromico de la espana Arabe (Revista del instetuto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, Vol, (1) Y (2) 1957, P. 50 - 64).

نشاط الدراسات الفلكية فى إسبانيا العربية (مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد - العدد (١)، (٢) ١٩٥٧م/ص ٥٠-٦٤).

٥٠٢- Jose Marias Millas Vallicrosa: Los primeros tratados de artolabio en la espana arabe (Revista del insituto Egipcio de estudios Islamicos en madred, Vol 3. 1955, P. 35 - 49).

المؤلفات الأولى عن الاسطرلاب فى إسبانيا العربية (مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد - العدد (٣) - ١٩٥٥م/ ص ٣٥-٤٩).

٥٠٣- Jose Marias Millas Vallicrosa: Los Geoponos Hispanoaraes, (Revista del instituto Egipcio de Estutios Islamicos en Madred, Vol 4. 1956, P. 121 - 129).

٥٠٤- Juan Vernete: La cultura hispa-arabe en orente Y occidente (Barcclona, 1978).

الثقافة الإسبانية العربية فى المشرق والمغرب.

٥٠٥- Mahmud Makki: Ensadyo sobre las aportaciones orientales en la Espania Muslmana (Revista Del instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, Vol, X1 Y X11, 1963-1964).

مقال عن: تأثير الثقافة المشرقية فى إسبانيا الإسلامية (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - العدد (١١)، (١٢) ١٩٦٣م).

٥٠٦- Ramon Menendez Pidal: Espana La introduccion de la ciencia arabe (Revista Del instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, Vol 3, 1955).

إسبانيا وبدايات العلوم العربية (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة
باللغتين العربية والإنجليزية

والفكرة الرئيسية التى يقوم عليها هذا الموضوع هى أن (قرطبة/الأندلس) اعتمدت فى بناء تراثها الثقافى والفكرى على الإنتاج العلمى الذى أفرزته الحركة العلمية النشطة فى (بغداد/المشرق) خلال ثلاثة قرون متتالية تمثل العصر الذهبى للفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية (تبدأ مع النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، وتمتد إلى منتصف القرن الخامس)، والعمل على استيعاب هذا الإنتاج، والنسج (أو/ السير) على منواله وتطويره، والإضافة إليه، والتميُّز ببعض الخصوصيات فى الثقافة والفكر، ثم أداء دور الوسيط فى انتقال التراث العلمى العربى الإسلامى إلى أوربا.

وهذا الموضوع يقع فى مقدمة وقسمين.

تناولت فى المقدمة المنهج الذى سرتُ عليه فى دراسة الموضوع المشار إليه وأهم الجهود العلمية التى سبقته، والتعريف بأهمية بعض المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها.

ويقع القسم الأول فى خمسة أبواب، مُخَصَّصة لدراسة النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. وقد حاولت استجلاء أبرز الملامح والمعالم التى تتميز بها هذه النهضة، والتى لها صدىً (تأثير) كبير على الحياة العلمية فى (قرطبة/الأندلس)، وذلك من خلال عرض شامل لجميع العلوم الدينية (علوم القرآن - علوم الحديث النبوى - علم الفقه - علم الكلام/أصول الدين) وعلوم اللغة العربية (اللغة والنحو والبلاغة والنقد الأدبى والنثر الفنى) والدراسات التاريخية والجغرافية، ثم العلوم العقلية والتجريبية (الفلسفة - الفلك - الرياضيات - الطب - الصيدلة - الكيمياء - النبات - الحيوان - علوم الطبيعة).

وقد وقفت عند كل علم من هذه العلوم على حدَه، بتعريفه أولاً، وإعطاء لمحة سريعة عن بدايته ونشأته، ثم الانتقال إلى عرض جهود البغداديين (ومن نزل بغداد من علماء الأقطار الإسلامية بالمشرق) فى تدوينه وتطويره، مُبْرِزاً أهمَّ ما أسهموا به من إنتاج علمى، مع اختيار

نماذج من مؤلفاتهم، للتعريف - باختصار - بأهميتها ومضمونها ومناهجها. وأوليتُ عناية تامة بتحديد المراحل والاتجاهات الكبرى (المدارس) التى تَميَّزَ بها كلُّ علم، ويتحدد بها مسارُ التأليف فى فروعه. وقد يجمع العلمُ الواحد فنوناً عديدة، كلُّ فنٍ منها يُمثِّلُ علماً مستقلاً، فكنت أقف عند بيانها وتجلية ملامحها، فى إطار العلم الذى تتفرع منه هذه الفنون.

ويتناول القسم الثانى من الدراسة: انتقال النهضة العلمية من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس)، وجهود الأندلسيين فى تطويرها، وتأثيرها على أوربا.

وهذا القسم يتضمن ثلاثة أبواب، لكل باب منها تمهيد وخاتمة.

(**الباب الأول**): انتقال العلوم من (بغداد/المشرق) إلى قرطبة/الأندلس). ويبدأ هذا الباب بتمهيد، ناقشنا فيه آراء الباحثين حول حجم الدور الذى قامت به المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى تكوين الفكر العربى والإسلامى بالأندلس، وتأسيس الحركة العلمية هناك.

وقد جاءت الفصول الخمسة التى يتكون منها هذا الباب للبرهنة على الرأى الراجح عندى القائل بأن المشرق الإسلامى بفكره وثقافته - وبغداد فى القلب منه - كان له دور متميز وفعَّال فى تكوين الثقافة الأندلسية، وتشكيلها.

وفى هذه الفصول وقفت من جديد عند كل علمٍ من العلوم التى سبق عرضها فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية)، لأبيّن الجهود التى بُذلتْ فى إدخال كلِّ علم إلى قرطبة، وما هو دور الأندلسيين والمشارقة فى إمدادها بهذه العلوم؟، وما هى الوسائل الكبرى التى عملت على تحقيق ذلك؟، وأهم الأقاليم والمدن المشرقية التى تَوجَّهَ إليها الأندلسيون بالرحلة لتحصيل تلك العلوم ونقلها إلى الأندلس، والوقوف عند دور (بغداد/العراق) بوجه خاص.

(**الباب الثانى**): (إنجازات الأندلسيين ودورهم فى دعم الثقافة الإسلامية الوافدة). والدعامةُ التى يقوم عليها هذا الباب هى: هل كان للأندلسيين "شخصية مستقلة"، أو "خصوصية" متميزة فى العلم والفكر؟، أم أنهم ظلوا يُجارون الثقافة المشرقية، ويلحقون بركْبها أينما اتجهت؟.

والفصل الأول - من الفصول الخمسة التى ينتظمها هذا الباب - يجيب بوضوح عن هذا التساؤل. أما بقية فصول الباب فهى مُخَصَّصة لعرض التراث الأندلسى فى جميع العلوم، بنفس المنهج الذى سرنا عليه - مع اختلاف يسير - فى عرضنا للحركة العلمية فى إطار المدرسة (البغدادية/المشرقية)، مع العناية هنا بإبراز الخصوصية الأندلسية فى نهاية كل فصل - أو مبحث - وعَقْدِ مقارناتٍ عامة وغير تفصيلية بين الإنتاج المشرقى والتراث الأندلسى.

وتناولتُ فى الباب الثالث من القسم الثانى – وهو الباب الأخير فى هذه الدراسة – دَوْرَ الأندلس كمعبر من أكبر المعابر التى نفذتْ من خلالها العلومُ العربية الإسلامية إلى أوربا. ويتضمن هذا الباب مقدمة وفصلين.

تتحدث المقدمة – باختصار – عن (معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا)، واعتبار الأندلس أهمَّ هذه المعابر، على أساس أنها تُشكلُ المركزَ المتقدم للحضارة الإسلامية على الأرض الأوربية ذاتها.

ويتناول الفصل الأول وسائل وقنوات انتقال العلوم من الأندلس الإسلامية (وإسبانيا النصرانية) إلى الأمم الأوربية. وكان من أهمها: المستَعْرَبُون، واليهود والمُدَجَّنُون، والوفود والسفارات وحركة الترجمة إلى اللغة الإسبانية القديمة واللغة اللاتينية.

ولما كانت الترجمة هى الوسيلة الرئيسية التى تَحقَّقَ من خلالها نَقْلُ العلوم العربية الإسلامية إلى أوربا على أرض الأندلس فقد أفردنا لها فصلاً مستقلاً، **هو الفصل الثانى والأخير** من هذا الباب.

وتأتى الخاتمة فى النهاية لتشتمل على أهم النتائج التى توصلنا إليها عبر هذه الدراسة الطويلة، ويليها قسم خاص بعدد من الملاحق وثيقة الصلة بموضوعنا.

والحمد لله رب العالمين.

SUMMARY

In the Name of Allah The All Merciful

The Most Compassionate

Synobsis of the Thesis

The main idea of this subject is that Cordoba (Andalusia), in its search for creating cultural and intellectual heritage, reliedon the scientific outcome produced by the active scientific movement of Baghdad (The east) throughout the three consecutive centuries which represent the golden age of the Islamic thought and culture. (this age started is from the second half of the second century A.H. and continued until the mid fifth century). Cordoba made use of such scientific outcome, emulated and even added to it. Furthermore, it was distinguished by some cultural and intellectual characteristics. Finally, it participated in conveying the Arab. Islamic scientific heritage to Europe.

The thesis is divided into an introduction and two parts.

In the introduction, I pointed out the methodology followed in studying the above mentioned subject, the most important scientific efforts exerted in this regard, and the significance of some of the references and sources which I relied upon.

The first part is divided into five chapters, all of which are devated to studying the scientific renaissance are devated to studying the scientific renaissance in Baghdad (The east) through out the third and fourth Hijri centuries. I referred to the most prominent features which distinguished such renaissance and which had a great effect on the scientific life in Cordoba {Andalusia}. I recorded a comprehensive display of all religious sciences (Qur'an sciences - Prophetic Hadiths - Jurisprudence - Theology - Fundamentals of Religion), Arabic Language studies (Language, Grammar, Rhetoric, Literary griticism and Prose), Historical and Geographical studies as well as mental and experimental sciences

(Philosophy - Astronomy - Mathematics - Medicine - Pharmacology - Chemistry - Botany - Zoology - Physics).

I referred to each of these sciences distinctively by giving a definition of the science concerned, a short hint about its beginning and origin and setting out the efforts exerted by the Baghdadi scholars (as well as the other Muslim scholars who departed for Baghdad) in recording and developing such sciences. I pointed out the scientific product they introduced and chose samples of their books which I set out their significance, contents and methodology.

I paid special attention to the most distinct tendencies (schools) which these sciences represented. A science may contain several branches and each branch represents and independent science in itself.

I pointed out the features and characteristics of such branches within the general frame work of the science which includes these branches.

The second part of the thesis deals with the process of transferring the scientific renaissance from Baghdad to Cordoba and the efforts exerted by the Andalusi scholars in developing it as well as its effection Europe. This part contains three sections each of which includes an introduction and a conclusion.

First section: conveying sciences from Baghdad to Cordoba.

This section begins with an introduction which deals with the viewpoints of researchers on the nature of the role played by the baghdadi schools in establishing the Arab Islamic thought in Andalusia and founding the scientific movement there. The five chapters of this section proves the opinion which I embrace that the Islamic eastern thought and culture had a distinctive and effective role in creating and formulating the Andalusia culture.

In these chapters, I referred to each of the sciences already mentioned when talking about the Baghdadi school. I pointed out the efforts exerted in introducing each science to Cordoba and the role played by the Eastern and Andalusian scholars in introducing these sciences. I also mentioned the most important eastern cities and provinces, especially Baghdad, to which the Andalusian scholars travelled in order to learn these sciences and convey them to Andalusia.

The second section: The Achievements of the Andalusian scholars and their role in supporting the coming Islamic culture. The basis of this

section is: Did the Andalusian scholars have an "independent character" or "distinctive characteristic" in science and thought? or, did they go on emulating the eastern culture and following its steps?

The first of the five chapters which represent the body of this section provides a clear answer to this question. The rest of the section is devoted to displaying the indalusian scientific heritage by following the very same methodology adopted when talking about the Baghdadi. Scientific movement, except with slight differences. At the end of each chapter, I pointed out the Andalusian distinctive character and held generalized and non-detailed comparisons between the eastern and Andalusian scientific cheritage.

The third section of the second part the last one in the thesis - discusses the role of Andalusia as one of the most important channels of conveying the Arab Islamic sciences to Europe. This part is divided into an Introduction and two chapters.

The introduction talks in brief about the channels of conveying the Islamic civilization to Europe and the significance of Andalusia in this regard asit is the advanced center of the Islamic civilization on te Europen land.

The first chapter deals with the means and channels of conveying sciences from Islamic Andalusia (and Christian spain) to the European nations. The most of such channels are the: Jews, (Arbist), (Mudegares), embassies and the translation movement into the old spainsh language and latin (Mudejares). As long as translation is the main means of conveying the Arab Islamic sciences to Europe on the Andalusian Land, I devoted an independent chapter - the second and last chapter of the thesis - to this subject.

The conclusion summarizes the most important results which I reached through this prolonged study. Following the conclusion is a special part which contains a number of related appendices.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهـــداء ٣

مقدمة الدراسة ٥

دراسة فى بعض مصادر ومراجع البحث ٢٢

(القسم الأول)

النهضة العلمية فى (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين

– **التمهيد** : أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فى بغداد/المشرق) ٣٣

– العامل الأول: نزوح العلماء إلى بغداد بعد تأسيسها ٣٥

– العامل الثانى: عملية التعليم ٣٧

● أهم المظاهر التى عملت على نشر التعليم والعناية به فى بغداد ٣٧

١ – كثرة أماكن التعليم وتنوعها ٣٧

أ) المساجد ٣٧

ب) بيوت العلماء ٣٩

ج) الضواحى والطرقات ٤٠

د) الأسواق ٤١

هـــ) حوانيت الوراقين – مهنة الوراقة ٤١

و) البيمارستانات ٤٢

٢ – المكتبات العامة والخاصة ٤٣

– المكتبات الخاصة ٤٣

– المكتبات العامة ٤٤

– دار علم سابور ٤٤

– بيت الحكمة ٤٤

٣ – مظاهر أخرى ٤٦

(الباب الأول)
العلوم الدينية

مدخل: ٥١
الفصل الأول: (علوم القرآن الكريم) ٥٢
* التعريف بعلوم القرآن الكريم ٥٢
* جهود علماء (بغداد/المشرق) فى هذا الميدان العلمى ٥٣
أولاً: علم القراءات
- **تعريف القراءات** ٥٣
- لمحة سريعة عن بداية العناية بعلم القراءات ٥٤
- جهود علماء (بغداد/المشرق) فى جمع القراءات وتدوينها ٥٥
- اتجاهات التأليف فى علم القراءات خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين :

الفترة الأولى: القرن الثالث الهجرى ٥٥
- الاتجاه الأول: التأليف فى القراءات المنفردة ٥٥
- الاتجاه الثانى: التأليف فى القراءات الجامعة ٥٥

الفترة الثانية: القرن الرابع الهجرى.
- التأليف فى عدد محدد من القراءات (ابن مجاهد البغدادى والقراءات السبعة/ التعريف بكتابه) ٥٦.
- مسارات التأليف فى القراءات بعد ابن مجاهد ٥٨
- المسار الأول: مؤلفات تحمل عنوان "القراءات السبع" ٥٨
- المسار الثانى: مؤلفات فيما زاد على السبع أو نقص ٥٨
- حركة تجديد أخرى فى تدوين القراءات فى القرن الرابع ٥٩
- الاتجاه الأول: تعليل القراءات والاحتجاج لها ٥٩
- الاتجاه الثانى: التطور المنهجى فى التأليف القرائى ٦٠
- **العلوم المتعلقة بعلم القراءات:**

(أ) علم التجويد وأداء القرآن ٦٢
(ب) علم الوقف والابتداء ٦٣
(جـ) علم رسم المصحف (هجاء المصاحف) ٦٥
(د) التأليف فى عدد آى القرآن وكلماته وحروفه ٦٦

ثانياً: علم التفسير

- تعريفه ٦٧
- لمحة تاريخية عن علم التفسير بالعراق قبل القرن الثالث الهجرى ٦٨
- اختلاط التفسير بالحديث النبوى قبل القرن الثالث الهجرى ٧٠
- (المدرسة البغدادية فى التفسير/اتجاهات التفسير فى بغداد) ٧١

الاتجاه الأول: التفسير بالمأثور ٧٢

- فى القرن الثالث الهجرى ٧٢
- فى القرن الرابع الهجرى ٧٣
  - ابن جرير الطبرى وثناء العلماء على تفسيره ٧٣

الاتجاه الثانى: التفسير بالرأى(تعريفه/انقسامه إلى ممدوح ومذموم/نماذج على التفسير بالرأى المذموم[المفسرون من المعتزلة] فى القرنين ٤،٣هـ) ٧٥

الاتجاه الثالث: التفسير اللغوى والبيانى ٧٧

(أ) كتب معانى القرآن ٧٨
- التعريف بكتاب الزجاج (معانى القرآن) ٧٩

(ب) كتب إعراب القرآن ٨٠

(جـ) كتب غريب القرآن ٨١

الاتجاه الرابع: التفسير الفقهى ٨٣

ثالثاً: جهود علماء بغداد/المشرق فى دراسة جوانب أخرى من علوم القرآن ٨٤

(أ) علم متشابه القرآن ٨٤

(ب) علم مشكل القرآن ٨٥

(جـ) علم الناسخ والمنسوخ ٨٦

(د) أسباب النزول ٨٦

(هـ) إعجاز القرآن ٨٦

(و) أمثال القرآن ٨٧

(ز) جوابات القرآن ٨٧

(ح) فضائل القرآن ٨٧

(ط) لغات القرآن ٨٧

- موضوعات أخرى ٨٧
- **تعقيب** ٨٨

الفصل الثانى (علوم الحديث النبوى)

- تعريفه ٨٩
- موضوعه ٨٩
- أنواعه (علم الحديث / رواية ودراية) ٨٩

أولاً: تدوين الحديث النبوى ٩١

- نشأة تدوين الحديث النبوى ٩١
- شيوع تدوين الحديث خلال منتصف (ق ٢ هـ) ٩٣
- العصر الذهبى لتدوين الحديث النبوى (القرنان ٣، ٤ هـ/جهود المدرسة البغدادية): ٩٤
  - طرق تصنيف الحديث وجمعه ٩٤

(١) التأليف على المسانيد ٩٥

التعريف بمسند الإمام أحمد بن حنبل ٩٦

(٢) التأليف على الأبواب ٩٦

أ- كتب الصحاح ٩٧

ب - كتب المستخرجات ٩٨

جـ - كتب السنن ٩٩

د — المصنفات ١٠٠

(٣) طرق أخرى لجمع الحديث النبوى غير طريقتى المسانيد والأبواب ١٠٠

(أ) الأجزاء ١٠١

(ب) الأفراد ١٠٢

(جـ) الأحاديث المسلسلة ١٠٢

(د) الأحاديث المرسلة ١٠٢

(هـ) الأمالى ١٠٣

(و) الأطراف ١٠٣

- **تعقيب** ١٠٤

ثانياً: علم الجرح والتعديل ١٠٤

- تعريفه وأهميته ١٠٤
- نشأته وأشهر علمائه ١٠٥
- التصنيف فى علم الجرح والتعديل ١٠٦

١ - كتب فى الضعفاء ١٠٧

٢ - كتب فى الثقات ١٠٧

٣ - كتب جمعت بين الثقات والضعفاء ١٠٧

- تدوين أصول علم الجرح والتعديل وقواعده ١٠٨

ثالثاً : علم تاريخ الرواة (علم رجال الحديث) ١٠٨
- تعريفه وأهميته ١٠٨
- **عناية علماء الحديث به** ١٠٩
- **التصنيف فى تاريخ الرواة** ١١٠
١ - كتب فى معرفة الصحابة ١١٠
٢ - كتب الطبقات ١١١
٣ - كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب ١١٢
٤ - كتب فى تواريخ الرجال ١١٢
٥ - تاريخ الوفيات ١١٣
٦ - كتب المشيخة ١١٣
٧ - كتب المتفق والمفترق ١١٣
٨ - كتب فى المؤتلف والمختلف ١١٤
٩ - كتب فى المتشابه من أسماء الرواة ١١٤
١٠- كتب أخرى فى تاريخ رواة الحديث ١١٥
- **تعقيب** ١١٥
رابعاً : علم علل الحديث ١١٦
- تعريفه وأهميته ١١٦
- طريقة التأليف فيه ١١٧
- **التصنيف فى علل الحديث** ١١٧
خامساً: علم غريب الحديث ١١٨
- تعريفه وأهميته ١١٨
- أشهر المصنفات فى غريب الحديث ١١٩
- التعريف بكتاب "غريب القرآن" لأبى عبيد الجمحى ١١٩
- التأليف فيه بعد أبى عُبيد ١١٩
سادساً : علم مُختلف الحديث ومُشْكله ١٢١
- **التعريف به وبموضوعه** ١٢١
- التصنيف فى هذا العلم: ١٢٢
- فى القرن الثالث الهجرى ١٢٢
- فى القرن الرابع الهجرى ١٢٢
- التعريف بكتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ١٢٣

سابعاً: علم ناسخ الحديث ومنسوخه ١٢٤
- تعريفه ١٢٤
- نشأته وأهميته ١٢٤
- أشهر مصنفات البغداديين فى ناسخ الحديث فى القرنين (٣، ٤هـ) ١٢٥
  - التعريف بكتاب "ناسخ الحديث ومنسوخه لابن الأثرم ١٢٥
- **تعقيب عام** ١٢٦

الفصل الثالث : (الفقه الإسلامى وأصوله): ١٢٨
- تعريف الفقه الإسلامى ١٢٨
- الأدوار التى مر بها الفقه الإسلامى ١٢٨
- نهضة الفقه الإسلامى فى عصر العباسيين وظهور المذاهب الفقهية ونموُّها ١٢٩
- المذاهب الفقهية الكبرى ودور أبرز فقهائها فى بغداد ١٣٠

أولاً: المذهب الحنفي:
- نشأته بالكوفة ١٣١
- انتشار المذهب الحنفى فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى على أيدى تلامذة الإمام أبى حنيفة ١٣١
- أعظم الفقهاء الأحناف أثراً فى تدوين فقه الإمام (أبو يوسف - ومحمد ابن الحسن الشيبانى) ١٣٢
- نموُّ المذهب الحنفى فى بغداد فى القرنين (٣ ، ٤هـ) ١٣٣
  - فى القرن الثالث الهجرى ١٣٣
  - فى القرن الرابع الهجرى ١٣٤
- أبو الحسن الكرخى وتلامذته ١٣٤
- أبو بكر الجصاص وتلامذته ١٣٤
- **الخلاصة** ١٣٥

ثانياً: المذهب المالكى ١٣٦
- الإمام مالك مؤسس المذهب ١٣٦
- ظهور المذهب المالكى بمصر فى حياة مالك ١٣٦
- دخول المذهب المالكى إلى بغداد فى القرن الثالث الهجرى ١٣٦
- أسرة "حماد بن زيدون" ودورها فى نشر المالكية بغداد ١٣٨
  - إسماعيل بن إسحق القاضى ودوره فى نشر المذهب ١٣٩
- المذهب المالكى فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى ١٤٠

- تلاميذ القاضى إسماعيل بن إسحق المالكى (مدرسته الفقهية) ١٤٠
- أبو بكر الأَبْهرِى ومدرسته الفقهية ١٤٠

– ضعف المذهب المالكى بالعراق بعد القرن الرابع الهجرى ١٤٣
– **الخلاصة** ١٤٣

– **ثالثاً: المذهب الشافعى:** ١٤٤
– ظهوره فى بغداد ١٤٤
– أبرز تلاميذ الشافعى فى بغداد ١٤٦
– نزول الشافعى مصر وذيوع مذهبه الجديد بها ١٤٧
– انتقال المذهب الشافعى فى ثوبه الجديد من مصر إلى بغداد ١٤٨
– نشاط المذهب وذيوعه ببغداد فى القرن الرابع الهجرى ١٤٩
– **الخلاصة** ١٥١

رابعاً : المذهب الحنبلى: ١٥١
– مؤسس المذهب ١٥١
– تدوين فقه الإمام أحمد على تلامذته البغداديين ١٥٢
– أبو بكر الخلال البغدادى (ت ٣١١هـ) وجهوده فى تدوين المذهب الحنبلى وجمعه ١٥٣
– أبرز الفقهاء الحنابلة ببغداد فى القرن الرابع الهجرى ١٥٤
١ – أبو القاسم الخرقى (ت٣٣٤هـ) ١٥٤
٢ – أبو بكر النجاد (ت ٣٤٨هـ) ١٥٤
٣ – غلام الخلال (ت ٣٦٣هـ) ١٥٤
– **الخلاصة** ١٥٤

– **خامساً: المذهب الظاهرى:** ١٥٥
– نشأته/ مؤسسه / أصوله ١٥٥
– جهود الظاهرية فى نشر المذهب بالعراق فى القرنين (٤،٣هـ) ١٥٦
– الخلاصة ١٥٧

* مذاهب فقهية أخرى فى بغداد : ١٥٨
– مذهب ابن جرير الطبرى ١٥٨

* تدوين علم أصول الفقه فى بغداد: ١٥٩
– تعريفه/ موضوعه ١٥٩
– الشافعى وأول محاولة جادة فى تدوين أصول الفقه فى بغداد ١٦٠
– التأليف فى أصول الفقه (ببغداد) بعد الشافعى ١٦١

* **تعقيب عام** ١٦٣

الفصل الرابع: (علم الكلام/أصول الدين) ١٦٤
- تعريفه ١٦٤
- تسميته/ موضوعه ١٦٤
- نشأة علم الكلام ١٦٥
- المعتزلة أهم الفرق الكلامية: ١٦٧
  - مدرسة البصرة الاعتزالية ١٦٧
- واصل بن عطاء المعروف بالغزال (ت ١٣١هـ) ١٦٨
- عمرو بن عُبيد (ت ١٤٤هـ) ١٦٩
- أبو الهذيل العلاف (ت ٢٢٧هـ) ١٦٩
- إبراهيم النظّام ١٧١
- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ١٧١
- تعقيب ١٧٢
- مدرسة بغداد: ١٧٣
- بشر بن المعتمر المؤسس الأول لمدرسة الاعتزال فى بغداد ١٧٣
- أبو موسى المُرْدار (ت ٢٢٦هـ) وتلاميذه ١٧٤
- ثمامة بن أشرس (ت ٢١٣هـ) ١٧٥
- ابن أبى دُؤَاد وصول المعتزلة إلى أوْج قوتهم ١٧٥
- المعتزلة فى طريقهم إلى الاضمحلال ١٧٦
- أبو على الجبَّائى ورئاسته لمدرسة الاعتزال فى البصرة وبغداد ١٧٧
- أهل السنة فى بغداد وموقفهم من المعتزلة وعلم الكلام ١٧٨
- مناهج أهل السنة فى الرد على المخالفين: ١٧٨
  - المنهج الأول: منهج علماء الحديث ١٧٨
  - المنهج الثانى: منهج أبى الحسن الأشعرى ١٨٠
- ابن كُلاب والدفاع عن أصول أهل السنة ١٨٢
- أبو بكر الباقلانى وانتهاجه طريقة الأشعرى ١٨٢
- **نتائج وتعقيب** ١٨٤

(الباب الثانى)
علوم اللغة العربية

الفصل الأول: (النحو واللغة) ١٨٩
- البصرة والكوفة منبع الدراسات اللغوية والنحوية فى العالم الإسلامى ١٨٩
- نهضة علوم اللغة والنحو فى بغداد على أيدى علماء البصرة والكوفة ١٩٠
- الدراسات النحوية واللغوية فى بغداد فى القرنين (٣،٤ هـ) ١٩٢

أولاً: الدراسات النحوية والصرفية ١٩٢
- شيوع المذهب الكوفى ببغداد على أيدى الكسائى والفراء وثعلب(تلميذهما) ١٩٣
- نزول المبرد بغداد وشيوع النحو البصرى ١٩٣
- الاتجاهات النحوية فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى: ١٩٤
١ - الاتجاه البصرى ١٩٤
٢ - الاتجاه الكوفى ١٩٥
- الجمع بين الاتجاهين ١٩٥
- تعقيب ١٩٦

ثانياً: الدراسات اللغوية ١٩٦
- نشأتها ١٩٦
- كتب الصفات ١٩٨
- كتب الغريب المصنَّف ١٩٨
- كتب لحن العامة ١٩٩
- كتب الفصيح - كتب فى لغات القبائل ١٩٩
- كتب النوادر ٢٠٠
- التأليف فى فنون لغوية أخرى ٢٠٠
- المعاجم اللغوية ٢٠٠
- الخلاصة ٢٠٣

الفصل الثانى (البلاغة والنقد الأدبى): ٢٠٤
- مدخل ٢٠٤
- نشأة البلاغة والنقد الأدبى بالعراق فى كنف علوم القرآن واللغة ٢٠٤
- مرحلة النمو فى الدراسات البلاغية - بعض المؤلفات التى تمثل هذه المرحلة ٢٠٧
- كتاب تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ٢٠٧
- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ٢٠٧

- كتاب النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ٢٠٨
- عبد الله بن المعتز العباسى وأُولى المحاولات لاستقرار علم البلاغة ٢٠٩
- ارتباط النقد الأدبى بالبلاغة فى مؤلفات العراقيين خلال القرنين (٣،٤هـ) ٢١٠
- **الخلاصة** ٢١١

الفصل الثالث (الشعر والنثر الفنى): ٢١٢

أولاً: الشعر (اتجاهاته الفنية العامة) ٢١٢

- مدخل ٢١٣
- الاتجاه الأول: التجديدى المحدث ٢١٣
- الاتجاه الثانى: الاتجاه المحافظ ٢١٣
- الاتجاه الثالث: المحافظ الجديد ٢١٥
- حركة جمع الشعر العربى فى بغداد خلال القرنين (٣،٤هـ) ٢١٧

ثانياً: النثر الفنى: ٢١٩

- تعريفه - نشأته ٢١٩
- تطور النثر الفنى فى بغداد فى ظل الخلافة العباسية ٢٢٠
- مدرسة الجاحظ النثرية وآثارها العميقة فى الأجيال المتعاقبة ٢٢١
- **الخلاصة** ٢٢٤

(الباب الثالث)
الدراسات التاريخية والجغرافية

الفصل الأول: (الدراسات التاريخية) ٢٢٧

- المراحل التى مر بها علم التاريخ ودور العراقيين فى تدوينه وتطور مناهجه ٢٢٧

أولاً: مرحلة التدوين الأولى ٢٢٧

ثانياً: مرحلة جمع الأخبار والروايات التاريخية فى كتب ذات موضوع واحد ٢٢٨

- مميزات هذه المرحلة ٢٣١

ثالثاً: التأريخ على الأساس الزمنى فى إطار وحدة الأمة والتاريخ العالمى ٢٣٢

- مدخل: ٢٣٢
- أبرز مؤرخى هذه المرحلة: ٢٣٣

(١) خليفة بن خياط العُصفرى البصرى (ت ٢٤٠هـ) ٢٣٣

(٢) ابن قتيبة الدينورى البغدادى (ت ٢٧٦هـ) ٢٣٤

(٣) البلاذرى (ت ٢٧٩هـ) ٢٣٤

(٤) أبو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ) ٢٣٤ ..... ٢٣٤

(٥) اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) ٢٣٥
(٦) ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) ٢٣٥
- تعقيب ٢٣٧
اتجاهات التأليف التاريخى فى (بغداد/المشرق) خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين: ٢٣٨
مدخل ٢٣٨
أولاً: السيرة النبوي ٢٤٠
ثانياً: كتب التاريخ العام ٢٤٢
أبرز المؤرخين فى هذا الاتجاه: ٢٤٣
(١) نفطويه (ت ٣٢٣هـ) ٢٤٣
(٢) ثابت بن سنان بن قرة الصابئ (ت ٣٦٥هـ) ٢٤٣
(٣) مسكويه (ت ٤٢١هـ) ٢٤٤
(٤) المسعودى (ت ٣٤٥هـ) ٢٤٤
(٥) الصولى (ت ٣٣٥هـ) ٢٤٥
ثالثاً: التواريخ المحلية (تواريخ المدن) ٢٤٦
- كتب الفتوح ٢٤٩
رابعاً: كتب الأنساب ٢٥٠
خامساً: التراجم وتواريخ الرجال ٢٥٢
- جهود علماء الحديث فى هذا الفن ٢٥٣
- مؤلفات فى تراجم الخلفاء ٢٥٣
- مؤلفات فى تراجم الوزراء ٢٥٤
- مؤلفات فى تراجم الكتّاب والحُجّاب ٢٥٤
- مؤلفات فى تراجم القضاة ٢٥٤
- مؤلفات فى تراجم الفقهاء ٢٥٥
- مؤلفات فى تراجم القراء ٢٥٦
- مؤلفات فى تراجم الزهاد والصوفية ٢٥٦
- مؤلفات فى تراجم النحاة واللغويين ٢٥٦
- مؤلفات فى تراجم الشعراء ٢٥٧
سادساً: التأريخ الحضارى ٢٥٧
- التاريخ الإدارى ٢٥٧
- الشؤون المالية ٢٥٨

- التعريف بكتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر البغدادى(ت ٣٢٨هـ) ٢٥٨
- الفكر السياسى ٢٥٩
- التأريخ الثقافى ٢٦٠
- التعريف بكتاب الفهرست لابن النديم ٢٦١
- كتب الديارات وكتب الغناء والموسيقى وأهميتها فىالتأريخ للحياة الاجتماعية..... ٢٦١
- **تعقيب** ٢٦٣

الفصل الثانى: (الدراسات الجغرافية) ٢٦٥

- تعريف الجغرافيا ٢٦٥
- جهود المدرسة البغدادية فى مجال الدراسات الجغرافية خلال القرنين (٣،٤ هـ)..... ٢٦٥
- بداية التأليف الجغرافى على يد اللغويين العراقيين (الجغرافيا الخاصة بجزيرة العرب) ٢٦٥
- المؤلفات الجغرافية لهشام الكلبى (ت ٢٠٦هـ) ٢٦٧
- الدراسات الجغرافية فى مؤلفات الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ٢٦٧
- التوسع فى التأليف الجغرافى (الجغرافية الإقليمية الوصفية) ٢٦٩
- **أبرز الجغرافيين البلدانيين (المسالك والممالك):** ٢٦٩

أولاً: فى القرن الثالث الهجرى: ٢٧٠

- أبو العباس المروزى، ابن الطيب السرخسى ٢٧٠
- ابن خُـرْداذْبة (ت ٢٨٠هـ) ٢٧٠
- اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) ٢٧١
- ابن الفقيه الهمدانى نزيل بغداد (ت ٢٩٠هـ) ٢٧٢

ثانياً: فى القرن الرابع الهجرى: ٢٧٢

(١) المدرسة الكلاسيكية (البلخى/ الاصطخرى/ ابن حوقل) ٢٧٣
(٢) ابن فضلان - والمسعودى ٢٧٤

- مجالات أخرى فى التأليف الجغرافى غير الجغرافية الوصفية: ٢٧٨
- الجغرافية الفلكية والرياضية ٢٧٨
- الجغرافية الطبيعية ٢٨٠
- إخوان الصفا ٢٨٠
- رسم الخرائط ٢٨١
- تعقيب وخلاصة..... ٢٨٣

(الباب الرابع)
العلوم العقلية والتجريبية

الفصل الأول (تمهيدى): حركة الترجمة فى بغداد وأثرها فى التقدم العلمى ٢٨٩
- أهمية الترجمة فى التعرف على النهضة العلمية التى شهدتها بغداد ٢٨٩
- أهم المراكز العلمية القديمة ذات الأثر فى ازدهار حركة الترجمة ٢٩٠
- الأدوار التى مرت بها حركة الترجمة حتى وصلت إلى قمتها فى بغداد ٢٩١
أولاً: الترجمة فى القرن الأول الهجرى (العصر الأموى والاتصالات الأولى) ٢٩٢
- رعاية خالد بن يزيد الأموى (ت ٨٥هـ) للترجمة ٢٩٢
- تعريب الدواوين ٢٩٣
ثانياً: الترجمة فى القرن الثانى الهجرى (التعريب الواسع): ٢٩٤
[١] فى خلافة المنصور ٢٩٤
- ابن المقفع ٢٩٥
- أبو يحيى البطريق وآخرون ٢٩٥
[٢] عصر الرشيد - البرامكة ٢٩٦
ثالثاً : الترجمة فى القرن الثالث الهجرى (التعريب الكثيف) ٢٩٧
- رعاية المأمون لحركة الترجمة ٢٩٧
- يوحنا بن ماسويه الطبيب ورعايته للترجمة ٢٩٩
- أشهر النَّـقلة فى القرن الثالث الهجرى: ٣٠٠
- حنين بن إسحق العبادى (المتوفى ٢٦٠هـ) عميد المترجمين ٣٠٠
رابعاً: الترجمة فى القرن الرابع الهجرى ٣٠١
- الملامح العامة لحركة الترجمة والنتائج التى تمخضت عنها ٣٠٢
- تطوير علوم الأوائل وتحديثها فى (بغداد/المشرق) ٣٠٦
- الخلاصة ٣٠٨
الفصل الثانى (علم الفلسفة): ٣٠٩
- تعريف الفلسفة ٣٠٩
- نوع الفلسفة التى نؤرخ لها فى (بغداد/المشرق) ٣٠٩
- الاعتراف بسلطان الفلسفة اليونانية ٣١١
- ترجمة كتب الفلسفة اليونانية فى بغداد ٣١٢
- مدرسة بغداد الفلسفية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ٣١٤
- أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندى (ت ٢٥٢هـ) ٣١٤

- تلامذة الكندى (أحمد السرخسى/ أبو معشر البلخى) ٣١٦
- ابن كَرنيب الكاتب البغدادى ٣١٧
- أبو بشر متّى بن يونس (ت ٣٣٩هـ) ٣١٧
- الفارابى تلميذ أبى بشر (ت ٣٣٩هـ) ٣١٨

– مدرسة بغداد الفلسفية فى النصف الثانى من (القرن ٤ هـ) ٣٢٠

(١) يحيى بن عدى التكريتى البغدادى (ت ٣٦٤هـ) ٣٢٠

(٢) أبو سليمان المنطقى (ت ٣٩١هـ) ٣٢٢

– الجمعية الفلسفية السجستانية ببغداد ٣٢٢

– ابن الخمار ٣٢٣

– أبو حيان التوحيدى (ت ٤١٤هـ) ٣٢٣

– مَسْكَوَيْه (ت ٤٢١هـ) ٣٢٤

- عبد الله بن الطيب البغدادى (ت ٤٣٥هـ) ٣٢٥
- إخوان الصفا (أواخر القرن الرابع الهجرى) ٣٢٦
- ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) ٣٢٨

– تعقيب وخلاصة ٣٣٠

الفصل الثالث (علوم الفلك والرياضيات) ٣٣١

– المبحث الأول: علم الفلك: ٣٣١

– تعريفه ٣٣١

– علم الفلك فى الحضارات القديمة وعند العرب قبل الإسلام ٣٣١

– فى العصر الأموى ٣٣٢

– تقدُّم علم الفلك على أيدى العباسيين الأوائل اعتماداً على الكتب المترجمة ٣٣٣

– أبو جعفر المنصور وعنايته بهذا العلم ٣٣٣

– أهم ما تُرجم من كتب الفلك فى بغداد ٣٣٤

(١) كتاب السند هند ٣٣٤

(٢) كتاب زيج الشهريار ٣٣٧

(٣) كتاب المجسطى لبطليموس ٣٣٧

– جهود المدرسة البغدادية فى تطوير علم الفلك ٣٣٩

أولاً: المراصد الفلكية ٣٤٠

– قياس محيط الأرض فى عهد المأمون بإشراف علماء بغداد ٣٤٢

ثانياً: آلات الرصد ٣٤٣

- ذات الحَـلَق ٣٤٤
- ذات الشَّـعْـبتين ٣٤٥
- الأَسْـطُـرْلاب وريادة البغداديين فى صناعته ٣٤٥
ثالثاً: الأزياج (الجداول الفلكية) ٣٤٨
- تعقيب وخلاصة ٣٥٠
- المبحث الثانى: الرياضيات: ٣٥١
- مدخل ٣٥١
- ترجمة كتب الرياضيات فى بغداد ٣٥١
(١) كتاب أوقليدس فى علم الهندسة ٣٥٢
(٢) كتاب المخروطات - تأليف أبلُّونيوس ٣٥٤
(٣) كتاب أصول الهندسة - تأليف منالاؤس ٣٥٤
- جهود علماء (بغداد/المشرق) فى تطوير علم الرياضيات وتقدمه ٣٥٥
أولاً: علم الهندسة ٣٥٥
- العناية بكتب اليونان فى علم الهندسة ٣٥٦
- أبرز العلماء الذين كان لهم إسهامات كبيرة فى تقدم علم الهندسة: ٣٥٧
(١) الكندى الفيلسوف البغدادى (ت ٢٥٢هـ/٨٦٧م) ٣٥٧
(٢) ثابت بن قُرة الحرانى البغدادى (٢٨٨هـ/٩٠١م) وولده سنان (٣٣٢هـ / ٩٤٣م)، والحفيد أبو إسحق إبراهيم بن سنان (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) ٣٥٨
(٣) أبو سهل الكوفى البغدادى (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م) ٣٦٠
(٤) ابن الهيثم البصرى/نزيل مصر (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) ٣٦١
- **اهتمام علماء (بغداد/المشرق) بالهندسة التطبيقية** ٣٦٢
ثانياً: علم الجبر: ٣٦٤
الخوارزمى وفضله فى تأسيس علم الجبر ٣٦٤
جهود علماء بغداد فى علم الجبر بعد الخوارزمى ٣٦٧
ثالثاً: علم حساب المثلثات: ٣٦٨
- أبرز علماء المدرسة البغدادية الذين أرسوا قواعد هذا العلم ٣٦٩
(١) أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتَّانى (ت٣١٧هـ/٩٢٩م) ٣٦٩
(٢) أبو الوفا محمد بن محمد البُوزْجانى البغدادى (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) ٣٦٩
رابعاً: علم الحساب: ٣٧١
- الأرقام العربية وأصولها الهندية: ٣٧١

- جهود المدرسة البغدادية فى علم الحساب: ٣٧٢
- محمد بن موسى الخوارزمى (ت ٢٣٦هـ) ٣٧٢
- يعقوب بن إسحق الكندى (ت ٢٥٢هـ/٨٦٧م) ٣٧٣
- سند على أبو الطيب البغدادى ٣٧٣
- سنان بن الفتح الحرانى البغدادى ٣٧٣
- أبو الوفا البوزجانى (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) ٣٧٤
- **تعقيب** ٣٧٥

الفصل الرابع (علم الطب): ٣٧٦
- تعريفه ٣٧٦
- الطب فى الحضارات القديمة ٣٧٦
- نشأة علم الطب فى بغداد والاستفادة من التراث اليونانى والهندى ٣٧٧

مدخل ٣٨١

أولاً: اتباع المنهج العلمى التجريبى ٣٨١
- امتحان الأطباء ٣٨٣

ثانياً: التخصص فى فروع الطب المختلفة، ومنها: ٣٨٣
(١) طب العيون ٣٨٤
(٢) طب الجراحة والتشريح ٣٨٨

ثالثاً: بناء اليمار ستانات ٣٩٠
- بعض أعلام الطب فى (بغداد/المشرق) خلال القرنين (٤،٣هـ) ٣٩٣

(١) على بن رَبَن الطبرى/البغدادى (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) وكتابه "**فردوس الحكمة**"... ٣٩٤
(٢) أبوبكر محمد بن زكريا الرازى/البغدادى (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) ٣٩٥
- التعريف ببعض كتبه فى الطب (**الحاوى/كتاب الجدرى والحصبة**) ٣٩٧
(٣) على بن العباس المعروف بابن المجوسى(ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) ٣٩٩
(٤) ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) وكتابه (**القانون**) ٤٠٠
- **تعقيب** ٤٠١

الفصل الخامس (الصيدلة والكيمياء) ٤٠٢

(المبحث الأول) : علم الصيدلة ٤٠٢
- تعريفه ٤٠٢
- ترجمة كتب الصيدلة القديمة فى بغداد ٤٠٢
- ترجمة كتاب (الحشائش) لديسقوريدس ٤٠٤

- بعض المآثر العلمية التى حققها علماء المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى علم الصيدلة.. ٤٠٦
- أعلام المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى هذا العلم ٤٠٨
(١) يوحنا بن ماسَوَيه (ت٢٤٣هـ/٨٥٧م) ٤٠٨
(٢) على بن سهل بن رَبَن الطبرى/البغدادى(ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) ٤٠٩
(٣) حنين بن إسحق العبادى البغدادى(ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) ٤٠٩
(٤) سابور بن سهل النصرانى البغدادى (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ٤٠٩
(٥) الكندى (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ٤١٠
(٦) الرازى الطبيب البغدادى (٣٢٠هـ/٩٢٣م) ٤١٠
تعقيب وخلاصة ٤١٣
(المبحث الثانى) ، علم الكيمياء ٤١٣
- تعريف الكيمياء ٤١٣
- خالد بن يزيد وجهوده فى مجال الكيمياء ٤١٤
- جهود المدرسة البغدادية فىعلم الكمياء..... ٤١٥
(١) جابر بن حيان الأذرى الكوفى ٤١٥
(٢) الكندى: الفيلسوف البغدادى(٢٥٢هـ/٨٦٦م) ٤١٧
(٣) الرازى (المتوفى٣٢٠هـ/٩٣٢م) ٤١٨
- علماء آخرون أسهموا فى علم الكيمياء..... ٤٢١
- تعقيب..... ٤٢٢
الفصل السادس : (علوم الحياة) ٤٢٣
مدخل ٤٢٣
(المبحث الأول) : علم النبات والفلاحة..... ٤٢٣
- التأليف فى النبات باعتباره مادة لغوية..... ٤٢٣
- كتاب (النبات)لأبى حنيفة الدينورى/البغدادى ٤٢٥
- ترجمة التراث اليونانى فى النبات والفلاحة..... ٤٢٥
- أعلام المدرسة (البغدادية/المشرقية)فى علم النبات والفلاحة..... ٤٢٧
(١) قسطا بن لوقا البعلبكى البغدادى (٣١١هـ/٩٢٣م) ٤٢٧
(٢)ابن وحشية النبطى (ت٢٩٩هـ/٩٠٩م) ٤٢٨
(٣) ابن إسحق البغدادى (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م) ٤٢٨
(٤) الرازى (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) ٤٢٩
- تعقيب..... ٤٢٩

(المبحث الثانى) : علم الحيوان ٤٣٠
- تعريفه ٤٣٠
- ترجمة كتب الحيوان عن الإغريق ٤٣٠
- علم الحيوان عند المسلمين (المدرسة البغدادية) ٤٣١
- كتب علماء اللغة عن الحيوان ٤٣١
- كتب الحيوان (كعلم من العلوم البحتة) ٤٣٢
- كتاب الحيوان للجاحظ ٤٣٤
- علم الحيوان فى كتب الطب ٤٣٥
تعقيب ٤٣٥
الفصل السابع : (علوم الطبيعة/الفيزياء) ٤٣٦
- تعريف علوم الطبيعة ٤٣٦
- التأثر بالفكر اليونانى فى العلوم الطبيعية ٤٣٦
- منجزات المدرسة البغدادية فى علوم الطبيعة ٤٣٧
أولا : علم الحِيَل ٤٣٧
- تعريفه ٤٣٧
- أشهر الذين كتبوا فى علم الحيل فى إطار المدرسة البغدادية ٤٣٧
(١) الكندى(ت٢٥٢هـ/٨٦٧) ٤٣٨
(٢) أبناء موسى بن شاكر المنجم البغدادى ٤٣٨
(٣) ثابت بن قرة الحرانى البغدادى(ت٢٨٨هـ/٩٠٠م) ٤٣٨
- صناعة ألات الحركة وما يسمى بالأوانى العجيبة ٤٣٨
- الساعات الشمسية والمائية ٤٤١
- الروافع ومراكز الأثقال ٤٤٣
- الموازين وعلم الأوزان ٤٤٣
- علم السوائل ٤٤٥
ثانياً : الوزن (الثقل) النوعى ٤٤٦
ثالثاً : الجاذبية الأرضية ٤٤٩
رابعاً : علم المناظر والضوء (البصريات) ٤٥١

- علم المناظرعند اليونان ٤٥١
- عناية المسلمين بعلم البصريات (المدرسة البغدادية) ٤٥١
(١) الكندى الفيلسوف البغدادى (٢٥٢هـ/٨٦٦م) ٤٥١
(٢) حنين بن إسحق العبادى البغدادى (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) ٤٥٢
(٣) مشاركة الرازى فى علم البصريات ٤٥٣
(٤) ابن سينا (ت٤٢٨هـ)والبيرونى (ت٤٤١هـ) ٤٥٣
(٥) الحسن بن الهيثم رائدعلم البصريات (مؤلفاته/اكتشافاته) ٤٥٤
خامساً : علم الصوت ٤٥٦
- كتاب (أسباب حدوث الحروف) لابن سينا (مخطوط) ٤٥٧
سادساً : علم الموسيقى ٤٥٧
- ترجمة كتب الموسيقى عند الإغريق ٤٥٧
- المدرسة (البغدادية /المشرقية)فى علم الموسيقى ٤٥٨
(١) الكندى الفيلسوف (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م) ٤٥٨
(٢) أحمد بن محمد بن مروان السرخسى (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م) ٤٥٩
(٣) ثابت بن قرة الحرانى/البغدادى (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م) ٤٥٩
(٤) قسطا بن لوقا الطبيب المسيحى البغدادى ٤٥٩
(٥) يحيى بن على بن يحيى المنجم(ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ٤٥٩
- تطور المدرسة (البغدادية/المشرقية) فى علم الموسيقى على يد الفارابى (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م) .. ٤٦٠
- بلوغ المدرسة (البغدادية/المشرقية) الذروة فى علم الموسيقى على يد ابن سينا (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ٤٦٢
- صناعة الآلات الموسيقية ٤٦٢
- **الخلاصة - تعقيب** ٤٦٥
- خاتمة الباب ٤٦٦
* خاتمة القسم الأول ٤٦٨

(القسم الثانى)
انتقال النهضة العلمية من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس)، وجهود الأندلسيين فى تطويرها، وتأثيرها على أوربا
الباب الأول
إنتقال العلوم من (بغداد/المشرق) إلى (قرطبة/الأندلس)

- تمهيد ٤٧٥
- الخيوط الأولى لفجر الحضارة الأندلسية (بداية التأثير المشرقى) ٤٧٩

الفصل الأول : (العلوم الدينية) ٤٨٢

- **المبحث الأول : علوم القرآن الكريم** ٤٨٢
  - مدخل ٤٨٢

أولاً : علم القراءات ٤٨٣

- دخول قراءة نافع (المدنى) إلى قرطبة فى منتصف القرن الثانى الهجري ٤٨٣
- دخول قراءة ورش (المصرى-تلميذ نافع) إلى قرطبة ٤٨٥
- رحلة أبى الحسن الأنطاكى إلى قرطبة وعمله على نشر قراءة ورش وغيرها من القراءات ... ٤٨٥
- دور بغداد فى نقل علم القراءات إلى (قرطبة/الأندلس) ٤٨٨
- رحلة بعض العلماء الأندلسيين إلى بغداد للأخذ عن قرائها ٤٨٨
- رحلة بعض القراء البغداديين إلى (قرطبة/الأندلس) ٤٨٩
- وجود عدد كبير من علماء القراءات البغداديين فى مصر ٤٩٠
- هجرة كتب البغداديين فى علم القراءات إلى قرطبة ٤٩١
- **تعقيب وخلاصة** ٤٩٥

- ثانياً : علم التفسير ٤٩٦

- مدخل ٤٩٦
- نقل كتب التفسير(البغدادية/المشرقية) إلى قرطبة ٤٩٧

(أ) كتب التفسير بالمأثور ٤٩٧

١- التفسير المنسوب إلى عبد الله بن عباس ٤٩٧
٢- كتاب التفسير المنسوب إلى الحسن البصرى ٥٠٠
٣- تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(ت١٨٢هـ/٧٩٨م) ٥٠٢
٤- تفسير عبد الرزاق الصنعانى(ت٢١١هـ/٨٢٦م) ٥٠٢
٥- تفسير يحيى بن سلام البصرى/القيروانى(ت٢٠٠هـ/ ٨١٥م) ٥٠٢
٦- تفسير ابن جرير الطبرى/البغدادى(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ٥٠٤

٧- تفسير أبي بكر النقاش البغدادى(ت٣٥١هـ/٩٦٢م) ٥٠٦
(ب) كتب التفسير بالرأى ٥٠٦
(ج) كتب التفسير اللغوى والبلاغى ٥٠٧
١- كتب معانى القرآن ٥٠٧
٢- كتب غريب القرآن ٥٠٩
٣- كتب أخرى ٥٠٩
(هـ) كتب تفسير الأحكام (التفسير الفقهى) ٥١٠
- تعقيب ٥١١
المبحث الثانى :(علم الحديث) ٥١٣
- بدايات التأثير المشرقى فى مجال علم الحديث ٥١٣
- دور معاوية بن صالح الشامى الحمصى ٥١٣
- دور صعصعة بن سلام الشامى ٥١٤
- الموطأ من أوائل كتب الحديث التى دخلت قرطبة ٥١٤
- بعض الرواد الذين كان لهم مشاركة جيدة فى نقل الحديث من المشرق إلى قرطبة قبل منتصف القرن الثالث الهجرى ٥١٥
- تأسيس مدرسة الحديث بقرطبة اعتماداً على المدرسة البغدادية ٥١٦
- مدخل ٥١٦
- أبرز العلماء الأندلسيين الذين كان لهم دور بارز فى ازدهار دراسة علم الحديث بقرطبة بعد منتصف القرن الثالث الهجرى تأثراً بالمدرسة (البغدادية / المشرقية) ٥١٦
(١) بقى بن مخلد(ت٢٧١هـ/٨٨٩م) ٥١٧
(٢) محمد بن وضاح(ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) ٥٢١
(٣) محمد عبد السلام الخشنى(ت٢٨٦هـ/٨٩٩م) ٥٢٥
- جهود طبقة أخرى من علماء قرطبة فى تطويرعلم الحديث اعتماداً على(بغداد/المشرق) : ٥٢٧
(١) قاسم بن أصبغ البيانى(ت٣٤٠هـ/٩٥٢م) ٥٢٧
(٢) محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت٣٣٠هـ/٩٤١م) ٥٢٧
(٣) محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبى (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) ٥٣٠
- نتائج وتعقيب ٥٣٢
المبحث الثالث : (علم الفقه) ٥٣٤
- مدخل ٥٣٤
- دخول مذهب الأوزاعى إلى قرطبة ٥٣٤

- انتقال المذهب المالكى إلى قرطبة ٥٣٦
- رحلة الأندلسيين إلى الإمام مالك لسماع الموطأ والعودة به إلى قرطبة ٥٣٦
- جهود بعض الفقهاء القرطبيين فى تأسيس المذهب المالكى بالأندلس ٥٣٧
(١) عيسى بن دينار الغافقى(ت٢١٢هـ/٨٢٧م) ٥٣٨
(٢) يحيى بن يحيى الليثى(ت٢٣٤هـ/٨٤٨م)ودوره الفعّال ٥٣٩
- دخول كتب المذهب المالكى من المغرب إلى الأندلس (الأسدية- المدوّنة) ٥٤٢
(١) الأسدية وتأثرها بالفقه العراقى ٥٤٢
(٢) المدوَّنة ٥٤٤
- الخلاصة ٥٤٦
- تأثر علماء(قرطبة/الأندلس)بالمذهب المالكى فى بغداد ٥٤٧
- **تعقيب** ٥٥٠
- دخول المذهب الشافعى إلى قرطبة ٥٥١
- مدخل ٥٥١
- بقى بن مَخلَد وأُولى المحاولات ٥٥١
- تلاميذ بقى بن مخلد الذين درسوا الفقه الشافعى ٥٥٢
- دور قاسم بن محمد بن سيار القرطبى(ت٢٧٦هـ/٨٩٠م) ٥٥٣
- جهود أندلسية أخرى لنشرالمذهب الشافعى فى قرطبة ٥٥٤
- رحلة الفقهاء الشافعيه من بغداد إلى قرطبة ٥٥٥
- رحلة بعض علماء قرطبة إلى بغداد لدراسة المذهب الشافعى ٥٥٧
- الخلاصة ٥٥٨
- انتقال المذهب الظاهرى من بغداد إلى قرطبة ٥٥٨
- الخلاصة ٥٦٠
- هل كان للمذهب الحنبلى وجود فى قرطبة ٥٦٠
- تعقيب عام ٥٦١

الفصل الثانى (علوم اللغة العربية) ٥٦٣
- مدخل ٥٦٣
- الرحلة ولقاء اللغويين والنحويين(البغداديين/المشارقة) ٥٦٣
- **تعقيب** ٥٦٧

- هجرة بعض علماء اللغة والأدب من بغداد إلى قرطبة وتأثيرهم فى الحياة الأدبية بها : ٥٦٨
- أبوعلى القالى/ البغـــدادى(ت٣٥٦هـــ/٩٦٧م) وجهوده الكبيرة فى إثراء النهضة اللغوية فى قرطبة ٥٦٩
- صاعد البغدادى وكتاب (الفصوص) ٥٧٢
- هجرة كتب اللغة والأدب من (بغداد/المشرق)إلى قرطبة ٥٧٤
- مدخل ٥٧٥
- **أولاً** : كتب النحو ٥٧٥
(١) كتاب الكسائى(ت١٨٨هـــ/٨٠٤) ٥٧٥
(٢) كتاب سيبويه(ت١٨٠هـــ/٧٩٦م) ٥٧٦
(٣) كتاب الأخفش (ت ٢١٠ هـــ/ ٨٢٥ م) ٥٧٧
(٤) كتاب الجمل للزجاجى (ت ٣٢٩ هـــ/٩٥٠م) ٥٧٨
(٥) كتب أخرى فى النحو ٥٧٩
- **ثانياً : كتب اللغة** ٥٧٩
(أ) **الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد** ٥٨٠
(ب) كتب الصفات /اللغات/النوادر/الملاحن/الفصيح/فقه اللغة ٥٨١
(ج) كتب الغريب ٥٨٢
(١) كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى البغدادى ٥٨٢
(٢) كتب ابن قتيبة الدينورى البغدادى ٥٨٥
(٣) كتاب غريب الحديث للخطّابى ٥٨٦
- **المعاجم اللغوية** ٥٨٧
- **ثالثاً : كتب الأدب** ٥٨٩
(١) كتب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـــ/٨٦٨م) ٥٨٩
(٢) كتاب الكامل للمبرد(ت٢٨٠هـــ/٨٩٣م) ٥٩٠
(٣) أدب الكاتب لابن قتيبة(ت٢٧٦هـــ/٨٨٩م) ٥٩٠
(٤) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى(ت٣٥٦هـــ/٩٦٦م) ٥٩١
- كتب أخرى ٥٩١
- **تعقيب وخلاصة** ٥٩١
الفصل الثالث : (علم التاريخ والجغرافيا) ٥٩٣
المبحث الأول : علم التاريخ ٥٩٣
هجرة الكتب التاريخية من (بغداد/المشرق) إلى قرطبة وتأثر الأندلسيين بها ٥٩٣
أولاً : كتب التاريخ العام ٥٩٣

(١) تاريخ خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) ٥٩٤
(٢) تاريخ اليعقوبى(ت٢٨٤هـ-٨٩٧م) ٥٩٤
(٣) تاريخ الطبرى(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ٥٩٤
ثانياً : الكتب التاريخية ذات الموضوع الواحد ٥٩٦
ثالثاً : كتب فى تاريخ الخلفاء ٥٩٧
رابعاً : كتب السيرة المشرقية وروايتها فى الأندلس ٥٩٧
- ابن عبد البر وابن حزم وتأثرهما بكتب السيرة المشرقية ٥٩٩
- الخلاصة ٦٠٠
خامساً : **كتب الأنساب** ٦٠١
(١) كتاب الأنساب لابن الكلبى(٢٠٤هـ/٨١٩م) ٦٠١
(٢) كتاب النسب لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى(ت ٢٢٤هـ/٨٣٨ م) ٦٠٢
(٣) كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى(ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) ٦٠٢
(٤) كتاب نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار(ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) ٦٠٣
سادساً : **كتب التراجم والطبقات** ٦٠٣
- مدخل ٦٠٣
(١) طبقات ابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م) ٦٠٤
(٢) طبقات خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) ٦٠٤
(٣) تاريخ ابن أبى خيثمة البغدادى(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ٦٠٥
(٤) ذيل المذيل للطبرى(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ٦٠٥
- تعليق ٦٠٦
سابعاً : **التواريخ المحلية** ٦٠٧
- **تعقيب وخلاصة** ٦٠٨
المبحث الثانى : **(الجغرافيا)** ٦١٠
- أنواع الكتب المشرقية التى دخلت الأندلس (فى مجال الجغرافيا) : ٦١٠
النوع الأول : كتب تاريخ المدن ٦١٠
النوع الثانى : كتب اللغة التى تهتم بتسجيل المفردات اللغوية الخاصة بالظواهر الطبيعية ٦١١
- كتب الجغرافيا الوصفية والأقليمية وتأثر الأندلسيين بها ٦١٢
الفصل الرابع : **(علم الكلام والفلسفة)** ٦١٤
- تسرب مذهب المعتزلة من العراق إلى قرطبة (فترة ما قبل ابن مسرة) ٦١٤
- خليل الغفلة وتأثره بمذهب المعتزلة أثناء وجوده بالعراق ٦١٥

- ابن السَّمينة (ت ٣١٥هـ/٩٢٧م) ٦١٦
- عائلة بنى حُدير ٦١٧
- المنذر بن سعيد البلُّوطى ٦١٧
- بعض أتباع المعتزلة البغداديين فى قرطبة ٦١٨
- **تعقيب** ٦١٨
- ابن مسرة القرطبى وتأثره بالتيارات الكلامية والفلسفية فى العراق ٦١٨
- علمه ورحلته ٦١٨
- آراؤه الكلامية والفلسفية التى تأثر بها عن طريق المعتزلة وغيرهم ٦١٩
- **تعقيب** ٦٢٣
- المجتمع القرطبى فى عصر الخلافة الأموية يتصدى للآراء الكلامية والفلسفية الوافدة عليه ٦٢٤
- **تعقيب** ٦٢٦

الفصل الخامس (العلوم التجريبية) ٦٢٩
- مدخل ٦٢٩

- **المبحث الأول : (علم الطب)** ٦٣١
- مدخل ٦٣١
- دخول بعض كتب الطب (البغدادية / المشرقية) إلى قرطبة فى فترة مبكرة من تاريخ الأندلس ٦٣٢
- دخول كتب الطب من (بغداد/المشرق) إلى قرطبة فى فترة الخلافة ٦٣٣
- استمرار مسيرة اعتماد الأندلسيين على كتب الطب المشرقية خلال القرن الخامس الهجرى وما يليه ٦٣٧
- **تعقيب** ٦٣٧
- رحلة الأطباء المشارقة إلى قرطبة ٦٣٧
- رحلة أهل قرطبة إلى بغداد فى القرن الرابع لتعلُّم الطب ٦٣٩
(١) رحلة الأخوين أحمد وعمر ابنى يونس بن أحمد الحرانى ٦٣٩
(٢) رحلة محمد بن عبدون الجبلى القرطبى ٦٤١
(٣) رحلة ابن ذنين الصدفى - رحلة الكرمانى ٦٤١
- استمرار ارتباط الأطباء الأندلسيين (ببغداد/المشرق) فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ٦٤٢
- **تعقيب ونتائج** ٦٤٤

- **المبحث الثانى : علوم الصيدلة والنبات والحيوان** ٦٤٥
- مدخل ٦٤٥

- انتقال كتب الصيدلة والنبات من المشرق إلى الأندلس ٦٤٥
• **أولاً**: الكتب المترجمة عن الإغريق ٦٤٥
ثانيا : الكتب التى صنفها علماء (بغداد/المشرق) فى إطار حركة الإبداع والابتكار التى طورت تراث الأوائل ٦٤٨
- اعتماد الأندلسيين على كتب اللغة المشرقية الخاصة بالنبات ٦٤٩
- رحلة علماء قرطبة إلى بغداد لتعلُّم الصيدلة ٦٥٠
- قدوم بعض صيادلة بغداد إلى قرطبة ٦٥١
-المبحث الثالث : (علم الفلك والرياضيات) ٦٥٢
- إدخال بعض كتب الفلك والرياضيات المشرقية إلى قرطبة فى وقت مبكر (قبل ق ٤ هـ) ٦٥٢
- أهم كتب الفلك والرياضيات المشرقية التى انتقلت إلى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى ٦٥٣
أولاً : فى علم الفلك ٦٥٣
ثانيا : فى الرياضيات ٦٥٤
- رحلة بعض علماء قرطبة إلى (بغداد/المشرق) لتحصيل علوم الفلك والرياضيات ٦٥٥
- **الخلاصة** ٦٥٦
- **المبحث الرابع (الموسيقى والغناء)** ٦٥٧
- مدخل ٦٥٧
- زرياب تلميذ إسحق الموصلى البغدادى ٦٥٧
- رحلة زرياب إلى الأندلس وإقامته فى قرطبة ٦٥٩
- أثر زرياب فى الموسيقى والغناء والأنماط الاجتماعية فى قرطبة ٦٦٠
أولاً : أثره فى الغناء والموسيقى ٦٦٠
ثانيا : أثر زرياب فى الحياة العلمية والأنماط الاجتماعية ٦٦٢
- الخلاصة ٦٦٤
- مؤثرات مشرقية أخرى فى مجال الموسيقى والغناء بالأندلس ٦٦٥
- **تعقيب** ٦٦٦
- **خاتمة الباب : (النتائج المستخلصة)** ٦٦٧

(الباب الثانى)

انجازات الأندلسيين ودورهم فى دعم العلوم العربية والإسلامية الوافدة من (بغداد / المشرق)

الفصل الأول (تمهيدى) : (الخصوصية الأندلسية فى الثقافة والفكر) ٦٨١
- هل كان للأندلس شخصية متميزة أو خصوصية فى الثقافة والفكر ؟ ٦٨١
الفصل الثانى : (إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم الدينية ٦٩٥

- **المبحث الأول : (علوم القرآن الكريم)** ٦٩٥
- **أولاً : القراءات وما تفرع عنها من علوم** ٦٩٥
- توطئة ٦٩٥
- التراث الأندلسى فى علم القراءات ٦٩٥
- فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ٦٩٦
- تأسيس مدرسة القراءات الأندلسية فى (ق ٥ هـ) ٦٩٦
- أبرز العلماء فى هذه المرحلة : ٦٩٧
(١) أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى ٦٩٧
(٢) أبو عمرو الدانى ٦٩٨
(٣) أبو عبد الله الرعينى ٧٠٠
- أبو القاسم الشطبى (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) ومدرسته ٧٠١
- اتجاهات التأليف فى علم القراءات فى الأندلس خلال القرن الثامن الهجرى ٧٠١
- **تعقيب ومقارنة** ٧٠٤
- **ثانياً : التفسير وعلومه** ٧٠٥
- توطئة ٧٠٥
- **إنجازات الأندلسيين فى علم التفسير:** ٧٠٥
النوع الأول : التفسير بالمأثور ٧٠٥
النوع الثانى : التفسير الفقهى (آيات الأحكام) ٧١٥
النوع الثالث : التفسير اللغوى والبلاغى ٧١٧
- اختصار كتب التفسير المشرقية ٧١٩
- التأليف فى علم مشكل القرآن ومتشابهه ٧٢٠
- التأليف فى علوم تخدم علم التفسير: ٧٢١
- علم الناسخ والمنسوخ ٧٢٢
- علم أسباب النـــزول ٧٢٣
- علم " المكى والمدنى " ٧٢٤
- أنواع أخرى ٧٢٤
- التأليف فى (علوم القرآن) ٧٢٥
- التأليف فى الرد على كتب التفسير المشرقية التى تمثل الفرق الكلامية ٧٢٦
- **تعقيب ومقارنة** ٧٢٦
- **المبحث الثانى : (علوم الحديث النبوى)** ٧٢٩
- توطئة ٧٢٩

- صور من التراث الأندلسى فى علم الحديث : ٧٣٠
أولاً : تصنيف الحديث وجمعه : ٧٣٠
(أ) التأليف على المسانيد ٧٣٠
(ب) التأليف على الأبواب ٧٣٢
١ - كتب السنن..... ٧٣٢
٢ - كتب الصحاح..... ٧٣٣
٣ - المصنفات ٧٣٤
(ج) طرق أخرى لجمع الحديث النبوى ٧٣٤
١ - الأجزاء الحديثية..... ٧٣٤
٢ -كتب الأفراد / وكتب الأطراف / وكتب العوالى/ والكتب المفردة فى أبواب مخصوصة..... ٧٣٥
ثانياً : تأليف المجامع (الموسوعات الحديثة) ٧٣٦
ثالثاً : تصنيف الشروح للكتب الستة ٧٣٧
رابعاً : التصنيف فى علم الجرح والتعديل وتاريخ الرواه ٧٣٩
خامساً : التصنيف فى علم (علل الحديث) ٧٤٣
سادساً : التصنيف فى علم غريب الحديث ٧٤٤
- تعقيب ومقارنة..... ٧٤٧
- المبحث الثالث : (الفقه وأصوله) ٧٤٨
- توطئة..... ٧٤٨
- التراث الأندلسى فى الفقه المالكى : ٧٤٨
أولاً : الكتب الأمهات والدراسات التى كُتبت حولها ٧٤٨
(١) شروح الموطأ..... ٧٤٨
(٢) شروح المدونة ومختصراتها ٧٥٠
(٣) الواضحة ٧٥٣
(٤) المستخرجة (العُتبية) ٧٥٤
(٥) المبسوطة ٧٥٥
(٦) المَوَازِية ٧٥٥
(٧) رسالة ابن أبى زيد القيروانى ٧٥٦
ثانياً : صور أخرى من الدراسات الأندلسية فى الفقة المالكى..... ٧٥٦
(أ) المجاميع الفقية ٧٥٦
(ب) المختصرات الفقهية ٧٥٦

(ج) الأجزاء الفقهية ذات الموضوع الواحد ٧٥٧
(د) كتب الرد على المذاهب الفقهية الأخرى..... ٧٥٧
(هـ) كتب الاختيارات فى الفقه المالكى ٧٥٨
(و) كتب فقه الحديث..... ٧٥٨
(ز) كتب نوازل الأحكام والفتاوى والأقضية..... ٧٥٩
(ح) التأليف فى علم الفرائض (المواريث) ٧٦١
(ط) التأليف فى علم الوثائق والشروط ٧٦٢
(ى) التأليف فى علم أصول الفقه ٧٦٤
- التراث الأندلسى فى الفقه الظاهرى ٧٦٧
- ابن حزم وجهوده فى إحياء المذهب الظاهرى ٧٦٧
- التصدى للمذهب الظاهرى بالأندلس وتأليف الكتب للرد عليه ٧٦٩
- الخلاصة..... ٧٧١
- التراث الأندلسى فى الفقه الشافعى والفقه المقارن..... ٧٧١
- **تعقيب ومقارنة**..... ٧٧٢
- **الفصل الثالث: (إنجازات الأندلسيين فى مجال علوم اللغة العربية)** ٧٧٤
- **المبحث الأول (الدراسات النحوية واللغوية)** ٧٧٤
أولاً: النحو ٧٧٤
- توطئة..... ٧٧٤
- الشروح الأندلسية لكتب النحو المشرقية (شروح كتاب الكسائى/شروح سيبويه/ شروح كتاب الجمل للزجاجى ...) ٧٧٥
- المؤلفات النحوية المستقلة عن كتب المشارقة..... ٧٧٨
ثانياً: اللغة..... ٧٧٩
- توطئة..... ٧٧٩
- **التراث الأندلسى فى ميدان اللغة**..... ٧٧٩
(١) الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد..... ٧٨٠
(٢) كتب النوادر ٧٨٠
(٣) التأليف فى صيغ الأبنية (أبنية الأسماء والأفعال) ٧٨١
(٤) التأليف فى لحن العامة - والفصيح..... ٧٨٢
(٥) التأليف فى الغريبين (غريب القرآن وغريب الحديث) ٧٨٣
- تصنيف المعاجم اللغوية ٧٨٣
- مؤلفات الأندلسيين حول كتاب "العين" للخليل [مختصر العين] لأبى بكر الزبيدى.... ٧٨٤

- معاجم أندلسية على طريقة الخليل..... ٧٨٥
(١) كتاب "البارع" ودراسات الأندلسيين حوله..... ٧٨٥
(٢) كتاب "المُوعَب" فى اللغة لأبى غالب التيانى..... ٧٨٦
(٣) كتاب "المحكم" لابن سِـيده..... ٧٨٦
(٤) كتاب "المبرِّز" لابن يونس الحجارى..... ٧٨٧
- هل للأندلسيين معاجم لغوية على الطريقة (الألفبائية؟)..... ٧٨٧
- **تعقيب ومقارنة**..... ٧٨٧

المبحث الثانى: (مصادر الأدب فى التراث الأندلسى)..... ٧٨٨
- توطئة..... ٧٨٨
- الإنتاج الأندلسى فى تدوين الأدب:..... ٧٨٨

أولاً: تدوين الأدب الأندلسى والمشرقى..... ٧٨٨
(١) كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)..... ٧٨٨
(٢)كتاب الحدائق لأبى الفرج الجيَّانى(ت٣٥٩هـ/٩٦٩م)..... ٧٨٩
(٣) الذخيرة لابن بسّام الشنترينى (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)..... ٧٩٠

ثانياً: شروح الكتب المشرقية..... ٧٩٢
- توطئة..... ٧٩٢
(أ) شروح كتب الأدب الجامعة (أدب الكاتب/المقامات)..... ٧٩٢
(ب) شروح الدواوين والمختارات الشعرية..... ٧٩٤

المبحث الثالث: (البلاغة والنقد الأدبى)..... ٧٩٦
- مدخل..... ٧٩٦
- أبرز الشخصيات التى كان لها أثر بالغ فى البحث البلاغى والنقدى خلال القرنين (٤ ، ٥هـ)..... ٧٩٦
(١) ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)..... ٧٩٦
(٢) أبو عامر بن شهيد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٤م)..... ٧٩٧
(٣) ابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)..... ٧٩٧
- تطور الدراسات البلاغية والنقدية فى الأندلس بعد ابن شهيد وابن حزم:..... ٧٩٨
(١) الحميدى وكتابه "تسهيل السبيل إلى تعلُّم الترسيل [مخطوط]..... ٧٩٨
(٢) ابن بسّام وكتابه "الذخيرة"..... ٧٩٩
(٣) الكلاعى وكتابه "إحكام صنعة الكلام"..... ٨٠٠
(٤) أبو البقاء الرُّندى وكتابه "الوافى فى نظم القوافى"..... ٨٠١
- مؤلفات أخرى لها أهمية فى ميدان البحث البلاغى والنقدى فى الأندلس..... ٨٠١

- **تعقيب ومقارنة** ٨٠٢

المبحث الرابع: (الشعر والنثر الفنى) ٨٠٣

أولاً: الشعر ٨٠٣

- تأثر قرطبة بالاتجاهات الشعرية فى بغداد ٨٠٣
- مدخل ٨٠٣

(١) تأثر شعراء (قرطبة/الأندلس) بالاتجاه المحافظ فى بغداد ٨٠٤

(٢) تأثر شعراء (قرطبة/الأندلس) بالاتجاه الشعرى المحدث عن طريق بغداد ٨٠٦

- رحلة الشاعر عباس بن ناصح القرطبى إلى بغداد وتأثره بالاتجاه المحدث ٨٠٦
- رحلة الشاعر المعروف بالغَزَال إلى بغداد ٨٠٨
- تعقيب ٨٠٩

(٣) تأثر شعراء قرطبة بأصحاب الاتجاه المحافظ الجديد فى بغداد ٨١٠

- شعراء بغداديون فى قرطبة ٨١٤
- تعقيب ومقارنة ٨١٥

ثانياً: النثر الفنى فى الأندلس ومحاكاته للنثر المشرقى ٨١٧

- بدايات النثر الفنى فى الأندلس ٨١٧
- ظهور النثر التأليفى فى عصر الخلافة الأموية ٨١٨

(١) التأريخ الأدبى ٨١٩

(٢) التأليف الأدبى، ويمثله: ٨١٩

- كتاب العقد الفريد ٨١٩
- رسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد ٨٢٠
- النثر الفنى فى عصر ملوك الطوائف (ابن زيدون ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ..٨٢١
- لسان الدين بن الخطيب أبرع كاتب أندلسى بعد عصر الطوائف ٨٢٢
- **تعقيب ومقارنة** ٨٢٣

الفصل الرابع: (إنجازات الأندلسيين فى مجال الدراسات التاريخية والجغرافية) ٨٢٥

المبحث الأول: (الدراسات التاريخية) ٨٢٥

- نبذة مختصرة عن نشأة المدرسة التاريخية فى الأندلس ودور مصر فى تأسيسها ٨٢٥
- **اتجاهات البحث التاريخى فى التراث الأندلسى:** ٨٢٧
- توطئة ٨٢٧

أولاً: التأليف فى السيرة النبوية ٨٢٨

ثانياً: التأريخ العام للأندلس ٨٣١

- أول محاولة أندلسية لتدوين التاريخ الأندلسى العام (عبد الملك بن حبيب

السلمى القرطبى) ٨٣١
ابن القوطية وكتابه تاريخ افتتاح الأندلس ٨٣٢
دور أسرة الرازى فى تأسيس علم التاريخ بالأندلس ٨٣٣
(١) أحمد بن موسى الرازى (مؤرخ الأندلس الأول بلا منازع) (ت ٣٤٤هـ/٩٥٥م) .. ٨٣٣
(٢) عيسى بن أحمد بن موسى الرازى (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م) ٨٣٤
عريب بن سعد القرطبى (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م) ٨٣٥
ابن حيان أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) ٨٣٦
- مكانته العلمية ٨٣٧
- مؤلفاته فى التاريخ العام للأندلس: ٨٣٧
(١) المقتبس فى تاريخ الأندلس ٨٣٧
(٢) المتين ٨٣٨
(٣) كتب أخرى له فى تاريخ الأندلس (أخبار الدولة العامرية - البطشة الكبرى) ٨٣٩
ثالثاً: التأريخ للدول والأسر الحاكمة بالأندلس ٨٤٠
رابعاً: التأريخ للمشرق ٨٤١
خامساً: التأريخ للمدن الأندلسية ٨٤٤
سادساً: التأليف فى الأنساب ٨٤٥
سابعاً: التأليف فى التراجم والطبقات ٨٤٨
التراث الأندلسى فى هذا الفن التاريخى: ٨٤٨
- القسم الأول: كتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة المشارقة ٨٤٨
- القسم الثانى: المؤلفات الأندلسية الخاصة برجال الأندلس ٨٤٨
(١) النوع الأول: مؤلفات عامة شاملة لأعلام الأندلس ٨٤٨
السلسلة الأندلسية فى تراجم الأندلسيين ٨٤٩
(٢) النوع الثانى: المؤلفات المتخصصة فى صنف واحد من الأعلام الأندلسيين ٨٥١
تراجم الفقهاء ٨٥٢
تراجم المحدّثين ٨٥٣
تراجم القراء ٨٥٤
طبقات النحويين واللغويين ٨٥٤
طبقات الشعراء ٨٥٥
تراجم الأطباء والفلكيين والرياضيين والفلاسفة ٨٥٥
تراجم رجال الإدارة والحكم ٨٥٧
تراجم الخلفاء والأمراء ٨٥٧

تراجم الوزراء - تراجم الحجّـــاب ٨٥٨
تراجم الكتّـــاب - تراجم القضاة ٨٥٨
- **تعقيب** ٨٥٩
ثامناً: التأريخ فى الفكر الحضارى ٨٥٩
التأريخ الإدارى ٨٦٠
التأريخ فى الفكر السياسى والعسكرى (كتاب سراج الملوك للطرطوشى) ٨٦٠
جهود ابن حزم فى التأريخ الحضارى للأندلس (الفكر السياسى والاجتماعى والثقافى) ٨٦١
- كتاب "طوق الحمامة - كتاب مراتب العلماء - رسالة فى فضل الأندلس" ٨٦٢
- كتب برامج العلماء أوسع الكتب تأريخاً للحركة الثقافية فى الأندلس ٨٦٣
- **تعقيب عام ومقارنة** ٨٦٤
المبحث الثانى : الدراسات الجغرافية ٨٦٥
مدخل ٨٦٥
أهم ما فى التراث الأندلسى فى مجال الجغرافيا: ٨٦٧
(١) الرازى ومؤلفاته الجغرافية ٨٦٧
(٢) أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق وكتابه "مسالك إفريقية وممالكها" ٨٦٨
(٣) إبراهيم بن يعقوب الطُّـــرطوشى ٨٦٩
(٤) العُـــذْرى وكتابه "نظام المرجان فى المسالك والممالك" ٨٧٠
(٥) أبو عبيد البكرى وكتاباه: ٨٧١
- معجم ما استعجم ٨٧١
- المسالك والممالك ٨٧٢
(٦) الشريف الإدريسى وكتابه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" ٨٧٤
- الخلاصة ٨٧٦
- تعقيب ومقارنة ٨٧٧
الفصل الخامس : (إنجازات الأندلسيين فى مجال العلوم العقلية والتجريبية) ٨٧٩
المبحث الأول: (الفلسفة) ٨٧٩
- مدخل ٨٧٩
- عصر نشأة الفلسفة بالأندلس ٨٨٠
- أثر الحياة السياسية فى تنشيط الحركة الفلسفية بالأندلس بعد عصر الخلافة الأموية ٨٨٢
- أشهر الفلاسفة الأندلسيين وأهم إنتاجهم العلمى فى هذا المجال ٨٨٢
(١) ابن باجه (ت ٥٣٣هـ/١١٣٨م) ٨٨٢
(٢) ابن طفيل (٥٨١هـ/١١٨٥م) ٨٨٥

(٣) ابن رشد الحفيد (٥٩٥هـ/١١٩٨م) ٨٨٦
- **تعقيب ومقارنة** ٨٨٨
المبحث الثانى : (الفلك والرياضيات والموسيقى) ٨٨٩
توطئة : بداية عناية الأندلسيين بالفلك والرياضيات ٨٨٩
- بعض العلماء الذين برزوا فى هذا المجال فى عهد الحكم المستنصر ٨٩٠
- أبو القاسم المجريطى (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وتأسيس المدرسة الأندلسية فى الفلك والرياضيات ٨٩٠
- تلاميذ أبو القاسم المجريطى وإنتاجهم العلمى فى هذا المجال (ابن السمح/ ابن الصفّار/ الكرمانى / الزهراوى) ٨٩٣
- أبو إسحق الزَّرْقالى أبرز عالم فلكى بالأندلس بعد المجريطى ٨٩٤
- نماذج من التراث الأندلسى فى مجال الفلك والرياضيات خلال القرن السادس الهجرى ٨٩٥
- جابر بن أفلح الإشبيلى أبرز عالم فلكى رياضى فى الأندلس فى القرن السادس الهجرى ٨٩٦
- أبو إسحق البِطرُوجى ونقده إحدى نظريات بطليموس فى علم الفلك ٨٩٧
- ابن الرَّقام / ابن رضوان الواد آشى / ابن بدر الإشبيلى / أبو محمد الرقوطى ٨٩٧
- القَلْصَادى وبراعته فى علم الجبر وغزارة إنتاجه فى فروع الرياضيات ٨٩٧
- صناعة الآلات الفلكية فى الأندلس ٨٩٨
- **علم الموسيقى:** ٩٠١
- توطئة ٩٠١
- جانب من التراث الأندلسى فى علم الموسيقى ٩٠١
- ابن باجه الأندلسى من مفاخر الأندلسيين فى هذا الفن ٩٠٢
- كتاب "الأغانى الأندلسية" لأبى زكريا الأصبعى المرسى ٩٠٢
- **تعقيب ومقارنة** ٩٠٣
المبحث الثالث: (علم الكيمياء) ٩٠٤
- توطئة ٩٠٤
- أبرز العلماء الأندلسيين الذين أسهموا فى هذا المجال العلمى: ٩٠٤
(١) أبو الحسن على بن موسى السالمى الجيانى المعروف بابن النقرات وكتابه "شذور الذهب فى الكيمياء" ٩٠٤
(٢) أبو القاسم المجريطى وكتاباه "رتبة الحكيم"، و "غاية الحكيم" فى الكيمياء ٩٠٤
- **المبحث الرابع: (علم الطب)** ٩٠٧
- توطئة ٩٠٧
- بداية التأليف الأندلسى فى علم الطب (عبد الملك بن حبيب وكتابه "مختصر فى الطب") ... ٩٠٧

- يحيى بن إسحق القرطبى وكتابه "الأَبْرَيْشَم" ٩٠٩
- سعيد بن إبراهيم بن عبد ربه ومؤلفاته فى علم الطب ٩٠٩
- ابن جُلجُل وجهوده فى علم الطب والتأريخ لأعلامه فى المشرق والأندلس ٩٠٩
- عريب بن سعد وكتابه (خَلْق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين) ٩١٠
- ابن تمليخ القرطبى وكتابه (الأشكال فى علامات الأمراض وأعراضها) ٩١١
- الزهراوى وأهمية كتابه (التصريف) فى علم الجراحة ٩١١
- أبرز الأطباء الأندلسيين الذين كان لهم الدور الكبير فى تقدم علم الطب بالأندلس خلال القرن الخامس الهجرى: ٩١٦
(١) أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر (ت ٤٧٠/١٠٧٧م) ٩١٦
(٢) ابن وافد اللخمى (ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م) ٩١٦
- النهضة الطبية فى الأندلس تبلغ مداها فى القرن السادس الهجرى ٩١٧
(١) ابن باجه الفيلسوف ومشاركته فى علم الطب ٩١٧
(٢) أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م) ومؤلفاته فى الطب ٩١٧
(٣) أبو مروان عبد الملك بن زهر (الحفيد) (ت ٥٥٧هـ/١١٦٢م) وجهوده فى هذا العلم ٩١٨
- التعريف بكتابه (التيسير فى المداواة والتدبير) ٩٢٠
- تلامذته ٩٢٠
(٤) ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) أشهر علماء القرن السادس فى مجال الطب والفلسفة بالأندلس ٩٢١
- التعريف بكتابه (الكليات) ٩٢١
(٥) ابن قَشُّوم وكتابه (المرشد فى الكحل) ٩٢٣
- أعلام الطب فى الأندلس فى القرن السابع الهجرى ٩٢٣
- تصنيف الكتب فى وصف مرض الطاعون وعلاجه. ٩٢٤
- **تعقيب ومقارنة** ٩٢٥
- **المبحث الخامس : (علوم الصيدلة والنبات والزراعة)** ٩٢٨
أولاً: الصيدلة والنبات: ٩٢٨
مدخل ٩٢٨
أبرز علماء الصيدلة والنبات فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ٩٢٩
(١) ابن جلجل أعظم صيدلانى ونباتى فى الأندلس فى (ق ٤هـ) ٩٢٩
- عناية الأندلسيين بكتاب "الحشائش" لديسقوريدس وترجمته مرة أخرى

بالأندلس..... ٩٢٩
(٢) ابن عبد ربه الطبيب (ت ٣٤٢هـ/٩٥٣م) وكتابه (الأقراباذين) ٩٣١
(٣) عَريب بن سَعْد الطبيب المؤرخ (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م) ٩٣٢
عبد الرحمن بن إسحق بن الهيثم..... ٩٣٢
أبو بكر حامد بن سَمَجُون..... ٩٣٢
(٤) الزهراوى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) وإسهامه فى تطور علم الصيدلة والعقاقير ٩٣٣
- أهم ما قدمه الأندلسيون فى علم الصيدلة والنبات خلال القرن الخامس الهجرى: ٩٣٤
- ابن وافد (المتوفى ٤٦٧هـ) ٩٣٤
- **أبو عبيد البكرى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وكتابه "أعيان النبات والشجريات الأندلسية"**..... ٩٣٤
- يونس بن إسحق بن بكلارش اليهودى وكتابه "المستعينى فى الأدوية المفردة" ٩٣٥
- أبو الخير الإشبيلى وكتابه "عمدة الطبيب فى معرفة النبات"..... ٩٣٥
- ازدهار علم الصيدلة والنبات فى الأندلس خلال القرن السادس الهجرى: ٩٣٧
- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) ٩٣٧
- الشريف الإدريسى الجغرافى المشهور..... ٩٣٧
- أبو الوليد محمد بن رشد (الحفيد) (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) ٩٣٧
- أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقى (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) وكتابه (الأدوية المفردة")....٩٣٨
- أعلام الصيدلة والنبات فى الأندلس فى القرن السابع الهجرى..... ٩٣٨
(١) ابن الرومية (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وجهوده الميدانية فى هذا المجال..... ٩٣٩
(٢) ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وكتبه فى الصيدلة والنبات ٩٤٠
ثانياً: نبوغ الأندلسيين فى علم الفلاحة (الزراعة): ٩٤١
(١) ابن البصال وكتابه "الفلاحة" ٩٤٢
(٢) ابن العوام وكتابه "الفلاحة فى الأرضين"..... ٩٤٣
(٣) ابن عبدون وكتابه "الأسس الزراعية"..... ٩٤٤
- تعقيب ومقارنة..... ٩٤٤
* **خاتمة الباب : النتائج المستخلصة** ٩٤٥

(الباب الثالث)

(دور الأندلس فى نقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوربا)

- التمهيد: (معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا) ٩٥٣
- **الفصل الأول:** (وسائل وقنوات انتقال العلوم العربية والإسلامية من الأندلس إلى أوربا) ٩٥٧
أولاً: المستعربون..... ٩٥٧

ثانياً: اليهود ٩٦١
ثالثاً: المُـدجَّـنُون ٩٦٤
رابعاً: الوفود والسفارات ٩٦٧
- قنوات أخرى ٩٦٩
- تعقيب ٩٦٩
- **الفصل الثانى: (أثر الترجمة فى تعريف أوربا بالتراث العربى والإسلامى عن طريق الأندلس [الإسلامية] وإسبانيا [النصرانية])** ٩٧٠
- مدخل ٩٧٠
- المبادرات الأولى فى القرن الرابع الهجرى ٩٧١
- طلائع المترجمين الذين سبقوا مدرسة طليطلة فى ميدان الترجمة ٩٧١
- سقوط طليطلة فى أيدى النصارى الإسبان وتأثير ذلك على حركة ترجمة العلوم العربية ٩٧٣
- نشاط حركة الترجمة فى طليطلة فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) ٩٧٥
- رايموندو مارتينى ٩٧٥
- يوحنا بن داود الإسبانى ٩٧٦
- جيرارد دى كريمونا (٥٠٨-٥٨٣هـ/١١١٤-١١٨٧م) ومساعده يوحنا الإشبيلى ٩٧٦
- أديلارد دى باث (٤٦٣-٥٣٠هـ/١٠٧٠-١١٣٥م) ٩٨٠
- ألفونسو الحكيم (٦٥٠-٦٨٣هـ/١٢٥٢-١٢٨٤م) ودوره الكبير فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى أوربا ٩٨١
- وفرة الكتب العربية فى شتى العلوم بأيدى النصارى الإسبان بعد استيلائهم على مدن الإسلام إلى عهد ألفونسو الحكيم ٩٨٤
- أرنالدوس فيلافانوس (ت ٧١١هـ/١٣١١م) ٩٨٥
- رامونـد (أو/ ريموند) لُول (٦٣٣-٧١٤هـ/١٢٣٥-١٣١٤م) ٩٨٥
- الخلاصة ٩٨٦
- اعترافات الغربيين بفضل الأندلس فى نقل الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية إلى أوربا ٩٨٦
(خاتمة الدراسة) - (التوصيات) ٩٨٩
(قسم الملاحق) ٩٩٧
- **الملحق الأول**: الصور والأشكال والخرائط الملحقة بفصول البحث ٩٩٩
- **الملحق الثنى** : قائمة بأسماء الخلفاء العباسيين ١٠٠٢
- **الملحق الثالث**: قائمة بأسماء الخلفاء والأمراء الذين حكموا الأندلس عبر عصورها المختلفة ١٠٠٣
- **الملحق الرابع**: نصوص تراثية: ١٠٠٨

١ - رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس ١٠٠٩
٢ - تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم ١٠٢٦
- **الملحق الخامس** : قوائم لأسماء الكتب المشرقية التى انتقلت إلى الأندلس ١٠٣٢
أولاً: كتب علوم القرآن ١٠٣٤
ثانياً: كتب الفقه وأصوله ١٠٣٨
ثالثاً: كتب أصول الدين (العقيدة وعلم الكلام) ١٠٤٢
رابعاً: كتب الحديث النبوى ١٠٤٣
خامساً: كتب التاريخ والسيرة والأنساب والتراجم ١٠٥٠
سادساً: كتب علوم اللغة العربية ١٠٥٨
سابعاً: كتب الرقائق والآداب والأخلاق والفضائل ١٠٦٨
ثامناً: كتب الفلسفة والفلك والرياضيات والطب والصيدلة والنبات ١٠٧٣
الملحق السادس: قائمة بأسماء بعض الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية فى مجالات الطب والصيدلة والنبات والفلك والرياضيات والفلسفة ١٠٧٧
أولاً: فى الطب والصيدلة والنبات والحيوان ١٠٧٨
ثانياً: فى الفلك والرياضيات وعلوم الطبيعة (الفيزياء) ١٠٧٩
ثالثاً: فى الفلسفة والمنطق ١٠٨١
- **قوائم المصادر والمراجع** ١٠٨٣
- المخطوطات ١٠٨٤
- المصادر المطبوعة ١٠٨٦
- المراجع ١١٠٦
- الدوريات ١١٢٣
- الرسائل الجامعية ١١٣٣
- المراجع الأجنبية ١١٣٥
- **ملخص الدراسة باللغة العربية** ١١٣٧
- **ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية** ١١٤٠

****